الكتاب الأول من «أغنية الجليد والنار»

جورج ر.ر. مارتن



ترجمة هِشام فهْمي

چورچ ر. ر. مارتن

أغنيَّة الجَليد والنَّار

لُعبة العُروش

I

ترجمة: هشام فهمي

چورچ ر. ر. مارتن

أغنيَّة الجَليد والنَّار

لُعبة العُروش

I

الكتاب: لُعبة العُروش I (الكتاب الأول من أغنيَّة الجَليد والنَّار) / رواية
المؤلف: چورچ ر. ر. مارتن
ترجمة: هشام فهمي
عدد الصفحات: 544 صفحة
الترقيم الدولي: 978-977-6483-57-6
رقم الناشر: 2015/22293
الطبعة الأولى: 2016

هذه ترجمة مرخّصة لكتاب:

A Game of Thrones **by** *Geroge R. R. Martin*
Published by agreement with the author
and the author's agents, The Lotts Agency, Ltd

دار التنوير للطباعة والنشر

مصر: القاهرة–وسط البلد –19 عبد السلام عارف (البستان سابقًا) –الدور 8 – شقة 82
هاتف: 0020223921332
بريد إلكتروني: cairo@dar-altanweer.com
لبنان: بيروت – بئر حسن – سنتر كريستال، الهزيم – الطابق الأول -
هاتف: 009611843340
بريد إلكتروني: darattanweer@gmail.com
تونس: 24، نهج سعيد أبو بكر – 1001 تونس
هاتف وفاكس: 0021670315690
بريد إلكتروني: tunis@dar-altanweer.com
موقع إلكتروني: www.dar-altanweer.com

مقدِّمة المُترجِم

في عام 1994 تركَ چورچ ر. ر. مارتن هوليوود، بعد أن عملَ مدَّة عشرة أعوام في كتابة وإنتاج المسلسلات التليفزيونيَّة، وقد شعرَ بالسَّأم من القيود التي تفرضها التَّكاليف على الإنتاج، ومن عدم قُدرة الشَّاشة على تقديم ما يرغب فيه حقًّا بالمستوى المطلوب، بينما يستطيع على الصَّفحة المطبوعة أن يحكي كلَّ ما يُريده بكلِّ التَّفاصيل التي تفتَّقت عنها مخيِّلته. لم يكن مارتن مجرَّد مؤلِّف هاوٍ، فبعد سنوات من كتابة القصص القصيرة والمقالات في المجلَّات والصُّحف، نشرَ مجموعته القصصيَّة الأولى «أغنيَّة ليا» في عام 1976، وفي العام التَّالي نشرَ روايته الأولى «موت الضِّياء»، ومنذ ذلك الحين لم يتوقَّف عن الكتابة في أدب الفانتازيا والخيال العلمي، وإن أرادَ دائمًا أن يَكتُب ملحمةً فانتازيَّة ضخمة. في البداية لم يعرف عمَّا ستدور ملحمته بالضَّبط، إلى أن أتاه الإلهام في شكل مشهدٍ تخيَّله لعثور مجموعةٍ من الرِّجال على الذِّئاب الرَّهيبة الوليدة بين الثُّلوج، المشهد الأول الذي بدأ به كلُّ شيءٍ في ما أصبحَ أشهر وأهمَّ أعماله.

بعد عامين من مغادَرة هوليوود نشرَ مارتن روايةً في أكثر من ثمانمئة صفحة هي «لُعبة العروش»، الجزء الأول مِمّا كان مخطَّطًا له وقتها أن يكون ثلاثيَّة «أغنيَّة الجَليد والنَّار»، الحكاية الطَّويلة التي تتناوَل الصِّراع على السُّلطة بين عددٍ من العائلات الكُبرى في العالم الخيالي الذي صنعَه

شبيهًا بعالمنا في القرون الوُسطى. كثيرًا ما يكون هذا النَّوع من الأدب مزدحمًا بتنويعاتٍ ابتُذِلَت من فرط استهلاكها على ما أطلقَ جوزف كامبل عليه اسم "رحلة البطل"، مصحوبة بحبكات دراميَّة مستمَدَّة كلها من الأساطير القديمة، بينما ما فعله مارتن هو أنه استمدَّ إلهامه من التَّاريخ الحقيقي بدلًا من الأساطير، عندما بنى أُسس حكايته على الحرب الدَّامية التي أطلقَ عليها شكسبير لاحقًا اسم "حرب الوردتَيْن"، والتي دارَت رَحاها على مدار ثلاثة عقودٍ في إنجلترا القرن الخامس عشر، حول الأحق بوراثة العَرش بين عائلتي لانكاستر ويورك.

كان البريطاني ج. ر. ر. تولكين هو صاحب الفضل الأول في تأسيس أدب الفانتازيا الملحمي في تُحفته الخالدة «سيِّد الخواتم» والحكايات الأخرى التي تدور أحداثها في أرضه الوُسطى، ومنذ ذلك الحين والغالبيَّة العُظمى من كُتَّاب الفانتازيا يحذون حذوه، بينما مارتن هو صاحب الفضل في تناوُل هذا النَّوع من الأدب الخيالي بأسلوبٍ أكثر جدِّيَّة وحرفيَّة ممن كتبوا الكثير جدًّا من الأعمال التي لم تتعدَّ محاكاةً رديئةً لما قدَّمه تولكين، والتي تدور بشكلٍ أو بآخَر دائمًا حول شخصٍ تقليدي يكتشف قُواه الكامنة ويُنقِذ العالم بتدمير شيءٍ سحريٍّ ما للقضاء على الشرِّير الرئيس الذي يملك آلاف الأتباع، ثم النِّهاية السَّعيدة. وعلى الرغم من إعجابه الشَّديد بتولكين واعتباره من أهمِّ أساتذته -هو وروبرت جوردان صاحب ملحمة «عجلة الزَّمن»- إلَّا أن مارتن أخذَ عليه نظرته الطُّفوليَّة إلى وضوح الخير والشَّر، حيث كل شيءٍ إما أبيض أو أسود، وغالبًا ما تفادى هذا في حكايته مع تقديمه لشخصيَّاتٍ رماديَّة من الممكن أن نجدها في عالم الواقع، تركيباتها المعقَّدة ودوافعها وأهدافها وما ترتكبه من أفعال لا يُمكن الحُكم عليه ببساطة.

على الرغم من أن «لُعبة العروش» لم تُحَقِّق بمجرَّد نشرها النَّجاح الباهر الذي نعرفه اليوم، إلَّا أنها وجدَت تشجيعًا لا شَكَّ فيه من عددٍ كبير من باعة الكُتب المستقلِّين، الذين رشَّحوها لزبائنهم، والذين رشَّحوها

بالتَّالي لأصدقائهم، وهكذا بدأ جمهور مارتن يتشكَّل ببطءٍ في البداية، وأخذَ ينمو مع مرور الوقت وخروج الأجزاء التَّالية من السِّلسلة التي قرَّر مارتن أنها لم تَعُد تَصلُح لأن تكون ثلاثيَّةً فقط، عندما فرغَ من كتابة الجزء الثَّالث ووجدَ أنه لم يحكِ نِصف ما يرغب في حكايته بَعد، فاستقرَّ على أن تكون «أغنيَّة الجَليد والنَّار» سباعيَّة. منذ ذلك الحين باعَت الأجزاء الخمسة التي صدرَت أكثر من ستِّين مليون نسخة في أكثر من أربعين لُغة وفازَت بعددٍ من الجوائز الأدبيَّة المهمَّة بخلاف التَّرشيحات، وبكلِّ تأكيد ساهمَ إنتاج مسلسل *Game of Thrones* المأخوذ عن السِّلسلة في مُضاعَفة جمهور مارتن في جميع أنحاء العالم عدَّة مرَّات، خصوصًا مع مُشارَكته في كتابة بعض أهم الحلقات التي ترد فيها أحداث أساسيَّة من رواياته.

لا شَكَّ أن الإنتاج الضَّخم الذي خرجَ به المسلسل المأخوذ عن روايات مارتن جعلَه من أفضل وأهم المسلسلات في التَّاريخ على الإطلاق، ويكفي أن تطَّلع على أعداد مُتابعيه لترى أن العالم كله ينتظر كلَّ حلقةٍ جديدة بمنتهى الشَّغف، لكن كلَّ من قرأوا الرِّوايات -سواء من الكُتَّاب أو القُرَّاء- اتَّفقوا على أن محتواها أكثر تشويقًا من المسلسل بكثير، لا سيَّما أن هناك شخصيات رئيسة وأحداث وخطوط دراميَّة كاملة تم حذفها في المسلسل، بالإضافة إلى المحتوى الأدبي الثَّري الذي حرصَ مارتن على تقديمه بلُغةٍ ظلَّت بمنأىً عن التَّعقيد والتكلُّف وبأسلوبٍ لا يعرف الملل له طريقًا.

كمُترجِم، كانت قراءة روايات «أغنيَّة الجَليد والنَّار» والمتعة الشَّديدة التي وجدتها فيها هي الفيصل في اتِّخاذ قرار ترجمتها إلى العربيَّة، وهذه التَّرجمة التي بين يديك الآن هي نتاج عمل شهور طويلة مُرهِقة، لتقديم عالم چورچ مارتن المتشابك للقارئ العربي بأفضل شكلٍ ممكن يليق به.

إلى ميلندا


خريطة الشَّمال
قلعة
مدينة
أطلال
بلدة
الغابة المسكونة
الجدار
سكاين
الساحل المتجمِّد
ش
برج الظلال
القلعة السوداء
أراضي الهديَّة
خليج الفقمات
سكاجوس
خليج الجليد
جزيرة الدببة
كارهولد
قلعة الخوف
وينترفل
ربع تورين
روابي القبور
الأخاديد
بوابة الكباش
الميناء الأبيض
قلعة الأرملة
خندق كايلن
القلعة العتيقة
بلدة الروابي
خليج المياه الأجاجة
إصبع فلينت
رأس الكراكن
حروف فلينت
العنق
القلعة الرمادية
الثلاث أخوات
التوأمتان
جزر الحديد
سيجارد
خليج الرجال الحديديين
بايك
العش
البوَّابة الدامية
وادي أرن
Map by James Sinclair



خريطة الجنوب
مدينة
قلعة
بلدة
أطلال
ش
جزر الحديد
الثلاث أخوات
طريق الملوك
وادي أرن
العش
البوابة الدامية
مدينة النوارس
سيجارد
الثالوث
الفرع الأحمر
الجلمود
ريفررن
هارنهال
جزيرة الوجوه
ميدنبول
الناب الذهبي
عين الآلهة
داسكندال
دراجونستون
الخلقوم
كاسترلي روك
لانسبورت
روزبي
كينجز لاندنج
طريق الذهب
الخليج الأسود
المرعى
غابة الملوك
الطريق الوردي
بتربريدج
تارث
ستورمز إند
خليج السفن الغارقة
آشفورد
هايجاردن
الغابة المطيرة
رأس الغضب
بحر دورن
البلدة القديمة
ستارفول
دورن
الكرمة
Map by James Sinclair

تمهيد

كانت الغابة قد بدأت تكتَسي بالظَّلام من حولهم، عندما قال چارد بإلحاح: «يَجدُر بنا أن نعود طالما أننا وجَدنا الهَمج موتى».

بادَره السير وايمار رويس قائلًا بابتسامةٍ ساخرةٍ خفيفة جدًّا: «وهل يُجَرِّدك الموتى من رجولتك؟».

لم يسمَح چارد لنفسه بابتلاع الطُّعم. كان كبيرًا في السِّن، تجاوزَ الخمسين من عُمره، وكثيرًا ما رأى أمثال هذا اللورد الصَّغير يأتون ويذهبون، فقال: «الميت ميت وانتهى أمره، لكن لا شأن لنا بالموتى».

سألَه رويس بهدوء: «وهل هُم موتى حقًّا؟ هل لدينا دليلٌ على هذا؟».

أجابَ چارد: «ويل رآهم، وإذا قال إنهم موتى، فهذا دليلٌ يكفيني».

كان ويل يعرف أنهما سوف يَجُرَّانه إلى نِقارهما هذا عاجلًا أم آجلًا، وكان يتمنَّى أن تتأخَّر تلك اللحظة، لكنه قال: «أمِّي قالت لي إن الموتى لا يستطيعون الغناء».

قال رويس بصوتٍ عالٍ تردَّد صداه في الغابة التي اصطبغَ أُفقها باللون الأحمر مع مغيب الشَّمس: «ومُرضِعتي قالت لي الشَّيء نفسه. لا تُصدِّق أيَّ شيءٍ تسمعه وفمك حول حلمة امرأة يا ويل، فحتى الموتى يُمكنهم أن يُفيدونا بشكلٍ أو بآخَر».

قال چارد: «ما زالت أمامنا رحلة عودة طويلة... ثمانية أيام، وربما تسعة... واللَّيل قادم».

رفعَ السيرِ وايمار رويس عينيه إلى السَّماء، وبلهجةٍ لا مباليةٍ قال: «اللَّيل يأتي كلَّ يومٍ في هذا الموعد تقريبًا، أم أن الظَّلام يُخيفك؟».

كان جليًّا لويلَ أن چارد يضغَط على أسنانه، وقد التمعَ الغضب المكبوت في عينيه تحت قلنسوة معطفه الأسود الثَّقيل. لقد قضى الشَّيخ أربعين عامًا كاملةً مع حَرس اللَّيل، منذ التحق بهم وهو صبي، ولم يكن يروق له أن يستخفَّ به الآخَرون. على أن الأمر لم يكن يَقتَصِر على هذا فحسب، إذ راودَ ويل إحساس بأن كبرياء العجوز الجريحة تُخفي تحتها شيئًا آخَر، شيئًا يَشعُر بمذاقه في الهواء بالفعل، كأنه نوعٌ من توتُّر الأعصاب يقف على شفير الخوف؛ وهذا في حَدِّ ذاته يُثير التوجُّس.

كان ويل يُشارِكه شعوره القَلِق، فقد قضى عن نفسه أربع سنواتٍ في حَرس اللَّيل، ويوم أرسلوه وراء "الجِدار" للمرَّة الأولى وجدَ الحكايات القديمة كلها تتدفَّق من ذاكرته، وشعرَ بأمعائه تتقلَّص. بَعد ذلك ضحكَ ساخرًا من خوفه، أما الآن فقد صارَ جوَّالًا مُحَنَّكًا قامَ بأكثر من مئة جولة تقصٍّ وراء "الجِدار"، ولم تَعُدْ ظُلمات البراري -التي يُطلِق عليها أهل الجَنوب اسم "الغابة المسكونة" - تحمل له أيَّ خوف.

لم تَعُدْ تحمل له أيَّ خوفٍ حتى اللَّيلة بالأحرى، فاللَّيلة هناك شيء ما يختلف عن المعتاد. كان الظَّلام أكثر من مجرَّد ظلام اللَّيل العادي، وكان يموج بشيءٍ ما جعلَ الشُّعيرات تَنتَصِب على مؤخِّرة عُنقه. أيامٌ تسعة مرَّت على هذه الجولة التي أخذَتهم شَمالًا ثم إلى الشَّمال الغربي، ثم شَمالًا مرَّةً أخرى وبعيدًا عن "الجِدار" أكثر فأكثر، قضوها في اقتفاء آثار جماعةٍ من المُغيرين الهَمج، وكلُّ يومٍ أصعب من سابِقه، أمَّا اليوم فالأسوأ على الإطلاق، فالرِّياح البارِدة تَهُبُّ من الشَّمال وتجعل حفيف الأشجار كأنه حركة عشرات الكائنات، وصاحبَ ويل طوال اليوم شعور بأن ثمَّة شيئًا ما يُراقِبه، شيئًا باردًا قاسيًا لا يُكِنُّ له أيَّ مودَّة.

چارد أيضًا راودَه الشُّعور نفسه، بينما لم يرغب ويل في شيءٍ في تلك اللحظة أكثر من أن ينطلق عائدًا بأقصى سرعته إلى أمان "الجِدار"، لكن لم يكن من الجائِز طبعًا أن تُعَبِّر عن رغبةٍ كهذه لقائدك.

خصوصًا إذا كان قائدك هو هذا الرجل.

كان السير وايمار رويس أصغر أبناء عائلةٍ قديمةٍ أنجبَت خطًّا طويلًا من الورثة، شابًّا وسيمًا في الثامنة عشر من عُمره، رشيقًا نحيفًا كسكِّين، وله عينان رماديَّتان. ارتقى الفارس على صهوة جواده الأسود الضَّخم فوق ويل وچارد اللذين امتطيا حصانين أصغر حجمًا، وقد ارتدى حذاءً جلديًّا أسودَ طويل العُنق، وسروالًا أسودَ من الصُّوف، وقُفَّازين أسودين من فرو الخُلد، مع معطفٍ أنيق من الحلقات المعدنيَّة السَّوداء اللَّامعة فوق طبقاتٍ وطبقاتٍ من الصُّوف والجِلد الذي تمَّت تقويته بالزَّيت المغلي. كان السير وايمار أخًا تحت القَسم في حَرس اللَّيل منذ ما لا يزيد على نِصف العام، لكن لا أحد يُمكنه أن يَزعُم لم يكن مستعدًّا لهذا العمل، من ناحية ملاءَمة ملابسه له على الأقل. كان معطفه المصنوع من جِلد السَّمُّور مصدر فخره الأكبر، فهو أسودَ سميك وشديد النعومة. كان چارد قد قال عنه لرفاقه في حَرس اللَّيل ذات مرَّةٍ وهُم يحتسون النَّبيذ: «أُراهِنُ أن مُحارِبنا العظيم قتلَهم جميعًا بنفسه. أُراهِنُ أنه كسر أعناقهم الصغيرة»، وانفجرَ الجميع ضاحكين.

خطرَ لويل وهو جالسٌ يرتَجف على حصانه أن من الصعب أن تتلقَّى الأوامر من رجلٍ ضحكتَ منه وأنت ثَمِل، ولا بُدَّ أن الخاطِر ذاته كان يُراوِد چارد الشَّيخ الذي قال: «مورمونت قال أن نقتفي أثرهم، ولقد فعلنا. إنهم موتى ولن يُزعِجونا ثانيةً أبدًا. ما زالت أمامنا رحلة طويلة، وهذا الطَّقس لا يروق لي. إذا سقطَ الثَّلج فلن نستطيع العودة قبل أسبوعين على الأقل، ولنتمنَّ أن يَقتَصِر الأمر على سقوط الثَّلج فحسب. هل سبقَ أن رأيت عاصفةً ثلجيَّةً يا سيِّدي؟».

لم يبدُ على الفارس أنه سمعه، بل تفحَّص أضواء الشَّفق بطريقته نِصف الملول نِصف الحائرة المعتادة، وقد سبقَ لويل الخروج معه في عددٍ من الجولات كان كافيًا لأن يعرف أن من الأفضل ألَّا يُقاطِعه وعلى وجهه هذا التَّعبير. «ويل، أخبِرني بما رأيته مرَّةً أخرى. جميع التَّفاصيل. لا تُغفِل أيَّ شيء».

كان ويل صيَّادًا قبل أن يلتَحق بحَرس اللَّيل، أو أنه كان يسرق الصَّيد بالأحرى، ثم ألقى خيَّالة آل ماليستر القبض عليه مُتَلَبِّسًا ذات يومٍ وهو يَسلُخ وعلًا مملوكًا لآل ماليستر في غابة آل ماليستر نفسها، فصارَ أمامه خيارٌ من اثنين: إمَّا أن يرتدي أسودَ حَرس اللَّيل أو تُقطَع يده. لا أحد يستطيع الحركة في الغابة بهدوء ويل، ولم يمضِ وقت طويل قبل أن يكتَشف الإخوة السُّود موهبته هذه. أجابَ سؤال السير وايمار قائلًا: «المخيَّم على بُعد ميلين، وراء سياج الأشجار هذا وعلى ضفَّة جدول. لقد اقترَبتُ قَدر المستطاع ورأيتُ ثمانية منهم، رجالًا ونساء، وإن لم أرَ أيَّ أطفال. المخيَّم منصوب إلى جوار المنحدَر الذي كان الثَّلج قد غطَّاه إلى حَدٍّ كبيرٍ، لكنني لاحَظته. لا توجد نار مشتعلة، لكن حُفرة النار كانت ظاهرةً تمامًا. لقد راقَبتُ المكان لفترةٍ طويلة، لكن لا أحد منهم تحرَّك. ليس هناك إنسان حي يُمكنه أن يستلقي بذلك الثَّبات أبدًا».

- «هل رأيت أيَّ دماء؟».
- «كلا».
- «هل رأيت أيَّ أسلحة؟».
- «بضعة سيوفٍ وأقواس، ورأيتُ بلطةً مع واحدٍ منهم، ثقيلةً كما أوحى شكلها، ومزدوجة النَّصل، قطعة قاسية من الحديد في الحقيقة. كانت على الأرض إلى جوار يده مباشَرةً».
- «وهل لاحَظت أوضاع الجُثث؟».

هَزَّ ويل كتفيه مجيبًا: «اثنان كانا مرتكنَيْن على الصَّخرة. معظمهم كان على الأرض، فلا بُدَّ أنهم صَرعى».

- «أو أنهم كانوا نائمين».

قال ويل بإصرار: «بل صَرعى. كانت هناك امرأة نِصف متوارية بين الفروع، خفيرة»، وأضافَ بابتسامةٍ صغيرة: «تأكَّدتُ من أنها لم ترَني، لكن عندما اقترَبتُ منها رأيتُ أنها لا تتحرَّك أصلًا». قالها وارتجَف جسده رغمًا عنه.

سأله رويس: «هل تَشعُر بالبَرد؟».

غمغمَ ويل: «بعض الشيء. إنها الرِّياح يا سيِّدي».

كانت أوراق الأشجار المكسوَّة بالصَّقيع تتساقَط وتهمس وراءهم، وتُحَرِّك جواد رويس بتوتُّرٍ والفارس يلتَفت إلى جُندِيِّه الأشيب ويسأله بلهجةٍ جعلها عاديَّة: «چارد، ما الذي قتلهم في رأيك؟»، ثم عدَّل وضع معطفه الطويل.

أجابَ چارد بثقةٍ من حديد: «إنه البَرد. لقد رأيتُ رجالًا يتجمَّدون حتى الموت الشِّتاء الماضي، والشِّتاء الذي قبله، عندما كنتُ نِصف غلام. الجميع يتكلَّمون عن ثُلوجٍ عُمقها أربعون قدمًا، وكيف تأتي الرِّياح الجَليديَّة تعوي من الشَّمال، لكنَّ العَدُوَّ الحقيقي هو البَرد. إنه يتسلَّل إليك بهدوءٍ متناهٍ يتفوَّق فيه على ويل نفسه، وفي البداية يرتجف جسدك وتصطكُّ أسنانك، وتَدُقُّ بقدميك على الأرض وأنت تَحلُم بالنَّبيذ المتبَّل ودِفء النار. إنه يُحرِق... يُحرِق... لا شيء يُحرِق كالبَرد... لكن لقليلٍ من الوقت فقط، لأنه يتسرَّب إليك من الدَّاخل بعدها ويملأك، وبعد فترةٍ قصيرةٍ لن تجد في نفسك إرادةً لمُقاوَمته. من الأسهل عندها أن تجلس في مكانك أو تَخلُد إلى النَّوم. يقولون إنك لا تَشعُر بأيِّ ألم نحو النِّهاية، بل تَشعُر بالضَّعف والدُّوار أولًا، ثم يبدأ كلُّ شيءٍ في التَّلاشي من أمام عينيك. ثم إنك تَشعُر كأنك تغوص في بَحْرٍ من الحليب الدَّافئ ويُفعِمك الشُّعور بالسَّلام».

قال السير وايمار: «أحبُّ فصاحتك يا چارد. لم أعرف قَطُّ أنك تستطيع الكلام هكذا».

- «أنا أيضًا شعرتُ بالبَرد في داخلي أيها اللورد الصغير»، قال چارد وأنزلَ قلنسوته ليُلقي السير وايمار نظرةً طويلةً فاحصةً على أُذنيه اللتين لم تعودا هناك. «أذنان وثلاثة أصابع قدم وخنصر يدي اليُسرى. كنتُ محظوظًا، لأننا عثرنا على أخي وقد تجمَّد في مكانه أثناء ورديَّته، وكان مبتسمًا».

هَزَّ السير وايمار رأسه قائلًا بتهكُّم: «يَجدُر بكَ أن ترتدي ملابس أثقل».

حدَّق چارد غاضبًا في الفارس وقد تورَّدت النُّدوب حول الثُّقبين اللذين تبقَّيا من أذنيه بعد أن قطعَهما المِايستر إيمون، وقال: «سنرى كيف تمنحك ملابسك الثَّقيلة الدِّفء عندما يأتي الشِّتاء»، وعادَ يرفع قلنسوته على رأسه، وانحنى فوق حصانه بصمتٍ عابِس.

قال ويل: «طالما قال چارد إن البَرد هو الذي...».

قاطَعه رويس بقوله: «ويل، هل خرجتَ في أيِّ جولاتٍ الأسبوع الماضي؟».

- «نعم يا سيدي».

لم يكن أسبوع واحد يَمُرُّ دون أن يَخرُج ويل في عشر جولاتٍ لعينة على الأقل، فما الذي يرمي إليه هذا الرَّجل بالضَّبط؟

- «وكيف كان "الجِدار"؟».

أجابَ ويل عاقدًا حاجبيه وقد أدركَ ما يعينه الفارس الصَّغير بسؤاله: «كان يَقطُر. ليس من الممكن أن الهَمج تجمَّدوا إذن، ليس عندما يَقطُر "الجِدار"، فالجَوُّ لم يكن باردًا بما فيه الكفاية».

أومأ رويس موافقًا، وقال بابتسامةٍ واثقة: «ولدٌ ذكي. نعم، كانت هناك موجات خفيفة من الصَّقيع الأسبوع الماضي، وتساقطَ الثَّلج بين الحين

والآخَر، لكن الجَوَّ لم يكن بالتأكيد بالبرودة الكافية لقتل ثمانية رجال بالغين، ثمانية رجال -دعني أُذَكِّرك- متدثِّرين بالفرو والجِلد، على مقربةٍ من ملجئهم، ولديهم وسيلة لإشعال النار كذلك. ويل، قُدنا إلى مكانهم. أريدُ أن أرى هؤلاء الموتى بنفسي».

وعندها لم يَعُدْ هناك مجال للجدل، فقد أعطى الفارس الأمر، وأصول الشَّرف تُرغِم الآخرَيْن على الطَّاعة.

تقدَّم ويل الطَّريق وحصانه الأشعث الصغير يَشُقُّ طريقه بحذرٍ وسط الأرض المكسوَّة بطبقةٍ من الأبيض. كان ثلج خفيف قد تساقطَ اللَّيلة السَّابقة، وهناك حجارة وجذور وحُفر غير مرئيَّةٍ تتوارى منتظرةً ابتلاع الطَّائشين والغافلين. تحرَّك السير وايمار رويس وراء ويل وقد أخذَ جواده الأسود الضَّخم يصهل بتوتُّر. كان الجواد الحربي غير صالحٍ بالمرَّة لهذه الجولات، لكن حاوِل أن تقول ذلك للورد الصَّغير. ثم جاءَ چارد في المؤخِّرة وقد أخذَ يُدَمدِم متذمِّرًا لنفسه وهو يتحرَّك بحصانه.

صارَ الغَسق أثقل، وتلوَّنت السَّماء بلونٍ أرجوانيٍّ عميق، لون الكدمات القديمة، ثم أخذَ الأسود ينتشر فيها. بدأت النجوم تتجلَّى وارتفعَ القَمر هلالًا، ما أشعرَ ويل بالامتنان لوجود ولو بصيصٍ من الضَّوء.

قال رويس عندما استقرَّ القَمر في السَّماء: «يُمكننا التحرُّك بسرعةٍ أكبر بالتَّأكيد، أليس كذلك؟».

رَدَّ ويل بحدَّةٍ وقد أصابَه الخوف باللامبالاة: «ليس بهذا الحصان، لكن هل يرغب سيِّدي في قيادة الطَّريق؟».

لم يُعَلِّق السير وايمار رويس على إجابة ويل.

وفي مكانٍ ما في الغابة تعالى عواء ذِئب.

توقَّف ويل بحصانه تحت شجرةٍ صُلب[1] عتيقةٍ متشابكة الأغصان وترجَّل، فسأله رويس: «لماذا توقَّفنا؟».

---

(1) نوع أشجار من ابتكار المؤلِّف.

- «من الأفضل أن نقطَع بقيَّة الطَّريق سيرًا على الأقدام يا سيِّدي. المكان يقع وراء هذه الأشجار مباشرةً».

صمتَ رويس للحظةٍ وتطلَّع أمامه وقد بدَت على وجهه أمارات التَّفكير. كانت الرِّيح الباردة تهمس بين الأشجار، وتُحَرِّك معطفه الثَّقيل الثَّمين وراء ظهره كأنه كائن نِصف حي.

تمتمَ چارد: «ثمَّة شيء ما على غير ما يُرام هنا».

رمقَه الفارس الشاب باسمًا، وقال بازدراء: «حقًّا؟».

سألَه العجوز: «ألا تَشعُر به؟ أصغِ إلى الظَّلام».

كان ويل يَشعُر به فعلًا. أربعة أعوام قضاها في حَرس اللَّيل لم يَشعُر فيها بخوفٍ كهذا قَطُّ. ماذا هناك بالضبط؟

- «لا أسمعُ إلَّا الرِّياح وحفيف الأشجار وعواء ذِئب، فأيُّ هذه الأصوات يُخيفك إلى هذه الدرجة؟».

عندما لم يُجِب چارد، ترجَّل رويس عن جواده برشاقة، ثم ربطَه بعنايةٍ إلى فرع شجرةٍ واطئٍ بعيدًا عن الحصانين الآخرَيْن، وسحبَ سيفه الطَّويل من غِمده، فتألَّقت الجواهر التي رصَّعت المقبض، وانعكسَ ضوء القَمر على الفولاذ اللَّامع. كان سلاحًا رائعًا بالفعل، مطروقًا في قلعة[1]، ويشي شكله بأنه ما زال جديدًا، ما جعلَ ويل يرتاب في أن هذا السَّيف قد استُخدِم في أيِّ نزالٍ من قبل.

قال ويل مُحَذِّرًا: «الأشجار تتشابَك بشدَّةٍ هنا، وسيُعيقك السَّيف عن الحركة. يَحسُن أن تستخدم سكِّينًا».

رَدَّ القائد الشَّاب: «إذا احتَجتُ تعليماتك سأطلُبها منك. چارد، احرُس الخيول».

(1) في عالم الرِّواية تُعَدُّ الأسلحة المطروقة في قلعة، وليس في ورشةٍ تقليديَّة، الأفضل على الإطلاق.

ترجَّل چارد قائلًا: «يجب أن نُشعِل نارًا. سأتولَّى هذا».

- «هل أنت أحمق أيها العجوز؟ إذا كان هناك أعداء ما في الغابة، فالنَّار هي آخِر ما نحتاجه».

- «ثمَّة نوع من الأعداء تُبعِده النَّار. الدِّببة والذِّئاب الرَّهيبة[1] و... وأشياءَ أخرى».

استحالَ فم السير وايمار إلى خَطٍّ رفيع وهو يقول بقسوة: «لا نار».

كانت قلنسوة العجوز تُظَلِّل وجهه، لكن ويل استطاعَ أن يرى اللَّمعة الغاضبة في عينيه وهو يَرمُق الفارس. للحظةٍ خشيَ ويل أن يستلَّ العجوز سيفه، وقد كان شيئًا قصيرًا قبيحًا لاحَ لون مقبضه بفِعل العَرق، وتشوَّهت حافَّته من الاستخدام العنيف، لكن ويل لم يكن ليرى فرصةً لنجاة اللورد الصغير لو كان چارد قد سحبَ سيفه من غمِده فعلًا.

ثم إن چارد خفضَ عينيه أخيرًا، وبصوتٍ خافتٍ غمغمَ: «لا نار».

اعتبرَ رويس هذا إذعانًا من العجوز، فالتفتَ إلى ويل قائلًا: «قُد الطريق».

شَقَّ ويل الطريق بحذرٍ عبر دغلٍ كثيف، ثم بدأ يصعَد المنحدَر نحو سياج الأشجار المنخفض، حيث وجدَ نقطة مراقبةٍ مُناسِبةٍ تحت واحدةٍ من أشجار الحارس[2]. كانت الأرض تحت قشرة الجَليد الرقيقة مبتلَّةً موحِلةً يَسهُلِ الانزلاق عليها، ومليئةً بالصُّخور والجذور المتوارية التي تنتظر أن تتعثَّر فيها. لم يُصدِر ويل صوتًا وهو يتسلَّق، ومن ورائه كان يسمع حفيف أوراق الشَّجر مُمتزجًا بالصَّوت المعدني الخافت الذي يَصدُر عن دِرعِ اللورد الصَّغير، وسمعه يُطلِق سبَّةً والأفرُع الطويلة تعوق حركة سيفه الطَّويل وتشتبك بمعطفه الأسود الفاخر.

كانت شجرة الحارس الضَّخمة هناك عند قمَّة سياج الأشجار، في المكان الذي قال ويل إنها ستكون فيه، وأدنى أفرُعها يتدلَّى على بُعد قدمٍ

(1) الذِّئب الرَّهيب حيوان حقيقي منقرض كان يقطن الأمريكتين قبل عشرة آلاف سنة.

(2) نوع أشجار من ابتكار المؤلِّف.

واحدٍ لا أكثر من الأرض. انزلقَ ويل زاحفًا على بطنه في الثَّلج والوحل تحت الأفرُع الواطئة، وتطلَّع إلى البُقعة الخاوية أسفله.

وتوقَّف قلبه عن النَّبض في صدره، وللحظةٍ لم يجرؤ على التنفُّس. تألَّق ضوء القَمر على رُقعة الأرض الفضاء، بما فيها من الرَّماد المتخلِّف عن حُفرة النَّار والمنحدَر المغطَّى بالجَليد والصَّخرة الضَّخمة والجدول الصغير نِصف المتجمِّد. كان كلُّ شيءٍ كما تركَه بالضَّبط منذ ساعاتٍ قليلة.

فيما عدا أن الجُثث كلها اختفَت.

سمعَ صوتًا من ورائه يقول: «بحَقِّ الآلهة!»، ورأى سيفًا يقطع غُصنًا إذ وصلَ السير وايمار رويس إلى حافَّة سياج الأشجار. وقفَ هناك إلى جوار شجرة الحارس وسيفه الطَّويل في يده ومعطفه يطير منتفخًا وراءه بفِعل الرِّياح، وقد حدَّده ضوء النُّجوم على نحوٍ مليءٍ بالنُّبل فبدا مهيبًا.

همسَ ويل بلهفة: «انخفِض! شيءٌ ما على غير ما يرام هنا».

لم يتحرَّك رويس من مكانه، بل تطلَّع إلى الأرض الخالية وانفجرَ ضاحكًا، ثم قال هازئًا: «يبدو أن موتاك قرَّروا نقل مخيَّمهم إلى مكانٍ آخَر».

تخلَّى صوت ويل عنه، وكافحَ للعثور على كلماتٍ لم تأتِ. إن ما يَحدُث غير ممكن بكلِّ المقاييس. أخذَت عيناه تمسحان مكان المخيَّم المهجور من اليمين إلى اليسار، قبل أن تتوقَّفا عند البلطة، بلطة الحرب الضَّخمة مزدوجة النَّصل التي ما زالت ملقاةً هناك حيث رآها من قبل ولم يمسَسها أحد... سلاح قيِّم حقًّا.

قال السير وايمار آمرًا: «انهَض يا ويل. لا يوجد أحد هنا، ولن أتركك تتوارى تحت شجرة».

أطاعَ ويل الأمر على مضض، بينما رمقَه السير وايمار بإمعانٍ وعلى وجهه نظرة غير راضية، وقال: «لن أعود إلى القلعة السَّوداء أجرُّ أذيال

الفشل في أول جولةٍ لي. سوف نَعثُر على هؤلاء الرجال، مفهوم؟»، ثم تطلَّع حوله وأضافَ: «تسلَّق الشَّجرة، هيا بسرعة، وابحث عن نار».

ابتعدَ ويل دون أن يُعَلِّق، فلم تكن هناك فائدة من الجدل. كانت الرِّيح تتحرَّك وتنفذ من مسامِّه. اتَّجه إلى شجرة الحارس الضَّخمة ذات الأفرُع المُقَنْطَرَة واللَّونين الأخضر والرَّمادي وبدأ يتسلَّق، ولم يمضِ وقت طويل قبل أن يُغَطِّي النُّسغ اللَّزِج يديه ويغيب بين الأشواك. ملأ الخوف أحشاءه كوجبةٍ لم يستطِع أن يهضمها، وهمسَ بصلواتٍ لآلهة الغابة التي لا تُعرَف لها أسماء، وأخرجَ خنجره الطَّويل من غِمده ووضعَه بين صَفَّيٍّ أسنانه كي تظلَّ يداه حُرَّتين للتسلُّق، فبَثَّ إحساس الحديد البارد في فمه شعورًا بالاطمئنان.

ثم سمعَ الفارس الشَّاب يصيح في الأسفل مُناديًا: «من هناك؟». أحسَّ ويل بتردُّدٍ في الصَّيحة، فتوقَّف عن التسلُّق وأرهفَ سمعه وبصره.

أعطَت الغابة الإجابة... حفيف أوراق الشَّجر، وتدفُّق الجدول الثَّلجي، ونعيب بومةٍ من بعيد.

ولم يُصدِر "الآخَرون" صوتًا.

برُكنِ عينه رأى ويل حركةً ما، أشياءَ شاحبةً تنسلُّ عبر الغابة. أدارَ رأسه فلمحَ ظِلًّا أبيضَ في الظَّلام سرعان ما اختفى. تحرَّكت الفروع بنعومةٍ مع الرِّيح خادشةً بعضها بعضًا بأصابعٍ من خشب، وفتحَ ويل فمه ليصيح محذِّرًا، لكن الكلمات تجمَّدت في حَلقه. لعلَّه مخطئ، لعلَّه مجرَّد طائر، أو انعكاس على الثَّلج، أو خدعة ضوئيَّة ما من القَمر، فما الذي رآه أصلًا؟

أتاه صوت السير وايمار يُنادي قائلًا: «ويل، أين أنت؟ هل ترى أيَّ شيء؟». كان يدور حول نفسه في دائرةٍ ببُطْءٍ وانتباهٍ مفاجئ وسيفه في يده. لا بُدَّ أنه شعرَ بهم كما شعرَ بهم ويل، لكن لم يكن هناك ما يُرى. «أجِبني! لماذا اشتدَّ البَرد هكذا؟».

كانت البرودة قد صارت أشدَّ بالفعل، وتشبَّث ويل أكثر بمجثمه وهو

يرتجف، وقد ضغطَ وجهه بقوَّةٍ في جِذع شجرة الحارس، وشعرَ بالنُّسغ الحُلو اللَّزِج على وجنته.

ثم انشقَّ ظلام الغابة عن ظِلٍّ ليقف أمام السير وايمار مباشَرةً. طويلًا كان، وهزيلًا وقاسيًا كالعظام القديمة، لحمه شاحب كالحليب. بدا أن لون دِرعه يتغيَّر مع حركته؛ هنا أبيضَ كالثَّلج الطَّازج وهناك أسودَ كالظِّلال، وفي كلِّ بقعةٍ مرقَّط بأخضرَ ورمادي الأشجار. كانت النُّقوش تسري على دِرعه كنور القَمر على سطح الماء مع كلِّ خطوةٍ يخطوها.

وسمعَ ويل أنفاس السير وايمار رويس تَفِرُّ من جسده في هسيسٍ طويل.

- «لا تقترب أكثر»، قال الفارس الشَّاب مُحَذِّرًا بصوتٍ مشروخٍ كصوت صبيٍّ صغير، وألقى المعطف الأسود الطويل فوق كتفيه ليُحَرِّر ذراعيه للقتال، وأطبقَ على سيفه بكلتا يديه. كانت الرِّيح قد سكنَت تمامًا وصارت البرودة قاسيةً بحق.

انسلَّ "الآخَر" إلى الأمام بخطواتٍ صامتة، وفي يده سيف طويل ليس كشيءٍ رآه ويل من قبل قَطُّ. هذا السَّيف لم يُطرَق من أيِّ معدنٍ بشري. كان ينبض بنور القَمر، شِبه شفَّاف، كِسرة من البِلَّور شديدة الرِّقَّة تكاد تتوارى عن الأنظار إذا نظرت إليها رأسًا. كان ثمَّة وميض أزرقَ خافِت، ضوء شبحي يتراقَص حول الحواف، وبشكلٍ ما عرفَ ويل أنه أمضى من أيِّ نصل.

واجَهه السير وايمار بشجاعةٍ قائلًا: «لنَرقُص معًا إذن»، ورفعَ سيفه عاليًا فوق رأسه بتحدٍّ. ارتجفَت يداه من ثِقل السَّيف، أو ربما من البَرد، وإن خطرَ لويل في تلك اللحظة أنه لم يَعُدْ صبيًّا، بل صارَ واحدًا من رجال حَرس اللَّيل.

توقَّف "الآخَر"، ورأى ويل عينيه. كانتا ذات لونٍ أزرقَ شديد العُمق يُحرِق كالجَليد، أعمق وأكثر زُرقةً من أيِّ عينٍ بشريَّة، وقد ثبتَت نظراتهما

على السَّيف الطَّويل الذي يرتفع مرتجفًا في يد صاحبه، وراقَبتا نور القَمر البارد يجري على المعدن، وللحظةٍ جرؤ ويل على الأمل.

خرَجوا بصمتٍ من قلب الظِّلال... اثنان في البداية... ثلاثة... أربعة... خمسة... قد يكون السير وايمار قد شعرَ بالبَرد الذي جاءَ معهم، لكن المؤكَّد أنه لم يرَهم أو يسمَعهم. كان ينبغي على ويل أن يُطلِق صيحة تحذير. كان هذا واجبه... وهلاكه إذا فعلها. هكذا ارتجفَ واحتضنَ الشَّجرة ولاذَ بالصَّمت.

وشَقَّ السَّيف الشَّاحب الهواء.

قابله السير وايمار بفولاذه، وعندما التقى النَّصلان لم يتردَّد رنين اصطدام المعدن بالمعدن، بل مجرَّد صوتٍ مرتفعٍ رفيع عند حافَّة السَّمع، كصرخة حيوانٍ يتألَّم. صَدَّ رويس ضربةً ثانيةً، ثم الثَّالثة، ثم تراجعَ خطوة. سلسلة أخرى من الضَّربات، ثم تراجعَ من جديد. من ورائه، إلى يمينه، إلى يساره، من كلِّ مكانٍ حوله، وقفَ المُراقِبون بصبرٍ صامت، وجوههم بلا معالم، تتبدَّل النُّقوش على دروعهم فتجعَلهم أبرز شيءٍ في هذه الغابة، لكنهم لم يُحاوِلوا التدخُّل.

مرَّةً أخرى وأخرى التقى السَّيفان، إلى أن أحسَّ ويل بأنه يُريد أن يُغَطِّي أذنيه ليقيهما صوت الاصدام الحاد الشَّبيه بالعويل. كان السير وايمار يلهث من جرَّاء المجهود الآن، وأنفاسه تَخرُج في شكل بُخارٍ ساخنٍ في نور القَمر، واكتسى سيفه بالصَّقيع الأبيض بينما رقصَ ضوء أزرقَ على سيف "الآخَر".

ثم تأخَّرت حركة رويس الدِّفاعيَّة لحظةً واحدةً، فشَقَّ السَّيف الشَّاحب الحلقات المعدنيَّة تحت ذراعه، وأطلقَ اللورد الشَّاب صرخةً مفعمةً بالألم. انبجسَ الدَّم السَّاخن من بين الحلقات ليَخرُج بُخاره في البَرد، وبدَت القطرات حمراء كاللَّهب وهي تَقطُر على الثَّلج. مسحَ السير وايمار جانِبه بيده، ورأى القُفَّاز المصنوع من فرو الخُلد غارقًا في الأحمر القاني.

بصوتٍ كتشقُّق الجَليد على سطحِ بحيرةٍ شتويَّة قال "الآخَر" شيئًا بلُغةٍ يجهَلها ويل، وكانت كلماته ساخرةً.

وعثَرَ السير وايمار رويس على الغضبة التي كان يحتاجها، فصاحَ: «لأجل روبرت!»، واندفعَ مزمجرًا رافعًا السَّيف الطَّويل المكسوَّ بالصَّقيع بيديه، وهوى به بضربةٍ جانبيَّةٍ وضعَ ثِقله كله وراءها، فتراجعَ "الآخَر" بحركةٍ تكاد تكون كسولًا.

وعندما تلاقى النَّصلان تحطَّم الصُّلب.

تردَّدت صرخة في ليل الغابة، وتشظَّى السَّيف الطَّويل إلى مئة قطعةٍ مشوَّهة، وتناثرَت الشَّظايا كأمطارٍ من الإبر الحادَّة. هوى رويس على رُكبتيه متأوِّهًا وغطَّى عينيه، وانبثقَ الدَّم من بين أصابعه.

تقدَّم المُراقِبون إلى الأمام معًا كأنهم تلقوا إشارةً ما، وارتفعَت السُّيوف وهوَت بصمتٍ مميت. كانت مجزرةً باردةً اخترقَت فيها النِّصال دِرع الحلقات المعدنيَّة كأنها من الحرير. أغلقَ ويل عينيه، ومن بعيدٍ في الأسفل سمعَ أصواتهم التي تلفظ بلُغةٍ حادَّةٍ كسكاكينَ من جَليد.

كان وقتًا طويلًا قد انقضى عندما وجدَ شَجاعةً تكفي لأن يَنظُر ثانيةً، وفي الأسفل كان المكان خاويًا.

ظَلَّ على الشَّجرة يكاد لا يجرؤ على التقاط أنفاسه، بينما زحفَ القَمر بتؤدةٍ في السَّماء السَّوداء، قبل أن يستسلم أخيرًا للتشنُّجات التي أصابَت جسده والخَدَر الذي سرى في أصابعه، ويبدأ النزول. كان المعطف الأسود السَّميك قد شُقَّ في غير موضع، والآن وهو يراه وقد سقطَ ميتًا هكذا أدركَ ويل كم كان السير وايمار صغيرًا، أنه كان مجرَّد صبي.

عثرَ على ما تبقَّى من السَّيف على بُعد بضعة أقدام، وقد تشقَّق طرفه والتوى كشجرةٍ ضربَها البَرق. انحنى ويل ونظرَ حوله بحذرٍ والتقطَه. سيكون السَّيف المكسور دليلًا كافيًا. سيستنتج چارد شيئًا منه، وإن لم

يكن هو فالدُّب العجوز مورمونت أو المِايستر إيمون لا شكَّ. عليه أن يُسرِع. هل ما زال چارد ينتظر مع الخيول؟

نهضَ ويلٍ، وأمامه كان السير وايمار رويس على قدميه.

ملابسه الثَّمينة كانت خرقةً باليةً، ووجهه خرابًا، وفي بياض بؤبؤ عينه اليُسرى الأعمى انغرسَت شظية من سيفه.

وكانت العين اليُمنى مفتوحةً... تتَّقد بالأزرق... وترى.

سقطَ السَّيف المكسور من أصابع ما عادت فيها أعصاب، وأغلقَ ويل عينيه ليُرَدِّد صلواته، بينما مسَّت يدان طويلتان ناعمتان وجنته، قبل أن تُطبِقا على عُنقه. كانتا مكسوَّتينِ بنوعٍ فاخرٍ من فرو الخُلد وملطَّختين بالدِّماء، لكن لمستهما باردة كالثَّلج.

بران

بزغَ النَّهار صافيًا باردًا، مع شيءٍ من الجفاف في الجَوِّ يشي بدُنُوِّ نهاية الصَّيف. كانت المجموعة التي تضمُّ عشرينًا منهم قد تحرَّكت مع مطلع الفَجر، ليكونوا شاهِدين على إعدام رجلٍ بضرب عُنقه، وركبَ بران معهم وكله حماسة جعلَته يكاد لا يطيق الثَّباتَ في مكانه. إنها المرَّة الأولى التي يتمُّ اعتباره فيها كبيرًا بما يكفي لأن يذهب مع السيِّد والده وأخويه ليشهَد تنفيذ عدالة المَلك. كان العام التاسع من الصَّيف، والسَّابع من حياة بران.

كان الرَّجل قد سيقَ إلى معقلٍ صغير في التِّلال. قال روب إنه من الهَمج، أحد من أقسَموا بسيوفهم لمانس رايدر مَلك ما وراء الجِدار، ما جعلَ الشُّعيرات تنتَصب على ساعِد بران، وتذكَّر الحكايات القديمة التي ترويها لهم العجوز نان عندما يجتمعون حول نار المستوقَد، وتحكي فتقول إن الهَمج قومٌ قساة، نخَّاسون وقتَلة ولصوص، يُعاشِرون العمالقة والغيلان، ويسرقون الفتيات الصَّغيرات في جوف اللَّيل، ويشربون الدَّم من قرونٍ مصقولة. تقول الحكايات إن نساءهم جامعنَ "الآخَرين" أثناء اللَّيل الطَّويل ليُنجِبنَ ذُرِّيَّةً من الأطفال أنصاف البَشر بشعي الخِلقة.

لكن الرَّجل الذي وجدوه مقيَّدًا من يديه وقدميه إلى سور المعقل الخارجي كان مُسِنًّا هزيلًا، لا يزيد طولًا عن روب بكثير. كانت قضمة الصَّقيع قد اقتنصَت أُذنيه وأحد أصابعه، وكان يرتدي الأسود من قمَّة

رأسه حتى أخمص قدميه ككلِّ الإخوة في حَرس اللَّيل، فيما عدا أن فرو ثيابه كان ممزَّقًا وملطَّخًا بالشُّحوم.

خرجَ البُخار كثيفًا مع أنفاس الرِّجال والخيول على حَدٍّ سواء في هواء الصَّباح البارد، وأمرَ السيِّد والده بأن تُقطَع الحبال التي تُقَيِّد الرَّجل وأن يُجَرَّ إليه. جلسَ كلٌّ من روب وچون ثابتَيْن بقامتيهما الطَّويلتين على متن حصانيهما، وبران بينهما على حصانه القزم يُحاوِل أن يبدو أكبر عُمرًا من السَّابعة، يُحاوِل أن يتظاهَر بأنه رأى كلَّ هذا من قبل. كانت رياح خفيفة تَهُبُّ من بوَّابة المعقل، وفوق رؤوسهم خفقَت راية آل ستارك أبناء وينترفل، التي تُصَوِّر ذِئبًا رهيبًا رماديَّ اللَّون يَركُض في حقلٍ أبيَض كالثَّلج.

جلسَ أبو بران بوقاره المعتاد على حصانه وخُصلات شَعره البُنِّي الطَّويل تتحرَّك مع الرِّياح. كان الشَّيب قد وخطَ لحيته المشذَّبة بعناية، ليجعله يبدو أكبر من سنوات عُمره الخمس وثلاثين. تصدَّرت نظرة متجهِّمة عينيه اليوم، ولم يبدُ على الإطلاق كالرَّجل الذي اعتاد على الجلوس أمام النَّار في المساء والكلام بهدوءٍ عن عصر الأبطال وأطفال الغابة. رأى بران أنه خلعَ وجه الأب ووضعَ وجه اللورد ستارك سيِّد وينترفل.

أسئلةٌ أُلقِيَت وإجاباتٌ أُعطِيَت في بَرد الصَّباح، لكن فيما بَعد لم يستطِع بران أن يتذكَّر الكثير مما قيل. في النهاية أعطى السيِّد والده أمرًا، فجَرَّ اثنان من حرسه الرَّجل المهزول إلى جِذع شجرة الصُّلب المقطوع في منتصَف السَّاحة، ودفعا رأسه إلى أسفل ليستقرَّ على الخشب الأسود القاسي، ثم ترجَّل اللورد إدارد ستارك وجاءَه تابِعه الشَّخصي ثيون جرايچوي بسيفه. كان السَّيف -الذي أطلقَ عليه أبوه اسم "جَليد"- عريضًا كيد رجلٍ وأطول من روب نفسه، النَّصل من الفولاذ الڤاليري المطروق بالتَّمائم القديمة وداكِن اللَّون كالدُّخان. لا شيء في العالم أمضَى من الفولاذ الڤاليري.

خلعَ أبوه قُفَّازيه وناوَلهما لچوري كاسل قائد حَرس أهل بيته، ثم أطبقَ

على السَّيف بكلتا يديه وقال: «باسم روبرت الأول سليل عائلة باراثيون، مَلك الأنداليِّين والروينار والبَشر الأوائل، سيِّد المَمالك السَّبع وحامي البلاد، بأمر إدارد سليل عائلة ستارك، سيِّد وينترفل وحاكِم الشَّمال، أحكمُ عليك بالموت»، ورفعَ سيفه العظيم عاليًا فوق رأسه.

اقتربَ أخو بران غير الشَّقيق چون سنو منه أكثر، وهمسَ: «أبقِ حصانك تحت السَّيطرة، ولا تُشِح بنظرك. أبونا سيعرف لو فعلت».

أحكمَ بران سيطرته على حصانه القزم ولم يُبعِد ناظريه.

بترَ أبوه رأس الرَّجل بضربةٍ واحدةٍ واثقة، وتناثرَت الدِّماء على الجَليد حمراء كالنَّبيذ الصَّيفي، وتراجعَ أحد الخيول رافعًا قائمتيه الأماميَّتين، واضطرَّ الرجال لتقييده كي لا يفرَّ. لم يستطِع بران أن يُبعِد بصره عن الدَّم الذي أخذَ الجَليد المحيط بجِذع الشَّجرة المقطوع يتشرَّبه بنهم، لينتشر فيه الأحمر بسرعةٍ أمام عينَي بران. ارتطمَ الرَّأس المبتور بجِذر نباتٍ سميك بارز من الأرض وارتدَّ متدحرجًا بالقُرب من قدمَي جرايچوي. كان ثيون شابًّا أسمرَ نحيلًا في التَّاسعة عشر من عُمره يجد تسليةً في كلِّ شيء، فضحكَ ووضعَ قدمه على الرَّأس ثم ركله بعيدًا.

- «أحمق!»، تمتم چون بصوتٍ خفيض كي لا يسمعه جرايچوي، ووضعَ يده على كتف بران الذي التفتَ رامقًا أخاه غير الشَّقيق وهو يقول برزانة: «أحسَنت». كان چون في الرَّابعة عشر من العُمر، وكثيرًا ما شهدَ تنفيذ العدالة.

بدا الجَوُّ أكثر برودةً خلال طريق العودة الطَّويل إلى وينترفل، على الرغم من أن الرِّيح كانت قد هدأت وارتفعَت الشَّمس في السَّماء. ركبَ بران مع أخويه ليسبقوا المجموعة بمسافةٍ طويلة، وحصانه القزم يُكافِح لمُجاراة سرعة الحصانين الآخَرين.

قال روب: «المتهرِّب ماتَ بكرامته». كان طويل القامة ذا منكبين عريضين وينمو يومًا بعد يوم، تتجلَّى فيه قسمات أمِّه، البشرة البيضاء

والشَّعر الكستنائي والعينان الزَّرقاوان، تلك الملامح التي تُمَيِّز آل تَلي أبناء ريڤررَن. «كان يتحلَّى بالشَّجاعة على الأقل».

قال چون سنو بهدوء: «لا، لم تكن شَجاعة. لقد ماتَ من الخوف. كان هذا واضحًا في عينيه يا ستارك». كانت عينا چون رماديَّتين داكنتين جدًّا لدرجةٍ جعلَتهما أقرب إلى السَّواد، ولا يفوتهما الكثير. كان في مِثل عُمر روب، لكن لا تشابُه كان يجمعهما، فچون نحيل بينما روب مفتول العضلات، كئيب الملامح بينما روب بهيُّ الطَّلعة، رشيق خفيف الحركة بينما أخوه غير الشَّقيق قويٌّ سريع.

لم يتأثَّر روب بكلام چون، وقال ساخرًا: «فليأخذ "الآخَرون" عينيه! لقد ماتَ ميتةً جيِّدة... هل تُسابِقني إلى الجسر؟».

- «لك هذا»، قال چون وهو يهمز حصانه ليندفع إلى الأمام، فزعقَ روب مُطلِقًا سُبَّةً وانطلقَ الاثنان على الطَّريق، روب يضحك ويصيح وچون صامت ومنتبه، ونثرَت حوافر حصانيهما وابلًا من الثَّلج وهما ينطلقان.

لم يُحاوِل بران أن يتبعهما، فلم يكن حصانه القزم ليستطيع اللِّحاق بهما. لقد رأى عيني الرَّجل الأشعث، وكان يُفَكِّر فيهما الآن. بعد فترةٍ غابَ صوت ضحكات روب، وخيَّم الصَّمت على الغابة من جديد.

كان مستغرقًا جدًّا في أفكاره، لدرجة أنه لم يسمع بقيَّة أفراد المجموعة وهُم يقتربون إلَّا عندما وجدَ أباه يتحرَّك إلى جواره، ويسأله بلهجةٍ لم يغب عنها اللُّطف: «بران، هل أنت بخير؟».

أجابَ بران رافعًا عينيه: «نعم يا أبي». كان السيِّد والده، وقد تدثَّر بالفرو والجِلد وامتطى جواده الحربيَّ الضَّخم، يبدو كعملاقٍ يَرمُقه من أعلى. «روب يقول إن الرَّجل مات بشَجاعة، بينما يقول چون إنه كان خائفًا».

سأله أبوه: «وما رأيك أنت؟».

فكَّر بران قليلًا، ثم قال: «هل من الممكن أن يكون رجل ما شُجاعًا وهو خائف؟».

أجابَ أبوه: «ليس من الممكن أن يكون الرَّجل شُجاعًا إلَّا وهو خائف. هل تفهم لِمَ فعلتُ ما فعلتُ؟».

قال بران: «لأنه كان هَمجيًّا. إنهم يختطفون النِّساء ويبيعونهنَّ لـ"الآخَرين"».

ابتسمَ أبوه قائلًا: «لا بُدَّ أن العجوز نان كانت تحكي لك قصصها مرَّةً أخرى. الحقيقة أن هذا الرَّجل كان ناقضًا للعهد، متهرِّبًا من حَرس اللَّيل، وليس هناك رجل أخطر ممن هُم مِثله. المتهرِّب يعلم أنه سيدفع حياته ثَمنًا إذا قُبِضَ عليه، ولذا لا يتورَّع عن ارتكاب أيِّ جُرمٍ كان، مهما كان آثمًا. لكنك لم تفهمني. السُّؤال لم يكن عن سبب موته، بل لِمَ كان عليَّ أن أفعلها بنفسي».

لم يكن بران يملك إجابةً للسُّؤال، فقال بتردُّد: «المَلك لديه جلَّاد».

قال أبوه: «هذا صحيح، تمامًا مِثل ملوك آل تارجاريَن من قبله، لكن طريقتنا هي الطَّريقة الأقدم. إن دماء البَشر الأوائل ما زالت تجري في عروق آل ستارك، ونحن نُؤمن بأن من يُصدِر الحُكم ينبغي عليه أن يضرب بالسَّيف. إذا كنت ستأخذ حياة رجلٍ ما، فأنت مدين له بأن تَنظُر في عينيه وتسمع كلماته الأخيرة. وإذا كنت لا تطيق أن تفعل هذا، فمن المحتمَل أن ذلك الرَّجل لا يستحقُّ الموت. سيأتي يوم يا بران تكون فيه حامل راية روب، تتولَّى قلعتك الخاصَّة من أجل أخيك والمَلك، وسيقع واجب تنفيذ العدالة على عاتقك. عندما يأتي هذا اليوم، عليك ألَّا تجد متعةً في الأمر، لكن عليك ألَّا تعدل عنه كذلك. الحاكم الذي يختبئ وراء الجلَّادين المأجورين سرعان ما ينسى معنى الموت».

كان هذا عندما ظهرَ چون مرَّةً أخرى على قمَّة المرتفَع أمامهما يُلَوِّح

بيديه ويُنادي: «أبي، بران، تعاليا بسرعة لتريا ما وجدَه روب!»، ثم اختفى من جديد.

تقدَّم چوري ليتحرَّك إلى جوارهما سائلًا: «أهناك مشكلة يا سيِّدي؟».

قال السيِّد والده: «بلا شَك. هَلُمَّ، لنرَ ما عثرَ عليه ولداي هذه المرَّة»، وهرولَ بجواده وتبعه بران وچوري والآخَرون.

وجدوا روب على ضفَّة النَّهر شَمال الجسر، وچون إلى جواره على حصانه. كانت ثلوج أواخر الصَّيف قد سقطَت ثقيلةً مع دورة القَمر هذه، وغاصَ روب حتى رُكبتيه في البياض وقد رفعَ قلنسوته لتسطع الشَّمس على شَعره. كان يَحتَضِن شيئًا بذراعه، ويتكلَّم مع أخيه بصوتٍ خافتٍ مفعم بالإثارة. تحرَّك الرَّاكبون بحذرٍ عبر تيَّار المياه، يتلمَّسون طريقهم للعثور على موطئ قدمٍ ثابتٍ على الأرض غير المستوية. وصلَ چوري كاسل وثيون جرايچويْ أولًا إلى الصَّبيَّين، وكان الثاني يضحك ويُلقي الدُّعابات وهو يتقدَّم. ثم إن بران سمعه يشهَق ويصيح: «يا للآلهة!» وهو يُكافِح للسيطرة على حصانه ويمدُّ يده إلى مقبض سيفه.

كان چوري قد استلَّ سيفه بالفعل، ويصيح وحصانه يتراجَع رافعًا قائمتيه الأماميَّتين من تحته: «روب، ابتعد عنه!».

رفعَ روب عينيه عن الشَّيء الذي يحتويه وقال عابسًا: «لا تقلق، لن تؤذيك. إنها ميتة يا چوري».

كان بران يشتعل فضولًا ولهفةً الآن، وكان يرغب في الدُّنُوِّ بحصانه أكثر، لولا أن أباه جعلَهم يترجَّلون عند الجسر ويقتربون على أقدامهم، فوثبَ بران من على حصانه القزم واندفعَ إلى حيث أخويه. حينئذٍ كان چون وچوري وثيون جرايچوي قد ترجَّلوا بالفعل، وقال الأخير: «ما هذا بحَقِّ الجحائم السَّبع؟».

قال روب: «إنها ذِئبَة».

صاحَ جرايچوي: «مسخ! انظر إلى حجمها!».

دَقَّ قلب بران بعُنْفٍ في صدره وهو يخوض في التيَّار المائي ليقف إلى جوار أخيه.

كان الجسم الدَّاكن الضَّخم نِصف مدفون في الثَّلج الملطَّخ بالدِّماء، وقد تكوَّن جَليد خفيف على فروه الرَّمادي الخَشِن، وعلقَت به رائحة التعفُّن كعِطر امرأة. لمحَ بران عينين ميتتين يزحف فيهما الدُّود، وفمًا واسعًا مليئًا بالأسنان المصفرَّة، لكن الحجم هو ما جعله يشهَق. كان الشيء أكبر من حصانه القزم، يَبلُغ ضِعف حجم أكبر كلب صيدٍ في وَجار كلاب أبيه.

قال چون بهدوء: «ليس مسخًا، بل ذِئب رهيب. هؤلاء أكبر من النوع الآخَر حجمًا بكثير».

قال ثيون جرايچوي: «لم يَحدُث أن شوهد ذِئب رهيب جَنوب "الجِدار" منذ مئتي عام».

أجابَ چون: «ها أنا ذا أرى واحدًا الآن».

أشاحَ بران بعينيه بصعوبةٍ عن الوحش، وكان هذا عندما لاحظَ الشيء الذي يحتويه روب، فأطلقَ صيحة سرورٍ واقتربَ. كان الجرو عبارةً عن كرةٍ صغيرةٍ من الفرو الأسود والرَّمادي وعيناه ما زالتا مغمضتين. دون أن يرى شيئًا كان يُمَرِّغ أنفه في صدر روب الذي يحتضنه، يبحث عن اللَّبن بين طيَّات ثيابه الجِلديَّة، ويُصدِر صوت أنينٍ حزين. قال له روب: «هَلُمَّ. يُمكنك أن تلمسه».

بتوتُّرٍ مَدَّ بران يده وملَّس على الجرو مرَّةً، ثم ابتعدَ بينما قال چون: «هاك»، ووضعَ أخوه غير الشَّقيق جروًا آخَر بين ذراعيه مضيفًا: «هناك خمسة منها». جلسَ بران في الثَّلج وضَمَّ الذِّئب الوليد إلى وجهه، وشعرَ بملمس فروه دافئًا ناعمًا على وجنته.

غمغمَ هالن قيِّم الخيول: «الذِّئاب الرَّهيبة طليقة بعد كلِّ هذه السِّنين. هذا لا يروق لي على الإطلاق».

قال چوري: «إنها علامة».

قطَّب السيِّد والده جبينه قائلًا: «ما هو إلَّا حيوان ميت يا چوري». على أنه بدا منزعجًا، وتهشَّم الثَّلج تحت حذائه الثَّقيل وهو يدور حول الجثَّة متسائلًا: «هل نعرف ما قتلَها؟».

- «ثمَّة شيء ما في الحَلق»، قال روب شاعرًا بالفخر لأنه وجدَ الإجابة قبل أن يُلقي أبوه السؤال حتى. «هناك، تحت الفَكِّ مباشَرةً».

جثا أبوه على رُكبته وتحسَّس أسفل رأس الدَّابَّة الميتة، ثم انتزعَ شيئًا ورفعَه ليراه الجميع. كان قرن وعلٍ محطَّمًا يبلغ طوله قدمًا كاملًا، أسلاته المُدبَّبة متكسِّرة والدَّم يُغرِقه عن آخِره.

رانَ صمت مفاجئ على المجموعة، ورمقَ الرِّجال القرن بتوتُّرٍ ولم يجرؤ أحدهم على الكلام. حتى بران أحسَّ بخوفهم، وإن لم يفهم السَّبب.

ألقى أبوه القرن جانبًا ونظَّف يديه في الثَّلج، ثم تكلَّم أخيرًا ليكسر صوته تعويذة الصَّمت: «إنني مندهش لأنها عاشَت بما يكفي لأن تضع صغارها».

قال چوري: «لعلَّها لم تفعل. لقد سمعتُ قصصًا... ربما كانت ميتةً بالفعلِ عندما خرجَ الصِّغار منها».

علَّق رجل آخَر: «مولودون في قلب الموت. هذا حظٌّ أسوأ».

قال هالن: «لا فارِق. سرعان ما سيلحقون بها».

أطلقَ بران صيحة ذُعْرٍ بلا كلمات، بينما قال ثيون جرايچوي وهو يستلُّ سيفه: «يَحسُن أن يحدث هذا بسرعةٍ إذن. بران، أعطني إياه».

تلوَّى الشَّيء الصغير بين يديه كأنه سمعَ ما قيل وفهمه، وصاحَ بران بحدَّة: «لا! إنه لي!».

قال روب: «ضَع سيفك في غِمده يا جرايچوي». للحظةٍ بدت لهجته آمرةً تمامًا كلهجة أبيهم، كلهجة الحاكم الذي سيصيره يومًا ما. «سنحتفظ بهذه الجِراء».

قال هاروين ابن هالن: «لا يُمكنكم أن تفعلوا هذا يا فتى».

وأضافَ هالن: «في قتلها رحمة لها».

نظرَ بران إلى السيِّد والده ناشدًا النَّجدة منه، لكنه لم يتلقَّ منه غير تقطيبةٍ وحاجبين معقودين. «هالن يقول الحَقَّ يا بُني. ميتة سريعة خير لها من الاحتضار جوعًا وبردًا».

- «لا!»، صرخَ والدُّموع تحتشد في عينيه، فأشاحَ بوجهه بعيدًا. لم يكن يريد أن يراه أبوه يبكي.

قال روب بعناد: «كلبة السير رودريك وضعَت مرَّةً أخرى الأسبوع الماضي. الوُلْدُ قليل هذه المرَّة، جروان صغيران فقط. سيكون في ضَرعها لبن كافٍ».

- «سوف تُمَزِّقهم إربًا إذا حاولوا الرِّضاعة منها».

قال چون فجأةً: «لورد ستارك». كان من الغريب سماعه يُخاطِب أباه بهذه اللَّهجة الرَّسميَّة، لكن بران رمقَه بأملٍ يائسٍ وهو يقول: «هناك خمسة جراء، ثلاثة ذكور وأنثيان».

- «وماذا في هذا يا چون؟».

- «إن لديك خمسة أبناء شرعيِّين، ثلاثة أولاد وبنتان. الذِّئب الرَّهيب هو رمز عائلتك. من المقدَّر أن يحظى أبناؤك بتلك الجِراء يا سيِّدي».

رأى بران التَّعبير على وجه أبيه يتبدَّل، ورأى الآخَرين يتبادلون النَّظرات. في هذه اللَّحظة أحبَّ چون من كلِّ قلبه، فحتى في عُمر السَّابعة أدركَ بران ما فعله أخوه. كان العدد صحيحًا فقط لأن چون استثنى نفسه. لقد أحصى الفتاتين، وحتى ريكون الصَّغير، لكن ليس النَّغل الذي يحمل لقب سنو، اللَّقب الذي تُملي الأعراف إطلاقه على كلِّ أبناء الشَّمال ممن لم يسمح حظُّهم بأن يولَدوا حاملين اسم عائلةٍ ما.

أبوهم أيضًا أدركَ ما فعله چون، وبهدوءٍ سأله: «ألا تريد واحدًا لنفسك؟».

- «الذِّئب الرَّهيب يُزَيِّن راية آل ستارك، وأنا لستُ منهم يا أبي».

رمقَ أبوهم چون بإمعان، واندفعَ روب ليكسر الصَّمت قائلًا: «سأرعاه بنفسي يا أبي. سأُبَلِّل منشفةً بالحليب الدَّافئ وأجعله يمتصه منها».

هتفَ بران: «وأنا أيضًا!».

فكَّر اللورد إدارد مليًّا وهو يَرمُق أولاده، قبل أن يقول: «القول أسهل من الفعل. لن أسمح لكم بتبديد وقت الخدم في هذا. إذا كنتم تريدون هذه الجِراء، فعليكم إطعامها بأنفسكم، مفهوم؟».

هَزَّ بران رأسه إيجابًا بلهفة، وتلوَّى الجرو بين يديه ولعقَ وجهه بلسانٍ دافئ، بينما واصلَ أبوهم: «يجب أن تُدَرِّبونها كذلك. يجب أن تُدَرِّبوها لأن قيِّم وَجار الكلاب لن يدنو خطوةً من هذه الوحوش، أؤكِّد لكم هذا. ولتكن الآلهة في عونكم إذا أهمَلتموها أو عامَلتموها بقسوة أو أسأتم تدريبها. هذه ليست كلابًا تتسوَّل منكم مكافأةً وتبتعد بمجرَّد أن يَركُلها أحد بطرف حذائه. الذِّئب الرَّهيب يستطيع انتزاع ذراع رجلٍ من كتفه كما يَقتُل الكلب جرذًا. متأكِّدون من أنكم تريدون هذا؟».

قال بران: «نعم يا أبي».

وأيَّده روب: «نعم».

- «قد تموت الجِراء على أيِّ حالٍ رغم كلِّ ما تفعلونه».

قال روب: «لن تموت. نحن لن نَترُكها تموت».

- «احتفظوا بها إذن... چوري، دزموند، اجمعا بقيَّة الجِراء. حانَ وقت العودة إلى وينترفل».

لم يسمح بران لنفسه بأن يتنفَّس عبير الانتصار حتى امتطوا خيولهم وبدأوا يتحرَّكون. عندئذٍ كان جروه قد دَسَّ نفسه بالفعل بين طيَّات ثيابه يتدفَّأ به وقد صارَ آمنًا طوال الرِّحلة الطَّويلة إلى الدِّيار. كان بران يتساءل عن الاسم الذي سيُطلِقه عليه.

ثم توقَّف چون بغتةً في منتصَف الجسر.

سأله أبوهم: «چون، ماذا هناك؟».

- «ألا تسمعه؟».

كان بران يسمع الرِّياح بين الأشجار ووقع حوافر الخيول الثَّقيل على ألواح خشب الصُّلب المتينة وأنين الجرو الجائع، لكن أخاه كان يُصغي لشيءٍ آخَر.

ثم قال چون: «هناك»، واستدارَ بحصانه واندفعَ عائدًا على الجسر. شاهَدوه وهو يترجَّل حيث ارتمَت الذِّئبة الرَّهيبة ميتةً بين الثُّلوج، وشاهَدوه يركع، ثم بعد لحظةٍ كان عائدًا إليهم وعلى وجهه ابتسامة. «لا بُدَّ أنه زحفَ بعيدًا عن الآخَرين».

قال أبوه وهو يَرمُق الجرو السادس: «أو أن شيئًا أبعده عنهم». كان فروه أبيضَ بينما فرو إخوته رمادي، وعيناه حمراوين كدم الرَّجل الأشعث الذي أُعدِم هذا الصَّباح. خطرَ لبران أن من الغريب فعلًا أن هذا الجرو وحده فتحَ عينيه بالفعل بينما لا يزال إخوته عميانًا.

قال ثيون جرايچوي باستمتاعٍ ساخرٍ كعادته: «أمهَق! هذا بالذَّات سيموت قبل الباقين».

رمقَ چون سنو تابع أبيه الشَّخصي بنظرةٍ باردةٍ طويلة، وقال: «لا أظنُّ يا جرايچوي. هذا ملكي أنا».

كاتلين

لم تُحب كاتلين أيكة الآلهة هذه قَطُّ.

كانت قد وُلِدَت في عائلة تَلي، هناك في ريڤرَرَن التي تقع بعيدًا في الجَنوب على الفرع الأحمر لنهر الثَّالوث، وهناك كانت أيكة الآلهة عبارةً عن حديقةٍ بهيجةٍ ناضرة، تَنشُر فيها أشجار الخشب الأحمر ظلالها المرقَّطة فوق الجداول الرَّقراقة، وتُغَنِّي الطيور في أعشاشها المتوارية عن الأعين، ويُفعِم الهواء شذى الزُّهور الحِرِّيف.

أمَّا آلهة وينترفل فكانت لها أيكة من نوعٍ آخَر، فهذا مكان بدائيٌّ مظلم أقيمَ على مساحة ثلاثة أفدنة من الغابة القدِيمة التي لم تُمَس منذ عشرة آلاف عام مع ارتفاع القلعة العابسة من حولها، تفوح فيه رائحة التُّربة الرَّطبة والعفن، ولا تنمو فيه أشجار الخشب الأحمر. هذه الأيكة كانت حافلةً بأشجار الحارس المزمنة التي تحميها أوراقها المدبَّبة الحادَّة ذات اللَّونين الرَّمادي والأخضر، وأشجار البلُّوط العملاقة، وأشجار الصُّلب القديمة قِدَم هذه الأرض ذاتها. هنا كانت الجذوع السَّوداء الغليظة تتزاحَم معًا، بينما تَنسج الفروع الملتوية مظلَّةً سميكةً فوق الرؤوس، وتتصارَع الجذور المشوَّهة فيما بينها تحت أديم التُّربة. كان هذا مكانًا للصَّمت التَّام والظِّلال الكئيبة، والآلهة التي تعيش هناك بلا اسم.

لكنها كانت تعرف أنها ستجده هنا اللَّيلة، فمتى قتلَ زوجها رجلًا كان دائمًا ما يلوذ بهدوء أيكة الآلهة بَعدها.

مُرِخَت كاتلين بالزُّيوت السَّبعة وسُمِّيَت بين الأضواء المفعمة بألوان قوس قزح التي تملأ سِپت[1] ريڤرَن، فهي من أتباع "العقيدة"، مِثل أبيها وجدِّها وأبي جدِّها من قبله، آلهتها لها أسماء، ووجوهها مألوفة لها تمامًا كوجهي والديها، وتمثَّلت العبادة بالنِّسبة لها في سِپتون يحمل مبخرةً، ورائحة البخور، وبلَّورة ذات سبعة وجوهٍ ملأى بالنُّور، وأصوات مرتفعة بالإنشاد. كان آل تَلي يحتفظون بأيكة آلهةٍ كما تفعل جميع العائلات الكُبرى، لكنها كانت مكانًا للتَّمشية أو القراءة أو الاستلقاء في الشَّمس، أمَّا العبادة فتتمُّ في السِّپت.

من أجلها شيَّد ند سِپتًا صغيرًا تستطيع فيه الإنشاد لوجوه الإله السَّبعة، لكن دماء البَشر الأوائل لا تزال تجري في عروق آل ستارك، وآلهة زوجها هي الآلهة القديمة التي لا تحمل اسمًا أو وجهًا، الآلهة التي اقتسمَت الغابات الخضراء مع أطفال الغابة الذين اختفوا منذ دَهر.

في منتصف الأيكة كانت شجرة الويروود العتيقة ترتفع فوق بِركةٍ صغيرةٍ مياهها سوداء باردة، تلك الشَّجرة التي أطلقَ ند عليها اسم "شجرة القلوب". لحاء شجرة الويروود أبيَض كالعِظام، وأوراقها ذات لونٍ أحمرَ داكِن كألف يدٍ ملطَّخةٍ بالدِّماء، وفي جذعها الضَّخم حُفِرَ وجه ذو ملامح طوليَّةٍ كئيبة. كان النُّسغ قد كسا العينين المحفورتين في عُمق الجذع باللون الأحمر، فبديتا كأنهما تُراقِبان طوال الوقت. قديمتان حقًّا هاتان العينان، أقدم من وينترفل نفسها، وشهدَتا براندون البنَّاء يضع حَجر الأساس (إذا كان ما تقوله الحكايات صحيحًا)، ومنذ ذلك الحين وهما تُشاهِدان أسوار وجدران القلعة الجرانيتيَّة ترتفع من حولهما. قيل إن أطفال الغابة هُم من حفَروا الوجوه في الأشجار خلال قرون فَجر العالم، وقبل مجيء البَشر الأوائل عبر البَحر الضيِّق.

كانت أشجار الويرووود قد قُطِعَت أو أُحرِقَت منذ نحو ألف عامٍ

---

(1) السِّپت كلمة من ابتكار المؤلِّف تعني معبدًا لإقامة الشَّعائر الدِّينيَّة في ديانة الإله ذي الوجوه السَّبعة، والرَّاهب يُقال له سِپتون والرَّاهبة سِپتة.

في الجَنوب كله، باستثناء جزيرة الوجوه حيث ما زال الرِّجال الخُضر يَحرُسون ما تبقَّى من هذه الأشجار بصمت. أمَّا هنا فالوضع مختلف، فكلُّ قلعةٍ تحتفظ بأيكة الآلهة الخاصَّة بها، وكلُّ أيكةٍ فيها شجرة القلوب الخاصَّة بها، وكلُّ شجرة قلوبٍ عليها الوجه الخاص بها.

وجدَت كاتلين زوجها تحت شجرة الويروود جالسًا على حَجَرٍ مغطًّى بالطَّحالب، وقد وضعَ سيفه العظيم "جَليد" في حِجره وأخذَ يُنَظِّف النَّصل في مياه البِركة السوداء كاللَّيل. ابتلعَ الدُّبال السَّميك الذي تكوَّن على مدى ألف عامٍ على أرض أيكة الآلهة وقع خطواتها، وإن بدا كأن عيني شجرة الويروود الحمراوين تُتابِعانها وهي تقترب، وبصوتٍ هامسٍ قالت كاتلين: «ند».

رفعَ زوجها رأسه ونظرَ إليها قائلًا بأسلوبٍ رسميٍّ شارد: «كاتلين... أين الأطفال؟».

دائمًا ما كان يُلقي عليها هذا السؤال، فأجابَت: «في المطبخ، يتجادَلون حول الأسماء التي سيُطلِقونها على الذِّئاب الصغيرة»، وفردَت معطفها على أرض الغابة وجلسَت إلى جوار البِركة وأسندَت ظهرها إلى شجرة الويروود. كانت تَشعُر بالعينين الحمراوين تُراقِبانها، لكنها بذلَت قصارى جهدها كي تتجاهلهما. «آريا واقعة في حُبِّ جروتها بالفعل، وسانزا تتعامل بدماثةٍ وأدب، لكن ريكون ما زال غير متأكِّد».

سألها ند: «أهو خائف؟».

- «بعض الشَّيء. إنه ما زال طفلًا في الثَّالثة».

عقدَ ند حاجبيه قائلًا: «عليه أن يتعلَّم أن يُواجِه مخاوفه. إنه لن يظلَّ في الثَّالثة إلى الأبد، والشِّتاء قادم».

غمغمَت كاتلين: «نعم». بثَّت الكلمات فيها القشعريرة كما تفعل دائمًا، كلمات آل ستارك. كلُّ العائلات النَّبيلة لها كلماتها الخاصَّة، شعار أو دعاء من نوعٍ ما لكلِّ عائلةٍ يتمثَّل في تباهٍ بالشَّرف أو المجد، يَعِدُ

بالإخلاص والحقيقة، يُقسِم بالوفاء والشَّجاعة. كلُّ العائلات باستثناء عائلة ستارك. *"الشِّتاء قادم"* كانت كلماتهم، ولم تكن هذه المرَّة الأولى التي تُفَكِّر فيها كاتلين أن هؤلاء الشَّماليِّين قومٌ غريبون حقًّا.

قال ند: «يجب أن أعترف بأن الرجل ماتَ بشَجاعة». كان يمسك خرقةً من الجِلد المدهون بالزَّيت في يده ويُمَرِّرها على نصل السَّيف العظيم وهو يتكلَّم ليَصقُل المعدن فيكتسب وهجًا داكنًا. «لقد شعرتُ بالسُّرور من أجل بران. كنتِ لتفخرين به».

أجابَت كاتلين وهي تُراقِب احتكاك الجِلد بالفولاذ: «دائمًا ما أشعرُ بالفخر ببران». كان باستطاعتها أن ترى التموُّج العميق في الفولاذ حيث طُوِيَ المعدن على نفسه مئة مرَّةٍ أثناء طَرقه. لم تكن كاتلين تُحب السُّيوف، وإن لم يكن بوسعها أن تُنكِر أن "جَليد" كان يتحلَّى بجمالٍ من نوعٍ خاص. لقد صُنِعَ هذا السَّيف في ڤاليريا، قبل أن يأتي "الهلاك" إلى المَعقل الحُر القديم، حينما كان الحدَّادون يَدُقُّون المعادن بالتَّمائم والمطارق في آنٍ واحد. كان عُمر السَّيف أربعمئة عام كاملة، ولا يزال حادًّا كما كان يوم صُنِعَ، أمَّا الاسم الذي يحمله فكان أقدم من هذا، وبمثابة ميراثٍ من عصر الأبطال، عندما كان آل ستارك لا يزالون ملوكًا في الشَّمال.

قال ند بعبوس: «إنه رابع رجلٍ هذا العام. المسكين كان نِصف مجنون. شيء ما أثارَ خوفًا شديدًا في أعماقه، لدرجة أن كلماتي لم تنجح في أن تَبلُغه»، وتنهَّد مضيفًا: «بن كتبَ قائلًا إن قوَّة حَرس اللَّيل صارت أدنى من ألف رجل. المسألة ليست المتهرِّبين فقط، لأنهم يفقدون رجالًا في جولات التقصِّي كذلك».

سألته: «أهُم الهَمج؟».

قال ند: «ومن غيرهم؟»، ورفعَ سيفه "جَليد" وتطلَّع إلى نصله الفولاذي الطَّويل البارد. «وستظلُّ الأمور تزداد سوءًا. قد يأتي يوم لا

يكون أمامي فيه خيار غير استدعاء الرَّايات والتَّوجُّه شَمالًا للتَّعامُل مع مَلك ما وراء الجِدار بشكلٍ نهائي».

- «وراء "الجِدار"؟». جعلَت الفكرة كاتلين ترتجف.

رأى ند الخوف على ملامحها، فقال: «ليس هناك ما يجعلنا نخشى مانس رايدر».

قالت كاتلين: «ثمَّة أشياءَ أخطر وراء "الجِدار"»، وألقت نظرةً سريعةً وراءها على اللِّحاء الشَّاحب والعينين الحمراوين في شجرة القلوب، التي ظلَّت تُراقِب وتُصغي وتجترُّ أفكارها الطَّويلة البطيئة.

قال ند بابتسامةٍ رقيقة: «أنتِ تُصغين للكثير من حكايات العجوز نان القديمة. "الآخَرون" ماتوا مِثلهم مِثل أطفال الغابة، اختفوا منذ ثمانية آلاف عام. سيقول لكِ المِايستر لوين إنه لم يكن لهم وجود أصلًا، فلم يسبق أن رآهم إنسان حي».

قالت كاتلين مُذَكِّرةً إياه: «حتى هذا الصَّباح لم يكن هناك إنسان حي رأى ذِئبًا رهيبًا كذلك».

أجابَ بابتسامةٍ عابسة: «يَجدُر بي أن أتعلَّم ألَّا أُجادِل أحدًا من آل تَلي»، ثم دَسَّ سيفه في غِمده واستطردَ: «لكنكِ لم تأتي إلى هنا لتتكلَّمي عن حكايات المَهد، فأنا أعرفُ قَدر حُبِّكِ الضَّئيل لهذا المكان. ماذا هناك يا سيِّدتي؟».

أمسكَت كاتلين يد زوجها قائلةً: «ثمَّة خبر محزن جاءَ اليوم يا سيِّدي، لكني لم أشأ أن أُزعِجك حتى تغتسل». لم يكن هناك سبيل لتخفيف الضَّربة القادمة، فقرَّرت أن تُخبِره بلا مماطَلة. «أنا آسفةٌ جدًّا يا حبيبي. لقد ماتَ چون آرن».

تلاقَت عيونهما، واستطاعت كاتلين أن ترى وقع الخبر العنيف عليه كما توقَّعت تمامًا. في شبابه تربَّى ند في "العُش"، وصارَ اللورد آرن -الذي لم يُنجِب أيَّ أبناء- بمثابة أبٍ ثانٍ له، هو وروبرت باراثيون

الذي كان تابعًا شخصيًّا له بدوره، وعندما طالبَ المَلك المجنون إيرس تارجاريَن الثَّاني برأسيهما، استجابَ سيِّد "العُش" بأن رفعَ راياته المزيَّنة بالقَمر والصَّقر في تمرُّدٍ على المَلك بدلًا من أن يُسَلِّمه الشَّابَّين اللذين تعهَّد بحمايتهما. ثم جاءَ يوم منذ خمسة عشر عامًا صارَ فيها هذا الأب الثاني أخًا كذلك، عندما وقفَ مع ند معًا في سِپت ريفررَن ليتزوَّجا أختين شقيقتين، هما ابنتا اللورد هوستر تَلي.

- «چون... أهذا الخبر مؤكَّد؟».

- «الرِّسالة تحمل ختم المَلك، ومكتوبة بخط يد روبرت نفسه. لقد احتفَظتُ بها لك. قال إن الموت اختطفَ اللورد آرن بسرعة، وإن المِايستر پايسل نفسه كان عاجزًا عن فِعل أيِّ شيء، لكنه سقاه حليب الخشخاش[1]، فلم يتألَّم چون طويلاً».

- «تلك رحمة صغيرة على ما أعتقدُ». كانت ترى الحُزن جليًّا في ملامحه، لكنه مع ذلك فكَّر فيها هي أولًا، وقال: «أختكِ وابن چون، هل من أخبار عنهما؟».

أجابَت كاتلين: «لم تَذكُر الرِّسالة غير أنهما بخير وأنهما عادا إلى "العُش". أتمنَّى لو أنهما ذهبا إلى ريفررَن بدلًا من هذا. "العُش" مكان مرتفع وموحش، كما أنه كان مكان زوجها وليس مكانها هي، وستَسكُن ذكرى اللورد چون كلَّ حَجَرٍ هناك. إنني أعرفُ أختي، وأعرفُ أنها تحتاج مواساة الأهل والأصدقاء من حولها».

- «عمُّك ينتظر في "الوادي"، أليس كذلك؟ لقد عيَّنه چون فارسًا للبوَّابة كما سمعتُ».

هزَّت كاتلين رأسها إيجابًا وقالت: «براين‍دن سيفعل ما يستطيع من أجلها هي والصَّبي، وفي هذا شيء من الرَّاحة، لكن...».

قال ند: «اذهبي إليها. خُذي الأطفال معكِ واملأوا أبهاءها بالصَّخب

---

(1) مشروب حقيقي، مخدِّر ومسكِّن للألم.

والصِّياح والضَّحك. ابنها هذا في حاجةٍ إلى أطفالٍ آخَرين حوله، ولا ينبغي أن تكون لايسا وحدها في حُزنها».

قالت كاتلين: «ليتني أستطيعُ، لكن الرِّسالة تحمل خبرًا آخَر: المَلك في طريقه إلى وينترفل لزيارتك».

استغرقَ ند لحظاتٍ ليستوعب كلماتها، لكن عندما جاءَ الفهم أخيرًا غادرَ الظَّلام عينيه، وقال: «روبرت قادم إلى هنا؟»، وتسلَّلت بسمة إلى وجهه عندما هزَّت رأسها مؤيِّدةً. تمنَّت كاتلين لو أنها تستطيع مشارَكته فرحته، لكنها سمعَت القيل والقال في ساحات القلعة: أنثى ذِئْبٍ رهيب ميتة في الثُّلوج، وقرن وعلٍ مكسور في حَلقها. تلوَّى الخوف في داخلها كثعبان، لكنها أجبرَت نفسها على الابتسام للرَّجل الذي أحبَّته، هذا الرَّجل الذي لا يعتقد في وجود العلامات، واكتفَت بأن قالت: «كنتُ أعرفُ أن هذا سيُسعِدك. يَجدُر بنا أن نُرسِل خبرًا لأخيك على "الجِدار"».

قال موافقًا: «بالتأكيد. سيرغب بن في أن يكون موجودًا. سأخبرُ المِايستر لوين أن يُرسِل أسرع طيوره»، ثم نهضَ ند وساعدَها على النُّهوض بدورها مضيفًا: «تبًّا! كم عامًا مَرَّ؟ ولا يُعطينا خبرًا أكثر من هذا؟ هل قالت الرِّسالة شيئًا عن عدد الأفراد في موكبه؟».

- «لا بُدَّ أن هناك مئة فارسٍ على الأقل بالإضافة إلى مُرافِقيهم، ونِصف هذا العدد من المُحارِبين غير النِّظاميِّين. سرسي وأبناؤها قادمون كذلك».

قال: «لن يتحرَّك روبرت بسرعةٍ كبيرةٍ من أجلهم إذن. لا بأس. سيمنحنا هذا بعض الوقت للاستعداد».

- «شقيقا المَلكة قادمان أيضًا».

اعتلَت تكشيرة وجه ند عندما سمعَ هذا. كانت كاتلين تعرف جيِّدًا أنه ليس هناك قَدر كبير من المودَّة بينه وبين عائلة المَلكة. كان آل لانستر أبناء كاسترلي روك قد انضمُّوا متأخِّرين لقضيَّة روبرت بَعد أن باتَ النَّصر

مؤكَّدًا، ولم يُسامِحهم ند على هذا قَطُّ. «حسنٌ، إذا كان ثَمن صُحبة روبرت هو غزو من آل لانستر، فلا بأس. يبدو أن روبرت قادم ومعه نِصف بلاطه».

قالت: «أينما ذهبَ المَلك تتبعه البلاد».

- «سيكون من الجيِّد أن أرى أبناءه. أصغرهم كان لا يزال يرضع من ثدي ابنة لانستر عندما رأيته آخِر مرَّة. كم عُمره الآن؟ خمسة أعوام؟».

- «الأمير تومن في السَّابعة، مِثل بران. ند، صُن لسانك أرجوك. ابنة لانستر هذه مَلكتنا، ويُقال إن كبرياءها تنمو أكثر فأكثر مع كلِّ عام يمرُّ».

اعتصرَ ند كفَّها قائلًا: «لا بُدَّ من مأدبةٍ بالطبع، ومُغَنِّين، كما أنَّ روبرت سيرغب في الذِّهاب للصَّيد. سوف أُرسِل چوري جَنوبًا مع حَرس شَرف للقائه على طريق الملوك واصطحابه خلال بقيَّة الطَّريق إلى هنا. كيف سنستطيع إطعامهم جميعًا بحَقِّ الآلهة؟ قلتِ إنه في الطَّريق بالفعل؟ تبًّا للرَّجل، وتبًّا لعنجهيَّته المَلكيَّة تلك!».

دنيرس

رفعَ أخوها الفُستان أمامها كي تفحَصه قائلًا: «إنه جميل حقًا. هَلُمِّي، المسيه، تحسَّسي النَّسيج».

مدَّت داني يدها ومسَّت الفستان، فوجدَت قُماشه أملسَ جدًّا حتى أنه كان يسري بين أصابعها كالماء، ولم تستطِع أن تتذكَّر إن كانت قد ارتدَت شيئًا بهذه النعومة من قبل. أثارَ الخاطر خوفها، فأزاحَت يدها متسائلةً بتردُّد: «أهو لي حقًّا؟».

أجابَ ڤسيرس بابتسامةٍ أفصحَت عن مزاجه العالي اللَّيلة: «هديَّة من الماچستر إليريو. لون الفُستان سيُبرِز البنفسجي في عينيك. وستتزيَّنين بالذَّهب كذلك، وجواهر من جميع الأصناف. إليريو وعدَ بهذا. اللَّيلة يجب أن تبدي كأميرة».

أميرة... لقد نَسِيَت معنى هذه الكلمة، ولعلَّها لم تعرفه قَطُّ. سألت: «لِمَ يمنحنا كلَّ هذا؟ ما الذي يُريده منا؟». منذ ما يَقرُب من نِصف عامٍ وهما مقيمان في بيت الماچستر، يأكلان طعامه وينالان كلَّ أنواع التَّدليل من خدمه. كانت داني في الثالثة عشر من عُمرها، أي كبيرة بما يكفي لأن تعرف أن هدايا كتلك نادرًا ما تأتي بلا ثَمن، كديدن الأشياء هنا في مدينة پنتوس الحُرَّة.

قال ڤسيرس: «إليريو ليس بأحمق». كان شابًّا نحيلًا ذا يدين عصبيَّتين

ونظرةٍ محمومةٍ في عينيه. «الماچستر يعرف أني لن أنسى أصدقائي بمجرَّد أن أجلس على عرشي».

لم تُعَلِّق داني. كان الماچستر إليريو يُمارِس تجارة التَّوابل والأحجار الكريمة وعظام التنِّين، وأشياءَ أخرى أقل استساغةً، ويُقال إنه لديه أصدقاء في جميع المُدن الحُرَّة التِّسع، بل وحتى في البلاد التي تقع وراءها، في ڤايس دوثراك والأراضي الأسطوريَّة على ساحِل بَحر اليَشب. يُقال أيضًا إنه مستعدٌّ لبيع أيٍّ من أصدقائه مقابل الثَّمن المناسب. كانت داني تُصغي للكلام في الشوارع فتسمع هذه الأشياء، لكنها كانت تعرف أفضل من أن تُبدي ارتيابها في كلام أخيها وهو يَنسِج شباك أحلامه. كانت غضبة ڤسيرس شنيعةً بالفعل، وكان يصفها بأنها كإيقاظ التنِّين.

علَّق أخوها الفُستان إلى جوار الباب قائلًا: «إليريو سيُرسِل العبيد ليُحَمِّموكِ. تأكَّدي أن تُزيلي عنكِ رائحة الاسطبلات. گال دروجو لديه ألف حصان، لكنه يتطلَّع إلى امتطاء شيءٍ آخَر اللَّيلة»، ثم رمقَها بإمعان وأضافَ: «ما زلتِ تقفين تلك الوقفة المترهِّلة. افردي كتفيكِ»، ودفعَ كتفيها إلى الخلف بيديه مُكمِلًا: «دعيهم يرون أن لديك جسد امرأةٍ الآن»، ومَسَّ أعلى نهديها الصَّغيرين بأصابعه برفقٍ قبل أن يَقبِض بها على واحدةٍ من حلمتيها بقسوةٍ ويقول: «لن تخذليني اللَّيلة... لأنكِ ستجدين نفسكِ في موقفٍ سيِّئ للغاية إذا فعلتِ. أنتِ لا ترغبين في إيقاظ التنِّين، أليس كذلك؟». كانت أصابعه تُطبِق على الحلمة الآن من فوق قُماش سُترتها الخشنة وتلويها بقوَّةٍ آلمتها بشدَّة وهو يُكَرِّر: «أليس كذلك؟».

أجابَت داني بخنوع: «بلى».

ابتسمَ أخوها ومَسَّ شَعرها بنوعٍ من الحنان وقال: «عظيم. عندما يكتبون تاريخ حُكمي يا شقيقتي العزيزة، سيقولون إنه بدأ اللَّيلة».

عمدَت داني إلى نافذتها بعد خروجه، وتطلَّعت إلى مياه الخليج بأسى. كانت أبراج پنتوس المربَّعة المبنيَّة بالقرميد عبارةً عن صُوَرٍ ظِلِّيَّةٍ

سوداء حدَّدتها الشَّمس الغاربة. سمعَت داني إنشاد الكَهنة الحُمر وهُم يُشعِلون نارهم ككلِّ ليلة، وصياح الأطفال الفقراء وهُم يلعبون وراء أسوار الضَّيعة، وللحظةٍ تمنَّت لو أنها كانت هناك بينهم، حافية القدمين متقطِّعة الأنفاس ترتدي الأسمال، بلا ماضٍ أو مستقبلٍ أو مأدبةٍ تحضرها في إيوان گال دروجو.

في مكانٍ ما وراء غروب الشَّمس، عبر البَحر الضيِّق، تقع أرضٌ حافلة بالتِّلال الخضراء والسُّهول المفروشة بالزُّهور والأنهار الواسعة المتدفِّقة، حيث ترتفع الأبراج المشيَّدة بالحجارة السوداء وسط جبالٍ شاهقةٍ ذات ألوانٍ زرقاء ورماديَّة، ويركب الفُرسان مرتدين دروعهم إلى المعارك تحت رايات سادتهم. كان الدوثراكي يُطلِقون على هذه الأرض اسم "رايِش أنداهلي"، أي "أرض الأنداليِّين" في لُغتهم. في المُدن الحُرَّة يتكلَّمون عن وستروس ومَمالك غروب الشَّمس، بينما يُطلِق أخوها عليها ببساطةٍ "أرضنا". كانت الكلمة كصلاةٍ بالنِّسبة إليه، وإذا ردَّدها بما فيه الكفاية فلا بُدَّ أن الآلهة ستسمعه. «أرضنا بحقِّ الدَّم، سُلِبَت منا بالخيانة، لكنها لا تزال أرضنا، إلى الأبد أرضنا. لا أحد يسرق من التنِّين. لا، لا... التنِّين يَذكُر كلَّ شيء».

ولربما كان التنِّين يَذكُر فعلًا، لكن أنَّى لداني أن تَذكُر بدورها؟ إنها لم ترَ تلك الأرض التي يقول أخوها إنها أرضهما قَطُّ، تلك البلاد الواقعة وراء البَحر الضيِّق. الأماكن التي كان يتكلَّم عنها -كاسترلي روك و"العُش"، هايجاردن ووادي آرن، دورن وجزيرة الوجوه- لم تكن بالنِّسبة إليها أكثر من محض كلماتٍ بلا معنى حقيقي. كان ڤسيرس صبيًّا في الثامنة عندما فرَّا من كينجز لاندنج للإفلات من جيوش روبرت المُغتَصِب التي تزحف على المدينة، بينما كانت دنيرس مجرَّد جنينٍ في رحم أمهما.

على أن داني كانت في بعض الأحيان تتخيَّل كيف كانت، فقد كان أخوها كثيرًا ما يحكي لها القصَّة... الهروب في منتصف الليل إلى

دراجونستون والقَمر يُنير أشرعة السَّفينة السوداء، وكيف قاتَلَ أخوهما ريجار روبرت المُغتَصِب وسط مياه الثَّالوث الدَّامية قبل أن يُقتَل في سبيل المرأة التي أحبَّها... نَهب كينجز لاندنج على يد من ينعتهم ڤسيرس بكلاب المُغتَصِب، اللورد لانستر واللورد ستارك وغيرهما... توسَّل الأميرة الدورنيَّة إليا مارتل طلبًا للرَّحمة إذ انتزعوا وريث ريجار الرَّضيع من بين يديها وقتلوه أمام عينيها... جماجم آخِر التَّنانين المصقولة وهي تُحَدِّق بصمتٍ من مكانها على جدران قاعة العَرش بينما شَقَّ قاتِل المَلك حَلق أبيها بسيفٍ ذهبي.

لقد وُلِدَت في دراجونستون بعد تسعة أقمارٍ من فرارهما، بينما تُهَدِّد عاصفة صيفٍ عاتية بتمزيق الجزيرة بالقلعة التي عليها تمزيقًا. قالوا إن العاصفة كانت رهيبةً لحدٍّ منقطع النَّظير، فتحطَّم أسطول تارجاريَن وهو راسٍ في مرفأه، وانتُزِعَت في غير موضعٍ القوالب الحجريَّة الضَّخمة من أسوار وجدران القلعة لتهوي في مياه البَحر الضيِّق الثَّائرة. ماتت أمها وهي تضعها، الشيء الذي لم يُسامِحها عليه أخوها ڤسيرس قَطُّ.

وهي لا تَذكُر دراجونستون كذلك، فقد عادَت تفرُّ من جديد قبل أن يُبحِر أخو المُغتَصِب بأسطوله الجديد مباشرةً، وفي ذلك الحين كانت دراجونستون نفسها فقط -وهي مقرُّ عائلتها العتيق- الوحيدة التي تبقَّت من المَمالك السَّبع التي كانت خاضعةً لهم من قبل، ثم إنها لم تبقَ كذلك لفترةٍ طويلة. كانت الحامية مستعدَّةً لأن تبيعهما للمُغتَصِب، لولا أن جاءَت ليلة اقتحمَ فيها السير ويلم داري وأربعة من الرجال المُخلِصين غُرفة الرُّضَّع واختطفوهما ومعهما مُرضِعتها، ثم أبحَروا تحت جُنح الظَّلام إلى حيث أمان السَّاحل البراڤوسي.

كانت تَذكُر السير ويلم داري، الرجل الأشيب الضَّخم كدُبٍّ ونِصف الأعمى، الذي كان يهدر ويزعق بالأوامر من فِراش المرض. كان الخدم يعيشون في رُعبٍ منه، لكنه دائمًا ما كان لطيفًا مع داني، وأحيانًا ما كان

يُناديها بألقابٍ مِثل "الأميرة الصَّغيرة" و"سيِّدتي"، وكانت يداه ناعمتين كالجِلد القديم. لم يكن السير ويلم يُغادِر فِراشه، وعلقَت به رائحة المرض ليل نهار، رائحة قوامها السُّخونة والرُّطوبة والسَّقم. كان هذا أثناء إقامتها وأخيها في براڤوس، في المنزل الكبير ذي الباب الأحمر. هناك كانت لدى داني غُرفتها الخاصَّة، حيث كانت نافذتها تطلُّ على شجرة ليمون. بعد وفاة اللورد ويلم سرقَ الخدم المال القليل الذي تبقَّى معهما، ولم يمضِ وقت طويل قبل أن يُطرَدا من المنزل، وبكَت داني بحرارةٍ عندما انغلقَ الباب الأحمر وراءهما إلى الأبد.

منذ ذلك الحين وهما هائمان، من براڤوس إلى مير، ومن مير إلى تايروش، ومنها إلى كوهور وڤولانتيس ولِيس، دون أن يظلَّا لفترةٍ طويلةٍ في مكانٍ واحد، فلم يكن أخوها ليسمح بذلك، ويصرُّ على أن قتلة المُغتَصِب المأجورين لا يبعدون كثيرًا عنهما، على الرغم من أن داني لم ترَ واحدًا منهم قَطُّ.

في البدء كان الماچسترات والعواهل والأمراء التُّجَّار يستقبلون آخِر من تبقَّى من آل تارجاريَن في بيوتهم وعلى موائدهم بترحاب، لكن إذ مرَّت الأعوام وظَلَّ المُغتَصِب يجلس على العَرش الحديدي، أُغلِقَت الأبواب في وجهيهما وصارت حياتهما أكثر مشقَّة، ولم تمضِ أعوام قليلة حتى اضطرَّا لبيع آخِر مقتنياتهما الثَّمينة القليلة، ثم أُنفِقَ المال الذي باعا به تاج أمهما عن آخِره، وفي أزقَّة وحانات پنتوس كانوا يُلَقِّبون أخاها بـ"المَلك الشحَّاذ"، ولم تشأ داني أن تعرف بِمَ كانوا يُلَقِّبونها هي.

كان يقول لها واعـدًا: «سنستردُّ كلَّ شيءٍ يا شقيقتي العزيزة». أحيانًا كانت يداه ترتعشان وهو يتكلَّم عن الوطن. «الجواهر والحرير، دراجونستون وكِنجز لاندنج، العَرش الحديدي والمَمالك السَّبع، سنستردُّ كلَّ ما سلبوه منا». كان ڤيسرس يعيش من أجل ذلك اليوم، لكن

كلّ ما أرادت دنيرس استرداده هو المنزل الكبير ذا الباب الأحمر وشجرة اللّيمون خارج نافذتها، الطُّفولة التي لم تعرفها.

سمعَت طرقةً خفيفةً على الباب، فالتفتَت بعيدًا عن النَّافذة قائلةً: «ادخل»، ودخلَت اثنتان من خدم إليريو وانحنيتا لها، ثم بدأتا تُمارِسان عملهما. كانتا أمَتين، هديَّةً من أحد أصدقاء الماچستر الدوثراكي الكُثْر. لم يكن هناك رِقٌّ في مدينة پنتوس الحُرَّة، وإن كان هناك رقيق على الرغم من ذلك. كانت المرأة العجوز شيباء ضئيلة الحجم كفأرٍ صغير، ولم تنبس ببنت شفة، لكن الفتاة عوَّضت صمتها. كانت المفضَّلة لدى إليريو، فتاة في السادسة عشر من عُمرها، ناعمة الشَّعر زرقاء العينين لم تَكُفْ عن الثرثرة وهي تعمل.

ملأت الخادمتان المغطس بالماء السَّاخن الذي جاءَتا به من المطبخ وعطَّرتاه بالزُّيوت الفوَّاحة، ثم خلعتا سُترتها القُطنيَّة الخشنة وساعدتاها على النُّزول إلى المغطس. كان الماء ساخنًا جدًّا، لكن داني لم تُجفِل أو تُطلِق صيحة ألم. كانت تحبُّ الحرارة، والحرارة كانت تُشعِرها بالنَّظافة، كما أن أخاها كان يقول لها دائمًا إن لا شيء أكثر حرارة من أن يحتمله أحد أبناء تارجارِيَن. «عائلتنا هي عائلة التنِّين، والنَّار في دمائنا».

غسلَت العجوز شَعرها الفضِّي الشَّاحب ومشَّطت ما فيه من عُقَد بصمتٍ تام، وحكَّت الفتاة ظَهرها وقدميها وقالت لها كم هي محظوظة بحق. «دروجو فاحِش الثَّراء لدرجة أن عبيده أنفسهم يرتدون أطواقًا من الذَّهب حول أعناقهم، وهناك مئة ألف رجلٍ يركبون في الكالاسار الذي يقوده، وقصره في ڤايس دوثراك يضمُّ مئتي غُرفةٍ وأبوابًا من الفضَّة الخالصة». وظلَّت الفتاة تتكلَّم وتتكلَّم عن أشياءَ أخرى كثيرةٍ جدًّا، عن أن الكال رجل شديد الوسامة، قوي فارِع الطُّول، لا يعرف الخوف في المعارك، أفضل من امتطى حصانًا على الإطلاق، يرمي بالقوس والسَّهم كشيطان. لم تقل دنيرس شيئًا. كانت قد افترضَت دومًا أنها ستتزوَّج

ڤسيرس عندما تَبلُغ، فطوال قرونٍ وآل تارجاريَن يُزَوِّجون الإخوة من أخواتهم، منذ جعلَ المَلك إجون الفاتِح من أخته عروسًا له. قال ڤسيرس لها ألف مرَّةٍ إن السُّلالة يجب أن تظلَّ نقيَّةً، فدماؤهم هي دماء الملوك، دماء ڤاليريا الذَّهبيَّة، دماء التنِّين. التَّنانين لا تتزاوَج مع دواب الحقول، وآل تارجاريَن لا يخلطون دمهم بدم من هُم أدنى منهم شأنًا. لكن ها هو ڤسيرس يُدَبِّر لبيعها إلى رجلٍ غريب، رجلٍ بربري.

عندما صارت نظيفةً تمامًا ساعدَتها الأمَتان على الخروج من المغطس وأحضرتا المناشف لتجفيف جسدها. مشَّطت الفتاة شَعرها حتى تألَّق كالفضَّة المصهورة، بينما ضمَّختها العجوز بعِطر زهرة العَرار القادمة من سهول الدوثراكي، مسحة على كلِّ معصم ووراء أذنيها وعلى حافَّتي نهديها، ثم مسحة باردة أخيرة على الشَّفرين بين ساقيها. بعدها ألبسَتها الاثنتان الثِّياب التحتيَّة التي أرسلها الماچستر إليريو، وفوقها الفُستان الحريري ذا اللون الأرجواني المائل إلى الأزرق الذي يُبرِز لون عينيها البنفسجيَّتين، ثم وضعَت الفتاة قدميها في الصَّندل المموَّه بالذَّهب، بينما ثبَّتت العجوز التَّاج المرصَّع بالجواهر على رأسها، ووضعَت الأساور الذَّهبيَّة المزيَّنة بالجَمَشْت حول معصميها، وفي النهاية كان الطَّوق الذَّهبي الذي نُقِشَت عليه رموز بالڤاليريَّة القديمة.

قالت الفتاة مبهورةً: «الآن تبدين كأميرةٍ حقًّا». رمقَت داني انعكاسها في المرآة ذات الإطار الفضِّي التي تكرَّم إليريو بتزويدها بها. *أميرة*... لكنها تذكَّرت ما قالته الفتاة، كيف أن گال دروجو فاحِش الثَّراء لدرجة أن عبيده أنفسهم يرتدون أطواقًا من ذهبٍ حول أعناقهم، فشعرت داني ببرودةٍ مباغتة، وسرَت رعدة في ذراعيها المكشوفتين.

كان أخوها ينتظر في قاعة الدُّخول ذات النَّسائم الباردة، يجلس على حافَّة البِركة ويُمَرِّر يده على صفحة الماء، ونهضَ عندما رآها ورمقها بنظرةٍ فاحصةٍ وقال آمرًا: «قفي مكانك»، ثم «استديري. نعم، عظيم. تبدين...».

- «... بهيَّةً كملكة»، قالها الماچستر إليريو وهو يدلف من أحد المداخل المقنطرة. كان يتحرَّك بخفَّةٍ مدهشة بالنِّسبة لرجلٍ ضخم الجثَّة مثله. تحت دُثُرٍ فضفاضةٍ من الحرير ذي لون اللَّهب كانت أكوام من الشَّحم ترجرج وهو يتحرَّك، وتألَّقت الأحجار الكريمة على كلٍّ من أصابعه، ولمعت لحيته الصفراء المتشعِّبة حتى بدت كأنها من الذَّهب الحقيقي بعد أن دهنها خادمه بالزَّيت. قال الماچستر وهو يلتقط يدها: «عسى أن يَغمُرك رب الضِّياء بالبركات في هذا اليوم السعيد أيتها الأميرة دنيرس»، وحنى رأسه فبدت لمحة من أسنانه الصفراء المعوجَّة من بين ذهب لحيته، وقال لأخيها: «إنها تسرُّ النَّاظرين حقًّا يا جلالة المَلك. سيَطرَب دروجو بلا شك».

قال ڤسيرس: «إنها نحيفة جدًّا». كان شَعره الأشقر الفضِّي كشَعرها قد ضُمَّ بإحكام وراء أذنيه وثُبِّتَ بدبُّوس زينةٍ مصنوع من عِظام التنِّين. كان مظهرًا صارمًا أبرزَ ملامح وجهه القاسي المعروق. أراحَ يده على مقبض السَّيف الذي أعطاه إياه إليريو، وقال: «هل أنت واثق من أن كال دروجو يحبُّ نساءه صغيرات سنًّا هكذا؟».

- «لقد طمثَت. إنها كبيرة بما يكفي للكال»، قال إليريو لأخيها كما سبقَ أن قال له مرارًا. «انظر إليها... هذا الشَّعر الأشقر الفضِّي، هاتان العينان الأرجوانيَّتان... إنها من دم ڤاليريا القديمة لا شك، لا شك... وكريمة المحتد، ابنة المَلك القديم وأخت المَلك الجديد. لا يُمكنها ألَّا تفتن عزيزنا دروجو». وجدَت دنيرس نفسها ترتجف عندما تخلَّى إليريو عن يدها.

قال أخوها بريبة: «أظنُّ هذا. الهمجيُّون لديهم أذواق شاذَّة، غلمان وخيول وغنم».

أسرعَ إليريو يقول: «لكن لا تقل شيئًا من هذا لكال دروجو».

التمعَ الغضب في عيني أخيها الأرجوانيَّتين وهو يقول: «هل تحسبني أحمقَ؟».

انحنى الماچستر بعض الشيء وقال: «أحسبك ملكًا، والملوك يفتقرون إلى حذر العامَّة في كلامهم. أعتذرُ إذا كنتُ قد أسأتُ إليك»، والتفتَ وصفَّق بيديه مناديًا الحمَّالين.

كانت شوارع پنتوس غارقةً في ظلامٍ دامس عندما خرجوا في هودج إليريو ذي النُّقوش الأنيقة، فتقدَّم اثنان من الخدم يحمل كلٌّ منهما مصباح زيتٍ ذا ألواحٍ زجاجيَّةٍ زرقاء مزخرَفة، بينما رفعَ دستة من الرجال أعمدة قوائم الهودج على الأكتاف. كان الجوُّ دافئًا مكتومًا في الداخل وراء السَّتائر. كانت داني تشمُّ الرائحة الكريهة الصَّادرة من جِسم إليريو على الرغم من كلِّ العطور الثَّقيلة التي تضمَّخ بها.

أمَّا أخوها، الذي اضطجعَ على وسادته إلى جوارها فلم يُلاحِظ. كان عقله في مكانٍ آخَر بعيد عبر البَحر الضيِّق. «لسنا نحتاج گالاساره كله»، قالها ڤسيرس وهو يُداعِب مقبض سيفه المستعار، وإن كانت داني تدري جيِّدًا أنه لم يستخدم سيفًا في قتالٍ حقيقي على الإطلاق. «عشرة آلاف يكفونني. يُمكنني اكتساح المَمالك السَّبع بعشرة آلاف من الدوثراكي الصَّارخين، وسوف تنتفض البلاد من أجل مَلكها الشَّرعي. تايرل، ردواين، داري، جرايچوي... كلُّ هؤلاء لا يُكِنُّون للمُغتَصِب حُبًّا أكثر مني. الدورنيُّون يتحرَّقون شوقًا للانتقام لإليا وطفليها. عامَّة النَّاس سيكونون معنا كذلك. إنهم في أمسِّ الحاجة إلى مَلكهم»، ورمقَ إليريو مضيفًا بقلق: «أليس كذلك؟».

قال الماچستر إليريو بكياسة: «إنهم شعبك الذي يُحِبُّك. في كلِّ معقلٍ في جميع أنحاء البلاد يرفع الرجال الأنخاب في صحَّتك وتحيك النِّساء رايات التنِّين ويُخَبِّئنها حتى يوم عودتك عبر البَحر»، ثم هَزَّ كتفيه الضَّخمتين وأردفَ: «أو هكذا يُخبِرني عيوني».

لم يكن لدى داني أيُّ عُملاء، ولا سبيل لمعرفة ما يفعله أو يُفَكِّر فيه أحد هناك عبر البَحر الضيِّق، لكنها كانت ترتاب في كلمات إليريو

المعسولة، وترتاب في كلِّ ما يخصُّه، إلَّا أن أخاها كان يهزُّ رأسه بلهفةٍ.

«سأقتلُ المُغتَصِب بنفسي»، قالها ذلك الذي لم يَقتُل أحدًا في حياته كمن يَعِدُ بأمرٍ مفروغٍ منه. «تمامًا كما قتلَ أخي ريجار، ولانستر قاتِل المَلك أيضًا، من أجل ما فعله بأبي».

قال الماچستر إليريو: «سيكون هذا عادلًا تمامًا». رأت داني لمحةً ضئيلةً جدًّا من ابتسامةٍ تتلاعَب على شفتيه الممتلئتين، لكن ڤسيرس لم يُلاحِظ هذا أيضًا، وهَزَّ رأسه وأزاحَ السِّتار المجاور له ليَرمُق اللَّيل في الخارج، فأدركَت داني أنه يخوض معركة الثَّالوث مرَّةً أخرى.

كان إيوان گال دروجو ذو الأبراج التسعة يطلُّ على مياه الخليج، وقد غطَّى اللَّبلاب باهِت اللون جُدرانه الطُّوب العالية. كان إليريو قد أخبرَهما أن ماچسترات پنتوس أعطوه للگال، فلطالما أجزلَت المُدن الحُرَّة العطاء لسادة الخيول. كان إليريو يقول لهما مفسِّرًا بابتسامة: «المسألة ليست أننا نخشى هؤلاء الهمجيِّين، فربُّ الضِّياء يستطيع أن يحمي أسوار هذه المدينة من مليون دوثراكي دفعةً واحدةً، أو هذا ما يَعِدُ به الكهنة الحُمر، لكن لِمَ المجازفة وصداقتهم رخيصة الثَّمن جدًّا؟».

توقَّف هودجهم عند البوَّابة، وأزاحَ أحد الحَرس السَّتائر بخشونة. كان ذا بشرةٍ كالنُّحاس وعينين لوزيَّتين داكنتين ككلِّ الدوثراكي، لكن وجهه كان حليقًا، ويرتدي القبَّعة البرونزيَّة التي يَبرُز منها رمح صغير كما يفعل الجنود المطهَّرون. حدَّق فيهم ببرود، ودمدمَ الماچستر إليريو له بشيءٍ ما بلُغة الدوثراكي الخشنة، فأجابه الحارس باللُّغة نفسها قبل أن يشير إليهم بالدخول.

لاحظَت داني أن أخاها كان يُطبِق بإحكام على مقبض سيفه المستعار، وبدا لها أنه يَشعُر بالخوف نفسه الذي يملأها. غمغمَ ڤسيرس والهودج يتحرَّك متمايلًا صوب الإيوان: «خَصيٌّ وقح!».

قال الماچستر إليريو بعذوبةٍ كالعسل: «رجال مهمُّون كثيرون سيحضرون المأدبة اللَّيلة، ورجال كهؤلاء لديهم أعداء. يجب أن يحمي

الكَال ضيوفه، خصوصًا أنت يا جلالة المَلك. لا شكَّ أن المُغتَصِب سيدفع كثيرًا مقابل رأسك».

بطأت حركة الهودج ثم توقَّف تمامًا، وأزيحت السَّتائر وساعدَ أحد العبيد دنيرس على النزول، ولاحظَت هي أن الطَّوق المحيط بعُنقه كان من البرونز العادي. تبعها أخوها ويده لا تزال تُطبِق على مقبض السَّيف، أمَّا الماچستر إليريو فاحتاج لرجلين قويَّين كي ينزل.

كان الهواء داخل الإيوان معبَّقًا بروائح التوابل والمُر الحرِّيف والليَّمون الحلو والقرفة، واصطُحِبَ ثلاثتهم عبر قاعة الدُّخول حيث كانت لوحة من الزُّجاج الملوَّن مرسومة بالفسيفساء تُصَوِّر هلاك ڤاليريا. احترقَ الزَّيت في فوانيسٍ من الحديد الأسود مثبَّتة بطول الجدران، ومن تحت قنطرةٍ من أوراق الأشجار الحجريَّة المتشابكة أعلنَ واحد من الخِصيان عن وصولهم بصوتٍ عالٍ عذب: «ڤسيرس الثَّالث سليل عائلة تارجاريَن، مَلك الأنداليِّين والروينار والبَشر الأوائل، سيِّد المَمالك السَّبع وحامي البلاد. شقيقته دنيرس وليدة العاصفة، أميرة دراجونستون. مضيفه المبجَّل إليريو موپاتيس، ماچستر مدينة پنتوس الحُرَّة».

تجاوَزوا الخَصي ليَدخلوا ساحةً محاطةً بالأعمدة المغطَّاة بفروع اللَّبلاب الشَّاحب، وظلَّل نور القَمر الأوراق بدرجاتٍ من ألوان العظام والفضَّة والضيوف ينتشرون بينها. كثيرون منهم كانوا من الدوثراكي سادة الخيول، رجالًا ضخام الجثَّة ذوي بشرةٍ بُنيَّةٍ مائلة إلى الاحمرار، شواربهم المتدلِّية الطَّويلة رُبطَت فيها خواتم من المعدن، وشَعرهم الأسود مدهون بالزَّيت ومضفَّر ومزيَّن بالأجراس. على أن بعض مبارزي البراڤو والمُرتَزِقة من پنتوس ومير وتايروش كانوا يتحرَّكون بينهم، بالإضافة إلى كاهنٍ أحمرَ أكثر بدانةً من إليريو نفسه، ورجالٍ مُشعِرين من ميناء إيبن، وسادةٍ من جُزر الصَّيف ذوي بشرةٍ سوداء كالأبنوس. تطلَّعت

دنيرس إليهم جميعًا بدهشة، ثم أدركَت والخوف يعتريها فجأةً أنها المرأة الوحيدة الموجودة في المكان.

قال إليريو لهما همسًا: «هؤلاء الثلاثة هناك هُم خيَّالة دم دروجو، وهذا عند العمود هو كال مورو ومعه ابنه روجورو. الرجل ذو اللِّحية الخضراء هو أخو حاكِم تايروش، والرجل الذي وراءه هو السير چورا مورمونت».

لفتَ الاسم الأخير انتباه دنيرس، فقالت: «فارس؟».

ابتسمَ إليريو من وراء لحيته مجيبًا: «لا أقل. السِّپتون الأعلى مرَخه بالزُّيوت السَّبعة بنفسه».

اندفعَت قائلةً: «ماذا يفعل هنا؟».

قال لهما إليريو: «المُغتَصِب يريد رأسه. كانت مجرَّد مخالفةٍ تافهة لا أكثر، لم يفعل شيئًا غير أنه باعَ بضعة لصوصٍ لنخَّاسٍ تايروشي بدلًا من تسليمهم لحَرس اللَّيل. قانون سخيف. من المفترَض أن يكون لكلِّ رجلٍ الحق في أن يفعل كما يشاء بأملاكه».

قال أخوها: «يجب أن أتكلَّم مع السير چورا قبل نهاية اللَّيلة». وجدَت داني نفسها تتفحَّص الفارس بنظراها بفضول. كان متقدِّمًا نوعًا في السِّن، تجاوزَ الأربعين وبدأ الصَّلع يزحف إلى رأسه، لكنه ما زال يتحلَّى بالقوَّة واللِّياقة. كان يرتدي الصُّوف والجِلد بدلًا من الحرير والقُطن، وكانت سُترته ذات لونٍ أخضرَ داكِن ومطرَّزةً بشكلِ دُبٍّ أسودَ يقف على قائمتيه الخلفيَّتين.

كانت لا تزال تتطلَّع إلى هذا الرجل الغريب الآتي من بلادها التي لم ترها قَطُّ، عندما وضعَ الماچستر إليريو يدًا رطبةً على كتفها المكشوفة وهمسَ: «وهناك يا أميرتنا الجميلة الگال نفسه».

أرادَت داني أن تفرَّ وتختبئ، لكن أخاها كان يَنظُر إليها، وكانت تعرف أنها ستوقظ التنِّين إذا أثارَت غضبته. بتوتُّرٍ التفتَت ونظرَت إلى الرجل الذي يأمل ڤسيرس أنه سيَطلُب يدها قبل أن تنتهي اللَّيلة.

خطرَ لها أن الأَمة لم تكن مخطئةً تمامًا. كان گال دروجو أطول برأسٍ كاملٍ من أطول رجلٍ في المكان، لكن بشكلٍ ما خفيف الحركة، رشيق كالنمر الذي في معرض الوحوش الذي يملكه إليريو. كان أصغر سنًّا مما توقَّعت، لا يزيد عُمره عن الثلاثين، بشرته كالنُّحاس المصقول، والخواتم الذَّهبيَّة والبرونزيَّة مربوطة في شاربه الكَث.

قال الماچستر إليريو: «يجب أن أذهب وأقدِّم فروض الطَّاعة. انتظرا هنا وسآتي به إليكما».

أطبقَ أخوها على ذراعها بينما تحرَّك إليريو مترجرجًا نحو الگال، وغاصَت أصابعه في اللحم لدرجةٍ آلَمَتها وهو يقول: «هل ترين ضفيرته يا شقيقتي العزيزة؟».

كانت ضفيرة دروجو سوداء كمنتصف اللَّيل ومدهونةً بزيتٍ عطري ثقيل، عُلِّقت فيها أجراس صغيرة الحجم يتصاعَد رنينها النَّاعم مع حركته، وكانت الجديلة تصل إلى ما تحت حزامه، بل إلى ما تحت ردفيه في الواقع، وطرفها يمسُّ فخذيه من الوراء.

قال ڤسيرس: «هل ترين كم هي طويلة؟ عندما يُهزَم الدوثراكي في معركةٍ ما، يَقُصُّون ضفائرهم من الخزي، كي يعرف العالم كله عارهم. گال دروجو لم يُهزَم في معركةٍ قَطُّ. إنه إجون سيِّد التَّنانين وقد بُعِثَ من جديد، وأنتِ ستكونين ملكته».

نظرَت داني إلى گال دروجو. كان وجهه جامد الملامح قاسيًا، وعيناه باردتان داكنتان كالجَزْع. كان أخوها يؤذيها أحيانًا عندما توقظ التنِّين، لكنه لم يُثِر رُعبها كما فعلَ هذا الرجل، وسمعَت نفسها تقول بصوتٍ خافتٍ ضعيف: «لا أريدُ أن أكون ملكته. ڤسيرس، أرجوك، أرجوك، لا أريد. أريدُ أن أعود إلى الدِّيار».

- «الدِّيار؟». كانْ قد حافظَ على نبرة صوتٍ خفيضة، لكن غضبه كان جليًّا تمامًا. «وكيف نعود إلى الدِّيار يا شقيقتي العزيزة؟ لقد أخذوا ديارنا

منا!»، وسحبها إلى ركنٍ قصيٍّ من القاعة بعيدًا عن الأنظار وأصابعه تغوص في لحمها وكرَّر: «كيف نعود إلى الدِّيار؟». كان يَقصِد كينجز لاندنج ودراجونستون وجميع البلاد التي فقدوها.

أمَّا داني فكانت تَقصِد في الحقيقة مسكنهما في ضيعة إليريو. هو ليس دارًا بالتأكيد، وإن كان كلَّ ما لديهما، لكن أخاها لم يشأ أن يسمع شيئًا من هذا. هذا المكان ليس بداره، وحتى المنزل الكبير ببابه الأحمر لم يكن داره. غاصَت أصابعه في ذراعها أكثر فأكثر منتظرًا إجابتها، فقالت أخيرًا بصوتٍ راجفٍ والدموع تترقرق في عينيها: «لا أعرف».

قال بحدَّة: «أنا أعرف. سنعود إلى الدِّيار بجيشٍ يا شقيقتي العزيزة، جيش گال دروجو. تلك هي وسيلة العودة، وإذا كان المقابل أن تتزوَّجيه وتُعاشِرينه، فهذا ما ستفعلين»، وابتسم مضيفًا: «سأتركُ گالاساره كله يُضاجِعكِ إذا دعَت الحاجة يا شقيقتي العزيزة... الأربعون ألف رجلٍ جميعًا، وخيولهم كذلك إذا كان هذا ما يتطلَّبه حصولي على جيشي. عليكِ أن تَشعُري بالامتنان أنه دروجو وحده إذن. قد تتعلَّمين أن تُحِبِّيه مع مرور الوقت حتى. والآن جفِّفي عينيك. إليريو قادم ومعه الگال، ولن يراكِ تبكين».

التفتَت داني ورأت أنهما قادمان بالفعل. كان الماچستر إليريو يبتسم وينحني بلا توقُّفٍ وهو يصحب گال دروجو إلى حيث كانا، ومسحَت داني دموعها التي لم تَسقُط بظَهر يدها.

قال ڤسيرس بعصبيَّة ويده تَسقُط إلى مقبض سيفه: «ابتسمي، وقِفي معتدلةً. دعيه يرى أن لديكِ نهدين. تعلم الآلهة أنهما صغيران أصلًا».

واعتدلَت داني في وقفتها ورسمَت بسمةً على شفتيها.

إدارد

تدفَّق الزَّائرون من بوَّابات القلعة في نهرٍ من الذَّهب والفضَّة والفولاذ المصقول، ثلاثمئة منهم، مفخَرة من حمَلة الرَّايات والفُرسان، من المُحارِبين غير النظاميِّين والسلاحداريَّة. فوق رؤوسهم رفرفَت الرَّايات الذَّهبيَّة في رياح الشَّمال وقد زيَّنها وَعل عائلة باراثيون المتوَّج. كان ند ستارك يعرف كثيرين منهم، فها هو السير چايمي لانستر بشَعره اللَّامع كالذَّهب المطروق، ثم السير ساندور كليجاين بوجهه المحروق البَشِع، والصَّبي الطويل إلى جواره هو بالتأكيد وليّ العهد، والرجل الضَّئيل وراءهم لا يُمكن أن يكون غير العِفريت، تيريون لانستر.

لكن الرجل ضخم الجثَّة على رأس الرَّكب، وعلى جانبيه فارسان يرتدي كلٌّ منهما معطف الحَرس المَلكي الأبيض كالثَّلج، كاد يبدو غريبًا لند... إلى أن وثبَ من على صهوة جواده الحربي بجُؤاره المألوف وضمَّه في عناقٍ سحقَ عظامه وصاحَ: «ند! آه، حقًّا من الجميل أن أرى وجهك المتجمِّد من جديد»، ورمقَه المَلك من رأسه إلى قدميه وأضافَ ضاحكًا: «لم تتغيَّر على الإطلاق».

كان ند يتمنَّى لو أنه يستطيع أن يَرُدَّ العبارة بمِثلها. قبل خمسة عشر عامًا، عندما ركبا معًا إلى الحرب ليفوزا بالعَرش، كان سيِّد ستورمز إند حليق الوجه صافي العينين مفتول العضلات كما في أحلام العذراوات. كان يبلغ ستَّة أقدامٍ ونِصفًا طولًا، يرتقي فوق من هُم أدنى منه شأنًا،

وعندما يرتدي درعه ويضع خوذة عائلته العظيمة ذات القرون البارزة، كان يصير عملاقًا حقيقيًّا. كما أنه كان يملك قوَّة عملاقٍ بالفعل، وسلاحه المختار كان عبارةً عن مطرقةٍ حربيَّةٍ تَبرُز منها أشواك من الحديد يكاد ند لا يستطيع أن يرفعها. في تلك الأيام كانت رائحة الجِلد والدَّم تعلق به كالعِطر.

أمَّا الآن فكان العِطر هو ما يعلق به كالعِطر، وصارَ عرضه بضخامة طوله نفسها. كانت آخِر مرَّةٍ رأى فيها ند المَلك قبل تسعة أعوام أثناء تمرُّد بالون جرايچوي، عندما اتَّحد الوَعل مع الذِّئب الرَّهيب للقضاء على مطامع الرجل الذي نصَّب نفسه ملكًا على الجُزر الحديديَّة. منذ تلك اللَّيلة التي وقفا فيها جنبًا إلى جنبٍ في معقل جرايچوي، حيث قبل روبرت استسلام اللورد المتمرِّد وأخذَ ند ابنه ثيون كرهينةٍ وتابعٍ شخصي له، كان وزن الملك قد زادَ أكثر من مئة رطل، وغطَّت لحية سوداء خشنة كالأسلاك الحديديَّة فكَّه لتُخفي ذقنه المشقوقة ولُغده المَلكي المتدلِّي، لكن لا شيء كان في وسعه إخفاء بطنه العظيم والحلقات السوداء تحت عينيه.

لكن روبرت كان مَليك ند الآن وليس صديقه فحسب، فاكتفى بأن قال: «جلالة المَلك، وينترفل تحت أمرك».

كان الآخَرون قد بدأوا يترجَّلون، وهُرِعَ السَّائسون للعناية بخيولهم. دخلَت سرسي لانستر، ملكة روبرت، على قدميها ومعها طفلاها الآخَران، لأن المركبة المجرورة التي جاءوا فيها -وهي مركبة ضخمة ذات طابقين مشيَّدة من السَّنديان المطلي بألوان الزَّيت والمعادن المذهَّبة، يَجُرُّها أربعون حصان جَرٍّ قويًا- كانت أكبر من أن تَمُرَّ من بوَّابة القلعة. ركعَ ند في الثَّلج ليلثم خاتم الملكة، بينما عانقَ روبرت كاتلين كأنها أخته التي لم يرها منذ دَهر. ثم جاءَ الطفلان وتَمَّ تقديمهما واحدًا وراء الآخَر، وتلقَّى كلٌّ منهما استحسان الجانبين.

بمجرَّد انتهاء تلك التحيَّات الرسميَّة قال المَلك لمضيفه: «إدارد، خُذني إلى السِّرداب. أريدُ أن أقدِّم احتراماتي».

أحبَّه ند من أجل هذا، من أجل تذكُّره لأخته بعد كلِّ تلك السِّنين. طلبَ ند مشكاةً دون حاجةٍ إلى قول شيءٍ آخَر. كانت الملكة قد حاولَت الاعتراض، فهُم راكبون منذ الفَجر، والجميع يَشعُرون بالتَّعب والبَرد، ولا بُدَّ من أن يستريحوا أولًا. باستطاعة الموتى أن ينتظروا. لم تقل أكثر من ذلك، ولمَّا رمقها روبرت بنظرةٍ سحبَها أخوها التَّوأم چايمي من ذراعها برفق، ولم تقل هي شيئًا آخَر.

نزلا إلى السِّرداب معًا، ند ومَليكه الذي يكاد لا يتعرَّفه. كانت السَّلالم الحجريَّة المتعرِّجة ضيِّقةً، وتقدَّم ند الطريق حاملًا المشكاة، بينما قال روبرت وهو ينزل: «كنتُ قد بدأتُ أحسب أننا لن نَبلُغ ويترفل أبدًا. الطَّريقة التي يتكلَّمون بها في الجَنوب عن مَمالكي السَّبع تجعل أيَّ رجلٍ ينسى أن نصيبك منها أكبر من السِّت الأخرى مجتمعةً».

- «هل استمتعَ جلالتك بالرِّحلة؟».

قال روبرت بامتعاض: «مستنقعات وغابات وحقول، ولا تكاد تكون هناك حانة مقبولة شَمال "العُنق". لم أرَ في حياتي مساحاتٍ فارغةً هكذا قَطُّ. أين ناسك؟!».

قال ند ساخرًا: «غالبًا كانوا أكثر خجلًا من أن يَخرُجوا». كان يَشعُر بالقشعريرة التي تتسلَّل إلى أعلى السَّلالم قادمةً من أعماق الأرض. «الملوك مشهد نادر في الشَّمال».

أصدرَ روبرت صوتًا مستهجنًا وقال: «كانوا يختبئون بين الثُّلوج بالأحرى. الثُّلوج يا ند!». كان المَلك يسند يده على الحائط ليُثبِّت نفسه وهما ينزلان.

قال ند: «ثلوج أواخِر الصَّيف شيء طبيعي. أتمنَّى أنها لم تُزعِجكم. إنها خفيفة في المعتاد».

صاحَ روبرت: «فليأخذ "الآخَرون" ثلوجكم الخفيفة! كيف سيكون هذا المكان في الشِّتاء؟ إنني أرتجفُ من مجرَّد الفكرة».

قال ند موافقًا: «الشِّتاء عصيب بالفعل، لكن آل ستارك سيَصمُدون أمامه كما فعلوا دائمًا».

قال روبرت: «يجب أن تأتي إلى الجَنوب. إنك في حاجةٍ لتذوُّق الصَّيف قبل أن ينتهي. في هايجاردن ثمَّة حقول من الزُّهور الذَّهبيَّة على مدى البَصر، والفواكه طازجة ناضجة جدًّا لدرجة أنها تنفجر في فمك... شمَّام وخوخ وبرقوق ناري... إنك لم تتذوَّق حلاوةً كهذه في حياتك. سترى، لقد أحضرتُ لك بعضها. حتى في ستورمز إند والرِّياح العليلة تهبُّ من الخليج يكون النَّهار شديد الحرارة حتى أنك لا تستطيع الحركة. ويجب أن ترى البلدات يا ند، البلدات! زهور في كلِّ مكان، والأسواق تعجُّ بالأطعمة، والنَّبيذ الصَّيفي زهيد الثَّمن وشديد الجودة لدرجة أنك قد تثمل من مجرَّد تنفُّس الهواء هناك. الكلُّ سمان ثملون وأغنياء»، وضحكَ وربَّت على بطنه الضَّخمة بصوتٍ مرتفع، واستطردَ بعينين لامعتين: «والفتيات يا ند! أقسم لك أن النِّساء هناك يفقدن كلَّ ما لديهنَّ من حشمةٍ في الحَر. يسبحن عارياتٍ في النَّهر أسفل القلعة مباشرةً. حتى في الشوارع الجَوُّ أكثر حرارةً من أن يرتدي أحد الجِلد أو الصُّوف، فيتنقَّلن في ثيابهنَّ القصيرة، من الحرير إن كنَّ يملكن قطعًا فضيَّةً تكفي، أو من القُطن إن كنَّ فقيرات، لكن لا فارق بين هذه وتلك عندما يبدأن في التصبُّب عرقًا ويلتصق القُماش بأجسامهنَّ فتبدو الواحدة منهنَّ كأنها عارية بالفعل»، وأطلقَ المَلك ضحكةً مرحة.

لطالما كان روبرت باراثيون رجلًا ذا شهيَّةٍ واسعة، رجلًا يعرف كيف يستمتع بملذَّات الحياة، لكن لا أحد كان بإمكانه أن يتَّهم إدارد ستارك بأنه مِثل روبرت. على أن ند لم يسعه إلَّا أن يُلاحِظ الأثر الذي أحدثَته تلك الملذَّات في المَلك. كان روبرت يلهث

عندما بلغا نهاية السَّلالم، وجهه أحمرَ في ضوء المشكاة وظُلمة السِّرداب تحتويهما.

قال ند باحترام: «جلالة الملك»، وحرَّك المشكاة في نِصف دائرةٍ واسعة، فتحرَّكت الظِّلال وتمايلَت، ومَسَّ الضوء المتذبذب الأحجار تحت أقدامهما، وانسابَ على طابورٍ طويل من الأعمدة الجرانيتيَّة التي امتدَّت أمامهما أزواجًا في الظَّلام. بين الأعمدة جلسَ الموتى على عروشهم الحجريَّة الموضوعة أمام الجدران، تستند ظهورهم إلى الأضرحة التي تضمُّ رفاتهم. «إنها في نهاية السِّرداب، مع أبي وبراندون».

قادَ الطَّريق بين الأعمدة وتبعه روبرت صامتًا، يرتجف في البَرد القادم من تحت الأرض. كانت البرودة تسود المكان ها هنا دائمًا. تردَّد صدى وقع أقدامهما على الأرض الحجريَّة في السِّرداب أمامهما وهما يسيران بين أموات عائلة ستارك. راقبَهما سادة وينترفل وهما يَمُرَّان بملامحهم المحفورة في الأحجار التي تُغلِق كلَّ قَبر. في صفَّين طويلين جلسوا وعيونهم العمياء تُحَدِّق في ظلامٍ أبدي، بينما استقرَّ ذِئب رهيب ضخم الجثَّة عند قدمي كلٍّ منهم. جعلت الظِّلال المتقلِّبة التَّماثيل الحجريَّة تبدو وكأنها تتحرَّك مع مرور الرجلين الحيَّين.

كانت الأعراف القديمة تنصُّ على أن يوضَع سيف طويل من الحديد على حِجر كلِّ من كان سيِّدًا لوينترفل، من أجل أن تظلَّ الأرواح المنتقمة في قبورها. كان أقدم السُّيوف قد تحوَّل بفعل الصدأ إلى شِبه تراب منذ زمنٍ طويل، فلم يترك غير بضع بُقَعٍ حمراء حيث كان المعدن يستقرُّ على الحَجر. تساءل ند إن كان ذلك يعني أن تلك الأشباح صارت تجوب القلعة حُرَّةً الآن، وتمنَّى أن يكون ذلك غير صحيح. كان سادة وينترفل الأوائل قساةً كالأرض التي حكموها، وفي القرون التي سبقَت مجيء سادة التَّنانين عبر البَحر لم يكونوا يدينون بالولاء لأيِّ أحد، إذ نصَّبوا أنفسهم ملوكًا في الشَّمال.

توقَّف ند أخيرًا ورفعَ المشكاة. امتدَّ السِّرداب أمامهما في الظَّلام، لكن بعد تلك النُّقطة كانت القبور مفتوحةً فارغةً، حُفَرًا سوداء تنتظر موتاها، تنتظره وتنتظر أبناءه. لم يكن ند يُحِبُّ التفكير في هذا. قال للمَلك: «هنا»، فهَزَّ روبرت رأسه بصمتٍ وركعَ وحنى رأسه.

كانت هناك ثلاثة قبور مرتصَّة جنبًا إلى جنب. كان اللورد ريكارد ستارك -أبو ند- ذا وجهٍ صارمٍ طويل. كان الحجَّار الذي بنى القبر يعرفه جيِّدًا، فجلسَ بوقارٍ هادئٍ وأصابعه الحجريَّة تَقبُض بقوَّةٍ على السَّيف الموضوع على حِجره، وإن كانت السُّيوف كلها قد خذلَته في حياته. في ضريحين أصغر حجمًا على جانبيه كان ابنه وابنته.

كان براندون في العشرين من عُمره عندما ماتَ... شُنِقَ بأوامر المَلك المجنون إيرس تارجاريَن قبل أيام قليلةٍ من زفافه المزمع من كاتلين تَلي ابنة ريڤررَن. يومها أجبروا أباه علَى مُشاهَدته وهو يموت. كان الوريث الشَّرعي، الأخ الأكبر الذي وُلِدَ ليَحكُم.

ليانا كانت في السادسة عشر فقط، امرأة طفلة ذات جمالٍ وعذوبةٍ بلا نظير. كان ند يُحِبُّها من كلِّ قلبه، وروبرت أحبَّها أكثر وأكثر، تلك التي كانت ستصير عروسه.

قال المَلك بعد صمتٍ طالَ: «كانت أجمل من هذا». ظلَّت عيناه مثبَّتتين على وجه ليانا، كأنه يستطيع إعادتها للحياة، ثم نهضَ بتثاقُلٍ أخيرًا بفعل وزنه. «آه، تبًّا يا ند! أكان يجب أن تدفنها في هذا المكان؟». كان صوته مبحوحًا مغلَّفًا بالحُزن الذي جاءَ مع اجترار الذِّكريات. «كانت تستحقُّ أفضل من الظَّلام».

قال ند بهدوء: «لقد كانت من آل ستارك وابنة وينترفل. إن مكانها هنا».

- «حريٌّ بها أن تكون على قمَّة تلٍّ في مكانٍ ما، أو تحت شجرة فاكهة، والشَّمس والسَّحاب فوقها والمطر يَغسلها».

قال ند مذكِّرًا المَلك: «لا تنسَ أني كنتُ معها عندما ماتت. لقد أرادَت

أن تعود إلى ديارها لتستريح إلى جوار براندون وأبي». كان لا يزال يسمعها أحيانًا. عِدني... قالتها في غُرفةٍ معبَّقةٍ برائحة الدِّم والزُّهور... عِدني *يا ند*. كانت الحُمَّى قد سلبَتها قوَّتها وصارَ صوتها خافتًا كهمسة، لكن الخوف اختفى من عيني أخته عندما أعطاها كلمته. تذكَّر ند كيف ابتسمَت لحظتها، كيف أطبقَت أصابعها بقوَّةٍ على أصابعه والحياة تنساب منها، وبتلات الزُّهور تَسقُط من راحة يدها وقد ماتت واسودَّت. بعد ذلك كان لا يَذكُر شيئًا. وجدوه متمسِّكًا بجثمانها والصَّمت الحزين يُغَلِّفه، وفصلَ رجل المستنقعات الصَّغير هولاند ريد يدها عن يده. لا يَذكُر ند شيئًا من هذا. «أحضرُ لها الزُّهور كلما استطعتُ. ليانا كانت... مولعةً بالزُّهور».

مَسَّ المَلك وجنتها وتحسَّست أصابعه الحجر الخَشِن برقَّةٍ كأنه لحم حي، وقال: «أقسمتُ أن أقتل ريجار لما فعله بها».

- «ولقد قتلته».

قال روبرت بمرارة: «مرَّةً واحدةً فقط».

كانا قد تقابلا وجهًا لوجهٍ في مخاضة نهر الثَّالوث والمعركة مشتعلة من حولهما، روبرت بمطرقته الحربيَّة وخوذته العظيمة ذات القرون، والأمير التارجاريَن في دِرعه السَّوداء تمامًا، وعلى صدر الدِّرع شعار عائلته المتمثِّل في تنِّينٍ ذي ثلاثة رؤوس مشغول بأكمله بالياقوت، يتألَّق كالنَّار في نور الشَّمس. جرَت مياه مخاضة[1] الثَّالوث حمراء حول حوافر جواديهما وهما يدوران ويتصادمان مرَّةً تلو الأخرى، إلى أن هوى روبرت في النهاية بضربةٍ ساحقةٍ بمطرقته هشَّمت التنِّين وصدر الأمير من تحته. عندما بلغَ ند بُقعة قتالهما أخيرًا كان ريجار ميتًا في المياه، بينما أخذَ رجال من كلا الجيشين يُنَقِّبون في الماء عن الياقوت الذي سقطَ من دِرعه.

(1) المخاضة هي الجزء الضَّحل من الأنهار والجداول الذي يُمكن الخوض فيه مشيًا أو على ظَهر الحصان.

قال روبرت: «في أحلامي أقتله كلَّ ليلة، لكن حتى ألف ميتةٍ ستظلُّ أقلَّ مما يستحق».

لم يكن ند يملك شيئًا يردُّ به على هذا، وبعد فترة صمتٍ قال: «يجب أن نعود يا جلالة المَلك. زوجتك في انتظارك».

تمتمَ روبرت بحدَّة: «فليأخذ "الآخَرون" زوجتي!»، لكنه بدأ يتحرَّك في الاتِّجاه الذي جاءا منه بخطواتٍ ثقيلة. «وإذا سمعتك تُخاطِبني بـ"يا جلالة المَلك" مرَّةً أخرى، سأعَلِّقُ رأسك على خازوق! إن ما بيننا أكبر من هذا».

أجابَ ند بهدوء: «لم أنسَ هذا»، وعندما لم يَرُدْ المَلك سأله: «حدِّثني عن چون».

هَزَّ روبرت رأسه قائلًا: «لم أرَ رجلًا يمرض بهذه السُّرعة من قبل. لقد أقمنا سلسلة مباريات احتفالًا بيوم ميلاد ابني. لو كنت قد رأيت چون وقتها، لكنت أقسمت إنه سيعيش إلى الأبد. ثم إنه ماتَ بعد أسبوعين. كان المرض كالنَّار في أحشائه وأحرقَه عن آخِره»، ثم توقَّف إلى جوار عمود، أمام واحد من آل ستارك ماتَ منذ زمن، وأضافَ: «لقد أحببتُ ذلك الرجل».

قال ند: «كلانا كان يُحِبُّه»، وصمتَ لحظةً قبل أن يُردِف: «كاتلين تَشعُر بالخوف على أختها. كيف تتعامَل لايسا مع حُزنها؟».

لوى روبرت فمه وقال بضيق: «إنها ليست بخير في الحقيقة. أعتقدُ أن فقدان چون أفقدَ المرأة صوابها يا ند. لقد أخذَت الصَّبي وعادَت به إلى "العُش" رغم أني لم أوافق على ذلك. كنتُ أتمنَّى أن ينشأ عند تايوين لانستر في كاسترلي روك. چون كان بلا إخوةٍ أو أبناء آخَرين، فهل كان ينبغي عليَّ أن أترك النِّساء تُرَبِّي الصَّبي؟».

كان ند ليأتمن أفعىً على الصَّبي أكثر من اللورد تايوين، لكنه لم يتلفَّظ بشكوكه هذه، فبعض الجروح القديمة لا يندمل تمامًا حقًّا، ويبدأ في

النَّزيف من جديدٍ مع أقلِّ كلمة. هكذا قال بحذر: «لعلَّ الأم خافت من أن تفقد ابنها، فهو لا يزال صغيرًا جدًّا».

قال روبرت: «في السَّادسة، وسقيم، وسيِّد "العُش"، لترحمنا الآلهة. حريٌّ بلايسا أن تَشعُر بما في هذا من شرف، فاللورد تايوين لم يتَّخِذ تابعًا شخصيًّا له من قبل، ولانستر عائلة عظيمة ونبيلة. لكن لايسا رفضَت مجرَّد الفكرة، ثم إنها غادرَت في جوف اللَّيل دون أن تستأذن حتى. سرسي كانت غاضبةً للغاية»، وتنهَّد بعُمقٍ وأضافَ: «الصَّبي مسمًّى على اسمي، هل كنت تعرف هذا؟ روبرت آرن. لقد أقسمتُ أن أحميه، فكيف أفعلُ هذا وقد فرَّت به أمه؟».

قال ند: «سآخذه تابعًا شخصيًّا لي إذا شِئت. لا بُدَّ أن لايسا ستُوافِق على هذا. هي وكاتلين كانتا قريبتين في صباهما، كما أن لها مكانًا هنا كذلك».

رَدَّ المَلك: «عرض كريم يا صديقي، لكن فاتَ الأوان. اللورد تايوين أعطى موافَقته فعلًا، وتنشئة الصَّبي في مكانٍ آخَر ستكون بمثابة إهانةٍ له».

- «سلامة ابن أختي تَهُمُّني أكثر من كبرياء آل لانستر».

- «لأنك لا تنام مع واحدةٍ منهم»، قال روبرت وقهقهَ لتُدَوِّي قهقهته بين القبور وتَرتدُّ عن السَّقف المقنطر، وابتسامته الواسعة تُضيء من بين أدغال لحيته السَّوداء الكثيفة. «آه يا ند، ما زلت شديد الجدِّيَّة»، ووضعَ ذراعه حول كتف ند وقال: «لا بُدَّ أنك تساءلت لِمَ جئتُ أخيرًا إلى وينترفل بعد كلِّ تلك السِّنين».

كانت الشُّكوك تُخالِج ند، وإن لم يُصَرِّح بها واكتفى بأن قال بكياسة: «من أجل مُتعة صُحبتي بالتأكيد. كما أن هناك "الجِدار". يجب أن تراه يا جلالة المَلك، أن تمشي بين شُرفاته المحصَّنة وتتكلَّم مع الرجال الذين يحمونه. إن حَرس اللَّيل الآن مجرَّد ظِلٍّ لما كانوه من قبل. بنچن يقول إن...».

قاطَعه روبرت قائلًا: «لا شكَّ أني سأسمعُ ما لدى أخيك قريبًا. "الجِدار" قائم منذ متى؟ ثمانية آلاف عام؟ سوف ينتظر بضعة أيام أخرى. إن لديَّ اهتمامات أكثر إلحاحًا الآن. نحن في أوقاتٍ عصيبة، وأنا أحتاجُ رجالًا صالحين حولي، رجالًا مِثل چون آرن. لقد خدمَ كسيِّد "العُش" وحاكِم الشَّرق ويَدِ المَلك، ولن يكون من السَّهل أن يحلَّ أحد محلَّه».

- «ابنه...».

قال روبرت بفظاظة: «ابنه سيرث "العُش" وكلَّ دخوله وإيراداته، لا أكثر».

فاجأ الرَّدُّ ند، فتوقَّف مندهشًا والتفتَ يَنظُر إلى مَليكه قائلًا: «لطالما كان أبناء آرن حكَّام الشَّرق. اللَّقب يُرافِق المقاطَعة».

قال روبرت: «ربما يستردُّ هذا الشَّرف عندما يَبلُغ، لكني أفكِّر في العام الحالي، والعام القادم. ولد في السَّادسة من عُمره ليس بقائدٍ يا ند».

- «في زمن السَّلام يكون اللَّقب مجرَّد شرف. دعه يحتفظ به، إن لم يكن من أجله فلأجل خاطِر أبيه. لا شكَّ أنك مدين لچون بهذا على الأقل لقاء خدمته».

لم يبدُ المَلك مسرورًا بهذا، ورفعَ ذراعه عن كتف ند قائلًا: «خدمة چون كانت واجبه الذي يدين به لمَليكه. أنا لستُ ناكرًا للجميل يا ند، وأنت من بين الجميع من المفترَض أن تعرف هذا، لكن الابن ليس أباه، ومجرَّد صبيٍّ لا يستطيع السَّيطرة على الشَّرق بأكمله»، ثم لانَت لهجته وقال: «لكن دعنا من هذا، فثمَّة منصب أكثر أهميَّة تنبغي مُناقَشته»، وأمسك ند من مِرفقه وقال له: «أنا في حاجةٍ إليك يا ند».

- «أنا رهن إشارتك يا جلالة المَلك». كانت كلماتٍ من المحتَّم أن يقولها، وهكذا قالها وقد انتابه القلق مما سيتبعها.

لم يبدُ أن روبرت قد سمعه أصلًا، واندفعَ يقول: «تلك الأعوام التي قضيناها في "العُش"... بحقِّ الآلهة كانت أعوامًا رائعة. أريدك إلى جانبي

مرَّةً أخرى يا ند، أريدك هناك في كينجز لاندنج، وليس هنا عند نهاية العالم حيث لا تفيد أحدًا بشيء»، وتطلَّع روبرت إلى الظَّلام، فبدا للحظةٍ كئيب الملامح كأحد آل ستارك. «أقسمُ لك، الجلوس على العَرش أصعب ألف مرَّةٍ من الفوز به. القوانين عمل مُرهِق، وعَدُّ القروش النُّحاسيَّة أسوأ. والنَّاس... إنهم لا ينتهون أبدًا. أجلسُ هناك على الكُرسي الحديدي الملعون وأسمعُ شكاواهم إلى أن يُصاب ذِهني بالخَدر ومؤخِّرتي بالتقرُّحات. كلهم يريد شيئًا، المال أو الأرض أو العدالة. الأكاذيب التي يروونها... وكلٌّ لورد وليدي في بلاطي ليسوا أفضل منهم بحال. إنني محاطٌ بالمُرائين والحمقى. من شأن هذا أن يصيب أيَّ رجلٍ بالجنون يا ند. نِصفهم لا يجرؤ على إخباري بالحقيقة، والنِّصف الآخَر لا يستطيع العثور عليها. تأتي عليَّ ليالٍ أتمنَّى فيها لو أننا خسرنا معركة الثَّالوث... آه، لا، ليس حقًّا، لكن...».

قال ند بخفوت: «أفهمك».

رمقه روبرت قائلًا: «أعتقدُ أنك تفعل، وإذا كانت هذه هي الحقيقة، فأنت الوحيد يا صديقي القديم»، وابتسمَ وقال: «لورد إدارد ستارك، إنني أرغبُ في توليتك منصب يَدِ المَلك».

هوى ند على رُكبةٍ واحدة. لم يكن العرض مفاجئًا له، فلأيِّ سببٍ آخَر كان روبرت ليقطع كلَّ تلك المسافة؟ يَدُ المَلك كان ثاني أقوى رجلٍ في المَمالك السَّبع، يتكلَّم بصوت المَلك، يقود جيوش المَلك، ويصوغ قوانين المَلك، وفي أوقاتٍ يجلس حتى على العَرش الحديدي ليُقيم عدالة المَلك، عندما يكون المَلك غائبًا أو مريضًا أو غير متواجدٍ لسببٍ أو لآخَر. كان روبرت يعرض عليه مسؤوليَّة بضخامة البلاد ذاتها.

وكان هذا آخِر شيءٍ يريده في الدُّنيا.

قال: «جلالة المَلك، أنا لستُ جديرًا بهذا الشَّرف».

دمدمَ روبرت بنفاد صبرٍ لا تعوزه الدُّعابة: «لو أردتُ أن أشرِّفك

لتركتك تتقاعَد. إنني أريدك أن تدير المَملكة وتقود الحروب بينما أقطعُ طريقي إلى قبرٍ مبكِّرٍ أكلًا وشُربًا ونكاحًا»، وربَّت على بطنه قائلًا بابتسامةٍ عريضة: «أتعرف ما يقولونه عن المَلك ويَدِه؟».

كان ند يعرف القول: «*ما يَحلُم به المَلك يبنيه اليَد*».

- «ضاجعتُ ذات مرَّةٍ صيَّادة سمك قالت لي إن الدَّهماء لديهم طريقة أخرى يُرَدِّدونه بها: *المَلك يأكل واليَدُ يمسح الخراء*»، وألقى روبرت رأسه إلى الوراء وأطلقَ ضحكته المجلجلة، فتردَّد صداها في الظَّلام، ومن كلِّ مكانٍ حولهما بدا أن أموات وينترفل يُراقِبون بعيونٍ باردةٍ مُستَنكِرة.

أخيرًا خفتَ صوت الضَّحك ثم توقَّف، وكان ند لا يزال على رُكبته ولم يرفع عينيه، فقال المَلك: «تبًّا يا ند! يُمكنك أن تُجاريني بابتسامةٍ على الأقل».

قال ند بلهجةٍ محايدة: «يقولون إن البَرد يشتدُّ هنا في الشِّتاء لدرجة أن ضحكة الرجل تتجمَّد في حَلقه وتَخنُقه حتى الموت، ولربما هذا هو السَّبب الذي يجعل لدى عائلة ستارك حِسَّ دعابةٍ قليلًا للغاية».

- «تعالَ معي إلى الجَنوب وسأعلِّمك كيف تضحك من جديد. لقد ساعدتني على الفوز بهذا العَرش اللَّعين، فساعدني الآن على الاحتفاظ به. كان من المفترض دومًا أن نَحكُم معًا. لو كانت ليانا قد عاشَت لكنا قد صِرنا أخوين يَربُطهما الدَّم بالإضافة إلى الحُب. حسنٌ، لم يَفُت أوان هذا. أنا لديَّ ابن، وأنت لديك ابنة. ابني چوف وابنتك سانزا سيربطان بين عائلتينا كما كنتُ وليانا سنفعل من قبل».

أمَّا هذا العرض فقد فاجأه بالفعل. «سانزا في الحادية عشرة لا أكثر».

لوَّح روبرت بيده بصبرٍ نافد وقال: «كبيرة بما يكفي للخِطبة، أمَّا الزَّواج فيُمكنه أن ينتظر بضعة أعوام»، ثم ابتسمَ المَلك وقال: «والآن انهض عليك اللَّعنة وقُل نعم!».

أجابَ ند: «لا شيء يُمكنه أن يُسعدني أكثر من هذا يا جلالة المَلك»،

ثم قال متردِّدًا: «كلُّ هذا التَّكريم غير متوقَّع على الإطلاق. هل لي في بعض الوقت للتَّفكير؟ ويجب أن أخبر زوجتي كذلك».

- «نعم، نعم. أخبر كاتلين. لا تتَّخذ قرارك الآن»، ومَدَّ المَلك يده وقبَضَ على يد ند وسحبَه لينهض مضيفًا: «لكن لا تَترُكني منتظرًا طويلًا. أنا لستُ بالرجل الصَّبور».

لوهلةٍ أفعمَ إدارد ستارك وسواس مُقلِق. إن هذا مكانه، هنا في الشَّمال. تطلَّع إلى التَّماثيل الحجريَّة في كلِّ مكانٍ حوله وهو يتنفَّس بعُمقٍ في صمت السِّرداب البارد. كان باستطاعته أن يَشعُر بأعين الموتى المسلَّطة عليه، ويعرف أنهم كانوا يُصغون لما قيل... والشِّتاء قادِم.

چون

كانت هناك مرَّات -قليلةٌ وليست كثيرةً- يَشعُر فيها چون بالسُّرور لأنه نغل، وخطرَ له وهو يملأ كوب النَّبيذ من إبريقٍ يَمُرُّ به أحد الخدم أن هذه اللَّيلة قد تكون واحدةً من تلك المرَّات. هكذا استرخى في مكانه على الدِّكَّة بين مُرافِقِي الفُرسان الأقرب إليه سِنًّا ورشفَ من كوبه باستمتاع، فملأَ مذاق النَّبيذ الصَّيفي الحُلو المليء بنكهة الفاكهة فمه ورسَمَ ابتسامةً على شفتيه.

كانت قاعة وينترفل الكُبرى غائمةً من فرط الدُّخَّان وتفوح فيها رائحة اللَّحم المشوي والخُبز الطَّازج، والجدران الحَجريَّة ذات اللَّون الرَّمادي أسدِلَت عليها الرَّايات البيضاء والذَّهبيَّة والقرمزيَّة: ذِئب ستارك الرَّهيب، وَعل باراثيون المتوَّج، وأسد لانستر. كان هناك مُغَنٍّ يعزف على القيثارة السَّامية[1] ويُرَدِّد أغنيَّةً شعبيَّة، لكن هنا في هذا الرُّكن من القاعة كان صوته يكاد لا يُسمَع فوق طقطقة النَّار وجلبة الأطباق والأكواب المصنوعة من القصدير، والهمهمة الخفيضة الصَّادرة عن مئة محادثةٍ بين السَّكارى.

كانت ساعات أربع قد مرَّت منذ بدأت المأدبة التي أقيمَت ترحيبًا بالمَلك. جلسَ إخوة چون وأختاه مع الأطفال الملكيِّين أدنى المنصَّة المرفوعة التي استضافَ عليها اللورد والليدي ستارك المَلك والمَلكة.

(1) آلة موسيقيَّة من ابتكار المؤلِّف.

لا شكَّ أن أباه سيسمح لكلٍّ من أطفاله بأن يحتسي كأسًا من النَّبيذ بهذه المناسَبة، لكن لا أكثر من هذا، لكن هنا بين الدِّكَكِ لم يكن هناك ما يمنع چون من أن يروي ظمأه كما يشاء.

ولقد وجدَ أنه يملك ظمأ رجلٍ بالِغ، ما أثارَ سرور الشَّباب الخشنين من حوله، الذين حثُّوه على شُرب كوبٍ جديد كلما فرغَ من واحد. كانوا رفقةً لا بأس بها، وشعرَ چون بالاستمتاع بالحكايات التي يتبادلونها، حكايات عن الغزوات الحربيَّة والغراميَّة، وحكايات عن الصَّيد. كان على ثقةٍ بأن صُحبة رفاقه أمتع كثيرًا من صُحبة أبناء المَلك، ولقد أشبعَ فضوله نحو الزَّائرين بالفعل أثناء دخولهم، فالموكب كان يمرُّ على بُعد خطواتٍ معدودةٍ من مكانه على الدِّكَّة، وفحصَهم چون جميعًا بنظراته.

دخلَ السيِّد والده أولًا مصاحبًا المَلكة. كانت جميلةً حقًّا كما قال الرجال، يتألَّق تاج مرصَّع بالجواهر بين خصلات شَعرها الذَّهبي الطَّويل، وما فيه من زمرُّد نظير مثالي لأخضرَ عينيها. ساعدَها أبوه على الصُّعود إلى المنصَّة وقادَها إلى مقعدها، لكن المَلكة لم تُكَلِّف نفسها أن تَنظُر له مرَّةً واحدةً، وحتى في سِنِّ الرابعة عشر كان باستطاعة چون أن يرى ما وراء ابتسامتها المصطنَعة.

ثم جاءَ المَلك روبرت نفسه والليدي كاتلين تتأبَّط ذراعه. كان المَلك بمثابة خيبة أملٍ عظيمةٍ لچون، خصوصًا بعد كلام أبيه الكثير عنه... روبرت باراثيون الرجل مُنقَطِع النَّظير، شيطان الثَّالوث، أقوى مُحارِب في البلاد، العملاق بين الأمراء. غير أن چون لم يرَ إلَّا رجلًا بدينًا محمرَّ الوجه تحت لحيته، تتشرَّب ثيابه الحريريَّة العرَق الذي يتصبَّب من مسامِّه.

بعدهم جاءَ الأطفال، ريكون الصَّغير أولًا في مشيته الطَّويلة بكلِّ ما يستطيع طفل في الثالثة من عمره تدبيره من وقار، وحثَّه چون على التقدُّم عندما توقَّف عنده ليُلقي التحيَّة. بعده مباشرةً جاءَ روب وقد ارتدى الصُّوف الرَّمادي الموشَّى بالأبيض كألوان آل ستارك، والأميرة مارسلا تتأبَّط ذراعه.

كانت فتاةً نحيلةً، لم تَبلُغ الثامنة من العُمر بعد، شَعرها شلّال من الجدائل الذَّهبيَّة تحت شبكةٍ محلّاةٍ بالجواهر. لاحظَ چون النَّظرات الخجول التي كانت تَرمُق روب بها وهما يمرَّان بين الموائد، والابتسامات المستحية التي كانت تمنحه إياها، وقرَّر أنها فتاة حمقاء تافهة. روب لم يتحلَّ بالإدراك الكافي ليرى كم هي بَلهاء، وكان يبتسم كالحمقى بدوره.

اصطحبَت أختاه غير الشَّقيقتين الأميرين، آريا مع تومن الصَّغير ذي الجِسم الممتلئ الذي كان شَعره الأشقَر أطول من شَعرها، وسانزا -الأكبر منها بعامين- مع ولي العهد، الأمير چوفري باراثيون. كان في الثانية عشرة من عُمره، أصغر من چون وروب، لكن أطول من الاثنين قامةً، الأمر الذي أثار ضيق چون إلى أقصى حد. كان الأمير چوفري يملك شَعر أخته وعيني أمه الخضراوين العميقتين، وتدلَّى شَعره الأشقَر الكثيف بَعد القلادة الذَّهبيَّة التي تُطَوِّق عنقه وياقته المخمليَّة العالية. بدَت سانزا بهيَّةً حقًّا وهي تمشي إلى جواره، لكن لم تَرُقْ لچون على الإطلاق الطريقة التي يَزُمُّ بها چوفري شفتيه الممتلئتين، ولا النَّظرات الهازئة الملول التي أخذَ يَرمُق بها قاعة وينترفل الكُبرى.

كان مهتمًّا أكثر بالاثنين اللذين جاءا بعدهم. إنهما شقيقا المَلكة، الأخوان لانستر ابنا كاسترلي روك، الأسد والعِفريت. لم يكن هناك مجال للخلط بينهما. كان السير چايمي لانستر شقيق المَلكة سرسي التَّوأم، طويل القامة ذهبي الشَّعر، عيناه الخضراوان تتألَّقان وابتسامته تقطع كالسِّكِّين. كان يرتدي ثوبًا من الحرير القُرمزي وحذاءً أسودَ طويل العُنق ومعطفًا من السَّاتان الأسود، وعلى صَدر سُترته طُرِّز الأسد -شعار عائلته- بخيوطٍ ذهبيَّةٍ ليبدو كأنه يزأر بتحدٍّ.

كانوا يُخاطبونه بلقب "أسد لانستر" في وجهه، ومن وراء ظهره ينعتونه بـ"قاتِل المَلك".

وجدَ چون أن من الصَّعب حقًّا أن يُبعِد عينيه عنه، وفي قرارة نفسه فكَّر والسير چايمي يمرُّ به: *هكذا من المفترَض أن يبدو المَلك.*

ثم إنه رأى الآخَر، يمشي متمايلًا نِصف متوارٍ إلى جوار أخيه. تيريون لانستر، أصغر أبناء اللورد تايوين وأقبحهم على الإطلاق. كلُّ ما أعطته الآلهة لسرسي وچايمي حرمَت تيريون منه. كان قزما، يَبلُغ نِصف طول أخيه تقريبًا، يُكافِح ليُجاري مشية أخيه بقدميه ناقصتي النُّمو. كان رأسه كبير الحجم جدًّا مقارَنةً بجسده، وله وجه غليظ مسحوب إلى الدَّاخل تحت جبهته المنتفخة. عينٌ خضراء وعين سوداء كانتا تُحَدِّقان من تحت شَعره الخفيف الأشقَر جدًّا حتى كاد يكون أبيضَ. بدهشةٍ شديدةٍ راقبَه چون وهو يمرُّ.

آخِر من دخلَ من كبار السَّادة كان عمه بنچن ستارك رجل حَرس اللَّيل، وتابع أبيه الشَّخصي ثيون جرايچوي. منحَ بنچن چون ابتسامةً دافئةً أثناء مروره به، بينما تجاهَله ثيون تمامًا، وهو شيء ليس بالجديد على كلِّ حال. بعد أن جلسَ الجميع ورُفِعَت الأنخاب وتم توجيه الشُّكر وتلقِّيه، بدأت المأدبة.

بدأ چون يشرب من جديد ولم يتوقَّف.

احتكَّ شيء بساقه تحت المائدة، ورأى چون عينين حمراوين تُحَدِّقان فيه، فسألَ: «جُعت ثانيةً؟». كان هناك نِصف دجاجةٍ مشويةٍ بالعسل لا يزال موضوعًا في منتصف المائدة، فمَدَّ چون يده ليقطع مِنه ساقًا، ثم خطرَت له فكرة أفضل. هكذا دَسَّ سكِّينًا في الطَّائر المطهي وتركه يَسقُط على الأرض تحت قدميه، وبدأ جوست يُمَزِّقه بأسنانه بضراوةٍ صامتة. لم يكن مسموحًا لإخوته وأختيه أن يجلبوا ذِئابهم إلى المأدبة، لكن في هذا الرُّكن من القاعة كانت هناك كلاب أكثر مما يستطيع چون أن يُحصي، ولم يُعَلِّق أحد بكلمةٍ على وجود ذِئبه الصَّغير. قال لنفسه إنه محظوظ لهذا السَّبب كذلك.

شعرَ بلسعةٍ في عينيه، فحكَّهما بقوَّةٍ لاعنًا الدُّخَّان، وابتلعَ جَرعةً أخرى من النَّبيذ وراقبَ ذِئبه وهو يلتهم لحم الدَّجاجة.

تحرَّكت الكلاب بين الموائد في أثر الخادمات. واحدة منها، هجينةٌ سوداء ذات عينين صفراوين واسعتين، التقطَت رائحة الدَّجاجة، فتوقَّفت ودسَّت نفسها تحت الدِّكَّة لتنال نصيبًا من اللَّحم. راقبَ چون المواجَهة... أطلقَت الكلبة زمجرةً خفيضةً ودنَت أكثر، ورفعَ جوست عينيه بصمتٍ تامٍ وركَّز نظرات هاتين العينين الحمراوين النَّاريَّتين على الكلبة، فأطلقَتْ هي نباحًا غاضبًا مليئًا بالتحدِّي. كانت أكبر حجمًا من الذِّئب الصَّغير بثلاث مرَّاتٍ كاملة، لكن جوست لم يتحرَّك من مكانه، بل وقفَ فوق غنيمته وفغرَ فاهه ليكشف عن أنيابه. عندها توتَّرت الكلبة وأطلقَت نباحًا آخَر، ثم قرَّرت ألَّا تخوض ذلك الشِّجار، واستدارَت وانسلَّت مبتعدةً بعد أن نبحَت مرَّةً أخيرة لحِفظ ماء وجهها، بينما عادَ جوست إلى وجبته.

ابتسمَ چون ومَدَّ يده وداعبَ الفرو الأبيض المبعثَر، فرفعَ الذِّئب الرَّهيب عينيه إليه، وعضعضَ يده برِفق، ثم واصلَ الأكل.

- «أهذا أحد الذِّئاب الرَّهيبة التي سمعتُ الكثير عنها؟»، قال صوت مألوف على مقربةٍ منه، ورفعَ چون عينيه بسعادةٍ وعمُّه بن يضع يده على رأسه ويُنفش شَعره تمامًا كما فعلَ چون مع ذِئبه.

أجابَ مبتسمًا: «نعم، اسمه جوست».

قاطعَ أحد مُرافِقي الفُرسان القصَّة البذيئة التي كان چون يحكيها، ليُفسِح مكانًا على المائدة لأخي سيِّده، وجلسَ بنچن ستارك على الدِّكَّة مباعدًا بين قدميه الطويلتين، وأخذَ كوب النَّبيذ من يد چون، ثم تذوَّقه وقال: «نبيذ صيفي... لا شيء يُضاهي حلاوته. كم كوبًا شربت يا چون؟».

رَدَّ چون بابتسامة، فأطلقَ بن ستارك ضحكةً وقال: «آه، كما خشيتُ. حسن، حسن. أعتقدُ أني كنتُ أصغر منك عندما ثملتُ أول مرَّةٍ كما ينبغي

أن يكون الثَّمل»، واختطفَ بصلةً مشويَّةً يسيل منها المَرق البنِّي من على صحفةٍ قريبةٍ وقضمَ منها لتُصدِر صوت قرمشة.

كان عمُّه نحيلًا حادَّ الملامح، لكن في عينيه الزَّرقاوين المائلتين إلى الرَّمادي كانت هناك دائمًا لمحة من الضَّحك. كان مُتَّشِحًا بالأسود كما يفعل جميع رجال حَرس اللَّيل، وإن كان يرتدي اللَّيلة معطفًا مخمليًّا ثمينًا، مع حذاءٍ جِلديٍّ عالٍ وحزامٍ ذي إبزيم فضِّي، بينما طوَّقت سلسلة فضِّية ثقيلة عُنقه. راقبَ بنچن الذِّئبَ جوست باستمتاع وهو يلتهم بصلته، وقال معلِّقًا: «ذِئب هادئ للغاية».

قال چون: «إنه ليس مِثل الآخَرين، لا يُصدِر صوتًا أبدًا. لهذا سمَّيته جوست، ولأنه أبيَض كذلك. الآخَرون كلهم داكِنو اللَّون، إمَّا أسودَ أو رمادي».

قال بنچن ستارك: «ما زالت هناك ذِئاب رهيبة وراء "الجِدار". إننا نسمعها في جولاتنا»، ثم رمقَ چون بنظرةٍ طويلةٍ وسأله: «ألا تأكل مع إخوتك على المائدة عادةً؟».

أجابَ چون بلهجةٍ محايدة: «في معظم الأوقات، لكن اللَّيلة كان رأي الليدي ستارك أن جلوس نغل بين أفراد العائلة الملكيَّة قد يكون إهانةً لهم».

- «هكذا إذن». ألقى عمُّه نظرةً من وراء كتفه على المنصَّة المرفوعة في نهاية القاعة البعيدة، ثم قال: «أخي لا يبدو في مزاجٍ احتفالي اللَّيلة».

كان چون قد لاحظَ هذا بالفعل. على النَّغل أن يتعلَّم كيف يُلاحِظ الأشياء، أن يقرأ الحقائق التي يُخفيها النَّاس وراء نظراتهم. كان أبوه يُشرِف بنفسه على كلِّ المجامَلات الضروريَّة، وإن كان يبدو أنه يعاني من ضيقٍ لم يرَه چون فيه من قبل إلَّا نادرًا. كان قليل الكلام، يتطلَّع إلى أنحاء القاعة بعينين تشوَّشت فيهما الرُّؤية فلا تريان. على بُعد مقعدين كان المَلك يشرب بنهمٍ منذ بداية اللَّيلة، وتورَّد وجهه العريض بشدَّةٍ من

وراء لحيته السوداء الضَّخمة. رفعَ أنخابًا كثيرة، وضحكَ بصوتٍ مدوٍّ على كلِّ دعابة، وانقضَّ على كلِّ طبقٍ وُضِعَ أمامه كرجلٍ يتضوَّر جوعًا، بينما إلى جواره جلسَت المَلكة صامتةً باردةً كتمثالٍ من ثلج. قال چون لعمِّه بصوتٍ هادئٍ خفيض: «المَلكة غاضبة أيضًا. أبي اصطحبَ المَلك إلى السَّراديب اليوم بعد الظُّهر، لكن المَلكة لم تُرِده أن يذهب».

رمقَ بنچن ابن أخيه بنظرةٍ فاحصةٍ طويلة، ثم قال: «أشياءَ قليلة تفوتك، أليس كذلك؟ إننا في حاجةٍ إلى رجالٍ مثلك على "الجِدار"».

شعرَ چون بأنه ينتفخ من فرط الفَخر، وقال: «روب أقوى مني في استخدام الحَربة، لكني أفضل منه في القتال بالسَّيف، وهالن يقول إني أستطيعُ قيادة الخيول كأيِّ رجلٍ في هذه القلعة».

- «إنجازات بارزة».

قال چون باندفاعٍ مفاجئ: «خُذني معك عندما تعود إلى "الجِدار". سيسمح أبي بأن أذهب إذا سألته أنت، أنا واثقٌ من هذا».

تطلَّع عمُّه بنچن إلى وجهه بإمعان، وقال: «"الجِدار" مكان قاسٍ عليك يا بُني».

قال چون معترضًا: «إنني أكادُ أصبح رجلًا بالغًا. سوف أبلغُ الخامسة عشر يوم ميلادي القادِم، كما أن المِايستر لوين يقول إن النَّغل ينضج قبل الأطفال الآخَرين».

مَطَّ بنچن شفتيه وقال: «هذا صحيح»، ورفعَ كوب چون وملأه من إبريقٍ قريب، وأخذَ منه جرعةً طويلة.

قال چون: «دارن تارجاريَن كان في الرابعة عشرة فقط عندما غزا دورن». كان المَلك الملقَّب بالتنِّين الصَّغير واحدًا من أبطاله المفضَّلين.

أشارَ عمُّه بإصبعه قائلًا: «الغزوة التي دامَت صيفًا كاملًا. مَلكك الصَّبي خسرَ عشرة آلاف رجل لمجرَّد أن يستولي على المكان، ثم خمسين ألفًا في المحاولة للسيطرة عليه. كان يَجدُر بأحدهم أن يقول له إن الحرب ليست

لعبةً»، وأخذَ رشفةً أخرى من النَّبيذ وأضافَ وهو يمسح فمه: «كما أن دارن تارجارِيَن كان في الثامنة عشر فقط عندما مات، أم أنك نسيت هذا الجزء؟».

قال چون بثقة: «أنا لا أنسى شيئًا». كان النَّبيذ قد مدَّه بالجرأة، وحاولَ أن يجلسِ مستقيمًا تمامًا كي يجعل نفسه يبدو أطول. «أريدُ أن أخدم في حَرس اللَّيل يا عمَّاه».

لقد فكَّر في الأمر طويلًا وكثيرًا وهو مستلقٍ في الفِراش ليلًا وقد غاب إخوته في النَّوم حوله. روب سوف يَرِثُ ويترفل ذات يومٍ ويقود جيوشًا جرَّارةً بصفته حاكِم الشَّمال... بران وريكون سيكونان من حاملي راية روب، ويَحكُم كلٌّ منهما قلعةً باسمه... أختاه آريا وسانزا تتزوَّجان من وريثين من كُبرى العائلات الأخرى وترحلان إلى الجَنوب حيث تصير كلٌّ منهما سيِّدةً لقلعتها الخاصَّة... أيُّ مكانةٍ إذن يتطلَّع النَّغل إليها؟

- «أنت لا تعي ما تَطلُبه يا چون. حَرس اللَّيل إخوان تحت القَسم، ليست لدينا عائلات، ولا أحد منا سيُنجِب أبناء أبدًا. زوجتنا هي الواجب، وعشيقتنا هي الشَّرف».

قال چون: «حتى النَّغل يستطيع أن ينال الشَّرف في مكانٍ ما. أنا مستعدٌّ لأن أُقسِم قَسمكم».

قال بنچن: «أنت صبي في الرابعة عشر، ولست رجلًا، ليس بعد. لن تستوعب أبدًا ما ستتخلَّى عنه حتى تعرف امرأةً ما».

صاحَ چون بحرارة: «لا أبالي بهذا!».

غمغمَ بنچن برفق: «قد تُبالي إذا عرفت معناه. لو علمت ما سيُكَلِّفك إياه هذا القَسم، فقد تخبو حماستك لدفع الثَّمن يا بُني».

شعرَ چون بالغضب يتمكَّن منه، وهتفَ: «أنا لستُ ابنك!».

نهضَ بنچن ستارك قائلًا: «وهذا ما يُرثى له أكثر»، ووضعَ يده على كتف چون مُردِفًا: «كلِّمني عندما تُنجِب بضعة أبناء غير شرعيِّين بنفسك، وسنرى كيف تَشعُر حينها».

ارتجفَ جون وقال ببطء: «لن أنجِب أبناءً غير شرعيِّين أبدًا»، ورمقَ عمَّه مكرِّرًا الكلمة كأنه يَبصُق سُمًّا من فمه: «أبدًا!».

لاحظَ فجأةً أن جميع الجالسين إلى المائدة قد لاذوا بالصَّمت ويُحَدِّقون فيه، وشعرَ بالدُّموع تتجمَّع في عينيه، فدفعَ نفسه ناهضًا من مكانه.

- «أستأذنكم»، قال بما تبقَّى لديه من كرامة، ودارَ على عقبيه واندفعَ مغادرًا قبل أن يروه يبكي. لكن يبدو أنه شربَ نبيذًا أكثر مما حسبَ، فقد اشتبكَت قدماه تحته وهو يُحاوِل الانصراف، وترنَّح جانبًا ليرتطم بواحدةٍ من الخادمات ليَسقُط إبريق النَّبيذ المتبَّل الذي تحمله ويتحطَّم على الأرض. دوَّت الضَّحكات من حوله، وشعرَ جون بالدُّموع السَّاخنة تسيل على وجنتيه. حاولَ أحدهم مساعَدته على الوقوف، لكنه تملَّص منه بعنفٍ وركضَ دون أن يرى تقريبًا نحو الباب، وتحرَّك جوست في أعقابه ليَخرُج معه إلى ظلام اللَّيل.

كانت السَّاحة خالية هادئة، ووقفَ حارس وحيد عاليًا في شُرفة حِصن الجِدار الدَّاخلي، وقد ضَمَّ معطفه حول جسده بإحكام ليتَّقي البَرد. بدا ضَجِرًا بائسًا وهو رابض هناك وحده، لكن جون كان ليتبادل الأماكن معه في غمضة عين. فيما عدا ذلك كانت القلعة مظلمةً مهجورةً. كان جون قد رأى قلعةً مهجورةً ذات مرَّة، مكانًا كئيبًا موحشًا لا يتحرَّك شيء فيه غير الرِّياح ولا تُفصِح فيه الحجارة عن شيءٍ عن كلِّ من عاشوا هناك. اللَّيلة ذكَّرته وينترفل بتلك القلعة.

جاءَت أصوات الموسيقى والأغاني من النَّافذة من ورائه، وكانت آخِر ما يرغب جون في سماعه. مسحَ دموعه بكُمِّ قميصه شاعرًا بالغضب الشَّديد لأنه تركها تَسقُط، واستدارَ ليُغادِر المكان.

- «أيها الصَّبي»، ناداه الصَّوت فالتفتَ جون. كان تيريون لانستر جالسًا

على الإفريز فوق باب القاعة الكُبرى، ليبدو كالكراجل[1] من مكانه هذا. ابتسمَ القزم وهو يَرمُقه من أعلى قائلًا: «هذا الحيوان، أهو ذِئب؟».

قال چون: «ذِئب رهيب. اسمه جوست»، ونظرَ إلى الرجل الصَّغير وقد نسي خيبة أمله فجأةً، وسأله: «ماذا تفعل عندك؟ لماذا لست مع الآخَرين في المأدبة؟».

أجابَ القزم: «الكثير من الحَر والكثير من الضَّوضاء، كما أني شربتُ الكثير جدًّا من النَّبيذ. لقد تعلَّمتُ منذ زمنٍ طويل أن من الحماقة أن تتقيَّأ على أخيك. هل تسمح أن ألقي نظرةً أقرب على ذِئبك؟».

تردَّد چون، ثم هَزَّ رأسه ببطء وقال: «هل تستطيع النُّزول أم أحضِر لك سُلَّمًا؟».

قال الرجل الصَّغير: «لا عليك بهذا السُّخف»، ودفعَ نفسه من مكانه على الإفريز في الهواء المفتوح، فشهقَ چون وشاهدَ بانبهارٍ إذ دارَ تيريون لانستر كالكُرة ثم هبط بخفَّةٍ على يديه، قبل أن يثب إلى الخلف ليستقرَّ على قدميه.

وتراجعَ جوست مبتعدًا عنه بتوتُّر.

نفضَ القزم الغبار عن نفسه وضحكَ قائلًا: «أعتقدُ أني أخفتُ ذِئبك. تقبَّل اعتذاري».

قال چون: «إنه ليس خائفًا»، وركعَ ونادى: «جوست، تعالَ، تعالَ هنا، هَلُمَّ».

اقتربَ الذِّئب الصَّغير منه وحَكَّ أنفه بوجه چون، لكنه ظَلَّ يُراقِب تيريون لانستر بعينين حذرتين، وعندما مَدَّ القزم يده ليُداعِبه، تراجعَ وكشفَ عن أنيابه مُطلِقًا زمجرةً صامتة، فقال لانستر: «يبدو أنه خجول، أليس كذلك؟».

---

(1) الكرجل حيوان أسطوري تم تصويره في منحوتات عدَّة، وبالأخص على الجدران الخارجيَّة لعددٍ من كنائس العصور الوُسطى على شكل ميزاب ناتئ.

قال چون آمرًا: «جوست، اجلس. نعم، هكذا، اثبت في مكانك»، ثم رفعَ عينيه إلى القزم وقال: «يُمكنك أن تلمسه الآن. لن يتحرَّك حتى آمره. إنني أدرِّبه منذ فترة».

غمغمَ لانستر: «مفهوم»، وداعبَ الفرو الأبيض كالثَّلج بين أُذني جوست، وقال: «ذِئب لطيف».

قال چون: «لو لم أكن هنا لمزَّق عُنقك». لم يكن هذا صحيحًا بعد في الحقيقة، لكنه سيكون كذلك.

قال القزم: «من الأفضل أن تبقى قريبًا إذن في هذه الحالة»، وحنى رأسه الكبير إلى الجانب ورمقَ چون بعينيه غير المتماثلتين وقال: «أنا تيريون لانستر».

- «أعرفُ»، قالها چون ونهضَ. كان أطول قامةً من القزم وهو واقفٌ على قدميه، ما جعله يَشعُر بشعورٍ غريب.

- «أنت نغل ند ستارك، أليس كذلك؟».

شعرَ چون ببرودةٍ تسري في جسده، فضغطَ شفتيه معًا ولم يقل شيئًا.

قال لانستر: «هل ضايقتك؟ معذرةً، لكن ليس من الضروري أن يكون الأقزام لبقين. أجيال من المهرِّجين المتواثبين في ثيابهم متنافرة الألوان منحَتني الحقَّ في أن أرتدي ملابس غير لائقةٍ وأقول أيَّ شيءٍ يَخطُر على بالي»، وابتسمَ مُردِفًا: «لكنك النَّغل رغم كلِّ شيء».

قال چون بجمود: «اللورد إدارد ستارك أبي».

تطلَّع القزم لانستر إلى ملامحه وقال: «نعم، أستطيعُ أن أرى هذا. إن فيك من الشَّمال أكثر من إخوتك».

- «إخوتي غير الأشقَّاء». كان مسرورًا من تعليق القزم الأخير، لكنه أخفى شعوره هذا.

قال لانستر: «دعني أعطيك نصيحةً صغيرةً أيها النَّغل. إياك أن تنسى

ماذا تكون أبدًا، لأن العالم بكلِّ تأكيد لن ينسى. اجعل من هذا قوَّتك، فلا يكون نقطة ضعفٍ لك أبدًا. درِّع نفسك بهذه الحقيقة ولن تُستَخدم لأذيَّتك أبدًا».

لم يكن چون في مزاجٍ لأيِّ نصائحٍ من أحد، وقال بحدَّة: «ما الذي تعرفه عن كون أحدهم نغلًا؟».

- «كلّ قزمٍ في العالم نغلٌ في عيني أبيه».

- «لقد ولدَتك أمك ابنًا شرعيًّا لعائلة لانستر».

قال القزم بتهكُّم: «أأنا كذلك حقًّا؟ قُل هذا لأبي إذن من فضلك. لقد ماتت أمي وهي تلدني، وهو لم يثق قَطُّ بكوني ابنه».

قال چون: «أنا لا أعرفُ من كانت أمي أصلًا».

- «كانت امرأةً ما لا شك. معظمهنَّ كذلك»، ورمقَ چون بابتسامةٍ حزينةٍ وقال: «تذكَّر هذا أيها الصَّبي. قد يكون كلُّ قزم نغلًا، لكن ليس من المحتَّم أن يكون كلُّ نغلٍ قزما». قالها واستدارَ واتَّجه متهاديًا صوب المأدبة وهو يُصَفِّر لحنًا ما. عندما فتحَ الباب، ألقى الضوء القادم من الدَّاخل ظلَّه عبر السَّاحة، وللحظةٍ عابرةٍ وقفَ تيريون لانستر مديد القامة كمَلك.

كاتلين

من بين جميع الغُرف في حصن وينترفل الكبير كان مخدع كاتلين الأعلى حرارةً، فنادرًا ما احتاجَت لأن تُشعِل نارًا تتدفَّأ بها. كانت القلعة مشيَّدةً فوق ينابيع ساخنة طبيعيَّة، فتتدفَّق مياهٌ تغلي بين جدرانها وغُرفها كالدِّماء في عروق إنسان، لتَطرُد البَرد من الحجارة وتملأ الدَّفيئة الزُّجاجيَّة بحرارةٍ معتدلةٍ رَطبة وتحول دون تجمُّد التُّربة. كان البُخار يتصاعَد ليلًا نهارًا من البِرَك المفتوحة في دستةٍ من السَّاحات الصَّغيرة المنتشرة في أنحاء القلعة. لم يكن هذا يُمَثِّل الكثير في الصَّيف، لكن في الشِّتاء كان يعني الفارق بين الحياة والموت.

كان حمَّام كاتلين ساخنًا دائمًا، لا يكفُّ البُخار عن التصاعُد من مائه، والجدران المحيطة بها دافئة الملمس. ذكَّرها الدِّفء بريفررَن، في الأيام التي قضَتها تحت الشَّمس مع لايسا وإدميور، بينا لا يطيق ند الحَرَّ أبدًا. كان يقول لها إن أبناء ستارك مخلوقون للبَرد، فكانت تضحك وتقول له إن ذلك لو كان صحيحًا، فقد اختاروا بناء قلعتهم في المكان الخطأ.

عندما فرغا، انزاحَ ند من فوقها ونهضَ من الفِراش كما فعلَ ألف مرَّةٍ من قبل، وعبرَ الغُرفة ليزيح السَّتائر الثَّقيلة المزدانة بالرُّسوم، وبدأ يفتح النَّوافذ الضيِّقة العالية واحدةً تلو الأخرى، ليَدخُل هواء اللَّيل إلى الغُرفة.

دارَت الرِّيح حوله وهو واقف يُواجِه الظَّلام عاريًا خاوي اليدين، بينما سحبَت كاتلين الأغطية المصنوعة من الفرو إلى ذَقنها وراقبَته بصمت.

بشكلٍ ما كان يبدو أصغرَ وأكثر هشاشةً، أقرب إلى الشَّاب الذي عُقِدَ قرانها عليه في السِّپت في ريڤرَرَن منذ خمس عشرة سنة طويلة. كانت لا تزال تَشعُر وجعًا بين ساقيها من جرَّاء خشونة وِقاعه لها. كان وجعًا من النَّوع الجيِّد، وكانت تَشعُر ببِذرته في أحشائها، فتمنَّت بأن تستحيل إلى جنينٍ يَرتَكِض في بطنها. لقد مضت ثلاثة أعوام منذ ولادة ريكون، وهي ليست مُسِنَّةً بعد، وتستطيع أن تُعطيه ابنًا آخَر.

- «سأرفضُ»، قال ند وهو يلتفت إليها بعينين مُثقَلتين بالهموم وصمتٍ مفعم بالشَّك.

اعتدلَت كاتلين جالسةً في الفِراش وقالت: «لا يُمكنك أن تفعل هذا، ولا ينبغي أن تفعله».

- «واجباتي هنا في الشَّمال، وليست لديَّ رغبة في أن أصير يَدَ روبرت».

- «روبرت لن يفهم هذا. إنه مَلك الآن، والملوك ليسوا كغيرهم. إذا رفضت أن تخدمه، سيتساءل عن السَّبب، وعاجلًا أو آجلًا ستنتابه الشُّكوك في أنك تُعارِضه. ألا ترى الخطر الذي ستضعنا فيه؟».

هَزَّ ند رأسه برفض من لا يُصَدِّق، وقال: «روبرت لا يُمكنه أن يمسَّني أو يمسَّ أحدًا من أهلي بسوء. لقد كنا أقرب من أخوين، وهو يُحِبُّني. إذا رفضتُ، سيرغي ويزبد، ثم بعد أسبوعٍ واحد سنضحك من الأمر كله معًا. إنني أعرفُ هذا الرجل!».

- «كنت تعرف الرجل، لكن المَلك شخص غريب عليك». تذكَّرت كاتلين أنثى الذِّئب الرَّهيب الميتة بين الثُّلوج، والقَرن المكسور المغروس في عُمق حَلقها. عليها أن تجعله يرى ما لا يراه. «الكبرياء تعني كلَّ شيءٍ للملوك يا سيِّدي، وروبرت قطعَ كلَّ تلك المسافة ليراك، ليخلع عليك تكريمه لك بشتَّى الأساليب، ولا يُمكنك أن تُلقي بهذا في وجهه ثانيةً».

قال ند بمرارة: «تكريمه؟».

- «في رأيه هو، نعم».

- «وفي رأيك؟».

قالت محتدَّةً وقد بدأت تغضب: «وفي رأيي». *لماذا لا يرى؟* «إنه يعرض زواج ابنه نفسه بابنتنا، فماذا يكون هذا غير تكريم؟ سانزا قد تصير مَلكةً ذات يوم، أبناؤها قد يَحكُمون من "الجِدار" وحتى جبال دورن. ما السيِّئ في كلِّ هذا؟».

قال ند: «بحقِّ الآلهة يا كاتلين، سانزا ما زالت في الحادية عشرة، وچوفري... چوفري...».

أكملَت هي عبارته قائلةً: «... ولي العَهد، ووريث العَرش الحديدي، ولا تنسَ أني كنت في الثانية عشرة لا أكثر عندما وعدَني أبي لأخيك براندون».

لوى ند فمه بضيق وقال: «براندون، نعم... براندون كان سيعرف ماذا يفعل كما كانت عادته دائمًا. كان من المفترَض أن يؤول كلُّ شيءٍ لبراندون، أنتِ، وينترفل، كلُّ شيء. لقد وُلِدَ ليكون يدًا لمَلكٍ وأبًا لمَلكات. أنا لم أطلب قَطُّ أن أشرب من هذه الكأس».

قالت كاتلين: «ربما لا، لكن براندون ماتَ والكأس في يدك بالفعل، ويجب أن تشرب منها راقَ لك هذا أم لم يَرُقْ».

أشاحَ ند بوجهه عنها عائدًا إلى اللَّيل، ووقفَ يُحَدِّق في الظَّلام ويُراقِب القَمر والنُّجوم ربما، أو ربما الحَرس على الأسوار.

رقَّت حدَّة كاتلين عندها وقد رأت ألمه. كان إدارد ستارك قد تزوَّجها بدلًا من براندون كما تنصُّ الأعراف، لكن ظِلَّ أخيه الميت كان لا يزال يحول بينهما كظِلٍّ تلك الأخرى، المرأة التي يَرفُض أن يقول اسمها، المرأة التي أنجبَت له ابنه غير الشَّرعي.

كانت على وشك النُّهوض والذَّهاب إليه عندما جاءَت من الباب دقَّة مرتفعة غير متوقَّعة، فالتفتَ ند مُقَطِّبًا جبينه وقال: «ماذا هناك؟».

جاءَ صوت دزموند من وراء الباب يقول: «سيِّدي، المِايستر لوين في الخارج ويرغب في المثول أمامك في الحال».

- «هل أخبرته بأني تركتُ أوامر بألّا يُزعِجني أحد؟».
- «نعم يا سيِّدي، لكنه مُصِر».
- «ليكن، دعه يَدخُل».

قطعَ ند الغُرفة إلى صوان الملابس ووضعَ معطفًا ثقيلًا، ولاحظَت كاتلين فجأةً أن البَرد قد صارَ قويًّا فعلًا. عادَت تعتدل جالسةً في الفِراش وسحبَت الأغطية إلى ذَقنها، وقالت: «لعلَّ من الأفضل أن نُغلِق النَّوافذ».

هَزَّ ند رأسه بشرود، بينما دلفَ المِايستر لوين إلى الغُرفة. كان رجلًا أشيبَ صغير الحجم، عيناه رماديَّتان سريعتان الملاحَظة، ورأيتا الكثير. القليل الذي تركه الزَّمن من شَعره كان أبيضَ، وكان يرتدي معطفًا من الصُّوف الرَّمادي المبطَّن بالفرو الأبيض كألوان عائلة ستارك. كان للمعطف كُمَّان فضفاضان يَضُمَّان جيوبًا خفيَّة داخلهما، فكان لوين دائمًا ما يدسُّ في الكُمَّين أشياءَ ويُخرِج أشياءَ... كُتب، رسائل، أدوات غريبة، لُعب للأطفال. مع كلِّ هذه الأشياء التي يُخفيها المِايستر لوين في كُمَّيه كانت كاتلين تَشعُر بالدَّهشة من أنه يستطيع أن يرفع ذراعيه أصلًا.

انتظرَ المِايستر حتى انغلقَ الباب وراءه قبل أن يتكلَّم موجِّهًا كلامه لند: «أعتذرُ على إزعاجك وقت راحتك يا سيِّدي، لكن هناك رسالة تُرِكَت لي».

بدا ند متكدِّرًا وهو يقول: «تُرِكَت؟ ومن تركها؟ هل جاءَ مرسال؟ لم يُبلِغني أحد بهذا».

- «لم يأتِ أيُّ مرسال يا سيِّدي، فقط صندوق خشبي منقوش تركَه أحدهم على منضدة في مرصادي وأنا غافٍ. لم يرَ خدمي أحدًا، لكن لا بُدَّ أن من جاءَ به موجود في موكب المَلك، لأننا لم نستقبل أيَّ زائرين آخَرين من الجَنوب».

قالت كاتلين: «صندوق خشبي تقول؟».

- «في داخله كانت عدسة جديدة ممتازة للمرصاد، من مير كما يبدو من شكلها. صُنَّاع العدسات في مير لا نظير لهم».

عقدَ ند حاجبيه. كانت كاتلين تعرف أنه لا يملك الكثير من الصَّبر على تلك الأشياء. «عدسة؟ وما شأن هذا بي؟».

قال المِايستر لوين: «لقد سألتُ السؤال نفسه. كان من الواضح أن المسألة تنطوي على ما هو أكثر».

ارتجفَت كاتلين تحت الأغطية الثَّقيلة وقالت: «العدسة أداة تُساعِدنا على الرُّؤية».

- «بالفعل»، قال المِايستر وهو يُداعِب طوق جماعته، السِّلسلة الثَّقيلة المثبَّتة تحت المعطف، وكلُّ حلقةٍ فيها مصنوعة من معدنٍ مختلف.

شعرَت كاتلين بالخوف يتحرَّك في داخلها من جديد وهي تقول: «وما الذي يريدوننا أن نراه بوضوحٍ أكثر؟».

- «هذا أيضًا سألته»، وسحبَ المِايستر لوين ورقةً ملفوفةً بإحكامٍ من كُمِّه وأردفَ: «وجدتُ الرِّسالة الحقيقيَّة مخفيَّةً داخل قاعٍ زائف عندما فككتُ الصُّندوق الذي جاءَت فيه العدسة، لكن الرِّسالة ليست لي لأقرأها».

مَدَّ ند يده قائلًا: «ناوِلني إياها إذن».

لم يتحرَّك لوين من مكانه، وقال: «معذرةً يا سيِّدي، لكن الرِّسالة ليست لك كذلك. إنها لعيني الليدي كاتلين وحدها. هل تسمحين أن أقترب يا سيِّدتي؟».

هزَّت كاتلين رأسها غير واثقةٍ ماذا تقول، ووضعَ المِايستر الورقة على الطاولة المجاورة للفِراش. كانت مختومةً بشمعٍ أزرقَ.

انحنى لوين وبدأ يتراجع، لكن ند قال آمرًا بصوتٍ عابس: «لا تُغادِر»، ثم التفتَ إلى كاتلين وسألها: «ماذا هناك يا سيِّدتي؟ إنك ترتجفين».

قالت معترفةً: «لأني خائفة»، ومدَّت يدها المرتجفة لتلتقط الرِّسالة، فسقطَت الأغطية الفرو لتكشف عن عُريها دون أن تُلاحِظ. في الشَّمع الأزرق كان خَتم عائلة آرن الذي يُصَوِّر القَمر والصَّقر، فقالت كاتلين: «إنها من لايسا»، ثم رفعَت عينيها إلى زوجها وأضافَت: «هذه الرِّسالة لا تحمل لنا أخبارًا سارَّة. ثمَّة حُزن في هذه الرِّسالة يا ند، يُمكنني أن أشعر به».

قال زوجها والعبوس لم يُفارِق صوته أو ملامحه: «افتحيها».

وكسرَت كاتلين الخَتم.

جرَت عيناها على الكلمات. في البداية لم تكن تحمل أيَّ معنى لها، ثم إنها تذكَّرت شيئًا وقالت: «لايسا لم تُجازِف بافتضاح فحوى الرِّسالة. لايسا وأنا كانت لدينا لُغة سرِّيَّة نستخدمها معًا عندما كنا صغيرتين».

- «هل تستطيعين قراءتها؟».

- «نعم».

- «أخبِرينا إذن».

قال المِايستر لوين: «ربما يَجدُر بي أن أغادر».

قالت كاتلين: «كلا، سنحتاج إلى مشورتك»، وأزاحَت الأغطية ونهضَت من الفِراش. كان هواء اللَّيل باردًا كالقبر على بشرتها العارية وهي تقطع الغُرفة. غَضَّ المِايستر لوين بصره، وحتى ند بدا مصدومًا وهو يسألها: «ماذا تفعلين؟».

قالت: «سأشعلُ نارًا»، والتقطَت معطفًا دسَّت نفسها فيه، ثم مالت على المدفأة الباردة.

قال ند للرَّجل المُسِن: «مِايستر لوين...»، لكنها قاطعَته بقولها: «المِايستر لوين ولَّد جميع أبنائي. الوقت ليس مناسبًا للخجل الزَّائف»، ودسَّت الورقة بين الحطب ووضعَت القِطع الثَّقيلة فوقها.

عبرَ ند الغُرفة وأمسكها من ذراعها وسحبَها لتقف، ثم قال بإلحاح

ووجهه قريب جدًّا من وجهها: «أخبريني يا سيِّدتي، ماذا كان في الرِّسالة؟».

تجمَّدت كاتلين في مكانها وقالت بصوتٍ خفيض: «تحذير، إذا كنا نملك ما يكفي من حصافةٍ لنسمع».

أمعنَ النَّظر إلى وجهها قائلًا: «أكملي».

- «لايسا تقول إن چون آرن ماتَ قتيلًا».

ضاقَت أصابعه حول ذراعها وهو يقول: «ومن قتله؟».

- «آل لانستر، المَلكة».

أطلقَ ند سراح ذراعها لتَترُك أصابعه علاماتٍ حمراء عميقة في جِلدها، وهمسَ: «أختك سقيمة من فرط الحُزن بحقِّ الآلهة. إنها لا تدري ماذا تقول».

قالت كاتلين: «بل تدري. لايسا مندفعة، نعم، لكن هذه الرِّسالة كانت مرتَّبةً ومخفيَّةً بعنايةٍ شديدة. لا بُدَّ أنها كانت تعرف أن الرِّسالة تعني موتها إذا وقعَت في اليد الخطأ. هذه المجازَفة الكبيرة منها تعني أنها تملك أكثر من مجرَّد شكوك»، ثم رمقَت زوجها وقال: «الآن ليس لدينا خيار فعلًا. لا بُدَّ أن تُصبِح يَدَ روبرت. لا بُدَّ أن تذهب جَنوبًا معه وتعرف الحقيقة».

رأت على الفور أن ند قد بلغَ نتيجةً مختلفةً تمامًا. «الحقائق الوحيدة التي أعرفها موجودة هنا. الجَنوب وكر أفاعٍ حريٌّ بي أن أتحاشاه».

شَدَّ لوين طوقه المسلسل حيث حَكَّ جِلد عُنقه الرَّقيق، وقال: «يَدُ المَلك يحوز سُلطاتٍ ضخمةً يا سيِّدي، سُلطاتٍ تتيح له العثور على حقيقة موت اللورد آرن ووضع قتلته أمام عدالة المَلك، سُلطاتٍ تكفي لحماية الليدي آرن وابنها إذا وقعَ الأسوأ».

دارَ ند بعينيه ببؤسٍ في الغُرفة، وشعرَت كاتلين بقلبها يتوجَّع من أجله، لكنها لم تكن تستطيع الذِّهاب إليه واحتواءه بذراعيها الآن. لا بُدَّ

من الحصول على هذا الانتصار أولًا من أجل أطفالها. «تقول إنك تُحِب روبرت كأخ، فهل تَترُك أخاك محاطًا بآل لانستر؟».

غمغمَ ند متجهِّمًا: «فليأخذكما "الآخَرون" معًا»، وأدارَ وجهه عن الاثنين إلى النَّافذة. لم تنطق كاتلين أو المِايستر، وانتظرا صامتَيْن بينما ردَّد إدارد ستارك وداعًا صامتًا للبيت الذي أحبَّه، وعندما عادَ يلتفت إليهما من جديدٍ أخيرًا، كان صوته متعَبًا ومفعمًا بالكآبة، والتمعَ البلل بخفوتٍ في رُكني عينيه. «لقد ذهبَ أبي جَنوبًا ذات مرَّةٍ ليُلَبِّي نداء مَلك، ولم يَعد بعدها قَطُّ».

قال المِايستر لوين: «في زمنٍ مختلف مع مَلكٍ مختلف».

- «أجل»، قال ند بفتور وهو يجلس في كرسيٍّ إلى جوار المدفأة، ثم خاطبَ زوجته قائلًا: «كاتلين، ستبقين هنا في وينترفل».

كانت كلماته كتيَّار هواءٍ مثلَّج اخترقَ قلبها، وقالت: «لا» وقد انتابها الخوف فجأةً. أهذا عقابها؟ ألَّا ترى وجهه مرَّةً أخرى أو تَشعُر بذراعيه حولها؟

قال ند بلهجةٍ لا تحتمل نقاشًا: «نعم. يجب أن تَحكُمي الشَّمال في مكاني بينما أديرُ شؤون روبرت. ينبغي أن يكون هناك ستارك دائمًا في وينترفل. روب في الرابعة عشرة، وسيصير رجلًا بالغًا عمَّا قريب. يجب أن يتعلَّم كيف يَحكُم، وأنا لن أكون موجودًا لأعلِّمه. أشرِكيه في مجالسك، فيجب أن يكون مستعدًّا عندما يحين وقته».

غمغمَ المِايستر: «بَعد عُمرٍ طويل بمشيئة الآلهة».

- «مِايستر لوين، إنني أثقُ بك كما أثقُ بمن هُم من دمي. أعطِ زوجتي صوتك في كلِّ الشُّؤون، كبيرها وصغيرها، وعلِّم ابني ما يحتاج أن يتعلَّمه. إن الشِّتاء قادِم».

هَزَّ الرجل رأسه برزانة، ثم رانَ الصَّمت على الغُرفة، إلى أن عثرت

كاتلين على شَجاعتها وألقت السُّؤال الذي كانت تخشى إجابته أكثر من أيِّ شيءٍ آخَر: «وماذا عن بقيَّة الأطفال؟».

نهضَ ند واحتواها بين ذراعيه، ورفعَ وجهها بالقُرب من وجهه وقال برِفق: «ريكون صغير جدًّا، ويجب أن يبقى هنا مع روب. الآخَرون سآخذهم معي».

قالت كاتلين مرتجفةً: «لن أحتمل هذا».

- «يجب أن تفعلي. سانزا ستتزوَّج چوفري. هذا واضح الآن، فلا يجب أن نُعطيهم سببًا للشَّكِّ في إخلاصنا. كما أن آريا كان من المفترَض أن تتعلَّم أساليب الحياة في بلاطٍ جَنوبي منذ زمن. سوف تَبلُغ سِنَّ الزَّواج خلال سنواتٍ قليلة هي الأخرى».

قالت كاتلين لنفسها إن سانزا ستتألَّق حقًّا في الجَنوب، لكن تعلم الآلهة أن آريا في حاجةٍ إلى تهذيبٍ حقيقي. على مضضٍ تخلَّت عن وجودهما بالقُرب منها في قلبها، لكن ليس بران، إلَّا بران. هكذا قالت: «أنت على حق، لكن أرجوك يا ند، أستحلفك بحُبِّك لي أن تدع بران يبقى هنا في وينترفل. إنه في السَّابعة فحسب».

أجابَ ند: «لقد كنتُ في الثَّامنة عندما أرسلَني أبي لأنشأ في "العُش". السير رودريك يقول لي إن هناك مشاعر سيِّئة بين روب والأمير چوفري، وهذا ليس صحيًّا. بران يستطيع اختصار تلك المسافة بينهما. إنه ولد جميل، سريع الضَّحك ويَسهُل على أيِّ أحدٍ أن يُحِبَّه. دعيه ينشأ مع الأميرين الصَّغيرين، دعيه يكون صديقًا لهما كما كان روبرت صديقي. ستكون عائلتنا أكثر أمنًا هكذا».

كانت كاتلين تعرف أنه مُحِقٌّ، لكن هذا لم يُخَفِّف وطأة الألم. سوف تفقد أربعتهم إذن... ند والفتاتين وبران المُحِب الجميل، ولن يتبقَّى لها غير روب وريكون الصَّغير. كانت تَشعر بالوحدة الآن بالفعل. وينترفل

مكان شاسع حقًّا. أخيرًا قالت رابطةً جأشها: «أبقه بعيدًا عن الجدران إذن. أنت تعلم كم يُحِبُّ بران التسلُّق».

لثَّم ند العبرات في عينيها قبل أن تسيل على وجهها، وهمسَ: «أشكرك يا سيِّدتي. أعرفُ أن هذا عسير عليك».

سألَ المِايستر لوين: «وماذا عن چون سنو يا سيِّدي؟».

توتَّرت كاتلين مع ذِكر الاسم، وشعرَ ند بالغضب في داخلها وأبعدَها عنه.

رجالٌ كثيرون كانوا يُنجِبون أبناءً غير شرعيِّين، وكاتلين نشأت مدركةً تلك الحقيقة، ولذا لم تندهش لمَّا عرفت أن ند في عام زواجهما الأول قد أنجبَ طفلًا غير شرعي من فتاةٍ عابرةٍ التقى بها في حملةٍ عسكريَّة. كان يملك احتياجات رجلٍ رغم كلِّ شيء، وقد قضيا ذلك العام بعيدين عن بعضهما البعض مع ذهاب ند إلى الحرب في الجَنوب وبقائها آمنةً في قلعة أبيها في ريڤررَن. كانت أفكارها مركَّزةً على روب الرَّضيع الذي يلتقم ثديها أكثر من الزَّوج الذي تكاد لا تعرفه. هنيئًا له بأيِّ سلوى يجدها بين المعارك، وكانت تتوقَّع منه أن يعنى باحتياجات الطفل إذا أنجبَت له أخرى طفلًا بالفعل. ولقد فعلَ أكثر من ذلك، فرجال ستارك ليسوا كأيِّ رجالٍ آخَرين. أحضرَ ند ابنه غير الشَّرعي معه إلى وينترفل، وكان يُخاطِبه دائمًا بـ«يا بني» كي يشهد الشَّمال كله. عندما انتهَت الحروب أخيرًا وذهبَت كاتلين إلى وينترفل، كان چون ومُرضِعته قد أصبحا من ساكني المكان بالفعل.

كان الجرح عميقًا. لم يكن ند يتكلَّم عن الأم أبدًا، ولا ينبس بكلمةٍ واحدةٍ عنها حتى، لكن ليست هناك أسرار في القلعة، وكاتلين سمعت خادماتها يُـرَدِّدن الحكايات التي سمعنها من أزواجهن الجنود. كن يتهامسن عن السير آرثر داين الملقَّب بـ"سيف الصَّباح"، أضرى فُرسان حَرس إيرس تارجاريَن المَلكي السَّبعة، وكيف قتله في نِزالٍ فردي، ويقلن

كيف حملَ ند بعدها سيف السير آرثر إلى أخته الجميلة التي كانت تنتظره في قلعةٍ اسمها ستارفول على ساحل بَحر الصَّيف... الليدي أشارا داين الحسناء الطَّويلة ذات العينين البنفسجيَّتين الآسرتين. استغرقَت كاتلين ما يَقرُب من أسبوعين كي تستجمع شَجاعتها، وأخيرًا كانت في الفِراش إلى جوار زوجها ذات ليلةٍ عندما سألته ووجهها في وجهه عن الحقيقة.

كانت تلك هي المرَّة الوحيدة في سنينهما معًا التي شعرَت فيها بالخوف من ند. ليلتها قال بصوتٍ تُحاكي برودته الثَّلج: «إياكِ أن تسأليني عن چون. إنه من دمي، وهذا هو كلُّ ما تحتاجين معرفته. والآن سأعرفُ منكِ أين سمعتِ ذلك الاسم يا سيِّدتي». كانت قد تعهَّدت بطاعته، ومنذ ذلك الحين توقَّف الهَمس تمامًا، ولم يُسمَع اسم الليدي أشارا داين في وينترفل بعدها أبدًا.

أيًّا كانت أم چون، فلا ريب أن ند قد أحبَّها بشدَّة، لأن لا شيء قالته كاتلين نجحَ في إقناعه بأن يصرف الصَّبي من المكان. كان هذا هو الشيء الوحيد الذي لا تستطيع أن تغفره له. إنها تُحِبُّ زوجها من كلِّ قلبها، لكنها لم تستطِع أن تجد في قلبها أيَّ محبَّةٍ لچون. كان بوسعها أن تتجاهَل وجود دستة من الأبناء غير الشرعيِّين من أجل خاطِر ند، فقط إذا كانوا بعيدين عن نظرها. لكن چون لم يكن بعيدًا عن الأنظار قَطُّ، ومع نموِّه صارَ أشبه بند أكثر من أيٍّ من أبنائه الشرعيِّين الذين حملتهم له، وبشكلٍ ما جعلَ هذا الأمر أسوأ. هكذا قالت: «چون يجب أن يُغادِر».

قال ند: «هو وروب قريبان، وكنتُ آملُ أن...».

قاطعَته كاتلين بعصبيَّة: «لا يُمكنه أن يبقى هنا. إنه ابنك أنت وليس ابني، ولن أسمح بأن يظلَّ هنا». كانت تعرف أن ما تقوله صعب، لكنها الحقيقة في الآن نفسه. ند لن يُسدي للصَّبي أيَّ معروفٍ بجعله يبقى هنا في وينترفل.

كانت النَّظرة التي رمقَها ند بها شديدة الألم وهو يقول: «أنتِ تعرفين

أني لا أستطيعُ أن آخذه معي جَنوبًا، فلن يكون هناك مكان له في البلاط. صبيٌّ يحمل لقب نغل... تعرفين ما سيقولونه عنه. سيكون منبوذًا هناك».

صفَّحت كاتلين قلبها ضد التوسُّل الصَّامت في نظرات زوجها، وقالت: «يقولون إن صديقك روبرت أنجبَ دستةً من الأبناء غير الشرعيِّين عن نفسه».

قال ند غاضبًا: «ولم يَحدُث أن شوهد واحد منهم في البلاط من قبل! لقد تأكَّدت ابنة لانستر من عدم حدوث ذلك. كيف يُمكنك أن تكوني بتلك القسوة يا كاتلين؟ إنه مجرَّد صبي، مجرَّد...».

كان من الواضح أنه يَشعُر بغضب شديد، وكان ليقول المزيد لولا أن المِايستر لوين قاطَعه قائلًا بهدوء: «ثمَّة حَلٌّ آخَر يُقَدِّم نفسه. أخوك بنجن جاءَني بخصوص چون منذ أيامٍ قليلة، ويبدو أن الصَّبي يتطلَّع إلى ارتداء الأسود».

بدا ند مصدومًا وهو يسأله: «چون قال إنه يرغب في الانضمام إلى حَرس اللَّيل؟».

لم تُعَلِّق كاتلين. فلتدع ند يتدبَّر الأمر في عقله، فهو لن يُرَحِّب بصوتها الآن. لكنها كانت لتَقبِّل المِايستر بكلِّ سرورٍ الآن، فما قاله كان الحَلَّ المثالي بالفعل. بنجن ستارك كان أخًا تحت القَسم، وچون سيكون بمثابة ابنٍ له، الابن الذي لن يُنجِبه أبدًا. ومع مرور الوقت سيُرَدِّد الصَّبي القَسم كذلك، ولن يُنجِب أبناءً قد يتنافسون ذات يومٍ مع أحفاد كاتلين على وينترفل.

قال المِايستر لوين: «ثمَّة شرف عظيم في الخدمة على "الجِدار" يا سيِّدي».

- «وحتى النَّغل يستطيع الارتقاء إلى مكانةٍ عاليةٍ في حَرس اللَّيل»، قال ند مفكِّرًا وإن لم يُفارِق القلق صوته. «چون لا يزال صغيرًا. لو كان قد طلبَ هذا وهو رجل بالغ لاختلفَت المسألة، لكن وهو صبي في الرابعة عشر...».

قال المِايستر لوين: «إنها تضحية صعبة، لكننا في أوقاتٍ صعبة يا سيِّدي، وطريقه ليس أقسى من طريقك أو طريق الليدي».

فكَّرت كاتلين في الأبناء الثلاثة الذين ستفقدهم، ولم يكن من السَّهل أن تظلَّ صامتةً.

عادَ ند يَنظُر من النَّافذة ووجهه الطَّويل صامت غارق في التَّفكير، وأخيرًا تنهَّد والتفتَ قائلًا للمِايستر لوين: «ليكن. أعتقدُ أن هذا أفضل حَل. سأتكلَّمُ مع بن».

سأله المِايستر: «متى سنُخبِر چون؟».

- «عندما ينبغي أن أفعل. هناك تجهيزات يجب القيام بها أولًا، ولن نكون مستعدِّين للتحرُّك قبل أسبوعين من الآن. أفضِّلُ أن أترك چون يستمتع بتلك الأيام القليلة المتبقية. سينتهي الصَّيف قريبًا، ومعه ستنتهي الطُّفولة. سوف أُخبِره بنفسي عندما يحين الوقت».

آريا

كانت الغُرَز معوجَّةً هذه المرَّة أيضًا.

حدَّقت فيها عابسةً، والتفتَت تُلقي نظرةً على أختها سانزا حيث جلسَت بين الفتيات الأخريات. كانت سانزا تُنتِج شُغل إبرة شديد الإتقان والجمال، وكان الجميع يُرَدِّدون هذا، حتى أن السِّپتة موردن قد قالت للسيِّدة أمها ذات مرَّة: «شُغل سانزا جميل مِثلها. إن لديها يدين رقيقتين حسَّاستين حقًّا»، وعندما سألَت الليدي كاتلين عن آريا، أجابَت السِّپتة بامتعاض: «آريا تملك يدي حدَّاد».

اختلسَت آريا النَّظر عبر الغُرفة، قلقةً من أن تكون السِّپتة قد قرأت أفكارها، لكنها لم تكن تُعيرها أيَّ اهتمامٍ اليوم، بل كانت جالسةً بالقُرب من الأميرة مارسلا وابتساماتها الواسعة تنضح بالإعجاب. لم تكن السِّپتة تنال شرف تعليم أميرةٍ من العائلة المَلكيَّة الفنون النِّسائيَّة كلَّ يوم، كما قالت عندما جاءَت المَلكة بمارسلا لتنضمَّ إليهنَّ. خطرَ لآريا أن غُرز الأميرة تبدو معوجَّةً بعض الشيء أيضًا، لكنك لم تكن لتُحَزِّر هذا من طريقة السِّپتة المتودِّدة في الكلام.

تفحَّصت آريا نتاج عملها مرَّةً أخرى في محاولةٍ للعثور على طريقةٍ لإنقاذه، ثم تنهَّدتْ ووضعَت الإبرة، ورمقَت أختها بكآبة. كانت سانزا تُثَرثِر بسعادةٍ وهي تعمل، بينما جلسَت بِث كاسل -ابنة السير رودريك-

عند قدميها تُصغي لكلِّ كلمةٍ تقولها، بينما مالَت چين پوول لتهمس بشيءٍ في أُذنها.

سألَت آريا فجأةً: «عمَّ تتكلَّمن؟».

رمقَتها چين بنظرةٍ مندهشة ثم ضحكَت، بينما بدَت سانزا مرتبكةً، وتورَّد وجه بِث خجلًا، ولم تُجِبها إحداهن بشيء.

قالت آريا بإصرار: «أخبِرنني!».

اختلسَت چين نظرةً لتتأكَّد من أن السِّپتة موردن لا تسمعهن، لكن مارسلا كانت تقول شيئًا جعلَ السِّپتة تضحك مع بقيَّة السيِّدات.

أجابَت سانزا بصوتٍ ناعمٍ كقُبلة: «كنا نتكلَّم عن الأمير».

كانت آريا تعرف أيَّ أميرٍ تَقصِد... چوفري بالطَّبع، الصَّبي الطَّويل الوسيم. كانت سانزا قد جلسَت معه أثناء المأدبة، بينما جلسَت آريا طبعًا مع أخيه الصَّغير السَّمين.

همسَت چين بفخرٍ كأن لها أيَّ علاقةٍ بالأمر: «چوفري معجب بأختك». كانت ابنة وكيل وينترفل وأقرب صديقات سانزا. «قال لها إنها جميلة جدًّا».

وقالت بِث بلهجةٍ حالمةٍ وهي تحتضن نفسها: «سوف يتزوَّجها، وستُصبِح سانزا مَلكة البلاد كلها».

كانت سانزا تملك ما يكفي من حياءٍ لأن يتضرَّج وجهها، ولقد بدَت جميلةً حقًّا وهي خجول. فكَّرت آريا بشيءٍ من الاستياء الفاتر أن سانزا تفعل كلَّ شيءٍ بشكلٍ جميل. قالت سانزا وهي تُربِّت برفقٍ على شَعر الفتاة الأصغر منها لتُخَفِّف وقع كلماتها: «بِث، لا يَجدُر بكِ أن تختلقي الحكايات»، ثم التفتَت إلى آريا قائلةً: «ما رأيك في الأمير چوف يا أختاه؟ إنه نبيل جدًّا، أليس كذلك؟».

قالت آريا: «چون يقول إنه يبدو كالفتيات».

تنهَّدت سانزا وهي تُواصِل التَّطريز: «مسكين چون. إنه يَشعُر بالغيرة لأنه نغل».

- «إنه أخونا!»، صاحَت آريا بصوتٍ أعلى من اللَّازم، فمزَّق صوتها هدوء غُرفة البُرج في تلك الفترة من بَعد الظُّهر.

رفعَت السِّپتة موردن عينيها إليهن. كانت تملك وجهًا نحيلًا بارِز العظام وعينين حادَّتين وفمًا رفيعًا للغاية مخلوقًا للعبوس، وقد كان عابسًا الآن وهي تقول: «عمَّ تتكلَّمن؟».

قالت سانزا بحزم ناعم: «أخونا نِصف الشَّقيق»، ثم التفتَت إلى السِّپتة لتقول باسمةً: «آريا وأنا كنا نتكلَّم عن سرورنا الشَّديد بوجود الأميرة معنا اليوم».

هزَّت السِّپتة موردن رأسها قائلةً: «شرفٌ عظيم بالطَّبع». ابتسمَت الأميرة مارسلا للمجامَلة بحيرة، بينما وجَّهت السِّپتة كلامها إلى آريا وسألت: «آريا، لِمَ لا تعملين؟»، ثم نهضَت من مكانها لتُصدِر تنُّورتها المنشَّاة حفيفًا وهي تقطع الغُرفة وتضيف: «دعيني أرى تطريزكِ».

أرادَت آريا أن تصرخ. دائمًا ما تلفت سانزا الحمقاء انتباه السِّپتة. هكذا مدَّت يديها بعملها إلى العجوز قائلةً: «هاكِ».

فحصَت السِّپتة النَّسيج، ثم قالت: «آريا، آريا، آريا، هذا لن يَصلُح، لن يَصلُح على الإطلاق».

كن يرمقنها جميعًا الآن، وكان هذا أكثر مما تحتمل. كانت تربية سانزا لا تسمح لها بأن تبتسم شماتةً في خِزي أختها، لكن چين رسمَت على شفتيها ابتسامةً متكلِّفةً نيابةً عنها، وحتى الأميرة مارسلا بدَت آسفةً لها. اغرورقت عينا آريا بالدُّموع، وانتفضَت ناهضةً من مقعدها واندفعَت نحو الباب.

صاحَت السِّپتة موردن مناديةً عليها: «آريا، عودي إلى هنا! ولا خطوة أخرى! سأخبرُ السيِّدة والدتكِ بما فعلتِ! وأمام أميرتنا كذلك! ستُكَلِّلِيننا جميعًا بالعار!».

توقَّفت آريا عند الباب واستدارَت وهي تعضُّ شفتيها. كانت الدُّموع تجري على شفتيها الآن، لكنها تدبَّرت انحناءةً متصلِّبةً للأميرة وقالت: «أستأذنكِ بالانصراف يا سيِّدتي».

رمقَتها مارسلا بنظرةٍ حائرة، ثم تطلَّعت إلى سيِّداتها المُرافِقات ناشدةً العون. لكن لئن كانت الأميرة غير واثقةٍ مما تفعله الآن، فقد كانت السِّپتة موردن على عكسها تمامًا، فقالت بصرامة: «إلى أين تحسبين نفسكِ ذاهبةً يا آريا؟».

حدَّقت آريا فيها وقالت بعذوبة: «يجب أن أذهب لأركِّب حَدوة حصان». شعرَت بشيءٍ من الرِّضا من جرَّاء التعبير المصدوم على وجه السِّپتة، ثم اندفعَت مغادرةً لتجري نازلةً السَّلالم بكلِّ ما لديها من سُرعة.

لم يكن هذا عادلًا. إن سانزا تملك كلَّ شيء. كانت أختها تكبُرها عُمرًا بعامين، فلعلَّ شيئًا لم يتبقَّ لآريا عندما وُلِدَت. غالبًا ما كان هذا هو أمرها الواقع، سانزا تجيد التَّطريز والغناء والرَّقص، وتَكتُب الشِّعر، وتجيد انتقاء الثِّياب المناسِبة لكلِّ مناسَبة، كما تستطيع العزف على القيثارة الباسِقة والأجراس كذلك. الأسوأ من هذا أنها كانت جميلةً حقًّا. كانت تملك عظام وجنة أمهما الرَّقيقة العالية، وشَعر آل تَلي الكستنائي. أما آريا فكانت تُشبه أباهما في الملامح، شَعرها ذو لونٍ بنِّي مُطفأ، ووجهها طويل كئيب الملامح. كانت چين تُلَقِّبها بـ"آريا وجه الحصان"، وتصهل كلما اقتربَت منها. كان من المؤلم أن الشيء الوحيد الذي تستطيع أن تفعله أفضل من أختها هو ركوب الخيول... ولربما إدارة شؤون المنزل كذلك. لم تُجِد سانزا التعامُل مع الأرقام قَطُّ، وتمنَّت آريا لأجل خاطِرها أن يكون لدى الأمير چوف وكيل بارع إذا ما تزوَّجته.

كانت نايميريا تنتظرها في غُرفة الحَرس عِند أسفل السَّلالم، ونهضَت على قوائمها بمجرَّد أن اشتمَّت رائحة آريا، فابتسمَت. كانت الذِّئبة الصَّغيرة تُحِبُّها حتى إذا لم يكن هناك من يُحِبُّها غيرها. كانتا تذهبان إلى

كلِّ مكانٍ معًا، وكانت نايميريا تنام في غُرفتها عِند قدم الفِراش. كانت آريا لتصطحبها معها بكلِّ سرورٍ إلى شُغل الإبرة لولا أن السيِّدة والدتها قد منعَت ذلك. دع السِپتة موردن تشتكي من تطريزِها الرَّديء حينئذٍ!

عضعَضَت نايميريا يدها بلهفةٍ وآريا تحلُّ وثاقها. كانت عيناها صفراوين، وفي نور الشَّمس تتألَّقان كعُملتين ذهبيَّتين. أطلقَت عليها آريا اسم نايميريا، مَلكة الروين المُحارِبة التي قادَت شَعبها عبر البَحر الضيِّق، وكان اختيارها للاسم بمثابة خزيٍ كبيرٍ لها كذلك. طبعًا اختارت سانزا ليدي اسمًا لِذِئبتها. رسمَت آريا على وجهها تعبير ازدراءٍ ساخر، واحتضنَت الذِّئبة الصَّغيرة بقوَّة، ولعقَت نايميريا أُذنها، وقهقهَت آريا فَرِحَةً.

لا شكَّ أن السِّپتة موردن ستكون قد أرسلَت خبرًا بما حدثَ للسيِّدة أمها. إذا عادَت إلى غُرفتها فسيجدونها، وآريا لم تكن لديها رغبة الآن في أن يجدها أحد. ثم خطرَت لها فكرة أفضل. الأولاد في السَّاحة الآن، وهي ترغب في أن تُشاهِد روب وهو يُسقِط الأمير چوفري الشُّجاع على ظَهره. هكذا همسَت لنيميريا: «تعالي»، ونهضَت وانطلقَت تعدو، والذِّئبة الصَّغيرة في أعقابها مباشرةً.

كانت هناك نافذة في الجسر المغطَّى الذي يصلُ بين مستودع السِّلاح والحِصن الكبير، تكشف السَّاحة بأكمِلها.

وصلَت الفتاة والذِّئبة متقطِّعتي الأنفاس لتجدا چون جالسًا على عتبة النَّافذة، وقد رفعَ ساقًا متراخيةً حتى ذقنه. كان يُشاهِد النِّزال باستغراقٍ تام جعله لا يَشعُر بمجيئهما حتى تحرَّكَ ذِئبه الأبيض من مكانه ليستقبلهما. اقتربَت نيميريا ببطءٍ حَذِر، بينما تشمَّمها جوست -الأكبر حجمًا من إخوته- ثم عضَّ على أُذنها برفقٍ شديد، ثم عادَ يستقرُّ في مكانه.

رمقَها چون بفضولٍ وقال: «أليس من المفترَض أنكِ تتمرَّنين على التَّطريز الآن؟».

لوَّحت آريا باستهزاء، ثم قالت: «أردتُ مُشاهَدتهم يتنازلون».

ابتسمَ قائلًا: «تعالي إذن».

تسلَّقت آريا عتبة النَّافذة وجلسَت إلى جواره، لتستقبلها جوقة من الضَّربات المكتومة والنَّخير من السَّاحة في الأسفل.

لكن لخيبة أملها كان الولدان الصَّغيران هما اللذان يُمارِسان تمارين النِّزال الآن. كان بران يرتدي طبقاتٍ وطبقاتٍ من الملابس المبطَّنة حتى أنه كان يبدو كمن طوَّق نفسه بحشيَّة فِراشٍ وربطَها بالأحزمة، أما الأمير تومن -السَّمين أصلًا- فقد بدا كالكُرة. كانا يلهثان في وجه أحدهما الآخَر وهما يتبادلان الضَّربات بسيفين خشبيَّين تحت إشراف قيِّم السِّلاح السير رودريك كاسل ذي العين اليَقِظة. كان رجلًا ضخمًا مستديرًا كالبرميل، لديه شوارب بيضاء كبيرة مشذَّبة بعناية على جانبي وجهه. كانت دستة من المتفرِّجين من الرِّجال والفِتيان تُطلِق هتافات التَّشجيع، وصوت روب الأعلى بينهم. لمحَت ثيون جرايچوي إلى جواره وعلى وجهه نظرة استهزاءٍ ساخِر، وقد طُرِّزَ على سُترته السَّوداء الضيِّقة الكراكِن الذَّهبي[1]، رمز عائلته. كان كلا المتقاتلَيْن يلهث بشدَّة ويترنَّح، وخمَّنت آريا أنهما يتنازلان منذ فترة.

قال چون «نشاط أكثر إرهاقًا بعض الشَّيء من شُغل الإبرة».

ردَّت آريا: «نشاط أكثر متعةً من شُغل الإبرة». ابتسمَ چون ومَدَّ يده ونفشَ شَعرها، وتورَّد وجه آريا. لطالما كان الاثنان قريبين... چون كان يملك ملامح أبيهما، وكذلك هي، وكانا الوحيدَيْن بين إخوتهما، لأن روب وسانزا وبران وحتى ريكون الصَّغير كانت لهم ملامح آل تَلي، بابتسامتهم التِّلقائيَّة وشَعرهم النَّاري. كانت آريا تخشي وهي صغيرة أن هذا يعني أنها نغلة بدورها، وكان چون هو من ذهبَت إليه لتُفصِح عن مخاوفها، وچون هو من طمأنها.

---

(1) وحش بحري أسطوري عملاق يظهر على سطح البَحر كجزيرة وله أذرع أخطبوطيَّة طويلة تلتفُّ حول السُّفن وتُغرِقها.

سألته: «لِمَ لست معهم في السَّاحة؟».

منحها ابتسامةً باهتةً وقال: «غير مسموح للنُّغول بإلحاق الأذى بالأمراء الصِّغار. أيُّ إصاباتٍ تقع لهم في ساحة التَّدريب يجب أن تأتي من سيف أحد الأبناء الشَّرعيِّين».

- «أوه!»، قالت آريا بحرجٍ شديد. كان يَجدُر بها أن تُدرِك ذلك، وللمرَّة الثانية اليوم فكَّرت آريا أن الحياة ليست عادلة.

شاهدَت أخاها الصَّغير يُسَدِّد ضرباته لتومن، وقالت: «يُمكنني أن أبارِز ببراعة بران نفسها. إنه في السَّابعة فقط، وأنا في التَّاسعة».

تطلَّع إليها چون بحكمة سنواته الأربع عشرة وقال: «أنتِ نحيفة جدًّا»، ثم أمسكَ ذراعها ليتحسَّس عضلاتها، ثم تنهَّد وهَزَّ رأسه قائلًا: «أشكُّ أنكِ تستطيعين رَفْعَ سيفٍ طويل حتى يا أختاه، ناهيكِ عن التَّلويح به».

انتزعَت آريا ذراعها من قبضته وحدَّقت فيه بغيظ، فنفشَ شَعرها ثانيةً، ثم شاهدا معًا بران وتومن يدوران في السَّاحة.

سألها چون: «هل ترين الأمير چوفري؟».

لم تكن قد رأته من النَّظرة الأولى، لكن عندما نظرَت مرَّةً أخرى رأته في المؤخِّرة، تحت ظِلِّ الجِدار الحَجري العالي. كان محاطًا برجالٍ لم ترَهم من قبل، مُرافِقي فُرسان شباب في الزِيِّ المميِّز لكلٍّ من لانستر وباراثيون، كلهم غرباء. كان هناك بضعة رجالٍ أكبر سِنًّا بينهم، خمَّنت آريا أنهم فُرسان.

قال چون: «انظري إلى شعار النَّبالة على معطفه».

ونظرَت آريا. كان هناك دِرع منمَّقة مطرَّزة على صَدر معطف الأمير المبطَّن، ولا شكَّ أن شُغل الإبرة فيها كان رائعًا بحق. كان الشِّعار ينقسم عِند المنتصف، وَعِل العائلة المَلكيَّة المتوَّج على جانِب، وعلى الجانِب الآخَر أسد لانستر.

قال چون: «مغرورون آل لانستر حقًّا. قد يحسب المرء أن الرَّمز

المَلكي يكفي، لكن لا، إنه يُساوي في التَّشريف بين عائلة أمه وعائلة المَلك».

صاحَت آريا معترضةً: «المرأة مهمَّة كذلك!».

ضحك قائلًا: «ربما يَجدُر بكِ أن تفعلي الشيء نفسه يا أختاه، تُزاوِجي بين تَلي وستارك في شعار النَّبالة الخاص بكِ».

أضحكَتها الفكرة بدورها، وقالت: «ذِئب وفي فمه سمكة؟ سيكون شكله سخيفًا، ثم إنه إذا كانت الفتيات لا يستطعن القتال، فما ضرورة شعار النَّبالة؟».

هَزَّ چون كتفيه وقال: «الفتيات يَحصُلن على الشِّعار وليس السَّيف، والنُّغول على السَّيف وليس الشِّعار. ليس أنا من وضعَ القواعد يا أختاه».

سمعا صيحةً من السَّاحة في الأسفل. كان الأمير تومن يتدحرَج في التُّراب، يُحاوِل النُّهوض ويفشل، وقد جعلَته ملابسه الثَّقيلة المبطَّنة بكثافةٍ يبدو كسلحفاةٍ مقلوبةٍ على ظَهرها، وبران يقف فوقه بسيفٍ مرفوع، مستعدًّا لأن يضربه مرَّةً أخرى بمجرَّد أن ينهض على قدميه، والرِّجال يضحكون.

صاحَ السير رودريك: «كفى!»، ومَدَّ يده للأمير وجذبَه إلى قدميه قائلًا: «أحسنتما القتال... ليو، دونِس، اخلعا دِرعيهما»، ثم تطلَّع حوله وقال: «هل سيخوض الأمير چوفري وروب جولةً ثانيةً؟».

كان روب لا يزال مبلَّلًا بعَرق النِّزال السَّابق، لكنه تقدَّم قائلًا بحماسة: «بكلِّ سرور».

تقدَّم چوفري من موضعه الظَّليل إلى نور الشَّمس مع نداء رودريك، فتألَّق شَعره كالذَّهب المغزول، وبدا عليه الملل وهو يقول: «هذه لعبة أطفال يا سير رودريك».

أطلقَ ثيون جرايچوي ضحكةً مباغتةً وقال بتهكُّم: «أنتم أطفال!».

قال چوفري: «روب قد يكون طفلًا، لكني أمير، وأنا أصابني الضَّجر من ضرب أطفال ستارك بسيفٍ لُعبة».

قال روب: «أنت تلقَّيت ضرباتٍ أكثر مما سدَّدت. چوف، هل أنت خائف؟».

رمقه الأمير چوفري قائلًا: «أوه، إنني أرتجفَ رُعْبًا! أنت أكبر مني بكثير!».

أطلقَ بعض رجال لانستر ضحكاتهم، بينما راقبَ چون المشهد من أعلى بعبوس، وقال لآريا: «چوفري هذا قطعة خراء صغيرة حقًّا».

شَدَّ السير رودريك شواربه البيضاء مفكِّرًا، وسألَ الأمير: «ماذا تقترح إذن؟».

- «الفولاذ الحقيقي».

صاحَ روب: «اتفقنا... سوف تأسف!».

وضعَ قيِّم السِّلاح يده على كتف روب ليُهَدِّئ حماسته، وقال: «الفولاذ الحقيقي خَطِرٌ جدًّا. سأسمحُ لكم باثنين من سيوف المباريات بحوافٍّ غير حادَّة».

لم يقل چوفري شيئًا، لكن رجلًا غريبًا على آريا، فارسًا طويلًا ذا شَعرٍ أسودَ وآثار حرقٍ على وجهه، اندفعَ ليقف أمام الأمير قائلًا: «هذا أميرك. من أنت لتقول له إنه غير مسموح له بسيفٍ حاد يا سيِّدي؟».

- «أنا قيِّم السِّلاح في وينترفل يا كليجاين، وخيرٌ لك ألَّا تنسى هذا».

قال الرجل المحروق: «هل من تُدَرِّبهم هنا نساء إذن؟». كان مفتول العضلات كثور.

قال السير رودريك بصرامة: «من أدرِّبهم فُرسان. يُمكنهما النِّزال بفولاذٍ حقيقي عندما يكونان جاهِزَيْن، عندما يَبلُغان».

نظرَ الرجل المحرُوق إلى روب وقال: «كم عُمرك يا فتى؟».

أجابَ روب: «أربعة عشر عامًا».

- «لقد قتلتُ رجلًا وأنا في الثَّانية عشرة، ولك أن تثق بأني لم أفعلها بسيفٍ غير حاد».

رأت آريا أخاها يتَّخذ وقفةً عدوانيَّةً. كانت كبرياؤه على المحك، والتفتَ إلى السير رودريك قائلًا: «دعني أفعلها، يُمكنني أن أتغلَّب عليه».

قال السير رودريك: «تغلَّب عليه بسيفٍ من سيوف المباريات إذن».

هَزَّ جوفري كتفيه قائلًا: «تعالَ وزُرني عندما تَكبُر يا ستارك، إذا لم تكن أكبر من اللَّازم». مرَّةً أخرى تردَّد ضحك رجال لانستر.

دوَّت شتائم روب في السَّاحة، فغطَّت آريا فمها بيدها مذهولةً، بينما أطبقَ ثيون جرايچوي على ساعِد روب كي يُبقيه بعيدًا عن الأمير، وشَدَّ السير رودريك شواربه بارتباك.

تظاهرَ جوفري بالتَّثاؤب، والتفتَ إلى أخيه الصَّغير قائلًا: «هَلُمَّ يا تومن، انتهى وقت اللَّعب. لنَترُك الأطفال لألعابهم».

جلبَ هذا المزيد من الضَّحك من رجال لانستر والمزيد من الشَّتائم من روب، واحمرَّ وجه السير رودريك كثمرة البنجر من فرط الغضب تحت بياض شواربه. ظَلَّ ثيون يُطوِّق ساعِد روب بقبضةٍ من حديد حتى ابتعدَ الأميران ومجموعتهما تمامًا.

راقبَهم چون يُغادِرون، وراقبَته آريا. كان وجهه ساكنًا تمامًا كالبِركة التي في قلب أيكة الآلهة. أخيرًا نزلَ من فوق عتبة النَّافذة قائلًا: «انتهى العرض»، ومالَ ليَحُكَّ جوست وراء أُذنيه، فنهضَ الذِّئب الصَّغير وحَكَّ نفسه به. «يَحسُن أن تعودي إلى غُرفتكِ يا أختاه. لا بُدَّ أن السِّپتة موردن ترقَّب عودتكِ، وكلما اختبأتِ أكثر كان العقاب أشدَّ. ستجدين نفسكِ تُمارِسين الخياطة طوال الشِّتاء، وعندما تذوب الثُّلوج في الرَّبيع سيجدون جثَّتكِ والإبرة ما زالت متجمِّدة بين أصابعكِ».

لم تحسب آريا ما قاله طريفًا، وقالت بحرارة: «إنني أكرهُ شُغل الإبرة حقًّا! هذا ليس عدلًا!».

قال چون: «لا شيء عادلًا»، ونفشَ شَعرها من جديد، ثم ابتعدَ عنها وجوست يتحرَّك بصمتٍ إلى جواره. بدأت نايميريا تتبعهما، لكنها توقَّفت وعادَت لمَّا رأت أن آريا لن تلحق بهما.

وعلى مضضٍ تحرَّكت آريا في الاتِّجاه الآخَر.

كان الأمر أسوأ مما توقَّع چون، فلم تكن السِّپتة موردن فقط تنتظرها في غُرفتها، بل السِّپتة والسيِّدة والدتها معًا.

بران

غادرَت مجموعة الصَّيد مع مطلع الفَجر، فقد كان المَلك يرغب في أن يتناول خنزيرًا بريًّا في مأدبة اللَّيلة. خرجَ الأمير جوفري مع أبيه، فسُمِحَ لروب بالانضمام إلى الصيَّادين بدوره، ومعهم خرجَ العم بنچن وچوري وثيون جرايچوي والسير رودريك، وحتى شقيق المَلكة الصَّغير الغريب. كان هذا صيدهم الأخير على كلِّ حال، وفي الغد يبدأون التحرُّك جَنوبًا. تُرِكَ بران في وينترفل مع چون والفتاتين وريكون، لكن ريكون كان مجرَّد طفلٍ صغير، والفتاتان مجرَّد فتاتين، بينما لا أثر لچون وذِئبه. لم يُحاوِل برانُ أن يبحث عنه كثيرًا، وخطرَ له أنه غاضبٌ منه. في الحقيقة كان چون يبدو حانقًا على الجميع هذه الأيام، وبران يجهل السَّبب. إنه ذاهب مع العم بن إلى "الجِدار" لينضمَّ إلى حَرس اللَّيل، وهذا في حدِّ ذاته يكاد يدعو للابتهاج كالذِّهاب إلى الجَنوب. كان روب هو الوحيد الذي سيظلُّ في مكانه بلا حراك، وليس چون.

منذ أيامٍ وبران يكاد لا يطيق صبرًا حتى تبدأ رحلتهم جَنوبًا. سيقطع طريق الملوك على متن حصانٍ خاص به، ليس حصانًا قزما بل حصانًا حقيقيًّا، وسيُصبِح أبوه يَدَ المَلك ويقيمون جميعًا في القلعة الحمراء في كينجز لاندنج، القلعة التي شيَّدها سادة التَّنانين. كانت العجوز نان قد قالت له إن ثمَّة أشباحًا تعيش هناك، وزنازين جرَت فيها أشياءَ مريعة حقًّا، ورؤوس تنانين معلَّقة على الجدران. كان بران يرتجف لمجرَّد التفكير

في هذا، لكنه لم يكن يَشعُر بالخوف... وأنَّى له أن يخاف؟ سيكون أبوه معه، والمَلك بكلِّ ما لديه من فُرسان ومُقاتِلين.

سوف يصير بران نفسه واحدًا من فُرسان الحَرس المَلكي ذات يوم. إنهم أبرع مبارزين في البلاد كلها كما قالت العجوز نان. لم يكن هناك غير سبعة منهم، يرتدون الدُّروع البيضاء وليس لهم زوجات أو أبناء، وإنما يعيشون لخدمة المَلك فحسب. كان بران يعرف كلَّ القصص التي تُروى عنهم، وأسماؤهم كان لها وقع الموسيقى على أُذنيه... سروين ذو التُّرس المرآة... السير ريام ردواين... الأمير إيمون الفارس التنِّين... التَّوأمان السير إريك والسير آريك، اللذان ماتَ كلٌّ منهما بسيف الآخَر منذ مئات السِّنين، عندما قاتلَ الأخ أخته خلال الحرب التي أطلقَ عليها المغنُّون اسم "رقصة التَّنانين"... الثَّور الأبيض چيرولد هايتاور... السير آرثر داين سيف الصَّباح... باريستان الباسِل.

اثنان من الحَرس المَلكي جاءا مع المَلك روبرت إلى الشَّمال، وقد راقبَهما بران بافتتانٍ دون أن يجرؤ مرَّةً على التحدُّث إليهما. كان السير بوروس رجلًا أصلع ذا لُغد كبير، والسير مرين ذا عينين كئيبتين ولحية بلون الصَّدأ. أمَّا السير چايمي لانستر فبدا كالفُرسان الذين تحكي عنهم القصص. هو أيضًا كان من فُرسان الحَرس المَلكي، لكن روب قال إنه قتلَ المَلك المجنون بيده، ولذا لا ينبغي أن يُحسَب كواحدٍ منهم. كان أعظم فارس موجود على قيد الحياة الآن هو السير باريستان سلمي، باريستان الباسِل، قائد الحَرس المَلكي. كان أبوه قد وعدَ بأنهم سيلتقون بالسير باريستان لدى بلوغهم كينجز لاندنج، وهكذا ظَلَّ بران يُحصي الأيام على جِدار غرفته وكله لهفة على أن يُغادِر ويرى العالم الذي يَسكُن أحلامه ويبدأ حياةً يكاد لا يتخيَّلها.

على أن شعورًا بالضَّياع انتابَه فجأةً مع حلول اليوم الأخير، فوينترفل كانت الوطن الوحيد الذي يعرفه. كان أبوه قد قال له إن عليه أن يُوَدِّع

من يرغب في توديعهم اليوم، ولقد حاولَ بالفعل. بعد خروج مجموعة الصَّيد تجوَّل بران في أرجاء القلعة وذِئبه إلى جانبه، وفي نيَّته أن يزور كلَّ من سيظلُّ هنا... العجوز نان... جايچ الطَّاهي... ميكِن الحدَّاد في ورشته... هودور صبي الاسطبل دائم الابتسام الذي يعتني بحصانه القزم، ولا يقول شيئًا أبدًا غير كلمة "هودور"... عامل الدَّفيئة الزُّجاجيَّة الذي كان يعطيه حبَّةً من التوت الأسود كلما ذهبَ لزيارته.

لكن شيئًا آخَر حدثَ بدلًا من ذلك. ذهبَ بران إلى الاسطبل أولًا، ورأى حصانه القزم في مربطه كما اعتادَ أن يفعل، مع الفارِق هذه المرَّة أنه لم يَعُد حصانه القزم، لأنه سيحصل على حصانٍ حقيقي ويَترُك الحصان القزم هنا. على حين غِرَّةٍ انتابَت بران الرَّغبة في الجلوس في مكانه والانفجار في البكاء، فدارَ وهُرِعَ مبتعدًا من أمام هودور وبقيَّة صبيان الاسطبل قبل أن يرى أيهم دموعه. كانت هذه نهاية جولة الوداع، وبدلًا من القيام بها قضى بران الظَّهيرة وحده في أيكة الآلهة محاولًا -بلا طائل- أن يُدَرِّب ذِئبه على أن يأتي له بالعِصِيِّ التي يُلقيها. كان الذِّئب الصَّغير أذكى من كلِّ الكلاب في وَجار كلاب أبيه، وكان بران ليُقسِم أنه يستوعب كلَّ كلمةٍ يقولها له، لكنه أبدى القليل جدًّا من الاهتمام بمطارَدة العِصِي.

كان لا يزال يُحاوِل الاستقرار على اسمٍ للذِّئب. روب أطلقَ على ذِئبه اسم جراي ويند لسرعته الكبيرة في العَدو، وأطلقَت سانزا على ذِئبتها اسم ليدي، بينما سمَّت آريا ذِئبتها على اسم المَلكة السَّاحرة القديمة التي تَذكُرها الأغاني، وسمَّى ريكون ذِئبه شاجيدوج، وهو الاسم الذي اعتبرَه بران شديد السُّخف بالنِّسبة لذِئبٍ رهيب. ذِئب چون ذو اللون الأبيض كان اسمه جوست، ولقد تمنَّى بران لو أنه فكَّر في هذا الاسم أولًا، على الرغم من أن ذِئبه لم يكن أبيَض. منذ أسبوعين كاملين وهو يُفَكِّر في مئة اسم، ولا اسم منها بدا صالحًا على الإطلاق.

في النِّهاية شعرَ بالسَّأم من لعبة العِصِي وقرَّر أن يذهب للتسلُّق. إنه لم يتسلَّق البُرج المكسور منذ أسابيع مع كلِّ ما يدور هنا، وقد تكون هذه فُرصته الأخيرة.

انطلقَ يقطع أيكة الآلهة، مختارًا أن يَسلُط الطَّريق الأطول ليتلافي البِركة التي تَنبُت منها شجرة القلوب. لطالما أخافته تلك الشَّجرة. ليس من المفترَض أن تكون للأشجار عيون، أو أوراق تبدو كالأيدي. انطلقَ ذِئبه في أعقابه، وعند بلوغهما قاعدة شجرة الحارس الواقعة بالقُرب من جِدار مستودع السِّلاح قال له بران آمرًا: «ابقَ هنا... نعم، هكذا... اجلس». أطاعَ الذِّئب الأمر، وحكَّه بران وراء أُذنيه، ثم دارَ ووثبَ ليتعلَّق بفرعٍ منخفض من شجرة الحارس، ثم دفعَ نفسه إلى أعلى. كان قد تسلَّق الشَّجرة حتى منتصفها تقريبًا وأخذَ يتحرَّك بسهولةٍ من فرعٍ إلى آخَر، عندما نهضَ ذِئبه على قوائمه وبدأ يعوي.

نظرَ بران إلى أسفل، فصمتَ ذِئبه وحدَّق فيه بعينيه الصَّفراوين المشقوقتين، وشعرَ بران بقشعريرةٍ تسري في جسده. ثم إنه بدأ يتسلَّق من جديد، ومن جديد بدأ الذِّئب يعوي، فصاحَ فيه: «اصمت! اجلس في مكانك! أنت أسوأ من أمي!». طاردَه العواء وهو يتسلَّق الشَّجرة حتى قمَّتها، إلى أن وثبَ منها أخيرًا على سَطح مستودع السِّلاح وغابَ عن الأنظار.

كانت أسطُح الأبنية في وينترفل بيت بران الثَّاني. كثيرًا ما كانت أمه تقول إنه تعلَّم التسلُّق قبل أن يتعلَّم المشي، وبران لم يكن يَذكُر متى بدأ يمشي، لكنه لم يكن يَذكُر متى بدأ يتسلَّق كذلك، فافترضَ أن ما تقوله صحيح. بالنِّسبة لولدٍ في سنِّه كانت وينترفل متاهةً من الأحجار الرماديَّة، من أسوارٍ وأبراجٍ وساحاتٍ وأنفاقٍ تمتدُّ في جميع الاتِّجاهات. في الأجزاء الأقدم من القُلعة كانت القاعات والغُرف مائلةً إلى أعلى وأسفل بحدَّةٍ تجعلك لا تعرف في أيِّ طابِقٍ تقف بالضَّبط. أخبرَه المِايستر لوين

ذات مرَّةٍ أن المكان قد نما على مَرِّ القرون كشجرةٍ عملاقةٍ من حَجر، فروعها كثيفة متشابكة وجذورها تَبلُغ أعماق الأرض.

عندما يَخرُج من المتاهة ويصعد إلى أعلى ليصير قاب قوسين أو أدنى من السَّماء، كان بران يرى وينترفل كلها بنظرةٍ واحدة. كان يُحِبُّ كيف تبدو منبسطةً من تحته، ولا شيء غير الطُّيور يدور فوق رأسه، بينما تمضي الحياة بوتيرتها المعتادة في القلعة في الأسفل، فيقضي ساعاتٍ جاثمًا بين الكراجل عديمة الشَّكل التي أبلتها الأمطار وهي تُطِلُّ علَى هذه المنطقة من وينترفل المعروفة باسم "القلعة الأولى"، تُراقِب كلَّ شيء: الرِّجال يتمرَّنون بالفولاذ والخشب في السَّاحة، الطُّهاة يعتنون بالخضروات في الصُّوب الزُّجاجيَّة، الكلاب الضَّجِرة تجري هنا وهناك في أوجِرتها، صمت أيكة الآلهة، الفتيات يتهامسنَ ويتبادلنَ النَّميمة عند بِئر الغسيل. كان المشهد يُشعِره بأنه سيِّد هذه القلعة على نحوٍ لا يستطيع روب نفسه تصوُّره أبدًا.

هكذا تعلَّم بران أسرار القلعة. لم يُمَهِّد البنَّاءون التُّربة حتى، فبدا كأن وينترفل تحوي تلالًا ووديانًا كاملةً وراء أسوارها. كان هناك جسر مغطًّى يمتدُّ من الطَّابق الرَّابع في بُرج الجرس عَبر الطَّابق الثَّاني في المِغدفة[1]. كان بران يعرف هذا، ويعرف أيضًا أنك تستطيع أن تَدخُل السُّور الدَّاخلي من البوَّابة الجَنوبيَّة، ثم تصعد ثلاثة طوابق وتجري حول وينترفل كلها في نفقٍ ضيِّقٍ محفور داخل أحجار السُّور، ثم تَخرُج منه في الطَّابق الأرضي عِند البوَّابة الشَّماليَّة وفوقك سور يرتفع مئة قدم. كان بران مقتنعًا بأن المِايستر لوين نفسه لا يعرف ذلك.

كانت أمه دائمة الخوف من فكرة مجيء يوم يَسقُط فيه بران من فوق أحد الأسوار ويَقتُل نفسه. أكَّد لها أن ذلك لن يَحدُث لكنها لم تُصَدِّقه، وفي مرَّةٍ جعلته يعدها بأن يظلَّ على الأرض ولا يتسلَّق أبدًا، وطوال

(1) المغدفة عبارة عن قفص كبير بمثابة عُش لطيور الغُداف، والغِدفان نوع من الغِربان أقوى وأكبر حجمًا من الغُراب العادي.

أسبوعين تقريبًا استطاعَ الحفاظ على وعده وهو يَشعُر بالبؤس مع كلِّ يوم يمضي، إلى أن خرجَ من نافذة غُرفته ذات ليلةٍ وإخوته نيام. في اليوم التَّالي تغلَّب عليه الشُّعور بالذَّنب واعترفَ بجريمته، فأمره اللورد إدارد بالذِّهاب إلى أيكة الآلهة لتطهير نفسه، ووقفَ الحُراس ليتأكَّدوا من أنه قضى ليلته في التَّفكير في عصيانه. في الصَّباح التَّالي كان بران قد اختفى، وبعد بحثٍ طويل عثروا عليه أخيرًا وقد غابَ في نومٍ عميق فوق أعلى أفرُع أعلى شجرة حارس في الأيكة.

على الرغم من غضبه لم يسع أباه إلَّا أن يضحك، وقال لبران عندما أنزلوه: «أنت لست ابني، أنت سنجاب. ليكن، إذا كان عليك أن تتسلَّق فتسلَّق، لكن حاول ألَّا تدع أمك تراك». وبذلَ بران قصارى جهده كي يُخفي عنها حقيقة أنه لا يزال يتسلَّق، لكنه لم يحسب قَطُّ أنها انخدعَت حقًّا. هكذا، وبما أن أباه لم يمنعه من التسلُّق، سعَت أمه لطلب المساعَدة من الآخَرين. حكَت له العجوز نان عن ولدٍ صغيرٍ سيِّئ الخُلق تسلَّق عاليًا جدًّا فصعقَه البَرق، وكيف جاءَت الغِربان بعدها لتفقأ عينيه. لم تؤثِّر الحكاية فيه على الإطلاق. أعشاش الغِربان كانت كثيرةً فوق البُرج المكسور، حيث لم يكن أحد سواه يذهب، وأحيانًا كان يملأ جيوبه بالذُّرة قبل أن يتسلَّق، وكانت الغِربان تأكلها من يده مباشرةً، ولم يُبد أحدها أدنى رغبةٍ في فقء عينيه.

بعدها صنعَ المِايستر لوين ولدًا صغيرًا من الفخَّار ووضعَ عليه ملابس بران، ثم ألقى به من فوق السُّور إلى السَّاحة في الأسفل، ليشرح له ماذا سيَحدُث إذا سقطَ هو. كانت التَّجربة مسلية حقًّا، لكن بران اكتفى بأن رمقَ المِايستر قائلًا باستهانة: «إنني لستُ مصنوعًا من الطَّمي، وعلى كلِّ حالٍ أنا لا أسقطُ أبدًا».

ثم لفترةٍ كان الحُراس يُطارِدونه إذا رأوه فوق الأسطُح ويُحاوِلون إنزاله، وكان هذا أمتع الأوقات على الإطلاق. كان كأنه يلعب لعبةً مع

إخوته، مع فارِق أنه كان الفائز الدَّائم. لم يكن أيٌّ من الحُراس يتمتَّع بنِصف براعة بران في التسلُّق، ولا حتى چوري. لم يكن أحدهم يلمحه أغلب الوقت على كلِّ حال، فالنَّاس لا يَنظُرون إلى أعلى أبدًا، وكان هذا من الأشياء التي يُحِبُّها في التسُّلق، أنه يكاد يجعله خفيًّا.

كان يُحِبُّ شعور التسلُّق نفسه كذلك، كيف يرفع نفسه أعلى جِدارٍ ما حَجَرًا حَجَرًا، وأصابع يديه وقدميه غائصة في الصُّدوع الصَّغيرة بين الأحجار. كان يخلع حذاءه دائمًا ويتسلَّق حافي القدمين، وكان هذا يُشعِره كأنه يملك أربع أيدٍ بدلًا من اثنتين. كان يُحِبُّ الوجع العميق العذب الذي يظلُّ في عضلاته بعدها، ويُحِبُّ أن على هذا الارتفاع للهواء مذاق بارد حُلو كالخوخ الشِّتوي. أحبَّ الطُّيور كذلك، الغِربان في البُرج المكسور، والعصافير الصَّغيرة التي اتَّخذَت من الشُّقوق بين الأحجار أعشاشًا لها، والبومة العجوز التي تنام في الشُّرفة المغبَّرة فوق مستودع السِّلاح القديم. كان بران يعرف كلَّ تلك الطُّيور.

لكن أكثر من أيِّ شيءٍ آخَر، كان بران يُحِبُّ الذِّهاب إلى الأماكن التي لا يستطيع غيره الذِّهاب إليها، ومشاهَدة وينترفل الممتدَّة من تحته كما لا يراها أحد آخَر، ولهذا كانت القلعة كلها بمثابة مخبأ بران السرِّي.

وجهته المفضَّلة كانت البُرج المكسور، الذي كان ذات يومٍ أطول بُرج حراسةٍ في وينترفل كلها. منذ زمنٍ طويل، قبل مئة عام أو أكثر من مولد أبيه نفسه، هوَت صاعقة على البُرج وأشعلَت فيه النِّيران، وانهار ثُلثه العلوي إلى الدَّاخل، ولم يُعَد بناؤه بعدها. أحيانًا كان أبوه يُرسِل صيَّادي الجرذان إلى قاعدة البُرج، لتنظيفه من الأوكار التي كانوا يجدونها دومًا بين غابة الأحجار السَّاقطة والدَّعائم المحترقة، لكن بخلاف بران والغِربان لم يكن هناك من يصعد إلى القمَّة الخَرِبة الآن.

كان يعرف سبيلين إلى هناك. يُمكنك أن تتسلَّق جانِب البُرج نفسه إلى أعلى، لكن الأحجار كانت مخلخلةً أكثر من اللَّازم وقد استحالَ

المِلاط الذي ثبَّتها معًا إلى ترابٍ منذ زمنٍ طويل، وبران لم يكن يُحِبُّ أن يضع كامل ثِقله عليها. السَّبيل الأفضل يبدأ من أيكة الآلهة، حيث تتسلَّق شجرة الحارس الطَّويلة هناك، ثم تَعبُر من سطحٍ إلى سطحٍ فوق مستودع السِّلاح وقاعة الحَرس وأنت حافي القدمين كي لا يسمعونك فوق رؤوسهم. يُفضي بك هذا إلى البُقعة العمياء من القلعة الأولى، الجزء الأقدم من وينترفل الذي يضمُّ حِصنًا صغيرًا أكثر ارتفاعًا مما يبدو. لا يعيش هناك الآن غير الجرذان والعناكب، لكن الأحجار لا تزال صالحةً للتسلُّق، ويُمكنك أن تصعد مباشرةً إلى حيث تُطِلُّ الكراجل العمياء على المساحة الفارغة في الأسفل، ثم تتأرجح من كرجل إلى آخَر حول الحِصن حتى تَبلُغ جانِبه الشَّمالي، ومن هناك تمدُّ يدك تمامًا وتسحب نفسك إلى البُرجِ المكسور الذي يميل في هذه البُقعة. الخطوة الأخيرة تتلخَّص في تسلُّق أحجار العُش المسودَّة التي ترتفع عشرة أقدامٍ لا أكثر، ثم ستجد الغِربان في استقبالك تتساءل إن كنت قد أحضرت معك بعض الذُّرة.

كان بران ينتقل من كرجل إلى آخَر بالسَّلاسة التي علَّمتها إياه الممارَسة الطَّويلة، عندما سمعَ الأصوات.

كانت المفاجأة قويَّةً لدرجة أنه كاد يَسقُط فعلًا، فطوال حياته وهو يعلم جيِّدًا أن القلعة الأولى خاوية دائمًا.

كان هناك صَفٌّ من النوافذ تحته، والصَّوت يَخرُج من آخِر نافذةٍ على هذا الجانب، وكانت ثمَّة امرأة تقول: «كلُّ هذا لا يروق لي على الإطلاق. من المفترَض أن تكون أنت اليَد».

أجابَ صوت رجلٍ بنبرةٍ كسول: «حاشا للآلهة! إنه شرف لا رغبة لديَّ فيه، وعمل أكثر مما أحبُّ أن أمارِس».

تعلَّق بران في مكانه مصغيًا وقد اعتراه الخوف فجأةً من الاستمرار، فمن الوارد أن يلمح أحدهما قدميه وهو يمرُّ بالنَّافذة.

قالت المرأة: «ألا ترى الخطر الذي يضعنا هذا فيه؟ روبرت يُحِبُّ هذا الرجل كأخ».

- «روبرت يكاد لا يهضم أخويه الحقيقيَّين، ولا ألومه في الحقيقة. ستانيس وحده كفيل بإصابة أيِّ أحدٍ بعُسر الهضم».

- «لا تتظاهَر بالحماقة. ستانيس ورنلي شيء، وإدارد ستارك شيء آخَر تمامًا. روبرت سوف يُصغي لأيِّ شيءٍ يقوله له ستارك... عليهما اللَّعنة معًا! كان ينبغي أن أصرَّ على أن يُنَصِّبك أنت، لكني كنتُ متأكِّدةً من أن ستارك سيَرفُض».

- «ينبغي أن نَعُدَّ أنفسنا محظوظين. كان من الجائز أن يُنَصِّب المَلك أيًّا من أخويه بسُّهولة، أو حتى ذلك المأفون الإصبع الصَّغير. أعطيني أعداءً شُرفاء بدلًا من الطَّموحين، وسيكون نومي ليلًا أكثر راحة».

أدركَ بران أنهما يتكلَّمان عن أبيه، وأرادَ أن يسمع المزيد. بضعة أقدام أخرى... لكنهما سيريانه إذا وثبَ من أمام النَّافذة لا شكَّ.

قالت المرأة: «علينا أن نُراقِبه بحَذر».

أجابها الرجل بصوتٍ ملول: «أفضِّلُ أن أراقبكِ أنتِ. عودي إلى هنا».

- «لم يَحدُث أبدًا أن اهتمَّ اللورد إدارد بأيِّ شيءٍ يجري جَنوب «العُنق»، أبدًا أؤكِّدُ لك. إنه ينوي التحرُّك ضدنا، وإلَّا فلِمَ يَترُك معقل قوَّته؟».

- «لمئة سبب... الواجب، الشَّرف، ولربما يتوق لأن يكتب اسمه بحروفٍ بارزةٍ في كُتب التَّاريخ، أو أنه يريد الفرار من زوجته، أو للسَّببين معًا. لعلَّه يرغب في أن يَشعُر بالدِّفء لمرَّةٍ في حياته».

- «زوجته أخت الليدي آرن. من العجيب أن لايسا لم تكن موجودة هنا لتُحَيِّينا باتِّهاماتها».

نظرَ بران إلى أسفل. كان هناك إفريز ضيِّق أسفل النَّافذة، لا يتَّسع لأكثر من بوصاتٍ معدودة. حاولَ أن يُدَلِّي نفسه نحوه، لكن لا، إنه بعيد جدًّا ولن يستطيع بلوغه أبدًا.

- «إنكِ تقلقين أكثر من اللَّازم. لايسا آرن ليست إلَّا بقرة خائفة».

- «تلك البقرة الخائفة كانت تُشارِك چون آرن مضجعه».

- «لو كانت تعرف أيَّ شيء، لكانت قد ذهبَت إلى روبرت قبل فرارها من كينجز لاندنج».

- «بعد أن وافقَت بالفعل على أن ينشأ صبيُّها السَّقيم هذا في كاسترلي روك؟ لا أظنُّ، فهي تعرف أن حياة الصَّبي كانت لتُصبِح رهينة صمتها، لكنها قد تصير أكثر جرأةً الآن وهي آمنة على قمَّة "العُش"».

- «يا للأمَّهات!»، قال الرجل بلهجةٍ جعلت الكلمة تبدو كشتيمة. «أعتقدُ أن الولادة تفعل شيئًا ما بعقولكنَّ. كلكنَّ مجنونات حقًّا»، وأطلقَ ضحكةً لاذعةً ثم قال: «دعي الليدي آرن تتجرَّأ قدر ما تريد. أيًّا كان ما تعرفه، أيًّا كان ما تحسب أنها تعرفه، فليس لديها دليل»، وصمتَ لحظةً قبل أن يضيف: «أم أن لديها دليلًا؟»

- «هل تحسب أن المَلك سيحتاج دليلًا؟ أقولُ لك إنه لا يُحِبُّني».

- «وخطأ مَن هذا يا أختي العزيزة؟».

تطلَّع بران إلى الإفريز... من الممكن أن يثب إليه... كان أضيق من أن يَنزِل عليه، لكن إذا أمكنه أن يقبض عليه وهو يَمُرُّ به، ثم يدفع نفسه إلى أعلى... مع أن هذا سيُصدِر ضجَّةً تجذبهما إلى النَّافذة. لم يكن متأكِّدًا من معنى ما يُقال، لكنه كان يعرف أنه ليس من المفترَض أن يسمعه.

- «أنت أعمى كروبرت».

- «إذا كنتِ تَقصِدين أني أرى الأشياء نفسها، فما أراه هو رجل يُفَضِّل الموت على خيانة مَلكه».

- «لقد خانَ مَلكًا بالفعل، أم أنك نسيت؟ نعم، لا أنكرُ أنه مُخلص لروبرت، هذا واضح... لكن ماذا سيَحدُث بعد أن يموت روبرت ويَجلِس چوف على العَرش؟ ومن الأفضل أن يَحدُث هذا عمَّا قريب كي نكون جميعًا في أمان. زوجي يزداد ضجرًا مع كلِّ يومٍ يَمُرُّ، ووجود

ستارك إلى جانبه سيجعل الأمور أسوأ. إنه ما زال واقعًا في غرام الأخت، تلك الصَّغيرة عديمة اللَّون والطَّعم التي ماتت منذ ستة عشر عامًا. كم من الوقت إذن قبل أن يُقَرِّر أن يطرحني جانبًا من أجل ليانا جديدة؟».

كان الخوف قد تملَّك بران تمامًا الآن، ولم يرغب في شيءٍ لحظتها غير العودة من حيث جاءَ والعثور على أخويه الكبيرين. لكن ماذا عساه يقول لهما؟ عليه أن يقترب أكثر، عليه أن يرى المتكلِّمَيْن.

تنهَّد الرجل وقال: «يَجدُر بكِ أن تُفَكِّري أقلَّ في المستقبَل وأكثر في مُتع اللَّحظة».

- «كفى!»، صاحت المرأة، وسمعَ بران صوت لحمٍ يَلطِم لحمًا، ثم ضحكة الرجل تتردَّد.

سحبَ بران نفسه إلى أعلى، وصعدَ فوق الكرجل ثم زحفَ منه إلى السَّطح. كانت هذه هي الطَّريقة الأسهل. تحرَّك فوق السَّطح إلى الكرجل التَّالي الذي يقع فوق نافذة الغُرفة التي يتكلَّمان فيها مباشرةً.

قال الرجل: «كلُّ هذا الكلام أصبحَ مُتعِبًا جدًّا يا أختاه. تعالي هنا واهدئي».

جلسَ بران منفرج السَّاقين فوق الكرجل، وضغطَ ساقيه حوله قدر الإمكان، ثم دلَّى نفسه إلى أسفل بالعكس، فصارَ معلَّقًا من ساقيه حول الكرجل، ثم مَدَّ رأسه إلى أسفل نحو النَّافذة. كان العالم يبدو غريبًا بالمقلوب، وامتدَّت السَّاحة من تحته بشكلٍ يصيب بالدُّوار، والثُّلوج الذَّائبة لا تزال تُبَلِّل حجارتها.

ثم نظرَ بران من النَّافذة.

في داخل الغُرفة كان هناك رجل وامرأة يتصارعان. كان كلاهما عاريًا، ولم يتبيَّن بران من هما. كان ظَهر الرجل إليه، وحجبَ جسده المرأة عن الأنظار وهو يدفعها إلى أعلى قُبالة الحائط. سمعَ بران أصواتًا ناعمةً تَصدُر منهما، وأدركَ أنهما يتبادلان القُبلات. راقبهما بعينين متَّسعتين

من الذُّعر غير قادرٍ على التقاط أنفاسه. كان الرجل يضع يدًا بين ساقيها، ولا بُدَّ أنه كان يؤلمها في تلك البُقعة، لأنها بدأت تتأوَّه بصوتٍ خفيض وقالت: «توقَّف... توقَّف... آه، أرجوك، توقَّف». لكن صوتها كان ضعيفًا مستسلمًا، ولم تُحاوِل أن تدفعه بعيدًا عنها. دفنَت يديها في شَعره، شَعره الذَّهبي الكثيف، وجذبت وجهه إلى نهدها.

رأى بران وجهها. كانت عيناها مغلقتين وفمها مفتوح تَخرُج منه آهة طويلة، وتأرجحَ شَعرها الذَّهبي من جانبٍ إلى جانبٍ ورأسها يتحرَّك إلى الأمام والخلف، لكن بران تعرَّف على المَلكة.

لا بُدَّ أنه أصدرَ صوتًا ما، لأن عينيها انفتحتا عن آخِرهما فجأةً وحدَّقت فيه مباشرةً، ثم صرخَت.

وحدثَ كلُّ شيءٍ في لحظاتٍ معدودة. دفعَت المرأة الرجل بعيدًا بعُنفٍ وهي تصيح وتشير، وحاولَ بران أن يدفع نفسه إلى أعلى وهو ينحني بشدَّةٍ ليَبلُغ الكرجل. كان يتحرَّك بعجلةٍ شديدة، وحكَّت يداه الحَجر الأملس بلا طائل، وانزلقَت ساقاه من فرط ذُعره، ووجدَ نفسه يَسقُط فجأةً. للحظةٍ شعرَ بالدُّوار يكتنفه والرُّؤية تتشوَّش في عينيه وهو يهوي مارًّا بالنَّافذة. ألقى يدًا تتمسَّك بالإفريز لكنه أخطأه، ثم تمسَّك به باليد الأخرى وتأرجحَ بقوَّةٍ على جانب المبنى. طردَت صدمة التوقُّف أنفاسه كلها من صدره، وتدلَّى بران بيدٍ واحدةٍ يلهث.

ثم برزَ الوجهان من النَّافذة من فوقه.

المَلكة... والآن تعرَّف بران على الرجل الواقف إلى جوارها. كانا متشابهَيْن كانعكاسٍ في المرآة.

قالت المرأة بحدَّة: «لقد رآنا».

- «هذا صحيح».

بدأت أصابع بران تنزلق، فتمسَّك بالإفريز بيده الأخرى، وانغرسَت

أظفاره في الحَجر الذي لا يلين. مَدَّ الرجل يده إليه قائلًا: «أمسك يدي قبل أن تَسقُط».

أطبقَ بران على ذراع الرجل وتمسَّك به بكلِّ ما لديه من قوَّة، فرفعه الرجل إلى الإفريز، بينما قالت هي: «ماذا تفعل؟».

تجاهلَها الرجل. كان قويًّا جدًّا، وببساطةٍ أجلسَ بران على عتبة النَّافذة وقال: «كم عُمرك يا فتى؟».

أجابَ بران وهو يرتجف راحةً: «سبعة أعوام». كانت أصابعه قد حفرَت أخاديد عميقة في ذراع الرجل، فتخلَّى عنها بخوفٍ مرتبك.

رمقَ الرجل المرأة للحظاتٍ ثم قال بمقت: «يا للأشياء التي أفعلها من أجل الحُب!»، ثم دفعَ بران من النَّافذة.

صارخًا، هوى بران من النَّافذة على ظَهره في الهواء المفتوح. لم يكن هناك أيُّ شيءٍ يتمسَّك به، واندفعَت السَّاحة إلى أعلى لتلتقي به.

وفي مكانٍ ما على مسافةٍ بعيدة تردَّد عُواء ذِئب، بينما حلَّقت الغِربان حول البُرج المكسور في انتظار الذُّرة.

تيريون

في مكانٍ ما في متاهة وينترفل الحَجريَّة الضَّخمة أطلقَ ذِئب عُواءه، وظَلَّ الصَّوت معلَّقًا فوق القلعة كراية حِداد.

رفعَ تيريون لانستر عينيه عن كُتبه وارتجفَ، على الرغم من أن المكتبة كانت محجوبةً عن الهواء ودافئةً. ثمَّة شيء ما في عُواء الذِّئاب ينتزعك من حاضرك ويُلقي بك في غابةٍ مظلمةٍ في أعماق عقلك، فتجد نفسك تُحاوِل الفرار من قطيعٍ كاملٍ بلا شيءٍ يَستُرك.

عندما عوى الذِّئب الرَّهيب مرَّةً أخرى، أغلقَ تيريون الغلاف الجِلدي الثَّقيل على الكتاب الذي كان يقرأه، مقالة عمرها مئة عامٍ عن تغيُّر الفصول كتبَها مِايستر ما ماتَ من زمنٍ طويل. حجبَ تثاؤبه بظَهرِ يده ورمقَ قِنديل القراءة الذي يرتعش نوره وقد كاد الزَّيت ينفد منه تمامًا، بينما تسرَّب نور الفَجر من النَّوافذ العالية. كان قد قضى اللَّيل كله في القراءة، لكن هذا لم يكن بالشَّيء الجديد، فتيريون لانستر لم يكن أبدًا من هواة النَّوم.

شعرَ بساقيه متصلِّبتين على نحوٍ مؤلم وهو يَنزل ببطءٍ عن الدِّكَّة، ودلَّكهما ليبعث فيهما شيئًا من الحياة، ثم عرجَ بتثاقُلٍ إلى الطَّاولة الأخرى التي غَطَّ السِّپتون عليها في نوم عميق، وقد توسَّد كتابًا مفتوحًا أمامه. ألقى تيريون نظرةً على العنوان، "حياة المِايستر الأكبر إيثلميور"... طبعًا. قال بهدوء: «كايل»، فهبَّ الشَّاب معتدلًا وهو يطرف بعينيه بقوَّة ويَشعُر بالارتباك، وبلَّورة جماعته تتأرجح في حلقتها الفضيَّة. «سأذهبُ

لأتناول إفطاري. ضَع الكُتب في أماكنها على الرُّفوف، وتعامَل برفقٍ مع اللُّفافة الڤاليريَّة، فالرَّق جافٌّ وهشٌّ للغاية. مخطوطة "محرِّكات الحرب" لإيرميدون نادرة جدًّا، ونسختكم هي أكمل نسخة رأيتها منها على الإطلاق». حملقَ كايل فيه وهو لا يزال نِصف نائم، فكرَّر تيريون تعليماته بصبر، ثم ربَّت على كتف السِّپتون الشَّاب وتركه لواجباته.

ملأ تيريون في الخارج رئتيه بهواء الصَّباح البارد، وبدأ نزوله المُجهِد على السَّلالم الحَجريَّة شديدة الانحدار التي تلولبَت حول بُرج المكتبة من الخارج. تحرَّك ببطءٍ شديد، فالدَّرجات كانت مقطَّعة بحيث تكون مرتفعة وضيِّقة، بينما كانت ساقاه قصيرتين مقوَّستين. لم تكن الشَّمس المشرقة قد بلغَت أسوار وينترفل بعد، لكن الرجال كانوا قد بدأوا ممارَسة عملهم بهمَّةٍ في السَّاحة في الأسفل بالفعل، وتناهى إلى مسامع تيريون صوت ساندور كليجاين الخَشِن الآتي من أسفل يقول: «الصَّبي يُحتضر منذ مدَّةٍ طويلة. ليته يموت بسرعةٍ أكبر».

ألقى تيريون نظرةً إلى أسفل، ورأى الرجل الملقَّب بـ"كلب الصَّيد" يقف مع الأمير چوفري، بينما تحرَّك مُرافِقو الفُرسان في كلِّ مكانٍ حولهما. قال الأمير: «إنه يُحتضر بصمتٍ على الأقل، بينما الذِّئب لا ينفكُّ يعوي بلا توقُّف. لقد نمتُ بالكاد ليلة أمس».

كان كليجاين يُلقي ظِلًّا طويلًا على الأرض الصُّلبة، ومُرافِقه يُثبِّت خوذته السَّوداء فوق رأسه. قال عبر مقدِّمة الخوذة المفتوحة: «يُمكنني أن أخرِس الحيوان إذا شاء الأمير». وضعَ مُرافِقه سيفًا طويلًا في يده، فشقَّ هواء الصَّباح به مختبِرًا ثقله، ومن ورائه دوَّى قَرْعُ الفولاذ بالفولاذ في أنحاء السَّاحة.

بدت الفكرة طريفةً للأمير، فصاحَ: «أُرسِلُ كلبًا ليَقتُل كلبًا! لا بأس، وينترفل تُعاني من وباءٍ من الذِّئاب بالفعل، ولن يفتقد آل ستارك واحدًا منها».

وثبَ تيريون من على الدَّرجة الأخيرة إلى السَّاحة قائلًا: «أختلفُ معك يا ابن أختي، فآل ستارك يستطيعون العدَّ بعد رقم ستة، على عكس بضعة أمراءٍ أعرفهم».

تورَّد وجه چوفري خجلًا، بينما قال ساندور: «الصَّوت يأتي من اللامكان!»، وتطلَّع عبر مقدِّمة خوذته المفتوحة حوله متظاهرًا بأنه لا يرى تيريون، وأضافَ: «ثمَّة أرواح في الهواء!».

ضحكَ الأمير كما يفعل دائمًا كلما أدَّى حارسه الشَّخصي تلك التمثيليَّة. كان تيريون معتادًا عليها، فقال: «أنا هنا».

خفضَ الرجل الطَّويل عينيه أرضًا وتظاهرَ بأنه لاحظه أخيرًا، وقال: «سيِّدي الصَّغير تيريون، معذرةً، لم أرك».

- «لستُ في مزاجٍ لإهاناتك اليوم»، قال تيريون ثم التفتَ مخاطبًا ابن أخته: «چوفري، لقد تأخَّرت في زيارتك للورد إدارد والسيِّدة زوجته لتُقَدِّم لهما مواساتك».

بدا چوفري شَكِسًا كأيِّ أميرٍ في سنِّه وهو يقول: «وبِمَ ستنفعهما مواساتي؟».

قال تيريون: «لن تنفعهما بشيء، لكنها متوقَّعة منك، ولقد لوحظ تغيُّبك بالفعل».

قال چوفري: «ابن ستارك لا يعني لي شيئًا، كما أني لا أطيقُ نحيب النِّساء».

مَدَّ تيريون لانستر يده وهوى بصفعةٍ عنيفةٍ مباغتة على وجه ابن أخته، فاكتست وجنته بحُمرةٍ عميقةٍ بينما قال تيريون بصرامة: «كلمة واحدة وسأصفعك مرَّةً أخرى».

هتفَ چوفري: «سأُخبِر أمي!».

وهوى تيريون على وجهه بصفعةٍ ثانية، واحتقنَت وجنتا الصَّبي عن آخِرهما.

قال تيريون بلهجةٍ آمرة: «أخبِر أمك، لكن أولًا ستذهب إلى اللورد والليدي ستارك، وستَسقُط على رُكبتيك أمامهما وتُعَبِّر لهما عن أسفك الشَّديد، وتقول إنك في خدمتهما إذا كان هناك أدنى شيء يُمكنك تقديمه لهما ولأهلهما في هذه المحنة، وإنك تُصَلِّي من أجلهم جميعًا. مفهوم؟ مفهوم؟».

بدا الصَّبي كأنه على وشك البكاء، لكنه هَزَّ رأسه بفتورٍ بدلًا من هذا، ثم استدارَ واندفعَ مغادرًا السَّاحة وقد وضعَ يده على وجنته، وتابَعه تيريون بنظراته.

سقطَ ظِلٌّ على وجهه، فالتفتَ ليجد كليجاين يرتفع فوقه كالجُرف. كانت دِرعه السَّوداء كالسِّناج تبدو كأنها لُطخة على قُرص الشَّمس، وكان قد خفضَ مقدِّمة الخوذة. كانت مدقوقةً لتبدو ككلب صيدٍ أسودَ فغرَ فاهه في زمجرةٍ صامتة. كانت مخيفة الشَّكل حقًّا، إلَّا أن تيريون لطالما حسبها تحسينًا على وجه كليجاين المحترق البشع.

قال كلب الصَّيد محذِّرًا: «الأمير لن ينسى هذا يا سيِّدي الصَّغير»، وضحكَ لتُحَوِّل الخوذة ضحكته إلى دمدمةٍ فارغة.

أجابَ تيريون لانستر: «أتمنَّى ألَّا يفعل. كُن كلبًا مطيعًا وذكِّره إذا نسي»، ثم تطلَّع عبر السَّاحة وسأَلَ: «هل تعرف أين يُمكنني أن أجد أخي؟».

- «إنه يتناول إفطاره مع المَلكة».

قال تيريون: «آه!»، وهَزَّ رأسه لساندور كليجاين بلا اكتراث، ثم ابتعدَ بأنشط خطوةٍ تَقدِر ساقاه ناقصتا النُّمو عليها، وبدأ يُطلِق صفيرًا من بين شفتيه. كان يَشعُر بالشَّفقة على أول فارسٍ يستثير أعصاب كلب الصَّيد اليوم، فمن المعروف عن الرجل أنه سريع الغضب حقًّا.

كانت وجبة باردة كئيبة قد رُصَّت في القاعة الصَّباحيَّة في البيت الكبير، وجلسَ چايمي إلى المائدة مع سرسي والطفلين، يتكلَّمون بأصواتٍ خفيضة.

قال تيريون وهو يجلس إلى المائدة بلا دعوة: «أما زال روبرت نائمًا؟».

رمقَته أخته بتعبير النُّفور الخافت المعتاد الذي اكتسى به وجهها منذ مولده، وقالت: «المَلك لم ينَم على الإطلاق. إنه مع اللورد إدارد. لقد تأثَّر بمصيبتهم كثيرًا».

قال چايمي بابتسامةٍ كسول: «عزيزنا روبرت كبير القلب». أشياءَ قليلة جدًّا كان چايمي يتعامل معها بجديَّة، وكان تيريون يعرف هذا عنه ويغفره له. طوال سنوات طفولته الطويلة البغيضة كان چايمي الوحيد الذي أبدى نحوه النَّزر اليسير من العطف والاحترام، ولهذا كان تيريون على استعداد لأن يغفر له أيَّ شيءٍ تقريبًا.

اقتربَ أحد الخدم، فقال له تيريون: «خُبز، وواحدتان من السَّمك الصَّغير، وكوز من تلك البيرة الدَّاكنة الممتازة تُساعِدني على البلع. آه، وبعض اللَّحم المقدَّد. احرقه حتى يصير أسودَ». انحنى الرجل وابتعدَ، وعادَ تيريون يلتفت إلى أخيه وأخته... توأمان، ذَكر وأنثى... وهذا الصَّباح كانا يلعبان دور التَّوأمين ببراعةٍ تامة. كلاهما اختار ارتداء لونٍ أخضرَ عميق كلون أعينهما، وصُفِّفت خصلاتهما الشَّقراء بعنايةٍ شديدة، بينما لمعت الحُلي الذَّهبيَّة على المعاصم والأصابع وحول الرَّقبتين.

تساءلَ تيريون في قرارة نفسه عن حياته لو كان له توأم بدوره، ثم قرَّر أنه لا يُحَبِّذ أن يعرف الإجابة. من السيِّئ بما فيه الكفاية أن يُواجِه نفسه في مرآةٍ حيَّةٍ كلَّ يوم. فكرة أن يكون هناك آخَر منه كانت أكثر تنفيرًا من أن يُفَكِّر فيها.

تكلَّم الأمير تومن قائلًا: «هل لديك أنباء عن بران يا خالي؟».

أجابَ تيريون: «لقد مررتُ بحُجرة المرضى ليلة أمس، لكن لم يكن هناك تغيير. المِايستر قال إنها علامة تدعو للتفاؤل».

قال تومن بجُبن: «لا أريدُ أن يموت براندون». كان ولدًا طيِّب القلب على عكس أخيه، وإن كان چايمي وتيريون نفساهما شديدي الاختلاف كذلك.

قال چايمي متأمِّلًا: «اللورد إدارد كان له أخ اسمه براندون كذلك، كان أحد الرَّهائن الذين قتلهم تارجارين. يبدو أن الاسم يجلب الحظَّ السيِّئ».

رَدَّ تيريون: «ليس مِثل هذا السُّوء بالتأكيد».

جاءَ الخادم بالطَّبق، ومزَّق تيريون قطعةً من الخُبز الأسمر، بينما تطلَّعت إليه سرسي بحذرٍ وقالت: «ماذا تعني؟».

منحها تيريون ابتسامةً معوجَّةً وقال: «أعني أن أمنية تومن قد تتحقَّق. المِايستر يحسب أن الصَّبيِ قد يعيش رغم كلِّ شيء»، ورشفَ من البيرة.

أطلقَت مارسلا شهقةً فَرِحَةً، وارتسمَت ابتسامة متوتِّرة على وجه تومن، لكن عيني تيريون لم تكونا على الطفلين. النَّظرة الخاطفة التي تبادلها كلٌّ من چايمي وسرسي لم تَدُمْ لأكثر من لحظةٍ واحدة، لكنها لم تَفُته. ثم إن أخته قد خفضت عينيها إلى المائدة وقالت: «هذه ليست رحمة. آلهة الشَّمال تلك قاسية حقًّا إذ تَترُك طفلًا في ألمٍ شديدٍ كهذا».

سأله چايمي: «ما الذي قاله المِايستر بالضَّبط؟».

قرمشَ تيريون اللَّحم المقدَّد ومضغَ مفكِّرًا لحظات، ثم قال: «إنه يحسب أنه لو كان الصَّبي سيموت، لكان قد ماتَ بالفعل، لكن أربعة أيامٍ كاملةٍ مرَّت بلا تغيُّرٍ في الحالة».

سألته مارسلا: «هل سيُصبِح بران أفضل؟». كانت تملك جمال أمها كله، لكن لا شيء من طبيعتها على الإطلاق.

قال تيريون: «إن ظَهره مكسور يا صغيرتي، والسَّقطة حطَّمت ساقيه أيضًا. إنهم يُبقونه حيًّا بالماء والعسل، وإلَّا ماتَ جوعًا. من المحتمَل إذا أفاقَ أن يأكل طعامًا حقيقيًّا، لكنه لن يمشي ثانيةً أبدًا».

ردَّدت سرسي: «إذا أفاقَ... أهذا محتمَل؟».

قال تيريون: «الآلهة وحدها تعلم. المِايستر لا يملك غير الأمل»، ومضغَ المزيد من الخُبز قبل أن يضيف: «يُمكنني أن أقسم أن ذلك الذِّئب هو ما يُبقي الصَّبي حيًّا. إنه يقف خارج نافذته ليل نهار ويعوي، وكلما طردوه عادَ. قال المِايستر إنهم أغلقوا النَّافذة مرَّةً لحَجب الضَّوضاء، وبدا أن بران يَضعُف، وعندما فتحوها مرَّةً أخرى صارت نبضات قلبه أقوى».

قالت المَلكة مرتجفةً: «ثمَّة شيء غير طبيعي في تلك الحيوانات. إنها خَطِرة، ولن أسمح بأن يجيء أيها إلى الجَنوب معنا».

قال چايمي: «سيكون هذا صعبًا يا أختاه. الذِّئبتان الصَّغيرتان تتبعان الفتاتين في كلِّ مكان».

بدأ تيريون يلتهم السَّمك وقال: «هل ستُغادِرون قريبًا إذن؟».

أجابَت سرسي: «ليس بما فيه الكفاية». ثم إنها قطَّبت جبينها وردَّدت: «سنُغادِر؟ وماذا عنك؟ بحقِّ الآلهة، لا تقل لي إنك ستبقى هنا!».

هَزَّ تيريون كتفيه قائلًا: «بنچن ستارك عائد إلى حَرس اللَّيل مع نغل أخيه، وأفكِّرُ في أن أذهب معهما لرؤية ذلك الجِدار الذي يتحاكى الجميع عنه».

ابتسم چايمي وقال: «أتمنَّى أنك لا تُفكِّر في تركنا وارتداء الأسود يا أخي العزيز».

ضحكَ تيريون مجيبًا: «أنا أقضي بقيَّة حياتي متبتِّلًا؟ لو حدثَ ذلك لاعتزلَت العاهرات أعمالهنَّ وشحذنَ في الشَّوارع من دورن إلى كاسترلي روك! كلا، إنني أريدُ فقط أن أقف على قمَّة "الجِدار" وأتبوَّل من فوق حافَّة العالم».

هبَّت سرسي واقفةً وقالت بحدَّة: «ليس من الضَّروري أن يسمع طفلاي قذاراتك. تومن، مارسلا، هيا بنا من هنا»، واندفعَت مغادرةً القاعة بخطواتٍ واسعةٍ وذيل فُستانها وطفلاها في أعقابها.

تطلَّع چايمي لانستر إلى أخيه بعينيه الخضراوين الباردتين وقال: «ستارك لن يُوافِق على تَرك وينترفل أبدًا وابنه معلَّق على حافَّة الموت».

قال تيريون: «سيفعل إذا أمره روبرت، وروبرت سيأمره. ليس هناك شيء يستطيع اللورد إدارد أن يفعله للصَّبي في جميع الأحوال».

قال چايمي: «يُمكنه أن يضع نهايةً لعذابه. كنتُ لأفعل هذا لو كان ابني. إنها رحمة».

- «لا أنصحك بأن تقترح ذلك على اللورد إدارد يا أخي العزيز، فلن يتقبَّله ببساطة».

- «حتى لو عاش الصَّبي فسيعيش قعيدًا، بل أسوأ من قعيد... سيكون مسخًا. لا، أعطني ميتةً نظيفةً».

أجابَ تيريون بهزَّةٍ من كتفيه أبرزَت التواءهما، وقال: «أختلفُ معك في مسألة المسوخ تلك. الموت نهائي تمامًا ولا رجعة منه، بينما الحياة ملأى بالاحتمالات».

ابتسمَ چايمي قائلًا: «عِفريت صغير منحرف أنت، أليس كذلك؟».

قال تيريون: «بلى، بكلِّ تأكيد. أتمنَّى أن يستيقظ الصَّبي. إنني مهتمٌّ حقًّا بمعرفة ما سيقوله».

تخثَّرت ابتسامة أخيه كالحليب التَّالف، وقال بلهجةٍ قاتمة: «تيريون يا شقيقي العزيز، أحيانًا تجعلني أتساءل في صفِّ مَن أنت».

كان فم تيريون مليئًا بالخُبز والسَّمك، فأخذَ جرعةً كبيرةً من البيرة ليُبَلِّع كلَّ هذا، ومنحَ چايمي ابتسامةً ذِئبيَّةً وهو يجيب: «چايمي يا شقيقي العزيز، إنك تجرحني حقًّا. أنت تعلم جيِّدًا كم أحبُّ عائلتي».

چون

صعدَ چون السَّلالم ببطء مُحاوِلًا ألَّا يُفكِّر أن هذه قد تكون المرَّة الأخيرة على الإطلاق، وتحرَّك جوست إلى جواره بصمت. في الخارج كان الثَّلج يدور في الهواء بين بوَّابات القلعة، وضجَّت السَّاحة بالفوضى، لكن الهدوء والدِّفء كانا يسودان على الجانب الآخَر من الجدران الحَجريَّة السَّميكة، لدرجة أن چون كان يجد الهدوء أثقل وطأةً مما يُفَضِّل أصلًا. بلغَ البَسطة ووقفَ في مكانه لفترةٍ طويلةٍ شاعِرًا بالخوف. حَكَّ جوست خَطمه بيده، فاستمدَّ شيئًا من الشَّجاعة من هذا، ومَدَّ قامته ودخلَ الحُجرة.

كانت الليدي ستارك هناك إلى جوار فِراشه. إنها لم تتحرَّك خطوةً من المكان، ليلًا أو نهارًا، منذ ما يَقرُب من أسبوعين، ولم تُبارِح بران لحظةً. كانت قد أمرَت الخدم بأن يأتوا لها بوجباتها ووعاء الفضلات هنا، بالإضافة إلى سريرٍ صغيرٍ غير مريح تنام عليه، وإن كان الجميع قد قالوا إنها تكاد لا تنام البتَّة. كانت تُطعِمه بنفسها خليط العسل والماء والأعشاب الذي يُحافِظ على حياته. إنها لم تُغادِر مكانها مرَّةً، وهكذا بقيَ چون بعيدًا عن المكان.

لكن الآن لم يَعُدْ هناك وقت.

وقف عِند الباب للحظةٍ خائفًا من أن يتكلَّم، خائفًا من أن يدنو. كانت النَّافذة مفتوحةً، وفي الأسفل تردَّد عُواء ذِئب جعلَ جوست يرفع أُذنيه بانتباهٍ لمَّا سمعه.

نظرَت الليدي ستارك من فوق كتفها، وللحظةٍ بدت كأنها لم تتعرَّف عليه، ثم إنها طرفت بعينيها أخيرًا وقالت: «ماذا تفعل هنا؟». كان صوتها محايدًا خاليًا من أيِّ مشاعر على نحوٍ غريب.

أجابَ چون: «جئتُ لأرى بران، لأودِّعه».

لم تتبدَّل ملامحها. كان شَعرها الكستنائي الطَّويل باهتًا متشابك الخصلات، وبدَت كأن السِّنَّ قد تقدَّمت بها عشرين عامًا دفعةً واحدةً. «وها قد فعلت. والآن اذهب».

أرادَ جزء منه أن يَفِرَّ من المكان فعلًا، لكنه كان يعرف أنه قد لا يرى بران ثانيةً أبدًا إذا فعلَ ذلك، فتقدَّم إلى الأمام بخطوةٍ متوتِّرة وقال: «أرجوكِ».

تحرَّك شيء بارد في عينيها وهي تقول: «قلتُ لك أن تذهب. نحن لا نريدك هنا».

كان هذا كفيلًا بأن يجعله يُسلِم ساقيه للرِّيح من قبل، بل وكان كفيلًا بأن يجعله ينفجر باكيًا كذلك، لكن ما شعرَ به الآن كان الغضب ولا شيء غيره. سوف يصير أخًا تحت القَسم في حَرس اللَّيل قبل مضيِّ وقتٍ طويل، وسيُواجِه مَخاطر أسوأ كثيرًا من كاتلين تَلي ستارك. هكذا قال: «إنه أخي».

- «هل تريد أن أستدعي الحرَّاس؟».

قال چون بتحدٍّ: «استدعيهم، لكنكِ لا تستطيعين منعي من رؤيته»، وقطعَ الحُجرة بحيث ظَلَّ الفِراش بينهما، وتطلَّع إلى بران حيث تمدَّد.

كانت تحتضن يده، وبدَت اليد كمخلب من فرط نحولها. لم يكن هذا بران الذي يعرفه... كان لحمه قد صار غثًّا للغاية، ولم يَعُد جِلده يُغَطِّي شيئًا غير عظامٍ كالعِصِي، والتوَت ساقاه من تحت الدِّثار بطريقةٍ أصابَت چون بالغثيان. كانت عيناه غائصتين في حُفرتين سوداوين عميقتين،

مفتوحتين لكن لا تريان شيئًا. بشكلٍ ما جعلَته السَّقطة يتقلَّص. بدا كورقة شجرٍ شديدة الهشاشة ستطير إلى القَبر مع هبوب أول ريحٍ قويَّة.

لكن، تحت قفص تلك الأضلاع المحطَّمة الهزيل، كان صدره يعلو ويهبط مع كلِّ نَفَسٍ ضحلٍ يلتقطه.

قال جون بخفوت: «بران، سامِحني لأني لم آتِ من قبل. كنتُ خائفًا». كان يَشعُر بالدُّموع السَّاخنة تجري على وجنتيه، لكنه لم يَعُدْ يُبالي. «لا تَمُت يا بران، أرجوك. كلنا ننتظر أن تستيقظ، أنا وروب والفتاتان، كلنا».

كانت الليدي ستارك تُراقِبه، ولمَّا لم تُصدِر اعتراضًا افترَض جون قبولها لكلامه. عوى الذِّئب الرَّهيب خارج النَّافذة مجدَّدًا، الذِّئب الذي لم ينل بران فُرصة تسميته.

قال جون: «يجب أن أغادر الآن. العم بنچن ينتظرني. سأذهبُ شَمالًا إلى "الجِدار"، ويجب أن نتحرَّك اليوم قبل نزول الثَّلج». تذكَّر كم كان بران مفعمًا بالحماسة لفكرة الرِّحلة، لكن فكرة أن يتركه هنا ويرحل كانت أصعب ممَّا يحتمل. مسحَ جون دموعه، ومالَ ليطبع قُبلةً خفيفةً على شفتي أخيه.

قالت الليدي ستارك بهدوء: «كنتُ أريده أن يبقى هنا معي».

رمقَها جون بنظرةٍ حَذِرَة، بينما لم تكن هي تَنظُر إليه وهي تتكلَّم. كانت تُخاطِبه، ومع ذلك بدا أن جزءًا منها كان لا يعي أنه موجود في الحُجرة أصلًا، وقالت بلَهجةٍ فاترة: «صلَّيتُ كي يبقى، فهو أقرب أولادي إليَّ. ذهبتُ إلى السِّپت وتوجَّهتُ بالدُّعاء سبع مرَّاتٍ لوجوه الإله السَّبعة كي يجعل ند يُغَيِّر رأيه ويَترُكه هنا معي. أحيانًا ما يُستجاب للدُّعاء».

لم يعرف جون بما يجيب، وبعد صمتٍ غير مريح قال بتردُّد: «لم تكن غلطتك».

وجدَته عيناها، وكانت النَّظرة فيهما مليئة بالسُّم وهي تقول: «لستُ في حاجةٍ إلى مغفرتك أيها النَّغل».

خفضَ چون بصره. كانت تحتضن يد بران، فالتقطَ الأخرى واعتصرَ أصابعها التي ذكَّرته بعظام الطُّيور وقال: «الوداع».

كان عِند الباب عندما سمعها تُناديه بالاسم. كان حريًّا به أن يُواصِل الابتعاد، لكنها لم تُنادِه باسمه من قبل قَطُّ. التفتَ ليجدها تَرمُق وجهه كأنها تراه للمرَّة الأولى، وغمغمَ: «ماذا؟».

قالت: «كان ينبغي أن يكون أنت»، وعادَت تلتفت إلى بران وبدأت تنتحب وجسدها كله يرتجف بنشيجٍ قوي. لم يكن چون قد رآها تبكي من قبل.

وكانت مسيرته إلى السَّاحة في الأسفل طويلةً.

في الخارج سادَت الفوضى والضَّجيج، العربات تُحَمَّل، والرِّجال يزعقون، والخيول تُجَهَّز وتُشَدُّ عليها السُّروج وتُقاد إلى خارج الاسطبلات. كان ثلج خفيف قد بدأ في السُّقوط، والجميع يتحرَّكون بهرجٍ ومرجٍ مع تلهُّفهم للمغادَرة.

كان روب في قلب كلِّ هذا، يصيح بالأوامر مع أعلاهم مكانةً. كان يبدو أكثر نُضجًا مؤخَّرًا، كأن سقطة بران وانهيار أمه قد جعلاه أقوى بشكلٍ ما. كان جراي ويند إلى جانبه كالمعتاد.

قال روب: «العم بنچن يبحث عنك. إنه يريد التحرُّك منذ ساعة».

قال چون: «أعرفُ. سأذهبُ إليه بعد قليل»، وتطلَّع حوله إلى صخب السَّاحة وقال: «الرَّحيل أصعب مما توقَّعتُ».

قال روب: «هو صعب عليَّ أيضًا». كان الثَّلج في شَعره قد بدأ يذوب بفِعل حرارة جسده. «هل رأيته؟».

أومأ چون برأسه إيجابًا دون أن يأتمن نفسه على الكلام، فقال روب: «إنه لن يموت. أنا واثق من هذا».

قال چون موافقًا: «من الصَّعب قتلكم حقًّا يا آل ستارك». كان صوته خفيضًا مُتعَبًا بعد أن سلبَته الزِّيارة آخِر قواه.

أدركَ روب أن ثمَّة شيئًا ما على غير ما يُرام، فقال: «أمي...».

قاطَعه چون قائلًا: «كانت... شديدة اللُّطف معي».

بدا أن الرَّدَّ قد أراحَ روب، فقال: «عظيم»، وابتسمَ مُردِفًا: «ستكون مدثَّرًا بالأسود عندما أراك المرَّة القادمة».

أجبرَ چون نفسه على الابتسام بدوره وقال: «لطالما كان الأسود لوني. متى تعتقد أننا سنلتقي مجدَّدًا؟».

قال روب: «قريبًا»، وجذبَ چون إليه وعانَقه بقوَّةٍ وهو يقول: «وداعًا يا سنو».

ضمَّه چون بقوَّةٍ بدوره وقال: «وداعًا يا ستارك. اعتنِ ببران».

- «سأفعلُ»، قال روب وابتعدا ليتبادلا نظرةً صامتةً مرتبكةً، قبل أن يتكلَّم روب أخيرًا ويقول: «العم بنچن قال أن أُرسِلك إلى الاسطبلات إذا رأيتك».

قال چون: «ما زال أمامي وداع أخير».

قال روب: «لم أرَك إذن». تركه چون واقفًا هناك في الثَّلج محاطًا بالعربات والذِّئاب والخيول. مشى مسافةً قصيرةً إلى مستودع السِّلاح، حيث التقطَ حزمةً متروكةً في انتظاره، ثم قطعَ الجسر المغطَّى إلى داخل الحِصن.

كانت آريا في غُرفتها، تملأ صندوقًا مصقولًا من خشب الصُّلب أكبر منها حجمًا بحاجياتها. كانت نايميريا تُساعِدها... ما على آريا إلَّا أن تُشير بإصبعها، فتندفع الذِّئبة عَبر الغُرفة لتلتقط لفافةً من الحرير في فكِّها وتأتي بها، وإن كانت قد تراجعَت وجلسَت على قوائمها ونبحَت فيهم عندما شمَّت رائحة جوست.

نظرَت آريا وراءها، ووثبَت إلى قدميها عندما رأت چون، وألقت ذراعيها النَّحيلتين حول عُنقه قائلةً بأنفاسٍ متقطِّعة: «كنتُ أخشى أنك رحلت. لقد رفضوا السَّماح لي بالخروج لأودِّعك».

قال چون باسمًا: «ماذا فعلتِ؟».

حلَّت آريا يديها من حول عُنقه، ولاحَ الضِّيق في ملامحها وهي تجيب: «لا شيء. كنتُ قد حزمتُ حاجياتي وكلَّ شيء»، وأشارَت إلى الصندوق الضَّخم الذي امتلأ حتى ثُلثه فقط، وإلى الملابس المبعثَرة في كلِّ أنحاء الغُرفة وأضافَت: «السِپتة موردن أمرَتني بأن أعيد حَزم كلِّ شيء. تقول إن ملابسي لم تكن مطويَّةً بعناية، تقول إن الليدي الجَنوبيَّة الحقيقيَّة لا تُلقي ملابسها داخل الصندوق كما لو أنها أسمال بالية».

- «أهذا ما فعلتِ يا أختي الصَّغيرة؟».

- «سوف تتبعثَر الملابس على كلِّ حال، فمن يُبالي بطيِّها؟».

- «السِپتة موردن تُبالي، ولا أحسبُ أنه سيروق لها أن نايميريا تُساعِدك كذلك». رمقَته الذِّئبة الصَّغيرة بصمتٍ بعينيها الذَّهبيَّتين الدَّاكنتين، بينما تابعَ چون: «لا بأس. لديَّ شيء تأخذينه معكِ، ويجب أن تحزميه بعنايةٍ شديدة».

أشرقَت ملامحها وصاحَت: «هديَّة؟».

- «يُمكنك اعتبارها كذلك. أغلِقي الباب».

تطلَّعت آريا إلى الرُّواق في الخارج بحماسةٍ حَذِرة، وقالت: «نايميريا، هنا، احرسي». تركَت الذِّئبة في الخارج لتُحَذِّرهما من مجيء أيِّ متطفِّلٍ وأغلقَت الباب. كان چون قد فَكَّ الخرقة التي لَفَّ فيها الشيء ورفعه إليها.

اتَّسعت عينا آريا الدَّاكنتين كعينيه وقالت بصوتٍ خفيض: «سيف!».

كان الغِمد مصنوعًا من الجِلد الرَّمادي، ناعمًا كالخطيئة، وسحبَ چون النَّصل ببطءٍ كي تُلاحِظ اللَّمعة الزَّرقاء العميقة في الفولاذ، وقال لها: «هذا ليس لُعبة. احذري أن تجرحي نفسكِ. الحوافُّ حادَّة بما فيه الكفاية لأن أحلِق بها».

قالت آريا: «البنات لا يَحلِقن».

- «ربما يَجدُر بهنَّ أن يفعلنَ. هل رأيتِ ساقي السِّپتة من قبل؟!».

ضحكَت آريا قائلةً: «لكن هذا السَّيف رفيع جدًّا».

- «وأنتِ نحيلة جدًّا. لقد طلبتُ من ميكن أن يصنعه خصِّيصًا. مُبارزو البراڤو يستخدمون سيوفًا مِثله في پنتوس ومير وبقيَّة المُدن الحُرَّة. إنه لن يطيح برأس رجلٍ من فوق كتفيه، لكن بإمكانه أن يصنع في جسده ثقوبًا عديدةً إذا ضربتِ بالسُّرعة الكافية».

قالت آريا: «يُمكنني أن أكون سريعةً».

- «سيكون عليكِ أن تتمرَّني على استخدامه يوميًّا». وضعَ السَّيف في يديها وأراها كيف تحمله، ثم تراجعَ قائلًا: «ما إحساسكِ به؟ هل يروق لك التَّوازن؟».

- «أظنُّ هذا».

قال چون: «الدَّرس الأول: اطعنيهم بالطَّرف المدبَّب».

هوَت آريا على ذراعه بالجانب المسطَّح من النَّصل، وعلى الرغم من أن الضَّربة قد آلمته، إلَّا أن چون وجدَ نفسه يبتسم كالأبله وآريا تقول: «أعرفُ أيَّ طرفٍ أستخدم!». ثم إن نظرة شَكٍّ اعتلَت ملامحها وهي تُردِف: «السِّپتة موردن ستأخذه مني».

- «فقط إذا عرفَت أنه معكِ».

- «لكن مع من سأتدرَّب؟».

قال چون مُطَمْئِنًا: «ستجدين أحدًا. كينجز لاندنج مدينة حقيقيَّة، أكبر من وينترفل ألف مرَّة. راقبي كيف يتدرَّبون في السَّاحة إلى أن تَعثُري على شريك. اركضي واركبي الخيل واجعلي نفسكِ قويَّة. ومهما فعلتِ...».

كانت تعرف ماذا سيقول، وفي آنٍ واحد ردَّدا: «... لا... تقولي... لسانزا!».

بعثرَ چون شَعرها وقال: «سأشتاقُ إليكِ يا أختي الصَّغيرة».

بدَت فجأةً كأنها على وشك البكاء وهي تقول: «ليتك كنت قادمًا معنا».

- «أحيانًا ما تقود الطُّرق المختلفة إلى القلعة ذاتها. من يدري؟». كان يَشعُر بتحسُّنٍ الآن، وقرَّر ألَّا يسمح لنفسه بالاستسلام للحُزن. «يجب أن أذهب. سأقضي عامي الأول على "الجِدار" في إفراغ أوعية الفضلات إذا تركتُ العم بنچن ينتظر أكثر».

اندفعَت آريا لتُلقي نفسها بين ذراعيه مرَّةً أخيرةً، فقال چون محذِّرًا وهو يضحك: «ضعي سيفكِ أولًا». نحَّت السَّيف جانبًا بخجلٍ، ثم أمطرَته بالقُبلات.

وعندما التفتَ إليها وهو عِند الباب، وجدَها تحمل السَّيف مرَّةً أخرى وتُجَرِّب توازنه، فقال: «كدتُ أنسى. كل السُّيوف العظيمة لها أسماء».

قالت: «مِثل "جَليد"»، ثم تطلَّعت إلى السَّيف في يدها وتساءلَت: «ألهذا اسم أيضًا؟ أوه، قُل لي!».

قال چون مُداعِبًا: «ألا يُمكنك التَّخمين؟ إنه نشاطك المفضَّل على الإطلاق».

بدَت آريا حائرةً في البداية، ثم استوعبَت ما يعنيه. كانت سريعة البديهة حقًّا، ومعًا ردَّدا الكلمة:

- «"*الإبرة*"*!*».

وعلى الطَّريق الطَّويل شَمالًا بثَّت ذكرى ضحكاتها الصَّافية فيه الدِّفء.

دنيرس

زُفَّت دنيرس تارجاريَن إلى گال دروجو في خليطٍ من الخوف والأبَّهة الهمجيَّة في حقلٍ واسعٍ يقع وراء أسوار پنتوس، فالدوثراكي يؤمنون بأن كلَّ حدثٍ جللٍ في حياة الرجل يجب أن يقع تحت السَّماء المفتوحة. كان دروجو قد دعا الگالاسار التابع له كله لحضور زفافه وجاءوا جميعًا، أربعون ألفًا من مُحارِبي الدوثراكي وأعداد لا تُحصى من النِّساء والأطفال والعبيد. خيَّموا خارج أسوار المدينة ومعهم قُطعانهم الضَّخمة، مشيِّدين قصورًا من العُشب المجدول وآتين على الأخضر واليابس، ليُثيروا المزيد من التوتُّر في نفوس أهالي پنتوس الطيِّبين مع كلِّ يومٍ يمرُّ.

- «لقد ضاعفَ زملائي الماچسترات عدد حَرس المدينة»، قال لهما إليريو ذات ليلةٍ من وراء أطباقٍ من البطِّ المشوي بالعسل والفلفل البرتقالي الحرِّيف في الإيوان الذي كان ملكًا لدروجو. كان الگال قد انضمَّ إلى گالاساره وتركَ إيوانه لدنيرس وأخيها حتى الزِّفاف.

قال السير چورا مورمونت ساخرًا: «يَحسُن أن يُعقَد قران الأميرة دنيرس سريعًا، قبل أن يُسَلِّموا نِصف ثروات پنتوس للمُرتَزِقة ومُبارزي البراڤو». كان الفارس المنفي قد قدَّم سيفه لأخيها في اللَّيلة التي بيعت فيها داني إلى گال دروجو، وقد قبلَ ڤسيرس بترحاب، ومنذ ذلك الحين ومورمونت يُرافِقهما طوال الوقت تقريبًا.

ضحكَ الماچستر إليريو بخفَّةٍ من وراء لحيته المتشعِّبة، لكن ڤسيرس لم يُكَلِّف نفسه حتى عناء الابتسام، وقال: «يُمكنه أن يأخذها غدًا إذا أرادَ»، ثم رمقَ داني التي خفضَت بصرها وهو يُردِف: «طالما أنه سيدفع الثَّمن».

لوَّح إليريو بيده بحركةٍ فاترة وتألَّقت الخواتم على أصابعه السَّمينة، وقال: «أؤكِّد لك أن المسألة منتهية، ثِق بي. لقد وعدَك الگال بالتَّاج، ولسوف تناله».

- «نعم، لكن متى؟».

- «عندما يُقَرِّر الگال. سوف يحظى بالفتاة أولًا، وبعد زفافهما عليه أن يقود موكبه عبر السُّهول ليُقَدِّمها إلى الدوش گالين في ڤايس دوثراك. بعد ذلك ربما، إذا كان الطَّالع يؤيِّد الحرب».

كان ڤسيرس يتميَّز غيظًا وأعماقه كلها تموج بفراغ الصَّبر، فقال: «أبولُ على طالع الدوثراكي. المُغتَصِب يجلس على عرش أبي، فكم ينبغي أن أنتظر؟».

هَزَّ إليريو كتفيه العظيمتين قائلًا: «لقد انتظرت معظم حياتك أيها المَلك العظيم، فما الفارق إذا مرَّت بضعة شهورٍ أخرى، أو بضعة أعوامٍ أخرى؟».

أومأ السير چورا، الذي كان قد سبق له السَّفر شَرقًا حتى ڤايس دوثراك، برأسه موافِقًا وقال: «أنصحك بالصَّبر يا جلالة المَلك. الدوثراكي لا يرجعون في كلمتهم، لكنهم يفعلون الأشياء حسب وقتهم هُم. من الممكن أن يتوسَّل رجلٌ أدنى شأنًا معروفًا من الگال، لكن لا ينبغي أبدًا أن يتجرَّأ على توبيخه».

قال ڤسيرس بعدوانيَّة: «صُن لسانك يا مورمونت وإلَّا أمرتُ بقطعه. إنني لستُ رجلًا أدنى شأنًا، إنني سيِّد المَمالك السَّبع. التنِّين لا يتوسَّل».

خفضَ السير چورا بصره باحترام، بينما ابتسمَ إليريو بغموضٍ ومزَّق جناحًا من البطَّة، وسال العسل والدُّهن على أصابعه وغاصا في لحيته وهو يَقضُم من اللَّحم الطَّري. *لم تَعُدْ هناك تنانين*، فكَّرت داني وهي تَرمُق أخاها، وإن لم تجرؤ على أن تقولها بصوتٍ أعلى من صوت أفكارها.

على أنها رأت تنِّينًا في منامها في تلك اللَّيلة. كان ڤسيرس يضربها، يؤلمها، وكانت عاريةً والخوف يجعلها تتصرَّف بخَرَق. جرَت منه، لكن جسدها كان ثقيلًا بطيئًا، وهوى ڤسيرس عليها بضربةً أخرى، فتعثَّرت وسقطَت. كان يَركُلها ويَصرُخ: «لقد أيقظتِ التنِّين!»... يَركُل ويَصرخ: «أيقظتِ التنِّين! أيقظتِ التنِّين!». أغرقَت الدِّماء فخذيها، وأغلقَت عينيها وانتحبَت... ثم، وكأنها استجابة لها، دوَّى فجأةً صوت تمزيقٍ مرعب وقعقعة نارٍ عظيمة، وعندما فتحَت عينيها مرَّةً أخرى كان ڤسيرس قد اختفى وارتفعَت أعمدة هائلة من اللَّهب في كلِّ مكان، وفي وسطها كان التنِّين. دارَ برأسه الضَّخم ببطء، وعندما وقعَت عيناه المتَّقدتان عليها استيقظَت ترتجف وتتصبَّب عَرقًا. إنها لم تَشعُر قَطُّ بمِثل هذا الخوف...

... إلى أن جاءَ يوم زفافها أخيرًا.

بدأت المراسم عِند الفَجر واستمرَّت حتى الغَسق... يوم بلا نهايةٍ من الشُّرب والعربدة والعراك. أقيمت منصَّة قويَّة من الخزف بين قصور العُشب المجدول، وعليها جلسَت دنيرس إلى جوار گال دروجو ليُطِلَّا من عَلٍ على بَحر الدوثراكي الثَّائر. لم تكن قد رأت كلَّ هذه الأعداد من النَّاس في مكانٍ واحدٍ من قبل، ولا أناسًا مخيفين شديدي الغرابة كهؤلاء. قد يتسربَل سادة الخيول بالأقمشة الثَّمينة ويتضمَّخون بالعطور الفوَّاحة عندما يزورون المُدن الحُرَّة، لكنهم يعودون إلى عاداتهم القديمة كلما كانوا في الخلاء تحت السَّماء المفتوحة. الرِّجال والنِّساء على حدٍّ سواء كانوا يرتدون صُدَرًا من الجِلد الملوَّن فوق الصُّدور العارية، وأغطيةً للسِّيقان من شَعر الخيل موثقةً بأحزمةٍ من الحلقات

البرونزيَّة، ودهنَ المُحارِبون جدائلهم الطَّويلة بالشَّحم من حُفر الشِّواء. كانوا يلتهمون لحم الخيل المشوي بالعسل والفلفل بشراهةٍ شديدة، ويشربون حتى الثُّمالة من حليب الفَرس المخمَّر، ويُلقون دعاباتهم الخشنة على بعضهم بعضًا من بين المَشاعل بأصواتهم الخشنة الغريبة على سمع داني.

أجلسوا ڤسيرس أسفلها مباشرةً، وقد بدا متألِّقًا في معطفه الجديد المصنوع من الصُّوف الأسود ذي التنِّين القَرمزي على صدره، وجلسَ إليريو والسير چورا إلى جواره. كان مجلسهم مجلس احترامٍ كبير، أسفل خيَّالة دم الكال مباشرةً، لكن داني ميَّزت الغضب في عينيْ أخيها الأرجوانيَّتين. لم يكن يروق له أن يجلس أدنى منها، وبدا أنه يستشيط غضبًا كلما قدَّم العبيد كلَّ طبق طعامٍ إلى الكال وعروسه أولًا، ثم يُقَدِّمون له ما يَرفُضانه. هكذا لم يكن أمامه غير أن يَترُك سُخطه يشتعل في أعماقه، وهكذا فعلَ ومزاجه يُصبِح أكثر سوادًا مع كلِّ ساعةٍ تمرُّ يتلقَّى فيها إهانةً لشخصه.

على الرغم من جلوسها وسط هذا الحشد الهائل من البَشر، شعرَت داني بوحدةٍ لم تختبر مِثلها قَطُّ. كان أخوها قد قال لها أن تبتسم، فابتسمَت حتى أوجعها وجهها وتجمَّعت الدُّموع رغمًا عنها في عينيها، وبذلَت داني قصارى جهدها كي تُخفيها، لأنها تعلم جيِّدًا كم سيغضب ڤسيرس إذا رآها تبكي، وتَشعُر بالرُّعب من ردَّة فعل كال دروجو. جيء إليها بأصنافٍ وأصنافٍ من الطَّعام، قِطع من اللَّحم المشوي والسجق الأسود الثَّخين وفطائر الدَّم التي يصنعها الدوثراكي، ولاحقًا قُدِّمَت لها الفاكهة ويخنة العُشب السُّكَّري ومعجَّنات لذيذة من مطابخ پنتوس، لكنها رفضَت تناوُل أيِّ شيء. كانت معدتها مضطربةً تمامًا، وكانت تعرف أنها لا تستطيع الاحتفاظ بأيٍّ من هذا الطَّعام في أحشائها.

لم يكن هناك من تُحَدِّثه. كان كال دروجو يصيح بالأوامر والدُّعابات

لخيَّالة دمه ويضحك على ردودهم، لكنه نادرًا ما التفتَ إلى داني الجالسة إلى جواره. لم تكن هناك لُغة مشتركة بينهما، فهي لم تكن تفهم كلمةً من الدوثراكي، والكّال لم يكن يعرف إلَّا بضع كلماتٍ من الڤاليريَّة الهجينة التي يتكلَّمونها في المُدن الحُرَّة، ولا كلمة واحدة من عاميَّة المَمالك السَّبع. كانت لتُرَحِّب بالكلام مع إليريو وأخيها حتى، لكنهما كانا جالسَيْن أدنى منها بمسافةٍ طويلة.

هكذا جلسَت بثوب زفافها الحريري ترشف ببطءٍ من كأس نبيذٍ محلًّى بالعسل، خائفةً من الأكل وتُكَلِّم نفسها.. *أنا دم التِّنين. أنا دنيرس وليدة العاصفة، أميرة دراجونستون، من دم ونسل إجون الفاتح.*

كانت الشَّمس قد شقَّت رُبع طريقها في السَّماء لا أكثر عندما رأت الرجل الأول يموت. كانت الطُّبول تدقُّ وبضع نساء يَرقُصن للكّال، وتفرَّج دروجو عليهنَّ بلا تعبيرٍ على وجهه، وإن تتبَّعت عيناه حركتهنَّ، وبين الحين والآخر كان يُلقي حليةً برونزيَّة لهنَّ كي يتشاجرنَ عليها. كان المُحارِبون يتفرَّجون كذلك، وأخيرًا خطا أحدهم إلى داخل الدَّائرة وجذبَ واحدةً من الرَّاقصات من ذراعها، ثم دفعها أرضًا واعتلاها في مكانها كما يعتلي الفَحل الفَرس. كان إليريو قد أخبرَها بأن شيئًا كهذا قد يَحدُث، وقال لها: «الدوثراكي يتزاوجون كالحيوانات التي في قُطعانهم. ليس هناك شيء اسمه الخصوصيَّة في الكّالاسار، وهُم لا يفهمون الخطيئة والخجل كما نفعل نحن».

أبعدَت داني عينيها عن الجِماع الجاري أمامها وقد شعرَت بالرُّعب لمَّا أدركَت ما يَحدُث، لكن مُحارِبًا آخَر تقدَّم إلى داخل الدَّائرة، ثم الثالث، وسرعان ما لم يعد هناك سبيل للإشاحة ببصرها. ثم أمسكَ رجلان بالمرأة نفسها... سمعَت داني صيحةً، ورأت أحدهما يدفع الآخَر، وفي غمضة عينٍ كان كلٌّ منهما قد أخرجَ الأراخ الذي يحمله، النَّصل الطَّويل الحاد كالموسى الذي يجمع بين السَّيف والمِنجل. بدأت رقصة الموت

والمُحارِبان يدوران ويَشُقّان الهواء بسلاحيهما، يثبان على بعضهما بعضًا ويُلَوِّحان بالأراخين فوق رأسيهما ويتبادلان الشَّتائم، بينما لم يتدخَّل أيٌّ من الحاضرين عِلى الإطلاق.

انتهى القتال بسرعةٍ كما بدأ. ارتجفَ الأراخان معًا أسرع من قُدرة داني على المتابَعة، وأخطأ أحد الرَّجلين خطوته، وصنعَ الآخَر قوسًا في الهواء بأراخه وهو يهوي عليه. انغرسَ الفولاذ في اللَّحم فوق خاصرة الدوثراكي مباشرةً، وشقَّه من عموده الفقري إلى سُرَّته لتنسكب أمعاؤه على التُّراب. سقطَ الخاسر ميتًا، والتقطَ الرَّابح أقرب امرأة -ليست من كانا يتشاجران عليها أصلًا- واعتلاها في مكانها، بينما جاءَ العبيد وحملوا الجثَّة بعيدًا واستأنفَ الباقون الرَّقص.

كان الماچستر إليريو قد حذَّر داني من هذا أيضًا، وقال لها: «زفاف الدوثراكي الذي يمرُّ من دون ثلاثة قتلى على الأقل يُعَدُّ حدثًا مملًّا». لا بُدَّ إذن أن بركةً خاصَّةً قد حلَّت على زفافها، فقبل نهاية اليوم كان دستة من الرِّجال قد سقطوا قتلى.

مرَّت السَّاعات واستفحلَ خوف داني، إلى أن صارت تُقاتِل رغبتها في الصُّراخ بكيانها كله. كانت خائفةً من الدوثراكي الذين بدت عاداتهم غريبةً وحشيَّةً جدًّا، كأنهم دوابٌّ يرتدون جِلد البَشر دون أن يكونوا بَشرًا على الإطلاق.. وكانت خائفةً من أخيها، مما قد يفعله بها إذا خذلَته.. أمَّا أكثر ما كان يخيفها هو ما سيَحدُث اللَّيلة تحت النُّجوم، عندما يُسَلِّمها أخوها للعملاق الذي جلسَ يشرب إلى جوارها بوجهٍ قاسٍ ثابتٍ كقناعٍ من البرونز.

أنا دم التِّنين...

عندما انخفضَت الشَّمس في السَّماء أخيرًا، صفَّق كال دروجو بيديه، فصمتَت الطُّبول واللَّغط والاحتفال تمامًا. نهضَ دروجو وجذبَها لتقف إلى جواره، فقد حان وقت تقديم هدايا العروس. بَعد الهدايا، كانت

تعلم، بَعد أن تغيب الشَّمس، سيحين وقت الرُّكوب الأول ثم دُخلتها. حاولَت داني تنحية الخاطِر جانبًا، لكنه أبى أن يُفارِقها، واحتضنَت نفسها محاوِلةً أن تكفَّ عن الارتجاف.

أهداها أخوها ڤسيرس ثلاث وصيفات، وكانت داني تعرف أنهنَّ لم يُكَلِّفنه شيئًا، ولا بُدَّ أن إليريو هو من جاءَ بهنَّ. إيري وچيكوي كانتا فتاتين من الدوثراكي لهما بشرة بلون النُّحاس وشَعر أسودَ وعيون بشكلِّ حبَّات اللَّوز، ودوريا كانت فتاةً لايسينيَّة ذات شَعرٍ أشقر ناعمٍ وعينين زرقاوين. قال لها أخوها وهُنَّ يُقَدِّمن إليها واحدةً تلو الأخرى: «هؤلاء لسنَ خادمات تقليديَّات يا شقيقتي العزيزة. إليريو وأنا اخترناهنَّ خصِّيصًا لكِ. إيري ستُعَلِّمك ركوب الخيل، وچيكوي ستُعَلِّمك لُغة الدوثراكي، وستُرشِدك دوريا إلى ممارَسة فنون الحُب الأنثويَّة»، ولاحَت على شفتيه ابتسامة رفيعة وهو يضيف: «إنها شديدة البراعة. إليريو وأنا يُمكننا أن نُقسِم على ذلك».

قدَّم السير چورا مورمونت هديَّته لها قائلًا بلهجةٍ معتذِرة: «إنها هديَّة صغيرة يا أميرتي، لكنها كلُّ ما يستطيع منفيٌّ فقير تدبيره»، ووضعَ أمامها كومةً صغيرةً من الكُتب القديمة، فرأت أنها قِصص وأغانٍ من المَمالك السَّبع مكتوبة باللُّغة العاميَّة، وشكرَته من أعماق قلبها.

غمغمَ الماچستر إليريو بشيءٍ ما، فتقدَّم أربعة عبيد ضخام الجثَّة إلى الأمام حاملين صندوقًا ضخمًا من خشب الأَرز مزيَّنًا بالبرونز. فتحَته داني، فوجدَت أكوامًا من أفخم أنواع المخمل والإستبرق التي تُنتِجها المُدن الحُرَّة... وعلى الوجه، بين ثنايا النَّسيج، استقرَّت ثلاث بيضات ضخمة. أطلقَت داني شهقةً. كانت البيضات أجمل شيءٍ رأته في حياتها بلا نظير، كلُّ واحدةٍ منها تختلف عن الأخرى وقد زُخرِفَت بألوانٍ غنيَّةٍ للغاية، حتى أنها حَسبتها قشورًا من الجواهر للوهلة الأولى، وكانت كبيرة الحجم للغاية لدرجة أنها استخدمَت يديها معًا كي تحمل واحدةً

منها. رفعَتها داني برقَّةٍ متوقِّعةً أنها ستجدها مصنوعةً من نوعٍ خاص من البورسلين أو المينا، أو حتى من الزُّجاج المنفوخ، لكنها كانت أثقل من كلِّ هذه الأشياء، كما لو أنها مصنوعة بالكامل من الحَجر الصُّلب. كان سَطح القشرة مغطًّى بحراشف صغيرةٍ للغاية تألَّقت في نور الشَّمس الغاربة كمعدنٍ مصقول وهي تُقَلِّب البيضة بين أصابعها. واحدة منها كانت ذات لونٍ أخضرَ داكِن به بُقع برونزيَّة صغيرة برَّاقة تظهر وتختفي حسبما كانت داني تُديرها، والأخرى ذات لونٍ أصفرَ شاحب به خيوط ذهبيَّة، والأخيرة سوداء قاتمة كبَحر منتصَف اللَّيل، وإن كانت حيَّةً بتموُّجاتٍ ودوَّاماتٍ قرمزيَّة. سألت بصوتٍ خافتٍ امتلأ بالدَّهشة: «ماذا تكون؟».

أجابَ الماچستر إليريو: «إنها بيضات تنِّين من بلاد الظِّل وراء آشاي. لقد حوَّلها الزَّمن إلى أحجار، لكنها لا تزال تتَّقد جمالًا».

- «سأصونها دائمًا». كانت داني قد سمعَت حكاياتٍ عن بيض التَّنانين، لكنها لم ترَ واحدةً قَطُّ، ولا كانت تحسَب أنها سترى. كانت هديَّةً ثمينةً للغاية، لكنها كانت تعرف أن إليريو قادر على الحصول عليها ببساطة، فقد حصَّل ثروةً من الخيول والعبيد لقاء دوره في بيعها إلى گال دروجو.

قدَّم خيَّالة دم الگال لها الأسلحة التقليديَّة الثلاثة، ولقد كانت أسلحةً رائعةً حقًّا. أهداها هاجو سوطًا جِلديًّا طويلًا ذا مقبضٍ من الفضَّة، وكهولو أراخًا فاخرًا مرصَّعًا بالذَّهب، وكوثو قوسًا ثنائي المنحنى مصنوعًا من عظام التنِّين يفوقها طولًا. كان الماچستر إليريو والسير چورا قد علَّماها الرَّد التقليدي لرفض هذه العطايا: «هذه هديَّة تليق بمُحارِبٍ يا دم دمي، وأنا مجرَّد امرأة، فدع السيِّد زوجي يحملها نيابةً عني»، وهكذا تلقَّى گال دروجو نصيبه من هدايا العروس بدوره!

تلقَّت هدايا أخرى كثيرة من الدوثراكي الآخَرين، من أخفافٍ وجواهر

وخواتم فضيَّةٍ لشَعرها، وأحزمةٍ من الحلقات وصُدَرٍ ملوَّنةٍ وصُوفٍ ناعم، وحرائرٍ ملساء وقدورٍ من العِطر وريشٍ وإبرٍ وقوارير صغيرةٍ من الزُّجاج الأرجواني، وفُستان مصنوعٍ من جِلد ألف فأر. قال الماچستر إليريو معلِّقًا على الهديَّة الأخيرة بَعد أنْ شرحَ لها كنهها: «هديَّة ممتازة يا گاليسي، تجلب الحظَّ السَّعيد». تضخَّمت كومة الهدايا أمامها كثيرًا، هدايا أكثر مما كانت تتخيَّل، هدايا أكثر مما يُمكنها أن تريد أو تستخدم.

وأخيرًا جاءَ گال دروجو بهديَّته لها. رانَ الصَّمت المتوقَّع شيئًا فشيئًا بدايةً من مركز المخيَّم حتى ابتلعه كله ودروجو يتحرَّك من جوارها، وعندما عادَ تفرَّق حشد مقدِّمي الهدايا من أمامه وهو يقود الفَرس إليها.

كانت مُهرةً شابَّةً بهيَّة المنظر خفيفة الحركة. كانت داني تعرف عن الخيول ما يكفيها لأن تُدرِك أنها ليست دابَّة تقليديَّة، وثمَّة شيء ما فيها جعلَ أنفاسها تحتبس فعلًا. كانت ذات لونٍ رماديٍّ كبَحر الشِّتاء، وعلى عُنقها شَعر بلون الدُّخَّان الفضِّي.

مدَّت يدها بتردُّدٍ وربَّتَت على عُنق الفَرس ومرَّرت أصابعها في فِضَّة شَعر عُنقها. قال گال دروجو شيئًا بالدوثراكي ترجمَه لها الماچستر إليريو قائلًا: «يقول الگال: فضَّة كفضِّة شَعرك».

تمتمَت: «إنها جميلة».

قال إليريو: «إنها فخر الگالاسار. الأعراف تقضي بأن تمتطي الگاليسي فَرسًا تليق بمكانتها إلى جوار الگال».

تقدَّم دروجو ووضعَ يديه حول خصرها، ورفعَها بسهولةٍ تامَّةٍ كأنها طفلة ووضعَها فوق سَرج الدوثراكي التقليدي النَّحيل، الأصغر حجمًا بكثير من كلِّ سَرجٍ رأته من قبل. جلسَت داني في مكانها مرتبكةً للحظات، فلم يُخبِرها أحد بشيءٍ عن هذا الجزء. سألَت إليريو: «ماذا أفعلُ؟».

كان السير چورا مُورمونت هو من أجابها: «أمسكي العِنان وتحرَّكي بالمُهرة. ليس من الضَّروري أن تبتعدي».

متوتِّرةً أمسكَت داني بالعِنان ووضعَت قديمها في الرِّكابين الصَّغيرين. لم تكن تجيد قيادة الخيل لتلك الدَّرجة، فقد قضَت فتراتٍ أطول بكثير تُسافِر على متن السُّفن والعربات والهوادج من تلك التي قضَتها على ظَهر حصان. دعَت ألَّا تقع وتُهين نفسها، ومنحَت المُهرة أخفَّ وأرقَّ لمسةٍ لديها برُكبتيها.

وللمرَّة الأولى منذ ساعاتٍ نسيَت خوفها، ولربما للمرَّة الأولى على الإطلاق.

تحرَّكت المُهرة ذات اللَّونين الرَّمادي والفضِّي بمشيةٍ ملساء كالحرير، وأفسحَت الجموع الطَّريق أمامها وقد تركَّزت العيون كلها عليهما. وجدَت داني نفسها تتحرَّك بسرعةٍ أكبر مما أرادَت، وإن ملأها هذا بالإثارة بدلًا من الخوف. ثم إن المُهرة بدأت تُهَروِل، وارتسمَت ابتسامة واسعة على ثَغر داني، بينما تفرَّق الدوثراكي من أمامهما. أضعفُ ضغطةٍ بقدميها، أخفُّ شدَّةٍ للعِنان، وتستجيب المُهرة في الحال. حثَّتها على الرَّكض، وبدأ الدوثراكي يصيحون ويضحكون وهُم يقفزون بعيدًا عن طريقها. عندما دارَت بالمُهرة لتعود، رأت حُفرة نارٍ أمامها في طريقها مباشرةً. كانت والمُهرة مطوَّقتين من الجانبين، ولا مكان يَصلُح للتوقُّف، وفي هذه اللَّحظة ملأت دنيرس شجاعة لم تعرفها من قبل قَطّ، وتركت للمُهرة العِنان.

ووثبَت المُهرة الفضيَّة من فوق اللَّهب كأن لها جناحين.

وعندما توقَّفت داني أمام الماچستر إليريو قالت: «قُل لگال دروجو إنه أهداني الرِّيح». ملَّس البِنتوشي السَّمين على لحيته الصَّفراء وهو يُكرِّر كلماتها بالدوثراكي، وللمرَّة الأولى رأت داني زوجها الجديد يبتسم.

غابَ آخِر شعاعٍ للشَّمس وراء أسوار پنتوس العالية إلى الغَرب في تلك اللَّحظة، وكانت داني قد فقدَت إحساسها بالزَّمن. أمرَ گال

دروجو خيَّالة الدَّم بأن يأتوا بجواده، الذي كان فَحلًا أحمرَ شديد الرَّشاقة، وبينما كان الگال يضع السَّرج عليه انسلَّ ڤسيرس مقتربًا من داني على متن مُهرتها الفضيَّة، وغرسَ أصابعه في ساقها قائلًا: «أسعِديه يا شقيقتي العزيزة، وإلَّا أقسمُ أنك سترين التنِّين مستيقظًا كما لم تريه من قبل».

عادَ الخوف إليها عندئذٍ مع كلمات أخيها، وعادَت تَشعُر أنها مجرَّد طفلةٍ في الثالثة عشر من عُمرها لا أكثر، وليست مستعدَّةً على الإطلاق لما يوشك أن يَحدُث لها.

ركبا معًا والنُّجوم تنتشر في السَّماء، تاركَيْن الگالاسار وقصور العُشب وراءهما. لم يُوَجِّه گال دروجو لها كلمةً واحدةً وهو ينطلق بفَحله في الغَسق المحتشد، ورنَّت الأجراس الفضيَّة الصَّغيرة في جديلته. «أنا دم التنِّين»، همسَت لنفسها وهي تتبعه محاوِلةً استجماع شجاعتها. «أنا دم التنِّين. أنا دم التنِّين». التنِّين لا يخاف أبدًا.

بَعدها لم تستطِع التكهُّن بالمسافة التي قطعاها، لكن الظَّلام كان كاملًا عندما توقَّفا عِند منطقةٍ معشوشبةٍ على حافَّة جدولٍ صغير. وثبَ دروجو من فوق حصانه، وحملها عن مُهرتها فشعرَت بأنها هشَّة كالزُّجاج بين يديه وأطرافها واهية كالماء. وقفَت هناك ترتجف عاجزةً في ثوب زفافها الحريري بينما ربطَ هو الحصانين، وعندما التفتَ ليَنظُر إليها بدأت تبكي.

حدَّق گال دروجو في وجهها وملامحه خالية من أيِّ تعبير، وبلُغة داني قال: «لا»، ومَدَّ يده ليمسح دموعها بخشونةٍ بإبهامه ذي الجِلد الغليظ.

قالت داني بدهشة: «هل تتكلَّم اللُّغة العاميَّة؟».

كرَّر: «لا».

خطرَ لها أنه ربما يعرف تلك الكلمة فحسب، لكنها كانت أكثر مما حسبَته يعرف، وبشكلٍ ما جعلها هذا تطمئن بعض الشَّيء. مَسَّ دروجو شَعرها بخفَّةٍ ومرَّر أصابعه بين خصلاته الفضِّيَّة الشَّقراء وهو يُتَمتِم بشيءٍ

ما بالدوثراكي. لم تفهم داني الكلمات، لكن كان ثمَّة دِفء في نبرته، رقَّة لم تتوقَّعها من هذا الرجل.

وضعَ أصابعه تحت ذقنها ورفعَ رأسها إليه كي تَنظُر في عينيه مباشرةً. كان يقف شاهقًا فوقها كما يشهَق فوق الجميع. دَسَّ يديه تحت إبطيها ورفعَها وأجلسَها على صخرةٍ مستديرةٍ إلى جوار الجدول، ثم جلسَ على الأرض مواجِهًا إياها وقد ربَّع ساقيه من تحته، ليتلاقى وجهاهما على ارتفاع واحدٍ أخيرًا، ومرَّةً أخرى كرَّر «لا».

سألته: «أهذه هي الكلمة الوحيدة التي تعرفها؟».

لم يُجِبها دروجو. كانت جديلته الطَّويلة الثَّقيلة ملتفَّةً في التُّراب إلى جواره، وجذبَها من فوق كتفه اليُسرى وبدأ يخلع الأجراس من شَعره واحدًا واحدًا، وبَعد لحظةٍ مالت داني إلى الأمام لتُساعِده. ثم أشارَ لها دروجو بعد أن انتهيا ففهمَت إشارته، وببطءٍ وحذر بدأت تحلُّ جديلته.

استغرقَ الأمر وقتًا طويلًا ظَلَّ يَرمُقها خلاله بصمت، وعندما انتهَت هَزَّ رأسه لينساب شَعره على ظَهره كنهرٍ من الظَّلام يلمع. لم ترَ شَعرًا طويلًا كهذا من قبل، أو أسودَ غزيرًا هكذا.

ثم حانَ دوره وبدأ يُجَرِّدها من ملابسها.

كانت أصابعه رشيقة الحركة ورقيقةً على نحوٍ أدهشَها. خلعَ قِطع الثَّوب الحريري قطعةً قطعةً، بينما جلسَت داني في مكانها صامتةً بلا حراك تَنظُر في عينيه. لم تستطِع منع نفسها عندما كشفَ نهديها الصَّغيرين، فأشاحَت ببصرها وغطَّت نفسها بيديها، فقال دروجو: «لا»، ودفعَ يديها بعيدًا عن نهديها برقَّةٍ لكن بحزم، ثم رفعَ رأسها مرَّةً أخرى لتَنظُر إليه، وكرَّر: «لا»، فردَّدتها وراءه كالصَّدى.

ثم إنه أوقفها وجذبَها قريبًا إليه ليخلع قطعة الحرير الأخيرة. كان هواء اللَّيل باردًا على بشرتها العارية، وارتجفَت شاعرةً بالخَدر في ذراعيها وساقيها. كانت خائفةً مما سيَحدُث الآن، لكن للحظاتٍ لم يَحدُث

شيء. جلسَ گال دروجو مربِّعًا ساقيه، يتأمَّلها وينهل من جسدها بعينيه.

بَعد قليلٍ بدأ يلمسها، بنعومةٍ أولًا ثم بخشونة. كانت تَشعُر بقوَّته العاتية في يديه، لكنه لم يؤلمها ولو مرَّة. وضعَ يدها في يده ومَسَّ أصابعها واحدًا تلو الآخَر، ومرَّر أصابعه على ساقها، ومَسَّ وجهها متتبِّعًا انحناءات أُذنيها ودائرًا حول شفيتها بإصبعٍ رقيق. وضعَ كلتا يديه في شَعرها ومشَّطه بأصابعه، ثم أدارها ودلَّك كتفيها، ومَرَّ بمفصل إصبعه على عمودها الفقري.

بدا كأن ساعاتٍ قد مرَّت عندما بلغَت يداه نهديها أخيرًا، فمسَّد الجِلد النَّاعم تحتهما إلى أن دغدغَها، وداعبَ حلمتيها بإبهاميه وقرصَ كلًّا منهما بين الإبهام والسبَّابة، ثم بدأ يجذبهما بخفَّةٍ شديدةٍ في البداية، ثم بقوَّةٍ بعد ذلك إلى أن انتصبتا وبدأتا تؤلمانها.

توقَّف حينئذٍ وجذبَها لتَجلِس في حِجره. كانت داني متقطِّعة الأنفاس الآن ووجهها متورِّدًا عن آخِره. طوَّق دروجو وجهها بيديه الضَّخمتين ونظرَ في عينيها وقال: «لا؟»، وكانت تعرف أنه سؤال.

أخذَت يده وقادتها إلى البُقعة المبتلَّة بين فخذيها، وإذ وضعَ إصبعه في داخلها همسَت: «نعم».

إدارد

جاءَ الاستدعاء قبل ساعةٍ من الفَجر، والعالم لا يزال ساكنًا غائمًا.

هزَّه آلين بخشونةٍ ليوقظه من أحلامه، وخرجَ مترنِّحًا في السَّحَرِ البارد والنَّوم لا يزال يُشَوِّش الموجودات أمام عينيه، ليجد حصانه جاهزًا والمَلك على ظَهر حصانه بالفعل. كان روبرت يرتدي زوجًا بُنيًّا سميكًا من القفَّازات ومعطفًا ثقيلًا من الفرو ذا قلنسوةٍ غطَّت أُذنيه، وبدا للعالم كله كأنه دُبٌّ على صهوة حصان. صاحَ بأسلوبه الصَّاخب: «هَلُمَّ يا ستارك، انهض! هيا، انهض، انهض! ثمَّة شؤون دولة يجب أن نُناقِشها».

قال ند: «بكلِّ تأكيد. تفضَّل بالدُّخول يا جلالة المَلك»، ورفعَ باب خيمته المُسدَل.

قال روبرت والبُخار يَخرُج مع أنفاسه مع كلِّ كلمة: «لا، لا، لا. المخيَّم مليء بالآذان، كما أني أريدُ أن أركب الحصان وأتذوَّق بلدك هذا». رأى ند أن السير بوروس والسير مرين كانا ينتظران وراءه مع دستةٍ من الحُرَّاس، ولم يجد ما يفعله غير أن يَفرُك النَّوم من عينيه ويرتدي ثيابه ويعتلي حصانه بدوره.

حدَّد روبرت سرعة حركتهما وهو ينطلق بجواده الحربي الأسود الضَّخم، وند يعدو بحصانه إلى جواره محاولًا مجاراته. صاحَ بسؤالٍ ما وهما ينطلقان، لكن الرِّيح بعثرَت كلماته ولم يسمعه المَلك، فلاذَ ند بالصَّمت. سرعان ما كانا قد حادا عن طريق الملوك ودخلا سهولًا

متموِّجةً كثيفة الضَّباب، وكان الحَرس قد تراجعوا وراءهما بعض الشَّيء ولا يُمكن لهم أن يسمعونهما، لكن روبرت لم يُبطئ حركته رغم ذلك.

طلعَ الفَجر وهما يرتقيان بروزًا جبليًّا واطئًا، وأخيرًا جذبَ المَلك عِنان جواده وتوقَّف. حينئذٍ كانا قد ابتعدا أميالًا كاملةً عن المخيَّم. كان روبرت متورِّد الوجه منتعشًا وند يتوقَّف إلى جواره، وصاحَ ضاحكًا: «بحقِّ الآلهة، من الرَّائع أن ينطلق الرجل بحصانه كما ينبغي له! أقسمُ لك يا ند أن طيلة التلكُّؤ تلك تصيب بالجنون». لم يكن روبرت باراثيون رجلًا صبورًا قَطُّ. «تلك المركبة المجرورة اللَّعينة وكلُّ أصوات الصَّرير والطَّقطقة، وصعود كلِّ نتوءٍ في الطَّريق كأنه جبل! أقسمُ أنني سأحرقها إذا انكسرَ محور آخَر في تلك المركبة البائسة، ولتمشِ سرسي على قدميها!».

قال ند ضاحكًا: «سأوقدُ لك المِشعل بكلِّ سرور».

ربَّت روبرت على كتفه بقوَّةٍ قائلًا: «أنت رجل صالح! جزء مني يرغب في أن أتركهم جميعًا ولا أتوقَّف».

مسَّت ابتسامة شفتَي ند وهو يقول: «أنا واثق من أنك تعني هذا حقًّا».

قال المَلك: «أعنيه بالفعل. ما رأيك يا ند؟ أنا وأنت فقط، فارسان شريدان على طريق الملوك، سيفانا إلى جانبينا والآلهة وحدها تعلم ما يقع أمامنا، ولربما تُدَفِّئ ابنة مُزارعٍ ما أو خادمة في حانةٍ فِراشينا اللَّيلة».

قال ند: «ليتنا نستطيع، لكن لدينا واجبات الآن يا جلالة المَلك، واجبات نحو البلاد ونحو أبنائنا، واجبي نحو السيِّدة زوجتي وواجبك نحو مَلكتك. إننا لم نَعُدْ الصَّبيَّين اللذين كناهما من قبل».

قال روبرت متذمِّرًا: «أنت لم تكن الصبيَّ الذي كنتَه قَطُّ للأسف. لكن كانت هناك تلك المرَّة الوحيدة... فتاتك هذه، ماذا كان اسمها؟ بِكا؟ لا، تلك كانت من فتياتي أنا. بحقِّ الآلهة كم كانت جميلة! شَعر أسودَ وعينان

واسعتان يُمكنك أن تغرق فيهما. فتاتك كانت.. ألينا؟ لا، لقد أخبرتني باسمها مرَّةً. أهي ميرِل؟ تعرف من أقصد، أمَّ نغلك».

أجابَ ند بكياسةٍ باردة: «كان اسمها ويلا، وأفضِّلُ ألَّا نتكلَّم عنها».

ابتسمَ المَلك ابتسامةً عريضةً وقال: «ويلا، نعم. لا بُدَّ أنها كانت فتاةً نادرةً من نوعها طالما أنها جعلَت اللورد إدارد ستارك شخصيًّا ينسى شَرفه ولو لساعةٍ واحدة. إنك لم تُخبِرني قَطُّ كيف كان شكلها».

تقلَّص فم ند غضبًا وقال: «ولن أفعل. كفى كلامًا في هذا الأمر يا روبرت بحقِّ المحبَّة التي تقول إنك تُكِنُّها لي. لقد لوَّثتُ شَرفي وشَرف كاتلين على مرأى من الآلهة والبَشر».

- «لترحمنا الآلهة! إنك كنت تعرف كاتلين بالكاد حينئذٍ».

- «لقد تزوَّجتها، وكانت تحمل ابني».

قال روبرت: «إنك تقسو على نفسك كثيرًا يا ند. إنها عادتك. تبًّا، ليست هناك امرأة تريد بيلور المبارَك في فِراشها!»، ثم ربَّت على رُكبة ند وأضافَ: «حسن، لن أضغط عليك طالما أنك تَرفُض الكلام في الأمر، وإن كنتُ أقسمُ أن أحيانًا ما يكون كلامك شائكًا لدرجة أن القُنفذ سيكون رمزًا ملائمًا لك».

غرسَت الشَّمس المشرقة أصابعها في ضباب الفَجر الأبيض، وامتدَّ سهل واسع أسفلهما أجرد عاريًا، تتخلَّل وجهه المسطَّح في غير موضعٍ روابٍ طويلة واطئة، أشار إليها ند قائلًا للمَلك: «روابي البَشر الأوائل».

عقدَ روبرت حاجبيه قائلًا: «هل كنا نتحرَّك فوق قبورٍ كلَّ هذا الوقت؟».

قال ند: «ثمَّة قبور في كلِّ مكانٍ في الشَّمال يا جلالة المَلك. هذه الأرض عتيقة».

- «وباردة»، قال روبرت متأفِّفًا وهو يضمُّ معطفه على جسده بإحكام.

كان الحَرس قد توقَّفوا على مسافةٍ لا بأس بها منهما عند قمَّة البروز

الجبلي. «على كلِّ حال أنا لم آتِ بك إلى هنا كي نتكلَّم عن القبور أو نتشاجَر بخصوص نغلك. ثمَّة رسول جاءَ ليلًا من اللورد ڤارس في كينجز لاندنج. هاك». وسحبَ المَلك ورقةً من حزامه وناولَها لند.

كان ڤارس الخَصِيُّ يشغل منصب ولي الهامسين، وكان يخدم روبرت الآن كما خدمَ إيرس تارجاريَن من قبله. فردَ ند الورقة بتوتُّر وهو يُفَكِّر في لايسا واتِّهامها الرَّهيب، لكن الرِّسالة لم تكن تتعلَّق بالليدي آرن.

- «ما مصدر هذه المعلومة؟».

- «هل تَذكُر السير چورا مورمونت؟».

أجابَ ند بفتور: «ليتني أستطيعُ نسيانه». كان آل مورمونت أبناء جزيرة الدِّببة عائلةً قديمةً تتمتَّع بالكبرياء والشَّرف، لكن أراضيهم كانت باردةً وبعيدةً وفقيرةً. حاولَ السير چورا أن يملأ خزائن العائلة ببيع بعض اللُّصوص إلى نخَّاسٍ تايروشي، وبما أن آل مورمونت حمَلة راية لآل ستارك، فقد كلَّلت جريمة چورا هذه الشَّمال كله بالعار. قطعَ ند بنفسه الرِّحلة الطَّويلة إلى جزيرة الدِّببة في الغَرب، فقط ليكتشف لدى وصوله أن چورا قد استقلَّ سفينةً حملته بعيدًا عن متناوَل السَّيف "جَليد" وعدالة المَلك. خمسة أعوام كانت قد مرَّت منذ ذلك الحين.

قال روبرت مفسِّرًا: «السير چورا موجود في پنتوس الآن، يتلهَّف على الفوز بعفوٍ مَلكي يتيح له العودة من المنفى، واللورد ڤارس يستغلُّه على أكمل وجه».

قال ند باحتقار: «إذن فقد تحوَّل النخَّاس إلى جاسوس»، وأعادَ الرِّسالة إلى المَلك مُردِفًا: «أفضِّلُ أن يتحوَّل إلى جثَّة».

- «ڤارس يقول لي إن الجواسيس ينفعون أكثر من الجُثث، لكن دعك من چورا وقُل لي ما رأيك في تقريره».

- «دنيرس تارجاريَن تزوَّجت واحدًا من الدوثراكي سادة الخيول، وماذا في هذا؟ هل نُرسِل لها هديَّة زفاف؟».

عبسَ المَلك وقال: «بل خنجر ربما، خنجر حاد ورجل بارع يحمله».

لم يتظاهَر ند بالدَّهشة، فكراهية روبرت لعائلة تارجاريَن كلها كانت جنونًا لا يَخمُد في داخله. تذكَّر الكلمات الغاضبة التي تبادلاها عندما قدَّم تايوين لانستر لروبرت جُثث زوجة ريجار وطفليه كأمارةٍ على ولائه. وقتها قال ند إنها جريمة قتل، وردَّ عليه روبرت بأنها الحرب، وعندما قال ند معترضًا إن الأمير والأميرة الصَّغيرين كانا مجرَّد طفلين، أجابَ صديقه الذي صارَ مَلكًا: «لا أرى أطفالًا هنا، بل نسل التنِّين». لم يستطِع چون آرن نفسه تهدئة تلك العاصفة، وخرجَ إدارد ستارك يومها في غضبةٍ باردةٍ ليخوض بقيَّة معارك الحرب وحده في الجَنوب. تطلَّب الأمر موتًا آخَر كي يتصالح الاثنان، موت ليانا والحُزن العميق الذي تشاركاه.

هذه المرَّة عزمَ ند على الاحتفاظ بهدوئه، وقال: «جلالة المَلك، الفتاة ليست أكثر من مجرَّد طفلة، وأنت لست تايوين لانستر كي تَقتُل الأبرياء». كان قد قيل إن بنت ريجار الصَّغيرة بكَت وصرخَت وهُم يَجُرُّونها من تحت الفِراش لتُواجِه سيوفهم. الولد لم يكن أكثر من رضيع، لكن جنود اللورد تايوين انتزَعوه من على صَدر أمه وهشَّموا رأسه على الحائط.

زَمَّ روبرت فمه بقسوةٍ وقال: «وكم من الوقت ستظلُّ بريئةً؟ هذه الطفلة التي تتكلَّم عنها سرعان ما ستفتح ساقيها وتبدأ في إنجاب المزيد من نسل التنِّين ليُكَدِّروا عليَّ حياتي».

قال ند: «نعم، لكن قتل الأطفال... هذا إثم عظيم... لا يوصَف...».

زأرَ المَلك: «لا يوصَف؟ ما فعله إيرس بأخيك براندون كان لا يوصَف. الطريقة التي مات بها أبوك كانت لا توصَف. وريجار... كم مرَّةً تحسبه اغتصبَ أختك؟ كم مئة مرَّة؟». كان صوته قد ارتفعَ كثيرًا لدرجة أن حصانه قد بدأ يصهل من تحته، فشدَّ المَلك العِنان بقوَّةٍ أجبرَت الحصان على الصَّمت، وأشارَ بإصبعٍ غاضبٍ إلى ند قائلًا: «سأقتلُ كلَّ

تارجاريَن أستطيعُ الوصول إليه إلى أن يصيروا موتى جميعًا كتنانينهم، ثم سأبولُ على قبورهم».

كان ند أكثر فطنة من أن يتحدَّاه وهو ثائر هكذا. إذا كانت السِّنين لم تُطفِئ ظمأ روبرت للانتقام، فكلماته لن تَصلُح بحال. قال بهدوء: «لكنك لا تستطيع الوصول إلى هذه، أليس كذلك؟».

التوى فم المَلك في تكشيرةٍ مريرةٍ وقال: «نعم، فلتحل اللَّعنة بالآلهة. ثمَّة تاجر أجبان پنتوشي سقيم بالجُدري كان يستضيفها مع أخيها في داخل ضيعته، والجنود المخصيُّون ذوو الخوذات المدبَّبة يحيطون بهما من كلِّ جانب، والآن ها هو يُسَلِّمهما إلى الدوثراكي. كان يجب أن أقتلهما منذ سنوات عندما كان الوصول إليهما سهلًا، لكن چون كان يُعادِلك سوءًا، وأنا أصغيتُ إليه كالأحمق».

- «چون آرن كان رجلًا حكيمًا ويَدًا كُفئًا».

أطلقَ روبرت نخيرًا، وبدا أن الغضب قد غادَره سريعًا كما أدركَه، وقال: «يُقال إن گال دروجو هذا يملك مئة ألف رجلٍ في قطيعه. ماذا كان چون ليقول عن هذا؟».

أجابَ ند بهدوء: «كان ليقول إن حتى مليون دوثراكي لا يُشَكِّلون تهديدًا للبلاد طالما ظلُّوا على الجانب الآخَر من البَحر الضيِّق. هؤلاء البرابرة لا يملكون سُفنًا، ويَكرهون البَحر المفتوح وَيرهبونه».

تململَ المَلك بغير راحةٍ على سَرجه، وقال: «ربما، لكن من الممكن أن يحصلوا على السُّفن من المُدن الحُرَّة. أقولُ لك يا ند إن هذه الزِّيجة لا تروق لي. هناك من لا يزالون ينعتونني بالمُغتَصِب في المَمالك السَّبع. هل نسيت كم عائلةً حاربَت في صَفِّ آل تارجاريَن في الحرب؟ إنهم يتحيَّنون الوقت المناسب الآن، لكن أعطهم نِصف فُرصةٍ وسيغتالونني في سريري ومعي ابنيَّ. إذا عبرَ المَلك الشحَّاذ ومعه جيش من الدوثراكي، سينضمُّ إليه الخونة بلا شك».

قال ند: «لن يَعبُر، وإذا حدثَ وفعلها بمعجزةٍ ما سنُلقيه في البَحر. بمجرَّد أن تختار حاكِمًا جديدًا للشَّرق...».

قاطعه روبرت بتذمُّر: «للمرَّة الأخيرة أقول لك إني لن أنصِّب ابن آرن حاكِما. أعرفُ أن الولد بمثابة ابن أختك، لكن الآن وقد صارَ آل تارجاريَن والدوثراكي يتقاسمون الفِراش، سيكون من الجنون أن أضع رُبع البلاد دفعةً واحدةً على عاتِق طفل مريض».

كان ند مستعدًّا لهذه الإجابة، فقال: «ومع ذلك ما زلنا في حاجةٍ إلى حاكِم جديدٍ للشَّرق. إذا كان روبرت آرن لا يَصلُح، فنصِّب أحد أخويك. ستانيس أثبتَ نفسه أثناء حصار ستورمز إند».

تركَ الاسم معلَّقًا في الهواء بعض الوقت، وقطَّب المَلك جبينه ولم يقل شيئًا وبدا عليه عدم الرَّاحة.

ثم استطردَ ند وهو يَرمُقه بإمعان: «ما لم تكن قد وعدت شخصًا آخَر بهذا الشَّرف».

للحظةٍ بدا روبرت متفاجئًا، وبالسُّرعة نفسها استحالَ تعبيره إلى الضِّيق وقال: «وماذا لو فعلتُ؟».

- «إنه چايمي لانستر، أليس كذلك؟».

وكزَ روبرت حصانه ليتحرَّك من جديد وبدأ ينزل البروز الجبلي في اتِّجاه الرَّوابي، وحافظَ ند على سرعةٍ مماثلة والمَلك يُحَدِّق أمامه مباشرةً.

- «بلى»، قال المَلك أخيرًا، كلمة واحدة صعبة تضع نهايةً للنِّقاش.

غمغمَ ند: «قاتِل المَلك». كانت الشَّائعات صحيحةً إذن، وأدرك أنه يطأ منطقةً خطرةً الآن، وتابعَ بحذر: «رجل بارع وشجاع لا شكَّ، لكن أباه حاكِم الغَرب يا روبرت، وبعد فترةٍ سيرث السير چايمي هذا اللَّقب. لا ينبغي أبدًا أن يَحكُم رجل واحد الغَرب والشَّرق معًا». أمَّا ما يُقلِقه حقًّا فلم يُفصِح عنه لفظًا: أن هذا المنصب سيضع نِصف جيوش البلاد بين يدي آل لانستر وحدهم.

قال المَلك بعناد: «سوف أخوضُ المعركة عندما يظهر العدو في الميدان، أما حاليًّا فاللورد تايوين يبدو قويًّا صامدًا مِثل كاسترلي روك نفسها، فأشكُّ أن چايمي سيرِث أيَّ شيءٍ قريبًا. لا تُناقِشني يا ند، فقد اتَّخذتُ قراري وانتهى الأمر».

- «جلالة المَلك، هل لي أن أتكلَّم بصراحة؟».

دمدمَ روبرت وهما يتحرَّكان وسط عُشب بُنِّي طويل: «يبدو أني عاجز عن منعك عن هذا».

- «هل يُمكنك أن تثق بچايمي لانستر؟».

- «إنه توأم زوجتي، أخ تحت القَسم في الحَرس المَلكي، حياته وثروته وكرامته... كلُّ هذه الأشياء مرهونة بي».

- «كما كانت مرهونةً بإيرس تارجاريَن؟».

- «ما الذي يجعلني أرتابُ فيه؟ لقد فعلَ كلَّ شيءٍ أمرته به، وسيفه ساعدَني على الفوز بالعَرش الذي أجلسُ عليه الآن».

سيفه ساعدَ على تلويث العَرش الذي تجلس عليه الآن، فكَّر ند وإن لم يسمح للكلمات بأن تَبلُغ شفتيه، ثم إنه قال: «لقد أخذَ على نفسه عهدًا أن يُدافِع عن حياة مَلكه بحياته، ثم شَقَّ حَلق ذلك المَلك بسيفه».

- «كان يجب أن يَقتُل أحدهم إيرس بحقِّ الجحائم السَّبع!»، صاحَ روبرت وهو يجذب عِنان حصانه ليتوقَّف به فجأةً إلى جوار رابية دفنٍ قديمة. «وفي النهاية كنتُ لأقتله أو تَقتُله أنت لو لم يكن چايمي قد فعلها».

قال ند: «نحن لم نكن أخوين تحت القَسم في الحَرس المَلكي». قرَّر لحظتها أن الوقت قد حانَ لكي يسمع روبرت الحقيقة كاملةً. «هل تَذكُر يوم الثَّالوث يا جلالة المَلك؟».

- «لقد فزتُ بتاجي هناك، فكيف أنساه؟».

قال ند مذكِّرًا إياه: «كان ريجار قد أصابَك بجرح، وهكذا عندما تفرَّق جيش تارجاريَن تركت المطارَدة لي. انسحبَت فلول جيش ريجار إلى

كينجز لاندنج وتبعناها، بينما كان إيرس في القلعة الحمراء مع عدَّة آلاف من المُخلِصين له، وكنتُ أتوقَّعُ أن أجد البوَّابات مغلقةً في وجوهنا».

هَزَّ روبرت رأسه بصبرٍ نافد وقال: «لكنك وجدت أن رجالنا قد استولوا على المدينة بالفعل. ماذا في هذا؟».

على عكسه أجابَ ند بصبرٍ قائلًا: «ليس رجالنا، بل رجال لانستر. كان أسد لانستر هو الذي يُرَفرِف فوق الأسوار وليس الوَعل المتوَّج، كما أنهم أخذوا المدينة بالخيانة».

كانت الحرب قد احتدمَت لما يَقرُب من عامٍ كامل، ورفعَ السَّادة كبارًا وصغارًا رايات روبرت، بينما ظَلَّ آخَرون منهم مُخلِصين لتارجاريَن، أمَّا آل لانستر أبناء كاسترلي روك الأقوياء وحُكَّام الغَرب فقد ظلُّوا بمنأى عن النِّزاع، متجاهلين دعوات حَمل السِّلاح من الثوَّار وأنصار المَلك في آنٍ واحد. لا بُدَّ أن إيرس تارجاريَن قد حسبَ أن آلهته قد استجابَت له أخيرًا، عندما ظهرَ اللورد تايوين أمام بوَّابات كينجز لاندنج مع جيشٍ من اثني عشر ألف رجل مُعلِنًا ولاءه للمَلك. وهكذا أصدرَ المَلك المجنون آخِر أوامره المجنونة، وفتحَ مدينته للأسود التي تنتظر على الأبواب.

قال روبرت والغضب يتصاعَد في داخله من جديد: «الخيانة عُملة كان آل تارجاريَن يتداولونها جيِّدًا، وآل لانستر دفعوا لهم بعُملتهم نفسها، ولم يكن هذا أقلَّ مما يستحقُّون. ما حدثَ لا يُقلِق منامي على الإطلاق».

قال ند بمرارة: «أنت لم تكن هناك». لم يكن النوم القَلِق بالشَّيء الجديد عليه. لقد عاشَ أكاذيبه طوال أربعة عشر عامًا، ومع ذلك كانت تَسكُن لياليه. «لم يكن هناك شَرف في ذلك الفَتح».

هتفَ روبرت غاضبًا: «فليأخذ "الآخَرون" شَرفك! ما الذي كان أيُّ تارجاريَن يعرفه عن الشَّرف؟ انزلِ إلى سِردابك وسَل ليانا عن شَرف التنِّين!».

توقَّف ند إلى جوار المَلك وقال: «لقد انتقمت لليانا في الثَّالوث».

تذكَّر همستها له.. *عِدني يا ند.*

أشاحَ روبرت ببصره وحدَّق في المساحات الخالية أمامه: «لكن ذلك لم يُعِدها. على الآلهة اللَّعنة، لقد أعطَتني نصرًا فارغًا... أعطَتني تاجًا بينما صلَّيتُ كي أحصل على الفتاة، أن تكون أختك آمنةً وأن تكون لي من جديد كما كان ينبغي أن يَحدُث. قُل لي يا ند، ما الفائدة من ارتداء التَّاج؟ الآلهة تسخر من صلوات الملوك ورعاة الأبقار على حدٍّ سواء».

قال ند: «لا يُمكنني الكلام نيابةً عن الآلهة يا جلالة المَلك، لكن فقط عمَّا وجدته عندما دخلتُ قاعة العَرش في ذلك اليوم. كان إيرس على الأرض غارقًا في دمه وجماجم التَّنانين تَنظُر من مكانها على الجدران. كان رجال لانستر في كلِّ مكان، وچايمي يرتدي معطف الحَرس المَلكي الأبيض فوق دِرعه الذَّهبيَّة. ما زلتُ أرى المشهد. حتى سيفه كان مذهَّبًا. كان جالسًا على العَرش الحديدي فوق فُرسانه يرتدي خوذةً على شكل رأس أسد. كان يتألَّق!».

قال المَلك بفظاظة: «هذا معروف».

- «كنتُ لا أزالُ على ظَهر حصاني، وقطعتُ طول القاعة صامتًا بين الصَّفَّين الطَّويلين من جماجم التَّنانين. شعرتُ كأنها كانت تُراقِبني بشكلٍ ما. توقَّفتُ أمام العَرش ورفعتُ عينيَّ إليه، ورأيتُ سيفه الذَّهبي موضوعًا على ساقيه ونصله لا يزال أحمرَ من دم المَلك. ملأ رجالي القاعة من خلفي بينما تراجعَ رجال لانستر، ولم أنطق كلمةً واحدةً. حدَّقتُ فيه وهو جالس في مكانه على العَرش وانتظرتُ، وأخيرًا ضحكَ چايمي ونهضَ، وخلعَ خوذته وقال لي: "لا تقلق يا ستارك، كنتُ أحافظُ عليه دافئًا لا أكثر من أجل صديقنا روبرت، لكنني أخشى أنه ليس بالمقعد المريح"».

ألقى المَلك رأسه إلى الوراء وأطلقَ ضحكةً مدويَّة أجفلَت سربًا من الغِربان كان قد حَطَّ بين أعواد العُشب البُنِّيَّة الطَّويلة، وحلَّقت الغِربان

في الهواء ضاربةً بأجنحتها بعُنف. «تقول إن عليَّ أن أرتاب في چايمي لانستر لأنه جلسَ على عَرشي لبضع دقائق؟». اهتزَّ جسده كله ضحكًا مرَّةً أخرى، قبل أن يقول: «چايمي كان في السَّابعة عشر من عُمره وقتها يا ند، ليس أكثر من صبي».

- «صبيًّا أو رجلًا، لم يكن لديه الحق في الجلوس على ذلك العَرش».

قال روبرت: «ربما كان متعَبًا. قتل الملوك عمل مُتعِب كما تعلم، والآلهة تعلم أنه لا يوجد مكان آخَر يُمكنك أن تريح مؤخِّرتك عليه في تلك القاعة اللَّعينة. كما أنه كان على حق، فذلك الوحش الذي يُسَمُّونه كرسيًّا غير مريح على الإطلاق بالفعل، على أكثر من وجه». وهَزَّ المَلك رأسه وأضافَ: «حسن، الآن أعرفُ خطيئة چايمي السَّوداء ويُمكننا أن ننسى المسألة كلها. إنني أشعرُ بالتَّعب حتى النُّخاع من الأسرار والصِّراعات وشؤون الدَّولة يا ند، حقًّا. ليس هناك غير عملٍ مُضجِرٍ كعدِّ العُملات النُّحاسيَّة. هَلُمَّ، دعنا نَركُض بحصانينا. أذكرُ أنكَ كنت تعرف كيف. أريدُ أن أشعر بالرِّيحِ في شَعري من جديد»، ووكزَ حصانه وانطلقَ به صاعدًا الرَّابية لتتطاير التُّربة في كلِّ اتِّجاه.

للحظةٍ لم يتبعه ند. كانت الكلمات قد نفدَت منه، وملأه شعور قوي بالعَجز. تساءلَ -وليس للمرَّة الأولى- عمَّا يفعله هنا ولِمَ جاءَ. إنه ليس چون آرن كي يكبح جموح مَلكه ويُعَلِّمه الحكمة. سوف يفعل روبرت ما يشاء كعادته، ولا شيء يستطيع ند أن يقوله أو يفعله كي يُغَيِّر هذا. إنه ينتمي إلى وينترفل، ومكانه مع كاتلين في حُزنها، ومع بران.

لكن الرجل لا يستطيع أن يكون في المكان الذي ينتمي إليه طوال الوقت، وهكذا وكزَ إدارد ستارك حصانه بقدميه وانطلقَ به وراء المَلك.

تيريون

امتدَّ الشَّمال بلا نهاية.

تيريون لانستر كان على درايةٍ بالخرائط كأيِّ أحدٍ آخَر، لكن الأسبوعين اللذين قضاهما على الدَّرب الوَعر الذي يمتدُّ من طريق الملوك في هذه المنطقة، لقَّناه درس أن الخريطة شيء والأرض الفعليَّة شيء آخَر تمامًا.

كانوا قد غادَروا وينترفل في اليوم نفسه كالمَلك وسط جلبة رحيل العائلة الملكيَّة، وخرجوا على خلفيَّةٍ من زعيق الرِّجال وصهيل الخيل وقعقعة العربات وصرير مركبة المَلكة المجرورة، بينما تطايرَت نُدف ثلج خفيف من حولهم. كان طريق الملوك يقع وراء امتداد القلعة والبلدة مباشرةً، وهناك انعطفَت الرَّايات والعربات وصفوف الفُرسان والمُحارِبين غير النِّظاميِّين جَنوبًا آخذةً الصَّخب معها، بينما انعطفَ تيريون شَمالًا مع بنچن ستارك وابن أخيه.

ومنذ ذلك الحين والجَوُّ يزداد برودةً، والصَّمت يُطبِق أكثر فأكثر.

إلى غَرب الطَّريق كانت تقع تلال صوَّان رماديَّة وعرة، وعلى قممها الحَجريَّة ترتفع أبراج حراسةٍ عالية. إلى الشَّرق كانت الأرض أكثر انخفاضًا، تتسطَّح في سهلٍ مائجٍ يمتدُّ على مدى البصر. ارتفعَت الجسور الحَجريَّة فوق أنهارٍ صغيرةٍ سريعة، بينما انتشرَت مَزارع صغيرة في حلقاتٍ حول معاقل ذات أسوارٍ من الخشب والحَجر. كان الطريق مأهولًا إلى حَدٍّ كبير، وفي اللَّيل كانوا يجدون نُزلًا هنا أو هناك يستريحون فيه.

لكن بَعد مرور ثلاثة أيام على مغادرَة وينترفل بدأت الأراضي الزراعيَّة تتراجع أمام غابةٍ كثيفة، وصارَ طريق الملوك مقفرًا. ارتفعَت تلال الصوَّان أكثر وأصبحَت أكثر وعورةً مع كلِّ ميلٍ يمرُّ، إلى أن تحوَّلت مع حلول اليوم الخامس إلى جبال، كلٌّ منها كعملاقٍ باردٍ تلوَّن بالأزرق والرَّمادي، له نتوءات حادَّة والثَّلج يكسو كتفيه. عندما كانت الرِّياح تهبُّ من الشَّمال، كانت خيوط طويلة من الجليد البلَّوريِّ تطير من القمم العالية كأنها رايات.

شكَّلت الجبال جدارًا إلى الغَرب، وانعطفَ الطَّريق شَمالًا ثم إلى الشَّمال الشَّرقي عَبر الغابة، التي احتشدَت فيها أشجار السَّنديان والعُروة وأشجار الورد البرِّي السَّوداء، فبدَت أقدم وأظلم من أيِّ غابةٍ رآها تيريون في حياته. كان بنچن ستارك يُسَمِّيها "غابة الذِّئاب"، وبالفعل كانت الحياة تدبُّ في ليلهم هناك مع عُواء القُطعان البعيدة، وبعضها لم يكن بعيدًا لهذه الدَّرجة. كان ذِئب چون سنو الأمهق يصيخ السَّمع إلى العُواء اللَّيلي، لكنه لم يرفع صوته بإجابةٍ قَطُّ. فكَّر تيريون أن ثمَّة شيئًا في ذلك الحيوان يثير الرَّهبة إلى أقصى حد.

ضمَّت المجموعة ثمانية منهم بخلاف الذِّئب. كان تيريون يرتحِل مع اثنين من رجاله كما يليق بلانستر، بينما لم يكن مع بنچن ستارك في البداية غير ابن أخيه غير الشَّرعي وبضعة خيولٍ جديدةٍ لحَرس اللَّيل، لكنهم قضوا ليلةً على حافَّة غابة الذِّئاب وراء الأسوار الخشبيَّة التي تحيط بمعقلٍ قديم، وهناك انضمَّ إليهم واحد آخَر من الإخوة السُّود يُدعى يورن. كان محنيَّ الظَّهر قاسي النَّظرات، تختفي ملامحه وراء لحيةٍ سوداء كملابسه، لكنه بدا قويًّا كجذرٍ قديم وصلبًا كحَجر وكان معه ولدان فلَّاحان من جُزر "الأصابع" يرتديان ثيابًا مهترئةً. «مُغتَصِبان»، قال يورن وهو يَرمُق عُهدتيه بنظرةٍ باردة، وفهمَ تيريون. الحياة على "الجِدار" قد تكون صعبةً فعلًا كما يُقال، لكنها بالتأكيد خيار أفضل بكثير من الخِصاء.

خمسة رجال، ثلاثة أولاد، ذِئب رهيب، عشرون حصانًا، وقفص من الغِدفان أعطاه المِايستر لوين إلى بنچن ستارك. لا شكَّ أنهم شكَّلوا مجموعةً تثير الفضول على طريق الملوك، أو على أيِّ طريقٍ في المُطلَق.

لاحظَ تيريون أن چون سنو كان يُراقِب يورن ورفيقيه الواجمَيْن، وعلى وجهه تعبير بدا لتيريون أقرب إلى الارتياع. كان يورن ذا كتفٍ ملتويةٍ ورائحةٍ خبيثة، شَعره ولحيته أشعثان ملطَّخان بالدُّهون ويَعُجَّان بالقمل، ملابسه قديمة مرقَّعة ونادرًا ما عرفت الغسيل. أمَّا مجنَّداه الجديدان فكانت رائحتهما أسوأ، وبدا بليدين بقَدر ما هما متوحِّشان.

لا شكَّ أن الصَّبي قد أخطأ في اعتقاده أن حَرس اللَّيل مكوَّنون من رجالٍ مِثل عمِّه فحسب. إن كان هذا ما حدثَ فعلًا، فيورن ورفيقاه كانا بمثابة صفعة إيقاظٍ قويَّة. شعرَ تيريون بالأسف من أجل الصَّبي. لقد اختارَ حياةً صعبةً... أو اختيرت له حياة صعبة بالأحرى.

أمَّا العم فلم ينَل مِثل هذا التَّعاطُف. كان من الجلي أن بنچن ستارك يُشارِك أخاه في نفوره من آل لانستر، ولم يكن مسرورًا عندما أخبرَه تيريون بنِيَّته، وعقَّب بصرامةٍ وهو يَرمُقه من أعلى: «أحذِّرك أنك لن تجد حاناتٍ على "الجِدار" يا ابن لانستر».

أجابَ تيريون: «من المؤكَّد أنكم ستجدون مكانًا ما لي. لعلَّك لاحظت أني صغير الحجم».

لا أحد يَرفُض طلبًا لشقيق المَلكة بالطَّبع، فسوَّى هذا المسألة في الحال، وإن لم يكن ستارك راضيًا على الإطلاق، واكتفى بأن قال بلهجةٍ جافَّة: «لن تروق لك الرِّحلة على الإطلاق، أعدك بهذا»، ومنذ لحظة التحرُّك وهو يفعل كلَّ ما في استطاعته للوفاء بهذا الوعد. هكذا، مع نهاية الأسبوع الأول، كانت فخذا تيريون قد امتلأتا بالسَّحجات من طول الرُّكوب الشَّاق، وشعرَ بتشنُّجاتٍ قويَّةٍ في ساقيه وبالبَرد يتخلَّل عظامه. لكنه لم يشكُ مرَّة. فلتحل به اللَّعنة إذا أرضى رغبة بنچن ستارك. ثم إنه

وجدَ انتقامًا صغيرًا في مسألة معطفه الذي كان مصنوعًا من الفرو المبطَّن بجِلد الدِّببة، وإن كان رثًّا زَنِخ الرَّائحة. كان ستارك قد قدَّمه له بقدرٍ مفرطٍ من كياسة حَرس اللَّيل، متوقِّعًا بالتأكيد أنه سيرفضه بتهذيب، لكن تيريون قبله مبتسمًا. كان قد أحضرَ أدفأ ملابسه معه عندما غادَروا وينترفل، وسرعان ما اكتشفَ أنها ليست دافئةً كفايةً على الإطلاق. الطَّقس كان باردًا هنا حقًّا ويزداد برودةً بلا انقطاع، والبرودة ليلًا تفوق درجة التجمُّد كثيرًا بالفعل، والرِّيح تهبُّ لتخترق أثقل الملابس كالسَّكاكين. لا بُدَّ أن ستارك يَشعُر بالنَّدم الآن لشهامته المندفِعة، ولعلَّه تعلَّم درسًا... بتهذيبٍ أو بغيره، آل لانستر لا يَرفُضون أبدًا، ويأخذون ما يُقَدَّم لهم.

صارت المَزارع والمعاقل أندرَ مع توغُّلهم شَمالًا في أعماق غابة الذِّئاب المظلمة، حتى لم تَعُدْ هناك أسقُف يحتمون أسفلها، وعادوا يعتمدون على مواردهم الخاصَّة بالكامل.

لم يكن تيريون ذا فائدةٍ عندما يتعلَّق الأمر بإقامة المخيَّمات أو تفكيكها. إنه صغير الحجم جدًّا، مرتبك الحركة جدًّا، ويعوق طريق الجميع. هكذا، وبينما كان ستارك ويورن وبقيَّة الرِّجال يَنصِبون سقائف بسيطةً تقيهم، ويُعنون بالخيول ويُشعِلون نارًا، صارَ من عادته أن يأخذ معطفه الثَّقيل وقِربة نبيذ وينتحي بنفسه جانبًا ليقرأ. في الليلة الثامنة عشرة من رحلتهم انتقى نبيذًا من النوع الكهرماني الحُلو النَّادر من جُزر الصَّيف الذي كان قد جاءَ به شَمالًا من كاسترلي روك، وكتابًا يتأمَّل تاريخ التَّنانين وصفاتها المميِّزة. كان تيريون -بإذنٍ من اللورد إدارد ستارك- قد استعارَ بضعة مجلَّداتٍ نادرةٍ من مكتبة وينترفل وحزمَها معه للرِّحلة شَمالًا.

وجدَ بُقعةً مريحةً بعيدًا عن جلبة المخيَّم، إلى جوار غديرٍ سريع مياهه صافية وباردة كالثَّلج، بينما زوَّدته شجرة سنديان مشوَّهة عتيقةٌ للغاية بمأوى من الرِّياح القارسة. لَفَّ تيريون نفسه في معطفه وأراحَ ظَهره على جِذع الشَّجرة، وأخذَ رشفةً من النَّبيذ وبدأ يقرأ عن خواص

عظام التنِّين. إنها قويَّة كالفولاذ، وإن كانت أخفَّ وأكثر مرونةً بكثير، ومنيعةً تمامًا من النِّيران بالطَّبع. للأقواس المصنوعة من عظام التنِّين قيمة عظيمة لدى الدوثراكي، ولا عجب في هذا، فالرَّامي المسلَّح بقوسٍ منها يُمكنه إصابة أهدافٍ أبعد بكثيرٍ ممن يحمل قوسًا من الخشب.

كان افتتان تيريون بالتَّنانين يكاد يكون مرضيًّا. عندما ذهبَ إلى كينجز لاندنج للمرَّة الأولى لحضور زفاف أخته إلى روبرت باراثيون، أصرَّ على أن يرى جماجم التَّنانين المعلَّقة على جدران قاعة عَرش تارجاريَن. كان المَلك روبرت قد رفعَها وعلَّق مكانها راياتٍ ولوحاتٍ قماشيَّة مزدانة بالألوان، إلَّا أن تيريون ثابرَ حتى عثرَ على الجماجم في القبو شديد الرُّطوبة الذي خزَّنوها فيه. كان يتوقَّع أن يجدها مثيرةً للانبهار، أو حتى للخوف، لكنه لم يتوقَّع قَطُّ أن يجدها جميلةً... لكنها كانت جميلةً حقًّا. كانت ذات لونٍ أدهمَ كالعقيق الأسود، وملساء تمامًا حتى أن العظام بدت كأنها تتوهَّج لمعانًا في ضوء مِشعله، وراودَه إحساس بأنها تحبُّ النَّار. ثبَّت المِشعل في فم واحدةٍ من الجماجم الكبيرة وتركَ الظِّلال تتواثَب وتتراقَص على الجِدار من ورائه. كانت الأنياب خناجر طويلةً مقوَّسةً من الماس الأسود، لهب المشعل لا شيء بالنِّسبة لها، فقد اغتسلَت في أُوار نيران أعظم منه بكثير. كادَ تيريون يُقسِم أن مِحجري عين الوحش الخاويين كانا يُراقِبانه وهو يتحرَّك مبتعدًا.

كانت هناك تسع عشرة جمجمةً، أقدمها عُمرها يربو على الثلاثة آلاف عام، بينما لم تتجاوَز أصغر جمجمتين القَرن ونِصف عُمرًا. كانتا الأصغر في الحجم كذلك، زوجًا لا يزيد على حجم جمجمة كلب حراسةٍ كبير، ومشوَّهتين على نحوٍ غريب. هذا هو كلُّ ما تبقَّى من آخِر فَرخين وُلِدا في دراجونستون، آخِر تنانين آل تارجاريَن، وربما آخِر التَّنانين في العالم كله، وهما لم يعيشا طويلًا على كلِّ حال.

من هناك بدأ صَفُّ الجماجم يزداد حجمًا بالتَّدريج، وصولًا إلى الوحوش العملاقة الثلاثة التي حكَت عنها القِصص والأغاني، التَّنانين التي أطلقَها إجون تارجارِيَن وشقيقتاه على المَمالك السَّبع القديمة، وأطلقَ عليها المغنُّون أسماء آلهة ڤاليريا العتيقة: بالريون وميراكسس وڤاجهار. وقفَ تيريون بين فكوكها المفغورة عاجزًا عن النُّطق وقد تملَّكته الرَّهبة حتى النُّخاع. كان بإمكانك أن تَدخُل حَلق ڤاجهار على متن حصان، وإن كان من غير المحتمَل أنك كنت لتَخرُج مرَّةً أخرى. ميراكسس كان أكبر منه حجمًا، أمَّا أضخم الثلاثة، بالريون الملقَّب بـ"الرُّعب الأسود"، فكان بإمكانه أن يبتلع ثورًا بريًّا كاملًا، أو حتى واحدًا من الماموث المُشعِرة التي يُقال إنها تجوب الأراضي اليباب الباردة وراء ميناء إيبن.

وقفَ تيريون في القبو المظلم لوقتٍ طويل، يُحَدِّق في جمجمة بالريون العملاقة وتُحَدِّق فيه بعينين خاويتين إلى أن أوشكَ لهب مِشعله على الخمود، ويُحاوِل أن يستوعب حجم هذا التنِّين لمَّا كان حيًّا، ويتخيَّل كيف كان يبدو عندما يفرد جناحيه الأسودين العظيمين ويَكنُس السَّماء نافثًا نيرانه.

يعرف تيريون كيف أن سَلفه البعيد، لورِن مَلك "الصَّخرة"، حاولَ أن يتصدَّى للنِّيران عندما انضمَّ إلى مِرن مَلك "المَرعى" لمواجهَة غزوة تارجاريَن. كان هذا منذ ما يَقرُب من ثلاثمئة عام، عندما كانت المَمالك السَّبع مَمالك فعلًا، وليست مجرَّد مقاطَعات تنتمي لمَملكةٍ واحدةٍ أكبر. ستمئة راية مختلفة كانت تَخفِق مع المَلكين، وفيما بينهما كانا قد حشدا خمسة آلاف فارسٍ بخيولهم، وعشرة أضعاف هذا العدد من المُحارِبين غير النِّظاميِّين والرِّجال المسلَّحين. كان إجون سيِّد التَّنانين يملك نحو خُمس هذا العدد كما قال المؤرِّخون، ومعظمهم من المجنَّدين إجباريًّا من فلول جيش آخِر مَلكٍ قضى عليه، وولاؤهم مشكوك فيه.

التقى الجيشان في سهول "المَرعى" الواسعة، بين حقولٍ ذهبيَّةٍ من القمح اليانع الجاهز للقطاف. عندما هجمَ المَلكان، تفرَّق جيش تارجاريَن وتشتَّت جنوده، وكتبَ المؤرِّخون أن للحظاتٍ قليلةٍ بدا كأن الغزوة قد انتهَت... لكن لتلك اللَّحظات القليلة لا أكثر، قبل انضمام إجون تارجاريَن وأختيه إلى المعركة.

كانت المرَّة الوحيدة التي أُطلِقَ فيها ڤاجهار وميراكسس وبالريون معًا في معركةٍ واحدة، المعركة التي أطلقَ عليها المغنُّون لاحقًا اسم "حقل النِّيران".

احترقَ ما يَقرُب من أربعة آلاف رجلٍ في ذلك اليوم، من بينهم مِرن مَلك "المَرعى"، أمَّا المَلك لورِن فقد عاشَ حتى استسلمَ وأقسمَ بالولاء لعائلة تارجاريَن وأنجبَ ولدًا، وهو ما كان تيريون ممتنًّا له للغاية.

- «لماذا تقرأ بهذه الكثرة؟».

رفعَ تيريون عينيه إلى مصدر الصَّوت. كان چون سنو يقف على بُعد أقدامٍ قليلةٍ يَرمُقه بفضول، فأغلقَ الكتاب تاركًا إصبعه على الصَّفحة التي يقرأها، وقال: «انظر إليَّ وأخبِرني ماذا ترى».

نظر إليه الصَّبي بشكٍّ وقال: «أهذه حيلة ما؟ أراك أنت، تيريون لانستر».

تنهَّد تيريون قائلًا: «أنت مهذَّب للغاية بالنِّسبة لنغل يا سنو. ما تراه أمامك هو قزم. قُل لي، كم عُمرك؟ اثنا عشر عامًا؟».

قال الصَّبي: «أربعة عشر».

- «أربعة عشر عامًا، وأطول قامةً مما سأكونُ في حياتي كلها. ساقاي قصيرتان ومقوَّستان وأجدُ صعوبةً في المشي، وأتطلَّبُ سَرجًا خاصًّا كي لا أقع عن حصاني، سَرجًا من تصميمي الخاص بالمناسَبة، إذا كان يَهُمُّك أن تعرف. إمَّا هذا أو أركبُ حصانًا قزما. ذراعاي قويَّتان لكنهما قصيرتان، ولن أصير مُبارِزًا أبدًا. لو كنتُ قد وُلِدتُ فلَّاحًا، لكانوا تركوني

في العراء لأموت، أو باعوني لنخَّاسٍ يُتاجِر في المسوخ، لكني للأسف وُلِدتُ لانستر من كاسترلي روك حيث المسوخ نُدرة، ثم صارت هناك أشياء متوقَّعة مني. كان أبي يَدَ المَلك لعشرين عامًا، ثم إن أخي قتلَ هذا المَلك نفسه لاحقًا، لكن الحياة ملأى بتلك القدريَّات السَّاخرة الصَّغيرة على كلِّ حال. ثم تزوَّجت أختي من المَلك الجديد، وابنها الكريه سيُصبِح مَلكًا من بعده. يجب أن أقوم بواجبي نحو شَرف عائلتي، ألا تتَّفق معي؟ لكن كيف؟ لئن كانت قدماي قصيرتين جدًّا على جسدي، فرأسي أكبر من الطَّبيعي، وأحبُّ أن أعتقد أنه كبير بما فيه الكفاية ليحتوي عقلي. إن إدراكي لنقاط قوَّتي وضَعفي واقعي للغاية، وعقلي هو سلاحي. أخي لديه سيفه، المَلك روبرت لديه مطرقته الحربيَّة، وأنا لديَّ عقلي... والعقول تحتاج الكُتب كما تحتاج السُّيوف المِشحذ كي تُحافِظ على حدَّتها»، ونقرَ تيريون على غلاف كتابه مُردِفًا: «لهذا أقرأُ كثيرًا يا چون سنو».

استوعبَ الصَّبي كلَّ هذا بصمت. كان يملك وجه آل ستارك مع أنه لم يكن يحمل اسمهم: طويل، رزين، حَذِر... الوجه الذي لا تشي ملامحه بما تُخفيه الأنفُس. أيًّا كانت أمه، فقد تركَت القليل للغاية من نَفسها في ابنها. سأله: «عمَّ تقرأ؟».

أجابَ تيريون: «التَّنانين».

قال چون بثقة الصِّبية الغريرة: «وما الفائدة من هذا ولم تَعُدْ هناك تنانين؟».

قال تيريون: «هكذا يقولون. شيءٌ مُحزِن، أليس كذلك؟ عندما كنتُ في عُمرك كنتُ أحلمُ بأن يكون لي تنِّيني الخاص».

- «حقًّا؟»، سألَ الصَّبي بشكٍّ وقد حسبَ أن تيريون يسخر منه.

- «أوه، نعم. حتى الولد الصَّغير القبيح الذي يُنَفِّر الجميع يُمكنه أن يتطلَّع إلى العالم من عَلٍ وهو على ظَهر تنِّين»، وأزاحَ تيريون فرو الدُّب جانبًا ونهضَ مستطردًا: «كنتُ أُشعِل النَّار في غياهب كاسترلي روك

وأجلسُ مُحَدِّقًا فيها لساعاتٍ متظاهرًا أنها نار تنِّين. أحيانًا كنتُ أتخيَّلُ أبي يحترق، وفي أحيانٍ أخرى أختي». كان چون سنو يَرمُقه بنظرةٍ نِصفها فزع ونِصفها انبهار، فأطلقَ تيريون ضحكةً ساخرةً وقال: «لا تَنظُر إليَّ هكذا أيها النَّغل. إنني أعرفُ سرَّك. لقد راودَتك الأحلام نفسها».

قال چون سنو مرتاعًا: «لا، من المستحيل أن...».

قاطَعه تيريون وقد رفعَ حاجبه: «لا؟ إطلاقًا؟ لا شَكَّ أن آل ستارك كانوا يُعامِلونك بحفاوةٍ بالغةٍ إذن. أنا واثقٌ من أن الليدي ستارك تُعامِلك كأحد أبنائها بالضَّبط. ولطالما كان أخوك روب طيِّبًا معك، أليس كذلك؟ ولِمَ لا؟ إنه سيَحصُل على وينترفل وأنت ستَحصُل على "الجِدار". وأبوك... لا بُدَّ أن لديه أسبابًا قويَّة لشَحنِك إلى حَرس اللَّيل و...».

- «كفى!»، صاحَ چون وقد اربدَّ وجهه غضبًا. «حَرس اللَّيل واجب نبيل!».

قال تيريون ضاحكًا: «أنت أذكى من أن تعتقد ذلك. حَرس اللَّيل كومة قمامة لكلِّ المنبوذين في البلاد. لقد رأيتك تَنظُر ليورن ورفيقيه. هؤلاء هُم إخوتك الجُدد يا چون سنو، فما رأيك فيهم؟ الفلَّاحون كالحو الوجوه، المديونون، قاطعو الطَّريق، المُغتَصِبون، اللُّصوص، والنُّغول مِثلك... كلهم ينتهي به المطاف على "الجِدار"، يَحرُسه من الجرامكنات والسناركات[1] وكلِّ الوحوش الأخرى التي حذَّرتك مُرضِعتك منها. الخبر الطيِّب أنه ليست هناك جرامكنات أو سناركات، أي أن العمل ليس خطيرًا لتلك الدَّرجة. الخبر السيِّئ أن خصيتيك ستتجمَّدان، لكن بما أنك غير مسموح لك بالإنجاب على كلِّ حال، فلا أعتقدُ أنها مشكلة».

صرخَ الصَّبي: «كفى!»، وتقدَّم خطوةً إلى الأمام وقد كوَّر قبضتيه وبدا على وشك الانفجار في البكاء.

---

(1) الجرامكن والسنارك كائنان خياليَّان من ابتكار المؤلِّف يأتي ذِكرهما في الحكايات الشَّعبيَّة القديمة في قارَّة وستروس.

راودَ تيريون شعور مفاجئ سخيف بالذَّنب، فتقدَّم خطوةً بدوره وهو يَقصِد أن يُرَبِّت على كتف الصَّبي أو يُغَمغِم باعتذارٍ ما.

لم يرَ تيريون الذِّئب قَطُّ، أين كان أو كيف وثبَ عليه. في لحظةٍ كان يتحرَّك في اتِّجاه سنو، وفي اللَّحظة التَّالية كان على ظَهره على الأرض الصَّخريَّة الصُّلبة، والكتاب يطير من يده من جرَّاء السَّقطة، وصَدره يُطلِق كلَّ ما به من هواءٍ مع عُنف الصَّدمة، ثم يمتلئ فمه بالتُّراب والدَّم وأوراق الشَّجر العفنة. تشنَّج ظَهره على نحوٍ مؤلم عندما حاولَ النُّهوض، فضغطَ على أسنانه غيظًا وأمسكَ بجذرٍ بارزٍ من الأرض وسحبَ نفسه حتى صارَ جالسًا، وقال للصَّبي وهو يمدُّ يده: «ساعِدني».

وفجأةً كان الذِّئب بينهما. لم يُزَمجِر... الشيء الملعون لم يُصدِر صوتًا واحدًا. فقط رمقَه بهاتين العينين الحمراوين اللَّامعتين وأراه أسنانه، وكان ذلك يكفي ويزيد. تراجعَ تيريون وعاد يجلس على الأرض مُطلِقًا أنَّةً وقال: «لا تُساعِدني. سأجلسُ هنا حتى تُغادِر».

ملَّس چون سنو على فرو جوست الأبيض السَّميك، وقال مبتسمًا: «اطلب بلُطف».

شعرَ تيريون لانستر بالغضب يتلوَّى في داخله، لكنه سحقَه بإرادةٍ قويَّة. لم تكن المرَّة الأولى في حياته التي يتعرَّض فيها للإذلال، ولن تكون الأخيرة، ولعلَّه استحقَّ هذا. هكذا قال بكياسة: «سأكونُ ممتنًّا للغاية لمساعَدتك اللَّطيفة يا چون».

قال الصَّبي: «جوست، اجلس»، فجلسَ الذِّئب الرَّهيب على قائمتيه الخلفيَّتين دون أن تُبارِح العينان الحمراوان تيريون. دارَ چون حوله وتوقَّف خلفه ووضعَ يديه تحت إبطيه ورفعه بسهولةٍ إلى قدميه، ثم التقطَ الكتاب من على الأرض وناوَله إياه.

مسحَ تيريون التُّراب والدَّم عن فمه بظَهر يده، وقال ناظرًا إلى الذِّئب الرَّهيب بنظرةٍ جانبيَّة: «لماذا هاجَمني؟».

- «لعلَّه ظَنَّ أنك جرامكن».

رمقَه تيريون بنظرةً حادَّة، ثم انفجرَ ضاحكًا ليَخرُج نخيرًا لاهيًا متفجِّرًا من أنفه دون أيِّ إرادةٍ منه، وقال وهو يرتجُّ ضحكًا ويهزُّ رأسه: «يا للآلهة! أعتقدُ أني أبدو كالجرامكن بالفعل. تُرى ماذا يفعل بالسناركات؟».

التقطَ چون قِربة النَّبيذ وناوَلها له قائلًا: «لست تريد أن تعرف».

خلعَ تيريون السِّدادة ومالَ برأسه واعتصرَ جرعةً طويلةً في فمه، وكان النَّبيذ كنارٍ باردةٍ وهو يجري في حَلقه ويُدَفِّئ معدته. ثم إنه رفعَ القِربة لچون سنو قائلًا: «هل ترغب في القليل من النَّبيذ؟».

التقطَ الصَّبي القِربة وأخذَ رشفةً حَذِرَةً، ثم قال: «ما قُلته عن حَرس اللَّيل صحيح، أليس كذلك؟».

هَزَّ تيريون رأسه إيجابًا، فقال سنو وقد تجهَّم وجهه: «إن كان هذا هو الأمر الواقع، فهو الأمر الواقع».

ابتسمَ تيريون قائلًا: «هذا جيِّد أيها النَّغل. معظم الرِّجال يُفَضِّلون إنكار الحقائق القاسية بدلًا من مواجهتها».

- «معظم الرِّجال، لكن ليس أنت».

- «نعم، ليس أنا. إنني نادرًا ما عدتُ أحلمُ بالتَّنانين الآن. ليست هناك تنانين»، والتقطَ فرو الدُّب من على الأرض وقال: «هَلُمَّ، يَحسُن أن نعود إلى المخيَّم قبل أن يُعلن عمُّك الحرب».

كانت المسيرة قصيرةً، لكن الأرض كانت صُلبةً قاسيةً تحت قدميه، ولدى عودتهما كان يَشعُر بتشنُّجاتٍ حادَّةٍ في ساقيه. عرضَ چون سنو مساعَدته على اجتياز بُقعة ملأى بالجذور المتشابكة، لكن تيريون نحَّى يده رافضًا. سوف يشقُّ طريقه بنفسه كما فعلَ طوال حياته. كان المخيَّم منظرًا مرحَّبًا به على الرغم من ذلك، وقد نُصِبَت السَّقائف قبالة سورٍ متهالكٍ لمعقلٍ مهجورٍ منذ زمنٍ بعيد، ليكون بمثابة واقٍ من الرِّيح. كانت الخيول قد أُطعِمَت والنَّار قد أُشعِلَت، وجلسَ يورن على صخرةٍ يَسلُخ

سنجابًا. ملأت رائحة اليخنة الشهيَّة منخري تيريون، وجَرَّ نفسه إلى حيث كان رجله موريك يعمل على القِدر. بلا كلام ناولَه موريك المغرفة، فتذوَّق محتوياتها ثم أعادها إليه قائلًا: «المزيد من الفلفل».

خرجَ بنچن ستارك من السَّقيفة التي كان يتقاسَمها مع ابن أخيه، وقال: «چون، ها أنت ذا. تبًّا، لا تبتعد هكذا وحدك أبدًا. لقد حسبتُ أن "الآخَرين" نالوا منك».

قال تيريون ضاحكًا: «كانت الجرامكنات»، فابتسمَ چون سنو، بينما نظرَ ستارك إلى يورن نظرةٍ مندهشة، فأطلقَ هذا صوتًا بلا معنى وهَزَّ كتفيه وعاد إلى عمله الدَّموي.

أعطى السِّنجاب كثافةً لليخنة، وأكلوها مع الخُبز الأسمر والجُبن الجامد وقد تحلَّقوا حول النَّار. ناولَ تيريون قِربة النَّبيذ للجميع إلى أن لانَت عريكة يورن نفسه، ثم بدأ أفراد المجموعة ينهضون من حول النَّار للنوم في سقائفهم، الجميع باستثناء چون سنو. وقفَ الصَّبي إلى جوار النَّار بوجهٍ ثابت الملامح، يُحَدِّق بصمتٍ عميق في ألسنة اللَّهب.

وابتسمَ تيريون لانستر لنفسه بحُزنٍ وبدوره خلدَ إلى النَّوم.

كاتلين

كان ند والفتاتان قد رحلوا منذ ثمانية أيام، عندما جاءَها المِايستر لوين ذات ليلةٍ في حُجرة بران حاملًا دفاتر الحسابات ومشكاةً، وقال: «من الضروري أن نُراجِع الأرقام يا سيِّدتي. لا بُدَّ أنكِ ترغبين في معرفة كم كلَّفتنا هذه الزِّيارة الملكيَّة».

نظرَت كاتلين إلى بران في فِراش المرض وأزاحَت شَعره عن جبهته. انتبهَت إلى أنه صارَ طويلًا جدًّا، وعليها أن تقصَّه قريبًا. قالت للمِايستر لوين دون أن ترفع عينيها عن بران: «ليست لديَّ حاجة للاطِّلاع على الأرقام. إنني أعرفُ كم كلَّفتنا الزِّيارة بالضَّبط. خُذ هذه الدَّفاتر من هنا».

- «سيِّدتي، رجال المَلك كانوا شرهين حقًّا، وينبغي أن نعيد ملء مخازننا بالمؤن قبل أن...».

قاطعَته قائلةً: «قلتُ لك أن تأخذ الدَّفاتر من هنا. الوكيل سيُعنى باحتياجاتنا».

- «لكننا بلا وكيل»، قال المِايستر لوين مذكِّرًا إياها، وفكَّرت أنه سيتصرَّف كفأرٍ رماديٍّ صغير ولن يدع الموضوع وشأنه. «پوول ذهبَ جَنوبًا مع اللورد إدارد ليُدير شؤونه هناك في كينجز لاندنج».

هزَّت كاتلين رأسها بشرودٍ وقالت: «آه، نعم، تذكَّرتُ». بدا بران شاحبًا جدًّا، وتساءلَت إن كان يَجدُر بهم أن ينقلوا فِراشه إلى تحت النَّافذة كي تَسقُط عليه شَمس الصَّباح.

وضعَ المِايستر لوين المشكاة في كُوَّةٍ في الحائط إلى جوار الباب، وداعبَ الفتيل قائلًا: «ثمَّة مسألة التعيينات الجديدة التي تتطلَّب انتباهكِ الفوري يا سيِّدتي. بالإضافة إلى الوكيل، نحتاج قائدًا للحَرس ليحلَّ محلَّ چوري، وقيِّم خيولٍ جديدًا، و...».

التفتَت تَرمُقه بنظرةٍ قاسيةٍ وقالت بلهجةٍ حادَّةٍ كالسِّياط: «قيِّم خيول؟».

قال المِايستر مرتبكًا: «نعم يا سيِّدتي. هالن أيضًا ذهبَ جَنوبًا مع اللورد إدارد، لذا...».

- «ابني طريح هنا مكسور ويُحتضر يا لوين، وأنت تريد أن تُناقِشني في قيِّم الخيول الجديد؟ هل تحسبني أبالي بما يَحدُث في الاسطبلات؟ هل تحسب أن هذا يهمُّني مقدار ذرَّة؟ يُمكنني أن أذبح كلَّ حصانٍ في وينترفل بيديَّ بكلِّ سرورٍ لو كان ذلك سيُعيد بران إلى وعيه من جديد. هل تفهم هذا؟ هل تستوعبه؟».

حنى رأسه قائلًا: «نعم يا سيِّدتي، لكن التعيينات...».

قال روب: «سأتولَّى أنا أمرها».

لم تسمعه كاتلين عندما دخلَ، لكن ها هو ذا يقف في مدخل الحُجرة ويَنظُر إليها. أدركَت فجأةً أنها كانت تزعق بصوتٍ عالٍ فعلًا وملأَها الخجل. ما الذي يَحدُث لها؟ إنها متعَبة للغاية ورأسها يؤلمها طوال الوقت.

نقلَ المِايستر لوين نظراته من كاتلين إلى ابنها، وقال مُناوِلًا روب ورقةً أخرجَها من كُمِّه: «لقد وضعتُ قائمةً بمن يُمكن أن نضعهم في الاعتبار لشَغل الوظائف الخالية».

ألقى روب نظرةً على الأسماء. خمَّنت كاتلين أن ابنها قد جاءَ لتوِّه من الخارج لما رأت وجنتيه المحمرَّتين من البَرد وشَعره الذي بعثَرَته الرِّياح. قال وهو يُعيد قائمة الأسماء إلى المِايستر: «كلهم رجال صالحون. سنتكلَّم عنهم غدًا».

اختفَت الورقة في داخل كُمِّ المِايستر وهو يقول: «ممتاز يا سيِّدي».

قال روب: «اتركنا الآن»، فانحنى الرَّجل المُسِنُّ وغادرَ الحُجرة،

وأغلقَ روب الباب وراءه والتفتَ إليها، ولاحظَت هي أن سيفًا يتدلّى من حزامه. «ماذا تفعلين يا أمي؟».

لطالما حسبَت كاتلين أن روب يُشبهها، فمِثل بران وريكون وسانزا كان يملك قسمات عائلة تَلي المميزة، الشّعر الكستنائي والعينين الزّرقاوين، لكنها للمرّة الأولى الآن ترى لمحةً من إدارد ستارك في وجهه، ترى شيئًا قاسيًا صُلبًا كالشّمال. بدهشةٍ ردَّدت: «ماذا أفعلُ؟ كيف تسأل مِثل هذا السُّؤال؟ ماذا تحسبني أفعلُ؟ إنني أعتني بأخيك، ببران».

- «أهذا ما تُطلِقين على ما تفعلينه؟ إنك لم تُغادِري الغُرفة منذ أصيبَ بران، ولم تأتي حتى إلى البوّابة عندما غادرَ أبي والفتاتان إلى الجَنوب».

- «لقد ودَّعتهم هنا، وشاهدتهم من النّافذة وهُم يُغادِرون». كانت قد توسَّلت إلى ند كي لا يرحل، ليس الآن، ليس بَعد ما حدثَ. لقد تغيَّر كلّ شيء، أفلا يرى هذا؟ لكن لم يكن هناك مناص. قال لها إنه لا يملك الخيار الآن، ثم اختارَ أن يرحل. «لا أستطيعُ أن أتركه ولو لحظة، ليس عندما قد تكون أيُّ لحظةٍ هي الأخيرة. يجب أن أكون معه إذا... إذا...».

التقطَت يد ابنها وشبَّكت بين أصابعه وأصابعها. كان هشًّا نحيلًا جدًّا ولم تتبقَّ أيُّ قوَّةٍ في يده، لكن لا يزال بإمكانها أن تَشعُر بدِفء الحياة في جِلده.

قال روب بلهجةٍ أكثر رقَّة: «إنه لن يموت يا أمي. المِايستر لوين قال إن المرحلة الحرجة قد انتهَت».

- «وماذا لو كان المِايستر لوين مخطئًا؟ ماذا لو احتاجَني بران وأنا لستُ هنا؟».

قال روب بحزم: «ريكون يحتاج إليكِ. إنه طفل في الثّالثة ولا يفهم ما يجري، يتصوَّر أن الجميع هجروه ويتبعني كظِلّي طوال الوقت، يتعلَّق بساقي ويبكي. لا أدري ماذا أفعلُ معه»، وتوقَّف لحظةً ومضغَ شفته السُّفلى كما كان يفعل في طفولته، ثم أردفَ: «وأنا أيضًا أحتاجُ إليكِ يا أمي. إنني أحاوِلُ، لكني... لكني لا أقوى على فِعل كلّ شيءٍ وحدي».

انكسرَ صوته فجأةً وقد تغلَّبت مشاعره عليه، وتذكَّرت كاتلين أنه مجرَّد

صبيٌّ في الرابعة عشرة. أرادَت أن تنهض وتذهب إليه، لكن بران كان لا يزال مُمسِكًا بيدها ولا تستطيع تركه.

بدأ ذِئب يعوي خارج البُرج، ولوهلةٍ ارتجفَت كاتلين.

- «ذِئب بران»، قال روب وفتحَ النَّافذة ليسمح لهواء اللَّيل بالدُّخول إلى حُجرة البُرج الضيِّقة. ارتفعَ صوت العُواء... كان صوتًا باردًا ،وحِشًا مليئًا بالغَمِّ والقنوط.

قالت: «لا تفتحها. بران يجب أن يظلَّ دافئًا».

قال روب: «إنه في حاجةٍ إلى سماع غنائهم». في مكانٍ ما في وينترفل بدأ ذِئب ثانٍ يعوي في جوقةٍ مع الأول، ثم الثَّالث الذي كان أقربَ. «شاجيدوج وجراي ويند»، قال روب والأصوات ترتفع وتنخفض معًا. «يُمكنك التَّفرقة بين صوت كلٍّ منهم إذا أصغيتِ جيِّدًا».

كانت كاتلين ترتجف من الحُزن والبَرد وعُواء الذِّئاب الرَّهيبة. ليلةً بعد ليلةٍ امتدَّ العُواء بلا نهاية وبلا كلل، وولدها ممدَّد هنا مكسور، الأعذب بين أطفالها والأرقُّ، بران الذي أحبَّ الضَّحك والتسلُّق وحلمَ بالفروسيَّة لم يعد له وجود، ولن تسمعه يضحك ثانيةً. باكيةً سحبَت يدها من يده وغطَّت أُذنيها لتحجب عنهما العُواء وصرخَت: «أخرِسهم! لم أعد أحتمِل! أخرِسهم ولو كان عليك أن تَقتُلهم جميعًا، فقط أخرِسهم!».

لم تتذكَّر أنها سقطَت، لكن ها هو روب يرفعها بذراعيه القويَّتين قائلًا: «لا تخافي يا أمي، لن يؤذونه أبدًا»، وساعدَها على التمدُّد على سريرها الضيِّق في رُكن الحُجرة وقال بحنان: «أغلِقي عينيكِ، استريحي. المِايستر لوين يقول لي إنك تكادين لا تنامين منذ سقطَ بران».

قالت باكيةً: «لا أستطيع. لتُسامِحني الآلهة، لكني لا أستطيع. ماذا لو ماتَ وأنا نائمة؟ ماذا لو ماتَ؟ ماذا لو...». كانت الذِّئاب تعوي بلا توقُّف، فغطَّت أُذنيها مرَّةً أخرى وصرخَت: «أغلِق النَّافذة أرجوك!».

- «إذا أقسمتِ لي إنكِ ستنامين»، قال روب وهو يمشي إلى النَّافذة، لكن وهو يمدُّ يده إلى السِّتار انضمَّ صوت آخَر إلى عُواء الذِّئاب الرَّهيبة

الحزين. قال مُصغيًا: «إنها الكلاب...كلها تنبح. هذا غيرمعتاد».
سمعَت كاتلين أنفاسه تتسارَع في صدره، ثم سمعته يهمس: «حريق».
حريق، فكّرت... ثم بران! قالت بلهفةٍ وهي تنتفض معتدلةً: «ساعِدني، ساعِدني على حَمل بران».
لم يبدُ أن روب قد سمعها، وغمغمَ: «بُرج المكتبة يحترق».
كانت كاتلين ترى الآن الضوء المحمرَّ المرتعش عبر النَّافذة المفتوحة وتنفَّست الصُّعداء. إن بران آمِن، فالمكتبة تقع على الجانب الآخَر من الفِناء، ولا يُمكن أن يَبلُغهم الحريق هنا. هكذا همسَت: «الشُّكر للآلهة».
رمقَها روب كأنها أصيبَت بلوثة، ثم قال: «ابقي هنا يا أمي. سأعود»، ثم اندفعَ مغادرًا الحُجرة، وسمعَته يصيح في الحُرَّاس، الذين راحوا ينزلون معًا بسرعةٍ صاخبة. في الخارج تصاعدَت أصوات تهتف: «حريق! حريق» في السَّاحة، ع الصُّراخ ووقع الأقدام وصهيل الخيول الخائفة ونباح كلاب القلعة المهتاج، وتنبّهتت كاتلن وهي تُصغي للأصوات المتنافرة إلى أن الذِّئاب الرَّهيبة قد كفَّت عن العُواء تمامًا.
ردَّدت كاتلين صلاةً صامتةً لوجوه الإله السَّبعة وهي تتَّجه إلى النَّافذة. عبر الفِناء تصاعدَت ألسنة اللَّهب الطَّويلة من نوافذ المكتبة، وراقبَت مفكِّرةً بحسرةٍ في الكُتب التي جمعها آل ستارك على مَرِّ القرون.
وعندما أدارَت ظَهرها للنَّافذة رأت الرَّجل معها في الحُجرة.
- «لم يكن من المفترَض أن تكوني هنا»، قال الرَّجل بفظاظة. «لم يكن من المفترَض أن يكون أحد هنا».
كان رجلًا صغير الحجم متَّسخ الوجه يرتدي ثيابًا قذرة، وتفوح منه رائحة كريهة تشي بأنه قضى وقتًا طويلًا بين الخيول. كانت كاتلين تعرف كلَّ رجلٍ يعمل في الإسطبلات، ولم يكن هذا منهم. كان هزيل الجسد ذا شَعرٍ أشقر أشعث وعينين شاحبتين غائصتين في وجهه الضَّاوي، ويحمل خنجرًا في يده.

نظرَت كاتلين إلى الخنجر ثم إلى بران، وبصوتٍ لا يتجاوز متحشرج صرخت: «لا».

«هذه رحمة. إنه ميت بالفعل».

- «لا، لا يُمكنك أن تفعل هذا»، وهُرِعَت إلى النَّافذة لتَصرُخ طالبةً النَّجدة، لكن الرَّجل تحرَّك بسرعةٍ. حطَّت يده على فمها وشدَّ رأسها إلى الوراء، بينما وضعَ باليد الأخرى الخنجر على قصبتها الهوائيَّة، وأفعمَت أنفها رائحته النَّتنة.

رفعَت كاتلين يديها معًا وجذبَت النَّصل بكلِّ قوَّتها مُبعِدةً إياه عن حَلقها، وسمعَت الرَّجل يُطلِق سبَّةً في أُذنها. كانت يداها زَلِقتين تمامًا الآن من الدَّم، لكنها لم تُفلِت الخنجر، وثبَّت الرَّجل يده أكثر على فمها حاجبًا عنها الهواء. لوَت كاتلين رأسها جانبًا واستطاعَت أن تُطبِق على قطعةٍ من لحمه بين أسنانها التي انغرسَت بقوَّةٍ في راحة يده، وأطلقَ الرَّجل أنينًا متألِّمًا، وغرسَت هي أسنانها أكثر في لحمه وبدأت تُمَزِّقه، فلم يستطِع إلَّا التخلِّي عنها وهو يشتم. ملأَ مذاق دمائه فمها، وعبَّت الهواء بشراهةٍ وصرخَت، لكنه أطبقَ على شَعرها وجذبها بعيدًا عنه، فتعثَّرت وسقطَت أرضًا، وإذا به يقف فوقها يتنفَّس بسرعةٍ ويرتجف. كان لا يزال قابضًا بيُمناه بإحكامٍ على الخنجر المصقول بالدَّم، وببلادةٍ ردَّد: «لم يكن من المفترَض أن تكوني هنا».

رأت كاتلين الظِّلَّ ينسلُّ من الباب المفتوح من ورائه، والتقطَت أُذناها الدَّمدمة الخفيضة للغاية الأدنى من زمجرة، التَّهديد الهامس الذي يكاد لا يُسمَع، وسمع الرَّجل شيئًا، لأنه بدأ يلتفت في اللَّحظة نفسها التي وثبَ فيها الذِّئب. سقطَ الاثنان معًا من فوق كاتلين في مكانها على الأرض. كان الذِّئب الرَّهيب يُطبِق بفكَّيه على عُنقه، ودامَت صرخة الرَّجل لأقلِّ من ثانيةٍ واحدةٍ قبل أن يتراجَع الحيوان الضَّاري برأسه مقتلعًا نِصف حَلق الرَّجل. وتناثرَت دماؤه على وجهها كالمطر الدَّافئ.

كان الذِّئب يَنظُر إليها، فكَّاه أحمران مبتلَّان وعيناه تتألَّقان بلونٍ ذهبيٍّ

في الحُجرة ضعيفة الإضاءة. تبيَّنت أنه ذِئب بران... هو ذِئب بران بالطَّبع. بصوتٍ ضعيفٍ همسَت: «شكرًا لك»، ثم رفعَت يديها تَنظُر إليهما مرتجفةً، فدنا الذِّئب منها وتشمَّم أصابعها ثم أخذَ يلعق الدَّم بلسانه المبتل الخشن، وعندما نظَّف يديها من الدَّم تمامًا استدارَ بصمتٍ ووثبَ على فِراش بران وتمدَّد إلى جواره؛ وبدأت كاتلين تضحك بشكلٍ هستيري.

هكذا وجدوها حينما اندفعَ روب والمِايستر لوين والسير رودريك إلى الحُجرة مع نِصف حُرَّاس وينترفل، وعندما ماتَت الضَّحكات في حَلقها أخيرًا دثَّروها بأغطيةٍ دافئةٍ وقادوها إلى مخدعها في الحِصن الكبير، حيث خلعَت العجوز نان ملابسها وأعدَّت لها حمَّامًا ساخنًا ومسحَت الدِّماء عنها بقماشةٍ ناعمة. بعدها جاءَ المِايستر لوين ليُضَمِّد جروحها. كانت الجروح في أصابعها عميقةً تكاد تَبلُغ العظام، وفروة رأسها مسحوجةً وتنزف حيث انتزعَ الرَّجل خصلةً من شَعرها. قال لها المِايستر إن الألم لا يزال في بدايته، وسقاها حليب الخشخاش ليُساعِدها على النَّوم.

وأخيرًا أغلقَت كاتلين عينيها.

وعندما فتحَتهما مرَّةً أخرى أخبروها أنها نائمة منذ أربعة أيام كاملة، فاكتفَت بأن هزَّت رأسها وجلسَت معتدلةً في الفِراش. كان كلُّ شيءٍ يبدو لها الآن كأنه كابوس، كلُّ شيءٍ منذ سقطة بران كان كحُلم مليء بالدَّم والأسى، لكن الألم في يديها ذكَّرها بأن كلَّ هذا كان حقيقيًّا. كانت تَشعُر بالضَّعف والدَّوخة، وإن ملأها تصميم غريب كأن عبئًا ثقيلًا قد أزيح عنها. قالت لخدمها: «أحضِروا لي بعض الخُبز والعسل، وليُخبِر أحدكم المِايستر لوين أن ضمَّاداتي تحتاج إلى تغيير»، ونظرَ الخدم إليها بدهشةٍ ثم هُرِعوا لتلبية أوامرها.

تذكَّرت كاتلين الطريقة التي كانت تتصرَّف بها من قبل وشعرَت بالخجل من نفسها. لقد خذلَتهم جميعًا، أبناءها وزوجها وعائلتها كلها، لكن هذا لن يَحدُث ثانيةً. سوف تُري أولئك الشَّماليِّين كم تستطيع سليلة عائلة تَلي وابنة ريفررَن أن تكون قويَّةً.

وصلَ روب قبل الطَّعام، ومعه رودريك كاسل وثيون جرايچوي تابع زوجها الشَّخصي، بالإضافة إلى هالس مولين الحارس مفتول العضلات ذي اللِّحية البُنيَّة المربَّعة، الذي أصبحَ قائد الحَرس الجديد كما أخبرَها روب. رأت أن ابنها يرتدي الجِلد المقوَّى بالزَّيت المغلي وقميصًا من الحلقات المعدنيَّة، وكان سيفه يتدلَّى من حزامه.

سألتهم كاتلين: «من كان؟».

أجابها هالس مولين: «لا أحد يعرف اسمه. إنه لم يكن من رجال وينترفل يا سيِّدتي، لكن البعض يقولون إنهم رأوه هنا وهناك في القلعة خلال الأسابيع الماضية».

قالت: «كان أحد رجال المَلك إذن، أو أحد رجال لانستر. من المحتمَل أنه تخلَّف عن الرحيل مع الآخَرين».

قال هال: «ربما. مع كلِّ الغُرباء الذين ملأوا وينترفل مؤخَّرًا، لا أحد يستطيع الجزم بانتمائه».

قال جرايچوي: «كان يختبئ في الإسطبلات. هذا واضح من رائحته».

قالت بحدَّة: «كيف ظَلَّ مختبئًا دون أن يلحظه أحد؟».

بدا هالس مولين مرتبكًا وهو يجيب: «بين الخيول التي أخذَها اللورد إدارد جَنوبًا وتلك التي أرسلناها شَمالًا إلى حَرس اللَّيل، أصبحَت الإسطبلات نِصف خالية. إنه لم يكن يحتاج لتنفيذ حيلةٍ كبيرةٍ كي يظلَّ متواريًا عن أنظار صبيان الإسطبلات. من المحتمَل أن هودور قد رآه، فهناك من يقولون إنه يتصرَّف بغرابةٍ منذ فترة، لكن مع بساطته تلك...».

لم يُكمل هال عبارته، فتدخَّل روب في الكلام قائلًا: «لقد وجدنا المكان الذي كان ينام فيه. كان معه تسعون أيلًا فضيًّا في حقيبةٍ جِلديَّةٍ وجدناها مدفونةً تحت التِّبن».

قالت كاتلين بمرارة: «من الجيِّد أن نعرف أن حياة ابني لم تُبَعْ بثَمنٍ بخس».

رمقَها هال بحيرةٍ وسألها: «أستميحكِ عُذرًا يا سيِّدتي، لكن هل تقولين إنه كان هنا ليَقتُل ولدك؟».

غمغمَ جرايچوي بشك: «هذا جنون».

قالت كاتلين بإصرار: «لقد جاءَ من أجلِ بران. أعرفُ هذا لأنه ظَلَّ يُرَدِّد أنه لم يكن ينبغي أن أكون هنا. لقد أشعلَ حريق المكتبة معتقدًا أنني سأهرعُ لإطفائه آخذةً الحَرس معي، وكانت خطَّته لتنجح لولا أن الحُزن جعلني نِصف مجنونةٍ بالفعل».

قال روب: «ولِمَ قد يريد أحدهم أن يَقتُل بران؟ بحقِّ الآلهة، إنه ليس أكثر من طفلٍ عاجزٍ غائبٍ عن الوعي!».

تطلَّعت كاتلين إلى ابنها البكر بنظرة احتجاج وقالت: «إذا كنت ستَحكُم الشَّمال ذات يوم فلا بُدَّ أن تُفكِّر في تلك الأشياء جيِّدًا يا روب. أجب عن سؤالك بنفسك. لِمَ قد يريد أيُّ أحدٍ أن يَقتُل طفلا في غيبوبة؟».

قبل أن يُجيب، عادَ الخدم بصحفةٍ من الطَّعام الطَّازج من المطبخ. كانت هناك أصناف أكثر بكثير مما طلبت: خُبز ساخن وعسل ومربَّى التُّوت الأسود، شريحة من اللَّحم المقدَّد وبيضة مسلوقة وقطعة من الجُبن، بالإضافة إلى إبريقٍ من الشَّاي بالنَّعناع؛ ومع الطَّعام جاءَ المِايستر لوين.

نظرَت كاتلين إلى كلِّ هذا الطَّعام ووجدَت أن لا شهيَّة لديها، ثم سألت المِايستر: «كيف حال ابني؟».

خفضَ المِايستر لوين عينيه وأجابَ: «لا تغيير هنالك يا سيِّدتي».

الجواب الذي توقَّعته، لا أكثر ولا أقل. كانت يداها تَنبِضان ألمًا كأن نصل الخنجر لا يزال مغروسًا فيهما يشقُّهما حتى الأعماق. صرفَت الخدم والتفتَت إلى روب قائلةً: «هل وجدت الإجابة؟».

قال روب: «أحدهم يخشى أن يُفيق بران، يخشى ما قد يقوله أو يفعله، يخشى شيئًا يعرفه».

قالت كاتلين شاعرةً بالفخر به: «أحسنت»، ثم التفتَت إلى قائد الحَرس الجديد قائلةً: «يجب أن يظلَّ بران آمنًا. إذا كان هناك قاتِل واحد، فمن الممكن أن يتبعه آخَرون».

سألها هال: «كم حارسًا تريدين يا سيِّدتي؟».

قالت: «سَل ابني. إنه سيِّد ويترفل في غياب اللورد إدارد».

اعتدلَ روب في وقفته فبدا أطولَ قليلًا وهو يقول: «ضع رجلًا في حُجرة المرضى ليلًا نهارًا، وواحدًا خارج الباب، واثنين عند قاعدة السَّلالم. لا أحد يرى بران دون إذني أو إذن السيِّدة والدتي».

- «كما تأمر يا سيِّدي».

قالت كاتلين: «نفِّذ هذا الآن».

وأضافَ روب: «ودَع ذِئبه يبقى في الحُجرة معه».

- «نعم»، قالت كاتلين مؤيِّدةً، ثم كرَّرتها: «نعم».

انحنى هالس مولين وغادرَ الحُجرة، ثم قال السير رودريك: «ليدي ستارك، هل لاحظتِ الخنجر الذي استخدمه القاتِل؟».

أجابَت ببسمةٍ جافَّة: «لم تسمح لي الظُّروف بأن أفحصه عن كثب، لكني أستطيعُ أن أشهد بحدَّته. لماذا تسأل؟».

- «لقد وجدناه في قبضة ذلك الآثم، وبدا لي أنه سلاح أرقى كثيرًا من أن يحمله رجل مثله، ففحصته جيِّدًا ووجدتُ أن النَّصل مصنوع من الفولاذ الڤاليري والمقبض من عظام التنِّين. سلاح كهذا لا يُمكن أن يوضع اعتباطًا في يد أمثاله. أحدهم أعطاه إياه».

أومأت كاتلين برأسها مفكِّرةً، ثم قالت: «روب، أغلِق الباب».

رمقَها بنظرة دهشةٍ لكنه فعلَ كما طلبَت، ثم إنها قالت لهم: «ما سأُخبِركم به لا ينبغي أن يَخرُج من تلك الحُجرة. أريدكم أن تُقسِموا لي بهذا. إذا كان مجرَّد جزءٍ مما أرتابُ فيه حقيقيًّا، فقد ذهبَ ند وابنتاي إلى خطرٍ مميت، وكلمة واحدة في الأُذن الخطأ قد تعني حياتهم».

قال ثيون جرايچوي: «اللورد إدارد بمثابة أبٍ ثانٍ لي. أقسمُ لك».

- «لكِ قَسمي»، قال المِايستر لوين.
- «وقَسمي يا سيِّدتي»، ردَّد السير رودريك.

نظرَت إلى ابنها وسألته: «وأنت يا روب؟».

هَزَّ روب رأسه موافقًا بصمت، فقالت لهم: «أختي لايسا تعتقد أن آل لانستر قتلوا زوجها اللورد آرن يَدَ المَلك، وتذكَّرتُ الآن أن چايمي لانستر لم يذهب مع الآخَرين للصَّيد يوم سقطَ بران، بل ظَلَّ هنا في القلعة». خيَّم الصَّمت التَّام على الحُجرة، وتابعَت هي: «لا أعتقدُ أن بران قد سقطَ من البُرج، بل أُلقي منه».

كانت الصَّدمة جليَّةً على وجوههم، وبعد صمتٍ قال رودريك كاسل: «سيِّدتي، هذا اتِّهام شنيع، وحتى قاتِل المَلك سيجد غضاضةً في قتل طفل بريء».

قال ثيون جرايچوي: «حقًّا؟ أشكُّ في هذا».

قالت كاتلين: «ليست هناك حدود لغرور أو طموح آل لانستر».

قال المِايستر لوين مفكِّرًا: «لطالما كان الصَّبي واثق الخطى ويعرف كلَّ حَجَرٍ في وينترفل».

- «يا للآلهة!»، صاحَ روب وقد اربدَّ وجهه غضبًا. «إذا كان هذا صحيحًا فسيدفع الثَّمن»، واستلَّ سيفه ولوَّح به في الهواء مضيفًا: «سأقتله بنفسي!».

صاحَ السير رودريك فيه بخشونة: «ضَع هذا الشَّيء في غِمده. آل لانستر كلهم على بُعد مئة فرسخ من هنا. إياك أن تستلَّ سيفك دون أن تنوي استخدامه. كم مرَّةً يجب ينبغي أن أقول لك هذا أيها الصَّبي الطَّائش؟».

دَسَّ روب سيفه في غِمده مرتبكًا وقد عادَ يبدو طفلا من جديد، بينما قالت كاتلين للسير رودريك: «أرى أن ابني قد بدأ يحمل سيفًا من الفولاذ».

قال قيِّم السِّلاح الشَّيخ: «خطرَ لي أن الوقت قد حانَ».

كان روب يَرمُقها بتوتُّر، فقالت: «حانَ وأزفَ. قد تحتاج وينترفل إلى كلِّ سيفٍ فيها عمَّا قريب، ومن الأفضل ألا تكون سيوفًا من خشب».

وضعَ ثيون جرايچوي يده على مقبض سيفه وقال: «إذا وصلَت الأمور إلى ذلك يا سيِّدتي، فدَين عائلتكِ في رقبة عائلتي عظيم».

جذبَ المِايستر لوين سلسلة الحلقات المحيطة بعُنقه حيث أشعرَته بالحكَّة وقال: «كلُّ ما لدينا مجرَّد تخمين. إننا ننوي اتِّهام شقيق المَلكة الحبيب، ولن تتلقَّى هي الاتِّهام ببساطة. ينبغي أن نَحصُل على دليلٍ أو نَصمُت إلى الأبد».

قال السير رودريك: «الخنجر هو الدَّليل. سلاح ثمين كهذا لا يختفي دون أن يُلاحِظه أحد».

أدركَت كاتلين أن ثمَّة مكانًا واحدًا يُمكن العثور على الحقيقة فيه، وقالت: «يجب أن يذهب أحدهم إلى كينجز لاندنج».

سارعَ روب يقول: «أنا سأذهبُ».

قالت له بحزم: «كلا، إن مكانك هنا، ويجب أن يظلَّ أحد أبناء ستارك في وينترفل دائمًا»، ودارَت بعينيها بين السير رودريك بشواربه البيضاء الطَّويلة والمِايستر لوين بمعطفه الرَّمادي وجرايچوي الشَّاب الأسمر النَّحيل المتهوِّر. من تُرسِل؟ من سيلقى التَّصديق؟ ثم إنها عرفت الإجابة. هكذا أزاحَت كاتلين الأغطية بصعوبةٍ وأصابعها المضمَّدة متيبِّسة كالحجارة، ونزلَت من الفِراش قائلةً: «يجب أن أذهب بنفسي».

قال المِايستر لوين: «أهذا قرار حكيم يا سيِّدتي؟ من المؤكَّد أن آل لانستر سيستقبلونكِ بشكوكهم».

قال روب المسكين وقد بدا حائرًا تمامًا الآن: «وماذا عن بران؟ لا يُمكن أن تَترُكيه».

أجابَت واضعةً يدًا جريحةً على ذراعه: «لقد فعلتُ كلَّ ما في إمكاني من أجل بران، وحياته الآن بين أيدي الآلهة والمِايستر لوين. لقد ذكَّرتني بنفسك يا روب أن لديَّ أبناءً آخَرين يجب أن أقلق عليهم».

قال ثيون: «ستحتاجين حراسةً قويَّةً معكِ يا سيِّدتي».

قال روب: «سأُرسِل هال مع فِرقةٍ من الحَرس معكِ».

هزَّت كاتلين رأسها نفيًا وقالت: «كلا، العدد الكبير سيجذب إلينا انتباهًا غير مرغوبٍ فيه، ولا أريدُ أن يعرف آل لانستر أنني قادمة إلى كينجز لاندنج».

قال السير رودريك معترضًا: «سيِّدتي، دعيني أصحبكِ على الأقل. طريق الملوك خطر على امرأةٍ وحيدة».

ردَّت كاتلين: «لن آخذ طريق الملوك»، ثم فكَّرت للحظاتٍ قبل أن تهزَّ رأسها موافِقةً وقالت: «من الممكن أن يتحرَّك راكبان بسرعة راكبٍ واحد، وأسرعَ كثيرًا من طابورٍ طويلٍ من الحَرس الذين تُثقِلهم العربات ومركبة مجرورة. أرحِّبُ بصُحبتك يا سير رودريك. سنتبع مجرى السكِّين الأبيض إلى البَحر، ثم نستأجر سفينةً من الميناء الأبيض. مع الخيول السَّريعة والرِّياح القويَّة من المفترَض أن نصل إلى كينجز لاندنج قبل نِد والآخَرين»، وفي قرارة نفسها أضافَت: *وبعدها سنرى ما سيَحدُث.*

سانزا

أخبرَتها السِّپتة موردن على مائدة الإفطار أن اللورد إدارد ستارك قد غادرَ قبل الفَجر. «المَلك طلبَ حضوره. صيدٌ آخَر على ما أعتقدُ، فهناك من قالوا لي إنه لا تزال هناك ثيران بريَّة في هذه الأنحاء».

قالت سانزا وهي تُطعِم قطعةً لحم مقدَّد لِذئبتها ليدي تحت المائدة: «لم أرَ ثيرانًا بريَّةً من قبل». التقطَت الذِّئبة الرَّهيبة قطعة اللَّحم من يدها برقَّة وتهذيب يليقان بمَلكة.

تنشَّقت السِّپتة موردن كعادتها حين تُبدي استنكارها، وقالت وهي تكسر قطعةً أخرى من قُرص العسل ليسيل العسل على الخُبز: «السيِّدة النَّبيلة لا تُطعِم الكلاب تحت المائدة».

علَّقت سانزا وليدي تلعق أصابعها بلسانها الخَشِن: «إنها ذِئبة رهيبة وليست كلبةً، ثم إن أبي قال إننا نستطيع الاحتفاظ بهم في صُحبتنا إذا أردنا».

لم تكن إجابة مُرضيةً للسِّپتة التي قالت: «أنتِ فتاة مهذَّبة يا سانزا، لكني أقسمُ أنكِ تملكين عناد أختكِ نفسه عندما يتعلَّق الأمر بتلك المخلوقات»، ثم تطلَّعت حولها عابسةً وقالت: «وأين آريا هذا الصَّباح أصلًا؟».

- «لم تكن جائعةً»، قالت سانزا وهي تعلم جيِّدًا جدًّا أن أختها تسلَّلت غالبًا إلى المطبخ منذ ساعات، وتملَّقت أحد صبيان الطَّاهي ليأتي لها بإفطارها.

- «ذكِّريها أن ترتدي ملابس لائقةً اليوم، الفُستان المخملي الرَّمادي ربما. إننا مدعوَّات للرُّكوب مع المَلكة والأميرة مارسلا في المركبة الملكيَّة، ويجب أن نبدو بأبهى صُورنا».

كانت سانزا تبدو بأبهى صُورها بالفعل. كانت قد مشَّطت شَعرها الكستنائي الطَّويل إلى أن صارَ يلمع، وارتدَت أفضل فُستان حريريٍّ أزرقَ لديها. إنها تتطلَّع إلى اليوم منذ أكثر من أسبوعٍ كامل، فهو شَرَفٌ عظيم أن تركب مع المَلكة نفسها، كما أن الأمير چوفري قد يكون هناك.. خطيبها.. مجرَّد التفكير في هذا كان يجعل نبضات قلبها تتسارَع على نحوٍ غريب، على الرغم من أن زواجهما المُزمَع لا تزال أمامه سنوات وسنوات. لم تكن سانزا تعرف چوفري حقًّا بَعد، لكنها كانت واقعةً في حُبِّه بالفعل. إنه كلُّ ما كانت ترغب فيه دومًا في أميرها، طويل ووسيم وقوي ولديه شَعر بلون الذَّهب. كانت تغتنم كلَّ فُرصةٍ لقضاء وقتٍ معه، وإن قلَّت الفُرص. الشَّيء الوحيد الذي كان يُخيفها اليوم هو آريا.. إن ديدن آريا أن تُفسِد كلَّ شيء، ولا يُمكنك أبدًا أن تتوقَّع ما ستفعله. قالت سانزا بتوجُّس: «سأُخبِرها، لكنها سترتدي ثيابها المعتادة». كانت تأمل ألَّا تكون ثياب آريا مُحرِجةً لها كثيرًا. «هل يُمكنني الانصراف؟».

قالت السِّپتة: «يُمكنك»، وانصرفَت إلى المزيد من الخُبز والعسل، بينما نهضَت سانزا من على الدِّكَّة، ومشَت ليدي في أعقابها وهي تَخرُج من قاعة الخان.

وقفَت في الخارج وسط الصِّياح والسِّباب وصرير العجلات الخشبيَّة، والرِّجال يَفُكُّون الخيام والسُّرادقات ويُحَمِّلون العربات من أجل مسيرة يوم آخر. كان الخان بناءً واسعًا من الأحجار ذات اللَّون الباهت يرتفع ثلاثةَ طوابق، أكبر خانٍ رأته سانزا في حياتها، لكن تجهيزاته كانت كافيةً لأقلِّ من ثُلث رَكب المَلك الذي تضخَّم الآن إلى أربعمئة نفرٍ مع إضافة رجال أبيها، بخلاف المُحارِبين غير النظاميِّين الذين انضمُّوا إليهم على الطَّريق.

وجدَت آريا على ضفَّة الثَّالوث، تُحاوِل أن تُثبِّت نايميريا في مكانها وهي تُنَظِّف فروها من الوحل الجاف، ولم تكن الذِّئبة الرَّهيبة مستمتعةً بهذه العمليَّة على ما يبدو. كانت آريا لا تزال ترتدي ملابس ركوب الخيل الجِلديَّة التي ارتدتها الأمس وأول أمس، فقالت لها: «يَحسُن أن ترتدي شيئًا لائقًا. السِّپتة موردن قالت هذا. سوف نركب في مركبة المَلكة والأميرة مارسلا اليوم».

قالت آريا وهي تُحاوِل تمشيط كُتلةٍ متشابكةٍ من فرو نايمريا الرَّمادي: «لن أذهب. أنا ومايكا سنركب عكس تيَّار النَّهر ونبحث عن الياقوت في المخاضة».

تساءلَت سانزا حائرةً: «ياقوت؟ عَمَّ تتكلَّمين؟».

رمقَتها آريا بنظرةٍ كأنها حمقاء وقالت: «ياقوت ريجار، إنه المكان الذي صرعَه فيه المَلك روبرت وفازَ بالعَرش».

نظرَت سانزا إلى أختها الصَّغيرة النَّحيلة بغير تصديق وقالت: «لا يُمكنكِ أن تبحثي عن الياقوت. المَلكة دعتنا والأميرة تنتظرنا معًا».

قالت آريا: «لا أهتمُّ. تلك المركبة بلا نوافذ حتى، ولا يُمكنكِ أن تري شيئًا منها».

قالت سانزا مغتاظةً: «وما الذي تريدين رؤيته؟». كانت تتحرَّق شوقًا لتلبية الدَّعوة، والآن ستُفسِد أختها الحمقاء كلَّ شيء، تمامًا كما توقَّعت. «لا شيء هنالك غير المَزارع والحقول والمعاقل».

بعنادٍ ردَّت آريا: «ليس هذا كلَّ شيء. سترين إذا جئتِ معنا ذات مرَّة».

قالت سانزا بعصبيَّة: «تعلمين أني أكرهُ الرُّكوب. كلُّ ما ينالكِ منه هو اتِّساخ وجهكِ وثيابكِ وإصابتكِ بالألم».

هزَّت آريا كتفيها بلا مبالاة، ثم صاحَت في نايميريا: «اثبتي! إنني لا أؤذيكِ!»، وعادت تُكَلِّم سانزا قائلةً: «أثناء عبورنا "العُنق" عددتُ ستًّا

وثلاثين نوعًا من الزُّهور لم أرَه من قبل قَطُّ، ومايكا أراني أسدًا زاحفًا[1] كذلك».

ارتجفَت سانزا. لقد استغرقَ عبورهم "العُنق" اثني عشر يومًا، حيث قطعوا ممرًّا معوجًّا يعلو مستنقعًا أسودَ بلا نهاية، وكرهَت سانزا كلَّ لحظةٍ من تلك المرحلة. كان الهواء رطبًا دبقًا، والممرُّ شديد الضِّيق لدرجة أنهم لم يستطيعوا نَصب مخيَّم لائق ليلًا، وتوقَّفوا على قارعة طريق الملوك ذاته. أدغال كثيفة من الأشجار الغارقة احتشدَت على مقربةٍ منهم، أغصانها مغطَّاة بالفِطر الباهت. نبتت زهور ضخمة في الوحل وطفَت على سَطح بِرَكٍ من المياه الرَّاكدة، لكن لو كنت أحمقَ بما فيه الكفاية لأن تَترُك الممرَّ لتقطف إحداها، ستجد رمالًا متحرِّكةً تنتظر ابتلاعك وثعابين كامنةً في الأشجار وأسودًا زاحفةً تطفو نِصف مغمورةٍ في الماء كجذوع أشجارٍ سوداء لها عيون وأنياب.

لكن شيئًا من هذا لم يوقف آريا طبعًا. في يوم عادت مبتسمةً ابتسامة الحصان المعهودة، شَعرها متشابك وثيابها ملطَّخة بالوحلوتقبض على حزمةٍ غير منتظمةٍ من الزُّهور الأرجوانيَّة والخضراء لأبيهما. ظلَّت سانزا تتمنَّى أن يقول لآريا أن تُهذِّب سلوكها وتتصرَّف كالسيِّدة ابنة العائلة العريقة التي ينبغي أن تكونها، لكنه لم يفعل واحتضنَ آريا وشكرَها على الزُّهور، وهو ما جعلها تتمادى أكثر. ثم اتَّضح أن الزُّهور الأرجوانيَّة كان اسمها "القُبلات السَّامَّة"، وأصيبت آريا بطفحٍ جِلديٍّ في ذراعيها. اعتقدَت سانزا أن هذا كان كفيلًا بأن يُعَلِّمها درسًا، لكن آريا ضحكَت وفي اليوم التَّالي فركَت ذراعيها بالوحل كواحدةٍ من نساء المستنقعات الجاهلات، لمجرَّد أن صديقها مايكا أخبرَها أن هذا من شأنه أن يوقف الحُكاك. كانت هناك كدمات على ذراعيها وكتفيها كذلك، رضوض أرجوانيَّة داكنة وبُقع ذات لونٍ أخضرَ وأصفرَ باهت، وكانت سانزا تراها

(1) الاسم الذي يُطلَق على الزَّواحف التي تعيش في مستنقعات وستروس.

عندما تخلع أختها ملابسها للنَّوم. وحدها الآلهة السَّبعة تعلم كيف أصيبت بها.

كانت آريا لا تزال مستمرَّةً في تمشيط شَعر نايميريا والثَّرثرة عن الأشياء التي رأتها خلال الرِّحلة جَنوبًا: «الأسبوع الماضي وجدنا بُرج حراسةٍ مهجورًا، وفي اليوم السَّابق لهذا طاردنا قطيعًا من الخيول البريَّة. كان يجب أن تريها وهي تفرُّ عندما اشتمَّت رائحة نايميريا». حاولَت الذِّئبة التملُّص منها، فصاحت آريا موبِّخةً: «كُفِّي عن هذا. يجب أن أنظِّف الجانبَ الآخَر كذلك. أنتِ ملوَّثة تمامًا بالوحل».

قالت سانزا مذكِّرةً: «ليس من المفترَض أن تَترُكي الموكب. أبي قال هذا».

هزَّت آريا كتفيها مجيبةً: «لم أبتعد، ثم إن نايميريا كانت معي طوال الوقت. كما أنني لا أترك الموكب كلَّ مرَّةٍ كذلك. من الممتع أحيانًا التحرُّك مع العربات والكلام مع النَّاس».

كانت تعرف أصناف النَّاس الذين تُحِبُّ آريا الكلام معهم: مُرافِقو الفُرسان وسائسو الخيل والخادمات، كبار السِّن والأطفال العُراة، المُحارِبون غير النِّظاميِّين خشنو الألسنة المشكوك في أنسابهم. بمنتهى البساطة تُصبِح آريا صديقة أيَّ أحدٍ على الإطلاق. مايكا هذا كان الأسوأ، صبي الجزَّار المشاغب الذي يَبلُغ من العُمر ثلاثة عشر عامًا وينام في عربة اللُّحوم وتفوح منه رائحة الحيوانات المذبوحة. كان مجرَّد منظره يُثير في سانزا الغثيان، لكن آريا كانت تُفَضِّل صُحبته على صُحبتها.

كان صبر سانزا قد بدأ ينفد بالفعل، وقالت لأختها بحزم: «يجب أن تأتي معي. لا يُمكنكِ أن تَرفُضي دعوة المَلكة، والسِّپتة موردن تنتظر حضورك».

تجاهلَتها آريا كأنها لم تسمعها، ومرَّرت الفرشاة في فرو نايميريا المتشابك بقوَّةٍ، فزمجرَت الذِّئبة وتملَّصت مبتعدةً متحديةً أوامر صاحبتها التي صاحت: «عودي إلى هنا!».

استطردَت سانزا بتعقُّل البالغين: «سيُقَدِّمون لنا الشَّاي وكعكات اللَّيمون». احتكَّت ليدي بساقها، فملَّست على رأسها بين أُذنيها كما تُحِبُّ، وجلسَت ليدي إلى جوارها على قائمتيها الخلفيَّتين تُراقِب آريا وهي تُطارِد نايميريا. «ما الذي يجعلكِ ترغبين في ركوب حصانٍ كريه الرَّائحة يجعلكِ تتصبَّبين عرقًا ويوجعكِ، بينما بوسعكِ الاسترخاء على وسائدِ محشوَّةٍ بالرِّيش وتناوُل الكعك مع المَلكة؟».

- «أنا لا أحبُّ المَلكة»، قالت آريا ببساطةٍ شديدة، فاحتبسَت أنفاس سانزا في صدرها من جرَّاء الصَّدمة التي أصابها بها قول أختها، لكن آريا واصلَت دون أن تنتبه: «إنها لن تسمح لي باصطحاب نايميريا»، وثبَّتت الفرشاة في حزامها واقتربَت بتؤدةٍ من ذِئبتها، بينما راقبَتها نايميريا بنظراتٍ حَذِرة.

قالت سانزا: «المركبة الملكيَّة ليست مكانًا للذِّئاب، كما أن الأميرة مارسلا تخافها وأنتِ تعرفين ذلك».

- «مارسلا طفلة صغيرة»، قالت آريا وأحاطت بعنق نايميريا، لكن بمجرَّد أن أخرجَت الفرشاة من جديد تملَّصت الذِّئبة الرَّهيبة منها ثانيةً وجرَت مبتعدةً، وبحنقٍ ألقت آريا الفرشاة أرضًا وصاحت: «ذِئبة سيِّئة!».

وجدَت سانزا نفسها تبتسم رغمًا عنها. ذات مرَّةٍ قال لها قيِّم وَجار الكلاب إن الحيوان يتطبَّع بطباع صاحبه. ضمَّت ليدي إليها سريعًا، فلعقَت الذِّئبة وجنتها وقهقهَت سانزا. سمعَت آريا والتفتَت قائلةً: «لا أبالي بما تقولين. سأركبُ إلى المخاضة اليوم»، واكتسى وجهها الحصاني بتعبير العناد الذي يعني أنها ستتصرَّف وَفق هواها.

قالت سانزا: «بحقِّ الآلهة يا آريا، إنكِ تتصرَّفين كالأطفال أحيانًا. سأذهبُ وحدي إذن. هذا أفضل كثيرًا على كلِّ حال. أنا وليدي سنأكل كعكات اللَّيمون كلها ونقضي وقتًا رائعًا من دونكِ».

استدارَت لتُغادِر، لكن آريا صاحت من ورائها: «لن يسمحوا لكِ أيضًا

باصطحاب ليدي»، وانطلقَت مبتعدةً لتُطارِد نايميريا على ضفَّة النَّهر قبل أن تستطيع سانزا التَّفكير في رد. وحيدةً شاعرةً بالإهانة سلكَت الطَّريق الطَّويل إلى الخان، حيث كانت السِّپتة موردن تنتظرها لا ريب، ومشَت ليدي بهدوءٍ إلى جانبها. كانت على وشك البكاء. كلُّ ما تريده هو أن تكون الأشياء لطيفةً جميلةً كما في الأغاني، فلِمَ لا تستطيع آريا أن تكون رقيقةً مهذَّبةً كالأميرة مارسلا؟ كانت تتمنَّى أن تكون لها أخت مِثلها.

لم تكن سانزا تستوعب أبدًا كيف يُمكن لشقيقتين يَفصِل بينهما عامان لا أكثر أن تكونا شديدتي التَّنافُر هكذا. كان من الأسهل أن تكون آريا نغلةً كأخيهما غير الشَّقيق چون. إنها تُشبِه چون حتى، ملامحها هي ملامح آل ستارك التي يُمَيِّزها الوجه الطَّويل والشَّعر البُنِّي، بينما لا تشترك مع السيِّدة والدتهما في شيءٍ من شكل الملامح أو لون الشَّعر.. كما أن أم چون كانت من العامَّة. في مرَّةٍ وهي صغيرة سألت سانزا أمها إن كان هناك خطأ ما.. لعلَّ الجرامكنات سرقَت أختها الحقيقيَّة، لكن أمها ضحكَت وقالت لا، آريا ابنتها وأخت سانزا الشَّقيقة، من لحمها ودمها. لم تستطِع سانزا التَّفكير في سببٍ يجعل أمها تكذب عليها، فسلَّمت بالأمر الواقع.

تضاءلَ توتُّرها سريعًا مع اقترابها من منتصَف المخيَّم. كان هناك جَمعٌ متحلِّق حول مركبة المَلكة المجرورة، وسمعَت سانزا أصواتهم تَطِنُّ كخليَّة نحل. رأت أن باب المركبة كان مفتوحًا، ووقفَت المَلكة على قمَّة السَّلالم الخشبيَّة تَنظُر لأحدهم وتبتسم، وسمعَتها تقول: «نحن شديدو الامتنان لهذا التَّكريم الذي يمنحنا إياه المجلس أيها السَّادة الأعزَّاء».

سألَت سانزا مُرافِق فارسٍ تعرفه: «ماذا هناك؟».

أجابَها: «المجلس أرسلَ خيَّالة من كينجز لاندنج ليُرافِقونا بقيَّة الطَّريق، حَرس شَرف للمَلك».

كانت متلهِّفةً على المُشاهَدة، فجعلت ليدي تُفسِح الطَّريق أمامها بين المتجمهرين الذين انزاحوا جانبًا بسرعةٍ من أمام الذِّئبة الرَّهيبة. لمَّا

اقتربَت رأت فارسين راكعين أمام المَلكة، كلاهما يرتدي دِرعًا شديدة الفخامة والبهاء حتى أن سانزا تسمَّرت في مكانها مأخوذةً. أحد الفارسين كان يرتدي دِرعًا من الفولاذ المطروق المطلي بالمينا، لونها أبيضَ زاهٍ كحقلٍ مغطًّى بالثُّلوج الطَّازجة، وعليها نقوش فضيَّة تلمع في الشَّمس. عندما خلعَ خوذته، رأت سانزا أنه رجل مُسِنٌّ ذو شَعرٍ أبيضَ كدِرعه، لكنه بدا شديد القوَّة والرَّشاقة على الرغم من ذلك. كان معطف الحَرس المَلكي ذو اللَّون الأبيض النَّاصع ينسدل من على كتفيه. رفيقه كان رجلًا يقترب من العشرين من العُمر، يرتدي دِرعًا من الصفائح الفولاذيَّة ذات اللَّون الأخضر العميق. كان أوسم رجلٍ وقعَت عينا سانزا عليه في حياتها، طويلًا مفتول العضلات ذا شَعرٍ فاحم السَّواد يَبلُغ كتفيه ويُحَدِّد وجهه الحليق، وعينين ضاحكتينِ خضراوين تتناسَق معهما دِرعه. تحت ذراعه كانت خوذة ذات قرون تتألَّق باللَّون الذَّهبي.

لم تُلاحِظ سانزا الغريب الثَّالث في البداية، فهو لم يركع مع الآخرَيْن. كان رجلًا نحيلًا متجهِّم الملامح يقف على الجانب إلى جوار الخيول ويُراقِب بصمت. كان وجهه المجدور حليقًا تغور فيه عيناه ووجنتاه في آنٍ واحد. على الرغم من أنه لم يكن رجلًا متقدِّمًا في السِّن، إلَّا أن خُصلاتٍ خفيفة من الشَّعر كانت قد تبقَّت لديه، تنبت من فوق أُذنيه فيَترُكها تطول جدًّا كالنِّساء. كانت دِرعه من حلقات الحديد ذات اللَّون الرَّمادي فوق طبقاتٍ من الجِلد المقوَّى بالزَّيت المغلي، بسيطةً للغاية ولا يُزَيِّنها شيء، وتشي بالقِدَم والاستخدام القاسي. من فوق كتفه اليُمنى كان يَبرُز الغمد الجِلدي المتَّسخ الذي يضع فيه سيفه المعلَّق على ظَهره. كان سيفًا عظيمًا يُحمَل باليدين معًا وأطولَ من أن يُعلِّقه في حزامه.

- «لقد ذهبَ المَلك للصَّيد، لكني أعرفُ أنه سيُسَرُّ لرؤيتكم لدى عودته»، قالت المَلكة للفارسين الرَّاكعين أمامها، لكن عيني سانزا لم تستطيعا مبارَحة الرَّجل الثَّالث. ثم بدا كأنه شعرَ بثِقَلِ نظراتها، وببطءٍ أدارَ

رأسه.. وزمجرَت ليدي. خوف لم تَشعُر سانزا ستارك بمِثله قَطُّ أفعمَها فجأةً، وتراجعَت إلى الوراء متعثِّرةً لتصطدم بأحدهم.

أمسكَتها اليدان القويَّتان من كتفها، وللحظةٍ حسبَت سانزا أنه أبوها، لكن عندما التفتَت وجدَت وجه ساندور كليجاين المحروق يَنظُر إليها وعلى شفتيه ابتسامة ساخرة بشعة، وقال بصوته الأجش: «إنكِ ترتجفين يا فتاة. هل أخيفكِ لهذه الدَّرجة؟».

كان يُخيفها كثيرًا حقًّا منذ وقعَت عيناها للمرَّة الأولى على الخراب الذي صنعَته النَّار في وجهه، وإن بدا لها الآن أنه يكاد لا يثير فيها نِصف الخوف الذي يُصيبها به ذلك الآخَر. تملَّصت سانزا منه وضحكَ كلب الصَّيد فتقدَّمت ليدي لتقف بينهما مُطلِقةً زمجرة إنذار، وركعَت سانزا على رُكبتيها لتُطَوِّق الذِّئبة بذراعيها. كانوا يحيطون بها جميعًا، وشعرَت بأعينهم المثبَّتة عليها وهُم يتفرَّجون على المشهد، وهنا أو هناك كان أحدهم يُطلِق تعليقًا أو ضحكةً مكتومةً.

- «ذِئب»، قال رجل، وقال آخَر: «إنه ذِئب رهيب بحقِّ الجحائم السَّبع»، فقال الأول: «ماذا يفعل هنا في المخيَّم؟»، وأجابَ كلب الصَّيد بصوته الأجش: «آل ستارك يستخدمونها كمُرضِعات». أدركَت سانزا أن الفارسين الغريبين كانا يَنظُران إليها وليدي وسيفاهما في يديهما، وملأها الخوف مرَّةً أخرى ومعه الخزي، واغرورقت عيناها بالدُّموع.

سمعَت المَلكة تقول: «چوفري، اذهب إليها».

وبَعد لحظةٍ كان أميرها أمامها.

قال چوفري: «ابتعدوا عنها». كان يقف فوقها، يبدو جميلًا في الصُّوف الأزرق والجِلد الأسود، وخُصلاته الذَّهبيَّة تلمع في الشَّمس كتاجٍ على رأسه. مَدَّ لها يده وجذبَها لتنهض قائلًا: «ماذا هناك يا سيِّدتي الجميلة؟ لماذا أنتِ خائفة؟ لا أحد سيؤذيكِ»، ورفعَ صوته إلى المحيطين قائلًا: «اغمدوا سيوفكم جميعًا. الذِّئبة حيوانها الأليف لا أكثر»، ثم نظرَ إلى

ساندور كلجاين وأضافَ: «وأنت أيها الكلب، ابتعد من هنا، إنك تُخيف خطيبتي».

انحنى كلب الصَّيد المُخلص دائمًا وانسلَّ مبتعدًا بين المتجمهرين، بينما كافحَت سانزا لتقف ثابتةً وهي تَشعُر أنها حمقاء حقًّا. إنها من آل ستارك أبناء وينترفل، سيِّدة نبيلة، وذات يوم ستُصبح مَلكةً. قالت مُحاوِلةً أن تشرح: «ليس هو يا أميري الجميل، إنه الآخر».

تبادلَ الفارسان الغريبان نظرةً، ثم قال ذو الدِّرع الخضراء ضاحكًا: «باين؟».

خاطبَ الرَّجل المُسِنُّ ذو الدِّرع البيضاء سانزا قائلًا برِفق: «غالبًا ما يُخيفني السير إلين أيضًا يا سيِّدتي. إن لديه سيماء مخيفة حقًّا».

- «وهو ما ينبغي أن يكون»، قالت المَلكة وكانت قد نزلَت من مركبتها، فأفسحَ المجتمعون لها الطَّريق. «إذا لم يخف الأشرار من عدالة المَلك، فالرَّجل الخطأ يشغل هذا المنصب لا ريب».

استطاعَت سانزا الكلام أخيرًا، وقالت: «لقد اخترتم الرَّجل المناسب بكلِّ تأكيد يا جلالة المَلكة»، وهبَّت عاصفة من الضَّحك من حولها.

قال الفارس الأبيض: «أحسنتِ التَّعبير يا بُنَيَّتي، كما يليق بابنة اللورد إدارد ستارك. شرفٌ لي أن أتعرَّف إليكِ مهما كانت ظروف اللِّقاء غريبةً. أنا السير باريستان سلمي، من الحَرس المَلكي»، وانحنى.

كانت سانزا تعرف الاسم، والآن تذكَّرت المجامَلات التي علَّمتها السِّبتة موردن إياها على مَرِّ السِّنين، وقالت: «حضرة قائد الحَرس المَلكي، ومستشار مَلكنا روبرت ومن قبله إيرس تارجارين. الشَّرف لي أيها الفارس. حتى في الشَّمال ما زالت الأغاني تُرَدِّد أمجاد باريستان الباسِل».

ضحكَ الفارس الأخضر مرَّةً أخرى وقال: «تَقصِدين باريستان الهَرِم. لا تُطري عليه كثيرًا أيتها الطفلة، فهو معتدٌّ بنفسه أكثر من اللَّازم بالفعل»،

ثم ابتسمَ مضيفًا: «والآن يا صاحبة الذِّئبة، إذا كنتِ تعرفين اسمي أيضًا، سأُسَلِّم بأنكِ ابنة يَدِ المَلك حقًّا».

شَدَّ چوفري قامته إلى جوارها وقال بصرامة: «احترس لأسلوبك مع خطيبتي».

قالت سانزا بسرعةٍ لتهدئة غضب أميرها: «أستطيعُ الإجابة»، ثم ابتسمَت للفارس الأخضر وقالت: «خوذتك عليها قرون ذهبيَّة يا سيِّدي، والوَعل رمز العائلة الملكيَّة. المَلك روبرت لديه أخوان، لكن بسِنِّك الصَّغيره هذه لا يُمكن أن تكون غير رنلي باراثيون، حاكِم ستورمز إند ومستشار المَلك».

قال السير باريستان ضاحكًا: «بسِنِّه الصَّغيرة هذه لا يُمكن أن يكون غير قردٍ متبختر!».

انتشرَت الضَّحكات بين الموجودين، يقودها اللورد رنلي نفسه. تبدَّد توتُّر اللَّحظات القليلة الماضية وبدأت سانزا تَشعُر بالارتياح... إلى أن مَرَّ السير إلين پاين بين رجلين مزيحًا إياهما بكتفيه، ووقفَ أمامها دون أن يبتسم أو يقول شيئًا. كشَّرت ليدي عن أنيابها وبدأت تُزَمجِر بصوتٍ خفيض مفعم بالتَّهديد، لكن سانزا هذه المرَّة أسكتَت الذِّئبة بلمسةٍ خفيفةٍ على رأسها، وقالت: «آسفةٌ إذا كنتُ ضايقتك يا سير إلين». انتظرَت منه إجابةً لم تأتِ. كانت نظرات عينيه الشَّاحبتين كأنها تُجَرِّدها من ثيابها قطعةً قطعةً، ثم من جِلدها، فلا يتبقَّى غير روحها عاريةً أمامه. ثم إنه استدارَ وابتعدَ دون أن ينبس بحرفٍ واحد. لم تفهم سانزا، ونظرَت إلى أميرها قائلةً: «هل قلتُ شيئًا خطأ يا سموَّ الأمير؟ لماذا لا يُكَلِّمني؟».

كان اللورد رنلي هو من أجابها قائلًا بابتسامةٍ ماكرة: «السير إلين منقطع عن الكلام منذ أربعة عشر عامًا».

سدَّد چوفري نظرة احتقارٍ خالِص نحو عمِّه، ثم التقطَ يدها في يده وقال: «إيرس تارجاريَن أمرَ بانتزاع لسانه من جذوره بكلَّابةٍ ساخنة».

وأضافَت المَلكة: «لكنه يتكلَّم بفصاحةٍ أكبر بسيفه، وإخلاصه للبلاد لا شكَّ فيه»، ثم ابتسمَت برقَّةٍ وقالت: «سانزا، يجب أن أتحدَّث مع حضرة المستشارَيْن إلى أن يعود المَلك مع أبيكِ، وأخشى أن علينا تأجيل يومكِ مع مارسلا. أرجو أن تُبَلِّغي أختكِ اللَّطيفة اعتذاري. چوفري، ربما عليك أن تُرافِق ضيفتنا اليوم».

قال چوفري بلهجةٍ رسميَّةٍ جدًّا: «من دواعي سروري أن أفعل يا أماه»، وتأبَّط ذراعها وقادها بعيدًا عن المركبة، وارتفعَت معنويَّات سانزا إلى عنان السَّماء. يومٌ كامل مع أميرها! حملقَت في چوفري بافتتان. إنه شديد الشَّهامة والنُّبل، والطَّريقة التي أنقذَها بها من كلب الصَّيد والسير إلين كادت تكون كما القصص البطوليَّة في الأغاني، تمامًا كما أنقذَ السير سروين ذو التُّرس المرآة الأميرة دايريسا من العمالقة، أو عندما دافعَ إيمون الفارس التنِّين عن شَرف المَلكة نييرس ضد افتراءات السير مورجيل الشرِّير.

كانت لمسة يد چوفري على كُمِّ فُستانها تجعل قلبها يَخفِق بسرعة. سألها: «ماذا تريدين أن تفعلي؟».

أريدُ أن أكون معك، فكَّرت، لكنها قالت: «أيًّا كان ما تريده يا أميري».

فكَّر قليلًا، ثم قال: «يُمكننا أن نركب الخيل».

- «إنني أعشقُ ركوب الخيل!».

اختلسَ چوفري نظرةً وراءه إلى ليدي التي تتبعهما، وقال: «ذِئبتكِ ستُخيف حصانينا وكلبي يُخيفك، فدعينا نَترُكهما هنا وننطلق وحدنا. ما رأيكِ؟».

تردَّدت سانزا قليلًا، ثم قالت: «يُمكنني أن أقيِّد ليدي على ما أعتقدُ». لكنها لم تكن تفهم بالضَّبط، فأضافَت: «لم أكن أعلم أن لديك كلبًا».

ضحكَ چوفري وقال: «إنه كلب أمي في الواقع. لقد أمرَته بحراستي، وهذا ما يفعله».

- «تَقصِد كلب الصَّيد»، قالت شاعرةً بالرَّغبة في صفع نفسها لبُطء تفكيرها. إن أميرها لن يُحِبَّها أبدًا إذا رآها غبيَّةً: «هل سنكون آمنيْن إذا لم يكن معنا؟».

بدا الأمير چوفري مستاءً من مجرَّد السُّؤال، وقال: «لا تخافي يا سيِّدتي. إنني أكادُ أصبح رجلًا بالغًا، ولا أقاتلُ بالخشب كإخوتك. كلُّ ما أحتاجه هو هذا»، وسحبَ سيفه ليُريها إياه. كان سيفًا طويلًا تَمَّ تقصيره ببراعةٍ ليُناسِب صبيًّا في الثانية عشرة، مصنوعًا في قلعةٍ بنصلين من الفولاذ الأزرق اللَّامع، له مقبض من الجِلد وقبيعة على شكل رأس أسدٍ ذهبي. أطلقَت سانزا صيحة إعجابٍ وبدا چوفري مسرورًا وهو يقول: «أطلقتُ عليه اسم "ناب الأسد"».

وهكذا تركا ذِئبتها الرَّهيبة وحارسه الشَّخصي وانطلقا شَرقًا على ضفَّة الثَّالوث الشَّماليَّة دون صُحبةٍ بخلاف سيف الأمير چوفري.

كان نهارًا جميلًا، نهارًا ساحرًا.. الهواء دافئ عبق بعبير الزُّهور، وللغابة هنا طابع من الجمال الرَّقيق الذي لم تعرفه سانزا في الشَّمال. كان چوفري يمتطي حصان سباقٍ ذا لونٍ بُنيٍّ داكن سريعًا كالرِّيح، وقد ركضَ به بحماسةٍ متهوِّرة حتى أن سانزا بذلَت كلَّ ما لديها كي تستطيع فَرسها مجاراته. كان يومًا من المغامرات استكشفا فيه الكهوف التي تطلُّ على ضفَّة النَّهر واقتفيا أثر أحد قِطط الظِّل[1] إلى عرينه، وعندما شعرا بالجوع عثرَ چوفري على معقلٍ صغيرٍ عن طريق الدُّخَّان الذي يَخرُج منه، وأمرهم بإحضار الطَّعام والنَّبيذ لأميرهم وسيِّدته. هكذا تناوَلا سمك الترويت الطَّازج من النَّهر، وشربَت سانزا نبيذًا أكثر مما فعلَت من قبل على الإطلاق. قالت لأميرها معترفةً: «أبي يسمح لنا باحتساء كأسٍ واحدةٍ فقط، وفي المآدب فقط».

قال وهو يعيد ملء كأسها: «خطيبتي يُمكنها أن تشرب كما تشاء».

(1) نوع من الأسود الجبليَّة من ابتكار المؤلِّف.

بطأت حركتهما بعد الأكل، وغنَّى چوفري لها وهما على صهوتي الحصانين بصوتٍ عالٍ عذب، وقالت سانزا وهي تَشعُر بشيءٍ من الدُّوار من جرَّاء النَّبيذ: «ألا يَجدُر بنا أن نعود؟».

قال چوفري: «بَعد قليل. أرض المعركة تقع أمامنا مباشرةً، حيث ينحني مجرى النَّهر. هذا هو المكان الذي قتلَ فيه أبي ريجار تارجاريَن. لقد حطَّم صدره من تحت دِرعه، *كراش!*»، ولوَّح بمطرقةٍ حربيَّةٍ خياليَّةٍ ليُريها طريقة تسديد الضَّربة، قبل أن يُردِف: «ثم قتلَ خالي چايمي المَلك إيرس وأصبحَ أبي مَلكًا و... ما هذا الصَّوت؟».

سانزا أيضًا سمعَت الصَّوت قادمًا عبر الغابة. كان أقرب إلى قعقعةٍ معدنيَّة... *سناك، سناك، سناك!* قالت: «لا أدري»، لكن الصَّوت كان يثير توتُّرها بما يكفي، فأضافَت: «چوفري، لنذهب من هنا».

قال: «أريدُ أن أرى»، وأدارَ حصانه في اتِّجاه الصَّوت، فلم يكن أمام سانزا سوى أن تتبعه. صارَ الصَّوت أعلى وأوضح، صوت اصطدام الخشب بالخشب، ومع اقترابهما سمعا أنفاسًا ثقيلةً كذلك، ونخيرًا بين الحين والآخَر.

قالت سانزا بقلق: «أحدهم هناك»، ووجدَت نفسها تُفكِّر في ليدي، وتمنَّت لو كانت الذِّئبة الرَّهيبة معها الآن.

سحبَ چوفري سيفه من غِمده وقال: «أنتِ آمنة معي». جعلها صوت سحب الفولاذ على الجِلد ترتجف، وقال چوفري عابرًا صفًّا من الأشجار: «من هنا».

وراء الأشجار، في بُقعةٍ خاليةٍ من الأرض تطلُّ على النَّهر، وجدا ولدًا وبنتًا يلعبان كالفُرسان. كان سيفاهما عبارةً عن عصاتي مكنسة خشبيَّتين كما يبدو من شكلهما، وكان الاثنان يتحرَّكان بسرعةٍ على العُشب ويهويان بالعصاتين بحماسةٍ ونشاط. كان الولد أكبر منها بأعوام، وأطول منها بمقدار رأسٍ كامل، وهجمته ضاغطة. كانت البنت النَّحيلة التي ترتدي

الجِلد المتَّسخ تُراوِغه وتصدُّ أغلب ضرباته بالعصا، لكن ليس جميعها. عندما حاولَت الانقضاض عليه، صدَّ عصاها بعصاه وأزاحها جانبًا ثم هوَت العصا على أصابعها، فصرخَت متألِّمةً وتركَت سلاحها يَسقُط.

ضحكَ الأمير چوفري، ورفعَ الولد عينين متَّسعتين ذُعرًا نحوه وسقطَت عصاه وسط العُشب، وحدَّقت فيهما البنت وهي تمصُّ مفاصل أصابعها لتخفيف الألم، وحدَّقت فيها سانزا بارتياعٍ وصاحت مشدوهةً: «آريا؟!».

صاحَت آريا بدورها ودموع الغضب في عينيها: «ابتعدا. ماذا تفعلان هنا؟ دعانا وشأننا».

نقلَ چوفري بصره من آريا إلى سانزا تارةً وأخرى، ثم قال: «أختكِ؟»، فهزَّت رأسها إيجابًا وقد تضرَّج وجهها بحُمرة الخجل. تفحَّص چوفري الولد غليظ الملامح ذا الوجه المليء بالنَّمش والشَّعر الأحمر الكثيف. «من تكون يا ولد؟»، سأل بنبرةٍ آمرةٍ تجاهلَت تمامًا حقيقة أن الآخَر يُكبُره بعامٍ كامل.

تمتمَ الولد وقد تعرَّف على الأمير وخفضَ بصره: «مايكا يا سيِّدي».

قالت سانزا: «صبي الجزَّار».

وصاحت آريا بحدَّة: «دعه وشأنه. إنه صديقي».

قال چوفري: «صبي الجزَّار يريد أن يُصبِح فارسًا، أليس كذلك؟»، ووثبَ من فوق حصانه وسيفه في يده وقال والاستمتاع يلمع في عينيه: «التقط سيفك يا صبي الجزَّار، لنرَ براعتك».

وقفَ مايكا في مكانه متجمِّدًا من الخوف، بينما مشى چوفري نحوه قائلًا: «هَلُمَّ، التقطه، أم أنك تُبارِز الفتيات الصَّغيرات فحسب؟».

قال مايكا: «هي التي طلبَت مني يا سيِّدي، هي التي طلبَت مني».

لم يكن على سانزا إلَّا أن تُلقي نظرةً واحدةً على آريا وترى احمرار وجهها لتعرف أن الولد كان يقول الحقيقة، لكن چوفري لم يكن في مزاجٍ للإصغاء، والنَّبيذ جعله يتصرَّف باندفاع. هكذا قال: «ألن تلتقط السَّيف؟».

هَزَّ مايكا رأسه رفضًا وقال: «إنها مجرَّد عصا يا سيِّدي، ليست سيفًا بل مجرَّد عصا».

- «وأنت مجرَّد صبي جزَّار ولست فارسًا»، ورفعَ جوفري "ناب الأسد" ووضعَ رأسه على وجنة مايكا تحت عينه مباشرةً والولد يقف في مكانه يرتعش. «هذه التي تضربها هي أخت سيِّدتي، هل تعرف هذا؟». بزخَت قطرة قانية من الدَّم حيث ضغطَ سيفه في لحم الولد، وسال خيط أحمرَ رفيع على وجنته.

صرخَت آريا: «كُفَّ عن هذا!»، والتقطَت عصاها من على الأرض.

قالت سانزا خائفةً: «آريا، لا تتدخَّلي».

قال الأمير جوفري لآريا دون أن يُبعِد عينيه عن صبي الجزَّار «لن أؤذيه... كثيرًا».

وانقضَّت آريا عليه.

ترجَّلت سانزا عن فَرسها، لكنها كانت أبطأ من اللَّازم. هوَت آريا بعصاها، وارتفعَ صوت طقطقةٍ عالٍ مع تشقُّق الخشب على مؤخِّرة رأس الأمير، ثم حدثَ كلُّ شيءٍ في آنٍ واحدٍ أمام عيني سانزا المذعورتين. دارَ جوفري حول نفسه مترنِّحًا والشَّتائم تنهال منه، بينما ركضَ مايكا إلى الأشجار بأسرع ما استطاعت قدماه، ثم هوَت آريا بالسَّيف على الأمير من جديد، لكن جوفري صَدَّ الضَّربة هذه المرَّة بسيفه وانتزعَ به عصاتها المكسورة من يدها. كانت الدِّماء تُغرِق مؤخِّرة رأسه ونار الغضب مشتعلةً في عينيه. صرخَت سانزا: «لا، لا، كفى، توقَّفا كلاكما، إنكما تُفسِدان كلَّ شيء!»، لكن لا أحد منهما كان يُصغي إليها. التقطَت آريا صخرةً صغيرةً من على الأرض ورمَتها نحو رأس جوفري، لكنها أصابَت حصانه الذي رفعَ قائمتيه الأماميَّتين ثم انطلقَ يعدو وراء مايكا. ظلَّت سانزا تَصرُخ فيهما مناشدةً أن يتوقَّفا، لكن جوفري شَقَّ الهواء بسيفه نحو آريا مُغرِقًا إياها بأقذع وأحطِّ الشَّتائم. تراجعَت من أمامه وقد أصابها الخوف، لكنه

تبعها دافعًا إياها نحو الغابة وحاصرَها وظَهرها إلى شجرة. لم تعرف سانزا ماذا تفعل، وشاهدَت ما يَحدُث بعجزٍ ودموعها تكاد تُعميها.

ثم مرقَ الجسم الرَّمادي إلى جوارها، وفجأةً كانت نايميريا هناك، تثب لتَقبِض بفكَّيها على يد الأمير التي تحمل السَّيف. أفلتَت أصابعه السِّلاح إذ أسقطَته الذِّئبة على ظَهره، وتدحرجَ الاثنان وسط العُشب.. الذِّئبة تُزَمجِر وتُمَزِّق ذراعه والأمير يعوي ألمًا ويَصرُخ: «أبعديها عني! أبعديها عني!».

قالت آريا بصوتٍ قاطعٍ كالسَّوط: «نايميريا!»، فتخلَّت الذِّئبة الرَّهيبة عن چوفري ووقفَت إلى جِوار صاحبتها، بينما تمدَّد الأمير وسط العُشب ينتحب ويسند ذراعه المشوَّهة بيده الأخرى، وأغرقَت الدِّماء قميصه. قالت آريا: «إنها لم تؤذِك... كثيرًا»، ثم التقطَت "ناب الأسد" من حيث سقطَ، ووقفَت فوق چوفري حاملةً السَّيف بيديها معًا.

أصدرَ چوفري صوتًا باكيًا خائفًا ونظرَ إليها قائلًا: «لا، لا تؤذيني، سأُخبِر أمي».

وصرخَت سانزا في أختها: «دعيه وشأنه!».

دارَت آريا وألقَت السَّيف في الهواء واضعةً ثقلها كله وراء الرَّمية، وتألَّق الفولاذ الأزرق والسَّيف يدور في الهواء قبل أن يَسقُط في النَّهر ويختفي ناثرًا المياه. أطلقَ چوفري أنينًا، وركضَت آريا إلى حصانها ونايميريا وراءها مباشرةً.

ذهبَت سانزا إلى الأمير چوفري بَعد رحيلهما. كانت عيناه مغلقتين ألمًا وأنفاسه ثقيلة، وركعَت سانزا إلى جواره وقالت باكيةً: «چوفري، أوه، انظر ماذا فعلوا، انظر ماذا فعلوا بك. لا تخف، سأذهبُ إلى المعقل وأعود بالنَّجدة»، ومدَّت يدها وتحسَّست شَعره الأشقر برقَّة.

انفتحت عيناه وحدَّقتا فيها، ولم يكن فيهما شيء سوى المقت، لا شيء سوى الاحتقار الخالص، وقال كأنه يَبصُق: «اذهبي إذن... ولا تلمسيني!».

إدارد

- «لقد عثروا عليها يا سيِّدي».
نهضَ ند بسرعةٍ قائلًا: «رجالنا أم رجال لانستر؟».
أجابه وكيله ڤايون پوول: «چوري هو من عثرَ عليها. إنها سليمة تمامًا».
غمغمَ ند: «الشُّكر للآلهة». كان رجاله يبحثون عن آريا منذ أربعة أيام كاملة، لكن رجال المَلكة خرجوا للتَّفتيش عنها كذلك. «وأين هي؟ قُلْ لچوري أن يأتي بها فورًا».
أجابه پوول: «آسفٌ يا سيِّدي، لكن الحُرَّاس على البوَّابة كانوا من رجال لانستر، وأخبَروا المَلكة لدى عودة چوري بها. لقد أخذوها لتَمثُل أمام المَلك مباشرةً».
- «تبًّا لتلك المرأة!»، صاحَ ند وهو يقطع المسافة إلى الباب بخطواتٍ واسعة. «اعثر على سانزا وائتِ بها إلى قاعة المقابَلات، فقد نحتاج إلى شهادتها». نزلَ درجات البُرج بثورةٍ عارمة. كان قد قادَ البَحث بنفسه طوال الأيام الثَّلاثة الأولى، ومنذ اختفَت آريا لم ينم لأكثر من ساعة. هذا الصَّباح كان يَشعُر بكمدٍ وإعياءٍ شديدين حتى أنه استطاعَ الوقوف بصعوبة، لكن قواه تجدَّدت الآن وقد استشاطَ غضبًا.
نادى الرِّجال عليه وهو يقطع ساحة القلعة، لكن ند تجاهلهم وهو يتحرَّك بسرعة. كان يودُّ أن يجري إليها، لكنه ما زال يَدَ المَلك ولا بُدَّ أن يُحافِظ على وقاره. كان مدركًا العيون التي تتبعه والأصوات المكتومة

التي تتساءل عمَّا سيفعله. كانت القلعة عبارة عن مِلكٍ متواضعٍ على بُعد نِصف يومٍ جَنوب الثَّالوث، وقد نزلَ الموكب المَلكي غير مدعوٍّ على سيِّد القلعةَ السير رايمون داري بينما دارَ البحث عن آريا وصبي الجزَّار على جانبي النَّهر. لم يكونوا زوَّارًا مرحَّبًا بهم، فصحيحٌ أن السير رايمون كان يعيش تحت سلام المَلك، لكن عائلته كانت قد حاربَت تحت راية تنِّين ريجار تارجاريَن في معركة الثَّالوث وسقطَ إخوته الثَّلاثة الكبار هناك، وهي الحقيقة التي لم ينسَها روبرت أو السير رايمون. مع احتشاد رجال المَلك ورجال داري ورجال لانستر ورجال ستارك في قلعةٍ واحدةٍ أصغر من أن تَضُمَّهم جميعًا، كان التوتُّر على أشدِّه.

كان المَلك قد استأثرَ بقاعة المقابَلات في قلعة السير رايمون، وهناك وجدَهم ند. كانت القاعة مزدحمةً عندما دلفَ ند إليها مندفعًا.. مزدحمةً أكثر من اللَّازم في رأيه. باستطاعته أن يحلَّ المسألة وُدِّيًا مع روبرت لو تُرِكا وحدهما، أو هكذا كان يأمل. كان روبرت يجلس مسترخيًا على مقعد داري العالي في أقصى القاعة وقد بدا عليه الوجوم، وإلى جواره تقف سرسي لانستر وابنها. كانت المَلكة تضع يدها على كتف چوفري الذي أحاطَت بذراعه ضِمّادات حريريَّة سميكة.

آريا كانت تقف في منتصَف القاعة، لا أحد معها على الإطلاق باستثناء چوري كاسل، والعيون كلها مسلَّطة عليها. صاحَ ند باسمها واندفعَ نحوها وحذاؤه يدقُّ على الأرضيَّة الحَجريَّة، وأطلقَت بدورها صيحةً لمَّا رأته وبدأت تنشج. ركعَ ند على رُكبته واحتوى جسدها المرتجف بين ذراعيه، وأخذَت هي تُرَدِّد باكيةً: «أنا آسفة، أنا آسفة، أنا آسفة».

قال: «أعرفُ». كانت ضئيلة الحجم للغاية بين ذراعيه، مجرَّد فتاةٍ صغيرةٍ شديدة النُّحول، يَصعُب أن تتخيَّل أنها تسبَّبت في كلِّ هذه المتاعب. «هل تأذَّيتِ؟».

- «لا». كان وجهها متَّسخًا وتركَت دموعها أثرًا ورديًّا على وجنتيها.

«جائعة بعض الشَّيء. أكلتُ بعض التُّوت، لكن لم يكن هناك غيره».
قال ند: «سنُطعِمكِ قريبًا جدًّا»، ثم نهضَ ليُواجِه المَلك قائلًا: «ما معنى هذا؟». مسحَت عيناه المكان بحثًا عن وجوهٍ صديقة، لكن بخلاف رجاله كان هناك القليل منها. حافظَ السير رايمون داري على ملامحه خاليةً من التَّعبير، ورسمَ اللورد رنلي على شفتيه ابتسامةً خفيفةً قد تعني أيَّ شيء، بينما كان السير باريستان متجهِّم الملامح، أمَّا البقيَّة فكانوا من رجال لانستر ذوي الطَّابع العدواني. لحُسن الحظِّ أن چايمي لانستر وساندور كليجاين كانا غائبَيْن، يقودان فِرَقَ البحث شَمال الثَّالوث. كان صوت ند رنَّانًا وهو يقول بنبرةٍ غاضبة: «لِمَ لم يُخبِرني أحد أن ابنتي قد عُثِرَ عليها؟ ولِمَ لم يأتِ أحدهم بها لي في الحال؟».
كان يُخاطِب روبرت، لكن سرسي لانستر هي من أجابَت قائلةً: «كيف تجرؤ على مُخاطبَة مَلكك بهذا الأسلوب؟».
عندئذٍ تحرَّك المَلك وقال بحدَّة: «صمتًا يا امرأة»، ثم اعتدلَ في مقعده وقال: «آسفٌ يا ند، لم أقصِد أن أخيف الفتاة، لكن بدا من الأفضل أن نأتي بها إلى هنا وننتهي من هذه المسألة سريعًا».
قال ند بنبرةٍ باردةٍ كالجَليد: «أيُّ مسألةٍ هذه؟».
خطَت المَلكة إلى الأمام قائلةً: «تعرف جيِّدًا أيَّ مسألة يا ستارك. ابنتك هذه تهجَّمت على ابني، هي وصديقها صبي الجزَّار، وذِئبتها حاولَت انتزاع ذراعه».
صاحَت آريا: «غير صحيح! لقد عضَّته قليلًا فقط لأنه كان يؤذي مايكا».
قالت المَلكة: «چوف أخبرَنا بما حدثَ. أنتِ وصبي الجزَّار ضربتماه بالهرَّاوات بينما أطلقتِ ذِئبتك عليه».
ردَّت آريا والدُّموع تتجمَّع في مقلتيها مرَّةً أخرى: «هذا ليس ما حدثَ».

وضعَ ند يده على كتفها، بينما صاحَ الأمير: «هذا هو ما حدثَ بالضَّبط! لقد هاجموني كلهم، ثم ألقَت هي "ناب الأسد" في النَّهر!».

لاحظَ ند أنه لم يَنظُر ولو مرَّةً نحو آريا وهو يتكلَّم، أمَّا هي فصرخَت: «كاذب!».

وصرخَ فيها الأمير: «اخرسي!».

هدرَ المَلك وهو ينهض من مقعده وقد أفعمَ الحنق صوته: «كفى!». رانَ الصَّمت، ورمقَ روبرت آريا من وراء لحيته الكثَّة قائلًا: «والآن يا بُنيَّتي سوف تُخبرينني بما حدثَ، ستُخبرينني بكلِّ شيء وستقولين الحقيقة كاملةً. الكذب على مَلك جريمة كُبرى»، ثم نظرَ إلى ابنه وقال: «سيحين دورك بعدها، فالزم الصَّمت حتى ذلك الحين».

بدأت آريا تروي قصَّتها، وبَعد قليل سمعَ ند الباب يُفتَح من ورائه، فألقى نظرةً ورأى ڤايون پوول يَدخُل مع سانزا، ووقفا صامتَيْن في مؤخِّرة القاعة وآريا تتكلَّم. عندما وصلَت إلى الجزء الذي ألقَت فيه سيف چوفري في مياه الثَّالوث، بدأ رنلي باراثيون يضحك، فقال المَلك بخشونة: «سير باريستان، اصحب أخي إلى خارج القاعة قبل أن يختنق».

كتمَ اللورد رنلي ضحكته وقال: «أخي شديد الكرم، لكنني أستطيعُ العثور على الباب بنفسي»، ثم انحنى لچوفري وقال له: «ربما يُمكنك أن تحكي لي لاحقًا كيف استطاعَت فتاة في التَّاسعة من عُمرها في حجم فأرٍ مبتل أن تُجَرِّدك من سيفك بعصا مكنسة وتُلقي به النَّهر»، وقبل أن ينغلق باب القاعة وراءه سمعه ند يُقَهقِه ساخرًا ويقول: «"ناب الأسد"!».

كان الأمير چوفري ممتقع الوجه وهو يحكي نُسخته من القصَّة، وعندما فرغَ من الكلام نهضَ المَلك متثاقلًا من مقعده باديًا كرجلٍ يرغب أن يكون في أيِّ مكانٍ آخَر غير هنا، وقال: «ما الذي يَجدُر بي أن أفهمه من هذا بحقِّ الجحائم السَّبع؟ هي تقول شيئًا وهو يقول شيئًا آخَر».

قال ند: «إنهما لم يكونا الوحيدَيْن هناك. سانزا، تعالي هنا». كان قد

سمعَ نُسختها من القصَّة ليلة اختفاء آريا، ويعرف الحقيقة. «احكي لنا ما حدثَ».

تقدَّمت ابنته الكبيرة بتردُّد. كانت ترتدي ثوبًا من المخمل الأزرق الموشَّى بالأبيض، وتضع سلسلةً من الفضَّة حول عُنقها، ومُشِّطَ شَعرها الكستنائي الثَّقيل حتى صارَ يلمع. اختلسَت النَّظر إلى أختها ثم إلى الأمير الصَّغير، ثم قالت دامعةً والرَّغبة في الفرار بادية تمامًا عليها: «لا أدري، لا أذكرُ... كلُّ شيءٍ حدثَ بسرعةٍ شديدةٍ ولم أرَ...».

صرخَت آريا: «أيتها العفنة!»، واندفعَت نحو أختها كالسَّهم لتطرح سانزا أرضًا على ظَهرها وتوسعها لكمًا وهي تردِّد صارخةً: «كاذبة! كاذبة! كاذبة! كاذبة!».

صاحَ ند: «آريا، توقَّفي عن هذا!»، وجذبَها چوري من فوق أختها وهي تَركُل الهواء بقدميها. كانت سانزا شاحبةً ترتجف وند يُساعِدها على الوقوف. سألها إن كانت بخير، لكنها كانت تُحَملِق في آريا ولم يبدُ أنها سمعته.

قالت سرسي لانستر: «الفتاة متوحِّشة كحيوانها القذر. روبرت، أريدها أن تُعاقَب».

قال روبرت ساخطًا: «بحقِّ الجحائم السَّبع! سرسي، انظري إليها، إنها مجرَّد طفلة. ماذا تُريدينني أن أفعل؟ أجلدها بالسِّياط في الشَّوارع؟ الأطفال يتشاجرون وهذا كلُّ ما هنالك. لم يقع لأحدهما ضرر دائم وانتهى الأمر».

قالت المَلكة غاضبةً: «چوف سيحمل هذه النُّدوب طوال حياته».

رمقَ روبرت باراثيون ابنه الأكبر قائلًا: «حقًّا، ولربما علَّمته درسًا. ند، اعمل على تأديب ابنتك وسأفعلُ المِثل مع ابني».

قال ند بارتياح: «بكلِّ سرور يا جلالة المَلك».

بدأ روبرت يبتعد، لكن المَلكة لم تكن قد انتهَت بَعد، ونادت عليه قائلةً: «وماذا عن الذِّئبة الرَّهيبة؟ ماذا عن الوحش الذي هاجمَ ابنك؟».

توقَّف المَلك والتفتَ قائلًا بعبوس: «نسيتُ أمر الذِّئبة اللَّعينة».

رأى ند آريا تتوتَّر بين ذراعي چوري الذي رفعَ صوته قائلًا: «لم نجد أثرًا للذِّئبة الرَّهيبة يا جلالة المَلك».

لم يبدُ روبرت مستاءً لهذا، وقال: «حقًّا؟ ليكن إذن».

قالت المَلكة بصوتٍ عالٍ: «مئة تنِّين ذهبي لمن يأتي لي بفروتها!».

دمدمَ روبرت: «فروة مكلِّفة حقًّا، لكني لا أريدُ أن يكون لي دور في هذا يا امرأة. اشتري فروتك بذهب لانستر».

رمقَته المَلكة بنظرةٍ باردةٍ وقالت: «لم أحسبك بخيلًا هكذا. المَلك الذي تزوَّجته كان ليضع فروة الذِّئبة على فِراشي قبل طلوع الفَجر».

اربدَّ وجه روبرت غضبًا وأجابها: «من شأنها أن تكون حيلةً ممتازةً حقًّا في عدم وجود الذِّئبة».

- «ثمَّة ذِئبة هنا»، قالت سرسي لانستر بصوتٍ شديد الهدوء، وإن التمعَ الظَّفر في عينيها الخضراوين.

استغرقوا جميعًا لحظةً لاستيعاب كلماتها، وعندما فعلوا هَزَّ روبرت كتفيه بضيقٍ وقال: «كما تشائين. اجعلي السير إلين يتولَّى أمرها».

قال ند معترضًا: «روبرت، لا يُمكنك أن تَقصِد هذا».

لم يكن المَلك في مزاجٍ للمزيد من الجدل، وقال: «كُفِّي يا ند، لن أسمع المزيد. الذِّئاب الرَّهيبة وحوش مفترسة، وعاجلًا أو آجلًا كانت هذه لتنقلب على ابنتك كما فعلت الأخرى مع ابني. أحضِر لها كلبًا وسيُسعِدها أكثر».

كان هذا عندما استوعبَت سانزا أخيرًا، وقالت لأبيها بعينين متَّسعتين خوفًا: «إنه لا يعني ليدي، أليس كذلك؟». رأت الحقيقة على وجهه، فقالت: «لا، لا، ليس ليدي. إنها لم تؤذِ أحدًا، إنها مطيعة».

وصاحَت آريا بغضب: «ليدي لم تكن هناك! دعوها وشأنها!».

قالت سانزا متوسِّلةً: «أوقفهم، لا تَترُكهم يفعلوا هذا، أرجوك،

أرجوك... ليدي لم تفعل شيئًا، بل نايميريا... آريا هي المخطئة... ليدي لم تفعل شيئًا.. لا تَترُكهم يؤذوا ليدي، سأجعلها مطيعةً، أعدك، أعدك!».

انفجرَت باكيةً، ولم يستطِع ند إلَّا أن يحتويها بين ذراعيه، ودارَ بعينيه في القاعة بحثًا عن روبرت صديقه القديم الأقرب إليه من أخ، وقال: «روبرت، أرجوك، بحقِّ الحُبِّ الذي تُكِنُّه لي والحُبِّ الذي كننته لأختي، أرجوك».

تطلَّع المَلك إليهم لمدَّةٍ طويلة، ثم التفتَ إلى زوجته قائلًا بمقت: «سُحقًا لكِ يا سرسي».

نهضَ ند دافعًا سانزا عنه برفقٍ وقد شعرَ بإرهاق الأيام الأربعة الماضية يعود إليه كاملًا، وبصوتٍ باردٍ وحادٍّ كالفولاذ قال: «افعلها بنفسك إذن يا روبرت. على الأقل تحلَّى بشجاعة أن تفعلها بنفسك».

رمقَ روبرت ند بعينين ميِّتتين خاليتين من أيِّ تعبير، ثم غادرَ بخطواتٍ ثقيلةٍ دون أن ينبس بكلمة، وخيَّم الصَّمت على القاعة.

قالت سرسي لانستر بَعد أن غادرَ زوجها: «أين الذِّئبة؟». كان الأمير چوفري يقف مبتسمًا إلى جوارها.

أجابَ السير باريستان سلمي على مضض: «إنها مقيَّدة خارج حُجرة حراسة البوَّابة يا جلالة المَلكة».

- «أرسِل إلى إلين پاين إذن».

- «لا»، قال ند. «چوري، خُذ الفتاتين إلى غُرفتهما وائتِ لي بـ"جَليد"». كان للكلمات مذاق المُرِّ في حلقه. «سأفعلها بنفسي إن كان ولا بُدَّ».

رمقَته سرسي لانستر بشكٍّ قائلةً: «أنت يا ستارك؟ أهذه حيلة ما؟ لماذا تفعلها أنت؟».

كان الجميع يَنظُرون إليه، لكن نظرة سانزا وحدها كانت المؤلمة حقًّا وهو يجيب: «إنها مِن الشَّمال وتستحقُّ ما هو أفضل من جزَّار».

تركَ ند القاعة بعينين متَّقدتين وبكاء ابنتيه يتردَّد في أذنيه. وجدَ الذِّئبة

الرَّهيبة الصَّغيرة حيث قيَّدوها، وجلسَ إلى جوارها قليلًا وقال متذوِّقًا الاسم: «ليدي». لم يكن قد أعارَ اهتمامًا كبيرًا للأسماء التي اختارها أبناؤه، لكن مع تطلُّعه إليها الآن عرفَ أن سانزا قد انتقَت الاسم الأمثل لِذئبتها. كانت أصغر إخوتها حجمًا وأجملهم شكلًا وأكثرهم رقَّة وسكونًا. نظرَت إليه بعينيها الذَّهبيَّتين اللَّامعتين وفركَ هو فروها الرَّمادي الكثيف.

وبَعد قليلٍ جاءَه چوري بسيفه.

وعندما انتهى الأمر قال آمرًا: «اختَر أربعة رجال واجعلهم يأخذون الجثَّة شَمالًا. يجب أن تُدفَن في وينترفل».

قال چوري بدهشة: «سيقطعون كلَّ هذا الطَّريق؟».

- «سيقطعون كلَّ هذا الطَّريق. هذه الفروة بالتَّحديد لن تراها ابنة لانستر أبدًا».

كان في طريقه إلى البُرج ليُسلِم نفسه للنَّوم أخيرًا، عندما اندفعَ ساندور كليجاين ورجاله داخلين من بوَّابة القلعة وقد عادوا من الصَّيد. كان ثمَّة شيء ملقى على ظَهر حصانه، شيء ثقيل ملفوف بمعطفٍ دامٍ، وقال كلب الصَّيد بصوتٍ مبحوح: «لا أثر لابنتك أيها اليَد، لكنها لم تكن مضيعةً كاملةً للوقت، فقد عثرنا على حيوانها الأليف»، ومدَّ يده ودفعَ حمولته من فوق ظَهر الحصان لتَسقُط أمام ند بصوتٍ مكتوم.

انحنى ند مزيحًا المعطف وهو يَشعُر بالرَّهبة مما يجب أن يقوله لآريا، لكنها لم تكن نايميريا، بل مايكا صبي الجزَّار المغطَّى بالدِّماء الجافَّة. كانت الجثَّة شبه مشقوقةٍ إلى نِصفين من الكتف إلى الخاصرة من جرَّاء ضربةٍ شديدة العُنف جاءَت من أعلى.

غمغمَ ند: «لقد دهسته بحصانك».

تألَّقت عينا كلب الصَّيد من وراء خوذته القبيحة ذات شكل رأس الكلب وقال: «لقد جرى مني»، ثم نظرَ إلى وجه ند وأضافَ ضاحكًا: «لكن ليس بالسُّرعة الكافية».

بران

كأنه يهوي منذ أعوام.

- *طِر...* همسَ الصَّوت من قلب الظَّلام، لكن بران لا يعرف الطَّيران، وكلُّ ما يستطيعه هو السُّقوط.

صنعَ المِايستر لوين ولدًا صغيرًا من الفخَّار وخبزَه حتى أصبحَ صُلبًا وقابلًا للكسر، ووضعَ عليه ملابس بران، ثم ألقى به من فوق السَّطح. يتذكَّر بران الطَّريقة التي تهشَّم بها على الأرض، ويقول وهو يَسقُط: «لكني لا أسقطُ أبدًا».

الأرض بعيدةٌ جدًّا في الأسفل حتى أنه يتبيَّنها بصعوبةٍ وسط سُحب الضَّباب الرَّمادي الكثيف التي أخذَت تدور من حوله، لكنه يُدرِك السُّرعة التي يَسقُط بها، ويعرف ما ينتظره هناك على الأرض. حتى في الأحلام لا يُمكنك أن تظلَّ تَسقُط إلى الأبد. يعرف أنه سيستيقظ قبل أن يَصدِم الأرض بلحظةٍ واحدة. إنك تستيقظ قبل لحظةٍ واحدةٍ دائمًا من اصطدامك بالأرض.

يسأله الصَّوت: *وإذا لم تستيقظ؟*

الأرض أقرب الآن، لا تزال بعيدةً بعيدةً، تَبعُد ألف ميلٍ وأكثر، لكن أقرب مما كانت... والبَرد شديد هنا وسط الظَّلام، ليست هناك شمس أو نجوم، فقط الأرض في الأسفل ترتفع لتُهَشِّمه، والضَّباب، والصَّوت الهامس.

يريد أن يبكي.

- *لا تبكِ... طِر.*

- «لا أستطيعُ الطَّيران، لا أستطيع، لا أستطيع».

- *وكيف تعرف هذا؟ هل جرَّبت من قبل؟*

الصَّوت رفيع النَّبرة مرتفع. ينظر بران حوله ليرى من أين يأتي، ليُدرِك أن غُرابًا يدور معه في الهواء مُحَلِّقًا نحو الأرض بعيدًا عن متناول يده، فيقول له: «ساعِدني».

- *إنني أحاول. قُل لي، هل معك ذُرة؟*

يمدُّ بران يده في جيبه والظُّلمة تدور على نحوٍ مدوِّخ من حوله، وعندما يُخرِجها تنسكب بضع حبوبٍ من الذُّرةِ الذَّهبيَّة من بين أصابعه في الهواء وتَسقُط معه، ثم يحطُّ الغُراب على كَفِّه ويبدأ في التقاط الحبوب.

يسأله بران: «هل أنت غُراب حقًّا؟».

ويسأله الغُراب: *وهل أنت تَسقُط حقًّا؟*

يقول بران: «إنه مجرَّد حُلم».

- *أهو كذلك؟*

- «سأستيقظُ عندما أصل إلى الأرض».

- *ستموت عندما تصل إلى الأرض*، يقولها الغُراب ويُواصِل التهام الذُّرة.

يَنظُر بران إلى أسفل. إنه يرى جبالًا الآن، قممها مكسوَّة بالثَّلج الأبيض، ويرى خيوط النُّهيرات الفضِّيَّة التي تشقُّ غابةً مظلمةً، ثم يُغلِق عينيه ويبكي.

- *لن ينفعك هذا. قلتُ لك إن الحلَّ في الطَّيران وليس البكاء. إنه ليس بتلك الصُّعوبة. ها أنا ذا أطيرُ.*

يثب الغُراب في الهواء ويخفق بجناحيه حول رأس بران.

يقول بران: «إن لديك جناحين».

- *وربما لديك أيضًا.*

يتحسَّس بران كتفيه بحثًا عن ريشٍ ولا يجد.

- *ثمَّة أنواع مختلفة من الأجنحة.*

يُحَدِّق بران في ذراعيه وساقيه. إنه نحيل جدًّا، مجرَّد جِلد مشدود على عظم. هل كان بهذا النُّحول دائمًا؟ يُحاوِل أن يتذكَّر، فيَخرُج وجه سابحًا من بين حُجب الضَّباب، يتألَّق بلونٍ ذهبيٍّ باهرٍ ويقول: «يا للأشياء التي أفعلها من أجل الحُب».

ويَصرُخ بران.

يُحَلِّق الغُراب في الهواء ناعبًا ويَصرُخ فيه: ليس هذا، دعك من هذا، إنك لا تحتاجه الآن، نحِّه جانبًا، اخفه من ذاكرتك. ثم يحطُّ على كتف بران ويَنقُره، فيختفي الوجه الذَّهبي.

إنه يَسقُط بسرعةٍ أشد الآن، والضَّباب يعصف من حوله وهو يندفع نحو الأرض. يسأل الغُراب دامعًا: «ماذا تفعل بي؟».

- *أعلِّمك كيف تطير.*

- «لكني لا أستطيعُ أن أطير!».

- *إنك تطير الآن.*

- «إنني أسقط!».

- *كلُّ طيرانٍ يبدأ بسقطة. انظر إلى أسفل.*

- «إنني خائف».

- *انظر إلى أسفل!*

يَنظُر بران إلى أسفل ويَشعُر بمعدته تنقلب. إن الأرض تندفع إلى أعلى نحوه الآن. العالم كله منبسط من تحته، نسيج مزدان بالأبيض والأخضر والبُنِّي، ويرى بران كلَّ شيءٍ بوضوحٍ تام حتى أنه نسيَ خوفه، يرى البلاد كلها وجميع من فيها.

يرى وينترفل كما تراها النُّسور، البروج الشَّاهقة تبدو صغيرةً قصيرةً

من أعلى، وأسوار القلعة مجرَّد خطوطٍ على الأرض. يرى المِايستر لوين في شُرفته يُراقِب السَّماء عبر أنبوبٍ برونزيٍّ مصقول ويعقد حاجبيه وهو يُدَوِّن ملاحظاته في دفتر. يرى أخاه روب أطول وأقوى مما يتذكَّره، يتمرَّن على المبارزة في السَّاحة حاملًا سيفًا من الفولاذ الحقيقي. يرى هودور صبيَّ الاسطبل العملاق الأبله يحمل سِندانًا إلى ورشة ميكِن، يرفعه على كتفه ببساطةٍ كأنه مجرَّد كومةٍ من القش. في قلب أيكة الآلهة ترتفع شجرة الويروود البيضاء الضَّخمة فوق انعكاسها في البِركة السَّوداء، وتحفُّ أوراقها مع الرِّياح الباردة. عندما شعرَت الشَّجرة ببران يُراقِبها، رفعَت عينيها من المياه الرَّاكدة ونظرَت إليه بدورها نظرة العليم.

يَنظُر شَرقًا، فيرى سفينةً شراعيَّةً تشقُّ مياه الخليج. يرى أمه تجلس وحدها في قمرةٍ وتتطلَّع إلى خنجرٍ ملوَّثٍ بالدَّم على المائدة أمامها، بينما يُحَرِّك البحَّارة مجاديفهم ويميل السير رودريك على حاجز السَّفينة يرتجف ويلهث. ثمَّة عاصفة تحتشد أمامهم، السَّماء مظلمة هادرة تشقُّها خيوط البَرق، لكنهم بشكلٍ ما لا يرونها.

يَنظُر جَنوبًا، فيرى مياه الثَّالوث المتدفِّقة وقد اصطبغَ فيها أزرق السَّماء بأخضر الأشجار. يرى أباه يستعطف المَلك والحُزن يكسو وجهه، ويرى سانزا تبكي حتى تنام ليلًا، بينما تُراقِب آريا صامتةً وتحتفظ بأسرارها في صدرها. ثمَّة ظلال في كلِّ مكانٍ حولهم، أحدها داكن كالرَّماد له وجه كلب صيدٍ مشوَّه، وآخَر ذهبيٌّ جميل كأنه مدرَّع بنور الشَّمس، وفوق الاثنين يرتفع عملاق في دِرعٍ من الحَجر، لكن عندما يفتح مقدِّمة خوذته فليس هناك ما يُرى غير الظَّلام والدَّم الأسود الثَّخين.

يرفع عينيه أكثر ويرى بانجلاءٍ عبر البَحر الضيِّق، المُدن الحُرَّة وبَحر الدوثراكي الأخضر وما بعده، ڤايس دوثراك في ظلِّ جبلها وأراضي بَحر اليَشب الأسطوريَّة، ثم أراضي آشاي الواقعة عِند الظِّل حيث دبَّت الحياة في التَّنانين للمرَّة الأولى تحت الشَّمس السَّاطعة.

ثم يَنظُر شَمالًا أخيرًا، ويرى "الجِدار" يَبرُق كالبلَّور الأزرق، وأخاه النَّغل چون نائمًا في فِراشٍ بارد، يكتسب جِلده شحوبًا وصلابةً وذِكرى الدِّفء تتسرَّب منه. ثم يَنظُر وراء "الجِدار"، وراء غاباتٍ بلا نهايةٍ مغلَّفة بالثَّلج، وراء السَّاحل المتجمِّد والأنهار الجَليديَّة الزَّرقاء والبيضاء العظيمة والسُّهول الميتة التي لا ينمو فيها شيء أو يعيش. شَمالًا وشَمالًا وشَمالًا يَنظُر حتى سِتار الضَّوء عند حافَّة العالم، ثم يَنظُر وراء ذلك السِّتار، يَنظُر في قلب الشِّتاء مباشرةً، ثم يَصرُخ برُعبٍ وتحرق دموعه السَّاخنة وجنتيه.

يهمس الغُراب من فوق كتفه: *الآن تعرف... الآن تعرف لِمَ يجب أن تعيش.*

يَسقُط بران ويَسقُط، وبلا فهمٍ يسأل: «لماذا؟».

- *لأن الشِّتاء قادم.*

يَنظُر بران إلى الغُراب على كتفه ويَنظُر الغُراب إليه. إن لديه ثلاث أعيُن، والعين الثَّالثة ملأى بمعرفةٍ رهيبة. يَنظُر بران إلى أسفل فلا يجد تحته الآن غير الثَّلج والبَرد والموت، يرى أرضًا بيضاء قاحلةً يَبرُز منها الجَليد كالحِراب، ويرى عظام ألف حالمٍ آخَر مات مخوزَقًا. يرى كلَّ هذا ويَشعُر بخوفٍ يائس.

يسمع صوته هو خافتًا بعيدًا يقول: «هل من الممكن أن يكون رجل ما شُجاعًا وهو خائف؟».

ويُجيبه صوت أبيه: «ليس من الممكن أن يكون الرجل شُجاعًا إلَّا وهو خائف».

- *الآن يا بران، يجب أن تختار... طِر أو مُت.*

يمدُّ الموت يده نحوه صارخًا...

... ويَبسُط بران ذراعيه ويطير.

جناحان خفيَّان يتشرَّبان الرِّياح ويملآنه ويدفعانه إلى أعلى لتتراجع حِراب الجَليد الرَّهيبة من تحته وتنفتح السَّماء من فوقه. يُحَلِّق بران إلى

عنان السَّماء مفكِّرًا أن هذا أفضل من التسلُّق، أفضل من أيِّ شيءٍ على الإطلاق، والعالم يَصغُر من تحته، ويهتف بران بسعادة: «إنني أطيرُ!».

- لاحظتُ *هذا*، يقول الغُراب ذو العيون الثّلاث ثم يثب في الهواء خافقًا بجناحيه في وجهه ليُبطئ حركته ويحجب عنه الرُّؤية، فيتعثَّر بران في الهواء والجناحان يضربان وجنتيه، ثم يطعنه الغُراب بمنقارة بعُنفٍ ويَشعُر بران فجأةً بألمٍ مُمِضٍّ في منتصف جبهته بين عينيه.

يَصرُخ في الغُراب: «ماذا تفعل؟!».

ويفتح الغُراب منقازه وينعب في وجهه بصوتٍ مخيفٍ يصمُّ الآذان، ثم يرتعد الضَّباب من حوله ويدور حوله قبل أن يتمزَّق كستار، فيرى بران أن الغُراب في الحقيقة امرأة، خادمة ذات شَعرٍ أسودَ طويل يعرفها من مكانٍ ما في وينترفل. نعم، هذا صحيح، إنه يتذكَّرها الآن.

ثم أدركَ بران أنه في وينترفل فعلًا، في فِراشٍ في حُجرةٍ باردةٍ في أحد الأبراج، وأسقطَت ذات الشَّعر الأسود طستًا من الماء ليتحطَّم على الأرض، ثم جرَت على السَّلالم هاتفةً: «لقد استيقظَ! لقد استيقظَ! لقد استيقظَ!».

مَسَّ بران جبهته بين عينيه. كانت البُقعة التي نقرَه الغُراب فيها لا تزال تؤلمه، لكن لا شيء هناك، لا دم أو جرح. كان يَشعُر بالضَّعف والدُّوار، وحاولَ النُّهوض من الفِراش لكنه لم يستطِع الحركة. ثم أحسَّ بحركةٍ إلى جوار الفِراش، وحطَّ شيء ما بخفَّةٍ على قدميه فلم يَشعُر بشيء، ونظرَ زوج من العيون الصَّفراء الوضَّاءة كالشَّمس في عينيه. كانت النَّافذة مفتوحةً والغُرفة باردةً، لكن الدِّفء الذي انبعثَ من جِسم الذِّئب احتواه كحمَّام ساخن. إنه ذِئبه، أليس كذلك؟ لكنه صارَ كبير الحجم جدًّا. مَدَّ بران يدًا مرتجفةً كورقة شجر ليُداعِبه.

وعندما اندفعَ أخوه روب إلى الحُجرة متقطِّع الأنفاس بَعد أن صعدَ السَّلالم قفزًا، كان الذِّئب الرَّهيب يلعق وجه بران الذي رفعَ عينيه إلى أخيه وقال بهدوء: «سأسمِّيه سَمر».

كاتلين

- «سنرسو في كينجز لاندنج خلال ساعة».

التفتَت كاتلين المرتكِنة إلى حاجز السَّفينة وأجبرَت نفسها على الابتسام قائلةً: «رجالك على المجاديف أبلوا بلاءً حسنًا وأوصلونا بسرعةٍ أيها الربَّان. سيَحصُل كلٌّ منهم على أيلٍ فضيٍّ مني عرفانًا بالجميل».

حيَّاها الربَّان موريو تورنيتيس بانحناءةٍ صغيرة وقال: «هذا كرم كبير منكِ أيتها الليدي ستارك، لكن شَرف وجود سيِّدةٍ عظيمةٍ مثلكِ على متن السَّفينة هو كلُّ ما يحتاجونه».

- «لكني سأعطيهم الفضَّة على كلِّ حال».

ابتسمَ موريو قائلًا: «كما تأمرين». كان يتكلَّم اللُّغة العاميَّة بطلاقةٍ مع لكنةٍ تايروشيَّةٍ خفيفةٍ للغاية. كان قد حكى لها كيف أنه يُبحِر في مياه البَحر الضيِّق منذ ثلاثين عامًا كاملةً، كمجدِّفٍ أولًا ثم قائد دفَّة، قبل أن يصير ربَّانًا لسُفنه التُّجاريَّة الخاصَّة. كانت "راقصة العواصف" -السَّفينة الشِّراعية ذات السَّاريتين والستِّين مجدافًا- رابع سُفنه وأسرعها. كانت أسرع سفينةٍ متاحة في الميناء الأبيض بالتَّأكيد عندما وصلَت كاتلين والسير رودريك بَعد رحلتهما النَّهريَّة السَّريعة. على أن التايروشي سيِّئي السُّمعة ومعروفين بجشعهم، ما جعلَ السير رودريك يُحاوِل إقناعها باستئجار مركبٍ شراعي من "الأخوات الثَّلاث"، لكن كاتلين أصرَّت على هذه السَّفينة، ومن الجيِّد أنها فعلَت ذلك، لأن الرِّياح كانت تهبُّ

معاكسةً لهم معظم الرِّحلة، ومن دون مجاديف السَّفينة كنت لتجدهم ما زالوا يتجاوزون جُزر "الأصابع" بالكاد بدلًا من أن يدنوا من كينجز لاندنج ونهاية الرِّحلة.

اقتربنا جدًّا، قالت لنفسها. كانت أصابعها لا تزال تنبض ألمًا من تحت الضمَّادات الكتَّانيَّة حيث غاصَ فيها الخنجر، لكن كاتلين اتَّخذَت من الألم أداة تذكيرٍ خشية أن تنسى. لم تكن تستطيع لَيَّ آخِر إصبعين في يُسراها، وبقيَّة الأصابع لن تستردَّ مهاراتها القديمة كاملةً، لكنه ثَمن زهيد رغم كلِّ شيءٍ لحياة بران.

اختارَ السير رودريك تلك اللَّحظة ليظهر على ظَهر السَّفينة، فقال موريو من وراء لحيته الخضراء المتشعِّبة: «صديقي العزيز، من الجميل أن نراك أفضل أخيرًا». كان التايروشي يُحِبُّون الألوان الزَّاهية في كلِّ شيء، حتى شَعر الوجه.

أمَّن السير رودريك على كلامه قائلًا: «إنني أفضل فعلًا، فلم أتمنَّ الموت منذ يومين كاملين»، ثم انحنى لكاتلين وقال: «سيِّدتي».

كان يبدو أفضل بالفعل، صار أنحل بعض الشَّيء مما كان عندما غادَروا الميناء الأبيض، لكن يكاد يعود إلى طبيعته من جديد. لم تكن رياح "الخليج الطَّويل" القويَّة وقسوة البَحر الضيِّق تُناسِبه على الإطلاق، وكاد يَسقُط من على حاجز السَّفينة عندما أحاطَت بهم العاصفة بغتةً على مسافةٍ من ساحل دراجونستون، لكنه تعلَّق بشكلٍ ما بحبلٍ ما إلى أن استطاعَ ثلاثة من رجال موريو إنقاذه واصطحابه سالمًا إلى داخل السَّفينة.

قالت كاتلين: «كان الربَّان يقول لي الآن إن رحلتنا على وشك الانتهاء».

قال السير رودريك بابتسامةٍ ساخرة: «بهذه السُّرعة؟». كان يبدو غريبًا من دون شواربه البيضاء الكبيرة، أضأل بشكلٍ ما وأقلَّ عنفوانًا وأكبر سنًّا بعشر سنوات. لكن وهُم في "الخليج الطَّويل" كان من

الصَّواب بالتَّأكيد أن يستسلم لموسى أحد رجال الطَّاقم، بَعد أن تلوَّثت شواربه بلا أملٍ في تنظيفها للمرَّة الثَّالثة وهو يميل على حاجز السَّفينة ويُفرِغ معدته في الماء.

قال الربَّان موريو: «سأترككما لمناقشَة شؤونكما»، ثم انحنى وانصرفَ.

شقَّت السَّفينة سَطح المياه المُزبِدة كأنها يعسوب، ومجاديفها ترتفع وتنخفض بتناسُقٍ تام. وضعَ السير رودريك يده على الحاجز ورمقَ السَّاحل البادي للعيان وقال: «يبدو أنني لم ألعب دور الحارس الشُّجاع كما كان ينبغي أن أفعل».

مسَّت كاتلين ذراعه قائلةً: «لقد وصلنا بأمان يا سير رودريك، وهذا هو ما يهمُّ حقًّا». تلمَّست يدها الأخرى الطَّريق تحت معطفها بأصابع متيبِّسةٍ مرتبكة، ووجدَت الخنجر مثبَّتًا إلى جانبها. لقد وجدَت أن عليها أن تلمسه بين الحين والآخَر لتُطَمْئِن نفسها. «والآن علينا أن نصل إلى قيِّم سلاح المَلك، ونأمل أن نستطيع الثِّقة به».

- «السير أرون سانتاجار رجل مغرور، لكنه شريف». رفع السير رودريك يده إلى وجهه ليُداعِب شواربه واكتشفَ مرَّةً أخرى أنها لم تَعُدْ موجودةً فبدا عليه الاستياء. «من المحتمَل أنه يعرف الخنجر، نعم... لكننا سنُصبِح معرَّضَيْن للخطر بمجرَّد نزولنا من السَّفينة يا سيِّدتي، وهناك أشخاص في البلاط سيتعرَّفونكِ فور رؤيتكِ».

زمَّت شفتيها وغمغمَت: «الإصبع الصَّغير». سبحَ وجهه أمامها في الهواء، وجه الصَّبي وإن لم يَعُدْ صبيًّا. كان أبوه قد ماتَ منذ سنواتٍ طويلة، فأصبحَ هو اللورد بايلش، لكنهم ظلُّوا يدعونه بلقب الإصبع الصَّغير. كان أخوها إدميور قد أطلقَ عليه هذا الاسم منذ سنواتٍ في ريفررَن. كانت أملاكُ عائلته المتواضعة تقع على أصغر جُزر "الأصابع"، ولطالما كان بيتر نحيلًا قصير القامة بالنِّسبة لعُمره.

تنحنحَ السير رودريك وقال: «اللورد بايلش كان، آه...»، ثم شردَ الكلام منه وهو يُحاوِل العثور على كلمةٍ مهذَّبة.

لكن كاتلين قالت بلا كياسة: «كان مُرافِق أبي الشَّخصي. لقد نشأنا معًا في ريفَررَن واعتبرته أخًا لي، لكن مشاعره نحوي كانت... أكثر من أخويَّة. عندما أُعلِنَ أنني سأتزوَّج من براندون ستارك، دعاه پيتر إلى مبارزةٍ على الحق في طلب يدي. كان تصرُّفًا مجنونًا. براندون كان في العشرين من عُمره، بينما لم يَبلُغ پيتر الخامسة عشرة بَعد. توسَّلتُ لبراندون كي يُبقي على حياته، فامتثلَ وتركه بنُدبةٍ فقط، وبعدها صرفَه أبي من خدمته ولم أره منذ ذلك الحين». رفعَت وجهها إلى رذاذ الماء كأن باستطاعة الرِّيح القويَّة أن تحمل ذكرياتها بعيدًا، وأضافَت: «ثم إنه كتبَ لي في ريفَررَن بعد مصرع براندون، لكنني أحرقتُ الرِّسالة دون أن أفتحها، وفي ذلك الحين كنتُ عرفتُ أن ند سيتزوَّج مني بدلًا من أخيه».

بحثَت أصابع السير رودريك مرَّةً أخرى عن شواربه غير الموجودة، وقال: «الإصبع الصَّغير عضو في المجلس الآن».

قالت كاتلين: «كنتُ أعرفُ أنه سيترقَّى في المناصب. لطالما كان پيتر ذكيًّا، حتى وهو صبيٌّ صغير، لكن الذَّكاء شيء والحكمة شيء آخَر. أتساءلُ تُرى ماذا فعلت به السِّنين؟».

نادى المُراقِبون من أعلى الصَّواري وبدأوا يشدُّون حبال الأشرعة، فخرجَ الربَّان موريو إلى ظَهر السَّفينة وبدأ يُلقي أوامره هنا وهناك، ودبَّ نشاط محموم في كلِّ مكانٍ على متن "راقصة العواصف"، بينما لاحَت كينجز لاندنج للأعيُن فوق تِلالها الثَّلاثة العالية.

قبل ثلاثمئة عام كانت هذه المرتفَعات مغطَّاةً بالغابات، ولم يكن هناك غير حفنةٍ من صيَّادي الأسماك الذين يعيشون على الشَّط الشَّمالي من النَّهر الأسود، حيث يصبُّ المجرى العميق السَّريع مياهه في البَحر. ثم أبحرَ إجون الفاتِح من دراجونستون، وفي هذه البُقعة هبطَ جيشه

على السَّاحل، وهناك على أعلى التِّلال شيَّد أول حِصنٍ بدائيٍّ بسيط من الخشب والطِّمي. الآن كانت المدينة تُغَطِّي السَّاحل على مدى البصر... منازل وبساتين صغيرة وصوامع غلال، مخازن من القرميد وبيوت من الخشب وأكشاك تُجَّار، حانات ومقابر ومواخير، كلها مكوَّمة فوق بعضها بعضًا. كانت تسمع صخب سوق السَّمك حتى من على تلك المسافة. بين المباني كانت طُرق واسعة اصطفَّت فيها الأشجار وشوارع ملتوية متشعِّبة وأزقَّة شديدة الضِّيق حتى أن رجلين لا يستطيعان المشي جنبًا إلى جنبٍ فيها. كان تَلُّ ڤيزينيا متوَّجًا بسِپت بيلور الكبير بأبراجه البلَّوريَّة السَّبعة، وعَبر المدينة فوق تَلِّ رينس كان جُبُّ التَّنانين بأسواره المسودَّة وقُبَّته الضَّخمة المتداعية وأبوابه البرونزيَّة المغلقة منذ قرنٍ كامل. كان شارع الأخوات يمتدُّ بين التَّلَّين مستقيمًا كالسَّهم، بينما ارتفعَت أسوار المدينة من بعيدٍ عاليةً قويَّةً.

اصطفَّ مئة مرسى على شَطِّ النَّهر وازدحمَ المرفأ بالسُّفن. جاءَت قوارب الصَّيد والزوارق النَّهريَّة وذهبَت، وشقَّ المراكبيَّة مياه النَّهر الأسود بمجاديفهم، وأنزلَت السُّفن التِّجاريَّة حمولاتها القادمة من براڤوس وليس وپنتوس. لمحَت كاتلين بارجة المَلكة ذات النُّقوش المنمَّقة راسيةً إلى جوار سفينةٍ ضخمةٍ لصيد الحيتان من ميناء إيبن بَدَنها مطلي بالقطران الأسود، بينما في اتِّجاه منبع النَّهر استقرَّت دستة من السُّفن الحربيَّة الرَّشيقة ذات اللَّون الذَّهبي في أحواضها، أشرعتها مفرودة والماء يلعق مدكَّاتها الحديديَّة القاسية.

وفوق كلِّ شيء، على قمَّة تَلِّ إجون العالي، كانت القلعة الحمراء تطلُّ عابسةً... سبعة أبراج اسطوانيَّة هائلة متوَّجة بالمتاريس الحديديَّة، حِصن أمامي ضخم، أروقة مقنطرة وجسور مغطَّاة، ثكنات وزنازين وصوامع غلال، أسوار واقية عملاقة مزوَّدة بفتحات الرِّماية، كلها مشيَّد بالحجارة الحمراء الباهتة. كان إجون الفاتِح قد أمرَ ببنائها وأتمَّ ابنه ميجور

المتوحِّش البِناء، وبعدها قطع رأس كلِّ حجَّارٍ وحطَّابٍ وبنَّاءٍ اشتركَ في البناء، مُقسِمًا أن يكون مَن هُم مِن ذوي التنِّين فقط عالمين بخبايا وأسرار القلعة التي شيَّدها سادة التَّنانين.

لكن الرَّايات التي كانت تُرَفرِف من الشُّرفات والأسوار الآن كانت ذهبيَّةً وليست سوداء، وحيث كان التنِّين ثُلاثي الرُّؤوس ينفث النَّار من قبل كان وَعل باراثيون المتوَّج يتوائَب.

كانت سفينة عالية الصَّاري من جُزر الصَّيف تحمل في مقدِّمتها تمثال بجعةٍ تُغادِر الميناء وقد نفخَت الرِّيح أشرعتها الضَّخمة، وتجاوزَتها "راقصة العواصف" وهي تتَّجه بثباتٍ إلى المرسى.

قال السير رودريك: «سيِّدتي، لقد فكَّرتُ في أفضل تصرُّفٍ وأنا طريح الفِراش. لا ينبغي أن تَدخُلي القلعة، لكني سأذهبُ بدلًا منكِ وآتي بالسير أرون إليكِ في مكانٍ آمِن».

رمقَت الفارس المُسِنَّ والسَّفينة تدنو من الرَّصيف، بينما يزعق موريو بالأوامر لرجاله بالڤاليريَّة العاميَّة المستخدَمة في المُدن الحُرَّة، وقالت: «المخاطَرة واحدة بالنِّسبة لأيٍّ منا».

ابتسمَ السير رودريك وقال: «لا أظنُّ هذا. لقد نظرتُ لانعكاسي في الماء اليوم وتعرَّفتُ على نفسي بصعوبة. آخِر إنسانٍ رآني بلا شوارب كان أمي التي ماتت منذ أربعين عامًا. أعتقدُ أني سأكون في أمانٍ يا سيِّدتي».

صاحَ موريو بأمرٍ ما، ودُفعةً واحدةً ارتفعَ ستُّون مجدافًا من مياه النَّهر ثم عُكِسَ اتجاههم وبدأت السَّفينة تتراجع بمؤخِّرتها ببطء، ثم صيحة أخرى وسُحِبَت المجاديف إلى داخل بدن السَّفينة، قبل أن يثب البحَّارة التايروشي لتقييدها إلى الرَّصيف. ثم جاءَ موريو مسرعًا وعلى وجهه ابتسامة عريضة وقال: «كينجز لاندنج يا سيِّدتي كما أمرتِ. لم يَحدُث قَطُّ أن قُطعَت سفينة رحلةً سريعةً كهذه. هل ستحتاجين مساعَدةً في نقل حاجياتكِ إلى القلعة؟».

- «لن نذهب إلى القلعة. ربما يُمكنك أن تقترح علينا خانًا جيِّدًا، بشرط أن يكون نظيفًا ومريحًا وعلى مقربةٍ من النَّهر».

داعبَ التايروشي لحيته الخضراء وقال: «بالتأكيد. أعرفُ عدَّة أماكن تُناسِبك، لكن أولًا -إذا سمحتِ لي- ثمَّة مسألة النِّصف الثَّاني من الأجر الذي اتَّفقنا عليه، وطبعًا الأيائل الفضِّيَّة التي تكرَّمتِ ووعدتِ بها. ستُّون أيلًا كانوا على ما أعتقدُ».

قالت كاتلين بلهجةٍ ذات مغزى: «للبحَّارة».

قال موريو: «أوه، بكلِّ تأكيد، وإن كان من الأفضل أن أحتفظَ لهم بالنُّقود معي حتى نعود إلى تايروش، من أجل زوجاتهم وأطفالهم كما تعلمين يا سيِّدتي. إذا أعطيتهم النُّقود الآن، سيُبَدِّدونها في القمار أو متعة ليلةٍ واحدة».

قال السير رودريك: «من الممكن إنفاق النُّقود على أشياءَ أسوأ. الشِّتاء قادم».

قالت كاتلين: «على كلِّ رجلٍ أن يختار بنفسه. لقد استحقُّوا الفضَّة، وكيفيَّة إنفاقهم لها تخصُّهم وحدهم».

أجابِ موريو بانحناءةٍ وابتسامة: «كما تأمر سيِّدتي».

على سبيل الاحتياط دفعَت كاتلين لهم النُّقود بنفسها، أيلًا فضيًّا لكلِّ بحَّارٍ وعُملةً نُحاسيَّةً لكلٍّ من الرَّجلين اللذين حملا صندوقي حاجياتهما حتى منتصَف تَلِّ ڤيزينيا، حيث الخان الذي اقترحَه موريو. كان مكانًا قديمًا مبنيًّا بغير نظامٍ في زقاق الحنشان، تملكه شمطاء فظَّة ذات نظراتٍ فضوليَّةٍ تفحَّصتهما بريبةٍ وعضَّت العُملة التي أعطتها كاتلين إياها لتتأكَّد من أنها حقيقيَّة. على أن غُرفها كانت واسعةً جيِّدة التَّهوية، كما أن موريو أقسمَ أن يخنة السَّمك التي تطهوها هي الأشهى في المَمالك السَّبع كلها. الأهم من كلِّ هذا أنها لم تهتم بمعرفة اسميهما.

- «أعتقدُ أن من الأفضل أن تظلِّي بعيدةً عن القاعة العامَّة»، قال السير

رودريك بعد أن استقرَّا. «حتى في مكانٍ كهذا لا أحد يدري من عساه يُراقِب». كان يرتدي قميصًا من الحلقات المعدنيَّة ويضع خنجرًا وسيفًا طويلًا تحت معطفٍ داكنٍ به قلنسوة يُمكنه أن يضعها على رأسه. «سأعودُ قبل الغروب مع السير أرون. استريحي الآن يا سيِّدتي».

كانت كاتلين متعَبةً حقًّا بَعد الرِّحلة الطَّويلة المُرهِقة، وهي لم تَعُدْ شابَّةً كما كانت من قبل. كانت نافذتها تُفتَح على الزُّقاق وأسطُح البيوت التي يلوح النَّهر الأسود من ورائها. راقبَت السير رودريك وهو يشقُّ الشَّوارع المكتظَّة بالنَّاس على صهوة حصانه إلى أن غابَ في الزِّحام، ثم قرَّرت أن تعمل بنصيحته. كانت حشيَّة الفِراش محشوَّةً بالقَشِّ بدلًا من الرِّيش، لكنها لم تجد مشكلةً في الغيابِ في النَّوم.

ثم استيقظَت على صوت دقَّاتٍ على الباب.

اعتدلَت كاتلين جالسةً بحركةٍ حادَّة. خارج النَّافذة كانت أسطُح مباني وينترفل مصطبغةً بأحمرَ الشَّمس الغاربة. لقد نامَت مدَّةً أطول مما كانت تنوي. طرقَت قبضةٌ الباب مرَّةً أخرى ونادى صوتٌ: «افتحي باسم المَلك».

صاحَت: «لحظة»، ولفَّت نفسها بمعطفها. كان الخنجر على الطَّاولة المجاورة للفِراش، فاختطفَته قبل أن تفتح مزلاج الباب الخشبي الثَّقيل.

كان الرِّجال الذين اندفَعوا إلى الغُرفة يرتدون قمصانًا من الحلقات المعدنيَّة ومعاطف ذهبيَّة، الزِّيَّ الرَّسمي المميَّز لحَرس المدينة. ابتسمَ قائدهم لمرأى الخنجر في يدها وقال: «لا حاجة لهذا يا سيِّدتي. نحن هنا لاصطحابكِ إلى القلعة».

- «بأمرِ مَن؟».

رفعَ يده وأراها شريطًا مختومًا، وشعرَت كاتلين بأنفاسها تحتبس في صدرها. كان الختم في الشَّمع الرَّمادي على شكل طائر المُحاكي. قالت: «بيتر»، وفكَّرت أن ظهوره بهذه السُّرعة يعني أن شيئًا قد حدثَ للسير رودريك. نظرَت إلى قائد الحَرس قائلةً: «هل تعرف مَن أكون؟».

- «لا يا سيِّدتي. سيِّدي اللورد الإصبع الصَّغير قال فقط أن نصحبكِ إليه وأن نُعامِلكِ باحترام».

أومأت كاتلين برأسها وقالت: «يُمكنكم الانتظار في الخارج حتى أبدِّل ثيابي».

غسلَت يديها في الحوض ولفَّتهما بضمَّاداتٍ نظيفة، وشعرَت بأصابعها بطيئةً مرتبكةً وهي تُجاهِد لإحكام أربطة صدريَّتها وعَقد رباط عباءةٍ بُنِّيَّةٍ فاتحة حول عُنقها. كيف عرفَ الإصبع الصَّغير أنها هنا؟ من غير المحتمَل إطلاقًا أن السير رودريك قد أخبرَه. صحيحٌ أنه متقدِّم في السِّن، لكنه شديد العناد والإخلاص. هل تأخَّرا وسبقَهما أبناء لانستر إلى كينجز لاندنج؟ كلا، لو كان هذا صحيحًا لكان ند هنا أيضًا، ولجاءَ إليها بكلِّ تأكيد، فكيف...؟

ثم إنها فكَّرت: موريو. التايروشي عليه اللَّعنة يعرف من هما وأين سينزلان. تمنَّت أنه تلقَّى ثمنًا جيِّدًا مقابل المعلومة على الأقل.

كانوا قد أحضَروا لها حصانًا معهم، وتحرَّكوا وقد بدأت مصابيح الشَّوارع تُضاء وكاتلين تَشعُر بالعيون مسلَّطةً عليها وهي محاطة بالحَرس في معاطفهم الذَّهبيَّة. عندما بلغوا القلعة الحمراء كانت الشَّبكات الحديديَّة مسدلةً أمام البوَّابات التي أُغلِقَت بالفعل، لكن الأضواء الموقدة في نوافذ القلعة كانت تبثُّ فيها الحياة. ترك الحَرس خيولهم خارج الأسوار واصطحبوها عبر بابٍ جانبيٍّ ضيِّق، ثم ارتقوا بها درجات بُرجٍ لا نهائيَّة.

كان وحده في الغُرفة، جالسًا إلى منضدةٍ خشبيَّةٍ ثقيلة يَكتُب عليها وثمَّة مصباح زيتٍ إلى جانبه. عندما دلفَت كاتلين إلى الغُرفة وضعَ قلمه ورفعَ نظره إليها قائلًا بهدوء: «كات».

قالت بلا إبطاء: «لماذا جئت بي إلى هنا بهذا الأسلوب؟».

نهضَ وأشارَ بحركةٍ فظَّةٍ للحَرس قائلًا: «اتركونا»، ثم قال لها بَعد أن

غادَروا: «آملُ أنهم لم يُسيئوا معاملتكِ. لقد كانت أوامري صريحة»، ثم إنه لاحظَ ضمَّاداتها وقال: «يداكِ...».

تجاهلَت كاتلين السؤال الذي تضمَّنته الكلمة وقالت ببرود: «إنني لستُ معتادةً على استدعائي كالخادمات. كنت لا تزال تعرف معنى الكياسة وأنت صبي».

بدا عليه الأسف الشَّديد وقال: «لقد أغضبتكِ يا سيِّدتي، لكن تلك لم تكن نيَّتي إطلاقًا». أعادَت النَّظرة ذكرياتٍ قديمةٍ إلى عقل كاتلين بوضوحٍ تام. لطالما كان طفلًا ماكرًا، لكن بعد كلِّ ضررٍ أو إزعاجٍ يتسبَّب فيه كانَ يبدو عليه الأسف الشَّديد دائمًا، وكانت هذه واحدةً من مواهبه. لكنِ السُّنين لم تُغَيِّره كثيرًا.. كان بيتر صبيًّا صغير الحجم كبرَ ليُصبِح رجلًا صغير الحجم، أقصر من كاتلين بنحو بوصةٍ أو اثنتين، رشيقًا سريع الحركة، لديه الملامح الحادَّة التي تتذكَّرها والعينان الضَّاحكتان ذاتا اللون الأخضر الدَّاكن. كانت لديه لحية صغيرة مدبَّبة على ذقنه الآن وخيوط من الفضِّي في شَعره الأسود، على الرغم من أنه لم يَبلُغ الثَّلاثين بَعد، وتماشى اللَّون الأشيب في شَعره مع طائر المُحاكي الفضِّي الذي ثبَّت به معطفه. لطالما كان يُحِبُّ الفضَّة منذ كان صبيًّا.

سألته: «كيف عرفت أنني في المدينة؟».

أجابَ بابتسامةٍ ماكرة: «اللورد ڤارس يعرف كلَّ شيء. سينضمُّ إلينا بَعد قليل، لكني أردتُ رؤيتكِ على انفرادٍ أولًا. زمن طويل للغاية مضى يا كات، كم عامًا؟».

كانت هناك أسئلة أهمُّ من هذا الآن، فتجاهلَت كاتلين تودُّده وقالت: «عنكبوت المَلك هو من وجدَني إذن».

أجفلَ الإصبع الصَّغير وقال بسرعة: «لستِ ترغبين في مناداته بهذا الاسم. إنه حسَّاس جدًّا، ربما لأنه خَصِي. لا شيء يَحدُث في هذه المدينة دون أن يعلم به ڤارس، وفي أحيانٍ كثيرةٍ يعرف بالحدث قبل وقوعه. إن

لديه مُخبِرين في كلِّ مكان، طيوره الصَّغيرة كما يُطلِق عليهم. أحد هذه الطِّيور الصَّغيرة علمَ بزيارتك، ولحُسن الحَظِّ جاءَ ڤارس إليَّ أولًا».

- «ولِمَ أنت؟».

هَزَّ كتفيه قائلًا: «ولِمَ غيري؟ إنني أمين النَّقد ومستشار المَلك. سلمي واللورد رنلي انطلقا شَمالًا للقاء روبرت في الطَّريق، وستانيس ذهبَ إلى دراجونستون تاركًا إياي والمِايستر پايسل فقط، فكنتُ أنا الخيار الواضح، كما أن ڤارس يعرف أني لطالما كنتُ صديقًا لأختك لايسا».

- «هل يعرف ڤارس بأمر...».

- «اللورد ڤارس يعرف كلَّ شيء... باستثناء سبب وجودكِ هنا»، ورفعَ الإصبع الصَّغير حاجبًا وأضافَ متسائلًا: «لماذا أنتِ هنا؟».

- «من المسموح للزَّوجة أن تحنَّ إلى زوجها على ما أعتقدُ، وإذا أرادَت الأم أن تكون قريبةً من ابنتيها، فمن يُمكِنه أن يقول لها لا؟».

ضحكَ الإصبع الصَّغير وقال: «أوه، رَدٌّ ممتاز يا سيِّدتي، لكن أرجوكِ لا تتوقَّعي مني أن أُصَدِّقه. إنني أعرفكِ جيِّدًا. ذكِّريني، ماذا كانت كلمات آل تَلي؟».

قالت بجمودٍ شاعرةً بالجفاف في حَلقها: «*العائلة، الواجب، الشَّرف*». كان يعرفها جيِّدًا فعلًا.

ردَّد: «العائلة، الواجب، الشَّرف... كلها أشياءَ كانت تتطلَّب منكِ البقاء في ريفرران حيث تركَكِ يَدُ المَلك. لا يا سيِّدتي، شيء ما حدثَ، ورحلتكِ المفاجئة هذه تشي بأنها مسألة ملحَّة. دعيني أساعدكِ أرجوكِ، فلا ينبغي أن يتردَّد أصدقاء الصِّبا في الاعتماد على بعضهم بعضًا». دَقَّ الباب في هذه اللَّحظة، فقال الإصبع الصَّغير: «ادخل».

كان الرَّجل الذي دخلَ من الباب ممتلئ الجِسم، تفوح منه رائحة عطرٍ قويٍّ وتكسو وجهه المساحيق، وبلا شعرةٍ واحدةٍ كأنه بيضة. كان يرتدي صُدرةً من الخيوط الذَّهبية المنسوجة فوق ثوبٍ فضفاضٍ من

الحرير الأرجواني، وأحاط بقدميه خُفَّان مدبَّبان من المخمل النَّاعم. قال وهو يحتوي يدها بيديه معًا: «ليدي ستارك، إنها لبهجة عظيمة أن أراكِ من جديد بَعد كلِّ تلك السِّنين». كانت بشرته رطبةً ناعمةً، ومن أنفاسه فاحَ عبير زهور اللَّيلك. «أوه، يداكِ المسكينتان! هل أحرقتِ نفسكِ يا سيِّدتي؟ إن أصابعكِ ضعيفة للغاية. المِايستر پايسل يصنع مرهمًا ممتازًا. هل أُرسلُ في طلب برطمانٍ منه؟».

سحبَت يدها من بين يديه قائلةً: «أشكرك يا سيِّدي، لكن مِايسترنا لوين اعتنى بجروحي بالفعل».

أومأ ڤارس برأسه وقال: «لقد حزنتُ للغاية لسماعي بما حدثَ لابنكِ. صغير للغاية هو. الآلهة قاسية حقًّا».

قالت: «أتَّفقُ معك على هذا أيها اللورد ڤارس». كان لقب اللورد مجاملةً لا أكثر لكونه عضوًا في مجلس المَلك، لكن في الحقيقة لم يكن ڤارس سيِّدًا لغير شبكةٍ من العناكب، ولا يأتمر بأمره غير جواسيسه.

فردَ الخَصِي يديه وقال: «أتمنى أننا نتَّفق على أكثر من هذا يا سيِّدتي. إنني أحملُ تقديرًا بالغًا لزوجكِ يَدِ مَلكنا الجديد، وأعرفُ أن كلينا يُحِبُّ روبرت».

قالت مرغَمةً على الجواب: «نعم، بكلِّ تأكيد».

قال الإصبع الصَّغير بنبرةٍ ساخرة والابتسامة الماكرة المعهودة على شفتيه: «لم يَحدُث قَطُّ أن نال مَلك حُبَّ الرَّعايا كعزيزنا روبرت، على الأقل حسب ما سمعَ اللورد ڤارس».

قال ڤارس باهتمام شديد: «سيِّدتي، ثمَّة رجال في المُدن الحُرَّة يتمتَّعون بقوىً علاجيَّةٍ رائعة. كلمة واحدة منكِ وسأُرسِل لأحدهم من أجل صغيركِ بران».

- «المِايستر لوين يفعل كلَّ ما يُمكن فِعله من أجل بران». لم تكن ترغب في الكلام عن بران، ليس هنا وليس مع هذين. كانت تثق بالإصبع

الصَّغير قليلًا، بينما لا تثق بڤارس على الإطلاق، ولا تريد أن يريا حُزنها العميق. «أخبرَني اللورد بايلش أن عليَّ أن أشكرك على الإتيان بي إلى هنا».

قهقهَ ڤارس كفتاةٍ صغيرةٍ وقال: «نعم، أعتقدُ أن هذا ذنبي. أتمنَّى أن تُسامِحينني يا سيِّدتي العزيزة»، واستراحَ على مقعدٍ وشبكَ يديه معًا وأضافَ: «هل من الممكن أن تُرينا الخنجر الآن؟».

حدَّقت كاتلين في الخَصِي مذهولةً، وقالت لنفسها بحنقٍ إن هذا الرَّجل عنكبوت حقًّا، أو ساحر، أو أسوأ. إنه يعرف أشياءَ ليس من الممكن أن يعرفها غيره، ما لم... قالت آمرةً: «ماذا فعلت بالسير رودريك؟».

قال الإصبع الصَّغير حائرًا: «أشعرُ كأنني فارس وصلَ إلى ميدان المعركة دون رُمحه. عن أيِّ خنجرٍ نتكلَّم؟ ومن يكون السير رودريك؟».

أجابَ ڤارس: «السير رودريك كاسل هو قيِّم السِّلاح في وينترفل. أؤكِّدُ لكِ أيتها الليدي ستارك أن شيئًا لم يَحدُث على الإطلاق للفارس الطيِّب. لقد كان هنا اليوم بَعد الظُّهر، وزارَ السير أرون سانتاجار في مستودع السِّلاح وتكلَّما عن خنجرٍ معيَّن، وبَعد الغروب غادرا القلعة معًا واتَّجها إلى المكان الشَّنيع الذي نزلتِ فيه. إنهما ما زالا هناك، يتناولان الشَّراب في القاعة العامَّة وينتظران عودتكِ. لقد استاءَ السير رودريك بشدَّةٍ عندما وجدَ أنكِ غادرتِ».

- «أنَّى لك بمعرفة كلِّ ذلك؟».

قال ڤارس باسمًا: «من همسات الطُّيور الصَّغيرة. إن طبيعة خدمتي أن أعرف الأشياء يا سيِّدتي العزيزة»، ثم هَزَّ كتفيه وأردفَ: «الخنجر معكِ، أليس كذلك؟».

أخرجَت كاتلين الخنجر من تحت معطفها وألقَته على المنضدة أمامه، وقالت: «هاك. لعلَّ طيوركَ الصَّغيرة يُمكنها أن تهمس باسم صاحبه».

رفعَ ڤارس الخنجر برهافةٍ مبالَغ فيها ومرَّر إبهامه على حافَّته، ولمَّا

انبثقَ منه الدَّم أطلقَ صرخةً مكتومةً وتركَ الخنجر يَسقُط على المنضدة.

قالت كاتلين: «احترس، إنه حاد».

- «لا شيء أمضى من الفولاذ الڤاليري»، قال الإصبع الصَّغير وڤارس يمصُّ إبهامه النَّازف ويَرمُق كاتلين بعتابٍ واجم. التقطَ الإصبع الصَّغير الخنجر بخفَّةٍ مختبرًا المقبض، ثم شقلبَه في الهواء والتقطه من جديدٍ بيده الأخرى. «توازُن ممتاز. إنكِ ترغبين في معرفة صاحبه، أهذا سبب زيارتكِ؟ لم تكن هناك حاجة للذِّهاب إلى السير أرون إذن يا سيِّدتي، وكان يَجدُر بكِ أن تأتي إليَّ».

- «وبِمَ كنت لتُخبِرني لو جئتُ إليك؟».

- «كنتُ لأُخبِرك إن هذا الخنجر هو الوحيد من نوعه في كينجز لاندنج كلها»، وأمسكَ النَّصل بين سبَّابته وإبهامه وسحبَه فوق كتفه، ثم قذفَه عبر الغُرفة بحركةٍ خبيرةٍ من معصمه، فانغرسَ الخنجر في عُمق الباب الثَّقيل المصنوع من السَّنديان، وأردفَ الإصبع الصَّغير: «إنه خنجري».

- «خنجرك؟». لم يكن هذا منطقيًّا، فپيتر لم يكن في وينترفل.

قال وهو يقطع الغُرفة ليُحَرِّر فولاذ الخنجر من خشب الباب: «كان كذلك حتى دورة المباريات التي أقيمت يوم ميلاد الأمير چوفري. يومها شجَّعتُ السير چايمي لانستر في مبارَزة الرِّماح ومعي نِصف البلاط». كانت ابتسامة پيتر المرتبكة تجعله يبدو صبيًّا من جديد وهو يتكلَّم. «وعندما أسقطَه السير لوراس تايرل عن ظَهر حصانه صارَ كثيرون منا أفقر بعض الشَّيء، إذ خسرَ السير چايمي مئة تنِّينٍ ذهبي، وخسرَت المَلكة قلادةً من الزمرُّد، وخسرتُ أنا خنجري. استعادَت جلالتها القلادة، لكن الفائز احتفظَ بالبقيَّة».

بلهفةٍ قالت كاتلين وفمها جافٌّ من الخوف وأصابعها تؤلمها بشدَّة: «مَن؟».

أجابَ الإصبع الصَّغير واللورد يُراقِب ملامحها: «العِفريت، تيريون لانستر».

چون

دوَّى غناء السُّيوف في السَّاحة.

تحت طبقاتٍ من الصُّوف الأسود والجِلد المقوَّى بالزَّيت المغلي والحلقات المعدنيَّة، سالَ عرق چون باردًا وهو يشنُّ هجمته الضَّاغطة، وتراجعَ جرِن إلى الوراء متعثِّرًا وهو يُدافِع عن نفسه بلا براعةٍ أو مرونة. عندما رفعَ سيفه، انحنى چون من تحته وسدَّد ضربةً عنيفةً هوَت على مؤخِّرة ساق الصَّبي الآخَر وجعلته يترنَّح. ثم إن ضربة جرِن المائلة أجيبَت بضربةٍ عاليةٍ من چون وأحدثَت انبعاجًا في خوذته، وعندما حاولَ تسديد ضربةٍ جانبيَّةٍ أزاحَ چون سيفه إلى الجانب ودفعَ ساعِده المحمي بالحلقات المعدنيَّة في صدره، فاختلَّ توازُن جرِن وسقطَ على مؤخِّرته بعُنفٍ في الثَّلج، وأخيرًا طيَّر چون سيفه من يده بضربةٍ هوى بها على معصم جرِن جعلته يجأر من الألم.

- «كفى!». كان السير أليسر ثورن ذو صوتٍ قاطعٍ كالفولاذ الڤاليري.

وضعَ جرِن يده في حِجره وقال: «النَّغل كسرَ معصمي».

- «النَّغل قطعَ أوتار رُكبتك وفتحَ رأسك الفارغ وبترَ يدك، أو كان ليفعل لو كانت هذه السُّيوف حادَّةً. من حُسن حظِّك أن حَرس اللَّيل يحتاجون صبيان اسطبلات بالإضافة إلى الجوَّالة»، ثم أشارَ السير أليسر إلى چيرن والصَّبي الملقَّب بالضِّفدع وقال: «ساعِدا الثَّور على النُّهوض كي يقوم بترتيبات الجنازة».

خلعَ چون خوذته بينما جذبَ الصَّبيَّان الآخَران جرِن حتى قدميه. كان يحبُّ الشُّعور بهواء الصَّباح البارد على وجهه. استندَ إلى سيفه والتقطَ نفسًا عميقًا، وسمحَ لنفسه بلحظةٍ يستمتع فيها بمذاق الظَّفر.

قال السير أليسر بحدَّة: «هذا سيف طويل وليس عُكَّازًا. هل تؤلمك ساقاك أيها اللورد سنو؟».

كان چون يكره هذا اللقب السَّاخر الذي علَّقه السير أليسَر عليه منذ اليوم الأول في التَّدريب، ثم بدأ الصِّبية يُرَدِّدونه بدورهم وصارَ يسمعه في كلِّ مكانٍ الآن. دَسَّ السَّيف الطَّويل في غِمده وأجابَ: «كلا».

تقدَّم ثورن نحوه بخطواتٍ واسعةٍ وثيابه الجِلديَّة المرنة تُصدِر حفيفًا خافتًا وهو يتحرَّك. كان رجلًا مكتنزًا في الخمسين من العُمر، نحيلًا قاسيًا وخطَ الشَّيب شَعره الأسود الفاحم. قال آمرًا: «قُل الحقيقة الآن».

أقرَّ چون قائلًا: «إنني مُتعَب». كانت ذراعه تتمزَّق من وزن السَّيف، والآن وقد انتهى القتال بدأ يَشعُر بكدماته.

- «إنما أنت ضعيف».

- «لقد فزتُ».

- «لا، لكن الثَّور خسرَ».

أطلقَ أحد الصِّبية الآخَرين ضحكةً نِصف مكتومة، لكن چون كان أذكى من أن يردَّ. لقد تغلَّب على كلٍّ من وضعَهم السير أليسر ضدَّه، لكنه لم ينتفع بشيءٍ من هذا. كان لا يتلقَّى شيئًا من قيِّم السِّلاح غير التهكُّم، وقرَّر چون أن ثورن يكرهه، على أنه كان يكره بقيَّتهم أكثر طبعًا.

قال لهم ثورن: «هذا كلُّ شيء. هناك حدود لما أستطيعُ أن أهضمه من رُعونةٍ في اليوم الواحد. إذا جاءَ "الآخَرون"، أتمنَّى أن يكون لديهم رُماة لأنكم لا تَصلُحون لأن تكونوا غير أهدافٍ لسهامهم».

تبعَ چون بقيَّتهم إلى مستودع السِّلاح وحده. كان غالبًا ما يتحرَّك وحده ها هنا. ثمَّة حوالي عشرين في المجموعة التي يتدرَّب معها، وإن

لم يكن أحدهم صديقًا له بأيِّ شكل. كان معظمهم يَكبُره بعامين أو ثلاثة، لكن لا أحد منهم كان يتمتَّع بنِصف براعة روب وهو في الرَّابعة عشر لا أكثر. داريون كان سريع الحركة لكن يخاف الإصابة، وپيپ يستخدم سيفه كأنه خنجر، وچيرن ضعيف كفتاةٍ صغيرة، وجرِن بطيء وأخرق. ضربات هالدر شديدة العُنف، لكنه يُسَدِّدها وأنت تضغط عليه بالهجوم. كان چون يَشعُر بمزيدٍ من الازدراء نحوهم كلما قضى معهم وقتًا أطول.

في الدَّاخل علَّق چون السَّيف والغِمد على خُطَّافٍ مثبَّت في الحائط الحَجري متجاهلًا الآخَرين حوله، ثم بدأ بنظامٍ يخلع قميص الحلقات المعدنيَّة وطبقات الجِلد والصُّوف الغارق في العَرق. كانت قِطع من الفحم تحترق في مُستوقَدين موضوعين عند طرفي الحُجرة الطَّويلة، لكن چون وجدَ نفسه يرتجف رغم ذلك. دائمًا ما كان البَرد رفيقه، وخلال سنواتٍ قليلةٍ سيكون قد نسيَ معنى الدِّفء. حَلَّ به الإنهاك فجأةً وهو يرتدي الأسود الخشن الذي تتألَّف منه ثيابهم التقليديَّة هنا، ثم إنه جلسَ على دكَّةٍ وثبَّت أبازيم معطفه. *البَرد لا يُطاق*، فكَّر متذكِّرًا دِفء وينترفل، حيث تجري المياه السَّاخنة في داخل الجدران كما يسري الدَّم في جسد الإنسان. لكن في القلعة السَّوداء كان الدِّفء عُملةً نادرةً.. الجدران باردة هنا، والنَّاس أكثر برودةً.

لم يخبره أحد أن حَرس اللَّيل سيكونون هكذا، لا أحد باستثناء تيريون لانستر. لقد أهداه القزم الحقيقة على الطَّريق شَمالًا، لكن الأوان كان قد فاتَ تمامًا وقتها. تساءلَ چون إن كان أبوه يدري حقيقة الحياة على "الجِدار" فعلًا، وفكَّر أنه لا بُدَّ أنه كان يعرف، وهذا ما آلَمَه أكثر.

حتى عمه هجرَه في هذا المكان البارد في أقصى العالم. هنا استحالَ بنچن ستارك اللَّطيف الذي يعرفه إلى شخصٍ آخَر. كان جوَّالًا أول، يقضي أغلب وقته مع حضرة القائد مورمونت والمِايستر إيمون وبقيَّة

كبار القيِّمين، بينما عُهِدَ بجون إلى قيادة السير أليسر ثورن الذي لا يُمكن اتِّهامه باللِّين.

بَعد ثلاثة أيامٍ من وصولهم، سمعَ جون أن بنچن ستارك سيقود نِصف دستةٍ من الرِّجالَ في جولة تقصٍّ في الغابة المسكونة، وفي تلك اللَّيلة ذهبَ إلى عمِّه في القاعة الكبيرة المشيَّدة بالأخشاب وتوسَّل إليه أن يذهب معه، لكن رفض بنچن كان قاطعًا. «هذه ليست وينترفل»، قال له وهو يُقَطِّع لحمه بالخنجر والشَّوكة. «على "الجِدار" لا يَحصُل الرَّجل إلَّا على ما يستحقُّه. أنت لست جوَّالًا يا جون، بل مجرَّد صبيٍّ أخضرَ ما زالت رائحة الصَّيف عالقةً به».

أصرَّ جون بحماقةٍ على الجدل، وقال: «سأصيرُ في الخامسة عشرة يوم ميلادي القادم، أي أني أكادُ أكونُ رجلًا بالغًا».

عقدَ بنچن ستارك حاجبيه قائلًا: «أنت صبي، وستبقى صبيًّا حتى يقول السير أليسر إنك تَصلُح لأن تكون من رجال حَرس اللَّيل. إذا كنت تحسب أن دماء ستارك التي تجري في عروقنا معًا ستجعل لك امتيازاتٍ خاصَّة، فأنت مخطئ. إننا نُنحِّي عائلاتنا جانبًا عندما نحلف اليمين. لأبيك مكان دائم في قلبي، لكن هؤلاء هُم إخوتي الآن»، وأشارَ بخنجره إلى الرِّجال حولهما، كلهم قاسٍ بارد يرتدي الأسود ولا غيره.

استيقظَ جون فَجرًا في اليوم التَّالي ليُشاهِد عمَّه وهو يُغادِر. كان أحد جوَّالته رجلًا قبيحًا ضخمًا أخذَ يُرَدِّد أغنيَّةً بذيئةً وهو يضع السَّرج على حصانه، والبخار يَخرُج باردًا مع أنفاسه في هواء الصُّبح الباكر. ابتسمَ بن ستارك للأغنيَّة، لكنه لم يبتسم لابن أخيه، وقال: «كم مرَّةً يجب أن أقول لك لا؟ سنتكلَّم عندما أعودُ». تذكَّر جون الأشياء التي قالها له تيريون لانستر وهُم على طريق الملوك بينما يُراقِب عمَّه يقود حصانه إلى داخل النَّفق، وبعين الخيال رأى بن ستارك وقد سقطَ صريعًا والثَّلج الأبيض يتشرَّب دماءه الحمراء. أشعرَته الفكرة بالتقزُّز. إلامَ صارَ؟

بَعدها ذهبَ إلى جوست الذي ينتظر في وحشة حُجيرته ودفنَ وجهه في فروه الأبيض الكثيف.

إذا كان من المحتَّم أن يكون وحيدًا، سيتَّخذ من الوحدة دِرعًا إذن.

لم تكن هناك أيكة آلهة في القلعة السَّوداء، بل مجرَّد سِبت صغير فيه سِپتون سكِّير، لكن چون لم يجد في نفسه رغبةً للصَّلاة لأي آلهة، قديمة كانت أو جديدة. لو كان لها وجود حقيقي، فهي آلهة قاسية عنيدة كالشِّتاء. كان يفتقد إخوته الحقيقيِّين.. ريكون بعينيه اللَّامعتين وهو يَطلُب منه قطعةً من الحلوى.. روب، نِدُّه وأفضل أصدقائه ونصيره الدَّائم.. بران الفضولي العنيد الذي يتبعه وروب دائمًا ويريد الانضمام إليهما في أيِّ شيءٍ يفعلانه. كان يفتقد الفتاتين كذلك، حتى سانزا التي لم تصفه قَطُّ بغير "أخيها غير الشَّقيق" منذ صارت كبيرةً بما يكفي لأن تعرف معنى كلمة "نَغِل". لكن آريا... كان يفتقدها أكثر من روب نفسه، تلك الصَّغيرة النَّحيلة ذات الرُّكبتين المخدوشتين والشَّعر المتشابك والثِّياب الممزَّقة، قويَّة تسوقها أهواؤها دائمًا. مِثله تمامًا لم تحظَ آريا قَطُّ بالانسجام والتَّوافق مع من حولها، لكنها كانت تنجح دائمًا في دفع چون إلى الابتسام. كان ليدفع أيَّ ثَمَنٍ ليكون معها الآن، ينفش شَعرها مرَّةً أخرى ويراها ترسم تعبيرًا متهكِّمًا على وجهها، يسمعها تتمُّ عبارةً ما معه في نفسٍ واحد.

- «لقد كسرت معصمي أيها النَّغل».

رفعَ چون عينيه على إثر الصَّوت المتجهِّم ليجد جرِن واقفًا أمامه بعُنقه الثَّخين ووجهه المحمرِّ، وثلاثة من أصدقائه يقفون وراءه. كان يعرف تودر، الصَّبي القصير القبيح ذا الصَّوت المزعج، الذي يُطلِق عليه المجنَّدون الجُدد جميعًا اسم الضِّفدع. الآخران كانا الاثنين اللذين جاءَ بهما يورن معهم منَ الشَّمال، المُغتَصِبين اللذين قُبِضَ عليهما في جُزر "الأصابع". تذكَّرهما چون وإن غابَ اسماهما عن باله. لم يكن يتحدَّث

إليهما قدر المستطاع، فهما مجرَّد حيوانين بلطجيَّين لا ذرَّة من الشَّرف فيهما.

نهضَ قائلًا: «سأكسرُ الآخَر إذا طلبت بأدب». كان جرِن في السَّادسة عشر من عُمره وأطول قامةً من چون برأسٍ كامل، وأربعتهم أكبر حجمًا منه، لكنه لم يَشعُر بالخوف منهم. لقد تغلَّب على كلٍّ واحدٍ منهم بلا استثناء في ساحة التَّدريب.

قال واحد من المُغْتَصِبَيْن: «ولربما نكسرك نحن».

- «حاوِلوا»، قال چون ومدَّ يده وراءه إلى سيفه، لكن أحدهم أمسكَ ذراعه ولواها وراء ظَهره.

قال تودر: «إنك تُسَوِّئ صورتنا».

رَدَّ چون: «صورتكم كانت سيِّئةً من قبل أن أرى أيكم»، فدفعَ الذي يقف وراءه ذراعه إلى أعلى بحركةٍ عنيفة، وشعرَ چون بالألم يُمَزِّق ذراعه لكنه ظَلَّ مُطبِقًا فمه.

اقتربَ تودر منه قائلًا: «اللورد الصَّغير لديه لسان سليط». كانت لديه عينان كعيني خنزير، صغيرتان تبرقان وهو يتكلَّم. «هل ورثته عن أمك أيها النَّغل؟ من كانت؟ عاهرةً ما، أليس كذلك؟ هَلُمَّ، قُل لنا اسمها، فلعلِّي ضاجعتها مرَّةً أو مرَّتين».

ضحكَ تودر، وتلوَّى چون كثعبانٍ بَحري وهوى بكعب حذائه على مُشط قدم الصَّبي الذي يُقَيِّده من الخلف، فصرخَ ألمًا وتحرَّر چون لينقضَّ على تودر ويُسقِطه من فوق دكَّةٍ على ظَهره، قبل أن يَحُطَّ على صدره ويُطَوِّق عُنقه بيديه ويضرب الأرض القاسية برأسه. ثم إن الاثنين من جُزر "الأصابع" سحباه ودفعاه بخشونةٍ إلى الأرض، وبدأ جرِن يَركُله. كان چون يتدحرج بعيدًا عن الرَّكلات عندما عندما دوَّى الصَّوت الهادِر في ظلام مستودع السِّلاح: «**أوقِفوا هذا العبث الآن!**».

نهضَ جون، بينما وقفَ دونال نوي يُحَدِّق فيهم غاضبًا. قال صانع السِّلاح: «القتال مكانه السَّاحة، فخُذوا خلافاتكم إلى خارج مستودعي وإلَّا ستكون الخلافات معي أنا، ولن يروق لكم ذلك البتَّة».

اعتدلَ تودر جالسًا على الأرض وتحسَّس مؤخِّرة رأسه بحذرٍ شديد فعادَت أصابعه داميةً، وقال: «كان يُحاوِل أن يَقتُلني».

قال واحد من المُغْتَصِبَيْن: «هذا صحيح، لقد رأيته بنفسي».

رفعَ جرِن معصمه ليراه نوي مكرِّرًا: «لقد كسرَ معصمي».

منحَ صانع السِّلاح المعصم نظرةً خاطفةً، ثم قال: «كدمة، أو ربما التواء في المفصل. سيُعطيك المِايستر إيمون مرهمًا. تودر، اذهب معه لتُداوي رأسك. الباقون يعودون إلى حُجيراتهم. ليس أنت يا سنو، ابقَ هنا».

جلسَ جون متثاقلًا على الدِّكَّة الخشبيَّة الثَّقيلة بينما غادرَ الآخَرون وتجاهلَ النَّظرات التي رمقوه بها، نظرات الوعيد الصَّامتة بأن هناك جولةً أخرى. كانت ذراعه تؤلمه حقًّا.

قال دونال نوي عندما أصبحها وحدهما: «الحَرس يحتاج كلَّ رجلٍ يُمكنه الحصول عليه، حتى أمثال الضِّفدع. إنك لن تنال أيَّ تكريمٍ إذا قتلته».

صاحَ جون ساخطًا: «لقد قال إن أمي...».

- «... عاهرة. لقد سمعته. وماذا في هذا؟».

قال جون معترضًا: «اللورد إدارد ستارك ليس رجلًا ينام مع العاهرات. إن شرفه...».

- «... لم يمنعه من إنجاب ابنٍ غير شرعي، أليس كذلك؟».

كان جون يتميَّز من الغيظ، فقال: «هل يُمكنني الذِّهاب؟».

- «يُمكنك الذِّهاب عندما أقولُ لك أن تذهب».

أشاحَ جون ببصره وحدَّق بجهامةٍ في الدُّخَّان المتصاعد من المُستوقَد،

إلى أن أطبقَ نوي على ذقنه بأصابعه الثَّخينة وأدارَ رأسه قائلًا: «انظر إليَّ عندما أكلِّمك يا فتى».

ونظرَ چون. كان لصانع السِّلاح صدر كالبرميل وبطنٍ بالحجم نفسه، أنفه عريض مسطَّح وفي حاجةٍ دائمةً لأن يحلق ذقنه. كان كُمُّ سُترته الصُّوفيَّة السَّوداء مثبَّتًا عِند الكتف بدبُّوسٍ فضِّي على شكل سيفٍ طويل. «الكلام لن يجعل من أمك عاهرةً. لقد كانت مَن كانت ولا شيء يقوله تودر بإمكانه تبديل ذلك. هل تعلم أن لدينا رجالًا على "الجِدار" أمهاتهم عاهرات حقًّا؟».

ليس أمي. كان لا يعرف شيئًا عن أمه لأن اللورد إدارد ستارك كان يَرفُض الكلام عنها، لكنه كان يَحلُم بها كثيرًا لدرجة أنه يكاد يرى وجهها. في أحلامه كانت أمه جميلةً كريمة الأصل ولها عينان حانيتان.

استطردَ صانع السِّلاح: «هل تحسب أن حياتك كانت صعبةً لمجرَّد أنك نغل واحدٍ من السَّادة؟ ذلك الصَّبي چيرن أنجبَه سِپتون، وكوتر پايك ابن غير شرعي لخادمةٍ في حانة، والآن يقود القلعة الشَّرقيَّة على البَحر».

- «لا أبالي»، قال چون. «لا أبالي بهما أو بك أو بثورن أو ببنچن ستارك أو أيٍّ من هذا. إنني أكرهُ كلَّ شيءٍ هنا، كما أن... كما أن البَرد شديد هنا».

- «نعم، البَرد والقسوة طابع الحياة على "الجِدار" والرِّجال الذين يحمونه. ليس كالقصص التي حكتها لك مُرضِعتك، أليس كذلك؟ إذن فلتذهب القصص ومُرضِعتك معًا إلى الجحيم. هكذا الحياة هنا، وكبقيَّتنا ستظل هنا مدى الحياة».

- «مدى الحياة»، ردَّد چون. فليتكلَّم صانع السِّلاح عن الحياة كما يشاء، فقد عاشَ حياته بالفعل. إنه لم يرتدِ الأسود إلَّا بَعد أن فقدَ ذراعًا أثناء حصار ستورمز إند، وقبل ذلك كان يعمل حدَّادًا لدى ستانسٍ باراثيون شقيق المَلك. لقد رأى المَمالك السَّبع من أقصاها إلى أقصاها، أكلَ ما

شاءَ وضاجعَ من شاءَ وقاتلَ في مئة معركة. قالوا إن دونال نوي هو من صنعَ مطرقة روبرت الحربيَّة، تلك التي سلبَ بها حياة ريجار تارجاريَن في معركة الثَّالوث. نوي فعلَ كلَّ شيءٍ لن يفعله چون أبدًا، ثم بَعد أن تقدَّم به العُمر وتجاوزَ الثَّلاثين بسنوات، تلقَّى ضربةً غير مقصودةٍ ببلطةٍ وتعفَّن الجرح حتى أنه كان من المحتَّم أن تُقطَع الذِّراع كلها، وبعدها فقط عندما صارَ معاقًا أتى دونال نوي إلى "الجِدار" ليخدم في حَرس اللَّيل لمَّا أوشكت حياته على نهايتها.

قال نوي: «نعم، مدى الحياة، وكونها حياةً قصيرةً أو طويلةً يعود إليك أنت يا سنو. الطَّريق الذي اخترته سيجعل أحد إخوتك يفتح حَلقك بسكِّينٍ ذات ليلة».

صاحَ چون مُغضَبًا: «إنهم ليسوا إخوتي. إنهم يكرهونني لأني أفضل منهم».

- «كلا، إنهم يكرهونك لأنك تتصرَّف كأنك أفضل منهم. يَنظُرون إليك فلا يرون غير نغلٍ تربَّى في قلعةٍ ويحسب نفسه سيِّدًا صغيرًا»، ودنا صانع السِّلاح منه أكثر وتابعَ: «لكنك لست كذلك، تذكَّر هذا. إن اسمك سنو وليس ستارك، وأنت نغل وبلطجي».

- «بلطجي؟!». كادَ چون يختنق وهو يلفظ الكلمة، فالاتِّهام كان ظالمًا للغاية حتى أن أنفاسه احتبسَت. «إنهم هُم من حاولوا التعدِّي عليَّ، أربعة منهم!».

- «أربعة أهنتهم في السَّاحة، أربعة يخشونك في الغالب. لقد شاهدتك وأنت تُقاتِل، ورأيتُ أن المسألة ليست مجرَّد تدريبٍ بالنِّسبة لك. ضع نصلًا حادًّا لسيفك وسيتحوَّلون إلى لحم ميت. أنت تعرف هذا وأنا أعرفه وهُم يعرفونه. إنك لا تَترُك لهم شيئًا وتُكَلِّلهم بالخزي في كلِّ مرَّة، فهل يجعلك هذا فخورًا بنفسك؟».

تردَّد چون. كان يَشعُر بالفخر بالفعل عندما يربح... ولِمَ لا؟ لكن

صانعِ السِّلاح كان يسلبه هذا الإحساس الآن ويجعله يبدو كأنه ارتكبَ خطأً ما. هكذا قال بلهجةٍ دفاعيَّة: «جميعهم أكبر مني سِنًّا».

- «أكبر وأضخم وأقوى، هذا صحيح، لكني أراهنُ أن قيِّم السِّلاح في وينترفل علَّمك كيف تُقاتِل رجالًا أكبر منك حجمًا. لا بُدَّ أنه كان فارسًا مسنًّا، أليس كذلك؟».

أجابَ چون بحذر: «السير رودريك كاسل». ثمَّة فَخٌّ هنا يَشعُر به ينغلق عليه.

مال دونال نوي إلى الأمام ليُواجه چون مباشرةً وقال بوجهٍ متجهِّم: «فكِّر في هذا إذن يا فتى. لا أحد من الآخَرين حظي بتدريبٍ من قيِّم سلاحٍ قبل السير أليسر. آباؤهم كانوا مُزارعين وسائقي عرباتٍ وصيَّادين وحدَّادين ومُعَدِّنين وبحَّارة على السُّفن التِّجاريَّة، كلُّ ما تعلَّموه عن القتال كان على ظَهر مركبٍ أو في أزقَّة البلدة القديمة أو لانسپورت، في المواخير والحانات على جانب طريق الملوك. ربما سبقَت لهم المُبارَزة بعصا مرَّةً أو اثنتين قبل أن يأتوا إلى هنا، لكني أؤكِّد لك أن أحدًا منهم لم يكن يملك ثَمن سيفٍ حقيقي. قُل لي إذن، هل يروق لك مذاق الانتصار الآن أيها اللورد سنو؟».

- «لا تُنادِني بهذا الاسم!»، صاحَ چون محتدًّا، لكن غضبته كانت خاليَّةً من عنفوانها الآن، وفجأةً وجدَ نفسه يَشعُر بالذَّنب والخجل، فقال مرتبكًا: «لم يَخطُر لي قَطُّ... لم أحسب أن...».

قال نوي: «من الأفضل لك أن تبدأ التَّفكير إذن. إمَّا هذا أو نَم ومعك خنجر في فِراشك. اذهب الآن».

كان النَّهار قد انتصفَ تقريبًا عندما خرجَ چون من مستودع السِّلاح، وتسلَّلت أشعَّة الشَّمس من بين السُّحب. أدارَ ظَهره لها ورفعَ عينيه إلى "الجِدار" الذي يلتمع كالبلَّور الأزرق في نور الشَّمس. حتى بَعد مرور كلِّ تلك الأسابيع كان منظر "الجِدار" لا يزال يُثير فيه القشعريرة. قرون من

الرِّياح المحمَّلة بالأتربة كانت قد كسته كغلافٍ رقيق، وغالبًا ما كان لونه يبدو رماديًا باهتًا كالسَّماء المعتمة... لكن عندما يَسقُط عليه نور الشَّمس في يومٍ صافٍ ويُبرِز جماله الحقيقي، كان "الجِدار" يتألَّق كجوهرةٍ بثَّ فيها النُّور الحياة، فتراه كجُرفٍ هائل الحجم يَبرُق بالأبيض والأزرق وقد حجبَ نِصف السَّماء عن الأعيُن.

أكبر بناءٍ شيَّدته أيادي البَشر كما قال له عمُّه بنجن ستارك على طريق الملوك عندما لمحا "الجِدار" من بعيدٍ للمرَّة الأولى. «وأكثر بناءٍ عديم الجدوى بلا شك»، أضاف تيريون لانستر مبتسمًا بسخريةٍ يومها، لكن حتى العِفريت لاذ بالصَّمت التَّام مع دنوِّهم. بإمكانك رؤيته من على بُعد أميالٍ عديدة، خطًّا أزرقَ شاحبًا يحتلُّ الأفق الشَّمالي، يمتدُّ شَرقًا وغربًا فتغيب حدوده عن البصر، ضخمًا مهيبًا لا يُقهَر، كأنه يقول لك: *هنا ينتهي العالم*.

عندما لمحوا القلعة السَّوداء من بعيد، لم تبد حصونها الخشبيَّة وأبراجها الحَجريَّة أكثر من بضع قوالب لُعبة مبعثرة بين الثُّلوج تحت الجِدار الجَليدي العملاق. معقل الإخوة السُّود العتيق لم يكن يُشبِه وينترفل بحال، بل لم يكن قلعةً على الإطلاق. كانت القلعة السَّوداء بلا أسوار، ولا يُمكن الدِّفاع عنها من الجَنوب أو الشَّرق أو الغَرب، لكن كلَّ ما يكترث له حَرس اللَّيل هو الشَّمال، وإلى الشَّمال يرتفع "الجِدار" شاهقًا. كان ارتفاعه يَبلُغ نحو سبعمئة قدم، أعلى ثلاث مرَّاتٍ من أعلى بُرجٍ في المعقل الذي يحميه. قال عمُّه إن القمَّة واسعة بما يكفي لأن يتحرَّك عليها سبعة فُرسانٍ مدرَّعين على متن خيولهم جنبًا إلى جنب. كانت المجانيق الضَّخمة المهيبة والرَّافعات الخشبيَّة العملاقة التي تُدافِع عن المكان تلوح من أعلى كهياكل عظميَّةٍ لطيورٍ عملاقة، وبينها كان يتحرَّك رجال يرتدون الأسود يبدون كالنَّمل من على هذه المسافة.

واقفًا في مكانه خارج مستودع السِّلاح رافعًا عينيه إلى أعلى، شعرَ

چون بالانبهار يَغمُره، تمامًا كما حدثَ في ذلك اليوم على طريق الملوك عندما رآه للمرَّة الأولى. كان هذا ديدن "الجِدار"... أحيانًا يكاد المرء ينسى أنه موجود، تمامًا كما تنسى وجود السَّماء فوق رأسك أو الأرض تحت قدميك، لكن في أحيانٍ أخرى كان يبدو كأن لا شيء آخَر موجودًا في العالم. إنه أقدم من المَمالك السَّبع نفسها، وعندما كان يقف تحته ويرفع عينيه إليه كان المنظر يُصيب چون بالدُّوار. كان يَشعُر بثقل كلِّ هذا الجَليد يضغط عليه كأنه على وشك الانهيار، وبشكلٍ ما شعرَ چون أن سقوط "الجِدار" يعني سقوط العالم كله معه.

قال الصَّوت المألوف: «يجعلك تتساءل عمَّا يقع وراءه، أليس كذلك؟».

نظرَ چون حوله وقال: «لانستر، لم أرك... أعني أني حسبتُ أنني وحدي».

كان تيريون لانستر متدثِّرًا بطبقاتٍ سميكةٍ من الصُّوف جعلته يبدو كدُبٍّ صغيرٍ جدًّا. «ثمَّة الكثير مما يُمكن قوله عن أخذِ النَّاس على حين غرَّة، فلا أحد يدري ما قد يتعلَّمه».

قال چون: «لن تتعلَّم شيئًا مني». لم يكن قد رأى القزم كثيرًا منذ انتهَت رحلتهم. بصفته شقيق المَلكة، نزلَ تيريون لانستر كضيفٍ كريم على حَرس اللَّيل، فخصَّص له حضرة القائد مكانًا في بُرج المَلك -الذي ما زال يحتفظ بهذا الاسم على الرغم من أن مَلكًا لم يزره منذ مئة عام- وتناولَ لانستر طعامه كلَّ يوم على مائدة مورمونت. نهارًا كان يصعد إلى قمَّة "الجِدار"، وليلًا كان يشرب ويُقامِر مع السير أليسر وباوِن مارش وبقيَّة كبار القيِّمين.

- «أوه، إنني أتعلَّمُ دائمًا أشياءَ من كلِّ مكانٍ أزوره»، وأشار الرَّجل الصَّغير إلى "الجِدار" بعُكَّازٍ أسودَ وأضافَ: «كما كنتُ أقولُ... لماذا كلما بنى رجل ما جِدارًا تجد رجلًا آخَر يرغب في معرفة ما يقع وراءه في

الحال؟»، ورفعَ رأسه ليَنظُر إلى جون بعينيه غير المتماثلتين وقال: «مؤكَّد أنك ترغب في معرفة ما يقع على الجانب الآخَر، أليس كذلك؟».

- «لا أعتقدُ أن ثمَّة شيئًا يثير الاهتمام على الجانب الآخَر». كان يرغب في الخروج مع عمِّه بنچن ستارك في جولاته، ويَدخُل معه إلى أغوار الغابة المسكونة بكلِّ ما يُكَلِّلها من وحشةٍ وغموض، يرغب في قتال هَمج مانس رايدر ويَحرُس البلاد من "الآخَرين"، لكن من الأفضل ألَّا تتكلَّم عن الأشياء التي ترغب فيها. «الجوَّالة يقولون إن لا شيء هنالك سوى الغابات والجبال والبحيرات المتجمِّدة، مع الكثير من الجَليد والثَّلج».

قال تيريون: «وماذا عن الجرامكنات والسناركات؟ دعنا لا ننساها أيها اللورد سنو، وإلَّا ما فائدة هذا الشَّيء الكبير أصلًا؟».

- «لا تُخاطِبني بهذا الاسم».

رفعَ القزم حاجبًا وقال: «هل تُفَضِّل أن يدعونك العِفريت؟ دعهم يرون أن كلماتهم تجرحك ولن تتحرَّر من سخريتهم أبدًا. إذا أرادوا أن يُطلِقوا عليك لقبًا ما، فتقبَّله واجعله ملكك، وعندها لن يقوى أحد على أن يجرحك»، ثم أشارَ بعُكَّازه وقال: «هَلُمَّ، امشِ معي. سيُقَدِّمون يخنةً رديئةً في القاعة العامَّة الآن، وأنا أحتاجُ وعاءً من أيِّ طعامٍ ساخن».

كان جون يَشعُر بالجوع أيضًا، فانضمَّ إلى لانستر في مِشيته بخطواتٍ بطيئةٍ ليُجاري خطوات القزم المتهادية. كانت الرِّيح تشتدُّ، وأصدرَت المباني الخشبيَّة القديمة صريرها من حولهما، وعلى مسافةٍ بعيدةٍ سمعا صوت مصراعٍ ثقيل يضرب نافذةً ما بلا توقُّف وقد نسيه الجميع، وأثناء مرورهما تناهى إلى مسامعهما صوت ارتطامٍ مكتوم وقد انزلقَت طبقة رقيقة من الثَّلج من فوق أحد الأسطُح وهوَت بالقرب منهما.

قال لانستر وهما ماشيان: «لا أرى ذِئبك».

- «إنني أقيِّده في الاسطبلات القديمة أثناء التَّدريب. إنهم يضعون

الخيول كلها في الاسطبلات الشَّرقية الآن، ولا يوجد ما يُزعِجه. بقيَّة اليوم يقضيه معي في حُجيرة نومي في بُرج هاردين».

- «إنه البُرج ذو الشُّرفة المتهدِّمة، أليس كذلك؟ أحجاره محطَّمة في الفِناء في الأسفل، ومائلٌ نوعًا كمَلكنا النَّبيل روبرت بَعد ليلةٍ طويلةٍ من الشَّراب؟ حسبتُ أن تلك المباني القديمة مهجورة».

هَزَّ چون كتفيه وقال: «لا أحد يبالي بالمكان الذي تنام فيه. معظم الحصون القديمة خاوية، ويُمكنك اختيار أيِّ حُجيرةٍ تروق لك». ذات يومٍ كانت القلعة السَّوداء تضمُّ خمسة آلاف رجلٍ مُحارِبٍ بأحصنتهم وخَدمهم وأسلحتهم وعتادهم، والآن تضمُّ عُشر هذا العدد، وأجزاء منها كانت قد صارت خرابًا بالفعل.

خرجَت ضحكة تيريون لانستر مليئةً بالبخار وهو يقول: «سأقولُ لأبيك أن يقبض على المزيد من البنَّائين قبل أن ينهار بُرجك».

كانت السُّخرية واضحةً تمامًا في كلامه، لكن چون لم يستطِع إنكار الحقيقة. لقد شيَّد حَرس اللَّيل تسع عشرة قلعةً على امتداد "الجِدار"، لكن ثلاثًا منها فقط كانت مشغولةً الآن: قلعة الحَرس الشَّرقيَّة على السَّاحل المكشوف للرِّيح، وبُرج الظِّلال المقامة عِند الجبال حيث ينتهي "الجِدار "، وبينهما القلعة السَّوداء عِند نهاية طريق الملوك. القلاع الأخرى المهجورة منذ زمنٍ بعيد كانت الآن أماكن موحشةً مسكونةً تُصَرصِر فيها الرِّيح عبر النَّوافذ السَّوداء وتَحرُسها أرواح الموتى.

قال چون بعناد: «من الأفضل أن أكون وحدي. بقيَّتهم خائفون من جوست».

- «صِبية حُكماء»، قال تيريون ثم غيَّر الموضوع بقوله: «يقولون إن عمَّك تغيَّب لفترةٍ طويلة».

تذكَّر چون الأمنيَة التي تمنَّاها في نوبة غضبه ومشهد بنچن ستارك وقد سقطَ صريعًا وسط الثُّلوج، وأشاحَ ببصره بعيدًا. كان القزم موهوبًا

في الإحساس بالأشياء، ولم يُرِدْ جون أن يرى الشُّعور بالذَّنب في عينيه. قال: «كان قد أخبرَني أنه سيعود نحو يوم ميلادي». كان يوم ميلاده قد جاءَ وراحَ منذ أسبوعين كاملين. «كانوا يبحثون عن السير وايمار رويس. أبوه من حاملي راية اللورد آرن. عمِّي بنچن قال إن البحث قد يمتد حتى بُرج الظِّلال التي تقع بعيدًا في الجبال».

- «سمعتُ أن جوَّالةً كثيرين اختفوا مؤخَّرًا»، قال تيريون لانستر وهما يصعدان السَّلالم إلى القاعة العامَّة، وابتسمَ قائلًا وهو يفتح الباب: «لعلَّ الجرامكنات جائعة هذا العام!».

في الدَّاخل كانت القاعة الواسعة باردةً على الرغم من النار المتَّقدة في المُستوقَد الضَّخم. أقامَت الغِربان أعشاشًا لها وسط دعائم السَّقف العالي، وسمعَ جون نعيبها وهو يتناول وعاءً من اليخنة ورغيفًا من الخُبز الأسمر من طهاة اليوم. كان جرِن وتودر ومجموعة من الآخَرين جالسين على دكَّةٍ بالقُرب من المُستوقَد، يتبادلون الضَّحكات والشَّتائم بأصواتٍ خشنة. رمقَهم جون مفكِّرًا للحظة، ثم انتقى مكانًا بعيدًا في نهاية القاعة بمنأىً عنهم.

جلسَ تيريون لانستر قُبالته وتشمَّم اليخنة بشك، ثم غمغمَ: «شعير وبصل وجزر... ثم إن على أحدهم أن يقول للطُّهاة إن اللِّفت ليس لحمًا!».

- «إنها يخنة ضأن»، قال جون وخلعَ قُفَّازيه ثم بدأ يُدَفِّئ يديه بالبخار المتصاعد من الوعاء وقد أسالت الرَّائحة لعابه.

- «سنو».

كان جون يعرف صوت السير آليسر ثورن، لكن كانت هناك نبرة غريبة في صوته لم يسمعها جون من قبل، فالتفتَ إلى قيِّم السِّلاح الذي قال: «حضرة القائد يريدُ أن يراك حالًا».

للحظةٍ تجمَّد جون في مكانه من الخوف. لماذا يريد أن يراه حضرة

القائد الآن؟ تسارعَت الأفكار المحمومة في باله... لا بُدَّ أنهم سمعوا شيئًا عن بنچن... لقد ماتَ وتحقَّقت الرُّؤيا. قال باندفاع: «أهو عمِّي؟ هل عادَ بأمان؟».

أجابَ السير أليسر: «حضرة القائد ليس معتادًا على الانتظار، وأنا لستُ معتادًا على أن يستجوبني نغلٌ بَعد أن يتلقَّى مني أمرًا».

نهضَ تيريون لانستر من على الدِّكَّة وقال: «كفى يا ثورن، إنك تُخيف الصَّبي».

- «لا تدس أنفك في الأمور التي لا تعنيك يا لانستر، فليس لك مكان هنا».

قال القزم مبتسمًا: «لكن لديَّ مكانًا في البلاط المَلكي. كلمة واحدة مني في الأُذن الصَّحيحة وستموت رجلًا هَرِمًا بائسًا قبل أن تجد صبيًّا آخَر تُدَرِّبه. والآن أخبِر سنو لِمَ يريد الدُّب العجوز رؤيته. هل هناك أخبار عن عمِّه؟».

قال السير أليسر: «كلا. إنها مسألة مختلفة تمامًا. لقد جاءَ طائر هذا الصَّباح من وينترفل برسالةٍ تخصُّ أخاه»، ثم قال مُصَحِّحًا: «أخاه غير الشَّقيق».

قال چون لاهثًا وهو ينهض بسرعة: «بران... شيء ما حدثَ لبران».

وضعَ تيريون لانستر يده على ذراعه وقال: «چون، أنا آسفٌ جدًّا».

لم يسمعه چون، وأزاحَ يده وقطعَ القاعة بخطواتٍ واسعة، وعندما بلغَ الباب كان يركض حقًّا. انطلقَ إلى حِصن القائد وسط الثُّلوج القديمة المتراكمة، وعندما سمحَ له الحُرَّاس بالمرور ارتقى درجات البُرج اثنتين في المرَّة، ولمَّا اندفعَ إلى غُرفة القائد كان حذاؤه قد غرقَ تمامًا وچون نفسه متَّسع العينين متقطِّع الأنفاس. لم ينتظر لحظةً وقال فور دخوله: «بران... ماذا تقول الرِّسالة عن بران؟».

كان حضرة قائد حَرس اللَّيل چيور مورمونت رجلًا مُسِنًّا غليظ

الملامح ذا رأسٍ أصلع كبير ولحيةٍ شيباء خشنة، وعلى ذراعه استقرَّ غُداف يتناوَل منه حبوب الذُّرة. «بلغَني أنك تجيد القراءة»، قال مورمونت ونفضَ الطَّائر عن ذراعه، فخفق بجناحيه وطارَ إلى النَّافذة واستقرَّ هناك مُراقِبًا مورمونت وهو يسحب ورقةً مطويَّةً من حزامه ويُناوِلها لچون.

«ذُرة»، همهمَ الطَّائر بصوتٍ أجش. «ذُرة، ذُرة».

تحسَّست أصابع چون شكل الذِّئب الرَّهيب في شمع الختم الأبيض المكسور، وتعرَّف على خَطِّ يد روب، لكن الكلمات بدت غائمةً وهو يُحاوِل أن يقرأها. أدركَ فجأةً أنه يبكي، ثم إنه وجدَ معنى الكلمات من بين عبراته أخيرًا، ورفعَ رأسه قائلًا: «لقد أفاقَ. الآلهة أعادته».

قال مورمونت: «أعادَته كسيحًا. آسف يا فتى، لكن اقرأ بقيَّة الرِّسالة».

نظرَ إلى الكلمات، لكنها كانت بلا أهميَّة. لا شيء له أهميَّة الآن لأن بران سيعيش. قال لمورمونت: «أخي سيعيش»، فهَزَّ حضرة القائد رأسه والتقطَ حفنةً من حبوب الذُّرة وأطلقَ صفيرًا، فطارَ الغُداف ليَحُطَّ على كتفه صائحًا: «*سيعيش! سيعيش!*».

نزلَ چون السَّلالم جريًا وعلى وجهه ابتسامة ورسالة روب في يده، وقال للحُرَّاس بسعادة: «أخي سيعيش»، فتبادلوا نظرةً حائرة. اندفعَ چون عائدًا إلى القاعة العامَّة حيث وجدَ تيريون لانستر يَفرُغ من وجبته. أمسكَ الرَّجل الصَّغير من تحت إبطيه ورفعَه في الهواء ودارَ به دورةً كاملةً هاتفًا: «بران سيعيش!». بدا لانستر مأخوذًا تمامًا، ثم إن چون أنزَله ودَسَّ الورقة في يده قائلًا: «هاك، اقرأ».

كان الآخَرون قد تجمَّعوا وينظرون إليه بفضول، ولاحظَ چون أن جرِن كان يقف على بُعد أقدامٍ قليلةٍ وضمَّادة صوفيَّة سميكة تحيط بيده. بدا متوتِّرًا وغير مستريح على الإطلاق، ولا لمحة للتَّهديد في وجهه. اتَّجه چون إليه، فتراجعَ جرِن إلى الوراء رافعًا يده وقال: «ابتعد عني الآن أيها النَّغل».

قال چون مبتسمًا: «آسفٌ لما حدثَ لمعصمك. روب استخدمَ معي هذه الحركة مرَّةً إنما بسيفٍ خشبي، وآلمتني كأني أتعذَّبُ في الجحائم السَّبع، لكن لا بُدَّ أن ألمك أقوى. اسمع، يُمكنني أن أريك كيف تُدافِع عن نفسك عندما تتعرَّض لهذه الحركة إذا أردت».

تناهى كلامهم إلى مسامع أليسر ثورن، فقال متهكِّمًا: «اللورد سنو يريد أن يأخذ مكاني الآن. سيكون من الأسهل أن أُعَلِّم ذِئبك ألعاب الحواة بدلًا من تدريبك لهذا الثَّور».

قال چون: «سأقبلُ رهانك يا سير أليسر، فأحبُّ أن أرى جوست يُمارِس ألعاب الحواة».

سمعَ چون جرِن يحبس أنافسه مصدومًا، وخيَّم الصَّمت التَّام على المكان.

ثم أطلقَ تيريون لانستر ضحكةً مدويةً، ثم انضمَّ إليه ثلاثة من الإخوة السُّود الجالسين إلى طاولةٍ قريبة، وسرعان ما انتشرَ الضَّحك بين الحضور حتى انضمَّ إليهم الطُّهاة كذلك. تحرَّكت الطُّيور في أعشاشها بين دعائم السَّقف، وأخيرًا أطلقَ جرِن نفسه ضحكةً خفيفة.

لم يرفع السير أليسر عينيه عن چون، واسودَّ وجهه والضَّحكات السَّاخرة تتردَّد من حوله وكوَّر يده التي يحمل بها سيفه، وقال بنبرةٍ لاذعةٍ لا تأتي إلَّا من عَدُو: «ارتكبتَ خطأً كبيرًا أيها اللورد سنو».

إدارد

عبرَ إدارد ستارك البوَّابة البرونزيَّة الشَّاهقة داخلًا القلعة الحمراء وهو يَشعُر بالإرهاق والألم والجوع والضِّيق الشَّديد. كان لا يزال على متن حصانه، يَحلُم بحمَّام ساخنٍ طويل وديكٍ مشويٍّ وفِراشٍ وثير، عندما أخبرَه وكيل المَلك أن المِايستر الأكبر پايسل قد عقدَ اجتماعًا عاجلًا للمجلس الصَّغير، وعلى يَدِ المَلك أن يُشَرِّفهم بالحضور بمجرَّد أن يكون الوقت ملائمًا. هكذا قال ند مُحتدًّا وهو يترجَّل عن الحصان: «سيكون الوقت مناسبًا غدًا».

انحنى الوكيل حتى كاد يكنس الأرض برأسه وقال: «سأُبلِّغ المستشارين اعتذارك يا سيِّدي».

قال ند: «لا، لا تفعل عليك اللَّعنة». كان يُفكِّر أنه ليس من المفيد أن يُوَجِّه إهانةً للمجلس قبل أن يبدأ حتى. «سأذهبُ إليهم. فقط امنحني بضع دقائق لأُبدِّل ثيابي بشيءٍ لائق».

أجابَ الوكيل: «كما تأمر يا سيِّدي. لقد خصَّصنا لك سكن اللورد آرن السَّابق في بُرج اليَد إذا كان هذا يُرضيك. سأجعلهم يأخذون أغراضك إلى هناك».

قال ند: «أشكرك»، وخلعَ قُفَّازي الرُّكوب ودسَّهما في حزامه. كان بقيَّة أهل بيته ومتاعهم يَدخُلون من البوَّابة من ورائه. لمحَ ند وكيله ڤايون پوول، فنادى عليه وقال: «يبدو أن هناك حاجة مُلِحَّة لوجودي في

المجلس. اعمل على توصيل ابنتيَّ إلى غُرفتي نومهما وقُل لچوري أن يُبقيهما هناك. غير مسموح لآريا بالخروج للاستكشاف». انحنى پوول، بينما التفتَ ند إلى الوكيل المَلكي قائلًا: «عرباتي ما زالت تشقُّ طريقها عبر المدينة. سأحتاجُ ثوبًا مناسبًا».

رَدَّ الوكيل: «بكلِّ سرور».

وهكذا، مُنهَكًا حتى النُّخاع ويرتدي ثيابًا مستعارة، دلفَ ند إلى قاعة المجلس بخطواتٍ واسعة، ليجد أربعةً من أعضاء المجلس الصَّغير في انتظاره.

كانت القاعة مؤثَّثة بترفٍ وسخاء... السجَّاد المايري يُغَطِّي الأرضيَّة بدلًا من الحصير، وفي أحد الأركان تواثبَ مئة حيوانٍ خُرافي بألوانٍ برَّاقةٍ على جداريَّةٍ خشبيَّةٍ منقوشةٍ من جُزر الصَّيف، وعُلِّقت على الجدران ستائر مزدانةً بالرُّسوم من نورفوس وكوهور وليس، بينما وقفَ زوج من تماثيل أبي الهول الڤاليريَّة على جانبي الباب، عيونهما المصنوعة من العقيق الأحمر متَّقدة في الوجهين الرُّخاميَّين الأسودين.

بادرَه أقلُّ مستشارٍ يروق له فيهم -ڤارس الخَصِي- بالكلام لحظة دخوله قائلًا: «لورد ستارك، لقد حزنتُ للغاية لمَّا سمعتُ بمتاعبك على طريق الملوك. كلنا يزور السِّپت الآن لإشعال الشُّموع للأمير چوفري. إنني أُصَلِّي لشفائه السَّريع». تركَت يده بُقعًا من مساحيق التَّجميل على كُمِّ ند، ومنه فاحت رائحة كريهة عذبة في آنٍ واحدٍ كأنها رائحة زهورٍ موضوعةٍ على قبر.

أجابَ ند بكياسةٍ باردة: «لقد استجابَت آلهتك لصلواتك. الأمير يتعافي أكثر مع كلِّ يومٍ يمرُّ»، ثم حرَّر نفسه من قبضة الخَصِي وعبرَ القاعة إلى حيث يقف اللورد رنلي عِند الجداريَّة المزخرَفة ويتكلَّم مع رجلٍ قصير القامة لا يُمكن أن يكون غير الإصبع الصَّغير. كان رنلي ولدًا في الثَّامنة من عُمره عندما فازَ روبرت بالعَرش، لكنه كبرَ وصارَ رجلًا يُشبِه

أخاه كثيرًا لدرجةٍ وجدها ند مثيرةً للقلق. كلما رأى رنلي تبدَّى له أن الزَّمن قد عادَ به إلى الوراء ليرى روبرت واقفًا أمامه وقد عادَ لتوِّه من انتصاره في معركة الثَّالوث.

قال رنلي: «لورد ستارك، أرى أنك وصلت بأمان».

أجابه ند: «وأنت كذلك. سامِحني، لكنك تبدو أحيانًا كنُسخةٍ من أخيك روبرت».

هَزَّ رنلي كتفيه وقال بلا مبالاة: «نُسخة باهتة».

قال الإصبع الصَّغير مازحًا: «وإن كانت ملابسه أفضل كثيرًا. اللورد رنلي يُنفق على الملابس أكثر من نِصف سيِّدات البلاط معًا».

كان هذا حقيقيًّا فعلًا، فاللورد رنلي كان يرتدي سُترةً من المخمل الأخضر الدَّاكن طُرِّزَت على صدرها دستة من الأيائل الذَّهبيَّة، بينما تدلَّت حرملة قصيرة من قُماش الذَّهب من على كتفه وقد ثبَّتها دبُّوس زينة من الزمرُّد. قال رنلي ضاحكًا: «ثمَّة جرائم أسوأ من هذا... ملابسك أنت على سبيل المثال!».

تجاهلَ الإصبع الصَّغير الدُّعابة، ورمقَ ند بابتسامةٍ على شفتيه بها لمحة من الاستهانة والغطرسة، وقال: «إنني أتمنَّى لقاءك منذ سنينٍ طويلة أيها اللورد ستارك. لا شكَّ أن الليدي كاتلين قد ذكرَتني لك».

رَدَّ ند وبرودة الثَّلج في صوته وقد جعلَ التعليقُ المتعجرف الغضبَ يعتمل في داخله: «هذا صحيح. أعتقدُ أنك كنت تعرف أخي براندون كذلك».

ضحكَ رنلي، بينما التفتَ ڤارس إليهم ليسمع، وقال الإصبع الصَّغير: «عرفته جيِّدًا جدًّا، وما زلتُ أحملُ علامةً على تقديره لي. هل تكلَّم براندون عني كذلك؟».

- «كثيرًا، ولم يفتقر كلامه إلى الانفعال الحار»، قال ند آملًا أن يضع

قوله هذا نهايةً لهذا السُّخف. لم يكن يملك الصَّبر الكافي للُعبة الكلمات هذه.

قال الإصبع الصَّغير: «حسبتُ أن الحرارة لا تُناسِبكم إطلاقًا يا آل ستارك. يقولون هنا في الجَنوب إنكم مخلوقون جميعًا من الجَليد، وتذوبون عندما تتجاوَزون "العُنق"».

- «لستُ أنوي أن أذوب قريبًا أيها اللورد بايلش، ولك أن تُراهِن على ذلك»، ثم تحرَّك ند إلى مائدة المجلس وقال: «مِايستر پايسل، أتمنَّى أن تكون بخير».

ابتسمَ المِايستر الأكبر ابتسامةً خفيفةً من مكانه على المقعد الطَّويل عِند نهاية المائدة، وأجابَ: «بخيرٍ قدر ما تسمح سِنِّي يا سيِّدي، لكن أخشى أنني أتعبُ بسهولةٍ للأسف». خصلات مبعثرة من الشَّعر الأبيض كانت تتهدَّل من رأسه الأصلع الكبير الشَّبيه بالقُبَّة على جبهته التي تعلو وجهه دمث الملامح. لم يكن سلسلة المِايستر التي يُحيط بها پايسل عُنقه عبارةً عن خنَّاقةٍ معدنيَّةٍ كالتي يرتديها لوين، بل تكوَّنت من دستتين من السَّلاسل الثَّقيلة المربوطة معًا لتتحوَّل إلى قلادةٍ ثقيلةٍ جدًّا تُغَطِّيه من حَلقه إلى صدره. كانت الحلقات مصنوعةً من كلِّ معدنٍ يعرفه الإنسان: حديد أسودَ وذهب أحمر، نُحاس لامع ورَصاص شاحب، فولاذ وصفيح وفضَّة باهتة، نُحاس أصفر وبرونز وپلاتين. كانت هذه الأشغال المعدنيَّة مزيَّنةً بالجَمَشْت والبجادي واللُّؤلؤ الأسود، وهنا وهناك ثمَّة قطعة من الزمرُّد أو الياقوت. قال المِايستر الأكبر وهو يَفرُك يديه معًا على بطنه الكبير: «لعلَّ من الأفضل أن نبدأ قريبًا، لأني سأغيبُ في النَّوم إذا انتظرنا أكثر».

- «كما تشاء».

كان مقعد المَلك على رأس المائدة خاليًا وقد طُرِّزَ وَعل باراثيون المتوَّج بخيوطٍ ذهبيَّةٍ على الوسائد. جلسَ ند على المقعد المجاور له

باعتباره يَدَ المَلك وقال بلهجةٍ رسميَّة: «أعتذرُ لأني تركتكم منتظرين أيها السَّادة».

قال ڤارس: «أنت يَدُ المَلك، ونحن رهن إشارتك يا لورد ستارك».

ريثما اتَّخذ كلٌّ من الآخَرين مجلسه المعتاد، دوَّت في وجدان إدارد ستارك فكرة أن مكانه ليس هنا، ليس في هذه القاعة وليس مع هؤلاء الرِّجال. تذكَّر ما قاله له روبرت في السِّرداب تحت وينترفل: *إنني محاطٌ بالمُرائين والحمقى*. تطلَّع ند إلى مائدة المجلس وتساءلَ في قرارة نفسه مَن المُرائي منهم ومَن الأحمق، ثم فكَّر أنه يعرف الإجابة بالفعل. قال لهم: «إننا خمسة فقط».

قال ڤارس: «اللورد ستانيس أخذَ نفسه إلى دراجونستون بعد فترةٍ قصيرةٍ من رحيل المَلك إلى الشَّمال، ولا شكَّ أن فارسنا الشُّجاع السير باريستان يُرافِق المَلك وهو يشقُّ طريقه عبر طُرقات المدينة، كما هو واجبه بصفته حضرة قائد الحَرس المَلكي».

- «ربما من الأفضل أن ننتظر انضمام السير باريستان والمَلك إلينا إذن».

أطلقَ رنلي باراثيون ضحكةً صاخبةً وقال: «سنظلُّ هنا دهرًا لو انتظرنا أن يُشَرِّفنا أخي بحضوره الكريم».

قال ڤارس: «مَلكنا العزيز لديه هموم كثيرة، لذلك يعتمد علينا في بعض الأمور الصَّغيرة لتخفيف العبء عنه».

عقَّب اللورد رنلي: «ما يعنيه اللورد ڤارس أن كلَّ الأمور المتعلِّقة بالنَّقد أو المحاصيل أو العدالة تُثير ملل أخي المَلك حتى النُّخاع، وهنا يأتي دورنا في حُكم البلاد»، ثم سحبَ ورقةً مطويَّةً بإحكام من كُمِّه ووضعها على المائدة قائلًا: «أمرَني المَلك هذا الصَّباح بأن أسبقَه بأقصى سرعةٍ وأطلب من مِايسترنا الأكبر پايسل أن ينعقد هذا المجلس على الفور، لأن لديه تكليفًا مهمًّا لنا».

ابتسمَ الإصبع الصَّغير وناولَ الورقة لند. كانت تحمل الختم المَلكي، فكسرَ ند الشَّمع بإبهامه وفردَ الورقة ليطَّلع على تكليف المَلك المهم، وأخذَ يقرأ ودهشته تتصاعَد في أعماقه. أمَا من حَدٍّ لطيش روبرت؟ وأن يفعل هذا باسم ند... كأنه يضع الملح على الجرح. قال مبهوتًا: «الرَّحمة أيتها الآلهة!».

قال اللورد رنلي: «ما يَقصِد اللورد إدارد أن يقوله إن جلالته يأمرنا بإقامة دورة مبارياتٍ كُبرى تكريمًا لتنصيبه يَدًا للمَلك».

سألَ الإصبع الصَّغير بفتور: «كم؟».

قرأ ند الإجابة من الورقة: «أربعون ألف تنِّينٍ ذهبي للبطل، وعشرون ألفًا لصاحب المركز الثَّاني، وعشرون أخرى للفائز بالالتحام الجماعي، وعشرة آلاف أخرى للفائز بمسابقة الرِّماية».

تنهَّد الإصبع الصَّغير وقال: «تسعون ألف قطعةٍ ذهبيَّة، ولا ينبغي أن نتجاهَل التَّكاليف الأخرى. لا بُدَّ أن روبرت سيرغب في إقامة مأدبة ضخمة، ما يعني أنه سيكون هناك طُهاة ونجَّارون وخادمات ومُغَنُّون وحواة ومُهَرِّجون، إلخ...».

قال اللورد رنلي: «لدينا وفرة من المُهَرِّجين».

نظرَ المِايستر الأكبر پايسل إلى الإصبع الصَّغير وسأله: «هل ستتحمَّل الخزانة التَّكاليف؟».

أجابَ الإصبع الصَّغير وقد لوى فمه: «عن أيِّ خزانةٍ تتحدَّث؟ اعفني من الحماقة أيها المِايستر. أنت تعرف مثلي تمامًا أن الخزانة خاوية منذ سنوات. سأضطرُّ لاقتراض النُّقود، ولا شكَّ أن آل لانستر سيمدُّون لنا يد العون. إننا مدينون للورد تايوين بنحو ثلاثة ملايين تنِّين حاليًّا، فما الفارق إذا اقترضنا مئة ألفٍ أخرى؟».

قال ند مذهولًا: «هل تدَّعي أن التَّاج مدين بثلاثة ملايين قطعة ذهبيَّة؟».

- «التَّاج مدين بأكثر من ستَّة ملايين قطعة ذهبيَّة أيها اللورد ستارك.

الجزء الأكبر يخصُّ آل لانستر، لكننا اقترضنا أيضًا من اللورد تايرل وبنك براڤوس الحديدي، بالإضافة إلى عددٍ كبير من الاتِّحادات التُّجاريَّة في تايروش. مؤخَّرًا اضطررتُ للجوء إلى "العقيدة"، ودعني أؤكِّدُ لك أن السِّپتون الأعلى يُساوِمٍ كتاجر أسماكٍ دورني».

كان ند مشدوهًا حقًّا وهو يقول: «إيرس تارجاريَن تركَ خزانةً تكاد لا تتَّسع لما فيها من ذهب، فكيف سمحتم لهذا بالحدوث؟».

هَزَّ الإصبع الصَّغير كتفيه قائلًا: «أمينُ النَّقد يَعثُر على النُّقود ليُنفِقها المَلك ويَدُه».

قال ند منفعلًا: «لن أصدِّق أن چون آرن سمحَ لروبرت بأن يُفلِس البلاد!».

هَزَّ المِايستر الأكبر پايسل رأسه الأصلع الكبير وحلقات سلسلته تُصَلصِل بصوتٍ خاف، وقال: «اللورد آرن كان رجلًا حكيمًا متدبِّرًا، لكني أخشى أن جلالته لا يُعير اهتمامًا دائمًا للنَّصائح الحكيمة».

قال رنلي باراثيون: «أخي المَلك يُحِبُّ المباريات والمآدب، ويمقت ما يُطلِق عليه "عَد العُملات النُّحاسيَّة"».

قال ند: «سوف أتحدَّث مع جلالته. هذه الدَّورة تبذير صارِخ لا تتحمَّله البلاد».

رَدَّ اللورد رنلي: «تحدَّث معه كما تشاء، لكن من الأفضل أن نمضي في خُططنا».

- «في يومٍ آخَر إذن»، قال ند. لعلَّه تكلَّم بحدَّةٍ أكثر من اللَّازم كما وشت النَّظرات التي رمقوه بها. عليه أن يتذكَّر أنه لم يَعُدْ في وينترفل حيث لا يعلوه منصبًا غير المَلك، أما هنا فهو الرَّجل الأول بين أنداده لا أكثر. هكذا قال بنبرةٍ ألطف: «سامِحوني أيها السَّادة. إنني مُرهَق حقًّا. دعونا نكتفي بهذا القَدر اليوم ونُواصِل بَعد أن نستريح». ثم إنه لم ينتظر موافقتهم، ونهضَ بسرعةٍ وهَزَّ لهم رأسه تحيَّةً، ثم سارَ إلى الباب.

في الخارج كانت العربات لا تزال تتدفَّق براكبيها عبر بوَّابة القلعة، والفوضى ضاربة أطنابها في السَّاحة التي امتلأت بالخيل والوحل والرِّجال الزَّاعقين. أخبَروه أن المَلك لم يَصِل بَعد. منذ الحادث القبيح على ضفاف الثَّالوث سبقَ ستارك وأهل بيته الموكب الرَّئيس بمسافةٍ كبيرة، في محاولةٍ لفصل أنفسهم عن أبناء لانستر والتوتُّر المتصاعد. اختفى روبرت نفسه تقريبًا منذ ذلك الحين، وقالوا إنه استقرَّ في المركبة المجرورة الضَّخمة وثمل أغلب الوقت. إذا كان هذا صحيحًا، فلا بُدَّ أن ساعاتٍ ما زالت تفصله عن الوصول، لكنه سيصل أسرع مما يروق لند على الرغم من ذلك.

لم يكن عليه غير التطلُّع إلى وجه سانزا ليَشعُر بالغضب يعتمل في أعماقه من جديد. كان الأسبوعان الأخيران من رحلتهم بؤسًا حقيقيًّا، فسانزا تلوم آريا وتقول لها إنه كان من المفترَض أن تموت نايميريا بدلًا من ليدي، وكانت آريا ضائعةً تمامًا منذ سمعَت بما حدثَ لصبيِّ الجزَّار صديقها. سانزا تبكي حتى تنام، وآريا تجلس صامتةً شاردةً طوال اليوم، وإدارد ستارك يَحلُم بجحيمٍ من الجَليد مخصَّص لآل ستارك أبناء وينترفل.

قطعَ السَّاحة الخارجيَّة ومرَّ من تحت شبكةٍ حديديَّةٍ إلى الفِناء الدَّاخي، ثم إنه كان يتَّجه نحو البُقعة التي يحسب أن بُرج اليَدِ مُقام فيها، عندما برزَ الإصبع الصَّغير أمامه فجأةً قائلًا: «إنك تسير في الاتِّجاه الخطأ يا ستارك. تعال معي».

متردِّدًا تبعه ند، وقاده الإصبع الصَّغير إلى داخل بُرج، ثم نزلا بضع درجات، ثم عبرا فِناءٍ غائرٍ في الأرض، ثم رواقًا مهجورًا وقفَت فيه الحُلل المدرَّعة تَحرُس الجُدران. كانت من آثار آل تارجارِيَن، مصنوعةً من الفولاذ الأسود والخوذات مزيَّنة بشكل حراشف التنِّين، والآن صارت منسيَّة مكسوَّةً بطبقاتٍ من التُّراب. قال ند: «هذا ليس الطَّريق إلى سكني».

أجابَ الإصبع الصَّغير والسُّخرية تَقطُر من كلماته: «وهل قلتُ إنه كذلك؟ إنني أقودك إلى الزَّنازين لأذبحك ثم أدفن جثَّتك وراء حائط. ليس لدينا وقت لهذا يا ستارك، فزوجتك تنتظرك».

- «أيُّ لعبةٍ هذه أيها الإصبع الصَّغير. كاتلين في وينترفل على بُعد مئات الفراسخ من هنا».

- «حقًّا؟». كانت عيناه ذاتا اللَّون الأخضر والرَّمادي تلمعان بالعبث. «لا بُدَّ أن أحدهم تقمَّص شخصيَّتها بمنتهى البراعة إذن. للمرَّة الأخيرة أقول لك أن تأتي، أو لا تأتِ وسأحتفظُ بها لنفسي»، وبدأ ينزل السَّلالم التي أمامهما بسرعة.

تبعه ند بحذرٍ وهو يتساءل إن كان لهذا اليوم من نهاية. لم تكن هذه الحِيَل تروق له على الإطلاق، لكنه كان قد بدأ يُدرِك أنها كالطَّعام والشَّراب بالنِّسبة لرجلٍ كالإصبع الصَّغير. عند أسفل السَّلالم كان باب ثقيل مصنوع من السَّنديان والحديد، ورفعَ پيتر بايلش العارضة وأشارَ لند بالمرور. ثم إنهما خرجا إلى جُرفٍ صخريٍّ فوق النَّهر يُضيئه وهج الغَسق الأحمر. قال ند: «نحن خارج القلعة».

قال الإصبع الصَّغير بابتسامةٍ مصطنَعة: «أنت رجل يَصعُب خداعه يا ستارك. هل أدركت هذا من الشَّمس أم السَّماء؟ اتبعني... ثمَّة كُوَّات محفورة في الصَّخر. حاوِل ألَّا تَسقُط إلى حتفك وإلَّا لن تُسامِحني كاتلين أبدًا». قالها وبدأ ينزل على جانب الجُرف بسرعة القرد.

تطلَّع ند إلى وجه الجُرف الصَّخري للحظة ثم تبعه بسرعةٍ أقل. كانت الكُوَّات موجودةً بالفعل كما قال الإصبع الصَّغير، عبارةً عن شقوقٍ غير عميقةٍ غير مرئيَّةٍ من أسفل ما لم تكن تعرف أين تبحث عنها بالضَّبط. أبقى ند وجهه على مقربةٍ شديدةٍ من الصَّخر وحاولَ ألَّا يَنظُر إلى أسفل ما لم يتطلَّب الأمر هذا!

عندما بلغَ القاع أخيرًا -الدَّرب الضيِّق الموحل على حافَّة الماء- كان

الإصبع الصَّغير يستند بتراخٍ إلى صخرةٍ ويكاد يَفرُغ من تفَّاحةٍ يلتهمها. قال وهو يُلقي اللُّب في المياه المتدفِّقة: «لقد صرت مُسِنًّا بطيء الحركة يا ستارك. لا يهم، فسنقطع بقيَّة الطَّريق ركوبًا». كان هناك حصانان ينتظرانهما، وامتطى ند أحدهما وبدأ يتحرَّك وراءه على الدَّرب الضيِّق إلى داخل المدينة.

أخيرًا توقَّف بايلش أمام مبنىً خشبيٍّ متداعٍ يرتفع ثلاثة طوابق، نوافذه منيرةٌ بضوء المصابيح في الغَسق المحتشد. تسلَّلت أصوات الموسيقى والضَّحكات الخشنة من الدَّاخل وطفَت فوق سَطح الماء، وإلى جوار الباب تأرجح مصباح زيتي مزخرف من سلسلته الحديديَّة الثَّقيلة وقد ضمَّته كرة من الزُّجاج الأحمر المعالَج بالرَّصاص.

نزلَ ند ستارك من على ظَهر الحصان، وقال غاضبًا وهو يُطبِق على كتف الإصبع الصَّغير ويُديره نحوه: «ماخور؟ هل جئت بي كلَّ تلك المسافة إلى ماخور؟».

قال الإصبع الصَّغير: «زوجتك في الدَّاخل».

كانت هذه القشَّة التي قصمَت ظَهر البعير. «براندون كان متهاونًا جدًّا معك»، قال ند وهو يدفع الرَّجل الصَّغير ليرتطم ظَهره بعُنفٍ بجِدار، ثم يضع خنجره تحت اللِّحية المدبَّبة الصَّغيرة مباشرةً.

في هذه اللَّحظة صاحَ صوت ما بلهفة: «سيِّدي، لا! إنه يقول الحقيقة!».

سمعَ ند خطوات أقدام وراءه، فالتفتَ شاهرًا خنجره، ورأى رجلًا أشيب الشَّعر يهرع نحوهما. كان يرتدي ثيابًا بُنِّيَّةً خشنةً وتأرجحَ اللَّحم اللَّيِّن تحت ذقنه وهو يجري. قال ند: «ليس هذا من شأنك»، ثم تبيَّن ملامح الرَّجل فجأةً، وخفضَ الخنجر قائلًا بدهشة: «سير رودريك؟».

هَزَّ رودريك كاسل رأسه إيجابًا وقال: «سيِّدتك تنتظرك في الدَّاخل».

دَسَّ ند خنجره في غِمده وقال بحيرةٍ شديدة: «كاتلين هنا حقًّا؟ وهذه ليست حيلة غريبة من الإصبع الصَّغير؟».

قال الإصبع الصَّغير: «ليتها كانت كذلك. اتبعني، وحاوِل أن تبدو أكثر كأحد مرتادي هذه الأماكن وأن تبدو أقلَّ كيَدِ المَلك. لن يكون من المفيد أن يتعرَّف عليك أحد. ربما يُمكنك أن تُداعِب ثديًا أو اثنين أثناء مرورك».

دخلوا إلى قاعةٍ عامَّةٍ مزدحمةٍ حيث كانت امرأة بادنة تُغَنِّي أغنيَّةً خليعةً، بينما كانت فتيات شابَّات في غلالاتٍ ناعمةٍ من الكتَّان والحرير الملوَّن يضغطن أنفسهنَّ إلى عُشَّاقهنَّ ويتراقصن في أحضانهم. لم يُعِر أحد أدنى اهتمام لند، وانتظرَ السير رودريك في الطَّابق السُّفلي بينما قادَ الإصبع الصَّغير ند إلى الطَّابق الثَّالث، حيث عبرَ به رواقًا ثم توقَّف أمام بابٍ وفتحَه.

كانت كاتلين تنتظر في الدَّاخل، وقد صاحَت عندما رأته واندفعَت إليه وألقَت نفسها بين ذراعيه.

همسَ ند بعجب: «سيِّدتي!».

قال الإصبع الصَّغير وهو يُغلِق الباب: «أوه، عظيم، لقد تعرَّفت إليها».

همسَت كاتلين ورأسها على صدره: «كنتُ أخشى أنك لن تأتي يا سيِّدي. بيتر حكى لي عن مشكلتك مع آريا والأمير الصَّغير. كيف حال ابنتيَّ؟».

أجابها: «كلتاهما حزينة غاضبة بطبيعة الحال. كات، إنني لا أفهمُ ما يَحدُث. ماذا تفعلين في كينجز لاندنج؟ ماذا هناك بالضَّبط؟ أهو بران؟ هل...». "ماتَ" هي الكلمة التي وثبَت إلى شفتيه، لكنه لم يستطِع أن ينطقها.

قالت كاتلين: «إنه بران، لكن ليس ما تعتقده».

سألها بحيرةٍ متزايدة: «ماذا إذن؟ لماذا أنتِ هنا يا حبيبتي؟ وما هذا المكان؟».

كان الإصبع الصَّغير هو من أجابَه وهو يستريح على مقعدٍ مجاورٍ للنَّافذة: «تمامًا كما يبدو، إنه ماخور. هل يُمكنك التَّفكير في مكانٍ آخر

لا يتصوَّر أحد وجود كاتلين تَلي فيه؟»، وأضافَ مبتسمًا: «يتصادَف أنني أملكُ هذه المُنشأة، وهكذا كان إجراء التَّرتيبات سهلًا. إنني حريص للغاية على ألَّا يسمع آل لانستر بوجود كات هنا في كينجز لاندنج».

سأله ند: «لماذا؟». ثم إنه رأى يديها والطَّريقة المرتبكة التي تُحَرِّكهما بها والنُّدوب الحمراء الحديثة وتصلُّب آخِر إصبعين في يُسراها، فوضعَ يديها في يديه قائلًا: «لقد جُرِحتِ... يا آلهتي! هذه الجروح عميقة حقًّا... أهو سيف؟ سيِّدتي، كيف حدثَ هذا بالضَّبط؟».

أخرجَت كاتلين خنجرًا من تحت معطفها ووضعَته في يده قائلةً: «هناك من أرسلَ هذا الخنجر لفتح عُنق بران وإراقة دم الحياة منه».

تراجعَ ند كمن أصابته صاعقة وقال: «لكن... مَن... لماذا قد...».

وضعَت إصبعًا على شفتيه وقالت: «دعني أُخبِرك بكلِّ شيءٍ يا حبيبي. سيكون هذا أسرع. أصغِ إليَّ إذن».

هكذا أصغى إليها وهي تحكي كلَّ شيءٍ له، من حريق بُرج المكتبة وحتى فارس والحَرس والإصبع الصَّغير، وعندما انتهَت جلسَ إدارد ستارك شاعرًا بالدُّوار إلى جوار المائدة والخنجر في يده. فكَّر بفتورٍ أن ذِئب بران قد أنقذَ حياته. ما الذي قاله چون عندما عثروا على الذِّئاب الصَّغيرة بين الثُّلوج؟ *من المقدَّر أن يحظى أبناؤك بتلك الجِراء يا سيِّدي.* وها هو قد قتلَ ذِئبة سانزا بنفسه، ومن أجل ماذا؟ أذلك الشُّعور الذي يُراوِده ذنبٌ أم خوف؟ إذا كانت الآلهة هي من أرسلَت تلك الذِّئاب، فأيُّ حماقةٍ ارتكبها؟

متألِّمًا أجبرَ ند أفكاره على العودة إلى الخنجر وما يعنيه، وردَّد: «خنجر العِفريت». لم يكن هذا معقولًا. أطبقَت يده على المقبض الأملس المصنوع من عظام التنِّين، ثم غرسَ النَّصل في أعماق خشب المائدة، ليقف منتصبًا هناك ويسخر منه. «ما الذي يجعل تيريون لانستر يرغب في موت بران؟ إنه لم يُصِبه بأيِّ أذىً قطُّ».

قال الإصبع الصَّغير: «ألا يوجد شيءٍ بين أُذنيٍّ كلٍّ منكم غير الثَّلج يا آل ستارك؟ من المستحيل أن العِفريت كان يتصرَّف وحده».

نهضَ ند وأخذَ يذرع الغُرفة. «إذا كان للمَلكة دور في هذا أو -حاشا للآلهة- المَلك نفسه... كلا، لن أُصَدِّق هذا». لكن وهو ينطق هذه الكلمات كان يتذكَّر ذلك الصُّبح البارد في منطقة الرَّوابي وكلام روبرت عن إرسال قاتلٍ مأجورٍ وراء الأميرة ابنة تارجاريَن، وتذكَّر ابن ريجار الرَّضيع والخراب الأحمر الذي صارَته جمجمته والطَّريقة التي أدارَ المَلك بها ظَهره، تمامًا كما فعلَ في قاعة داري منذ فترةٍ ليست بالبعيدة. كانت توسُّلات سانزا ما زالت تتردَّد في أُذنيه، تمامًا كتوسُّلات ليانا من قبل.

قال الإصبع الصَّغير: «غالبًا لا يعرف المَلك شيئًا عن الأمر. هذه ليست المرَّة الأولى على أيٍّ حال، فعزيزنا روبرت خبير في إغلاق عينيه أمام الأشياء التي لا يرغب في رؤيتها».

لم يملك ند ردًّا لهذا، وسبحَت صورة صبيٍّ الجزَّار أمام عينيه وقد شُقَّ إلى نِصفين تقريبًا، وبعدها لم يقل المَلك كلمةً واحدةً. كان رأسه يدقُّ بعُنف.

مشى الإصبع الصَّغير متهاديًا إلى المائدة وانتزعَ الخنجر من خشبها، ثم قال: «الاتِّهام خيانة في جميع الأحوال. اتَّهِم المَلك وستجد نفسك تَرقُص مع إلين باين قبل أن تَخرُج الكلمات من فمك. أمَّا المَلكة... لو عثرت على دليل، ولو استطَعت أن تجعل روبرت يُصغي لك، فربما...».

قال ند: «لدينا الدَّليل، الخنجر هو الدَّليل».

قلَّب الإصبع الصَّغير الخنجر بين يديه قائلًا: «هذا؟ إنه قطعة ممتازة من الفولاذ، لكنه يقطع في اتِّجاهين يا سيِّدي. سوف يُقسِم العِفريت بلا شكٍّ أن الخنجر قد ضاعَ أو سُرِقَ منه وهو في وينترفل، ثم إن قاتله المأجور قد ماتَ ولا يوجد من ينفي هذا»، ثم ألقى الخنجر بخفَّةٍ إلى ند

وأردفَ: «نصيحتي أن تُلقي بهذا الشَّيء في النَّهر وتنسى أنه صُنِعَ على الإطلاق».

رمقَه ند بنظرةٍ باردةٍ وقال: «لورد بايلش، إنني ستارك من وينترفل، وابني مشلول في فِراشه وربما يُحتضر كذلك، ولكان ميتًا الآن بالفعل وكاتلين معه لولا الذِّئب الصَّغير الذي وجدناه بين الثُّلوج. إذا كنت تعتقد حقًّا أنني سأتناسى أمرًا كهذا، فأنت أحمق الآن تمامًا كما كنت عندما قرَّرت مُبارَزة أخي».

- «لعلِّي أحمق يا ستارك، لكني ما زلتُ هنا بينما يتحلَّل أخوك في قبره المتجمِّد منذ أربعة عشر عامًا. إذا كنت ترغب في التحلُّل إلى جواره، فآخِر شيءٍ سأفعله هو محاوَلة إثنائك عن هذا، لكني أُفَضِّل ألَّا يتضمَّنني هذا، شكرًا لك».

- «أنت آخِر رجلٍ أتضمَّنه بإرادتي في أيِّ شيءٍ أيها اللورد بايلش».

وضعَ الإصبع الصَّغير يدًا على قلبه وقال: «إنك تجرحني يا سيِّدي. الحقُّ أني من ناحيتي وجدتكم دائمًا قومًا مُتعِبين يا آل ستارك، لكن يبدو أن كات صارت وثيقة الصِّلة بكم للغاية لسببٍ ما لا أقوى على استيعابه. سوف أُحاوِل الحفاظ على حياتك من أجل خاطِرها. إنها مهمَّة عقيمة بالطَّبع، لكني لا أستطيعُ أن أرفض طلبًا من زوجتك».

قالت كاتلين: «لقد أفصحتُ لبيتر عن شكوكنا حول موت چون آرن، ولقد وعدَ بمساعَدتك على الوصول إلى الحقيقة».

لم يلقَ هذا الخبر ترحيبًا من إدارد ستارك، لكن كان من البيِّن تمامًا أنهما يحتاجان مساعَدته، والإصبع الصَّغير كان بمثابة الأخ لكاتلين ذات يوم، ولن تكون هذه هي المرَّة الأولى التي يتحالَف فيها ند مع رجلٍ لا يستسيغ وجوده. قال وهو يدسُّ الخنجر في حزامه: «ليكن. لقد ذكرتِ فارس، فهل يعرف الخَصِي بكلِّ شيءٍ أيضًا؟».

أجابَت كاتلين: «ليس مني. إنك لم تتزوَّج من حمقاء يا إدارد ستارك،

لكن ڤارس لديه أساليبه التي يعرف بها ما لا يستطيع غيره معرفته. إنه يُمارِس فنًّا أسودَ ما يا ند، أقسمُ لك».

رَدَّ ند رافضًا عبارتها الأخيرة: «إن لديه جواسيس كُثر في كلِّ مكان. هذا معروف».

قالت كاتلين مُصِرَّةً: «المسألة أكبر من هذا. لقد تكلَّم السير رودريك مع السير أرون سانتاجار بكلِّ سرِّيَّة، لكن العنكبوت علم بحوارهما على الرغم من ذلك. إنني أخشى ذلك الرَّجل».

ابتسمَ الإصبع الصَّغير وقال: «اتركي اللورد ڤارس لي يا سيِّدتي الجميلة. إذا سمحتِ لي بقولٍ بذيء -لأنه الوصف الأدق- فإنني أُطبِقُ على خصيتي الرَّجل بيدي»، وضمَّ أصابعه دون أن تُفارِق الابتسامة وجهه وأردفَ: «أو كنتُ لأفعل لو كان رجلًا، أو لو كانت لديه خصيتان. كما تعرفين، إذا ثرثرَ أحدهم بشيء، فستبدأ الطُّيور في الغناء، ولن يروق هذا لڤارس. لو كنتُ مكانكِ لقلقتُ أكثر من آل لانستر وأقلَّ من الخَصِي».

لم يكن ند في حاجةٍ لأن يُخبِره الإصبع الصَّغير بهذا. عادَ بذاكرته إلى يوم عثروا على آريا، إلى النَّظرة في عيني المَلكة عندما قالت: *ثمَّة ذِئب هنا* بمنتهى النُّعومة والهدوء. كان يُفكِّر في الصَّبي مايكا، في وفاة چون آرن المباغِتة، في سقطة بران، في المجنون إيرس تارجارين واحتضاره على أرض قاعة عَرشه ودمه يجفُّ على النَّصل الذَّهبي. قال ملتفتًا إلى كاتلين: «سيِّدتي، لم يَعُدْ هناك ما يُمكنك فِعله هنا. أريدك أن تعودي إلى وينترفل في الحال. طالما أنه كان هناك قاتِل فمن الوارد أن هناك غيره. سرعان ما سيعلم أيًّا كان من أمرَ بقتل بران بأنه ما زال حيًّا».

قالت كاتلين: «كنتُ آملُ أن أرى الفتاتين».

تدخَّل الإصبع الصَّغير في الحوار قائلًا: «خطوة غير حكيمة على الإطلاق. القلعة الحمراء ملأى بالعيون الفضوليَّة، كما أن الأطفال يتكلَّمون كثيرًا».

قال لها ند: «إنه على حقٍّ يا حبيبتي»، ثم ضمَّها إليه وأضافَ: «خُذي السير رودريك وعودي إلى وينترفل، وسأعتني أنا بالفتاتين. ارجعي إلى أبنائنا وحافظي على سلامتهم».

قالت كاتلين: «كما تقول يا سيِّدي»، ثم رفعَت وجهها إليه ولثَمَ ند شفتيها. تشبَّثت أصابعها المشوَّهة بظَهره بقوَّةٍ يائسة، كأنها ترغب في احتوائه في أمان ذراعيها إلى الأبد.

- «هل يرغب اللورد والليدي في استخدام الغُرفة؟»، سألَ الإصبع الصَّغير بخُبث. «يجب أن أُحَذِّرك يا ستارك، إننا نَفرِض سِعرًا على هذا النَّوع من الأنشطة ها هنا».

أجابته كاتلين: «قليل من الوقت وحدنا فقط، هذا كلُّ ما أطلبه».

قال وهو يمشي إلى الباب: «ليكن، لكن لا تتأخَّرا، فقد تأخَّر الوقت وينبغي أن أعود مع اليَدِ إلى القلعة قبل أن يُلاحِظ أحدهم تغيُّبنا».

ذهبَت كاتلين إليه وأخذَت يده في يدها وقالت: «لن أنسى مساعَدتك لي يا پيتر. عندما جاءَني رجالك، لم أكن أعرف إن كانوا سيأخذونني إلى عدوٍّ أم صديق، لكنني وجدتُ فيك أكثر من صديق، وجدتُ الأخَ الذي حسبتُ أني فقدته».

ابتسمَ پيتر بايلش قائلًا: «إنني عاطفيٌّ لأقصى حدٍّ يا سيِّدتي الجميلة، لكن لا تُخبِري أحدًا بهذا، فقد قضيتُ سنواتٍ بأكملها في محاوَلة إقناع البلاط بأني خبيث قاسي القلب، وأكرهُ أن أرى كلَّ هذا المجهود يضيع».

لم يُصَدِّق ند كلمةً واحدةً من هذا، لكنه حافظَ على نبرةٍ مهذَّبةٍ في صوته وهو يقول: «لك شُكري كذلك أيها اللورد بايلش».

قال الإصبع الصَّغير وهو يَخرُج: «أوه، يا له من كنزٍ حقيقي!».

عندما أغلقَ الباب وراءه، التفتَ ند إلى زوجته وقال بلهجةٍ شديدة الجديَّة: «عندما تعودين إلى الدِّيار، أريدكِ أن تُرسِلي رسالةً تحمل ختمي إلى هِلمان تولهارت وجالبارت جلوڤر. على كلٍّ منهما أن يُرسِل مئة رامٍ

لتحصين خندق كايلن. باستطاعة مئتي رامٍ قوي أن يُدافِعوا عن "العُنق" ضِدَّ أيِّ جيش. أرسِلي تعليماتٍ أيضًا إلى اللورد ماندرلي بأن يُصلِح ويُقَوِّي دفاعاته كلها في الميناء الأبيض وأن يتأكَّد من أنها محصَّنة جيِّدًا. ومن الآن فصاعدًا أريدُ أن يظلَّ ثيون جرايچوي تحت المراقَبة. إذا قامَت الحرب، فستكون حاجتنا إلى أسطول أبيه ماسَّةً».

كان الخوف جليًّا على وجه كاتلين وهي تُرَدِّد: «الحرب؟».

- «لن يصل الأمر لذلك الحد»، وعدَها ند وهو يتمنَّى أن يكون هذا صحيحًا. احتواها بين ذراعيه مرَّةً أخرى وقال: «آل لانستر لا يتمتَّعون بأيِّ رحمةٍ في وجه الضُّعفاء كما تعلَّم إيرس تارجاريَن متأخِّرًا جدًّا، لكنهم لن يجرؤوا على مهاجَمة الشَّمال دون قوَّة البلاد كلها معهم، وذلك لن يكون. عليَّ أن ألعب دوري في هذه التمثيليَّة كأن شيئًا لم يكن. تذكَّري سبب مجيئي إلى هنا يا حبيبتي. إذا وجدتُ دليلًا على أن آل لانستر هُم من قتلوا چون آرن...».

شعرَ بكاتلين ترتجف بين ذراعيه، وتشبَّثت يداها الجريحتان به وهي تقول: «إذًا... وماذا بعدها يا حبيبي؟».

كان ند يعرف أن هذا أخطر جزءٍ من المسألة كلها. قال لها: «العدالة كلها تأتي من المَلك. يجب أن أذهب إلى روبرت عندما أعرفُ الحقيقة».

وأتمنَّى أن يكون الرَّجل الذي أحسبه، وليس الرَّجل الذي أخشى أنه صاره.

تيريون

سأله حضرة القائد: «متأكِّد من أنك تريد المغادَرة بهذه السُّرعة؟».

أجابَ تيريون: «متأكِّد تمامًا يا لورد مورمونت. لا بُدَّ أن أخي چايمي يتساءَل عمَّا حَلَّ بي، وقد يحسب أنك أقنعتني بأن أرتدي الأسود».

- «ليتني أستطيع». التقطَ مورمونت مخلب سرطانٍ بَحري وهشَّمة في قبضته. على الرغم من سِنِّه المتقدِّمة كان اللورد مورمونت لا يزال يملك قوَّة دُب. «أنت داهية يا تيريون، ونحن نحتاج رجالًا من نوعك هنا على «الجِدار»».

قال تيريون مبتسمًا: «سوف أجوبُ المَمالك السَّبع إذن بحثًا عن الأقزام وأشحنهم إليك جميعًا أيها اللورد مورمونت». ضحكَ الجميع، بينما امتصَّ تيريون اللحم من ساق سرطانٍ بَحري ومدَّ يده إلى أخرى. كانت السَّرطانات البَحريَّة قد وصلت من القلعة الشَّرقيَّة هذا الصَّباح معبَّأةً في برميل من الثَّلج، وكانت ريَّانةً شهيَّةً فعلًا.

كان السير أليسر ثورن الوحيد على المائدة الذي لم يُكَلِّف نفسه عناء الابتسام حتى، وقال: «لانستر يسخر منا».

- «منك أنت فقط يا سير أليسر»، قال تيريون، وهذه المرَّة كانت الضَّحكات التي تردَّدت حول المائدة متوتِّرةً عصبيَّةً بعض الشَّيء.

ركَّز ثورن نظرات عينيه السَّوداوين على تيريون بازدراء، وقال: «الديك

لسان جريء بالنِّسبة لمخلوقٍ هو أقلُّ من نِصف رجل. ربما يَجدُر بنا أن نزور السَّاحة معًا».

قال تيريون: «لماذا؟ الطَّعام موجود هنا!».

دفعَ التَّعليق الآخَرين للضَّحك أكثر، ووقفَ السير أليسر وقد تحوَّل فمه إلى خَطٍّ رفيع، وقال: «تعالَ وجرِّب إلقاء دُعاباتك وأنت تحمل فولاذًا في يدك».

أشارَ تيريون برأسه إلى يده اليُمنى وأجابَ: «لكني أحملُ فولاذًا في يدي بالفعل يا سير أليسر، رغم أنه مجرَّد شوكةٍ على ما يبدو. هل نبدأ المُبارَزة الآن إذن؟»، ووثبَ واقفًا على مقعده وبدأ يكز صدر ثورن بالشَّوكة الصَّغيرة، وتردَّدت الضَّحكات المدوية في المكان، وتطايرت قِطع من سرطان البَحر من فم حضرة القائد وهو ينهج ويختنق، وحتى غُدافه انضمَّ إليهم وأخذَ ينعب بصوتٍ عالٍ من فوق النَّافذة مردِّدًا: «*مُبارَزة! مُبارَزة!*».

خرجَ السير أليسر ثورن من المكان متخشِّبًا حتى أنه بدا كأن هناك سكِّينًا مغروسًا في مؤخِّرته، بينما كان مورمونت لا يزال يُحاوِل التقاط أنفاسه، فدقَّ تيريون على ظَهره ثم صاحَ: «الغنائم للمنتصر! حِصَّة طعام السير أليسر من نصيبي الآن!».

أخيرًا استعادَ حضرة القائد مورمونت أنفاسه، وقال موبِّخًا: «شَرٌّ منك أن تستفزَّ سير أليسر يا رجل».

عادَ تيريون يجلس وأخذَ رشفةً من النَّبيذ وقال: «إذا رسمَ رجلٌ ما علامة النِّيشان على صدره، فعليه أن يتوقَّع أن أحدهم سيرميه بسهمٍ عاجلًا أو آجلًا. لقد رأيتُ موتى يتحلَّون بحِسٍّ الفكاهة أكثر من السير أليسر».

قال حضرة الوكيل باوِن مارش -الرجل المتورِّد المستدير كحبَّة الرُّمَّان- معترضًا: «هذا ليس صحيحًا. يَجدُر بك أن تسمع الأسماء الهزليَّة التي أطلقَها على الأولاد الذين يُدَرِّبهم».

كان تيريون قد سمعَ بعضًا من تلك الأسماء الهزليَّة، فقال: «أراهنُ أن

الأولاد لديهم بعض الأسماء التي يُطلِقونها عليه بدورهم. أزيلوا تلك النَّظرات الباردة من أعينكم أيها السَّادة. الأجدر بالسير أليسر ثورن هذا أن يعمل في تنظيف اسطبلات الخيول من الرَّوث، لا أن يُدَرِّب جنودكم الصِّغار».

دمدمَ اللورد مورمونت: «الحَرس ليس في حاجةٍ إلى المزيد من صبيان الاسطبلات، لكن يبدو أن هؤلاء هُم كلُّ من يُرسِلون إلينا هذه الأيام، صبيان الاسطبلات واللُّصوص والمُغتَصِبين. السير أليسر فارس مُنَصَّب، وأحد الفُرسان القلائل الذين ارتدوا الأسود منذ أصبحتُ قائدًا، ولقد قاتلَ بشجاعةٍ في كينجز لاندنج».

قال السير چارمي ريكر بلهجةٍ جافَّة: «على الجانب الخطأ. سَلني أنا، فقد كنتُ هناك معه. يومها أعطانا تايوين لانستر خيارًا رائعًا: إمَّا أن نرتدي الأسود أو يُعَلَّق رأس كلٍّ منا على خازوقٍ قبل حلول المغرب. لا أقصدُ إساءةً طبعًا يا تيريون».

- «لا إساءة على الإطلاق يا سير چارمي، فأبي مولع بالرؤوس المخوزَقة، بالذَّات تلك التي تنتمي لمن أثاروا ضيقه بشكلٍ أو بآخَر، وبوجهٍ نبيلٍ كوجهك لا شكَّ أنه تصوَّره وهو يُزَيِّن سور المدينة فوق بوَّابة المَلك. أعتقدُ أنك كنت لتبدو أخَّاذًا هناك!».

أجابَ السير چارمي بابتسامةٍ متهكِّمة: «أشكرك».

تنحنحَ حضرة القائد مورمونت وقال: «أحيانًا أخشى أن السير أليسر يقول الحقَّ عنك يا تيريون، فأنت تسخر منا ومن هدفنا النَّبيل فعلًا».

هَزَّ تيريون كتفيه مجيبًا: «كلنا يحتاج إلى من يسخر منه بين الحين والآخَر أيها اللورد مورمونت، خشية أن نأخذ أنفسنا على محمل الجَدِّ أكثر من اللَّازم»، ثم رفع كأسه وقال: «المزيد من النَّبيذ من فضلكم».

ريثما ملأ ريكر كأسه له قال باوِن مارش: «تعاني من ظمأٍ شديدٍ بالنِّسبة لرجلٍ صغيرٍ مثلك».

- «أظنُّ أن اللورد تيريون رجل كبير جدًّا»، قال المِايستر إيمون من

مكانه عند نهايةِ المائدة. كان يتكلَّم بصوتٍ خفيض، وإن لاذَ جميع كبار قيِّمي حَرسِ اللَّيل بالصَّمت التَّام كي يسمعوا ما يقوله الرَّجل الطَّاعن في السِّن. «أظنُّ أنه عملاق جاءَ ليكون بيننا ها هنا عند نهاية العالم».

أجابَه تيريون بلُطف: «لقد أُطلِقَت عليَّ أسماء عديدة يا سيِّدي، لكن نادرًا ما كان "العملاق" منها».

قال المِايستر إيمون وقد دارَ بعينيه الغائمتين ذاتا اللَّون الأبيض كالحليب نحو تيريون: «ما زلتُ أعتقدُ أن هذا صحيح رغم كلِّ شيء».

كانت هذه من المرَّات النَّادرة التي وجدَ تيريون نفسها فيها عاجزًا عن الرَّد، فلم يملك إلَّا أن يحني رأسه ويقول: «أنت شديد السَّماحة أيها المِايستر إيمون».

ابتسمَ الرَّجل الضَّرير. كان ضئيلًا، امتلأ وجهه بالتَّجاعيد وزالَ شَعره تمامًا، وتقلَّص حجمه مع المئة عام التي قضاها حيًّا، وأحاطَت سلسلة المِايستر ذات الحلقات التي تتكوَّن من شتَّى المعادن برقبته المهزولة. قال المِايستر: «لقد وُصِفْتُ بأشياءَ عديدة يا سيِّدي، لكن نادرًا ما كانت السَّماحة منها»، وهذه المرَّة كان تيريون هو من قادَ الضَّحك الذي تفجَّر بينهم.

بَعد فترةٍ طويلةٍ من هذا، عندما فرغوا من الأكل وغادرَ الآخَرون، أشارَ مورمونت لتيريون بالجلوس على مقعدٍ بالقُرب من النَّار وقدَّم له كأسًا من الخمر المتبَّل في غاية القوَّة حتى أن عينيه دمعتا. قال له حضرة القائد وهما يحتسيان شرابهما: «طريق الملوك قد يكون خطرًا على هذه المسافة شمالًا».

قال تيريون: «چيك وموريك سيكونان معي، كما أن يورن في طريقه إلى الجَنوب مرَّةً أخرى».

رَدَّ مورمونت بلهجةٍ لا تحتمل النِّقاش: «يورن مجرَّد رجلٍ واحد. سيصحبك رجال من حَرس اللَّيل حتى وينترفل، ثلاثة منهم كفاية».

قال تيريون: «إذا كنتَ مُصِرًّا يا سيِّدي. ربما يُمكنك أن تُرسِل سنو الصَّغير، فسيسعد لفرصة رؤية إخوته».

تجهَّمت ملامح مورمونت من وراء لحيته الشَّيباء الكثيفة وقال: «سنو؟ آه، تَقصِد نغل ستارك. لا أظنُّ، فالصِّغار في حاجةٍ لأن ينسوا الحياة التي تركوها وراءهم، إخوتهم وأمهاتهم وما إلى ذلك. زيارتهم لديارهم لن تفعل شيئًا غير تحريك مشاعر من الأفضل أن تُترَك خامدةً. صدِّقني، إنني أعرفُ تلك الأشياء... مِج مورمونت، أختي التي من لحمي ودمي، تَحكُم جزيرة الدِّببة الآن بعد العار الذي كلَّل ابني نفسه به، ولديَّ ابنة أختٍ لم أرها قَطُّ»، وأخذَ رشفةً من الخمر وأضافَ: «كما أن چون سنو مجرَّد صبي، بينما سيصحبك ثلاثة من الرِّجال الأقوياء للحفاظ على سلامتك».

- «إنني متأثِّر من اهتمامك أيها اللورد مورمونت». كان الشَّراب قويًّا لدرجة أنه أدارَ رأس تيريون، لكنه لم يكن ثملًا لدرجة أنه لم يُلاحِظ أن الدُّب العجوز يريد شيئًا منه، فقال: «أتمنَّى أن أستطيع رَدَّ الجميل».

قال مورمونت بصراحةٍ تامَّة: «تستطيع هذا. إن أختك تجلس إلى جوار المَلك، وأخوك فارس عظيم، وأبوك أقوى لورد في المَمالك السَّبع على الإطلاق. كلِّمهم بالنِّيابة عنا، أخبِرهم عن حاجاتنا هنا. لقد رأيت بنفسك يا سيِّدي... الحَرس اللَّيلي يحتضر. قوَّتنا أقلُّ من ألف رجلٍ الآن، ستمئة هنا ومئتان في بُرج الظِّلال وأقلُّ من هذا في قلعة البَحر، والمُحارِبون يقلُّون عن ثُلث هذا العدد. "الجِدار" طوله مئة فرسخ... فكِّر في هذا، لو حدثَ وشَنَّ أحدهم علينا هجومًا، فلديَّ ثلاثة رجالٍ يُدافِعون عن كُلِّ ميلٍ منه».

قال تيريون متثائبًا: «ثلاثة وثُلث».

لم يبدُ أن مورمونت سمعه أصلًا. أدفأَ الرَّجل المُسِنُّ يديه أمام النَّار وقال: «لقد أرسلتُ بنچن ستارك للبحث عن ابن يون رويس الذي فُقِدَ في جولته الأولى. ابن رويس هذا كان أخضرَ كالعُشب في الصَّيف، لكنه أصرَّ على أن يحظى بشَرف القيادة قائلًا إن هذا من حقِّه كفارس. لم أرغب في الإساءة لوالده، فأذعنتُ وأرسلته مع رجلين اعتبرتهما بكفاءة أيٍّ من رجال حَرس اللَّيل أنفسهم... كنتُ أحمق».

- «أحمق!»، ردَّد الغُداف ورفعَ تيريون عينه إليه، وحدَّق الطَّائر بهاتين

العينين الخرزيَّتين السَّوداوين نافشًا ريشه. «*أحمق!*»، ردَّد الغُداف ثانيةً. لا ريب أن مورمونت سيَشعُر بشيءٍ من الاستياء إذا خنقَ تيريون هذا الطَّائر... للأسف.

لم يُعِر حضرة القائد اهتمامًا للطَّائر المزعج واستطردَ: «چارد كان في سِنِّي نفسها تقريبًا، وقضى وقتًا أطول مني على "الجِدار"، لكن يبدو أنه حنثَ بقَسمه وفرَّ. لم أكن لأُصَدِّق هذا عنه أبدًا، لكن اللورد إدارد ستارك أرسلَ لي رأسه من وينترفل. أمَّا رويس فلا أثر له على الإطلاق. متهرِّب واحد واثنان مفقودان، والآن اختفى بنچن ستارك أيضًا»، وأطلقَ زفرةً حارَّةً وتابعَ: «من أُرسِل بحثًا عنه إذن؟ سأبلغُ السَّبعين عامًا بعد عامين فقط، هَرِمًا ومُتعَبًا جدًّا ولا أقدر على حمل هذا العبء، لكن لو قرَّرتُ التَّقاعد فمن سيحمل الرَّاية من بَعدي؟ أليسر ثورن؟ باوِن مارش؟ سأكون أعمىً تمامًا كالمِايستر إيمون لو لم أرهما على حقيقتهما. لقد تحوَّل حَرس اللَّيل إلى شرذمةٍ من الصِّبية المشاكسين والمُسِنِّين المُتعَبين. بخلاف الرِّجال الذين يجلسون إلى مائدتي، فليس لديَّ غير عشرين رجلًا تقريبًا ممن يُجيدون القراءة، وأقل منهم ممن يُفَكِّرون أو يُخَطِّطون أو يقودون. في قديم الزَّمن كان حَرس اللَّيل يقضون الصَّيف في البناء، وكلُّ قائدٍ كان يُعَلِّي "الجِدار" عن سابقه، أمَّا الآن فإننا نبذل كلَّ ما في طاقتنا كي نبقى أحياء لا أكثر».

كان جليًّا لتيريون أنه جادٌّ تمامًا في كلامه، وشعرَ بشيءٍ من الحرج للرَّجل. لقد قضى مورمونت فترةً طويلةً من حياته على "الجِدار"، وكان في حاجةٍ لأن يُصَدِّق أن كلَّ تلك السَّنوات لها معنىً ولم تذهب سُدى. هكذا قال بجديَّة: «أعدك أن المَلك سيعلم بحاجتكم، وسأتكلَّم مع أبي وأخي كذلك». وسيفعل حقًّا... تيريون لانستر لا يخلف الوعد، لكنه لم يُفصِح عن باقي كلامه: سوف يتجاهله المَلك روبرت، وسيسأله اللورد تايوين إن كان قد فقدَ عقله، وچايمي سيكتفي بالضَّحك.

قال مورمونت: «أنت شابٌّ يا تيريون. كم شتاءً شهدت؟».

هَزَّ تيريون كتفيه مجيبًا: «ثمانية أو تسعة، لا أذكرُ بالضَّبط».

- «وكلها كان قصيرًا».

- «كما تقول يا سيِّدي». لقد وُلِدَ تيريون في قلب الشِّتاء، ذلك الشِّتاء القاسي الشَّنيع الذي قال المِايسترات إنه دامَ ثلاثة أعوام، لكن أقدم ذكريات تيريون كانت عن الرَّبيع.

- «عندما كنتُ صغيرًا كانوا يقولون إن الصَّيف الطَّويل يعني مجيء شتاءٍ طويلٍ أيضًا. هذا الصَّيف استمرَّ تسعة أعوامٍ بأكملها يا تيريون، والعام العاشر يدنو بسرعة، ففكِّر في هذا».

أجابَ تيريون: «عندما كنتُ أنا صغيرًا قالت لي مُرضِعتي إنه لو تحلَّينا بالصَّلاح، فسيأتي يوم تُنعِم فيه الآلهة على العالم بصيفٍ بلا نهاية. من المحتمَل إذن أننا أصلح مما حسبنا، والصَّيف العظيم حَلَّ أخيرًا». قالها وابتسم ساخرًا.

لم يبدُ حضرة القائد راضيًا، وقال: «أنت لست بالحُمق الذي يجعلك تُصَدِّق ذلك يا سيِّدي. لقد صارَ النَّهار أقصر بالفعل، ولا مجال للخطأ هنا، فقد تلقَّى إيمون رسائل من «القلعة» بها نتائج أبحاثٍ تتَّفق مع نتائجه. إن نهاية الصَّيف تُحَملِق في وجوهنا»، ومدَّ مورمونت يده وأطبقَ على يد تيريون بقوَّةٍ قائلًا: «لا بُدَّ أن تجعلهم يستوعبوا هذا، لا بُدَّ. أؤكِّدُ لك يا سيِّدي أن الظَّلام قادم. ثمَّة أشياءَ ضارية في الغابات، ذِئاب رهيبة وماموثات ودِببة جَليد تُناهِز الثِّيران البريَّة حجمًا، ولقد رأيتُ أشياءَ أشنع في أحلامي».

- «في أحلامك»، ردَّد تيريون مفكِّرًا أنه يحتاج بشدَّة إلى شرابٍ قويٍّ آخَر.

لم ينتبه مورمونت للمحة السُّخرية في صوته، وقال: «الصيَّادون بالقُرب من قلعة البَحر رأوا المُشاة الشَّاحبين على السَّاحل».

هذه المرَّة لم يستطِع تيريون أن يمسك لسانه، وقال: «والصيَّادون في لانسپورت كثيرًا ما يرون عرسان البحر».

- «دانس ماليستر كتبَ لنا قائلًا إن سُكَّان الجبال بدأوا الهجرة جَنوبًا،

ينتقلون إلى ما وراء بُرج الظِّلال بأعدادٍ أكبر مما شُوهِد من قبل على الإطلاق. إنهم يهربون يا سيِّدي... لكن يهربون من ماذا بالضَّبط؟». نهضَ اللورد مورمونت ووقفَ عند النَّافذة يُحَدِّق في ظلام اللَّيل. «إن عظامي عجوز يا لانستر، لكنها لم تَشعُر ببردٍ كهذا من قبل قَطُّ. أستحلفك أن تُخبِر المَلك بما قلته لك. الشِّتاء قادم لا محالة، وعندما يحلُّ اللَّيل الطَّويل لن يكون هناك سوى حَرس اللَّيل ليَصُدُّوا الظُّلمات الآتية من الشَّمال مكتسحةً كلَّ شيءٍ في طريقها. فلتُساعِدنا الآلهة لو لم نكن مستعدِّين لهذا».

- «فلتُساعِدني أنا الآلهة لو لم أنل قسطًا من النَّوم اللَّيلة. يورن مصمِّم على التحرُّك مع أول نورٍ للفَجر». نهضَ تيريون شاعرًا بالنُّعاس من الخمر والتَّعب من الكلام عن الموت والهلاك، وقال: «أشكرك على استضافتك الكريمة وكلِّ ما قدَّمته لي أيها اللورد مورمونت».

- «أخبِرهم يا تيريون، أخبِرهم واجعلهم يُصَدِّقون. هذا هو كلُّ الشُّكر الذي أحتاجه»، ثم أطلقَ صفيرًا وحلَّق غُدافه إليه وحَطَّ على كتفه، فابتسمَ مورمونت وأطعمَ الطَّائر بعض حبوب الذُّرة من جيبه، وهكذا فارَقه تيريون.

كان البَرد قارسًا في الخارج حقًّا، وأحكمَ تيريون لانستر ثيابه الثَّقيلة عليه وارتدى قُفَّازيه وهزَّ رأسه للبائسَيْن المتجمِّدَيْن اللذين وقفا حراسةً خارج حِصن القائد، قبل أن يقطع السَّاحة متَّجهًا إلى سكنه في بُرج المَلك بأكبر قَدرٍ من الخفَّة تستطيعه ساقاه. تهشَّمت طبقة الثَّلج الرَّقيقة التي تكوَّنت على الأرض مع حلول اللَّيل تحت قدميه، وخرجَت أنفاسه محمَّلةً بالبُخار من أنفه كأنها عَلم يُرَفرِف. دَسَّ يديه تحت إبطيه ومشى بسرعةٍ أكبر آملًا أن موريك تذكَّر أن يُدَفِّئ فراشه بقوالب الطُّوب السَّاخنة من المُستوقَد.

وراء بُرج المَلك كان "الجِدار" يتلألأ في نور القَمر بغموضٍ وتجبُّر. توقَّف تيريون للحظةٍ ورفعَ عينيه إليه وساقاه تؤلمانه من البَرد والمشي السَّريع.

وفجأةً تملَّكه جنونٌ غريب تمامًا عليه، توقٌ لأن يُلقي نظرةً أخرى على المكان الذي ينتهي فيه العالم. فكَّر أن هذه فُرصته الأخيرة، لأنه سيبدأ

رحلته جَنوبًا غدًا، كما أنه لا يتصوَّر سببًا يجعله يعود مرَّةً أخرى إلى هذا القَفر الجَليدي. كان بُرج المَلك أمامه، يعده بالدِّف وفِراشٍ وثير، لكن تيريون وجدَ نفسه يمرُّ به دون أن يتوقَّف، ويتَّجه نحو "الجِدار" الشَّاحب الشَّاهق برهبته التي لا تخلو من جمال.

كانت هناك سلالم خشبيَّة ترتفع على وجه "الجِدار" الجَنوبي وقد ثبَّتتها دعامات خشبيَّة ضخمة غائصة في عُمق الجَليد ومتجمِّدة في مكانها. كانت الدَّرجات مصمَّمةً بحيث تتبادَل إلى الأمام والخلف لتَحفُر طريقها في الجَليد صعودًا إلى أعلى فتبدو متمعِّجةً كصاعقةٍ من البَرق. كان الإخوة السُّود قد أكَّدوا له أن الدَّرجات أقوى بكثيرٍ مما تبدو، لكن ساقي تيريون كانتا متشنِّجتين بشدَّةٍ تجعل من الصَّعب أن يُفكِّر مجرَّد التفكير في الصُّعود. بدلًا من هذا اتَّجه إلى القفص الحديدي المُجاور للبئر وصعدَ الدَّرجات القليلة التي تقود إليه، ثم شَدَّ الحبل الموصول بالجرس بقوَّةٍ ثلاث مرَّاتٍ سريعة.

طفقَ ينتظر هناك بين القضبان و"الجِدار" إلى ظَهره لما يَقرُب من دهر، حتى أنه بدأ يتساءل عن السَّبب الذي يجعله يفعل ما يفعله الآن. كان على وشك أن يتناسى نزوته المفائجة ويَخلُد إلى النَّوم، عندما اهتزَّ القفص ثم بدأ يصعد. تحرَّك القفص ببطء، بخشونةٍ في البداية ثم بسلاسةٍ أكبر، وابتعدَت الأرض من أسفل تيريون الذي أطبقَ بيديه على قضيبين حديديَّين مع تأرجُح القفص. كان يَشعُر ببرودة المعدَّن تتسلَّل إلى يديه عبر القُفَّازين، وإن لاحظَ راضيًا أثناء ارتفاعه أن موريك قد أشعلَ نارًا في غُرفته، بينما كان بُرج القائد مظلمًا، وفكَّر أن الدُّب العجوز يتحلَّى بتعقُّلٍ أكثر منه.

ثم إنه تجاوزَ الأبراج والقفص لا يزال يرتفع به، واستقرَّت القلعة السَّوداء من تحته وقد رسمَ نور القَمر حدودها. كان بإمكانك أن ترى كم هي مكان خالٍ مقفر من على هذا الارتفاع، بحصونها الخالية من النَّوافذ وجدرانها المتداعية والسَّاحات المكتظَّة بالأحجار المحطَّمة. على مسافةٍ أبعد رأى تيريون أضواء بلدة المَناجذ، القرية الصَّغيرة التي

تقع على بُعد نِصف فرسخ جَنوبًا على طريق الملوك، وهنا وهناك لمعة نور القَمر المنعكس على سَطح الماء حيث تجري الجداول الجَليديَّة من أعالي الجبال لتشقَّ مجاريها بين السُّهول، بينما كانت بقيَّة العالم فراغًا موحشًا من التِّلال والحقول الصَّخريَّة والثُّلوج.

أخيرًا سمعَ صوتًا خشنًا من ورائه يقول: «بحقِّ الجحائم السَّبع، إنه القزم!»، قبل أن يتوقَّف القفص بحركةٍ مفاجئة ويتأرجحَ في مكانه ببطءٍ إلى الأمام والخلف وأحباله تُصدِر صريرًا.

- «تبًّا! دعه يَدخُل!». أصدرَ الخشب طقطقةً مرتفعةً والقفص ينزلق إلى الجانب، ثم أصبحَ "الجِدار" تحته مباشرةً. انتظرَ تيريون إلى أن كَفَّ القفص عن الأرجحة، قبل أن يدفع الباب ويثب إلى السَّطح الجَليدي. كان هناك شبح ثقيل يرتدي الأسود مائلًا على الرَّافعة، بينما أمسكَ آخَر القفص بيدٍ مغطَّاةٍ بقُفَّازٍ سميك. كان وجهاهما مستتريَيْن وراء وشاحين من الصُّوف فلم يظهر منهما غير الأعيُن، وتكوَّمت عليهما طبقات الجِلد والفرو السَّوداء تمامًا. سأله الواقف على الرَّافعة: «ما الذي أتي بك إلى هنا في هذه السَّاعة من اللَّيل؟».

أجابَ تيريون: «أردتُ إلقاء نظرةٍ أخيرة».

تبادلَ الرَّجلان نظرة، ثم قال الآخَر: «انظر كما تشاء، لكن احترس لئلَّا تَسقُط أيها الرَّجل الصَّغير، وإلَّا سلخَ الشَّيخ العجوز جلودنا». كان ثمَّة كوخ خشبي صغير يقع أسفل القفص الضَّخم مباشرةً، ولمحَ تيريون الوهج الخافت الآتي من المُستوقَد في الدَّاخل، وشعرَ بلمحةٍ عابرةٍ من الدِّفء عندما فتحَ عامل الرَّافعة الباب وعاد يَدخُل، وهكذا صارَ تيريون وحده تمامًا.

كان الجَوُّ زمهريرًا حقيقيًّا ها هنا، وشعرَ بالرِّيح تجذب ثيابه كعشيقةٍ لحوح. كانت قمَّة "الجِدار" أكثر اتِّساعًا من طريق الملوك نفسه في غير موضع، فلم يخشَ تيريون السُّقوط، وإن كان موطئ قدمه زَلِقًا أكثر مما يروق له. كان الإخوة السُّود يفرشون مساراتهم بالحجارة المسحوقة، لكن

ثقل العدد الذي لا يُحصى من خطوات الأقدام التي تطأه طوال الوقت كان يُذيب "الجِدار" من تحتها، فكان الجَليد يبدو كأنه ينمو حول الحَصى ويبتلعه حتى يصير الممرُّ أجرد من جديد، فيقوم الإخوة السُّود بسحق المزيد من الحجارة، وهكذا دواليك. لكن شيئًا من هذا لم يكن بمثابة عائقٍ أمام تيريون. تطلَّع إلى امتداد "الجِدار" شَرقًا وغَربًا، الطَّريق الأبيض الهائل الذي يبدو بلا بدايةٍ أو نهاية، والهاوية المظلمة على الجانبين. ثم إنه لسببٍ ما قرَّر التوجُّه غَربًا، وبدأ يمشي في ذلك الاتِّجاه تابعًا المسار الأقرب إلى الحافَّة الشَّماليَّة حيث يبدو الحصى مفروشًا حديثًا.

كانت وجنتاه المكشوفتان متورِّدتين تمامًا من فرط البَرد، وتألَّمت ساقاه أكثر مع كلِّ خطوة، لكن تيريون تجاهلهما ومضى قُدُمًا. دارت الرِّياح في دوَّاماتٍ من حوله، وانسحقَ الحَصى أكثر تحت حذائه، بينما من أمامه تتبَّع الشَّريط الأبيض خطوط التِّلال وارتفعَ أكثر فأكثر إلى أن غابَ وراء الأفق الغَربي. مَرَّ بمنجنيقٍ عملاقٍ يرتفع سور مدينةٍ بينما غاصَت قاعدته عميقًا في جَليد "الجِدار". كانت ذراع القذف قد خُلِعَت للصِّيانة ثم أُهمِلَت، ورآها تيريون ملقاةً هناك كلُعبةٍ مكسورةٍ نِصف مدفونةٍ في الجَليد.

جاءَ صوت مكتوم من على الجانب الآخَر من المنجنيق يُنادي: «من هناك؟ توقَّف!».

- «سأتجمَّدُ في مكاني إذا ظللتُ واقفًا طويلًا يا چون»، قال تيريون وهو يتوقَّف بينما انسلَّ الشَّبح الأبيض بصمتٍ نحوه وتشمَّم ثيابه. «أهلًا جوست».

اقتربَ منه چون سنو وقد بدا أكبر وأثقل تحت طبقاتٍ من الجِلد والفرو والقلنسوة التي غطَّت رأسه. «لانستر»، قال چون وهو يُزيح الوشاح الذي غطَّى فمه. «هذا آخِر مكانٍ كنتُ أتوقَّع رؤيتك فيه». كان يحمل رمحًا ثقيلًا ذا رأسٍ من الحديد يفوقه طولًا، بينما تدلَّى سيف من جانبه في غِمده الجِلدي، وعلى صدره عُلِّقَ بوق إنذارٍ أسودَ لامع ذو رباطٍ فضِّي.

قال تيريون: «هذا آخِر مكانٍ كنتُ أتوقَّعُ أن يراني فيه أحد في الواقع،

لكن نزوةً ما تملَّكتني بلا سبيلٍ لتنحيتها جانبًا. هل سيلتهم جوست يدي إذا لمسته؟».

أجابَ چون مؤكِّدًا: «ليس وأنا هنا».

حَكَّ تيريون الذِّئب الأبيض وراء أُذنيه وراقبَته العينان الحمراوان بلا اكتراث. كان ارتفاعه يَبلُغ صدر تيريون الآن، وراودَه إحساس كئيب بأن بَعد عامٍ واحدٍ آخَر سيضطرُّ لأن يرفع عينيه إلى أعلى كي يَنظُر إلى الذِّئب.

سألَ: «ماذا تفعل هنا اللَّيلة؟ أعني بالإضافة إلى تجميد قضيبك...».

قال چون: «وقعَ عليَّ الاقتراع لمناوبة الحراسة اللَّيليَّة. مرَّةً أخرى عملَ السير أليسر على أن يمنحني مسؤول الحراسة اهتمامًا خاصًّا. يبدو أنه يحسب أنهم لو جعلوني أبقى ساهرًا نِصف اللَّيل، فسأسقطُ نائمًا أثناء التَّدريبات الصَّباحيَّة، لكني خيَّبتُ أمله حتى الآن».

ابتسمَ تيريون قائلًا: «وهل تعلَّم جوست ألعاب الحواة بَعد؟».

أجابه چون مبتسمًا بدوره: «لا، لكن جرِن كان ثابت القدمين أمام هالدر هذا الصَّباح، ولم يَعُدْ پيپ يُسقِط سيفه كثيرًا كالسابق».

- «پيپ؟».

- «اسمه الحقيقي پيپار، الصَّبي صغير الحجم ذو الأُذنين الكبيرتين. لقد رآني أعملُ مع جرِن وطلبَ عوني. ثورن لم يُرِه حتى الطَّريقة السَّليمة للإمساك بالسَّيف»، ثم التفتَ ليَنظُر شَمالًا وقال: «عليَّ حراسة ميلٍ كاملٍ من "الجِدار"، فهل تمشي معي؟».

قال تيريون: «إذا مشيت ببُطء».

- «قال لي مسؤول الحراسة إن عليَّ أن أمشي لأمنع دمي من التجمُّد، لكنه لم يُحَدِّد سرعةً معيَّنَةً».

مشيا معًا وجوست يتحرَّك إلى جوار چون كظِلٍّ أبيضَ، وقال تيريون: «سأغادرُ غدًا».

كانت هناك لمحة غريبة من الحُزن في صوت چون وهو يقول: «أعرفُ».

- «أنوي التوقُّف في وينترفل في طريقي جَنوبًا، فهل لديك رسالة تُريد مني أن...».

- «قُل لروب إنني سأقودُ حَرس اللَّيل وأُحافِظُ على أمنهم، فربما يَجدُر به إذن أن يحترف أشغال الإبرة ويجعل ميكِن يُذيب سيفه ليصنع منه حدواتٍ للأحصنة».

قال تريرون ضاحكًا: «أخوك أكبر مني حجمًا، لذا أرفضُ توصيل أيِّ رسائل تُفضي إلى مقتلي».

- «لا بُدَّ أن ريكون سيتساءَل متى سأعودُ، فحاوِل أن تشرح له أين ذهبتُ إذا استطعت. قُل له إنه يستطيع أن يحظى بأشيائي وأنا غائبٌ، سيروق له هذا».

فكَّر تيريون لانستر أن النَّاس يطلبون منه الكثير اليوم، وقال: «يُمكنك أن تَكتُب كلَّ هذا في رسالةٍ كما تعلم».

توقَّف چون فجأةً وقال: «ريكون لا يستطيع القراءة بَعد، أمَّا بران... لا أدري أيَّ رسالةٍ أُرسِل إلى بران. ساعِده يا تيريون».

- «وأنَّى لي أن أُساعِده. إنني لستُ مِايستر كي أُخَفِّف عنه الألم، ولا أملكُ تعويذةً تُعيد إليه ساقيه».

قال چون سنو: «لكنك ساعدتَني عندما احتجتُ مساعَدتك».

- «لم أُعطِك شيئًا... مجرَّد كلمات».

- «إذن أعطِ كلماتك لبران كما فعلت معي».

قال تيريون: «إنك تَطلُب من رجلٍ أعرج أن يُعَلِّم طفلا كسيحًا الرَّقص، لكن مهما كان الدَّرس صادقًا فستكون النَّتيجة غير مُرضيةٍ في الغالب. لكني أعرفُ معنى أن يُحِبَّ المرء أخاه أيها اللورد سنو، لذلك سأُقَدِّم لبران كلَّ مساعَدةٍ صغيرةٍ في جُعبتي».

قال چون: «شكرًا لك أيها اللورد لانستر»، وخلعَ قُفَّازه ومدَّ يده عاريةً مضيفًا: «يا صديقي».

وجدَ تيريون نفسه متأثِّرًا على نحوٍ غريب، وقال بابتسامةٍ خفيفة:

«معظم أهلي نغول بشكلٍ أو بآخَر، لكنك أول من اعتبرته صديقًا لي»، وخلعَ قُفَّازه عن يده بأسنانه، ثم شَدَّ على يد سنو بقوَّة. ثم إنه عادَ يرتدي القُفَّاز، بينما عمدَ جون إلى المتراسِ الجَليدي الشَّمالي الواطئ. من أمامه كان "الجِدار" ينحدر بحدَّة نحو الظَّلام والبراري، وتحرَّك تيريون ليقف جنبًا إلى جنبٍ مع جون سنو على حافَّة العالم.

لم يكن حَرس اللَّيل يسمحون للغابة بالاقتراب لأكثر من نِصف ميلٍ من جانب "الجِدار" الشَّمالي، وهكذا حُصِدَت أدغال أشجار الصُّلب والحارس والبلُّوط التي نمَت هنا ذات يوم منذ قرونٍ، لعمل مساحةٍ كبيرةٍ مفتوحةٍ لا يُمكن أن يمرَّ عَدُوٌّ منها دون أن يراه أحد. سمعَ تيريون أن في أماكنٍ أخرى بطول "الجِدار"، فيما بين القلاع الثَّلاث، عادت الغابة البريَّة تنمو وتزحف من جديدٍ على مَرِّ العقود، حتى أنه أصبحَت هناك بقاع بعينها غرسَت فيها أشجار الحارس ذات اللَّونين الأخضر والرَّمادي وأشجار الويروود البيضاء الشَّاحبة جذورها في الأرض في ظِلِّ "الجِدار" نفسه، لكن شهيَّة القلعة السَّوداء للحطب كانت مفتوحةً دائمًا، وهنا حافظَت فؤوس الإخوة السُّود على بُعدٍ مناسبٍ للغابة طوال الوقت.

على أنها لم تكن بذلك البُعد. من على هذا الارتفاع كان باستطاعة تيريون أن يراها، أشجارها الدَّاكنة تلوح وراء مساحة الفضاء كجِدارٍ ثانٍ شُيِّدَ موازيًا للأول، جِدارٍ من اللَّيل. فؤوس قليلة ضربت في عُمق تلك الأشجار السَّوداء، حيث لا يستطيع نور القَمر نفسه اختراق الأعماق المتشابكة من الجذور والأشواك والفروع الطَّويلة. هناك كانت الأشجار تنمو ضخمةً، وقال الجوَّالة إنها تبدو كأنها تتوالَد ولا تعرف البَشر. لا عجبَ إذن أن حَرسِ اللَّيل أطلقَوا عليها اسم الغابة المسكونة.

وقفَ هناك يتطلَّع إلى كلِّ هذا الظَّلام الذي لا يتخلَّله أيُّ ضوءٍ في أيِّ مكان، والرِّيح تهبُّ عاصفةً والبَرد يخترق أحشاءه كالرِّماح، وشعرَ تيريون لانستر بأنه يكاد يُصَدِّق ما يُقال عن «الآخَرين»، العَدُوُّ الذي يأتي

ومعه اللَّيل، ولم تَعُدْ دُعاباته عن الجرامكنات والسناركات تبدو طريفةً لهذه الدَّرجة.

- «عمِّي في مكانٍ ما هناك»، قال چون سنو بتؤدةٍ وهو يتَّكئ على رمحه ويَرمُق الظُّلمات السَّرمديَّة. «يوم مناوَبتي اللَّيليَّة الأولى هنا كنتُ أفكِّرُ أن عمِّي بنچن سيعود اللَّيلة، وأني سأكونُ أول من يراه وأُطلِق النَّفير. لكنه لم يأتِ، لا ليلتها ولا اللَّيالي التي تلتها».

قال تيريون: «امنحه بعض الوقت».

في مكانٍ ما بعيدًا في الشَّمال أطلقَ ذِئب عُواءه، وانضمَّ إليه آخَر، ثم آخَر. رفعَ جوست رأسه وأصغى، بينما قال چون بتصميم وهو يضع يده على رأس الذِّئب الرَّهيب: «إذا لم يَعُدْ، سأعثرُ عليه أنا وجوست».

- «أُصَدِّقك»، قال تيريون... ثم إنه فكَّر مرتجفًا: *لكن من سيَعثُر عليك أنت؟*

آريا

كان أبوها يتشاجَر مع المجلس مرَّةً أخرى. قرأت آريا هذا في ملامحه عندما جاءَ إلى المائدة متأخِّرًا مرَّةً أخرى كعادته في الآونة الأخيرة. كان الطَّبق الأول -الحساء الحُلو الثَّخين المصنوع من اليقطين- قد رُفِعَ عن المائدة بالفعل عندما دلفَ ند ستارك بخطواتٍ واسعةٍ إلى القاعة الصَّغيرة. كانوا يُطلقون عليها هذا الاسم لتمييزها عن القاعة الكبيرة، حيث يستطيع المَلك أن يولِم لألف فردٍ، لكنها كانت عبارةً عن غُرفةٍ طويلةٍ ذاتِ سقفٍ عالٍ مقنطَر رُصَّت فيها دِكَكٌ يُمكنها استيعاب مئتي فردٍ يجلسون إلى الموائد المرتفعة. قال چوري: «سيِّدي» عندما دخلَ أبوها، ونهضَ ومعه بقيَّة الحَرس. كان كلٌّ منهم يرتدي معطفًا جديدًا من الصُّوف الرَّمادي الثَّقيل مع حاشيةٍ من الساتان الأبيض، بينما ثُبِّتت يدٌ مصنوعة من الفضَّة المدقوقة طيَّات كلِّ عباءةٍ لتُمَيِّز مرتديها باعتباره من حَرس أهل بيت يَدِ المَلك. كان هناك خمسون منهم لا أكثر، فظلَّ معظم الدِّكك خاليًا.

- «اجلسوا»، قال إدارد ستارك. «أرى أنكم بدأتم من دوني. يُسعِدني أن أرى أنه ما زال هناك رجال يتمتَّعون بعقولهم في هذه المدينة». أشارَ لهم باستكمال وجبتهم، وبدأ الخدم يجلبون أطباقًا من الأضلاع المشويَّة بالثُّوم والأعشاب.

قال چوري وهو يُعاوِد الجلوس: «يتكلَّمون في السَّاحة عن دورة

مبارياتٍ ستُقام يا سيِّدي، يقولون إن الفُرسان سيأتون من جميع أنحاء البلاد للتبارُز والاحتفال بتنصيبك يَدًا للمَلك».

كان جليًّا لآريا أن أباها لم يكن راضيًا عن هذا وهو يقول: «هل يقولون أيضًا إن هذا آخِر شيءٍ أرغبُ فيه في العالم؟».

اتَّسعت عينا سانزا عن آخِرهما وقالت مبهورةً: «دورة مباريات؟». كانت جالسةً بين السِّپتة موردن وچين پوول، على أبعد مسافةٍ تستطيعها من آريا دون أن تتلقَّى لومًا من أبيها. «هل سيُسمَح لنا بالحضور يا أبي؟».

- «أنتِ تعرفين مشاعري الحقيقيَّة نحو الأمر يا سانزا. يبدو أن عليَّ القيام بالتَّجهيزات لألعاب روبرت وأتظاهَر بأني أستمتعُ بهذا التَّكريم من أجل خاطِره، لكن هذا لا يعني أن عليَّ تعريض ابنتيَّ لتلك الحماقة».

قالت سانزا: «أوه، أرجوك، أريدُ أن أتفرَّج».

قالت السِّپتة موردن: «ستكون الأميرة مارسلا حاضرةً يا سيِّدي، وهي أصغر سِنًّا من سانزا، كما أنه سيكون من المتوقَّع حضور جميع سيِّدات البلاط لمناسبةٍ كُبرى كهذه. ثم إن الدَّورة مقامة على شرفك، وسيبدو من الغريب ألَّا تحضر عائلتك».

بدا أبوها منزعجًا، وإن قال: «أعتقدُ هذا. ليكن، سأُرَتِّبُ لكِ مكانًا يا سانزا»، ثم لمحَ آريا فأضافَ: «لكما معًا».

- «لا أبالي بدورتهم الحمقاء»، قالت آريا. كانت تعرف أن الأمير چوفري سيكون هناك، وهي تكره الأمير چوفري حقًّا.

رفعَت سانزا رأسها قائلةً: «سيكون حدثًا عظيمًا لا مكان لكِ فيه».

تجلَّى الغضب على وجه أبيها وهو يقول: «كفى يا سانزا وإلَّا غيَّرتُ رأيي. إنني مُتعَب حتى الموت من تلك الحرب المشتعلة بينكما بلا نهاية. إنكما أختان، وأتوقَّع منكما أن تتصرَّفا كأختين، مفهوم؟».

عضَّت سانزا شفتها السُّفلى وأومأت برأسها إيجابًا، بينما خفضَت آريا رأسها وحدَّقت واجمةً في طبقها. كانت تَشعُر بالدُّموع تلذع عينيها،

فمسحَتها غاضبةً وقد عزمت على عدم البكاء. لفترةٍ كان الصَّوت الوحيد في المكان هو صوت السَّكاكين والشُّوَك، ثم نهضَ أبوها قائلًا: «أستأذنكم، لا أعتقدُ أن لديَّ شهيَّة اللَّيلة»، ثم غادرَ القاعة.

بَعد انصرافه تبادلَت سانزا همساتٍ حماسيَّةٍ مع چين پوول، وعلى الجانب الآخَر من المائدة ضحكَ چوري على دعابةٍ ما، بينما بدأ هالن يتكلَّم عن الخيول قائلًا: «الحصان الحربي قد لا يكون صالحًا للمُبارَزة، لا، فهذا شيء مختلف، مختلف تمامًا». كان الرِّجال قد سمعوا هذا وأكثر منه من قبل، وصاحَ فيه دزموند وچاكس وهاروين ابن هالن أن يَصمُت، بينما طلبَ پورثر المزيد من النَّبيذ من الخدم.

لم يتكلَّم أحد مع آريا لكنها لم تُبالِ، بل إنها كانت تُفضِّل هذا، بل وكانت لتتناول كلَّ وجباتها وحدها في غُرفة نومها لو سمحوا لها. أحيانًا كانوا يسمحون لها بهذا فعلًا، حينما كان أبوها يتناوَل عشاءه مع المَلك أو مع لوردٍ أو مبعوثٍ ما من هنا أو هناك. بقيَّة الوقت كانوا يأكلون في غُرفته الشَّمسيَّة، هو وهي وسانزا فحسب، وكانت هذه هي الأوقات التي تفتقد فيها آريا إخوتها أكثر من أيِّ وقتٍ آخَر. كانت كلها رغبة في أن تُداعِب بران وتلعب مع ريكون الصَّغير وتجعل روب يبتسم لها، في أن يُبَعثِر چون شَعرها ويُخاطِبها بـ"أختي الصَّغيرة" كعادته ويتمَّ عباراته معها في آنٍ واحد. لكن لا أحد منهم كان هنا، وها هي وحيدة تمامًا بلا أحدٍ معها باستثناء سانزا، وسانزا لن تتكلَّم معها ما لم يُجبِرها أبوها على ذلك.

في وينترفل كانوا يأكلون في القاعة الكُبرى نِصف الوقت تقريبًا. كان أبوها يقول إن على اللورد أن يأكل مع رجاله إن كان يرغب في الاحتفاظ بهم. ذات مرَّةٍ سمعته يقول لروب: «اعرف الرِّجال الذين يتبعونك ودعهم يعرفونك. لا تَطلُب من رجالك أن يبذلوا حياتهم من أجل غريب». في وينترفل كان يحتفظ دائمًا بمقعدٍ إضافيٍّ على مائدته، وفي كلِّ يومٍ كان يدعو رجلًا مختلفًا للانضمام إليه على الطَّعام. في

ليلةٍ يكون ڤايون پوول، فيدور الكلام حول النَّقد والغلال والخدم، وفي اللَّيلة التَّالية يكون ميكِن، فيُصغي أبوها له إذ يتكلَّم ويتكلَّم عن الدُّروع والسُّيوف ودرجة الحرارة المناسبة لطرق وتشكيل معدنٍ ما. في يومٍ آخَر يكون هالن بكلامه اللانهائي عن الخيول، أو السِّپتون كايل من المكتبة، أو چوري، أو السير رودريك، أو حتى العجوز نان بحكاياتها.

لم تكن تُحَبِّذ شيئًا أكثر من الجلوس إلى مائدة أبيها وسماعه يتكلَّم. كانت تُحِبُّ الإصغاء لكلام الرِّجال الجالسين على الدِّكك كذلك، بمن فيهم المُحارِبون غير النِّظاميِّين والفُرسان الكيِّسون ومُرافِقوهم الشُّجعان والمُقاتِلون القُدامى. كانت ترميهم بكُرات الثَّلج وتُساعِدهم على سرقة الفطائر من المطبخ، وكانت زوجاتهم يُطعِمنها الكعك بينما تبتكر هي أسماءً لصغارهم وتلعب "الوحوش والعذارى" و"الكنز المخبَّأ" و"تعالَ إلى قلعتي" مع بقيَّة أطفالهم. كان توم السَّمين يُلَقِّبها بـ"آريا المُداسة" لأنها كانت دائمًا بين الأقدام، وقد راقَ لها هذا اللَّقب كثيرًا عن "آريا وجه الحصان".

لكن هذا كان في وينترفل التي تقع على بُعد عالمٍ كاملٍ من هنا حيث تغيَّر كلُّ شيء. كانت هذه هي المرَّة الأولى التي يتناولون فيها العشاء مع الرِّجال منذ وصولهم إلى كينجز لاندنج، وكانت آريا تكره هذا... كانت تكره وقع أصواتهم الآن والطَّريقة التي يضحكون بها والقصص التي يحكونها. لقد كانوا أصدقاءها وكانت تَشعُر بالأمان بينهم، لكنها أدركَت الآن أن كلَّ هذا لم يكن إلَّا كذبةً كبيرةً. لقد سمحوا للمَلكة بأن تَقتُل ليدي وكان هذا شنيعًا بما يكفي، لكن كلب الصَّيد عثر بَعدها على مايكا. كانت چين پوول قد قالت لآريا إنه قطَّعه إلى قِطَعٍ كثيرةٍ جدًّا حتى أنهم أعادوه إلى الجزَّار في جوال، وظنَّ المسكين في البداية أنه خنزير ذبحوه. لم يفتح أحدهم فاه بكلمة أو شهرَ سيفه أو أي شيء، لا هاروين الذي كان

يتكلَّم بجرأةٍ دائمًا، ولا آلين الذي يرغب في أن يصير فارسًا ذات يوم، ولا چوري قائد الحَرس... ولا حتى أبوها.

- «كان صديقي»، همسَت آريا لطبقها بصوتٍ خفيضٍ جدًّا كي لا يسمعها أحد. ظلَّت الأضلاع المشويَّة في مكانها دون أن تمسَّها وقد صارَت باردةً الآن وتكوَّنت طبقة رقيقة من الدُّهن المتخثِّر تحتها على الطَّبق. رمقَت آريا الطَّعام وشعرَت بالغثيان، ثم دفعَت مقعدها إلى الخلف ونهضَت.

سألتها السِّپتة موردن: «إلى أين تحسبين نفسكِ ذاهبةً أيتها الصَّغيرة؟».

جاهدَت آريا لتذكُّر الأسلوب المناسب للرَّد، وردَّدت بلهجةٍ فاترة: «لستُ جائعةً. هل تسمحين لي بالانصراف؟».

أجابَت السِّپتة: «كلا. إنكِ لم تمسِّي طعامك. ستجلسين وتُنَظِّفي الطَّبق».

- «نظِّفيه أنـتِ!»، وقبل أن يستطيع أحدهم إيقافها اندفعَت آريا كالسَّهم خارجةً من الباب، بينما ضحكَ الرِّجال ونادَت السِّپتة موردن عليها بصوتٍ يتعالى ويتعالى.

كان توم السَّمين في موقعه، يَحرُس مدخل بُرج اليَد، وقد اندهشَ لمَّا رأى آريا تندفع نحوه وسمعَ صياح السِّپتة العالي. قال وهو يمدُّ يده نحوها: «مهلًا أيتها الصَّغيرة، تعالي»، لكن آريا انزلقَت من بين ساقيه، ثم انطلقَت ترتقي سلالم البُرج الملولبة وقدماها تضربان الدَّرجات الحَجريَّة كالمطرقة، بينما يرغي توم السَّمين ويزبد من ورائها.

غُرفة نومها كانت المكان الوحيد الذي أحبَّته آريا في كينجز لاندنج كلها، وأكثر شيءٍ راقَ لها فيها هو الباب، ذلك اللَّوح العملاق المصنوع من خشب السَّنديان الداكن ذو الدِّعامات الحديديَّة السَّوداء. لا أحد كان يستطيع دخول الغُرفة عندما تُغلِق الباب وتُنزِل العارضة الثَّقيلة؛ لا السِّپتة موردن ولا توم السَّمين ولا سانزا ولا چوري ولا كلب الصَّيد... لا أحد! وهكذا صفقت الباب وراءها الآن.

وعندما أنزلَت العارضة، شعرَت آريا بالأمان الكافي لأن تبكي.

ذهبَت إلى المقعد المجاور للنَّافذة وجلسَت هناك تنشج شاعرةً بالكراهية نحوهم جميعًا، ونحو نفسها أكثر منهم. كانت غلطتها، كلُّ شيءٍ سيِّئ حدثَ كان غلطتها. سانزا قالت هذا، وچين كذلك.

كان توم السَّمين يَطرُق الباب ويُنادي: «آريا، يا فتاة، ماذا هناك؟ هل أنت في الدَّاخل؟».

صرخَت: «لا!»، وتوقَّف الطَّرق، وبَعد لحظةٍ سمعت خطوات أقدامه تبتعد. كان من السَّهل خداع توم السَّمين دائمًا.

ذهبَت آريا إلى الصُّندوق الموضوع عند قدم الفِراش ومالت عليه ورفعَت الغطاء، ثم بدأت تُخرِج ملابسها بكلتا يديها، أكوامًا من الحرير والساتان والمخمل والصُّوف ألقَت بها أرضًا بلا نظام. كان هناك في قاع الصُّندوق حيث أخفته، وأخرجَته آريا بحركةٍ أقرب إلى الحنان، ثم سحبَت السَّيف النَّحيل من غِمده.

إبرتها.

فكَّرت في مايكا مرَّةً أخرى واغرورقت عيناها بالدُّموع من جديد... إنها غلطتها، غلطتها، غلطتها... لو لم تَطلُب منه أن يلعب معها...

دقَّ الباب مرَّةً أخرى أعنف من سابقتها. «آريا ستارك، افتحي هذا الباب حالًا، هل تسمعينني؟».

دارَت آريا على عقبيها وإبرتها في يدها وصاحَت: «إياكِ أن تَدخُلي!»، وشقَّت الهواء بالسَّيف بحركاتٍ ضارية.

جاءَها صوت السِّپتة موردن محمَّلًا بالغضب من وراء الباب: «سوف يعرف حضرة اليَد بهذا!».

صرخَت آريا: «لا أبالي! اذهبي!».

- «سوف تندمين على هذا السُّلوك المشين أيتها الصَّغيرة، أعدك بهذا».

وقفَت آريا وراء الباب تُصغي إلى أن سمعَت خطوات السِّپتة تبتعد، ثم عادَت إلى النَّافذة وإبرتها في يدها وتطلَّعت إلى السَّاحة في الأسفل ليتها تستطيع التسلُّق مِثل بران... لخرجَت من النَّافذة ونزلَت من البُرج وفرَّت من هذا المكان البغيض، بعيدًا عن سانزا والسِّپتة موردن والأمير چوفري، بعيدًا عنهم جميعًا... لسرقَت بعض الطَّعام من المطابخ وأخذَت إبرتها وحذاءها الثَّقيل ومعطفًا دافئًا... لعثرَت على نايميريا في مكانٍ ما في البراري تحت الثَّالوث وعادتا معًا إلى وينترفل أو ذهبتا إلى چون على "الجِدار". وجدَت نفسها تتمنَّى لو أن چون كان معها هنا والآن، فلربما لم تكن لتَشعُر بتلك الوحدة الجاثمة على صدرها.

طَرقة خفيفة على الباب من ورائها جعلَت آريا تلتفت بعيدًا عن النَّافذة وأحلامِ الفرار، وسمعَت صوت أبيها يقول: «آريا، افتحي الباب، يجب أن نتكلَّم».

قطعَت آريا الغُرفة ورفعَت العارضة لتجد أباها واقفًا وراء الباب وحده. كان يبدو حزينًا أكثر منه غاضبًا، ما جعلَ مشاعرها تسوء أكثر. سألها بهدوء: «هل تسمحين لي بالدُّخول؟»، فأومأت برأسها وخفضَت ناظريها إلى الأرض شاعرةً بالخجل الشَّديد. أغلقَ أبوها الباب وسألها: «سيف مَن هذا؟».

- «سيفي». كانت آريا قد نسيت وجود إبرتها في يدها.

- «أعطيني إياه».

بتردُّدٍ سلَّمته آريا سيفها وهي تتساءل في قرارة نفسها إن كانت ستحمله ثانيةً، وأداره أبوها في الضَّوء فاحصًا المقبض والنَّصل واختبرَ رأسه بإبهامه، ثم قال: «هذا سيف مُبارِز براڤو. لكني أعرفُ علامة صانعه. هذا عمل ميكِن لا شكَّ».

لم يكن باستطاعة آريا أن تكذب عليه، فاكتفَت بأن خفضَت عينيها.

تنهَّد اللورد إدارد ستارك وقال: «ابنتي ذات الأعوام التِّسعة تُسَلَّح

نفسها من ورشة سلاحي وأنا لا أدري شيئًا عن الأمر. من المفترَض أن يَحكُم يَدُ المَلك المَمالك السَّبع، لكن يبدو أني لا أستطيعُ أن أحكم أهل بيتي حتى. كيف تحصَّلتِ على هذا السَّيف يا آريا؟ من أين أتيتِ به؟».

مضغَت آريا شفتها ولم تقل شيئًا. إنها لن تشي بجون، ولا حتى لأبيها.

بَعد قليلٍ قال اللورد إدارد: «لا أعتقدُ أن هذا يهمُّ حقًّا»، ورمقَ السَّيف في يده بتجهُّم مضيفًا: «إنه ليس لُعبة أطفال، خصوصًا بالنِّسبة لفتاة. ماذا ستقول السِّپتة موردن لو عرفَت أنكِ تلعبين بالسُّيوف؟».

قالت آريا بإصرار: «لم أكن ألعب، ثم إنني أكرهُ السِّپتة موردن».

- «كفى!»، قال أبوها بصوتٍ صارم جاف. «السِّپتة لا تفعل شيئًا أكثر من واجبها، والآلهة تعلم أنكِ جعلته بمثابة كفاحٍ حقيقيٍّ للمرأة المسكينة. لقد كلَّفتها أنا وأمكِ بمهمَّةٍ مستحيلةٍ هي تحويلكِ إلى ليدي».

صاحَت آريا ساخطةً: «لكني لا أريدُ أن أكون ليدي!».

- «يَجدُر بي أن أكسر هذه اللُّعبة إلى نِصفين على رُكبتي هنا والآن وأضع نهايةً لهذا الهراء».

- «لن تنكسر "الإبرة"»، قالت آريا بتحدٍّ وإن خانها صوتها على الرغم من ذلك.

تنَّهد أبوها ثانيةً وقال: «ولديه اسم كذلك؟ آهٍ يا آريا، ثمَّة جموح منقطع النَّظير فيكِ يا بُنيَّتي، كان أبي يُسَمِّيه "دم الذِّئب". ليانا كانت تملك لمحةً منه، وبراندون أكثر من لمحة، ولم يتسبَّب إلَّا في إرسالهما إلى حتفهما المبكِّر». كانت نبرة الحُزن جليَّةً في صوته. لم يكن أبوها يتكلَّم كثيرًا عن أبيه، أو عن الأخ والأخت اللذين ماتا قبل أن تولد. «كانت ليانا لتحمل سيفًا لو سمحَ لها أبي. إنكِ تُذَكِّرينني بها أحيانًا، بل إنك تُشبِهينها كذلك».

قالت آريا مندهشةً: «ليانا كانت جميلةً». كان الجميع يقولون هذا عن ليانا، لكن أحدًا لم يقله قَطُّ عن آريا.

قال إدارد ستارك: «أجل، كانت جميلةً، وعنيدةً، وماتَت قبل الأوان»، ورفعَ السَّيف بينهما قائلًا: «قولي لي يا آريا، ماذا كنتِ تنتوين فِعله بهذا الـ... الإبرة؟ مَن كنت تريدين طعنه؟ أختك؟ السِّپتة موردن؟ هل تعرفين أيَّ شيءٍ عن القتال بالسَّيف أصلًا؟».

كان كلُّ ما استطاعَت التَّفكير فيه هو الدَّرس الذي لقَّنها چون إياه، فقالت باندفاع: «أطعنهم بالطَّرف المدبَّب».

لم يملك أبوها إلَّا أن يضحك، وقال: «هذا هو المبدأ الأساسي على ما أعتقدُ».

أرادَت آريا بشدَّةٍ أن تشرح له، أن تجعله يرى، فقالت: «كنتُ أحاول أن أتعلَّم، لكن...»، وامتلأت عيناها بالدُّموع الحارَّة وهي تُكمِل: «طلبتُ من مايكا أن يتمرَّن معي». تملَّكها حُزنها كله في لحظة، والتفتَت بعيدًا وهي ترتجف باكيةً. «أنا التي طلبتُ منه. كانت غلطتي، أنا التي...».

وجدَت ذراعي أبيها تحتويانها فجأةً، واحتضنَها برفقٍ وهو يُديرها نحوه لتبكي على صدره، وغمغمَ: «لا يا حُلوتي. احزني على صديقكِ لكن لا تلومي نفسكِ أبدًا. إنكِ لم تَقتُلي صبيَّ الجزَّار. هذه الجريمة ذنب كلب الصَّيد، هو والمرأة المتوحِّشة التي يخدمها».

قالت آريا وقد احمرَّ وجهها وسالَ أنفها: «إنني أكرههم، كلب الصَّيد والمَلكة والمَلك والأمير چوفري، أكرههم كلهم. چوفري كاذب، وما قاله لم يَحدُث. وأكرهُ سانزا أيضًا، لأنها كانت تَذكُر ما حدثَ، لكن البَلهاء كذبَت كي تروق لچوفري».

قال أبوها: «كلنا نكذب، أم أنكِ حسبتِ حقًّا أنني أُصَدِّقُ أن نايميريا قد هربَت؟».

احمرَّ وجه آريا أكثر وقالت كالمُذنبين: «چوري وعدَ بألَّا يقول».

قال أبوها مبتسمًا: «ولقد حافظَ چوري على وعده. ثمَّة أشياءَ لا

أحتاجُ لأن يُخبِرني أحدهم بها. حتى الأعمى كان باستطاعته أن يرى أن تلك الذِّئبة لم تكن لتَترُكَكِ بإرادتها».

قالت بتعاسة: «اضطررنا لأن نقذفها بالحجارة. قلتُ لها أن تهرب، أن تجري وتصير حُرَّةً، قلتُ لها إنني لم أعد أريدها. كانت هناك ذِئاب أخرى تلعب معها. لقد سمعنا عُواءها، كما أن چوري قال إن الغابة مليئة بالطَّرائد وستجد غزلانًا تصيدها، لكنها ظلَّت تتبعنا، وفي النهاية اضطررنا لأن نقذفها بالحجارة. أصبتها مرَّتين، فأطلقَت أنينًا ونظرَت لي وشعرتُ بالخزي. لكنه كان التصرُّف السَّليم، أليس كذلك؟ كانت المَلكة ستَقتُلها».

قال أبوها: «كان التصرُّف السَّليم حقًّا، وحتى الكذبة كانت... كان لا يعوزها الشَّرف». كان قد وضعَ "الإبرة" جانبًا عندما ذهبَ ليحتضن آريا، والآن التقطَ السَّيف مرَّةً أخرى ووقفَ عند النَّافذة يتطلَّع إلى السَّاحة. بدا غائبًا في تفكيرٍ عميق عندما التفتَ إليها، ثم جلسَ على المقعد المجاور للنَّافذة ووضعَ السَّيف في حِجره، وقال: «اجلسي يا آريا. أريدُ أن أحاول أن أشرح لك بضعة أشياءَ».

جلسَت متوتِّرةً على حافَّة الفِراش، وقال لها: «أنتِ أصغر كثيرًا من أن أُحَمِّلك همومي، لكنكِ في الوقت عينه من آل ستارك أبناء وينترفل، وتعرفين كلماتنا».

همسَت آريا: «*الشِّتاء قادم*».

- «نحن في أوقاتٍ عصيبة يا صغيرتي، ولقد تذوَّقنا شيئًا منها بالفعل على ضفاف الثَّالوث وعندما سقطَ بران. أنتِ وُلِدتِ في الصَّيف الطَّويل يا حُلوتي ولا تعرفين غيره، لكن الشِّتاء قادم الآن حقًّا. تذكَّري رمز عائلتنا يا آريا».

- «الذِّئب الرَّهيب»، قالت مفكِّرةً في نايميريا، وضمَّت رُكبتيها إلى صدرها محتضنةً إياهما وقد انتابها خوف مفاجئ.

- «دعيني أُخبِركِ بشيءٍ عن الذِّئاب يا صغيرتي. عندما تَسقُط الثُّلوج

وتهبُّ الرِّيح البيضاء يَنفُق الذِّئب الوحيد بينما ينجو القطيع. الصَّيف هو وقت المشاجَرات والمشاحَنات، أمَّا في الشِّتاء فينبغي أن نحمي بعضنا بعضًا ونُحافِظ على دِفء بعضنا بعضًا ونتشارك قوَّتنا. لذا إذا كان ينبغي أن تكرهي أحدًا يا آريا، فاكرهي أولئك الذين يرغبون في أذيَّتنا حقًّا. السِّپتة موردن امرأة صالحة، وسانزا... سانزا أختكِ. قد يكون الاختلاف بينكما كالاختلاف بين الشَّمس والقَمر، لكن الدِّماء نفسها تجري في عروقكما. إنكِ تحتاجينها كما تحتاجك بالضَّبط، وأنا أحتاجُ إليكما معًا، ولترحمني الآلهة».

كان مُتعَبًا لدرجةٍ أثارَت في آريا الحُزن من أجله، فقالت له: «إنني لا أكرهُ سانزا حقًّا».

كان ما قالته نِصف كذبة.

- «لا أقصِد أن أخيفكِ، لكني لن أكذب عليكِ كذلك. لقد جئنا إلى مكانٍ مظلمٍ محفوفٍ بالمخاطر يا صغيرتي. نحن لسنا في وينترفل، ولدينا هنا أعداء يرغبون في إنزال البلاء بنا، فلا يُمكننا إذن أن نُشعِل حربًا بيننا كذلك. عنادكِ هذا وفراركِ والكلمات الغاضبة والعصيان... في الدِّيار لم يكن كلُّ هذا سوى ألعابٍ صيفيَّةٍ تُمارِسها طفلة صغيرة، لكن هنا والآن والشِّتاء على الأبواب يختلف الأمر. لقد حانَ الوقت لتكبُري».

قالت آريا واعدةً إياه: «سأفعلُ». لم تَشعُر نحوه في حياتها بحُبٍّ كالذي غمرَها في تلك اللَّحظة. «يُمكنني أن أكون قويَّةً كذلك، قويَّةً كروب».

رفعَ "الإبرة" وناوَلها إياه من المقبض قائلًا: «هاكِ».

نظرَت إلى السَّيف بعينين مليئتين بالدَّهشة، وللحظةٍ كانت تخشى أن تلمسه، تخشى أن يُنتزَع منها مرَّةً أخرى إذا مدَّت يدها إليه، لكن أباها قال: «خُذيه، إنه لكِ»، فالتقطَت السَّيف في يدها.

- «يُمكنني الاحتفاظ به حقًّا؟».

ابتسمَ مجيبًا: «حقًّا. إذا أخذته فلا شَكَّ أنني سأجدُ كرةً شائكةً تحت وسادتكِ خلال أسبوعين. حاولي ألَّا تطعني أختكِ مهما استفززتكِ».

- «أعدكَ أني لن أفعل»، وضمَّت «الإبرة» إلى صدرها بقوَّةٍ بينما غادرَ أبوها.

وفي الصَّباح التَّالي على مائدة الإفطار اعتذرَت آريا للسِّپتة موردن وطلبَت منها الصَّفح، ورمقَتها السِّپتة بشكٍّ لكن أباها هَزَّ رأسه موافقًا.

وبَعد ثلاثة أيام أرسلَ ڤايون پوول وكيل أبيها آريا إلى القاعة الصَّغيرة. كان الوقت ظُهرًا، وتمَّ تفكيك الموائد العالية ودُفِعَت الدِّكك عند الجدران. بدت القاعة خاليةً تمامًا، إلى أن سمعَت صوتًا غير مألوفٍ لها يقول: «تأخَّرت يا ولد». خرجَ رجل نحيف ذو رأسٍ أصلع وأنفٍ كبيرٍ معقوف من بين الظِّلال حاملًا معه سيفين خشبيَّين نحيلين، وأضافَ: «غدًا ستكون موجودًا هنا مع حلول الظُّهر بالضَّبط». كان يتكلَّم بلكنةٍ أجنبيَّةٍ بها ذلك الإيقاع الغنائي الخفيف الذي يُمَيِّز المُدن الحُرَّة... براڤوس ربما، أو مير.

سألته آريا: «من أنت؟».

- «أنا معلِّم الرَّقص». ألقى لها واحدًا من السَّيفين الخشبيَّين، فمدَّت يدها إليه وأخطأته وسمعَت صوت ارتطامه بالأرض. «سوف تُمسِكه غدًا، والآن التقطه من على الأرض».

لم يكن مجرَّد عصا، بل سيفًا خشبيًّا كاملًا له مقبض وواقٍ وقبيعة. التقطَته آريا وأطبقَت عليه بكلتا يديها بتوتُّر ورفعَته أمامها. كان أثقل مما يبدو، وأثقل كثيرًا من إبرتها.

طقطقَ الرَّجل الأصلع بأسنانه وقال: «هذه ليست الطَّريقة الصَّحيحة يا ولد. إنه ليس سيفًا عظيمًا يحتاج اليدين معًا للتَّلويح به. سوف تحمل السَّيف بيدٍ واحدة».

قالت آريا: «لكنه ثقيل جدًّا».

- «إنه ثقيل بما فيه الكفاية لأن يجعلك قويًّا، ومن أجل التَّوازُن السَّليم، والفراغ في داخله مملوء بالرَّصاص. إنه لا يحتاج غير يدٍ واحدة».

رفعَت آريا يدها اليُمنى عن المقبض ومسحَت راحتها المبلَّلة بالعَرق

على سروالها، ورفعَت السَّيف بيُسراها، وبدا الرَّجل الأصلع راضيًا. قال: «لا بأس باليد اليُسرى. عندما ينعكس كلُّ شيءٍ سيرتبك أعداءك أكثر. لكنك تقف بوضعٍ خطأ. دُر بجسدك إلى الجانب، نعم، هكذا. إنك نحيل كعمود الرُّمح، هل تعرف هذا؟ لا بأس بهذا أيضًا لأنه يجعل الهدف أصغر. والآن طريقة الإمساك بالمقبض، دعني أرى». اقتربَ منها وحدَّق في يدها، ثم فصلَ بين أصابعها وأعادَ ترتيب وضعها. «هكذا بالضَّبط، نعم. لا تعتصر المقبض بهذه القوَّة. يجب أن تكون مسكتك خفيفةً رشيقةً».

قالت آريا: «ماذا لو سقطَ مني؟».

- «يجب أن يكون السَّيف جزءًا من ذراعك. هل يُمكنك أن تُسقِط جزءًا من ذراعك؟ كلا. لتسعة أعوامٍ كاملةٍ كان سيريو فورل مُبارِز لدى أمير البَحر في براڤوس. إنه يعرف هذه الأشياء جيِّدًا، فأصغِ إليه يا ولد».

كانت هذه المرَّة الثالثة التي يُخاطِبها فيها بـ«يا ولد»، فقالت معترضةً: «أنا فتاة!».

قال سيريو فورل: «ولد، فتاة... أنت سيف وهذا كلُّ ما هنالك»، وطقطقَ بأسنانه وأردفَ: «هكذا، نعم، هذه هي المسكة. إنك لا تحمل بلطةً حربيَّةً، بل تحمل...».

- «... إبرةً»، قالت آريا مُنهِيَةً عبارته بحسمٍ عنيد.

- «ليكن... والآن سنبدأ رقصتنا. تذكَّر يا ولد أننا لا نتعلَّم رقصة وستروس الحديديَّة هنا، رقصة الفُرسان والدَّك والتَّمزيق، لا. هذه رقصة مُبارِز البراڤو، رقصة الماء، سريعة ومباغتة. كلُّ البَشر مخلوقون من الماء، هل كنت تعرف هذا؟ وعندما تطعنهم يتسرَّب الماء منهم ويموتون»، وأخذَ خطوةً إلى الوراء ورفع سيفه الخشبي وقال: «والآن ستُحاوِل أن تضربني».

وحاولَت آريا أن تضربه، حاولَت لأربع ساعاتٍ كاملةٍ بلا طائل، إلى أن أضحَت كلُّ عضلةٍ في جسدها تؤلمها، بينما طقطقَ سيريو فورل بأسنانه وقال لها ما ينبغي أن تفعله.

وفي اليوم التَّالي بدأ العمل الحقيقي.

دنيرس

- «بَحر الدوثراكي»، قال السير چورا مورمونت وهو يتوقَّف إلى جوارها على قمَّة الأخدود، ومن تحتهما امتدَّ السَّهل شاسعًا خاويًا لمدىً يَبلُغ الأُفق البعيد ويتجاوَزه. فكَّرت داني أنه بَحر حقًّا، فبَعد هذه النُّقطة لم تكن هناك تلال أو جبال أو أشجار أو مُدن أو طُرق؛ لا شيء غير أعشابٍ بلا نهايةٍ تتمايَل أوراقه الطَّويلة كالأمواج عندما تهبُّ الرِّيح. قالت مبهورةً: «كلُّ هذا الأخضر!».

قال السير چورا: «هو كذلك هنا والآن، لكن يَجدُر بكِ أن تريه عندما يُزهِر، فيمتلئ المكان بزهورٍ ذات لونٍ أحمرَ قانٍ من الأُفق إلى الأُفق كبَحرٍ من الدَّم، وبَعدها يأتي موسم الجفاف ويكتسي العالم بلون البرونز القديم. ثم إننا نتكلَّم عن عُشبة الهرانا فقط يا صغيرتي، بينما هناك مئات من أنواع الأعشاب الأخرى في بَحر الدوثراكي، أعشاب صفراء كاللَّيمون وأعشاب بلون النِّيلَج القاتم، أعشاب زرقاء وأخرى برتقاليَّة وأعشاب ملوَّنة كقوس قزح. يقولون إن في بلاد الظِّل الواقعة وراء آشاي هناك محيطات من العُشب الشَّبحي أطول من رجلٍ على متن حصان، أوراقها بيضاء كالحليب. ذلك العُشب يَقتُل بقيَّة الأعشاب ويتوهَّج في الظَّلام بأرواح الملعونين، ويؤمن الدوثراكي بأن العُشب الشَّبحي سوف ينتشر ليكسو العالم بأَسره ذات يومٍ وعندها ستنتهي الحياة كلها».

جعلَ هذا الخاطِر داني ترتجفُ خوفًا، وقالت: «لا أريدُ أن أتكلَّم

عن هذا الآن. المكان جميل جدًّا هنا، ولا أرغب في التَّفكير في فَناء كلِّ شيء».

قال السير چورا باحترام: «كما تأمرين يا گاليسي».

سمعَت الأصوات والتفتَت لتَنظُر وراءها. كانت هي ومورمونت قد سبقا الرَّكب بمسافةٍ لا بأس بها، والآن كان بقيَّتهم يصعدون الأُخدود أسفلهم. كانت وصيفتها إيري ورُماة الگاس الشُّبَّان مرنين سريعي الحركة كالقنطور الخُرافي، بينما ظَلَّ ڤسيرِس يُعاني مع رِكاب حصانه القصير وسَرجه المسطَّح. أخوها بائس حقًّا في هذا المكان، ولم يكن يَجدُر به أن يأتي. كان الماچستر إليريو قد ألَحَّ عليه أن يبقى في پنتوس وعرضَ عليه ضيافته في إيوانه، لكن رفض ڤسيرس كان قاطعًا. سوف يبقى مع دروجو إلى أن يُرَدَّ الدَّين، إلى أن يَحصُل على التَّاج الذي وُعِدَ به. «وإذا حاولَ خداعي، فسوف يعرف ما يعنيه إيقاظ التنِّين، وسيأسف كثيرًا»، قالها ڤسيرس متوعِّدًا وهو يضع يده على سيفه المستعار، فاكتفى إليريو بأن رمقَه بنظرة العليم ببواطن الأمور كردٍّ، وتمنَّى له حظًّا سعيدًا.

وجدَت داني أنها لا ترغب في سماع أيٍّ من شكاوى أخيها الآن. كان اليوم جميلًا بالفعل، السَّماء ذات لونٍ أزرقَ عميق، وفي الأعالي فوقهم أخذَ صقر صيدٍ يدور ويدور. تمايلَ بَحر الأعشاب وتنهَّد مع كلِّ هبَّة ريحٍ خفيفة، وكان الهواء دافئًا على وجهها وشعرَت داني بالسَّكينة، وقرَّرت ألَّا تسمح لڤسيرس بأن يُفسِد هذا.

قالت داني للسير چورا: «انتظر هنا، وقُل لهم أن يبقوا. قُل لهم إنني أمرتُ بهذا».

ابتسمَ الفارس. لم يكن السير چورا بالرَّجل الوسيم، إذ كان يملك عُنقًا ثخينًا وكتفين مفتولتين كالثَّور، بينما غطَّى شَعر أسودَ خشن ذراعيه وصدره بكثافةٍ شديدةٍ لم تَترُك شيئًا لرأسه. لكن على الرغم من كلِّ هذا كانت ابتسامته تبثُّ الرَّاحة في داني. «بدأتِ تتعلَّمين كيف تتكلَّمين كمَلكةٍ يا دنيرس».

قالتِ داني: «أنا لستُ مَلكةً، بل گاليسي»، ودارَت بفَرسها وانطلقَت نازلةً الأُخدود وحدها.

كان طريق النُّزول شديد الانحدار كثير الصُّخور، لكن داني ظلَّت تتحرَّك بلا خوف، وامتزجَ الشُّعور بالفرحة والخطر معًا كأغنيَّةٍ تردَّدت في قلبها. طوال حياتها وڤسيرس يقول لها إنها أميرة، لكن دنيرس تارجاريَن لم تَشعُر قَطُّ بأنها كذلك إلى أن امتطَت فَرسها الفضِّيَّة.

لم يكن الأمر سهلًا في البداية، فقد فكَّك الگالاسار المخيَّم في الصَّباح التَّالي لزفافها وبدأ يتحرَّك شَرقًا في اتِّجاه ڤايس دوثراك، ومع حلول اليوم الثَّالث كانت داني تحسب أنها ستموت. تفتَّحت القُرَح الدَّامية القبيحة التي أصابها بها السَّرج في إستها، وامتلأت فخذاها بالسَّحَجات، وامتلأت يداها بالبثور في غير موضعٍ من فرط الإمساك بالعِنان، وانتشرَ الألم في عضلات ساقيها وظَهرها حتى أصبحَت تجلس بصعوبةٍ شديدة؛ ومع حلول الغَسق كانت تحتاج لمساعَدة وصيفاتها كي تستطيع النُّزول عن الفَرس.

حتى اللَّيل لم يجلب لها أيَّ راحة. تجاهَلها گال دروجو تمامًا وهُم راكبون مثلما تجاهَلها يوم زفافهما، وكان يقضي المساء في الشُّرب مع مُحارِبيه وخيَّالة دمه، يتسابَق بجياده الثَّمينة ويتفرَّج على النِّساء يَرقُصن والرِّجال يموتون. لم يكن هناك لداني مكان في هذا الجزء من حياته، فكانت تُترَك لتتناوَل عشاءها وحدها أو مع السير چورا وأخيها، وبَعدها كانت تبكي حتى تنام. لكن في كلِّ ليلة، في وقتٍ ما قبل الفَجر، كان دروجو يأتي إلى خيمتها ويوقظها في الظَّلام ويمتطيها بقسوةٍ كما يفعل مع فَحله. كان يأتيها من الخلف دائمًا على طريقة الدوثراكي، الشَّيء الذي كانت داني ممتنَّةً له، فبهذه الطَّريقة لا يرى زوجها الدُّموع التي تُبَلِّل وجهها، وتستعين هي بوسادتها كي تكتم صرخات الألم. عندما يَفرُغ، كان يُغلِق عينيه ويبدأ في الغطيط بصوتٍ خفيض، وتتمدَّد داني إلى جواره وجسدها يؤلمها لدرجةٍ تجعلها عاجزةً عن العودة إلى النَّوم.

مَرَّ يومٌ وراء يومٍ وليلةٌ بعد ليلة، إلى أن أدركَت داني أنها لن تقوى على

احتمال المزيد، ثم جاءَت ليلة أخيرًا قرَّرت فيها أنها تُفَضِّل الانتحار على الاستمرار.

على أن حُلم التنِّين زارها من جديد عندما نامَت تلك اللَّيلة.

لم يكن ڤسيرس موجودًا هذه المرَّة، فقط هي والتنِّين. كانت حراشفه سوداء كاللَّيل، مبتلَّةً لزجةً من الدَّم... دمها هي كما تراءى لداني. كانت عيناه بُحيرتين من الحُمم البركانيَّة، وعندما فغرَ فاه خرجَت منه النِّيران زائرةً في فيضانٍ ملتهب. كانت تسمعه يُغَنِّي لها، وفتحَت ذراعيها للنَّار مُعانِقةً إياها، لتَغمُرها تمامًا وتُطَهِّرها وتُقَوِّيها. شعرَت بلحمها يسودُّ ويحترق وينسلخ، وبدمها يغلي ويتحوَّل إلى أبخرة، لكنها لم تحس بأيِّ ألم، بل شعرَت بأنها قويَّة راسخة منيعة.

وفي اليوم التَّالي -وهو ما كان غريبًا- لم تَشعُر بأنها تتألَّم لتلك الدَّرجة كما من قبل، كأن الآلهة قد سمعتها وأشفقَت عليها. حتى وصيفاتها لاحظنَ التغيُّر فيها، وسألتها چيكوي: «گاليسي، ماذا هناك؟ هل أنتِ مريضة؟».

- «كنتُ»، أجابَت داني وهي واقفة عند بيضات التنِّين التي أهداها إليريو إياها يوم زفافها. مسَّت واحدةً منها، أكبر الثَّلاثة، ومرَّرت يدها بخفَّةٍ على السَّطح الحَجري. *أسودَ وقرمزي... كالتنِّين في حُلمي*. كان الحَجر دافئًا على نحوٍ غريب تحت أصابعها... أم أنها كانت لا تزال تَحلُم؟ رفعَت يدها عن البيضة بحركةٍ عصبيَّة.

منذ تلك السَّاعة فصاعدًا أصبحَ كلُّ يومٍ أسهل من سابِقه. صارَت ساقاها أقوى وانفقأت بثورها والتأمت جروحها واخشوشنَت فخذاها وصارتا ليِّنتين كالجِلد.

كان الگال قد أمرَ وصيفتها إيري بأن تُعَلِّم داني الرُّكوب على طريقة الدوثراكي، لكن المُهرة كانت معلِّمتها الحقيقيَّة. كانت الفَرس تبدو كأنها تُدرِك مزاجها كأن الاثنتين تتقاسمان عقلًا واحدًا، ومع كلِّ يومٍ يمرُّ كانت داني تَشعُر بثقةٍ أكبر وهي فوق صهوة الفَرس. الدوثراكي قومٌ قساة لا يتمتَّعون بأيِّ عاطفة، ولم يكن من عادتهم أن يُطلِقوا أسماءً على

حيواناتهم، فلم تُفكِّر داني في فَرسها إلَّا كالفَرس الفضِّيَّة، وفي حياتها كلها لم تَشعُر بحُبٍّ كهذا نحو أيِّ شيءٍ في الدُّنيا.

كلما أصبحَ الرُّكوب أسهل، بدأت داني تُلاحِظ جمال الأرض من حولها. كانت تركب في مقدِّمة الگالاسار مع دروجو وخيَّالة دمه، فكانت تَبلُغ كلَّ إقليم لتراه بِكرًا دون أن يُفسِده شيء. من ورائهما كان القطيع الضَّخم يُمَزِّقَ العُشب ويُلَوِّث الأنهار بالوحل ويثير سُحبًا من الغبار الخانق، بينما كانت الحقول أمامها خضراء نضرةً دائمًا.

عبروا تلال نورڤوس المتموِّجة مرورًا بمَزارع مدرَّجةٍ وقرى صغيرة راقبَ سُكَّانها بتوتُّرٍ من فوق الأسوار البيضاء المشيَّدة بالجِص، وخاضوا في ثلاثة أنهارٍ واسعةٍ هادئة، بالإضافة إلى رابعٍ كان سريعًا ضيِّقًا خدَّاعًا، وخيَّموا إلى جوار شلَّالٍ أزرقَ عالٍ، بينما تجنَّبوا أطلال مدينةٍ كبيرةٍ ميتةٍ يُقال إن الأشباح تنوح فيها بين الأعمدة الرُّخاميَّة المسودَّة. انطلقوا في الطُّرق الڤاليريَّة التي يَبلُغ عُمرها ألف عام وإن ظلَّت مستقيمةً كسهام الدوثراكي. لنِصف قمرٍ تحرَّكوا خلال غابة كوهور التي كوَّنت فيها أوراق الشَّجر مظلَّةً ذهبيَّةً عاليةً فوق رؤوسهم، بينما كانت جذوع الأشجار بعرض بوَّابة مدينة. كانت هناك ظباء ضخمة في الغابة، ونمور مرقَّطة وقرود ليمور ذات فروٍ فضِّي وعيونٍ أرجوانيَّةٍ كبيرة، لكن جميعها فرَّ مع دنوِّ الگالاسار ولم تلمح داني واحدًا منها.

حينئذٍ كان ألمها قد صارَ ذكرىً بعيدة. كانت لا تزال تَشعُر بالوجع بَعد يومٍ طويلٍ من الرُّكوب بطبيعة الحال، لكن كان الوجع لا يخلو من شيءٍ من العذوبة الآن، وفي كلِّ صباحٍ كانت تمتطي فَرسها شاعرةً بالرِّضا والحماسة لرؤية العجائب التي تقبع في انتظارها في الأراضي الواقعة أمامهم. بدأت تجد بعض اللَّذة في لياليها، وإذا صرخت عندما يأخذها دروجو، لم يكن الألم وحده هو السَّبب دائمًا.

ارتفعَت الأعشاب من حولها عند قاع الأُخدود طويلةً غضَّةً، وأبطأت داني حركة فَرسها وخرجَت إلى السَّهل فاقدةً نفسها في الأخضر شاعرةً

بالسَّلام والسَّكينة في وحدتها. إنها لم تتمتَّع بالوحدة أبدًا وهي مع الگالاسار، ولم يكن گال دروجو يأتي إليها إلَّا بَعد مغيب الشَّمس، وكانت وصيفاتها يُطعِمنها ويُحَمِّمنها وينمنَ على باب خيمتها، بينما لم يبتعد خيَّالة دم دروجو أو رجال گاسها عنها أبدًا، بالإضافة إلى أخيها الذي كان بمثابة ظِلٍّ ثقيلٍ طوال اللَّيل والنَّهار. سمعَته داني على قمَّة الأُخدود يصيح في السير چورا بصوتٍ يتَّقد غضبًا، فابتعدَت أكثر غامرةً نفسها في أغوار بَحر الدوثراكي.

ابتلعَها الأخضر. كان الهواء مفعمًا برائحة التُّربة والعُشب التي امتزجَت برائحة الخيل وعَرق داني والزَّيت في شَعرها... رائحة الدوثراكي التي تليق فعلًا بهذا المكان. استنشقَت داني كلَّ هذا وملأت به صدرها، ثم انتابتها رغبة مباغتة في أن تَشعُر بالأرض تحت قدميها، أن تدفن أصابعها في التُّربة السَّوداء السَّميكة. هكذا ترجَّلت عن فَرسها الفضِّيَّة وتركتها ترعى بينما خلعَت حذاءها ذا العُنق الطَّويل.

وجاءَها ڤيسرس على حين غرَّةٍ كعاصفةٍ صيفيَّة وحصانه يرفع قائمتيه الأماميَّتين من تحته مع توقُّفه المفاجئ. صرخَ فيها: «كيف تجرؤين؟ تُملين الأوامر عليَّ أنا؟ عليَّ أنا؟»، ووثبَ من فوق الحصان وهبطَ متعثِّرًا، ورأت وجهه محمرًّا تمامًا وهو يُحاوِل النُّهوض بصعوبة. ثم إنه أمسكها وهزَّها زاعقًا: «هل نسيتِ من تكونين؟ انظري إلى نفسكِ! انظري إلى نفسكِ!». لكن داني لم تكن في حاجة إلى النَّظر. كانت حافية القدمين، شَعرها مدهون بالزَّيت وترتدي ثياب ركوب الدوثراكي الجِلديَّة وصُدرةً ملوَّنةً جاءَتها كهديَّة زفاف. كانت تبدو كأنها تنتمي لهذا المكان، بينما كان ڤيسرس متَّسخًا ملوَّثًا في ثيابه الحريريَّة وقميص الحلقات المعدنيَّة.

كان لا يزال يَصرُخ: «أنتِ لا تأمرين التنِّين! هل تفهمين؟ أنا سيِّد المَمالك السَّبع ولن أتلقَّى الأوامر من عاهرة واحدٍ من سادة الخيول، هل تسمعينني؟»، ودسَّ يده تحت صُدرتها لتنغرس أصابعه على نحوٍ مؤلمٍ في ثدييها وهو يُكرِّر: «هل تسمعينني؟».

ودفعَته داني بعيدًا عنها بحركةٍ عنيفة.

حدَّق ڤسيرس فيها وعيناه البنفسجيَّتان تنضحان دهشةً، فلم يسبق لها أن تحدَّته قَطُّ أو قاومَته. انقلبت سحنته ثورةً، وكانت تعرف أنه سيضربها الآن.

كراك!

أصدرَ السَّوط صوتًا كالرَّعد وهو يلتفُّ حول عُنق ڤسيرس ويسحبه بعُنفٍ إلى الخلف، فسقطَ متعثِّرًا وسط العُشب وقد جمَّدته الصَّدمة. أطلقَ خيَّالة الدوثراكي صيحاتٍ هازئةً وهو يُكافِح لتحرير نفسه من السَّوط الذي يَخنُقه، وألقى چوجو -الشَّاب الذي يحمل السَّوط- سؤالًا بصوتٍ خشن لكن داني لم تفهمه، إلَّا أن إيري كانت قد وصلَت في هذه اللَّحظة ومعها السير چورا وبقيَّة الگاس. قالت إيري: «چوجو يسأل إن كنتِ تريدينه ميتًا يا گاليسي».

- «لا، لا».

فهمَ چوجو إجابتها، وأطلقَ واحد من الآخَرين تعليقًا جعلَ الباقين يضحكون، فترجمَت لها إيري: «كوارو يقول إنه يَجدُر بكِ أن تقطعي له أذنًا كي يتعلَّم الاحترام».

كان أخوها على رُكبتيه وأصابعه مغروسة تحت السَّوط الجِلدي، يصيح بكلام غير مفهوم ويُناضِل لالتقاط أنفاسه مع إحاطة السَّوط بقصبته الهوائيَّة بإحكام.

قالت داني: «قولي لهم ألَّا يُؤذونه».

كرَّرت إيري الكلمات بلُغة الدوثراكي، فسحبَ چوجو السَّوط جاذبًا ڤسيرس معه كدُميةٍ ذات خيوط، وانطرحَ أخوها أرضًا مرَّةً أخرى وقد تحرَّر من ضغطة الجِلد القويَّة على عُنقه، وسالَ خيط رفيع من الدَّم تحت ذقنه حيث غاصَ السَّوط بعُمق.

قال السير چورا مورمونت: «لقد حذَّرته من أن هذا سيَحدُث يا سيِّدتي، طلبتُ منه أن يبقى على قمَّة الأُخدود كما أمرتِ».

- «أعرفُ هذا»، أجابَت داني وهي تَرمُق ڤسيرس. كان ممدَّدًا على

الأرض يعبُّ الهواء بصوتٍ مرتفع وقد احمرَّ وجهه وسالت الدُّموع من عينيه. كان شيئًا مثيرًا للشَّفقة، ولطالما كان ڤسيرس شيئًا مثيرًا للشَّفقة. لماذا لم ترَ هذا من قبل؟ الآن كان هناك مكان فارغ في داخلها كان خوفها يحتلُّه من قبل.

قالت داني للسير چورا: «خُذ حصانه»، فحملقَ ڤسيرس فيها مشدوهًا. لم يكن يُصَدِّق ما يسمعه، ولم تكن داني نفسها تُصَدِّق ما تقوله فعلًا، لكن الكلمات وثبَت إلى شفتيها على الرغم من ذلك. «دعوا أخي يمشي وراءنا إلى الكالاسار». يؤمن الدوثراكي بأن الرجل الذي لا يركب حصانًا لا يُعَدُّ رجلًا على الإطلاق، يصير أسفل السَّافلين، بلا شَرفٍ أو جاه. «دعوا الجميع يرونه كما هو الآن».

- «لا!»، صرخَ ڤسيرس والتفتَ إلى السير چورا متوسِّلًا إليه باللُّغة العاميَّة بكلماتٍ لا يستطيع الخيَّالة فهمها. «اضربها يا مورمونت، اضربها. هذا أمر من مَلكك. اقتل كلاب الدوثراكي ولقِّنها درسًا».

جالَ الفارس المنفي ببصره بين داني وأخيها، هي حافية القدمين والتُّراب بين قدميها والزَّيت في شَعرها، وهو بحريره وفولاذه. كان قراره بيِّنًا لداني على ملامحه قبل أن يقول: «سوف يمشي يا كاليسي»، وسحبَ حصان أخيها بينما عادَت داني تمتطي فَرسها الفضِّيَّة.

حملقَ ڤسيرس فيه وجلسَ على الأرض. لاذَ بالصَّمت لكنه لم يتحرَّك، وكانت عيناه مليئتان بالسُّمِّ والآخَرون يبتعدون. سرعان ما اختفى بين أعواد العُشب الطَّويلة، وشعرَت داني بشيءٍ من الخوف عندما لم تَعُدْ تراه، فسألت السير چورا: «هل سيستطيع العودة وحده؟».

أجابَها: «حتى رجل أعمى كأخيكِ يستطيع اقتفاء أثرنا».

- «إنه شديد الاعتداد بنفسه، وقد يكون أكثر خجلًا من أن يعود».

ضحكَ مورمونت وقال: «وإلى أين سيذهب؟ إذا لم يستطِع العثور على الكالاسار، فمن المؤكَّد أن الكالاسار سيَعثُر عليه. الغرق في بَحر الدوثراكي صعب يا صغيرتي».

كانت داني تُدرِك حقيقة ما يقوله. إن الگالاسار كمدينةٍ كاملةٍ تزحف، لكنها لا تزحف على غير هدىً. كان الكشَّافة يسبقون الرَّكب الأساسي دائمًا وينطلقون بعيدًا وكلهم انتباه لوجود أيِّ طرائدٍ أو فرائسٍ أو أعداء، بينما كان الخَفرِ يَحرُسون الگالاسار من الجانبين. لا شيء يفوتهم، ليس هنا في هذه الأرض، المكان الذي أتوا منه. كانت هذه السُّهول جزءًا منهم... ومنها كذلك الآن.

قالت داني والدَّهشة تُفعِم صوتها: «لقد ضربته». الآن وقد انتهى الأمر كانت تَشعُر أن ما حدثَ كان مجرَّد حُلمٍ راودَها. «سير چورا، هل تعتقد... هل تعتقد أنه سيكون غاضبًا جدًّا عندما يعود؟»، وارتجفَت مضيفةً: «لقد أيقظتُ التنِّين، أليس كذلك؟».

أطلقَ السير چورا صوتًا مستهجنًا وقال: «هل يُمكنكِ إيقاظ الموتى من رقادهم يا فتاة؟ أخوكِ ريجار كان آخِر التَّنانين ولقد مات في معركة الثَّالوث، أمَّا ڤسيرس فأقلُّ من ظِلِّ ثعبان».

أدهشَتها كلماته الفظَّة، وبدا لها أن الشُّكوك تحيط الآن بكلِّ شيءٍ كانت تعتقد فيه من قبل. «لقد... لقد أقسمت له بسيفك...».

- «هذا صحيح يا فتاة. وإذا كان أخوكِ ظِلَّ ثعبان، فماذا يكون خادمه إذن؟». كانت كلماته مفعمةً بالمرارة.

- «لكنه ما زال المَلك الشَّرعي. إنه...».

أوقفَ چورا حصانه ونظرَ إليها قائلًا بحزم: «أريدُ الحقيقة. هل تُريدين رؤية ڤسيرس جالسًا على العَرش حقًّا؟».

فكَّرت داني للحظاتٍ ثم قالت: «لن يكون مَلكًا صالحًا، أليس كذلك؟».

- «كان هناك ملوك أسوأ منه، لكنهم لم يكونوا كثيرين»، ثم وكزَ الفارس حصانه بكعبيه وبدأ يتحرَّك من جديد.

تحرَّكت داني على فَرسها بالقُرب منه وقالت: «لكن الشَّعب ينتظره.

إليريو يقول إنهم يحيكون رايات التنِّين ويُصَلُّون لعودة ڤسيرس عبر البَحر الضيِّق لتحريرهم».

قال السير چورا: «الشَّعب يُصَلِّي لنزول المطر والأطفال الأصحَّاء وصيفٍ لا ينتهي أبدًا، ولا أحد منهم يهتمُّ بلُعبة العروش الدَّائرة بين السَّادة طالما تركوهم في سلام»، وهزَّ كتفيه مضيفًا: «لكنهم يجدون أنفسهم جزءًا من الصِّراع دائمًا».

ركبَت داني إلى جواره صامتةً لفترةٍ من الوقت وهي تُحاوِل استيعاب كلماته كأنها لُغز. كان ما قاله يتعارَض مع كلِّ شيءٍ قاله لها ڤسيرس... النَّاس لا يُبالون حقًّا بمن يَحكُمهم، سواء كان مَلكًا شرعيًّا أو آخَر اغتصبَ العَرش اغتصابًا، لكن كلما فكَّرت أكثر في كلمات چورا وجدَت أن لها رنينًا لا شكَّ فيه من الحقيقة.

سألته: «لأيِّ شيءٍ تُصَلِّي أنت يا سير چورا؟».

أجابَ بصوتٍ يموج بالاشتياق: «الوطن».

قالت وهي مؤمنة بما تقول: «أنا أيضًا أُصَلِّي للعودة إلى الوطن».

ضحكَ السير چورا وقال: «انظري حولكِ إذن يا گاليسي».

لكن داني لم ترَ السُّهول، بل كينجز لاندنج والقلعة الحمراء العظيمة التي شيَّدها إجون الفاتِح ودراجونستون التي وُلِدَت فيها، وبعين الخيال رأت ألف ضوءٍ ساطعٍ يتَّقد في كلِّ نافذة، وبعين خيالها رأت الأبواب كلها حمراء.

قالت: «أخي لن يستردَّ المَمالك السَّبع أبدًا». أدركَت في تلك اللَّحظة أنها تعرف هذا منذ وقتٍ طويل، تعرفه طوال حياتها في الحقيقة، وإن لم تسمح لنفسها قَطُّ بأن تبوح بتلك الكلمات ولو همسًا، لكنها لفظَتها الآن ليسمعها السير چورا مورمونت والعالم كله.

رمقَها الفارس بنظرةٍ فاحصةٍ وقال: «ألا تعتقدين أنها سيفعل؟».

أجابَته داني: «أخي لا يستطيع أن يقود جيشًا حتى لو أعطاه زوجي واحدًا. إنه لا يملك أيَّ مال، والفارس الوحيد الذي يتبعه يقول إنه أقلُّ من ثعبان، والدوثراكي يسخرون من ضَعفه. إنه لن يعود بنا إلى الوطن أبدًا».

ابتسمَ وقال: «طفلة حكيمة أنتِ».

- «أنا لستُ طفلةً»، قالت داني بحزمٍ ووكزَت جانبي فَرسها بقوَّةٍ لتعدو مسرعةً. انطلقَت بسرعةٍ أكبر وأكبر تاركةً چورا وإيري والآخَرين وراءها، والرِّيح الدَّافئة تُطيِّر شَعرها والشَّمس الحمراء الغاربة تنعكس على وجهها. كان الغَسق قد حَلَّ بالفعلِ عندما بلغَت الگالاسار.

كان العبيد قد نصبوا خيمتها على ضفَّة بِركةٍ يصبُّ فيها ينبوع، وسمعَت داني أصواتًا خشنةً تتردَّد من القصر المصنوع من العُشب المجدول على التَّل. قريبًا سيتردَّد الضَّحك أيضًا عندما يحكي رجال الگاس ما حدثَ اليوم، وعندما يصل ڤسيرس أخيرًا سيكون كلُّ رجلٍ وامرأةٍ وطفل في المخيم قد رأوه كماشٍ، فليست هناك أسرار في الگالاسار. سلَّمت داني فَرسها إلى العبيد ليسوسوها ودخلَت خيمتها. كانت الخيمة الحريريَّة معتدلة الحرارة خافتة الإضاءة، وإذ تركَت سديلة الباب تنغلق وراءها، رأت داني إصبعًا من النُّور الأحمر المغبَّر يمتدُّ ليمسَّ بيضات التنِّين في أقصى الخيمة، ولوهلةٍ سبحَت ألف قُطيرةٍ من اللَّهب أمام عينيها، ولم يكد طرفها يرتدُّ إليها حتى كان النُّور قد اختفى. *أحجار*، قالت لنفسها، *إنها مجرَّد أحجار. حتى إليريو نفسه قال هذا. التَّنانين كلها ماتت*. وضعَت راحة يدها على البيضة السَّوداء وقد فردَت أصابعها برقَّةٍ على الطَّبقة الحَجريَّة الرَّقيقة، فوجدَت الحَجر دافئًا أقرب إلى السُّخونة. همسَت داني: «إنها الشَّمس. لا بُدَّ أن الشَّمس قد سخَّنتها ونحن راكبون».

أمرَت وصيفاتها بإعداد حمَّامٍ لها، فأشعلَت دوريا نارًا خارج الخيمة، بينما حلَّت إيري وچيكوي الحوض النُّحاسي الكبير (الذي كان هديَّة زفافٍ أيضًا) من حصان الجَرِّ وجلبتاه، ثم جاءَتا بالماء من البِركة. عندما صارَ الماء ساخنًا، ساعدَتها إيري على النزول إلى الحوض، ثم تبعتها.

- «هل رأت إحداكنَّ تنِّينًا من قبل؟»، سألت وإيري تَفرُك ظَهرها وچيكوي تُنَظِّف شَعرها من الرَّمل. كانت قد سمعَت أن التَّنانين الأولى قد جاءَت من الشَّرق، من بلاد الظِّل الواقعة وراء آشاي وجُزر بَحر

اليَشب. لعلَّ بعضها لا يزال يعيش هناك في تلك الأراضي المحفوفة بكلِّ ما هو ضارٍ غريب.

قالت إيري: «لم تَعُدْ هناك تنانين يا گاليسي».

وأمَّنت چيكوي على تعليقها قائلةً: «كلها ماتَ منذ زمنٍ طويل».

كان ڤسيرس قد قال لها إن آخِر تنانين آل تارجاريَن قد ماتَت منذ قرنٍ ونِصفٍ لا أكثر إبَّان حُكم إجون الثَّالث، ولم تبدُ هذه الفترة بذلك الطُّول لداني. سألت شاعرةً بالإحباط: «في كلِّ مكان؟ حتى في الشَّرق؟». كان السِّحر قد ماتَ في الغَرب عندما حَلَّ "الهلاك" بڤاليريا وأراضي الصَّيف الطَّويل، ولم يستطِع الفولاذ المطروق بالتَّمائم ولا السَّحرة ولا التَّنانين صدَّه، لكن داني سمعَت كثيرًا أن الشَّرق مختلف. يُقال إن المانتيكورات[1] تجوب جُزر بَحر اليَشب، وإن العظايا تعيث في غابات يي تي، ومُرَنِّمي التَّعاويذ والمشعوذين ومنجِّمي الهواء يُمارِسون فنونهم بحُرِّيَّةٍ تامَّةٍ في آشاي، بينما يُزاوِل آسِرو الظِّلال وسحرة الدَّم أعمالهم السَّوداء في جوف اللَّيل، فلِمَ لا تكون هناك تنانين أيضًا؟

قالت إيري: «لا تنانين. قتلَها الرِّجال الشُّجعان، لأن التَّنانين وحوش شرِّيرة رهيبة. هذا معلوم».

وردَّدت چيكوي: «هذا معلوم».

- «تاجرٌ من كارث قال لي ذات مرَّةٍ إن التَّنانين جاءَت من القَمر»، قالت الشَّقراء دوريا وهي تُدَفِّئ منشفةً فوق النَّار. كانت چيكوي وإيري في مِثل عُمر داني، فتاتين من الدوثراكي أُخِذَتا كأَمتين عندما دمَّر دروجو گالاسار أبيهما، بينما كانت دوريا أكبر سِنًّا، في العشرين من العُمر تقريبًا، وكان الماچستر إليريو قد وجدَها في أحد بيوت الهوى في ليس.

انسابَ الشَّعر الفضِّي المبتل على عينيها وهي تدير رأسها قائلةً بفضول: «القَمر؟».

(1) المانتيكور حيوان خرافي من التُّراث الفارسي، له رأس إنسان وجسم أسد وجناحان كالوطواط وثلاثة صفوف من الأسنان الحادَّة كالقِرش.

قالت الفتاة اللَّايسينيَّة: «قال لي إن القَمر نفسه بيضة يا گاليسي، وذات يوم كان هناك قَمران في السَّماء، لكن أحدهما اقتربَ كثيرًا من الشَّمس فتَشقَّق من جرَّاء الحرارة، وتدفَّق منه ألف ألف تنِّين وشربوا نيران الشَّمس، ولهذا تنفث التَّنانين اللَّهب. سيأتي يوم يُقَبِّل فيه القَمر الآخَر الشَّمس أيضًا ويتشقَّق، وحينها ستعود التَّنانين».

ضحكَت الفتاتان الدوثراكي، وقالت إيري: «أنتِ أَمة حمقاء ذات شَعرٍ من القَش. القَمر ليست بيضةً، إنها إلاهة، امرأة، زوجة الشَّمس. هذا معلوم».

ردَّدت چيكوي: «هذا معلوم».

كانت بشرة داني متورِّدةً عندما خرجَت من الحوض النُّحاسي، ومدَّدتها چيكوي لتدهن جسدها بالزَّيت وتكشط التُّراب من مسامِّها، وبعدها رشَّتها إيري بعِطر زهرة العَرار والقرفة. وبينما كانت دوريا تُمَشِّط شَعرها حتى لمعَ كالفضَّة المغزولة، كانت داني تُفَكِّر في القَمر، والبيضات، والتَّنانين.

كان عشاؤها وجبةً بسيطةً من الفاكهة والجُبن والخُبز المحمَّر، مع إبريقٍ من النَّبيذ المحلَّى بالعسل. «دوريا، ابقي هنا وكُلي معي»، قالت داني بعدما صرفَت الوصيفتين الأخريين. كانت الفتاة اللَّايسينيَّة تملك شَعرًا بلون العسل وعينين كسماء يوم صيفي.

خفضَت هاتين العينين عندما صارتا وحدهما وقالت: «هذا شَرف كبير يا گاليسي»... لكن لم يكن هناك شَرف في الأمر، بل الخدمة لا أكثر. ظلَّت الاثنتان جالستين معًا تتكلَّمان لفترةٍ طويلةٍ بَعد أن احتلَّ القَمر مكانه في السَّماء.

في تلك اللَّيلة، عندما جاءَ گال دروجو، كانت داني تنتظره. وقفَ عند باب خيمتها ورمقَها مندهشًا، بينما نهضَت هي ببطءٍ وفتحَت ثياب نومها الحريريَّة وتركَتها تَسقُط أرضًا. «يجب أن نَخرُج اللَّيلة يا سيِّدي»، قالت بنعومة، فالدوثراكي يؤمنون بأن كلَّ شيءٍ ذي أهميَّةٍ في حياة الرَّجل يجب أن يتمَّ تحت السَّماء المفتوحة.

تبعَها گال دروجو إلى الخارج تحت ضوء القَمر والأجراس في شَعره ترنُّ بصوتٍ خافت. على بُعد خطواتٍ قليلةٍ من خيمتها كان ثمَّة فِراش من العُشب النَّاعم، وهناك سحبَته داني إلى أسفل، وعندما حاولَ أن يقلبها على وجهها وضعَت داني يدها على صدره قائلةً: «لا، هذه اللَّيلة أريدُ أن أتطلَّع إلى وجهك».

ليس للخصوصيَّة وجود في قلب الگالاسار، وشعرَت داني بالأعيُن تُراقِبها وهي تُجَرِّده من ثيابه، وسمعَت الأصوات الهامسة وهي تفعل الأشياء التي قالت لها دوريا أن تفعلها، لكنها لم تُبالِ... أوليست هي الگاليسي؟ عيناه كانتا العينين الوحيدتين التي تكترث لهما، وعندما اعتلَته رأت فيهما شيئًا لم تره من قبل قَطُّ. ركبَته بقوَّةٍ كما ركبَت فَرسها الفضِّيَّة، وعندما جاءَت لحظة ذُروته صاحَ گال دروجو باسمها.

كانوا قد بلغوا الجانب البعيد من بَحر الدوثراكي عندما تحسَّست چيكوي بأصابعها بطن داني المنتفخة بعض الشَّيء، وقالت: «گاليسي، أنتِ تحملين طفلا».

كان هذا يوم ميلادها الرَّابع عشر.

بران

كان ريكون يجري مع الذِّئاب في السَّاحة في الأسفل.

راقبَ بران من على مقعده المجاور للنَّافذة. أينما ذهبَ الولد الصَّغير كان جراي ويند يسبقه إلى هناك أولًا، يثب بسرعةٍ ليقطع عليه الطَّريق، إلى أن يراه ريكون ويَصرُخ فرحًا ثم ينطلق في اتِّجاهٍ آخَر. كان شاجيدوج يجري في أعقابه، يدور ويُكَشِّر عن أنيابه إذا اقتربَ الذِّئبان الآخَران أكثر من اللَّازم. كان فروه قد صارَ داكنًا أكثر وأكثر مع مرور الوقت إلى أن استحال إلى الأسود بالكامل، بينما قُدَّت عيناه من نيرانٍ خضراء. كان آخِرهم سَمر ذِئب بران بفروه ذي لون الفضَّة والدُّخَان وعينيه الذَّهبيَّتين اللتين تريان كلَّ ما تُمكن رؤيته. كان أصغر حجمًا من جراي ويند لكن أكثر يقظةً، وقرَّر بران أنه الأذكى بين إخوته. كان يسمع ضحكات أخيه متقطِّعة الأنفاس وريكون ينطلق هنا وهناك على ساقيه الصَّغيرتين.

كانت الدُّموع تلسع عينيه والرَّغبة الحارقة تتملَّكه في أن يكون معهم في السَّاحة، يَركُض ويضحك. شاعرًا بالغضب من هذا الخاطِر، مسحَ بران دموعه بقبضة يده قبل أن تَسقُط. كان يوم ميلاده الثَّامن قد جاءَ وراحَ. إنه يكاد يكون رجلًا بالغًا الآن، أكبر من أن يبكي كالأطفال.

بمرارةٍ قال متذكِّرًا الغُراب في حُلمه: «كانت كذبة. إنني لا أستطيعُ الطَّيران، بل لا أستطيعُ المشي حتى».

- «كلُّ الغِربان كذَّابون»، قالت العجوز نان من مكانها على المقعد الذي جلسَت عليه تُمارِس شُغل الإبرة. «أعرفُ قصَّةً عن غُراب».

قال بران محتدًّا: «لا أريدُ سماع المزيد من القصص». كان يُحِبُّ العجوز نان وقصصها في الماضي، قبل أن يَحدُث ما حدثَ، لكن كلَّ شيءٍ اختلفَ الآن. كانوا يَترُكونها معه طوال اليوم حاليًّا، لتعتني به وتُطعِمه وتُنَظِّفه وتكون رفيقةً له في وحدته، لكنها كانت تزيد الطِّين بلَّةً لا أكثر. «إنني أكرهُ قصصك السَّخيفة».

منحَته العجوز ابتسامةً بلا أسنانٍ وقالت: «قصصي؟ لا يا سيِّدي الصَّغير، هي ليست قصصي. القصص موجودة فحسب، من قبلي ومن بَعدي، ومن قبلك أنت أيضًا».

فكَّر بران مغتاظًا أنها عجوز قبيحة حقًّا، مهزولة الجسد متغضِّنة الملامح تكاد تكون عمياء، أضعف من أن تصعَد السَّلالم وحدها، ولم يَعُدْ يُغَطِّي فروة رأسها المبرقَشة غير بضع خصلاتٍ خفيفةٍ من الشَّعر. لا أحد يعرف عُمرها الحقيقي، لكن أباه قال له في مرَّةٍ إن اسمها كان العجوز نان منذ كان هو نفسه صبيًّا صغيرًا. لا شكَّ أنها أكبر شخصٍ سِنًّا في وينترفل على الإطلاق، ولعلَّها الأكبر سِنًّا في المَمالك السَّبع كلها. كانت نان قد أتت إلى وينترفل كمُرضِعةٍ لواحدٍ ممن كان اسمهم براندون ستارك، والذي ماتَت أمه وهي تلده. كان الأخ الأكبر للورد ريكارد جَدِّ بران، أو ربما كان الأخ الأصغر، أو أخًا لأبي اللورد ريكارد. كانت العجوز نان تحكي القصَّة بشكلٍ مختلفٍ كلَّ مرَّة، لكن في جميع القصص مات الولد الصَّغير في عُمر الثالثة مصابًا بنوبةِ بَردٍ صيفي، وبَعدها بقيَت العجوز نان في وينترفل مع أطفالها. ثم إنها فقدَت ابنيها في الحرب التي فازَ فيها المَلك روبرت بالعَرش، وقُتِلَ حفيدها على أسوار بايك أثناء تمرُّد بالون جرايجوي، بينما تزوَّجَت بناتها منذ زمنٍ طويل وانتقلنَ للمعيشة في بقاعٍ أخرى ومتنَ. كلُّ من تبقَّى من أقاربها كان هودور، العملاق الأبله الذي

يعمل في الاسطبلات، بينما ظلَّت العجوز نان على قيد الحياة، تُمارِس شُغل الإبرة وتحكي قصصها بلا نهاية.

قال بران: «لا أهتمُّ بصاحب القصص، إنني أكرهها». لم يكن يريد القصص ولم يكن يريد العجوز نان. كان يريد أمه وأباه، يريد أن يجري وسَمر يتواثَب إلى جواره، أن يتسلَّق البُرج المكسور ويُطعم الغِربان حبوب الذُّرة، أن يركب حصانه القزم مرَّةً أخرى مع إخوته، أن يعود كلَّ شيءٍ كما كان من قبل.

- «أعرفُ قصَّةً عن ولدٍ يكره القصص»، قالت العجوز نان بابتسامتها السَّخيفة دون أن تتوقَّف إبرتها عن الحركة -*كليك، كليك، كليك*- إلى أن أصبحَ بران على وشك الصُّراخ في وجهها من فرط الغيظ.

كان يعرف أن الأشياء لن تعود كما كانت من قبل أبدًا. لقد خدعَه الغُراب وجعله يطير، لكن عندما استيقظَ وجد جسده مكسورًا والعالم مختلفًا تمامًا. جميعهم تركوه، أبوه وأمه وأختاه، وحتى أخوه النَّغل چون. لقد وعدَه أبوه بأنه سيركَب حصانًا حقيقيًّا في الطَّريق إلى كينجز لاندنج، لكنهم غادَروا من دونه. كان المِايستر لوين قد أرسَل طائرًا برسالةٍ إلى أبيه، وأخرى لأمه وثالثة إلى چون على "الجِدار"، لكن ردًّا لم يأتِ. «كثيرًا ما لا تَبلُغ الطُّيور وجهتها يا بُني»، قال له المِايستر. «ثمَّة أميال كثيرة وصقور كثيرة بين وينترفل وكينجز لاندنج، ولعلَّ الرِّسالة لم تصل أصلًا». وعلى الرغم من ذلك كان الإحساس المُصاحِب لبران أنهم ماتوا جميعًا وهو نائم... أو ربما ماتَ هو ونسيه الجميع. چوري والسير رودريك وڤايون پوول رحَلوا أيضًا، وهالن وهاروين وتوم السَّمين ورُبع الحَرس.

لم يبقَ هنا غير روب وريكون الصَّغير، وروب تبدَّل كثيرًا. إنه روب اللورد الآن، أو أنه يُحاوِل أن يكون كذلك. كان يتمنطق بسيفٍ حقيقيٍّ الآن ولا يبتسم أبدًا، يقضي النَّهار في تمرين الحَرس والتدرُّب على القتال

بالسَّيف، جاعلًا رنين الفولاذ يتردَّد في السَّاحة بلا كللٍ بينما يتفرَّج بران ببؤسٍ من نافذته. ليلًا كان ينتحي جانبًا بالمِايستر لوين ليتحدَّثا أو يُراجِعا دفاتر الحسابات. أحيانًا كان يَخرُج مع هالس مولين ليزور المعاقل البعيدة ويغيب لأيامٍ في المرَّة، وكلما غابَ روب لأكثر من يومٍ كان ريكون يبكي ويسأل برانَ إن كان سيعود. حتى أثناء وجوده في وينترفل، كان روب اللورد يملك وقتًا أكثر لهالس مولين وثيون جرايچوي من الوقت الذي يقضيه مع أخويه.

قالت العجوز نان: «يُمكنني أن أحكي لك قصَّة براندون البنَّاء. إنها قصَّتك المفضَّلة».

منذ آلاف وآلاف السِّنين شيَّد براندون البنَّاء وينترفل، وقال البعض إنه شيَّد "الجِدار" كذلك. كان بران يعرف القصَّة، لكنها لم تكن قصَّته المفضَّلة قَطُّ، ولعلَّ واحدًا آخَر ممن كان اسمهم براندون كان يُحِبُّها. أحيانًا كانت العجوز نان تُخاطِبه باعتباره براندون الذي أرضعَته منذ سنواتٍ طويلةٍ للغاية، وفي أحيانٍ أخرى كانت تخلط بينه وبين عمِّه براندون الذي قتلَه المَلك المجنون قبلِ مولد بران. قالت له أمه في مرَّةٍ إنها عاشَت سنينًا طويلةً جدًّا، حتى أن كلًّ من اسمهم براندون ستارك قد صاروا واحدًا في عقلها.

قال لها: «هذه ليست قصَّتي المفضَّلة. القصص المخيفة تروق لي أكثر من غيرها». سمعَ جلبةً في الخارج فأدارَ رأسه إلى النَّافذة، ليرى ريكون يَعبُر السَّاحة راكضًا إلى حُجرة الحراسة عند البوَّابة والذِّئاب في أعقابه، لكن البُرج كان يُواجِه جهةً أخرى ويَحجُب ما يَحدُث عنه. هوى بقبضته على فخذه غاضبًا، ولم يحس شيئًا.

قالت العجوز نان: «آهٍ يا ابن الصَّيف العزيز، ماذا تعرف أنت عن الخوف؟ الخوف أوانه الشِّتاء يا سيِّدي الصَّغير، عندما تَسقُط الثُّلوج ويَبلُغ عُمقها مئة قدم، وتأتي الرِّياح الجَليديَّة تعوي من الشَّمال. الخوف

أوانه اللَّيل الطَّويل، عندما تَحتَجِب الشَّمس لأعوامٍ كاملةٍ في المرَّة، ويولَد الصِّغار ويعيشون ويموتون في الظَّلام، بينما تَصير الذِّئب الرَّهيبة نفسها مهزولةً وتتضوَّر جوعًا، ويجوب المُشاة الشَّاحبون الغابات».

قال بران متذمِّرًا: «تَقصِدين "الآخَرين"».

- «"الآخَرين"، نعم. منذ آلافٍ مؤلَّفةٍ من السِّنين حَلَّ شتاء بارد قاسٍ أطول من أيِّ شتاءٍ غيره في ذاكرة البَشر، وجاءَ ليلٌ دامَ جيلًا كاملًا، وارتجفَ الملوك بَردًا وماتوا في قلاعهم تمامًا كقطعان الخنازير في زرائبها. خنقَت النِّساء أطفالهنَّ كي لا يُشاهِدنهم يموتون جوعًا، وبكينَ، وشعرنَ بدموعهنَّ تتجمَّد على الخدود»، ثم سكتَ صوتها وإبرتها ورمقَت بران بعينين باهتتين مغشيَّتين وتابعَت: «أهذا هو نوع القصص الذي يروق لك إذن يا بُني؟».

قال بران بتردُّد: «نعم، لكن...».

عادَت الإبرة تعمل -*كليك، كليك، كليك*- وهزَّت العجوز نان رأسها وقالت: «جاءَ "الآخَرون" للمرَّة الأولى في الظَّلام. كانوا أشياءَ باردةً، أشياءَ ميتةً تمقت الحديد والنَّار ولمسة الشَّمس وكلَّ مخلوقٍ تجري الدِّماء الحارَّة في عروقه. اكتسَحوا المعاقل والمُدن والمَمالك، وأسقَطوا الأبطال والجيوش بالآلاف وهُم يمتطون خيولهم الميتة الشَّاحبة ويقودون حشودًا من الموتى الذين أسقطوهم. لم تستطِع كلُّ سيوف البَشر إيقاف تقدُّمهم، ولم تُثِر العذارى والرُّضَّع حتى ذرَّة شفقةٍ فيهم. طارَدوا الفتيات في الغابات المتجمِّدة، وأطعَموا لحم أطفال البَشر لخدمهم الأموات».

انخفضَ صوتها كثيرًا حتى أضحى همسًا، ووجدَ بران نفسه يميل إلى الأمام كي يسمعها.

- «كان هذا في الأيام التي سبقَت مجيء الأندالِيُّون، وقبل زمنٍ طويلٍ من هروب النِّساء عبر البَحر الضيِّق من مُدن الروين، والمئة مملكةٍ التي كانت موجودةً حينها كانت مَمالك البَشر الأوائل الذين استولوا على تلك

الأراضي من أطفال الغابة. على أنه هنا وهناك في البقاع المنعزلة من الغابات، ظَلَّ أطفال الغابة يعيشون في مُدنهم الخشبيَّة وتلالهم المجوَّفة، وظلَّت الوجوه في الأشجار تتولَّى الحراسة. هكذا، وقد ملأ البَرد والموت العالم، قرَّر آخِر الأبطال الاستعانة بأطفال الغابة آملًا أن يُفلِح سِحرهم القديم في استعادة ما فقدَته كلُّ جيوش البَشر، وخرجَ إلى أراضي الموت ومعه سيف وحصان وكلب ودستة من المُقاتِلين. لسنواتٍ ظَلَّ يبحث إلى أن يأسَ تمامًا من العثور على أطفال الغابة في مُدنهم الخفيَّة، وواحدًا تلو الأخَر ماتَ أصدقاؤه، ثم حصانه، وأخيرًا كلبه، وتجمَّد سيفه عن آخِره لدرجة أن النَّصل انكسرَ عندما حاولَ استخدامه، واشتمَّ "الآخَرون" رائحة دمائه الحارَّة، واقتفوا أثره بصمتٍ تام ومعهم جموع من العناكب البيضاء الشَّاحبة التي تُناهِز كلاب الصَّيد حجمًا، ثم...».

انفتحَ الباب بصوتٍ عنيف، وشعرَ بران بقلبه يثب في صدره خوفًا، لكن القادم لم يكن غير المِايستر لوين وهودور على السَّلالم من ورائه.

«هودور!»، قال صبيُّ الاسطبل العملاق كعادته وعلى وجهه ابتسامة عريضة.

لكن المِايستر لوين لم يكن مبتسمًا، وقال بجديَّة: «لدينا زائرون، وحضورك مطلوب يا بران».

قال بران معترضًا: «إنني أسمعُ قصَّةً الآن».

قالت العجوز نان: «القصص يُمكنها الانتظار يا سيِّدي الصَّغير، وعندما تعود إليها ستجدها كما هي لم تتبدَّل، بينما الزُّوَّار لا يتحلُّون بالصَّبر، كما أنهم يأتون ومعهم قصصهم الخاصَّة غالبًا».

سأل بران المِايستر: «مَن هُم؟».

- «تيريون لانستر وبعض رجال حَرس اللَّيل مع رسالةٍ من أخيك جون. روب معهم الآن. هودور، هلَّا ساعدت بران على النُّزول إلى القاعة؟».

- «هودور!»، قال هودور مسرورًا، ثم انحنى ليَدخُل برأسه الضَّخم ذي الشَّعر الخشن من الباب. كان هودور يَبلُغ نحو سبعة أقدام طولًا، وكان من الصَّعب أن تُصَدِّق أنه من أقرباء العجوز نان. تساءَلَ بران إن كان حجمه سينكمش مِثل جدَّته الكبيرة عندما يَبلُغ عُمرها، لكن لم يبدُ هذا محتمَلًا حتى لو عاشَ هودور ألف عام.

رفعَ هودور بران بسهولةٍ تامَّةٍ كأنه مجرَّد كومةً من القَش وضمَّه إلى صدره الضَّخم لتُفعِم رائحة الخيل العالقةً به دومًا أنف بران، لكنها لم تكن بالرَّائحة السيِّئة. كانت ذراعاه مفتولتي العضلات وتختفيان تحت طبقةٍ من الشَّعر البُنِّي الكثيف. قال مرَّةً أخرى: «هودور». كان ثيون جرايچوي قد قال ذات مرَّةٍ إن هودور لا يعرف الكثير، لكن من المؤكَّد أنه يعرف اسمه. أطلقَت العجوز نان ضحكةً كنقيق الدَّجاج عندما أخبرَها بران بهذا، وأخبرَته بأن اسم هودور الحقيقي هو والدر. قالت إن لا أحد يدري من أين جاءَت كلمة "هودور" تلك، لكن عندما بدأ يُرَدِّدها طوال الوقت اعتبروها اسمه وبدأوا يُنادونه بها بدورهم؛ وهي الكلمة الوحيدة التي كان يقولها على كلِّ حال.

تركوا العجوز نان في غُرفة البُرج لإبرها وذكرياتها، ودندنَ هودور بغير نغمةٍ وهو يحمل بران نازلًا السَّلالم ثم عبر الرُّواق، يتبعه المِايستر لوين مسرعًا ليُجاري خطوات صبيٍّ الاسطبل الواسعة.

كان روب جالسًا على مقعد أبيهم العالي، يرتدي الحلقات المعدنيَّة والجِلد المقوَّى بالزَّيت المغلي، وعلى وجهه سيماء روب اللورد، بينما وقفَ ثيون جرايچوي وهالس مولين وراءه. اصطفَّت دستة من الحُرَّاس عند الجدران الحَجريَّة الرَّماديَّة تحت النَّوافذ الطويلة الضيِّقة، وفي منتصَف القاعة وقفَ القزم مع خَادميه وأربعة غرباءٍ يرتدون أسودَ حَرس اللَّيل. أحسَّ بران بالغضب المشتعل في القاعة لحظة دخول هودور به من الباب.

- «أيُّ رجلٍ من حَرس اللَّيل مرحَّبٌ به أن يبقى هنا في وينترفل كما يشاء»، كان روب يقول بلهجة روب اللورد. كان سيفه موضوعًا على رُكبتيه خارج غِمده ليراه العالم كله، وحتى بران كان يعرف معنى أن تُحَيِّي ضيفًا بسيفٍ مشهور.

ردَّد القزم: «أيُّ رجلٍ من حَرس اللَّيل، لكن ليس أنا. أهذا ما تعنيه أيها الصَّبي؟».

نهضَ روب وأشارَ إلى الرَّجل الصَّغير بسيفه قائلًا: «أنا اللورد هنا في غياب أبي وأمي يا لانستر، وأنا لستُ صبيَّك».

- «إذا كنت اللورد، فحريٌّ بك أن تتعلَّم كياسة اللوردات»، قال الرجل الصَّغير متجاهلًا السَّيف المصوَّب إلى وجهه. «يبدو أن أخاك النَّغل هو من يتمتَّع بأخلاق أبيكم».

قال بران لاهثًا من بين ذراعي هودور: «چون!».

التفتَ القزم ونظرَ إليه قائلًا: «ما قيل صحيح إذن، الصَّبي حي. لم أكن أصدِّق هذا حقًّا، لكن من الصَّعب قتلكم فعلًا يا آل ستارك».

- «حريٌّ بآل لانستر أن يتذكَّروا هذا»، قال روب خافضًا سيفه. «هودور، تعالَ بأخي إلى هنا».

- «هودور»، قال هودور وتقدَّم مبتسمًا ووضعَ بران على مقعد آل ستارك العالي الذي جلسَ عليه سادة وينترفل منذ الأيام التي كانوا يُطلِقون فيها على أنفسهم لقب "الملوك في الشَّمال". كان المقعد حَجريًّا باردًا، وصارَ أملسَ من كثرة المؤخِّرات التي جلسَت عليه، وزمجرَت رؤوس الذِّئاب الرَّهيبة المحفورة على ذراعيه الضَّخمتين. وضعَ بران يديه على ذراعي المقعد بعدما جلسَ، تاركًا ساقيه العاجزتين تتدلَّيان، وقد جعلَه المقعد العملاق يَشعُر بأنه طفل رضيع.

وضعَ روب يده على كتفه وقال للقزم: «قلت إن لديك شأنًا مع بران. حسنٌ، ها هو ذا يا لانستر».

كان بران مُدرِكًا لنظرات تيريون لانستر المسلَّطة عليه وأشعرَه هذا بعدم الرَّاحة. واحدة منهما كانت سوداء والأخرى خضراء، وكلتاهما تُحَملِقان فيه، تدرسانه، تَسبُران أغواره. ثم قال الرَّجل الصَّغير أخيرًا: «بران، لقد قيل لي إنك متسلِّق في غاية البراعة، فكيف سقطت في ذلك اليوم إذن؟».

قال بران بإصرار: «أنا لا أسقطُ أبدًا». نعم، *إنه لا يَسقُط أبدًا... أبدًا أبدًا أبدًا.*

قال المِايستر لوين بهدوء: «الصَّبي لا يَذكُر شيئًا عن السَّقطة أو تسلُّقه البُرج قبلها».

قال تيريون لانستر: «غريب!».

قال روب بحدَّة: «أخي ليس هنا ليُجيب على أسئلتك يا لانستر. قُل ما تريد ثم ارحل».

خاطبَ تيريون بران قائلًا: «لديَّ هديَّة لك. هل تُحِبُّ ركوب الخيل؟».

تقدَّم المِايستر منه وقال: «سيِّدي، لقد فقدَ الصَّبي القُدرة على استخدام قدميه، ولا يُمكنه الجلوس على ظَهر حصان».

قال لانستر: «هراء. مع الحصان السَّليم والسَّرج السَّليم يستطيع أيُّ أحدٍ الرُّكوب، حتى المعاقون».

كانت الكلمة كسكِّينٍ اخترقَ قلب بران، وشعرَ بالدُّموع تتجمَّع في عينيه رغمًا عنه، وصاحَ: «أنا لستُ معاقًا!».

قال القزم وقد لوى فمه: «إذن فأنا لستُ قزمًا. سيسعد أبي عندما يسمع هذا الخبر».

ضحكَ جرايچوي، بينما قال المِايستر: «ما نوع الحصان والسَّرج اللذين تقترحهما؟».

أجابَ لانستر: «أقترحُ حصانًا ذكيًّا. الصَّبي لا يستطيع استخدام ساقيه لقيادته، لذا عليك إعداد الحصان ليُناسِب الرَّاكب، أن تُعَلِّمه كيف يستجيب لحركات العِنان المختلفة وصوت راكبه. نصيحتي أن يكون

حصانًا غير مروَّضٍ لم يَبلُغ عامًا بَعد، بلا تدريبٍ قديم عليه أن ينساه ويتعلَّم غيره»، ثم أخرجَ ورقةً مطويَّةً من حزامه وأضافَ: «أعطِ هذه لصانع السُّروج وسيقوم هو بالباقي».

التقطَ المِايستر لوين الورقة من يد القزم بفضول سنجابٍ رماديٍّ صغير، ثم بسطَها ودرسَ محتوياتها بإمعان، قبل أن يقول: «فهمتُ. إنك تجيد الرَّسم يا سيِّدي. نعم، من شأن هذه الطَّريقة أن تَصلُح. كان من المفترَض أن أفكِّر في هذا بنفسي».

- «كان الأمر سهلًا بالنِّسبة لي أيها المِايستر، فهذا لا يختلف كثيرًا عن سَرجي الخاص».

سألَ بران: «هل سأتمكَّن من ركوب حصانٍ حقًّا؟». كان كله رغبة في تصديقهم، لكنه كان خائفًا. لعلَّها مجرَّد كذبةٍ أخرى، فقد وعدَه الغُراب بأنه سيطير.

قال له القزم: «نعم، وأقسمُ لك أيها الصَّبي أنك ستكون طويلًا كأيِّ واحدٍ منهم وأنت على متن الحصان».

بدا روب ستارك حائرًا وهو يقول: «أهذا فخٌّ ما يا لانستر؟ ما الذي يُمَثِّله بران لك؟ ولِمَ ترغب في مساعَدته؟».

- «أخوك چون طلبَ مني أن أُساعِده، كما أن لديَّ في قلبي شفقةً لا تُقاوَم نحو المعاقين والنُّغول والأشياء المكسورة»، ووضعَ تيريون لانستر يده على قلبه وابتسمَ.

انفتحَ الباب المطلُّ على السَّاحة بعُنف، وتدفَّق نور الشَّمس إلى القاعة مع اندفاع ريكون إلى الدَّاخل متقطِّع الأنفاس ومعه الذِّئاب. توقَّف الصَّغير عند الباب متَّسع العينين، لكن الذِّئاب واصلَت طريقها إلى الدَّاخل، وحطَّت نظراتها على لانستر، أو لعلَّها اشتمَّت رائحته. بدأ سَمر يُزَمجِر أولًا، ثمَّ تبعه جراي ويند، واقتربَ الاثنان ببُطءٍ من الرَّجل الصَّغير، واحد من اليمين والثَّاني من اليسار.

قال ثيون جرايجوي: «الذِّئاب لا تُحِبُّ رائحتك يا لانستر».

قال تيريون: «لعلَّ الوقت قد حان لأستأذن بالانصراف»، وأخذَ خطوةً إلى الخلف... وخرجَ شاجيدوج من بين الظِّلال من ورائه مُزَمجِرًا. تراجعَ لانستر، وانقضَّ سَمر عليه من الجانب الآخَر، فحاولَ الابتعاد على قدمين غير ثابتتين، لكنه وجد ذراعه فجأةً بين فكي جراي ويند الذي مزَّق كُمَّه بأنيابه واقتطعَ منه قطعة كبيرةً من القُماش.

- «لا!»، هتفَ بران من مقعده العالي بينما مَدَّ رجال لانستر أيدَيهم إلى سيوفهم. «سَمر، لا! سَمر، تعالَ هنا!».

سمعَ الذِّئب الرَّهيب الصَّوت، ونظرَ إلى بران ثم إلى تيريون، ثم تراجعَ زاحفًا بعيدًا عن القزم واستقرَّ عند ساقي بران المتدليَّتين.

كان روب حابسًا أنفاسه، ثم إنه أطلقَها متنهِّدًا ونادى: «جراي ويند!»، فذهبَ ذِئبه إليه بسرعةٍ صامتة. لم يَعُدْ هناك الآن غير شاجيدوج الذي يُزَمجِر في وجه الرَّجل الصَّغير وعيناه تشتعلان بلهبٍ أخضرَ.

صاحَ بران في أخيه الصَّغير: «ريكون، نادِ عليه»، فتذكَّر ريكون نفسه وصرخَ: «تعالَ هنا يا شاجيدوج، تعالَ، الآن!»، فزمجرَ الذِّئب الأسود في وجه القزم مرَّةً أخيرةً واندفعَ إلى ريكون الذي عانقَه بقوَّةٍ حول عُنقه.

خلعَ تيريون لانستر وشاحه وجفَّف به العَرق السَّائل على جبهته، وقال بصوتٍ محايد: «كم هذا مثير للاهتمام!».

- «هل أنت بخير يا سيِّدي؟»، سأله أحد رجاله حاملًا سيفه في يده وهو يَرمُق الذِّئاب الرَّهيبة بعصبيَّةٍ.

- «كُمِّي ممزَّق وثمَّة بلل لا شكَّ فيه في ثيابي الدَّاخليَّة، لكن شيئًا لم يتأذَّ فيَّ غير كرامتي».

حتى روب بدا مهزوزًا وهو يقول: «الذِّئاب... لا أدري لماذا فعلَت هذا...».

- «لا شكَّ أنها حسبتني عشاءها»، ثم انحنى تيريون لبران انحناءةً

خفيفةً وقال: «أشكرك لأنك أوقفتها يا سيِّدي الصَّغير. أؤكِّد لك أنها كانت ستجدني عسير الهضم. والآن سأنصرفُ حقًّا».

قال المِايستر لوين: «لحظة يا سيِّدي»، ثم اتَّجه إلى روب ومالَ عليه. تهامسَ الاثنان وحاولَ بران أن يسمع ما يقولانه، لكن صوتهما كان خفيضًا للغاية.

ثم دَسَّ روب ستارك سيفه في غِمده وقال: «يبدو... يبدو أنني تسرَّعتُ. لقد قدَّمت لبران جميلًا حقيقيًا و... أعني...»، وتمالَك نفسه بصعوبةٍ وقال: «ضيافة وينترفل تحت أمرك إذا أردت يا لانستر».

- «اعفني من ضيافتك الزَّائفة أيها الصَّبي. أنت لا تُحِبُّني ولا ترغب في وجودي هنا. لقد رأيتُ خانًا خارج أسواركم، في البلدة الشِّتويَّة. سأجدُ سريرًا هناك وسينام كلانا مرتاحًا أكثر. بل وقد أجدُ فتاةً مناسبةً مقابل بضع عُملاتٍ نُحاسيَّةٍ لتُدفِئ لي الفِراش»، ثم خاطبَ أحد الإخوة السُّود له ظَهر محني ولحية شعثاء قائلًا: «يورن، سنتحرَّك جَنوبًا عند الفَجر. لا شكَّ أنك ستجدني على الطَّريق». وهكذا غادرَ تيريون لانستر قاطعًا القاعة بصعوبةٍ بساقيه القصيرتين مارًّا بريكون، وتبعه رجاله.

بقي رجال حَرس اللَّيل الأربعة، ورمقَهم روب بحيرةٍ قائلًا: «لقد أمرتُ بإعداد غُرفٍ لكم، وستجدون مياهًا ساخنةً لتغسلون عن أنفسكم غُبار الطَّريق. أتمنَّى أن تُشَرِّفونا بالانضمام إلينا على مائدة العشاء اللَّيلة». كان يتكلَّم بأسلوبٍ مرتبكٍ للغاية حتى أن بران نفسه لاحظَ هذا. كانت الكلمات قد لُقِنَّت إليه تلقينًا وليست آتيةً من القلب، لكن الإخوة السُّود شكروه على كلِّ حال.

هكذا عادَ بران إلى البُرج محمولًا بين ذراعي هودور الذي وضعَه في فِراشه، وسَمر وراؤه مباشرةً. كانت العجوز نان نائمةً في مقعدها. قال هودور: «هودور»، ورفعَ جدَّته الكبيرة وحملها خارجًا وهي تغطُّ بصوتٍ خفيض، بينما استلقى بران في فِراشه مفكِّرًا. كان روب قد وعدَه بأنه

يستطيع حضور المأدبة المقامة على شَرف رجال حَرس اللَّيل في القاعة الكُبرى. نادى على سَمر، فوثبَ الذِّئب إلى الفِراش، واحتضنَه بران بقوَّةٍ شديدةٍ حتى أنه أحسَّ بالأنفاس السَّاخنة على وجنته. همسَ لصديقه: «يُمكنني أن أركب حصانًا الآن، وسنذهب للصَّيد في الغابة قريبًا».

ثم إنه غابَ في النَّوم بعد قليل.

وفي حُلمه كان يتسلَّق من جديد، يدفع نفسه صاعدًا بُرجًا عتيقًا بلا نوافذ، وأصابعه تغرس نفسها بين أحجارٍ سوداء وقدماه تُحاوِلان العثور على موطئٍ لهما. إلى أعلى وأعلى تسلَّق حتى اخترقَ السَّحاب وخرجَ من بينه إلى سماء اللَّيل، ومع ذلك ارتفعَ البُرج من فوقه. عندما توقَّف ليُلقي نظرةً إلى أسفل، انتابه الدُّوار وسبحَت الموجودات أمام عينيه وشعرَ بأصابعه تنزلق، فصرخَ بران وتشبَّث مرعوبًا من فقدان حياته الثَّمينة. كانت الأرض على بُعد ألف ميلٍ من تحته، وهو لا يستطيع الطَّيران، لا يستطيع الطَّيران حقًّا. انتظرَ حتى انتظمَت ضربات قلبه وحتى استطاعَ التقاط أنفاسه من جديد، ثم عادَ يتسلَّق. لم يكن هناك اتِّجاه يتحرَّك فيه سوى إلى أعلى، وبعيدًا بعيدًا من فوقه خُيِّلَ إليه أنه يرى أشكال الكراجل التي حدَّدها نور القَمر الكبير الشَّاحب. كانت ذراعاه تؤلمانه، لكنه لم يجرؤ على أن يستريح، وأجبرَ نفسه على أن يتسلَّق أسرع. راقبَته الكراجل وهو يصعد بأعيُنٍ تتوهَّج بالأحمر كجمراتٍ في مُستوقَد. لربما كانت أسودًا ذات يوم، لكنها الآن مجرَّد كائناتٍ مشوَّهة. كان بران يسمعها تتهامَس بأصواتٍ حَجريَّةٍ خفيضةٍ تؤلم الآذان. قال لنفسه إنه لا يجب أن يُصغي إليها، لا يجب أن يسمعها، إنه سيكون بخيرٍ طالما تجاهلَ الأصوات... لكن عندما انتزعَت الكراجل نفسها من الحَجر وبدأت تنزل على جانب البُرج حيث يصعد بران، أدركَ أنه لن يكون بخيرٍ على الإطلاق. قال باكيًا وهي تدنو منه أكثر فأكثر: «لم أسمع، لم أسمع، لم أسمع».

واستيقظَ لاهثًا شاعرًا بالضَّياع في الظَّلام، ورأى ظِلًّا ضخمًا يميل

عليه، فهمسَ مرتجفًا رُعبًا: «لم أسمع»، لكن الظِّلَّ قال: «هودور»، وأشعلَ الشَّمعة المجاورة للفِراش، وتنفَّس بران الصُّعداء.

جفَّف هودور عَرقه بقُماشة دافئةٍ مبلَّلة، وألبَسه ثيابه بيدين رشيقتين حانيتين. عندما حانَ الوقت، حمله هودور إلى القاعة الكُبرى حيث أقيمَت مائدة طويلة عالية بالقُرب من النَّار. كان مقعد اللورد على رأس المائدة خاليًا، لكن روب جلسَ إلى يمينه وبران على الجانب الآخَر منه. تناوَلوا لحم الخنازير الصَّغيرة هذه اللَّيلة مع فطائر الحمام واللِّفت الغارق في الزُّبد، وبَعدها وعدَهم الطَّاهي بتقديم أقراص العسل على سبيل التَّحلية. التقطَ سَمر فُتات المائدة من يد بران، بينما تشاجرَ جراي ويند وشاجيدوج على عظمةٍ في أحد الأركان. من المستحيل أن تقترب كلاب وينترفل من القاعة حاليًّا، وكان بران قد وجدَ هذا غريبًا في البداية، وإن أصبحَ معتادًا عليه الآن.

كان يورن الأعلى مقامًا بين الإخوة السُّود، ومن ثمَّ أجلسَه الوكيل بين روب والمِايستر لوين. كانت رائحة منفِّرة تنبعث منه كأنه لم يستحم منذ زمنٍ طويل، وأخذَ يُمَزِّق اللَّحم بأسنانه ويُهَشِّم الأضلاع ليمتصَّ النُّخاع من العظام، وعند ذِكر چون سنو هَزَّ كتفيه وقال: «إنه لعنة السير أليسر»، وأطلقَ نخيرًا بينما اشتركَ اثنان من رفاقه في ضحكةٍ لم يستوعب بران معناها. لكن عندما سألَ روب عن أخبار عمِّهما بنچن، لاذَ الإخوة السُّود بصمتٍ مريب.

سألَ بران: «ما الأمر؟».

مسحَ يورن أصابعه على صُدرته وقال: «ثمَّة أخبار سيِّئة أيها السَّادة، وهي طريقة شديدة القسوة لشُكركم على استضافتكم لنا، لكن على الرَّجل الذي يُلقي السُّؤال أن يتحمَّل الإجابة. لقد اختفى ستارك».

قال أحد رفاقه: «أرسَله الدُّب العجوز للبحث عن وايمار رويس، ولقد تأخَّر في العودة كثيرًا يا سيِّدي».

عقَّب يورن: «كثيرًا جدًّا. لا بُدَّ أنه ماتَ».

- «عمّي لم يَمُتْ»، قال روب بصوتٍ غاضبٍ عالٍ، ونهضَ واضعًا يده على مقبض سيفه مضيفًا: «هل تسمعني؟ عمّي لم يَمُتْ!»، وتردَّد صدى صوته على الجدران الحَجريَّة، وشعرَ بران بخوفٍ مباغتٍ يعتريه.

رفعَ يورن ذو الرَّائحة المنفِّرة عينيه إلى روب وقال بلا تأثُّر: «كما تقول يا سيِّدي»، وأخذَ يمصُّ قطعة لحمٍ عالقةٍ بين أسنانه.

اعتدلَ أصغر الإخوة السُّود بتوتُّرٍ في مقعده وقال: «ليس هناك رجل على "الجِدار" يعرف الغابة المسكونة أكثر من بنچن ستارك. سوف يجد طريقًا للعودة».

قال يورن: «ربما. قد يفعل أو لا يفعل. ثمَّة رجال صالحون دخلوا هذه الغابة من قبل ولم يعودوا بَعدها قَطُّ».

كلُّ ما استطاعَ بران التَّفكير فيه هو قصَّة العجوز نان عن "الآخَرين" وآخِر الأبطال الطَّريد في الغابات البيضاء وفي أعقابه الموتى والعناكب التي تُناهِز كلاب الصَّيد حجمًا. للحظةٍ تملَّكه الخوف، لكنه تذكَّر كيف انتهَت القصَّة، واندفعَ يقول: «سيُساعِده الأطفال، أطفال الغابة!».

أطلقَ ثيون جرايچوي ضحكةً مكتومةً، وقال المِايستر لوين: «بران، لقد ماتَ أطفال الغابة منذ آلاف السِّنين، وكلُّ ما تبقَّى منهم هو الوجوه المحفورة في الأشجار».

قال يورن: «قد يكون هذا صحيحًا أيها المِايستر، لكن وراء "الجِدار" من يدري؟ هناك لا يستطيع المرء التَّفرقة دائمًا بين الحيِّ والميت».

ليلتها، بَعد رفع الأطباق من على المائدة، حملَ روب بران إلى غُرفته بنفسه، وقادَ جراي ويند الطَّريق بينما تبعهم سَمر. كان أخوه قويًّا بالنِّسبة لعُمره، بينما كان بران خفيفًا كحزمةٍ من الخِرَق، لكن الدَّرجات كانت مرتفعةً مظلمةً، ولدى وصولهم إلى غُرفة بران كان روب متقطِّع الأنفاس.

وضعَ بران في فِراشه ودثَّره بالأغطية وأطفأَ الشَّمعة، ولفترةٍ جلسَ

روب إلى جواره في الظَّلام. أراد بران أن يتكلَّم معه، لكنه لم يعرف ماذا يقول، وأخيرًا همسَ روب: «سنَعثُر لك على حصان، أعدك بهذا».

سأله بران: «هل سيعودون؟».

- «نعم»، قال روب والتمنِّي في صوته، فأدركَ بران أنه يسمع أخاه الآن وليس روب اللورد. «ستعود أمي قريبًا، وربما نَخرُج لنلتقي بها عندما تأتي. ألا تعتقد أنها ستكون مفاجأةً كبيرةً لها عندما تراك راكبًا حصانًا؟». حتى في ظلام الغُرفة كان بران يَشعُر بابتسامة أخيه. «وبَعدها سنتَّجه شَمالًا لنرى "الجِدار". لن نُخبِر چون بمجيئنا، وسنذهب إليه معًا. ستكون مغامرة».

- «مغامرة»، ردَّد بران بتوقٍ حزين. سمعَ نحيب أخيه، لكن ظلام الغُرفة لم يسمح له برؤية دموع روب، فمدَّ يده وعثرَ على يده، وتعانقَت أصابعهما معًا.

إدارد

- «كلنا حزنًا كثيرًا لوفاة اللورد آرن يا سيدي»، قال المِايستر الأكبر پايسل. «سيُسعِدني للغاية أن أقصَّ عليك كلَّ ما أستطيعُ عن كيفيَّة وفاته. تفضَّل بالجلوس. هل ترغب في بعض المرطِّبات؟ بعض التَّمر ربما؟ لديَّ تين كاكي ممتاز كذلك. أخشى أن النَّبيذ لم يَعُدْ يُناسِب قُدرتي على الهضم، لكن يُمكنني أن أقدِّم لك كوبًا من الحليب المثلَّج المحلَّى بالعسل. إنه منعشٌ للغاية في هذا القيظ».

كان الجَوُّ شديد الحرارة بلا شك، وشعرَ ند بسُترته تلتصق بصدره. كان الهواء الرَّطب المثقل بالأتربة قد غطَّى المدينة كدثارٍ صوفيٍّ مبتل، وسادَت الجلبة ضفَّة النَّهر مع هروب الفقراء من بيوتهم الضيِّقة الحارَّة وشجارهم على مكانٍ للنَّوم بالقُرب من الماء، المكان الوحيد الذي وجدوا فيه نسمةً من الرِّيح. قال ند وهو يجلس: «لا بأس على الإطلاق».

رفعَ پايسل جرسًا دقيق الحجم بسبَّابته وإبهامه ورنَّه بخفَّة، وهُرِعَت خادمة شابَّة نحيفة إلى غُرفته الشَّمسيَّة، فقال لها: «حليب مثلَّج ليَدِ المَلك ولي إذا سمحتِ يا صغيرتي، محلًّى جيِّدًا».

ريثما ذهبَت الخادمة لإحضار المشروب، شبكَ المِايستر الأكبر أصابعه معًا وأراحَ يديه على بطنه قائلًا: «العامَّة يقولون إن آخِر أعوام الصَّيف هو الأكثر حرارةً دائمًا. ليس هذا صحيحًا بالطَّبع، وإن بدا هكذا أحيانًا، أليس كذلك؟ في أيامٍ كهذه أحسدكم أيها الشَّماليين على ثلوجكم

الصَّيفيَّة». صلصلت السّلسلة الثَّقيلة ذات الجواهر المتعدِّدة حول عُنق الرَّجل الهَرِم بخفوتٍ وهو يعتدل في مقعده مستطردًا: «من المؤكَّد أن الصَّيف الذي حَلَّ في عهد مايكار كان أعلى حرارةً من الحالي، وكان هناك بعض الحمقى -حتى في "القلعة"- ممن اعتقدوا أن الصَّيف الأعظم قد جاءَ أخيرًا، الصَّيف الذي لا ينتهي أبدًا، لكنه انتهى بغتةً في عامه السَّابع، ثم جاءَ خَريف قصير تلاه شتاء قاسٍ طويل. لا أحد يُمكنه إنكار أن الحرارة كانت مرتفعةً للغاية في ذلك الصَّيف على الرغم من ذلك. في البلدة القديمة كان الجَوُّ كأتونٍ حقيقي بالنَّهار، ولم تكن الحياة تدبُّ فيها إلَّا ليلًا. كنا نتمشَّى في الحدائق المطلَّة على النَّهر ونتناقَش حول الآلهة. ما زلتُ أذكرُ روائح تلك اللَّيالي يا سيِّدي، روائح العِطر والعَرق، الشمَّام الموشك على الانفجار من فرط النُّضج، الخوخ والرُّمَّان، البَنْج وزهر القَمر. كنتُ شابًّا وقتها وسلسلتي لا تزال قيد التَّكوين، ولم تكن الحرارة تُرهِقني كما تفعل الآن». كانت عينا پايسل ذاتا جفنين ثقيلين جدًّا حتى أنه بدا نِصف نائم. «اعذُرني أيها اللورد إدارد، أعلمُ أنكَ لم تأتِ كي تُصغي لذكرياتٍ حمقاء عن صيفٍ نسيه الجميع قبل أن يولَد أبوك حتى. سامِحني باعتباري رجلًا طاعنًا في السِّنِّ على شرودي إذا تكرَّمت. أخشى أن العقول كالسُّيوف، القديم منها يكسوه الصَّدأ ولو بعد حين. آه، وها هو الحليب». وضعَت الخادمة الشَّابَّة صحفةً بينهما، وابتسمَ لها پايسل قائلًا: «صغيرةٌ حُلوةٌ أنتِ»، ثم رفعَ كوبه وتذوَّقه، قبل أن يومئ برأسه استحسانًا ويقول: «شكرًا، يُمكنكِ الانصراف».

عندما انصرفَت الفتاة، رمقَ المِايستر ند بعينين باهتتين دامعتين وقال: «والآن أين كنا؟ آه، كنت تسألني عن اللورد آرن».

قال ند: «هذا صحيح»، وأخذَ رشفةً من الحليب المثلَّج. كان باردًا على نحوٍ منعشٍ فعلًا، وإنما أكثر حلاوةً مما يروق له.

قال بايسل: «الحقُّ يُقال إن حضرة اليَد لم يبدُ على طبيعته لفترةٍ من الزَّمن قبل وفاته. لقد كنا زميلين في المجلس لسنواتٍ طويلة، وأمارات التغيُّر كانت واضحةً عليه، لكني اعتقدتُ أنها بسبب الأعباء الكبيرة التي تحمَّلها بإخلاصٍ كلَّ تلك الفترة. كانت كتفاه العريضتان مثقلتين بهموم البلاد، علاوة على أن ابنه كان سقيمًا طوال الوقت، والسيِّدة زوجته كانت شديدة القلق عليه دائمًا ولا تسمح له بالغياب عن نظرها. كان هذا كافيًا لإرهاق أقوى الرِّجال، واللورد آرن لم يكن شابًّا. لا عجب أنه بدا مكتئبًا متعَبًا، أو هكذا حسبتُ وقتها، لكني أقلُّ ثقةً من هذا الآن». ختمَ عبارته وهزَّ رأسه بتثاقُل.

- «بِمَ تستطيع أن تُخبِرني عن مرضه الأخير؟».

فردَ المِايستر الأكبر يديه بإشارةٍ تدلُّ على الأسى العاجز، وقال: «جاءَ إليَّ ذات يومٍ يسألني عن كتابٍ معيَّن وكله صحَّة وعنفوان، وإن بدا لي أنه يعاني من ضيقٍ شديدٍ من شيءٍ ما، وفي اليوم التَّالي كان يتلوَّى ألمًا، مريضًا للغاية لا يقوى حتى على مغادَرة الفِراش. حسبَ المِايستر كولمون أنه بَرد في المعدة. كان الطَّقس حارًّا وقتها، وغالبًا ما كان اليَدُ يضيف الثَّلج إلى نبيذه، وهو ما من شأنه أن يُحدِث عُسرًا في الهضم. ثم إنني ذهبتُ إلى اللورد چون بنفسي عندما ظَلَّ يَضعُف، لكن الآلهة لم تمنحني القُدرة على إنقاذه».

- «سمعتُ أنك صرفت المِايستر كولمون».

كانت إيماءة المِايستر الأكبر شديدة البُطء والتَّأنِّي كحركة نهرٍ جَليدي وهو يُجيب: «صحيح، وأخشى أن الليدي لايسا لن تُسامِحني على هذا أبدًا. لعلِّي كنتُ مخطئًا، لكني حسبتُ أن هذا هو التصرُّف الأسلم وقتها. المِايستر كولمون بمثابة ابنٍ لي ولا يُمكنني إطلاقًا إنكار قُدراته، لكنه شاب، وكثيرًا ما لا يستوعب الشَّباب هشاشة أجساد الأكبر منهم عُمرًا. كان يُطَهِّر أمعاء اللورد آرن مستخدمًا شرباتٍ متعِبة والفلفل المعصور، وخشيتُ أن يَقتُله هذا».

- «هل قال لك اللورد آرن أيَّ شيءٍ خلال ساعاته الأخيرة؟».

عقدَ پايسل حاجبيه وقال: «في المرحلة الأخيرة من الحُمَّى ظَلَّ اليَدُ يُنادي على اسم روبرت مرَّاتٍ عديدة، لكني لا أدري إن كان يُنادي على ابنه أم المَلك حقًّا. لم تسمح الليدي لايسا للصَّبي بدخول حُجرة المرضى خشية أن تُصيبه العدوى، لكن المَلك جاءَ وجلسَ إلى جوار الفِراش لساعات يتكلَّم ويمزح عن الماضي القديم آملًا أن يرفع هذا من روح اللورد چون المعنويَّة. كان من الجليِّ أن حُبَّه له كان عظيمًا».

- «ألم يكن هناك شيء آخَر؟ لا كلمات أخيرة؟».

- «لمَّا رأيتُ أن لا أمل هنالك، سقيتُ اليَدَ حليب الخشخاش كي لا يُعاني أكثر. قبل أن يُغلِق عينيه للمرَّة الأخيرة، همسَ بشيءٍ للمَلك والسيِّدة زوجته، بركةً لابنه على ما أعتقدُ. "البذرة قويَّة"، قال. في النِّهاية كان كلامه أكثر ارتباكًا من أن يُفهَم. لم تُوافِه المنيَّة حتى الصَّباح التَّالي، لكن اللورد چون كان نائمًا في سلامٍ حينها، ولم يتكلَّم ثانيةً».

أخذَ ند رشفةً أخرى من الحليب محاولًا ألَّا تدفعه حلاوته المفرطة إلى القيء، وقال: «هل بدا لك أن ثمَّة شيئًا غير طبيعي يحيط بوفاة اللورد آرن؟».

- «غير طبيعي؟»، قال المِايستر الأكبر بصوتٍ خفيض. «كلا، لا يُمكنني أن أزعم هذا. مُحزنٌ لا ريب، لكن على طريقته الخاصَّة الموت هو أكثر شيءٍ طبيعي في الدُّنيا يا لورد إدارد. چون آرن يَرقُد في سلامٍ الآن وقد رُفِعَت الأعباء عن كاهله أخيرًا».

- «ذلك المرض الذي سلبه حياته، هل سبقَت لك رؤيته في أحدٍ آخَر من قبل؟».

أجابَ پايسل: «إنني مِايستر المَمالك السَّبع الأكبر منذ ما يَقرُب من أربعين عامًا، تحت حُكمِ مَلكنا المحبوب روبرت، إيرس تارجارِيَن من قبله، وأبيه چايهيرس الثَّاني من قبله، ولبضعة شهورٍ حتى تحت حُكم

أبي چايهيرس، إجون الخامس الملقَّب بالميمون. لقد رأيتُ أمراضًا أكثر مما أحبُّ أن أتذكَّر يا سيِّدي، فدَعني أقولُ لك هذا: كلُّ حالةٍ تختلف عن غيرها، وكلُّ حالةٍ تتشابَه مع غيرها، ووفاة اللورد آرن لم تكن أغرب من غيرها».

- «زوجته تعتقد غير ذلك».

هَزَّ المِايستر الأكبر رأسه موافقًا وقال: «تذكَّرتُ الآن أن أرملته شقيقة للسيِّدة زوجتك. إذا كان يُمكنك أن تُسامِح رجلًا مُسِنًّا على فظاظة كلامه، فدَعني أقول لك إن الحُزن يستطيع تضليل حتى أقوى العقول وأكثرها تنظيمًا، والليدي لايسا لم تتمتَّع بعقلٍ كهذا قَطُّ. منذ ولادة جنينها الأخير ميتًا وهي ترى أعداءً متوارين في كلِّ ركن، ووفاة زوجها تركَتها محطَّمةً ضائعةً».

- «إذن فأنت واثق تمامًا من وفاة چون آرن بمرضٍ مفاجئ؟».

أجابَ پايسل عابسًا: «أجل. إن لم يكن هذا مرضًا يا سيِّدي، فماذا إذن؟».

قال ند بهدوءٍ شديد: «سُمًّا».

اتَّسعت عينا المِايستر النَّاعستان واعتدلَ متوتِّرًا في مقعده وقال: «هذه فكرة مزعجة حقًّا، لكننا لسنا في المُدن الحُرَّة التي تشيع فيها أشياءَ كتلك. المِايستر الأكبر إيثلميور كتبَ أن القتل يَسكُن قلوب كلِّ البَشر، لكن حتى مع ذلك ما زال القتل بالسُّمِّ عارًا لا يُمحى»، وصمتَ للحظاتٍ وقد بدا مستغرقًا في التَّفكير، ثم أضافَ: «ما تقترحه ممكن يا سيِّدي، لكني لا أعتقدُ أنه محتمَل. كلُّ مِايستر مبتدئ على علمٍ بالسُّموم الدَّارجة، بينما لم تبدُ دلالة واحدة على التسمُّم على اللورد آرن. كما أن الجميع كانوا يُحِبُّون اليَدَ، فأيُّ وحشٍ يرتدي لحم إنسانٍ قد يجرؤ على اغتيال رجلٍ نبيلٍ مثله؟».

- «سمعتُ أن السُّمَّ سلاح النِّساء».

ملَّس پايسل على لحيته مفكِّرًا وقال: «يُقال إنه سلاح النِّساء والجبناء...

والمخصيِّين»، ثم تنحنحَ وبصقَ كتلةً سميكةً من البلغم في أصيص زرع، ومن فوقهما أطلقَ غُداف نعيبًا عاليًا في المِغدفة. «هل تعلم أن اللورد ڤارس وُلِدَ عبدًا في ليس؟ إياك أن تضع ثقتك في العناكب يا سيِّدي».

لم يكن ند في حاجة حقًّا لتحذيرٍ كهذا، فثمَّة شيء ما في ڤارس يجعل بدنه يقشعرُّ دائمًا. قال وهو ينهض: «سأتذكَّر هذا أيها المِايستر، وأشكرك على مساعَدتك. لقد أخذتُ ما يكفي من وقتك».

نهضَ المِايستر الأكبر پايسل من مقعده ببُطءٍ وقادَ ند إلى الباب قائلًا: «أتمنَّى أني ساعدتُ ولو على نحوٍ صغير على إراحتك. إذا كانت هناك أيُّ خدمةٍ أخرى يُمكنني تقديمها لك، فما عليك إلَّا أن تَطلُب».

قال ند: «ثمَّة شيء واحد. أحبُّ أن أطَّلع على الكتاب الذي أعَرته لچون في اليوم السَّابق لسقوطه مريضًا».

قال پايسل: «أخشى أنك لن تجده ذا أهميَّةٍ كبيرة. إنه مجلَّد ثقيل من تأليف المِايستر الأكبر ماليون عن أنساب العائلات الكبيرة».

- «ولو، أحبُّ أن أطَّلع عليه رغم ذلك».

فتحَ الشَّيخ الباب قائلًا: «كما تشاء. إنه هنا في مكانٍ ما. عندما أعثر عليه سأرسِله إلى سكنك على الفور».

قال ند: «لقد كنت شديد اللُّطف معي أيها المِايستر»، ثم راودَه خاطِر في تلك اللَّحظة فقال: «سؤال أخير إذا سمحت. لقد قلت إن المَلك كان إلى جوار فِراش اللورد آرن لدى وفاته، فهل كانت المَلكة حاضرةً كذلك؟».

- «كلا، المَلكة وأبناؤها كانوا في طريقهم إلى كاسترلي روك في صُحبة أبيها. كان اللورد تايوين قد جلبَ حاشيته معه إلى المدينة من أجل دورة المباريات التي أقيمَت يوم ميلاد الأمير چوفري، آملًا أن يرى ابنه چايمي يفوز بتاج البطولة لا ريب، لكن أمله في ذلك خابَ للأسف. خطرَ لي أن أرسِل خبر وفاة اللورد آرن المفاجئة للمَلكة، ولم يَحدُث قَطُّ أن أرسلت طائرًا بقلبٍ حزينٍ كيومها».

تمتمَ ند: «أجنحة سوداء، أخبار سوداء». كان هذا مثلًا علَّمته العجوز نان إيَّاه وهو صبي.

قال پايسل موافقًا: «هكذا تقول بائعات السَّمك في الأسواق، لكننا نعرف أن هذا ليس صحيحًا دائمًا. عندما أرسلَ المِايستر لوين خبر ابنك بران، أسعدَت الرِّسالة كلَّ ذي قلبٍ صادقٍ في القلعة، أليس كذلك؟».

- «كما تقول أيها المِايستر».

حنى پايسل رأسه قائلًا: «الآلهة رحيمة. تعالَ إليَّ كلما شئت أيها اللورد إدارد. أنا هنا لأخدم».

لنفسه قال ند والباب ينغلق: *نعم، لكن مَن؟*

في طريق عودته إلى سكنه وجدَ ابنته آريا على سلالم بُرج اليَدِ الملتفَّة، تُدَوِّر ذراعيها كطاحونة الهواء وهي تُكافِح لتقف متوازنةً على ساقٍ واحدة، وقد أبلت الحجارة الخشنة قديمها الحافيتين. توقَّف ند ورمقَها قائلًا: «آريا، ماذا تفعلين؟».

- «سيريو يقول إن راقص المياه يستطيع الوقوف على إصبع قدم واحدٍ لساعات»، ولوَّحت بيديها في الهواء وهي تُحاوِل الحفاظ على ثباتها.

ابتسمَ ند رغمًا عنه وقال مُشاكِسًا: «أيُّ إصبع؟».

- «أيُّ إصبعٍ منها!»، أجابَت آريا غاضبةً من السُّؤال، ثم وثبَت من على ساقها اليُمنى إلى اليُسرى متمايلةً على نحوٍ خطِرٍ قبل أن تستعيد توازُنها.

سألها: «أيجب أن تقفي هنا؟ هذه السَّلالم مرتفعة جدًّا والسُّقوط عليها قاتِل».

- «سيريو يقول إن راقص المياه لا يَسقُط أبدًا»، وخفضَت ساقها لتقف على قدميها معًا وسألته: «أبي، هل سيأتي بران ليُقيم معنا الآن؟».

أجابَها: «ليس قبل فترةٍ طويلة. يجب أن يستعيد قواه أولًا».

عضَّت آريا شفتها وقالت: «ماذا سيفعل بران عندما يَبلُغ؟».

ركعَ على رُكبته إلى جوارها قائلًا: «ما زالت أمامه سنوات حتى يجد إجابةً لهذا السُّؤال يا آريا، أمَّا حاليًّا فيكفي أنه حي». ليلة جاءَ الطَّائر بالرِّسالة من وينترفل أخذَ إدارد ستارك ابنتيه إلى أيكة الآلهة في القلعة، التي كانت عبارةً عن فدَّانٍ من أشجار جار الماء والـدَّردار وأشجار الحور القُطني السَّوداء التي تطلُّ على النَّهر. كانت شجرة القلوب هناك شجرة سَنديان ضخمة اكتسَت غصونها العتيقة بفروع التُّوت الدُّخَّاني. ركعَ ثلاثتهم أمام الشَّجرة وقدَّموا شُكرهم كأنها شجرة ويروود. غابَت سانزا في النَّوم مع ارتفاع القَمر في السَّماء، وآريا بَعدها بساعاتٍ وقد ثنَت جسدها على العُشب تحت عباءة ند، وظلَّ هو ساهرًا وحده طوال ساعات اللَّيل المظلمة، وعندما طلعَ الفَجر على المدينة كانت زهور أنفاس التنِّين ذات اللَّون الأحمر الدَّاكن تُحيطان بالفتاتين وهما ممدَّدتان على الأرض، وقالت له سانزا: «لقد حلمتُ ببران، رأيته يبتسم».

كانت آريا تقول الآن: «كان سيُصبِح فارسًا، فارسًا في الحَرس المَلكي. أما زال يستطيع هذا؟».

- «كلا»، أجاب ند وقد رأى عدم جدوى الكذب عليها. «لكنه قد يصير سيِّدًا لمعقلٍ عظيمٍ ذات يوم ويُصبح عضوًا في مجلس المَلك. قد يُشَيِّد قلاعًا مِثل براندون البنَّاء، أو يَمخُر عباب بَحر الغروب بسفينة، أو يعتنق ديانة أمك ويُصبح السِّبتون الأعلى». *لكنه لن يجري وذِئبه إلى جانبه ثانيةً أبدًا*، فكَّر بحُزنٍ أعمق من أن يوصف بالكلمات، *أو ينام مع امرأة، أو يحمل ابنه بين ذراعيه*.

حنَت آريا رأسها إلى الجانب وقالت: «هل يُمكنني أن أكون مستشارةً للمَلك وأشيِّد القلاع وأصبح السِّبتون الأعلى؟».

لثَمَ ند جبهتها وقال: «أنتِ ستتزوَّجين مَلكًا وتَحكُمين قلعته، وسيكون أبناؤكِ فُرسانًا وأمراء ولوردات، وربما يصير أحدهم السِّبتون الأعلى كذلك، نعم».

قالت آريا وعلى وجهها تعبير مشمئز: «لا، هذه سانزا»، وطوَت ساقها اليُمنى واستأنفَت تدريب التَّوازُن، فتنهَّد ند وتركَها هناك.

في غُرفته خلعَ ملابسه المبلَّلة بالعَرق وغسلَ رأسه بالماء البارد من الطَّست المجاور للفِراش، ودلفَ آلين إلى الغُرفة وهو يُجَفِّف وجهه قائلًا: «سيِّدي، اللورد بايلش في الخارج ويَطلُب لقاءك».

- «اصحبه إلى الغُرفة الشَّمسيَّة»، قال ند وهو يمدُّ يده إلى سُترةٍ نظيفةٍ من أخفِّ كتَّانٍ لديه. «سألتقي به في الحال».

كان الإصبع الصَّغير جالسًا على المقعد المجاور للنَّافذة عندما دخلَ ند، يتفرَّج على فُرسان الحَرس المَلكي يُمارِسون تدريبات المُبارَزة في السَّاحة في الأسفل، وقال بأسىً: «ليت عقل سلمي كان رشيقًا كسيفه؛ لكانت اجتماعات المجلس أكثر مرحًا بكثير».

قال ند: «السير باريستان سلمي شجاع شريف كأيِّ رجلٍ في كينجز لاندنج». كان ند قد وجدَ في نفسه احترامًا عميقًا لحضرة قائد الحَرس المَلكي المُسِنِّ أبيضَ الشَّعر.

أضافَ الإصبع الصَّغير: «ومُتعِب مِثل أيِّهم كذلك، وإن كنتُ أجرؤُ على القول إنه سيُبلي بلاءً حسنًا في دورة المباريات. العام الماضي أسقطَ كلب الصَّيد عن حصانه، كما أنه كان بطل الدَّورة منذ سنواتٍ أربع لا أكثر».

لم يكن إدارد ستارك يملك أدنى اهتمامٍ بمسألة الفائز بالدَّورة، وهكذا قال: «هل هناك سبب لهذه الزِّيارة يا لورد پيتر، أم أنك هنا لتستمتع بالمنظر من نافذتي؟».

ابتسمَ الإصبع الصَّغير قائلًا: «لقد وعدتُ كات بأني سأُساعِدك في تحقيقك، وهذا ما فعلته».

اندهشَ ند لهذا. وعد أو لا وعد، هو لم يجد في نفسه استطاعةً للثِّقة باللورد پيتر بايلش، الذي أعطاه دائمًا انطباعًا بأنه مغرور جدًّا بذكائه إلى درجةٍ تُثير الضِّيق. «ألديك شيءٌ ما لي؟».

قال الإصبع الصَّغير: «شخصٌ ما بالأحرى، أربعة على سبيل الدِّقَّة. هل فكَّرت في استجواب خدم اليَد؟».

عقدَ ند حاجبيه وقال: «ليتني أستطيع، لكن الليدي آرن أخذَت جميع أهل بيتها معها إلى "العُش"». لم تكن لايسا قد أسدَت له أيَّ خدماتٍ في هذا الصَّدد، فكلُّ من كانوا قريبين من زوجها غادَروا معها عندما فرَّت: مِايستر چون، وكيله، قائد حَرسه، فُرسانه وخدمه.

قال الإصبع الصَّغير: «معظم أهل بيته وليس جميعهم. هناك قِلَّة ممن بقوا: خادمة مطبخ حامل زُفَّت على عجلٍ إلى أحد سائسي خيل اللورد رنلي، وصبي اسطبل انضمَّ إلى حَرس المدينة، وساقٍ طُرِدَ من الخدمة بَعد اتِّهامه بالسَّرقة، ومُرافِق اللورد آرن الخاص».

- «مُرافِقه الخاص؟». كانت مفاجأةً سارَّةً لند، فالمُرافِق الشَّخصي يعرف الكثير جدًّا عن ذهاب وإياب الرَّجل الذي يخدمه.

- «السير هيو فارس "الوادي". لقد رفعَ المَلك الصبيَّ إلى رُتبة فارس بَعد وفاة اللورد آرن».

قال ند: «سأستدعيه، والآخَرين كذلك».

رمقَه الإصبع الصَّغير بعدم تصديق، ثم أشارَ إليه وقال: «هلَّا جئت عند النَّافذة من فضلك يا سيِّدي؟».

- «لماذا؟».

- «تعالَ وسأريك».

عاقدًا الحاجبين ذهبَ ند إلى النَّافذة، فلوَّح پيتر بايلش بيده قائلًا: «هناك، عبر السَّاحة، عند باب مستودع السِّلاح، هل ترى الصَّبي الجالس القرفصاء عند السُّلَّم يشحذ سيفه؟».

- «ماذا عنه؟».

- «إنه يرفع تقاريره إلى ڤارس. العنكبوت شديد الاهتمام بكلِّ ما تفعله»، ثم اعتدلَ في مقعده وقال: «والآن انظر إلى السُّور، إلى الغَرب أكثر، فوق الاسطبل، الحارس المائل على المتراس».

رأى ند الرَّجل فقال: «واحد آخَر من هامسي الخَصِي؟».

- «لا، هذا ينتمي إلى المَلكة. لاحِظ أنه يستمتع بمنظر بابه البديع، كي يرى من يزورك بشكلٍ أفضل. هناك آخَرون، كثيرون منهم أجهلهم. القلعة الحمراء مليئة بالأعيُن، فلِمَ تحسب أني خبَّأتُ كات في ماخور؟».

لم يكن إدارد ستارك يطيق تلك الدَّسائس، وغمغمَ: «بحقِّ الجحائم السَّبع!». لقد بدا أن الرَّجل الواقف على السُّور يُراقِبه بالفعل. انتابه شعور مفاجئ بعدم الرَّاحة، وابتعدَ عن النَّافذة قائلًا: «أيتجسَّس كلُّ أحدٍ لحساب أحدٍ ما في هذه المدينة الملعونة؟».

- «قِلَّة»، قال بايلش ثم بدأ يعدُّ على أصابعه قائلًا: «هناك أنا، وأنت، والمَلك... لكن إذا فكَّرت قليلًا ستجد ثم إن المَلك يُخبِر المَلكة بالكثير جدًّا، كما أني صرتُ غير متأكِّدٌ منك تمامًا الآن»، ونهضَ قائلًا: «هل هناك رجل في خدمتك تثق به تمام الثِّقة؟».

- «نعم».

قال الإصبع الصَّغير بابتسامةٍ ساخرة: «في هذه الحالة لديَّ قصر منيف في ڤاليريا أحبُّ أن أبيعك إياه. "لا" كانت الإجابة الأكثر حكمةً يا سيِّدي، لكن على كلٍّ أرسِل هذا الرَّجل الفلتة إلى السير هيو والآخَرين. سوف يخضع ذهابك وإيابك للمراقَبة دائمًا، لكن حتى ڤارس العنكبوت لا يستطيع مراقَبة كلِّ رجلٍ في خدمتك طوال ساعات اليوم كلَّ يوم»، ثم إنه نهضَ واتَّجه إلى الباب.

نادى ند عليه قائلًا: «لورد بايلش، إنني... ممتنٌّ لمساعدَتك. لعلِّي أخطأتُ حين لم أثق بك».

داعبَ الإصبع الصَّغير لحيته القصيرة المدبَّبة وقال: «أنت بطيء التعلُّم حقًّا أيها اللورد إدارد. إن عدم ثقتك بي هو أحكم شيءٍ فعلته منذ ترجَّلت عن حصانك في هذا المكان».

چون

كان چون يشرح لداريون الطريقة الأمثل لتسديد ضربةٍ جانبيَّة، عندما دخلَ المجنَّد الجديد إلى ساحة التَّدريب. كان يقول مُسْتَحِثًّا: «يجب أن تكون قدماك متباعدتين أكثر كي لا تفقد توازنك، نعم، هكذا، جيِّد، والآن دُر على محورك وأنت تهوي بالسَّيف، ضع ثقلك كله وراءه».

توقَّف دايرون وفتحَ مقدِّمة خوذته مغمغمًا: «بحقِّ الآلهة السَّبعة! چون، هلَّا نظرت إلى هذا؟».

التفتَ چون، وعبر فتحة العين في خوذته أبصرَ أبدن ولدٍ رآه في حياته على الإطلاق يقف عند باب مستودع السِّلاح، مجرَّد النَّظر إليه يجعلك ترى أنه يزن مئتي رطلٍ على أقلِّ تقدير. كانت ياقة صُدرته الفرو المطرَّزة متواريةً تحت لُغده، وتحرَّكت عيناه الباهتتان بعصبيَّةٍ في وجهه المستدير الضَّخم، بينما جفَّفت أصابعه السَّمينة المبلَّلة بالعَرق نفسها على سُترته المخمليَّة. كان يقول متلعثمًا دون أن يُوَجِّه كلامه لأحدٍ معيَّن: «قالوا... قالوا لي أن آتيَ إلى هنا... للتَّدريب».

- «لورد صغير»، قال پيپ لچون. «جَنوبي، من مكانٍ من بالقُرب من هايجاردن غالبًا». كان پيپ قد زارَ بلدان المَمالك السَّبع كلها مع فرقةٍ من الممثِّلين المتجوِّلين، ويتباهَى بأنه يستطيع أن يَحزِر أصلك والمكان الذي وُلِدت فيه من مجرَّد اللَّكنة التي تتكلَّم بها.

على صدر سُترة الولد البدين المبطَّنة بالفرو طُرِّزَ صيَّاد طويل السَّاقين

بخيطٍ قرمزي اللَّون، لكن چون لم يتعرَّف على هذا الرَّمز. رمقَ السير أليسر ثورن تكليفه الجديد وقال: «يبدو أن لديهم شُحًّا في اللُّصوص ومنتهكي الحُرمات في الجَنوب، والآن يُرسِلون لنا الخنازير لحماية "الجِدار". هل يتَّخذ فخذ الخنزير من الفرو والمخمل دِرعًا له؟».

سرعان ما تبيَّن أن المجنَّد الجديد جلبَ معه دِرعه الخاصَّة كاملةً، من السُّترة المبطَّنة إلى الجِلد المقوَّى بالزَّيت المغلي وقميص الحلقات المعدنيَّة والخوذة، وحتى التُّرس الكبير المصنوع من الخشب والجِلد المزيَّن برمز الصيَّاد نفسه على سُترته. لكن لأن شيئًا من هذا لم يكن أسودَ اللَّون، أصرَّ السير أليسر أن يقوم الولد البدين بإعادة تجهيز نفسه من مستودع السِّلاح. استغرقَ هذا نِصف النَّهار تقريبًا، إذ أجبرَ حجمه دونال نوي على أن يُفَكِّك قميص حلقاتٍ معدنيَّة ويُزَوِّده بلوحينِ من الجِلد من الجانبين كي يُناسِب مقاسه، واضطرَّ صانع السِّلاح إلى خلع مقدِّمة الخوذة الجديدة تمامًا كي تُصبِح قابلةً للوضع على رأسه. في النِّهاية بدا الجِلد مربوطًا بإحكامٍ شديدٍ حول ساقيه وتحت ذراعيه حتى أنه كان يتحرَّك بصعوبة؛ والآن وقد صارَ جاهزًا للمعركة كان الولد الجديد يبدو كقطعةٍ مفرطة الطَّهي من السُّجق على وشك الانفجار. «لنتمنَّ أنك لست بالحماقة التي تبدو بها»، قال السير أليسر: «هالدر، أرِنا ما يستطيع الفارس الخنزير فِعله».

ارتاعَ چون سنو. لقد وُلِدَ هالدر في محجرٍ وتدرَّب على أن يكون حجَّارًا منذ نعومة أظفاره. كان في السَّادسة عشر من عُمره، طويلًا مفتول العضلات وضرباته من أقوى ما تعرَّض له چون. غمغمَ پيپ: «سيكون هذا أقبح من دُبر مومس»... وقد كان. دامَ القتال لأقلَّ من دقيقة، قبل أن ينطرح الولد البدين أرضًا وجسده كله يرتجف والدِّماء تسيل عبر خوذته المحطَّمة وبين أصابعه المنتفخة، ويَصرُخ: «أستسلمُ! كفى، إنني أستسلم، لا تضربني!».

كان راست وعدد من الصِّبية الآخَرين يضحكون على المنظر المثير للشَّفقة، إلَّا أن السير أليسر رفضَ أن يضع نهايةً للأمر على الرغم من ذلك، وقال: «على قدميك أيها الفارس الخنزير، هَلُمَّ، التقِط سيفك». ظَلَّ الولد متشبِّثًا بالأرض، فأشارَ ثورن إلى هالدر قائلًا: «اضربه بالجانب المسطَّح من سيفك حتى ينهض»، وعلى مضضٍ سدَّد هالدر ضربةً متوسِّطة القوَّة إلى وجنة خصمه المرفوعة، فقال ثورن باستهزاء: «يُمكنك أن تضرب بقوَّةٍ أكبر، أليس كذلك؟». هكذا أطبقَ هالدر على مقبض سيفه الطَّويل بكلتا يديه، وهوى به بقوَّةٍ شديدةٍ حتى أن ضربة السَّيف -رغم أنها كانت بجانبه المسطَّح- قد شقَّت جِلد الولد البدين، فأطلقَ صرخةِ ألمٍ عنيفة.

في هذه اللَّحظة تقدَّم چون سنو خطوةً إلى الأمام، فوضعَ پيپ يده على كتفه وقال هامسًا وهو يَرمُق السير أليسر ثورن بتوتُّر: «چون، لا».

كرَّر ثورن: «على قدميك»، وكافحَ الولد البدين كي ينهض، ثم انزلقَ وسقطَ مرَّةً أخرى. «الفارس الخنزير بدأ يستوعب الأمر. هَلُمَّ، على قدميك».

رفعَ هالدر السَّيف استعدادًا لضربةٍ أخرى، بينما قال راست ضاحكًا: «اقطع لنا قطعةً من الفخذ!».

أزاحَ چون يد پيپ وصاحَ: «هالدر، كفى!».

ونظرَ هالدر إلى السير أليسر منتظرًا أمره، فقال قيِّم السِّلاح بنبرته الباردة الحادَّة المعتادة: «يتكلَّم النَّغل فيرتجف الفلَّاحون. دعني أُذكِّرك أني قيِّم السِّلاح هنا أيها اللورد سنو».

قال چون مخاطبًا هالدر ومتجاهلًا السير أليسر قَدر المستطاع: «انظر إليه يا هالدر. ليس هناك شَرف في ضرب الخصم المهزوم. لقد استسلمَ»، وركعَ إلى جوار الولد البدين.

خفضَ هالدر سيفه وردَّد: «لقد استسلمَ».

ثبَّت السير أليسر عينيه السَّوداوين على چون سنو الذي يُساعِد الولد

البدين على النُّهوض، وقال: «يبدو أن نغلنا وقعَ في الحُب. أرِني سيفك أيها اللورد سنو».

شهرَ چون سيفه الطَّويل. كان يعلم أن هناك حدودًا لتحدِّيه لسير أليسر، وكان يخشى أنه تجاوزَها الآن.

ابتسمَ ثورن وقال: «النَّغل يرغب في الدِّفاع عن حبيبته. ليكن، سنجعل من هذا تدريبًا إذن. الجرذ وذو البثور، ساعِدا ذا الرَّأس الحَجري»، فتحرَّك راست وألبِت وانضمَّا إلى هالدر: «من شأن ثلاثة منكم أن يجعلوا خنزيرتنا تَصرُخ. ما عليكم إلَّا التغلُّب على النَّغل أولًا».

- «ابقَ ورائي»، قال چون للولد البدين. كان السير أليسر كثيرًا ما يجعله يُواجِه خصمين في آنٍ واحد، لكن ليس ثلاثةً أبدًا. كان يُدرِك أنه غالبًا ما سيَخلُد إلى النَّوم بجسدٍ مثخنٍ بالجراح اللَّيلة، واستجمعَ قواه استعدادًا للهجوم.

فجأةً وجد پيپ إلى جواره يقول بمرح: «ثلاثة في مواجَهة اثنين أفضل»، وأنزلَ مقدِّمة خوذته ورفعَ سيفه، وقبل أن يُفكِّر چون حتى في الاعتراض تقدَّم جرِن ليكون ثالثهم.

خيَّم صمت ثقيل على السَّاحة، وشعرَ چون بنظرات السير أليسر المسمومة مسلَّطةً عليه. قال موجِّهًا كلامه لراست وألبِت وهالدر بصوتٍ حملَ لمحةً خادعةً من اللِّين: «ماذا تنتظرون؟»، لكن چون تحرَّك أولًا، وبالكاد رفعَ هالدر سيفه في الوقت المناسب.

دفعَه چون إلى الوراء مهاجِمًا مع كلِّ ضربة ومُجبِرًا الصَّبي الأكبر منه على الدِّفاع عن نفسه طوال الوقت. *اعرف خصمك*... هذا ما علَّمه السير رودريك إياه، وكان چون يعرف هالدر، يعرف أنه قويٌّ حقًّا لكن يعوزه الصَّبر ويمقت أن يكون في وضع الدِّفاع. أثِر غضبه وسيَترُك بُقعةً مفتوحةً يُمكنك مهاجمته منها. هذا مؤكَّد كغروب الشَّمس يوميًّا.

تردَّد صليل السُّيوف في السَّاحة مع اشتراك الآخَرين في المعركة من

حوله. صَدَّ چون ضربةً ضاريةً موجَّهةً إلى رأسه، فزلزلَت الصَّدمة ذراعه مع التقاء السَّيفين العنيف، ثم وجَّه ضربةً جانبيَّةً إلى ضلوع هالدر أطلقَ الصَّبي الطَّويل على إثرها أنين ألم مكتوم. لكن الضَّربة المضادَّة أصابَت كتفه فتحطَّمت الحلقات المعدنيَّة التي تحميها واشتعلَ عُنق چون ألمًا، إلَّا أن هالدر في تلك اللَّحظة لم يكن في وضعٍ متوازن، وضربَ چون ساقه اليُسرى من تحته، ليَسقُط مطلقًا سُبَّةً ويُحدِث ارتطامه بالأرض صوتًا عنيفًا.

كان جرِن ثابتًا في مكانه كما علَّمه چون بالضَّبط ويُرَكِّز هجماته على ألبِت، بينما كان پيپ مضغوطًا أمام راست الذي يفوقه عُمرًا بعامين ووزنًا بأربعين رطلًا كاملةً. وثبَ چون وراء المُغتَصِب ودقَّ خوذته كأنها جرس، فترنَّح للحظةٍ كانت كافيةً لأن ينزلق پيپ من تحته ويُسقِطه على ظَهره ثم يضع الجانب المسطَّح من سيفه على حَلقه. الآن اعتدلَ چون مواجِهًا ألبِت الذي وجدَ نفسه وحيدًا في مواجَهة سيفين، فتراجعَ صائحًا: «أستسلمُ!».

تابعَ السير أليسر ثورن المشهد بنظراتٍ مليئةٍ بالاشمئزاز، ثم قال: «هذه التَّمثيليَّة الهزليَّة استمرَّت أكثر من اللَّازم»، ثم سارَ مبتعدًا ليضع نهايةً للقتال.

ساعدَ داريون هالدر على النُّهوض، وخلعَ ابن الحجَّار خوذته وطوَّح بها قائلًا: «للحظةٍ حسبتُ أني نلتُ منك أخيرًا يا سنو».

أجابَ چون: «للحظةٍ نلت مني فعلًا». كانت كتفه تنبض ألمًا تحت الحديد والجِلد. دَسَّ سيفه في غِمده وحاولَ أن يخلع خذوته، لكن عندما رفعَ ذراعه جعله الألم يضغط على أسنانه بقوَّة.

- «دعني أُساعِدك»، قال الصَّوت ثم فكَّت اليدان ذاتا الأصابع السَّمينة الخوذة عن واقي العُنق ورفعَتها برِفق. «هل تأذَّيت كثيرًا؟».

قال چون: «ليست هٰذه أولى إصاباتي»، ومسَّ كتفه فلاح الألم على وجهه.

كانت السَّاحة تَفرُغ من شاغليها، وتحسَّس الولد البدين شَعره الملطَّخ بالدَّم حيث شَقَّ هالدر خوذته، وقال: «اسمي ساموِيل تارلي، من هورن...»، ثم صمتَ ولعقَ شفته قبل أن يُردِف: «أعني أني كنتُ من هورن هيل قبل أن... قبل أن أغادر. لقد جئتُ لأرتدي الأسود. أبي هو اللورد راندل، أحد حمَلة راية آل تايرل أبناء هايجاردن. كنتُ وريثه من قبل، لكن...».

- «أنا چون سنو، نغل نِد ستارك سيِّد وينترفل».

هَزَّ ساموِيل تارلي رأسه قائلًا: «أنا... يُمكنك أن تدعوني سام إذا أردت. أمي تدعوني بسام».

قال پيپ الذي انضمَّ إليهم: «يُمكنك أن تدعوه اللورد سنو، لكنك لا تريد أن تعرف بِمَ تدعوه أمه».

قال چون: «هذان هما جرِن وپيپار».

قال پيپ: «القبيح هو جرِن».

صاحَ جرِن ساخرًا: «أنت أقبح مني. على الأقل ليست لديَّ أُذنان كأُذني خُفَّاش».

قال الولد البدين متجهِّمًا: «أشكركم جميعًا».

سأله جرِن: «لِمَ لم تنهض وتُقاتِل؟».

- «أردتُ أن أفعل، حقًّا، لكني... لكني لم أستطِع. لم أُرِده أن يضربني أكثر»، ثم خفضَ عينيه إلى الأرض مضيفًا: «إنني... أخشى أنني جبان. دائمًا ما قال أبي هذا».

بدا جرِن مصعوقًا، وحتى پيپ لم يجد كلماتٍ يردُّ بها على هذا، وپيپ كان يملك شيئًا يقوله حيال كلِّ شيءٍ أيًّا كان. أيُّ رجلٍ هذا الذي يُعلِن على الملأ أنه جبان؟

لا بُدَّ أن ساموِيل تارلي قد قرأ ما يدور في رؤوسهم على ملامحهم، والتقَت عيناه بعينَي چون للحظةٍ قبل أن تبتعدا بسرعةٍ كحيوانٍ خائف،

وقال: «أنا آسف حقًّا. إنني لا أقصد أن... أن أكون هكذا»، وابتعدَ ماشيًا بتثاقُلٍ إلى مستودع السِّلاح.

نادى چون عليه قائلًا: «كنت جريحًا، لكنك ستُبلي بلاءً أحسن غدًا».

رمقَه سام بنظرةٍ حزينةٍ من فوق كتفه وقال مُحاوِلًا كبت دموعه: «لا، إنني لا أبلي بلاءً أحسن أبدًا».

عندما ذهبَ قال جرِن بتوتُّرٍ وقد عقدَ حاجبيه: «لا أحد يُحِبُّ الجبناء. ليتني لم أُساعِده. ماذا لو حسبونا جبناء بدورنا؟».

قال له پيپ: «أنت أغبى من أن تكون جبانًا».

- «هذا غير صحيح».

- «صدِّقني. إذا هاجمَك دُبٌّ في الغابة، فأنت أغبى من أن تُفَكِّر في أن تجري منه».

- «لن يَحدُث، بل سأجري منه أسرع منك»، قال جرِن بإصرار ثم توقَّف وقد رأى ابتسامة پيپ الخبيثة وأدركَ معنى ما قاله، فتورَّد عُنقه الثَّخين بالأحمر حنقًا، وتركَهما چون يتجادلان وعادَ إلى مستودع السِّلاح وعلَّق سيفه وخلعَ دِرعه التَّالفة.

الحياة في القلعة السَّوداء تتبع أنماطًا معيَّنةً: الصَّباح للتَّدريب على المُبارَزة، وبَعد الظُّهر للعمل، فالإخوة السُّود يُكَلِّفون المجنَّدين الجُدد بمختلف المهام كي يكتشفوا مهارات كلٍّ واحدٍ منهم. كان چون يغتنم المرَّات النَّادرة التي أُرسِل فيها إلى الخارج وجوست إلى جانبه لصيد لحمٍ طازجٍ لمائدة حضرة القائد، لكن كلَّ يومٍ قضاه في الصَّيد كان يُقابَل بعشرةٍ مع دونال نوي في مستودع السِّلاحِ، يُدَوِّر المِشحذ بينما يقوم صانع السِّلاح بشحذ الفؤوس التي صارَت ثلمةً من فرط الاستعمال، أو يَنفُخ الكير بينما يَطرُق نوي سيفًا جديدًا. في أيامٍ أخرى كان يُوَصِّل الرَّسائل أو يقف حراسةً أو يُنَظِّف الاسطبلات من روثِ الخيول أو يُزَوِّد السِّهام بالرِّيش أو يُساعِد المِايستر إيمون في إطعام طيوره أو باون مارش في الحسابات والجَرد.

ظهيرة اليوم أرسله مسؤول الحراسة إلى القفص المتحرِّك بأربعة براميلِ من الحجارة المسحوقة لنَثرها على الممرَّات الجَليديَّة أعلى "الجِدار". كان عملًا يثير الوحشة والضَّجر في آنٍ واحد، حتى مع وجود جوست في صُحبته، لكن چون وجدَ أنه لا يُمانِع. في الأيام التي يصفو فيها الجَوُّ يُمكنك أن ترى نِصف العالم من فوق قمَّة "الجِدار"، ودائمًا ما يكون الهواء باردًا مُنعِشًا. باستطاعته أن يُفَكِّر على راحته هنا، ولقد وجدَ نفسه يُفَكِّر في ساموِيل تارلي، ثم جنحَت أفكاره إلى تيريون لانستر. تساءلَ عمَّا كان تيريون ليقوله عن الولد البدين. *الرِّجال يُفَضِّلون إنكار الحقائق القاسية بدلًا من مواجهتها*، قال له القزم مبتسمًا. العالم مليء بالجبناء الذين يتظاهَرون بأنهم أبطال، وقد تطلَّب الأمر نوعًا خاصًّا جدًّا من الشَّجاعة كي يعترف ساموِيل تارلي بجُبنه.

جعلته إصابة كتفه يعمل ببطء، وكانت الظَّهيرة في أواخرها بالفعل عندما فرغ چون من فرش الممرَّات بالحصى، لكنه انتظرَ ليُشاهِد الشَّمس وهي تغيب محيلةً سماء الغَرب إلى لوحةٍ دامية. وأخيرًا، والغَسق ينتشر فوق الشَّمال، دحرجَ چون البراميل الفارغة إلى القفص وأشارَ للعاملين على الرَّافعة بإنزاله.

كانت وجبة المساء قد انتهَت تقريبًا عندما عادَ إلى القاعة العامَّة ومعه جوست. كانت مجموعة من الإخوة السُّود تلعب النَّرد وتحتسي النَّبيذ المتبَّل بالقُرب من النَّار، بينما احتلَّ أصدقاؤه الدِّكَّة الأقرب إلى الحائط الغَربي، يضحكون على القصَّة التي كان پيپ في منتصَفها الآن. كان صبي الممثِّل ذو الأُذنين الكبيرتين كذَّابًا بالفطرة وله مئة صوتٍ مختلف، لا يحكي قصصه بقَدر ما يعيشها لاعبًا كلَّ الأدوار حسب الحاجة، فيكون مَلكًا في لحظةٍ وقطيع خنازير في اللَّحظة التي تليها. عندما يتحوَّل إلى فتاةٍ في حانةٍ أو أميرةٍ عذراء، كان يستخدم صوتًا رفيعًا حادًّا يجعلهم ينفجرون ضحكًا حتى تسيل منهم الدُّموع، بينما كان المخصيُّون الذين

يؤدِّي أدوارهم عبارةً عن محاكاةٍ هزليَّةٍ لا تعوزها الدقَّة للسير أليسر ثورن. كان چون يستمتع بطرائف پيپ كأيٍّ من رفاقه، لكنه لم ينضم إليهم هذه اللَّيلة، واتَّجه بدلًا من هذا إلى نهاية الدِّكَّة حيث جلسَ ساموِيل تارلي بمفرده بعيدًا عن الآخَرين قَدر الإمكان.

كان يلتهم اللُّقيمات الأخيرة من فطيرة لحم الخنزير التي قدَّمها الطُّهاة على العشاء عندما جلسَ چون قُبالته، واتَّسعت عينا الولد البدين لمرأى جوست وقال: «أهذا ذِئب؟».

أجابَ چون: «ذِئب رهيب، اسمه جوست. الذِّئب الرَّهيب رمز عائلة أبي».

قال ساموِيل تارلي: «رمزنا الصيَّاد طويل القدمين».

- «هل تُحِبُّ الصَّيد؟».

ارتجفَ الولد البدين وقال: «بل أكرهه جدًّا». كان يبدو كأنه على وشك البكاء من جديد.

قال چون: «ما الأمر؟ لماذا تَشعُر بالخوف طوال الوقت هكذا؟».

حدَّق سام في بقايا فطيرته وهزَّ رأسه بحركةٍ ضعيفةٍ وقد بدا خائفًا حتى من الكلام. دوَّت ضحكات عالية في القاعة في هذه اللَّحظة، وسمع چون پيپ يُصدِر صريرًا حادًّا، فنهضَ قائلًا: «لنَخرُج من هنا».

رمقَه الوجه السَّمين المستدير بشكٍّ وصاحِبه يقول: «لماذا؟ ماذا سنفعل في الخارج؟».

- «نتكلَّم. هل رأيت "الجِدار"؟».

قال ساموِيل تارلي: «أنا بدين ولستُ أعمى. بالطَّبع رأيته، إنه يرتفع سبعمئة قدم». على أنه نهضَ على الرغم من هذا وقد وضعَ معطفًا مبطَّنًا بالفرو على كتفيه، وتبعَ چون خارجًا من القاعة وإن ظَلَّ يَرمُقه بالشَّكِّ نفسه، كأنه يتوقَّع وجود حيلةٍ قاسيةٍ في انتظاره في ظلام اللَّيل، وتحرَّك جوست إلى جوارهما. «لم أحسب قَطُّ أن الأمر سيكون هكذا»، قال سام

وهو يمشي وكلماته تَخرُج بُخارًا في الهواء البارد. كان يلهث بالفعل وهو يُحاوِل مجاراة سنو في مشيته واسعة الخطوات. «المباني كلها متداعية، كما أن... كما أن...».

- «تتكلَّم عن البَرد؟». كان صقيع جامد يستقرُّ على القلعة الآن، وسمعَ چون الحشائش الرَّماديَّة تنسحق بصوتٍ خافتٍ تحت حذائه وهو يتحرَّك.

أومأ سام برأسه إيجابًا ببؤسٍ وهو يجيب: «أكرهُ البَرد حقًّا. ليلة أمسِ استيقظتُ في الظَّلام لأجد النَّار وقد خمدَت، وكنتُ متأكِّدًا أنني سأموتُ متجمِّدًا بخلول الصُّبح».

- «لا بُدَّ أن الطَّقس أدفأ في موطنك».

- «إنني لم أرَ ثلجًا في حياتي حتى الشَّهر الماضي. كنا نَعبُر منطقة الرَّوابي، أنا والرِّجال الذين أرسلهم أبي لاصطحابي شَمالًا، ثم بدأت تلك الأشياء البيضاء في السُّقوط كمطرٍ خفيف. في البداية خطرَ لي أنه جميل حقًّا كريشٍ ينزل بنعومةٍ من السَّماء، لكن الثُّلوج ظلَّت تَسقُط وتَسقُط إلى أن تجمَّدتُ حتى النُّخاع. اكتست لحى الرِّجال بقشرةٍ من الثَّلج، وأكتافهم كذلك، ومع ذلك ظلَّت الثُّلوج تَسقُط حتى حسبتُ أنها لن تتوقَّف أبدًا».

اكتفى چون بابتسامة.

ارتفعَ "الجِدار" أمامهما يلتمع بشحوبٍ في نور الهلال في السَّماء التي امتلأت نجومًا لامعةً. سأله سام: «هل سيجعلونني أصعد؟»، وانقلبَت سحنته رُعبًا وهو يَرمُق السَّلالم الخشبيَّة مضيفًا: «سأموتُ إذا أجبَروني على الصُّعود».

قال چون مشيرًا: «ثمَّة رافعة. يُمكنهم أن يسحبوك إلى أعلى في القفص».

تنشَّق ساmويل تارلي وقال: «لا أحبُّ الأماكن العالية».

كان هذا أكثر من المحتمَل، ورمقَه چون بعدم تصديقٍ قائلًا: «هل تخاف كلَّ شيء؟ لا أفهمُ حقًّا. إذا كنت جبانًا لهذه الدَّرجة، فماذا تفعل هنا؟ لماذا يرغب جبان في الانضمام إلى حَرس اللَّيل بالضَّبط؟».

نظرَ إليه ساموِيل تارلي صامتًا لمدَّةٍ طويلة وبدا كأن وجهه المستدير يتهاوى على نفسه. جلسَ على الأرض المغطَّاة بالصَّقيع وبدأ يبكي بعُنفٍ جعلَ جسده الضَّخم كله يهتز. لم يكن بوسع چون سنو إلَّا أن يقف في مكانه ويُراقِبه، وكالثَّلج السَّاقط على الرَّوابي بدا كأن الدُّموع لن تنتهي أبدًا. كان چوست هو من عرفَ ماذا يفعل، وبصمت الظِّلال اقتربَ الذِّئب الأبيض من سام وبدأ يلعق الدُّموع الدَّافئة من على وجهه. صاحَ الولد البدين مجفلًا، ثم بشكلٍ ما، في غمضة عين، استحالَت الدُّموع إلى ضحك.

ضحكَ چون سنو معه، وبَعدها جلسا على الأرض المتجمِّدة متدثِّرين بثيابهما الثَّقيلة وچوست بينهما، وحكى چون قصَّة عثوره وروب على الجراء المولودة بين ثلوج أواخر الصَّيف. كأن هذا حدثَ منذ ألف عام، وقبل أن يمضي وقت طويل وجدَ چون نفسه يتكلَّم عن وينترفل.

- «أحيانًا أحلمُ بها... أمشي في الرُّواق الطَّويل الخالي، يتردَّد صدى صوتي في كلِّ مكانٍ وما من مجيب، فأمشي أسرع وأفتحُ الأبواب وأنادي على أسمائهم دون أن أدري عمَّن أبحث حتى. في معظم اللَّيالي يكون أبي، لكن أحيانًا يكون روب، أو أختي الصَّغيرة آريا، أو عمِّي». غمرَه ذِكر بنچن ستارك بالحُزن. لا يزال عمُّه مفقودًا، على الرغم من أن الدُّب العجوز أرسلَ جوَّالةً شَمال "الجِدار" بحثًا عنه. كان السير چارمي ريكر قد قادَ جولتي بحث، وكورين ذو النِّصف يد قد خرجَ بدوره من قلعة بُرج الظِّلال، لكن أحدًا لم يَعثُر على شيءٍ بخلاف الآثار القليلة التي تركَها عمُّه في الأشجار ليُعَلِّم طريقه، ثم توقَّفت العلامات على نحوٍ مفاجئٍ عند الهضاب الحَجريَّة الواقعة إلى الشَّمال الغَربي، وتلاشى كلُّ أثرٍ لبن ستارك تمامًا.

سأله سام: «وهل تجد أحدًا في النِّهاية في أحلامك؟».

هَزَّ چون رأسه نفيًا وقال: «كلا، دائمًا ما تكون القلعة خاليةً تمامًا».

لم يكن قد حكى هذا الحُلم لأحدٍ قَطُّ، ولم يكن يفهم حتى لِمَ يحكي عنه لسام الآن، وإن شعرَ بشيءٍ من الرَّاحة وهو يتكلَّم عنه. «حتى الطُّيور اختفَت من المِغدفة، والاسطبلات ملأى بالعظام. دائمًا ما يُخيفني هذا المنظر. ثم إنني أبدأُ في العَدْوِ وأفتحُ الأبواب على مصاريعها وأصعدُ سلالم البُرج ثلاثًا في المرَّة صارخًا كي يُجيبني أحد، أيُّ أحد، ثم أجدُ نفسي أمام باب السِّرداب. الظَّلام أسودَ دامس في الدَّاخل، ولا ألمحُ غير الدَّرجات المفضية إلى أسفل، وبشكلٍ ما أعرفُ أني يجب أن أنزل، لكني خائفٌ، خائفٌ مما قد أجده في انتظاري. إن ملوك الشِّتاء القُدامى هناك في الأسفل، جالسون على عروشهم والذِّئاب الحَجريَّة عند أقدامهم وكلٌّ منهم يضع سيفه الحديدي في حِجره، لكن الغريب أني لا أشعرُ بالخوف منهم. أصرخُ أني لستُ من آل ستارك، أن هذا ليس مكاني، لكن بلا فائدة، وهكذا أنزلُ متحسِّسًا الجدران بلا مشعلٍ يُنير طريقي، ويزداد الظَّلام أكثر فأكثر إلى أن تُسيطِر عليَّ الرَّغبة في الصُّراخ». توقَّف عن الكلام وقد عبسَ وجهه وتجلَّى عليه الحرج، ثم أضافَ: «وعندها أستيقظُ». كان يستيقظ كلَّ مرَّةٍ شاعرًا ببشرته باردةً رطبةً، يرتجف في ظلام حُجيرته، فيثب جوست ليلتصق به ويبثُّ فيه الدِّفء الجميل كأنوار الفَجر، فيعود إلى النَّوم وقد دَسَّ وجهه في فرو الذِّئب الرَّهيب الأبيض.

سألَ چون: «هل تَحلُم بهورن هيل؟».

اربدَّ وجه سام وهو يُجيب: «لا، كنتُ أكرهُ ذلك المكان»، وحكَّ جوست وراء أُذنه ولاذ بصمتٍ طويلٍ لم يُحاوِل چون أن يقطعه. ثم بدأ سام تارلي يتكلَّم وأصغى چون سنو صامتًا والولد البدين الذي أعلنَ بشَجاعةٍ أنه جبان يحكي كيف وجدَ نفسه على «الجِدار».

كانت عائلة تارلي عريقةً حقًّا، يدين أبناؤها بالولاء لمايس تايرل سيِّد

هايجاردن وحاكِم الجَنوب. وُلِدَ سامويل، أكبر أبناء اللورد راندل، وريثًا لأراضٍ خصبةٍ واسعةٍ وقلعةٍ قويَّة، بالإضافة إلى سيفٍ عظيم يُحمَل باليدين ومحلًّى بالجواهر اسمه «آفة القلوب»، مصنوع من الفولاذ الڤاليري وتوارَثه أبناء العائلة عن آبائهم طوال خمسمئة عام.

أيًا كان الفخر الذي شعرَ بيه أبوه لدى مولد سامويل فقد تلاشى عندما كبرَ الصَّبي ممتلئ الجسم خَرِعًا غريب الأطوار. كان سام يُحِبُّ سماع الموسيقى وتأليف أغانيه الخاصَّة، يُحِبُّ ارتداء المخمل النَّاعم واللَّعب في مطبخ القلعة إلى جوار الطُّهاة، ينهل الرَّوائح الثَّريَّة بينما يختطف كعكات اللَّيمون والتُّوت الأزرق. كان يهوى الكُتب والقِطط الصَّغيرة والرَّقص على الرغم من حركاته الخرقاء، بينما يُثير منظر الدَّم فيه الغثيان ويبكي لمجرَّد مرأى دجاجةً تُذبَح. جاءَ دستة من قيِّمي السِّلاح إلى هورن هيل وذهبوا في محاولةٍ لتحويل سامويل إلى الفارس الذي أرادَه أبوه، وتعرَّض الصَّبي للشَّتيمة والضَّرب بالعصا والصَّفع والتَّجويع، بل وجعله واحد منهم ينام وهو يرتدي قميص الحلقات المعدنيَّة كي يجعله أقوى، وألبسَه آخَر ثياب أمه وأخرجَه بهذه الهيئة إلى الفِناء ليراه الجميع فيكتسب الشَّجاعة المطلوبة من فرط خزيه. لكن شيئًا من هذا لم يُفلِح، وظلَّ سام يكتسب المزيد من الوزن والخوف، إلى أن استحالَت خيبة أمل اللورد راندل إلى الغضب ثم إلى الاحتقار. قال سام بصوتٍ خفيضٍ للغاية: «ذات مرَّةٍ أتى رجلان إلى القلعة، مشعوذان من كارث ببشرتهما البيضاء وشفاههما الزَّرقاء، وذبحا ثورًا بريًّا وجعلاني أستحمُّ في دمه السَّاخن، لكن هذا لم يُكسِبني الشَّجاعة كما وعدا، بل أُصِبتُ بالغثيان وأفرغتُ معدتي. أمرَ أبي بجَلدهما بالسِّياط».

أخيرًا، بعد ثلاث فتياتٍ جئنَ في ثلاث أعوام متتالية، أنجبَت الليدي تارلي لزوجها ابنًا ثانيًا، ومنذ ذلك اليوم تجاهلَ اللورد راندل سام تمامًا وكرَّس وقته كله للأخِ الصَّغير كي ينشأ قويًّا صُلبًا على النَّحو الذي يروق له، وهكذا عاشَ سام سنينًا طويلةً في سلامٍ مع موسيقاه وكُتبه.

حتى فَجر يوم ميلاده الخامس عشر، عندما أيقظوه من النَّوم ليجد حصانه مزوَّدًا بالسَّرج وجاهزًا. قادَه ثلاثة رجال مسلَّحون إلى الغابة القريبة من هورن هيل، حيث كان أبوه يَسلُخ ظبيًا. «أنت وريثي، وتكاد تكون رجلًا بالغًا الآن»، قال اللورد راندل تارلي لابنه البكر وسكِّينه الطَّويل ينزع الجِلد عن جثَّة الحيوان وهو يتكلَّم. «أنت لم تُعطِني سببًا لأتبرَّأ منك، لكني لن أسمح لك كذلك بأن ترث الأرض واللَّقب اللذين يَجدُر بهما أن يكونا من نصيب ديكون. يجب أن تذهب "آفة القلوب" إلى رجلٍ يستطيع استخدامها كما ينبغي، وأنت لست جديرًا حتى بأن تمسَّ مقبضها. لهذا قرَّرتُ أنك ستُعلِن اليوم أنك ترغب في ارتداء الأسود، وستتنازَل عن حقٍّ لك في إرث أخيك وتبدأ رحلتك شَمالًا قبل المغرب. إذا لم تفعل فسنَخرُج للصَّيد غدًا، وفي مكانٍ ما في هذه الغابة سيتعثَّر حصانك وستَسقُط عنه وتموت... أو أن هذا ما سأقوله لأمك. إن لديها قلب امرأةٍ يجعلها تُدَلِّل أيَّ أحدٍ حتى أنت، وأنا لا أرغبُ في أن أُسَبِّب لها الألم. أرجوك لا تتصوَّر أن الأمر سيكون بتلك السُّهولة حقًّا إذا فكَّرت في أن تتحدَّاني، فلا شيء سيُسعِدني كمطارَدتك في الغابة كخنزيرٍ لا تختلف كثيرًا عنه». كانت ذراعاه حمراوين حتى المِرفق وهو يُنَحِّي سكِّين السَّلخ جانبًا ويُردِف: «أمامك خياران إذن. إمَّا حَرس اللَّيل (ومدَّ يده داخل الظَّبي وانتزعَ قلبه ورفعه في قبضته أحمرَ يَقطُر دمًا) أو هذا».

حكى سام القصَّة بصوتٍ هادئٍ جامدٍ كأن تلك الأحداث مرَّت بشخصٍ غيره وليس هو نفسه، وفكَّر چون أن من الغريب أنه لم يبكِ مرَّةً واحدةً وهو يتكلَّم. عندما فرغَ سام، جلسَ الاثنان معًا صامتين يُصغِيان للرِّيح التي لم يَعُدْ هناك غير صوتها في العالم كله. ثم إن چون قال أخيرًا: «لنَعُد إلى القاعة».

سأله سام: «لماذا؟».

هَزَّ چون كتفيه وقال: «ثمَّة شراب تُفَّاح ساخن، أو نبيذ متبَّل إذا أردت.

في بعض اللَّيالي يُغَنِّي داريون لنا إذا كان في مزاج طيِّب. لقد كان مغنيًا من قبل. أعني... ليس بالضَّبط، لكنه كان يتمرَّن علَى الغناء».

- «وكيف جاءَ إلى هنا؟».

- «ضبطَه اللورد روان سيِّد البستان الذهبي في الفِراش مع ابنته. كانت الفتاة أكبر منه بعامين، وداريون يُقسِم أنها ساعدَته على الدُّخول من نافذتها، لكنها قالت لأبيها إنه حاولَ اغتصابَها، وهكذا جاءَ إلى هنا. عندما سمعه المِايستر إيمون يُغَنِّي قال إن صوته شهدٌ مصبوبٌ على رَعد»، وابتسمَ چون وتابعَ: «تودر يُغَنِّي أحيانًا أيضًا، إذا اعتبرت نقيقه غناءً بالطَّبع. إنها أغاني شراب تعلَّمها في حانة أبيه المتواضعة. پيپ يقول إن صوته بولٌ مصبوبٌ على خراء!».

انفجرَ الاثنان ضاحكَيْن، ثم قال سام: «أحبُّ أن أسمع الاثنين، لكنهما لن يرغبا في وجودي»، واكتسَت ملامحه بالتوتُّر وهو يقول: «سوف يجعلني أقاتل ثانيةً غدًا، أليس كذلك؟».

أجابَ چون مُجْبَرًا: «بلى».

نهضَ سام متثاقلًا وقال: «يَحسُن أن أنام قليلًا»، وشدَّ معطفه عليه أكثر وابتعدَ متباطئًا.

كان الآخَرون ما زالوا في القاعة العامَّة عندما رجعَ چون وحيدًا ومعه جوست فقط، وسأله پيپ: «أين كنت؟».

أجابَ ببساطة: «أتكلَّم مع سام».

قال جرِن: «إنه جبان حقًا. على العشاء كانت هناك أماكن على الدِّكَّة يستطيع الجلوس عليها عندما قدَّموا له فطيرته، لكنه كان خائفًا جدًّا من الجلوس معنا».

قال چيرن: «فخذ الخنزير يحسب أنه أفضل من الجلوس مع أمثالنا».

وقال تودر مبتسمًا بسخرية: «لقد رأيته يلتهم فطيرة الخنزير. هل تحسبون أن أخاه كان ضمن مكوِّناتها؟»، ثم بدأ يَقبَع كالخنازير.

صاحَ جون غاضبًا: «كفى!».

لاذَ بقيَّة الصِّبية بالصَّمت وقد فاجأتهم غضبته، فقال جون: «اسمعوني جيِّدًا»، وبهدوءٍ أخبرَهم بما سيَحدُث. دعمَه پيپ كما كان متوقَّعًا، لكن دعم هالدر له كان مفاجأةً سارَّةً. كان جرِن متردِّدًا في البداية، لكن جون كان يعرف أن الكلمات سوف تؤثِّر فيه. واحدًا تلو الآخَر انضمُّوا إلى صَفِّه. أقنعَ جون بعضهم وتملَّق البعض وهزأ بالبعض، ووجَّه تهديداته كذلك لبعضهم، وفي النِّهاية اتَّفقوا جميعًا... باستثناء راست الذي قال: «افعلنَ ما يروق لكنَّ، لكن إذا وضعَني ثورن في مواجَهة الخنزيرة، سأقطِّعُ لنفسي بضع شرائحِ من اللَّحم المقدَّد»، وضحكَ في وجه جون وتركَهم هناك.

وبَعد ساعات، بَعد أن نامَت القلعة، تسلَّل ثلاثة منهم إلى حُجيرته. كبَّل جرِن ذراعيه بينما جلسَ پيپ على ساقيه، وسمعَ جون أنفاس راست المتسارعة عندما وثبَ جوست على صدره. كانت عينا الذِّئب الرَّهيب تتوهَّجان كجمرتين حمراوين بينما أطبقَت أسنانه بخفَّةٍ على جِلد رقبته اللَّيِّن الذي سالَ منه خيط رفيع من الدَّم، وقال جون بمنتهى الهدوء: «تذكَّر أننا نعرف أين تنام».

وفي الصَّباح التَّالي سمعَ جون راست يُخبِر ألِبت وتودر كيف انزلقَت الموسى منه وهو يحلق فجرحَته.

ومنذ ذلك اليوم لم يجرؤ راست أو أيٌّ من الآخَرين على إيذاء ساموِيل تارلي، وعندما يضع السير أليسر أيهم أمامه كانوا يقفون ثابتين ويتفادون ضربات سام الخرقاء، وإذا زعقَ قيِّم السِّلاح فيهم أن يُهاجِموا بقوَّةٍ كانوا يُوَجِّهون ضرباتٍ خفيفة على واقي الصَّدر أو الخوذة أو السَّاق. استشاطَ السير أليسر غضبًا وصرخَ فيهم وهدَّدهم ونعتَهم بالجبناء والنِّساء ووجَّه لهم أقذع الألفاظ، لكن سام ظَلَّ سليمًا. ثم بَعد بضع ليالٍ، بَعد إلحاحٍ من جون، انضمَّ سام إليهم أثناء وجبة المساء وجلسَ على الدِّكَّة إلى جوار

هالدر، وإن كان أسبوعان كاملان قد مضيا قبل أن يجرؤ على الاشتراك في حديثهم، لكنه مع الوقت بدأ يضحك على حكايات پيپ ويُشاكِس جرِن.

بدين غريب الأطوار خائف دائمًا نعم، لكن ساموِيل تارلي لم يكن بالأحمق. في ليلةٍ زارَ چون في حُجيرته وقال له: «لا أدري ماذا فعلت، لكني أعرف أنك فعلته»، وأشاحَ ببصره قائلًا بخجل: «لم يسبق أن كان لي صديق من قبل».

- «نحن لسنا صديقين»، قال چون ووضعَ يده على كتف سام. «إننا أخوان».

وهكذا فكَّر چون بَعد انصراف سام. روب وبران وريكون أبناء أبيه وما زال يُحِبُّهم من كلِّ قلبه، لكن چون كان يعرف أنه لم يكن واحدًا منهم حقًّا قَطُّ. لقد تأكَّدت كاتلين ستارك من هذا. قد تظلُّ جدران وينترفل الحَجريَّة ذات اللَّون الرَّمادي الحزين تَسكُن أحلامه، لكن القلعة السَّوداء هي حياته الآن، وإخوانه هُم سام وجرِن وهالدر وپيپ وبقيَّة المنبوذين الذين يرتدون أسودَ حَرس اللَّيل.

- «كان عمِّي يقول الحق»، همسَ لجوست. ثم إنه تساءلَ إن كان سيرى بنچن ستارك ثانيةً ليقول له هذا.

إدارد

قال قائد حَرس المدينة شاكيًا لأعضاء مجلس المَلك: «دورة المباريات المقامة على شَرف اليَدِ هي السَّبب في كلِّ هذه المشاكل أيها السَّادة».

رَدَّ ند مُصَحِّحًا باستياء: «إنها دورة المَلك. أؤكِّد لك أن اليَدَ لا يرغب في شيءٍ منها».

- «سمِّها كما تشاء يا سيِّدي، لكن الفُرسان يتوافَدون على المدينة من جميع أنحاء البلاد، ومقابل كلِّ فارسٍ هناك مُحارِبان غير نظاميَّين وثلاثة من الحِرَفيِّين وستَّة من المسلَّحين ودستة من التُّجَّار ودستتان من العاهرات، وطبعًا عدد من اللُّصوص يفوق قُدرتي على التَّخمين. هذا الحَرُّ اللَّعين قلبَ الأمور رأسًا على عقب في نِصف المدينة تقريبًا، والآن مع كلِّ هؤلاء الزُّوَّار... ليلة أمسٍ كان هناك حادث غرق وشغب في إحدى الحانات وثلاثة شجارات بالأسلحة البيضاء واغتصاب وحريقان وحالات سرقةٍ لا تُحصى، بالإضافة إلى سباقٍ للخيول الثَّملة في شارع الأخوات، وليلة أول أمسٍ عُثِرَ على رأس امرأةٍ في السِّبت الكبير طافيًا في بِركة قوس قزح، ولا أحد يدري كيف جاءَ إلى هناك أو مَن صاحِبته».

قال فارس مرتجفًا: «هذا شنيع!».

كان اللورد رنلي باراثيون أقلَّ تعاطُفًا، وقال بلهجةٍ عمليَّة: «إذا كنت لا

تستطيع الحفاظ على سلام المَلك يا چانوس، فربما يَجدُر بأحدٍ آخَر قادرٍ أن يقود حَرس المدينة».

نفخَ چانوس سلينت ذو الجسد السَّمين واللُّغد الثَّقيل نفسه كضفدعةٍ غاضبة، واحمرَّ رأسه الأصلع وهو يُجيب: «إجون التنِّين نفسه لا يستطيع الحفاظ على السَّلام في الوقت الحالي يا لورد رنلي. إنني أحتاجُ مزيدًا من الرِّجال».

مالَ ند إلى الأمام سائلًا: «كم؟». كالعادة لم يُزعِج روبرت نفسه بحضور جلسة المجلس، فوقعَ على عاتِق اليَدِ أن يتكلَّم نيابةً عنه.

- «أكبر عددٍ ممكن يا سيِّدي».

قال ند: «عيِّن خمسين رجلًا جديدًا. سيتولَّى اللورد بايلِش أمر أجورهم».

قال الإصبع الصَّغير: «حقًّا؟».

- «نعم، ستفعل. لقد دبَّرت أربعين ألف تنِّينٍ ذهبي للبطل، فلا شكَّ أنك تستطيع تدبير بضع عُملاتٍ نُحاسيَّة للحفاظ على سلام المَلك»، ثم التفتَ ند إلى چانوس سلينت وقال: «سأعطيك عشرين رجلًا قويًّا من حَرس أهل بيتي ليخدموا مع حَرسِ المدينة إلى أن تُغادِر الحشود».

انحنى سلينت وقال: «جزيل الشُّكر يا حضرة اليَد. أعدك أننا سنستغلُّ وجودهم استغلالًا جيِّدًا».

عندما غادرَ قائد حَرس المدينة، التفتَ إدارد ستارك إلى بقيَّة أعضاء المجلس وقال: «سيروق مزاجي جدًّا عندما تنتهي هذه المهزلة». وكأن التَّكلفة الباهظة والمتاعب التي جلبَتها دورة المباريات المزمَعة لم تكن مُزعِجةً بما يكفي، كان كلُّ من هَبَّ ودَبَّ يُصِرُّ على إضافة الملح إلى جرح ند بتسميتها "دورة مباريات اليَد"، كأنه هو من أمرَ بإقامتها... كما أن روبرت كان يعتقد بشدَّةٍ أنه حريٌّ بند أن يَشعُر بأنه يتلقَّى تكريمًا عظيمًا!

قال المِايستر الأكبر پايسل: «اقتصاد البلاد يزدهر مع تلك المناسَبات يا

سيِّدي. إنها تمنح العظماء فرصةً للمجد، والبسطاء راحةً من مشاكلهم».

أضافَ الإصبع الصَّغير: «وتضع نقودًا في جيوبٍ كثيرة. كلُّ خانٍ في المدينة كامل العدد، والعاهرات بسيقانٍ متقوِّسةٍ وجيوبٍ تُجَلجِل مع كلِّ خطوة».

ضحكَ اللورد رنلي قائلًا: «من حُسن الحَظِّ أن أخي ستانيس ليس معنا الآن. هل تَذكُرون المرَّة التي اقترحَ فيها تجريم المواخير؟ يومها سأله المَلك إن كان يرغب في تجريم الأكل والتنفُّس وقضاء الحاجة كذلك. في الحقيقة، أتساءلُ كثيرًا كيف أنجبَ ستانيس ابنته القبيحة تلك. إنه يتعامَل مع فِراش الزَّوجيَّة كأنه ميدان معركة، يَدخُله بنظرةٍ عابسةٍ في عينيه وتصميمٍ على القيام بواجبه».

لم يشتركْ ند معهم في الضَّحك، وقال: «إنني أتساءلُ عن أخيك ستانيس بدوري، أتساءلُ متى ينوي إنهاء زيارته لدراجونستون واستئناف عمله في المجلس».

- «لا شَكَّ أنه سيفعل عندما نُطَهِّر المدينة من العاهرات ونُلقي بهنَّ في البَحر»، قال الإصبع الصَّغير مثيرًا المزيد من الضَّحك.

نهضَ ند قائلًا: «لقد سمعتُ ما يكفي عن العاهرات ليومٍ واحد. أراكم غدًا».

كان هاروين يَحرُس الباب عندما عادَ ند إلى بُرج اليَد، وقال له بلهجةٍ فظَّةٍ أكثر من اللَّازم: «استدعِ چوري إلى مسكني، وقُل لأبيك أن يضع السَّرج على حصاني».

- «كما تأمر يا سيِّدي».

صعدَ ند السَّلالم مفكِّرًا أن القلعة الحمراء و"دورة اليَدِ" تلتهمان أعصابه التهامًا بحق. كان يتوق للسَّكينة التي يجدها بين ذراعي كاتلين، لصوت روب وچون وهما يتبارزان بالسُّيوف في ساحة التَّدريب، لنهارات الشَّمال القارَّة ولياليه الباردة.

في غُرفته خلعَ ثياب المجلس الحريريَّة وجلسَ قليلًا مع الكتاب ريثما يأتي چوري. "أنساب وتواريخ كُبرى عائلات المَمالك السَّبع، مع أوصافٍ لكثيرين من كبار السَّادة والسيِّدات وأبنائهم"، من تأليف المِايستر الأكبر ماليون. كان پايسل مُحِقًّا، فقد كان الكتاب مملًّا حقًّا. لكن چون آرن طلبَ رؤيته على الرغم من ذلك، وكان ند واثقًا من أن لهذا أهميَّة ما. ثمَّة شيء ما هنا، حقيقة ما مدفونة في هذه الصَّفحات الصَّفراء الهشَّة، فقط لو يستطيع تبيُّنها. لكن ماذا تكون هذه الحقيقة؟ المجلَّد عُمره أكثر من قرنٍ كاملٍ من الزَّمن، وتقريبًا لا إنسان حيًّا الآن كان قد وُلِدَ عندما جمع ماليون قوائمه المغبَّرة بالأعراس والمواليد والوفيَّات.

فتحَ القِسم الخاص بعائلة لانستر مرَّةً أخرى وأخذَ يقلب الصَّفحات ببُطء راجيًا مما لا رجاء فيه أن يتعثَّر في شيءٍ ما مصادَفةً. كانت عائلة لانستر قديمةً حقًّا، ينحدر أصلها من لان الأريب، المُحتال الذي عاشَ في عصر الأبطال وكان بلا شَكٍّ أسطوريًّا مِثل براندون البنَّاء بالضَّبط، وإن كان محبوبًا أكثر بكثير من المُغَنِّين والحكَّائين. في الأغاني كان لان هو من أخرجَ عائلة كاسترلي من كاسترلي روك بلا سلاحٍ غير ذكائه، وهو من سرقَ الذَّهب من الشَّمس ليُلَمِّع به شَعره المجعَّد. تمَنَّى ند لو أنه كان موجودًا هنا الآن ليستخرج الحقيقة من الكتاب الملعون. ثم أعلنَت دقَّة قويَّة على الباب وصول چوري كاسل، فأغلقَ ند مجلَّد ماليون وأمرَه بالدُّخول. «لقد وعدتُ حَرس المدينة بعشرين من حُرَّاسي حتى نهاية دورة المباريات»، قال له. «سأعتمدُ عليك في انتقائهم. أعطِ آلين القيادة، وتأكَّد من أن يفهم الرِّجال أن عملهم هو منع الشِّجارات وليس إشعالها». ثم نهضَ ند وفتحَ صندوقًا من خشب الأَرز والتقطَ منه سُترةً تحتيَّةً وقال: «هل عثرتم على صبيِّ الاسطبل؟».

أجابَ چوري: «إنه حارس الآن يا سيِّدي. لقد أقسمَ أنه لن يلمس حصانًا آخَر في حياته».

- «ماذا قال؟».

- «يدَّعي أنه عرفَ اللورد آرن جيِّدًا، كانا صديقين حميمين على حَدِّ تعبيره»، وأطلقَ نخيرًا هازئًا ثم تابعَ: «كان اليَدُ يُعطي كلًّا منهم قطعةً نُحاسيَّةً في يوم ميلاده، يقول، ويُحِبُّ الخيول حُبًّا جمًّا، فلم يكن يُرهِقها عندما يركب، ويُطعِمها الجَزر والتُّفَّاح فكانت تسعد لرؤيته».

- «جَزر وتُفَّاح»، ردَّد ند. بدا أن هذا الصَّبي سيكون أقلَّ فائدةٍ من الآخَرين، وهو آخِر الأربعة الذين توصَّل إليهم الإصبع الصَّغير، وقد تكلَّم چوري مع كلٍّ منهم تباعًا. كان السير هيو جِلفًا وغير مفيد على الإطلاق، يتكلَّم بالغطرسة المعتادة التي تنتاب أيَّ فارسٍ جديد... إذا شاءَ يَدُ المَلك أن يتكلَّم معه فسوف يسعَد باستقباله، لكنه لن يقبل أن يستجوبه مجرَّد قائد حَرس، حتى لو كان هذا القائد أكبر منه بعشرة أعوامٍ وأفضل منه في المُبارَزة مئة مرَّة. أمَّا الخادمة فكانت لطيفةً على الأقل، وقالت إن اللورد چون كان يقرأ بنهمٍ شديدٍ أثَّر على صحَّته، وإنه كان حزينًا مكتئبًا بسبب هشاشة ابنه السَّقيم، ويتعامَل بفظاظةٍ مع السيِّدة زوجته. بالنِّسبة للسَّاقي -الذي أصبحَ إسكافيًّا الآن- فهو لم يتبادَل كلمةً واحدةً مع اللورد چون طوال خدمته أصلًا، لكنه كان يَذكُر الكثير من النَّميمة الدَّائرة في المطبخ: اللورد يتشاجَر مع المَلك، اللورد ينتقد جودة طعامه، اللورد سيُرسِل ابنه ليتربَّى في دراجونستون، اهتمام اللورد بتربية كلاب الصَّيد صارَ عظيمًا، اللورد زارَ واحدًا من كبار صُنَّاع السِّلاح وأمرَه بصناعة دِرعٍ جديدةٍ من الفضَّة الباهتة، على صدرها صقر من اليَشب وقَمر من عِرق اللُّؤلؤ. أخو المَلك ذهبَ بنفسه معه لاختيار التَّصميم، قال السَّاقي السَّابق، لا، ليس اللورد رنلي، بل الأخ الآخَر، ستانيس.

- «هل تذكَّر الحارس أيَّ شيءٍ آخَر له أهميَّة؟».

- «الصَّبي يُقسِم أن اللورد چون كان قويًّا كشابٍّ في نِصف عُمره، وقال إنه كثيرًا ما كان يَخرُج لركوب الخيل مع اللورد ستانيس».

ستانيس مَرَّةً أخرى، فكَّر ند وقد وجدَ هذا مثيرًا للفضول والتَّساؤل. صحيحٌ أنه كان هناك نوع من الوُدِّ بين چون آرن وستانيس باراثيون، لكنهما لم يكونا صديقين مقرَّبين قَطُّ. وبينما كان روبرت في طريقه شَمالًا إلى وينترفل نأى ستانيس بنفسه إلى دراجونستون، الجزيرة القلعة التي كانت تنتمي لعائلة تارجاريَن وفتحَها باسم أخيه، ولم يقل متى سيعود. سألَ ند: «إلى أين كانا يذهبان عندما يَخرُجان للرُّكوب؟».

- «قال الصَّبي إنهما زارا ماخورًا».

قال ند: «ماخورًا؟ سيِّد "العُش" ويَدُ المَلك زارَا ماخورًا مع ستانيس باراثيون؟»، وهَزَّ رأسه غير مصدِّقٍ وهو يتساءل عن تعليق اللورد رنلي على هذا النَّبأ. كانت شهوات روبرت موضوع أغاني الحانات البذيئة في جميع أنحاء البلاد، بينما ستانيس رجل من نوعٍ آخَر، يَصغُر المَلك بأقلِّ من عام لكنه يختلف عنه تمام الاختلاف: صارم، لا يملك حِسَّ دعابة، قاسي القلب، مُخلِص جدًّا في أداء واجبه.

- «الصَّبي يُصِرُّ على صحَّة ما يقول، وأكَّد أن اليَدَ أخذَ ثلاثةً من الحَرس معه، وقال إنهم كانوا يتمازَحون بشأن هذه الزِّيارة عندما أخذَ خيولهم بعدها».

سأله ند: «أيُّ ماخور؟».

- «لا يدري، لكن الحَرس يعرفون بالتَّأكيد».

قال ند بلهجةٍ جافَّة: «من المؤسف أن لايسا أخذَتهم معها إلى "الوادي". أخشى أن الآلهة تَبذُل قصارى جهدها لإرباكنا. الليدي لايسا، المِايستر كولمون، اللورد ستانيس... كلٌّ من قد يعرف حقيقة ما حدثَ لچون آرن يَبعُد ألف فرسخٍ عن هنا».

- «هل ستستدعي اللورد ستانيس من دراجونستون؟».

- «ليس بَعد، ليس حتى تتكوَّن لديَّ فكرة كافية عن ما حدثَ وموقفه منه». كانت المسألة تُزعِجه حقًّا. لماذا غادرَ ستانيس؟ هل لعبَ دورًا

ما في اغتيال چون آرن؟ أم أنه خائف؟ وجدَ ند أن من العسير فعلًا أن يتخيَّل شيئًا يُثير خوف ستانس باراثيون الذي ظَلَّ محافظًا على ستورمز إند ذات مرَّةٍ طوال عامٍ كاملٍ من الحصار، يقتات على لحم الجرذان وجِلد الأحذية، بينما جَلَسَ اللوردان تايرل وردواين خارج الأسوار مع حشودهم يقيمون المآدب على مرأىً منه. في النِّهاية قال: «أحضِر لي صُدرتي إذا سمحت، الصُّدرة الرَّماديَّة ذات رمز الذِّئب الرَّهيب. أريدُ أن يعرف صانع السِّلاح من أكونُ، فقد يجعله هذا يُفصِح عن أيِّ شيءٍ آخَر لديه».

قال چوري وهو يتَّجه إلى خزانة الثِّياب: «اللورد رنلي أخو اللورد ستانيس كذلك، وليس المَلك فقط».

- «ومع ذلك يبدو أنه لم يُدْعَ مرَّةً للرُّكوب معهم». لم يكن ند واثقًا بَعد في رنلي بأسلوبه الودود في الكلام وابتسامته الدَّائمة. منذ أيامٍ قليلةٍ انتحى بند جانبًا ليُريه دلَّايةً رائعة الجمال من الذَّهب المصبوغ باللَّون الوردي، وفي داخلها كانت لوحة منمنمة مرسومة على الطِّراز المايري المبهرج لفتاةٍ شابَّةٍ بارعة الحُسن ذات عينين كعيون المَهاة وشلَّالٍ من الشَّعر البُنِّي النَّاعم. بدا رنلي مهتمًّا للغاية بأن يعرف إن كانت الفتاة تُذَكِّره بأيِّ أحد، وعندما أجابَ ند بهزَّةٍ من كتفيه بدت خيبة الأمل على ملامح رنلي. قال له إن الفتاة هي مارچري أخت لوراس تايرل، لكن هناك من يقولون إنها تُشبِه ليانا. «كلا»، أجابَه ند مندهشًا. هل من الممكن أن اللورد رنلي -الذي يُشبِه روبرت في شبابه بشدَّة- وجدَ في نفسه افتتانًا بفتاةٍ يتصوَّر أنها نُسخة أخرى من ليانا؟ خطرَ له أن هذا شديد الغرابة حقًّا.

رفعَ له چوري الصُّدرة مفرودةً، فدَسَّ ند يديه في فتحتي الذِّراعين، ثم قال وچوري يُغلِقها من الخلف: «قد يعود اللورد ستانيس لحضور دورة روبرت».

- «سيكون هذا من حُسن طالعنا يا سيِّدي».

ثبَّت ند سيفًا طويلًا في حزامه وقال بابتسامةٍ عابسة: «أي أنه غير محتمَل بمعنىً آخَر».

وضعَ چوري معطف ند على كتفيه وثبَّتها عِند الرَّقبة بشارة يَدِ المَلك قائلًا: «صانع السِّلاح يَسكُن فوق ورشته في منزلٍ واسعٍ في أعلى شارع الحديد. آلين يعرف الطَّريق يا سيِّدي».

أومأ ند برأسه وقال: «فلترحم الآلهة ذلك السَّاقي إذا أرسلَني سعيًا وراء وهمٍ لا أكثر». كان الأمل ضعيفًا في استخلاص أيِّ شيءٍ من هذه الزِّيارة، لكن چون آرن الذي عرفه ند ستارك لم يكن بالرَّجل الذي يرتدي درعًا من الفضَّة مزيَّنةً بالجواهر. الفولاذ هو الفولاذ، الغرض منه الحماية وليس الزِّينة. لكن من الجائز أنه غيَّر نظرته إلى العالم، فليس هو أول رجلٍ تتبدَّل آراؤه في الأشياء بعد بضعة أعوامٍ في البلاط المَلكي... لكن التغيير كان جليًّا بما فيه الكفاية ليجعل ند يتساءل ويتساءل.

- «هل من خدماتٍ أخرى؟».

- «أعتقدُ أن عليك البدء في زيارة بيوت الدَّعارة».

قال چوري بابتسامةٍ ساخرة: «واجبٌ صعبٌ يا سيِّدي، لكن سيسرُّ الرِّجال أن يُساعِدونني. پورثر سبقَنا إلى هناك بالفعل».

كان حصانه المفضَّل مُسَرَّجًا وينتظره في السَّاحة. ركبَ ڤارلي وچاكس إلى جواره على حصانيهما وهو يقطع السَّاحة. لا بُدَّ أنهما كانا يتصبَّبان عرقًا تحت قبَّعتيهما الفولاذيَّتين وقميصي الحلقات المعدنيَّة، لكن لا أحد منهما لفظ كلمة شكوى على الإطلاق. هكذا عبرَ اللورد إدارد ستارك تحت بوَّابة المَلك إلى المدينة ذات الرَّائحة الخانقة، ومعطفه ذو اللَّونين الأبيض والرَّمادي يتدلَّى على ظَهره، ورأى العيون تُحَدِّق فيه في كلِّ مكان، ثم إنه وكزَ حصانه ليعدو بسرعةٍ أكبر وتبعه رجلاه. ظَلَّ ند يَنظُر وراءه بين الحين والآخَر وهُم يقطعون شوارع المدينة المزدحمة. كان تومارد ودزموند قد غادرا القلعة في الصَّباح الباكر ليتَّخذا موقعهما على

المسار الذي يجب أن يَسلُكه ند والتأكُّد من أن لا أحد يُراقبه، لكن على الرغم من هذا لم يكن ند واثقًا تمام الثِّقة، وجعله ظِلُّ عنكبوت المَلك وطيوره الصَّغيرة شديد القلق والترقُّب كعذراءٍ في ليلة زفافها.

كان شارع الحديد يبدأ من الميدان الذي تقع فيه السُّوق إلى جوار البوَّابة المعروفة في الخرائط ببوَّابة النَّهر، أما العامَّة فكانوا يُطلِقون عليها اسم بوَّابة الطَّمي. كان مهرِّج على ساقين خشبيَّتين يتحرَّك بخطواتٍ واسعةٍ في الزِّحام كحشرةٍ ضخمة، بينمي يجري وراءه حشد من الأطفال الحُفاة مهلِّلين. في جانبٍ آخَر كان طفلان لا يزيد عُمرهما على عُمر بران يرتديان الأسمال ويتبارَزان بعصاتين، بينما يُشجِّعهما بعض الأطفال الآخَرون ويصبُّ البعض الآخَر عليهما اللَّعنات، ثم وضعَت امرأة عجوز حدًّا للمُبارَزة عندما خرجَت من نافذتها وأفرغَت دلوًا من الغائط على رأسيهما. في ظِلِّ السُّور كان المُزارِعون يقفون عند عرباتهم مُنادين على بضاعتهم: «تُفَّاح! أفضل وأرخص تفَّاح في المدينة!»، و«بطِّيخ حُلو كالعسل!» و«لِفت، بصل، جذور، تعالَ وتفرَّج! لِفت، بصل، جذور، تعالَ وتفرَّج! تعالَ وتفرَّج!».

كانت بوَّابة الطَّمي مفتوحةً، وتحت الشَّبكة الحديديَّة وقفت فرقة من رجال حَرس المدينة بمعاطفهم الذَّهبيَّة يستندون إلى رماحهم. عندما لاحَ صَفٌّ من الرَّاكبين قادم من الغَرب، انتفضَ الحَرس في الحال وبدأوا يصيحون بالأوامر ويُزيحون العربات والمُشاة جانبًا كي يَدخُل الفارس مع مُرافِقيه. كان أول راكب يدخل من البوَّابة يحمل رايةً سوداء طويلةً تموَّج حريرها في الهواء كأنه كائن حي، وعلى النَّسيج طُرِّزَ شكل سماء ليليَّة يشقُّها لسان أرجواني من البَرق. صاحَ الرَّاكب: «أفسحوا الطَّريق للورد بريك! أفسحوا الطَّريق للورد بريك!»، ووراءه على مقربةٍ منه جاءَ اللورد الشَّاب نفسه. كان ممشوق القوام يمتطي حصانًا أسودَ، شَعره خليط من الأحمر والذَّهبي ومعطفه من السَّاتان الأسود الذي نُثِرَت عليه

النُّجوم. صاحَ اللورد بريك وسط تهليل الحشود: «جئتُ لأفوز بدورة اليَد!».

انعطفَ ند من الميدان إلى حيث يبدأ شارع الحديد وتبعَ طُرقاته الملتفَّة صاعدًا تَلًّا طويلًا، مرورًا بالحدَّادين الذين يعملون في دكاكينهم، والمُحارِبين غير النظاميِّين الذين يُساوِمون على أسعار قمصان الحلقات المعدنيَّة، وتُجَّار الحديد الذين يبيعون السُّيوف والسَّكاكين القديمة على عرباتهم. مع توغُّلهم أكثر صارَت المباني أكبر حجمًا. كان الرَّجل المنشود يَسكُن على قمَّة التَّل في منزلٍ ضخمٍ مشيَّد بالخشب والجِص، وتطلُّ أدواره العلويَّة على الشَّارع الضيِّق. كان الباب ذو الضَّلفتين يعرض مشهدًا باهرًا محفورًا في خشب الأبنوس والويرووود، بينما وقف زوجٌ من الفُرسان الحَجريِّين حراسةً على جانبي المدخل وقد ارتدى كلٌّ منهما دِرعًا أنيقةً من الفولاذ الأحمر المصقول جعلَت أحدهما يبدو كالجريفين والآخَر كاليونيكورن[1]. تركَ ند حصانه مع چاكس وشَقَّ طريقه إلى الدَّاخل.

تعرَّفت الخادمة الصَّغيرة على شارة ند والرَّمز على صُدرته في الحال، وجاءَ سيِّدها مسرعًا وكله ابتسامات وانحناءات. «نبيذ ليَدِ المَلك»، قال وهو يُشير لند بالجلوس على أريكة. «أنا توبهو موت يا سيِّدي. أرجوك، أرجوك، اعتبِر المكان مكانك». كان يرتدي معطفًا أسودَ من المخمل طُرِّزَت على كُمَّيه أشكال مطارق بخيطٍ فضِّي، بينما أحاطَت بعُنقه سلسلة فضِّيَّة ثقيلة تدلَّت منها جوهرة من الياقوت الأزرق بحجم بيضة حمامة. «إذا كنت تحتاج أسلحةً جديدةً من أجل دورة اليَد، فقد جئت إلى المكان المناسب». كان ند الآن أكثر ضجرًا من محاوَلة تصحيح كلام الرَّجل، فتركَه يُواصِل وهو يملأ كأسين فضيَّتين متماثلتين بالنَّبيذ: «عملي مُكَلِّف، لكنني لا أشعرُ بأسفٍ لهذا يا سيِّدي، لأنك لن تجد حِرَفِيَّةً تُضاهي حِرَفِيَّتي

(1) الجريفين حيوان أسطوري له جسم أسد ورأس وجناحا عقاب، واليونيكورن حيوان أسطوري آخر عبارة عن حصان له قرن واحد وقدرات سحريَّة؛ وفي عالم الرِّواية يُعتبر كلاهما كائنًا خياليًّا.

في أيِّ مكانٍ في المَمالك السَّبع كلها، أؤكِّدُ لك. زُر كلَّ ورشة حدادةٍ في كينجز لاندنج إذا شئت وقارِن بنفسك. أيُّ حدَّادٍ في أيِّ قريةٍ يستطيع دَقَّ قميصٍ من الحلقات المعدنيَّة، لكن عملي أنا فَن».

ارتشفَ ند شرابه وتركَ الرَّجل يُثَرثِر. فارس الزُّهور ابتاع دروعه كلها من هنا، قال توبهو متفاخرًا، بالإضافة إلى كثيرين من كبار اللوردات الذين يعرفون الفولاذ الممتاز، وحتى رنلي شقيق المَلك نفسه. لعلَّ حضرة اليَد رأى دِرع اللورد رنلي الجديدة المصنوعة من الصَّفائح المعدنيَّة الخضراء والمزوَّدة بالقرون الذهبيَّة؟ لا صانع سلاحٍ آخَر في المدينة يستطيع إخراج لونٍ أخضرَ بهذا العُمق، فهو يعرف سِرَّ إضافة اللَّون إلى تكوين الفولاذ نفسه، فاللَّون والزَّخرفة سِرُّ صنعته. أم أن حضرة اليَد يرغب في سيفٍ جديد؟ لقد تعلَّم توبهو دَقَّ الفولاذ الڤاليري في كُوهور وهو صبيٌّ صغير. فقط الرَّجل الذي يعرف التَّمائم المطلوبة يُمكنه أن يأخذ الأسلحة القديمة ويُعيد تشكيلها من جديد. «الذِّئب الرَّهيب رمز عائلة ستارك، أليس كذلك؟ يُمكنني أن أصنع خوذةً على شكل ذِئبٍ رهيبٍ تبدو حقيقيَّةً لدرجة أن الأطفال سيهربون منك في الشَّوارع لمرآها».

ابتسمَ ند وقال: «هل صنعت خوذة على شكل صقرٍ للورد آرن؟».

صمتَ توبهو موت لمدَّةٍ طويلةٍ ووضعَ نبيذه جانبًا، ثم قال: «لقد زارَني اليَدُ بالفعل مع اللورد ستانيس شقيق المَلك، لكن يُؤسِفني أن أقول إنهما لم يُشَرِّفاني بزبانتهما».

رمقَ ند الرَّجل بنظرةٍ محايدةٍ دون أن يقول شيئًا وانتظرَ. لقد علَّمته السِّنون أن الصَّمت أحيانًا ما يُفضي إلى إجاباتٍ أكثر مما تفعل الأسئلة، وهكذا كان الأمر هذه المرَّة.

قال صانع السِّلاح: «طلبا أن يريا الصَّبي، فأخذتهما إلى دُكَّاني».

- «الصَّبي»، ردَّد ند دون أن يملك أدنى فكرة عمَّن يتكلَّم الرَّجل. «أنا أيضًا أرغبُ في رؤية الصَّبي».

تطلَّع توبهو موت إليه بنظرةٍ هادئةٍ حذرة، ثم قال بلهجةٍ لم تَعُدْ تحمل أدنى أثرٍ لوُدِّه السَّابق: «كما تشاء يا سيِّدي». ثم إنه قادَ ند عبر بابٍ خلفي ثم زقاقٍ ضيِّق إلى الورشة الغائرة المشيَّدة بالحجارة التي يتمُّ فيها العمل. عندما فتحَ صانع السِّلاح الباب، جعلَ تيَّار الهواء السَّاخن الذي هَبَّ في وجهيهما ند يَشعُر كأنه يمشي داخل فَمِّ تنِّين. في الداخل كان هناك كِير يتأجَّج نارًا في كلِّ رُكن، وأفعمَت الهواء رائحة الدُّخَان والكبريت. رفعَ عُمال الورشة أعينهم عن المطارق وملاقط اللِّحام واختلسوا النَّظر بينما يمسحون العَرق السَّائل على جباههم، بينما كان الصِّبية عُراة الصُّدور يعملون على المنافيخ.

نادى توبهو موت على صبيٍّ في عُمر روب تقريبًا، طويل القامة مفتول عضلات الصَّدر والذِّراعين. «هذا هو اللورد ستارك، يَدُ المَلك الجديد»، قال له بينما يَرمُق الصَّبي ند بعينين زرقاوين مكفهرَّتين ويزيح الشَّعر الغارق في العَرق عن جبهته بأصابعه. كان شَعره كثيفًا غير ممشَّطٍ وأسودَ كالحِبر، بينما لاحَ ظِلُّ لحيةٍ ناميةٍ حول فكَّيه. «هذا هو جندري، قويٌّ بالنِّسبة لسِنِّه ويعمل باجتهاد. أين الخوذة التي صنعتها؟ أرِها لحضرة اليَد». قادهما الصَّبي بشيءٍ من الخجل إلى دكَّته حيث كانت خوذة من الفولاذ مشكَّلة كرأس ثورٍ ولها قرنان مقوَّسان.

قلَّب ند الخوذة في يده. كانت مصنوعةً من الفولاذ الخام، غير مصقولةٍ لكن مشكَّلةً بحِرَفِيَّةٍ شديدة. «عمل ممتاز. سيُسعِدني أن تسمح لي بابتياعها منك».

انتزعَ الصَّبي الخوذة من يده قائلًا: «إنها ليست للبيع».

بدا توبهو موت كمن أصابَته صاعقة واندفعَ يقول: «هذا يَدُ المَلك يا فتى. إذا كان حضرته يرغب في هذه الخوذة، فاجعل منها هديَّةً له. إن مجرَّد طلبه إياها منك تكريم لك».

قال الصَّبي بعناد: «لقد صنعتها لنفسي».

سارعَ سيِّده يقول لند: «ألفُ اعتذارٍ يا سيِّدي. الصَّبي لا يزال خامًا كالفولاذ الجديد، وكالفولاذ الجديد يحتاج بعض الضَّرب لتهذيبه. الخوذة مجرَّد عمل هاوٍ في أفضل الأحوال. سامِحني وأعدك بأني سأصنعُ لك خوذةً لم ترَ لها مثيلًا من قبل».

- «إنه لم يفعلٍ شيئًا يستحقُّ الصَّفح. جندري، عندما جاءَ اللورد آرن لزيارتك، عمَّا تكلَّمتما؟».

- «ألقى عليَّ بضعة أسئلة. هذا كلُّ ما هنالك يا سيِّدي».

- «أيُّ أسئلة؟».

هَزَّ الصَّبي كتفيه وقال: «سألَ عن حالي، وإن كنتُ أتلقَّى معاملةً جيِّدةً، وإن كنتُ أحبُّ عملي، وأشياءَ عن أمي، من هي وكيف كان شكلها وما إلى ذلك».

- «وبِمَ أخبرته؟».

أزاحَ الصَّبي شَعره الأسود الذي عادَ يَسقُط على جبهته وأجابَ: «لقد ماتَت وأنا صغير. كان شَعرها أصفرَ وأذكرُ أنها أحيانًا ما كانت تُغَنِّي لي. كانت تعمل في حانة».

- «هل ألقى اللورد ستانيس عليك أسئلةً أيضًا؟».

- «الأصلع؟ كلا، إنه لم ينطق كلمةً واحدةً لكنه ظَلَّ يُحَملِق فيَّ كأني اغتصَبتُ ابنته».

قال توبهو موت بحدَّة: «احفظ لسانك. إنك تتكلَّم مع يَدِ المَلك». خفضَ الصَّبي عينيه، بينما تابعَ سيِّده: «إنه صبيٌّ ذكي لكن عنيد. تلك الخوذة... لقد لقَّبه الآخرون برأس الثَّور، فحطَّم بها أسنانهم».

مَسَّ ند رأس الصَّبي مداعبًا شَعره الأسود وقال: «انظر إليَّ يا جندري»، فرفعَ الصَّبي رأسه. تفحَّص ند شكل الفكَّين والعينين العميقتين كالجَليد الأزرق. نعم، *الأمر واضح تمامًا*، قال لنفسه، ثم للصَّبي قال: «عُد إلى عملك يا جندري. آسفٌ لأني أزعجتك». ثم إنه سارَ عائدًا إلى المنزل

مع صانع السِّلاح، وسأله بلهجةٍ محايدة: «من الذي دفعَ أجر تدريب الصَّبي؟».

بدا موت مضطربًا وهو يقول: «لقد رأيت الصَّبي بنفسك. إنه قوي حقًّا. يداه هاتان، يداه هاتان مخلوقتان للعمل بالمطارق. كان واعدًا جدًّا فأخذته دون أجر».

قال ند بصرامة: «أريدُ الحقيقة الآن. الشَّوارع ملأى بالصِّبية الأقوياء، لكن يوم تأخذ عاملًا تحت التَّمرين بلا أجرٍ هو اليوم الذي يَسقُط فيه "الجِدار". من دفعَ أجره؟».

بتردُّدٍ أجابَ موت: «إنه لورد. لم يقل اسمه ولم يكن يضع أيَّ رمزٍ على معطفه. دفعَ لي بالذَّهب ضِعف المبلغ المعتاد وقال إنه يدفع مرَّةً للصَّبي ومرَّة مقابل صمتي».

- «صِفه لي».

- «كان ممتلئ الجسم، مستدير الكتفين، ليس طويلًا مثلك، له لحية بُنيَّة لكن أقسمُ أن هناك أثرًا من الأحمر فيها. كان يرتدي معطفًا فاخرًا أذكرُ شكله جيِّدًا، مصنوعًا من المخمل الأرجواني الثَّقيل ومزيَّنًا بخيوطٍ فضِّيَّة، لكن القلنسوة كانت تُخفي وجهه فلم أرَ ملامحه بوضوح»، ثم تردَّد للحظةٍ قبل أن يقول: «سيِّدي، أنا لا أريدُ أيَّ مشاكل».

قال ند: «لا أحد منا يريد مشاكل، لكنني أخشى أننا في وقتٍ مليءٍ بها يا سيِّد توبهو. أنت تعرف من يكون الصَّبي».

- «أنا مجرَّد صانع سلاح يا سيِّدي، ولا أعرفُ سوى ما يُقال لي».

كرَّر ند بصبر: «أنت تعرف من يكون الصَّبي. هذا ليس سؤالًا».

- «الصَّبي عامل تحت التَّمرين في ورشتي»، ونظرَ إلى ند في عينه بعنادٍ وصلابةٍ كالحديد القديم. «ليس من شأني مَن كان قبل أن يأتي إليَّ».

هَزَّ ند رأسه وقرَّر أن السيِّد توبهو موت صانع السِّلاح يروق له حقًّا، وقال: «إذا جاءَ يوم وأرادَ جندري أن يحمل سيفًا بدلًا من أن يدقَّه، أريدك

أن تُرسِله لي. إنه يملك سيماء مُحارِب. حتى ذلك الحين لك شُكري يا سيِّد موت، ووعدي. إذا حدثَ وأردتُ خوذةً أخيف بها الأطفال، سيكون هذا أول مكانٍ آتي إليه».

كان حارسه ينتظره في الخارج مع الخيول، وسأله چاكس وهو يمتطي حصانه: «هل وجدت أيَّ شيءٍ يا سيِّدي؟».

- «أجل»، أجابَ ند وكله تساؤلات وحيرة. ما الذي كان چون آرن يُريده من ابن المَلك غير الشَّرعي، ولِمَ كلَّفه هذا حياته؟

كاتلين

قال لها السير رودريك وهما ينطلقان شَمالًا على متن حصانين: «ينبغي أن تُغَطِّي رأسكِ يا سيِّدتي وإلَّا أُصِبتِ بالبَرد».

- «إنه مجرَّد ماء يا سير رودريك»، ردَّت كاتلين ببساطة. كان شَعرها مبتلًّا تمامًا والتصقَت خُصلة منه بجبهتها، وكان باستطاعتها أن تتخيَّل كم يبدو شكلها مزريًا، لكنها -لمرَّةٍ في حياتها- لم تُبالِ بهذا إطلاقًا. كانت أمطار الجَنوب خفيفةً دافئةً، وأحبَّت كاتلين إحساسها بها على وجهها إذ قبَّلته برقَّةٍ كأمٍّ رؤوم. أعادَها هذا إلى طفولتها، إلى أيامها الخوالي في ريفررَن. تذكَّرت أيكة الآلهة التي هَدِبَت أغصان أشجارها واكتسَت بالنَّدى، وصوت ضحكات أخيها وهو يُطارِدها وسط أكوام وأكوامٍ من الأوراق الرَّطبة. تذكَّرت فطائر الطَّمي التي صنعَتها مع لايسا، تذكَّرت ثقلها وكيف كان الطَّمي أملسَ بين أصابعها. قدَّمتا الفطائر للإصبع الصَّغير وهما تضحكان، وأكلَ هو طميًا كثيرًا جدًّا لدرجة أنه ظَلَّ طريح الفِراش لأسبوعٍ كامل. كم كانوا صغارًا جميعًا...

كانت كاتلين قد نسيَت أو كادَت. في الشَّمال كانت الأمطار تهطل قاسيةً باردةً، وأحيانًا كانت تتحوَّل إلى ثلجٍ عندما يأتي المساء، فكانت تَقتُل المحاصيل تمامًا كما تُغَذِّيها وتجعل الرِّجال الأقوياء يهرعون إلى أقرب ملجأٍ منها. ليست هذه بالأمطار الصَّالحة لأن تلعب الفتيات الصَّغيرات فيها.

قال السير رودريك متذمِّرًا: «إنني غارقٌ تمامًا، حتى عظامي مبتلَّة».
كانت الغابة متشابكةً من حولهما، وصوت الطَّقطقة الثَّابت الذي يُصدِره المطر لدى سقوطه على أوراق الشَّجر كان تُصاحِبه أصوات تخويضٍ خفيضةٍ والحصانان يرفعان حوافرهما من الوحل. «كلانا يحتاج نارًا ووجبةً ساخنةً اللَّيلة يا سيِّدتي».

قالت كاتلين: «ثمَّة خان على مفترَق الطُّرق أمامنا». في شبابها قضَت ليالٍ عديدةً هناك في أسفارها مع أبيها. كان اللورد هوستر تَلي رجلًا سريع الملل في شبابه، يكاد لا يستقرُّ في مكانٍ واحدٍ أبدًا ودائمًا ما يذهب إلى بُقعةٍ ما هنا أو هناك. كانت لا تزال تَذكُر صاحبة الخان، امرأة بادنة اسمها ماشا هدِل تَمضُغ التَّبغ المُرَّ ليل نهار ويبدو أن لديها مخزونًا لا نهائيًّا من الابتسامات والكعكات الحُلوة للأطفال. كانت تلك الكعكات الحُلوة غارقةً في العسل، لها مذاق غنيٌّ قويٌّ على الألسنة، لكن كاتلين كانت تهاب تلك الابتسامات حقًّا، فقد صبغَ التَّبغ أسنان ماشا بلونٍ أحمرَ داكنٍ وجعلَ ابتسامتها رُعبًا داميًا.

ردَّد ببؤس: «خان... يا ليت، لكننا لا نستطيع المجازَفة. إذا أردنا أن نبقى مجهولَيْن فأعتقدُ أن علينا أن نسعى إلى معقلٍ صغيرٍ في مكانٍ ما حيث...». بترَ عبارته عندما تناهَت إلى مسامعهما أصوات قادمة من على الطَّريق أمامهما: مياه تتناثَر ورنين معدن وصهيل حصان. قال ويده تقبض تلقائيًّا على سيفه: «راكبون». حتى على طريق الملوك ليس من السيِّئ أبدًا أن تتوخَّى الحذر.

تبعا الأصوات حول منعطفٍ في الطَّريق ورأيا أصحابها الذين كانوا صَفًّا من الرِّجال المسلَّحين يَعبُرون بجلبةٍ مخاضة نُهَيرٍ واسع. أوقفَت كاتلين حصانها لتسمح لهم بالمرور، ولمحَت الرَّاية التي يحملها الرَّجل في طليعتهم مرتخيةً مشبَّعةً بالماء، لكن الحَرس كانوا يرتدون معاطف ذات لونٍ أزرقَ غامق على أكتافهم وقد زيَّنها نَسر سيجارد الفضِّي. «رجال

ماليستر»، همسَ السير رودريك لها كأنها لم تُدرِك هذا. «يُستَحسَن أن تضعي قلنسوتكِ على رأسكِ يا سيِّدتي».

لكن كاتلين ظلَّت في مكانها بلا حراك. كان اللورد چيسون ماليستر بنفسه معهم وقد أحاطَ به فُرسانه، وابنه پاتريك إلى جانبه ومُرافِقوهم وراءهم مباشرةً. خمَّنت أنهم في طريقهم إلى دورة مباريات المَلك في كينجز لاندنج، فطوال الأسبوع الفائت ازدحمَ طريق الملوك بالرَّاكبين كأنه عُشُّ دبابير؛ فُرسان ومُحارِبون غير نظاميِّين، مُطرِبون بقيثاراتهم وطبولهم، عربات ثقيلة محمَّلة بالرَّاكبين بلا أجرةٍ أو الذُّرة أو براميل العسل، تُجَّار وحِرَفيُّون وعاهرات، وكلهم يتَّجهون جَنوبًا.

رمقَت اللورد چيسون بإمعان. آخِر مرَّةٍ رأته فيها كان يتبادَل المزاح مع عمِّها في مأدبة زفافها. آل ماليستر من حمَلة راية آل تَلي، فكانت هداياه لها ليلتها باذخة حقًّا. كان شَعره البُنِّي مملَّحًا بالأبيض الآن وصارَ وجهه ضاويًا مع مرور الزَّمن، لكن السِّنين لم تؤثِّر في كبريائه. كان يتحرَّك على متن حصانه كرجلٍ لا يخاف شيئًا، وحسدَته كاتلين على هذا مع إدراكها أن ثمَّة أشياءَ كثيرة تخافها. مع مرور الرَّاكبين حيَّاهما اللورد چيسون بهزَّة رأسٍ مقتضبة، لكنها كانت مجرَّد تحيَّةٍ من أحد كبار اللوردات لغريبين مَرَّ بهما على الطَّريق. لم يكن هناك إدراك لهويَّتها في هاتين العينين القويَّتين، أمَّا ابنه فلم يُكَلِّف نفسه حتى عناء إلقاء نظرة.

قال السير رودريك بعدها متعجِّبًا: «لم يتعرَّف عليك».

- «لقد رأى مُسافِرين ملطَّخين بالوحل على جانب الطَّريق، مبتلَّان ومُتعَبان، ولن يَخطُر على باله أبدًا أن إحداهما هي ابنة وليِّه. أعتقدُ أننا سنكون آمِنَيْن كفايةً في الخان يا سير رودريك».

كان الظَّلام قد حَلَّ تقريبًا عندما بلغا الخان الواقع على تقاطُع الطُّرق شَمال ملتقى فروع الثَّالوث. كانت ماشا هدِل أسمن وأكثر شيبًا مما تذكَّرت كاتلين، لا تزال تَمضُغ تبغها المُرَّ، وإن لم تمنحهما سوى نظرةٍ

عابرةٍ جدًّا بلا أثرٍ فيها لابتسامتها الحمراء الشَّنيعة. قالت دون أن تتوقَّف عن المضغ لحظةً: «غُرفتان عند قمَّة السَّلالم، هذا هو كلُّ الموجود. إنهما تحت بُرج الجرس، فلن تفوتكما وجبات الطَّعام على الأقل، وإن كان البعض يقولون إنهما في موقعٍ مزعجٍ للغاية. لا يوجد ما يُمكن عمله، فكلُّ غُرفنا مشغولة أو تكاد. إمَّا هاتان الغُرفتان أو الطَّريق».

الغُرفتان طبعًا، اللتان كانتا عِلِّيَّتين واطئتي السَّقف مغبَّرتين عند قمَّة سلالم ضيِّقةٍ متداعية. قالت لهما ماشا بَعد أن أخذَت منهما النُّقود: «اتركا حذائيكما هنا وسيُنَظِّفهما الصَّبِي. لا أريدكما أن تُلَوِّثا سلالمي بالوحل. انتبها للجرس كذلك، فالمتأخِّرون على الوجبات لا يجدون طعامًا يأكلونه». لم تكن هناك ابتسامات على الإطلاق، ولا ذِكر للكعكات الحُلوة.

كان الصَّوت يصمُّ الآذان عندما دَقَّ جرس العشاء. كانت كاتلين قد بدَّلت ثيابها بثيابٍ جافَّةٍ وجلسَت وراء النَّافذة تتفرَّج على مياه المطر تجري على الزُّجاج الذي استحالَ لونه إلى البُنِّي وامتلأ بالفقاقيع، بينما كان الغَسق المبتلُّ ينتشر فوق العالم في الخارج. من مكانها هذا تعرَّفت كاتلين بصعوبةٍ على التَّقاطُع الموحل الذي يلتقي عنده الطَّريقان العظيمان.

جعلها مفترَق الطُّرق تُفَكِّر مليًّا. إذا انعطفا غَربًا من هنا فسيَسلُكان طريقًا سهلًا إلى ريفررَن. دائمًا ما كان أبوها يمنحها نصائحه الحكيمة عندما تكون في أمسِّ الحاجة إليها، وهي تشتاق للكلام معه حقًّا وترغب في تحذيره من العاصفة القادمة. إذا استعدَّت وينترفل للحرب، فالأجدر بريفررَن أن تستعدَّ أكثر فهي أقرب كثيرًا من كينجز لاندنج، وقوَّة كاسترلي روك تلوح من الغَرب كظِلٍّ ثقيل. لو كان أبوها أقوى لكانت غامرَت بهذا، لكن هوستر تَلي طريح الفِراش منذ عامين كاملين، وفكرة تحميله هذا العبء كانت تُنَفِّر كاتلين بشدَّة.

الطَّريق الشَّرقي أكثر ضراوةً وخطورةً، مع مروره بين التِّلال الصَّخرية والغابات الكثيفة التي تُفضي إلى جبال القَمر، مرورًا بممرَّاتٍ عاليةٍ وهُوَّاتٍ سحيقةٍ تقود إلى وادي آرن ثم إلى جُزر "الأصابع" الحَجريَّة ورائه. فوق الوادي كان "العُش" يرتفع شاهقًا منيعًا وتَبلُغ بروجه عنان السَّماء. هناك ستجد أختها، ولربما بعض الإجابات التي يسعى إليها ند كذلك. لا ريب أن لايسا تعرف أكثر مما كتبته في رسالتها، ولعلَّها تملك الدَّليل الذي يحتاجه ند للإطاحة بعائلة لانستر. ثم إنه إذا بلغَت الأمور حَدَّ الحرب، فسوف يحتاجون إلى آل آرن ولوردات الشَّرق الذين يدينون لهم بالولاء. على أن طريق الجبال محفوف بالمخاطر، فقِطط الظِّل تجوب تلك الأنحاء، والانهيارات الصَّخريَّة كثيرة، وقبائل الجبال ليست إلَّا مجموعاتٍ من اللُّصوص وقُطَّاع الطُّرق، ينزلون من المرتفعات ليسرقوا ويَقتُلوا ثم يختفون كالثَّلج الذَّائب كلما خرجَ فُرسان "الوادي" بحثًا عنهم. حتى چون آرن، وقد كان سيِّدًا عظيمًا ككلِّ من عرفهم "العُش"، كان يتحرَّك ومعه قوَّة كبيرة من الرِّجال كلما عبرَ الجبال، بينما كانت قوَّة كاتلين الوحيدة تتمثَّل في فارسٍ مُسِنٍّ واحدٍ يرتدي الولاء دِرعًا.

لا، على ريفررَن و"العُش" أن ينتظرا. إن طريقها يمضي شَمالًا إلى وينترفل حيث ينتظرها أبناؤها وواجبها. بمجرَّد أن تَعبُر "العُنق" مع السير رودريك، بإمكانها أن تُفصِح عن هويَّتها لأحد حاملي راية ند وتُرسِل خيَّالةً يسبقونها مع أوامرٍ بوضع مراقَبةٍ على طريق الملوك.

كانت الأمطار تَحجُب الحقول الواقعة وراء مفترَق الطُّرق تمامًا، لكن كاتلين كانت ترى تلك الأراضي بوضوحٍ كافٍ في ذاكرتها. السُّوق على الجانب الآخَر من الطَّريق، وبَعد ميلٍ آخَر القرية التي تتكوَّن من نحو نِصفمئة كوخٍ أبيضَ وسِبت حَجريٌّ صغير في منتصَفها. لا بُدَّ أن عددها أصبحَ أكبرَ الآن، فهذا الصَّيف كان طويلًا هادئًا. إلى الشَّمال من هنا كان طريق الملوك يمضي بمحاذاة الفرع الأخضر لنهر الثَّالوث، قاطعًا

وديانًا خصبةً وغاباتٍ خضراء، ومارًّا ببلداتٍ مزدهرةٍ ومعاقلَ قويَّةٍ وقلاع لوردات النَّهر.

كانت كاتلين تعرفهم جميعًا: عائلة بلاكوود وعائلة براكن دائمتا العداوة اللتان كان أبوها مُلزَمًا بتسوية خلافاتهما دومًا... الليدي وِنت آخِر أبناء عائلتها، التي تعيش وحيدةً مع أشباحها في سراديب هارنهال الشَّبيهة بالكهوف... اللورد فراي ذو الطِّباع الحادَّة الذي ظَلَّ معمِّرًا بَعد وفاة سبع زوجاتٍ وملأ قلعتيه التَّوأمتين بالأبناء والأحفاد وأبناء الأحفاد، بالإضافة إلى النُّغول وأبناء النُّغول كذلك. جميعهم كانوا من حمَلة راية آل تَلي، وكلهم أقسَموا بسيوفهم لخدمة ريفررَن. تساءلَت كاتلين إن كان هذا سيكفي إذا اندلعَت الحرب فعلًا. إن أباها أمتن وأشجع رجلٍ عرفه العالم، وليس لديها شَكٌّ في أنه سوف يستدعي راياته... لكن هل سيأتي حاملو الرَّايات؟ كان آل داريس ورايجر وموتون قد أقسموا بالولاء لريفررَن بدورهم، لكنهم قاتَلوا في صَفِّ ريجار تارجاريَن في معركة الثَّالوث، بينما وصلَ اللورد فراي مع جنوده بَعد أن انتهَت المعركة بفترةٍ لا بأس بها، تاركًا بعض الشَّكِّ في النُّفوس في نيَّته للانضمام لأيِّ جيشٍ من الاثنين، (جيشهم هُم بالطَّبع كما أكَّد للمنتصرين بوقارٍ بَعد نهاية المعركة، لكن منذ ذلك الحين وأبوها يُطلِق عليه لقب "اللورد فراي المتلكِّئ"). فكَّرت كاتلين بانفعالٍ أن المسألة لا ينبغي أن تَبلُغ حَدَّ الحرب. يجب ألا يسمحوا بذلك.

جاءَ السير رودريك إليها بمجرَّد أن توقَّفت دقَّات الجرس الفظيعة، وقال: «فلنُسرِع إذا كنا نأمل أن نأكل اللَّيلة يا سيِّدتي».

قالت له: «من الأفضل ألَّا نكون فارسًا وليدي إلى أن نَعبُر "العُنق". المُسافِرون العاديُّون يجذبون انتباهًا أقلَّ. لنكن أبًا وابنته خرجا على الطَّريق لشأنٍ عائليٍّ مثلًا».

قال السير رودريك: «كما تأمرين يا سيِّدتي»، غير أنه لم يُدرِك ما فعله

إلَّا بَعد أن ضحكَت، فقال: «المجاملات القديمة تموت بصعوبةٍ يا... يا ابنتي»، وحاولَ أن يجذب شواربه التي لم تَعُدْ هناك قبل أن يَزفِر ساخطًا.

تأبَّطت كاتلين ذراعه وقالت: «هَلُمَّ يا أبي. سترى أن ماشا هدِل تُقَدِّم طعامًا لذيذًا حقًّا، لكن حاوِل ألَّا تُثني عليها، فأنت لا ترغب حقًّا في رؤية ابتسامتها، صدِّقني».

كانت القاعة العامَّة طويلةً كثيرة التَّيَّارات الهوائيَّة، مع صَفٍّ من البراميل الخشبيَّة الضَّخمة في ناحيةٍ ومستوقد في النَّاحية الأخرى، وثمَّة خادم يجري ذهابًا وإيابًا حاملًا أسياخ اللَّحم، بينما تصبُّ ماشا البيرة من البراميل دون أن تكفَّ عن مضغ تبغها لحظةً. كانت الدِّكك مزدحمةً، يختلط عليها أهل البلدة والمُزارِعون بحُريَّةٍ مع المُسافِرين. كان مفترَق الطُّرق يجذب أغرب رفاق السَّفر طرًّا، فيجلس الصبَّاغون ذوو الأيدي الأرجوانيَّة والسَّوداء مع صيَّادين تنبعث منهم رائحة الأسماك الكريهة، ويندسُّ حدَّاد مفتول العضلات إلى جوار سِپتون هَرِم، ويتبادَل المُرتَزِقة المتمرِّسون الأخبار مع التُّجَّار الأثرياء كأنهم نُدماء قُدامى.

كان الموجودون يضمُّون من حاملي السُّيوف عددًا أكبر مما يروق لكاتلين. ثلاثة منهم عند المستوقد كانوا يرتدون شارة الفَحل الأحمر الخاصَّة بعائلة براكن، وكانت هناك مجموعة كبيرة ممن يرتدون قمصان الحلقات المعدنيَّة الزَّرقاء والمعاطف الرَّماديَّة المائل لونها إلى الفضِّي، وعلى أكتافهم رمز مألوف آخَر هو البُرجان التَّوأمان المميِّزان لعائلة فراي. تمعَّنت في ملامحم، لكنهم كانوا أصغر سِنًّا من أن يعرفوها، وأكبرهم لم يكن عُمره ليزيد على عُمر بران عندما ذهبَت شَمالًا للمرَّة الأولى.

وجدَ السير رودريك لهما مكانًا شاغرًا على الدِّكَّة القريبة من المطبخ، وعلى الجانب الآخَر من المائدة كان شابٌّ وسيم يُداعِب قيثارةً خشبيَّةً بأصابعه. «سبع بركاتٍ عليكما»، قال عندما جلسا، وأمامه على المائدة كانت كأس نبيذ فارغة.

- «وعليك أيها المغنِّي»، ردَّت كاتلين. طلبَ السير رودريك لحمًا وخُبزًا وبيرةً بأسلوبٍ يعني أن يأتي الطَّلب حالًا. ثم إن المغنِّي -وهو شابٌّ في الثامنة عشر من العُمر تقريبًا- رمقَهما بجراْةٍ وسألهما من أين أتيا وإلى أين هما ذاهبان وعن الأخبار التي يحملانها، تاركًا الأسئلة تتطايَر كالسِّهام دون أن يتوقَّف ليسمع منهما ردًّا، فقالت كاتلين مجيبةً أأمن أسئلته: «لقد غادَرنا كينجز لاندنج منذ نحو أسبوعين».

- «أنا في طريقي إلى هناك»، أجابَ الشَّاب. كما توقَّعت، كان مهتمًّا بأن يحكي قصَّته أكثر من أن يسمع قصَّتهما، فالمغنُّون لا يُحِبُّون شيئًا أكثر من سماع أصوات أنفسهم. «دورة اليَدِ تعني لوردات أثرياء ذوي أكياس نقودٍ ممتلئة. آخِر مرَّةٍ خرجتُ ومعي فضَّة أكثر مما أستطيعُ أن أحمل... إلى أن خسرتها كلها عندما راهنتُ على فوز قاتِل المَلك».

قال السير رودريك بصرامة: «الآلهة تعبس في وجه المُقامِرين». كان من الشَّمال ويشترك مع آل ستارك في نظرتهم إلى دورات المباريات من هذا النَّوع.

أجابَ المغنِّي: «لا شَكَّ أنها عبسَت في وجهي. قهرَتني الآلهة القاسية ومعها فارس الزُّهور».

قال السير رودريك: «لعلَّ هذا كان درسًا لك».

- «بالتَّأكيد. هذه المرَّة سأُراهِن على السير لوراس».

حاولَ السير رودريك أن يشدَّ شواربه التي لم تكن هناك، لكن قبل أن يُفكِّر في توبيخٍ يُلقيه على الشَّاب، جاءَ الخادم مسرعًا بطعامهما. وضعَ أمامهما صحفتين من الخُبز وملأهما بقطعٍ من اللَّحم المحمَّر على سيخٍ تَقطُر منه العُصارة السَّاخنة، ثم أضافَ من سيخٍ آخَر قطعًا من البصلِ الصَّغير والفلفل الحرِّيف والفِطر؛ وانقضَّ السير رودريك على الطَّعام بنهمٍ بينما هُرِعَ الخادم عائدًا إلى المطبخ كي يجلب البيرة.

قال المغنِّي وهو يَنقُر وترًا في قيثارته: «اسمي ماريليون. لاَ شَكَّ أنكما سمعتما غنائي في مكانٍ ما».

جعلَ أسلوبه كاتلين تبتسم. قِلَّةٌ من المغنِّين الجائلين كانت ترتحل شَمالًا حتى وينترفل، لكنها كانت تعرف من هُم على شاكلته منذ أيامِ صباها في ريفررَن. أجابَت: «أخشى أننا لم نفعل».

داعبَ أوتار القيثارة لتُصدِر نغمةً حزينةً، وقال: «أنتما الخاسران. من أفضل مغنٍّ سمعتماه على الإطلاق؟».

أجابَ السير رودريك على الفور: «آليا البراڤوسيَّة».

قال ماريليون: «أوه، إنني أفضل كثيرًا من تلك العصا العجوز. إذا كانت معك قطعة فضِّيَّة لأغنيَّة، سأُثبِت لك».

- «قد أحملُ معي قطعةً نُحاسيَّةً أو اثنتين، لكني أُفَضِّل أن ألقي بها في بئرٍ على أن أدفعها لأسمع عُواءك»، قال السير رودريك متذمِّرًا. كان رأيه في المغنِّين معروفًا: الموسيقى شيء شديد الجمال والعذوبة بالنِّسبة للفتيات، لكنه لم يستوعب قَطُّ لِمَ يختار شابٌّ سليم البدن أن يُسَلِّح نفسه بقيثارةٍ بدلًا من السَّيف.

وجَّه ماريليون كلامه لكاتلين قائلًا: «جدُّكِ حادُّ الطِّباع حقًّا. كنتُ أقصِدُ أن أكرِّمكِ وأثني على جمالكِ. الحقيقة أنني مخلوقٌ كي أُغَنِّي للملوك وكبار السَّادة».

قالت كاتلين: «أرى هذا. اللورد تَلي مغرم بالأغاني كما سمعتُ. لا شَكَّ أنك زُرت ريفررَن».

بتكبُّرٍ قال المغنِّي: «أوه، مئة مرَّة. إنهم يحتفظون بغُرفةٍ خاصَّةٍ لي هناك، واللورد الصَّغير بمثابة أخي».

ابتسمَت كاتلين متسائلةً عمَّا كان إدميور ليقوله. كان مغنٍّ آخَر قد ضاجعَ فتاةً يهيم بها أخوها، ومنذ ذلك الحين وهو يمقت صنفهم كله. سألته: «ووينترفل؟ هل ذهبت شَمالًا من قبل؟».

- «ولِمَ أفعل؟ ليس هناك غير العواصف الثَّلجية وجلود الدِّببة في الشَّمال، وآل ستارك لا يعرفون موسيقى غير عُواء الذِّئاب».

كان يتكلَّم بينما تناهى إلى مسامع كاتلين من بعيد صوت باب القاعة وهو يُفتَح، ثم سمعَت صوت خادم يقول من ورائها: «أين صاحبة الخان؟ أنتِ؟ حسنٌ، لدينا خيول نريدها أن توضع في الاسطبل، وسيِّدي لانستر يرغب في غُرفةٍ وحمَّامٍ ساخن».

- «يا للآلهة!»، قال السير رودريك مبهوتًا قبل أن تمدَّ كاتلين يدها لتُسكِته وقد أطبقَت أصابعها بقوَّةٍ على ساعِده.

كانت ماشا هدِل تنحني وتبتسم ابتسامتها القبيحة وهي تقول: «آسفة يا سيِّدي، حقًّا، لكن الغُرف كلها كاملة العدد بالفعل».

رأت كاتلين أن هناك أربعة منهم، رجل متقدِّم في السِّنِّ يرتدي أسودَ حَرس اللَّيل وخادمين... وهو، يقف هناك صغير الحجم جريئًا كالحياة. «سينام رجالي في الاسطبل، أمَّا أنا فلا أتطلَّبُ غُرفةً كبيرةً كما ترين بوضوح»، وأضافَ بابتسامةٍ ساخرة: «طالما أن النَّار تُدفِئ والقش لا يحوي عددًا كبيرًا من البراغيث، سأكونُ راضيًا».

قالت ماشا وقد أُسقِطَ في يدها تمامًا: «لكن ليست هناك أيُّ غُرفٍ حقًّا يا سيِّدي. إنها دورة المباريات ولا أستطيعُ أن...».

أخرجَ تيريون لانستر عُملةً من كيس نقوده وضربَها بإبهامه لترتفع فوق رأسه ثم تَسقُط فيلتقطها ويرميها مرَّةً أخرى، وحتى من طرف القاعة الآخر حيث جلسَت كاتلين كان بريق الذَّهب جليًّا.

نهضَ مُحارِب غير نظامي يرتدي معطفًا أزرقَ لاحَ لونه وقال بسرعة: «يُمكنك أن تأخذ غُرفتي يا سيِّدي».

- «رجلٌ ذكي»، قال لانستر وهو يقذف العُملة الذَّهبيَّة عبر القاعة، والتقطها المُحارِب غير النِّظامي في الهواء، فأضافَ القزم: «ورشيق

كذلك»، ثم التفتَ إلى ماشا هدِل وقال: «سيُمكنك تدبير طعامٍ لنا، أليس كذلك؟».

- «أيُّ شيءٍ تُحِبُّه يا سيِّدي، أيُّ شيءٍ على الإطلاق»، قالت صاحبة الخان بحرارة، بينما فكَّرت كاتلين: *وعسى أن تختنق به*، لكنه كان بران الذي رأته يختنق ويغرق في دمائه.

نظرَ لانستر إلى أقرب موائدِ منهم وقال: «رجالي سيتناولون أيَّ شيءٍ تُقَدِّمونه اللَّيلة، حصصًا مضاعفةً لأننا سافَرنا لمسافةٍ طويلة. وأنا سأتناولُ طائرًا مشويًّا، دجاجةً أو بطَّةً أو حمامةً، لا فارِق. وأريدُ إبريقًا من أفضل نبيذٍ لديكم. يورِن، هل ستتناوَل عشاءك معي؟».

أجابَ الأخُ الأسود: «نعم يا سيِّدي».

لم يُلْقِ القزم نظرةً واحدةً على الطَّرف الآخَر من القاعة، وكانت كاتلين تُفَكِّر في أنها ممتنَّة حقًّا لوجود الدِّكك المزدحمة بينها وبينه، عندما وثبَ ماريليون المغنِّي ناهضًا فجأةً وصاحَ: «سيِّدي لانستر! سيُسعِدني أن أُسَلِّيك بينما تتناوَل طعامك. دعني أُغَنِّي لك أنشودة انتصار أبيك العظيم في كينجز لاندنج!».

- «لا أظنُّ أن هناك شيئًا يُمكنه أن يُفسِد شهيَّتي أكثر من هذا»، قال القزم بلهجةٍ جافَّةٍ وعيناه غير المتماثلتين تَرمُقان المغنِّي على نحوٍ عابرٍ قبل أن تبدآ في الابتعاد عنه و... وتقعا على كاتلين. تطلَّع إليها للحظةٍ مندهشًا، بينما أشاحَت هي بوجهها بعيدًا لكن بَعد فوات الأوان. كان القزم يبتسم وهو يقول: «ليدي ستارك، يا لها من مفاجأةٍ سارَّة! لقد أسفتُ لمَّا لم أجدكِ في وينترفل».

حملقَ ماريليون فيها والارتباك يُفسِح الطَّريق للانزعاج وكاتلين تنهض ببطء. سمعَت السير رودريك يُطلِق سُبَّةً. لو كان الرَّجل الصَّغير قد ظَلَّ على "الجِدار"، لو أنه...

قالت ماشا هدِل بلهجةٍ ثقيلة: «ليدي... ستارك؟».

- «كنتُ لا أزال كاتلين تَلي عندما جئتُ إلى هنا آخِر مرَّة»، قالت لصاحبة الخان وهي تسمع الغمغمات تتعالى من حولها وتَشعُر بالعيون تُسَلَّط عليها. دارَت كاتلين بعينيها في المكان متطلِّعةً إلى الفرسان والسلاحداريَّة، ثم التقطَت شهيقًا عميقًا كي تُهَدِّئ ضربات قلبها العنيفة. هل تجرؤ على المخاطَرة؟ لكن ليس هناك وقت للتَّفكير، فقط اللَّحظة الحاليَّة ووقع صوتها يرنُّ في أُذنيها. «أنت هناك في الرُّكن»، قالت مخاطبةً رجلًا أكبر سِنًّا لاحظَت وجوده الآن فقط. «أهذا وطواط هارنهال الأسود الذي أراه مطرَّزًا على صُدرتك يا سيِّدي؟».

نهضَ الرَّجل مجيبًا: «هو كذلك يا سيِّدتي».

- «وهل الليدي وِنت صديقة حقيقيَّة مُخلِصة لأبي اللورد هوستر تَلي سيِّد ريڤررَن؟».

أجابَ الرَّجل بحزم: «هي كذلك».

نهضَ السير رودريك بدوره وشَدَّ سيفه من غِمده بعض الشَّيء، بينما كان القزم يَرمُقهما بتعبيرٍ أجوف على وجهه، وإن امتلأت عيناه غير المتماثلتين دهشةً.

- «الفَحل الأحمر منظر مرحَّب به دائمًا في ريڤررَن»، قالت للثَّلاثة الجالسين عند النَّار. «أبي يعدُّ چونوس براكن من أقدم حمَلة رايته وأكثرهم إخلاصًا».

تبادلَ المسلَّحون الثَّلاثة نظراتٍ حائرة، ثم قال أحدهم بتردُّد: «إن ثقته شَرف لسيِّدنا».

قال لانستر مازحًا: «إنني أحسدُ أباك على كلِّ هؤلاء الأصدقاء، لكني لا أفهمُ الغرض من هذا أيتها الليدي ستارك».

تجاهلَته ملتفتةً إلى المجموعة الكبيرة التي ارتدَت المعاطف ذات الأزرق والرَّمادي مفكِّرةً أن هؤلاء هُم قلب المسألة كلها فهناك عشرون

منهم، وقالت: «أعرفُ رمزكم كذلك، البُرجين التَّوأمين رمز عائلة فراي. كيف حال سيِّدكم الكريم أيها السَّادة؟».

نهضَ قائدهم وأجابَ: «اللورد والدر بخير يا سيِّدتي. إنه ينوي الزَّواج مجدَّدًا في يوم ميلاده التِّسعين، وأرسلَ للسيِّد أبيك طالبًا أن يُشَرِّفه بحضوره».

أطلقَ تيريون لانستر ضحكةً مكبوتةً، وعندها عرفَت كاتلين ستارك أنه لها. «هذا الرَّجل جاءَ ضيفًا إلى بيتي، وهناك تآمرَ على اغتيال ابني الذي يَبلُغ سبعة أعوام لا أكثر»، قالت مخاطبةً القاعة كلها وهي تشير إلى تيريون، ووقفَ السير رودريك إلى جانبها مستلًّا سيفه. «باسم المَلك روبرت والسَّادة الذين تخدمونهم، أطلبُ منكم أن تقبضوا عليه وتُساعِدوني على إعادته إلى وينترفل لينتظر عدالة المَلك».

لم تعرف بالضَّبط أيهما كان مُرضِيًا أكثر لها، صوت السُّيوف وهي تُسحَب من أغمادها في آنٍ واحد، أم النَّظرة على وجه تيريون لانستر.

سانزا

ذهبَت سانزا إلى دورة اليَدِ في صُحبة السِّپتة موردن وچين پوول في هودج ذي ستائر من الحرير الأصفر شديد النُّعومة لدرجة أنها كانت تستطيع الرُّؤية من خلالها وقد صبغَت العالم كله باللَّون الذَّهبي. خارج أسوار المدينة كان مئة سرادقٍ قد أُقيمت على ضفَّة النَّهر، وجاءَ العامَّة بالآلاف ليتفرَّجوا على المباريات. خلبَت الفخامة التي اكتنفَت كلَّ شيءٍ لُبَّ سانزا تمامًا؛ الدُّروع اللَّامعة، الجياد المكسوَّة بالفضِّي والذَّهبي، هتافات الجماهير، الرَّايات الخفَّاقة في الرِّيح... والفرسان أنفسهم، الفرسان أكثر من أيِّ شيءٍ آخَر.

- «الواقع أفضل من الأغاني»، همسَت عندما وجدنَ أماكن الجلوس التي وعدَها بها أبوها بين كبار السَّادة والسيِّدات. كانت سانزا تبدو بهيَّة الطَّلعة يومها في فُستانها الأخضر الذي أبرزَ لون شَعرها الكستنائي، وكانت تعرف أن المُحيطين بها يتطلَّعون إليها ويتبسَّمون.

شاهدنَ أبطالًا من مئة أغنيَّةٍ يتقدَّمون على صهوة خيولهم وكلٌّ منهم أروع من سابِقه. احتلَّ فُرسان الحَرس المَلكي السَّبعة المضمار، كلهم باستثناء چايمي لانستر في دروعٍ من صفائح معدنيَّةٍ بلون الحليب الصَّافي ومعاطفٍ بيضاء كالثَّلج السَّاقط لتوِّه. كانَ السير چايمي يرتدي المعطف الأبيض كذلك، وإن كان يتألَّق ذهبًا من قمَّة رأسه حتى أخمص قدميه، وقد ارتدى خوذةً على شكل رأس أسدٍ وتمنطقَ بسيفٍ ذهبي.

اندفعَ السير جريجور كليجاين، الجبل راكب الخيول، متجاوزًا إياهم بسرعة انهيارٍ جَليدي. تذكَّرت سانزا اللورد رون رويس الذي نزلَ ضيفًا في وينترفل قبل عامين. «دِرعه مصنوعة من البرونز، عُمرها آلاف وآلاف من السِّنين، منقوشة بأبجديَّةٍ سِحريَّةٍ تقيه من الأذى»، همسَت لچين پوول. أشارَت السِّپتة موردن إلى اللورد چيسون ماليستر، الذي ارتدى دِرعًا ذات لونٍ أزرقَ داكنٍ مرصَّعةً بالفضَّة وعلى خوذته جناحا نَسر. كان اللورد ماليستر قد صرعَ بنفسه ثلاثةً من حمَلة راية الأمير ريجار في معركة الثَّالوث. ضحكَت الفتاتان لمرأى الرَّاهب المُحارِب ثوروس المايري بمعطفه الأحمر الخافِق ورأسه الحليق، إلى أن أخبرَتهما السِّپتة أنه تسلَّق أسوار پايك ذات مرَّةٍ حاملًا سيفًا ناريًّا في يده.

ثمَّة آخَرون لم تتعرَّف عليهم سانزا، فُرسان جوَّالة من "الأصابع" وهايجاردن وجبال دورن، مُحارِبون غير نظاميِّين لم ينالوا أيَّ شُهرةٍ ومُرافِقو فُرسان حديثو التَّعيين، الأبناء الأصغر للورداتٍ كبار وورثة عائلاتٍ أقلّ شأنًا من غيرها. كانوا شبابًا ليس للسَّواد الأعظم منهم مآثر تُذكَر بَعد، وإن اتَّفقت سانزا وچين على أن يومًا سيأتي تُدَوِّي فيه أسماؤهم في المَمالك السَّبع كلها... السير بالون سوان، اللورد برايس كارون سيِّد تُخوم دورن، السير أندار رويس وريث يون البرونزي وأخوه الأصغر السير روبار في دِرعين من الفولاذ المفضَّض الذي نُقِشَت عليه بالبرونز الأبجديَّة العتيقة نفسها التي تقي أباهما، التَّوأمان السير هوراس والسير هوبر اللذان حملت دِرعاهما الزَّرقاوان عنقود العنب رمز عائلة ردواين بلونه الخَمري، پاتريك ماليستر ابن اللورد چيسون، ستَّة من عائلة فراي أبناء "المعبَر": السير چارد، السير هوستين، السير دانويل، السير إمون، السير ثيو، والسير پروين، كلهم أبناء وأحفاد اللورد والدر فراي، بالإضافة إلى ابنه غير الشَّرعي مارتن ريڤرز.

اعترفَت چين پوول بخوفها من شكل چالابار شو، الأمير المنفي من

جُزر الصَّيف الذي ارتدى حرملةً من الرِّيش الأخضر والقرمزي فوق بشرةٍ سوداء كاللَّيل، لكن عندما رأت اللورد الشَّاب بريك دونداريون بشَعره اللَّامع كالذَّهب الأحمر وتُرسه الأسود الذي يشقُّه البَرق، أعلنَت أنها مستعدَّة للزَّواج منه في التَّوِّ واللَّحظة.

انضمَّ كلب الصَّيد إلى المضمار بدوره، وكذلك اللورد رنلي الوسيم أخو المَلك وسيِّد ستورمز إند، بينما مثَّل چوري وآلين وهاروين وينترفِل والشَّمال. «چوري يبدو كشحَّاذٍ وسط الآخَرين»، قالت السِّپتة موردن بضيقٍ لمَّا رأته، ولم يكن بوسع سانزا غير أن تتَّفق معها. كان دِرع چوري من الصَّفائح المعدنيَّة ذات اللَّونين الأزرق والرَّمادي بلا زخارفَ أو زينة، وتدلَّى معطف رماديٌّ خفيف من على كتفيه باديًا كأسمالٍ متَّسخة. غير أنه أبلى بلاءً حسنًا فعلًا وقد أسقطَ هوراس ردواين عن حصانه في النِّزال الأول وأحد أبناء فراي في الثَّاني، وفي النِّزال الثَّالث قامَ بثلاث محاوَلات إسقاط مع مُحارِبٍ غير نظاميٍّ اسمه لوثور برون يرتدي دِرعًا تقليديَّةً كدِرعه. لم يَسقُط أيهما عن حصانه، لكن رُمح برون كان أكثر ثباتًا وضرباته موجَّهةً بإحكامٍ أكثر، فمنحَه المَلك الانتصار. أمَّا آلين وهاروين فلم يُحالِفهما التَّوفيق، وسقطَ هاروين عن حصانه في نزاله الأول على يد السير مرين فارس الحَرس المَلكي، بينما سقطَ آلين أمام السير بالون سوان.

استمرَّت النِّزالات طوال اليوم وحتى الغَسق، ودقَّت حوافر الجياد الحربيَّة الممتازة أرض المضمار إلى أن استحالت إلى قفرٍ من التُّربة المقلوعة. مرَّات عديدة صاحَت فيها چين وسانزا في آنٍ واحدٍ عندما ارتطمَ المُقاتِلون ببعضهم بعضًا لتتفجَّر رماحهم إلى شظايا والعامَّة يَصرُخون مهلِّلين لمن يُشَجِّعون. غطَّت چين عينيها كلما سقطَ رجل كبنتٍ صغيرةٍ خائفة، بينما كانت سانزا مصنوعةً من خامةٍ أكثر صلادة. على الليدي رفيعة المقام أن تعرف كيف تَسلُك السُّلوك الملائم في

دورات المباريات، وحتى السِّپتة موردن لاحظَت هدوءها وأومأت برأسها استحسانًا.

كان قاتِل المَلك رائعًا بحق، وأسقطَ السير أندار رويس واللورد برايس كارون سيِّدَ تُخوم دورن بمنتهى اليُسر، ثم تلقَّى بصلابةٍ الهجمات العنيفة التي شنَّها عليه السير باريستان سلمي ذو الشَّعر الأشيب، الذي فازَ بأول نزالين له أمام رجلين يَصغُرانه بثلاثين وأربعين عامًا.

بدا أن ساندور كليجاين وأخاه العملاق جريجور الجبل لا يُقهَران بدورهما وهما يُسقِطان خصمًا وراء الآخَر بضراوةٍ شديدة. جاءَت أكثر لحظةٍ مرعبةٍ في اليوم كله خلال نزال السير جريجور الثَّاني، عندما رفعَ رُمحه إلى أعلى وضربَ فارسًا شابًّا من "الوادي" تحت واقي العُنق بعُنفٍ شديد جعله يخترق حَلقه ليَقتُله على الفور. سقطَ الشَّاب على مسافةٍ أقلَّ من عشرة أقدام من حيث جلسَت سانزا، فرأت أن طرف رُمح السير جريجور قد انكسرَ في عُنقه، وسالت دماء الحياة منه بنبضاتٍ بطيئةٍ ظلَّت تَضعُف وتَضعُف. كانت دِرعه جديدةً برَّاقةً، وسرى خيطٌ من اللَّهب على ذراعه المفرودة وقد انعكسَ نور الشَّمس على الفولاذ. ثم توارَت الشَّمس خلف سحابةٍ واختفت. كان معطفه أزرقَ بلون السَّماء في نهار صيفٍ صافٍ وزيَّنتها أشكال أهلَّة، لكن إذ نضحَ عليه الدَّم اكتسبَ النَّسيج لونًا داكنًا واصطبغَ كلُّ هلالٍ بالأحمر واحدًا تلو الآخَر.

بكَت چين پوول بلوعةٍ شديدةٍ حتى أن السِّپتة موردن اضطرَّت في النِّهاية لأخذها بعيدًا حتى تستعيد هدوءها، بينما جلسَت سانزا بيدين مشبوكتين في حِجرها تُشاهِد بافتتانٍ عجيب. إنها لم ترَ رجلًا يموت من قبل، ومن المفترَض أن تكون منفجرةً في البكاء بدورها الآن، لكن الدُّموع لم تأتِ. فكَّرت أنها ربما ذرفَت دموعها كلها على ليدي وبران، وقالت لنفسها إن الأمر كان سيختلف لو كان هذا چوري أو السير رودريك أو أباها، بينما الفارس الشَّاب ذو المعطف الأزرق لم يكن يُمَثِّل شيئًا لها، بل

مجرَّد غريبٍ ما من وادي آرن نسيَت اسمه بمجرَّد أن سمعَته. ثم أدركَت سانزا أن باقي العالم سوف ينسى اسمه الآن بدوره ولن يُغَنِّي أحدٌ أغنيَّةً عنه؛ وكان هذا مُحزِنًا.

بَعد أن رفعوا الجثَّة وحملوها بعيدًا، جاءَ صبيٌّ يحمل مجرفةً مسرعًا إلى المضمار وأهالَ التُّراب فوق البُقعة التي سقطَ فيها الفارس ليُغَطِّي الدِّماء، ثم استؤنِفَت المباريات.

سقطَ السير بالون سوان أيضًا أمام جريجور، وكذلك اللورد رنلي أمام كلب الصَّيد. كانت سقطة رنلي بالغة العُنف لدرجة أنه طارَ إلى الوراء من على حصانه وساقاه في الهواء، وصدمَ رأسه الأرض بطقطقةٍ مسموعةٍ لدرجة أن الجماهير شهقَت، لكن اتَّضح أنه القرن الذَّهبي في خوذته الذي انكسرَت واحدة من شوكتيه أسفله. هلَّلت الجموع بسعادةٍ مدوِّيةٍ عندما نهضَ اللورد رنلي، فأخو المَلك روبرت الوسيم كان من أكثر المفضَّلين لديهم. ناولَ رنلي الشَّوكة المكسورة لغالِبه بانحناءةٍ مهذَّبة، فأطلقَ كلب الصَّيد شخرةً وألقاها بين الجموع، حيث أخذَ العامَّة يَلكُمون ويخدشون بعضهم بعضًا من أجل القطعة الذَّهبيَّة الصَّغيرة، إلى أن ذهبَ اللورد رنلي واستعادها منهم. في ذلك الحين كانت السِّپتة موردن قد عادت وحدها وقالت إن چين تَشعُر بوعكةٍ وإنها ساعدَتها على العودة إلى القلعة. كانت سانزا قد نسيَت أمر چين تقريبًا.

فيما بَعد كلَّل فارس جوَّال يرتدي معطفًا ذا مربَّعاتٍ مختلفة الألوان نفسه عندما قتلَ حصان بريك دونداريون وأعلنَ انسحابه. ثم إن اللورد بريك نقلَ سَرجه إلى حصانٍ جديد، فقط ليُسقِطه عنه ثوروس المايري. تنازلَ السير أرون سانتاجار ولوثور برون ثلاث مرَّاتٍ بلا فائز، وبَعدها سقطَ السير أرون أمام اللورد چيسون ماليستر، وبرون أمام روبار ابن رون رويس الأصغر.

في النِّهاية تبقَّى أربعة منهم: كلب الصَّيد وأخوه الرَّهيب جريجور،

وچايمي لانستر قاتِل المَلك، والسير لوراس تايرل، الشَّاب الذي يُلَقِّبونه بفارس الزُّهور.

كان السير لوراس أصغر أبناء مايس تايرل سيِّد هايجاردن وحاكِم الجَنوب. في سِنِّ السادسة عشر كان أصغر الفُرسان في المضمار، وإن كان قد أسقطَ ثلاثة من فُرسان الحَرس المَلكي ذلك الصَّباح في أول ثلاثة نزالاتٍ له. لم ترَ سانزا في حياتها أحدًا بهذا الجمال. كانت دِرعه مصمَّمةً ومزخرفةً بصورةٍ شديد التَّعقيد لتينع عليها ألف زهرةٍ مختلفة، بينما كان حصانه الفَحل الأبيض كالثَّلج مكسوًّا بغطاءٍ من الورود الحمراء والبيضاء. بَعد كلِّ انتصارٍ كان السير لوراس يرفع خوذته ويدور ببُطءٍ حول السِّياج، ثم يقتطف وردةً بيضاء واحدةً من غطاء حصانه ويُلقيها إلى حسناءٍ ما من الحاضرات.

كانت مباراته الأخيرة اليوم أمام رويس الصَّغير، وقد أثبتَت أبجديَّة أسلاف السير روبار أنها لا تُمَثِّل حمايةً كافيةً، إذ قسمَ السير لوراس تُرسه إلى نِصفين وأطاحَ به من فوق سَرجه ليَسقُط بعُنفٍ بالغ على الأرض. ظَلَّ روبار طريح الأرض يتأوَّه، بينما دارَ المنتصر حول المضمار ليُناول وردةً أخرى لحسناءٍ أخرى. أخيرًا طلبوا محفَّةً وحملوا روبار من المضمار إلى خيمته وهو مصاب بدُوارٍ عنيفٍ جعله عاجزًا عن الحركة. لم ترَ سانزا هذا وقد ثبَّتت عينيها على السير لوراس وحده، وعندما توقَّف الحصان الأبيض أمامها ظنَّت أن قلبها سينفجر من عُنف خفقاته.

لكلٍّ من الحسناوات الأخريات كان قد أعطى وردةً بيضاء، لكن التي اقتطفَها لها كانت حمراء. «سيِّدتي الفاتنة»، قال لها. «ليس هناك انتصار في العالم يُضاهي جمالك». التقطَت سانزا منه الوردة بتردُّدٍ وقد أعجزَتها شهامته عن النُّطق. كان شَعره كتلةً من الخصلات البُنِّيَّة النَّاعمة وعيناه كالذَّهب السَّائل. تنشَّقت عبير الوردة وجلسَت قابضةً عليها لفترةٍ طويلةٍ بعد ابتعاد السير لوراس.

عندما رفعَت سانزا عينيها أخيرًا، وجدَت رجلًا يقف أمامها. كان قصير القامة ذا لحيةٍ مدبَّبةٍ وقد وخطَ الشَّيب شَعره، وبدا في عُمر أبيها تقريبًا. «لا بُدَّ أنكِ واحدة من ابنتيها»، قال لها. كانت عيناه ذواتي لونٍ أخضرَ يميل إلى الرَّمادي لا تبتسمان عندما يبتسم فمه. «سيماء عائلة تَلي واضحةٌ عليكِ».

قالت بحرج: «أنا سانزا ستارك». كان يرتدي معطفًا ثقيلًا ذا ياقةٍ من الفرو ثبَّتها دبُّوس على شكل طائر المُحاكي، ويتصرَّف بأسلوب كبار السَّادة العفوي، لكنها لم تتعرَّف عليه وقالت: «لم أنل شَرف معرفتك يا سيِّدي».

تدخَّلت السِّپتة موردن سريعًا قائلةً: «صغيرتي، هذا هو اللورد پيتر بايلش، عضور مجلس المَلك الصَّغير».

- «كانت أمكِ ملكة جمال العالم بالنِّسبة لي ذات يوم»، قال بهدوءٍ ورائحة النَّعناع تفوح من أنفاسه. «إن لديكِ شَعرها». مسَّت أصابعه وجنتها وهو يُداعِب واحدةٍ من خصلاتها الكستنائيَّة، ثم على نحوٍ أبتر دارَ على عقبيه وابتعدَ بلا كلمةٍ إضافيَّة.

وقتها كان القَمر قد ارتفعَ في السَّماء وشعرَ الحاضرون بالتَّعب، فأعلنَ المَلك أن المباريات الثَّلاث الأخيرة ستُقام في الصَّباح التَّالي قبل الالتحام الجماعي. وبينما بدأ العامَّة رحلة العودة إلى ديارهم متكلِّمين عن مباريات اليوم وتلك المنتظَرَة غدًا، انتقلَ أعضاء البلاط المَلكي إلى ضفَّة النَّهر حيث بدأت المأدبة. ستَّة ثيران بريَّةٍ ضخمةٍ كانت تدور ببُطءٍ فوق النار على أسياخٍ خشبيَّة منذ ساعات، بينما كان صبية المطبخ يسقونها بالزُّبد والأعشاب إلى أن تجزَّع اللَّحم. كانت الموائد والدِّكك قد نُصِبَت خارج السُّرادقات وتكدَّست عليها أصناف من العُشب السُّكَّري والفراولة والخُبز الطَّازج.

أُجلِسَت سانزا والسِّپتة موردن في مكان تكريمٍ عال، على يسار

المنصَّة المرتفعة التي جلسَ عليها المَلك نفسه مع مَلكته، وعندما جلسَ الأمير چوفري إلى يمينها شعرَت بغصَّةٍ في حَلقها. لم يكن قد وجَّه لها كلمةً واحدةً منذ الموقف الشَّنيع إياه، ولم تجرؤ هي على أن تُكَلِّمه. في البدء حسبَت أنها تكرهه لما فعلوه بليدي، لكن بَعد أن استنزفَت سانزا دموعها تمامًا قالت لنفسها إن ما حدثَ لم يكن ذنب چوفري حقًّا. المَلكة هي المسؤولة، وهي من ينبغي أن تكره، هي وآريا. لم يكن شيء ليَحدُث لولا آريا. واللَّيلة لم يكن بإمكانها أن تكره چوفري، فقد كان أجمل من أن تستطيع كراهيته. كان يرتدي سُترةً ذات لونٍ أزرقَ عميق مرصَّعةً بصَفٍّ مزدوجٍ من رؤوس الأسودِ الذَّهبيَّة، وأحاطَ بجبينه إكليلٍ رفيع من الذَّهب والياقوت الأزرق. كان شَعره لامعًا كالمعدن الذي يُكَلِّله، ورمقَته ساسا مرتجفةً خائفةً من أن يتجاهَلها أو أسوأ، أن يستحيل كريهًا مرَّةً أخرى ويجعلها تقوم من على المائدة باكيةً. بدلًا من هذا ابتسمَ چوفري ولثمَ يدها وقد بدا وسيمًا باسلًا ككلِّ أميرٍ في الأغاني، وقال: «السير لوراس يُقَدِّر الحُسن حقًّا يا سيِّدتي الجميلة».

- «كان لطيفًا للغاية»، غمغمَت بتردُّدٍ محاوِلةً أن تبقى هادئةً متواضعةً، وإن كان قلبها يُغَنِّي فعلًا. «السير لوراس فارس حقيقي. هل تعتقد أنه سيفوز غدًا يا سيِّدي؟».

قال چوفري: «كلا، سوف يَهزِمه كلبي، أو خالي چايمي ربما. وخلال سنواتٍ قليلة، عندما أكون كبيرًا بما يكفي للاشتراك في النِّزال، سأهزِمهم جميعًا». رفعَ يده ليستدعي خادمًا يحمل إبريقًا من النَّبيذ الصَّيفي المثلَّج وصَبَّ لها كأسًا، فنظرَت بقلقٍ إلى السِّپتة موردن، إلى أن مالَ چوفري وملأ كأس السِّپتة كذلك، فأومأت رأسها وشكرَته بكياسةٍ ثم لم تقل كلمةً أخرى.

أبقى الخدم الكؤوس ممتلئةً طوال الأمسيَّة، وإن لم تتذكَّر سانزا بَعدها أنها تذوَّقت النَّبيذ أصلًا. كانت ثملةً بسِحر اللَّيلة، تُدير رأسها كلَّ

هذه الأبَّهة والفخامة، يفتنها الجمال الذي حلمَت به طوال حياتها دون أن تجرؤ على الأمل في اختباره بنفسها يومًا. جلسَ المغنُّون أمام سُرادق المَلك يملأون الغَسق بأنغام الموسيقى، وكان هناك حاوٍ علَّق شلَّالًا من الهرَّاوات المحترقة في الهواء ببراعةٍ لافتة، بينما رقصَ مهرِّج المَلك -الغلام الأبله ذو الوجه المستدير الذي يُسَمُّونه فتى القَمر- على ساقين خشبيَّتين طويلتين وقد ارتدى ثيابًا مبهرجةً متعدِّدة الألوان، وأخذَ يُقَلِّد الجميع تقليدًا هزليًا بقسوةٍ جعلَت سانزا تتساءَل إن كان أبله حقًّا. حتى السِّپتة موردن كانت عاجزةً عن كتمان ضحكاتها أمامه، وعندما ردَّد أغنيَّةً قصيرةً عن السِّپتون الأعلى انفجرَت ضاحكةً بقوَّةٍ اهتزَّ لها جسدها حتى أنها سكبَت نبيذها على ملابسها.

وكان چوفري تجسيدًا للُّطف والرِّقَّة. تكلَّم مع سانزا طوال الأمسيَّة غامرًا إياها بالمجامَلات، يُضحِكها ويتشارَك معها قليلًا من نميمة البلاط ويشرح لها نكات فتى القَمر. كانت سانزا مأخوذةً تمامًا حتى أنها نسيَت كلَّ ما تعلَّمته عن تصرُّفات كبار السيِّدات، وتجاهلَت السِّپتة موردن الجالسة إلى يسارها تمامًا.

حُطَّت الأطباق ورُفِعَت طوال الوقت... حساء ثخين من لحم الغزلان والشَّعير، سَلطات من العُشب السُّكَّري والسَّبانخ والبرقوق رُشَّت عليها المكسَّرات المسحوقة، حلزونات بالثُّوم والعسل. لم تكن سانزا قد جرَّبت أكل الحلزونات من قبل، فأراها چوفري كيف تُخرِجها من القواقع وأطعمَها أول لُقمةٍ منها بنفسه. ثم أتى سمك الترويت الطَّازج من النَّهر وقد طُهيَ في أغلفةٍ من الصَّلصال، وساعدَها أميرها على كسر الغلاف الصُّلب ليكشف عن لحم السَّمك الأبيض شديد الطَّراوة. وعندما قُدِّمَ طبق اللَّحم، قدَّمه لها بنفسه مقطِّعًا شريحةً من المفصل تليق بمَلكةٍ وابتسمَ وهو يضعها على طبقها. لاحظَت من الطَّريقة التي يتحرَّك بها أن ذراعه لا تزال تؤلمه، لكنه لم يَنبِس بكلمة شكوى واحدة.

بَعد ذلك جاءَ الخُبز الحُلو وفطائر الحمام والتُّفَّاح المخبوز المعطَّر بالقرْفة وكعكات اللَّيمون المغطَّاة بالسُّكَّر، لكن سانزا حينها كانت مُتخَمةً تمامًا ولم تقوَ على أكل أكثر من كعكتي ليمونٍ صغيرتين على الرغم من أن هذه كانت المفضَّلة لديها على الإطلاق. كانت تتساءَل إن كانت تستطيع التهام كعكةٍ ثالثةٍ عندما بدأ المَلك يزعق.

مع كلِّ طبقٍ كان روبرت يصير أكثر صخبًا، ومن حينٍ إلى آخَر كانت سانزا تسمعه يضحك أو يُلقي أمرًا ما فوق الموسيقى وقعقعة الأطباق وأدوات المائدة، لكن صوته كان بعيدًا عنها فلم تستطِع أن تسمع ما يقوله. الآن كان الجميع يسمعونه وهو يهدر بصوتٍ أغرقَ كلَّ الأصوات الأخرى: «لا!». صُدِمَت سانزا لمرأى المَلك واقفًا على قدميه أحمرَ الوجه يترنَّح. كانت هناك كأس نبيذٍ في يده وثملًا لأقصى حد. صرخَ في المَلكة سرسي: «ليس من حقِّكِ أن تقولي لي ما أفعله أو لا أفعله يا امرأة. أنا المَلك هنا، مفهوم؟ أنا الحاكم هنا، ولمَّا أقولُ إنني سأُقاتِل غدًا، فسأُقاتِل غدًا!».

كان الجميع يُحَدِّقون، ورأت سانزا السير باريستان ورنلي شقيق المَلك والرَّجل القصير الذي كلَّمها بالأسلوب العجيب إياه ومَسَّ شَعرها، لكن لا أحد حاولَ التدخُّل. كان وجه المَلكة قناعًا أبيضَ خاليًا تمامًا من الدِّماء كما لو أنه منحوت من الجَليد. نهضَت من مكانها ولملمَت تنُّورتها واندفعَت مغادِرةً بصمتٍ والخدم في أعقابها.

وضعَ چايمي لانستر يدًا على كتف روبرت، لكن المَلك أزاحها بعُنف فتعثَّر لانستر وسقطَ. أطلقَ المَلك ضحكةً ساخرةً وقال: «الفارس العظيم! ما زال بإمكاني إسقاطك في التُّراب، فتذكَّر هذا يا قاتِل المَلك»، ثم قرعَ صدره بالكأس المحلَّاة بالجواهر ليتناثَر النَّبيذ على سُترته. «أعطوني مطرقتي ولن يستطيع رجلٍ في البلاد كلها الوقوف أمامي!».

نهضَ چايمي لانستر ونفضَ التُّراب عن نفسه وقال بصوتٍ جامد: «كما تقول يا جلالة المَلك».

تقدَّم اللورد رنلي مبتسمًا وقال: «لقد سكبت نبيذك يا روبرت. دعني آتي إليك بكأسٍ أخرى».

حدَّقت سانزا فيهم بينما وضعَ چوفري يده على ذراعها وقال: «تأخَّر الوقت». كانت هناك نظرة غريبة على وجهه كأنه لا يراها البتَّة. «هل تحتاجين من يصحبكِ إلى القلعة؟».

- «لا»، قالت سانزا وهي تبحث بعينيها عن السِّپتة موردن، وأدهشَها أن وجدَتها وقد استقرَّ رأسها على المائدة وأخذَت تُطلِق غطيطًا خفيضًا يليق بسيِّدةٍ رفيعة الشَّأن! ثم إنها قالت: «أعنى أن أقول نعم، شكرًا لك، سيكون هذا لُطفًا بالغًا منك. إنني مُتعَبة والطَّريق مظلم. سيسرُّني أن تكون معي حماية».

صاحَ چوفري: «أيها الكلب!».

كأن ساندور كليجاين تجسَّد من قلب اللَّيل بسرعةٍ أدهشَتها. كان قد خلعَ دِرعه وارتدى مكانها سُترةً من الصُّوف طُرِّزَ على صدرها رأس كلبٍ من الجِلد، وجعلَ ضوء المشاعل وجهه المحترق يلمع بلونٍ أحمرَ باهت. قال: «أمرك يا سمو الأمير».

قال چوفري بلهجةٍ فظَّة: «اصحب خطيبتي إلى القلعة واعمل على ألَّا يُصيبها سوء»، ودون أن يُوَدِّعها اندفعَ مغادرًا وتاركًا إياها هناك.

كانت سانزا تَشعُر بعيني كلب الصَّيد المسلَّطتين عليها، وقال لها ضاحكًا: «هل كنتِ تحسبين أن چوف سيصحبكِ بنفسه؟». كانت ضحكته كزمجرة كلبٍ في حلبة قتال. «مُستبعَد تمامًا»، ثم سحبَها إلى قدميها دون أن تُقاوِمه قائلًا: «هَلُمِّي، فلستِ الوحيدة التي تريد أن تنام. لقد شربتُ كثيرًا اللَّيلة، وقد أضطرُّ لأن أقتل أخي غدًا»، وضحكَ مجدَّدًا. وجدَت سانزا نفسها تَشعُر بالرُّعب فجأةً، وهزَّت كتف السِّپتة موردن آملةً أن توقظها، لكنها غطَّت بصوتٍ أعلى لا أكثر. وقتها كان المَلك روبرت

قد غادرَ مترنِّحًا وخلى نِصف الدِّكك بالفعل من الجالسين. لقد انتهَت المأدبة ومعها انتهى الحُلم الجميل.

التقطَ كلب الصَّيد مشعلًا ليُنير طريقهما، وتبعته سانزا سائرةً على مقربةٍ منه. كانت الأرض صخريَّةً غير مستوية، وجعلها الضَّوء المتذبذب تبدو كأنها تتحرَّك وتُبَدِّل معالمها تحت أقدامهما. ظلَّت خافضةً عينيها منتبهةً لموطئ قدميها، وسارَ الاثنان بين السُّرادقات التي عُلِّقت راياتها ودروعها خارجها والصَّمت يزداد ثقلًا مع كلِّ خطوة. لم تكن سانزا تحتمل منظره الذي كان يُخيفها كثيرًا، ولكنها تربَّت على أصول الأدب والكياسة، وقالت لنفسها إن الليدي الحقيقيَّة لن تُلاحِظ وجهه، ثم جعلَت نفسها تقول: «لقد قاتلت ببسالةٍ اليوم يا سير ساندور».

زمجرَ ساندور كليجاين قائلًا لها: «اعفِني من مجامَلاتك الفارغة يا فتاة... ومن لقب "سير" هذا. إنني لستُ فارسًا، وأبصقُ عليهم وعلى نذورهم. أخي هو الفارس. هل رأيتيه اليوم؟».

همسَت مرتجفةً: «أجل، لقد كان...».

- «... باسلًا؟».

أدركَت أنه يتهكَّم عليها، وأخيرًا استطاعَت أن تقول شاعرةً بالفخر بنفسها: «لا أحد استطاعَ الوقوف أمامه»... ولم تكن تكذب.

توقَّف ساندور كليجاين فجأةً في منتصَف حقلٍ خاوٍ مظلم، فلم يكن لديها خيار سوى التوقُّف بدورها، وقال: «سِپتةٌ ما درَّبتكِ جيِّدًا. إنكِ كواحدٍ من تلك الطُّيور من جُزر الصَّيف، أليس كذلك؟ طائر صغير جميل متكلِّم، يُرَدِّد كلَّ الكلمات الصَّغيرة الجميلة التي درَّبوه عليها».

قالت سانزا شاعرةً بقلبها يخفق بعُنفٍ في صدرها: «هذه فظاظة منك. إنك تُخيفني، وأريدُ أن أذهب الآن».

- «لا أحدَ استطاعَ الوقوف أمامه!»، ردَّد ساندور بصوته المبحوح. «هذا صحيح فعلًا. لا أحد يستطيع الوقوف أمام جريجور. ذلك الصَّبي

اليوم في نزاله الثَّاني، آه، شيء جدير بالإعجاب. لقد رأيتِ، أليس كذلك؟ صبيٌّ أحمق، لم يكن من شأنه أن ينضمَّ إلى صُحبةٍ كتلك. لا مال، لا مُرافِق، لا أحد يُساعِده على وضع وخلع دِرعه. واقي العُنق لم يكن مشدودًا على النَّحو الصَّحيح. هل تحسبين أن جريجور لم يُلاحِظ هذا؟ تحسبين أن رُمح السير جريجور اخترقَ عُنق الصَّبي مصادَفةً، أليس كذلك؟ فتاة صغيرة جميلة تتكلَّم وتتكلَّم... لو كنتِ تُصَدِّقين هذا فأنتِ فارغة الرَّأس كطائرٍ فعلًا. رُمح جريجور يخترق ما يرغب جريجور في اختراقه. انظري إليَّ... انظري إليَّ!»، ووضعَ ساندور كليجاين يده تحت ذقنها وأجبرَها على رفع وجهها إليه، ثم إنه جثمَ أمامها وقرَّب المشعل وقال: «ها هو شيء جميل تتطلَّعين إليه. انظري كما شئتِ، أنا وأنتِ نعرف أنكِ تريدين هذا. لقد رأيتكِ تشيحين ببصركِ بعيدًا طوال رحلتنا على طريق الملوك. سُحقًا لهذا. انظري».

كانت أصابعه مُطبِقةً على فكِّها السُّفلي كإبزيمٍ حديدي، وراقبَتها عيناه... عينان ثملتان مفعمتان بالغضب.

ونظرَت سانزا.

كان الجانب الأيمن من وجهه ضاويًا معروقًا ذا عظم وجنةٍ حادٍّ وعينٍ رماديَّةٍ تحت حاجبٍ كثيف، أنفه كبير معقوف وشَعره أسودَ خفيف، وإن كان قد تركَه يطول وصفَّفه إلى جانبٍ واحد، لأن لا شَعر كان ينمو على الجانب الآخَر. أمَّا جانب وجهه الأيسر فكان خرابًا. كانت أُذنه قد احترقَت تمامًا فلم يتبقَّ منها إلَّا ثُقب، وعينه لم تزل سليمةً، وإن كان كلُّ شيءٍ من حولها كتلة خربة من النُّدوب واللَّحم الأسود القاسي كالجِلد، شاعَت فيه الحُفر والشُّقوق التي كانت تتوهَّج باللَّون الأحمر وتبدو مبتلَّةً عندما يتحرَّك. عند فكِّه كان بإمكانك أن ترى شيئًا من العظم حيث احترقَ اللَّحم بالكامل.

بدأت سانزا تبكي فتخلَّى عنها وغرسَ المشعل في التُّراب قائلًا:

«لا كلمات جميلة؟ لا مجامَلات صغيرة علَّمتكِ السِّپتة إياها؟». عندما لم تأتِ إجابة منها تابعَ: «يعتقد معظمهم أنها كانت معركةً ما، حصار، بُرج محترق، خصم ما يحمل مشعلًا. ثمَّة أحمق سألني إن كانت أنفاس التنِّين هي السَّبب». كانت ضحكته أرقَّ هذه المرَّة وإن امتلأت بمرارةٍ لا ريب فيها. «سأحكي لكِ ما حدثَ يا فتاة». الصَّوت يأتي من جوف اللَّيل، والظِّلُّ يميل عليها على مقربةٍ شديدةٍ حتى أنها شمَّت رائحة النَّبيذ التي أفعمَت أنفاسه. «كنتُ أصغر من ستَّة أعوام أو ربما سبعة. كان هناك حفَّار خشب قد أقامَ دكَّانه في القرية التَّابعة لقلْعة أبي، وكي ينال الرِّضا كان يُرسِل لنا هدايا. كان يصنع لُعبًا رائعةً بحق. لا أذكرُ ماذا تلقَّيتُ لكني أذكرُ أني أردتُ هديَّة جريجور. كانت فارسًا خشبيًّا مطليًّا، وكلُّ مفصلٍ محفور على حِدَةٍ ومثبَّت بخيوط كي يُمكنك تحريكه كأنه يُحارِب. جريجور يَكبُرني بخمسة أعوام، واللُّعبة لا تعني شيئًا له، فقد كان مُرافِق فارسٍ بالفعل، يَبلُغ نحو ستَّة أقدام طولًا وبارِز العضلات كالثَّور. هكذا أخذتُ فارسه، لكن دعيني أؤكِّدُ لكِ أني لم أشعر بأيِّ بهجة. كنتُ خائفًا طوال الوقت، وبالفعل عثرَ عليَّ جريجور ومعي لُعبته. كان هناك مُستوقَد في الغُرفة. لم يقل جريجور شيئًا، ولا كلمة واحدة، بل حملَني تحت ذراعه ودفعَ جانب وجهي في الجمار المحترقة وثبَّتني في مكاني وأنا أصرخُ وأصرخُ. لقد رأيتِ كم هو قويٌّ. حتى وقتها تطلَّب الأمر ثلاثة رجال كبار لجرِّه بعيدًا عني. السِّپتونات يعظوننا عن الجحائم السَّبع، لكن ما أدراهم حقًّا؟ فقط الرَّجل الذي تعرَّض للحرق يعرف معنى الجحيم الحقيقي. قال أبي للجميع إن النَّار أمسكَت بفِراشي، وأعطاني مِايسترنا زيوتًا... زيوتًا! جريجور أيضًا حصلَ على زيوته. بَعد أربع سنواتٍ مرَّخوه بالزُّيوت السَّبعة وردَّد هو نذور الفُرسان ونقرَ ريجار تارجاريَن على كتفه بسيفه وقال: "انهض يا سير جريجور"».

صمتَ صوته الأجش وجثمَ بلا كلامٍ أمامها كشبحٍ أسودَ ضخم يكتنفه

اللَّيل فيتوارى عن عينيها. كانت سانزا تسمع أنفاسه الخشنة، وأدركَت أنها تَشعُر بالحُزن من أجله، وبشكلٍ ما غابَ خوفها.

استمرَّ الصَّمت واستمرَّ لفترةٍ طَويلةً حتى أنها بدأت تَشعُر بالخوف ينتابها من جديد، لكنها كانت خائفةً عليه الآن وليس على نفسها. وضعَت يدها على كتفه الضَّخمة وهمسَت له: «لم يكن فارسًا حقيقيًّا».

ألقى كلب الصَّيد رأسه إلى الوراء وأطلق ضحكةً مدوِّيةً، فتراجعَتِ سانزا إلى الخلف متعثِّرةً لكنه أمسكَ ذارعها ودمدمَ: «نعم، نعم أيتها العصفورة الصَّغيرة، لم يكن فارسًا حقيقيًّا».

لم يقل ساندور كليجاين شيئًا آخَر طوال الطَّريق إلى المدينة. قادَها إلى حيث كانت العربات تنتظر، وقال للحوذي أن يأخذهما إلى القلعة الحمراء، ثم صعدَ وراءها. تحرَّكت العربة بهم بصمتٍ عبر بوَّابة المَلك وخلال شوارعٍ مضاءةٍ بالمشاعل، ثم فتحَ ساندور الباب الجانبي وقادَها إلى داخل القلعَة ووجهه المحترق يرتعش والكآبة في عينيه، وكان وراءها بخطوةٍ وهما يصعدان درجات البُرج، ثم قادَها إلى الرُّواق الذي تقع فيه غرفة نومها.

قالت سانزا بوداعة: «أشكرك يا سيِّدي».

أطبقَ كلب الصَّيد على ذراعها ومال عليها قائلًا بصوتٍ أكثر خشونةً من المعتاد: «ما حكيته لكِ اللَّيلة، إذا أخبرتِ جوفري، أو أختكِ، أو أباكِ... أيَّ أحد...».

همسَت: «لن أفعل، هذا وعد».

لم يكن هذا كافيًا، فأتمَّ عبارته قائلًا: «إذا أخبرتِ أحدًا، أيَّ أحد، سأقتلكِ».

إدارد

- «لقد سهرتُ إلى جواره بنفسي ليلة أمس»، قال السير باريستان سلمي وهما يقفان عند الجثّة المسجَّاة في مؤخِّرة العربة. «لم يكن لديه أحد آخَر. لديه أمٌّ في "الوادي" كما قيل لي».

في نور الفَجر الشّاحب بدا الفارس الشّاب كما لو أنه نائم. لم يكن وسيمًا، لكن الموت بشكلٍ ما جعلَ ملامحه أقلَّ حدَّةً، بينما كانت الأخوات الصَّامتات قد ألبسنه أفضل سُترةٍ مخمليَّةٍ لديه، مع ياقةٍ عاليةٍ تُغَطِّي الدَّمار الذي أحدثَه الرُّمح في رقبته. تطلَّع إدارد ستارك إلى وجهه، وتساءلَ إن كان لموت الصَّبي علاقة به. لقد قُتِلَ على يد أحد حمَلة راية لانستر قبل أن ينال ند فُرصة الكلام معه، فهل من الممكن أن تكون هذه أكثر من مجرَّد مصادَفة؟ فكَّر أنه لن يعرف الإجابة أبدًا.

واصلَ سلمي: «هيو كان مُرافِق چون آرن لأربعة أعوام، ونصَّبه المَلك فارسًا قبل رحيله إلى الشَّمال تكريمًا لچون. كان الغلام يرغب في هذا بشدَّة، لكني أخشى أنه لم يكن مستعدًّا».

كان نوم ند مضطربًا اللَّيلة السَّابقة، وكان يَشعُر بالتَّعب كأن سنوات عُمره تضاعفَت مرارًا. قال: «لا أحد منا يكون مستعدًّا أبدًا».

- «للفروسيَّة؟».

- «للموت»، قال ند وغطَّى جُثمان الصَّبي بمعطفه الأزرق ذي الأهلَّة الذي لطَّخته الدِّماء، مفكِّرًا بمرارةٍ أنهم سيُجيبونها بأنه كان يُقاتِل على

شَرف إدارد ستارك يَدِ المَلك عندما تسأل أمه لماذا مات ابنها. «لم يكن هناك داعٍ لهذا. الحرب ليست لُعبةً». التفتَ إلى المرأة الواقفة إلى جوار العربة، الَّتي كانت تكتسي بالرَّمادي وتُخفي وجهها فلا يتبدَّى منه غير عينيها. الأخوات الصَّامتات يُجَهِّزن الموتى للقبر، ومن سوء الطَّالع أن تَنظُر إلى وجه الموت. «أرسِلوا دِرعه إلى "الوادي"، فلا شَكَّ أن أمه سترغب في الاحتفاظ بها».

قال السير باريستان: «إنها تستحقُّ قَدرًا لا بأس به من الفضَّة. لقد طلبَ الصَّبي دقَّها خصِّيصًا من أجل الدَّورة. عمل بسيط لكن جيِّد. لا أدري إن كان قد دفعَ ثَمنها كاملًا للحدَّاد بَعد».

أجابَ ند: «لقد دفعَ بالأمس يا سيِّدي، ودفعَ ثَمنًا باهظًا»، ثم قال للأخت الصَّامتة: «أرسِلوا الدِّرع لأمه وسأتولَّى أنا أمر الحدَّاد»، فحنَت رأسها.

بَعدها سارَ السير باريستان مع ند إلى سُرادق المَلك، وكانت الحركة قد بدأت تدبُّ في المخيَّم. تصاعدَ أزيز الدُّهن من قطع السُّجق السَّمينة التي تُشوى فوق حُفر النَّار لتُتبِّل الهواء بروائح الثُّوم والفلفل، وهُرِعَ مُرافِقو الفُرسان هنا وهناك ليقوموا بأعمالهم المختلفة وقد استيقظَ سادتهم متثائبين متمطِّئين في مستهلِّ اليوم الجديد، وانحنى خادم ما يحمل إوزَّةً تحت ذراعه حين رآهما مغمغمًا: «سيِّداي»، بينما أخذَت الإوزَّة تَزبِط وتَنقُر أصابعه. كانت الدُّروع المعروضة خارج كلِّ خيمةٍ تُعلِن عن هويَّة شاغِلها: نَسر سيجارد الفضِّي، حقل برايس كارون المليء بالبلابل، عنقود عنب ردواين، الخنزير البرِّي المخطَّط بالرَّمادي، الثَّور الأحمر، الشَّجرة المضطرمة، الحَمل الأبيض، اللَّولب الثُّلاثي، وحيد القرن الأرجواني، العذراء الرَّاقصة، الأفعوان الأسود، البُرجان التَّوأم، البومة ذات القرنين، وأخيرًا أوسمة الحَرس المَلكي ناصعة البياض التي تتألَّق كالفَجر.

- «المَلك ينوي الاشتراك في الالتحام الجماعي اليوم»، قال السير باريستان وهما يمُرَّان بتُرس السير مرين الذي شوَّه طلاءه شِقٌّ عميق من جرَّاء رُمح السير لوراس تايرل الذي حطَّم الخشب وهو يُسقِطه عن سَرجه البارحة.

قال ند عابسًا: «نعم». كان چوري قد أيقظه ليلة أمسٍ ليُبَلِّغه الخبر، فلا عجبَ هنالك إذن أن نومه كان قلقًا لهذه الدَّرجة.

كانت ملامح السير باريستان متوتِّرةً وهو يقول: «يقولون إن كلام اللَّيل يمحوه النَّهار، وأبناء الخمر يُنكِرهم ذووهم في نور الصُّبح».

- «هذا ما يقولونه، لكنه لا ينطبق على روبرت». قد يُعيد رجل آخَر النَّظر إلى ما قاله متباهيًا وهو ثمل، لكن روبرت باراثيون سيتذكَّر، وعندما يتذكَّر فلا سبيل لردِّه.

كان سُرادق المَلك منصوبًا بالقُرب من الماء، وغلَّفه سَديم الصَّباح القادم من النَّهر بطبقةٍ رقيقةٍ من الرَّمادي. كان مصنوعًا كله من الحرير الذَّهبي، أكبر وأفخم بناءٍ في المخيَّم كله. خارج المدخل كانت مطرقة روبرت الحربيَّة معروضةً إلى جوار تُرسٍ حديديٍّ ضخمٍ مزيَّن بوَعل باراثيون المتوَّج. كان ند يأمل أن يجد المَلك ما زال نائمًا وقد اكتنفَته غيبوبة الخمر، لكن الحَظَّ لم يكن حليفه، فقد وجدا روبرت يشرب البيرة من قرنٍ مصقولٍ ويهدر مستاءً في وجه مُرافِقين شابَّين يُحاوِلان تثبيت أبازيم دِرعه حول جسده. كان أحدهما يقول وهو على وشك الانفجار باكيًا: «يا جلالة المَلك، إنها صغيرة جدًّا، لن تنغلق»، وحاولَ مرَّةً أخيرةً بارتباك، لكن واقي العُنق الذي كان يُحاوِل تثبيته حول رقبة روبرت الثَّخينة سقطَ أرضًا.

هدرَ روبرت: «بحقِّ الجحائم السَّبع! هل يجب أن أفعلها بنفسي؟ تبًّا لكما معًا! ارفعها من على الأرض، لا تقف مُحَدِّقًا هكذا كالأبله يا لانسل، ارفعها!». وثبَ الصَّبي من مكانه، ولاحظَ المَلك وجود ند

وسلمي، فقال: «انظر إلى هذين المغفَّلين يا ند. زوجتي أصرَّت على أن يكونا مُرافِقين لي، وها هما أقلُّ فائدةٍ من حَجر، لا يستطيعان تثبيت دِرع رجلٍ حول جسده كما ينبغي. يقولان إنهما مُرافِقان، وأقولُ إنهما مربِّيا خنازيرٍ يرتديان الحرير».

كان ند يحتاج نظرةً واحدةً فقط ليُدرِك ما هنالك، وقال: «لا لوم على الصَّبيَّين. أنت بدين جدًّا بالنِّسبة لِدرعك يا روبرت».

أخذَ روبرت باراثيون جرعةً طويلةً من البيرة، ثم ألقى القرن الفارغ على غطاء فِراشه المصنوع من الفرو ومسحَ فمه بظَهر يده، وقال عابسًا: «بدين؟ بدين؟ حقًّا؟ أهكذا تُخاطِب مَلكك؟»، ثم أطلقَ ضحكةٍ مفاجئةً كالعاصفة واستطردَ: «آه، عليك اللَّعنة يا ند، لماذا تكون على حقٍّ دائمًا؟».

ابتسمَ المُرافِقان بعصبيَّةٍ حتى التفتَ إليهما المَلك وقال: «أنتما، نعم، أنتما الاثنان، لقد سمعتما ما قاله اليَد، المَلك أبدن من أن يرتدي دِرعه. اذهبا وجِدا السير أرون سانتاجار وقولا له إنني أريدُ مشدَّ واقي الصَّدر. الآن! ماذا تنتظران؟!». تعثَّر الصَّبيَّان في بعضهما البعض في خضمِّ هروعهما مرتبكَيْن من الخيمة، وحافظَ روبرت على صرامة ملامحه إلى أن خرجا، ثم ارتمى في مقعده وجسده كله يهتزُّ ضحكًا، واشتركَ السير باريستان سلمي معه في الضَّحك، وحتى إدارد ستارك رسمَ ابتسامةً على وجهه، وإن لم تُفارِقه الأفكار القاتمة لحظةً. لقد لاحظَ المُرافِقين الشَّابين؛ صبيَّان وسيمان هما، قويًّا البنية ورشيقا الحركة، أحدهما في عُمر سانزا له شَعر ذهبيٌّ طويل، والآخَر في نحو الخامسة عشر تقريبًا، شَعره بلون الرِّمال وله شارب خفيف جدًّا وعينان بلون عيني المَلكة الأخضر الزُّمرُّدي.

قال روبرت: «آه، ليتني كنتُ هناك لأرى وجه سانتاجار. أتمنَّى أن يملك ما يكفي من حِسِّ دُعابةٍ ويُرسِلهما إلى أحدٍ آخَر. يجب أن نجعلهما يجريان من مكانٍ إلى مكانٍ طوال اليوم!».

سأله ند: «هذان الصَّبيَّان، أهما من عائلة لانستر؟».

أومأ روبرت برأسه إيجابًا وهو يُجَفِّف دموعه، وقال: «من أبناء العمومة، ابنا أحد إخوة اللورد تايوين اللذين ماتا، أو ربما الأخ الحي على ما أعتقدُ. لا أدري بالضَّبط. زوجتي آتيةٌ من عائلةٍ كبيرةٍ للغاية يا ند كما تعلم».

وعائلة طموح للغاية. لم يكن يملك شيئًا ضِدَّ المُرافِقين الشَّابين، وإن أزعجَه أن يرى روبرت مُحاطًا بأقرباء المَلكة في صحوه ونومه. يبدو أن شهوته للمناصب والجاه لا تعرف حدودًا. «يقولون إنك تبادلت بضع كلماتٍ غاضبةٍ مع المَلكة ليلة أمس».

انقلبَ المرح إلى امتعاضٍ على وجه روبرت وهو يقول: «المرأة حاولت منعي من القتال في الالتحام الجماعي. إنها تتميَّز غيظًا في القلعة الآن، عليها اللَّعنة. لم تكن أختك لتُحرِجني على الملأ هكذا أبدًا».

قال ند: «أنت لم تعرف ليانا كما عرفتها أنها يا روبرت. لقد رأيت جمالها وليس الحديد الذي تحته. هي أيضًا كانت لتقول إن لا مكان لك في الالتحام الجماعي».

عقدَ المَلك حاجبيه قائلًا: «أنت أيضًا؟ إنك رجل نَكِد يا ستارك، والزَّمن الطَّويل الذي قضيته في الشَّمال جمَّد عُصارة الحياة في داخلك، أما أنا فعُصارتي لا تزال تجري!»، وقرعَ صدره كدليلٍ على ما يقول.

- «أنت المَلك».

- «إنني أجلسُ على الكرسي الحديدي اللَّعين عندما أضطرُّ، فهل يعني هذا أني لا أشتهي ما يشتهيه بقيَّة الرَّجال؟ بعضًا من النَّبيذ من الحين للآخَر، فتاةً تتلوَّى في فِراشي، الإحساس بحصانٍ بين ساقيَّ؟ بحقِّ الجحائم السَّبع يا ند، أريدُ أن أضرب أحدهم!».

تدخَّل السير باريستان سلمي قائلًا: «جلالة المَلك، ليس من اللَّائق أن

يشترك المَلك في الالتحام الجماعي، لأنها لن تكون منافَسةً عادلةً حينئذٍ، فمن سيجرؤ على ضربك؟».

بدا روبرت مندهشًا حقًّا وهو يقول: «أيهم... كلهم... إذا استطاعوا، وآخِر رجلٍ يظلُّ على قدميه...».

- «... سيكون أنت»، أتمَّ ند العبارة وقد رأى في الحال أن الفارس المُسِنَّ قد أصابَ الهدف. مَخاطر الالتحام الجماعي كانت شيئًا يستمتع به روبرت حقًّا، لكن التَّعليق الأخير مَسَّ كبرياءه. «السير باريستان على حق، فليس هناك رجل في المَمالك السَّبع بأَسرها سيُخاطِر بإثارة غضبتك عليه بأن يضربك».

نهضَ المَلك وقد احمرَّ وجهه وقال: «هل تقول لي إن هؤلاء القرود الجبناء سيتركونني أفوز؟».

- «بكلِّ تأكيد»، أجابَ ند بينما حنى السير باريستان رأسه موافقًا بصمت.

للحظاتٍ كان روبرت أكثر غضبًا من أن يتكلَّم، وذرعَ الخيمة بخطواتٍ واسعةٍ ثم دارَ على عقبيه وذرعَها مرَّةً أخرى ووجهه مسودٌّ من فرط الغضب. ثم إنه التقطَ واقي الصَّدر من على الأرض وقذفَه على باريستان سلمي بثورةٍ صامتة، فتفاداه ببساطة، ثم قال المَلك ببرود: «اخرج، اخرج قبل أن أقتلك».

غادرَ السير باريستان مسرعًا، وكان ند على وشك أن يتبعه، إلَّا أن روبرت قال: «ليس أنت يا ند».

التفتَ ند إليه، بينما التقطَ روبرت القرن وملأه بالبيرة من البرميل الموضوع في رُكن الخيمة، ثم ألقاه إلى ند وقال بلهجةٍ جافَّة: «اشرب».

- «لا أشعرُ بالظَّمـ...».

- «قلتُ اشرب. هذا أمر من مَلكك».

التقطَ ند القرن وارتشفَ منه. كانت البيرة سوداء ثخينةً وقويَّةً للغاية

لدرجة أن عيناه دمعتا. عادَ روبرت يجلس وقال: «تبًّا لك يا ند ستارك. لقد أحببتك حقًّا أنت وچون آرن، فماذا فعلتما بي؟ كان يَجدُر بك أن تكون أنت المَلك، أنت أو هو».

- «أحقيَّتك كانت أقوى يا جلالة المَلك».

- «قلتُ لك أن تشرب لا أن تُجادِلني. لقد جعلتني مَلكًا، فعلى الأقل تحلَّ بالكياسة وأصغِ لي عندما أتكلَّم، عليك اللَّعنة. انظر إليَّ يا ند، انظر إلى ما فعلته المَلكيَّةَ بي. أبدن من أن أرتدي دِرعي بحقِّ الآلهة، كيف وصلت الأمور لهذا الحد؟».

- «روبرت...».

- «اشرب واخرس، فالمَلك يتكلَّم. أقسمُ لك أنني لم أكن حيًّا مثلما كنتُ وأنا أربحُ العَرش، أو ميتًا كما أنا الآن وقد ربحته بالفعل. وسرسي... الفضل في هذا يعود إلى چون آرن. لم تكن لديَّ رغبة في الزَّواج بَعد أن سُلِبَت ليانا مني، لكن چون قال إن البلاد في حاجة إلى وريث، قال لي إن سرسي لانستر ستكون مناسِبةً لي جدًّا، إنها ستَربُط اللورد تايوين بي إذا حاولَ ڤسيرس تارجاريَن أن يستعيد عَرش أبيه في يوم ما»، وهَزَّ المَلك رأسه ثم تابعَ: «لقد أحببتُ هذا الرَّجل، أقسمُ لك، لكنِّي أعتقدُ الآن أنه كان أكثر بلاهةً من فتى القَمر. صحيحٌ أن سرسي فاتنة حقًّا والتطلُّع إلى مُحَيَّاها يسرُّ الأبصار، لكنها باردة... الطَّريقة التي تحمي بها فَرجها توحي لك بأنها تدَّخر ذهب كاسترلي روك كله بين ساقيها. أعطني هذه البيرة طالما أنك لن تشربها»، والتقطَ القرن من ند وأفرغَه في معدته، ثم تجشَّأ ومسحَ فمه. «أنا آسفٌ حقًّا لما حدثَ لابنتك يا ند، أعني ما حدثَ مع الذِّئبة. ابني كان يكذب وأراهنُ بروحي على هذا. ابني... أنت تُحِبُّ أبناءك، أليس كذلك؟».

قال ند: «من كلِّ قلبي».

- «دعني أُخبِرك بسِرٍّ يا ند. لقد حلمتُ أكثر من مرَّةٍ بالتخلِّي عن

العَرش، بأن أستقلَّ سفينةً إلى المُدن الحُرَّة ومعي حصاني ومطرقتي، أقضي وقتي في القتال ومُضاجَعة النِّساء لا أكثر، فهذا ما خُلِقتُ لأفعله. المَلك المُرتَزِق... سيحبُّ المغنُّون هذا كثيرًا. أوَتدري ما يمنعني؟ فكرة جلوس چوفري على العَرش وسرسي واقفة وراءه تهمس في أُذنه. ابني... كيف أنجبتُ ابنًا كهذا يا ند؟».

قال ند بارتباك: «إنه مجرَّد صبي». لم يكن يحمل وُدًّا كثيرًا للأمير چوفري، لكن الألم كان جليًّا له في نبرة روبرت. «هل نسيت كم كنت جامحًا وأنت في سِنِّه؟».

- «لم يكن ليُقلِقني أن يكون الصَّبي جامحًا يا ند، لكنك لا تعرفه مِثلي»، وتنهَّد وهَزَّ رأسه من جديد مضيفًا: «آه، لكنك قد تكون محقًّا. لقد يئسَ چون من ترويضي، لكني كبرتُ وصرتُ مَلكًا صالحًا»، ثم رمقَ ند وقال ساخرًا من صمته: «يُمكنك أن تتكلَّم وتُوافِقني الآن كما تعلم».

غمغمَ ند بحذر: «جلالة المَلك...».

صفعَه روبرت على ظَهره وقال: «آه، قُل إنني مَلك أفضل من إيرس وافرُغ من الأمر. إنك لا تكذب أبدًا يا ند ستارك، لا من أجل الحُبِّ ولا الشَّرف. إنني ما زلتُ صغيرًا، والآن وقد صرت معي هنا ستختلف الأوضاع. معًا سوف نجعل هذا حُكمًا يليق بالأغاني، وليذهب آل لانستر إلى الجحائم السَّبع. أشمُّ رائحة اللَّحم المقدَّد. من تحسبه سيكون بطلنا اليوم؟ هل رأيت ابن مايس تايرل؟ يُسَمُّونه فارس الزُّهور. هذا ابن يفخر المرء به حقًّا. في الدَّورة السَّابقة أسقطَ قاتِل المَلك على مؤخِّرته الذَّهبيَّة. ليتك رأيت النَّظرة على وجه سرسي يومها. لقد ضحكتُ حتى آلَمَتني ضلوعي. رنلي يقول إن له أختًا، فتاة في الرَّابعة عشر، جميلة كالفَجر».

أفطَرا معًا على الخُبز الأسمر وبيض الإوز المسلوق والسَّمك المحمَّر بالبصل واللَّحم المقدَّد وقد جلسا إلى مائدةٍ عاليةٍ على حافَّة النَّهر مباشرةً. تبدَّدت كآبة المَلك مع ضباب الصَّباح، وسرعان ما كان

روبرت يلتهم برتقالةً ويتكلَّم بحنينٍ عن نهارٍ في "العُش" عندما كانا صبيَّين. «... وأعطى چون برميلًا من البرتقال، هل تَذكُر؟ لكنه كان قد تعفَّن، فألقيتُ برتقالتي عبر المائدة وأصبتُ داكس في أنفه. هل تَذكُر مُرافِق ردفورت ذا الوجه المجدور؟ ثم إنه ألقى برتقالةً عليَّ بدوره، وقبل أن يستطيع چون أن يُخرِج فساءً حتى كان البرتقال يتطايَر في كلِّ أنحاء القاعة العالية»، وضحكَ بصخبٍ شديد، وحتى ند نفسه ابتسمَ وهو يتذكَّر.

هذا هو الصَّبي الذي ترعرع معه، هذا هو روبرت الذي يعرفه ويُحِبُّه. إذا استطاعَ أن يُثبِت أن آل لانستر كانوا وراء الهجوم على بران، إذا استطاعَ أن يُثبِت أنهم قتلوا چون آرن، فسوف يُصغي هذا الرَّجل إليه. عندئذٍ ستَسقُط سرسي ومعها قاتِل المَلك، وإذا جرؤَ اللورد تايوين على استنفار الغَرب للحرب، سيسحقه روبرت كما سحقَ ريجار تارجاريَن في معركة الثَّالوث. كان يرى كلَّ هذا بجلاءٍ تامٍّ أمامه.

كان مذاق الإفطار أفضل من أيِّ شيءٍ تناوَله إدارد ستارك منذ فترةٍ طويلة، وبَعده تسلَّلت البسمات إلى شفتيه بيُسرٍ أكبر، إلى أن حان الوقت لاستئناف الدَّورة.

مشى ند مع المَلك إلى المضمار، فقد وعدَ سانزا بأن يُشاهِد المباريات الأخيرة معها. كانت السِّپتة موردن متوعِّكةً اليوم، وابنته مُصِرَّةً على ألَّا تفوتها نهاية المباريات. لاحظَ عندما اصطحبَ روبرت إلى مجلسه أن سرسي لانستر قد اختارَت عدم الظُّهور اليوم. كان المقعد المجاور للمَلك خاليًا، ما أعطاه المزيد من الأمل.

شَقَّ طريقه إلى حيث كانت ابنته جالسةً، ووجدَها بينما كانت الأبواق تُعلِن عن النِّزال الأول لليوم. كانت سانزا مستغرقةً تمامًا في المشاهَدة حتى أنها لاحظَت مجيئه بالكاد.

كان ساندور كليجاين أول من ظهرَ، وقد ارتدى معطفًا باللون الأخضر

الزَّيتوني فوق دِرعه السَّوداء كالسِّناج. كان هذا، بالإضافة إلى خوذته ذات شكل رأس كلب الصَّيد، ما يعتبره زينةً.

- «مئة تنِّينٍ ذهبي على قاتِل المَلك»، قال الإصبع الصَّغير بصوتٍ مسموعٍ بينما دلفَ چايمي لانستر إلى المضمار راكبًا حصانًا قويًّا أنيقًا ذا لونٍ أحمرَ كالنُّحاس يرتدي غطاءً من الحلقات المعدنيَّة المذهَّبة، بينما تألَّق چايمي كالعادة من رأسه إلى كعبيه. حتى رُمحه كان مصنوعًا من خشب جُزر الصَّيف الذَّهبي.

أجابَه اللورد رنلي صائحًا: «اتَّفقنا. كلب الصَّيد يبدو شَبِقًا للقتال هذا الصَّباح».

قال الإصبع الصَّغير بجفاف: «حتى الكلاب الجائعة تعرف أنه لا ينبغي أن تَعُضَّ اليد التي تُطعِمها».

أسقطَ ساندور كليجاين مقدِّمة خوذته على وجهه برنينٍ مسموع واتَّخذ موضعه، بينما ألقى السير چايمي قُبلةً في الهواء لامرأةٍ ما بين الجماهير، ثم خفضَ مقدِّمة خوذته برفقٍ وتحرَّك بحصانه إلى طرف المضمار الآخَر؛ وسدَّد كلا الرَّجلين رُمحه.

لم يكن ند ستارك يُحِبُّ شيئًا أكثر من أن يرى كلاهما يخسر، لكن سانزا كانت تُشاهِد بانهماكٍ وشغفٍ كاملين، واهتزَّت المنصَّة التي كانوا قد نصبوها سريعًا عندما انطلقَ الحصانان يعدوان. مالَ كلب الصَّيد إلى الأمام على متن حصانه ورُمحه ثابت كصخرة، إلَّا أن چايمي غيَّر موضعه برشاقةٍ يُحسَد عليها في اللَّحظة السَّابقة للارتطام مباشرةً، واحتكَّ سِنُّ رُمح كليجاين بالتُّرس الذَّهبي ذي رمز الأسد دون أن يمسَّه بسوء، بينما ضربَ رُمح لانستر تُرسه مباشرةً فتحطَّم الخشب وتراجعَ حصان كلب الصَّيد رافعًا قائمتيه الأماميَّتين وراكبه يُكافِح للسَّيطرة عليه والبقاء على متنه. أطلقَت سانزا شهقةً ودوَّت هتافات الجمهور، وصاحَ الإصبع الصَّغير مُخاطِبًا رنلي: «تُرى فيم سأُنفِقُ نقودك؟». بالكاد استطاعَ كلب

الصَّيد البقاء فوق سَرجه، ووكز حصانه بقوَّةٍ دائرًا به إلى طرف المضمار من أجل الجولة الثَّانية، بينما ألقى چايمي لانستر رُمحه المكسور بعيدًا والتقطَ واحدًا جديدًا وهو يُلقي دعابةً على مُرافِقه. ثم انطلقَ كلب الصَّيد بحصانه مسرعًا من جديد وكذا فعلَ چايمي ليلقاه، وهذه المرَّة عندما غيَّر چايمي موضعه في اللَّحظة الأخيرة تحرَّك ساندور كليجاين معه، وتفجَّر الرُّمحان في آنٍ واحد، ولما انزاحَ الغُبار والشَّظايا كان ثمَّة حصان بلون النُّحاس الأحمر بلا راكبٍ يبتعد بحثًا عن عُشبٍ يأكله، بينما تدحرجَ السير چايمي لانستر على الأرض.

قالت سانزا: «كنتُ أعرفُ أن كلب الصَّيد سيربح».

سمعها الإصبع الصَّغير فصاحَ لها: «إذا كنتِ تعرفين من سيربح في المباراة الثَّانية، فقولي الآن قبل أن يأتي اللورد رنلي على مالي كله»، وابتسمَ ند.

قال اللورد رنلي: «من المؤسف أن العِفريت ليس معنا الآن. كنتُ لأربح المبلغ مضاعَفًا».

كان چايمي لانستر قد نهضَ من جديد، إلَّا أن خوذته الذَّهبيَّة المزخرفة ذات شكل رأس الأسد كانت انبعجَت بشدَّةٍ مع سقوطه، والآن كان لا يستطيع خلعها عن رأسه. كان العامَّة يصيحون ساخرين ويُشيرون، بينما حاولَ اللوردات والليديهات كَتْمَ ضحكاتهم بلا طائل؛ وفوق كلِّ الأصوات الأخرى سمعَ ند ضحكات المَلك روبرت المتفجِّرة. في النِّهاية اضطرُّوا لقيادة أسد لانستر معميًّا متعثِّرًا إلى الحداد كي يخلع الخوذة.

الآن كان السير جريجور كليجاين قد اتَّخذ مكانه في المضمار. كان ضخم الجثَّة حقًّا، أكبر رجلٍ رآه إدارد ستارك في حياته. كان روبرت باراثيون وأخواه رجالًا كبار الحجم، وكذلك كلب الصَّيد، وفي وينترفل كان هناك صبيُّ الاسطبل بسيط العقل هودور الذي كان يجعلهم جميعًا

يبدون كالأقزام أمامه، لكن الرَّجل الذي يُسَمُّونه الجبل راكب الخيول كان ليجعل هودور نفسه يبدو قزمًا أمامه. كان يَبلُغ أكثر من سبعة أقدامٍ طولًا، بل وأقرب إلى ثمانية أقدامٍ كذلك، له كتفان عملاقتان وذراعانِ كجذوع الأشجار، وبدا حصانه كمُهرٍ صغيرٍ بين ساقيه المدرَّعتين، والرُّمح الذي يحمله كعصا المقشَّة.

على عكس أخيه، لم يكن السير جريجور يعيش في البلاط. كان رجلًا يُحِبُّ العُزلة ونادرًا ما يُبارِح أراضيه إلَّا من أجل الحروب ودورات المباريات المشابهة. كان موجودًا مع اللورد تايوين عندما سقطَت كينجز لاندنج، فارسًا حديث التَّنصيب في عُمر السَّابعة عشر، وحتى وقتها كان مميَّزًا عن كلِّ مَن سواه بحجمه الضَّخم ووحشيَّته البالغة. قال البعض إن جريجور هو من هشَّم جمجمة الأمير الرَّضيع إجون تارجاريَن على جِدار، وتهامَسوا مُرَدِّدين أنه اغتصبَ أمَّه بَعدها، الأميرة الدورنيَّة إليا مارتل، قبل أن يذبحها بسيفه. طبعًا لم تكن هذه الأشياء تُقال في حضور جريجور.

لا يَذكُر ند ستارك أنه تكلَّم مع الرَّجل من قبل قَطُّ، على الرغم من أن جريجور كان معهم إبَّان تمرُّد بالون جرايچوي كواحدٍ من آلاف الفُرسان الذين خرَجوا لإخماد التمرُّد. راقَبه ند متوتِّرًا. كان نادرًا ما يعير انتباهًا للنَّميمة، لكن الأشياء التي تُقال عن السير جريجور كانت أكثر من مجرَّد نميمةٍ مُزعِجة. كان في سبيله للزَّواج قريبًا للمرَّة الثَّالثة، وكان الجميع قد سمعوا همساتٍ مبهمة عن وفاة زوجتيه السَّابقتين. كان يُقال إن قلعته مكان كئيب مُنذِر بالشُّؤم يختفي فيه الخدم بلا حساب، وحتى الكلاب كانت تخشى دخول قاعته. ثم إنه كانت له أختٌ ماتت في ظروفٍ غامضة، بالإضافة إلى الحريق الذي شوَّه أخاه، وحادث الصَّيد الذي قُتِلَ فيه أبوهم. ورثَ جريجور القلعة والثَّروة وأملاك العائلة، وفي اليوم نفسه غادرَ أخوه ساندور لينضمَّ إلى خدمة عائلة لانستر كسلاحدار، وقيل إنه لم يَعُد إلى دياره بَعدها قَطُّ، ولا حتى للزِّيارة.

عندما دخلَ فارس الزُّهور شاعَت غمغمة بين الحضور، وسمعَ ند تهمس بحرارة: «أوه، كم هو جميل!». كان السير لوراس تايرل نحيلًا كقصبة، يرتدي دِرعًا فضِّيَّة باهرةً مصقولةً حتى بات بريقها يُعمي العيون، مزركشةً بفروع الكرومِ السَّوداء وزهورِ أُذن الفأر الزَّرقاء الجميلة. أدركَ المُشاهِدون وند في اللَّحظة ذاتها أن الزُّهور كانت عبارةً عن قطعٍ صغيرةٍ من الياقوت الأزرق، وخرجَت شهقة انبهارٍ من ألف حنجرةٍ في آنٍ واحد. تدلَّى معطف الصَّبي الثَّقيل من على كتفيه، وكان مكسوًّا بمئاتٍ من زهور أُذن الفأر الحقيقيَّة الطَّازجة التي خُيِّطَت بالفرو. كان يمتطي فَرسًا رماديَّةً جميلةً نحيلةً كراكبها خُلِقَت للرَّكض السَّريع. صهلَ فَحل السير جريجور الضَّخم بصوتٍ عالٍ لمَّا اشتمَّ رائحتها، ثم إن الصَّبي القادم من هايجاردن فعلَ شيئًا بساقيه، ووثبَت فَرسه بحركةٍ جانبيَّةٍ برشاقة راقصةٍ محترفة. أطبقَت سانزا على ذراع ند وقالت: «أبي، لا تدع السير جريجور يُؤذيه»، ورأى ند أنها كانت لا تزال محتفظةً بالوردة الحمراء التي أهداها لوراس تايرل إياها البارحة. كان چوري قد أخبرَه بهذا أيضًا.

قال لابنته: «هذه رماح مباريات، يصنعوها كي تنكسر عند الاصطدام كي لا يتأذَّى أحد». على أنه تذكَّر الصَّبي الميت المسجَّى في العربة ومعطفه ذا الأهلَّة الغارقة في الدَّم، وشعرَ بالكلمات تعلق في حَلقه.

كان السير جريجور يُحاوِل السَّيطرة على فَحله الذي أخذَ يَصرُخ ويدقُّ الأرض ويهزُّ رأسه بعُنف. ركلَ الجبل الحيوان بقسوةٍ بفردتي حذائه المدرَّعتين، فتراجعَ الحصان رافعًا قائمتيه الأماميَّتين وكاد يُسقِطه عن ظَهره. كان هذا بينما حيَّا فارس الزُّهور المَلك ثم تحرَّك إلى طرف المضمار وسدَّد رُمحه، فتحرَّك السير جريجور إلى الطَّرف الآخَر مُكافِحًا للسيطرة على عِنانه... ثم بدأ النِّزال فجأةً. انطلقَ فَحل الجبل يعدو بضراوة، بينما اندفعَت الفَرس بدورها بنعومة الحرير. رفعَ السير جريجور تُرسه في وضع الحماية وعدَّل وضع رُمحه مُحاوِلًا طوال

الوقت أن يُسَيطِر على حصانه الجامح ويُثَبِّت حركته في خَطٍّ مستقيم... ثم على حين غرَّةٍ وجدَ السير لوراس تايرل ينقضُّ عليه ويضربه برُمحه، وفي غمضةِ عينٍ كان الجبل قد تهاوى على الأرض. كان ضخمًا جدًّا لدرجة أنه أخذَ حصانه معه في سقطته في فوضى من الفولاذ واللَّحم.

سمعَ ند تصفيقًا وتهليلًا وصفيرًا وشهقاتٍ مصدومة وغمغماتٍ حماسيَّة، وفوق كلِّ هذا صوت ضحكات كلب الصَّيد الخشنة المبحوحة.

أوقفَ فارس الزُّهور فَرسه عند نهاية المضمار، ولم يكن رُمحه قد انكسرَ حتى. ومضَ الياقوت في دِرعه في نور الشَّمس وهو يرفع مقدِّمة خوذته مبتسمًا، وبلغَ تهليل العامَّة له حَدَّ الهياج. في منتصَف المضمار نهضَ السير جريجور بدماءٍ تغلي غضبًا، وانتزعَ خوذته من على رأسه ورماها على الأرض بحركةٍ عنيفة. كان وجهه مربدًّا من شدَّة الغضب وسقطَ شَعره على عينيه. «سيفي»، قال زاعقًا لمُرافِقه وهُرِعَ الصَّبي ليأتي به إليه. حينئذٍ كان حصانه قد عادَ يقف بدوره.

وقتلَ السير جريجور حصانه بضربةٍ واحدةٍ بالغة العنف لدرجة أنها كادت تَبتُر عُنقه، وتحوَّل التَّهليل إلى صراخٍ خلال نبضةِ قلبٍ واحدة، وتهاوى الفَحل على رُكبتيه صارخًا وهو يحتضر. ثم إن جريجور قطعَ المضمار بخطواتٍ واسعةٍ ترجُّ الأرض نحو السير لوراس تايرل وسيفه الدَّامي في قبضته. «أوقِفوه! أوقِفوه!»، صاح نِد لكن كلماته ضاعَت وسط الهياج، بينما كان كلُّ واحدٍ آخَر يصيح بدوره وسانزا تبكي ملتاعةً.

حدثَ كلُّ شيءٍ بسرعةٍ لا تُصَدَّق.

كان فارس الزُّهور يصيح طالبًا سيفه بينما طرحَ السير جريجور مُرافِقه أرضًا بحركةٍ عنيفة ومَدَّ يده إلى عِنان فَرسه، التي اشتمَّت رائحة الدَّم وتراجعَت رافعةً القائمتين الأماميَّتين. حافظَ السير لوراس على مكانه على متنها لكن بالكاد، ثم هوى السير جريجور بسيفه ذي المقبضين بضربةٍ شديدة الشَّراسة أصابَت صدر الصَّبي وأطاحَت به من على سَرجه.

اندفعَت الفَرس تجري بعيدًا مذعورةً بينما تمدَّد السير لوراس مصعوقًا من الضَّربة بلا حراك. لكن بينما رفعَ جريجور سيفه ليهوي بضربته القاضية، قال صوت أجش: «دعه وشأنه»، وجذبَته يد مدرَّعة بالفولاذ بعيدًا عن الصَّبي. دارَ الجبل على محوره بثورةٍ صامتةٍ وهوى بسيفه الطَّويل بحركةٍ قاتلةٍ واضعًا كلَّ قوَّته وراء الضَّربة، لكن كلب الصَّيد صدَّها وردَّها، ولوقتٍ بدا كأبديَّةٍ كاملةٍ تبادلَ الأخوان الضَّربات الشَّرسة بينما اصطحبَ آخَرون السير لوراس تايرل الدَّائخ إلى خارج المضمار. ثلاث مرَّاتٍ رأى ند السير جريجور يُسَدِّد ضرباته إلى الخوذة ذات شكل رأس الكلب، وإن لم يُسَدِّد ساندور ولا ضربة واحدة إلى وجه أخيه المكشوف.

كان صوت المَلك هو ما وضعَ نهايةً لهذا... صوت المَلك وعشرون سيفًا. كان چون آرن قد علَّمه أن القائد الحَقَّ يجب أن يتحلَّى بصوتٍ هادرٍ لإلقاء الأوامر أثناء احتدام المعركة، وقد أثبتَ روبرت هذا فعلًا في معركة الثَّالوث، واستعانَ بهذا الصَّوت الآن، وبصوتٍ مدوٍّ صاحَ: «**توقَّفا عن هذا الجنون الآن باسم المَلك!**».

ركعَ كلب الصَّيد على رُكبته، بينما شقَّت ضربة السير جريجور الهواء قبل أن يرتدَّ إليه صوابه ويُسقِط السَّيف محدِّقًا في روبرت المُحاط بحَرسه المَلكي ودستة من الفُرسان والحَرس الآخَرين، ثم بلا كلماتٍ دارَ على عقبيه واندفعَ مغادِرًا المضمار مارًّا بباريستان سلمي. «دعوه يذهب»، قال روبرت... وبهذه السُّرعة انتهى كلُّ شيء.

سألت سانزا أباها: «هل كلب الصَّيد هو البطل الآن؟».

قال لها: «كلا، ستكون هناك مباراة أخيرة بين كلب الصَّيد وفارس الزُّهور».

على أن سانزا كانت محقَّةً في النِّهاية، فبَعد فترةٍ قصيرةٍ عادَ السير لوراس تايرل إلى المضمار مرتديًا سُترةً بسيطةً من الكتَّان، وقال لساندور كليجاين: «إنني مدينٌ لك بحياتي. اليوم لك أيها الفارس».

- «أنا لستُ فارسًا»، أجابَ كلب الصَّيد، لكنه قبل النَّصر على كلِّ حال، بالإضافة إلى ذهب البطل، وربما للمرَّة الأولى في حياته نالَ حُبَّ العامَّة الذين هلَّلوا له وهو يُغادِر المضمار عائدًا إلى سُرادقه.

كان ند يمشي مع سانزا إلى حلبة الرِّماية عندما انضمَّ إليهما اللورد رنلي والإصبع الصَّغير وعدد من الآخَرين. كان الإصبع الصَّغير يقول: «لا بُدَّ أن تايرل كان يعرف أن الفَرس كانت هائجةً. أقسمُ أن الصَّبي خطَّط للأمر كله. لطالما كان جريجور يُفَضِّل الخيول سيِّئة المزاج التي تملك من الحيويَّة أكثر من التعقُّل». بدا أن الفكرة تثير روح الفكاهة لديه.

لكن يبدو أنها لم تُثِر الرُّوح نفسها لدى السير باريستان سلمي الذي قال بجمود: «ليس هناك شَرف في الخداع».

قال الإصبع الصَّغير مبتسمًا: «قليلٌ من الشَّرف وعشرون ألف قطعةٍ ذهبيَّة».

في اليوم نفسه بَعد الظُّهر فازَ شابٌّ غير معروفٍ من العامة يُدعى أنجوي جاءَ من تُخوم دورن بمسابقة الرِّماية، متفوِّقًا على السير بالون سوان وچالابار شو بمئة خطوة، بَعد خروج جميع الرُّماة الآخَرين من المسابقة وقد أصابوا أهدافهم على مسافاتٍ أقصر. أرسَل ند رجله آلين إليه ليعرضِ عليه مكانًا بين حَرس اليَد، لكن الصَّبي كان ثملًا بالنَّبيذ والنَّصر والثَّروة التي لم يكن ليحلم بها من قبل، ورفضَ العرض.

أمَّا الالتحام الجماعي فقد استمرَّ لثلاث ساعاتٍ كاملة، واشتركَ فيه نحو أربعين رجلًا من المُحارِبين غير النِّظاميِّين والفُرسان الجوَّالة ومُرافِقو الفُرسان الجُدد، كلهم يسعى إلى الشُّهرة. تقاتلوا بأسلحةٍ غير حادَّةٍ في معمعةٍ من الوحل والدَّم، جماعات صغيرة تُقاتِل معًا ثم تنقلب على بعضها بعضًا مع تكوين التَّحالُفات وفضِّها، حتى لم يتبقَّ غير رجلٍ واحدٍ فقط منهم. كان المنتصر هو الرَّاهب الأحمر ثوروس المايري، الرَّجل المجنون الذي يحلق شَعره تمامًا ويُقاتِل بسيفٍ ناري. لم تكن

هذه هي المرَّة الأولى التي يفوز فيها في الالتحام الجماعي، حيث كان سيفه المشتعل يُخيف خيول مُنافِسيه بينما لا يُخيف ثوروس شيء على الإطلاق. احتوى كشف الحساب الأخير على ثلاثة أطرافٍ مكسورة، عظمة تَرْقُوَةٍ مهشَّمة، دستة من الأصابع المحطَّمة، حصانين قُتِلا قتلًا رحيمًا، والمزيد من الجروح والمفاصلِ الملتوية والكدمات التي لم يُبالِ أحد بعدِّها. كان ند مسرورًا لأقصى حَدٍّ أن روبرت لم يُشارِك في هذا.

خلال مأدبة تلك اللَّيلة كان الأمل يُفعِم إدارد ستارك لدرجةٍ لم يَشعُر بها منذ وقتٍ طويل. كان روبرت في مزاجٍ مَرِحٍ للغاية، بينما غابَ آل لانستر عن الأعيُن، وحتى ابنتاه كانتا حسنتَي السُّلوك. جاءَ چوري بآريا لتنضمَّ لهم، وتكلَّمت سانزا معها بأسلوبٍ ودود. «كانت دورةً رائعةً»، قالت متنهِّدةً. «كان يَجدُر بكِ أن تَحضِريها. ما أخبار دروس الرَّقص؟».

- «جسدي كله يوجعني»، قالت آريا مسرورةً وهي تعرض كدمةً زرقاء ضخمةً في ساقها بكلِّ فخر.

قالت سانزا بشك: «لا بُدَّ أنكِ راقصة شنيعة!».

لاحقًا، بينما كانت سانزا تُصغي لِفرقةٍ من المُطرِبين تؤدِّي مجموعة الأغاني المتشابكة المسمَّاة "رقصة التَّنانين"، فحصَ ند الكدمة في ساقها بنفسه وقال لها: «أتمنَّى أن فورل لا يقسو عليكِ كثيرًا»، فوقفَت آريا على ساقٍ واحدةٍ (وكانت قد تحسَّنت في هذا كثيرًا مؤخَّرًا)، وقالت: «سيريو يقول إن في كلِّ جرحٍ درسًا، وإن كلَّ درسٍ يجعلك أفضل».

قطَّب ند جبينه. كان هذا الرَّجل سيريو فورل قد أتى وقد سبقته سُمعته الممتازة، ومنهجه البراڤوسي المبهرَج هذا كان مناسبًا تمامًا لسيف آريا الرَّفيع، ومع ذلك... منذ بضعة أيام كانت تتجوَّل وقد أحاطَت بعينيها قطعة من الحرير الأسود. كان سيريو يُعَلِّمها أن ترى بأُذنيها وأنفها وجِلدها كما فسَّرت له عندما سألها. وقبل هذا جعلها تُمارِس الدَّوران والوثب إلى الخلف. «آريا، هل أنتِ واثقة من أنكِ ترغبين مواصَلة هذا؟».

أومأت برأسها إيجابًا وقالت: «غدًا سنُمسِك القِطط».

- «القِطط؟»، قال ند وتنهَّد. «لعلِّي أخطأتُ عندما استأجرتُ هذا البراڤوسي. إذا أردتُ، سأطلُب من چوري أن يتولَّى دروسكِ، أو ربما أطلبُ من السير باريستان أن يُدَرِّبكِ. لقد كان أفضل مُبارِزٍ في المَمالك السَّبع كلها في شبابه».

قالت آريا: «لا أريدهما، بل أريدُ سيريو».

مرَّر ند أصابعه في شَعرها. أيُّ قيِّم سلاح محترمٍ يُمكنه أن يُعَلِّم آريا مبادئ الهجوم والدِّفاع دون هراء عُصابات الأعيُن والتَّواثُب على عجلات العربات والوقوف على ساقٍ واحدة، لكنه كان يعرف ابنته الصُّغرى بما فيه الكفاية لأن يُدرِك أن لا سبيل للجدل مع صاحِبة الفَكِّ البارِز العنيدة هذه، ومؤكَّد أنها ستسأم من هذه اللُّعبة قريبًا، فقال: «كما ترغبين، لكن حاوِلي أن تكوني حذرةً».

- «سأفعلُ»، قالت بجِدِّيَّةٍ وهي تثبُ من ساقها اليُمنى إلى اليُسرى بسلاسةٍ تامَّة.

بَعد ذلك بفترةٍ طويلة، لمَّا اصطحبَ الفتاتين عبر المدينة وتأكَّد من خلود كلٍّ منهما بأمانٍ إلى فِراشها -سانزا بأحلامها وآريا بكدماتها- صعدَ ند إلى سكنه في قمَّة بُرجِ اليَد. كان اليوم حارًّا وجعلَ الغُرفة دافئةً مكتومةً، فذهبَ ند إلى النَّافذة وفتحَ السَّتائر الثَّقيلة ليسمح بهواء اللَّيل البارد بالدُّخول. لاحظَ عبر السَّاحة الكبيرة الوهج المتذبذب الصَّادر عن ضوء الشُّموع وراء نوافذ الإصبع الصَّغير. كانت السَّاعة قد تجاوزَت منتصَف اللَّيل، وهناك عند النَّهر كان المرح والصَّخب قد بدآ يهدآن بالفعل. أخرجَ الخنجر إياه وتطلَّع إليه، خنجر الإصبع الصَّغير الذي فازَ به تيريون لانستر في رهانٍ وأُرسِل لذَبحِ بران وهو نائم. لماذا؟ لماذا يرغب القزم في موت بران؟ لماذا يرغب أيُّ أحدٍ أصلًا في موته؟

الخنجر، سقطة بران، كلُّ هذا مرتبطٌ بشكلٍ ما باغتيال چون آرن. كان يَشعُر بهذا في خلاياه، لكن حقيقة موت چون ظلَّت خفيَّةً عنه كما كانت منذ بدأ البحث عنها. لم يرجع اللورد ستانيس إلى كينجز لاندنج من أجل دورة الألعاب، ولايسا آرن لا تزال لائذةً بصمتها وراء جدران "العُش" العالية، والآن ماتَ مُرافِق چون ولم يزل چوري يبحث عن الماخور. ماذا لديه إذن بخلاف ابن روبرت غير الشَّرعي؟

ذلك المتدرِّب كئيب المُحَيَّا لدى صانع السِّلاح توبهو موت هو ابن المَلك ولا ريب في هذا. كانت سيماء عائلة باراثيون مطبوعةً على وجهه، في فكِّه، في عينيه، في ذلك الشَّعر الأسود. رنلي أصغر عُمرًا من أن يُنجِب صبيًّا في هذه السِّن، وستانيس لا يُمكنه أن يُلَوِّث شرفه، فلا بُدَّ أن جندري هو ابن روبرت فعلًا. لكن هل من شيءٍ مفيدٍ حقًّا خرجَ به بَعد معرفة كلِّ ذلك؟ المَلك لديه أبناء غير شرعيِّين آخَرون متناثرون في جميع أنحاء وستروس، ثم إنه اعترفَ علنًا بواحدٍ منهم، ولد في عُمر بران كانت أمه كريمة الأصل، والولد يرعاه الآن أمين قلعة رنلي في ستورمز إند.

تذكَّر روبرت أول أطفال روبرت كذلك، الابنة التي وُلِـدَت في "الوادي" عندما كان روبرت نفسه أكبر من صبيٍّ بقليل. كانت فتاةً صغيرةً عذبة شغفَ بها سيِّد ستورمز إند الشَّاب. اعتادَ روبرت أن يزورها يوميًّا ليلعب معها حتى بَعد أن فقدَ اهتمامه بالأم بفترةٍ طويلة، وغالبًا ما كان يجرُّ ند معه سواء شاءَ أم لا. لا بُدَّ أن الفتاة في السابعة أو الثامنة عشر الآن، أكبر من روبرت عندما أنجبَها... فكرةٌ غريبةٌ تلك.

من غير الممكن أن سرسي مسرورة بمغامَرات زوجها، لكن في النِّهاية لا يهمُّ حقًّا إن كان روبرت قد أنجبَ ابنًا واحدًا غير شرعيٍّ أم مئة. لا يمنح القانون والأعراف الكثير من الحقوق للأبناء غير الشَّرعيِّين. جندري، الفتاة في "الوادي"، الولد في ستورمز إند... لا أحد منهم يستطيع تهديد أبناء روبرت الشَّرعيِّين.

قطعَت تأمُّلاته دقَّة على الباب، وسمعَ هاروين يُنادي: «ثمَّة زائر لك يا سيِّدي، لكنه يَرفُض أن يقول اسمه».

قال ند متعجِّبًا: «دعه يَدخُل».

كان الزَّائر رجلًا ممتلئ الجسم يرتدي حذاءً طويل العُنق تشقَّق جِلده ولطَّخه الوحل ومعطفًا من نسيجٍ شديد الخشونة، اختفَت ملامحه تحت قلنسوةٍ ثقيلةٍ وتوارَت يداه داخل كُمَّين ضخمين.

سأله ند: «من أنت؟».

قال الرَّجل بصوتٍ خفيضٍ غريب: «صديق. يجب أن نتكلَّم على انفراد يا لورد ستارك».

غلبَ الفضول الحذر، فقال ند آمرًا: «اترُكنا يا هاروين». ولم يخلع الزَّائر الغامض قلنسوته حتى صارا وحيدين وراء الأبواب المغلقة، وصاحَ ند بدهشة: «لورد ڤارس؟».

قال ڤارس بتهذيب وهو يجلس: «لورد ستارك، أتمنَّى ألَّا أُزعِجك بأن أطلب منك شرابًا».

ملأ ند كأسين بالنَّبيذ الصَّيفي ناولَ أحدها لڤارس قائلًا والدَّهشة لم تُفارِق صوته: «لم أكن لأتعرَّف عليك حتى لو مررت على بُعد قدمٍ واحدٍ مني». لم يكن قد رأى الخَصِيَّ يرتدي شيئًا آخَر من قبل غير الحرير والمخمل والاستبرق الثَّمين، بينما تفوح من هذا الرَّجل رائحة العَرق بدلًا من العِطر.

قال ڤارس: «هذا ما كنتُ آمله، فلن يكون مفيدًا لنا أن يعرف أشخاص بأعينهم أننا تكلَّمنا سِرًّا، والمَلكة تُراقِبك عن كثب. هذا النَّبيذ ممتاز، شكرًا لك».

- «كيف تجاوَزت حُرَّاسي الآخَرين؟»، سأله ند. كان پورثر وكاين يقفان حراسةً في خارج البُرج، بينما وآلين على السَّلالم.

ابتسمَ ڤارس وقال معتذرًا: «القلعة الحمراء ملأى بالمسالك المعروفة

للأشباح والعناكب فقط. لن أُعَطِّلك كثيرًا يا سيِّدي. ثمَّة أشياءَ ينبغي أن تعرفها. أنت يَدُ المَلك، والمَلك أحمق». كانت نبرة الخَصِيِّ النَّاعمة قد غابَت من صوته الآن واحتلَّت مكانها نبرة أخرى لاذعة كالسِّياط. «أعرفُ أنه صديقك، نعم، لكنه أحمق رغم ذلك... ومحكوم عليه بالهلاك ما لم تُنقِذه. كان الخطر وشيكًا اليوم، وكانوا يأملون أن يقتلونه خلال الالتحام الجماعي».

للحظةٍ أعجزَت الصَّدمة ند عن الكلام، قبل أن يقول بحدَّة: «من؟».

رشفَ ڤارس من نبيذه وقال: «لو كنت تحتاجني أن أقول لك من حقًّا، فأنت أحمق أكبر من روبرت نفسه، وأنا في الصَّفِّ الخطأ».

- «آل لانستر»، قال ند. «المَلكة... لا، لن أُصَدِّق هذا الكلام، ولا حتى عن سرسي. لقد طلبَت منه ألَّا يُقاتِل!».

- «بل منعَته من القتال، منعَته أمام أخيه وفُرسانه ونِصف البلاط. قُل لي حقًّا، هل تعرف وسيلةً أضمن لإجبار روبرت على الاشتراك في الالتحام الجماعي؟ أخبِرني».

شعرَ ند بالغثيان. لقد أصابَ الخَصِيُّ كبد الحقيقة. قُل لروبرت باراثيون إنه لا يستطيع أو لا ينبغي أن يفعل شيئًا وثِق تمامًا بأنه سيفعله. «حتى لو قاتلَ، فمن كان ليجرؤ على ضرب المَلك؟».

هَزَّ ڤارس كتفيه وقال: «كان هناك أربعون مُقاتلٍ في الحلبة، وآل لانستر لهم أصدقاء كثيرون. في خضمِّ كلِّ هذه الفوضى والخيول تَصرُخ والعظام تنكسر وثوروس المايري يُلَوِّح بسيفه النَّاري السَّخيف هذا، من يُمكنه أن يعتبر الأمر اغتيالًا إذا أسقطَت ضربة غير مقصودةٍ جلالته؟»، ثم نهضَ والتقطَ إبريق النَّبيذ وأعاد مَلء كأسه، وتابعَ: «وبَعد أن ينتهي الأمر سينهار القاتل حُزنًا. أكادُ أسمعه يبكي بالفعل. يا للأسى! لكن لا شَكَّ أن الأرملة العطوف الرَّحيمة ستأخذها به الشَّفقة وترفع المسكين إلى قدميه وتُبارِكه بقُبلةٍ مغفرةٍ رقيقة، ولن يكون أمام المَلك المحبوب چوفري غير

أن يعفو عنه»، وربَّت الخَصِيُّ على وجنته مُردِفًا: «أو ربما تأمر سرسي السير إلين بأن يطيح برأسه. هكذا تكون المخاطرة أقلَّ بالنِّسبة لآل لانستر، وإن كانت مفاجأة غير سارَّةٍ لصديقهم الصَّغير».

شعرَ ند بالغضب يتصاعَد في داخله، وقال: «وأنت كنت تعلم بهذه المؤامرة لكنك لم تفعل شيئًا».

- «إنني أقودُ الهامسين وليس المُحارِبين».

- «كان بوسعك أن تأتي لي قبلها».

- «نعم، أعترفُ بهذا، وعندها كنت ستذهب إلى المَلك مباشرةً، أليس كذلك؟ وعندما يسمع روبرت بالخطر المحيق به، ماذا كان ليفعل؟ إنني أتساءَلُ».

فكَّر ند لحظةً ثم قال: «كان سيلعنهم جميعًا ويُقاتِل على أيِّ حالٍ ليُريهم أنه لا يخشاهم».

فردَ ڤارس يديه وقال: «دعني أعترف لك بشيءٍ آخَر يا لورد إدارد. لقد كنتُ أرغبُ في أن أرى ما ستفعله أنت. تسألني لِمَ لم آتِ إليك؟ إجابتي أني لم أكن أثقُ بك يا سيِّدي».

قال ند مندهشًا حقًّا: «لم تكن تثق بي؟».

- «القلعة الحمراء تحوي نوعين من النَّاس أيها اللورد إدارد»، قال ڤارس. «هؤلاء المُخلِصون للبلاد، وأولئك المُخلِصون لأنفسهم فقط. حتى هذا الصَّباح لم أستطِع أن أقرِّر أيهما تكون، وهكذا انتظرتُ لأرى، وها قد عرفتُ بما لا يدع مجالًا للشَّك»، وابتسمَ ابتسامةً خفيفةً، وللحظةٍ صارَ وجهه الحقيقي والقناع الذي يضعه أمام النَّاس واحدًا. «بدأتُ أستوعب لِمَ تخشاك المَلكة كثيرًا هكذا. نعم، الأمر واضح تمامًا الآن».

- «حريٌّ بها أن تخشاك أنت».

- «كلا، فأنا هو أنا. المَلك يستفيد مني، لكنه يَشعُر بالخجل مني في الآن ذاته. مُحارِبٌ جبَّارٌ هو عزيزنا روبرت، والرَّجل المُتخَم بالرُّجولة

مثله لا يحمل حُبًّا كبيرًا للمتسلِّلين والجواسيس والمخصيِّين. لو جاءَ يوم وهمسَت فيه سرسي له: "اقتُل هذا الرَّجل"، سيقطع إلين پاين رأسي في طرفة عين، ومن سيَندُب ڤارس البائس حينها؟ في الشَّمال أو الجَنوب لا أحد يُرَدِّد أغاني عن العناكب»، ثم مَدَّ يده النَّاعمة ومَسَّ ذراع ند بها قائلًا: «لكن أنت أيها اللورد ستارك... أعتقدُ أنه... كلا، إنني موقنٌ من أنه لن يَقتُلك، ولا حتى من أجل مَلكته؛ وفي هذا قد يَكمنُ خلاصنا».

كان كلُّ هذا أكثر من اللَّازم فعلًا، وللحظةٍ لم يرغب إدارد ستارك في شيءٍ أكثر من أن يعود إلى وينترفل وبساطة الشَّمال الهادئة، حيث الأعداء هُم الشِّتاء والهَمج وراء "الجِدار". قال معترضًا: «مؤكَّد أن روبرت لديه أصدقاء آخَرون، أخواه أو...».

- «... زوجته؟»، أتمَّ ڤارس العبارة بابتسامةٍ قاطعة. «نعم، صحيحٌ أن أخويه يكرهان آل لانستر، لكن كراهية المَلكة وحُبَّ المَلك ليسا الشَّيء ذاته، أليس كذلك؟ السير باريستان يُحِبُّ شَرفه، والمِايستر الأكبر پايسل يُحِبُّ منصبه، والإصبع الصَّغير يُحِبُّ الإصبع الصَّغير».

- «الحَرس المَلكي...».

- «دِرعٌ من ورق. حاوِل ألَّا تبدو مصدومًا هكذا يا لورد ستارك. چايمي لانستر نفسه أخٌ تحت القَسم من السُّيوف البيضاء، والجميع يعرفون قيمة قَسمه. راحت إلى التراب والأغاني الأيام التي كان فيها رجال على شاكلة ريام ردواين والأمير إيمون الفارس التنِّين يرتدون المعاطف البيضاء. من بين هؤلاء السَّبعة ليس هناك غير السير باريستان سلمي المصنوع من الفولاذ الحقيقي، وسلمي مُسِن. أمَّا السير مرين والسير بوروس فصنيعة المَلكة حتى النُّخاع، ولديَّ شكوكٌ قويَّة في الآخَرين. لا يا سيِّدي، عندما تَخرُج من أغمادها وقت الجَدِّ ستكون أنت صديق روبرت باراثيون الحقيقي الأوحد».

قال ند: «يجب أن يعلم روبرت بهذا. إذا كان ما تقوله صحيحًا، إذا كان مجرَّد جزءٍ منه صحيحًا، فيجب أن يعرف المَلك به بنفسه».

- «وأيُّ دليلٍ سنُقَدِّمه له؟ كلمتي ضد كلمتهم؟ طيوري الصَّغيرة ضد المَلكة وقاتِلِ المَلك، ضد أخويه ومجلسه، ضد حاكِمي الشَّرق والغَرب، ضد كاسترلي روك بجلالة قَدرها؟ أرجوك أن تُرسِل في طلب السير إلين حالًا كي نُوَفِّر الوقت. إنني أعرفُ أين ينتهي هذا الطَّريق».

- «لكن إذا كان ما تقوله حقيقيًّا، فسوف يتحيَّنون الفُرصة ويقومون بمحاولةٍ أخرى».

قال ڤارس: «طبعًا سيفعلون، وأخشى أنهم سيفعلونها عاجلًا وليس آجلًا. إنك تثير قلقهم الشَّديد أيها اللورد إدارد. لكن طيوري الصَّغيرة ستُصغي لما يُقال، ومعًا قد نتمكَّن من إحباط مكائدهم، أنت وأنا»، ثم نهضَ وأسدلَ قلنسوته على وجهه ليُخفيه من جديدٍ وقال: «أشكرك على النَّبيذ. سوف نتكلَّم مرَّةً أخرى. تذكَّر عندما تراني المرَّة القادمة في المجلس أن تُعامِلني باحتقارك المعتاد. لا أعتقدُ أنك ستجد عُسرًا في ذلك».

كان قد بلغَ الباب عندما نادى عليه ند قائلًا: «ڤارس، من قتلَ چون آرن؟».

- «كنتُ أتساءلُ متى ستُلقي هذا السُّؤال».

- «أخبِرني».

- «اسمه دموع ليس، شيء نادر باهظ الثَّمن، صافٍ عذبٌ كالماء ولا يَترُك أيَّ أثر. لقد توسَّلتُ إلى اللورد آرن أن يستعين بذوَّاق، في هذه الغُرفة بالتَّحديد توسَّلتُ إليه، لكنه رفض تمامًا وقال لي إن من قد يُفَكِّر في تسميمه ليس رجلًا أبدًا».

كان يجب أن يعرف ند الباقي، فقال: «ومن دسَّه له؟».

- «صديقٌ غالٍ طيِّب غالبًا ما يُشارِكه طعامه وشرابه طبعًا، لكن من؟ إنهم كثيرون. اللورد آرن كان رجلًا كريمًا وثوقًا»، ثم زفرَ الخَصِيُّ وأضافَ: «كان هناك صبيٌّ واحد، كلُّ ما يملكه يدين به لچون آرن، لكن عندما فرَّت الأرملة إلى "العُش" مع أهل بيتها، بقي هو في العاصمة وانتعشَت أحواله. دائمًا يُثلِج صدري أن أرى الشَّباب يترقُّون في العالم».

كان السَّوط قد عادَ إلى صوته من جديد وكلُّ كلمةٍ جَلدة. «لا بُدَّ أنه بدا بهيًّا في دورة المباريات في دِرعه الجديدة البرَّاقة وتلك الأهلَّة على معطفه. من المؤسف أنه ماتَ قبل أوانه، قبل أن تستطيع الكلام معه».

شعرَ ند بأنه هو نفسه مسمومٌ وغمغمَ: «تابع چون، السير هيو». دوائر داخل دوائر داخل دوائر، ورأس ند يدقُّ ويدور. «لماذا؟ لماذا الآن؟ چون آرن كان يَدَ المَلك لمدَّة أربع عشرة سنةً، فما الذي كان يفعله بالتَّحديد ودفعَهم إلى اغتياله؟».

- «أنه كان يُلقي الأسئلة»، أجابَ ڤارس وهو ينسلُّ خارجًا من الباب.

تيريون

وقفَ تيريون لانستر في بَرد الفَجر يُشاهِد تشيجن وهو يذبح حصانه، وفي رأسه سجَّل دَينًا آخَر عليه تسديده لآل ستارك. تصاعدَ البُخار من أحشاء الجثَّة عندما بقرَ المُرتَزِق بطنها بسكِّين السَّلخ، وتحرَّكت يداه برشاقةٍ دون أن يُبَدِّد قطعةً واحدةً من اللَّحم. كان يعمل بسرعةٍ قبل أن تلتقط قِطط الظِّلِّ رائحة الدَّم فتنزل من المرتفَعات.

قال برون: «لن ينام أحدنا جائعًا اللَّيلة». كان هو نفسه أقرب إلى شبح، شديد النُّحول وشديد الصَّلابة، أسودَ الشَّعر وأسودَ العينين وذا لحيةٍ قصيرةٍ خشنة.

علَّق تيريون: «أُخالِفك الرَّأي. إنني لستُ مغرمًا بأكل لحم الحصان، بالذَّات حصاني أنا!».

هَزَّ برون كتفيه قائلًا: «اللَّحم هو اللَّحم. الدوثراكي يُحِبُّون لحم الحصان أكثر من لحم البقرة أو الخنزير».

- «هل تراني من الدوثراكي؟»، سأله تيريون ببرود. الدوثراكي يأكلون لحم الحصان بالفعل، لكنهم كذلك يَترُكون الأطفال المشوَّهين للكلاب البريَّة التي تجري وراء گالاساراتهم. لم يكن يستسيغ عادات وتقاليد الدوثراكي حقًّا.

قطعَ تشيجن شريحةً رقيقةً من اللَّحم الدَّامي من الجثَّة ورفعها ليفحصها، ثم قال: «هل ترغب في تذوُّقها أيها القزم؟».

بلهجةٍ جافَّةٍ قال تيريون: «أخي چايمي أهداني هذه الفَرس في يوم ميلادي الثَّالث والعشرين».

- «اشكره لنا إذن لو رأيته مرَّةً أخرى»، وابتسمَ تشيجن كاشفًا عن أسنانه المصفرَّة، ثم ابتلعَ شريحة اللَّحم النيئة على قضمتين وقال: «مذاقها يدلُّ على حُسن تربيتها».

قال برون: «سيكون مذاقها أفضل إذا حمَّرتها مع بعض البصل».

ابتعدَ تيريون بخطواتٍ عرجاء دون أن يُعَلِّق. كان البَرد قد نخرَ عظامه حتى النُّخاع واستقرَّ فيها، وآلَمَته ساقاه بشدَّةٍ جعلته يستطيع المشي بالكاد. لعلَّ فَرسه الميتة هي المحظوظة حقًّا. كانت أمامه ساعات أخرى من الرُّكوب، تتبعها بضع لُقَمٍ من الطَّعام، ثم نومة باردة قصيرة على الأرض الصُّلبة، ثم ليلة أخرى لا تختلف عن سابقاتها، وأخرى، وأخرى، والآلهة وحدها تعلم كيف سينتهي كلُّ هذا. «عليها اللَّعنة»، تمتمَ وهو يُكافِح ليسير نحو آسِريه وهو يُقسِم لنفسه أنهم سيدفعون الثَّمن. «عليها اللَّعنة هي وكل أبناء ستارك». كانت الذِّكري لا تزال طازجةً مريرةً. في لحظةٍ كان يَطلُب وجبة العشاء، ثم في غمضة عينٍ كان يُواجِه قاعةً كاملةً من المسلَّحين، وچيك يمدُّ يده إلى سيفه، بينما تَصرُخ صاحِبة الخان: «لا سيوف، ليس هنا، أرجوكم!».

أطبقَ تيريون لحظتها على ذراع چيك بسرعةٍ قبل أن يتسبَّب في تحويلهما إلى بضع قِطَعٍ من اللَّحم، وقال: «أين أدبك يا چيك؟ مضيفتنا الكريمة تقول لا سيوف، فافعل كما تقول»، ورسمَ على شفتيه ابتسامةً لا بُدَّ أنها أفشَت بشعوره بالغثيان. «أنتِ ترتكبين خطأً كبيرًا أيها الليدي ستارك. إنني لم ألعب أيَّ دورٍ في الهجوم على ابنكِ. أُقسِمُ بشَرفي أن...».

كان كلُّ ما قالته مُقاطِعةً إياه هو: «شَرف لانستر!»، ثم رفعَت يديها كي تراها القاعة كلها وقالت: «خنجره خلَّف هذه النُّدوب، الخنجر الذي أرسَله لذبح ابني».

شعرَ تيريون بالغضب يتصاعَد من كلِّ مكانٍ حوله ثقيلًا ملتهبًا تُغَذِّيه الجروح العميقة في يدي امرأة ستارك. «اقتلوه»، قالت امرأة قذرة ثملة ما في مؤخِّرة القاعة بصوتٍ كالفحيح، والتقطَت أصوات أخرى الكلمة وبدأت تُرَدِّدها بسرعةٍ عصبيَّةٍ على التَّصديق. أغرابٌ كلهم، كانوا في غاية الوُدِّ منذ لحظاتٍ معدودة، والآن يصيحون طالبين دمه ككلاب الصَّيد وهي تُطارِد فرائسها.

تكلَّم تيريون بصوتٍ عالٍ مُحاوِلًا إخفاء الرَّعشة في صوته: «إذا كانت الليدي ستارك تعتقد أن ثمَّة جرائم ما عليَّ أن أدفع ثَمنها، فسأذهبُ معها وأدفع الثَّمن».

كان هذا هو السَّبيل الوحيد، فمحاوَلة الخروج من هذا الموقف بالقتال لن تكون غير دعوةٍ مبكِّرةٍ إلى القبر. نحو دستة من المسلَّحين استجابوا النداء امرأة ستارك: رجل هارنهال، رجال براكن الثَّلاثة، مُرتَزِقان بغيضا الطَّلعة تشي نظراتهما بأنهما مستعدَّان لقتله إذا تجرَّأ على البصق حتى، بالإضافة إلى عددٍ من الفلَّاحين الذين لم تكن لديهم أدنى فكرة عما يفعلونه. ما الذي كان تيريون يملكه ضِدَّ كلِّ هؤلاء؟ خنجر في حزامه ورجلين. كان چيك مُبارِزًا لا بأس به لكن موريك يكاد لا يُحسَب، فهو مزيج من سائس الخيل والطَّاهي والخادم وليس جنديًّا على الإطلاق. أمَّا بالنِّسبة ليورن، وأيًّا كان شعوره نحو الأمر، فالإخوة السُّود كلهم يُقسِمون ألَّا يكون لهم دور في صراعات البلاد، ومن ثمَّ لن يُحَرِّك يورن ساكنًا من أجله.

وبالفعل انتحى الأخ الأسود جانبًا بصمتٍ عندما قال الفارس المُسِنُّ الواقف إلى جوار كاتلين: «خذوا أسلحتهم»، وتقدَّم المُرتَزِق الذي يُدعى برون ليسحب السَّيف من بين أصابع چيك ويُجَرِّد ثلاثتهم من خناجرهم. «عظيم، عظيم»، قال الفارس المُسِنُّ وقد بدأ التوتُّر ينحسر على نحوٍ ملموس من قاعة الخان العامَّة. تعرَّف تيريون على الصَّوت الغليظ، صوت قيِّم سلاح وينترفل الذي اختفَت شواربه البيضاء الكبيرة لسببٍ ما.

تطايرَ اللُّعاب الملوَّث بالأحمر من فم صاحِبة الخان وهي تتوسَّل لكاتلين ستارك قائلةً: «أرجوكِ لا تَقتُليه هنا!».

وصاحَ تيريون: «لا تَقتُليه في أيِّ مكان!».

- «خُذيه إلى مكانٍ آخَر، لا دم هنا يا سيِّدتي، لا أريدُ صراعات كبار السَّادة».

- «سنأخذه إلى وينترفل»، قالت كاتلين ففكَّر تيريون: حسن، *ربما إذن*... كان قد ألقى نظرةً جيِّدةً على المكان وقتها واستوعبَ الموقف بشكلٍ أفضل، وما رآه لم يُثِر استياءه لتلك الدَّرجة. أوه، امرأة ستارك بارعةٌ بحقٍّ ولا شَكَّ في هذا؛ تدفعهم لتوكيدٍ علنيٍّ على الأيمان التي حلفها أولياء أمورهم لأبيها ثم تطلب منهم العون، وهي امرأة، نعم، جميلٌ حقًّا. غير أن نجاحها لم يكن كاملًا كما تحسب. كان هناك نحو خمسين رجلًا في المكان حسبما قدَّر بنظرةٍ سريعة، بينما لم يُثِر نداء كاتلين ستارك أكثر من دستةٍ منهم فحسب، وبدا الآخَرون مرتبكين أو خائفين أو لا مبالين بالأمر كله. لم يتحرَّك غير اثنين من رجال فراي كما لاحظَ تيريون، ثم إنهما عاودا الجلوس سريعًا لمَّا رأيا أن قادتهما لم ينهضوا من أماكنهم. كان ليبتسم وقتها لو كان يجرؤ.

بدلًا من هذا قال: «إلى وينترفل إذن». كان طريقًا طويلًا كما يُمكنه أن يشهد وقد جاءَ منه للتَّو، وأشياءَ كثيرة جدًّا من الممكن أن تَحدُث على الطَّريق. «سوف يتساءَل أبي عمَّا حَلَّ بي»، أضاف وهو يَنظُر في عين المسلَّح الذي كان قد عرضَ عليه غُرفته. «سيدفع مكافأةً سخيَّةً لأيِّ رجلٍ يذهب إليه بخبر ما حدثَ هنا اليوم». لن يفعل اللورد تايوين شيئًا كهذا بالطَّبع، لكن تيريون يستطيع تعويضه عن هذا عندما يتحرَّر.

نظرَ السير رودريك إلى كاتلين بتوتُّرٍ كما ينبغي له أن يَشعُر الآن، ثم قال: «سيأتي رجلاه معه، ونَشكُر بقيَّتكم إذا لُذتم بالصَّمت حيال ما رأيتم هنا».

بذلَ تيريون كلَّ ما لديه كي لا ينفجر ضاحكًا. إذا لاذوا بالصَّمت؟ يا له من شيخٍ أحمق! ما لم يأتِ الخان كله معهم، فسوف ينتشر الخبر بمجرَّد رحيلهم. سيطير المُحارِب غير النِّظامي ذو العُملة الذَّهبيَّة في جيبه إلى كاسترلي روك كالسَّهم، وإن لم يكن هو فـأحدٌ غيره. سيحمل يورن القصَّة معه إلى الجَنوب، وقد يؤلِّف هذا المغنِّي المغفَّل أغنيَّةً تحكي الواقعة. سيُخبِر رجال فراي سيِّدهم، والآلهة وحدها تعلم ما قد يفعله. قد يكون اللورد والدر فراي حليفًا لريڤررَن، لكنه رجل حَذِر عاشَ أمدًا طويلًا لأنه تأكَّد دومًا من انضمامه إلى الجانب الرَّابح، وعلى أقلِّ تقديرٍ سيُرسِل طيوره جَنوبًا إلى كينجز لاندنج، بل ولربما يجرؤ على أن يفعل أكثر من ذلك.

لم تُضَيِّع كاتلين ستارك وقتًا، وقالت: «يجب أن نتحرَّك في الحال. سنحتاج خيولًا قويَّةً ومؤونةً للطريق. وأنتم أيها الرِّجال، اعلموا أنكم ستحظون بامتنان عائلة ستارك الدَّائم، وإذا اختارَ أيكم أن يُساعِدنا على حراسة أسرانا وإيصالهم إلى وينترفل بأمان، فأعدكم بأنه سينال مكافأةً تليق بخدمته». كان هذا كلُّ ما تطلَّبه الأمر، وتقدَّم الحمقى مندفعين. تطلَّع تيريون إلى وجوههم بإمعان، وأقسمَ لنفسه أنهم سينالون مكافأةً تليق بخدمتهم فعلًا، لكن ربما ليس كما توقَّعوا.

لكن حتى وهُم يدفعونه إلى الخارج كأنه جوال من القَشِّ ويُسرِجون الخيول في المطر ويُقَيِّدون يديه بحبلٍ خشن، لم يَشعُر تيريون لانستر بالخوف حقًّا. كان يُراهِن على أنهم لن يَبلُغوا وينترفل به أبدًا، فالخيَّالة سيكونون في أعقابهم خلال أقلِّ من يوم، وستُحَلِّق الطُّيور حاملةً الخبر إلى كلِّ مكان، ولا شَكَّ أن أحد لوردات النَّهر سيرغب في التزلُّف إلى أبيه فيفعل شيئًا حيال إنقاذه. كان تيريون يُهَنِّئ نفسه على مَكره عندما وضعَ أحدهم عصابةً على وجهه ورفعَه على ظَهر حصان.

تحرَّكوا تحت المطرِ وخيولهم تعدو بسرعةٍ بالغة، ولم يمضِ وقت طويل حتى سرَت التشنُّجات في ساقي تيريون والوجع في إسته. حتى

عندما باتوا على مسافةٍ آمنةٍ من الخان وأمرَت كاتلين ستارك بأن يُبطِئوا سرعتهم، ظلَّت الرِّحلة على الأرض الصُّلبة مؤلمةً مزعجةً له لأقصى حد، وزادَها سوءًا عدم قُدرته على الرُّؤية. كلُّ انحرافٍ أو انعطافٍ كان يضعه في خطر السُّقوط من على ظَهر الحصان، بينما كتمَت العصابة على رأسه الأصوات فلم يتبيَّن ما يُقال من حوله، كما أن المطر بلَّل النَّسيج تمامًا فالتصقَ بوجهه حتى أصبحَ التنفُّس ذاته مشقَّةً، وسحجَ الحبل الخشن معصميه وبدا كأنه يصير أكثر ضيقًا حولهما مع مضيِّ الوقت وزَحْفِ اللَّيل عليهم. فكَّر بأسىً: *كنتُ على وشك الاستقرار أمام نارٍ دافئةٍ والتهام طائرٍ مشوي، لولا أن فتحَ المغنِّي التَّعس فمه.* كان المغنِّي التَّعس قد انضمَّ إليهم. «ثمَّة أغنيَّة عظيمة يُمكن تأليفها عن هذا، وأنا من سيُؤَلِّفها»، قال لكاتلين ستارك عندما أعلنَ عن نيَّته الذِّهاب معهم كي يشهد أحداث تلك المغامَرة الرَّائعة كما أطلقَ عليها. تساءلَ تيريون إن كان الصَّبي سيظلُّ محتفظًا برأيه عن روعة المغامَرة لمَّا يلحق بهم خيَّالة لانستر.

كان المطر قد توقَّف عن الهطول أخيرًا وتسرَّب نور الفَجر عبر النَّسيج المبتلِّ على عينيه، عندما أمرَتهم كاتلين ستارك بالتوقُّف. أنزلَته يدان غليظتان عن حصانه وحلَّتا قيود معصميه ورفعَتا العصابة عن رأسه بحركةٍ سريعة. ثم إنه رأى الطَّريق الحَجري الضيِّق والتِّلال الوعرة ترتفع عاليًا من حولهم والقِمم المكلَّلة بالثُّلوج في الأُفق، وشعرَ بآماله كلها تتحطَّم في أقلِّ من لحظة. قال لاهثًا وهو يَنظُر إلى الليدي ستارك بعينين مليئتين بالاتِّهام: «إننا على الطَّريق العالي، الطَّريق الشَّرقي. قُلتِ إننا ذاهبون إلى وينترفل!».

منحَته كاتلين ستارك ابتسامةً باهتةً للغاية قائلةً: «وردَّدتها مرَّاتٍ عدَّة وبصوتٍ عالٍ. لا شَكَّ أن أصدقاءك سيَسلُكون ذلك الطَّريق عندما يأتون لمُطارَدتنا. أتمنَّى لهم حظًّا سعيدًا!».

حتى الآن، بَعد مرور أيامٍ طويلة، كانت الذِّكري لا تزال تُفعِمه بغضبٍ

مرير. طوال حياته وتيريون يفتخر بدهائه، الموهبة الوحيدة التي ارتأت الآلهة أن تُنعِم عليه بها، لكن تلك الذِّئبة الملعونة سبعًا كاتلين ستارك تفوَّقت عليه في الدَّهاء في كلِّ خطوة. كان مجرَّد معرفته بهذا يملأه سُخطًا أكثر من اختطافه ذاته.

كانوا يتوقَّفون للمدَّة التي تكفي لأن تأكل الخيول وترتوي لا أكثر ثم يتحرَّكوا من جديد. هذه المرَّة لم يضعوا العصابة على رأس تيريون، وبَعد اللَّيلة الثَّانية لم يعودوا يُقَيِّدون يديه، وبمجرَّد أن توغَّلوا بعض الشَّيء في المرتفعَات كفُّوا عن شَغل أنفسهم بحراسته حتى. بدا أنهم لا يخشون أن يهرب، ولِمَ يفعلون؟ كانت الأرض هنا قاسيةً ضاريةً والطَّريق العالي ليس أكثر من ممرٍّ حَجريٍّ ضيِّق. وإذا هربَ، فإلى أين يأمل أن يذهب وهو وحيد بلا مؤن؟ ستصنع منه قِطط الظِّلِّ وجبةً شهيَّةً، والقبائل التي تَسكُن المرتفعَات تتكوَّن من لصوصٍ وقَتَلَةٍ لا يعترفون بأيِّ قانونٍ غير السَّيف. ومع ذلك ظلَّت امرأة ستارك تتقدَّم بهم بلا كلل، وكان يعرف إلى أين يتَّجهون، بل وعرفَ منذ اللَّحظة التي رفعوا فيها العصابة عن عينيه. هذه الجبال تقع تحت ولاية عائلة آرن، وأرملة اليَدِ الرَّاحل من عائلة تَلي، شقيقة كاتلين ستارك... وليست صديقةً لأيٍّ لانستر بحال. كان تيريون يعرف الليدي لايسا بشكلٍ سطحيٍّ خلال سنواتها في كينجز لاندنج، ولم يكن يتطلَّع لأن يُجَدِّد هذه المعرفة.

كان آسِرون متجمِّعين حول غديرٍ قصيرٍ على مسافةٍ محدودةٍ من الطَّريق العالي، وقد شربت الخيول حتى ارتوَت من المياه الباردة كالثَّلج وترعى الآن بين العُشب البُنِّي النَّامي في صُدوع الصُّخور. كان چيك وموريك جالسَيْن متجاورَيْن وقد بدا عليهما البؤس، بينما وقفَ موهور أمامهما متَّكئًا على رُمحه وقد ارتدى قبَّعةً حديديَّةً مستديرةً جعلته يبدو كأنه يضع وعاء طعام على رأسه، وعلى مقربةٍ منهم جلسَ ماريليون المغنِّي يُزَيِّت قيثارته الخشبيَّة ويشكو مما تفعله الرُّطوبة بالأوتار.

- «يجب أن نستريح قليلًا يا سيِّدتي»، كان الفارس الجوَّال السير ويليس وود يقول لكاتلين ستارك وتيريون يدنو من المجموعة. كان رجل الليدي وِنت، عنيدًا متبلِّد الحِسِّ وأول من نهضَ وانضمَّ لامرأة ستارك في الخان.

قال السير رودريك: «السير ويليس مُحِقٌّ يا سيِّدتي. هذا ثالث حصانٍ نفقده».

قالت بحزم: «سنفقد المزيد إذا لحقَ بنا رجال لانستر». كان وجهها مُتعَبًا محمرًّا من جرَّاء التعرُّض المستمرِّ للرِّيح، لكن ملامحها لم تفقد شيئًا من تصميمها.

علَّق تيريون: «فُرصة حدوث هذا هنا ضئيلة».

قال كوركلت -الأحمق البدين ذو الشَّعر القصير ووجه الخنزير- بخشونة: «الليدي لم تَطلُب رأيك أيها القزم». كان أحد رجال براكن، سلاحدار في خدمة اللورد چونوس. كان تيريون قد بذلَ مجهودًا خاصًّا لتذكُّر أسمائهم جميعًا، كي يُعَبِّر لهم لاحقًا عن خالِص امتنانه لمعامَلتهم الرَّقيقة له. اللانستر يُسَدِّد ديونه دائمًا، وسوف يختبر كوركلت هذا بنفسه ذات يوم، هو وصديقاه لاهارس وموهور، والسير ويليس، والمُرتَزِقان برون وتشيجن. أمَّا ماريليون فقد جهَّز له درسًا من نوعٍ خاص، ذلك الأحمق ذو القيثارة الخشبيَّة والصَّوت الصَّادح، الذي كان يُكافِح بتصميمٍ لأن يَنظِم قصيدةً تحتوي على كلمات "عِفريت" و"أعرج" و"رخو".

قالت الليدي ستارك آمرةً: «دعه يتكلَّم».

جلسَ تيريون لانستر على صخرةٍ وقال: «لا بُدَّ أن مُطارِدينا يهرعون قاطعين "العُنق" الآن سعيًا وراء كذبتكِ على طريق الملوك... بافتراض أن هناك مطارَدة طبعًا، وهذا غير مؤكَّد بالمرَّة. أوه، لا شَكَّ أن الخبر قد بلغَ أبي... لكن أبي ليس مولعًا بي لتلك الدَّرجة، ولستُ متأكِّدًا من أنه سيُزعِج نفسه بتحريك أيِّ ساكن». كانت هذه نِصف كذبة، فاللورد

تايوين لم يكن يُبالي مقدار خردلةٍ بحياة ابنه المشوَّه، لكنه لم يكن يتسامَح مع أيِّ إهانةٍ لشَرف العائلة. «إننا في أنحاءٍ قاسيةٍ أيتها الليدي ستارك، ولن تجدي ملجأً حتى تَبلُغي "الوادي"، وكلُّ حصانٍ تفقدينه يُزيد العبء على الآخَرين أكثر وأكثر. الأسوأ من هذا أنك تُخاطِرين بفُقداني أنا! أنا صغير الحجم، ولستُ قويًّا، فما الغاية إذن إذا مِتُّ؟».

لم تكن هذه كذبة على الإطلاق، فتيريون لم يكن يعرف كم يستطيع الاحتمال أكثر من هذا.

قالت كاتلين ستارك: «من المحتمَل أن الغاية هي موتك يا لانستر».

- «لا أظنُّ»، أجابَ تيريون. «إذا أردتِ موتي، فما كان عليكِ إلَّا أن تقولي الكلمة فيرسم أحد أصدقائك الصَّناديد هؤلاء بسمةً حمراء على وجهي»، ورمقَ كوركلت بنظرةٍ ذات معنى، لكنه كان أغبى من أن يشتمَّ السُّخرية في كلام تيريون.

- «آل ستارك لا يغتالون النَّاس في نومهم».

- «ولا أنا. مرَّةً أخرى أقول لكِ إنه لم يكن لي أيُّ يدٍ في محاوَلة اغتيال ابنك».

- «القاتل كان مسلَّحًا بخنجرك».

شعرَ تيريون بحرارة الحنق اللَّافحة تتصاعَد في أعماقه، وقال بإصرار: «لم يكن خنجري. كم مرَّةً ينبغي عليَّ أن أُقسِم على ذلك؟ ليدي ستارك، أيًّا كان ما تعتقدينه عني، فأنا لستُ غبيًّا. فقط الأحمق يُسَلِّح المجرم الذي استأجره بخنجره الخاص».

للحظةٍ خاطفةٍ حسبَ أنه لمحَ الشَّكَّ في عينيها، لكنها قالت: «لماذا يكذب بيتر عليَّ؟».

- «ولماذا يتبرَّز الدُّبُّ في الغابة؟ لأن هذه هي طبيعته. رجلٌ مِثل الإصبع الصَّغير يكذب كما يتنفَّس. من المفترَض أنكِ تعرفين هذا من بين النَّاس أجمعين».

تقدَّمت خطوةً نحوه بملامحٍ مشدودةٍ وسألته: «وما معنى هذا يا لانستر؟».

مالَ تيريون برأسه إلى الجانب وقال: «كلُّ رجلٍ في البلاط سمعه يحكي كيف أنه فَضَّ بكارتكِ يا سيِّدتي».

هدرَت كاتلين ستارك: «هذا كذب!».

وقال ماريليون مصدومًا: «يا لك من عِفريتٍ عديم الحياء!».

سحبَ كوركلت خنجره القبيح المصنوع من الحديد الأسود، وقال: «كلمة واحدة منكِ يا سيِّدتي وسأُلقي لسانه الكذوب عند قدميكِ». كانت عينا الخنزير في وجهه دامعتان من فرط الإثارة والترقُّب.

رمقَت كاتلين ستارك تيريون ببرودٍ لم يرَ مثيلًا له من قبل، وقالت: «بيتر بايلش كان يُحِبُّني ذات يوم. كان مجرَّد صبيٍّ وتسبَّبت عاطفته في مأساةٍ لنا جميعًا، لكنها كانت حقيقيَّةً طاهرةً وليست شيئًا تسخر منه. لقد طلبَ يدي وهذه حقيقة الأمر. أنت رجل شرِّير حقًّا يا لانستر».

- «وأنتِ حمقاء حقًّا يا ليدي ستارك. الإصبع الصَّغير لم يُحِب أحدًا في حياته غير الإصبع الصَّغير، وأؤكِّدُ لكِ أنها ليست يدكِ التي يحكي ويتحاكى عنها، بل هذان الثَّديان العامران، وهذا الفم الجميل، والحرارة بين ساقيكِ».

قبضَ كوركلت على شَعره وشَدَّ رأسه إلى الخلف بعُنفٍ ليكشف عُنقه، وشعرَ تيريون بقُبلة الحديد الباردة تحت ذقنه. «هل أذبحه يا سيِّدتي؟».

قال تيريون لاهثًا: «اقتُلني وستموت الحقيقة معي».

أشارَت كاتلين لكوركلت قائلةً بلهجةٍ آمرة: «دعه يتكلَّم».

تخلَّى كوركلت عن شَعر تيريون على مضضٍ، والتقطَ القزم شهيقًا عميقًا وقال: «ما الذي قاله الإصبع الصَّغير عن وسيلة حصولي على خنجره؟ أجيبي عن هذا السُّؤال».

- «قال إنك ربحته في رهانٍ خلال دورة المباريات التي أقيمَت يوم ميلاد الأمير چوفري».

- «عندما أسقطَ فارس الزُّهور أخي چايمي عن حصانه. هذا ما قاله، أليس كذلك؟».

أجابَت مقطِّبةً جبينها: «هذا صحيح».

- «خيَّالة!».

جاءت الصَّرخة من فوق الأخدود الذي حفرَته الرِّياح من فوقهم، حيث كان السير رودريك قد أرسلَ لاهارس ليُراقِب الطَّريق بينما يستريح بقيَّتهم.

للحظةٍ دامَت أطول من اللَّازم لم يتحرَّك أحدهم من مكانه، ثم إن كاتلين ستارك صاحَت: «سير رودريك، سير ويليس، إلى الخيول، ضعا بقيَّتها وراءنا. موهور، احرُس الأسرى».

انتفضَ تيريون واقفًا وأطبقَ على ذراعها قائلًا: «سلِّحونا. ستحتاجون كلَّ رجل».

كانت تُدرِك أنه على حقٍّ ورأى هو هذا في عينيها. قبائل الجبال لا تُبالي مقدار ذرَّةٍ بالعداوات بين العائلات الكُبرى، ولا فرقَ لديهم إن كان من يذبحونه ستارك أم لانستر، تمامًا كما يذبَحون بعضهم بعضًا، وثمَّة احتمال ألَّا يذبحوا كاتلين، فهي ما زالت صغيرةً بما يكفي لأن تحمل بالمزيد من الأبناء. لكنها ظلَّت متردِّدةً رغم ذلك.

- «إنني أسمعهم!»، صاحَ السير رودريك، وأدارَ تيريون رأسه ليُصغي، وكانت الأصوات مسموعةً بالفعل: حوافر، دستة من الخيول أو أكثر تدنو منهم. وفجأةً كان الجميع يهرعون إلى خيولهم وأسلحتهم.

تساقطَ الحصى حولهم ولاهارس يهبط من أعلى الأخدود منزلقًا بسرعة، ثم يحُطُّ لاهثًا أمام كاتلين ستارك. كان رجلًا غليظ الملامح ذا شَعرٍ مبعثَرٍ خشن بلون الصَّدأ يَبرُز من تحت قبَّعته الحديديَّة ذات الشَّكل

المخروطي. «عشرون رجلًا، وربما خمسة وعشرون»، قال بلهفة. «إمَّا من قبيلة ثعابين الحليب أو إخوة القَمر. لا بُدَّ أن لديهم مُراقِبين متوارين في هذه الأنحاء يا سيِّدتي. إنهم يعرفون أننا هنا».

كان السير رودريك قد امتطى حصانه بالفعل وسيفه الطَّويل في يده، بينما جثمَ موهور وراء جُلمودٍ ويداه تُحيطان برُمحه ذي الرَّأس الحديدي وخنجره بين أسنانه، وصاحَ السير ويليس في ماريليون: «ساعِدني على تثبيت واقي الصَّدر»، إلَّا أن المغنِّي جلسَ متجمِّدًا في مكانه وقد قبضَ على قيثارته وامتقعَ وجهه تمامًا، لكن موريك رجل تيريون نهضَ مسرعًا واندفعَ ليُساعِد الفارس على تثبيت دِرعه.

ظَلَّ تيريون مُطبِقًا على يد كاتلين، وقال: «ليس لديك خيار. هناك ثلاثة منا ورجل رابع يَحرُسنا، أربعة رجال يعنون الفارق بين الحياة والموت هنا».

- «أعطِني كلمتك أنكم ستضعون سيوفكم بمجرَّد انتهاء القتال».

باتَت أصوات حوافر الخيول أعلى كثيرًا الآن، وابتسمَ تيريون بسخريةٍ وقال: «كلمتي؟ أوه، لكِ هذا يا سيِّدتي، أعدكِ بشَرفي كلانستر».

للحظةٍ حسبَ أنها ستَبصُق عليه، لكنها صاحَت مبتعدةً بخطواتٍ سريعة: «سلِّحوهم». ألقى السير رودريك سيف چيك إليه ثم دارَ ليُلاقي العَدُو، والتقطَ موريك قوسًا وجعبة سهام وركعَ على رُكبةٍ واحدةٍ على جانب الطَّريق، فهو أبرع في الرِّماية من المُبارَزة، ودنا برون على حصانه من تيريون وناوَله بلطةً مزدوجةً.

قال تيريون: «لم أُقاتِل ببلطةٍ من قبل». كان لها إحساسٍ غير مألوفٍ وغير مريح بين يديه، بمقبضها القصير ورأسها الثَّقيل ذي النُّتوء القبيح.

- «تظاهَر بأنك تضرب جذع شجرة»، قال برون وهو يسحب سيفه الطَّويل من الغِمد المثبَّت على ظَهره، ثم بصقَ وتحرَّك ليتَّخذ مكانه إلى جوار تشيجن والسير رودريك، ووثبَ السير ويليس على حصانه واندفعَ

إلى جوارهم وهو يُثبِّت خوذته ذات فتحة العينين الرَّفيعة والذَّيل الأسود الحريري الطَّويل على رأسه.

غمغمَ تيريون لنفسه: «جذوع الأشجار لا تنزف». شعرَ بأنه عارٍ بلا دِرع، وتلفَّت حوله باحثًا عن صخرةٍ ثم هُرِعَ إلى تلك التي اختبأ ماريليون وراءها قائلًا: «أفسِح لي مكانًا».

صرخَ الصَّبي في وجهه: «ابتعد عني! أنا مغنٍّ ولا مكان لي هنا!».

قال تيريون ساخرًا: «هل فقدت حُبَّك للمغامَرة؟»، وركلَه بطرف حذائه حتى أفسحَ له مكانًا إلى جواره، وفي اللَّحظة المناسبة تمامًا، ففي اللَّحظة التَّالية مباشرةً انقضَّ عليهم مُهاجِموهم.

لم يكن هناك نداء أو رايات أو نفير أو طبول، فقط رنين الأسهُم التي انهمرَت من قوسي موريك ولاهارس، ثم انشقَّ الفَجر عن رجال القبائل. جاءوا هادرين بهيئتهم الكئيبة وقد ارتدوا الجلود المقوَّاة بالزَّيت المغلي ودروعًا غير متناسقةٍ مع بعضها بعضًا، وتوارَت وجوههم وراء خوذاتٍ قصيرة، بينما قبضَت أيديهم على مختلف أنواع الأسلحة: سيوف طويلة ورماح ومناجل مشحوذة، هرَّاوات شائكة وخناجر ومَطارق حديديَّة ثقيلة. على رأسهم كان رجل كبير الحجم في معطفٍ مخطَّط من جِلد قِطط الظِّلِّ تسلَّح بسيفٍ عظيم ذي مقبضٍ مزدوج. هتفَ السير رودريك: «وينترفل!» واندفعَ ليلقاه وبرون وتشيجن إلى جواره مُطلِقين نداء حربٍ ما، وتبعهم السير ويليس وود ملوِّحًا بسلسلةٍ تنتهي بكرةٍ شائكةٍ فوق رأسه هاتفًا: «هارنهال! هارنهال!». شعرَ تيريون برغبةٍ مفاجئةٍ بأن ينتفض ناهضًا ويُلَوِّح ببلطته هاتفًا بدوره: «كاسترلي روك!»، لكن اللَّوثة مرَّت بسرعةٍ وانخفضَ بجسده أكثر.

سمعَ صراخ الخيول المفزوع وارتطام الحديد بالحديد. شطرَ سيف تشيجن وجه خيَّالٍ درَّع جسده بالحلقات المعدنيَّة وتركَ وجهه عاريًا، واندفعَ برون بين رجال القبائل كزوبعةٍ مُسقِطًا إياهم يمينًا ويسارًا، وهوى

السير رودريك بسيفه بأعنف ما لديه على الرَّجل ذي المعطف الجِلدي وتبادَلا الضَّربات وحصاناهما يَرقُصان حول أحدهما الآخَر. وثبَ چيك على ظَهر حصانٍ وانطلقَ إلى حومة القتال بلا دِرع، ثم رأى تيريون رأس سهم ينبثق من حَلق الرجل ذي المعطف الجِلدي، وعندما فتحَ فمه ليَصرُخ تدفَّق منه الدَّم، ولمَّا سقطَ كان السير رودريك قد التفتَ لقتال رجلٍ جديد بالفعل.

ولولَ ماريليون فجأةً وغطَّى رأسه بالقيثارة عندما وثبَ حصان من فوق الصَّخرة التي اختبأ خلفها، ونهضَ تيريون مذعورًا والخيَّال يلتفت ليُهاجِمهما حاملًا مطرقةً شائكة. لوَّح تيريون ببلطته بكلتا يديه، وأصابَت البلطة الحصان المُهاجِم في حَلقه وانغرسَت في اللَّحم، وكادَت تُنتَزَع من يد تيريون والحصان يتهاوى صارخًا، لكنه استطاعَ انتزاعها في اللَّحظة الأخيرة ويقفز مبتعدًا عن الطَّريق كيفما اتَّفق، بينما لم يُحالِف الحَظُّ نفسه ماريليون الذي انهارَ الحصان وراكبه فوقه بمنتهى العُنف. ثم إن تيريون هوى بالبلطة على قاطِع الطَّريق الذي علقت ساقه تحت الحصان، ودفنَها في عُنقه فوق لوحي الكتف مباشرةً. سمعَ ماريليون يئن من تحت جثَّة الحصان ويقول باكيًا: «ساعِدوني، بحقِّ الآلهة، إنني أنزف!».

قال تيريون: «أعتقدُ أنها دماء الحصان»، وخرجَت يد المغنِّي زاحفةً من تحت الحيوان الميت تتحسَّس الأرض كعنكبوتٍ بخمس سيقان، ووضعَ تيريون كعب حذائه على الأصابع الملهوفة وضغطَ به حتى سمعَ صوت كسر العظام المُرضي، ثم قال للمغنِّي: «أغمِض عينيك وتظاهَر بأنك ميت»، ثم التقطَ البلطة وابتعدَ مسرعًا.

بَعدها اختلطَ كلُّ شيءٍ بكلِّ شيء. أفعمَ الفَجر الصِّياح والصُّراخ ورائحة الدِّماء، واستحالَ العالم كله من حولهم إلى فوضى. سمعَ تيريون السِّهام تُهَسهِس وترتطم بالصُّخور، ورأى برون يَسقُط عن حصانه ثم يُواصِل القتال بسيفين في يديه. رأى كلَّ ما يَحدُث، أبقى نفسه على حافَّة

القتال، ينزلق من صخرةٍ إلى أخرى ثم يندفع من بين الظِّلال ليهوي على قوائم الخيول العابرة ببلطته، ثم إنه وجدَ أحد رجال القبائل وقد سقط جريحًا، وتركه ميتًا قبلَ أن يأخذ خوذته القصيرة ويُثبِّتها على رأسه. وجدَها ضيِّقةً أكثر من اللَّازم، لكنه سعدَ لوجود أيِّ حمايةٍ على الإطلاق. تلقَّى چيك ضربةً من الخلف وهو يضرب رجلًا أمامه في الآن نفسه، ولاحقًا تعثَّر تيريون في جثَّة كوركلت. كان وجه الخنزير تهشَّم بفعل عصا شائكة، لكنه تعرَّف على الخنجر القبيح وانتزعه من بين أصابع الرَّجل الميت، وكان يدسُّه في حزامه عندما سمعَ صرخة امرأة.

كانت كاتلين ستارك عالقةً بين وجه الجبل الحَجري والرِّجال الثَّلاثة الذين أحاطوا بها، أحدهم على متن حصانه والآخَران على أقدامهما، وقد قبضَت بيديها المشوَّهتين على خنجرٍ لوَّحت به في وجوههم بحركاتٍ خرقاء، لكن ظَهرها كان إلى الصُّخور الآن وثلاثتهم يُحاصِرونها من الاتِّجاهات الأخرى. فكَّر تيريون: *فليأخذوا الحقيرة ويهنأوا بها*، لكنه ظَلَّ يتحرَّك نحوهم على الرغم من ذلك. هوَت ضربته على باطن رُكبة الرَّجل الأول قبل أن يُلاحِظوا وجوده حتى، وشَقَّ رأس البلطة الثَّقيل اللَّحم والعظام كالخشب العَفِن. *جذوع أشجارٍ تنزف*، قال لنفسه والثَّاني يُهاجِمه، وانحنى ليتفادى ضربة السَّيف ثم طوَّح البلطة في وجهه، فتراجعَ الرَّجل خطوةً إلى الوراء... فقط ليفتح خنجر كاتلين ستارك عُنقه. عندها تذكَّر ثالثهم راكب الحصان موعدًا مهمًّا في مكانٍ آخَر واندفعَ هاربًا.

تطلَّع تيريون حوله ليجد جميع الأعداء سقَطوا أو فرُّوا. بشكلٍ ما انتهى القتال دون أن يُدرِك، وانطرحَ الرِّجال الجرحى والخيول المحتضرة أرضًا في كلِّ مكانٍ بين صراخٍ وأنين، ولدهشته الشَّديدة لم يكن واحدًا منهم. فتحَ أصابعه وتركَ البلطة تَسقُط على الأرض بصوتٍ مكتوم، ورمقَ أصابعه التي أغرقَتها الدِّماء والتصقَت بها على نحوٍ لزج. كان ليُقسِم أن القتال استمرَّ لنِصف يومٍ كامل، لكن الشَّمس كانت لا تزال في موضعها نفسه تقريبًا.

- «معركتك الأولى؟»، سأله برون لاحقًا وهو يميل على جثَّة چيك ويخلع حذاءه الثَّقيل. كان حذاءً ممتازًا كما يليق بأحد رجال اللورد تايوين، متينًا وليِّنًا وأفضل بكثير من الذي يرتديه برون.

أومأ تيريون برأسه إيجابًا وقال: «سيفخر بي أبي كثيرًا». كانت التشنُّجات في ساقيه قاسيةً للغاية لدرجة أنه استطاعَ الوقوف بالكاد، ومن الغريب أنه لم يَشعُر بشيءٍ من هذا الألم خلال المعركة.

قال برون بلمعةٍ في عينيه السَّوداوين: «أنت في حاجة إلى امرأةٍ الآن»، وألقى حذاء چيك في العِدل المثبَّت بسَرج حصانه مضيفًا: «لا شيء يُضاهي امرأةً بَعد القتال، ثِق بي».

سمعه تشيجن وتوقَّف لحظةً عن نَهْبِ جثث قُطَّاع الطَّريق ليلهث ويلعق شفتيه، بينما ألقى تيريون نظرةً على الليدي ستارك التي كانت تُضَمِّد جروح السير رودريك، وقال: «أنا مستعدٌّ إذا كانت مستعدَّةً»، فانفجرَ المُحارِبون غير النِّظاميِّين ضاحكين وابتسمَ تيريون قائلًا لنفسه: *هذه بداية*.

بَعد ذلك ذهبَ إلى الغدير وركعَ على حافَّته ليغسل وجهه من الدِّماء بالمياه الباردة كالثَّلج، ثم عادَ يَعرُج إلى الآخَرين ملقيًا نظرةً على القتلى. كان رجال القبائل الموتى نحيلين ذوي ثيابٍ بالية، خيولهم هزيلة صغيرة الحجم تَبرُز ضلوعها من تحت الجِلد، وما تبقَّى من الأسلحة التي تركَها لهم برون وتشيجن بلا قيمةٍ تقريبًا، سواء المَطارق أو الهرَّاوات أو المنجل... تذكَّر الرَّجل الكبير الذي ارتدى المعطف جِلد قِط الظِّل، الذي بارزَ السير رودريك بالسَّيف العظيم ذي المقبض المزدوج، لكن لدى عثوره على جثَّته الملقاة الأرض الحَجريَّة رأى أنه لم يكن كبيرًا لتلك الدَّرجة حقًّا. لم يَعُدْ معطفه هناك، ولاحظَ تيريون أن نصل السَّيف كان مفلولًا للغاية وشاعَ فيه الصَّدأ. لا عجب إذن أن تسعة من رجال القبائل سقَطوا صرعى.

من مجموعتهم سقطَ ثلاثة: كوركلت وموهور رجلا اللورد براكن، بالإضافة إلى رجله چيك الذي أثبتَ شَجاعته عندما انضمَّ إلى القتال بلا دِرع. *أحمق حتى النِّهاية*، فكَّر تيريون.

- «ليدي ستارك، أُناشِدكِ أن نُواصِل التحرُّك بكلِّ ما لدينا من سرعة»، قال السير ويليس وعيناه تمسحان المكان من حولهم بحذرٍ عبر الشِّقِّ الضيِّق في خوذته. «لقد أبعدناهم في الوقت الحالي، لكنهم لن يبتعدوا كثيرًا».

قالت: «يجب أن ندفن موتانا يا سير ويليس. لقد كانوا رجالًا شجعانًا، ولن أتركهم للغِربان وقِطط الظِّلِّ».

- «الأرض حَجريَّة ولن تَصلُح للحفر».

- «سنجمع الحجارة وندفنهم تحتها إذن».

قال برون: «اجمعي كلَّ ما تشائين من حجارة، لكن من دوني أنا وتشيجن. إن لديَّ أشياءَ أفضل أفعلها من رَصِّ الحجارة فوق الموتى... منها أن أظلَّ أتنفَّس»، ثم نظرَ إلى بقيَّة النَّاجين قائلًا: «فليأتِ معنا من يرغب في أن يكون حيًّا عندما يحلُّ المساء».

قال السير رودريك بإنهاك: «أخشى أنه على حقٍّ يا سيِّدتي». كان الفارس المُسِنُّ قد أصيب في القتال بجرحٍ عميقٍ في ذراعه اليُسرى ورُمحٍ أصابَ جانب عُنقه، والآن كانت نبرته تشي بعُمره الحقيقي. «سوف يُهاجِموننا من جديد بلا شَكٍّ إذا بقينا هنا، وقد لا ننجو من هجمتهم الثَّانية».

رأى تيريون الغضب جليًّا على وجه كاتلين ستارك، لكنها لم تكن تملك الخيار، فقالت: «لتُسامِحنا الآلهة إذن. سنتحرَّك في الحال».

لم يكن هناك نقص في الخيول الآن. نقلَ تيريون سَرجه إلى حصان چيك الأرقط، الذي بدا قويًّا بما يكفي لأن يحتمل مشقَّة الرِّحلة لثلاثة أو أربعة أيام أخرى على الأقل، وكان على وشك امتطائه عندما توقَّف لاهارس أمامه قائلًا بخشونة: «سآخذُ هذا الخنجر الآن أيها القزم».

- «دعه يحتفظ به»، قالت كاتلين ستارك من فوق حصانها. «واجعله يأخذ بلطته كذلك، فقد نحتاجها إذا هاجَمونا مرَّةً أخرى».

قال تيريون وهو يركب الحصان الأرقط: «لكِ شُكري يا سيِّدتي».

ردَّت ببرود: «وفِّر شُكرك. إنني لا أثِقُ بك أكثر مما كنتُ أفعل من قبل»، وتحرَّكت من أمامه قبل أن يُفَكِّر في أيِّ إجابة.

عدَّل تيريون خوذته المسروقة على رأسه وأخذَ البلطة من برون. تذكَّر كيف بدأ هذه الرِّحلة بمعصمين مقيَّدين وعصابةٍ حول رأسه، وقرَّر أن هناك تحسُّنًا لا شَكَّ فيه في الوضع. فلتحتفظ الليدي ستارك بثقتها، وطالما يستطيع الاحتفاظ بالبلطة فسيعتبر نفسه متقدِّمًا عليها في هذه اللُّعبة.

تقدَّمهم السير ويليس بينما أخذَ برون المؤخِّرة والليدي ستارك في المنتصَف والسير رودريك كالظِّلِّ إلى جوارها، فيما ظَلَّ ماريليون يرمي تيريون بنظراتٍ واجمةٍ بقيَّة الطَّريق. كان المغنِّي قد كسرَ عدَّة أضلاع، بالإضافة إلى قيثارته الخشبيَّة وأربعةً من أصابع اليد التي يعزف بها، وإن لم يُشَكِّل اليوم خسارةً كاملةً له، فقد عثرَ على معطفٍ ثقيلٍ مصنوعٍ من جِلد قِطط الظِّلِّ المخطَّط بالأبيض ومبطَّن بالفرو الأسود السَّميك، وأحاطَ به جسده بإحكام، ولمرَّةٍ لاذَ بالصَّمت التَّام دون أن يُلقي تعليقاته السَّخيفة.

لم يكونوا قد قطعوا نِصف ميلٍ حتى سمعوا دمدمة قِطط الظِّلِّ العميقة من ورائهم، وبَعدها زمجرة تلك الوحوش الضَّارية وهي تتصارَع على لحم الجثث التي تركوها. امتقعَ وجه ماريليون لدرجةٍ ملحوظة، ودنا تيريون منه قائلًا: «جرِّب أغنيَّةً تجمع بين "جبان" و"غراب"»، ثم تجاوَزه إلى حيث السير رودريك وكاتلين ستارك، التي رمقَته بنظرةٍ صامتةٍ حادَّة، فقال: «كما كنتُ أقولُ قبل أن يُقاطِعونا على هذا النحو الوقح، ثمَّة ثغرة كبيرة في أكذوبة الإصبع الصَّغير. أيًّا كان ما تعتقدينه عني أيتها الليدي ستارك، دعيني أؤكِّدُ لكِ أني لا أُراهِن ضِدَّ عائلتي... أبدًا».

آريا

قوَّس القِطُّ الأسود ذو الأُذن الواحدة ظَهره وهسهسَ في وجهها.

تقدَّمت آريا بخفَّةٍ في الزُّقاق وقد وازنَت نفسها جيِّدًا على المفصلين الكرويَّين في قدميها الحافيتين، وأصغَت إلى خفقات قلبها وأخذَت تلتقط أنفاسًا بطيئةً عميقةً. *بهدوء الظِّلال... بخفَّة الرِّيش*، قالت لنفسها، وراقَبها القِطُّ بعينين حذرتين إذ دنَت منه. الإمساك بالقِطط صعبٌ حقًّا. كانت يداها مغطَّاتين بالخدوش نِصف الملتئمة، بينما اكتسَت جروح رُكبتيها بالقشور حيث كانت قد جرحَتهما مرارًا في سقطاتها المتعدِّدة. في البدء استطاعَ حتى القِطُّ السَّمين الذي يُرَبِّيه الطَّاهي في المطبخ التملُّص منها، لكن سيريو أمرَها بمُواصَلة المحاوَلة ليلًا نهارًا، وعندما عادَت إليه بيدين داميتين قال لها: «بطيئة جدًّا. يجب أن تكوني أسرع يا فتاة، وإلَّا أصابَكِ أعداؤكِ بما هو أكثر من الخدوش»، ثم دهنَ الجروح بالصَّبغة المايريَّة التي كوَتها على نحوٍ شديد الإيلام جعلها تعضُّ شفتها كي تمنع نفسها من الصُّراخ، قبل أن يُرسِلها لمُطارَدة المزيد من القِطط.

القلعة الحمراء مليئة بالقِطط... قِطط عجوز كسول تغفو في الشَّمس، قِطط تخصَّصت في صيد الفئران ذات عيونٍ باردةٍ وذيولٍ لا تعرف الثَّبات، قِطط صغيرة سريعة الحركة لها مخالب كالإبر، قِطط السيِّدات المرفَّهة ذات الشَّعر الممشَّط والطَّبيعة الودود، قِطط بائسة مشعثة تبحث عن رزقها في أكوام القمامة. واحدة تلو الأخرى طاردَتها آريا وأمسكَت

بها وأخذَتها إلى سيريو فورل شاعرةً بالفخر بنفسها... كلها باستثناء هذا القِط الأسود الشَّيطان ذي الأُذن الواحدة. في مرَّةٍ قال لها أحد حَرس المدينة ذوو المعاطف الذَّهبيَّة: «هذا القِطُّ هو المَلك الحقيقي في هذه القلعة. إنه عجوز جدًّا وشديد الشَّراسة. ذات يوم أقامَ المَلك مأدبةً على شَرف أبي المَلكة، ويومها وثبَ هذا الوغد الأسودُ على المائدة واختطفَ طائر سمَّان مشويًّا من يد اللورد تايوين، وضحكَ روبرت بقوَّةٍ حتى كادَ ينفجر. أنصحكِ بالابتعاد عنه أيتها الصَّغيرة». لكنها كانت قد قطعَت نِصف القلعة في مُطارَدته بالفعل، مرَّتين حول بُرجِ اليَد، وعبر الفِناء الدَّاخلي وبعده الاسطبلات، ثم على السَّلالم الملتفَّة ومرورًا بالمطبخ الصَّغير وحظيرة الخنازير وثكنة المعاطف الذَّهبيَّة، وبطول السُّور المطلّ على النَّهر، ثم صعودًا على سلالم البُرج المعروف في القلعة باسم "مشية الخونة" ويضمُّ المدخل إلى الزَّنازين، ثم نزولًا من جديدٍ وخلال بوَّابةٍ وحول بئرٍ ودخولًا إلى مبانٍ غريبةٍ وخروجًا منها، إلى أن لم تَعُدْ آريا تدري أين هي.

والآن ها هي تُحاصِره أخيرًا. على جانبي الزُّقاق كان جِداران عاليان، ومن أمامها كتلة حَجريَّة مصمتة بلا نوافذ. *بهدوء الظِّلال*، ردَّدت لنفسها وهي تتقدَّم بتأنٍّ، *بخفَّة الرِّيش*.

عندما باتَت على بُعد خطواتٍ ثلاث منه لا أكثر، انطلقَ القِطُّ الأسود بسرعة السَّهم، يسارًا ثم يمينًا، وتحرَّكت آريا معه لتقطع عليه طريق الهرب. هسهسَ مرَّةً أخرى وحاولَ الاندفاع من بين ساقيها، لكنها ردَّدت لنفسها: *بسرعة الثُّعبان*، وأطبقَت يداها عليه وضمَّته إلى صدرها. أخذَت آريا تدور حول نفسها وتضحك بصوتٍ عالٍ والقِطُّ يُمَزِّق وجه سُترتها الجِلديَّة بمخالبه الطَّويلة الحادَّة دون أن يتوقَّف لحظةً عن المواء الغاضب، ثم بسرعةٍ شديدةٍ طبعَت قُبلةً على جبهته بين العينين وارتدَّت برأسها إلى الوراء قبل أن تصل مخالبه إلى وجهها.

- «ما الذي تفعله بهذا القِط؟».

مفزوعةً تخلَّت آريا عن صيدها الثَّمين ودارَت على عقبيها في اتِّجاه الصَّوت، بينما اندفعَ القِطُّ نفسه فارًّا في غمضة عين. في نهاية الزُّقاق وقفَت فتاة يُكَلِّل رأسها شَعر بلون الذَّهب، ترتدي ثيابًا جميلةً من الحرير الأزرق جعلتها تبدو كدُمية، وإلى جوارها ولد صغير أشقر ممتلئ الجسم، طُرِّز وَعْلٌ واثبٌ باللُّؤلؤ على صدر سُترته، وتدلَّى سيف صغير الحجم من حزامه. فكَّرت آريا: *الأميرة مارسلا والأمير تومن*. كانت هناك سِپتة ضخمة الحجم كحصان جَرٍّ تقف وراءهما، ومن ورائها رجلان كبيران يرتديان المعاطف القرمزيَّة، فعرفت آريا أنهما من حَرس لانستر.

- «ما الذي كنت تفعله بهذا القِطِّ يا ولد؟»، سألت مارسلا مرَّةً أخرى بلهجةٍ صارمة، ثم التفتَت إلى أخيها وقالت ضاحكةً: «انظُر إليه. هل ترى ثيابه الرثَّة؟».

إنهما لا يعرفان من أكون، لا يُدرِكان أني فتاة حتى. لا داعي للعجب، فقد كانت آريا متَّسخةً حافية القدمين، تشابكَ شَعرها وتجعَّد بَعد الجري الطَّويل في أنحاء القلعة المختلفة، وترتدي سُترةً مزَّقتها مخالب القِط وسروالًا خشنًا مقطوعًا عند الرُّكبتين. لا أحد يرتدي تنُّورةً وملابس حريريَّةً عندما يُطارِد القِطط. بسرعةٍ خفضَت رأسها وركعَت على ساقٍ واحدة. ربما لن يتعرَّفا عليها، وإذا فعلا فلن تكون النَّتيجة خيرًا أبدًا. ستُصاب السِّپتة بالرُّعب ولن تتكلَّم سانزا معها ثانيةً أبدًا من فرط الخزي.

تقدَّمت السِّپتة العجوز البادنة وقالت: «كيف جئت إلى هنا يا ولد؟ لا يحقُّ لك أن تتواجَد في هذا الجزء من القلعة».

علَّق أحد المعطفين القرمزيَّين: «لا يُمكنكِ منع أمثاله من الدُّخول، كأنكِ تُحاولِين منع الجرذان».

قالت السِّپتة بلهجةٍ آمرة: «إلى من تنتمي يا ولد؟ أجِبني... ماذا بك؟ هل أنت أبكم؟».

علقَ صوت آريا في حَلقها ولم تقوَ على الكلام. إذا أجابَت فسيعرف تومن ومارسلا من تكون بالتَّأكيد.

قالت السِّپتة لأحد الحارسين: «جودوين، ائتِ به إليَّ»، فتحرَّك الحارس الأطول قامةً عبر الزُّقاق متقدِّمًا نحوها، وأطبقَ الهلع على حَلق آريا بيدٍ من حديد، فلم تكن لتستطيع الكلام الآن حتى لو اعتمدَت حياتها على هذا، ولنفسها ردَّدت: *بهدوء المياه الرَّاكدة*. وإذ مَدَّ جودوين يده نحوها تحرَّكت آريا... *بسرعة الثُّعبان*... مالت إلى اليسار تاركةً أطراف أصابعه تمسُّ ذراعها وهي تدور من حوله... *بنعومة الحرير الصَّيفي*... ولمَّا التفتَ إليها كانت تندفع إلى الطَّرف الآخَر من الزُّقاق... *برشاقة الغزال*... كانت السِّپتة تَصرُخ فيها، وانزلقَت آريا بين ساقين سميكتين بيضاوين كالأعمدة الرُّخاميَّة، ثم هبَّت ناهضةً لترتطم بالأمير تومن ووثبَت من فوقه وهو يَسقُط على مؤخِّرته الصَّغيرة صائحًا: «أوف!»، قبل أن تتفادى الحارس الثَّاني وتندفع مغادرةً الزُّقاق كله.

سمعَت صياحًا وخطوات أقدامٍ قويَّة تدقُّ الأرض وراءها، فسقطَت بنفسها أرضًا وتدحرجَت ليتجاوَزها المعطف الأحمر متعثِّرًا، ثم عادَت تنهض بسرعةٍ ورأت نافذةً فوقها، عاليةً ضيِّقةً لا يزيد عرضها على فتحة رمي السِّهام، لكن آريا وثبَت إليها وتعلَّقت بعتبتها ودفعَت نفسها إلى أعلى، وحبسَت أنفاسها وهي تَحشُر نفسها وتمرُّ بصعوبةٍ مردِّدةً في أعماقها: *بانسيابيَّة ثعبان الماء*. هبطَت على الأرض فجأةً لتُثير فزع عاملة نظافةٍ ما، ثم اعتدلت ونفضت ملابسها المهترئة وانطلقَت تركض من جديد خارجةً من الباب لتقطع رواقًا طويلًا، ثم بضع درجاتٍ نزولًا، ومنها إلى فِناءٍ خفي، قبل أن تدور حول منعطفٍ ما ينتهي بسورٍ تسلَّقته لتَعبُر بَعدها من نافذةٍ واطئةٍ ضيِّقةٍ إلى قبوٍ دامس الظَّلام؛ وصارَت الأصوات أبعد وأبعد من خلفها.

كانت متقطِّعة الأنفاس وضائعةً تمامًا، ولا شَكَّ أنها تورَّطت أكثر من اللَّازم في هذا المأزق إذا تعرَّف الأمير والأميرة عليها، لكنها لا تعتقد أنهما فعَلا، فقد تحرَّكت بسرعةٍ شديدة... *برشاقة الغزال*.

جلسَت آريا القرفصاء في الظُّلمة وأسندَت ظَهرها إلى جِدارٍ حَجريٍّ رطب وأصغَت، لكن الصَّوت الوحيد الذي تناهى إلى مسامعها كان صوت دقَّات قلبها وخرير ماءٍ بعيد. *بهدوء الظِّلال*، ردَّدت لنفسها.

تساءَلت أين هي الآن. في بداية مجيئهم إلى كينجز لاندنج كانت تُراوِدها أحلام سيِّئة ترى فيها نفسها وقد ضلَّت سبيلها في طُرقات القلعة. أبوها قال إن القلعة الحمراء أصغر من وينترفل، لكنها كانت ضخمةً حقًّا في أحلامها، متاهةً حَجريَّةً بلا نهايةٍ ذات أسوارٍ تتغيَّر وتتبدَّل طوال الوقت من حولها. كانت تجد نفسها تجوب أروقةً كئيبةً عُلِّقَت فيها ستائر بهتَت رسومها الملوَّنة، تنزل سلالم ملولبةً لا تنتهي، تندفع قاطعةً ساحةً أو جسرًا، تصيح وما من مجيب. في بعض الغُرف كانت الجدران الحَجريَّة الحمراء تنزف دمًا وقد اختفَت نوافذها كلها، وفي أحيانٍ كانت آريا تسمع صوت أبيها وإن كان يأتي خافتًا دومًا ومن على مسافةٍ كبيرة، ومهما ركضَت نحوه بمنتهى سرعتها كان الصَّوت يخفت ويخفت إلى أن يتلاشى تمامًا وتبقى آريا وحدها في الظُّلمات.

وكان الظَّلام مُطبِقًا بحقٍّ الآن، وضمَّت آريا رُكبتيها المكشوفتين إلى صدرها بقوَّةٍ وارتجفَت. سوف تنتظر بهدوءٍ وتعدُّ حتى عشرة آلاف، وبَعدها ستستطيع الخروج من النَّافذة والعودة.

لمَّا بلغَت رقم 87 كان المكان قد بدأ ينير بعض الشَّيء مع اعتياد عينيها على الظَّلام، وببُطءٍ أخذَت الأشياء المحيطة بها شكلها الحقيقي. حدَّقت فيها عيون خاوية ضخمة بجوعٍ عبر حُجب الظَّلام، ولمحَت آريا ظلال الأنياب الطَّويلة. توقَّفت عن العَدِّ وأغلقَت عينيها وعضَّت شفتيها طاردةً الخوف من نفسها. عندما تَنظُر مجدَّدًا ستكون الوحوش قد

اختفَت كأنها لم تكن. تظاهرَت بأن سيريو جالس إلى جوارها في الظَّلام، ولنفسها ردَّدت: *بهدوء المياه الرَّاكدة، بقوَّة الدُّب*، *بشراسة الوولفرين*... ثم فتحَت عينيها.

كانت الوحوش لا تزال هناك، لكن الخوف تلاشى تمامًا.

نهضَت آريا وتحرَّكت بحذر بين الرؤوس المحيطة بها. تحسَّست واحدًا بفضولٍ متسائلةً إن كان حقيقيًا، ومسَّت أطراف أصابعها فكًّا ضخمًا. لا ريب أنه حقيقي، فالعظام ملساء لها ملمس بارد صُلب. مرَّرت أصابعها على نابٍ أسودَ حادٍّ كأنه خنجر مقدود من الظَّلام... وارتجفَت.

بصوتٍ عالٍ قالت: «إنه ميت، مجرَّد جمجمةٍ لا يُمكنها أن تُؤذيني»، لكن بشكلٍ ما بدا كأن الوحش يعرف بوجودها هناك. شعرَت بمحجري العينين الخاويين يُراقِبانها من خلال الظَّلام، وكان ثمَّة شيء ما في هذا المكان المعتم الأشبه بكهفٍ لا يُكِنُّ لها حُبًّا. تراجَعت بظَهرها عن الجمجمة والتصقَت دون أن تدري بواحدةٍ أكبر منها حجمًا، وللحظةٍ أحسَّت بأنيابها تنغرس في كتفها كأنها تُريد أن تقضم لحمها، وانتفضَت آريا مبتعدةً وشعرَت بالجِلد يعلق ويتمزَّق وقد اشتبكَ النَّاب الضَّخم بسُترتها، قبل أن تندفع راكضةً... وأمامها كانت جمجمة أخرى، جمجمة الوحش الأكبر بين الآخَرين جميعًا، لكن آريا لم تُبطئ حركتها ووثبَت فوق صَفٍّ من الأسنان السَّوداء الحادَّة كالسُّيوف، وعبرَت من خلال فكَّين جائعين وألقَت نفسها على الباب.

وجدَت يداها حلقةً معدنيَّةً ثقيلةً مثبَّتةً في الخشب فجذبَتها، وقاوَمها الباب لوهلةٍ قبل أن ينفتح ببُطءٍ إلى الدَّاخل بصريرٍ عالٍ للغاية حتى أن آريا قالت لنفسها إن المدينة كلها سمعته بكلِّ تأكيد، ثم واربَت الباب بما يكفي لأن تَعبُر منه إلى البهو الواقع ورائه.

إذا كانت القاعة التي تحوي الوحوش مظلمةً، فالبهو كان أسودَ حُفرةٍ في الجحائم السَّبع كلها. *بهدوء المياه الرَّاكدة*، تمتمَت آريا لنفسها، لكن

حتى بَعد أن منحَت عينيها فُرصةً للتعوُّد على الظَّلام، لم يكن هناك ما تراه بخلاف الخَطِّ الرَّمادي المبهم الذي يُحَدِّد الباب الذي أتت منه. حرَّكت أصابعها أمام وجهها وشعرَت بالهواء يتحرَّك، لكنها لم ترَ شيئًا. كانت عمياء تمامًا الآن. *راقصة المياه ترى بجميع حواسِّها*، قالت لنفسها مذكِّرةً وأغلقَت عينيها وتركَت أنفاسها تنتظم، واحد اثنان ثلاثة، ثم مدَّت يديها أمامها. مسَّت أطراف أصابعها حَجرا خشنًا غير مكتملٍ إلى يسارها، وتبعَت الجِدار ويدها تنزلق بخفَّةٍ على السَّطح مُحاوِلةً الحفاظ على خطواتها المتأنية في الظَّلام. *كلُّ الطُّرقات تقود إلى مكانٍ ما... إذا كان هناك سبيل للدُّخول، فهناك آخَر للخروج... ضربة الخوف أمضى من السَّيف*. قرَّرت آريا أنها لن تسمح لنفسها بأن تخاف. كانت تَشعُر أنها مشت طويلًا عندما انتهى الجِدار بغتةً وأحسَّت بتيَّارٍ من الهواء البارد على وجنتها، وتحرَّكت بضع شُعيراتٍ حُرَّةٍ على رأسها.

من مكانٍ ما بعيدٍ أسفلها سمعَت آريا جلبةً، احتكاكَ أحذيةٍ ثقيلةٍ بالأرض وأصواتًا تتكلَّم، ثم لاحَ انعكاس ضوءٍ خافتٍ متذبذبٍ على الجِدار، فرأت أنها تقف عند فتحة بئرٍ سوداء ضخمة، يَبلُغ اتِّساعها عشرين قدمًا دفعةً واحدةً، وتغوص في أعماق الأرض. ثُبِّتَت أحجار ضخمة في جدران البئر المنحنية على سبيل السَّلالم، تدور وتدور إلى أسفل والظَّلام يكتنفها كأنها الدَّرجات التي تقود إلى الدَّرك الأسفل من الجحيم كما كانت العجوز نان تحكي لهم في وينترفل... وكان ثمَّة شيء ما قادم من أغوار الأرض في سبيله للخروج من الظَّلام. مالت آريا لتُلقي نظرةً من فوق الحافَّة وشعرَت بالأنفاس السَّوداء الباردة على وجهها، ثم إنها رأت بعيدًا في الأسفل ضوء مشعلٍ واحدٍ صغيرًا كلهب شمعة، وميَّزت رجلين تلوَّت ظلالهما على جدران البئر وقد بدت طويلةً كالعمالقة، وسمعَت صدى أصواتهما الآتي من بعيد.

- «... عثرَ على واحدٍ من النُّغول، وسيتبعه الباقون قريبًا، سواء بَعد يومين أو اثنين أو أسبوعين».

- «وعندما يعرف الحقيقة، ماذا سيفعل؟»، سألَ صاحب الصَّوت الثَّاني بلكنة المُدن الحُرَّة الرَّخيمة.

قال الصَّوت الأول: «الآلهة وحدها تعلم». رأت آريا خيطًا من الدُّخَّان الأسود يتصاعَد من المشعل ويتلوَّى كالثُّعبان وهو يتبدَّد في الهواء. «الحمقى حاوَلوا أن يَقتُلوا ابنه، والأسوأ أنهم جعلوا من الأمر كله تمثيليَّةً. إنه ليس بالرَّجل الذي ينسى أو يتناسى شيئًا كهذا. أؤكِّدُ لك أن الذِّئب والأسد سيشتبكان قريبًا، شئنا أم أبينا».

- «قريبًا أكثر من اللَّازم. ما فائدة الحرب الآن؟ نحن لسنا مستعدِّين بَعد. يجب أن تؤجِّل الأمر».

- «كأني بك تُريدني أن أوقف الزَّمن. هل تراني ساحرًا؟».

قهقهَ الآخَر وقال: «على الأقل!». لعقَ اللَّهب الهواء البارد وأحرَقه، وصارَت الظِّلال أدنى منها بكثيرٍ حتى كادت ترتفع فوقها، وبَعد لحظةٍ دخَل حامل المشعل مجال بصرها ورفيقه إلى جواره. زحفَت آريا بعيدًا عن البئر وانبطحَت على بطنها وكتمَت أنفاسها مع بلوغ الرَّجلين قمَّة السَّلالم.

سألَ حامل المشعل: «وماذا تُريدني أن أفعل؟». كان رجلًا ممتلئ الجسد يضع على كتفيه حرملةً جِلديَّةً قصيرة، وحتى مع ارتدائه حذاءً ثقيلًا كانت خطواته تبدو كأنها تنزلق بلا صوتٍ على الأرض. تبدَّى وجه مستدير مليء بالنُّدوب ولحية سوداء خشنة من تحت قبَّعته الحديديَّة، وكان يرتدي الجِلد المقوَّى بالزَّيت المغلي والحلقات المعدنيَّة، بينما تدلَّى خنجر وسيف قصير من حزامه. بدا لآريا أن هناك شيئًا مألوفًا للغاية فيه على نحوٍ غريب.

- «إذا ماتَ يَدٌ، فما المشكلة في موت آخَـر؟»، قال ذو اللَّكنة

الأجنبيَّة واللِّحية الصَّفراء المتشعِّبة. «لقد رقصت هذه الرَّقصة من قبل يا صديقي». لم يكن أحدًا رأته آريا من قبل، وهي واثقة من هذا. كان بدينا لدرجةٍ مقزِّزة، لكن يمشي بخفَّةٍ وقد وضعَ وزنه كله على مفصلي قدميه الكرويَّين كما يفعل راقص المياه، والتمعَت في ضوء المشعل خواتمه التي تنوَّعت بين الذَّهب الأحمر والفضَّة الباهتة وزُيِّنَت بالياقوت الأحمر والأزرق وجواهر كعيون النُّمور الصَّفراء المشقوقة طوليًّا. كلُّ إصبعٍ كان عليه خاتم، وبعضها اثنان.

- «الماضي ليس كالحاضر، وهذا اليَدُ ليس كالآخَر»، قال ذو النُّدوب وهما يَخرُجان إلى البهو، فيما قالت آريا لنفسها: *بثبات الحجارة، بهدوء الظِّلال*. كان لهب مشعلهما نفسه هو ما أعماهما عن رؤيتها وقد تمدَّدت على بطنها وبسطَت جسدها عن آخِره على بُعد أقدامٍ قليلةٍ منهما.

- «ربما»، قال ذو اللِّحية المتشعِّبة وقد توقَّف لالتقاط أنفاسه بَعد الصُّعود الطَّويل. «لكن يجب أن يكون أمامنا بعض الوقت. الأميرة حامل، والكال لن يتحرَّك قيد أُنملةٍ حتى مولد ابنه. أنت تعي ديدن هؤلاء البرابرة».

ضغطَ ذو المشعل شيئًا ما، وسمعَت آريا هديرًا عميقًا، ثم انخفضَ لوح ضخم من الصَّخر من السَّقف بصوتٍ مدوٍّ جعلها توشك على الصُّراخ، والآن حيث كانت فتحة البئر لم يَعُدْ هناك غير الحَجر المصمت.

قال الرَّجل الممتلئ ذو القبَّعة الحديديَّة: «قد يفوت الأوان إذا لم يتحرَّك قريبًا. لم تَعُدْ هذه لُعبةً بين اثنين، لو كانت كذلك أصلًا. ستانيس باراثيون ولايسا آرن فرَّا بعيدًا عن متناوَل يدي، والهمسات تقول إنهما يجمعان المُحارِبين حولهما من كلِّ مكان. وفارس الزُّهور كتبَ إلى أبيه يلحُّ عليه أن يُرسِل أخته إلى البلاط. الفتاة عذراء في الرَّابعة عشر، جميلة مهذَّبة وسهلة الانقياد، واللورد رنلي والسير لوراس يزمعان أن يُضاجِعها روبرت ويتزوَّجها ويتَّخذ لنفسه مَلكةً جديدةً. والإصبع الصَّغير... الآلهة

وحدها تعلم أيَّ لُعبةٍ يلعبها الإصبع الصَّغير. لكن اللورد ستارك هو الوحيد الذي يقضُّ عليَّ مضجعي. إن لديه النَّغل ولديه الكتاب، وعمَّا قريب سيعرف الحقيقة، والآن اختطفَت زوجته تيريون لانستر كذلك بسبب تدخُّل الإصبع الصَّغير. سيعتبرها اللورد تايوين إهانةً، كما أن چايمي يكنُّ حُبًّا غريبًا لأخيه العِفريت. إذا تحرَّك آل لانستر شَمالًا، سيعني هذا تدخُّل آل تَلي كذلك. تقول لي أن أؤجِّل الأمر؟ أقولُ لك إن علينا الإسراع، فحتى أبرع الحواة لا يُمكنه أن يُحافِظ على مئة كرةٍ في الهواء إلى الأبد».

- «أنت أكثر من مجرَّد حاوٍ يا صديقي القديم، بل مشعوذ حقيقي. كلُّ ما أطلبه منك أن تُمارِس سِحرك لفترةٍ أطول فحسب».

كانا يمشيان الآن في البهو في الاتِّجاه الذي أتت منه آريا، عند القا ة التي تحوي الوحوش، وقال حامل المشعل بهدوء: «سأفعلُ ما أقدرُ عليه. أحتاجُ ذهبًا كما تعلم، وخمسين طائرًا آخَر».

تركَتهما يتجاوزانها بمسافةٍ طويلة، ثم تحرَّكت على أطراف أصابعها وراءهما... *بهدوء الظِّلال*.

- «كلُّ هذا العدد؟». كان الصَّوتان قد بدآ يَخفُتا ومعهما ضوء المشعل من أمامها. «النَّوع الذي تريده من الصَّعب العثور عليه... صغيرة جدًّا على إدراك الحروف... ربما أكبر... لا يموت بسهولة».

- «كلا، الأصغر أكثر أمنًا... عامَلتها برقَّة...».

- «... لو صانوا ألسنتهم...».

- «... المخاطَرة...».

حتى بَعد غياب الصَّوتين بمُدَّةٍ طويلةٍ ظلَّت آريا ترى ضوء المشعل الذي بدا لها كنجمٍ داخنٍ يُناشِدها بأن تتبعه. اختفى عن عينيها مرَّتين، لكنها واصلَت التحرُّك وراءه، وفي المرَّتين وجدَت نفسها على قمَّة سلالم ضيِّقةٍ شديدة الانحدار، وضوء المشعل يتوهَّج بخفوتٍ بعيدًا في

الأسفل. هُرِعَت وراءه إلى أسفل وأسفل، وفي مرَّةٍ تعثَّرت في صخرةٍ وسقطَت مرتطمةً بالجِدار، ثم تحسَّست حولها بيديها فوجدَت نفسها تلمس تُربةً رطبةً مدعَّمةً بالخشب، بينما كان النَّفق كله مصنوعًا من الحجارة من قبل. لا بُدَّ أنها تبعتهما لمسافة ميلين على الأقل، وعندما غابا تمامًا عن ناظريها لم يكن أمامها غير مواصَلة التقدُّم إلى الأمام. وجدَت الجِدار من جديد وتحرَّكت بحذائه وهي عمياء ضائعة، تتظاهَر بأن نايميريا تسير إلى جوارها في الظَّلام. في النِّهاية وجدَت نفسها غائصةً حتى الرُّكبتين في مياهٍ كريهة الرَّائحة، وتمنَّت لو أنها تستطيع الرَّقص على سطحها كما قد يفعل سيريو، وتساءَلت إن كانت سترى النُّور من جديد.

كان الظَّلام قد حَلَّ بالكامل عندما خرجَت آريا أخيرًا إلى هواء اللَّيل.

وجدَت نفسها واقفةً في فم البالوعة التي تصبُّ في النَّهر، ولما اشتمَّت الرَّائحة الكريهة العالقة بها تجرَّدت من ثيابها وألقَتها على ضفَّة النَّهر، ثم غاصَت في المياه السَّوداء العميقة. سبحَت حتى شعرَت بأنها عادَت نظيفةً، ثم خرجَت مرتعشةً. مَرَّ بعض الخيَّالة بها وهي تغسل ثيابها، لكن إذا كانوا قد رأوا الفتاة النَّحيلة العارية تَفرُك أسمالها في نور القَمر، فإنهم لم يُعيروها اهتمامًا.

كانت تَبعُد أميالًا عن القلعة، لكن من أيِّ مكانٍ في كينجز لاندنج ليس عليك إلَّا أن ترفع عينيك لترى القلعة الحمراء شاهقةً على قمَّة تَلِّ إجون، فلم تكن في خطر ضلال الطَّريق إذن. كانت ثيابها قد جفَّت تقريبًا عندما بلغَت البوَّابة، لكنها وجدَت أن الشَّبكة الحديديَّة قد أُسدِلَت بالفعل وأُغلِقَت الأبواب بالمزاليج، وعليه اتَّجهت إلى الباب الجانبي. ضحكَ ذوا المعطفين الذَّهبيَّين اللذين يَحرُسان الباب هازئَيْن عندما طلبَت منهما السَّماح لها بالدُّخول، وقال لها أحدهما: «ارحل. فُضالة المطبخ نفدَت، ونحن لا نسمح بدخول الشَّحاذين بَعد حلول الظَّلام».

قالت: «لستُ شحَّاذةً. إنني أسكنُ هنا».

- «قلتُ ارحل من هنا. هل أضربك على أُذنك كي تسمع أفضل؟».
- «أريدُ أن أرى أبي».
تبادلَ الحُرَّاس نظرةً، ثم قال الأصغر سِنًّا: «وأنا أريدُ أن أنكِح المَلكة».
- «ومن يكون أبوك يا ولد؟ صيَّاد الفئران؟».
قالت آريا بحزم: «إنه يَدُ المَلك».

ضحكَ الاثنان، ثم سدَّد الأكبر سِنًّا قبضته إليها كأنه يُعاقِب كلبًا مشاغبًا، لكن آريا رأت الضَّربة قادمةً قبل أن تبدأ حتى، ووثبَت إلى الخلف دون أن يمسَّها أذىً، ثم قالت كأنها تَبصُق في وجهيهما: «أنا آريا ستارك ابنة وينترفل، وإذا مَسَّ أحدكما شَعرةً مني سيُعَلَّق السيِّد والدي رأسيكما على خازوقين. إذا كنتما لا تُصَدِّقاني، أرسِلا إلى چوري كاسل أو ڤايون پوول في بُرج اليَد»، ثم وضعَت يديها على وَركيها وأضافَت: «والآن هل ستفتحا البوَّابة أم أضربكما على الأُذن كي تسمعا أفضل؟».

كان أبوها وحده في غُرفته الشَّمسيَّة جالسًا إلى منضدته ومصباح زيتٍ موضوع عند مِرفقه يُرسِل ضوءًا خفيفًا عندما دخلَ بها هاروين وتوم السَّمين. كان مائلًا على أكبر كتابٍ رأته في حياتها، مجلَّد ضخم سميك اصفرَّت صفحاته ذات الكتابة المعقَّدة، وقد أحاطَ به غُلافان باهتان من الجِلد. أغلقَ أبوها الكتاب وهو يُصغي إلى تقرير هاروين، ثم صرفَ الرَّجلين شاكرًا وقد اكتسَت ملامحه بالصَّرامة.

قال إدارد ستارك عندما صارا وحدهما: «هل تُدرِكين أني أرسلتُ نِصف الحَرس ليبحثوا عنكِ؟ السِّپتة موردن تكاد تفقد عقلها خوفًا، ومنذ ساعاتٍ وهي في السِّپت تُصَلِّي لرجوعكِ آمنةً. آريا، أنتِ تعرفين جيِّدًا أنه من غير المسموح لكِ بالخروج من القلعة دون إذنٍ مني».

اندفعَت قائلةً: «لكني لم أخرج من القلعة... أعني أني لم أقصد أن أفعل. كنتُ في الزَّنازين في الأسفل، لكنها تحوَّلت إلى نفق. كان المكان

مظلمًا تمامًا، ولم يكن معي مشعل أو شمعة كي أرى، فكان يجب أن أتبعه، ولم أستطِع العودة من الطَّريق الذي جئتُ منه بسبب الوحوش. أبي، لقد كانا يتكلّمان عن قتلك! أعني الرَّجلين وليس الوحوش. لكنهما لم يرياني لأني كنتُ ثابتةً كالحَجر وهادئةً كالظِّلال، لكني سمعتهما. قالا إن لديك كتابًا ونغلًا وإذا ماتَ يَدٌ فما المشكلة في موت الآخَر؟ أهذا هو الكتاب؟ أراهِنُ أن النغل هو چون».

- «چون؟ عمَّ تتكلَّمين يا آريا؟ من قال هذا الكلام؟».

- «هما! أحدهما كان بدينًا له لحية صفراء متشعِّبة ويرتدي الخواتم، والآخَر يرتدي الحلقات المعدنيَّة وقبَّعةً من الحديد، وقال البدين إن عليهما تأجيل الأمر، فأجابَ الآخَر بأنه لا يستطيع الاستمرار في إلقاء الكُرات في الهواء وأن الذِّئب والأسد سيلتهمان بعضهما بعضًا وإن هناك تمثيليَّة». حاولَت أن تتذكَّر باقي الكلام، لكنها لم تكن قد استوعبَت ما سمعته تمامًا والآن اختلطَ كلُّ شيءٍ في ذهنها. «قال البدين إن الأميرة حامل، وذو القبَّعة الحديديَّة الذي كان يحمل المشعل قال إن عليهما الإسراع. أعتقدُ أنه ساحر».

- «ساحر»، ردَّد نِد بملامح جامدة. «هل كانت لديه لحية طويلة بيضاء وقبَّعة مدبَّبة مزيَّنة بالنُّجوم؟».

- «كلا! لم يكن يُشبِه السَّحرة في قصص العجوز نان. إنه لم يبدُ كساحر، لكن البدين قال إنه كذلك».

- «إنني أحذِّركِ يا آريا، لو كنتِ تختلقين هذا الكلام الذي...».

- «لا، لقد قلتُ لك، كنتُ في الزَّنازين عند المكان ذي الجِدار السرِّي. كنتُ أطاردُ القِطط عندما...»، وبترَت عبارتها وقد تقلَّصت ملامحها. إذا اعترفَت بأنها أسقطَت الأمير تومن فستكون غضبته عاتيةً. «... ثم إنني دخلتُ من النَّافذة، وهناك وجدتُ الوحوش».

قال أبوها: «وحوش وسَحرة! يبدو أنكِ قُمتِ بمغامَرةٍ حقيقيَّة. هذان

الرَّجلان اللذان سمعتيهما كانا يتكلَّمان عن إلقاء الكُرات في الهواء والتَّمثيل، أليس كذلك؟».

أجابَت آريا: «نعم، لكن...».

- «آريا، إنهما ممثِّلان. لا بُدَّ أن هناك دستةً من فِرق الممثِّلين في كينجز لاندنج الآن، جاءوا ليتربَّحوا من جمهور دورة المباريات. لا أدري ماذا كان هذان الاثنان يفعلان في القلعة، لكن لعلَّ المَلك أمرَ بإقامة عرضٍ تمثيليٍ».

هزَّت رأسها بعنادٍ وقالت: «كلا، إنهما لم يكونا...».

- «لا يَجدُر بكِ أن تتبعي النَّاس وتتجسَّسي عليهم على أيَّة حال، كما أن فكرة تسلُّق ابنتي لنوافذ الغُرباء وراء القِطط الضالَّة لا تروق لي أبدًا. انظري إلى نفسكِ يا صغيرتي، إن ذراعيك مغطَّاتان بالجروح. لقد استمرَّ هذا الهراء أكثر من اللَّازم. قولي لسيريو فورل إنني أريدُ أن أتكلَّم معه كي...».

قاطعَته دقَّة قصيرة مفاجئة على الباب، ثم فتحَ دزموند الباب قائلًا: «أستميحك عذرًا أيها اللورد إدارد، لكن هناك أخًا أسودَ هنا يرغب في مقابلتك. يقول إن الأمر مُلِحٌّ، وخطرَ لي أنك سترغب في أن تعرف هذا».

قال أبوها: «بابي مفتوح دائمًا لرجال حَرس اللَّيل».

أشارَ دزموند للرَّجل بالدُّخول. كان قبيحًا محنيَّ الظَّهر، أشعث اللِّحية متَّسخ الملابس، لكن أباها حيَّاه بوُدٍّ وسأله عن اسمه.

- «يورن يا سيِّدي. أعتذرُ عن المجيء في وقتٍ متأخِّر»، ثم انحنى لآريا قائلًا: «لا بُدَّ أن هذا ابنك. إنه يُشبِهك».

صاحَت آريا حانقةً: «أنا فتاة!»، ثم إنها فكَّرت أنه إذا كان الرَّجل قد جاءَ من "الجِدار"، فلا شَكَّ أنه مَرَّ في طريقه جَنوبًا بوينترفل، فاندفعَت تقول بحماسةٍ مشبوبة: «هل تعرف إخوتي؟ روب وبران في وينترفل وجون على "الجِدار". جون سنو، إنه في حَرس اللَّيل أيضًا ولا بُدَّ أنك

تعرفه، لديه ذِئب رهيب أبيضَ ذو عينين حمراوين. هل صارَ چون جوّالًا بَعد؟ أنا آريا ستارك». كان الرَّجل المُسِنُّ ذو الثِّياب السَّوداء كريهة الرَّائحة يَرمُقها بنظرةٍ مندهشة، لكن آريا لم تستطِع التوقُّف عن الكلام، وواصلَت: «عندما تعود إلى "الجِدار"، هل يُمكنك أن تأخذ رسالةً مني إلى چون إذا كتبتُ واحدةً؟». تمنَّت لو أن چون كان موجودًا هنا الآن. كان ليُصَدِّق ما حكته عن الزَّنازين والرَّجل البدين ذي اللِّحية المتشعِّبة والسَّاحر ذي القبَّعة الحديديَّة.

- «أحيانًا ما تنسى ابنتي المجامَلات»، قال إدارد ستارك ببسمةٍ خفيفةٍ لطَّفت من كلماته. «تقبَّل أسفي يا يورن. هل أرسلك أخي بنچن؟».

- «لا أحد أرسَلني يا سيِّدي بخلاف اللورد مورمونت. إنني هنا لأجد رجالًا آخذهم معي إلى "الجِدار"، وعندما يعقد روبرت جلسته القادمة سأنحني أمامه وأصيحُ بحاجتنا الماسَّة، وأرى إن كان المَلك ويَدُه لديهما بعض الحثالة في الزَّنازين ويرغبان في الخلاص منهم. لكن لك أن تقول إن بنچن ستارك هو السَّبب في كلامنا رغم ذلك. كان دمه يجري أسودَ في عروقه، ما جعله أخًا لي بقدر ما هو أخ لك، ومن أجله جئتُ إليك. لقد كدتُ أقتل فَرسي من فرط القسوة والسُّرعة التي قُدتها بها، لكني سبقتُ الآخَرين بكثير».

- «الآخَرين؟».

أجابَ يورن بامتعاض: «مُرتَزِقة ومُحارِبون غير نظاميِّين ورعاع على هذه الشَّاكلة. كان الخان مليئًا بهم ورأيتُ أنهم اشتمُّوا الرَّائحة، رائحة الدَّم أو رائحة الذَّهب، لا فارق بينهما في النِّهاية. لم يتَّجهوا جميعًا إلى كينجز لاندنج كذلك، فبعضهم انطلقَ إلى كاسترلي روك، و"الصَّخرة" كانت أقرب إليهم من العاصمة. لا بُدَّ أن الخبر قد بلغَ اللورد تايوين الآن، ولك أن تُراهِن على هذا».

عقدَ أبوها حاجبيه وقال: «أيُّ خبرٍ هذا؟».

رمقَ يورن آريا قائلًا: «من الأفضل أن نتكلَّم على انفرادٍ يا سيِّدي إذا سمحت لي».

- «كما ترغب. دزموند، اصحب ابنتي إلى غُرفتها»، وقبَّل ابنته على جبينها وقال لها: «سنستكمل كلامنا غدًا».

لكن آريا ظلَّت متجمِّدةً في مكانها وخاطبَت يورن قائلةً: «لم يَحدُث شيء سيِّئ لأخي چون، أليس كذلك؟ أو عمِّي بنچن؟».

- «لا أخبار لديَّ عن ستارك، لكن الصَّبي سنو كان بخيرٍ عندما غادرتُ "الجِدار". ليس هما من يعنياني الآن أيتها الصَّغيرة».

أمسكَ دزموند يدها وقال: «هَلُمِّي يا سيِّدتي، لقد سمعتِ كلام السيِّد والدكِ».

لم يكن أمام آريا خيار سوى الذِّهاب معه وهي تتمنَّى لو كان توم السَّمين مكانه، فمع توم كان بإمكانها التحجُّج بشيءٍ ما والبقاء عند الباب لسماع ما يقوله يورن، لكن دزموند كان أذكى من أن تحتال عليه. سألته وهما ينزلان السَّلالم إلى غُرفة نومها: «كم حارسًا لدى أبي؟».

- «هنا في كينجز لاندنج؟ خمسون».

- «أنت لن تسمح لأحدٍ بأن يَقتُله، أليس كذلك؟».

ضحكَ دزموند وقال: «دعي عنكِ القلق من هذه المسألة تمامًا يا سيِّدتي الصَّغيرة، فاللورد إدارد محروس ليلًا نهارًا ولن يمسَّه ضرر».

قالت آريا: «آل لانستر لديهم أكثر من خمسين رجلًا».

- «هذا صحيح، لكن كلَّ شماليٍّ يُساوي عشرةً من مُقاتِلي الجَنوب هؤلاء، فنامي مُطْمَئِنَّةً».

- «ماذا لو أرسلوا ساحرًا ليَقتُله؟».

سحبَ دزموند سيفه الطَّويل وقال: «السَّحرة يموتون كأيِّ رجلٍ آخَر بمجرَّد أن تُقطَع رؤوسهم».

إدارد

قال ند مُناشِدًا: «روبرت، أرجوك، اسمع ما تقوله. إنك تتكلَّم عن اغتيال طفلة!».

- «العاهرة حامل!»، هدرَ المَلك وهوى بقبضته على مائدة المجلس بصوتٍ كهزيم الرَّعد. «لقد حذَّرتك من أن هذا سيَحدُث يا ند، حذَّرتك يوم كنا في الرَّوابي ولم تُبالِ بالإصغاء. حسنٌ، سوف تُصغي الآن. أريدهما ميتين، الأم والطفل، وذلك الأحمق ڤسيرس كذلك. أهذا واضح بما يكفي؟ أريدهم موتى!».

كان باقي المستشارين كلهم يَبذُلون قصارى جهدهم كي يتظاهروا بأنهم في مكانٍ آخَر. لا شَكَّ أنهم أكثر حكمةً منه، ونادرًا ما شعرَ إدارد ستارك بأنه وحيد تمامًا كما هو الآن. «ستُلَوِّث شَرفك إلى الأبد إذا فعلت ذلك».

- «فلتكن مسؤوليَّتي وحدي إذن طالما تَمَّ الأمر. إنني لستُ بأعمى كي لا أرى ظِلَّ الفأس وهي معلَّقة فوق عُنقي».

قال ند للمَلك: «ليست هناك فأس، بل مجرَّد ظِلٍّ لظِلٍّ غابَ منذ عشرين عامًا كاملةً، لو كان لو وجود أصلًا».

- «لو؟»، سأل ڤارس بهدوءٍ وقد ضَمَّ يديه المدهونتين بالمساحيق معًا. «إنك تُسيء إليَّ هكذا يا سيِّدي، فهل تحسب أني آتي بالأكاذيب للمَلك ومجلسه؟».

رمقَ ند الخَصِيَّ بنظرةٍ باردةٍ وقال: «إنك تأتي إلينا بهمسات رجلٍ خائنٍ في الجانب الآخَر من العالم يا سيِّدي. لعلَّ مورمونت مخطئ، أو لعلَّه يكذب».

قال ڤارس بابتسامةٍ خبيثة: «السير چورا لا يجرؤ على خداعي. لك أن تثق بهذا يا سيِّدي، الأميرة تحمل جنينًا».

- «هذا ما تقوله. إذا كنت مخطئًا، فليس هناك ما نخشاه. إذا أُجهِضَت الفتاة، فليس هناك ما نخشاه. إذا أنجبَت بنتًا بدلًا من ولد، فليس هناك ما نخشاه. إذا ماتَ الرَّضيع لأيِّ سبب، فليس هناك ما نخشاه».

قال روبرت بإصرار: «وماذا لو أنه ولد؟ وماذا لو عاشَ؟».

- «سيظلُّ البَحر الضيِّق بيننا وبينهم، ولن أبدأ في الخوف من الدوثراكي حتى يُعَلِّموا خيولهم الرَّكض على الماء».

أخذَ المَلك رشفةً من النَّبيذ ورمقَ ند بنظرةٍ ناريَّةٍ عبر مائدة المجلس، وقال: «تنصحني إذن بأن لا أفعل شيئًا حتى يرسو وريث التنِّين بجيشه على سواحلي، أليس كذلك؟».

قال ند: «وريث التنِّين الذي تتكلَّم عنه ما زال في بطن أمه، وحتى إجون نفسه لم يَقُمْ بأيِّ غزواتٍ قبل فطامه».

- «يا للآلهة! إنك عنيد كثورٍ برِّي يا ستارك»، ثم تطلَّع المَلك إلى بقيَّتهم وقال: «وأنتم، هل فقدتم ألسنتكم؟ ألن يُحاوِل أحدكم إقناع هذا الأحمق ذي الوجه الجَليدي بالإصغاء لصوت العقل؟».

منحَ ڤارس المَلك ابتسامةً متملِّقةً ووضعَ يده على كُمِّ ند قائلًا: «إنني أتفهَّمُ هواجسك أيها اللورد إدارد، حقًّا، ولم يُسعِدني أن آتي بهذا الخبر الحزين للمجلس. مجرَّد التفكير في شيء كهذا شنيع حقًّا، بل وآثم، لكن من يتولون الحُكم مثلنا عليهم أن يفعلوا أشياءَ آثمةً بين الحين والآخَر من أجل صالح البلاد، ومهما أصابنا هذا من ألم».

هَزَّ اللورد رنلي كتفيه وقال: «المسألة تبدو بسيطةً تمامًا في رأيي.

كان يَجدُر بنا أن نَقتُل ڤسيرس هذا وأخته منذ سنوات، لكن جلالته أخي ارتكبَ خطأ الإصغاء لچون آرن».

أجابَه ند: «الرَّحمة ليست خطأً أبدًا. يوم الثَّالوث صرعَ السير باريستان الجالس معنا هنا دستةً من الرِّجال الصَّالحين، أصدقاء روبرت وأصدقائي. وعندما جلبوا إلينا رووس بولتون مثخنًا بالجراح وعلى شفا الموت، توسَّل الرَّجل إلينا أن نَقتُله، لكن أخاك قال: "لن أقتل رجلًا لإخلاصه ولا لأنه أحسنَ القتال"، ثم أرسلَ مِايستره الخاص ليُعالِج جروح السير باريستان»، ثم رمقَ المَلك بنظرةٍ طويلةٍ باردةٍ وأضافَ: «ليت هذا الرَّجل كان هنا اليوم».

تضرَّج وجه روبرت وقال متذمِّرًا: «هذه نقرة وتلك نقرة. السير باريستان كان من فُرسان الحَرس المَلكي».

- «ودنيرس فتاة في الرَّابعة عشر». كان ند يعي أنه يتجاوَز حدود الحكمة بالفعل، لكنه لم يستطِع البقاء ساكتًا. «روبرت، دعني أسألك، لماذا ثُرنا على إيرس تارجاريَن إن لم يكن السَّبب هو وضع نهاية لقتل الأطفال؟».

زعقَ المَلك: «لوضع نهاية لعائلة تارجاريَن!».

كافحَ ند كي لا يتسلَّل التهكُّم إلى صوته وفشِلَ وهو يقول: «جلالة المَلك، إنني لم أرَك تخشى ريجار من قبل قَطُّ، فهل سلبَك الزَّمن شَجاعتك لدرجة أن ترتجف أمام ظِلِّ طفل لم يولد حتى؟».

احتقنَ وجه روبرت وقال مشيرًا إليه: «كفى يا ند، ولا كلمة أخرى. هل نسيت من المَلك هنا؟».

أجابَ ند: «كلا يا جلالة المَلك، لكن هل نسيت أنت؟».

هدرَ المَلك: «كفى! لقد سئمتُ من الكلام. سوف أفعلها وإلَّا فلتحلَّ بي اللَّعنة. ما قولكم؟».

قال رنلي: «الفتاة يجب أن تُقتَل».

وغمغمَ ڤارس: «ليس لدينا الخيار، للأسف، للأسف».

ورفعَ السير باريستان سلمي عينيه الزَّرقاوين الباهتتين، وقال: «جلالة المَلك، الشَّرف هو مواجَهة العَدُوِّ في ميدان المعركة، وليس قتله في رَحِمِ أمه. سامِحني، لكني أؤيِّدُ اللورد إدارد».

تنحنحَ المِايستر الأكبر پايسل طويلًا، ثم قال: «جماعتي تخدم البلاد وليس الحاكم، ومن قبل كنتُ أنصح المَلك إيرس بإخلاصٍ كما أفعلُ مع المَلك روبرت الآن بالضَّبط، ومن ثَمَّ فأنا لا أحملُ أيَّ ضغائنٍ نحو تلك الفتاة. لكن دعوني أسألكم، إذا اندلعَت الحرب من جديد، كم جنديًّا سيموت؟ كم بلدةً ستحترق؟ كم طفلا سيُسلَبون من أمَّهاتهم ليموتوا بضربة سيفٍ أو رُمح؟»، ثم ملَّس على لحيته البيضاء الأنيقة بأسلوبه المُرهَق الحزين المعتاد وأضافَ: «أليس من الأحكم، بل والأرحم، أن تموت دنيرس تارجاريَن الآن كي يحيا عشرات الآلاف؟».

قال ڤارس: «أرحـم... أحسنت القول أيها المِايستر الأكبر. هذا صحيح، فإذا أصابَت الآلهة نزوة ما وشاءت أن تمنح دنيرس تارجاريَن ابنًا، ستنزف البلاد كلها».

كان الإصبع الصَّغير آخِر من تكلَّم، ورمقَه نِد ليجد اللورد پيتر يكتم تثاؤبًا، ثم قال: «عندما تجد نفسك في السَّرير مع امرأةٍ قبيحة، فأفضل شيءٍ تفعله هو أن تُغلِق عينيك وتَفرُغ من الأمر. الانتظار لن يجعلها أجمل بحال، فقبِّلها وانتهِ».

ردَّد السير باريستان بانزعاج: «قبِّلها؟».

قال الإصبع الصَّغير: «قُبلةً من حديد».

التفتَ روبرت إلى يَدِه وقال: «هكذا إذن يا نِد، أنت وسلمي وحدكما أمام بقيَّتنا. السُّؤال الوحيد المتبقِّي هو مَن يُمكننا أن نُرسِله لقتلها؟».

قال رنلي: «مورمونت يشتهي نيل عفوٍ مَلكي».

- «إلى أقصى حد»، علَّق ڤارس. «لكنه يشتهي الحياة أكثر. الآن تقترب الأميرة من ڤايس دوثراك، حيث مجرَّد إشهار السِّلاح يعني

الموت. إذا أخبرتكم بما سيفعله الدوثراكي بالمسكين إذا حاولَ استخدام سلاحٍ لقتل الگاليسي، فلن يُراوِد النَّوم أحدكم اللَّيلة»، ثم تحسَّس وجنته المدهونة بالمساحيق وأضافَ: «بينما السُّم... دموع ليس مثلًا. لن يعرف گال دروجو أنها لم تكن ميتةً طبيعيَّة أبدًا».

اتَّسعت عينا المِايستر الأكبر پايسل النَّاعستان ورمقَ الخَصِيَّ بنظرةٍ ملأى بالرِّيبة، بينما قال المَلك معترضًا: «السُّم سلاح الجبناء».

لم يحتمل ند سماع المزيد، وقال محتدًّا: «أتُرسِل قتلةً مأجورين لاغتيال فتاةٍ في الرَّابعة عشر وما زلت تتكلَّم عن الشَّرف؟»، ودفعَ مقعده ونهضَ مضيفًا: «افعلها بنفسك إذن يا روبرت. الرَّجل الذي يُصدِر الحُكم ينبغي أن يضرب بالسَّيف بنفسه. انظر في عينيها قبل أن تَقتُلها، فلترَ دموعها ولتسمع كلماتها الأخيرة. أنت مدين لها بهذا القَدر على الأقل».

- «بحقِّ الآلهة!»، زعقَ المَلك والكلمة تتفجَّر من فمه إذ لم يَعُدْ قادرًا على احتواء ثورته. «إنك تعني ما تقول، عليك اللَّعنة»، ومَدَّ يده إلى إبريق النَّبيذ الموضوع عند مِرفقه، ولمَّا وجده خاليًا قذف به ليتهشَّم على الجِدار إلى ألف قطعة. «لقد نفدَ النَّبيذ ونفدَ صبري معه. انتهينا، سيتمُّ الأمر وهذا كلُّ ما هنالك».

- «لن أشارك في اغتيالٍ يا روبرت. افعل ما تشاء، لكن لا تَطلُب مني أن أضع ختمي عليه».

للحظةٍ بدا أن روبرت لم يستوعب ما يقوله ند، فالتحدِّي لم يكن صنفًا يتذوَّقه إلَّا لمامًا، وببُطءٍ تغيَّرت ملامحه وقد فهمَ. ضاقَت عيناه وانتشرَ الاحتقان من عُنقه الثَّخين فوق الياقة المخمليَّة إلى وجهه، وأشارَ بإصبعٍ غاضبٍ إلى ند قائلًا: «أنت يَدُ المَلك أيها اللورد ستارك، وستفعل ما آمرك به وإلَّا وجدتُ يَدًا آخر يفعله».

- «أتمنَّى له النَّجاح إذن»، وخلعَ ند المشبك الثَّقيل الذي يضمُّ طيَّات معطفه، اليد الفضِّيَّة المزخرفة التي يرتديها بمثابة شارة منصبه، ووضعَها

على المائدة أمام المَلك وقد غمرَه حُزن ولَّدته ذكرى الرَّجل الذي ثبَّت هذا المشبك على صدره من قبل، الصَّديق الذي أحبَّه. «حسبتك رجلًا أفضل من هذا يا روبرت. حسبتُ أننا نصَّبنا مَلكًا نبيلًا».

كان وجه روبرت محتقنًا لدرجة أنه بدا كأن الدِّماء ستتفجَّر منه في أيِّ لحظة، وصاحَ بصوتٍ مختنق من فرط الغضب: «اخرج! اخرج عليك اللَّعنة! لقد انتهيتُ منك. ماذا تنتظر؟ اذهب، عُد إلى وينترفل، واعمل على ألَّا أرى وجهك ثانيةً، وإلَّا أقسمُ أنني سأضعُ رأسك على خازوق!».

انحنى ند ثم دارَ على عقبيه بلا كلمةٍ أخرى شاعرًا بنظرات روبرت على ظَهره، ومع خروجه بخطواتٍ واسعةٍ من قاعة المجلس استمرَّ الحوار بلا توقُّف كأن شيئًا لم يكن، وقال المِايستر الأكبر پايسل: «في براڤوس ثمَّة جماعة اسمها الرِّجال عديمو الوجوه».

قال الإصبع الصَّغير: «ألديك فكرة كم هُم مُكَلِّفون؟ يُمكنك استئجار جيشٍ كاملٍ من المُرتَزِقة بنِصف الثَّمن، هذا لو أنك ترغب في قتل تاجرٍ أو ثريٍّ ما، فما بالك بأميرة؟».

أخمدَ إغلاق الباب وراءه الأصوات. كان السير بوروس بلاونت يقف حِراسةً خارج الباب، يرتدي المعطف الأبيض الطَّويل ودِرع الحَرس المَلكي، ورمقَ ند بنظرةٍ متسائلةٍ سريعةٍ بجانب عينه، لكنه لم يقل شيئًا.

شعرَ باليوم مُتعِبًا ثقيل الوطأة وهو يَعبُر الفِناء إلى بُرج اليَد، وأحسَّ باقتراب نزول المطر في الهواء، وفي الواقع كان ند يُرَحِّب بالمطر، فعندما يغسله قد يُشعِره بأنه أقلُّ وساخةً ولو مقدار ذرَّة. استدعى ڤايون پوول عندما بلغَ غُرفته الشَّمسيَّة، فجاءَ الوكيل في الحال قائلًا: «هل أرسلت في طلبي يا حضرة اليَد؟».

قال ند: «لم أعد يَدًا. لقد تشاجَرتُ مع المَلك. سنعود إلى وينترفل».

- «سأبدأُ في إجراء التَّرتيبات فورًا يا سيِّدي. سنستغرق نحو أسبوعين لتجهيز كلِّ شيءٍ للرِّحلة».

قال ند عاقدًا حاجبيه: «قد لا نملك أسبوعين، بل قد لا نملك يومًا واحدًا حتى. لقد قال المَلك شيئًا عن رؤية رأسي على خازوق». لم يكن يعتقد حقًّا أن المَلك سيُؤذيه، ليس روبرت. إنه غاضب الآن، لكن بمجرَّد أن يغيب ند عن ناظريه سيهدأ غضبه كما يَحدُث دائمًا.

دائمًا؟ فجأةً وبغير راحةٍ وجدَ نفسه يتذكَّر ريجار تارجاريَن، الذي ماتَ منذ خمسة عشر عامًا لكن كراهية روبرت له لم تخفت على الإطلاق. كانت الفكرة مزعجةً... بالإضافة إلى المسألة الأخرى، مسألة كاتلين والقزم التي ذكرَها يورن له ليلة أمس. قريبًا سيَبلُغ الخبر روبرت بكلِّ تأكيد، ومع غضبة المَلك السَّوداء هذه... قد لا يُبالي روبرت البتَّة بتيريون لانستر، لكن ما حدثَ سيمسُّ كرامته، ولا أحد يدري ما ستفعله المَلكة كذلك.

قال لپوول: «الأسلم أن أغادر أنا أولًا. سآخذ ابنتيَّ وبضعة حُرَّاس، ويتبعنا بقيَّتكم عندما تُجهِّزون كلَّ شيء. أخبِر چوري، لكن لا تقل شيئًا لأحدٍ آخَر، ولا تفعل شيئًا حتى أرحل مع الفتاتين. القلعة مليئة بالعيون والآذان، وأفضِّلُ أن تبقى خُططي مجهولة».

- «كما تأمر يا سيِّدي».

عندما غادرَ الوكيل، ذهبَ ند إلى النَّافذة وجلسَ هناك شاعرًا بالنَّكد. روبرت لم يَترُك له أيَّ خيارٍ على الإطلاق. عليه أن يَشكُره في الحقيقة، فمن الجميل أن يعود إلى وينترفل. لم يكن يَجدُر به أن يُغادِر أصلًا. أولاده ينتظرون هناك، ولربما يُنجِب ولدًا آخَر من كاتلين عندما يعود، فهما ليسا متقدِّمين في السِّنِّ لهذه الدَّرجة بَعد، كما أنه وجدَ نفسه مؤخَّرًا يَحلُم بالثَّلج كثيرًا، بهدوء غابة الذِّئاب العميق في اللَّيل.

على أن فكرة الرَّحيل أثارَت غضبه كذلك، فهناك أشياءَ كثيرة جدًّا لم تتم بَعد. سوف تُفلِس البلاد على يد روبرت ومجلسه من الجبناء والمُداهِنين إذا ظلُّوا يُنفِقون بلا حساب... أو أسوأ من هذا، تُباع البلاد إلى آل لانستر على سبيل سداد الدَّين الضَّخم. ثم إن حقيقة موت چون

آرن لا تزال غائبةً عنه. صحيحٌ أنه توصَّل إلى بعض المعلومات التي تكفي لإقناعه بأن چون مات مقتولًا بالفعل، لكنها معلومات لا تتجاوَز أثر قدم حيوانٍ على أرضِ الغابة. إنه لم يلمح الحيوان نفسه بعينيه بَعد، على الرغم من أنه يحسُّ بأنه موجود حقًّا، يكمن في الخفاء بخيانته وألاعيبه.

خطرَ له فجأةً أنه يستطيع العودة إلى وينترفل عن طريق البَحر. لم يكن ند بحَّارًا، وفي المعتاد كان ليُفَضِّل أن يسلك طريق الملوك، لكن إذا استقلَّ سفينةً فبإمكانه أن يتوقَّف في دراجونستون ويتكلَّم مع ستانيس باراثيون. پايسل أرسلَ غُدافًا عبر المياه حاملًا رسالةً مهذَّبةً من ند يَطلُب فيها من اللورد ستانيس أن يعود إلى مقعده في المجلس الصَّغير. حتى الآن لم يأتِ أيُّ جواب، لكن الصَّمت كان يُعَمِّق شكوكه أكثر فأكثر. لقد اشتركَ اللورد ستانيس في السِّرِّ الذي ماتَ چون آرن من أجله وهو واثق من هذا، فربما تنتظره الحقيقة التي يسعى إليها في قلعة عائلة تارجاريَن القديمة. *وعندما تصل إلى الحقيقة، فماذا إذن؟ ثمَّة أسرار من الأسلم أن تبقى خفيَّة، ثمَّة أسرار أخطر من مشارَكتها مع أحدٍ آخَر، حتى من تُحِبُّهم وتثق بهم.* أخرجَ ند الخنجر الذي جاءَت به كاتلين إليه من غِمده في حزامه، خنجر العِفريت. لماذا يرغب القزم في موت بران؟ ليُخرِسه بالطَّبع. أهذا سِرٌّ آخَر أم مجرَّد خيطٍ مختلف يتفرَّع من الشَّبكة نفسها؟ هل من الممكن أن تكون لروبرت يد في هذا؟ لم يكن ليسمح لنفسه بمجرَّد التَّفكير في هذا من قبل، لكن من قبلِ لم يكن ليحسب أن روبرت يستطيع أن يأمر بقتل النِّساء والأطفال كذلك. *كنت تعرف الرَّجل، لكن المَلك شخص غريب عليك*، قالت كاتلين. كلما عجَّل ند بمغادرته كينجز لاندنج كان هذا أحسن، وإذا كانت هناك سفينة ستُبحِر شَمالًا غدًا فمن الأفضل أن يكون على متنها.

استدعى ڤايون پوول ثانيةً وأمرَه بالذِّهاب إلى المرفأ ليستعلم بهدوءٍ لكن بسرعة. «اعثر لي على سفينةٍ سريعةٍ ذات ربَّانٍ بارع»، قال للوكيل.

«لا أبالي على الإطلاق بحجم القمرات وجودة تجهيزاتها طالما أنها سريعة وآمنة. أريدُ أن أرحل في الحال».

لم يكد پوول يُغادِر حتى أعلنَ تومارد عن وجود زائر: «اللورد بايلش يرغب في رؤيتك يا سيِّدي».

كان ند على وشك أن يصرفه ثم عدلَ عن هذا. إنه ليس حُرًّا بَعد، وإلى أن يصير كذلك فعليه أن يلعب ألعابهم. هكذا قال: «دَعه يَدخُل يا توم».

دخلَ اللورد پيتر ماشيًا الهوينى وابتسامته السَّاخرة المعتادة على وجهه كأن شيئًا لم يَحدُث هذا الصَّباح. كان يرتدي سُترةً من المخمل مخطَّطةً بالفضِّي والأصفر الشَّاحب، مع معطفٍ رماديٍّ من الحرير عليه رسم لثعلبٍ أسودَ، وحيَّاه ند ببرودٍ قائلًا: «هل تسمح لي بالسُّؤال عن سبب هذه الزِّيارة أيها اللورد بايلش؟».

- «لن أعطِّلك كثيرًا، فأنا في طريقي لتناوُل العشاء مع الليدي تاندا. ستُقَدِّم خنزيرًا مشويًّا مع فطائر السَّمك. إنها تُفَكِّر في تزويجي من ابنتها الصُّغرى، لذا تجد مائدتها تضمُّ أشهى الأصناف دائمًا. الحقُّ أقولُ لك إنني أفضِّلُ أن أتزوَّج من الخنزير، لكن لا تُخبِرها بهذا، فأنا أحبُّ فطائر السَّمك حقًّا».

قال ند بـازدراءٍ ثلجي: «لا تجعلني أعطِّلك عن أسماكك إذن يا سيِّدي. في اللَّحظة الحاليَّة لا أستطيعُ التَّفكير في صُحبةٍ غير مرغوبٍ فيها كصُحبتك».

- «أوه، إنني واثق من أنك ستجد بضعة أسماءٍ أخرى لا ترغب في صُحبتها إذا فكَّرت للحظة، ڤارس على سبيل المثال، أو سرسي... أو روبرت. جلالته غاضب جدًّا منك، وظَلَّ يرغي ويزبد عنك لبعض الوقت بعد أن غادرت هذا الصَّباح، وأذكرُ أن كلماتٍ على غرار "إهانة" و"نُكران الجميل" قد ذُكِرَت عدَّة مرَّات». لم يُحاوِل ند أن يردَّ على هذا، ولا عرضَ على ضيفه الجلوس، لكن الإصبع الصَّغير جلسَ على كلِّ حال واستطردَ بمرح: «بَعد مغادرتك وقعَ على عاتقي إقناعهم بعدم استئجار الرِّجال

عديمي الوجوه، وبدلًا من هذا سيَنشُر ڤارس بهدوءٍ أننا سنرفع من يَقتُل ابنة تارجاريَن إلى منصب لورد».

قال ند مشمئزًّا: «إذن فقد أصبحنا نمنح المناصب للقتلة».

هَزَّ الإصبع الصَّغير كتفيه بلا مبالاةٍ وقال: «المناصب رخيصة، أمَّا الرِّجال عديمو الوجوه فمُكَلِّفون. إذا كنت تريد الحقيقة، فقد قدَّمتُ لابنة تارجاريَن خدمةً أكبر مما فعلت أنت بكلِّ كلامك عن الشَّرف. دَع مُرتَزِقًا ما يَحلُم باللورديَّة يُحاوِل اغتيالها. سوف يُخفِق غالبًا، وبَعدها سيظلُّ الدوثراكي حذرين لأقصى حد. لكن إذا أرسَلنا رجلًا عديم الوجه وراءها فهي في عداد الموتى لا محالة».

قطَّب ند جبينه وقال: «تجلس في المجلس وتتكلَّم عن النِّساء القبيحات والقُبلات الحديديَّة، والآن تتوقَّع مني أنك تُحاوِل حماية الفتاة؟ أتحسبني بتلك الحماقة؟».

أجابَ الإصبع الصَّغير ضاحكًا: «نعم، أحسبك بتلك الحماقة وأكثر بكثير في الحقيقة».

- «هل تجد القتل شيئًا طريفًا دائمًا أيها اللورد بايلش؟».

- «ليس القتل ما أجده طريفًا أيها اللورد ستارك، بل أنت. إنك تَحكُم كرجلٍ يَرقُص على جَليدٍ عَفِن، وأعتقدُ أني سمعتُ صوت الصَّدع الأول هذا الصَّباح».

- «الأول والأخير. لقد اكتفيتُ».

- «متى تنوي العودة إلى وينترفل يا سيِّدي؟».

- «في أقرب وقتٍ ممكن. لِمَ تهتم؟».

- «لا أهتمُّ حقًّا، لكن إذا كنت لا تزال هنا عند حلول المساء، سيُسعِدني أن آخذك إلى ذلك الماخور الذي كان رجلك چوري يبحث عنه بلا نتيجة»، وابتسَمَ الإصبع الصَّغير مضيفًا: «ولا تقلق، فلن أُخبِر الليدي كاتلين».

كاتلين

- «كان يَجدُر بكِ أن تُعلمينا بقدومكِ يا سيِّدتي»، قال لها السير دونل واينوود وخيولهما تصعد الممر. «الطَّريق العالي لم يَعُدْ آمنًا كما كان من قبل بالنِّسبة لمجموعةٍ صغيرةٍ كمجموعتكم».

أجابَت كاتلين: «لقد اختبَرنا هذا بأنفسنا للأسف يا سير دونل». أحيانًا كانت تَشعُر بأن قلبها قد تحوَّل إلى حَجر. ستَّةَ رجالٍ شُجعان ماتوا كي تصل إلى هنا، ولا تجد في نفسها القُدرة على البكاء من أجلهم حتى، وحتى أسماؤهم كانت تخبو في ذاكرتها. «رجال القبائل لم يكفُّوا عن الإغارة علينا ليلًا نهارًا. فقدنا ثلاثة رجالٍ في الهجوم الأول واثنين في الثَّاني، ثم ماتَ خادم لانستر بالحُمَّى عندما تقيَّحت جروحه، وعندما سمعنا رجالك يقتربون حسبتنا في عداد الأموات لا محالة». كانوا قد استعدُّوا لقتالٍ يائسٍ أخير، أسلحتهم في أيديهم وظهورهم إلى الصُّخور، وكان القزم يشحذ بلطته ويُلقي دعابةً لاذعةً ما عندما لمحَ برون الرَّاية التي يحملها القادمون أمامهم -قَمر وصَقر عائلة آرن- ذات اللَّونين الأزرق السَّماوي والأبيض؛ ولم تُرحِّب كاتلين في حياتها بمنظرٍ كما حدثَ لحظتها.

قال السير دونل: «القبائل أصبحَت أكثر جرأةً منذ وفاة اللورد چون». كان شابًّا في العشرين، قصير القامة نوعًا لكن قويَّ الجسد ممتلئه، جادًّا لكن بسيطًا، كبير الأنف ولديه شَعر بُنِّي كثيف. «لو كان الأمر بيدي لقدتُ

مئة رجلٍ إلى الجبال واستأصلتهم من معاقلهم ولقَّنتهم درسًا قاسيًا، لكن أختَكِ منعَت هذا تمامًا. إنها لم تسمح لفُرسانها حتى بالقتال في دورة مباريات اليَد، وتقول إنها تريد أن يبقى جميع رجالنا بالقُرب من هنا للدِّفاع عن "الوادي"... وإن كان لا أحد يدري ضد ماذا بالتَّحديد. الظِّلال على حَدِّ تعبير البعض»، ثم رمقَتها بتوتُّرٍ كأنه تذكَّر فجأةً من تكون وقال: «آملُ أني لم أتكلَّم دون وجه حق يا سيِّدتي، فلم أقصد إساءةً».

- «الكلام الصَّريح لا يُسيء إليَّ يا سير دونل». كانت كاتلين تعرف ما تخشاه أختها. *آل لانستر وليس الظِّلال*، فكَّرت وهي تُلقي نظرةً إلى الوراء إلى حيث ركبَ القزم مع برون، وكان الاثنان قد صارا شديدي القُرب منذ مقتل تشيجن. الرَّجل الصَّغير أكثر مكرًا مما حسبَت، فلدى دخولهم الجبال كان أسيرها المكبَّل العاجز، فماذا يكون الآن؟ أسيرها لم يزل، لكنه يركب وقد دَسَّ خنجرًا في حزامه وعلَّق بلطةً في سَرجه، وارتدى المعطف المصنوع من جِلد قِط الظِّلِّ الذي فازَ به من لعب النَّرد مع المغنِّي، إضافةً إلى قميص الحلقات المعدنيَّة الذي خلعَه عن جثَّة تشيجن. كان أربعون من الرِّجال يتحرَّكون على جانبي القزم وبقيَّة مجموعتها الصَّغيرة المُتعَبة، فُرسان ومسلَّحون في خدمة أختها لايسا وابن چون آرن الصَّغير، ومع ذلك لم يُبد تيريون لانستر أمارةً واحدةً على الخوف، وليس للمرَّة الأولى تساءَلت كاتلين: *هل من الممكن أن أكون مخطئةً؟ هل من الممكن أن يكون بريئًا رغم كلِّ شيء، من ما حدثَ لبران ومقتل چون آرن وكلِّ شيءٍ آخر؟* وإذا كان كذلك، فماذا يجعلها هذا؟ لقد ماتَ ستَّة رجال كي يأتوا به إلى هنا.

عادَت تتسلَّح بالتَّصميم ونحَّت شكوكها جانبًا، وقالت للسير دونل: «أرجو عندما نَبلُغ قلعتكم أن تُرسِل لاستدعاء المِايستر كولمون في الحال. السير رودريك مصاب بحُمَّى من جرَّاء جروحه». لأكثر من مرَّةٍ خافَت ألَّا يَبلُغ الفارس المُسِنُّ الباسل نهاية الرِّحلة، ونحو النِّهاية كان

يجلس على متن حصانه بصعوبة، حتى أن برون ألحَّ عليها أن تَترُكه لمصيره، لكن كاتلين رفضَت تمامًا، وبدلًا من هذا ربطوه بسَرجه وأمرَت ماريليون المغنِّي أن يُبقي عينيه عليه.

تردَّد دونل قبل أن يجيب: «الليدي لايسا أمرَت المِايستر بأن يبقى في "العُش" طوال الوقت ليعتني باللورد روبرت، لكن ثمَّة سِپتون عند البوَّابة يُعنى بالجرحى، ويُمكنه علاج جروح رجلك».

كانت كاتلين تملك إيمانًا أكبر بمهارات المِايستر من صلوات السِّپتون، وهمَّت بأن تقول هذا عندما لاحَت الشُّرفات من أمامهم، المتاريس الطَّويلة المشيَّدة حَفرًا في صخور الجبال نفسها على الجانبين. من هنا تحوَّل الممرُّ تدريجيًّا إلى دربٍ ضيِّقٍ يكفي بالكاد أن يقطعه أربعة رجالٍ جنبًا إلى جنبٍ على خيولهم، وارتفعَ بُرجا حراسةٍ متماثلان من المنحدرات الصَّخرية، يربطهما جسر مغطًّى من الحجارة الرَّماديَّة التي لوَّحتها عوامل التَّعرية يرتفع مقوَّسًا فوق الطَّريق. راقبَتهم الوجوه الصَّامتة عبر فتحاتٍ ضيِّقةٍ في البُرجين والشُّرفات والجسر، وعندما كادوا يَبلُغون القمَّة وجدوا فارسًا يتقدَّم للقائهم. كان حصانه ودِرعه رماديَّي اللَّون، لكن معطفه كان من أحمرَ وأزرقَ ريفررَن المتموِّجين، وثبَّتت طيَّاته إلى كتفه سمكة سوداء من الذَّهب والأوبسيديان. صاحَ مناديًا: «من يأتي لعبور البوَّابة الدَّامية؟».

أجابَ الفارس الشَّاب: «السير دونل واينوود مع الليدي ستارك ورفاقها».

رفعَ فارس البوَّابة مقدِّمة خوذته وقال: «الليدي بدت مألوفةً بالفعل. إنكِ بعيدة جدًّا عن الدِّيار أيتها القطَّة الصَّغيرة».

- «وأنت كذلك يا عمَّاه»، قالت كاتلين مبتسمةً على الرغم من كلِّ ما مرَّت به، فسماع هذا الصَّوت الأجش القوي أعادَها عشرين عامًا إلى الوراء، إلى أيام طفولتها.

- «دياري تقع ورائي».

قالت كاتلين: «ديارك في قلبي. اخلع خوذتك، فأنا أرغبُ في رؤية وجهك ثانيةً».

- «أخشى أن الزَّمن لم يجعله أجمل»، قال برايندن تَلي لكن كاتلين رأت عندما خلعَ الخوذة أن ما قاله ليس صحيحًا، فصحيحٌ أن ملامحه تغضَّنت وذبلت وسرقَ الزَّمن اللَّون الكستنائي من شَعره تاركًا الرَّمادي فقط، لكن البسمة كما هي، والحاجبين كثيفان، والضَّحك في العينين الزَّرقاوين العميقتين. «هل تعلم لايسا بقدومكِ؟».

أجابَت كاتلين والآخَرون قادمون من ورائها: «أخشى أنه لم يكن هناك وقت لإبلاغها مسبقًا. أخشى أننا نتحرَّك وفي أعقابنا عاصفة يا عمَّاه».

سأله السير دونل: «هل تسمح لنا بدخول "الوادي"؟». كانت عائلة واينوود شديدة الالتزام بالرَّسميَّات دائمًا وأبدًا.

أجاب السير برايندن: «باسم روبرت آرن، سيِّد "العُش" وحافظ "الوادي" وحاكِم الشَّرق الشَّرعي، أسمحُ لكم بالدُّخول بأمانٍ وأُناشِدكم بالحفاظ على سلامه. تفضَّلوا».

وهكذا تحرَّكت وراءه عابرةً البوَّابة الدَّامية التي تحطَّمت عليها دستة من الجيوش في عصر الأبطال، وعلى الطَّرف البعيد من البناء المحفور في الصَّخر كانت الجبال تنفتح فجأةً على مشهدٍ بديعٍ من الحقول الخضراء والسَّماء الزَّرقاء والجبال التي اكتسَت قممها بالثُّلوج، وشعرَت كاتلين بأنفاسها تحتبس انبهارًا ووادي آرن يغتسل بنور النَّهار.

امتدَّ "الوادي" أمامهم بأرضه الهادئة ذات التُّربة السَّوداء الخصبة، والأنهار الواسعة بطيئة المجرى، ومئاتٍ من البحيرات الصَّغيرة التي تألَّقت كالمرايا في نور الشَّمس؛ وكلُّ هذا محميٌّ من جميع الجهات بالجبال المحيطة. نبتَ القمح والشَّعير والذُّرة طوالًا في الحقول، وحتى في هايجاردن لم يكن اليقطين أكبر حجمًا ولا الفاكهة أحلى من هنا.

كانوا في طرف الوادي الغَربي، حيث كان الطَّريق العالي يَبلُغ أقصى ارتفاع له ثم يبدأ الانحدار الملتفُّ إلى الأراضي السَّفحيَّة على بُعد ميلين في الأسفل. كان "الوادي" ضيقًا هنا، لا تتجاوَز الرِّحلة عبره نِصف اليوم، وبدت الجبال الشَّماليَّة دانيةً للغاية حتى أنه بدا لكاتلين أنها تستطيع أن تمدَّ يدها وتمسَّها. فوق كلِّ شيءٍ كانت القمَّة المتعرِّجة التي يُطلِقون عليها اسم "رُمح العملاق"، الجبلِ الذي تتضاءَل الجبال نفسها أمامه، والذي توارى رأسه بين الضَّباب الثَّلجي على ارتفاعِ ثلاثة أقدامٍ ونِصفٍ من أرض الوادي، ومن منكبه الغَربي العملاق يتدفَّق الشلَّال الشَّبحي الذي يُدعى "دموع أليسا"، وحتى من على تلك المسافة البعيدة أبصرَت كاتلين خيط المياه الفضِّي اللَّامع وهو يسري على الصُّخور السَّوداء

عندما رأى عمُّها أنها توقَّفت، اقتربَ بحصانه منها وأشارَ قائلًا: «إنه هناك، إلى جوار دموع أليسا. كلُّ ما تستطيعين رؤيته من هنا هو وميض أبيض بين الحين والآخَر، وهذا إذا أمعَنتِ النَّظر وكانت الشَّمس تَسقُط على الجدران من الزَّاوية الصَّحيحة».

سبعة أبراج كخناجر بيضاء مغروسة في بطن السَّماء، قال لها ند ذات مرَّة، *شديدة الارتفاع حتى أنكِ تستطيعين الوقوف في الشُّرفات والنَّظر إلى السَّحاب من فوق*. سألت: «كم سيستغرق الصُّعود؟».

أجابَها العم برايندن: «سنَبلُغ الجبل مع حلول المساء، لكن رحلة الصُّعود ستستغرق يومًا آخَر».

قال السير رودريك كاسل من ورائهما: «سيِّدتي، أخشى أني لا أستطيعُ قطع مسافةٍ أطول من هذا اليوم». كان وجهه ممتقعًا تحت شواربه التي بدأت تنمو من جديد، وبدا مُنهَكًا للغاية حتى أن كاتلين خشيَت أنه سيَسقُط من على حصانه.

قالت: «ولا يَجدُر بك أن تفعل. لقد فعلت كلَّ ما طلبته منك وأكثر مئة مرَّة. سيصحبني عمِّي خلال باقي الطَّريق إلى "العُش". يجب أن يأتي

لانستر معي، لكن ليس هناك ما يستدعي ألَّا يبقى بقيَّتكم هنا ويستعيدون قواهم».

قال السير دونل بكياسة الشَّباب الرَّزينة: «سيُشَرِّفنا أن ينزلوا ضيوفًا علينا». بالإضافة إلى السير رودريك لم يتبقَّ غير السير ويليس وبرون وماريليون المغنِّي من المجموعة التي خرجَت معها من الخان على تقاطُع الطُّرق.

- «سيِّدتي»، قال ماريليون متقدِّمًا بحصانه. «ألتمسُ منكِ أن تسمحي لي بالمجيء معكِ إلى "العُش"، لأشهد خاتمة الحكاية كما شهدتُ مستهلَّها». بدا الصَّبي مضنىً لكن عازمًا على نحوٍ غريب، وفي عينيه لاحت نظرة حماسيَّة محمومة.

لم تكن كاتلين قد طلبَت من المغنِّي أن يأتي معهم من البداية ومجيؤه كان خياره وحده، وإن كانت لا تدري حقًا كيف نجا هو من كلِّ أخطار الرِّحلة بينما كان رجال أشجع منه بمراحل موتى بلا دفنٍ وراءهم. لكن ها هو ذا بلحيته النَّابتة التي جعلته يبدو أقرب لرجلٍ بالِغ، ولربما تدين له هي بشيءٍ مقابل مجيئه كلَّ تلك المسافة، وهكذا قالت له: «ليكن إذن».

قال برون: «أنا أيضًا قادم معكِ».

لم يَرُق لها هذا كثيرًا. هي تعرف أنها لم تكن لتَبلُغ "الوادي" من دون برون، فالمُرتَزِق مُقاتِل لا يشقُّ له غبار كما رأت بنفسها، وبسيفه أسقطَ أعداءهم على الطَّريق واحدًا تلو الآخَر حتى بلغوا ملاذهم الآمن، ومع كلِّ ذلك كانت كاتلين تَشعُر بالامتعاض من الرَّجل. شجاعٌ هو وقويٌّ، لكنه لا يتمتَّع بأيِّ شفقةٍ وبقليلٍ جدًّا من الإخلاص، ثم إنها رأته راكبًا إلى جوار لانستر أغلب الوقت، يتكلَّمان بصوتٍ خفيضٍ للغاية ويضحكان على دعاباتٍ ما، وكانت تُفضِّل أن تفصله عن القزم هنا والآن، ولكن بَعد موافقتها على مجيء ماريليون معها إلى "العُش" لم تجد طريقةً مقبولةً

لأن ترفض أن يفعل برون الشَّيء نفسه، وعليه قالت: «كما تشاء»، على الرغم من أنها لاحظَت أنه لم يَطلُب الإذن منها فعليًّا.

ظَلَّ السير ويليس وود مع السير رودريك ليُطَبِّب السِّپتون ذو الصَّوت النَّاعم جراحهما، كما تركت خيولهم المسكينة عند البوَّابة كذلك. وعدَ السير دونل بإرسال طيورٍ إلى "العُش" وبوَّابات القَمر تحمل خبر مجيئهم، ثم أمرَ بإحضار خيولٍ جديدةٍ لهم من الاسطبلات، وكانت خيولًا جبليَّةً ثابتة الخطى ذات شَعرٍ أشعث، وهكذا خلال أقلِّ من ساعةٍ بدأوا التحرُّك من جديد. ركبَت كاتلين إلى جوار عمِّها وهُم يبدأون النُّزول إلى قاع الوادي، ومن خلفهما برون وتيريون لانستر وماريليون وستَّة من رجال برايندن.

انتظرَ برايندن تَلي حتى قطعوا نحو ثُلث الطَّريق الجبلي بعيدًا عن مسامع الآخَرين، قبل أن يلتفت إليها قائلًا: «والآن حدِّثيني عن عاصفتكِ هذه يا صغيرتي».

- «لم أعد صغيرةً منذ زمنٍ طويل يا عمَّاه»، قالت كاتلين لكنها حكَت له بالرغم من ذلك، واستغرقَ الحكي وقتًا أطول مما توقَّعت حقًّا، من رسالة لايسا وسقوط بران وخنجر القاتل والإصبع الصَّغير وحتى مصادَفة لقائها بتيريون لانستر في الخان على مفترَق الطُّرق.

أصغى عمُّها بصمتٍ وحاجباه الكثَّان يُظَلِّلان عينيه مع انعقادهما أكثر فأكثر. دائمًا ما يعرف برايندن تَلي كيف يُصغي... يُصغي لأيِّ أحدٍ سوى أبيها بالأحرى. كان شقيق اللورد هوستر ويَصغُره بخمسة أعوام، لكن الاثنين كانت في حالة حربٍ دائمًا منذ تفتَّحت عينا كاتلين على الدُّنيا، وفي واحدةٍ من مشاحناتهما الكبيرة، عندما كانت كاتلين في الثَّامنة، نعتَ اللورد هوستر برايندن بأنه "الكبش الأسود في قطيع تَلي"، فرَدَّ برايندن ضاحكًا أن رمز العائلة عبارة عن سمكةترويت واثبة، والأحرى إذن أن يكون سمكةً سوداء وليس كبشًا، ومنذ ذلك الحين اتَّخذ السَّمكة

السَّوداء شعارًا خاصًّا به. لم تنتهِ الحرب بين الأخوين حتى اليوم الذي تزوَّجت فيه كاتلين ولايسا، فخلال مأدبة الزِّفاف أخبرَ برايندن أخاه بأنه سيُغادِر ريفرزَن ليخدم لايسا وزوجها الجديد سيِّد "العُش"، ومنذ يومها لم ينطق اللورد هوستر باسم أخيه ثانيةً كما كتبَ لها أخوها إدميور في رسائله القليلة. وعلى الرغم من كلِّ ذلك، طوال سنين طفولة كاتلين وصُبُوَّتها كان برايندن السَّمكة السَّوداء هو من يهرع له أبناء اللورد هوستر بحكاياتهم أو دموعهم، عندما يكون أبوهم مشغولًا وأمهم مريضةً. كاتلين، لايسا، إدميور، وحتى پيتر تابع أبيهم الشَّخصي، كان يُصغي إليهم جميعًا بصبرٍ كما أصغى الآن، يضحك مع انتصاراتهم ويتعاطف مع مشكلاتهم الطُّفوليَّة.

ظَلَّ عمُّها صامتًا لمُدَّةٍ طويلةٍ بَعد فروغها وحصانه يقطع الدَّرب الصَّخري المنحدر، وأخيرًا قال: «لا مناص من إخبار أبيكِ. إذا تحرَّك آل لانستر، فوينترفل بعيدة عنهم، و"الوادي" محصَّن وراء جباله، بينما ريفرزَن قريبة وتقع في طريقهم مباشرةً».

قالت كاتلين: «الشَّيء نفسه أخشاه. سأطلبُ من المِايستر كولمون أن يُرسِل طائرًا عندما نصل إلى "العُش"». كانت ثمَّة رسائل أخرى عليها إرسالها كذلك، الأوامر التي كلَّفها ند بإبلاغها إلى حمَلة رايته لتجهيز الدِّفاعات في الشَّمال. ثم إنها سألت: «كيف المزاج العام في "الوادي"؟».

أجابَ برايندن تَلي: «غاضب. اللورد چون كان محبوبًا للغاية، والإهانة كانت شديدةً عندما وضعَ المَلك روبرت چايمي لانستر في منصبٍ يحتلُّه آل آرن منذ ما يَقرُب من ثلاثمئة عام. أمرَتنا لايسا بأن نلَقِّب ابنها بالحاكِم الشَّرعي للشَّرق، لكن هذا لم يخدع أحدًا طبعًا، كما أن أختك ليست الوحيدة التي تتساءَل عن الطَّريقة التي ماتَ بها اليَد. لا أحد يقول إن چون قد قُتِلَ، ليس على الملأ، لكن الشَّكَّ يُلقي ظِلًّا طويلًا»، ثم رمقَ كاتلين قائلًا بفمٍ مزمزم: «ثم إن هناك الصَّبي نفسه».

- «الصَّبي؟ ماذا عنه؟»، سألت وهي تخفض رأسها أثناء مرورهما أسفل صخرةٍ بارزةٍ واطئة، ثم حول منعَطفٍ حاد.

تنهَّد عمُّها وأجابَ بصوتٍ ملأه الضِّيق: «اللورد روبرت، طفل في السَّادسة، سقيم، وينفجر باكيًا إذا أخذتِ منه هذه الدُّمية أو تلك. وريث چون آرن في شرع الآلهة كلها، لكن البعض يقولون إنه أضعف من أن يجلس في مقعد أبيه. نستور رويس كان كبير الوكلاء طوال أربعة عشر عامًا أثناء خدمة اللورد چون في كينجز لاندنج، ويتهامَس كثيرون أنه من الحريِّ به أن يَحكُم حتى بلوغ الصَّبي، ويؤكِّد آخَرون أن لايسا ينبغي أن تتزوَّج ثانيةً وقريبًا. الخُطَّاب محتشدون كالغِربان فوق ميدان المعركة بالفعل، و"العُش" يعجُّ بهم».

قالت كاتلين: «كنتُ أتوقَّعُ هذا». ولا عجب في ذلك حقًّا، فلايسا لا تزال شابَّةً، ومَملكة الجبال والوادي بمثابة هديَّة زفافٍ منقطعة النَّظير. «وهل ستتَّخذ لايسا لنفسها زوجًا جديدًا؟».

- «هذا ما تقوله، بفرض عثورها على رجلٍ يُناسِبها، لكنها رفضَت اللورد نستور بالفعل ودستةً من الرِّجال المُناسِبين، وإن كانت تُقسِم أن من ستتزوَّج منه سيكون من اختيارها هذه المرَّة».

- «أنت من بين الجميع لا يُمكنك أن تلومها على هذا».

قال بامتعاض: «ولستُ ألومها، وإنما... يبدو لي أن لايسا تلعب لُعبة المغازَلة لا أكثر، أنها تستمتع بالرِّفقة المحيطة بها لكن تنوي أن تَحكُم بنفسها إلى أن يصير ابنها كبيرًا بما يكفي لأن يكون سيِّد "العُش" فعلًا وليس اسمًا».

- «النِّساء قادرات على القيادة بالحكمة ذاتها كالرِّجال».

قال عمُّها وهو يَرمُقها بنظرةٍ جانبيَّة: «النِّساء المُناسِبات. إياكِ أن تعتقدي أن لايسا مثلكِ يا كات»، ثم تردَّد للحظةٍ قبل أن يُردِف: «الحقيقة أني أخشى أنكِ لن تجدي أختكِ ذات عونٍ كما تأملين».

سألته مندهشةً: «ماذا تعني؟».

- «لايسا التي عادَت من كينجز لاندنج ليست الفتاة نفسها التي رحلت جَنوبًا لدى تنصيب زوجها يَدًا للمَلك. تلك السِّنين كانت صعبةً عليها حقًّا، ولا بُدَّ أنكِ تعين هذا. اللورد آرن كان زوجًا مُخلِصًا، لكن زواجهما كان مبنيًّا على السِّياسة وليس الحُب».

- «تمامًا كزواجي».

- «الزِّيجتان بدأتا كشيءٍ واحد، لكن نهايتكِ كانت أسعد من نهاية أختكِ: طفلان وُلِدا جهيضين، وضِعف هذا العدد أُجهِضَ، ووفاة اللوردِ آرن... كاتلين، الآلهة لم تُنعِم على أختكِ إلَّا بطفل واحدٍ فقط، وهو كلُّ ما تحيا من أجله، المسكين. لا عجب هنالك أنها فضَّلت الفرار على رؤيته يُسَلَّم إلى أيدي آل لانستر أمام عينيها. أختكِ خائفة يا صغيرتي، وأكثر ما يُخيفها هو آل لانستر. لقد هربَت إلى "الوادي" متسلِّلةً من القلعة الحمراء كلصٍّ في جوف اللَّيل، وكلُّ هذا كي تنتزع ابنها من بين فكَّيِّ الأسد... والآن جئتِ أنتِ بالأسد إلى بابها».

- «مكبَّلًا بالأغلال»، قالت كاتلين وأبطأت سرعة حصانها لمَّا رأت الصَّدع الكبير الذي يفغر فاه إلى يمينها، وبدأت تتحرَّك بحذرٍ شديد.

- «حقًّا؟»، قال عمُّها وهو يُلقي نظرةً وراءه إلى حيث ينزل تيريون لانستر المنحدر ببطء. «إنني أرى بلطةً في سَرجه وخنجرًا في حزامه ومُرتَزِقًا يتبعه كظلٍّ جائع، فأين الأغلال يا حُلوتي؟».

اعتدلت كاتلين بغير راحةٍ فوق سَرجها، وقالت: «القزم هنا، وليس بإرادته. بأغلالٍ أم لا هو سجيني، ولا ريب أن لايسا ترغب في أن يدفع ثمن جرائمه مِثلي تمامًا، فزوجها هو من اغتاله آل لانستر، ورسالتها كانت أول تحذيرٍ تلقَّيناه منهم».

منحَها برايندن السَّمكة السَّوداء ابتسامةً مُتعَبةً وقال: «أتمنَّى أن تكوني مصيبةً يا صغيرتي»، ثم تنهَّد بأسلوبٍ يشي باعتقاده أنها مخطئة.

كانت الشَّمس قد بدأت رحلة المغيب فعلًا عندما أخذَ المنحدر يتسطَّح تدريجيًّا تحت حوافر خيولهم واتَّسع الطَّريق وأصبحَ مستقيمًا، وللمرَّة الأولى لاحظت كاتلين الزُّهور البريَّة والأعشاب النَّامية. بمجرَّد بلوغهم قاع الوادي أضحَت حركتهم أسرع وهُم ينطلقون عبر غاباتٍ خضراء نضرة وقرىً صغيرةٍ ناعسة، مرورًا ببساتينٍ وحقول قمحٍ ذهبيَّة، وخلال عشراتٍ من الجداول الضيِّقة التي تُنير مياهها الشَّمس. أرسَلَ عمُّها حامل رايةٍ يسبقهم حاملًا علمًا مزدوجًا يُرَفرِف من ساريته: قَمر وصَقر عائلة آرن في الأعلى، وأسفله سمكة سوداء؛ وطوال رحلتهم أفسحَ لهم سائقو العربات والتُّجَّار والمُزارِعون وأبناء العائلات الأقلّ شأنًا طريق المرور. ومع ذلك كان الظَّلام قد حَلَّ بالكامل قبل وصولهم إلى القلعة الضَّخمة التي ترتفع عند سفح رُمح العملاق. لاحت أضواء المشاعل المتذبذبة فوق أسوارها ومتاريسها، ورقصَ انعكاس المُحاق على مياه خندقها الدَّاكنة. كان الجسر المتحرِّك مرفوعًا والشَّبكة الحديديَّة مسدلةً، لكن كاتلين رأت أضواءً في غُرفة الحراسة عند البوَّابة وفي الأبراج المربَّعة من ورائها. قال عمُّها والمجموعة تتوقَّف أخيرًا: «بوَّابات القَمر»، بينما تحرَّك حامل الرَّاية إلى حافَّة الخندق ليُنادي الرِّجال في غُرفة الحراسة. «هذا هو مكان اللورد نستور. من المفترض أنه ينتظرنا... انظري إلى أعلى».

ورفعَت كاتلين عينيها، إلى أعلى وأعلى وأعلى. في البدء لم ترَ غير الصُّخور والأشجار وكتلة الجبل العظيم يتغلَّفها اللَّيل فصارَت سوداء كسماءٍ بلا نجوم، ثم لاحظَت وهج نارٍ بعيدةٍ فوقها. إنه البُرج المحصَّن المشيَّد على جانب الجبل المنحدر، نوافذه المضاءة كأعيُنٍ برتقاليَّةٍ تُحَدِّق فيها من فوق، وأعلاه كان بُرج آخَر أطول وأبعد، ثم ثالث أطول يبدو كمجرَّد شرارةٍ في السَّماء من موقعها هذا. وأخيرًا، هناك في الأعالي حيث تُحَلِّق الصُّقور، كان الوميض الأبيض في نور القَمر، وانتابها الدُّوار وهي ترفع عينيها ناظرةً إلى الأبراج الشَّاهقة البعيدة.

سمعَت ماريليون يُغَمغِم مشدوهًا: «"العُش"».

ثم سمعَت صوت تيريون لانستر الحاد يقول: «لا بُدَّ أن آل آرن غير مولعين بالصُّحبة. إذا كنتِ تنتوين أن نصعد هذا الجبل في الظَّلام، فخير لي أن تَقتُليني هنا».

أجابَه السير برايندن: «سنقضي اللَّيلة هنا ثم نبدأ الصُّعود في الغد».

- «أوه، إنني لا أطيقُ الانتظار. وكيف سنصعد؟ أنا ما عندي تجربة في ركوب الجديان».

قال برايندن مبتسمًا: «بالبغال».

وعقَّبت كاتلين: «ثمَّة درجات محفورة في الجبل». كان ند قد حكى لها عنها وهو يتكلَّم عن شبابه هنا مع روبرت باراثيون وچون آرن.

أومأ عمُّها برأسه وقال: «لا يُمكنك رؤيتها في الظَّلام لكنها موجودة. إنها ضيِّقة منحدرة للغاية بالنِّسبة للخيول، لكن البغال تستطيع صعودها أغلب الطَّريق الذي تَحرُسه ثلاث قلاع فرعيَّة، "صخر" و"ثلج" و"سماء". سوف تأخذنا البغال حتى "سماء"».

نظرَ تيريون لانستر إلى أعلى بشَكٍّ وقال: «وبَعد ذلك؟».

ابتسمَ برايندن وقال: «بَعد ذلك يُصبِح الجبل منحدرًا للغاية حتى بالنِّسبة للبغال، لذا سنصعد على الأقدام بقيَّة الطَّريق، أو لعلَّك تُفَضِّل الصُّعود في القفص. "العُش" مشيَّد في قلب الجبل فوق "سماء" مباشرةً، وفي أقبيته ثمَّة ستُّ رافعاتٍ ضخمة بسلاسل حديديَّةٍ طويلةٍ لرفع المؤن من الأسفل. إذا كنت تُفَضِّل هذا يا سيِّد لانستر، فيُمكنني أن أرتِّب صعودك مع الخُبز والبيرة والتفَّاح».

أطلقَ القزم ضحكةً كالنُّباح وقال: «ليتني كنتُ يقطينةً! لكن للأسف سيتكدَّر السيِّد والدي كثيرًا إذا ذهبَ ابنه سليل عائلة لانستر إلى مصيره كشُحنةٍ من اللِّفت. طالما أنكم ستصعدون على الأقدام، فأخشى أن عليَّ أن أحذو حذوكم. نحن أبناء لانستر لنا كرامتنا كما تعلم».

- «كرامة؟»، قالت كاتلين محتدَّةً وقد أغضبَتها نبرته السَّاخرة وأسلوبه اللامبالي. «هي غطرسة بالأحرى، غطرسة وجشع وشهوة للسُّلطة».

أجابَ تيريون: «أخي متغطرس بلا شَك، وأبي هو المادَّة الخام للجشع، وأختي العزيزة سرسي تشتهي السُّلطة مع كلِّ نفسٍ يَدخُل صدرها، أمَّا أنا فبريء كالحَمل الصَّغير. هل ترغبين أن أثغو لكِ؟». قالها وابتسمَ بالسُّخرية المقيتة نفسها.

نزلَ الجسر المتحرِّك مُصدِرًا صريرًا حادًّا قبل أن تُجيبه، وسمعوا صوت السَّلاسل المزيَّتة والشَّبكة الحديديَّة تُرفَع إلى أعلى، ثم خرجَ رجال مسلَّحون حاملين المشاعل كي تُضيء طريقهم، وقادَهم عمُّها عبر الخندق. كان اللورد نستور رويس، كبير وُكلاء "الوادي" وحافظ بوَّابات القَمر، في انتظارهم في السَّاحة ليُحَيِّيهم وقد أحاطَ به فُرسانه، وقال منحنيًا: «ليدي ستارك». كان رجلًا ضخم الجثَّة ذا صدرٍ كالبرميل وانحناءته خرقاء نوعًا.

ترجَّلت كاتلين ووقفت أمامه قائلةً: «لورد نستور». كانت تعرف الرَّجل اسمًا فقط، فهو ابن عمِّ يون البرونزي القادم من فرعٍ أدنى من عائلة رويس، وإن كان الرَّجل لوردًا مهيبًا قائمًا بذاته. «لقد قطَعنا رحلةً طويلةً شاقَّةً، وأطلبُ منك استضافتنا تحت سقفك اللَّيلة إذا سمحت لنا».

أجابَ اللورد نستور بلهجته الخشنة: «سقفي تحت أمركِ يا سيِّدتي، لكن شقيقتكِ الليدي لايسا بعثَت رسالةً من "العُش" تَطلُب فيها أن تراكِ على الفور. سنستضيف بقيَّة صُحبتك هنا ونجعلهم يصعدون مع أول ضوءٍ للصُّبح».

وثبَ عمُّها من فوق حصانه وقال بحدَّة: «أيُّ جنونٍ هذا؟». لم يكن برايندن تَلي بالرَّجل الذي يُزوِّق كلامه أبدًا. «صعود ليلي دون أن يكون القَمر مكتملًا؟ حتى لايسا تعرف أن هذه دعوة لأن يكسر المرء عُنقه».

- «البغال تحفظ الطَّريق عن ظَهر قلبٍ يا سير برايندن»، قالت فتاة

نحيلة قويَّة البنيان في السابعة أو الثامنة عشر من العُمر وهي تتقدَّم لتقف إلى جوار اللورد نستور رويس. كان شَعرها القصير مقصوصًا باستقامةٍ حول رأسها، وترتدي ثياب الرُّكوب الجِلديَّة وقميصًا خفيفًا من الحلقات المعدنيَّة. انحنَت لكاتلين برشاقةٍ أكثر من سيِّدها وقالت: «أعدكِ يا سيِّدتي أن لا أذىً سيُصيبكِ، وسيكون من دواعي شَرفي أن أصحبكِ إلى أعلى. لقد صعدتُ الجبل في الظَّلام مئة مرَّة. مايكل يقول إن أبي كان جديًا لا بُدَّ».

كان أسلوبها مختالًا واثقًا لدرجة أن كاتلين ابتسمَت، ثم سألتها: «ما اسمكِ يا بُنيَّتي؟».

أجابَت الفتاة: «ميا ستون يا سيِّدتي».

كانت كاتلين تُحافِظ على ابتسامتها بصعوبة. "ستون" هو اسم الأبناء غير الشَّرعيِّين في "الوادي"، تمامًا كـ"سنو" في الشَّمال، و"فلاورز" في هايجاردن. في كلٍّ من المَمالك السَّبع خصَّصت الأعراف اسمًا لكلِّ من وُلِدَ من غير زواجٍ شرعيٍّ للأبوين. لم تكن كاتلين تحمل شيئًا ضِدَّ الفتاة، لكنها لم تستطِع منع نفسها من التَّفكير في نغل ند على "الجِدار"، وأشعرَها الخاطر بالغضب والذَّنب في آنٍ واحد، وكافحَت كي تَعثُر على كلماتٍ تردُّ بها.

قال اللورد نستور كاسرًا الصَّمت: «ميا فتاة بارعة، وإذا أكَّدت أنها تستطيع اصطحابكِ بأمانٍ إلى الليدي لايسا، فأنا أُصَدِّقها. إنها لم تَخذُلني من قبل».

قالت كاتلين: «سأضعُ نفسي بين يديكِ إذن يا ميا ستون. لورد نستور، أوصيك بأن تضع السَّجين تحت حراسةٍ مشدَّدة».

- «وأوصيك أنا أن تُحضِر للسَّجين كأسًا من النَّبيذ وديكًا مشويًّا قبل أن يموت جوعًا»، قال لانستر. «لا بأس بفتاةٍ كذلك، وإن كنتُ أعتقدُ أن هذا طلبٌ مبالَغ فيه بالنِّسبة إليكم».

انفجرَ برون ضاحكًا، بينما تجاهلَ اللورد نستور المزاح وقال: «كما تأمرين يا سيِّدتي»، وبَعدها فقط التفتَ إلى تيريون قائلًا: «خُذوا اللورد لانستر إلى زنزانةٍ في البُرج، وأحضِروا له الطَّعام والشَّراب».

استأذنَت كاتلين بالانصراف من عمِّها والآخَرين بينما اقتيد تيريون لانستر إلى زنزانته، ثم تبعت الفتاة النَّغلة عبر القلعة إلى الفِناء العلوي، حيث كان بغلان جاهزين في انتظارهما، وساعدَتها ميا على الرُّكوب بينما اتَّجه حارس في معطفٍ بلونٍ أزرقَ سماويٍّ إلى البوَّابة الخلفيَّة الضيِّقة ليفتحها. وراء القلعة كانت تقبع غابة كثيفة من أشجار الصَّنوبر والتنُّوب، والجبل بمثابة جِدارٍ أسودَ، لكن الدَّرجات كانت هناك، محفورةً في عُمق الصَّخر وترتفع إلى السَّماء. «البعض يُفَضِّلون إغلاق أعينهم»، قالت ميا وهي تقود البغلين عبر البوَّابة إلى الغابة المظلمة. «عندما يَشعُرون بالخوف أو الدُّوار، يتمسَّكون بالبغال بقوَّةٍ شديدة، لكن هذا لا يروق لها».

قالت كاتلين: «لقد وُلِدتُ في عائلة تَلي وتزوَّجتُ من عائلة ستارك ولا أخافُ بسهولة»، ولمَّا لاحظَت أن الدَّرجات سوداء كالقار قالت: «هل تنوين إشعال مشعل؟».

أجابَت الفتاة باستهانة: «المشاعل تُعميكِ لا أكثر، وفي ليلةٍ صافيةٍ كهذه يكفي نور القَمر والنُّجوم. مايكل يقول إن لديَّ عيني بومة»، ثم امتطَت بغلها وصعدَت به الدَّرجة الأولى، وتبعها بغل كاتلين من تلقاء نفسه.

قالت كاتلين: «لقد ذكرتِ مايكل هذا من قبل». كان البغلان هما من قرَّرا سرعة التحرُّك البطيئة الثَّابتة، ووجدَت كاتلين نفسها قانعةً بهذا.

- «مايكل هو حبيبي، مايكل ردفورت. إنه مُرافِق للسير لين كوربراي. سوف نتزوَّج بمجرَّد أن يصير فارسًا، العام القادم أو الذي يليه».

كأن سانزا هي من تتكلَّم، سعيدة وبريئة جدًّا في أحلامها. ابتسمَت كاتلين، لكن البسمة كانت مشوَّبةً بالحُزن، فهي تعرف أن ردفورت اسم

قديم في "الوادي"، وفي عروق هذه العائلة تجري دماء البَشر الأوائل. قد تكون حبيبته، لكن من المستحيل أن يتزوَّج أحد أبناء ردفورت من نغلةٍ أبدًا، وستجد عائلته عروسًا أنسب له، واحدةً من آل كوربراي أو واينوود أو رويس، أو ربما ابنة عائلةٍ أكبر من خارج "الوادي". إذا طارحَ مايكل ردفورت هذه الفتاة الغرام، فلن يكون هذا بغرض الزَّواج على الإطلاق.

كان الصُّعود أسهل كثيرًا مما توقَّعت كاتلين أو حتى أملت. دنَت فروع الأشجار من بعضها بعضًا بشدَّةٍ فوق الممرِّ لتصنع سقفًا أخضرَ سميكًا حجبَ القَمر نفسه وأخذَ يُصدِر حفيفًا واطئًا، فبدا كأنهما تصعدان إلى أعلى في نفقٍ أسودَ طويل. لكن البغلين كانا ثابتي الخطى حقًّا ولا يتعبان، كما بدا كأن الآلهة قد أنعمَت على ميا ستون بعينين تريان في الظَّلام فعلًا. هكذا ظلَّتا تصعدان إلى أعلى دائرتين مع دوران الدَّرجات حول وجه الجبل. كانت طبقة كثيفة من أوراق الشَّجر السَّاقطة تكسو الطَّريق، فلم تُصدِر حدوات البغلين إلَّا أصواتًا خفيضةً للغاية وهي تدقُّ الصُّخور. هدأت أعصابها مع السُّكون المحيط بها، وتمايلَت كاتلين على سَرجها مع حركة البغل، ولم يمضِ وقت طويل حتى كانت تُكافِح النُّعاس الذي تسلَّل إلى جفنيها. ولعلَّها غابَت في النَّوم حقًّا، ففجأةً لاحت أمامهما بوَّابة حديديَّة عملاقة، وقالت ميا بمرحٍ وهي تترجَّل: «"صخر"». كانت هناك حراب من الحديد مثبَّتة على الأسوار الحَجريَّة المهيبة، بينما ارتفعَ بُرجان مستديران كبيران فوق القلعة. فُتِحَت البوَّابة إثر صيحةٍ من ميا، وفي الدَّاخل حيَّا الفارس البدين الذي يقود القلعة الفرعيَّة ميا بالاسم وقدَّم لهما أسياخًا ساخنةً من اللَّحم المشوي والبصل. لم تكن كاتلين قد أدركَت كم هي جائعة حتى رأت الطَّعام، والتهمته بشراهةٍ وهي واقفة في السَّاحة بينما نقلَ صبيان الاسطبل سَرجيهما إلى بغلين جديدين، وسالَت العُصارة السَّاخنة على ذقنها ومنها إلى معطفها، لكنها كانت أكثر جوعًا من أن تُبالي.

ثم حانَ الوقت لامتطاء البغل من جديد والتحرُّك إلى أعلى في نور النُّجوم. غير أن المرحلة الثَّانية من الصُّعود بدت خدَّاعةً أكثر لكاتلين، فالطَّريق كان أكثر انحدارًا والدَّرجات باليةً أكثر، وهنا وهناك تناثرَ الحصى والحجارة المكسَّرة، حتى أن ميا اضطرَّت للترجُّل عدَّة مرَّاتٍ لإزاحة الأحجار الصَّغيرة السَّاقطة من الجبل نفسه من طريقهما. قالت: «لا أحد يرغب في أن يكسر بغله ساقه هنا»، ووجدَت كاتلين نفسها تتَّفق معها على الفور وهي تَشعُر بالارتفاع أكثر بالفعل. كانت الأشجار متناثرةً على مساحاتٍ أوسع هنا والرِّيح تهبُّ بقوَّةٍ أكبر شدَّت ثيابها ودفعَت شَعرها في عينيها. بين الحين والآخَر كانت الدَّرجات تنطوي على نفسها في الجهة المعاكسة، فكانت ترى "صخر" أسفلهما وبوَّابات القَمر بعيدةً في القاع ومشاعلها تبدو كالشُّموع.

كانت "ثلج" أصغر من "صخر"، تضمُّ بُرجًا مدعَّمًا وحدًا وحصنًا من الخشب واسطبلًا توارى وراء جِدارٍ واطئٍ من الصُّخور غير المملَّطة، وإن كانت مشيَّدةً في قلب رُمح العملاق بطريقةٍ تجعلها تُسَيطِر على كامل الدَّرجات الحَجريَّة التي تعلو القلعة الفرعيَّة الأولى. العَدُوُّ الذي يرغب في غزو "العُش" عليه أن يُقاتِل ليشقَّ طريقه من "صخر" درجةً درجةً، بينما تنهمر عليه الصُّخور والسِّهام من "ثلج" في الأعلى. عرضَ عليهما قائد القلعة، الفارس الشَّاب العصبي ذو الوجه المليء بالبثور، الخُبز والجُبن وأن تُدَفِّئا نفسيهما أمام النَّار، لكن ميا رفضَت قائلةً: «يجب أن نُواصِل التحرُّك يا سيِّدتي إذا كان هذا يُناسِبك»، فهزَّت كاتلين رأسها موافقةً.

مرَّةً أخرى جاءوهما ببغلين جديدين، وابتسمَت ميا لمرأى بغلها الأبيض وقالت: «وايتي بغلٌ ممتاز حقًّا يا سيِّدتي، واثق الحركة حتى على الجَليد، لكن يجب أن تتوخَّي الحذر، فسيرَكُلك إذا لم تروقي له». لكن يبدو أنها راقَت للبغل الأبيض والشُّكر للآلهة، ولم يكن هناك جَليد أيضًا

وهي ممتنَّةٌ لذلك. «أمي تقول إن الثَّلج وُلِدَ هنا منذ مئات السِّنين. دائمًا ما كان اللون الأبيض يسود الأعالي هنا، ولم يَذُبْ الجَليد قَطُّ»، ثم هزَّت كتفيها وأضافَت: «لا أذكرُ أني رأيتُ ثَلجًا على هذا البُعد في الجبل، لكن لعلَّه كان موجودًا هنا بالفعل في قديم الزَّمن».

صغيرةٌ للغاية، فكَّرت كاتلين وهي تُحاوِل أن تتذكَّر إن كانت مِثلها ذات يوم. لقد عاشَت الفتاة نِصف حياتها في الصَّيف ولا تعرف غيره. أرادَت أن تقول لها: *الشِّتاء قادم يا صغيرتي*، وكانت الكلمات على شفتيها بالفعل وكادت أن تتلفَّظ بها. لا بُدَّ أنها بدأت تُصبِح ستارك أخيرًا.

فوق "ثلج" كانت الرِّيح كائنًا حيًّا، تعوي من حولهما كذِئبٍ في البريَّة ثم تَصمُت تمامًا كأنها تُحاوِل إغواءهما بالهدوء. بدت النُّجوم أسطع هنا وقريبةً للغاية حتى أنها تكاد تستطيع أن تلمسها، والمُحاق ضخمًا للغاية في السَّماء السَّوداء الصَّافية. مع صعودهما وجدَت كاتلين أن من الأفضل أن تَنظُر إلى أعلى بدلًا من أسفل. كانت الدَّرجات هنا مشقوقةً مكسورةً من جرَّاء قرونٍ من التجمُّد والذَّوبان ومرور بغالٍ بلا عددٍ عليها، وحتى في الظَّلام جعلَ الارتفاع قلبها يهوي بين ساقيها. ثم ترجَّلت ميا عندما وصلتا إلى سِنادٍ عالٍ بين قمَّتين مستدقَّتين من الصُّخور، وقالت: «من الأفضل أن نقود البغلين إلى الجانب الآخَر يا سيِّدتي، فالرِّياح مخيفة هنا بعض الشَّيء».

متصلِّبةً نزلت كاتلين وتطلَّعت إلى الممرِّ أمامهما. عشرون قدمًا طولًا ونحو ثلاثة أقدام عرضًا، وهاوية على الجانبين. كانت الرِّيح تَصرُخ، لكن ميا تحرَّكت بخفَّةٍ وتبعها بغلها بهدوءٍ شديدٍ كأنهما يَعبُران فِناءً واسعًا. ثم حان دورها، لكن بمجرَّد أن خطت خطوةً واحدةً أطبقَ الخوف على كاتلين بفكَّيه. كانت تَشعُر بالفراغ المحيط بها، ودوَّامات الهواء السَّوداء التي تدور حولها، وتوقَّفت مرتجفةً لا تَجسُر على التحرُّك. صرخَت الرِّيح فيها وشدَّت معطفها بعُنف محاولةً إلقاءها من فوق الحافَّة،

وتراجعَت كاتلين إلى الوراء ببُطءٍ بالغ، لكن البغل كان وراءها يسدُّ عليها طريق العودة، وفكَّرت: *سوف ألقى حتفي هنا*، وهي تَشعُر بقطرات العَرق البارد تسيل على ظَهرها.

نادَتها ميا عبر الهاوية بصوتٍ جاءَ كأنه على بُعد آلاف الأميال منها: «ليدي ستارك، هل أنتِ بخير؟».

ابتلعَت كاتلين تَلي ستارك ما تبقَّى من كبريائها وصاحَت: «لا... لا أستطيعُ أن أفعل هذا يا صغيرتي».

قالت الفتاة النَّغلة: «بل تستطيعين، أعرفُ أنكِ تستطيعين. انظري إلى اتِّساع الممر».

- «لا أريدُ أن أنظر». كانت الدُّنيا تدور من حولها، الجبل والسَّماء والبغلان، وأغلقَت كاتلين عينيها في محاوَلة لأن تنتظم أنفاسها اللَّاهثة.

قالت ميا: «سأعودُ إليكِ، لا تتحرَّكي يا سيِّدتي».

كانت الحركة آخِر شيءٍ تُفكِّر كاتلين في فِعله، واكتفَت بأن أصغَت إلى عُواء الرِّيح وصوت احتكاك الجِلد بالحَجر، ثم وجدَت ميا أمامها تُمسِكها من ذراعها قائلةً: «لا تفتحي عينيكِ إذا أردتِ، واترُكي الحبل. وايتي يعرف كيف يعتني بنفسه. أحسنتِ يا سيِّدتي، سأقودكِ أنا، الأمر سهل، سترين. أعطيني خطوةً الآن، عظيم، هكذا، حرِّكي قدمك إلى الأمام فقط. أرأيتِ؟ والآن خطوة أخرى. منتهى السُّهولة، يُمكنكِ أن تقطعي الممرَّ عدوًا. خطوة أخرى، نعم، عظيم». وهكذا، قدمًا قدمًا، خطوةً خطوةً، قادت النَّغلة كاتلين عبر الممرِّ وهي عمياء ترتجف، بينما تبعهما البغل الأبيض بهدوءٍ تام.

لم تكن القلعة الفرعيَّة الأخيرة "سماء" أكثر من جِدارٍ عالٍ على شكل هلالٍ من الحجارة غير المملَّطة يرتفع على جانب الجبل، لكن حتى أبراج ڤاليريا العارية من القمم لم تكن لتبدو بهذا الجمال في عيني كاتلين ستارك ساعتها. أخيرًا كان تاج الثَّلج يبدأ ها هنا وقد اكتسَت

أحجار "سماء" البالية بالصَّقيع، بينما تدلَّت حراب طويلة من الجَليد من المنحدرات في الأعلى.

كان الفَجر قد بدأ يطلع من الشَّرق عندما نادَت ميا ستون على الحُرَّاس وانفتحَت البوَّابة أمامهما. في الدَّاخل كانت الجدران مجرَّد سلسلةٍ من المنحدرات والجلاميد والأحجار من جميع الأحجام، ولا شَكَّ أن بدء انهيارٍ صخريٍّ من هنا سيكون أسهل شيءٍ في العالم. كانت هناك فتحة ضخمة في وجه الجبل أمامهما، وقالت ميا مشيرةً إليها: «الاسطبلات والثَّكنات في الدَّاخل. آخِر جزءٍ من الرِّحلة داخل الجبل نفسه. المكان مظلم إلى حدٍّ ما، لكنكِ ستكونين بعيدةً عن الرِّيح على الأقل. البغال لا تستطيع المضيَّ أكثر من هذا، فبَعد هنا لن تجدي درجاتٍ حَجريَّة بالمعنى المعروف، بل هي أقرب إلى سلالم، لكن الأمر ليس بهذا السُّوء. سنصل بَعد ساعةٍ واحدة».

نظرَت كاتلين إلى أعلى، وفوقها مباشرةً أبصرَت دعائم قلعة "العُش" الباهتة في نور الفَجر، تَبعُد ستمئة قدم لا أكثر عنهما. من الأسفل كانت تبدو كقُرص عسلٍ أبيضَ صغير، وتذكَّرت كاتلين ما قاله عمُّها عن الأقفاص والرَّافعات، وقالت لميا: «فليحتفظ آل لانستر بما يُسَمُّونه كرامتهم، لكن أبناء تَلي يولَدون أكثر تعقُّلًا. إنني على ظهور الخيول والبغال طوال النَّهار السَّابق وأغلب اللَّيل. قولي لهم أن يخفضوا القفص. سأصعدُ مع اللِّفت!».

كانت الشَّمس قد ارتفعَت فوق الجبال عندما وصلت كاتلين أخيرًا إلى "العُش"، وكان الرَّجل الذي ساعَدها على الخروج من القفص قصير القامة ممتلئ الجسد ذا شَعرٍ أشيب، يرتدي معطفًا من الرَّمادي والأزرق فوق دِرعٍ دُقَّ على صدرها رمز القَمر والصَّقر، السير ڤارديس إيجن قائد حَرس أهل بيت چون آرن، وإلى جواره وقفَ المِايستر كولمون العصبيُّ النَّحيل ذو الشَّعر الخفيف جدًّا والعُنق الثَّخين. قال السير ڤارديس: «ليدي

ستارك، سعادتنا عظيمة بمجيئكِ وإن كان غير متوقَّع»، وهَزَّ المِايستر كولمون رأسه مؤمِّنًا وقال: «بالطَّبع يا سيِّدتي، بالطَّبع. لقد أرسلتُ إلى السيِّدة أختكِ، وأمرَت بإيقاظها بمجرَّد وصولكِ».

- «آملُ أنها قضَت ليلةً مريحةً»، قالت كاتلين برنَّةٍ لاذعةٍ في صوتها بدا أن أحدًا لم يُلاحِظها.

اصطحبَها الرِّجال من غُرفة الرَّافعة وصعدا بها سلالم حلزونيَّة. كانت "العُش" قلعةً صغيرةً بمقاييس العائلات الكُبرى، تتكوَّن من سبعة أبراجٍ رفيعةٍ احتشدَت معًا كالأسهُم في الكنانة فوق منكب الجبل، ولم تكن في حاجةٍ إلى اسطبلاتٍ أو ورش حدادةٍ أو أوجرة كلاب، لكن ند أخبرَها ذات مرَّة أن صومعة الغلال هناك تُناهِز تلك التي في وينترفل حجمًا، وتتَّسع أبراجها لخمسمئة رجل، لكن القلعة بدت لكاتلين مهجورةً على نحوٍ غريب وهي تقطعها، ووقع أقدامهم يتردَّد في القاعات الحَجريَّة الخاوية.

كانت لايسا تنتظرها وحدها في غُرفتها وهي لا تزال ترتدي ثياب النَّوم، شَعرها الكستنائي الطَّويل ينساب بنعومةٍ على كتفيها البيضاوين العاريتين وظَهرها، بينما تقف خادمة وراءها تُمَشِّط ما تشابكَ منه أثناء النَّوم بعناية. نهضَت لايسا مبتسمةً لدى دخول أختها وقالت: «كات، أوه، كات، أختي الحبيلة، كم هو جميل أن أراكِ»، واندفعَت تجري قاطعةً الغُرفة الواسعة واحتوَت أختها بين ذراعيها وغمغمَت بحرارة: «كم مضى من الوقت؟ أوه، زمن طويل جدًّا جدًّا».

خمس سنواتٍ كانت قد مرَّت في الحقيقة، خمس سنواتٍ في غاية القسوة على لايسا بدا أثرها عليها جليًّا. كانت تَصغُرها بعامين، لكنها بدت أكبر الآن. كانت لايسا أقصر قامةً من كاتلين، والآن صارَ جسدها ممتلئًا وشحبَ وجهها وانتفخَ، أمَّا العينان الزَّرقاوان كعيون أبناء عائلة تَلي فأصبحتا باهتي اللَّون دامعتين ولا تثبتان أبدًا، واستحالَ فمها الصَّغير إلى

خَطٌّ قاسٍ رفيع. بينما عانقَتها كاتلين تذكَّرت الفتاة النَّحيلة بارزة النَّهدين التي وقفَت إلى جوارها في ذلك اليوم في السِّبت في ريڤررَن، تذكَّرت كم كانت بارعة الحُسن مفعمةً بالأمل، بينما كلُّ ما تبقَّى من جمال أختها السَّابق الآن هو الشَّعر الكستنائي الكثيف الذي يصل إلى خصرها.

قالت كاتلين كاذبةً: «تبدين بخير، لكن... مُرهَقة».

ابتعدَت أختها عنها قائلةً: «مُرهَقة، نعم، نعم»، ثم بدا أنها لاحظَت وجود الآخَرين، الخادمة والمِايستر كولمون والسير ڤارديس، فقالت: «اتركونا. أريدُ أن أتكلَّم مع أختي وحدنا»، وأمسكَت يد كاتلين وهُم يَخرُجون...

... ثم تركتها لحظة انغلاق الباب، ورأت كاتلين ملامحها تتغيَّر كأن الشَّمس توارَت وراء سحابة. «هل فقدتِ عقلكِ؟»، قالت لايسا بحدَّةٍ غاضبة. «تأتين به إلى هنا دون إذنٍ وبلا سابق إنذار، تجُرِّيننا إلى خلافاتكِ مع آل لانستر و...».

- «خلافاتي؟»، قاطعَتها كاتلين وهي تكاد لا تُصَدِّق ما تسمعه. كانت النَّار موقدةً في المُستوقَد، لكن لم يكن هناك أثر للدِّفء في صوت لايسا. «لقد كانت خلافاتكِ أنتِ أولًا يا أختاه، فأنتِ من أرسلتِ لي تلك الرِّسالة الملعونة، أنتِ من قلتِ إن آل لانستر اغتالوا زوجكِ».

- «لأُحَذِّركِ كي تبقي بعيدًا عنهم! إنني لم أنتوِ أن أقاتلهم قَطُّ! بحقِّ الآلهة يا كات، هل تُدرِكين ماذا فعلتِ؟».

- «أمي»، قال صوت صغير من ورائها، فالتفتَت لايسا بسرعةٍ ومعطفها الثَّقيل يدور معها. كان روبرت آرن، سيِّد "العُش"، يقف في مدخل الغُرفة قابضًا على دُميةٍ قُماشيَّةٍ باليةٍ ويَرمُقهما بعينين متَّسعتين. كان نحيلًا للغاية، جِلدًا على عظم، صغير الحجم بالنِّسبة لعُمره وسقيمًا طوال هذا العُمر، ومن الحين إلى الآخَر كانت يرتجف، ما أطلقَ المِايسترات اسم "داء القشعريرة". قال الصَّغير: «سمعتُ أصواتًا».

بالطَّبع سمعَ أصواتًا، فكَّرت كاتلين، فلايسا كانت تتكلَّم بصوتٍ أقرب إلى الزَّعيق. سدَّدت إلى أختها نظرةً ناريَّةً وهي تقول: «هذه هي خالتك كاتلين يا صغيري، أختي، الليدي ستارك. هل تَذكُرها؟».

رمقَها بنظرةٍ خاويةٍ وقال: «أعتقدُ هذا»، على الرغم من أن عُمره كان أقلَّ من عامٍ عندما رأته كاتلين آخِر مرَّة.

جلسَت لايسا بالقُرب من النَّار وقالت: «تعالَ إلى أمك يا حبيبي»، وهندمَت ثيابه وداعبَت شَعره البُنِّي النَّاعم. «أليس جميلًا؟ وهو قويٌّ كذلك، فلا تُصَدِّقي ما تسمعين. چون كان يعرف. قال لي: "البذرة قويَّة"، كلماته الأخيرة. ظَلَّ يُرَدِّد اسم روبرت وأطبقَ على ذراعي بقوَّةٍ شديدةٍ تركَت علاماتٍ عليها، وقال: "قولي لهم إن البذرة قويَّة"، بذرته. أرادَ أن يعلم الجميع أن صغيري ولد جميل قوي».

قالت كاتلين: «لايسا، إذا كنتِ محقَّةً بشأن آل لانستر، فالأحرى بنا أن نتحرَّك بسرعة. إننا...».

- «ليس أمام صغيري! إنه رقيق المزاج، أليس كذلك يا صغيري؟».

- «ولدكِ هو سيِّد "العُش" وحافظ "الوادي"، وهذا ليس وقت الرقَّة. نِد يعتقد أن الحرب قد تنشب».

- «صمتًا! إنكِ تُخيفين صغيري!»، صاحَت لايسا فيها محتدَّةً، وألقى روبرت الصَّغير نظرةً سريعةً من فوق كتفه على كاتلين ثم بدأ يرتجف، وسقطَت دُميته على الأرض ودَسَّ نفسه في حُضن أمه أكثر. «لا تخف يا صغيري الجميل»، همسَت لايسا. «أمك هنا ولن يُؤذيك شيء»، ثم فتحَت معطفها وأخرجَت ثديًا ثقيلًا شاحبًا ذا حلمةٍ حمراء، وأمسَكه الولد بلهفةٍ ودفنَ وجهه في صدر أمه وبدأ يرضع بينما ملَّست لايسا على شَعره.

لم تدرِ كاتلين ماذا تقول. *هذا هو ابن چون آرن*، فكَّرت بانزعاج وهي تتذكَّر صغيرها هي، ريكون ذا الأعوام الثَّلاثة، في نِصف عُمر هذا الولد

وخمس مرَّاتٍ أقوى منه، وللمرَّة الأولى فهمَت لماذا كان المَلك روبرت يرغب في أخذ الولد من أمه لينشأ لدى عائلة لانستر.

كانت لايسا تقول: «نحن آمنون هنا»، وإن لم تدرِ كاتلين إن كانت تقولها لابنها أم لها.

قالت كاتلين والغضب يتصاعَد في داخلها: «لا تكوني حمقاء. لا أحد آمنًا. إذا كنتِ تحسبين أن الاختباء هنا سيجعل آل لانستر ينسون أمركِ، فأنت مخطئة لأقصى حد».

غطَّت لايسا أُذن الولد بيدها وقالت: «حتى إذا استطاعوا المرور بجيوشهم عبر الجبال ومن خلال البوَّابة الدَّامية، فـ"العُش" منيعة تمامًا. لقد رأيتِ بنفسكِ أن لا عَدُوَّ يستطيع بلوغنا هنا».

أرادَت كاتلين أن تصفعها وتذكَّرت تحذير العم برايندن، وقالت: «ليست هناك قلعة غير قابلة للاختراق».

قالت لايسا بإصرار: «هذه القلعة كذلك، والجميع يقولون هذا. المشكلة الآن هي ما سنفعله بالعِفريت الذي جئتِ به إليَّ».

- «أهو رجل شرِّير؟»، سأَل سيِّد "العُش" وهو يزيح ثدي أمه عن فمه بحلمته الحمراء المبتلَّة.

- «رجل شرِّير جدًّا»، قالت لايسا وهي تُغَطِّي نفسها. «لكن أمك لن تسمح له بأن يُؤذي صغيرها الجميل».

قال روبرت بلهفة: «اجعليه يطير».

ملَّست لايسا على شَعر ابنها وغمغمَت: «قد نفعل، قد يكون هذا هو الحلُّ بالضَّبط».

إدارد

وجدَ الإصبع الصَّغير في قاعة الماخور العامَّة، يُثَرثِر بوُدٍّ مع امرأةٍ حسناء طويلة ترتدي ثوبًا من الرِّيش فوق بشرةٍ سوداء كالحبر، وعند المُستوقَد كان هيوارد وفتاة كبيرة النَّهدين يلعبان لُعبة الغرامة، وعلى ما يبدو أنه خسرَ حزامه ومعطفه وقميصه المعدني وفردة حذائه اليُمنى حتى الآن، بينما كانت غرامة الفتاة هي فَكُّ أزرار قميصها الخفيف حتى الخاصرة، فيما وقفَ چوري كاسل عند نافذةٍ بلَّلتها قطرات المطر، يُراقِب هيوارد يقلب البلاطات ويستمتع بالمنظر وعلى شفتيه ابتسامة خبيثة.

توقَّف نِد عند قاعدة السَّلالم وارتدي قُفَّازيه قائلًا: «حانَ الوقت لنُغادِر. عملي هنا انتهى».

نهضَ هيوارد مسرعًا وبدأ يجمع أغراضه، بينما قال چوري: «كما تأمر يا سيِّدي. سأساعِد ويل على إحضار الخيول»، ثم اتَّجه إلى الباب بخطواتٍ سريعة.

استغرقَ الإصبع الصَّغير وقته في توديع المرأة السَّوداء، وطبعَ قُبلةً على يدها وهمسَ في أُذنها بدعابةٍ جعلتها تُطلِق ضحكةً عاليةً، ثم سارَ متبخترًا نحو نِد وقال بتهكُّم: «عملك أم عمل روبرت؟ يقولون إن اليَدَ يَحلُم أحلام المَلك، يتكلَّم بصوت المَلك، ويَحكُم بسيف المَلك، فهل يعني هذا أيضًا أنه ينكِح بـ...».

قاطعه نِد: «لورد بايلش، إنك تُغالي في افتراضاتك. أنا لستُ ناكرًا

لجميلك ومساعَدتك لي، فلربما كنتُ لأستغرق سنواتٍ كاملة حتى أعثر على هذا الماخور، لكن ذلك لا يعني أني مضطرٌّ لاحتمال سخريتك. كما أني لم أعد يَدَ المَلك».

قال الإصبع الصَّغير لاويًا فمه: «الذِّئب الرَّهيب حيوان سريع الغضب حقًّا».

كان مطر دافئ ينهمر من السَّماء السَّوداء الخالية من النُّجوم وهُم يسيرون إلى الاسطبلات، فرفعَ ند قلنسوة معطفه على رأسه. جاءَ چوري بحصانه، ووراءه مباشرةً ويل الشَّاب يقود فَرس الإصبع الصَّغير بيدٍ واحدةٍ بينما يُحاوِل تثبيت حزامه وأربطة سرواله بالأخرى، بينما أطلَّت عاهرة حافية القدمين من الاسطبل تضحك بمرح.

سأله چوري: «هل سنعود إلى القلعة الآن يا سيِّدي؟»، فأومأ ند برأسه إيجابًا ووثبَ على متن حصانه وحذا الإصبع الصَّغير حذوه وبدآ يتحرَّكان، وتبعهما چوري والآخَرون.

قال الإصبع الصَّغير: «شاتايا تُدير منشأةً ممتازةً. إنني أفكِّر في شرائها في الحقيقة، فقد وجدتُ أن الاستثمار في المواخير أحكم كثيرًا من الاستثمار في السُّفن. نادرًا ما تغرق العاهرات، وعندما يركبهنَّ القراصنة... القراصنة يدفعون جيِّدًا كأيِّ أحدٍ آخَر».

ضحكَ اللورد پيتر على دعابته الطَّريفة، وتركَه ند يُثَرثِر حتى لاذ بالصَّمت بَعد فترة. كانت شوارع كينجز لاندنج هادئةً مهجورةً وقد دفعَ المطر الجميع للفرار إلى بيوتهم، وقد كان ينزل مدرارًا فعلًا، يضرب رأس ند دافئًا كالدِّماء قاسيًا كالذُّنوب القديمة، وسالت على وجهه قطرات كبيرة من الماء.

- «روبرت لن يقنع بفِراشٍ واحدٍ أبدًا»، قالت له ليانا في تلك اللَّيلة البعيدة في وينترفل، عندما وعدَ أبوهما سيِّد ستورمز إند الشَّاب بيدها. «سمعتُ أنه أنجبَ طفلةً من فتاةٍ ما في "الوادي"». كان ند قد حملَ

الرَّضيعة بيديه ولم يُمكنه إنكار وجودها أو أن يكذب على أخته، لكنه أكَّد لها أن ما فعله روبرت قبل خطبتهما لا يهمُّ، أنه رجل صالح مُخلِص سيُحِبُّها من صميم قلبه، فابتسمَت ليانا وأجابَت: «الحُبُّ جميل أيها الأعزُّ ند، لكنه لا يستطيع تغيير طبيعة البَشر».

كانت الفتاة التي التقاها الآن صغيرة السِّنِّ جدًّا لدرجة أن ند لم يقوَ على أن يسألها عن عُمرها. لا شَكَّ أنها كانت عذراء، فالمواخير الأفضل يُمكنها دائمًا أن تجد لك عذراء إذا كان كيس نقودك ممتلئًا كفايةً. كان شَعرها ذا لونٍ أحمرَ باهت، وتناثرَ بعض النَّمش على رأس أنفها، وعندما أخرجَت ثديها لتُلَقِّمه للرَّضيعة رأى أنه مكتسٍ بالنَّمش كذلك. «سمَّيتها بارا»، قالت والفتاة ترضع لبنها. «إنها تُشبِهه كثيرًا، أليس كذلك يا سيِّدي؟ لديها أنفه وشَعره».

- «صحيح». تحسَّس إدارد ستارك شَعر الرَّضيعة الدَّاكن النَّاعم، فانسابَ بين أصابعه كالحرير الأسود، وتذكَّر أن ابنة روبرت الأولى كانت تملك الشَّعر الأسود النَّاعم ذاته.

- «أخبِره بهذا عندما تراه يا سيِّدي إذا... إذا تكرَّمت. قُل له كم هي جميلة».

وعدَها ند بأنه سيفعل، وكانت هذه لعنته... روبرت باراثيون يُقسِم لهنَّ بحُبِّه الأبدي ثم ينساهنَّ قبل حلول المساء، لكن ند ستارك يفي بوعوده. فكَّر في وعوده لليانا وهي تحتضر والثَّمن الذي دفعَه للحفاظ عليها.

- «وقُل له إني لم أُشارِك رجلًا آخَر الفِراش، أقسمُ على هذا يا سيِّدي بالآلهة القديمة والجديدة. شاتايا منحَتني نِصف عام لأعنى بطفلتي، على أمل أن يعود. ستُخبِره أنني أنتظره إذن، أليس كذلك؟ لا أريدُ جواهر أو أيَّ شيء، بل هو فحسب. لقد كان طيِّبًا معي دائمًا، حقًّا».

خيرٌ لكِ، فكَّر ند بفتور، وقال لها: «سأُخبِره يا صغيرتي، وأعدكِ أن بارا لن يعوزها شيء أبدًا».

ابتسمَت عندئذٍ ابتسامةً تحمل قَدرًا من الخوف والعذوبة في آنٍ واحدٍ مزَّق قلبه تمزيقًا، والآن في اللَّيل المطير رأى ند وجه چون سنو أمامه كنسخةٍ أصغر سنًّا من وجهه هو. فكَّر بحيرةٍ أنه طالما تعبس الآلهة في وجه النُّغول، فلِمَ تملأ قلوب البَشر بكلِّ هذه الشَّهوات؟

التفتَ إلى الإصبع الصَّغير قائلًا: «لورد بايلش، ما الذي تعرفه عن أبناء روبرت غير الشَّرعيِّين؟».

- «أن لديه منهم أكثر منك كبداية».

- «كم؟».

هَزَّ الإصبع الصَّغير كتفيه ونُهيرات صغيرة من المطر تسيل على ظَهر معطفه وهو يُجيب: «وهل يهمُّ هذا حقًّا؟ إذا ضاجعت ما يكفي من النِّساء، فلا ريب أن بعضهنَّ سيُعطيك هدايا، وجلالته محترفٌ في هذا المضمار. أعرفُ أنه اعترفَ بذلك الصَّبي في ستورمز إند، الذي زرعَ بذرته في بطن أمِّه ليلة زفاف اللورد ستانيس، ولم يكن ليقدر على تصرُّفٍ آخَر على كلِّ حال، فالأم من عائلة فلورنت ولها صلة قرابة بالليدي سيليس، بخلاف كونها واحدةً من وصيفاتها. يقول رنلي إن روبرت حملَ الفتاة إلى الطَّابق العُلوي أثناء المأدبة ودنَّس خِدر الزِّفاف بينما كان ستانيس وعروسه لا يزالا يَرقُصان. اعتبرَها اللورد ستانيس إهانةً لشَرف عائلة زوجته، فلمَّا وُلِدَ الصَّبي شحنَه إلى رنلي»، ثم رمقَ ند بنظرةٍ جانبيَّةٍ وتابعَ: «سمعتُ كذلك همساتٍ عن إنجاب روبرت توأمين من خادمةٍ ما في كاسترلي روك قبل ثلاثة أعوام، عندما ذهبَ غَربًا لحضور دورة مباريات اللورد تايوين. أمرَت سرسي بقتل الطفلين وباعَت الأم لنخَّاسٍ عابر. كانت إهانةً كبيرة لكرامة آل لانستر في عُقر دارهم».

بدا الامتعاض على وجه ند ستارك. تلكم الحكايات القبيحة كانت

تُحكى عن كلِّ كبار السَّادة في طول البلاد وعرضها، ويُمكنه بسهولةٍ شديدةٍ أن يُصَدِّق شيئًا كهذا عن سرسي لانستر... لكن هل من الممكن حقًّا أن يسمح المَلك لشيءٍ كهذا بأن يَمُرَّ مرور الكرام؟ لم يكن روبرت الذي عرفَه قديمًا ليسمح بهذا أبدًا، لكن روبرت الذي عرفَه قديمًا لم يكن متمرِّسًا في التَّعامي عن الأشياء التي لا يرغب في رؤيتها كذلك. «ما سبب اهتمام چون آرن المفاجئ بأبناء المَلك غير الشَّرعيِّين؟».

هَزَّ الرَّجل القصير كتفيه بلا مبلاةٍ وأجابَ: «لقد كان يَدَ المَلك، فلا بُدَّ أن جلالته طلبَ منه أن يتأكَّد من أنهم يتلقَّون الرِّعاية الواجبة».

كان ند مبلَّلًا حتى العظام، وأحسَّ أن حتى روحه نفسها أصيبَت بالبرد. «مؤكَّد أن المسألة كانت تنطوي على ما هو أكثر من ذلك، وإلَّا فلِمَ يَقتُلونه؟».

نفضَ الإصبع الصَّغير الماء عن رأسه وضحكَ قائلًا: «الآن فهمتُ. اللورد آرن علمَ أن جلالته قد وضعَ نُطفته في أرحام بعض العاهرات والخادمات، فكان من الضَّروري إسكاته. لا يوجد ما يدعو للدَّهشة. اسمح لرجلٍ كهذا بأن يظلَّ على قيد الحياة، وسيبدأ في الثَّرثرة عن شروق الشَّمس من الشَّرق كذلك».

لم يملك ند ردًّا على هذا غير نظرةٍ عابسة، وللمرَّة الأولى منذ سنواتٍ طويلةٍ وجدَ نفسه يتذكَّر ريجار تارجاريَن، وتساءَلَ إن كان يتردَّد على المواخير، لكنه بشكلٍ ما عرفَ أن الإجابة هي لا.

كان المطر يهطل بكثافةٍ وقوَّةٍ أكبر الآن، يلسع العيون وينزل على الأرض كدقِّ الطُّبول. أنهار من المياه السَّوداء كانت تسيل على التَّل، عندما صاحَ چوري فجأةً بصوتٍ منزعجٍ مبحوح: «لورد ستارك!»، وفي اللَّحظة التَّالية مباشرةً امتلأ الشَّارع بالجنود. أبصرَ ند الحلقات المعدنيَّة فوق الجِلد، ودروع الأذرُع والسِّيقان والخوذات الفولاذيَّة المتوَّجة بالأسودِ الذَّهبيَّة، بينما التصقَت معاطف الجنود بظهورهم وقد بلَّلها المطر عن آخِرها. لم

يملك الوقت الكافي ليُحصيهم، لكن كان هناك عشرة منهم على الأقل وقفوا متجاورين على الأقدام يُغلِقون الشَّارع، وفي أيديهم سيوفهم الطَّويلة ورماحهم الحديديَّة. سمعَ ويل يصيح: «وراءنا!»، فالتفتَ بحصانه ليجد المزيد منهم وراءهم قاطعين عليهم طريق التَّراجُع، وشهرَ چوري سيفه بصوتٍ مسموع وصاحَ: «أفسِحوا الطَّريق أو موتوا!».

قال قائدهم وقطرات المطر تجري على وجهه: «الذِّئاب تعوي، لكنه مجرَّد قطيع صغير».

تقدَّم الإصبع الصَّغير بحصانه بخطواتٍ حذرةٍ وقال: «ما معنى هذا يا رجل؟ هذا يَدُ المَلك».

- «بل كان يَدَ المَلك». كتمَ الوحل صوت حوافر الفَحل الأحمر الضَّخم وصاحبه يتقدَّم به وقد أفسحَ له جنوده الطَّريق، وعلى واقي الصَّدر الذَّهبي زأرَ أسد لانستر بتحدٍّ. «والآن، إذا أردت رأيي، لا أدري ماذا يكون حقًّا».

قال الإصبع الصَّغير: «لانستر، هذا جنون. دعنا نمرُّ، فهناك من ينتظرنا في القلعة. ماذا تحسب نفسك فاعلًا؟».

رَدَّ ند بصوتٍ هادئ: «إنه يعرف ماذا يفعل».

ابتسمَ چايمي لانستر وقال: «بالضَّبط. إنني أبحثُ عن أخي. تَذكُر أخي، أليس كذلك أيها اللورد ستارك؟ لقد كان معنا في وينترفل، شَعر ناعم، عينان غير متماثلتين، لسان لاذع. رجل قصير هو».

أجابَه ند: «أذكُره جيِّدًا».

- «يبدو أنه واجهَ بعض المتاعب على الطَّريق، والسيِّد والدي مستاء حقًّا. لا أعتقدُ أن لديك فكرةً عمن سبَّب تلك المتاعب لأخي، أم أنك تعرف؟».

قال ند ستارك: «أخوك قُبِضَ عليه بناءً على أمري، كي يدفع ثَمن جرائمه».

أطلقَ الإصبع الصَّغير صيحة استنكارٍ متوتِّرةٍ وقال: «أيها السَّادة...».

قاطَعه السير چايمي باستلال سيفه الطَّويل من غِمده ووكزَ حصانه ليتقدَّم به قائلًا: «أرِني سيفك يا لورد إدارد. سأذبحك كما فعلتُ بإيرس تارجاريَن إذا تطلَّب الأمر، لكني أفضِّلُ أن تموت وسيفك في يدك»، ورمقَ الإصبع الصَّغير بنظرة احتقارٍ باردةٍ وقال له: «لورد بايلِش، لو كنتُ مكانك لرحلتُ من هنا بسرعةٍ كي لا تتلوَّث ثيابك الثَّمينة بالدَّم».

لم يكن الإصبع الصَّغير في حاجة لهذا التَّحذير، والتفتَ إلى ند قائلًا: «سآتي بحَرس المدينة»، وأفسحَ له رجال لانستر الطَّريق ليمرَّ قبل أن يُغلِقوه ثانيةً، وانطلقَ پيتر بفَرسه بأقصى سرعةٍ وغابَ عن الأعيُن.

كان رجال ند قد استلُّوا سيوفهم لكنهم كانوا ثلاثةً ضِدَّ عشرين، وراقبَت العيون الفضوليَّة ما يَحدُث من وراء النَّوافذ والأبواب القريبة، وإن لم يُحاوِل أحدهم التدخُّل. كانت مجموعة ند كلها تمتطي الخيول، بينما كان رجال لانستر على أقدامهم باستثناء چايمي نفسه. قد يكون الاندفاع من بينهم كفيلًا بخروجهم من الحصار، وإن بدا لإدارد ستارك أن اصطفافهم وتنظيمهم وتسليحهم كان أفضل بكثيرٍ من رجاله. قال لقاتِل المَلك محذِّرًا: «اقتُلني وستفعل كاتلين المِثل بتيريون».

وكزَ چايمي لانستر صدر ند بطرف السَّيف المذهَّب الذي ارتوى بدماء آخِر ملوك التَّنانين وقال: «أتعتقد هذا حقًّا؟ كاتلين تَلي النَّبيلة ابنة ريفرَرَن تَقتُل رهينةً؟ لا أظنُّ»، ثم تنهَّد وأردفَ: «لكني لستُ مستعدًّا لأن أعلِّق حياة أخي بشَرف امرأة»، ودَسَّ السَّيف الذَّهبي في غِمده قائلًا: «أعتقدُ إذن أني سأتركك تهرع عائدًا إلى روبرت وتحكي له كيف أخفتك. لنرَ إن كان سيُبالي»، ثم أزاحَ شَعره المبتلَّ عن عينيه ودارَ بحصانه، وعندما تجاوزَ صَفَّ رجاله رمقَ قائدهم من وراء كتفه وقال: «تريجار، اعمل على عدم إصابة اللورد ستارك بأيِّ أذى».

- «أمرك يا سيِّدي».

- «ومع ذلك... إننا لا نرغب في أن يُغادِر دون أيِّ توبيخ على الإطلاق، لذا... (ومن بين اللَّيل والمطر لمحَ ند ابتسامة چايمي لانستر البيضاء المتَّسعة)... اقتُل رجاله».

- «لا!»، صرخَ ند ستارك وهو يمدُّ يده إلى سيفه، وكان چايمي يُغادِر الشَّارع على متن فَحله الأحمر بالفعل عندما تردَّدت صيحة ويل. أطبقَ الرِّجال عليهم من كلِّ جانب، ودهسَ ند أحدهم بحصانه وأخذَ يضرب الأشباح ذات المعاطف الحمراء يمينًا وشِمالًا، بينما انطلقَ چوري كاسل بحصانه بينهم، وهشَّم حافر مدرَّع بالفولاذ وجه أحد رجال لانستر بصوتٍ مسموع، وتراجعَ رجل ثانٍ بسرعةٍ، وللحظةٍ تحرَّر چوري من الحصار. كان ويل يسبُّ وهُم يُسقِطونه عن ظَهر حصانه المحتضر والسُّيوف تهوي في الظَّلام تحت المطر، واندفعَ ند إليه مسدِّدًا بسيفه الطَّويل إلى خوذة تريجار ضربةً عنيفةً للغاية جعلته صدمتها التي سرَت في ذراعه يصرُّ بأسنانه، بينما تهاوى تريجار على رُكبتيه وقد شُقَّت خوذته المزيَّنة بالأسد الذَّهبي إلى نصفين وسالت الدِّماء على وجهه. في تلك الأثناء كان هيوارد يضرب الأيدي التي أطبقَت على لجامه عندما انغرسَ رُمح في بطنه، وفجأةً كان چوري بينهم من جديد والقطرات الحمراء تتناثَر من سيفه. «لا! چوري، ابتعد!»، صرخَ ند، ثم انزلقَ حصانه من تحته وهوى في الوحل، وللحظةٍ أحسَّ بألم رهيب وبمذاق الدَّم في فمه.

رآهم يضربون قوائم حصان چوري ويجرُّونه في الوحل والسُّيوف ترتفع وتهوي وهُم يحتشدون حوله، وعندما نهضَ حصان ند حاول النُّهوض بدوره ليَسقُط من جديد مُطلِقًا صرخة ألم مكتومة، ورأى العظمة المهشَّمة تَبرُز من رَبلة ساقه، وكان هذا آخِر شيءٍ رآه والمطر ينهمر وينهمر وينهمر...

... وعندما فتحَ عينيه من جديد كان اللورد إدارد ستارك وحده مع الموتى. اقتربَ حصانه للحظةٍ قبل أن يشتمَّ رائحة الدَّم الزَّنخة، ثم انطلقَ

يعدو بعيدًا عن المكان، وبدأ ند يجرُّ نفسه في الوحل ضاغطًا على أسنانه بشدَّةٍ من فرط الألم الذي يسري في ساقه كالنَّار الحارقة، وبدا له أنه يزحف لسنواتٍ وسنوات. راقبَت الوجوه من النَّوافذ المضاءة بالشُّموع، وبدأ الناس يَخرُجون من الأزقَّة والأبواب، لكن لا أحد منهم تحرَّك لمساعَدته.

ووجدَه الإصبع الصَّغير ورجال حَرس المدينة هناك في الشَّارع يحتضن جثَّة چوري كاسل بذراعيه.

عثرَ ذوو المعاطف الذَّهبيَّة على محفَّةٍ في مكانٍ ما، لكن رحلة العودة إلى القلعة كانت عذابًا مقيمًا، وفقدَ ند الوعي أكثر من مرَّة. يتذكَّر القلعة الحمراء تلوح أمامه في أول خيوط نور الفَجر وقد استحالت الأحجار ذات اللَّون الوردي الباهت التي شُيِّدَت منها الجدران العملاقة إلى لون الدَّم القاني بفعل المطر.

كان المِايستر الأكبر پايسل يقف أمامه حاملًا كوبًا ويهمس: «اشرب يا سيِّدي، إنه حليب الخشخاش، من أجل الألم». يتذكَّر ابتلاع الشَّراب والمِايستر يقول لأحدهم أن يُسَخِّن النَّبيذ حتى الغليان ويُحضِر له أقمشةً نظيفةً، وكان هذا آخِر ما أحسَّ به قبل أن يغوص في غياهب الظَّلام.

دنيرس

بوَّابة الجياد في ڤايس دوثراك عبارةٌ عن فَحلين عملاقين من البرونز يرفعان قوائمهما الأماميَّة، فتلتقي الحوافر على ارتفاع مئة قدمٍ فوق الطَّريق لتصنع قنطرةً مدبَّبة.

لم تدري داني لِمَ تحتاج المدينة بوَّابةً أصلًا وهي بلا أسوار أو حتى مبانٍ، لكن ها هي ترتفع أمامها جميلةً ضخمةً، والحصانان العملاقان بمثابة إطارٍ للجبل الأرجواني البعيد، بينما يُلقيان ظِلَّين طويلين على أعواد العُشب المتمايلة وگال دروجو يقود گالاساره تحت حوافرهما على طريق الآلهة وخيَّالة دمه إلى جواره.

تبعتهم داني على فَرسها الفضِّيَّة، يصحبها السير چورا مورمونت وأخوها ڤسيرس الذي عادَ يمتطي حصانًا. بَعد ما حدثَ في ذلك اليوم وسط أعواد العُشب، عندما تركته يعود إلى الگالاسار سيرًا على الأقدام، أطلقَ عليه الدوثراكي ساخرين لقب "گال رهاي مهار"، أي "المَلك ذو القدمين المتقرِّحتين"، وفي اليوم التالي عرضَ عليه گال دروجو أن يركب عربةً مقطورةً، وقبلَ ڤسيرس الذي لم يعِ -بعجرفته وجهله العنيد- أنه ما زال محطًّا للسُّخرية، فتلك العربات مخصَّصة للمعاقين والمخصيِّين والنِّساء الحوامل وصغار السِّنِّ جدًّا أو كبارها جدًّا. هكذا نالَ لقبًا آخر هو "گال رهاجات"، أي "مَلك العربات"، بينما حسبَ أخوها أن هذه هي وسيلة الگال للاعتذار عن الإساءة الجسيمة التي وجَّهتها داني له.

توسَّلت هي للسير چورا ألَّا يقول له الحقيقة كي لا يُكَلَّل بالخزي، فأجابها الفارس بأن المَلك في حاجةٍ إلى شيءٍ من الخزي، وإن لبَّى رغبتها. استغرق الأمر الكثير من المُناشَدة وكلَّ حيل الفِراش التي علَّمتها دوريا إياها، قبل أن تتمكَّن داني من إقناع دروجو بالسَّماح لڤسيرس بالانضمام إليهم من جديدٍ على رأس الرَّكب.

- «أين المدينة؟»، سألت وهُم يمرُّون أسفل القنطرة البرونزيَّة، فعلى مدى البصر لم تكن هناك مبانٍ أو ناس، فقط العُشب والطَّريق المحاط بالجانبين بالآثار العتيقة، الغنائم الآتية من كلِّ البلاد التي غزاها الدوثراكي على مَرِّ قرونٍ وقرون.

أجابَها السير چورا: «أمامنا، تحت الجبل».

بَعد البوَّابة كان الأرباب المنهوبون والأبطال المسروقون يَحُدُّون الطَّريق على جانبيهم، ولوَّحت آلهة منسيَّة من مُدنٍ ميتةٍ بصولجاناتها المكسورة في السَّماء بينما تمرُّ داني على فَرسها الفضِّيَّة عند أقدامها، ورمقَها الملوك الحَجريُّون من أعلى من فوق عروشهم وقد تكسَّرت وجُوههم وتلطَّخت وضاعَت أسماؤهم في ضباب الزَّمن، ورقصَت العذارى اللَّدْنات على قواعدٍ من رخامٍ وقد اكتسينَ بغلالاتٍ من الزُّهور، أو صببنَ الهواء في الهواء من جرارٍ مهشَّمة. وقفَت الوحوش وسط العُشب على جانبي الطَّريق، تنانين حديديَّة سوداء صُنِعَت أعيُنها من الجواهر، جريفين يزأر هنا ومانتيكور يرفع ذيله الشَّائك جاهزًا للضَّرب به هناك، ووحوش أخرى لا تعرف لها اسمًا. بعض التَّماثيل كان جميلًا جدًّا خلبَ لُبَّها، والبعض الآخَر قبيح مشوَّه تمامًا لدرجة أنها لم تُطِقْ النَّظر إليه. قال السير چورا إنها جاءَت غالبًا من بلاد الظِّلِّ الواقعة وراء آشاي.

- «إنها كثيرة جدًّا»، قالت وفَرسها الفضِّيَّة تتقدَّم ببُطء. «ومن بلادٍ كثيرةٍ جدًّا».

لم يكن ڤسيرس منبهرًا مثلها بطبيعة الحال، وقال هازئًا: «محض

نفاياتٍ من مُدنٍ ميتة». كان يلتزم بالكلام باللُّغة العاميَّة التي يفهما قليل من الدوثراكي، ومع ذلم وجدَت داني نفسها تَنظُر وراءها إلى رجال الكاس لتتأكَّد من أنهم لم يسمعوا ما يُقال، بينما واصلَ أخوها: «كلُّ ما يعرفه هؤلاء الهمجيُّون هو سرقة الأشياء التي بناها رجال أفضل منهم... إضافةً إلى القتل بالطَّبع»، وضحكَ وأردفَ: «إنهم بارعون في القتل حقًّا، وإلَّا لما كان لهم نفعٌ لديَّ».

قالت داني: «إنهم قومي الآن يا أخي، فلا يَجدُر بك أن تدعوهم بالهمجيِّين».

- «التنِّين يتكلَّم كما يشاء»، قال ڤسيرس... باللُّغة العاميَّة. ثم إنه ألقى نظرةً من فوق كتفه على راكارو وآجو الرَّاكبَيْن ورائهم ورمقَهما بنظرةٍ ساخرةٍ قائلًا: «أرأيتِ؟ الهمجيُّون يفتقرون للذَّكاء حتى كي يتكلَّموا بلسان المتحضِّرين». لاحَ أمامهم مَنْليث[1] حَجري غطَّته الطَّحالب يرتفع خمسين قدمًا، وألقى عليه ڤسيرس نظرةً ضجرةً وهو يقول: «كم من الوقت ينبغي أن نبقى بين تلك الأطلال قبل أن يُعطيني دروجو جيشي؟ لقد سئمتُ الانتظار».

قال السير چورا: «يجب أن تُقَدَّم الأميرة إلى الدوش كالين و...».

قاطَعه ڤسيرس: «الحيزبونات، نعم... ثم تمثيليَّة هزليَّة ما ونبوءة عن الجنين في بطنها كما قلت لي، لكن فيم يعنيني هذا؟ لقد سئمتُ أكل لحم الخيل وضقتُ ذرعًا برائحة هؤلاء الهمجيِّين الكريهة»، وتشمَّم كُمَّ سُترته الواسع الذي اعتادَ أن يحتفظ فيه بكيس ذرور معطَّر، لكنه لم يكن ليُساعِد كثيرًا وقد اتَّسخَت السُّترة تمامًا، مثلها كمثل جميع الثِّياب الحريريَّة وتلك المصنوعة من الصُّوف الثَّقيل التي ارتداها عندما غادرَ پنتوس، التي تلطَّخت تمامًا وأفعمَتها رائحة العَرَق.

قال السير چورا: «السُّوق الشَّرقيَّة فيها أطعمة مما يروق لك يا جلالة

---

(1) المَنْليث هو حَجر ضخم من كتلةٍ واحدة ويكون عادةً على شكل عمود أو مسلة.

المَلك، فتُجَّار المُدن الحُرَّة يذهبون إلى هناك لبيع سِلعهم، والكَال سيفي بوعده في الوقت المناسب».

عابسًا قال ڤسيرس: «خيرٌ له أن يفعل. لقد وُعِدتُ بالتَّاج وأنوي الحصول عليه. لا أحد يسخر من التنِّين»، ثم لمحَ تمثالًا قبيحًا لامرأةٍ بستَّة نهودٍ ورأس حيوان ابن مِقرض، فتحرَّك دانيًا منه ليفحصه عن كثب.

شعرَت داني بالرَّاحة لابتعاده وإن لم يهدأ توتُّرها، وقالت للسير چورا عندما صارَ أخوها بعيدًا عن مدى السَّمع: «أتمنَّى ألَّا يُبقيه شمسي ونجومي منتظرًا طويلًا».

رمقَ الفارس ڤسيرس بشَكٍّ وقال: «كان الأحرى بأخيكِ أن ينتظر في پنتوس، فلا مكان له في الكَالاسار. إليريو حاولَ تحذيره».

- «سيُغادِر بمجرَّد حصوله على مُحارِبيه العشرة آلاف. لقد وعده السيِّد زوجي بتاجٍ من ذهب».

أطلقَ السير چورا ضحكةً خفيفةً خفيضًا وقال: «نعم يا كَاليسي، لكن الدوثراكي يأخذون تلك الأشياء في الاعتبار بشكلٍ مختلفٍ عمَّا نفعل نحن في الغَرب. لقد أخبَرته بهذا، وكذا فعلَ إليريو، لكنه يَرفُض الإصغاء. سادة الخيول ليسوا تُجَّارًا، وأخوكِ يحسب أنه باعكِ والآن يريد الثَّمن، بينما قد يقول كَال دروجو أنكِ كنتِ بمثابة هديَّةٍ له، وسوف يردُّ الهديَّة لڤسيرس، لكن في الوقت الذي يُناسِبه. لا أحد يُطالِب بهديَّةٍ من رجلٍ كالكَال، بل لا أحد يُطالِب الكَال بأيِّ شيءٍ أساسًا».

- «ليس من المُلائِم أن يجعله ينتظر». لم تكن داني تدري سبب دفاعها عن أخيها، وإن دافعَت عنه على كلِّ حال. «ڤسيرس يقول إنه يستطيع اجتياح المَمالك السَّبع بعشرة آلافٍ من مُحارِبي الدوثراكي».

أطلقَ السير چورا ضحكةً عاليةً هذه المرَّة وقال: «ڤسيرس لا يستطيع اجتياح اسطبلٍ خاوٍ بعشرة آلاف مقشَّة!».

لم تتظاهَر داني بالدَّهشة من نغمة الاحتقار في صوته، وسألته:

«وماذا... ماذا لو لم يكن ڤسيرس؟ ماذا لو قادَهم أحد آخَر، أحد أقوى؟ هل يستطيع الدوثراكي غزو المَمالك السَّبع حقًّا؟».

أطرقَ السير چورا مفكِّرًا وحصاناهما يقطعان طريق الآلهة ببُطء، قبل أن يُجيب: «في أوائل مجيئي إلى المنفى نظرتُ إلى الدوثراكي فلم أرَ غير شعبٍ من البرابرة نِصف العُراة الضَّارين كجيادهم. لو كنتِ قد وجَّهتِ لي هذا السُّؤال وقتها يا سموَّ الأميرة، لقلتُ لكِ إن ألفًا من الفُرسان المحنَّكين لن يجدوا أيَّ مشكلةٍ في هزيمة مئة ضِعف هذا العدد من الدوثراكي».

- «وإذا سألتك الآن؟».

- «الآن لستُ متأكِّدًا من ذلك لهذه الدَّرجة. إنهم يركبون الخيول أفضل من أيِّ فارس، لا يعرفون الخوف، وسهامهم أوسع مدىً من سهامنا. في وستروس يُقاتِل معظم الرُّماة على الأقدام، من وراء ساترٍ أو متراسٍ من الأوتاد حادَّة الرُّؤوس، بينما يُطلِق الدوثراكي سهامهم من فوق متن خيولهم سواء كانوا يَكُرُّون أم يَفِرُّون، لا فارِق، فسهامهم مميتة في الحالتين، كما أن هناك الكثير جدًّا منهم يا سيِّدتي، فزوجكِ وحده يقود أربعين ألفًا من الخيَّالة المُحارِبين في گالاساره».

- «أهذا العدد كبير حقًّا؟».

- «أخوكِ ريجار دخلَ معركة الثَّالوث بمِثل هذا العدد، لكن عُشرهم فقط كانوا من الفُرسان، أمَّا البقيَّة فتألَّفت من الرُّماة والمُحارِبين غير النِّظاميِّين والمُشاة المسلَّحين بالرِّماح والحراب. عندما سقطَ ريجار ألقى كثيرون منهم أسلحتهم وفرُّوا من ميدان المعركة، فكم من الوقت إذن تعتقدين أن مجموعةٍ كتلك من الغوغاء ستَصمُد أمام أربعين ألفًا من الصَّارخين المتعطِّشين للدِّماء؟ وهل ستحميهم السُّترات المصنوعة من الجِلد المقوَّى بالزَّيت المغلي وقمصان الحلقات المعدنيَّة عندما تنهمر السِّهام عليهم كالمطر؟».

غمغمَت: «لن يَصمُدوا طويلًا بالتَّأكيد، ولن تحميهم هذه الثِّياب».

أومأ برأسه مؤيِّدًا وقال: «حريٌّ بكِ أن تعرفي يا سموَّ الأميرة أنه لو كان سادة المَمالك السَّبع يملكون نِصف الذَّكاء الذي منحَته الآلهة للإوز، فلن يصل الأمر لهذا الحَدِّ أبدًا. الخيَّالة لا يبرعون في الحصار، وأشكُّ أنهم يستطيعون الاستيلاء على أضعف قلعةٍ في المَمالك السَّبع حتى، لكن لو كان روبرت باراثيون أحمق بما يكفي لأن يُواجِههم في معركةٍ مفتوحة...».

سألته داني: «أهو كذلك؟ أحمق؟».

فكَّر السير چورا فترة طالت ثم أجابَ أخيرًا: «كان يَجدُر بروبرت أن يولد بين الدوثراكي. سيقول لكِ ڠالكِ إن الجبان وحده يختبئ وراء الأسوار الحَجريَّة بدلًا من مواجَهة عدوِّه في الميدان وسلاحه في يده، وسيتَّفق المُغتَصِب معه. إنه رجل قوي، وشُجاع، ومتهوِّر بما فيه الكفاية لأن يُواجِه جيشًا من الدوثراكي في معركةٍ مفتوحة، وإن كان المحيطون به... لنقل إن مزاميرهم تعزف نغمةً أخرى؛ أخوه ستانيس، تايوين لانستر، إدارد ستارك».

بصقَ بَعد أن نطقَ الاسم الأخير، فقالت داني: «إنك تكره هذا اللورد ستارك».

قال السير چورا بمرارة: «لقد نفاني بعيدًا عن كلِّ ما ومن أحبُّ من أجل بضعة لصوصٍ قذرين وشَرفه الغالي». كان جليًّا لها من نبرة صوته أن الخسارة لا تزال تؤلمه، لكنه غيَّر الموضوع بسرعةٍ قائلًا وهو يُشير: «ها هي هناك، ڤايس دوثراك، مدينة سادة الخيول».

قادَهم ڠال دروجو وخيَّالة دمه عبر البازار الكبير في السُّوق الغربيَّة ثم على الطُّرق الواسعة ورائه، وتبعَته داني عن كثبٍ على فَرسها الفضِّيَّة وهي تُحَدِّق في الغرابة المحيطة بها. كانت ڤايس دوثراك أكبر وأصغر مدينةٍ رأتها في حياتها في آنٍ واحد، وخطرَ لها أنها أكبر مساحةً من پنتوس

عشر مرَّات، وقد امتدَّت على مدى البصر بلا أسوارٍ أو حدود، شوارعها المكشوفة للرِّيح ممهَّدة بالعُشب والوحل ومفروشة بالأزهار البريَّة. في المُدن الحُرَّة في الغَرب تتزاحم الأبراج والإيوانات والزَّرائب والأكواخ والجسور والمحال والقاعات وتتراكم فوق بعضها بعضًا، بينما تنبسط ڤايس دوثراك بخمول، تستحمُّ بنور الشَّمس الدَّافئ، عتيقةً متكبِّرةً فارغةً. حتى المباني بدت عجيبةً للغاية في عينيها، ورأت سُرادقاتٍ من الحَجر المنقوش، وإيواناتٍ من العُشب المجدول ضخمةً كالقلاع، وقصورًا من الخشب الثَّقيل مفتوحةً على السَّماء، وبدلًا من الأسوار كان بعض القصور محاطًا بسياجٍ من الشُّجيرات الشَّائكة. قالت: «ولا واحد منها يُشبِه الآخَر».

قال السير چورا: «أخوكِ قال الحقَّ إلى حَدٍّ ما، فالدوثراكي لا يبنون، وقبل ألف عامٍ كانت بيوتهم عبارةً عن حُفرةٍ في الأرض مغطَّاة بسقفٍ من العُشب. المباني التي ترينها الآن شيَّدها العبيد الذين جاءوا بهم إلى هنا من البلاد التي غزوها، وكلٌّ منهم شيَّدها على طراز شعبه».

معظم القصور، حتى الأكبر حجمًا منها، بدا مهجورًا، فاستفسرَت داني: «أين النَّاس الذين يقطنون هنا؟». كان البازار يعجُّ بأطفالٍ يلعبون ورجالٍ يُنادون على بضائعهم، لكن في كلِّ مكانٍ آخَر لم ترَ غير بعض المخصيِّين هنا وهناك يقومون بأعمالٍ ما.

أجابَ السير چورا: «فقط حيزبونات الدوش گالين يَقْطُنَّ في المدينة المقدَّسة بشكلٍ دائم، هنَّ وعبيدهنَّ وخدمهنَّ، لكن ڤايس دوثراك كبيرة بما يكفي لأن تحتوي كلَّ رجلٍ في كلِّ گالاسار في حال عودة جميع الگالات إلى الجبل الأُم في وقتٍ واحد. لقد تنبَّأت الحيزبونات بأن هذا سوف يَحدُث ذات يوم، ومن ثَمَّ ينبغي أن تكون ڤايس دوثراك جاهزةً لسُكنى جميع أبنائها».

أخيرًا أمرَ گال دروجو بالتوقُّف بالقُرب من السُّوق الشَّرقيَّة، حيث

تأتي القوافل من يي تي وآشاي وبلاد الظِّل للتِّجارة، والجبل الأُم يرتفع شاهقًا فوقهم جميعًا. ابتسمَت داني وهي تتذكَّر كلام أمة الماچستر إليريو عن القصر الذي يتألَّف من مئتي غُرفة وأبوابه المصنوعة من الفضَّة الخالصة. كان "القصر" عبارةً عن قاعة مآدب خشبيَّة شبيهة بالكهف، ترتفع جدرانها المصنوعة من الخشب القوي أربعين قدمًا، وسقفها من الحرير المدروز الذي يعمل كخيمةٍ ضخمةٍ يُمكن رفعها لحجب الأمطار النَّادرة في هذه الأنحاء، أو خفضها لتكشف عن السَّماء. حول القاعة كانت حُفر النَّار وحظائر الخيول المعشوشبة التي تحيط بها الشُّجيرات الشَّائكة على سبيل الأسوار، ومئات من البيوت المستديرة المشيَّدة من الفَخَّار التي تنبثق من الأرض كتلالٍ ضئيلة الحجم وقد غطَّاها العُشب.

كان جيش صغير من العبيد قد سبقَهم للإعداد لوصول كال دروجو، ورأت داني كلَّ خيَّالٍ يترجَّل ويُناوِل أراخه لأحد العبيد في الحال، بالإضافة إلى أيِّ سلاحٍ آخَر يحمله، وحتى كال دروجو نفسه لم يكن باستثناء. شرحَ السير چورا لها أنه من المحرَّم حمل السِّلاح أو إراقة دماء رجلٍ حُرٍّ في ڤايس دوثراك، وحتى الكالاسارات المتحاربة تُنحِّي خلافاتها جانبًا وتتقاسَم الطَّعام والشَّراب في ظِلِّ الجبل الأُم؛ فحيزبونات الدوش كالين قضينَ منذ زمنٍ بعيد أن جميع الدوثراكي في هذا المكان دمٌّ واحد، كالاسار واحد، قطيع واحد.

أتى كهولو إلى داني بينما كانت إيري وچيكوي تُساعِدانها على النُّزول عن فَرسها. كان أكبر خيَّالة دم دروجو الثلاثة سِنًّا، رجلًا أصلع قصيرًا ممتلئًا ذا أنفٍ معقوفٍ وفمٍ مليء بالأسنان المكسورة، وقد حطَّمتها ضربة من صولجانٍ قبل عشرين عامًا، عندما أنقذَ الكالاكا الصَّغير من المُرتَزِقة الذين كانوا ينتوون بيعه لعَدُوِّ أبيه، وقد ارتبطَت حياته بحياة دروجو يوم وُلِدَ. كلُّ كال لديه خيَّالة الدَّم الذين يتبعونه، وفي البدء حسبَت داني أنهم نوع من الحَرس المَلكي الدوثراكي الذين أقسموا على حماية سيِّدهم،

لكن الأمر كان أكبر من هذا، فقد شرحَت لها چيكَوي أن خيَّال الدَّم أكثر من مجرَّد حارس... إنهم إخوة الگال وظِلُّه وأقوى أصدقائه، "دَمُ دَمِي" كما يُطلِق عليهم دروجو، وهكذا كانوا بالفعل. تنصُّ تقاليد سادة الخيول العتيقة على أنه عندما يموت الگال، فيجب أن يموت خيَّالة دمه معه، كي يركبوا إلى جانبه في أراضي اللَّيل، وإذا ماتَ الگال على يد عدوٍّ ما، فإنهم يعيشون بَعده كي ينتقموا له فقط، ثم يتبعونه بكلِّ سرورٍ إلى القبر. قالت چيكَوي إن في بعض الگالاسارات يتقاسم خيَّالة الدَّم مع الگال نبيذه وخيمته وحتى زوجاته، لكن ليس خيوله أبدًا، فحصان الرَّجل له وحده ولا شريك له فيه.

سُرَّت داني لعدم التزام گال دروجو بتلك العادات القديمة، فمن المستحيل أن يروق لها أن يتشارَكها عدد من الرِّجال. وبينما يُعامِلها كهولو الأكبر سِنًّا بوُدٍّ كافٍ، كان الآخَران يُخيفانها حقًّا؛ هاجو الضَّخم الصَّامت الذي يُحَملِق فيها أحيانًا كأنه نسي من تكون، وكَوثو ذو العينين القاسيتين واليدين السَّريعتين اللتين تُحِبَّان الإيذاء. كان يَترُك كدماتٍ على بشرة دوريا البيضاء النَّاعمة كلما لمسها، ويجعل إيري تنتحب في ظلام اللَّيل، وحتى خيوله كانت تخافه. لكن ثلاثتهم مرتبط بدروجو في حياته وموته، ومن ثَمَّ لم يكن أمام دنيرس خيار غير تقبُّلهم. في أحيانٍ كانت تتمنَّى لو أن أباها كان محاطًا برجالٍ كهؤلاء. دائمًا ما تحكي الأغاني عن نُبل فُرسان الحَرس المَلكي البِيض وبسالتهم وإخلاصهم، ومع ذلك سقطَ المَلك إيرس صريعًا على يد أحدهم، الصَّبي الوسيم الذي يُلَقِّبونه بقاتِل المَلك، كما أن الآخَر، السير باريستان الباسل، انضمَّ إلى المُغتَصِب. تساءلت إن كان جميع الرِّجال في المَمالك السَّبع زائفين غادرين مثلهما. عندما يجلس ابنها على العَرش الحديدي، ستعمل على أن يحيط به خيَّالة دَم خاصِّين به ليحموه من غدر الحَرس المَلكي.

قال لها كهولو بالدوثراكي: «گاليسي، دروجو دَمُ دَمِي يأمرني بإبلاغكِ

بأنه سيتسلَّق الجبل الأُم اللَّيلة ليُقَدِّم قرابينه للآلهة شُكرًا على عودته آمنًا».

كانت داني تعرف أنه مسموح للرِّجال فقط بصعود الجبل الأُم، وأن خيَّالة دم الكَال سيصعدون معه ويعودون فَجرًا. هكذا أجابَت شاكرةً: «قُل لشمسي ونجومي أني أحلمُ به وأنتظرُ عودته على أحرٍّ من الجمر».

مع نموِّ الجنين في أحشائها صارَت داني تتعب بسهولة، وفي الحقيقة هي تُرحِّب بقضاء ليلةٍ من الرَّاحة. كان يبدو أن حَملها أشعلَ اشتهاء دروجو لها أكثر، ومؤخَّرًا كان جماعه بها يَترُكها مُنهَكةً تمامًا. ثم قادَتها دوريا إلى التَّلِّ الأجوف الذي أُعِدَّ لها ولزوجها. كان لطيف الحرارة مظلمًا من الدَّاخل كخيمةٍ مصنوعةٍ من التُّربة، وأمرَت داني چيكوي بأن تُعِدَّ لها حمَّامًا كي تغسل ما تركته وعثاء السَّفر عليها من تراب وكي تنقع عظامها المُتعَبة في الماء. سُرَّت داني لمَّا علمت أنهم سيبقون هنا فترةً وأنها لن تضطرَّ لامتطاء فَرسها الفضِّيَّة ثانيةً غدًا.

كان الماء ساخنًا جدًّا كما يروق لها. «سأُقَدِّم لأخي هداياه اللَّيلة. ينبغي أن يبدو مَلكًا في هذه المدينة المقدَّسة»، قالت وچيكوي تغسل شَعرها. «دوريا، اذهبي واعثري عليه وادعيه لتناوُل العشاء معي». كان ڤسيرس يتعامَل بلُطفٍ أكبر مع الفتاة اللَّايسينيَّة من وصيفتيها الدوثراكي، ربما لأن الماچستر إليريو تركَه يُضاجِعها عندما كانوا في پنتوس. «إيري، اذهبي إلى البازار واشتري الفاكهة واللَّحم، أيَّ نوعٍ غير لحم الخيول».

قالت إيري: «لحم الخيول أفضل، لحم الخيول يجعل الرَّجل قويًّا».

- «ڤسيرس يكره لحم الخيول».

- «كما تأمرين يا گاليسي».

عادَت إيري بفخذ جديٍ وسلَّةٍ من الفاكهة والخضروات، وشوَت چيكوي اللَّحم مع العُشب السُّكري والفلفل الحرِّيف وسقَته بالعسل أثناء الشِّواء، وكان هناك شمَّام ورمَّان وبرقوق وفاكهة شَرقيَّة أخرى غريبة لا تعرفها داني. بينما كانت وصيفاتها يُجَهِّزن الوجبة، رصَّت داني الثِّياب

التي أمرَت بتفصيلها على مقاس أخيها: السُترة وقماط السَّاقين من الكتَّان الأبيض النَّاعم، والصَّندل الجِلدي الذي يصل إلى الرُّكبة، والحزام البرونزي، والصُّدرة الجِلديَّة التي رُسِمَت عليها تنانين تنفث نارًا. أملت أن يحترمه الدوثراكي أكثر إذا لم يبدُ كشحَّاذ، ولربما يغفر لها إهانتها له في ذلك اليوم بين أعواد العُشب. إنه ما زال المَلك رغم كلِّ شيء، وأخاها كذلك، وكلاهما من دم التنِّين.

كانت تفرد آخِر هداياه -معطفًا مصنوعًا من الحرير الرَّملي[1] أخضرَ كالعُشب، ذا حافَّةٍ من الرَّمادي الباهت لإبراز اللَّون الفضِّي في شَعره- عندما دخلَ ڤسيرس جارًّا دوريا من ذراعها، وقال حانقًا: «كيف تجرؤين على إرسال هذه العاهرة لي لإعطائي الأوامر؟»، ودفعَ الوصيفة بعُنفٍ لتسقط على البساط.

أدهشَت غضبته داني لأقصى حد، وقالت: «أردتُ فقط أن... دوريا، ماذا قلتِ له؟».

- «گاليسي، سامِحيني، لقد ذهبتُ إليه كما طلبتِ وقلتُ له إنكِ تأمرينه بالانضمام إليكِ على العشاء».

قال ڤسيرس مزمجرًا: «لا أحد يأمر التنِّين. إنني مَلككِ! كان يَجدُر بي أن أُرسِل إليكِ رأسها!».

أجفلَت الفتاة اللَّايسينيَّة، لكن داني هدَّأتها بلمسةٍ من يدها قائلةً: «لا تخافي، إنه لن يُؤذيكِ. أخي العزيز، أرجو أن تغفر لها، فالفتاة أساءَت التَّعبير لا أكثر. لقد قلتُ لها أن تَطلُب منك تناوُل العشاء معي، إذا كان هذا يُرضي جلالتك»، ثم سحبَته من يده عبر الغُرفة وقالت مشيرةً: «انظُر، هذه الثِّياب لك».

عقد حاجبيه قائلًا بشَك: «ما كلُّ هذا؟».

أجابَت داني مبتسمةً بخجل: «ثياب جديدة أمرتُ بتفصيلها لك».

---

(1) نوع من الحرير الخشن يتمُّ تنعيمه بفركه بالرَّمل.

رمقَها هازئًا وقال: «أسمال الدوثراكي؟ هل صرتِ تنتقين ملابسي كذلك الآن؟».

- «أرجـوك... ستَشعُر براحةٍ أكبر في هذه الثِّياب ولن تُزعِجك الحرارة... فكَّرتُ أنك إذا ارتديت ثيابهم، ثياب الدوثراكي...». لم تدرِ داني كيف تقولها دون أن توقظ التنِّين.

- «وبَعدها تريدين أن تُضَفِّري شَعري؟».

- «لا، أبدًا...». لماذا يتصرَّف بهذه القسوة دائمًا؟ إنها لا تريد غير مساعَدته. «ليس لديك حقٌّ في الضَّفائر، فأنت لم تُحَقِّق أيَّ انتصاراتٍ حتى الآن».

لا ريب أنه كان القول الخطأ، واشتعلَ الغضب في عينيه البنفسجيَّتين، لكنه لم يجرؤ على ضربها في وجود وصيفاتها ها هنا ورجال گاسها في الخارج. التقطَ ڤسيرس المعطف وتشمَّمه قائلًا: «رائحة الرَّوث عالقة به. قد أستخدمه كغطاءٍ لحصاني».

قالت له وقد آلمَها قوله: «لقد طلبتُ من دوريا أن تحيكه لك خصِّيصًا. هذه ثياب تليق بگال».

أجابَ بنبرةٍ كالبُصاق: «أنا سيِّد المَمالك السَّبع، ولستُ همجيًّا ملطَّخًا بالوحل ذا أجراسٍ في شَعره»، ثم أمسكَ ذراعها مضيفًا: «لقد نسيتِ نفسكِ أيتها العاهرة. هل تحسبين أن بطنكِ المنتفخة هذه ستحميكِ إذا أيقظتِ التنِّين؟». انغرسَت أصابعه في لحمها على نحوٍ مؤلم، وللحظةٍ شعرَت داني بأنها عادَت طفلةً من جديد، ينتابها الجُبن في وجه غضبته. ثم إنها مدَّت يدها الأخرى وأمسكَت أول شيءٍ وجدته، الحزام البرونزي المنمَّق الثَّقيل الذي كانت ترغب في إهدائه إياه، وهوَت به بكلِّ ما لديها من قوَّة.

وتلقَّى وجهه الضَّربة كاملةً فتراجعَ ڤسيرس متخليًا عن ذراعها وسقطَ أرضًا والدَّم يجري على وجنته وقد شَقَّتها واحدة من القطع البرونزية،

وقالت داني: «أنت الذي نسيت نفسك. هل تعلَّمت أيَّ شيءٍ في ذلك اليوم وسط أعواد العُشب؟ اترُكني الآن قبل أن أستدعي رجال گاسي ليجرُّوك إلى الخارج، وادعُ ألَّا يعرف گال دروجو بما حدثَ هنا وإلَّا بقرَ بطنك وأطعمَك أحشاءك».

نهضَ ڤسيرس بصعوبةٍ وقال لاهثًا: «ستندمين على هذا عندما أجلسُ على عَرشي أيتها الحقيرة»، وغادرَ واضعًا يده على وجهه الجريح وتركَ هداياها له كما كانت.

كانت قطرات من دمه قد تناثرَت على المعطف الحريري الأنيق، وأسندَت داني رأسها على يدها القابضة على المعطف وجلست متقاطعة السَّاقين على حشيَّة النَّوم، وبَعد قليلٍ قالت چيكوي: «عشاؤكِ جاهز يا گاليسي».

قالت داني بحُزن وقد اكتنفَها التَّعب فجأةً: «لستُ جائعةً. تقاسمنَ الطَّعام فيما بينكنَّ وأرسِلنَ بعضه إلى السير چورا»، ثم أضافَت بَعد هنيهة: «أحضِرن لي واحدةً من بيضات التنِّين».

جاءَت لها إيري بالبيضة ذات القشرة الخضراء الدَّاكنة، والرَّقطات البرونزيَّة تتألَّق وهي تديرها بين يديها الصَّغيرتين. تكوَّرت داني على جانبها وسحبَت المعطف الحريري على ساقيها، وضمَّت البيضة إليها في الفراغ بين بطنها المتفخة ونهديها الصَّغيرين. كانت تُحِبُّ حمل تلك البيضات، فهي جميلة حقًّا، وفي أحيانٍ كان مجرَّد قُربها منها يجعلها تَشعُر بأنها أشدُّ وأشجع، كأنها بوسيلةٍ ما تستمدُّ قوَّتها من التَّنانين المتحجِّرة في داخلها.

نائمةً هناك كانت عندما شعرَت بالجنين يتحرَّك في بطنها... كأنه يُحاوِل أن يمدَّ يده إلى الخارج، أخًا لأخ، دمًا لدم. «أنت التنِّين»، همسَت دنيرس له. «أنت التنِّين الحقيقي. أعرفُ هذا وأثِقُ به»، وابتسمَت وغابَت في النَّوم لتَحلُم بالوطن.

بران

جالسًا على ظَهر المُهرة يُراقِب الشَّبكة الحديديَّة وهي تُرفَع، شعَر بران بنُدَفِ الثَّلج الخفيف الذي ينزل على وجهه تذوب إذ تمسُّ بشرته كأرقِّ قطرات مطرٍ في الدُّنيا، وبقلبه يخفق في صدره بمنتهى القوَّة على الرغم من محاوَلته البقاء هادئًا.

سأله روب: «مستعد؟».

أومأ بران برأسه إيجابًا محاوِلًا ألَّا يظهر خوفه على ملامحه. لم يكن قد خرجَ من وينترفل منذ سقوطه، لكنه كان عازمًا على الخروج وكله فخر الآن كأيِّ فارس.

- «هيا بنا إذن»، قال روب ووكزَ حصانه ذا اللَّونين الرَّمادي والأبيض، وتحرَّك الحصان تحت الشَّبكة الحديديَّة.

همسَ بران لمُهرته: «تحرَّكي»، ومَسَّ عُنقها بخفَّةٍ فبدأت المُهرة الصَّغيرة ذات اللَّون الكستنائي الحركة وراء حصان روب. كان الاسم الذي أطلقَه بران عليها هو دانسر، وكان عُمرها عامين، وقد قال چوزث عنها إنها أذكى من أيِّ حصانٍ رآه في حياته على الإطلاق. كانوا قد درَّبوها تدريبًا خاصًّا، كي تستجيب لحركة العِنان والصَّوت واللَّمس، وحتى الآن كان بران يمتطيها حول السَّاحة فقط، وفي البداية كان چوزث أو هودور يقودها بينما يجلس هو مثبَّتًا على السَّرج الكبير الذي رسمَه العِفريت

له، وإن بدأ يركبها وحده خلال الأسبوعين الماضيين، يدور ويدور بها ويزداد جرأةً مع كلِّ دورة.

عبروا تحت البوَّابة وفوق الجسر المتحرِّك ومن خلال الأسوار الخارجيَّة، وجاءَ سَمر وجراي ويند يتواثبان إلى جوارهما ويتشمَّمان الهواء، بينما تحرَّكَ ثيون جرايچوي وراءهم على مقربةٍ منهم ومعه قوس طويل وكنانة من الأسهُم ذات الرُّؤوس العريضة، حيث كان قد قال إنه في مزاجٍ لصيد غزال. تبعهم أربعة من الحُرَّاس الذين يرتدون قمصان وقلنسوات الحلقات المعدنيَّة، وچوزث صبيُّ الاسطبل الرَّفيع كالعصا الذي عيَّنه روب قيِّمًا للخيول في غياب هالن، وأخيرًا المِايستر لوين في المؤخِّرة على ظَهر حمار. كان بران يُفَضِّل لو خرجَ مع روب وحدهما، لكن هال مولين رفضَ هذا تمامًا وأيَّده المِايستر لوين وقد قرَّر أن يكون معه ليُسعِفه إذا سقطَ عن المُهرة أو جرحَ نفسه.

وراء الأسوار كان ميدان السُّوق الذي كانت أكشاكه الخشبيَّة مهجورةً الآن. قطعوا شوارع القرية الملوَّثة بالأوحال مرورًا بصفوفٍ من البيوت الصَّغيرة الأنيقة المبنيَّة من الأخشاب القويَّة والأحجار غير المطليَّة. أقلُّ من واحدٍ من كلِّ خمسةٍ كان مشغولًا الآن، ما كان واضحًا من خيوط دُخَّان الحطب التي تَخرُج من المداخن، لكن سرعان ما سيمتلئ بقيَّتها من جديدٍ مع ازدياد برودة الجو. تقول العجوز نان إنه عندما يَسقُط الثَّلج وتجيء الرِّياح الجَليديَّة تعوي من الشَّمال، يَترُك المُزارِعون حقولهم المتجمِّدة ومعاقلهم البعيدة ويُكَوِّمون أغراضهم على العربات، ومن ثَمَّ تدبُّ الحياة في البلدة الشِّتويَّة. لم يرَ بران ذلك من قبل، وإن أكَّد له المِايستر لوين أن هذا اليوم صار دانيًا جدًّا، فنهاية الصَّيف الطَّويل باتَت قاب قوسين أو أدنى... والشِّتاء قادم.

رمقَ بعض القرويِّين الذِّئبين الرَّهيبين بنظراتٍ متوتِّرةٍ وهُم يمرُّون، وأسقطَ أحدهم الأخشاب التي يحملها وهُرِعَ مبتعدًا برُعب، لكن معظم

ساكني القرية كانوا معتادين الآن على المشهد. هكذا انحنوا لمَّا رأوا الصَّبيَّين، وحيًّا روب كلًّا منهم بإيماءةٍ تليق بلورد.

مع عدم قُدرة ساقيه على توجيه المُهرة، كانت حركتها المتمايلة تُشعِره بعدم الثَّبات في البداية، لكن السَّرج الضَّخم ذا القرن السَّميك والظَّهر العالي كان يحتويه على نحوٍ مريح، كما أن الأحزمة المحيطة بصدره وفخذيه كانت تمنع سقوطه تمامًا، وبَعد فترةٍ بدأ يَشعُر بأن إيقاع الحركة أصبحَ شِبه طبيعي، وخبا قلقه وزحفَت ابتسامة خفيفة على قسماته.

وقفَت خادمتان أسفل لافتة الحانة المحليَّة التي يُطلِقون عليها اسم "الجذع الدَّاخن"، وعندما نادى عليهما ثيون جرايچوي تورَّد وجه صُغريهما وغطَّته بيديه، فوكزَ ثيون حصانه ليتحرَّك إلى جوار روب وقال ضاحكًا: «كايرا الجميلة، تتلوَّى كابن عُرس في الفِراش، لكن وجِّه لها كلمةً واحدةً في الشَّارع وستجد وجهها يحمرُّ كالعذراء في خِدرها. هل حكيتُ لك عن ليلتي معها هي وبسا عندما...».

قاطَه روب رامقًا بران: «لا تتكلَّم عن هذه الأشياء في وجود أخي يا ثيون».

أشاحَ بران ببصره وتظاهرَ بأنه لم يسمع، وإن شعرَ بنظرات جرايچوي على ظَهره. لا ريب أنه يبتسم، فهو يبتسم كثيرًا جدًّا كأن العالم عبارة عن دُعابةٍ سرِّيَّةٍ لا يتحلَّى أحد بالذَّكاء الكافي ليفهمها. كان روب معجبًا بثيون ويستمتع بصُحبته، لكن بران لم يستطِع قَطُّ أن يَشعُر بالوُدِّ نحو تابع أبيه الشَّخصي.

اقتربَ روب منه قائلًا: «تُبلي بلاءً حسنًا يا بران».

قال له: «أريدُ أن أتحرَّك أسرع».

ابتسمَ روب وقال: «كما ترغب»، ووكزَ حصانه كي يعدو بسرعةٍ أكبر وانطلقَ الذِّئبان وراءه، بينما شَدَّ بران العِنان بحركةٍ حادَّة فزادَت دانسر من سرعتها في الحال. سمعَ صيحةً من ثيون جرايچوي وأصوات حوافر الخيول الأخرى وراءه.

رفرفَ معطف بران وراء ظَهره وتموَّج في الرِّيح، وبدا كأن الثَّلج يندفع ليضرب وجهه. كان روب متقدِّمًا عنه بمسافةٍ لا بأس بها، يَنظُر وراءه بين الفينة والفينة ليتأكَّد من أن بران والآخَرين يتبعونه. شَدَّ بران العِنان مرَّةً أخرى، وبنعومة الحرير زادَت دانسر من سرعتها أكثر لتَركُض حتى تقلَّصت المسافة بينه وبين أخيه، وحينما أدركَ روب أخيرًا عند حدود غابة الذِّئاب، على بُعد ميلين من البلدة الشِّتويَّة، كانا قد سبقا الآخَرين بمسافةٍ كبيرة. صاحَ بران وعلى وجهه ابتسامة كبيرة: «أستطيعُ الرُّكوب!»، وفي قرارته كان يَشعُر كأنه يطير حقًّا.

- «كنتُ لأسابِقك، لكني أخشى أنك ستفوز»، قال روب مداعبًا لكن بران أحسَّ بشيءٍ يُزعِج أخيه تحت الابتسامة التي ارتسمَت على وجهه.

- «لا أريدُ أن أُسابِق أصلًا»، ونظرَ بران حوله باحثًا عن الذِّئبين الرَّهيبين، لكن الاثنين كانا قد اختفيا في الغابة. «هل سمعت عُواء سَمر ليلة أمس؟».

قال روب: «جراي ويند كان متوتِّرًا أيضًا». كان شَعره الكستنائي قد أضحى خشنًا غير ممشَّط، وغطَّت لحية قصيرة محمرَّة ذقنه لتجعله أكبر من أعوام عُمره الخمسة عشر. «أحيانًا أعتقدُ أن تلك الذِّئاب تعرف أشياءَ ما... تحسُّ بها...»، ثم تنهَّد وقال: «لا أدري بِمَ أُخبِرك يا بران. ليتك كنت أكبر».

قال بران: «أنا في الثَّامنة الآن! الثَّامنة ليست أصغر كثيرًا من الخامسة عشر، ثم إنني وريث وينترفل من بَعدك».

- «هذا صحيح»، قال روب بصوتٍ حزينٍ بدا فيه شيء من الخوف كذلك. «يجب أن أُخبِرك بشيءٍ يا بران. لقد جاءَ طائر ليلة أمس من كينجز لاندنج. المِايستر لوين أيقظَني فور وصوله».

شعرَ بران بفزعٍ مفاجئٍ يكتنفه. *أجنحة سوداء، أخبار سوداء* كما تُردِّد العجوز نان دائمًا، ومؤخَّرًا كانت الغِدفان الزَّاجلة تُثبِت صحَّة هذا المثل أكثر وأكثر.

عندما كتبَ روب لحضرة قائد الحَس اللَّيلي، عادَ الطَّائر برسالةٍ تقول إن العم بنچن لا يزال مفقودًا. ثم وصلت رسالة من "العُش"، من أمهم، لكنها لم تحمل أخبارًا طيِّبةً كذلك، فلم تقل متى تنوي العودة، بل ذكرَت فقط أنها قبضَت على العِفريت. كان بران يُحِبُّ الرَّجل الصَّغير نوعًا، لكن كلمة "لانستر" كانت بمثابة أصابع باردةٍ كالثَّلج تزحف على عموده الفقري. ثمَّة شيء ما يخصُّ آل لانستر، شيء عليه أن يتذكَّره، لكن كلما حاولَ التفكير في هذا أصابَه الدُّوار وانقلبَت معدته. أمضى روب معظم ذلك اليوم وراء بابٍ مغلق مع المِايستر لوين وثيون جرايچوي وهالس مولين، وبَعدها خرجَ الخيَّالة من القلعة على متن أحصنةٍ سريعةٍ حاملين أوامر روب إلى أنحاء الشَّمال، وسمعَ بران كلامًا عن خندق كايلن، حصن البَشر الأوائل العتيق المشيَّد أعلى "العُنق". لا أحد قال له شيئًا عمَّا يجري، لكنه كان يعرف أنه ليس خيرًا أبدًا.

والآن ها هو غُداف آخَر ورسالة أخرى، لكن بران تمسَّك بالأمل وقال: «أهي رسالة من أمي؟ أهي عائدة؟».

- «الرِّسالة من آلين في كينجز لاندنج. لقد ماتَ چوري كاسل، وكذلك ويل وهيوارد. قتلَهم قاتِل المَلك»، ورفعَ روب وجهه إلى الثَّلج السَّاقط من السَّماء لتذوب النُّدف على وجهه وقال: «لترحمهم الآلهة».

لم يعرف بران ماذا يقول، وشعرَ كأن أحدهم لكمَه في وجهه بمنتهى العُنف. كان چوري قائد الحَرس في وينترفل منذ مولد بران. «قتَلوا چوري؟». تذكَّر المرَّات العديدة التي طارَده چوري فيها على الأسطُح، وتصوَّره في عقله يقطع السَّاحة بخطواته الواسعة وقد ارتدى دِرعه، أو يجلس في مكانه المعتاد في القاعة الكُبرى يُلقي الدُّعابات وهو يأكل. «لماذا يَقتُل أيُّ أحدٍ چوري؟».

هَزَّ روب رأسه كالمخدَّر والألم جليٌّ في عينيه، وقال: «لا أدري، و... بران، هذا ليس أسوأ ما في الأمر. لقد سقطَ أبونا تحت حصانٍ أثناء

القتال، وآلين يقول إن ساقه انكسرَت، لكن المِايستر پايسل سقاه حليب الخشخاش، وإن كانوا لا يدرون متى... متى...». جعله صوت حوافر الخيول يرفع رأسه إلى الطَّريق إلى حيث كان ثيون والآخَرون آتين. «... متى سيفيق»، أتمَّ روب عبارته ووضع يده على مقبض سيفه وواصلَ بصوت وأسلوب روب اللورد: «بران، أعدك أنه مهما حدث فإنني لن أنسى هذا أبدًا».

شيءٌ ما في نبرته جعلَ بران يَشعُر بخوفٍ أكبر، وسألَ وثيون جرايچوي يتوقَّف إلى جوارهما: «ماذا ستفعل؟».

قال روب: «ثيون يعتقد أن عليَّ استدعاء الرَّايات».

- «الدَّم بالدَّم». تلك كانت من المرَّات النَّادرة التي لم يبتسم ثيون فيها، ولاحَت نظرة جائعة على وجهه الأسمر النَّحيل وقد سقطَ شَعره الأسود على عينيه.

قال بران والثَّلج يَسقُط في كلِّ مكانٍ حولهم: «سيِّد وينترفل وحده يستطيع استدعاء الرَّايات».

قال ثيون: «إذا ماتَ أبوك، سيُصبِح روب سيِّد وينترفل».

صرخَ بران فيه: «لن يموت!».

أمسكَ روب يده وقال بهدوء: «لا، لن يموت، ليس أبي... لكن شَرف الشَّمال كله في يدي الآن. عندما غادرَ أبونا قال لي أن أتحلَّى بالقوَّة من أجلك أنت وريكون، وأنا أكاد أصير رجلًا بالغًا يا بران».

ارتجفَ بران وقال بتعاسة: «ليت أمي كانت هنا»، ونظرَ حوله بحثًا عن المِايستر لوين ورآه قادمًا على حماره من بعيد. «هل يقول المِايستر لوين أن نستدعي الرَّايات كذلك؟».

قال ثيون: «المِايستر جبان كامرأةٍ عجوز».

قال بران لأخيه: «أبونا كان يُصغي لنصائحه دائمًا، وأمُّنا كذلك».

أجابَ روب بإصرار: «إنني أُصغي إليه، أُصغي إلى الجميع».

تبخَّر الابتهاج الذي شعرَ به بران في بداية الرُّكوب تمامًا، ذابَ كنُدف الثَّلج على وجهه. من فترةٍ ليست بالطَّويلة كانت فكرة استدعاء روب للرَّايات والخروج إلى الحرب لتملأه بالحماسة، أمَّا الآن فلم يكن يَشعُر إلَّا بالوجل. هكذا قال: «هل يُمكننا أن نعود الآن؟ إنني أشعرُ بالبَرد».

نظرَ روب حوله قائلًا: «يجب أن نجد الذِّئبين أولًا. هل تستطيع الاستمرار قليلًا؟».

- «أستطيعُ الاستمرار مِثلك تمامًا». كان المِايستر لوين قد حذَّره من قضاء وقتٍ طويلٍ على ظَهر الحصان خشية الإصابة بالقروح، لكن بران رفضَ الإقرار بالضَّعف أمام أخيه وقد سئمَ تمامًا من الاهتمام المبالَغ فيه من الجميع به وسؤالهم الدَّائم عن حاله.

قال روب: «لنصيد الصيَّادَيْن إذن»، وتحرَّك الاثنان جنبًا إلى جنبٍ تاركين طريق الملوك إلى داخل غابة الذِّئاب، وتبعهما ثيون من على مسافةٍ بعيدةٍ متبادلًا الكلام والدُّعابات مع الحَرس.

أحسَّ بشيءٍ من الرَّاحة تحت الأشجار وقد أمرَ دانسر بالتحرُّك ببُطءٍ وأمسكَ عِنانها بخفَّةٍ وهو يتطلَّع إلى كلِّ شيءٍ حوله. إنه يعرف هذه الغابة، لكنه ظَلَّ حبيسًا داخل أسوار وينترفل لفترةٍ طويلةٍ لدرجة أنه كان يَشعُر الآن كأنه يراها للمرَّة الأولى في حياته. أفعمَت أنفه روائح غصون الصَّنوبر اللَّاذعة، وأوراق الشَّجر السَّاقطة الممتزجة بالتُّربة وقد بدأت تتعفَّن، ولمحة هنا وهناك من روائح الحيوانات ونيران الطَّهو البعيدة، وأبصرَ سنجابًا أسودَ يتحرَّك بين فروع شجرة سَنديان مغطَّاة بالثَّلج، وتوقَّف ليُمعِن النَّظر إلى الشِّباك الفضِّيَّة التي نسجَتها واحدة من عناكب الإمبراطورة السَّوداء[1]. في الآن ذاته كان ثيون والآخَرون قد تقهقروا أكثر وراءهما حتى لم يَعُدْ بران يسمع أصواتهم، وعلى مسافةٍ ما أمامهما جاءَ صوت خافت لمياهٍ تتدفَّق أخذَ يعلو رويدًا حتى بلغا النُّهير، وهناك أغشَت العبرات عينيه.

---

(1) نوع عناكب من ابتكار المؤلِّف أقرب إلى عناكب الأرملة السَّوداء في عالم الواقع.

سأله روب: «بران، ماذا بك؟».

هَزَّ رأسه قائلًا: «أتذكَّرُ فقط. چوري اصطحبَنا إلى هنا مرَّةً لصيد الأسماك، أنا وأنت وچون، هل تَذكُر؟».

أجابَ روب بصوتٍ هادئٍ حزين: «أجل».

- «لم أفلح في صيد شيءٍ يومها، لكن چون أعطاني سمكته ونحن عائدون إلى وينترفل. هل سنرى چون ثانيةً؟».

- «لقد رأينا العم بنچن عندما جاءَ المَلك، ومؤكَّد أن چون سيأتي لزيارتنا، سترى».

كانت مياه النُّهير تجري بسرعة. ترجَّل روب وقادَ حصانه عبر المخاضة العميقة وقد بلغَت المياه فخذيه، ثم ربطَ الحصان بشجرةٍ على الجانب الآخَر وعادَ يخوض في الماء من جديد ليقود بران ومُهرته دانسر. جعلَ التيَّار القوي الزَّبد يثور حول الصُّخور والجذور، وشعرَ بران بالمياه تتناثَر على وجهه وروب يقوده، وجعله هذا يبتسم. للحظةٍ أحسَّ بأنه قويٌّ من جديد، ومكتمل، ورفعَ عينيه إلى الأشجار العالية وحلمَ بتسلُّقها حتى القمَّة لتمتدَّ الغابة كلها من تحته. كانا قد عبَرا إلى الجانب الآخَر عندما سمعا العُواء المتصاعد الطَّويل الذي سرى بين الأشجار كالرِّيح، وأرهفَ بران سمعه قائلًا: «سَمر»، وبمجرَّد أن خرجَ آخِر حروف الكلمة من فمه حتى انضمَّ عُواء ثانٍ إلى الأول.

قال روب وهو يمتطي حصانه من جديد: «لقد اقتنصا فريسةً. سأذهبُ وأعودُ بهما. انتظِر هنا حتى يلحق بنا ثيون والآخَرون».

قال بران: «أريدُ أن آتي معك».

- «سأجدهما أسرع إذا كنتُ وحدي»، قالها روب ووكزَ حصانه واختفى بين الأشجار.

بدَت الغابة كأنها تنطبق عليه بمجرَّد أن غابَ روب عن بصره. كانت الثُّلوج تَسقُط بكثافةٍ أكبر الآن، تذوب بمجرَّد أن تلمس الأرض، لكن في

كلِّ مكانٍ من حوله اكتسَت الصُّخور والأغصان والجذور برداءٍ رقيقٍ من الأبيض. في الصَّمت والوحدة بدأ بران يعي أنه يَشعُر بعدم راحةٍ بالِغ، فهو لا يحسُّ بساقيه المتدلِّيتين بلا قيمةٍ في الرِّكابين على جانبي المُهرة، وإن كان الحزام المحيط بصدره محكمًا تمامًا، وتخلَّل الثَّلج الذَّائب قُفَّازيه ليتسلَّل البَرد معه إلى يديه. تساءلَ عمَّا يُعَطِّل تخلُّف ثيون والمِايستر لوين وچوزث والبقيَّة عن اللِّحاق بهما حتى الآن، ثم إنه سمعَ حفيف أوراق الشَّجر، فاستخدمَ العِنان ليُدير دانسر في اتِّجاه الصَّوت متوقِّعًا أن يرى أصدقاءه، لكن الرِّجال المشعثين الذين خرجوا إلى ضفَّة النُّهير كانوا غُرباء.

بنبرةٍ متوتِّرةٍ قال: «طابَ يومكم»، لكن نظرةً واحدةً ألقاها عليهم أخبرَته أنهم ليسوا من ساكني الغابة أو المُزارِعين، وفجأةً أدركَ كم تبدو ثيابه ثمينةً. كانت سُترته جديدةً، من الصُّوف الرَّمادي الغامق وذات أزرارٍ فضِّيَّة، بينما ثبَّت دبُّوس فضِّي ثقيل معطفه المبطَّن بالفرو بكتفيه، بالإضافة إلى الحذاء طويل العُنق والقُفَّازين المبطَّنين بالفرو بدورهما.

- «أأنت وحدك هنا؟»، قال الأصلع ذو الوجه المحمرِّ من جرَّاء تعرُّضه للرِّيح والذي كان أكبرهم حجمًا. «الصَّبي المسكين ضائع في غابة الذِّئاب».

- «لستُ ضائعًا». لم تَرُقْ له الطَّريقة التي يَنظُرون إليه بها. أحصى أربعةً منهم، لكنه لمحَ اثنين آخَرين وراءه عندما التفتَ. «لقد غادرَ أخي منذ دقائق، وحُرَّاسي سيصلون بَعد قليل».

- «حُرَّاسك تقول؟»، قال رجل آخَر ذو لحيةٍ شيباء تُغَطِّي وجهه الهزيل. «وماذا يَحرُسون بالضَّبط أيها السيِّد الصَّغير؟ أهذا دبُّوس فضِّي الذي أراه على معطفك؟».

- «جميل»، قال صوت امرأة وإن بدَت صاحِبته أنثى بالكاد. كانت طويلة القامة نحيلةً ولها القسمات القاسية نفسها كبقيَّتهم، وقد توارى

شَعرها تحت خوذةٍ قصيرةٍ على شكل وعاء، والرُّمح الذي تحمله عبارة عن ثمانية أقدامٍ من السَّنديان الأسود له رأس من الفولاذ الصَّدئ.

قال الأصلعَ كبير الحجم: «دعونا نُلقي نظرةً».

راقَبهم بران بتوتُّرٍ شديد. كانت ثيابه قذرةً، تكاد تتمزَّق تمامًا ولا يجعلها تتماسَك غير رُقعةٍ من القُماش البُنِّي هنا أو الأزرق هناك أو الأخضر الدَّاكن هنالك، وقد بهتَ لون معطفه الذي كان أسودَ يومًا فصارَ رماديًّا. كان الرَّجل الآخَر ذو اللِّحية الشَّيباء يرتدي معطفًا أسودَ كذلك، وتذكَّر بران فجأةً الرَّجل الحانث بالقَسَم الذي أعدَمه أبوه بقطع رأسه يوم عثروا على الجِراء وسط الثُّلوج؛ هذا الرَّجل كان يرتدي الأسود كذلك، وقال أبوه إنه متهرِّب من الخدمة في حَرس اللَّيل. تذكَّر كلمات اللورد إدارد يومها: *ليس هناك رجل أخطر ممن هُم مِثله. المتهرِّب يعلم أنه سيدفع حياته ثمنًا إذا قُبِضَ عليه، ولذا لا يتورَّع عن ارتكاب أيِّ جُرم، مهما كان آثمًا.*

مَدَّ الرَّجل الكبير يده قائلًا: «الدَّبُّوس يا ولد».

- «وسنأخذ الحصان أيضًا»، قالت امرأة أخرى أقصر قامةً من روب ذات وجهٍ عريض وشَعرٍ أصفرَ مسترسل. «ترجَّل، هيا، بسرعة». في يدها كان سكِّين ذو حافَّةٍ مسنَّنةٍ كالمنشار.

غمغمَ بران: «لا، إنني لا أستطيعُ أن...».

أطبقَ الرَّجل الكبير على العِنان قبل أن يدور بران بدانسر وينطلق بها بعيدًا، وقال: «بل تستطيع أيها اللورد الصَّغير، وستفعل إذا كنت تعرف ما في صالحك».

أشارَت المرأة الطَّويلة برُمحها قائلةً: «ستيف، انظُر إلى الأحزمة التي تَربُطه. لعلَّه يقول الحقيقة».

قال المدعو ستيف وهو يسحب خنجرًا من الغِمد المثبَّت في حزامه: «أحزمة؟ ثمَّة وسائلُ للتَّعامل مع الأحزمة».

سألته المرأة القصيرة: «هل أنت كسيح أو ما شابه؟».

صاحَ بران غاضبًا: «أنا براندون ستارك ابن وينترفل، وخير لكم أن تبتعدوا عني وإلّا دفعتم حياتكم ثَمنًا».

ضحكَ ذو اللِّحية قائلًا: «إنه ستارك ولا شَك، فآل ستارك هُم الحمقى الوحيدون الذين يُلقون التَّهديدات بينما يَجدُر بهم التوسُّل».

قالت القصيرة: «اقطع حمامته الصَّغيرة واحشُرها في فمه. سوف يُخرِسه هذا».

- «غبيَّةٌ كما أنتِ قبيحةٌ يا هالي»، قالت الطَّويلة. «الصَّبي لا قيمة له ميتًا، لكن حيًّا... فكِّري في المكافأة التي سيدفعها مانس مقابل حصوله على قريب بنچن ستارك رهينةً!».

قال الكبير: «فليذهب مانس إلى الجحيم! هل تُريدين العودة إلى هناك يا أوشا؟ إنكِ أكثر غباءً إذن. هل تعتقدين أن المُشاة الشَّاحبين سيُبالون إذا كانت معكِ رهينة؟»، ثم التفتَ إلى بران وقطعَ الحزام المخيط بفخذه وانشقَّ الجِلد بصوتٍ كالزَّفير.

كانت ضربة الخنجر سريعةً خرقاء... وعميقة. نظرَ بران إلى اللَّحم الشَّاحب الذي برزَ حيث تمزَّق قِماط ساقه، ثم بدأ الدَّم يجري، ورأى البُقعة الحمراء تنتشر واكتنفَ رأسه دُوار خفيف، وإن شعرَ كأن الضَّربة أصابَت شخصًا آخَر. لم يكن هناك أدنى ألم أو إحساس في ساقه، وأطلقَ الرَّجل الكبير صيحة دهشة.

- «ضعوا أسلحتكم الآن وأعدكم بميتةٍ سريعةٍ بلا ألم»، صاحَ روب ورفعَ بران عينيه بأملٍ يائس ليرى أخاه هناك. قوَّة كلماته أوهنَها التوتُّر في صوته، وكان على صهوة حصانه ووراءه جثَّة ظبي دامية وسيفه مسلول في يده.

قال ذو اللِّحية: «الأخ».

قالت المرأة القصيرة التي تُدعى هالي ساخرةً: «يبدو قويًّا. هل تنوي قتالنا يا ولد؟».

وقالت الطَّويلة التي تُدعى أوشا رافعةً رُمحها: «لا تكن أحمق. إنك واحد ضد ستَّة. ترجَّل وألقِ سيفك، وسنَشكُرك على الحصان والظَّبي، ثم يُمكنك الانصراف مع أخيك».

أطلقَ روب صفيرًا، وسمعوا وقع الأقدام الخفيف على أوراق الشَّجر المبتلَّة على الأرض، ثم اهتزَّت الفروع الواطئة ليتساقَط عنها الثَّلج المتراكم عليها، وانشقَّت الشُّجيرات الخضراء فجأةً عن سَمر وجراي ويند، وتشمَّم الأول الهواء وردَّد عُواءه.

قالت هالي مبهوتةً: «ذئاب».

- «ذئاب رهيبة»، قال بران. لئن كانت ذئاب الإخوة لا تزال لم تنمُ بالكامل بَعد، فإنها كانت بحجم أيِّ ذئبٍ عاديٍّ آخَر رآه في حياته، وإن كان من السَّهل تمييز الفوارق بين النَّوعين إذا كنت تعرف ما تبحث عنه. علَّمه المِايستر لوين وفارلن قيِّم وجار الكلاب أن الذِّئب الرَّهيب رأسه أكبر وقوائمه أطول بما يتناسَب مع جسده، وأن خَطمه وفكَّه أكثر نحولًا وبروزًا. كان ثمَّة شيء مريع في منظرهما وهما واقفان هناك بين الثُّلوج المتساقطة، خصوصًا مع الدِّماء التي لم تجف بَعد على خَطم جراي ويند.

قال الأصلع بازدراء: «مجرَّد كلبين، وإن كنتُ سمعتُ أن لا شيء يُدَفِّئك ليلًا كفروة الذِّئب»، ثم أشارَ بحركةٍ حادَّةٍ قائلًا: «خذوهما».

صاحَ روب: «وينترفل!»، ووكزَ حصانه فاندفعَ على ضفَّة النُّهير والرِّجال المشعثون ينقضُّون. كَرَّ عليه واحد منهم يحمل بلطةً صارخًا وإن كان غافلًا، وضربَه سيف روب في وجهه ليُهَشِّمه بصوتٍ مغثٍ وتتناثر دماؤه، ثم حاولَ ذو اللِّحية الشَّيباء الإمساك بعِنانه، ولِنصف ثانيةٍ نجحَ في الإمساك به بالفعل... قبل أن ينقضَّ جراي ويند عليه مُسقِطًا إياه في الماء بمنتهى العُنف، وللحظاتٍ أخذَ يضرب الهواء بسكِّينه وقد غاصَ رأسه تحت الماء، ثم وثبَ جراي ويند وراءه واصطبغَت المياه البيضاء بالأحمر في البُقعة التي غابَ فيها الاثنان.

تبادلَ روب وأوشا الضَّربات في منتصَف المخاضة، يهوي رُمحها الطَّويل ذو الرَّأس الفولاذي على صدره مرَّةً، مرَّتين، ثلاثًا، فيصدُّ روب كلَّ ضربةٍ بسيفه الطَّويل مزيحًا رأس الرُّمح جانبًا. في الضَّربة الرَّابعة أو الخامسة مدَّت أوشا جسدها أكثر من اللَّازم وفقدَت توازُنها للحظةٍ استغلَّها روب وانقضَّ بحصانه ليدهسها.

على بُعد خطواتٍ قليلةٍ اندفعَ سَمر مُهاجِمًا هالي، لكن السكِّين جرحَ خاصرته فابتعدَ مزمجرًا قبل أن ينقضَّ عليها من جديد، وهذه المرَّة أطبقَ فكَّاه على رَبلة ساقها، وسدَّدت المرأة القصيرة سكِّينها بكلتا يديها، لكن يبدو أن الذِّئب الرَّهيب أحسَّ بالطَّعنة قادمةً، فتراجعَ للحظةٍ وفمه مليء بالجِلد والنَّسيج واللَّحم الدَّامي، وعندما سقطَت هالي أرضًا من جديد عاودَ الانقضاض وانغرسَت أنيابه في لحم بطنها لتُمَزِّقه تمزيقًا.

بدأ الرَّجل السَّادس يجري فارًّا من المذبحة، لكنه لم يبتعد كثيرًا، إذ وهو يَركُض متعثِّرًا على الجانب الآخَر من النُّهير، انبثقَ جراي ويند بغتةً من الماء. كان مبتلًّا عن آخِره، فنفضَ المياه عن نفسه ثم انطلقَ وراء الرَّجل ليُسقِطه وقد أحاطَ فكَّاه بأوتار الرُّكبة ومزَّقاها، وفي اللَّحظة التَّالية كان الفكَّان حول الحَلق والرَّجل يُطلِق صرخاتٍ شنيعة ويتهاوى في الماء.

ثم لم يَعُدْ هناك غير الرَّجل الكبير ستيف، الذي قطعَ الحزام المحيط بصدر بران بضربةٍ من خنجره وأطبقَ على ذراعه وجذبَه، فوجدَ بران نفسه يَسقُط بلا سابِق إنذار، لتلتوي ساقاه تحته وتغوص واحدة من قدميه في الماء. لم يَشعُر ببرودة النُّهير لكنه شعرَ ببرودة الفولاذ وستيف يضع الخنجر على حَلقه قائلًا لروب: «ابتعد وإلَّا فأُقسِم أن أشقَّ حَلق الصَّبي».

أوقفَ روب حصانه وقد اختفى الغضب من عينيه وهوَت ذراعه حاملة السَّيف إلى جانبه، وفي هذه اللَّحظة رأى بران كلَّ شيء. كان سَمر يفترس هالي، يسحب ثعابين زرقاء لامعةً من بطنها بينما كانت عيناها متَّسعتين

تُحَدِّقان في الفراغ، ولم يدرِ بران إن كانت حيَّةً أم ميتةً. ذو اللِّحية وذو البلطة كانا على الأرض بلا حراك، لكن أوشا كانت على رُكبتيها تزحف نحو رُمحها، فدنا جراي ويند منها مُطلِقًا زمجرة إنذارٍ والماء يَقطُر من فروه.

صاحَ الرَّجل الكبير: «أوقِفهما! أوقِفهما وإلَّا مات الصَّبي الكسيح!».

قال روب بهدوء: «جراي ويند، سَمر، إليَّ».

توقَّف الذِّئبان الرَّهيبان وأدارا رأسيهما، ثم تحرَّك جراي ويند نحو روب، بينما ظَلَّ سَمر في مكانه وعيناه مسلَّطتين على بران والرَّجل المُمسِك به، وجعلَ يُزَمجِر وخَطمه مبتلٌّ بالدِّماء القانية وعيناه تشتعلان نارًا.

استندَت أوشا على قاعدة رُمحها كي تستطيع الوقوف والدَّم يسيل من أعلى ذراعها حيث أصابَها روب، أمَّا ما سالَ على وجه ستيف فهو العَرق، وأدركَ بران أنه خائف مثله تمامًا. «آل ستارك، آل ستارك عليهم اللَّعنة»، غمغمَ الرَّجل ثم رفعَ صوته قائلًا: «أوشا، اقتلي الذِّئبين وخُذي سيفه».

أجابَت: «اقتلهما بنفسك، فأنا لن أقترب من هذين الوحشين».

للحظةٍ ارتبكَ ستيف، وارتجفَت يده وشعرَ بران بقطرةٍ من الدَّم تسيل على عُنقه حيث انغرسَ الخنجر، وملأت فمه رائحة الرَّجل الكريهة، رائحة الخوف. ثم إنه خاطبَ روب قائلًا: «أنت، ما اسمك؟».

- «أنا روب ستارك، وريث وينترفل».

- «أهذا أخوك؟».

- «نعم».

- «إذا كنت تريده حيًّا، فافعل كما أقول. انزل عن الحصان».

تردَّد روب لبرهة، ثم ترجَّل ببُطءٍ شديد وسيفه في يده.

- «والآن اقتل الذِّئبين».

ولم يتحرَّك روب من مكانه.

- «افعلها. إمَّا هما أو هو».

صرخَ بران: «لا!». إذا فعلها روب، فسيَقتُلهما ستيڤ على كلِّ حالٍ بمجرَّد أن يموت الذِّئبان.

أطبقَ الرَّجل الأصلع على شَعره بيده الأخرى وجذبَه بحركةٍ عنيفةٍ جعلت دموع بران تسيل ألمًا، وقال: «اخرس أيها الكسيح، هل تسمع؟»، وشَدَّ شَعره بعُنفٍ أكبر مكرِّرًا: «هل تسمع؟».

وجاءَ الصَّوت الوتري الخفيض من الغابة من ورائهما، وأطلقَ ستيڤ شهقةً مخنوقةً وقد تفجَّر رأس السَّهم العريض من صدره فجأةً وقد اصطبغَ بالأحمر كأنه مطليٌّ بالدَّم.

وسقطَ الخنجر بعيدًا عن رقبة بران، وترنَّح الرَّجل وتهاوى على وجهه في النُّهير وانكسرَ السَّهم تحته، وراقَبه بران والحياة تتسرَّب منه.

حدَّقت أوشا برُعبٍ في حُرَّاس اللورد إدارد الذين ظهَروا تحت الأشجار وسيوفهم في أيديهم، وألقَت رُمحها أرضًا قائلةً لروب: «الرَّحمة».

تبدَّت نظرة غريبة على وجوه الحُرَّاس الممتقعة وهُم يتطلَّعون إلى مشهد المذبحة ويَرمُقون الذِّئبين بنظراتٍ متوتِّرة، ولمَّا عادَ سَمر لاستكمال وجبته من جثَّة هالي ألقى چوزث سكِّينه وتراجعَ إلى الوراء لاهثًا متعثِّرًا، وحتى المِايستر لوين بدا مصدومًا وهو يَخرُج من وراء شجرة، لكن للحظةٍ فقط، ثم هَزَّ رأسه وخاضَ في مياه النُّهير نحو بران قائلًا: «هل جُرِحت؟».

أجابَ بران: «جرحَ ساقي بخنجره، لكني لم أشعر بشيء».

مالَ المِايستر ليفحص الجرح وأشاحَ بران برأسه ليرى ثيون جرايچوي مستندًا إلى شجرة حارس وقوسه في يده، ويبتسم... دائمًا يبتسم. نِصف دستةٍ من السِّهام كان على الأرض عند قدميه، لكن كلَّ ما احتاجه كان سهمًا واحدًا. قال بمرح: «العَدُوُّ الميت من أجمل الأشياء في الدُّنيا».

قال روب بصوتٍ عالٍ: «لطالما قال چون إنك حمار يا جرايچوي. حريٌّ بي أن أقيِّدك في السَّاحة وأجعل بران يتدرَّب على الرِّماية عليك».

- «بل حريٌّ بك أن تَشكُرني على إنقاذ حياة أخيك».

- «ماذا لو أخطأت الرَّمية؟ ماذا لو جرحته فقط؟ ماذا لو جعلت يده تغرس الخنجر في عُنق بران، أو حتى أصبت بران نفسه؟ لم تُفَكِّر أن الرَّجل كان يرتدي واقيًا للصَّدر ربما، فكلُّ ما رأيته هو ظَهر معطفه. ماذا كان ليَحدُث لأخي حينئذٍ؟ هل توقَّفت لحظةً لتُفَكِّر في هذا يا جرايچوي؟».

تلاشَت ابتسامة ثيون، وهَزَّ كتفيه بلا معنىً ثم انحنى ليجمع سهامه من على الأرض، بينما رمقَ روب الحُرَّاس قائلًا بصرامة: «أين كنتم؟ كنتُ أحسبكم وراءنا مباشرةً».

تبادلَ الرِّجالِ النَّظرات المضطَّربة، ثم قال أصغرهم سِنًّا كوينت ذو اللِّحية البُنيَّة الزَّغبة: «كنا نتبعكما يا سيِّدي، لكننا انتظَرنا المِايستر لوين وحماره، لا تُؤاخِذني، ثم... الذي حدثَ أن...»، ورمقَ ثيون ثم نظرَ بعيدًا بارتباك.

قال ثيون وقد ضايَقه السُّؤال: «رأيتُ ديكًا بريًّا. أنَّى لي أن أعرف أنك ستَترُك بران وحده؟».

دارَ روب برأسه ليَنظُر إلى ثيون مجدَّدًا. لم يره بران بهذا الغضب من قبل قَطُّ، لكنه لم يقل شيئًا، ومالَ إلى جوار المِايستر لوين قائلًا: «هل جرح أخي بالِغ؟».

- «ليس أكثر من خدش»، أجابَ المِايستر وبلَّل قطعةً من القُماش بماء النُّهير وأخذَ يُنَظِّف الجرح بها قائلًا: «اثنان منهم كانا يرتديان الأسود».

رمقَ روب جثَّة ستيف الملقاة على وجهها في الماء ومعطفه الأسود الرَّث يتحرَّك مع حركة التيَّار، ثم قال عابسًا: «متهرِّبون من حَرس اللَّيل. لا بُدَّ أنهم كانوا حمقى ليقتربوا من وينترفل هكذا».

قال المِايستر: «أحيانًا ما يَصعُب التَّفريق بين الحماقة واليأس».

سأل كوينت: «هل ندفنهم يا سيِّدي؟».

أجابَ روب: «لم يكونوا ليدفنونا لو قتلونا. اقطعوا رؤوسهم كي نُرسِلها إلى "الجِدار"، واتركوا البقيَّة لأكَلة الجيفة».

أشارَ كوينت بإبهامه إلى أوشا سائلًا: «وماذا عن هذه؟».

سارَ روب نحوها. كانت أطول منه برأسٍ كامل، لكنها هوَت على رُكبتيها بمجرَّد اقترابه وقالت: «امنحني حياتي وسأكونُ لك يا لورد ستارك».

- «لي؟ وماذا أفعلُ لحانثةٍ بالقَسم؟».

- «لكني لم أحنث بأيِّ قَسم. والن وستيڤ جاءا من "الجِدار" وليس أنا. لا مكان للنِّساء بين الغِربان السَّوداء».

اقتربَ ثيون جرايچوي وقال لروب: «أطعِمها للذِّئاب». رمقَت المرأة ما تبقَّى من جثَّة هالي بنظرةٍ خاطفةٍ ثم أبعدَت عينيها بالسُّرعة ذاتها مرتجفةً، وحتى الحُرَّاس بدوا مصابين بالغثيان.

قال روب: «إنها امرأة».

قال له بران: «امرأة من الهَمج. قالت لهم أن يحتفظوا بي حيًّا كي يأخذوني إلى مانس رايدر».

سألها روب: «ألديكِ اسم؟».

غمغَت ببؤس: «أوشا يا سيِّدي».

نهضَ المِايستر لوين قائلًا: «لعلَّ من الأفضل أن نستجوبها».

رأى بران ملامح أخيه تكتسي بالرَّاحة، وقال روب: «كما تقول أيها المِايستر. واين، قيِّد يديها. سوف تأتي إلى وينترفل معنا... وما تُخبِرنا به من حقائقَ هو ما سيُحَدِّد حياتها أو موتها».

تيريون

- «تريد أكل؟»، سأله مورد محملقًا فيه وهو يحمل طبقًا من الفاصوليا المزيَّتة بيده الثَّخينة ذات الأصابع القصيرة.

كان تيريون لانستر يتضوَّر جوعًا، لكنه رفضَ أن يسمح لهذا الجحش برؤيته يتذلَّل، وقال من مكانه على كومة القَشِّ المتَّسخ في رُكن زنزانته: «سيكون من اللَّطيف أن تأتي لي بساق ضأن، وربما طبق من البازلاء والبصل وبعض الخُبز الطَّازج بالزُّبد، وإبريق من النَّبيذ المتبَّل ليُساعِدني على الازدراد، أو بيرة إذا كان هذا أسهل. أحاولُ ألَّا أكون متطلِّبًا أكثر من اللَّازم».

- «فاصوليا»، قال مورد مادًّا يده بالطَّبق. «خُذ».

زفرَ تيريون بحرارة. كان السجَّان كُتلةً مجسَّدةً من الغباء والجلافة، ذا أسنانٍ بُنِّيَّةٍ نخرةٍ وعينين سوداوين صغيرتين، يحمل جانب وجهه الأيسر نَدبة كبيرةً خلَّفتها الفأس التي قطعَت أُذنه وجزءًا من وجنته. بقَدر ما هو قبيح الشَّكل كانت حركاته متوقَّعةً، لكن تيريون كان جائعًا حقًّا، فرفعَ يده ليلتقط الطَّبق، فقط ليُبعِده مورد عن متناول يده قائلًا بابتسامةٍ كالحة: «هنا».

نهض القزم متصلِّبًا وكلُّ مفصلٍ في ساقيه يوجعه، وقال مُحاوِلًا الإمساك بطبق الفاصوليا: «أينبغي أن نلعب تلك اللُّعبة الحمقاء عند كلِّ وجبة؟».

تراجعَ مورد إلى الوراء مبتسمًا ليكشف عن أسنانه النَّخرة قائلًا: «هنا يا رجل قزم»، ومَدَّ الطَّبق بطول ذراعه فوق الحافَّة التي تنتهي عندها الزِّنزانة وتبدأ السَّماء. «لا تريد أكل؟ تعالَ خُذ».

كانت ذراعا تيريون أقصر من أن تَبلُغا الطَّبق، كما أنه لم يكن يجرؤ على الدُّنو من الحافَّة لهذه الدَّرجة، فكلُّ ما يحتاجه الأمر هو دفعة سريعة من بطن مورد البيضاء الكبيرة لينتهي إلى بُقعةٍ حمراء تُثير الغثيان على أحجار "سماء" ككثيرٍ جدًّا من سُجناء "العُش" على مَرِّ القرون.
«الآن بَعد تفكير، لا أعتقدُ أني جائع»، قالها متراجعًا إلى رُكن الزِّنزانة.
أطلقَ مورد صوتًا كقُباع الخنازير وفردَ أصابعه الثَّخينة، وفي لحظةٍ أخذَت الرِّيح الطَّبق وقلبته بمحتوياته وهو يَسقُط، وتناثرَت حفنة من الفاصوليا عليهما والطَّعام يغيب عن عيونهما، وقهقهَ السجَّان باستمتاعٍ لترتجَّ بطنه كوعاءٍ من الهلام.
شعرَ تيريون بموجةٍ مفاجئةٍ من الغضب تجتاحه، وصاحَ: «يا ابن الحمير! أتمنَّى أن تموت بالإسهال!».
من أجل هذا ركله مورد قبل أن يُغادِر، دافعًا طرف حذاءه الحديدي المدبَّب في أضلاع تيريون، الذي قال منقطع الأنفاس وهو يتلوَّى على كومة القَش: «أسحبُ ما قلتُ! أقسمُ أنني سأقتلك بنفسي!»، وسمعَ الباب الثَّقيل المدعَّم بالحديد يُصفَق ثم خشخشة المفاتيح.
فكَّر وهو يزحف إلى رُكن ما يُسَمِّيه آل آرن ساخرين بالزِّنزانة أنه ملعون بلسانٍ طويلٍ حقًّا بالنِّسبة لرجلٍ صغير الحجم مِثله. تكوَّم تحت الدِّثار الخفيف الذي كان حشيَّة الفِراش الوحيدة التي تركوها له، ورمقَ السَّماء الزَّرقاء الخالية والجبال البعيدة التي بدَت كأنها تمتدُّ إلى ما لا نهاية، وتمنَّى لو أنه كان لا يزال يحتفظ بالمعطف المصنوع من جِلد هِرَّةٍ شبحيَّة، الذي فازَ به من ماريليون في لُعبة النَّرد، بَعد أن سرقَه المغنِّي من على جثَّة كبير اللُّصوص. كانت رائحة الدَّم والعفن عالقةً بالمعطف وإن كان سميكًا دافئًا، لكن مورد أخذَه منه لحظة أن رآه.
شدَّت الرِّيح دثاره بهبَّاتٍ حادَّةٍ كالمخالب على الرغم من تكوُّمه في رُكن الزِّنزانة البعيد، لكنها كانت صغيرة الحجم مع ذلك، بالنِّسبة لقزم، فعلى بُعد أقلِّ من خمسة أقدامٍ حيث من المفترَض أن يكون الجِدار،

وحيث هناك جِدار في أيِّ زنزانةٍ تقليديَّة، انتهَت الأرضيَّة وبدأت السَّماء. كان يتعرَّض لكثيرٍ من الهواء النقيِّ ونور الشَّمس، بالإضافة إلى منظر القَمر والنُّجوم ليلًا، لكن تيريون كان ليُقايِض كلَّ هذا في غمضة عينٍ بأعمق وأقتم حُفرةٍ في دهاليز كاسترلي روك.

- «تطير»، قال له مورد إذ دفعَه إلى داخل الزِّنزانة. «بَعد عشرين يوم، أو خمسين، ثم تطير».

يحتفظ آل آرن بالزَّنازين الوحيدة في البلاد التي يُقال فيها للسُّجناء أن يهربوا إذا شاءوا. في اليوم الأول، بَعد استجماع شَجاعته لساعات، تمدَّد تيريون على بطنه وزحفَ بتؤدةٍ إلى الحافَّة ليطلَّ برأسه ويَنظُر إلى أسفل. كانت قلعة "سماء" على بُعد ستمئة قدمٍ تحته ولا شيء بينهما غير الهواء، وإذا مَدَّ رأسه إلى الخارج قَدر ما يستطيع، كان يرى الزَّنازين الأخرى إلى يمينه ويساره وأعلاه. كان نحلةً بترَ أحدهم أجنحتها حبيسةً في قُرص عسلٍ من حَجر.

كانت البرودة بالغةً في الزِّنزانة، والرِّياح تعوي ليل نهار، أمَّا الأسوأ على الإطلاق أن الأرضيَّة كانت منحدرةً... نعم، منحدرةً على نحوٍ بسيطٍ جدًّا لكنه يكفي. كان خائفًا من إغلاق عينيه، من أن يتدحرج في نومه ويستيقظ بَعد فوات الأوان وهو يَسقُط في الهواء بلا شيءٍ يتمسَّك به. لا عجب أن زنازين السَّماء تلك تقود سُجنائها إلى الجنون.

"*لتُنقِذني الآلهة... الأزرق يُناديني*"... كانت العبارة مكتوبةً على الجِدار بما بدا كدم أحد نُزلاء الزِّنزانة السَّابقين، وتساءلَ تيريون عمَّن كان وما حَلَّ به، ثم قرَّر بَعدها أنه لا يرغب في أن يعرف.

لو كان قد أبقى فمه مغلقًا فقط...

لكن الصَّبي الأبله كان البادئ وهو يتطلَّع إليه من فوق العَرش المصنوع من خشب الويروود المنقوش تحت رايات عائلة آرن ذات القَمر والصَّقر. طوال حياته والنَّاس يَنظُرون إلى تيريون لانستر من أعلى، لكن نادرًا ما كان أحدهم صبيًّا دامع العينين في السَّادسة من عُمره يضع وسادةً فوق

وسادةٍ تحت مؤخِّرته لترفعه إلى قامة رجل. سألَ الصَّبي الممسك بدُميته: «أهذا هو الرَّجل الشرِّير؟».

- «إنه هو»، أجابَت الليدي لايسا من على العَرش الأصغر المجاور له. كانت ترتدي ثيابًا زرقاء وقد وضعَت المساحيق وتعطَّرت من أجل طالبي يدها الذين ملأوا البلاط.

قال سيِّد "العُش" ضاحكًا: «إنه صغير».

- «هذا هو تيريون العِفريت ابن عائلة لانستر، الذي قتلَ أباك»، ورفعَت صوتها ليسمعه كلُّ الحضور في القاعة العالية ويتردَّد صداه بين الجدران البيضاء كالحليب والأعمدة الرَّفيعة: «قتلَ يَدَ المَلك!».

قال تيريون كالأحمق: «أوه، هو أيضًا قتلته؟».

كان هذا أنسب وقتٍ لأن يُبقي فمه مغلقًا ورأسه محنيًّا. إنه يرى هذا الآن، وبحقِّ الجحائم السَّبع رآه وقتها كذلك. كانت قاعة آل آرن العالية طويلةً قاتمةً، جدرانها البيضاء المصنوعة من الرُّخام ذي العروق الزَّرقاء محمَّلة بالبرودة والوحشة، وإن كانت الوجوه المحيطة به أكثر برودةً بكثير. قوَّة كاسترلي روك على بُعد أميالٍ وأميال، وآل لانستر ليس لديهم أصدقاء في وادي آرن، وعليه كان الإذعان والصَّمت أفضل دفاع له، لكن...

كان مزاج تيريون متعكِّرًا لدرجةٍ منعته عن التَّفكير السَّليم. مما أثارَ خجله أنه أوشكَ على الانهيار خلال المرحلة الأخيرة من رحلة صعود الجبل التي دامَت يومًا كاملًا، وقد أضحَت ساقاه عاجزتين عن حمله أكثر من هذا، فحمله برون بقيَّة الطَّريق، فصبَّت الإهانة المزيد من الوقود على نار غضبه. «كنتُ رجلًا صغيرًا كثير الأشغال على ما يبدو»، قال بسخريةٍ مريرة. «أتساءلُ متى وجدتُ الوقت لكلِّ هذه المؤامرات والاغتيالات». كان حريًّا به أن يتذكَّر مع من يتعامَل، فلايسا آرن وابنها السَّقيم معتلُّ العقل لم يكونا معروفَيْن في البلاط المَلكي بحبِّهما للسُّخرية، لا سيَّما تلك الموجَّهة إليهما.

قالت لايسا ببرود: «صُن لسانك أيها العِفريت وأنت تُخاطِب ابني، وإلَّا أعدك بأن أُجبِرك على أن تصونه. تذكَّر أين أنت. نحن في "العُش"،

والذين تراهم حولك هؤلاء هُم فُرسان "الوادي"، رجال مُخلِصون أحبُّوا جون آرن من صميم قلوبهم، وكلُّ واحدٍ منهم مستعدٌّ للموت من أجلي».

- «ليدي آرن، يجب أن تعرفي أنه إذا حَلَّ بي أيُّ أذى، فسيتأكَّد أخي جايمي من أن يتمَّ هذا فعلًا». كان يعرف أنها حماقة كبيرة حتى وهو ينطق الكلمات المتغطرسة.

سألته لايسا: «هل تستطيع الطَّيران يا لورد لانستر؟ هل يملك الأقزام أجنحة؟ لا؟ إذن فمن الأحكم لك أن تبتلع تهديدك القادم قبل أن تُلقيه».

قال تيريون: «هذا لم يكن تهديدًا، بل وعدًا».

هَبَّ اللورد الصَّغير روبرت واقفًا، وسقطت دُميته من يده وهو يَصرُخ غاضبًا: «لا يُمكنك أن تمسَّنا بأذىً! لا أحد يستطيع النَّيل منا هنا! قولي له يا أمي، قولي له إنه لا يستطيع».

بدأ الصَّبي يرتجف، فضمَّته لايسا آرن إليها وطوَّقته بذراعيها الممتلئتين قائلةً بصوتٍ هادئ: «هذه القلعة منيعة تمامًا. العِفريت يُحاوِل إخافتنا يا صغيري الجميل. جميع آل لانستر كذَّابون، لكن لا أحد سيمسُّ صغيري».

المشكلة أنها كانت تقول الحقَّ ولا أحد يستطيع إنكار هذا. لقد اختبرَ بنفسه ما يتطلَّبه الصُّعود إلى هنا، وبإمكانه أن يتخيَّل بوضوح كيف سيكون الأمر بالنِّسبة لفارسٍ يرتدي دروعه ويُحاوِل أن يَشُقَّ طريقه إلى هنا قتالًا، بينما تنهال عليه السِّهام والأحجار من أعلى ويُواجِهه خصومه في كلِّ خطوةٍ من الطَّريق. وجدَ أن "الكابوس" كلمة هيِّنة لوصف المشهد، فلا غرو أن "العُش" لم تَسقُط قَطُّ.

ومع ذلك لم يقوَ تيريون على الصَّمت، وقال ببرود: «ليست حصينةً، بل صعبة الاختراق لا أكثر».

أشارَ روبرت الصَّغير إليه بإصبعٍ مرتجفٍ قائلًا: «أنت كاذب! أمي، أريدُ أن أراه يطير».

أمسكَ حارسان يرتديان معطفين من الأزرق السَّماوي ذراعي تيريون ورفعاه عن الأرض، والآلهة وحدها تعلم ماذا كان ليَحدُث بعدها لولا تدخل

كاتلين ستارك، التي صاحَت من مكانها أسفل العَرشين: «أختاه، أناشدكِ أن تتذكَّري أن هذا الرَّجل سجيني أنا، ولن أسمح بأن يقع له أيُّ ضرر».

رمقَت لايسا آرن أختها بنظرةٍ باردةٍ سريعة، ثم نهضَت واندفعَت نحو تيريون وذيل فُستانها يطير من ورائها. لوهلةٍ خشي أن تضربه، لكنها أمرَت الحارسين بإطلاق سراحه، فدفعَه الرَّجلان أرضًا وانثنَت ساقاه تحته وتهاوى تيريون؛ ولا بُدَّ أن منظره بدى طريفًا للغاية لهم وهو يُكافِح للوقوف على رُكبتيه، فقط ليَشعُر بساقة اليُمنى تتشنَّج فيَسقُط من جديد، ويتفجَّر الضَّحك في جميع أنحاء قاعة عائلة آرن العالية.

قالت لايسا: «ضيف أختي الصَّغير أضعف من أن يقف. سير ڤارديس، خُذه إلى زنزانته. سوف يجد الكثير من الرَّاحة في واحدةٍ من زنازين السَّماء».

جذبَه الحارسان بعُنفٍ وتدلَّى تيريون لانستر في الهواء بينهما وساقاه تَركُلان بضعفٍ وقد احتقنَ وجهه من فرط الخجل، وقال لهما وهما يحملانه: «سأتذكَّرُ هذا».

وها هو يتذكَّره وما من طائل.

في البدء واسى نفسه بأن سجنه لن يطول، فلايسا آرن ترغب في إذلاله وهذا كلُّ شيء، وقريبًا ستستدعيه من جديد، وإن لم يكن هي فلا بُدَّ أن كاتلين ستارك سترغب في استجوابه، وهذه المرَّة سيصون لسانه ويعمل حسابًا لما يقوله. إنهم لن يجترءوا على قتله بهذه البساطة، فهو ما زال من آل لانستر أبناء كاسترلي روك، وإراقة دمه ستعني الحرب لا محالة... أو هكذا قال لنفسه.

لكنه لم يَعُدْ متأكِّدًا لهذه الدَّرجة الآن.

لربما ينتوي آسِروه أن يَترُكوه يتعفَّن ها هنا فحسب، لكنه يخشى أنه لا يقوى على البقاء والتعفُّن هنا لفترةٍ طويلة. إن قواه تخور يومًا بَعد يوم، وهي مسألة وقتٍ فقط حتى تُصيبه ضربات وركلات مورد بأذىً حقيقي، هذا إن لم يَترُكه يموت جوعًا أولًا. بضع ليالٍ أخرى من البَرد والجوع وسيبدأ الأزرق في مناداته بدوره.

تساءلَ عمَّا يَحدُث وراء جدران زنزانته (إن كان يُمكن اعتبارها جدرانًا). لا بُدَّ أن اللورد تايوين قد أرسلَ خيَّالته بمجرَّد سماع الخبر، ولعلَّ چايمي يقود جيشًا عبر جبال القَمر الآن... ما لم يكن قد قرَّر التوجُّه شَمالًا ومهاجَمة وينترفل نفسها بدلًا من هذا. هل يشكُّ أحد خارج "الوادي" في المكان الذي أخذَته كاتلين ستارك إليه أصلًا؟ تساءلَ عمَّا ستفعله سرسي حين يَبلُغها الخبر. قد يأمر المَلك بتحريره، لكن هل سيسمع روبرت كلام مَلكته أم يَدِه؟ لم تكن لدى تيريون أيَّة أوهام بخصوص حُبِّ روبرت لأخته. لو كانت سرسي تملك أدنى قَدرٍ من الحصافة، لأصرَّت على أن يُصدِر المَلك حُكمه عليه بنفسه، وحتى ند ستارك نفسه لن يستطيع الاعتراض على ذلك وإلَّا لكانت إهانةً لشَرف المَلك، وسيرضى تيريون للغاية بفُرصته في المحاكمة. أيًّا كانت الاتِّهامات التي يُوَجِّهها آل ستارك إليه، فهُم لا يملكون دليلًا على أيِّ شيءٍ حسبما يرى. فليطرَحوا قضيَّتهم أمام العَرش الحديدي وسادة البلاد إذن وستكون في هذا نهايتهم، فقط لو كانت سرسي بالذَّكاء الكافي لترى هذا.

تنهَّد تيريون لانستر. إن أخته تتمتَّع بنوعٍ لا شَكَّ فيه من المكر، لكن غرورها يُعميها وسيجعلها لا ترى في هذا الموقف غير الإهانة وليس الفُرصة. وچايمي أسوأ منها باندفاعه وعناده وغضبه السَّريع، فأخوه لا يحلُّ عقدةً بيده بينما يستطيع قسمها إلى نِصفين بسيفه.

تساءلَ مَن مِن الاثنين أرسلَ القاتل الأجير لإخراس ابن ستارك، وإن كانت لهما يد فعلًا في موت چون آرن. إذا كان اليَدُ القديم قد قُتِلَ حقًّا، فقد تَمَّ هذا بحِذقٍ ودهاء، فالرِّجال في عُمره المتقدِّم يموتون بمرضٍ مفاجئٍ طوال الوقت، بينما كان إرسال أحمق ما بخنجرٍ مسروقٍ لاغتيال براندون ستارك حركةً في منتهى الغباء، وهذا غريب بالفعل إذا فكَّرت في الأمر قليلًا.

ارتجفَ تيريون وقد راودَه خاطر مثير للقلق. لعلَّ الأسد والذِّئب الرَّهيب ليسا الحيوانين الوحيدين في الغابة، وإذا كان هذا صحيحًا فهناك من يستغلُّه كأداةٍ لتحقيق أغراضه، وتيريون لانستر يمقت أن يستغلَّه أحد.

يجب أن يَخرُج من هنا، وقريبًا. إن فُرصته في التغلُّب على مورد

تكاد تكون معدومةً، ولا أحد هنا سيُعطيه حبلًا طوله ستمئة قدم ليتسلَّقه نزولًا، فلا سبيل لخلاصه إذن غير الكلام. لقد أوقعه فمه في هذه الزِّنزانة الحقيرة، لكنه يستطيع إخراجه منها كذلك. هكذا نهضَ تيريون باذلًا قصارى جهده لتجاهُل انحدار الأرضيَّة من تحته نحو الحافَّة، ودَقَّ على الباب بقبضته صائحًا: «مورد! أيها السجَّان! مورد! أريدك!». استمرَّ على هذه الحال لعشر دقائقَ كاملةٍ حتى سمع خطوات الأقدام، وتراجعَ إلى الوراء بلحظةٍ واحدةٍ قبل أن يُفتَح الباب بعُنف.

زمجرَ مورد وعيناه تشعَّان نارًا: «ضوضاء»، ومن يده اللَّحيمة تدلَّى سوط جِلدي سميك عريض.

لا تجعلهم يرون خوفك أبدًا، قال تيريون لنفسه مذكِّرًا، وللسجَّان قال: «هل تتمنَّى أن تكون ثريًّا؟».

وضربَه مورد. كانت ضربةً خفيفةً بظاهر اليد، لكن السَّوط أصابَ أعلى ذراع تيريون وجعله يتراجع متعثِّرًا ويضغط على أسنانه متألِّمًا، وقال مورد: «لا فم يا رجل قزم».

- «ذهب»، قال تيريون متظاهرًا بالابتسام. «كاسترلي روك ملأى بالذَّهب... آآآه!». هذه المرَّة كانت الضَّربة بباطن اليد وقد وضعَ مورد المزيد من قوَّة ذراعه فيها، لتهوي على ضلوع تيريون فيَسقُط على رُكبتيه ويُطلِق أنينًا متوجِّعًا، لكنه أجبرَ نفسه على أن يرفع عينيه إلى السجَّان ويقول لاهثًا: «ثريٌّ كلانستر، هذا هو ما يقولونه يا مورد عن...».

أصدرَ مورد ذلك الصَّوت الشَّبيه بقُباع الخنازير، وشَقَّ السَّوط الهواء مصفِّرًا قبل أن يهوي على وجه تيريون مباشرةً، وكان الألم شديدًا للغاية هذه المرَّة لدرجة أنه لم يتذكَّر أنه سقطَ أرضًا، لكنه وجدَ نفسه على أرضيَّة الزِّنزانة عندما فتحَ عينيه من جديد. كانت أُذناه ترنَّان وامتلأ فمه بالدِّماء، ومَدَّ يده ليُمسِك بأيِّ شيءٍ يتَّكئ عليه لينهض... ولم يجد شيئًا. سحبَ يده بسرعةٍ كأن هناك من لسعَها بالنَّار، وحاولَ بكلِّ قوَّته أن يَكُفَّ عن التنفُّس. كان قد سقطَ على الحافَّة مباشرةً، على بُعد خطواتٍ من الأزرق.

- «مزيد ستقول؟»، قال مورد فاردًا السَّوط بين قبضتيه، وشدَّه ليُصدِر فرقعةً جعلت تيريون يثب في مكانه، ما جعلَ السجَّان ينفجر ضاحكًا.

إنه لن يدفعني، قال تيريون لنفسه بقنوطٍ وهو يزحف بعيدًا عن الحافَّة. *كاتلين ستارك تُريدني حيًّا، ولن يجرؤ على قتلي*. ومسحَ الدَّم عن شفتيه بظَهر يده وعاودَ التَّظاهُر بالابتسام وقال: «ضربة قويَّة حقًّا يا مورد»، وضيَّق السجَّان عينيه مُحاوِلًا أن يفهم إن كان يسخر منه، بينما أردفَ تيريون: «يُمكنني الاستفادة برجلٍ قويٍّ مِثلك». شَقَّ السَّوط الهواء نحوه من جديد، لكن تيريون نجحَ في التملُّص منه هذه المرَّة، فلم يُصَب إلَّا بضربةٍ خفيفةٍ على الكتف لا أكثر، وكرَّر زاحفًا إلى الوراء على أربعِ كسرطانٍ بحري: «ذهب، ذهب أكثر مما ستراه هنا في حياتك كلها، ذهبٌ يكفي لأن تشتري أرضًا ونساءً وخيولًا. يُمكنك أن تغدو اللورد مورد»، وبصقَ بعض الدَّم والبلغم في السَّماء خارج الزِّنزانة.

قال مورد: «لا ذهب».

فكَّر تيريون: *إنه مُصْغٍ!* ثم إنه اعتدلَ قائلًا: «لقد أخذوا مني كيس النُّقود عندما أسَروني، لكن الذَّهب لا يزال ملكي. قد تأسر كاتلين ستارك الرَّجل، لكنها لن تنحدر أبدًا إلى سرقة ماله، فلن يكون هذا تصرُّفًا شريفًا. ساعِدني والذَّهب لك». تحرَّك سوط مورد ثانيةً، لكن الضَّربة كانت بطيئةً فاترةً تعوزها الحماسة، وقبضَ تيريون على الجِلد بيده وأمسكه بإحكام وقال: «ليست هناك مخاطَرة في الأمر. كلُّ ما عليك فِعله هو توصيل رسالة».

شَدَّ السجَّان السَّوط الجِلدي من قبضة تيريون مردِّدًا: «رسالة»، كأنها المرَّة الأولى التي يسمع فيها الكلمة وقد قطَّب جبينه عن آخِره.

- «كما سمعت يا سيِّدي. فقط بلِّغ رسالتي لسيِّدتك، قُل لها... (ماذا؟ ما الذي من شأنه أن يجعل لايسا آرن تلين؟)... قُل لها إنني أرغبُ في الاعتراف بجرائمي».

رفعَ مورد ذراعه وانتظرَ تيريون نزول الضَّربة التَّالية عليه، لكن السجَّان تردَّد وقد تصارعَ الشَّكُّ والطَّمع في عينيه. كان يريد الذَّهب لكنه يخشى

وجود حيلةٍ ما في الأمر، وهو يبدو كرجلٍ يتعرَّض للاحتيال كثيرًا على كلِّ حال، وغمغمَ: «يكذب، رجل قزم يكذِّب عليَّ».

قال تيريون: «سأقدِّم لك وعدي كتابةً».

بعض الأميِّين يحتقر الكلمة المكتوبة، بينما يُكِنُّ البعض الآخَر لها توقيرًا عظيمًا كأنها نوع من السِّحر، ولحُسن الحَظِّ كان مورد السجَّان من النَّوع الثَّاني، فخفضَ السَّوط قائلًا: «تكتب ذهب، ذهب كثير».

قال تيريون: «أوه، ذهب كثير جدًّا. كيس النُّقود مجرَّد عيِّنة يا صديقي. إن أخي يرتدي دِرعًا من الذَّهب الخالص». في الواقع كانت دِرع چايمي من الفولاذ المذهَّب، لكن جحشًا كهذا لن يعرف الفارق أبدًا.

داعبَ مورد السَّوط بأصابعه مفكِّرًا، لكنه أذعنَ في النِّهاية وذهبَ لإحضار الورق والحِبر، وعندما دوَّن تيريون تعهُّده على الورقة أخيرًا أخذَ السجَّان يَرمُقها بنظراتٍ مرتابة، بينما قال تيريون: «والآن اذهب وبلِّغ رسالتي لسيِّدتك».

كان يرتجف بَردًا في نومه عندما جاءوا إليه في ساعةٍ متأخِّرةٍ من اللَّيل. فتحَ مورد الباب لكن ظَلَّ صامتًا، أمَّا السير ڤارديس إيجن فقد لكزَه بطرف حذائه قائلًا: «استيقظ أيها العِفريت، سيِّدتي ترغب في رؤيتك».

فركَ تيريون عينيه وارتسمَت على وجهه تكشيرة شعرَ بها بالكاد وهو يقول: «مؤكَّد أنها ترغب في رؤيتي، لكن لماذا تحسب أني أرغبُ في رؤيتها؟».

عقدَ السير ڤارديس حاجبيه. كان تيريون يتذكَّره من السَّنوات التي أمضاها في كينجز لاندنج قائدًا لحَرس أهل بيت چون آرن، بوجهه المربَّع وشَعره الفضِّي وجسده القويِ وافتقاره التَّام لحِسِّ الدُّعابة. «رغباتك ليست من شأني. انهض أو سآمرهم بحملك».

نهضَ تيريون بغير راحةٍ وقال بلهجةٍ بسيطة: «اللَّيلة باردة، والقاعة العالية معرَّضة لتيَّارات الهواء، وأنا لا أرغبُ في الإصابة بالبَرد. مورد، أحضِر معطفي إذا سمحت».

حدَّق السجَّان فيه بعينين تنضحان غباءً، فكرَّر تيريون: «معطفي، المعطف المصنوع من جِلد قِط الظِّلّ الذي أخذته لتحتفظ به لي، أحضِره».

قال السير ڤارديس بضيق: «أحضِر المعطف اللَّعين».

لم يجرؤ مورد على التذمُّر، وإن رمقَ تيريون بنظرةٍ كلها وعيد ثم ذهبَ لإحضار المعطف، وعندما وضعه حول كتفي سجينه ابتسمَ تيريون قائلًا: «أشكرك، سأفكِّرُ فيك كلما ارتديته»، ثم ألقى ذيل المعطف الطَّويل على كتفه ليَشعُر بالدِّفء للمرَّة الأولى منذ أيام، وقال: «قُد الطَّريق يا سير ڤارديس».

كانت قاعة عائلة آرن العالية متَّقدةً بضوء خمسين مشعلًا مثبَّتة في كُوَّاتٍ في الجدران، وارتدَت الليدي لايسا الحرير الأسود الذي طُرِّزَ القَمر والصَّقر على صدره باللَّآلئ، وبما أنها لم تبدُ من النَّوع الذي يلتحق بحَرس اللَّيل، فقد خمَّن تيريون أنها قرَّرت أن ملابس الحِداد هي الأنسب للاعتراف، بينما انسدلَ شَعرها الكستنائي الطَّويل في ضفيرةٍ متقنةٍ على كتفها. كان العَرش الكبير خاليًا إلَّا جوارها، فلا شَكَّ أن سيِّد "العُش" الصَّغير كان يرتجف الآن في نومه، وهو ما شعرَ تيريون بالامتنان له على الأقل.

انحنى قَدر ما يستطيع واستغرقَ لحظةً ليتطلَّع إلى القاعة من حوله، فرأى أن الليدي آرن استدعَت فُرسانها وخدمها لسماع اعترافه، تمامًا كما كان يأمل. رأى وجه السير برايندن تَلي الصَّخري ووجه اللورد نستور رويس العريض، وإلى جوار نستور وقفَ رجل أصغر سِنًّا ذو شوارب سوداء ضخمة لا يُمكن أن يكون غير وريثه السير ألبار. علاوة على هؤلاء كان هناك ممثِّلون لمعظم عائلات "الوادي" الكبيرة، ولاحظَ تيريون السير لين كوربراي الرَّفيع كسيف، واللورد هنتر بقدميه المصابتين بالنِّقرس، والليدي الأرملة واينوود المحاطة بأولادها؛ بينما وضعَ آخَرون رموزًا لا يعرفها تراوحَت بين الرُّمح المكسور والأفعى الخضراء والبُرج المحترق

وكأس الزَّهرة المجنَّح. وبين سادة "الوادي" كان كثيرون من رِفقته على الطَّريق العالي، السير رودريك كاسل الذي ما زال تُعاني ملامحه الشُّحوبَ من جروحه التي لم تندمل بالكامل بَعد، وإلى جواره السير ويليس وورد وماريليون المغنِّي الذي يبدو أنه عثرَ على قيثارةٍ خشبيَّةٍ جديدة. ابتسمَ تيريون، فمهما حدثَ هنا اللَّيلة فهو لا يُريده أن يبقى سِرًّا، ولا أحد كالمغنِّين بإمكانه نشر القصَّة في كلِّ حدبٍ وصوب.

في مؤخِّرة القاعة استندَ برون بتراخٍ إلى أحد الأعمدة الرُّخاميَّة، وكانت عينا المُحارِب غير النِّظامي السَّوداوان مثبَّتتين على تيريون، بينما استندَت يده بخفَّةٍ إلى مقبض سيفه، ورمقَه تيريون بنظرةٍ طويلةٍ متسائلة.

كانت كاتلين ستارك أولى المتكلِّمين، وقالت: «بلغَنا أنك تُريد الاعتراف بجرائمك».

أجابَ تيريون: «هذا صحيح يا سيِّدتي».

ابتسمَت لايسا آرن قائلةً لأختها: «دائمًا ما تكسرهم زنازين السَّماء. الآلهة تراهم هناك، حيث لا توجد ظُلمة تخفيهم».

قالت الليدي كاتلين: «إنه لا يبدو مكسورًا لي».

لم تُعِرها لايسا اهتمامًا، وقالت لتيريون آمرةً: «قُل ما لديك».

والآن نُلقي النَّرد، فكَّر رامقًا برون بنظرةٍ أخرى سريعة. «من أين أبدأُ؟ إنني رجل صغير آثم، أعترفُ بهذا، وجرائمي وخطاياي لا تُحصى أيها السَّادة والسيِّدات. لقد ضاجعتُ العاهرات، ليس مرَّةً بل مئات المرَّات، وتمنَّيتُ موت السيِّد والدي، وأختي كذلك، مَلكتنا العزيزة». أطلقَ أحدهم ضحكةً من ورائه، بينما تابعَ هو: «لم أعامل خدمي بلُطفٍ دائمًا، كما أنني قامَرتُ ويُخجِلني الإقرار بهذا، وقلتُ أشياءَ قاسيةً مهينةً كثيرةً عن سادة وسيِّدات البلاط الكرام». أثارَ هذا المزيد من الضَّحك، لكنه لم يتوقَّف وواصلَ: «ثم إنني...».

- «صمتًا!». كان وجه لايسا آرن محتقنًا تمامًا وهي تقول: «ماذا تظنُّ نفسك فاعلًا أيها القزم؟».

مالَ تيريون برأسه إلى الجانب مجيبًا: «أعترفُ بجرائمي يا سيِّدتي».
تقدَّمت كاتلين ستارك قائلةً: «أنت متَّهم بإرسال قاتلٍ مأجور لقتل ابني في فِراشه، وبالتَّآمُر على اغتيال اللورد چون آرِن يَدِ المَلِك».
هَزَّ تيريون كتفيه كمن لا حيلة له وقال: «أخشى أني لا أستطيعُ الاعتراف بارتكاب هذين الجريمتين، فلستُ أعرفُ شيئًا عن قتلٍ أو اغتيال».
نهضَت لايسا آرن من على عَرشها المصنوع من خشب شجر الويروود قائلةً: «لن أسمح لك بالسُّخرية مني. ها قد نلت مزحتك الصَّغيرة أيها العِفريت، وأتمنى أن تكون قد استمتَعت بها. سير ڤارديس، أعده إلى الحبس، لكن جِد له زنزانةً أصغر هذه المرَّة، وذات أرضيَّةٍ أكثر انحدارًا».
- «أهكذا تُطَبَّق العدالة في "الوادي"؟»، صاحَ تيريون بصوتٍ مدوٍّ حتى أن السير ڤارديس تجمَّد في مكانه للحظة. «هل تنتهي حدود الشَّرف عند البوَّابة الدَّامية؟ تتَّهمونني بعددٍ من الجرائم وأنكرها، فتَزُجُّون بي في زنزانةٍ مفتوحةٍ لأتجمَّد وأتضوَّر جوعًا؟»، ورفعَ رأسه ليروا جميعهم الكدمات التي تركَها مورد على وجهه مواصلًا: «أين عدالة المَلك؟ أليست "العُش" جزءًا من المَمالك السَّبع؟ إنا متَّهم كما تقولون. ليكن إذن، إنني أطالبُ بمحاكمة! دعوني أتكلَّم، دعوا صحَّة كلامي من عدمها تتقرَّر على الملأ وعلى مرأىً من الآلهة والبَشر».
ملأت همهمة خافتة القاعة العالية، وعرفَ تيريون أنه نالَ منها. إنه من النُّبلاء، ابن أقوى لورد في البلاد كلها وأخو المَلكة نفسها، وليس من الممكن حرمانه من المحاكمة. تحرَّك الحَرس ذوو المعاطف الزَّرقاء السَّماويَّة نحو تيريون، لكن السير ڤارديس أشارَ لهم بالتوقُّف ورفعَ عينيه إلى الليدي لايسا.
على شفتيها ارتعشَت ابتسامة شرسة وهي تقول: «إذا حوكِمت ووُجِدتَ مدانًا بالجرائم محلِّ الاتِّهام، فبقانون المَلك نفسه ستدفع حياتك ثَمنًا. ليس لدينا جلَّادون في هذه القلعة أيها اللورد لانستر، لكن

ثمّة وسائل أخرى للإعدام. افتحوا باب القَمر».

انزاحَ الحضور ليكشفوا عن بابٍ ضيِّقٍ من خشب شجر الويرووود يقف بين عمودين رفيعين من الرُّخام، وقد حُفِرَ هلال في خشبه الأبيض، وتراجعَ الواقفون بالقُرب منه أكثر وقد تقدَّم حارسان، رفعَ أحدهما القضيب البرونزي الثَّقيل وجذبَ الآخَر الباب إلى الدَّاخل، وفي لحظاتٍ ارتفعَ معطفاهما الأزرقان يُرَفرِفان بعنفٍ من على أكتافهما من جرَّاء هبَّة الرِّيح المفاجِئة التي جاءَت عاويةً من الخارج، ووراء الباب لم يكن هناك غير سماء اللَّيل الخاوية التي رصَّعتها نجوم باردة لا تكترث بما يجري على الأرض.

- «تطلَّع إلى عدالة المَلك»، قالت لايسا آرن ولهب المشاعل يخفق كالأعلام على الجدران وقد انطفأ بعضها بالفعل.

قالت كاتلين ستارك والرِّياح السَّوداء تدور في دوَّاماتٍ في القاعة: «لايسا، لا أعتقدُ أن هذا تصرُّف حكيم».

تجاهلتها أختها قائلةً: «تريد محاكمةً يا لورد لانستر؟ ليكن، ستنال المحاكمة. سيُصغي ابني لكلِّ ما لديك لتقوله وستسمع حُكمه عليك، ثم ستغادر... من بابٍ أو آخَر».

بدَت مسرورةً للغاية بنفسها، الشَّيء الذي لم يُثِر عجب تيريون، فأنَّى بمحاكمةٍ أن تُهَدِّدها وابنها الضَّعيف السَّقيم هو القاضي؟ رمقَ تيريون باب القَمر وتردَّدت في عقله كلمات الصَّبي: *أمي، أريده أن يطير!* كم رجلًا أرسَله الأبله الصَّغير ذو الأنف المليء بالمخاط من هذا الباب بالفعل؟

قال تيريون بأدب: «أشكركِ يا سيِّدتي، لكنني لا أرى داعيًا لإزعاج اللورد روبرت. الآلهة تعرف حقيقة برائتي، وسأقبل بحُكمها هي وليس حُكم البَشر. إنني أطالبُ بمحاكمةٍ بالنِّزال».

تفجَّرت عاصفة قويَّة من الضَّحك لتُفعِم أرجاء القاعة العالية، وأطلقَ اللورد نستور رويس نخيرًا ساخرًا بينما قهقهَ السير ويليس والسير لين كوربراي، وألقى الآخَرون رؤوسهم إلى الوراء وأطلقوا ضحكاتٍ

كالنُّباح حتى دمعَت عيونهم. ضربَ ماريليون أوتار قيثارته الجديدة بنغمةٍ مرحةٍ بأصابع يده المكسورة، وحتى الرِّيح بدَت كأنها تُصَفِّر متهكِّمةً وهي تتدفَّق من باب القَمر. أما لايسا آرن فقد بدَت نظرة غير واثقةٍ في عينيها الزَّرقاوين الدَّامعتين إذ باغَتها قوله، وردَّت: «لك هذا الحقُّ بكلِّ تأكيد».

تقدَّم الفارس الشَّاب ذو الأفعى الخضراء المطرَّزة على سُترته، وجثا على رُكبةٍ واحدةٍ قائلًا: «سيِّدتي، ألتمسُ إنعامكِ عليَّ بأن أكون نصيركِ».

قال اللورد هنتر: «ينبغي أن يكون هذا الشَّرف لي. بحقِّ حُبِّي لزوجكِ الرَّاحل، دعيني أنتقمُ لموته».

وقال اللورد ألبار رويس بصوتٍ مدوٍّ: «لقد خدمَ أبي اللورد چون بإخلاصٍ كوكيل "الوادي" الأعلى، فاسمحي لي بأن أخدم ابنه في هذا».

تكلَّم اللورد لين كوربراي بدوره قائلًا: «الآلهة تَنصُر صاحِب القضيَّة العادلة، لكن كثيرًا ما يتبيَّن أن هذا هو صاحِب السَّيف الأقوى، وكلنا نعرف من يكون هذا»، وابتسمَ بتواضُع.

في آنٍ واحدٍ تكلَّم عشرة من الآخَرين مُحاوِلين أن تُسمَع أصواتهم، ووجدَ تيريون أن من المنفِّر حقًّا أن يرى كلَّ هؤلاء الأغراب الذين يرغبون في قتله بكلِّ هذه الحرارة. لعل خُطَّته لم تكن بهذا الذَّكاء رغم كلِّ شيء.

رفعَت الليدي لايسا يدها لتُسكِتهم، ثم قالت: «أشكركم أيها السَّادة، كما أعرفُ أن ابني كان ليَشكُركم لو كان بيننا الآن. ليس هناك رجال مُخلِصون شُجعان في المَمالك السَّبع كلها كفُرسان وادي آرن، وأتمنَّى لو أن باستطاعتي منحكم جميعًا هذا الشَّرف، لكنني أستطيعُ اختيار واحدٍ فقط منكم»، ثم أشارَت قائلةً: «سير ڤارديس، لطالما كنت ذراع السيِّد زوجي اليُمنى. ستكون أنت نصيرنا».

كان السير ڤارديس قد بقيَ صامتًا طوال هذه الجلبة، لكنه قال بتجهُّم وهو يركع على رُكبته: «سيِّدتي، أرجو أن تُكَلِّفي غيري بهذا العبء، فليست لديَّ رغبة فيه. الرَّجل ليس بمُحارِب. انظري إليه، إنه قزم في

نِصف حجمي وذو ساقين عاجزتين. سيكون من العار أن أقتل رجلًا كهذا وأقول إنها عدالة».

فكَّر تيريون: *أوه، رائع*، وقال: «أتَّفقُ معه».

رمقَته لايسا بحدَّةٍ قائلةً: «لقد طالبت بمحاكمةٍ بالنِّزال».

- «والآن أطالبُ بنصيرٍ مِثلكِ بالضَّبط، وأعرفُ أن أخي چايمي سيقبل بالدَّور بكلِّ سرور».

صاحَت لايسا: «قاتِل المَلك على بُعد مئة فرسخٍ من هنا».

- «أرسِلي طائرًا إليه. سيسرُّني أن أنتظر وصوله».

- «ستُواجِه السير ڤارديس غدًا».

قال تيريون ملتفتًا إلى ماريليون: «أيها المغنِّي، عندما تؤلِّف أغنيَّةً عن هذه، لا تنسَ أن تقول فيها إن الليدي آرن حرمَت القزم من حقِّ النَّصير، ووضعَته في مواجَهة أفضل فُرسانها عاجزًا مصابًا يتواثب على قدميه».

هتفَت لايسا آرن بصوتٍ بلغَ ذروة السُّخط: «لم أحرمك من شيء! اختر نصيرك أيها العِفريت إذا كنت تحسب أنك ستجد من هو مستعدٌّ للموت من أجلك».

- «إذا لم يكن هناك فارِق لديكِ، فأُفضِّلُ أن أجد واحدًا يَقتُل من أجلي»، وتطلَّع تيريون حوله في القاعة لكن أحدًا لم يتحرَّك، وللحظةٍ دامَت دهرًا تساءلَ إن كان قد ارتكبَ خطأً فادحًا.

ثم تحرَّك أحدهم في مؤخِّرة القاعة، وسمعَ برون يصيح: «أنا... سأكونُ أنا نصير القزم».

إدارد

نائمًا كان، يُراوِده حُلمٌ قديمٌ فيه ثلاثة فُرسان في معاطفٍ بيضاء، وبُرج متهاوٍ منذ دهر، وليانا في فِراشها الدَّامي.

في حُلمه كان أصدقاؤه القُدامى معه على متن جيادهم، تمامًا كما كانوا في حياتهم... مارتن كاسل الجليل أبو چوري، ثيو وول المُخلِص، إيثان جلوڤر الذي كان تابع براندون، السير مارك ريزول ذو اللِّسان اللَّبق والقلب الحاني، هولاند ريد رجل المستنقعات، اللورد داستن على فَحله الأحمر الكبير. من قبل كان ند يعرِف وجوههم عن ظَهر قلبٍ تمامًا كما يعرف وجهه في المرآة، لكن السِّنين تلتهم ذكريات البَشر التهامًا، حتى وإن أقسموا أنهم لن ينسوا أبدًا. في حُلمه كان أصدقاؤه ظلالًا، أطيافًا من دُخَّانٍ تمتطي خيولًا من ضباب.

كانوا سبعةً في مواجَهة ثلاثة، في الحُلم كما في الواقع، لكنهم لم يكونوا أيَّ ثلاثة. كانوا واقفين أمام البُرج المستدير، معاطفهم تخفق في الرِّيح ومن ورائهم تلوح جبال دورن الحمراء، ولم يكونوا ظلالًا كذلك، بل ظهرَت ملامحم له بمنتهى الوضوح. على شفتي السير آرثر داين سيف الصَّباح ارتسمَت ابتسامة حزينة، ومن وراء كتفه اليُمنى برزَ غِمد سيفه العظيم المسمَّى "فَجر"، بينما ركعَ السير أوزويل وِنت على رُكبةٍ واحدةٍ يشحذ سيفه على مِسَنٍّ وقد بسطَ وطواط عائلته الأسود جناحيه على خوذته المصقولة بالأبيض، وبينهما وقفَ السير

چيرولد هايتاور، الشَّيخ القوي الملقَّب بالثَّور الأبيض، حضرة قائد الحَرس المَلكي.

قال ند لهم: «بحثتُ عنكم يوم الثَّالوث».

أجابَه السير چيرولد: «لم نكن هناك».

وقال السير أوزويل: «ويلٌ للمُغتَصِب لو كنا هناك».

- «حين سقطَت كينجز لاندنج، ذبحَ زميلكم السير چايمي مَلككم بسيفٍ ذهبي، وتساءلتُ أين كنتم».

قال السير چيرولد: «بعيدًا، وإلَّا لكان إيرس ما زال يجلس على العَرش الحديدي، بينما يحترق أخونا الخائن في الجحائم السَّبع».

قال لهم ند: «لقد ذهبتُ إلى ستورمز إند لأرفع عنها الحصار، وخفضَ اللوردان تايرل وردواين راياتهم، وركعَ جميع فُرسانهم أمامنا ليتعهَّدوا بولائهم. كنتُ متأكِّدًا أنكم موجودون بينهم».

قال السير آرثر داين: «إننا لا ننحني بهذه البساطة».

- «السير ويلم داري لاذَ بالفرار إلى دراجونستون مع مَلكتكم والأمير ڤسيرس، وحسبتُ أنكم ربما أبحَرتم معهم».

قال السير أوزويل: «السير ويلم رجل صالح ومُخلِص».

علَّق السير چيرولد: «وإن لم يكن من فُرسان الحَرس المَلكي، هؤلاء لا يفرُّون».

- «وقتها أو الآن»، قال السير آرثر وهو يضع خوذته على رأسه.

وقال السير چيرولد: «لقد أخَذنا على أنفسنا عهدًا».

تقدَّمت أطياف ند لتقف إلى جواره وسيوفها الأثيريَّة في أيديها، سبعة في مواجَهة ثلاثة.

- «والآن يبدأ القتال»، قال سيف الصَّباح السير آرثر داين واستلَّ "فَجر" من غِمده وحمله بكلتا يديه، ليَسقُط عليه النُّور وتدبُّ فيه الألوان كأنه مصنوع من الزُّجاج الشفَّاف.

غمغمَ ند بحُزن: «كلا، الآن ينتهي». وإذ التحموا في حومةٍ من الفولاذ والظِّلال سمعَ ليانا تَصرُخ: «إدارد! إدارد!»، وتفجَّرت عاصفة من بتلات الورود في السَّماء المصطبغة بلون الدَّم، زرقاء داكنة كعيني الموت ذاته.

ونادَت ليانا من جديد: «لورد إدارد».

- «أعدكِ»، همسَ. «أعدكِ يا ليا...».

- «لورد إدارد».

كان مصدر الصَّوت رجل في الظَّلام، وفتحَ إدارد ستارك عينيه متأوِّهًا ليجد نور القَمر يسري من نوافذ بُرج اليَدِ الطَّويلة.

ردَّد الظِّل الواقف عند الفِراش: «لورد إدارد».

- «كم... كم مَرَّ من الوقت؟». كانت الأغطية متشابكةً وساقه مجبَّرةً بالجِبس، وشعرَ بألمٍ خفيفٍ يعتمل في جانبه.

- «ستَّة أيامٍ وسبع ليالٍ»، أجابَ وكيله ڤايون پوول ووضعَ كوبًا عند شفتي ند قائلًا: «اشرب يا سيِّدي».

- «ما هذا؟».

- «ماء. المايتسر پايسل قال إنك ظمآن لا بُدَّ».

شربَ ند وبلَّل شفتيه الجافَّتين المتشققَّتين، وكان للماء مذاق الشَّهد في فمه.

قال ڤايون پوول عندما فرغَ الكوب: «المَلك تركَ أوامر، ويرغب في التحدُّث معك يا سيِّدي».

أجابَ ند: «غدًا، عندما أكونُ أقوى». لم يكن يقوى على مواجَهة روبرت الآن، فقد تركَه الحُلم ضعيفًا كهِرَّةٍ وليدة.

قال پوول شاغلًا نفسه برفع شمعةٍ من جوار الفِراش: «سيِّدي، لقد أمرَنا بأن نُرسِلك إليه بمجرَّد أن تفتح عينيك».

أطلقَ ند سُبَّةً خافتةً. لم يُعرف روبرت قَطُّ بتحلِّيه بفضيلة الصَّبر. «قُل له إنني أشعرُ بضعفٍ شديد ولا أقوى على الذِّهاب إليه، وسيسرُّني أن

أستقبله هنا إذا كان يُريد الكلام معي. أتمنَّى أن توقظه من نومٍ عميق! واستدعِ... (كان على وشك أن يقول چوري عندما تذكَّر)... استدعِ قائد الحَرس».

بَعد دقائقٍ قليلةٍ من ذهاب الوكيل دلفَ آلين إلى غُرفة النَّوم قائلًا: «سيِّدي».

قال ند: «پوول يقول إن ستَّة أيامٍ كاملةٍ قد مرَّت. أريدُ أن أعرف مجريات الأمور الآن».

أجابَه آلين: «قاتِل المَلك فَرَّ من المدينة، ويقولون إنه عادَ إلى كاسترلي روك لينضمَّ إلى أبيه، وقصَّة قبض الليدي كاتلين على العِفريت على كلِّ لسانٍ الآن. لقد وضعتُ حُرَّاسًا إضافيِّين بَعد إذنك».

قال ند: «لا بأس. وماذا عن ابنتيَّ؟».

- «كانتا إلى جوارك كلَّ يومٍ يا سيِّدي. سانزا تُصَلِّي من أجلك، لكن آريا...»، وتردَّد لحظةً قبل أن يُتابِع: «آريا لم تقل كلمةً واحدةً منذ عادوا بك. إنها فتاة صغيرة قويَّة يا سيِّدي، ولم يسبق لي أن رأيت غضبًا كهذا في فتاة».

- «أريدُ أن تبقى ابنتاي في أمانٍ مهما حدثَ، فأخشى أن هذه هي البداية فقط».

قال آلين: «لن يمسَّهما ضُرٌّ يا سيِّدي، أقسمُ بحياتي على هذا».

- «چوري والآخَرون...».

- «سلَّمتهم إلى الأخوات الصَّامتات كي يُعِدنهم إلى وينترفل. چوري كان يرغب في أن يُدفَن إلى جوار جدِّه».

لا بديل عن رقوده إلى جوار جدِّه في الشَّمال حقًّا، فمارتن كاسل أبو چوري مدفون بعيدًا في الجَنوب وقد هلكَ مع الآخَرين. كان ند قد هدمَ البُرج بعدها واستخدمَ حجارته الدَّامية لبناء ثمانية قبورٍ على قمَّة الأخدود. قيل إن ريجار تارجارين كان يُسَمِّيه بُرج البهجة، لكنه كان بالنِّسبة لند

ذكرىً مفعمةً بالمرارة. كانوا سبعةً في مواجَهة ثلاثة، لكن اثنين منهم فقط بقيا على قيد الحياة، إدارد ستارك نفسه ورجل المستنقعات الصَّغير هولاند ريد. خطرَ له أنه ليس من المبشِّر أن يُراوِده ذلك الحُلم ثانيةً بَعد كلِّ تلك السِّنين.

كان ند يقول لآلين إنه أبلى بلاءً حسنًا عندما عادَ ڤايون پوول وانحنى قائلًا: «جلالته في الخارج يا سيِّدي، والمَلكة معه».

دفعَ ند نفسه إلى أعلى ليجلس معتدلًا بعض الشَّيء وساقه ترتعش ألمًا. لم يتوقَّع أن تأتي سرسي، ولم يرَ في هذا خيرًا. «دعهما يَدخُلان وانصرف. لا ينبغي أن يَخرُج ما نقوله عن هذه الجدران».

كان روبرت قد استغرقَ وقته في ارتداء ثيابه، وقد ارتدى صُدرةً من المخمل الأسود طُرِّزَ على صدرها وَعل باراثيون المتوَّج بخيوطٍ من ذهب، ووشاحًا ذهبيًّا فوق معطفٍ منقوش بالمربَّعات السَّوداء والذَّهبيَّة. في يده كان إبريق من النَّبيذ وقد تورَّد وجهه من الإفراط في الشَّراب بالفعل، ودلفَت سرسي لانستر وراءه وعلى شَعرها تاج مرصَّع بالجواهر.

قال ند: «جلالة المَلك، اعذُرني لكني لا أستطيعُ النُّهوض».

قال المَلك بلهجته الفظَّة: «لا يهم. أتريد بعض النَّبيذ؟ إنه من "الكرمة"، قطفة ممتازة ومعتَّق».

أجابَ ند: «كوب صغير، فما زال رأسي ثقيلًا من حليب الخشخاش».

قالت المَلكة: «على رجلٍ في مكانك أن يَعُدَّ نفسه محظوظًا لأن رأسه لا يزال على كتفيه».

قال روبرت بحدَّة: «صمتًا يا امرأة»، ثم ناولَ الكوب لند قائلًا: «أما زالت ساقك تُؤلمك؟».

غمغمَ ند: «بعض الشَّيء». كان رأسه يدور، لكنه لن يسمح بإبداء ضَعفه أمام المَلكة.

قال روبرت مقطِّبًا جبينه: «پايسل يُقسِم أنها ستُشفى تمامًا. أعتقدُ أنك تعلم ما فعلته كاتلين، أليس كذلك؟».

أخذَ ند رشفةً من النَّبيذ وأجابَ: «بلى، لكن لا ملامة على زوجتي يا جلالة المَلك، فهي لم تفعل شيئًا دون أوامر مني».

دمدمَ روبرت: «لستُ راضيًا عن هذا يا ند».

وقالت سرسي: «بأيِّ حَقٍّ تجرؤ على المساس بدمي؟ من تحسب نفسك؟».

- «يَد المَلك»، أجابها ند بتهذيبٍ بارد. «مُكَلَّف من السيِّد زوجكِ بالحفاظ على سلام المَلك وتطبيق عدالته».

ردَّت سرسي: «كنت اليَد، أمَّا الآن فأنت...».

هدرَ المَلك مُقاطِعًا إياها: «صمتًا! لقد ألقيتِ السُّؤال وأجابكِ عليه». تراجعَت سرسي صامتةً بغضبٍ بارد، بينما التفتَ زوجها إلى ند قائلًا: «تقول إنك تُحافِظ على سلام المَلك. أهكذا تُحافِظ على سلامي يا ند؟ هناك سبعة رجال موتى».

صحَّحت المَلكة: «ثمانية. تريجار ماتَ هذا الصَّباح من جرَّاء الضَّربة التي نالها من اللورد ستارك».

قال المَلك: «اختطاف على طريق الملوك ومذبحة في شوارعي. لن أسمح بهذا يا ند».

- «كاتلين لديها سبب وجيه لأخذ العِفريت و...».

- «قلتُ إني لن أسمح بهذا! فلتذهب أسبابها إلى الجحيم! ستأمرها بإطلاق سراح القزم في الحال، وستتصالح مع چايمي».

- «ثلاثة من رجالي ذُبِحوا أمام عينيَّ لأن چايمي لانستر رغبَ في توبيخي! هل تُريدني أن أنسى هذا؟».

قالت سرسي للمَلك: «لم يكن أخي البادئ. اللورد ستارك كان ثملًا

في طريق العودة من ماخور عندما هاجمَ رجاله چايمي وحَرسه، تمامًا كما هاجمَت زوجته تيريون على طريق الملوك».

قال ند: «أنت تعرفني أفضل من هذا يا روبرت. سَل اللورد بايلش إذا كنت ترتاب في كلامي، فقد كان حاضرًا».

أجابَ روبرت: «لقد تكلَّمتُ مع الإصبع الصَّغير، ويدَّعي أنه ذهبَ لإحضار المعاطف الذَّهبيَّة قبل بدء القتال، لكنه أكَّد أنك كنت عائدًا من بيت دعارةٍ ما».

- «بيت دعارةٍ ما؟ تبًّا لك يا روبرت، افتح عينيك! لقد ذهبتُ إلى هناك لألقي نظرةً على ابنتك! سمَّتها أمها بارا. إنها تُشبِه أول فتاةٍ أنجبتها، حين كنا صبيَّين معًا في "الوادي"». كان يُراقِب المَلكة وهو يتكلَّم، لكن وجهها اكتسى بقناعٍ جامدٍ لا يُفصِح عن شيء.

احتقنَ وجه روبرت ودمدمَ: «بارا؟ أمن المفترَض أن يسرَّني هذا؟ تبًّا لتلك الفتاة، كنتُ أحسبها أعقل من هذا!».

قال ند بحنق: «إنها في الخامسة عشر من العُمر على الأكثر، وعاهرة، وأنت حسبت أنها تملك عقلًا؟». كانت ساقه قد بدأت تُؤلمه بشدَّة وباتَ من الصَّعب أن يُحافِظ على أعصابه. «الفتاة الحمقاء واقعة في غرامك يا روبرت».

رمقَ المَلك سرسي بنظرةٍ جانبيَّةٍ قائلًا: «هذا الكلام لا يليق بمسامع المَلكة».

قال ند: «لن يروق لجلالتها أيُّ شيءٍ أقوله. لقد أخبَروني أن قاتِل المَلك قد هربَ من المدينة، فاسمح لي أن أعيده ليَمثُل أمام العدالة».

دوَّر المَلك النَّبيذ في كوبه مفكِّرًا، ثم رشفَ منه وقال: «لا، لا أريدُ المزيد من هذا. چايمي قتلَ ثلاثةً من رجالك وأنت قتلت خمسةً من رجاله، وسينتهي كلُّ هذا الآن».

صاحَ ند مغضبًا: «أهذه فكرتك عن العدالة؟ يُسعِدنني أنني لم أعد يَدَكَ إذن».

نظرَت المَلكة إلى زوجها قائلةً: «لو تجرَّأ أحدهم على مُخاطَبة تارجاريَن كما خاطبك، لـ...».

قاطعها روبرت: «أتظنيني المَلك المجنون؟».

- «أراك مَلكًا. چايمي وتيريون أخواك بحُكم كلِّ شرائعِ الزَّواج والرَّوابط التي بيننا، وآل ستارك طرَدوا أحدهما واختطفوا الثّاني. هذا الرَّجل يُهين شَرفك مع كلِّ نَفَسٍ يَدخُل صدره، لكن ها أنت ذا تقف خانعًا، تسأله إن كانت ساقه تُؤلمه وإن كان يرغب في بعض النَّبيذ».

اربدَّ وجه روبرت غضبًا وقال: «كم مرَّةً ينبغي أن أقول لكِ أن تصوني لسانكِ يا امرأة؟».

كان وجه سرسي مثالًا للاحتقار وهي تقول: «يا لها من مهزلةٍ تلك التي أوقعَتنا الآلهة فيها! المفترَض أن ترتدي أنت التنُّورة وأنا الدِّرع!».

تفجَّرت ثورة المَلك وهوى بضربةٍ عنيفةٍ بظاهر يده على جانب وجهها، فتعثَّرت في المائدة وسقطت، ومع ذلك لم تَصرُخ سرسي لانستر. تحسَّست أصابعها الرَّفيعة وجنتها حيث كانت البشرة الملساء الشَّاحبة قد بدأت تحمرُّ بالفعل توطئةً لأن تُغَطِّي الكدمة نِصف وجهها بالكامل بحلول الغد، وقالت: «سأرتديها كشارة شَرف».

قال روبرت متوعِّدًا: «ارتديها بصمتٍ إذن وإلَّا شرَّفتكِ ثانيةً»، ثم نادى طالبًا حارسًا فدخلَ السير مرين ترانت طويل القامة ذو الوجه المتجهِّم وقد ارتدى معطف الحَرس المَلكي الأبيض، وقال له المَلك: «المَلكة مُتعَبة. اصحبها إلى غُرفة نومها»، فمَدَّ الفارس يده إلى سرسي وساعدَها على النُّهوض ثم قادَها إلى خارج الغُرفة دون كلمةٍ واحدة.

أعادَ روبرت ملء كوبه من إبريق النَّبيذ وقال: «أترى ما تفعله بي يا ند؟»، ثم جلسَ محيطًا الكوب بكلتا يديه مُردِفًا: «زوجتي المُحِبَّة، أمُّ أولادي». كانت غضبته قد خمدَت، وفي عينيه رأى ند شيئًا حزينًا خائفًا.

«لم يكن يَجدُر بي أن أصفعها. هذا لم يكن... لم يكن يليق بمَلك»، ورمقَ يديه كأنه لا يدري أين هما بالضَّبط وتابعَ: «لطالما كنتُ قويًّا، لا أحد كان يستطيع الوقوف أمامي، لا أحد، فكيف تُقاتِل أحدًا إذا كنت لا تستطيع أن تضربه؟»، وهَزَّ المَلك رأسه بحيرةٍ مستطردًا: «ريجار... ريجار عليه اللَّعنة كان الرَّابح. لقد قتلته يا ند، غرستُ حربةً عبر تلك الدِّرع السَّوداء في قلبه الأسود وسقطَ صريعًا عند قدميَّ، لكنه بشكلٍ ما هو الرَّابح. هو لديه ليانا الآن، وأنا لديَّ هذه»، وأفرغَ ما تبقَّى في كوبه دفعةً واحدةً.

قال ند ستارك: «جلالة المَلك، يجب أن نتكلَّم».

ضغطَ روبرت صدغيه بأصابعه قائلًا: «سئمتُ الكلام حتى الموت. غدًا سأذهبُ للصَّيد في غابة الملوك. أيًّا كان ما لديك لتقوله يُمكنه الانتظار حتى أعود».

- «بإذن الآلهة لن أكون هنا عندما تعود. لقد أمَرتني بالعودة إلى وينترفل، أتَذكُر؟».

نهضَ روبرت مُمسِكًا بأحد أعمدةَ السَّرير وقال: «نادرًا ما تشاء الآلهة شيئًا يا ند. هاك، هذه لك»، وأخرجَ مشبك اليَد الفضِّي الثَّقيل من جيبٍ في طيَّات معطفه وألقاه إليه قائلًا: «أنت يَدي، راقَ لك هذا أم لا عليك اللَّعنة. إنني أمنعك من المغادَرة».

التقطَ ند المشبك الفضِّي وقد بدا له أن لا خيار لديه، وآلمته ساقه بشدَّةٍ وشعرَ بأنه عاجز كطفلٍ رضيع، لكنه قال: «ابنة تارجاريَن...».

أطلقَ المَلك آهةً ساخطةً وقال: «بحقِّ الجحائم السَّبع، لا تبدأ في الكلام عنها من جديد. انتهى الأمر ولن أسمع المزيد».

- «لماذا تُريدني أن أكون يدك بينما تَرفُض الإصغاء لنصيحتي؟».

قال روبرت ضاحكًا: «لماذا؟ ولماذا لا؟ على أحدٍ أن يَحكُم تلك المَملكة الملعونة. ضَع الشَّارة يا ند، إنها تُلائِمك، وإذا ألقيتها في وجهي ثانيةً، أقسمُ لك أنني سأعطيها لچايمي لانستر».

كاتلين

اصطبغَت سماء الشَّرق بالورديِّ والذَّهبي والشَّمس تَبزُغ فوق وادي آرن، وشاهدَت كاتلين ستارك النُّور ينتشر وقد أراحَت يديها على حاجز النَّافذة المزيَّن بالنُّقوش المنمَّقة، وأدناها بدأ العالم يستحيل من الأسود إلى النِّيلي إلى الأخضر مع زَحْفِ الفَجر على الحقول والغابات، بينما تصاعدَ ضباب أبيضَ شاحب من دموع أليسا، حيث تتدفَّق المياه الشَّبحيَّة من على منكب الجبل وتبدأ رحلتها الطَّويلة على وجه رُمح العملاق، وشعرَت كاتلين بلمسةٍ خفيفةٍ من الرَّذاذ على وجهها. شهدَت أليسا آرن مصرع زوجها وإخوتها وجميع أبنائها، وإن لم تذرف دمعةً واحدةً في حياتها، وعليه قضَت الآلهة ألَّا تعرف طعمًا للرَّاحة حتى ترتوي بدموعها أرضُ "الوادي" السَّوداء، حيث استقرَّ الرِّجال الذين أحبَّتهم في مرقدهم الأخير. كانت أليسا ميتةً منذ ستَّة آلاف عام كاملة، ومع ذلك لم تَبلُغ قطرة وحيدة من الوابل المنهمر بلا انقطاعٍ أرضَ الوادي البعيدة في الأسفل قَطُّ. لبرهةٍ تساءلت كاتلين عن حجم الشلَّال الذي ستصنعه دموعها عندما تموت، ثم التفتَت قائلةً: «أخبِرني بالبقيَّة».

أجابَ السير رودريك كاسل الواقف وراءها في الغُرفة: «قاتِل المَلك يحشد جيشًا في كاسترلي روك، وأخوكِ بعثَ رسالةً يقول فيها إنه أرسلَ خيَّالةً إلى "الصَّخرة" مُطالبًا أن يُعلِن اللورد تايوين عن نيَّاته، وإن لم يتلقَّ منه ردًّا. كذلك أمرَ إدميور اللوردين ڤانس وپايپر بحراسة الممرِّ الواقع

قبل قلعة النَّاب الذَّهبي ويتعهَّد بعدم التخلِّي عن شبرٍ واحدٍ من أرض تَلي قبل أن يرويها بدماء لانستر أولًا».

أدارَت كاتلين ظَهرها للشُّروق، فجماله لم يُفلِح في تحسين مزاجها المتعكِّر كثيرًا، وبدا لها من غير العدل أن يبدأ اليوم بفَجرٍ صافٍ كهذا وينتهي النِّهاية الكريهة التي تتوقَّعها. قالت: «إدميور أرسلَ خيَّالته وتقدَّم بتعهُّداته، لكن إدميور ليس سيِّد ريفررَن. ماذا عن أبي؟».

- «لم يرد ذِكر للورد هوستر في الرِّسالة يا سيِّدتي»، قال السير رودريك وهو يجذب شواربه التي نبتَت من جديد ببياض الثَّلج وكثاثة شجيرةٍ خشنةٍ أثناء تعافيه من جروحه، وها هو قد عادَ يبدو أقرب إلى نفسه مرَّةً أخرى.

قالت بقلق: «لم يكن أبي ليُسَلِّم الدِّفاع عن ريفررَن إلى إدميور ما لم يكن مريضًا للغاية. كان ينبغي أن توقظوني بمجرَّد وصول الغُداف».

- «السيِّدة أختكِ قالت إن من الأفضل أن تَترُككِ تنامين، كما أخبرَني المِايستر كولمون».

كرَّرت بإصرار: «كان ينبغي أن توقظوني».

- «المِايستر يقول لي إن أختكِ تنوي الكلام معكِ بعد النِّزال».

قالت عابسةً: «أما زالت تنوي المضيَّ في تلك التمثيليَّة الهزليَّة؟ لقد تلاعبَ القزم بها كالمزامير، وهي مُصَمِّمَةٌ على عدم الإصغاء للَّحن النَّشاز. كيفما ينتهي هذا اليوم، كان يجب أن نُغادِر منذ فترةٍ يا سير رودريك. إن مكاني في وينترفل مع أولادي. إذا كنت قويًّا كفايةً لاحتمال السَّفر، سأطلبُ من لايسا أن تُرسِل معنا فِرقة حراسةٍ حتى جولتاون، ويُمكننا أن تستقلَّ سفينةً من هناك».

- «سفينةً أخرى؟». بدا السير رودريك مصابًا بالغثيان بعض الشَّيء، لكنه سيطرَ على نفسه ولم يرتجف. «كما تأمرين يا سيِّدتي».

انتظرَ الفارس المُسِنُّ خارج بابها بينما استدعَت كاتلين الخادمات

اللاتي خصَّصتهنَّ أختها لها، وفكَّرت وهنَّ يضعنَ ثيابها عليها أنها إذا تكلَّمت مع لايسا قبل النِّزال فمن الجائز أن تنجح في تغيير رأيها، فسياسات لايسا تتبدَّل مع مزاجها، ومزاجها يتبدَّل كلَّ ساعة. الفتاة الخجول التي عرفَتها في ريڤرَن كبرَت وغدَت امرأةً يتناوَب عليها الغرور والقسوة والخوف والشَّاعريَّة والتهوُّر والجُبن والعناد والغطرسة، وفوق كلِّ شيءٍ آخَر تقلُّب المزاج.

عندما جاءَ ذلك السجَّان الأبله القبيح إليهما زاحفًا ليقول إن تيريون لانستر يرغب في الاعتراف، ناشدَت كاتلين أختها أن يأتوا بالقزم إليهما على انفراد، لكن لا، كان لا بُدَّ أن تجعل منه مسرحيَّةً أمام نِصف "الوادي"؛ والآن هذا...

- «لانستر سجيني أنا»، قالت للسير رودريك وهما ينزلان درجات البُرج ويَشُقَّان طريقهما عبر قاعات "العُش" البيضاء الباردة، وقد ارتدَت كاتلين ثيابًا بسيطةً من الصُّوف الرَّمادي وحزامًا مفضَّضًا. «من الضروري تذكير أختي بهذا».

وجدا عمَّها يندفع ساخطًا من باب مسكن لايسا، ولمَّا رآها قال لها محتدًّا: «هل تنوين الاشتراك في مهرجان الحماقة هذا؟ كنتُ لأقول لكِ أن تصفعي أختكِ قليلًا كي يرتدَّ إليها عقلها لو حسبتُ أن هناك طائلًا من هذا، لكنكِ ستؤلمين يدكِ لا أكثر».

قالت كاتلين: «لقد جاءَ طائر من ريڤرَن، رسالة من إدميور».

قال: «أعرفُ يا بُنيَّتي». كانت السَّمكة السَّوداء التي تعمل بمثابة إبزيم لمعطفه هي التَّنازُل الوحيد الذي يُقَدِّمه برايندن تَلي على سبيل الزِّينة. «عرفتُ محتواها من المِايستر كولمون، وعندما طلبتُ الإذن من أختكِ بأن آخذ ألف رجلٍ مخضرم وأنطلق إلى ريڤرَن بأقصى سرعة، أتدرين ماذا قالت؟ "وادي آرن لا يستطيع الاستغناء عن ألف مُحارِبٍ يا عمَّاه، ولا حتى واحد. أنت فارس البوَّابة ومكانك هنا". هكذا أجابَتني!».

تردَّدت ضحكة طفوليَّة عالية من الباب المفتوح خلفه، فألقى عمُّها نظرةً مكفهرَّةً من فوق كتفه ثم تابعَ: «قلتُ لها أن تجد لنفسها فارسًا آخَر للبوَّابة. سمكة سوداء أم لا، أنا ما زلتُ من عائلة تَلي، وسأتوجَّهُ إلى ريڤررَن هذا المساء».

لم تتظاهَر كاتلين بالدَّهشة، وقالت: «وحدك؟ أنت تعرف مِثلي تمامًا أن فُرصة قطعك للطَّريق العالي بمفردك معدومة. السير رودريك وأنا سنعود إلى وينترفل. تعالَ معنا يا عمَّاه وسأعطيك الألف رجلٍ الذين تحتاجهم. ريڤررَن لن تُحارِب وحدها».

فكَّر برايندن للحظةٍ ثم أومأ برأسه موافقًا بفتور، وقال: «كما تقولين. إنه الطَّريق الأطول إلى الدِّيار، لكني سأعودُ على كلِّ حال. سأكونُ في انتظاركِ في الأسفل»، وغادرَ ماشيًا بخطواتٍ واسعةٍ ومعطفه يُرَفرِف وراءه. تبادلت كاتلين نظرةً مع السير رودريك، ثم دخلا من الباب حيث صوت الضَّحكات الطُّفوليَّة العالية.

كان مسكن لايسا ينفتح على حديقةٍ صغيرة، دائرةٍ من الثَّرى والعُشب زُرِعَت فيها الأزهار الزَّرقاء وأحاطت بها الأبراج البيضاء الطَّويلة من كلِّ جانب. أقامها البنَّاءون في البداية كأيكة آلهة، لكن "العُش" كانت تستقرُّ على صخور الجبل القاسية، ومهما كان كَمُّ التُّربة الذي يجيئون به من الوادي في الأسفل، فإنهم لم يستطيعوا قَطُّ أن يجعلوا شجرة ويروود واحدةً تغرس جذورها هناك، وهكذا زرعَ سادة "العُش" أعشابًا بدلًا من هذا، ونثَروا تماثيل ومنحوتاتٍ بين الشُّجيرات المُزهِرة الواطئة. في هذا المكان سوف يلتقي النَّصيران كي يضعا حياتيهما -وحياة تيريون لانستر بالتَّالي- بين أيدي الآلهة.

كانت لايسا، التي خرجَت منذ قليلٍ من حمَّام منعشٍ وارتدَت فُستانًا من المخملِ الأصفر الباهت وطوَّقت عُنقها الأبيَض كالحليب بالياقوت الأزرق واللُّؤلؤ القَمري، جالسةً في الشُّرفة المطلَّة على مسرح النِّزال وقد

أحاطَ بها فُرسانها وخدمها وكبار اللوردات وصغارهم. كان معظمهم لا يزال يأمل في الزَّواج منها ومُضاجَعتها وحُكم وادي آرن إلى جوارها، ومما رأته كاتلين خلال إقامتها في "العُش" كان رأيها أنه أمل كاذب. كانوا قد وضعوا منصَّةً خشبيَّةً لترفع مقعد روبرت الصَّغير، وجلسَ سيِّد "العُش" يُقَهقِه ويُصَفِّق بينما جعل محرِّك دُمىً أحدب الظَّهر، يرتدي ثياب مهرِّج باللَّونين الأبيض والأزرق، فارسين خشبيَّين يُوَجِّهان الضَّربات والطَّعنات أحدهما إلى الآخَر. علاوةً على هذا، وُضِعَت أباريق من القشدة الثَّخينة وسلال من التُّوت الأسود للحاضرين، الذين احتسوا النَّبيذ الحُلو المعطَّر بالبرتقال من كؤوسٍ فضِّيَّة مزخرَفة. مهرجان للحماقة حقًّا كما قال السير برايندن.

تردَّدت ضحكات لايسا المرحة في الشُّرفة وقد ألقى عليها اللورد هنتر دعابةً ما، والتقطَت حبَّةً من التُّوت من سِنِّ خنجر السير لين كوربراي. كان هذان أكثر خاطِبين تُفَضِّلهما لايسا عن غيرهما... اليوم على الأقل. كانت كاتلين لتجد صعوبةً بالغةً في تحديد أقلِّهما ملائمةً لأختها، فاللورد إيون هنتر كان أكبر سِنًّا من چون آرن نفسه وقد جعله النَّقرس شبه كسيح، بالإضافة إلى كونه ملعونًا بثلاثة أبناءٍ مُشاكِسين كلٌّ منهم أكثر جشعًا من الآخَر. السير لين كوربراي كان صنفًا مختلفًا من السَّخافة، فمع أنه رشيق ووسيم ووريث لعائلةٍ قديمةٍ طالها الفقر، إلَّا أنه مغرور متهوِّر سريع الغضب كذلك... بالإضافة إلى الهمسات المتبادَلة عن سُمعته السيِّئة وعدم اكتراثه بمفاتن النِّساء أصلًا.

رحَّبت لايسا بكاتلين لمَّا رأتها بعناقٍ أخويٍّ وطبعَت قُبلةً رطبةً على وجنتها، وقالت: «أليس هذا صباحًا جميلًا؟ الآلهة تبتسم لنا. جرِّبي كأسًا من النَّبيذ يا أختي العزيزة. لقد أرسَله اللورد هنتر لنا بكلِّ كرمٍ من قبوه».

- «شكرًا، لكن لا. يجب أن نتكلَّم يا لايسا».

- «بَعد النِّزال»، قالت أختها وهي تلتفت بعيدًا عنها بالفعل.

- «الآن!»، ردَّت كاتلين بنبرةٍ أعلى مما أرادَت، والتفتَ بعضهم يَنظُر إليها. «لايسا، لا يُمكنك أن تمضي قُدمًا في هذه الحماقة. ليست هناك قيمة للعِفريت إلَّا وهو حيٌّ، أما ميتٌ فهو مجرَّد طعامٍ للغِربان، وإذا فازَ نصيره هنا...».

- «فُرصة حدوث ذلك ضئيلة للغاية يا سيِّدتي»، قال اللورد هنتر مُطَمْئِنًا وهو يُرَبِّت على كتفها بيده المعروقة. «السير ڤارديس فارسٌ قويٌّ محنَّك، ولن يستغرق المُرتَزِق بين يديه الكثير».

قالت كاتلين ببرود: «فعلًا يا سيِّدي.؟ إنني أرتابُ». لقد رأت برون يُقاتِل على الطَّريق العالي، وليست محض مصادفةٍ أنه نجا من الرِّحلة المحفوفة بالمَخاطر بينما سقطَ الآخَرون صرعى. إنه يتحرَّك برشاقة فهد، وذلك السَّيف القبيح الذي يحمله بمثابة جزءٍ من ذراعه نفسها.

كان خُطَّاب لايسا يحتشدون حولهما كالنَّحل حول زهرة، وقال السير مورتون واينوود: «النِّساء لا يفهمنَ تلك الأشياء. السير ڤارديس فارس يا سيِّدتي العزيزة، أمَّا الآخَر فجميع من على شاكلته جبناء. قد يكونون مفيدين في المعركة في وجود آلافٍ من رفاقهم حولهم، لكن دعيهم يُقاتِلون وحدهم وستنزُّ الرُّجولة منهم».

أجابَت كاتلين بكياسةٍ أرغمَت نفسها عليها حتى آلمها فمها: «لنفترض أن ما تقوله صحيح، ما الذي سنجنيه من موت القزم؟ هل تتخيَّل أن چايمي سيُبالي مقدار خردلةٍ بأننا أعطينا أخاه محاكمةً قبل أن نُلقيه من فوق الجبل؟».

قال السير لين كوربراي: «لنضرب عُنقه، وسيكون هذا تحذيرًا لقاتِل المَلك عندما يستلم رأس العِفريت».

هزَّت لايسا رأسها بصبرٍ نافدٍ فاهتزَّ معه شَعرها الكستنائي الذي يصل إلى خصرها، وقالت كأنها تحسم المسألة: «اللورد روبرت يُريد أن يراه يطير، وعلى العِفريت أن يلوم نفسه فقط، فهو الذي طلبَ محاكمةً بالنِّزال».

وقال اللورد هنتر بلهجةٍ ثقيلة: «الليدي لايسا لم تجد وسيلةً شريفةً لتَرفُض طلبه، حتى لو كانت تريد هذا».

تجاهلتهم كاتلين جميعًا وركَّزت قواها كلها على أختها قائلةً: «دعيني أذكِّركِ أن تيريون لانستر سجيني أنا».

بعصبيَّةٍ قالت لايسا: «ودعيني أذكِّركِ أن القزم قتلَ زوجي! سمَّم يَدَ المَلك وتركَ ابني بلا أب، والآن سأراه يدفع الثَّمن!»، ودارَت على عقبيها ليدور ذيل فُستانها الطَّويل معها وقطعَت الشُّرفة مبتعدةً، فاستأذنَ السير لين والسير مورتون وبقيَّة الخُطَّاب بالانصراف بهزَّاتٍ باردةٍ من رؤوسهم وتحرَّكوا في أعقابها.

سألها السير رودريك بهدوء لمَّا صارا وحدهما ثانيةً: «هل تعتقدين أنه فعلها حقًّا؟ أنه قتلَ چون؟ العِفريت ينفي التُّهمة بمنتهى القوَّة».

أجابَت كاتلين: «ما أعتقده أن آل لانستر اغتالوا اللورد آرن، لكن سواء كان القاتل هو تيريون أو چايمي أو المَلكة أو ثلاثتهم معًا، فلا أدري حقًّا». لقد ذكرَت لايسا سرسي بالاسم في الرِّسالة التي أرسلتها إلى وينترفل، لكنها تبدو واثقةً إلى أقصى حَدٍّ الآن من أن تيريون هو القاتل... ربما لأن القزم هنا بينما المَلكة آمنة وراء أسوار القلعة الحمراء على بُعد مئات الفراسخ جَنوبًا. كادت كاتلين تتمنَّى لو أنها أحرقَت رسالة أختها قبل أن تقرأ سطورها.

شَدَّ السير رودريك شواربه قائلًا: «السُّم... قد يكون هذا عمل القزم فعلًا، أو سرسي. يقولون إن السُّمَّ سلاح النِّساء، لا تُؤاخذيني يا سيِّدتي. أمَّا قاتِل المَلك... إنني لا أحبُّ الرَّجلِ البتَّة، لكنه ليس من هذا النَّوع. إنه مغرم جدًّا بمنظر الدِّماء على سيفه الذَّهبي. هل قُتِلَ اللورد چون بالسُّمِّ بالفعل يا سيِّدتي؟».

عقدَت كاتلين حاجبيها شاعرةً بشيءٍ من الارتباك، وقالت: «أنَّى لهم أن يجعلوها تبدو كميتةٍ طبيعيَّةٍ إذن؟». من ورائها صرخَ اللورد روبرت

بفرحةٍ وقد شَقَّ واحدٌ من الفارسين الخشبيَّين الآخَر إلى نِصفين مريقًا دمه المصنوع من نُشارة الخشب الحمراء على أرض الشُّرفة. رمقَت ابن أختها بنظرةٍ سريعةٍ وزفرَت، ثم قالت: «الصَّبي بلا أيِّ نظامٍ أو تربيةٍ سليمةٍ على الإطلاق، ولن يصير قويًّا كفايةً ليَحكُم ما لم يبتعد عن أمه لفترة».

قال صوت قادم من عند مِرفقها: «السيِّد والدكِ كان يتَّفق معكِ»، فالتفتَت لترى المِايستر كولمون حاملًا كأسًا في يده. «كان ينوي إرسال الصَّبي إلى دراجونستون لينشأ هناك كما تعلمين... أوه، لكني أتكلَّمُ من دون وجه حق»، وتحرَّكت تُفَّاحة حَلقه بعصبيَّةٍ تحت السِّلسلة المحيطة بعُنقه. «أخشى أني احتسيتُ قَدرًا أكبر من اللَّازم من نبيذ اللورد هنتر الممتاز هذا، وفكرة إراقة الدِّماء جعلت أعصابي مشدودةً عن آخِرها».

قالت كاتلين: «أنت مخطئ أيها المِايستر. كانوا ينوون إرساله إلى كاسترلي روك وليس دراجونستون، وهذه التَّرتيبات تمَّت بَعد وفاة اليَد دون موافَقة أختي».

تحرَّك رأس المِايستر فوق عُنقه الطَّويل بحركةٍ عنيفةٍ حتى أنه بدا كدُميةٍ عن نفسه، وقال: «أستميحكِ عُذرًا يا سيِّدتي، لكن اللورد چون هو من...».

قاطعه صوت جرسٍ يدقُّ بصوتٍ عالٍ رنَّان أسفلهم، وفي آنٍ واحدٍ انصرفَ اللوردات والخدم على حَدٍّ سواءٍ عمَّا كانوا يفعلونه واتَّجهوا إلى حاجز الشُّرفة، وفي الأسفل اقتادَ حارسان يرتديان الأزرق السَّماوي تيريون لانستر إلى ساحة النِّزال، ثم قادَه سِپتون "العُش" البدين إلى التِّمثال المُقام في منتصَف الحديقة، الذي يُمَثِّل امرأةً باكيةً من الرُّخام الأبيض المعروق، لا ريب أنها أليسا.

قال اللورد روبرت ضاحكًا: «الرَّجل الصَّغير الشرِّير. أمي، هل يُمكنني أن أجعله يطير؟ أريدُ أن أراه يطير».

أجابَت لايسا: «فيما بَعد يا صغيري الجميل».

وقال السير لين كوربراي متشدِّقًا: «المحاكمة أولًا، ثم الإعدام».

بَعد لحظاتٍ قليلةٍ ظهرَ النَّصيران من جانبي الحديقة المتواجهَيْن، الفارس معه مُرافِقان صغيران والمُرتَزِق معه قيِّم سلاح "العُش".

كان السير ڤارديس إيجن مدرَّعًا من قمَّة رأسه حتى أخمص قدميه، فولاذ فوق حلقاتٍ معدنيَّةٍ وصُدرةٍ مبطَّنة، مع واقياتٍ دائريَّةٍ كبيرةٍ ملوَّنة بالأصفر الباهت والأزرق وعليها القَمر والصَّقر رمز عائلة آرن تقي الوصلات الحسَّاسة في صدره وذراعيه، بينما غطَّته تنُّورة من المعدن الشَّائك من خصره إلى منتصَف فخذيه، وأحاطَ واقٍ صُلب بعُنقه وبرزَ جناحا صقرٍ من صُدغي خوذته، أمَّا مقدِّمة الخوذة فكانت عبارةً عن منقارٍ مدبَّبٍ من الحديد به فتحة ضيِّقة للرُّؤية.

من ناحيته كان برون يرتدي دِرعًا خفيفةً للغاية حتى أنه كاد يبدو عاريًا مقارَنةً بالفارس، فلم يكن يرتدي غير قميصٍ من الحلقات المعدنيَّة السَّوداء فوق الجِلد المقوَّى بالزَّيت المغلي، وخوذةً قصيرةً مستديرةً من الفولاذ ذات واقٍ للأنف، وقلنسوةً من الحلقات المعدنيَّة. منحَ الحذاء الجِلدي طويل العُنق ذو واقي السَّاقين بعض الحماية لساقيه، بالإضافة إلى أقراص الحديد الأسود المثبَّتة بأصابع قُفَّازيه. ومع ذلك لاحظَت كاتلين أن المُرتَزِق كان أطول قامةً من خصمه ويستطيع تسديد ضرباته على مدىً أوسع، كما أنه كان يَصغُر الآخَر بخمسة عشر عامًا كاملةً إذا كان تقديرها سليمًا.

ركعَ الاثنان وسط العُشب أمام المرأة الباكية وبينهما تيريون لانستر، وأخرجَ السِّپتون كرةً بلَّوريَّةً ذات نتوءاتٍ مسطَّحةٍ من الجراب القُماشي المثبَّت بجانب معطفه، ورفعَها عاليًا فوق رأسه لينكسر عليها الضَّوء إلى ألف شظية وتترافَص أقواس قزح بلا عددٍ على وجه القزم، وبصوتٍ رتيبٍ وقور سألَ السِّپتون الآلهة أن تُوَجِّه أنظارها إلى تيريون وتكون شاهدةً عليه، أن تجد الحقيقة في روح هذا الرَّجل وتمنحه الحياة والحُريَّة إذا كان

بريئًا والموت إذا كان مُذنِبًا؛ وتردَّد صدى صوته بين الأبراج المحيطة. عندما تلاشى الصَّدى تمامًا خفضَ السِّبتون الكرة وابتعدَ مسرعًا، بينما مالَ تيريون على برون وهمسَ بشيءٍ ما في أُذنه قبل أن يقتاده الحارسان بعيدًا، ونهضَ المُرتَزِق ضاحكًا ونفضَ ورقةً من العُشب علقَت برُكبته.

كان روبرت آرن، سيِّد "العُش" وحافِظ "الوادي"، يتململ بنفاد صبرٍ في مقعده المرفوع، وسألَ باستياء: «متى سيتقاتلان؟».

ساعدَ السير ڤارديس على النُّهوض أحد مُرافِقَيْه، بينما جلبَ له الآخَر تُرسًا مثلَّثًا يُناهِز طوله أربعة أقدام، مصنوعًا من خشب البلُّوط الثَّقيل ومزيَّنًا بأزرارٍ حديديَّة، وقام المُرافِقان معًا بتثبيته إلى ساعِده الأيسر. عندما عرضَ قيِّم سلاح لايسا تُرسًا مشابهًا على برون، بصقَ المُرتَزِق على الأرض ولوَّح بيده رافضًا. كانت لحية سوداء خشنة عُمرها ثلاثة أيام تُغَطِّي فكَّه ووجنتيه، وإن كان لم يحلقها لافتقاره إلى موسىً، فحَدُّ سيفه كان له سيماء الفولاذ الذي يُشحَذ لساعاتٍ يوميًّا حتى أضحى أحدَّ من أن تلمسه.

مَدَّ السير ڤارديس يدًا مكسوَّةً بقُفَّازٍ واقٍ، فناوَله مُرافِقه سيفًا طويلًا مزدوج النَّصل مهيب الشَّكل. كان النَّصل مزيَّنًا بزخرفةٍ أنيقةٍ تُصَوِّر سماءً تعلو جبلًا، والقبيعة على شكل رأس صقر، والواقي العرضي على شكلِ جناحين. «أمرتُ بصُنع هذا السَّيف لچون في كينجز لاندنج»، قالت لايسا لضيوفها بفخرٍ وهُم يُشاهِدون السير ڤارديس يُلَوِّح بالسَّيف على سبيل التَّسخين. «كان يأخذه معه كلما جلسَ على العَرش الحديدي في مكان المَلك روبرت. أليس جميلًا؟ خطرَ لي أن من الملائم جدًّا أن يثأر نصيرنا لموت چون بسيفه».

كان السَّيف الفضِّي المنقوش جميلًا بلا أدنى شَك، وإن بدا لكاتلين أن السير ڤارديس كان ليرتاح أكثر لاستخدام سيفه الخاص، لكنها لم تقل شيئًا فقد كلَّت تمامًا من الجدل العقيم مع أختها.

صاحَ روبرت: «اجعلوهم يتقاتلان!».

واجهَ ڤارديس روبرت ورفعَ سيفه تحيَّةً وهتفَ: «لأجل "العش" و"الوادي"!».

كانوا قد أجلسوا تيريون لانستر في شُرفةٍ صغيرةٍ على الجانب الآخَر من الحديقة وقد أحاطَ به حارساه من الجانبين، وله وجَّه برون تحيَّةً سريعةً.

قالت الليدي لايسا لابنها: «إنهما ينتظران إشارتك».

- «تقاتلا!»، صرخَ الصَّبي وذراعاه ترتجفان وقد أطبقتا على ذراعي مقعده.

دارَ السير ڤارديس على عقبيه رافعًا تُرسه الثَّقيل واستدارَ برون لمواجَهته، والتقى السَّيفان مرَّةً، مرَّتين، ثلاثًا على سبيل اختبار كلٍّ منهما للآخَر، ثم تراجعَ المُرتَزِق خطوةً فتقدَّم منه الفارس رافعًا تُرسه أمامه وحاولَ تسديد ضربة، لكن برون وثبَ إلى الوراء بعيدًا عن متناوَل السَّيف الفضِّي الذي شَقَّ الهواء، ثم دارَ برون إلى جانبه والتفتَ السير ڤارديس واضعًا التُّرس حائلًا بينهما وانقضَّ خاطيًا كلَّ خطوةٍ بحذرٍ على الأرض غير المستوية، إلَّا أن المُرتَزِق تفاداه وعلى شفتيه تتلاعَب ابتسامة ساخرة خفيفة. هاجمَ السير ڤارديس من جديدٍ ملوِّحًا بسيفه، ومن جديدٍ تفادى برون الهجمة واثبًا بخفَّةٍ فوق حَجر واطئٍ مغطًّى بالطُّحلب، ثم دار المُرتَزِق يسارًا بعيدًا عن التُّرس ونحو جانب الفارس غير المحمي، وحاولَ السير ڤارديس تسديد ضربةٍ إلى ساقيه لكن برون كان بعيدًا عن متناوَله هذه المرَّة أيضًا، ثم اقتربَ برون من يساره أكثر واستدارَ الفارس في مكانه.

قال اللورد هنتر: «إنه جبان»، ثم صاحَ: «قِف وقاتل أيها الجبان!»، وارتفعَت أصوات أخرى تؤيِّده.

نظرَت كاتلين إلى السير رودريك، فهَزَّ قيِّم السِّلاح رأسه باقتضابٍ

وقال: «يُريد أن يجعل السير ڤارديس يُطارِده. ثقل الدِّرع والتُّرس من شأنه أن يُرهِق أقوى الرِّجال».

لقد رأت كاتلين رجالًا يتمرَّنون على المبارَزة في كلِّ يومٍ من حياتها تقريبًا وشهدَت نِصفمئة دورة مباريات، لكن هذه المرَّة كانت تختلف، فأقلُّ خطوةٍ غير محسوبةٍ تعني الموت المحقَّق. وإذ شاهدَت النِّزال الدَّائر أمامها، وثبَت إلى ذاكرة كاتلين ستارك صورة نزالٍ من زمنٍ آخَر، جليَّةً حيَّةً كأنه كان بالأمس فقط.

التقيا في فِناء ريڤررَن الأدنى، وعندما رأى براندون أن پيتر يرتدي خوذةً وواقيًا للصَّدر وقميصًا معدنيًّا فقط خلعَ أكثر دروعه. كان پيتر قد توسَّل إليها أن تمنحه عطيَّةً ليرتديها، لكنها رفضَت. لقد وعدَ السيِّد والدها براندون ستارك بيدها، وإليه كانت عطيَّتها التي كانت عبارةً عن منديل جيبٍ أزرقَ فاتح طرَّزت عليه سمكة الترويت الواثبة رمز ريڤررَن، وإذ وضعَته في يده قالت له مُناشِدةً: «إنه مجرَّد ولد أحمق، لكني أحبُّه كأخي، وسيُؤلِمني أن أراه يموت»، فرمقَها خطيبها بعيني آل ستارك الرَّماديَّتين الباردتين ووعدَ بأن يُبقي على حياة الصَّبي الذي يُحِبُّها.

وانتهى القتال بمجرَّد أن بدأ تقريبًا. كان براندون رجلًا بالغًا، وقد جعلَ الإصبع الصَّغير يتقهقر عبر الفِناء وعلى السَّلالم المائيَّة هاويًا عليه بسيفه الفولاذي مع كلِّ خطوة، إلى أن صارَ الصَّبي يترنَّح وينزف من دستةٍ من الجروح. «استسلم!»، صاحَ براندون أكثر من مرَّة، لكن پيتر كان يردُّ بهَزِّ رأسه نافيًا ويُواصِل القتال... وأخيرًا، عندما كانت مياه النَّهر تلعق أقدامهما، أنهى براندون القتال بضربةٍ مزلزِلةٍ بظاهر يده شقَّت المعدن والجِلد إلى اللَّحم تحت ضلوع پيتر على عُمقٍ بالغٍ حتى أن كاتلين ظنَّتها أهلكَته. رمقَها وهو يَسقُط مغمغمًا: «كات»، والدَّم القاني ينبثق من بين أصابعه. لقد حسبَت أنها نسيَت هذا الجزء. كانت هذه هي آخِر مرَّةٍ رأت وجهه فيها... حتى اليوم الذي قابلته فيه في كينجز لاندنج.

أسبوعان مَرَّا قبل أن يُصبِح الإصبع الصَّغير قويًّا بما فيه الكفاية لمغادَرة ريڤرِرَن، لكن السيِّد والدها منعَها من زيارته في البُرج الذي ظَلَّ طريح الفِراش فيه، وإن كانت لايسا قد ساعدَت المِايستر على العناية به (كانت أرقَّ وأكثر خجلًا في تلك الأيام)، بينما زارَه إدميور كذلك لكن پيتر صرفَه بفتور، فقد خدمَ أخوها كمُرافِقٍ لبراندون أثناء النِّزال ولم يغفر له الإصبع الصَّغير هذا. بمجرَّد أن صارَ قابلًا للحركة، أرسلَ اللورد هوستر تَلي پيتر بايلش من ريڤرِرَن محمولًا على محفَّةٍ مغلقة ليقضي فترة نقاهته في "الأصابع"، على الصَّخرة الجرداء التي تذروها الرِّيح حيث وُلِدَ.

أعادَ رنين الفولاذ على الفولاذ كاتلين إلى الحاضر. كان السير ڤارديس يُهاجِم برون بضراوةِ الآن، بسيفه وتُرسه في آنٍ واحد، وتراجعَ المُرتَزِق متعثِّرًا وهو يصدُّ كلَّ ضربةٍ ويتواثَب بخفَّةٍ على الصُّخور والجذور دون أن يغيب خصمه عن عينيه لحظةً. كان أسرع حركةً كما رأت كاتلين، وسيف الفارس لم يدنُ قَطُّ من المساس به، بينما جرحَ سيفه القبيح واقي كتف السير ڤارديس. انتهى هياج القتال الموجَز بالسُّرعة نفسها الذي بدأ بها، لمَّا قفزَ برون جانبًا وانسلَّ وراء تمثال المرأة الباكية، بينما هوى الفارس بضربةٍ على المكان الذي كان فيه منذ لحظة، فقط ليطيح بشظيةٍ من الرُّخام من فخذ أليسا.

قال سيِّد "العُش" متذمِّرًا: «إنهما لا يتقاتلان جيِّدًا يا أمي، أريدهما أن يتقاتلا جيِّدًا!».

قالت أمه مهدِّئةً إياه: «سيفعلا يا صغيري الجميل. المُرتَزِق لا يستطيع الجري طوال اليوم».

كان بعض اللوردات في شُرفة لايسا يتبادلون الدُّعابات وهُم يعيدون ملء كؤوسهم بالنَّبيذ، لكن عبر الحديقة كانت عينا تيريون لانستر غير المتماثلتين تُراقِبان النَّصيرين يَرقُصان كأن لا شيء آخَر هنالك في العالم كله.

خرجَ برون من وراء التِّمثال متحرِّكًا بقوَّةٍ وسرعةٍ إلى اليسار وموجِّهًا

ضربةً بكلتا يديه إلى جانب الفارس الأيمن غير المحمي، وصَدَّ السير ڤارديس الضَّربة لكن بلا إحكام، وأصابَ سيف المُرتَزِق رأسه برنينٍ معدنيٍّ مدوٍّ وسقطَ أحد الجناحين من الخوذة، وتراجعَ السير ڤارديس نِصف خطوةٍ ليتماسَك، وفي اللَّحظة التَّالية تطايرَت رقاقات البلُّوط في كلِّ مكانٍ مع الضَّربات المتواصلة التي هوى بها برون على الحائط الخشبي، ثم خطا المُرتَزِق يسارًا ثانيةً بعيدًا عن التُّرسِ وسدَّد ضربةً بعرض بطن السير ڤارديس ليَترُك نصل سيفه شديد الحدَّة شِقًّا عميقًا في دِرع الفارس. انقضَّ السير ڤارديس واضعًا ثقله على مشط قدمه وسيفه الفضِّي يهوي في قوسٍ عنيف، لكن برون أزاحَه جانبًا وابتعدَ بضع خطوات ليرتطم الفارس بالمرأة الباكية فيهتزُّ التِّمثال على قاعدته، قبل أن يتراجع مترنِّحًا ورأسه يدور في هذا الاتِّجاه وذاك بحثًا عن خصمه وقد حدَّت الفتحة الضيِّقة في خوذته من رؤيته.

- «وراءك!»، صاحَ اللورد هنتر لكن بَعد فوات الأوان، وهوى برون بسيفه بكلتا يديه على مِرفق الذِّراع التي يحمل بها السير ڤارديس سيفه، لينسحق المعدن الشَّائك الذي يحمي المفصل تحت وطء الضَّربة، وأطلقَ الفارس أنينًا وهو يدور رافعًا سلاحه، وهذه المرَّة ظَلَّ برون ثابتًا في مكانه، وتلاقى السَّيفان مرَّةً ومرَّةً ومرَّةً لتملأ أنغام أغنيَّتهما الفولاذيَّة الحديقة ويتردَّد صداها على أبراج الرُّخام الأبيض.

قال السير رودريك بصوتٍ متجهِّم: «السير ڤارديس جريح».

لم تكن كاتلين في حاجة إلى أن يُخبِرها. إن لديها عينين ترى بهما خيط الدَّم اللَّامع يجري على ساعِد الفارس والبلل داخل مفصل المِرفق. كلُّ حركة تفادٍ منه كانت أكثر انخفاضًا وبُطئًا الآن من ذي قبل، وأدارَ السير ڤارديس جانبه إلى خصمه مُحاوِلًا استخدام التُّرس لصَدِّ ضرباته بدلًا من تفاديها، لكن برون دارَ حوله بسرعة قِط، وبدا أن المُرتَزِق قد صارَ أقوى الآن وكلُّ ضربةٍ يُسَدِّدها تَترُك علامةً... على دِرع الفارس كانت شقوق لامعة عميقة، على فخذه اليُمنى ومقدِّمة الخوذة الشَّبيهة

بالمنقار وصدره، مع شِقٍّ طويلٍ على مقدِّمة واقي العُنق، بالإضافة إلى الواقي الذي يحمل رمز القَمر والصَّقر على ذراع السير ڤارديس اليُمنى الذي قُسِمَ إلى نِصفين بالفعل وتدلَّى من حزامه؛ وسمعَ الجميع أنفاسه اللَّاهثة تتردَّد من وراء فتحات التنفُّس في خوذته.

حتى مع العجرفة التي أعمَتهم كان بإمكان فُرسان ولوردات "الوادي" أن يروا ما يجري، ومع ذلك ظلَّت أختها لا ترى، وصاحَت الليدي لايسا: «كفي يا سير ڤارديس! أجهِز عليه الآن، فصغيري بدأ يتعب!».

ولا مناص من الاعتراف بأن السير ڤارديس إيجن أطاعَ أمر سيِّدته بإخلاصٍ حتى الرَّمق الأخير. في لحظةٍ كان يتراجَع إلى الوراء شبه منحنٍ وراء تُرسه المشوَّه، وفي التَّالية كان ينقضُّ لتُفقِد اندفاعته المباغتة برون توازنه، وارتطمَ الفارس به ضاربًا وجهه بحافَّة التُّرس... وكادَ -كادَ- برون يَسقُط. تراجعَ مترنِّحًا وتعثَّر في صخرة، ثم أمسكَ بالمرأة الباكية ليمنع نفسه من السُّقوط، وألقى السير ڤارديس التُّرس ليهوي بسيفه عليه بيديه الاثنتين. كانت يده اليُمنى داميةً من المِرفق إلى الأصابع الآن، لكن ضربته اليائسة الأخيرة كانت لتَشُقَّ برون من الرَّقبة إلى السُّرة... لولا أن المُرتَزِق لم ينتظر أن تهوي عليه ووثبَ إلى الخلف، وومَض سيف چون آرن المنقوش الجميل وهو يُصيب مِرفق المرأة الباكية فينكسر نحو ثُلث نصله، ودفعَ برون ظَهر التِّمثال بكتفه لتترنَّح أليسا آرن الرُّخاميَّة وتهوي بصوتٍ مدوٍّ ويهوي السير ڤارديس تحتها.

وفي غمضة عينٍ كان برون يَركُل بعيدًا ما تبقَّى من الواقي المحطَّم ليكشف النُّقطة الضَّعيفة بين الذِّراع وواقي الصَّدر. كان السير ڤارديس على جانبه حبيسًا تحت جذع المرأة الباكية، وسمعَت كاتلين الفارس يتأوَّه والمُرتَزِق يرفع سيفه بكلتا يديه ثم يغرسه واضعًا ثقله كله في الطَّعنة التي اخترقَت الضُّلوع، وارتجفَ السير ڤارديس إيجن لحظةً قبل أن تخمد حركته تمامًا.

رانَ الصَّمت على "العُش"، وانتزعَ برون خوذته القصيرة من على رأسه وألقاها على العُشب. كانت شفته مشقوقةً داميةً حيث أصابها التُّرس، وشَعره الأسود الفاحم غارقًا في العَرق، وبصقَ من فمه سِنًّا مكسورةً.

سألَ سيِّد "العُش": «هل انتهى القتال يا أمي؟».

أرادَت كاتلين أن تقول له: *كلا، إنها البداية فحسب*.

بكآبةٍ أجابَت لايسا: «نعم» وصوتها بارد ميت كقائد حَرسها.

- «هل يُمكنني أن أجعل الرَّجل الصَّغير يطير الآن؟».

على الجانب الآخَر من الحديقة نهضَ تيريون لانستر قائلًا: «ليس هذا الرَّجل الصَّغير، هذا الرَّجل الصَّغير سينزل في قفص الخضروات، شكرًا جزيلًا».

قالت لايسا: «هل تفترض أن...».

قاطعها العِفريت: «ما أفترضه أن عائلة آرن تتذكَّر كلماتها: *سامون كالشَّرف*».

- «لقد وعدتِ بأن أجعل الرَّجل الصَّغير يطير!»، صرخَ روبرت في أمه وبدأ يرتجف.

كان وجه الليدي لايسا محتقنًا عن آخِره من فرط الغضب وهي تُجيب: «الآلهة ارتأت إظهار براءته يا صغيري»، ثم رفعَت صوتها قائلةً: «أيها الحُرَّاس، اصحبوا اللورد لانستر و... ومخلوقه بعيدًا عن نظري، اصحبوهما إلى البوَّابة الدَّامية وأطلِقوا سراحهما، وتأكَّدوا من أن لديهما خيولًا ومئونة تكفيهما حتى الثَّالوث، ومن إعادة جميع مقتنياتهما وأسلحتهما إليهما، فسوف يحتاجانها على الطَّريق العالي».

- «الطَّريق العالي»، ردَّد تيريون لانستر، وسمحَت لايسا نفسها بأن تبتسم ابتسامةً خافتةً راضيةً، وأدركَت كاتلين أنه حُكم بالإعدام من نوعٍ آخَر، ولا ريب أن تيريون لانستر يعي هذا بدوره. على أن القزم حيَّا الليدي آرن بانحناءةٍ ساخرةٍ قائلًا: «كما تأمرين يا سيِّدتي. أعتقدُ أننا نعرف الطَّريق».

چون

قال لهم السير أليسر ثورن عندما اجتمَعوا أمامه في السَّاحة: «لم يسبق لي أن دربَّت مجموعةً من الفاشلين مِثلكم. إن أيديكم هذه مخلوقة لحمل جواريف الرَّوث وليس السُّيوف، ولو كان الأمر بيدي لكنتم تسوقون قطعان الخنازير كلكم، لكن بلغَني ليلة أمس أن جيورن قادم على طريق الملوك ومعه خمسة صبيةٍ جُدد، وقد يكون لواحدٍ أو اثنين منهم حتى قيمة البول الذي يَجدُر بأمثالكم تنظيفه. لإفساح مكانٍ لهم قرَّرتُ تسليم ثمانيةٍ منكم لحضرة القائد ليفعل بهم كما يرتئي»، ثم بدأ يُنادي على الأسماء -أو ألقابهم بالأحرى- واحدًا تلو الآخَر: «الضِّفدع، ذو الرَّأس الحَجري، الثَّور البرِّي، المُحِب، ذو البثور، القرد، المجنون»، وأخيرًا نظرَ إلى چون قائلًا: «والنَّغل».

أطلقَ پيپ صيحةً سعيدةً وألقى سيفه في الهواء، فرمقَه السير أليسر بنظرةٍ ناريَّةٍ وقال: «الآن سيُسَمُّونكم رجالًا في حَرس اللَّيل، لكنكم ستكونون أكثر حماقةً من هذا القرد إذا صدَّقتم هذا. إنكم ما زلتم صبيةً كلٌّ منكم أخضرَ من الآخَر، رائحة الصَّيف تفوح منكم، وعندما يأتي الشِّتاء ستتساقَطون موتى كالذُّباب».

لمَّا انصرفَ السير أليسر ثورن احتشدَ بقيَّة الصِّبية حول الثَّمانية الذين تَمَّ اختيارهم، يضحكون ويَسُبُّون ويُقَدِّمون التَّهاني، وصفعَ هالدر تودر على مؤخِّرته بالجانب المسطَّح من سيفه هاتفًا: «ضفدع حَرس اللَّيل!»،

بينما صاحَ پيپ أن أخًا أسودَ يحتاج حصانًا وقفزَ على كتفي جرِن فسقطَ الاثنان معًا يتمرَّغان ويضربان ويضحكان، واندفعَ داريون إلى مستودع السِّلاح وعادَ حاملًا قربةً من النَّبيذ الحامض؛ وبينما يُمَرِّرون القربة فيما بينهم وهُم يبتسمون كالبُله، لاحظَ چون ساموِيل تارلي واقفًا بمفرده تحت شجرةٍ عاريةٍ ميتةٍ في رُكن السَّاحة، فقدَّم له القربة قائلًا: «نبيذ؟».

هَزَّ سام رأسه نفيًا وقال: «لا، شكرًا يا چون».

- «هل أنت بخير؟».

قال الولد البدين كاذبًا: «بخير جدًّا، حقًّا. إنني سعيد من أجلكم»، وارتعشَ وجهه المستدير وهو يُرغِم نفسه على الابتسام مضيفًا: «ستكون جوَّالًا أول ذات يوم، تمامًا كما كان عمُّك».

قال چون: «إنه لا يزال كذلك». لم يكن يتقبَّل فكرة موت بنچن ستارك، لكن قبل أن يقول المزيد صاحَ هالدر: «هل تنوي أن تشربه كله وحدك؟»، واختطفَ پيپ القربة من يده وتراجعَ ضاحكًا، وبينما أطبقَ جرِن على ذراعه اعتصرَ پيپ القربة ليتناثَر منها خيط من الأحمر على وجه چون، وأطلقَ هالدر صيحة اعتراضٍ على تبديد النَّبيذ الممتاز. دمدمَ چون وكافحَ لتحرير نفسه، بينما تسلَّق ماثار وچيرن جدار مستودع السِّلاح وبدآ يقذفونهم بكرات الثَّلج. أخيرًا، بَعد أن خلَّص نفسه من رفاقه والثَّلج في شَعره وبُقع النَّبيذ على صدرته، نظرَ چون فلم يجد سام تارلي.

في تلك اللَّيلة طهى لهم هوب ذو الثَّلاثة أصابع وجبةً خاصَّةً للاحتفال بالمناسَبة، وعندما دخلَ چون القاعة العامَّة اصطحبَه حضرة الوكيل بنفسه إلى الدِّكَّة المجاورة للمُستوقَد، بينما يُرَبِّت الرِّجال الأكبر عُمرًا على ذراعه وهو يمرُّ. تناولَ الثَّمانية الذين سيصيرون عمَّا قريبٍ إخوةً وليمةً من الضَّأن المخبوز بقشرةٍ من الثُّوم والأعشاب والمزيَّن بأعواد النَّعناع، وقد أحاطَ به اللِّفت المهروس الذي يسبح في الزُّبد. «من مائدة حضرة القائد»، قال لهم باون مارش. قدَّموا لهم أيضًا سَلطة من السَّبانخ

والحمص والأوراق الخضراء، وبَعدها أطباقًا من التُّوت الأزرق المثلَّج والقشدة المحلَّاة.

تساءلَ پيپ وهُم يلتهمون طعامهم بشهيَّة: «هل تعتقدون أننا سنكون كلنا معًا؟».

رسمَ تودر تعبيرًا سخيفًا على وجهه وقال: «لا أتمنَّى، فلم أعد أطيق النَّظر لأُذنيك هاتين».

رَدَّ پيپ ساخرًا: «أوه، اسمعوا الغراب يقول للغُداف إنه أسودَ! نعم، لا ريب أنك ستصير جوَّالًا أيها الضِّفدع. إنهم يريدونك على أبعد مسافةٍ ممكنة من القلعة. إذا هاجمَنا مانس رايدر ارفع خوذتك وأره وجهك، وسيهرب صارخًا!».

ضحكَ الجميع باستثناء جرِن الذي قال: «آملُ أن أكون أنا جوَّالًا».

- «أنت والجميع»، قال ماثار. كلُّ رجلٍ يرتدي الأسود يَحرُس "الجِدار"، وكلُّ رجلٍ فيهم مطلوبٌ منه أن يرفع سلاحه في الدِّفاع عنه، لكن الجوَّالة هُم قلب حَرس اللَّيل الحقيقي، فهُم من يجرؤون على الخروج وراء "الجِدار" وتمشيط الغابة المسكونة والمرتفعات الجبليَّة الجَليديَّة الواقعة غَرب بُرج الظِّلال، ويُقاتِلون الهَمج والعمالقة ودببة الجَليد الوحشيَّة.

قال هالدر: «ليس الجميع، أريدُ أن أكون من البنَّائين. ما فائدة البنَّائين إذا سقطَ "الجِدار"».

تضمُّ جماعة البنَّائين كلًّا من الحجَّارين والنجَّارين لصيانة القلاع والأبراج، وجماعة المُعَدِّنين لحَفر الأنفاق وسحق الحجارة للطُّرق والممرَّات، وجماعة الحطَّابين لقطع الأشجار أينما عادَت الغابة تقترب أكثر من اللَّازم من "الجِدار". يُقال إن البنَّائين في الماضي كانوا يقتلعون قوالب عملاقةً من الجَليد من البحيرات المتجمِّدة في أعماق الغابة، ويَجُرُّونها على زلَّاجاتٍ حتى يُعَلُّوا بها "الجِدار" أكثر، لكن هذه الأيام

ولَّت منذ قرونٍ على كلِّ حال، أمَّا الآن فيستطيعون بمشقَّةٍ الخروج لفحص "الجِدار" من القلعة الشَّرقيَّة على البَحر وحتى بُرج الظِّلال، بحثًا عن الصُّدوع وعلامات الذَّوبان والقيام بالإصلاحات الضَّروريَّة.

قال داريون: «الدُّب العجوز ليس أحمق. مؤكَّد أنه سيجعلك بنَّاءً وچون جوَّالًا. إنه أفضل مُبارِز وخيَّال بيننا، وعمُّه كان جوَّالًا أول قبل أن...»، وبترَ عبارته بارتباكٍ لمَّا أدركَ ما أوشكَ على أن يقوله.

قال له چون سنو وهو يعبث بملعقته في طبق التُّوت الأزرق: «بنچن ستارك ما زال خيَّالًا أول». قد يكون الآخَرون قد فقدوا الأمل في عودة عمِّه سليمًا، لكن ليس هو. دفعَ طبق التُّوت الذي لم يمسسه تقريبًا ونهضَ من على الدِّكَّة.

سأله تودر: «ألن تأكل هذا؟».

كان تذوَّق وليمة هوب بالكاد، لكنه قال: «إنها لك، لا أقدرُ على قضمةٍ أخرى»، ثم تناولَ معطفه من على الخُطَّاف وتحرَّك مغادرًا القاعة.

لحقَ به پيپ قائلًا: «ما الأمر؟».

- «سام لم يكن معنا على المائدة اللَّيلة».

قال پيپ مفكِّرًا: «ليس من عادته أن يُفوِّت وجبة. هل تعتقد أنه مريض؟».

- «إنه خائف لأننا سنتَرُكه». لم ينسَ چون يوم تركَ وينترفل والوداع الحُلو المُرَّ... بران المكسور، روب والثَّلج في شَعره، آريا تُمطِره بالقُبلات بَعد أن أهداها "الإبرة". «بمجرَّد أن نحلف اليمين ستكون لدى كلٍّ منا واجباته، وقد يتم إرسال بعضنا إلى بُرج الظِّلال أو قلعة البَحر، وسيبقى سام تحت التَّدريب مع أمثال راست وكوجر، والآلهة وحدها تعلم كيف سيكون أولئك المُسْتَجِدُّون القادمون على طريق الملوك، لكن لك أن تُراهِن على أن السير أليسر سيضعهم في مُواجَهته في أول فُرصة».

وجمَ پيپ وقال: «لقد فعلنا كلَّ ما في وسعنا».

- «كلُّ ما في وسعنا لم يكفِ».

غمرَه اضطراب عميق في الطَّريق إلى بُرج هاردين لإحضار جوست، وبَعدها مشى الذِّئب الرَّهيب معه إلى الاسطبلات، حيث توتَّرت الخيول الأقلُّ شَجاعةٍ من غيرها لدى مرورهما وأرجعَت آذانها إلى الوراء وبدأت تَركُل في مَرابطها بعصبيَّة، ثم أسرجَ چون فَرسه وامتطاها وخرجَ بها من القلعة السَّوداء متوجِّهًا جَنوبًا في اللَّيل المُضاء بنور القَمر، وانطلقَ جوست يسبقه بسرعة السَّهم واختفى في غمضة عين، وتركَه چون يمضي عالمًا أن الذِّئب في حاجةٍ للصَّيد. لم تكن في عقله وجهة بعينها، إذ كان يرغب في الرُّكوب فحسب، واتَّبع الجدول لبعض الوقت مصغيًا إلى تقاطُر المياه الباردة على الصَّخر، ثم اخترقَ الحقول إلى طريق الملوك الذي امتدَّ أمامه حَجريًّا ضيِّقًا تتناثَر فيه الحشائش، طريق لا يَعِدُ بشيءٍ محدَّد، لكنه ملأ قلب چون سنو بتوقٍ بالِغ. على الطَّريق كانت وينترفل، ومن ورائها ريڤرران وكينجز لاندنج ووادي آرن وبلاد أخرى كثيرة، كاسترلي روك وجزيرة الوجوه وجبال دورن الحمراء وجُزر براڤوس المئة في البَحر وأطلال ڤاليريا القديمة المحروقة... جميع الأماكن التي لن يراها چون أبدًا. العالم يبدأ على هذا الطَّريق... وهو هنا.

بمجرَّد أن يحلف اليمين سيُصبِح "الجِدار" بيته حتى يَبلُغ من العُمر عتيًّا مِثل المِايستر إيمون. تمتمَ: «لكني لم أحلفه بَعد». إنه ليس خارجًا على القانون مُجبرًا على ارتداء الأسود وقضاء بقيَّة حياته في حَرس اللَّيل تكفيرًا عن جرائمه، بل جاءَ إلى هنا بإرادته ويستطيع أن يُغادِر في أيِّ وقتٍ بإرادته... إلى أن يحلف اليمين. كلُّ ما عليه الآن أن يُواصِل الانطلاق ويَترُك كلَّ هذا خلفه، ولمَّا يصير القَمر مكتملًا من جديد سيكون في وينترفل بين إخوته.

إخوتك غير الأشقَّاء، قال له صوت من داخله، *والليدي ستارك التي لن تُرحِّب بك قَطعًا*. لا مكان له في وينترفل، ولا مكان في كينجز لاندنج

كذلك، وحتى أمه نفسها لم يكن لديها مكان له. أثارَ التَّفكير فيها حُزنه كالمعتاد، وتساءلَ من هي وكيف كانت تبدو وعن سبب ترك أبيه لها. *لأنها كانت عاهرةً أو زانيةً أيها الأحمق، شيئًا آثمًا شائنًا، وإلَّا فلِمَ يخجل اللورد إدارد من الكلام عنها؟*

التفتَ چون سنو بعيدًا عن طريق الملوك ليَنظُر وراءه. كانت مشاعل القلعة السَّوداء متواريةً وراء تَل، لكن "الجِدار" هناك، شاحب في نور القَمر، بارد عملاق يتمدُّ من الأُفق إلى الأُفق.

هكذا دارَ بالفَرس وبدأ طريق الرُّجوع، وعادَ جوست وخَطمه مصطبغ بالأحمر وهو يصعد مرتفَعًا ويرى الوهج البعيد القادم من مصباحٍ في بُرج القائد. وجدَ چون نفسه يُفَكِّر في ساموِيل تارلي ثانيةً خلال طَريقه إلى القلعة السَّوداء، ولدى عودته إلى الاسطبلات كان يعرف ما عليه أن يفعله بالضَّبط.

كان سكن المِايستر إيمون يقع في الحصن الخشبي القوي المقام أسفل المِغدفة، ولسِنِّه المتقدِّمة وهشاشته تقاسمَ المكان مع اثنين من الوكلاء الصِّغار يقومان برعايته ويُساعِدانه في واجباته. كان الإخوة يقولون ساخرين إنه نالَ أقبح رجلين على الإطلاق في حَرس اللَّيل، وإن استغنى عن الاضطرار إلى النَّظر إليهما باعتباره كفيفًا. كان كلايداس قصيرًا أصلع بلا ذقن وله عينان صغيرتان ورديَّتان كالخُلد، وتشِت لديه كيس دُهني على عُنقه بحجم بيضة الحمامة ويمتلئ وجهه بالدَّمامل والبثور الحمراء، وربما لهذا يبدو شديد الغضب دائمًا.

كان تشِت هو من أجابَ طَرقة چون الذي قال له: «أريدُ أن أتكلَّم مع المِايستر إيمون».

- «المِايستر نائم كما يُفترَض أن تكون، عُد غدًا»، وبدأ يُغلِق الباب.

حشرَ چون حشرَ قدمه بين الباب وإطاره قائلًا: «غدًا سيكون الأوان قد فاتَ. يجب أن أتكلَّم معه الآن».

قال تشِت عابسًا: «المِايستر ليس معتادًا على إيقاظه في مِثل هذه السَّاعة من اللَّيل. هل تعرف كم عُمره؟».

- «أعتقدُ أنه كبير بما يكفي لأن يُعامِل ضيوفه بأدبٍ أكثر منك. بلِّغه اعتذاري، لكني لم أكن لأُقلِق راحته لو لم تكن المسألةُ مهمَّة».

- «وإذا رفضتُ؟».

ثبَّت چون قدمه في الباب بإحكامٍ وأجابَ: «أستطيعُ البقاء هنا طوال اللَّيل إذا أردتُ».

أطلقَ الأخ الأسود صيحة تبرُّم وفتحَ الباب قائلًا: «انتظر في المكتبة إذن. ثمَّة حطب هناك. أشعِل نارًا، فلن أترك المِايستر يُصاب بالبَرد بسببك».

كان الحطب يُطَقطِق بمرحٍ في المُستوقَد عندما دلفَ المِايستر إيمون إلى المكتبة يقوده تشِت، وقد ارتدى ثياب النَّوم وأحاطَت سلسلة جماعته بعُنقه، فالمِايستر لا ينبغي أن يخلعها أبدًا حتى أثناء النَّوم. قال الشَّيخ حين شعرَ بالدِّفء على وجهه: «المقعد المجاور للنَّار من فضلك»، وعندما استقرَّ مستريحًا في مقعده غطَّى تشِت ساقيه بدثارٍ صوفيٍّ وذهبَ ليقف عند الباب.

قال چون سنو: «آسفٌ لأني أيقظتك أيها المِايستر».

أجابَ المِايستر إيمون: «لم توقِظني. كلما تقدَّم بي العُمر وجدتُ أني أنامُ لساعاتٍ أقل، ولقد تقدَّم بي العُمر كثيرًا، وغالبًا ما أقضي اللَّيل مع الأشباح أتذكَّر أحداثًا انقضَى عليها خمسون عامًا كأنها كانت بالأمس فقط، وعليه فزيارة غامضة من أحدهم في جوف اللَّيل بمثابة إلهاءٍ أرحِّبُ به. قُل لي إذن يا چون سنو، لماذا جئت لزيارتي في هذه السَّاعة الغريبة؟».

- «كي أطلب أن ينتهي تدريب ساموِيل تارلي ويُقبَل كأخٍ في حَرس اللَّيل».

قال تشِت بفظاظة: «المِايستر لا شأن له بهذا».

أجابَ المِايستر إيمون بلُطف: «حضرة القائد كلَّف السير أليسر ثورن بتدريب المُسْتَجِدِّين، وهو الوحيد القادر على أن يُقَرِّر إن كان أحدهم جاهزًا لحلف اليمين كما تعلم، فلِمَ تأتي إليَّ أنا؟».

قال چون: «حضرة القائد يُصغي إليك، وجرحى ومرضى حَرس اللَّيل مسؤوليتك».

- «وهل صديقك ساموِيل جريح أو مريض؟».

- «سيكون كذلك ما لم تُساعِده»، وقَصَّ عليهما كلَّ شيء، حتى الجزء الذي استخدمَ فيه جوست لتهديد راست، وأصغى المِايستر إيمون بصمتٍ رامقًا النَّار بعينين لا تريان، بينما اربدَّ وجه تيِشت مع كلِّ كلمة، إلى أن ختمَ چون كلامه قائلًا: «لن يملك سام أدنى فرصة من دون وجودنا لمُساعَدته. إنه عاجز تمامًا عن القتال بالسَّيف، وأختي آريا نفسها تستطيع تمزيقه إربًا وهي لم تَبلُغ العاشرة بَعد. إذا جعله السير أليسر يُقاتِل، فهي مسألة وقتٍ فقط حتى يَسقُط جريحًا أو قتيلًا».

لم يستطِع تيِشت احتمال المزيد، واندفعَ يقول: «لقد رأيتُ الولد البدين في القاعة العامَّة. إنه خنزير فعلًا، وجبان لا رجاء منه كذلك إذا كان ما تقوله صحيحًا».

- «ربما»، غمغمَ المِايستر إيمون. «قُل لي يا تيِشت، ماذا كنت لتفعل بهذا الصَّبي؟».

- «أتركه كما هو. "الجِدار" ليس مكانًا للضُّعفاء. فليتدرَّب حتى يُصبح مستعدًّا مهما استغرقَ هذا من سنين. السير أليسر سيجعل منه رجلًا أو يَقتُله، كما تشاء الآلهة».

- «هذا هُراء»، قال چون والتقطَ شهيقًا عميقًا ليستجمع أفكاره. «أذكرُ أني سألتُ المِايستر لوين ذات مرَّةٍ عن سبب ارتدائه سلسلةً حول عُنقه».

مَسَّ المِايستر إيمون سلسلته وداعبَت أصابعه العظميَّة المتغضِّنة حلقاتها الثَّقيلة قائلًا: «استمِر».

قال چون: «أجابَني يومها أن طوق المِايستر مصنوع على شكل سلسلةٍ لتذكيره بأنه أقسمَ على الخدمة. سألته عن سبب كون كلِّ حلقةٍ من معدنٍ مختلف، فمن شأن سلسلةٍ من الفضَّة بالكامل أن تبدو أفضل مع معطفه الرَّمادي، وضحكَ المِايستر لوين وأجابَ بأن المِايستر يُكَوِّن سلسلته من خلال الدِّراسة، وأن كلَّ معدنٍ يُشير إلى فرع مختلفٍ من المعرفة، فالذَّهب لدراسة المال والحسابات، والفضَّة للعلاج، والحديد للحرب، وهكذا. وقال إن السِّلسلة لها معانٍ أخرى كذلك، فمن المفترَض أن تُذَكِّر المِايستر بالبلاد التي يخدمها، أليس كذلك؟ اللوردات هُم الذَّهب والفُرسان الفولاذ، لكنك لا تستطيع تكوين سلسلةٍ من حلقتين فحسب، بل تحتاج الفضَّة والحديد والرَّصاص كذلك، والنُّحاس والصَّفيح والبرونز وبقيَّة المعادن كلها، وهؤلاء هُم المُزارِعون والحدَّادون والتجَّار وأمثالهم. إذن تحتاج البلاد كلَّ أنواع النَّاس كما تحتاج السِّلسلة كلَّ أنواع المعادن».

ابتسمَ المِايستر إيمون وقال: «إذن؟».

- «كذلك يحتاج حَرس اللَّيل كلَّ الأنواع بدوره، وإلَّا فلِمَ ننقسم إلى جوَّالة وبنَّائين ووكلاء؟ اللورد راندل لم يستطِع أن يجعل من سام مُحارِبًا، والسير أليسر لن يستطيع. لا يُمكنك طَرق الصَّفيح مع الحديد مهما حاولت، لكن ذلك لا يعني أن الصَّفيح عديم القيمة. لِمَ لا يُصبِح سام وكيلًا؟».

زمجرَ تشِت بغضبٍ وقال: «أنا وكيل. أتحسبه عملًا بسيطًا يَصلُح للجبناء؟ جماعة الوكلاء هي ما يمدُّ الحَرس بالحياة. إننا نصطاد ونزرع ونُعنى بالخيول ونحلب الأبقار ونجمع الحطب من الغابة ونطهو الطَّعام. من تحسبه يصنع ملابسك؟ ومن يأتي بالمؤن من الجَنوب؟ إنهم الوكلاء».

كان رَدُّ المِايستر ألطف: «هل صديقك صيَّاد؟».

أجابَ چون مضطرًّا: «إنه يكره الصَّيد».

- «هل يُمكنه أن يحرث حقلًا؟ أو يقود عربةً أو يُبحِر بسفينة؟ هل يُمكنه أن يذبح بقرةً؟».

- «كلا».

أطلقَ تِشِت ضحكةً ساخرةً قبيحةً وقال: «لقد رأيتُ ما يَحدُث للوردات الصِّغار عندما يُكلَّفون بعملٍ ما. اجعل واحدًا منهم يَمخُض الزُّبد وستجد يده تتقرَّح وتنزف. أعطه فأسًا للحطب وسيضرب بها قدمه».

- «أعرفُ شيئًا واحدًا يفعله سام أفضل من الجميع».

سأله المِايستر: «ماذا؟».

رمقَ چون تِشِت الواقف عند الباب ببثوره الحمراء الغاضبة بنظرةٍ حذرة، ثم أجابَ بسرعة: «يُمكنه أن يُساعِدك. إنه يجيد المسائل الحسابيَّة، والقراءة والكتابة كذلك. أعرفُ أن تِشِت لا يستطيع القراءة، وكلايداس ضعيف البصر، أمَّا سام فقرأ كلَّ كتابٍ في مكتبة أبيه. سيُبلي بلاءً حسنًا مع الغِدفان كذلك، فالحيوانات تُحِبُّه، وجوست تعوَّد عليه من أول لحظة. ثمَّة أشياءَ كثيرة يقدر على أن يفعلها بخلاف القتال، وحَرس اللَّيل يحتاجون كلَّ رجل، فلماذا يُقتَل بلا أيِّ طائلٍ بدلًا من الاستفادة به؟».

أغلقَ المِايستر إيمون عينيه، وللحظاتٍ خشي چون أنه غابَ في النَّوم، لكنه قال أخيرًا: «لقد علَّمك المِايستر لوين جيِّدًا يا چون سنو، فعقلك رشيق كسيفك على ما يبدو».

- «أيعني هذا أن...».

- «يعني أني سأفكِّرُ في الأمر»، قال المِايستر بحزم. «والآن أعتقدُ أني مستعدٌّ للخلود إلى النوم. تِشِت، اصحب أخانا الصَّغير إلى الباب».

تيريون

اتَّخذا ملجأً تحت أيكةٍ من شجر الحور على جانب الطَّريق العالي، وكان تيريون يجمع الحطب بينما يشرب حصاناهما من أحد الجداول الجبليَّة، ثم توقَّف ليلتقط فرعًا مكسورًا وفحصَه قائلًا: «هل سيَصلُح هذا؟ لستُ خبيرًا في إشعال النَّار. كانت هذه مهمَّة موريك».

بصقَ برون وقال: «نار؟ هل تتلهَّف على الموت أيها القزمٍ أم أنك فقدت عقلك؟ إشعال النَّار سيجلب علينا رجال القبائل من كلِّ مكان، وأنا أنوي الخروج من هذه الرِّحلة حيًّا يا لانستر».

سأله تيريون: «وكيف تأمل أن تفعل ذلك بالضَّبط؟»، ودَسَّ الفرع تحت إبطه وبدأ يبحث عن المزيد بين الشُّجيرات المتناثرة. كان ظهره يُؤلمه من مجهود الانحناء، كما أنهما يركبان منذ الفَجر، عندما أشارَ لهما السير لين كوربراي ذو الوجه الحَجري بمغادَرة البوَّابة الدَّامية وأمرَهما بعدم العودة أبدًا.

أجابَ برون: «ليست لدينا فُرصة في شَقِّ طريق العودة قتالًا، لكن اثنين يستطيعان التحرُّك أسرع من عشرة، ويجذبان انتباهًا أقلَّ كذلك. كلما قضينا فترةً أقلَّ في هذه الجبال ارتفعَت فُرصة بلوغنا أراضي النَّهر. رأيي أن ننطلق بسرعةٍ وقوَّة، نتحرَّك ليلًا ونجد لنفسينا مأوىً نهارًا، نتفادى الطَّريق أينما استطعنا، ولا نُصدِر ضجَّةً أو نُشعِل نارًا».

تنهَّد تيريون لانستر وقال: «خُطَّة رائعة يا برون، جرِّبها كما تشاء، لكن اسمح لي بعدم البقاء كي أدفن جثَّتك».

قال المُرتَزِق مبتسمًا بسخرية: «هل تحسب أنك ستبقى حيًّا أكثر مني؟». بين أسنانه كانت فجوة سوداء حيث كسرَ تُرس السير ڤارديس إيجن واحدةً منها إلى نِصفين.

هَزَّ تيريون كتفيه وقال: «التحرُّك بسرعةٍ وقوَّةٍ ليلًا وسيلة مضمونة لأن تَسقُط عن الجبل وتُهَشِّم جمجمتك، بينما أحبِّذُ أن يكون عبوري بطيئًا سهلًا. أعرفُ أنك تُحِبُّ مذاق لحم الخيول يا برون، لكن إذا ماتَ الحصانان تحتنا هذه المرَّة، لن نجد شيئًا نضع عليه السَّرجين غير قِطط الظِّلِّ... والحقيقة أني أعتقدُ أن رجال القبائل سيجدوننا مهما فعلنا، فعيونهم في كلِّ مكانٍ حولنا»، ولوَّح بيده مشيرًا إلى الجروف العالية التي حفرَتها الرِّياح وأحاطت بهم.

قال برون بجهامة: «نحن في عداد الموتى إذن يا لانستر».

أجابَ تيريون: «وهو ما يجعلني أفضِّلُ أن أموت مستريحًا. إننا نحتاج النَّار، فاللَّيل بارد هنا، والطَّعام السَّاخن سيُدَفِّئ معدتينا ويشرح صدرينا. هل تعتقد أن هناك ما يُمكن صيده هنا؟ لقد أمدَّتنا الليدي لايسا بوليمةٍ حقيقيَّةٍ من اللَّحم المملَّح والجُبن القاسي والخُبز البائت، لكنني أكرهُ أن أكسر ضرسًا على هذا المسافة البعيدة من أقرب مِايستر».

رمقَه برون بنظرة شَكٍّ من عينيه السَّوداوين تحت شَعره الفاحم، وقال: «يُمكنني العثور على لحم. في الواقع حريٌّ بي أن أتركك هنا مع نارك السَّخيفة. إذا أخذتُ حصانك ستتضاعَف فُرصتي في النَّجاة. ماذا ستفعل حينئذٍ أيها القزم؟».

قال تيريون وهو ينحني لالتقاط فرعٍ آخَر: «سأموتُ في الغالب».

- «ألا تحسب أني سأفعلها؟».

- «بل ستفعلها في غمضة عينٍ لو كانت حياتك تعتمد على هذا. لقد

رأيتُ كيف سارَعت بإخراس صديقك تشيجن عندما أصابَه السَّهم في بطنه». كان برون قد شَدَّ رأس المُرتَزِق الآخَر من شَعره وغرسَ خنجره تحت أُذنه، وقال لكاتلين ستارك بَعدها إنه ماتَ متأثِّرًا بجرحه.

قال برون: «كان ميتًا على كلٍّ حال، وأنينه كان يلفت انتباههم إلينا. كان تشيجن ليفعل الشَّيء نفسه معي، وهو لم يكن صديقي، بل مجرَّد رجلٍ في رِفقتنا. لا تُخطئ الحُكم على الأشياء أيها القزم، فقد قاتَلتُ من أجلك، لكنني لا أُكِنُّ لك أيَّ حُب».

قال تيريون ملقيًا حفنة الحطب على الأرض: «وأنا كنتُ أحتاجُ سيفك وليس حُبَّك».

ابتسمَ برون قائلًا: «أنت جريء كأيِّ مُرتَزِق، أعترفُ بهذا. كيف عرفت أنني سأقاتل في مكانك؟».

- «عرفتُ؟»، قال تيريون جالسًا القرفصاء ليُشعِل النَّار. «كانت مقامَرةً. لمَّا كنا في الخان ساعدت أنت وتشيجن على أخذي أسيرًا، فلماذا؟ الآخَرون رأوا هذا واجبهم، من أجل شَرف السَّادة الذين يخدمونهم، لكن ليس أنتما، فليس لديكما سادة أو عليكما واجب، وما تتمتَّعان به من شَرفٍ قليل، فلِمَ تُوَرِّطان نفسيكما؟»، وأخرجَ سكِّينه وكشطَ بضع شرائطِ رقيقةٍ من اللِّحاء ليستخدمها كفتيلٍ لإشعال لإيقاد النَّار مواصلًا: «لِمَ يفعل المُرتَزِقة أيَّ شيءٍ أصلًا؟ من أجل الذَّهب طبعًا، وقد فكَّرتما أن الليدي ستارك ستُكافِئكما على مُساعَدتكما، بل وقد تضمُّكما إلى خدمتها كذلك. حسن، آملُ أن يكفي هذا. تُرى هل أجد معك صوَّان؟».

دَسَّ برون إصبعين في الجراب المثبَّت بحزامه وأخرجَ حَجر صوَّان ألقاه إليه، والتقطه تيريون في الهواء قائلًا: «شكرًا. المشكلة أنكما لم تعرفا آل ستارك. اللورد إدارد رجل أبيٌّ صادق شريف، والسيِّدة زوجته أسوأ منه بكثير. أوه، لا شَكَّ أنها كانت ستجد عُملةً أو اثنتين بَعد نهاية كلِّ هذا وتضعها في يدك مع كلمةٍ مهذَّبةٍ ونظرة احتقار، لكن هذا أقصى ما

كان يُمكنك أن تأمله. آل ستارك يتطلَّعون إلى الشَّرف والوفاء والشَّجاعة في من يأخوذنهم في خدمتهم، والحقيقة أنك وتشيجن مجرَّد حثالة»، وضربَ حَجر الصوَّان بخنجره محاولًا إطلاق شرارة لكن بلا نتيجة.

أطلقَ برون شخرةً وقال: «لديك لسان وقح أيها الصَّغير، وسيأتي يوم يقطعه أحدهم لك ويجعلك تأكله».

قال تيريون: «الجميع يقولون هذا»، ثم رفعَ عينيه إلى المُرتَزِق قائلًا: «هل أهنتك؟ سامِحني... لكنك حثالة بالفعل يا برون ولا مجال للشَّكِّ في هذا. الواجب، الشَّرف، الصَّداقة، ما قيمة هذه الأشياء لديك؟ لا، لا تُتعِب نفسك، فكلانا يعرف الإجابة. لكنك لست غبيًّا، فمجرَّد بلوغنا وادي آرن لم تَعُدْ امرأة ستارك في حاجةٍ إليك، بينما احتجتك أنا، والشَّيء الوحيد الذي لا يفتقر آل لانستر إليه هو الذَّهب. هكذا، عندما حانَت لحظة إلقاء النَّرد، كنتُ أعتمدُ على أن تكون ذكيًّا بما يكفي لأن تعرف أين تقع مصلحتك، ولحُسن حظِّي أن هذا ما حدثَ»، وضربَ الحَجر بالمعدن مرَّةً أخرى بلا طائل.

قال برون وهو يجلس القرفصاء بدوره: «مهلًا، سأفعلها أنا»، وأخذَ الحَجر والخنجر من يد تيريون فأطلقَ الاحتكاك شرارةً من المرَّة الأولى، وبدأ اللِّحاء يشتعل.

- «أحسنت»، قال تيريون. «حثالةً قد تكون، لكنك مفيد حقًّا ولا أحد يُنكِر ذلك، وبسيفٍ في يدك تكاد تُقارِب براعة أخي چايمي. ماذا تُريد إذن يا برون؟ الذَّهب؟ الأرض؟ النِّساء؟ حافظ على حياتي وستنال ما تُريده».

نفخَ برون بهدوءٍ في النَّار فبدأ اللَّهب يتأجَّج، وقال: «وإذا مُتَّ؟».

أجابَ تيريون مبتسمًا: «إذن سينعاني واحد بحُزنٍ حقيقي، فالذَّهب ينتهي مع نهايتي».

كانت النَّار مشتعلةً على أكمل وجهٍ الآن، فنهضَ برون وأعادَ الصوَّان إلى جرابه وألقى إلى تيريون خنجره قائلًا: «اتَّفقنا إذن، سيفي لك، لكن

لا تتوقَّع مني أن أنحني لك كلما قضيت حاجتك. إنني لا أُداهِنُ أحدًا».

- «ولا تُصادِق أحدًا كذلك. لا يُخالِجني أدنى شَكٍّ أنك ستخونني بالسُّرعة نفسها كما فعلت مع الليدي ستارك إذا رأيت في هذا منفعةً لك. أقولُ لك إذن أن تتذكَّر هذا يا برون إذا جاءَ اليوم وشعرت بالإغراء لأن تبيعني: الثَّمن نفسه سأدفعه لك أيًّا كان. إنني أحبُّ الحياة. والآن هل يُمكنك أن تفعل شيئًا بخصوص العثور على عشاءٍ لنا؟».

- «اعتنِ بالحصانين»، قالها برون واستلَّ الخنجر الطَّويل الذي يُثَبِّته إلى وَركه، وغابَ بين الأشجار.

بَعد ساعةٍ كان الحصانان قد دُلِّكا وأكلا وعلى النار تدور فخذ جدي، وقال تيريون: «كلُّ ما نحتاجه الآن هو بعض النَّبيذ».

قال برون: «نبيذ وامرأة ودستة من المُحارِبين». كان جالسًا متقاطع السَّاقين بالقُرب من النَّار يشحذ سيفه، وكان ثمَّة شيء ما مُطَمْئِن في صوت الكشط الذي يُصدِره احتكاك السَّيف بالمشحذ. «سآخذُ المناوَبة الأولى وإن كانت بلا داعٍ حقًّا. من الأرحم أن يقتلونا في منامنا».

قال تيريون ورائحة الشِّواء تُسَيِّل لعابه: «أعتقدُ أنهم سيأتون قبل أن ننام بوقتٍ طويل».

رمقَه برون عبر النار وقال بلهجةٍ محايدة يصحبها كشط الفولاذ: «يبدو أن لديك خُطَّة».

- «إنه أمل بالأحرى، رمية نردٍ أخرى».

- «وحياتنا على المحك؟».

هَزَّ تيريون كتفيه وغمغمَ: «وهل لدينا الخيار؟»، ومالَ على النَّار واقتطعَ شريحةً صغيرةً من لحم الجدي، وأطلقَ تنهيدةً سعيدةً وهو يلوك، وقال والدُّهن يسيل على ذقنه: «أقسى قليلًا مما أحبُّ وتعوزه التَّوابل، لكني لن أشكو. لو أنني في "العُش" الآن، لكنتُ أرقصُ على حافَّة الهاوية طمعًا في الفاصوليا المسلوقة».

- «ومع ذلك أعطيت السجَّان كيسًا من الذَّهب».
- «اللانستر يُسَدِّد ديونه دائمًا».

حتى مورد لم يُصَدِّق نفسه عندما ألقى تيريون إليه بكيس النُّقود الجِلدي، واتَّسعت عينا السجَّان كبيضتين مسلوقتين وهو يفتح الرِّباط ويرى لمعة الذَّهب، وقال له تيريون بابتسامةٍ ساخرة: «احتفظتُ بالفضَّة، لكني وعدتك بالذَّهب، وها هو ذا». كان المبلغ أكبر مما يأمل مورد في أن يجنيه ولو قضى حياته كلها في الإساءة إلى السُّجناء. «وتذكَّر ما قلته لك، هذه مجرَّد عيِّنة. إذا حدثَ وشعرت بالسَّأم من خدمة الليدي آرن، تعالَ إلى كاسترلي روك وسأدفعُ لك بقيَّة ما أدينُ لك به». هوى مورد على رُكبتيه والتَّنانين الذَّهبيَّة تفيض من كلتا يديه ووعدَ بأن يفعل هذا بالضَّبط.

أخرجَ برون خنجره ورفعَ اللَّحم عن النَّار، ثم بدأ يُقَطِّع قطعًا سميكةً منه بينما بدأ تيريون في تفريغ رغيفين من الخُبز البائت ليكونا بمثابة طبقين، وسأله المُرتَزِق وهو يُقَطِّع: «إذا بلغنا النَّهر فعلًا، فماذا سنفعل عندها؟».

- «أوه، عاهرة وفِراش من الرِّيش وإبريق من النَّبيذ كبداية»، أجابَ تيريون وهو يمدُّ يده بطبقه المرتجَل ليملأه برون باللَّحم. «وبَعدها إلى كاسترلي روك أو كينجز لاندنج على ما أظنُّ. إن لديَّ بضعة أسئلةٍ بخصوص خنجرٍ بعينه في حاجةٍ إلى إجابات».

لاكَ المُرتَزِق اللَّحم وازدردَه قائلًا: «كنت تقول الحقيقة إذن؟ الخنجر لم يكن خنجرك؟».

رسمَ تيريون ابتسامةً رفيعةً على شفتيه وقال: «أأبدو كاذبًا لك؟».

كانت النُّجوم قد ظهرَت في السَّماء وارتفعَ الهلال فوق الجبال عندما امتلأت معدتاهما أخيرًا، وفردَ تيريون المعطف المصنوع من جِلد قِط الظِّلِّ على الأرض واتَّخذ من سَرجه وسادةً، وقال: «أصدقاؤنا يستغرقون كلَّ ما لديهم من وقت».

قال برون: «كنتُ لأرتاب في وجود فَخٍّ ما لو كنتُ مكانهم، وإلّا فلِمَ نجلس علانيةً هكذا إن لم يكن لاستدراجهم؟».

ضحكَ تيريون وقال: «علينا أن نُغَنِّي إذن فنجعلهم يُوَلُّون الأدبار»، وبدأ يُطلِق صفَّارةً منغومةً.

- «أنت مجنون أيها القزم»، قال برون وهو يزيل الدُّهن من تحت أظفاره مستخدمًا طرف الخنجر.

- «أين حُبُّك للموسيقى؟».

- «إذا كنت تريد الموسيقى، كان حريًّا بك أن تتَّخذ المغنِّي نصيرًا لك».

ابتسمَ تيريون قائلًا: «لكان هذا طريفًا بالفعل. أستطيعُ أن أتخيَّله يُقاتِل السير ڤارديس بقيثارته»، وعادَ يُواصِل الصَّفير للحظةٍ قبل أن يسأل: «هل تعرف هذه الأغنيَّة؟».

- «أسمعها هنا وهناك في الحانات وبيوت الدَّعارة».

- «أغنيَّة مايريَّة هي، اسمها "مواسم حبيبتي"، جميلة لكن حزينة إذا كنت تفهم الكلمات. أول فتاةٍ ضاجَعتها كانت تُغَنِّيها كثيرًا، ولم أستطِع طردها من رأسي قَطُّ»، ورفعَ تيريون عينيه إلى السَّماء. كانت ليلةً باردةً صافيةً، ونور النُّجوم يَسقُط على أعالي الجبال متألِّقًا بلا رحمةٍ كالحقيقة، وسمعَ تيريون نفسه يقول: «التقيتها في ليلةٍ شبيهةٍ بهذه. چايمي وأنا كنا في طريق العودة من لانسپورت عندما سمعنا صرخةً، ثم خرجَت تجري على الطَّريق وفي أعقابها رجلان يزعقان بالتَّهديدات. امتشقَ أخي سيفه وطاردَهما، بينما ترجَّلتُ أنا لحماية الفتاة. لم تكن تَكبُرني بكثير، فاحمة الشَّعر نحيلة لها ملامح تذيب القلوب، ولقد أذابَت قلبي بلا شك. كانت معدَمةً متَّسخةً وتكاد تموت جوعًا... وإنما جميلةً حقًّا. كانا قد مزَّقا الأسمال التي ترتديها عن ظَهرها، فألبستها معطفي بينما كان چايمي يُطارِدهما في الغابة، ولدى عودته كنتُ قد عرفتُ منها اسمها وقصَّتها.

كانت ابنة مُزارِعٍ صغير، تيتَّمت عندما ماتَ أبوها بالحُمَّى، وكانت في طريقها إلى... ليس إلى مكانٍ معيَّنٍ في الحقيقة. كان چايمي حانقًا ويرغب في العثور على الرَّجلين بأيِّ ثَمن، فنادرًا ما كان يجرؤ الخارجون على القانون على مهاجَمة المسافرين على هذه المسافة القريبة من كاسترلي روك، واعتبرَها إهانةً. غير أن الفتاة كانت مرعوبةً من المغادَرة بمفردها، فعرضتُ أن أصحبها إلى أقرب خانٍ بينما يهرع أخي إلى "الصَّخرة" طالبًا المَدد. كانت جائعةً أكثر مما تخيَّلتُ، وأنهينا دجاجتين كاملتين وجزءًا من ثالثةٍ وشربنا إبريقًا من النَّبيذ ونحن نتكلَّم. كنتُ في الثَّالثة عشر لا أكثر، وأخشى أن النَّبيذ صعدَ إلى رأسي مباشرةً، وإذا بي معها في الفِراش. إذا كانت خجولًا فقد كنتُ أكثر خجلًا، ولا أدري من أين واتَتني الشَّجاعة، ولقد بكَت لمَّا فضَضتُ بكارتها، لكنها قبَّلتني بَعدها وغنَّت هذه الأغنيَّة، ومع مجيء النَّهار كنتُ واقعًا في الحُب».

سأله برون بصوتٍ لاحَ فيه الاستمتاع: «أنت؟».

- «عبث، أليس كذلك؟»، وبدأ يُصَفِّر لحن الأغنيَّة من جديد، قبل أن يقول: «ثم تزوَّجتها».

- «لانستر من كاسترلي روك يتزوَّج ابنة مُزارِع حقير؟ كيف حدثَ هذا؟».

- «سيُدهِشك أن تعرف ما يستطيع صبيٌّ أن يفعله ببضع كذباتٍ وخمسين قطعةٍ من الفضَّة وسِپتون سكِّير. لم أجرؤ على أن آخذ عروسي معي إلى كاسترلي روك بالطَّبع، فوجدتُ لها كوخًا تقيم فيه بمفردها، وطوال أسبوعين كنا كزوجٍ وزوجته حقًّا، ثم أفاقَ السِّپتون واعترفَ بكلِّ شيءٍ لأبي». شعرَ تيريونَ بالدَّهشة من الحُزن الغامر الذي أصابَه وهو يحكي، حتى بَعد كلِّ تلك السِّنين، لكن لعلَّه مُتعَب لا أكثر. اعتدلَ وحدَّق في النَّار التي بدأت تخمد قائلًا: «وكانت هذه نهاية زواجي».

- «هل طردَ أبوك الفتاة؟».

أجابَ تيريون: «بل فعلَ ما هو أفضل. أولًا جعلَ أخي يُخبِرني بالحقيقة. اتَّضح أن الفتاة عاهرة، وأن چايمي دبَّر المسألة كلها، الطَّريق، الخارجين على القانون، كلَّ شيء. خطرَ له أن الوقت قد حان لأن أنام مع امرأة، ودفعَ السِّعر مضاعَفًا لأنه كان يعرف أنها ستكون مرَّتي الأولى. ثم، بَعد اعتراف چايمي بالحقيقة، وكي يتأكَّد من أنه لقَّنني الدَّرس كاملًا، أحضرَ اللورد تايوين زوجتي وأعطاها لحَرسه، ودفَعوا لها جيِّدًا، قطعةً فضِّيَّة لكلِّ رجل. كم عاهرةً تعرفها تتلقَّى أجرًا كهذا؟ أجلسَني في رُكن الثُّكنة وأمرَني بأن أُشاهِد، وفي النِّهاية صارَ معها عدد أكبر من أن أُحصيه من العملات الفضِّيَّة حتى أنها سقطَت من بين أصابعها وتدحرجَت على الأرض، وهي...». كان الدُّخَّان يلسع عينيه، وتنحنحَ تيريون وأشاحَ بنظره عن النَّار رامقًا الظَّلام، ثم قال بهدوء: «جعلني اللورد تايوين آخِر من ضاجَعوها، وأعطاني قطعةً ذهبيَّة لأدفعها لها، لأني ابن لانستر وأعلى شأنًا من الآخَرين».

بَعد فترةٍ سمع الصَّوت من جديد، احتكاك الفولاذ بالحَجر وبرون يشحذ سيفه قائلًا: «في الثَّالثة عشر أو الثَّلاثين أو الثَّالثة، كنتُ لأقتل الرَّجل الذي فعلَ بي هذا».

التفتَ تيريون إليه قائلًا: «قد تنال تلك الفُرصة يومًا. تذكَّر ما قلته لك: اللانستر يُسَدِّد ديونه دائمًا»، ثم تثاءبَ وقال: «أعتقدُ أني سأُحاوِلُ النَّوم. أيقِظني إذا كنا على وشك الموت».

ودثَّر نفسه بالمعطف الذي تمدَّد عليه وأغلقَ عينيه. كانت الأرض قاسيةً باردةً، لكن تيريون لانستر غابَ في النَّوم بَعد فترة، وحلمَ بزنزانة السَّماء، وهذه المرَّة كان هو السجَّان وليس السَّجين، كبير الحجم يحمل سوطًا في يده يضرب به أباه، يدفعه إلى الوراء صوب الهاوية...

- «تيريون»، قال صوت برون بإلحاح خافت.

واستيقظَ تيريون على الفور. لم يتبقَّ من النَّار غير بعض الجَمرات،

والظِّلال كانت تزحف في كلِّ اتِّجاهٍ حولهما، وبرون على رُكبةٍ واحدةٍ حاملًا سيفه في يد وخنجره في الأخرى. رفعَ تيريون يدًا تأمره بالثَّبات، ثم وجَّه كلامه للظِّلال وقال: «انضمُّوا إلينا حول النَّار، فاللَّيل بارد. أخشى أن لا نبيذ لدينا لنُقَدِّمه لكم، لكن يُمكنكم اقتسام جدْينا معنا».

توقَّفت الحركة كلها في آنٍ واحد، ورأى تيريون لمعة نور القَمر على المعدن. «هذا جبلنا»، قال صوت قاسٍ عميق بلا لمحة وُدٍّ من بين الأشجار. «وجدْينا».

قال تيريون: «جديكم، لا بأس. من أنتم؟».

أجابَه صوت آخَر: «عندما تلتقي بآلهتك، قُل لها إن جونثر بن جورن من قبيلة الغِربان الحَجريَّة هو من أرسلك إليها»، وانكسرَ فرع تحت قدميه وهو يخطو إلى الضَّوء. كان رجلًا نحيفًا مسلَّحًا بسكِّينٍ طويلٍ ويرتدي خوذةً ذات قرنين.

قال الصَّوت الأول العميق: «وشاجا بن دولف»، وتحرَّك جلمود إلى يسارهما ونهضَ واستحالَ إلى رجل. بدا عملاقًا بطيئًا قويًّا وقد ارتدى الجِلد وأمسكَ هرَّاوةً بيُمناه وبلطةً بيُسراه، وضربَهما معًا وهو يتقدَّم متثاقلًا.

ارتفعَت أصوات أخرى تُنادي بأسماءٍ أخرى، كون وتوريك وچاجوت والمزيد مما نساه تيريون لحظة أن سمعه، عشرة على الأقل. بعضهم كان يحمل السُّيوف والسَّكاكين، والبعض الآخَر لوَّح بالمذاري والمناجل والحراب الخشبيَّة، وانتظرَ تيريون حتى فرغوا من ترديد أسمائهم ثم أجابَ: «أنا تيريون بن تايوين من قبيلة لانستر، أسود "الصَّخرة"، وسيَسُرُّنا أن ندفع ثَمن الجدي الذي أكلناه».

سأله المدعو جونثور الذي يبدو أنه كبيرهم: «وماذا لديك لتُعطينا إياه يا تيريون بن تايوين؟».

قال لهم تيريون: «هناك فضَّة في كيس نقودي، وهذا القميص الواقي

الذي أرتديه كبير عليَّ، لكنه سيُناسِب كون، والبلطة الحربيَّة التي أحملها تُلائِم يد شاجا القويَّة أكثر من بلطة الخشب التي يحملها».

قال كون: «النِّصف رجل يرغب في أن يدفع لنا من مالنا».

قال جونثور: «كون يقول الحق. الفضَّة لنا، والحصانان لنا، وقميصك وبلطتك وهذا السكِّين في حزامك لنا أيضًا. ليس هناك ما تمنحانا إياه غير حياتكما. كيف تُريد أن تموت يا تيريون بن تايوين؟».

أجابَ تيريون: «في فِراشي، في سِنِّ الثَّمانين، بمعدةٍ مليئةٍ بالنَّبيذ وفم فتاةٍ يُحيط بقضيبي».

ضحكَ الضَّخم المدعو شاجا بصوتٍ مُدَوٍّ بينما لم يبدُ الآخَرون مسرورين، ثم قال جونثور: «كون، خُذ الحصانين. اقتلوا الآخَر وخُذوا النِّصف رجل. يُمكنه أن يحلب الماعز ويَرقُص للأمَّهات».

وثبَ برون إلى قدميه قائلًا: «من سيموت أولًا؟».

- «لا!»، صاح تيريون بحدَّة. «جونثور بن جورن، اسمعني أولًا. إن عائلتي ثريَّة. إذا اصطحبَنا رجال الغِربان الحَجريَّة عبر هذه الجبال بأمان، سيُمطِركم أبي بالذَّهب».

قال جونثور: «ذهب سادة الأراضي المنخفضة بلا قيمةٍ هنا، تمامًا كوعد النِّصف رجل».

قال تيريون: «قد أكون نِصف رجل، لكني أملك شَجاعة مواجَهة أعدائي. ماذا يفعل رجال الغِربان الحَجريَّة غير الاختباء وراء الصُّخور والارتجاف أثناء مرور فُرسان "الوادي"؟».

هدرَ شاجا غاضبًا وضربَ البلطة بالهرَّاوة، بينما وكزَ چاجوت وجه تيريون بطرف الحربة الخشبيَّة الطَّويلة المقوَّى بالنَّار، وبذلَ تيريون قصارى جهده كي لا يُجفِل، وقال: «أهذه أفضل أسلحةٍ استطعتم سرقتها؟ إنها تَصلُح لقتل الخراف ربما... إذا لم تُقاوِم الخراف. إن حدَّادي أبي يتغوَّطون فولاذًا أفضل».

زمجرَ شاجا قائلًا: «دعنا نرى إن كنت ستسخر من بلطتي عندما أقطعُ ذَكرك وأُطعِمه للماعز».

لكن جونثور رفعَ يده وقال: «كلا، أريدُ أن أسمع ما لديه. الأمَّهات جائعات، والحديد يملأ أفواهًا أكثر من الذَّهب. ماذا ستُعطينا مقابل حياتيكما يا تيريون بن تايوين؟ سيوفًا؟ رماحًا؟ دروعًا؟».

أجابَ تيريون لانستر مبتسمًا: «سأعطيكم كلَّ هذا وأكثر يا جونثور بن جورن، سأعطيكم وادي آرن».

إدارد

انصبَّ ضوء الغروب عبر نوافذ القلعة الحمراء العالية الضيِّقة على أرضيَّة قاعة العَرش الضَّخمة، صانعًا خطوطًا حمراء داكنةً على الجدران حيث كانت جماجم التَّنانين معلَّقةً من قبل، أمَّا الآن فهي مغطَّاةٌ بالسَّتائر المزدانة بمَشاهد الصَّيد بألوانٍ زاهيةٍ من الأخضر والبُنِّي والأزرق، وإن بدا لند ستارك أن اللَّون الأوحد الذي بسطَ سلطانه على القاعة هو الأحمر الدَّموي لا غير.

جلسَ عاليًا على مقعد إجون الفاتِح الهائل العتيق، ذلك الوحش الحديدي الذي قُدَّ بدنه من الخوازيق والنِّصال المحزَّزة والمعادن التي تشابكَت معًا بشكلٍ مشوَّه. كان كما حذَّره روبرت تمامًا، كرسيًّا جحيميًّا لا يمنح أدنى قَدرٍ من الرَّاحة، لاسيِّما الآن أكثر من أيِّ وقت آخَر مع ساقه المكسورة التي يتضاعَف ألمها المُضني مع مضيِّ كلِّ دقيقة، بينما تزداد صلابة المعدن من تحته كلما استمرَّ في الجلوس عليه، وقد جعلَ الفولاذ المدبَّب كالأنياب والمخالب من ورائه الاستناد مستحيلًا. *لا ينبغي أن يجلس المَلك مستريحًا أبدًا*، قال إجون الفاتِح عندما أمرَ حدَّاديه ببناء عَرشٍ عظيمٍ من سيوف أعدائه المستسلمين، وفكَّر ند بكآبة: *عليه اللَّعنة إجون وغطرسته، وعليه اللَّعنة روبرت وصيده.*

- «متأكِّد من أنهم كانوا أكثر من مجرَّد لصوص؟»، سألَ ڤارس بنبرةٍ ناعمةٍ من مكانه على مائدة المجلس أسفل العَرش، وتململَ المِايستر

پايسل في جلسته إلى جواره، بينما كان الإصبع الصَّغير يُداعِب قلمًا موضوعًا أمامه. كانوا الوحيدين الحاضرين من مستشاري المَلك، بَعد أن شوهِد أيل في غابة الملوك وغادرَ اللورد رنلي والسير باريستان للانضمام إلى المَلك روبرت في صيده، ومعهما الأمير چوفري وساندور كليجاين وبالون سوان ونِصف البلاط، فوقعَ الجلوس على العَرش الحديدي في غيابه على عاتق ند.

لكنه كان جالسًا على الأقل، فبخلاف المجلس يجب أن يقف الجميع باحترام أو يركعوا، وقد احتشدَ المتظلِّمون عند الأبواب الطَّويلة، والفُرسان وكبار السَّادة والسيِّدات تحت السَّتائر الزَّاهية، والعامَّة في الشُّرفة، بالإضافة إلى الحَرس ذوي المعاطف الذَّهبيَّة أو الرَّماديَّة... كلهم كانوا واقفين بلا استثناء. في الآن نفسه كان القرويُّون راكعين، رجالهم ونساؤهم وأطفالهم على حدٍّ سواء جرحى ممزَّقو الثِّياب وقد تجلَّى الخوف على ملامحهم، بينما وقف وراءهم الفُرسان الثَّلاثة الذين جاءوا بهم إلى هنا ليُدلوا بشهادتهم.

- «لصوص يا لورد ڤارس؟»، قال السير رايمون داري بصوتٍ يَقطُر ازدراءً. «نعم، كانوا لصوصًا بلا أدنى شَك، لصوص لانستر».

أحسَّ ند بالاضطراب السَّائد في القاعة وقد أرهفَ اللوردات والخدم في آنٍ واحدٍ أسماعهم ليُصغوا، ولم يكن بإمكانه أن يتظاهَر بالدَّهشة، فغَرب البلاد كله ملتهبٌ منذ قبضَت كاتلين على تيريون لانستر، وكلٌّ من كاسترلي روك وريڤرزَن استدعَت راياتها بالفعل، والجيوش تحتشد على الممرِّ الواقع عند قلعة النَّاب الذَّهبي. هي مسألة وقتٍ فقط حتى يبدأ الدَّم في التدفُّق، والسُّؤال الوحيد الذي تبقَّى هو كيف يوقَف النَّزيف بأفضل طريقةٍ ممكنة.

أشارَ السير كاريل ڤانس ذو العينين الحزينتين، الذي كان ليتحلَّى بالوسامة لولا الوحمة الخمريَّة التي تشوب وجهه، إلى القرويِّين الجاثين

وقال: «هؤلاء هُم كل ما تبقَّى من معقل شيرر أيها اللورد إدارد. الآخَرون كلهم موتى، بالإضافة إلى أهل ويندش تاون ومخاضة الممثِّلين».

- «انهضوا»، قال ند للقرويِّين. كان لا يثق أبدًا بما يقوله أيُّ رجلٍ وهو جاثٍ على رُكبتيه. «كلكم، انهضوا».

نهضَت البقيَّة الباقية من أهل معقل شيرر فرادى وأزواجًا، واحتاجَ أحد الشُّيوخ مُساعَدةً للوقوف على قدميه، بينما ظلَّت فتاة شابَّة في فُستان دامٍ على رُكبتيها تُحَدِّق مشدوهةً في السير آريس أوكهارت، الذي وقفَ عند قاعدة العَرش في دِرع الحَرس المَلكي البيضاء، مستعدًّا للدِّفاع عن المَلك... أو -كما افترَض ند- عن يَدِ المَلك.

- «چوس»، قال السير رايمون داري لرجلٍ أصلع يرتدي مئزر صانعي البيرة. «احكِ لحضرة اليَدِ ما حدثَ في شيرر».

هَزَّ چوس رأسه وقال: «إذا سمحَ جلالته...».

- «جلالته خرجَ للصَّيد على الضفَّة الأخرى من النَّهر الأسود»، قاطَعه ند متسائلًا كيف يُمكن لرجلٍ أن يعيش طوال حياته على بُعد أيامٍ قليلةٍ من القلعة الحمراء ويزال لا يملك أدنى فكرةٍ عن شكل مَلكه. كان ند يرتدي سُترةً من الكتَّان الأبيض على صدرها ذِئب ستارك الرَّهيب، بينما ثبَّت شارة منصبه الفضِّيَّة على ياقة معطفه الصُّوفي الأسود. أسودَ وأبيضَ ورمادي... جميع درجات الحقيقة. «أنا اللورد إدارد ستارك، يَدُ المَلك. أخبِرني من تكون وما تعرفه عن هؤلاء المُغيرين».

- «لديَّ... كان... كان لديَّ حانة يا سيِّدي، في شيرر، عند الجسر الحَجري، أفضل مِزرٍ[1] على الإطلاق جنوب "العُنق" يا سيِّدي، الكلّ كانوا يقولون هذا إذا سمحَ لي سيِّدي. لم يَعُدْ لها وجود الآن ككلِّ شيءٍ آخَر يا سيِّدي. جاءوا وشربوا حتى الثُّمالة ثم سكَبوا البقيَّة وأشعلوا النَّار في السَّقف، وكانوا ليُريقوا دمي أيضًا لو أمسَكوا بي يا سيِّدي».

(1) المِزر نوع من البيرة يستغرق فترةً أقصر حتى يختمر ومذاقه غير مُر.

قال مُزارِع يقف إلى جواره: «أحرَقوا كلَّ شيء، جاءوا في الظَّلام من الجَنوب وأشعَلوا النَّار في الحقول والبيوت، وقتَلوا كلَّ من حاولَ التصدِّي لهم. لكنهم لم يكونوا مُغيرين يا سيِّدي، فلم يسرقوا شيئًا من ماشيتنا، بل ذبَحوا بقرتي في مكانها وترَكوها للذُّباب والغِربان».

- «وقتَلوا مُساعِدي»، قال رجل قصير ممتلئ ذو عضلات حدَّادٍ وضمَّادةٍ حول رأسه. كان قد ارتدى أفضل ثيابه للمجيء إلى البلاط، لكن سرواله كان مرقَّعًا ومعطفه مبقَّعًا مغبَّرًا. «طارَدوه هنا وهناك في الحقول على ظَهر الخيول، يكزونه برماحهم كأنها لُعبة ويضحكون، والولد يجري ويتعثَّر صارخًا، إلى أن طعنَه الكبير برُمحه».

رفعَت الفتاة الجاثية على رُكبتيها عينيها إلى ند الجالس عاليًا على العَرش، وقالت: «وقتَلوا أمي أيضًا يا جلالة المَلك، ثم... ثم...»، وبترَت عبارتها كأنها نسيَت ما كانت ستقوله، وانفجرَت باكيةً.

تكلَّم السير رايمون داري قائلًا: «في ويندش تاون لاذَ النَّاس بالمعقل هناك، لكن الأسوار كانت من الخشب، فكوَّم المُغيريون القَشَّ وأحرقوهم أحياء، وعندما فتحَ أهل البلدة البوَّابات ليهربوا من الحريق، أطلقوا عليهم السِّهام جميعًا بلا استثناء، حتى النِّساء والرُّضَّع».

غمغمَ ڤارس: «هذا شنيع. يا لوحشيَّة البَشر!».

قال چوس: «كانوا ليفعلوا المِثل معنا لولا أن معقل شيرر مبني بالحجارة. أرادَ بعضهم إشعال النَّار لدفعنا للخروج كذلك، لكن الكبير قال إن هناك فواكه أنضج في اتِّجاه منبع النَّهر، واتَّجهوا إلى مخاضة الممثِّلين».

كان ند يَشعُر بالفولاذ البارد تحت أصابعه، ومن بين كلِّ إصبعين يَخرُج نصل وقد برزَت رؤوس السُّيوف المشوَّهة كبراثن الطُّيور الجارحة على ذراعيْ العَرش، وحتى بَعد ثلاثة قرونٍ كاملةٍ كان بعضها لا يزال حادًّا بما يكفي لأن يجرح. العَرش الحديدي مليء بالشِّراك لغير

المُنتبِه، وتقول الأغاني إنه مصنوع من ألف سيفٍ سُخِّنَت حتى اتَّقدت في أتون أنفاس الرُّعب الأسود بالريون، بينما استغرقَ دقُّها تسعةً وخمسين يومًا؛ فكانت النتيجة هذا الوحش الأسود المحدَّب المصنوع من النِّصال الشَّائكة، المقعد الذي يستطيع أن يَقتُل رجلًا... ولقد حدثَ هذا بالفعل إذا صدَّقت الحكايات.

لم يستطِع إدارد ستارك استيعاب ما يفعله بجلوسه هناك، لكن ها هو جالسٌ وهؤلاء النَّاس ينشدون منه العدالة. سألَ مُحاوِلًا السَّيطرة على غضبه: «أيُّ دليلٍ لديكم أنهم كانوا من رجال لانستر؟ هل كانوا يرتدون المعاطف القرمزيَّة أو يرفعون رايات الأسد؟».

- «حتى رجال لانستر ليسوا بهذا الغباء الأعمى»، قال السير مارك پايپر محتدًّا. كان شابًّا مزهوًّا بنفسه كديكٍ صغير، أصغر سنًّا وأحرَّ دماءً مما يروق لند، وإن كان صديقًا وفيًّا لإدميور تَلي أخي كاتلين.

أجابَ السير كاريل بهدوء: «كلهم كانوا يمتطون الخيول ويرتدون الدُّروع يا سيِّدي، ومسلَّحين برماحٍ ذات رؤوسٍ فولاذيَّةٍ وسيوفٍ طويلةٍ وفؤوسٍ حربيَّةٍ جاهزة للذَّبح»، وأشارَ إلى واحدٍ من النَّاجين البائسين وقال: «أنت. نعم، أنت. لا تخف، لن يُؤذيك أحد. أخبِر حضرة اليَد بما أخبَرتني به».

حنى العجوز رأسه قائلًا: «الخيول التي امتطوها كانت خيولًا حربيَّةً. لقد عملتُ في اسطبلات السير ويلوم لسنواتٍ طويلةٍ وأعرفُ الفارق. ولا واحد منها كان يُستَخدَم للجَرِّ أو الحرث، ولتشهد الآلهة عليَّ إذا كنتُ مخطئًا».

قال الإصبع الصَّغير: «لصوص يمتطون خيولًا حربيَّةً. من الوارد أنهم سرَقوها من آخِر مكانٍ أغاروا عليه».

سألَ ند: «كم كان عددهم؟».

- «مئة على الأقل»، أجابَ چوس في اللَّحظة نفسها التي قال فيها

الحدَّاد ذو الضمَّادة: «خمسين»، وقالت الجدَّة التي تقف وراءه: «مئات ومئات يا سيِّدي، كانوا جيشًا».

- «أنتِ مصيبةٌ أكثر مما تحسبين أيتها المرأة الطيِّبة»، قال اللورد إدارد لها. «تقولون إنهم لم يرفعوا أيَّ رايات، فماذا عن الدُّروع التي ارتَدوها؟ هل لاحظَ أحدكم أيَّ زينةٍ أو زخارفٍ أو رموزٍ على صدورهم أو خوذاتهم؟».

هَزَّ چوس صانع البيرة رأسه وقال: «يؤسفني أن أجيب بالنَّفي يا سيِّدي، لم تكن هناك علامات مميِّزة على دروعهم، لكن قائدهم... قائدهم كان يرتدي دِرعًا تقليديَّةً مثلهم، لكن لا يُمكن الخلط بينه وبين غيره إطلاقًا. إنه حجمه سيِّدي. من الواضح أن الذين يقولون إن العمالقة كلهم ماتوا لم يروه. أقسمُ أنه كان ضخمًا كالثِّيران وصوته يفلق الحَجر».

قال السير مارك پايپر بصوتٍ مرتفع: «الجبل! أهناك من يَشُكُّ في هذا؟ إنه عمل السير جريجور كليجاين».

سمعَ ند همهمةً من تحت النَّوافذ وطرف القاعة الأقصى، وحتى في الشُّرفة تبادلَ الحاضرون الهمسات المتوتِّرة. كان السَّادة والعامَّة على حَدٍّ سواء يعرفون ما يعنيه أن تَثبُت صحَّة قول السير مارك، فالسير جريجور من حمَلة راية اللورد تايوين لانستر. تطلَّع إلى وجوه القرويِّين الخائفة ولم يرَ عجبًا في كونهم مرعوبين لهذه الدَّرجة، إذ حسبوا أنهم جيء بهم إلى هنا لتسمية جزَّار اللورد تايوين الذي تلوَّثت يداه بدمائهم أمام المَلك الذي يُعَدُّ ابنًا له بالزَّواج من ابنته المَلكة. تساءلَ إن كان الفُرسان قد ترَكوا لهم الخيار.

نهضَ المِايستر الأكبر پايسل متثاقلًا والسِّلسلة المحيطة بعُنقه ترنُّ بصوتٍ خافت، وقال: «السير مارك، مع احترامي، لكنك لا تستطيع الجزم بأن ذلك المجرْم هو السير جريجور، فهناك الكثير من الرِّجال ضخام الجثَّة في البلاد».

قال السير كاريل: «ضخام كالجبل راكب الخيول؟ لم أرَ أحدًا كذلك قَطُّ».

أضافَ السير رايمون بحرارة: «ولا رأى أيُّ رجلٍ هنا. أخوه نفسه يبدو كالجرو الصَّغير مقارنةً به. افتحوا أعيُنكم أيها السَّادة. أيجب أن تروا ختمه على الجثث؟ إنه جريجور».

سأله پايسل: «ولماذا يتَّجه السير جريجور إلى اللُّصوصيَّة؟ إنه بفضل سيِّده ولي الأمر يملك قلعةً كبيرةً وأراضيه الخاصَّة، كما أنه فارس منصَّب».

صاحَ السير مارك: «فارس زائف! إنه كلب اللورد تايوين المجنون!».

خاطبَ پايسل ند بصوتٍ جافٍّ قائلًا: «حضرة اليَد، أُناشِدك أن تُذَكِّر هذا الفارس بأن اللورد تايوين أبو مَلكتنا الكريمة».

قال ند: «شكرًا أيها المِايستر الأكبر، أخشى أننا كنا سننسى هذا لو لم تُذَكِّرنا».

من موقعه العالي على العَرش رأى البعض ينسلُّون من الباب في طرف القاعة الأقصى، أرانب خائفة عائدة إلى جحورها تحت الأرض ربما، أو جرذان سرسي الطَّامعة في الفتات الذي تُلقيه إليها، ثم لمحَ السِّپتة موردن واقفةً في الشُّرفة وإلى جوارها ابنته سانزا. شعرَ ند بالغضب، فهذا ليس مكانًا لفتاة، مع أن السِّپتة لم تكن لتعرف أن البلاط اليوم سيختلف عن الملل المعتاد بين المتظلِّمين والملتمسين وفَضِّ النِّزاعات بين المعاقل المتنازعة وإعادة رسم الحدود بينها.

على مائدة المجلس أسفله فقدَ پيتر بايلش اهتمامه بريشة الكتابة، ومالَ إلى الأمام قائلًا: «السير مارك والسير كاريل والسير رايمون، هل تسمحون لي بسؤال؟ تلك المعاقل واقعة تحت حمايتكم، فأين كنتم وقت حدوث كلِّ هذا القتل والحرق؟».

أجابَ السير كاريل ڤانس: «كنتُ في صُحبة السيِّد والدي على الممرِّ

عند النَّاب الذَّهبي، وكذلك كان السير مارك. ثم عندما بلغَت أخبار هذه المذابح السير إدميور تَلي، أرسلَ إلينا وأمرَنا بأن نأخذ قوَّةً صغيرةً من الرِّجال لنجد أيَّ ناجين ونأخذهم إلى المَلك».

وقال السير رايمون داري: «كان السير إدميور قد استدعاني إلى ريفَرَن ومعي كلُّ قوَّاتي، وكنتُ مخيِّمًا خارج أسواره في انتظار أوامره عندما أتاني الخبر، ولدى استطاعتي العودة إلى أرضي كان كليجاين وهوامه قد عادوا يَعبُرون فرع الثَّالوث الأحمر واتَّجهوا إلى تلال لانستر».

ملَّس الإصبع الصَّغير على لحيته الصَّغيرة المدبَّبة، وقال: «وماذا لو عادوا ثانيةً؟».

قال السير مارك پايپر منفعلًا: «لو عادوا سنروي الحقول التي أحرَقوها بدمائهم».

وأضافَ السير كاريل: «السير إدميور أرسلَ رجالًا إلى كلِّ قريةٍ ومعقلٍ على بُعد يومٍ من الحدود. إذا أغاروا مرَّةً أخرى فلن تكون المسألةَ بالسُّهولة نفسها».

فكَّر ند: *وقد يكون هذا ما يرغب فيه اللورد تايوين بالتَّحديد، أن يُشتِّت قوى ريفَرَن ويُجبِر الصَّبي إدميور على توزيع رجاله هنا وهناك*. كان أخو زوجته صغيرًا، يتحلَّى بالشَّجاعة أكثر من الحكمة، ولا ريب أنه سيُحاوِل الحفاظ على كلِّ شبرٍ من أرضه، والدِّفاع عن كلِّ رجلٍ وامرأةٍ وطفلٍ يعتبره ولي أمره، وتايوين لانستر داهية حقيقي ويُدرِك هذا جيِّدًا.

قال اللورد پيتر: «إذا كانت حقولكم ومعاقلكم آمنةً الآن من الأذى، فماذا تَطلُبون من العَرش؟».

أجابَ السير رايمون داري: «لوردات الثَّالوث يُحافِظون على سلام المَلك، بينما عكَّره آل لانستر. إننا نَطلُب الإذن بالرَّدِّ عليهم، العين بالعين والفولاذ بالفولاذ، نَطلُب العدالة لأهالي ويندش تاون وشيرر ومخاضة الممثِّلين».

وقال السير مارك: «إدميور يتَّفق معنا، يجب أن يدفع جريجور كليجاين الثَّمن بعُملته الدَّامية، لكن اللورد هوستر أمرَنا بأن نأتي ونأخذ الإذن من المَلك أولًا قبل أن نضرب ضربتنا».

الشُّكر للآلهة على اللورد هوستر إذن. تايوين لانستر ليس أسدًا فحسب، بل هو ثعلب كذلك. إذا كان قد أرسلَ السير جريجور ليحرق ويَقتُل بالفعل -ولم يكن لدى ند شَكٌّ في صحَّة هذا- فقد عملَ على أن يفعلها مستترًا بظلام اللَّيل دون راياتٍ وفي هيئة لِصٍّ تقليدي، فإذا ردَّت ريفرَن الضَّربة، ستُصِرُّ سرسي وأبوها على أن آل تَلي هُم من عكَّروا سلام المَلك وليس آل لانستر، والآلهة وحدها تعلم من الذي سيُصَدِّقه روبرت.

نهضَ المِايستر الأكبر پايسل مجدَّدًا وقال: «حضرة اليَد، إذا كان هؤلاء القوم الطيِّبون يحسبون أن السير جريجور هجرَ نذوره إلى النَّهب والاغتصاب، فليذهبوا إلى ولي أمره إذن ويُقَدِّموا له شكواهم، فالعَرش لا علاقة له بهذه الجرائم. فليسعوا إلى العدالة لدى اللورد تايوين».

قال ند: «كلها عدالة المَلك. شَمالًا وجَنوبًا وشَرقًا وغَربًا، كلُّ ما نفعله نفعله باسم روبرت».

قال پايسل: «عدالة المَلك. لنُؤَجِّل هذه المسألة إذن حتى...».

قاطَعه اللورد إدارد: «المَلك في رحلة صيدٍ على الجانب الآخَر من النَّهر وقد لا يعود قبل أيام، وقد أمرَني روبرت بأن أجلس هنا في مكانه، أسمع بأُذنيه وأتكلَّم بصوته، وهذا ما أنوي أن أفعله بالضَّبط... وإن كنتُ أتَّفقُ معك على ضرورة إخباره»، ولمحَ وجهًا مألوفًا تحت واحدةٍ من النَّوافذ، فقال: «سير روبار».

تقدَّم السير روبار رويس وانحنى قائلًا: «سيِّدي».

- «أبوك مع المَلك في صيده، أليس كذلك؟ هلَّا ذهبت إليهما بأخبار ما قيلَ وحدثَ هنا اليوم؟».

- «في الحال يا سيِّدي».

وجَّه مارك پايپر سؤاله للعَرش: «ألدينا الإذن بأن نُنزِل انتقامنا بالسير جريجور إذن؟».

قال ند: «انتقامكم؟ حسبتُ أننا نتكلَّم عن العدالة، بينما لن يَرُدَّ إحراق أراضي كليجاين وقتل قومه سلام المَلك، بل كرامتكم الجريحة فقط»، وأشاحَ ببصره قبل أن يعلو صوت الفارس الشَّاب بالاحتجاج الغاضب، وقال: «يا أهل شيرر، لا أقدرُ على إعادة بيوتكم أو محاصيلكم، ولا أستطيعُ إعادة موتاكم إلى الحياة، لكن ربما يُمكنني أن أمنحكم قَدرًا صغيرًا من العدالة باسم مَلكنا روبرت».

ركَّز كلٌّ من في القاعة أنظارهم عليه منتظرين، وببُطءٍ نهضَ ند دافعًا نفسه عن العَرش معتمدًا على قوَّة ذراعيه وساقه المهشَّمة تَصرُخ داخل الجبيرة. بذلَ جهده كله كي يتجاهَل الألم، فهذه ليست اللَّحظة الملائمة على الإطلاق لأن يروا ألمه، وبحزم قال: «كان البَشر الأوائل يؤمنون بأن القاضي الذي يُصدِر الحُكم عليه أنْ يُنزِل العقوبة بنفسه، وفي الشَّمال ما زلنا نتمسَّك بهذا. أكرهُ حقًّا أن أبعث آخَرين ليَقتُلوا نيابةً عني... (وأشارَ إلى ساقه المكسورة)... لكن يبدو أني لا أملكُ الخيار».

- «لورد إدارد!»، جاءَت الصَّيحة من طرف القاعة الغَربي بينما تقدَّم صبيٌّ مراهق بخطواتٍ واسعةٍ قويَّة، وبدا السير لوراس تايرل أصغر من سنين عُمره الستة عشر من دون دِرعه، وقد ارتدى قميصًا من الحرير الأزرق الفاتح وطوَّق وسطه حزام من الورود الذَّهبيَّة، رمز عائلته. «ألتمسُ منك شَرف الإنابة عنك. كلِّفني بهذه المهمَّة يا سيِّدي وأقسمُ أني لن أخذلك».

قال الإصبع الصَّغير ضاحكًا: «سير لوراس، إذا أرسلناك وحدك، سيُعيد السير جريجور رأسك إلينا وقد حشا فمك الجميل هذا بحبَّة برقوق. الجبل ليس من النَّوع الذي يحني رأسه لعدالة أيِّ أحد».

قال السير لوراس بغطرسة: «لستُ أخاف جريجور كليجاين».

عادَ ند يجلس بهدوءٍ على عَرش إجون المشوَّه، وبحثَت عيناه في الوجوه المحيطة، قبل أن يُنادي: «لورد بريك، ثوروس المايري، السير جلادن، لورد لوثار». تقدَّم الأربعة الذين نادى على أسمائهم واحدًا تلو الآخَر، فخاطَبهم قائلًا: «ليجمع كلٌّ منكم عشرين رجلًا للذِّهاب بأوامري إلى قلعة جريجور، وسيصحبكم عشرون من حَرسي الخاص. لورد بريك دونداريون، القيادة لك كما يليق برُتبتك».

انحنى اللورد الشَّاب ذو الشَّعر الأحمر الذَّهبي وقال: «أمرك أيها اللورد إدارد».

رفعَ ند صوته كي يَبلُغ كلَّ من في القاعة: «باسم روبرت الأول سليل عائلة باراثيون، مَلك الأنداليِّين والروينار والبَشر الأوائل، سيِّد المَمالك السَّبع وحامي البلاد، بأمر إدارد ابن عائلة ستارك، يَدِ المَلك، أكلِّفكم بالتوجُّه إلى الأراضي الغربيَّة بكلِّ سرعة، وأن تَعبُروا فرع الثَّالوث الأحمر تحت راية المَلك، وتُنزِلوا عدالة المَلك بالفارس الزَّائف جريجور كليجاين وكلِّ من اشترَكوا معه في جرائمه. إنني أدينه، وأندِّدُ به، وأجرِّده من كُلِّ الرُّتب والألقاب، وجميع الأراضي والدُّخول والأملاك، وأحكمُ عليه بالموت. لتغفر الآلهة لروحه».

عندما تلاشى صدى آخِر كلماته قال فارس الزُّهور وقد بدا مرتبكًا: «لورد إدارد، وماذا عني؟».

تطلَّع إليه ند، ومن على هذا الارتفاع بدا لوراس تايرل صغيرًا كروب. «لا أحد يُشَكِّك في شَجاعتك يا سير لوراس، لكننا ننشد العدالة هنا، بينما ما تسعى إليه أنت هو الانتقام»، ثم نظرَ إلى اللورد بريك وقال: «تحرَّكوا في الصَّباح الباكر، فمن الأفضل إنجار هذه الأشياء بسُرعة»، ورفعَ يده مضيفًا: «لن يسمع العَرش المزيد من التظلُّمات اليوم».

صعدَ آلين وپورثر درجات العَرش المنحدرة لمُساعَدته على النُّزول،

وشعرَ ند بنظرات لوراس تايرل الواجمة، وإن انسلَّ الصَّبي مغادرًا لدى وصول ند إلى أرضيَّة القاعة. كان الإصبع الصَّغير والمِايستر پايسل قد غادرا بالفعل، بينما كان ڤارس يجمع أوراقه من على مائدة المجلس عند قاعدة العَرش الحديدي، وقال الخَصِيُّ بنعومة: «أنت أجرأ مما حسبتُ يا سيِّدي».

سأله ند بفظاظة: «وكيف هذا؟». كانت ساقه تؤلمه بشدَّةٍ ومزاجه لا يسمح بالألعاب اللَّفظيَّة.

- «كنتُ لأُرسِل السير لوراس لو كنتُ مكانك. لقد أرادَ الذِّهاب بشدَّة... ومن مصلحة الرَّجل الذي يجعل من آل لانستر أعداءه أن يجعل من آل تايرل أصدقاءه».

قال ند: «السير لوراس ما زال صغيرًا، وأعتقدُ أنه سينسى خيبة أمله».

ملَّس الخَصِيُّ على وجنته الممتلئة المغطَّاة بالمساحيق، وقال: «وماذا عن السير إلين؟ إنه عدالة المَلك، وإرسال غيره للقيام بمهامِّه... قد يُفَسِّر البعض هذا بأنه إهانة».

- «لم أكن أقصد أيَّ إهانة». في الحقيقة لم يكن ند يثق بالفارس الأخرس، وإن كان السَّبب ربما أنه يكره الجلَّادين عمومًا. «ودعني أذكِّرك بأن آل پاين من حمَلة راية آل لانستر، وقد آثرتُ أن أختار رجالًا لا يدينون لتايوين لانستر بالولاء».

قال ڤارس: «تفكير حكيم لا شك، لكني رأيتُ السير إلين في مؤخِّرة القاعة يُحَدِّق فينا بعينيه الشَّاحبتين هاتين، وأجرؤُ على القول إنه لم يبدُ مسرورًا، وإن كان من الصَّعب تحديد هذا دائمًا مع فارسنا الصَّامت. آملُ أن ينسى خيبة أمله بدوره، فهو يُحِبُّ عمله حقًّا».

سانزا

ليلتها روَت سانزا لچين پوول ما شهدَته في قاعة العَرش وهما تتناولان عشاءً باردًا على ضوء المصباح: «رفضَ إرسال السير لوراس تمامًا. أظنُّ أن ساقه هي السَّبب».

كان اللورد إدارد قد تناولَ عشاءه في غُرفة نومه مع آلين وهاروين وڤايون پوول ليُريح ساقه المكسورة، واشتكَت السِّپتة موردن من ألمٍ في قدميها بَعد الوقوف في الشُّرفة طوال اليوم، بينما كان من المفترَض أن تنضمَّ آريا إليهما، لكنها تأخَّرت في العودة من دروس الرَّقص.

- «ساقه؟»، سألت چين بحيرة. كانت فتاةً حسناء ذات شَعرٍ أسود في عُمر سانزا. «هل حدثَ شيء لساق السير لوراس؟».

- «ليست ساقه هو»، قالت سانزا وهي تقضم برقَّةٍ من وَرك دجاجة. «ساق أبي أيتها السَّخيفة. إنها تُؤلمه كثيرًا وتجعل مزاجه متعكِّرًا، وإلَّا لكان أرسلَ السير لوراس، أنا متأكِّدة».

كان قرار أبيها لا يزال يُحَيِّرها. عندما تكلَّم فارس الزُّهور في قاعة العَرش كانت واثقةً من أنها على وشك أن ترى واحدةً من قصص العجوز نان القديمة تتحقَّق على أرض الواقع: السير جريجور هو الوحش والسير لوراس هو البطل الحقيقي الذي سيقضي عليه. بل إنه يبدو كالأبطال كذلك، بنحافته ووسامته والورود الذَّهبيَّة حول خصره وشَعره البُنِّي الكثيف السَّاقط على عينيه، ثم رفضَ أبوها إرساله! أثارَ هذا استياءها

إلى أقصى حد، وهو ما قالته للسِّپتة موردن وهما تنزلان درجات الشُّرفة، لكن السِّپتة قالت لها إنه ليس من حقِّها التَّشكيك في سلامة قرارات السيِّد والدها.

كان هذا عندما قال اللورد بايلش: «أوه، لا أدري أيتها السِّپتة، فبعض قرارات السيِّد والدها يستأهل بعض التَّشكيك فعلًا. سيِّدتنا الصَّغيرة حكيمة بقَدر ما هي فاتنة»، وانحنى بشدَّةٍ أمام سانزا حتى أنها لم تدرِ إن كان يُجامِلها أم يتهكَّم عليها.

شعرَت السِّپتة موردن بضيقٍ بالغٍ لأنه سمعهما، وقالت: «الفتاة تتكلَّم لا أكثر يا سيِّدي، محض ثرثرةٍ حمقاء، ولم تقصد شيئًا بتعليقها».

ملَّس اللورد بايلش على لحيته المدبَّبة قائلًا: «حقًّا؟ أخبريني يا صغيرتي، لماذا كنتِ تريدين إرسال السير لوراس؟».

لم تجد سانزا خيارًا غير أن تشرح رأيها عن الأبطال والوحوش، فابتسمَ مستشار المَلك وقال: «لم أكن لأعطي هذه الأسباب عن نفسي، لكن...»، ومَسَّ وجهها ومرَّر إبهامه بخفَّةٍ على عظم وجنتها مكملًا: «الحياة ليست أغنيَّةً يا صغيرتي، وقد تتعلَّمين هذا الدَّرس يومًا للأسف».

على أن سانزا لم ترغب في إخبار چين بكلِّ هذا، فمجرَّد التَّفكير فيه كان يُشعِرها بعدم الرَّاحة.

قالت چين: «السير إلين هو عدالة المَلك وليس السير لوراس. كان يَجدُر باللورد إدارد أن يُرسِله هو إلى الجبل».

ارتجفَت سانزا كما ترتجف كلما وقعَ نظرها على السير إلين پاين. إنه يجعلها تَشعُر كأن شيئًا ميتًا يسعى كالحيَّة على جِلدها العاري. «السير إلين نفسه بمثابة وحشٍ ثانٍ. أنا مسرورة لأن أبي لم يُرسِله».

- «اللورد بريك لا يقلُّ بطولةً عن السير لوراس. إنه شديد الشَّجاعة والنُّبل».

غمغمَت سانزا بريبة: «أعتقدُ هذا». كانت ترى اللورد بريك دونداريون

وسيمًا بما فيه الكفاية، لكنه كبير للغاية، في الثَّانية والعشرين من عُمره! كان فارس الزُّهور ليؤدِّي المهمَّة أفضل كثيرًا، لكن طبعًا كانت چين واقعةً في حُبِّ اللورد بريك منذ رأته للمرَّة الأولى في دورة المباريات، ما اعتبرَته سانزا سُخفًا، فهي مجرَّد ابنة وكيل في النِّهاية، ومهما كانت درجة افتتانها به فاللورد بريك لن يُعير واحدةً أقلَّ شأنًا منه مِثلها اهتمامًا أبدًا، حتى لو لم تكن في نِصف عُمره. غير أنه لم يكن من اللَّطيف أن تقول شيئًا كهذا لچين، فاكتفَت بأن أخذَت رشفةً من الحليب وغيَّرت الموضوع قائلةً: «رأيتُ في الحُلم أن چوفري هو من سيصيد الأيل الأبيض». كانت أمنيةً في الحقيقة، لكن بدا لها أن من الأفضل أن تدعوها حُلمًا، فالجميع يعلمون أن الأحلام تحمل شيئًا من النُّبوءات، والأيائل البيضاء شيءٌ سِحريٌّ نادر، وفي قلبها كانت تعرف أن أميرها الشُّجاع أجدر به من أبيه السكِّير.

- «حُلم؟ حقًّا؟ هل ذهبَ الأمير چوفري إليه ومسَّه بيديه العاريتين ولم يُصِبه بأذى؟».

أجابَت سانزا: «كلا، أصابَه بسهم من ذهب وعادَ به إليَّ». في الأغاني لا يَقتُل الفُرسان الكائنات السِّحريَّة أبدًا، بل يذهَبون إليها ويمسُّونها دون أن يُصيبوها بأيِّ أذى، لكنها تعرف أن چوفري يُحِبُّ الصَّيد، بالذَّات الجزء الخاص بالقتل... لكن هذا ينطبق على الحيوانات فقط. كانت سانزا متأكِّدةً من أن أميرها لم يلعب أيَّ دورٍ في قتل چوري والمسكينين الآخَرين، فكلُّ هذا كان بيد خاله الشرِّير قاتِل المَلك، وهي تعرف أن أباها لا يزال غاضبًا من هذا، لكن ليس من العدل أن يلوم چوف، كأن يلومها هي على شيءٍ فعلته آريا.

قالت چين كأنها قرأت أفكارها: «رأيتُ أختكِ اليوم بَعد الظُّهر، كانت تمشي على يديها في الاسطبلات. لماذا تفعل شيئًا كهذا؟».

- «لا أدري لِمَ تفعل آريا أيَّ شيءٍ حقًّا». كانت تكره الاسطبلات،

تلك الأماكن كريهة الرَّائحة المليئة بالرَّوث والذُّباب، وحتى عندما تذهب لركوب الخيل كانت تجعل الصَّبي يضع السَّرج على الحصان ويأتي إليها به في السَّاحة في الخارج. «هل تريدين أن تسمعي ما حدثَ في البلاط أم لا؟».

- «نعم، نعم».

- «كان هناك أخٌ أسودَ يَطلُب رجالًا من أجل "الجِدار"، لكنه كان مُسِنًّا وكريه الرَّائحة». لم يَرُقْ لها هذا على الإطلاق، فلطالما تصوَّرت أن جميع رجال حَرس اللَّيل يبدون مِثل عمِّها بنچن، وفي الأغاني يُسَمُّونهم فُرسان "الجِدار" السُّود، لكن هذا الرَّجل كان أحدب الظَّهر قبيحًا، وبدا مصابًا بالقمل كذلك. إذا كان بقيَّة رجال حَرس اللَّيل يبدون كذلك، فإنها تَشعُر بالأسف من أجل أخيها غير الشَّقيق چون. «سألَ أبي إن كان هناك أيُّ فُرسان يرغبون في تشريف عائلاتهم بارتداء الأسود، لكن أحدًا لم يتقدَّم، فقال ليورن أن يختار من يشاء من زنازين المَلك وصرفَه. وبَعد ذلك حضرَ هذان الأخوان أمامه، مُحارِبين غير نظاميِّين من تخوم دورن، وتعهَّدا بسيفيهما لخدمة المَلك، وقبلَ أبي قَسمهما و...».

قالت چين متثائبةً: «هل هناك كعكات ليمون؟».

لم تكن سانزا تُحِبُّ أن يُقاطِع أحد كلامها، وإن اعترفَت لنفسها بأن كعكات اللَّيمون أكثر إثارةً بالفعل مما دارَ في قاعة العَرش، فقالت: «لنرَ».

لم تجدا الكعكات المنشودة في المطبخ، وإن وجدتا نِصف فطيرة فراولة باردة، وهو ما رحَّبتا به بسرور، والتهمتاها على سلالم البُرج وهما تتبادلان الضَّحك والنَّميمة والأسرار؛ وخلدَت سانزا إلى الفِراش ليلتها شاعرةً بجموحٍ يُقارِب ما لدى آريا.

استيقظَت في الصَّباح التَّالي مع أول خيوط الفَجر، وزحفَت دون أن يُفارِق النُّعاس عينيها بَعد إلى النَّافذة لتُشاهِد اللورد بريك وهو يجمع رجاله.

تحرَّكوا والشَّمس تُلقي أول أشعَّتها على المدينة تتقدَّمهم ثلاث رايات: رفرفَ وَعل المَلك المتوَّج على السَّارية الأعلى، وذِئب ستارك الرَّهيب ولسان البَرق شعار اللورد بريك على ساريتين أقصر. كان المشهد كله مثيرًا للغاية... صليل السُّيوف، تذَبذُب أضواء المشاعل، رقص الرَّايات في الرِّيح، صهيل الخيول، وهج الشُّروق الذَّهبي ينسكب عبر قضبان الشَّبكة الحديديَّة وهي تُرفَع؛ وحتى رجال وينترفل بدوا مميَّزين على نحوٍ خاص في دروعهم الفضِّيَّة ومعاطفهم الرَّماديَّة الطَّويلة. كان آلين يحمل راية ستارك، وحين تقدَّم بحصانه إلى جوار اللورد بريك ليتبادَل معه كلمةً شعرَت سانزا بالفخر الشَّديد. كان آلين أوسم من چوري، وذات يوم سيُصبِح فارسًا.

بدا بُرج اليَدِ فارغًا للغاية بَعد أن غادرَ رجال أَبيها، حتى أن سانزا شعرَت بالسُّرور لرؤية آريا عندما نظلت لتتناوَل إفطارها. «أين الجميع؟»، سألتها أختها وهي تُقَشِّر ثمرةً من البرتقال القاني بيديها. «هل أرسلهم أبي لمُطارَدة چايمي لانستر؟».

تنهَّدت سانزا وأجابَت: «خرَجوا مع اللورد بريك دونداريون ليقطعوا رأس السير جريجور كليجاين»، ثم التفتَت إلى السِّپتة موردن التي كانت تأكل الثَّريد بملعقةٍ خشبيَّة، وسألتها: «هل سيُعَلِّق اللورد بريك رأس السير جريجور على بوَّابته أم يأتي به إلى المَلك؟». هي وچين پوول كانتا تتجادَلان حول هذه التَّفصيلة ليلة أمس.

بدَت السِّپتة مصعوقةً وهي تُجيب: «الليدي لا تُناقِش تلك الأشياء أثناء الطَّعام. أين تهذيبكِ يا سانزا؟ أقسمُ أنكِ بدأتِ تتصرَّفين مِثل أختكِ مؤخَّرًا».

سألت آريا: «وأين ذهبَ جريجور؟».

- «أحرقَ معقلًا ما وقتلَ كثيرين، نساءً وأطفالًا كذلك».

اكفهرَّت ملامح آريا وقالت: «چايمي لانستر قتلَ چوري وهيوارد وويل، وكلب الصَّيد قتلَ مايكا. كان حريًّا بأحدهم أن يقطع رأسيهما».

قالت سانزا: «هذا أمر مختلف. كلب الصَّيد حارس جوفري الخاص، وصديقكِ صبيُّ الجزَّار اعتدى على الأمير».

- «كاذبة!»، صاحَت آريا واعتصرَت يدها البرتقالة القانية بعُنفٍ حتى سالَ العصير الأحمر من بين أصابعها.

ردَّت سانزا بلا مبالاة: «هَلُمِّي، سُبِّيني كما شئتِ، فلن تجرئي على ذلك عندما أتزوَّج من جوفري. ستنحنين أمامي وتُخاطِبينني بجلالة المَلكة»، وصرخَت إذ قذفَتها آريا بحبَّة البرتقال عبر المائدة، وارتطمَت بها في منتصَف جبهتها تمامًا بصوت انسحاقٍ مكتوم، قبل أن تنزلق إلى حِجرها.

قالت آريا: «ثمَّة عصير على وجهكِ يا جلالة المَلكة».

كان العصير يسيل على أنفها ويسلع عينيها فمسحَته بمنديلها، ولمَّا رأت ما فعلته الثَّمرة في حِجرها بفُستانها الحريري ذي اللَّون العاجي صرخَت من جديد، وزعقَت في أختها: «أنتِ شنيعة! كان يجب أن يقتلوكِ أنتِ بدلًا من ليدي!».

نهضَت السِّپتة موردن قائلةً بصرامة: «سيعرف أبوكما بما حدثَ هنا! عودا إلى غُرفتيكما حالًا، حالًا!».

اغرورقت عينا سانزا بالدُّموع وقالت: «ولِمَ أنا كذلك؟ هذا ليس عدلًا».

- «ليس هذا مجالًا للنِّقاش. اذهبي!».

سارَت سانزا مبتعدةً بصوتٍ مسموع. إنها ستُصبِح مَلكةً ذات يومٍ والمَلكات لا يبكينَ، على الأقل على مرأىً ومسمعٍ من الجميع. أوصَدَت الباب عندما عادَت إلى غُرفتها وخلعَت الفُستان لترى أن البرتقالة تركَت بُقعةً حمراء كبيرةً على نسيجه الحريري، فصرخَت: «كم أكرهها!»، وكوَّرت الفُستان في يدها وألقَت به في المُستوقَد البارد فوق الرَّماد المتبقِّي من نار الأمس. ثم رأت أن البُقعة قد بلغَت ثيابها الدَّاخليَّة

كذلك، فبدأت تبكي رغمًا عن نفسها، ومزَّقت بقيَّة ملابسها عن جسدها بعُنفٍ ورمَت نفسها في الفِراش وأخذَت تبكي بلا انقطاعٍ حتى غابَت في النَّوم.

كان النَّهار قد انتصفَ عندما دقَّت السِّيِّدة موردن على بابها قائلةً: «سانزا، السيِّد والدكِ سيراكِ الآن».

اعتدلَت سانزا هامسةً: «ليدي». للحظةٍ أحسَّت كأن الذِّئبة الرَّهيبة معها في الغُرفة، تَرمُقها بهاتين العينين الذَّهبيَّتين المفعمتين بالمعرفة الحزينة، ثم أدركَت أنها كانت تَحلُم. كانت ليدي معها، والاثنتان تجريان و... و... كانت مُحاوَلة التذكُّر كمُحاوَلة الإمساك بالمطر بأصابعها. غابَ الحُلم تمامًا من الذَّاكرة وعادَت ليدي ميتةً من جديد.

تكرَّرت الدقَّة على الباب بحدَّة، ونـادَت السِّيِّدة: «سانزا، هل تسمعينني؟».

صاحَت: «نعم. لحظة واحدة حتى أرتدي ثيابي من فضلكِ». كانت عيناها محمرَّتين من البكاء، لكنها فعلت أفضل ما لديها كي تبدو جميلةً.

كان اللورد إدارد مائلًا على كتابٍ ضخمٍ ذي غلافٍ من الجِلد عندما دخلَت بها السِّيِّدة موردن عليه في غُرفته الشَّمسيَّة، وساقه المجبَّرة بالجِبس متصلِّبة تحت المنضدة. «تعالي يا سانزا»، قال بأسلوبٍ لطيفٍ عندما ذهبَت السِّيِّدة لإحضار أختها، وأغلقَ الكتاب مضيفًا: «اجلسي إلى جواري».

عادَت السِّيِّدة موردن بآريا تتملَّص في قبضتها. كانت سانزا قد ارتدَت فُستانًا جميلًا الإستبرق الأخضر الفاتح ورسمَت على وجهها سيماء النَّدم، بينما ظلَّت أختها ترتدي القميص الجِلدي الرَّمادي الشَّبيه بجِلد الفئران والسِّروال الخشن اللذين ارتدَتهما على الإفطار، وقالت السِّيِّدة: «ها هي الأخرى».

قال أبوها: «أشكركِ أيتها السِّيِّدة. أريدُ أن أتكلَّم مع ابنتيَّ وحدنا إذا سمحتِ»، وانحنَت السِّيِّدة موردن وغادرَت.

- «آريا كانت البادئة»، قالت سانزا بسرعةٍ وهي متلهِّفة على أن تكون لها الكلمة الأولى. «نعتَتني بالكاذبة، وقذفَتني ببرتقالةٍ وأفسدَت فُستاني الحريري العاجي، الفُستان الذي أهدَتني المَلكة سرسي إياه لدى خطبتي للأمير چوفري. إنها تكره أني سأتزوَّجُ من الأمير، تُحاوِل إفساد كلِّ شيء، لا تطيق أن يظلَّ شيء جميلًا أو مرتَّبًا أو مُفرِحًا».

قال اللورد إدارد بنبرةٍ حادَّةٍ نافدة الصَّبر: «كفى يا سانزا».

رفعَت آريا عينيها قائلةً: «آسفةٌ يا أبي، لقد أخطأتُ وألتمسُ المغفرة من أختي الجميلة».

شعرَت سانزا بالصَّدمة لقول آريا حتى أنها عجزَت عن الكلام للحظات، ثم عثرَت على صوتها أخيرًا وقالت: «وماذا عن فُستاني؟».

قالت آريا بارتباك: «ربما يُمكنني أن... أغسله».

- «لن يُجدي الغسيل نفعًا حتى لو ظللتِ تَفرُكينه طوال اللَّيل والنَّهار، لقد تلفَ الحرير».

- «إذن... سأصنعُ لكِ واحدًا جديدًا».

تراجعَت سانزا قائلةً بازدراء: «أنتِ؟ إنكِ لا تستطيعين تفصيل فُستانٍ يَصلُح لتنظيف زرائب الخنازير حتى».

زفرَ أبوهما وقال: «لم أطلبكما هنا للكلام عن الفساتين. سوف أعيدكما إلى وينترفل».

للمرَّة الثَّانية وجدَت سانزا نفسها عاجزةً عن الكلام، وشعرَت بالدُّموع تتجمَّع في عينيها من جديد.

صاحَت آريا: «لا يُمكنك أن تفعل هذا!».

وقالت سانزا أخيرًا: «أرجوك يا أبي، أرجوك لا تفعل هذا».

رمقَ اللورد إدارد ابنتيه بابتسامةٍ مُتعَبةٍ وقال: «أخيرًا وجدنا شيئًا تتَّفقان عليه».

قالت سانزا متوسِّلةً: «لم أرتكب أيَّ خطأ، لا أريدُ أن أعود». كانت

تُحِبُّ كينجز لاندنج، بهاء البلاط واللوردات والليديهات بثيابهم المخمليَّة والحريريَّة ومجوهراتهم الثَّمينة والمدينة العظيمة بكلِّ أهلها. دورة المباريات بالتَّحديد كانت أكثر وقتٍ سِحريٍّ قضَته في حياتها كلها، وما زال هناك الكثير جدًّا مما لم تره بَعد، مهرجانات الحصاد والحفلات التنكُّريَّة وعروض الممثِّلين، ولا تحتمل فكرة فقدان كلِّ هذا على الإطلاق. «دَع آريا تعود، هي كانت البادئة يا أبي، أقسمُ لك، سأُحسِنُ التصرُّف، سترى، دعني أبقى فقط وأعدُ بأني سأكون مهذَّبةً نبيلةً لطيفةً مِثل المَلكة».

ارتعشَ فم أبيها على نحوٍ غريب، وقال: «سانزا، إنني لا أريدُ أن أعيدكما إلى وينترفل لأنكما تشاجَرتما، وإن كانت الآلهة تعلم أني سئمتُ من شجاركما الدَّائم. أريدُ أن أعيدكما من أجل سلامتكما. لقد ذُبِحَ ثلاثة من رجالي كالكلاب على مسافةٍ أقلَّ من فرسخٍ من هنا، وماذا يفعل روبرت؟ يذهب للصَّيد».

كانت آريا تمضغ شفتها بطريقتها المقزِّزة هذه، وقالت: «هل يُمكننا أن نأخذ سيريو معنا؟».

- «من يُبالي بمعلِّم الرَّقص الأحمق؟»، صرخَت سانزا غاضبةً. «أبي، لقد تذكَّرتُ الآن فقط. لا يُمكنني أن أغادر لأنني سأتزوَّج من الأمير چوفري»، وحاولَت أن ترسم على وجهها ابتسامةً شُجاعةً وهي تضيف: «إنني أحبُّه يا أبي، حقًّا، أحبُّه مثلما أحبَّت المَلكة نيرس الأمير إيمون الفارس التنِّين، مثلما أحبَّت چونكويل السير فلوريان. أريدُ أن أكون مَلكته وأُنجِب أبناءه».

قال أبوها بلُطف: «اسمعيني يا صغيرتي. عندما تَكبُرين سأزوِّجكِ من لورد يليق بكِ ويستحقُّكِ، رجل شجاع ودمث وقوي. هذه الخطبة من چوفري كانت خطأً كبيرًا. الصَّبي ليس الأمير إيمون، صدِّقيني».

- «بل هو كذلك! لا أريدُ أحدًا شُجاعًا ودمثًا، بل أريده هو! سنكون سعيدين للغاية معًا، تمامًا كما في الأغاني، سترى. سأُنجِبُ له ابنًا ذهبيَّ

الشَّعر، وذات يوم سيكون مَلك البلاد كلها، أعظم مَلكٍ شهدَته الدُّنيا على الإطلاق، شُجاعًا كالذِّئب وأبيًّا كالأسد».

قالت آريا ساخرةً: «ليس إذا كان چوفري أباه. إنه كذَّاب وجبان، ثم إنه وَعل وليس أسدًا».

شعرَت سانزا بالدُّموع تكاد تفيض من عينيها. «كلا، إنه لا يُشبِه ذلك المَلك العجوز السكِّير مقدار ذرَّة»، صرخَت في وجه أختها وقد جعلتها اللَّوعة تنسى نفسها.

رمقَها أبوها بنظرةٍ غريبةٍ جدًّا وغمغمَ: «يا للآلهة! من أفواه الأطفال...»، ثم نادى على السِّپتة موردن قبل أن يلتفت إلى الفتاتين قائلًا: «إنني أبحثُ عن سفينةٍ تجاريَّةٍ سريعةٍ تُقِلُّكما إلى الدِّيار، فالبَحر أأمن من طريق الملوك هذه الأيام. ستُبحِران فور عثوري على سفينةٍ مناسبةٍ ومعكما السِّپتة موردن وفِرقة من الحَرس... وسيريو فورل كذلك إذا قبلَ دخول خدمتي. لكن لا تَذكُرا شيئًا من هذا لأحد، فمن الأفضل ألَّا يعرف غيرنا بخُططنا. سنتكلَّم ثانيةً غدًا».

بكَت سانزا بحرارةٍ والسِّپتة تنزل بهما السَّلالم. سوف يسبلونها كلَّ شيء، المباريات والبلاط وأميرها، كلَّ شيء، ويُعيدونها إلى جدران وينترفل الرَّماديَّة الكئيبة فتظلُّ هناك إلى الأبد. لقد انتهَت حياتها قبل أن تبدأ.

قالت السِّپتة موردن بحسم: «كفى بكاءً يا صغيرتي، أبوكِ أكثر مَن يعرف ما في صالحكِ».

وقالت آريا: «لن يكون الأمر بهذا السُّوء يا سانزا. سنُبحِر على متن سفينة وستكون مغامرةً، ثم سنرى بران وروب من جديد، والعجوز نان وهودور وبقيَّتهم»، وأمسكَت ذراع أختها بحنان.

صرخَت سانزا: «هودور؟! يَجدُر بكِ أن تتزوَّجي من هودور! إنك مِثله بالضَّبط، حمقاء ومُشعِرة وقبيحة!»، وانتزعَت ذراعها من يد أختها واندفعَت إلى غُرفتها صافقةً الباب وراءها وأغلقَته بالمزاليج.

إدارد

قال المِايستر الأكبر پايسل: «الألم نعمة من الآلهة يا لورد إدارد. إنه يعني أن العظام تلتحم معًا واللَّحم يلتئم. كُن شاكرًا».

- «سأكونُ شاكرًا عندما يتلاشى الألم».

وضعَ پايسل قنينةً ذات سدادةٍ على الطَّاولة الصَّغيرة المجاورة للفِراش قائلًا: «حليب الخشخاش، تناوَله عندما يصير الألم شديدًا».

- «لكني أنامُ كثيرًا بالفعل».

- «النَّوم معالج عظيم».

- «كنتُ آملُ أن المعالج العظيم هو أنت».

ابتسمَ پايسل بشحوبٍ وقال: «من الجيِّد أنك محتفظ بحِسِّ دعابتك يا سيِّدي»، ومالَ على ند وخفضَ صوته قائلًا: «جاءَ غُداف هذا الصَّباح، رسالة إلى المَلكة من أبيها. خطرَ لي أن من الأفضل أن تعرف».

غمغمَ ند مقطِّبًا جبينه: «أجنحة سوداء، أخبار سوداء. ماذا قالت الرِّسالة؟».

أجابَ المِايستر: «اللورد تايوين غاضب للغاية بسبب الرِّجال الذين أرسلتهم وراء السير جريجور كليجاين، وهو ما كنتُ أخشاه. لقد قلتُ لك هذا إذا كنت تَذكُر».

قال ند: «فليغضب كما يشاء». مع كلِّ نبضة ألم في ساقه كان يرى ابتسامة چايمي لانستر وچوري ميتًا بين ذراعيه. «وَليَكتُب كلَّ ما يُريد

من رسائل إلى المَلكة. اللورد بريك يتحرَّك تحت راية المَلك، وإذا حاولَ اللورد تايوين إعاقة عدالة المَلك، فعليه أن يشرح السَّبب لروبرت بنفسه. الشَّيء الوحيد الذي يستمتع به جلالته أكثر من الصَّيد هو قتال من يتحدُّونه».

تراجعَ پايسل لتُصدِر سلسلته رنينها المألوف، وغمغمَ: «كما تقول. سأزورك ثانيةً غدًا»، ولملمَ أغراضه على عجلٍ وسارعَ بالمُغادَرة. لم يكن لدى ند أدنى شَكٍّ في أنه سيتوجَّه إلى السَّكن المَلكي مباشرةً ليهمس في أُذن المَلكة. خطرَ لي أن من الأفضل أن تعرف... حقًّا، كأن سرسي لم تأمره بإبلاغه بتهديدات أبيها. تمنَّى أن تجعلها إجابته تضغط على أسنانها البيضاء المثاليَّة تلك حتى تتحطَّم، بينما في الحقيقة كان ند غير واثقٍ من روبرت لهذه الدَّرجة كما أبدى، وإن لم يكن هناك داعٍ لأن تعرف سرسي هذا.

طلبَ ند كأسًا من النَّبيذ المحلَّى بالعسل بَعد مغادَرة پايسل. النَّبيذ يُشَوِّش العقل كذلك، لكنه ليس بسوء حليب الخشخاش، وهو يُريد أن يكون قادرًا على التَّفكير. لألف مرَّةٍ سألَ نفسه عمَّا كان چون آرن ليفعله لو عاشَ بما يكفي لأن يتَّخذ إجراءً ما حيال المعلومات التي توصَّل إليها، أو لعلَّه اتَّخذ إجراءً ما بالفعل ولهذا ماتَ.

من الغريب حقًّا كيف ترى عينا طفلٍ بريئتان أحيانًا ما تُغفِله عيون الكبار تمامًا. ذات يوم، عندما تَكبُر سانزا، سيجلس معها ويُخبِرها كيف جعلت المسألة كلها واضحةً له. إنه لا يُشبِه ذلك المَلك العجوز السكِّير مقدار ذرَّة، قالت غاضبةً دون أن تعي أنها أصابَت كبد الحقيقة، الحقيقة البسيطة التي تلوَّت في أعماقه ببرودة الموت. هذا هو السَّيف الذي قتلَ چون آرن وسيَقتُل روبرت كذلك. ستكون ميتةً أبطأ لكنها مؤكَّدة. السِّيقان المكسورة تُشفى مع الوقت، لكن بعض الخيانة يتقيَّح ويُسَمِّم النَّفس.

جاءَ إليه الإصبع الصَّغير بَعد ساعةٍ من ذهاب المِايستر الأكبر، يرتدي

صُدرةً بلون الخوخ طُرِّزَ على صدرها طائر المُحاكي بخيطٍ أسودَ ومعطفًا مخطَّطًا بالأبيض والأسود، وقال فور دخوله: «لا أستطيعُ البقاء طويلًا يا سيِّدي، فالليدي تاندا تنتظرني لأتناول الغداء معها. لا شَكَّ أنها ستشوي لي عجلًا سمينًا. إذا كان سمينًا كابنتها فلا بُدَّ أنني سأنفجرُ وأموتُ. كيف حال ساقك؟».

- «ملتهبة وتُؤلمني، بالإضافة إلى حكَّةٍ تُثير جنوني».

رفعَ الإصبع الصَّغير حاجبًا وقال: «في المستقبَل حاول ألَّا تَسقُط تحت أيِّ خيول. كنتُ لأُناشِدك بأن تُشفى بسرعةٍ لو كان هذا بمقدورك، فالبلاد في حالة اضطراب. ڤارس سمعَ همساتٍ غير مُطَمْئِنَةٍ من الغَرب عن مُحارِبين غير نظاميِّين ومُرتَزِقةٍ يذهبون إلى كاسترلي روك أفواجًا، وليس للاستمتاع بالحوار مع اللورد تايوين بالطَّبع».

- «هل هناك أخبار عن المَلك؟ كم من الوقت ينوي روبرت الصَّيد بالتَّحديد؟».

أجابَ اللورد پيتر بابتسامةٍ خفيفة: «لو أن الأمر بيده، أعتقدُ أنه كان ليبقى في الغابة إلى أن تموت أنت والمَلكة وقد هرمتما، لكن بما أن هذا مستبعَد فأتصوَّرُ أنه سيعود بمجرَّد أن يَقتُل شيئًا. يبدو أنهم عثروا على الأيل الأبيض إياه... أو على ما تبقَّى منه بالأحرى. لقد عثرَ عليه بعض الذِّئاب أولًا ولم يَترُكوا لجلالته أكثر من حافرٍ وقرن. هاجَ روبرت وماجَ، ثم سمعَ كلامًا عن خنزيرٍ بريٍّ ضخمٍ في أعماق الغابة، ولن يرضى بغيره. الأمير چوفري عادَ هذا الصَّباح مع رويس وابنه وبالون سوان وعشرين آخَرين، والباقون ما زالوا مع المَلك».

- «وكلب الصَّيد؟»، سألَ نِد عاقدًا حاجبيه. من بين كلِّ رجال لانستر كان ساندور كليجاين أكثر من يُثير قلقه الآن بَعد فرار السير چايمي من المدينة وانضمامه إلى أبيه.

أجابَ الإصبع الصَّغير بالابتسامة نفسها: «أوه، هو أيضًا عادَ مع

چوفري وذهبَ إلى المَلكة مباشرةً. كنتُ لأدفع مئة أيلٍ فضِّي فقط لكي أكون صرصورًا مختبئًا في البساط وأراه عندما بلغَه أنَّ اللورد بريك في طريقه لإعدام أخيه».

- «حتى الأعمى يمكنه أن يرى أن كلب الصَّيد يمقت أخاه».

- «آه، لكن جريجور له هو ليمقته وليس لك لتَقتُله. بمجرَّد أن يطيح دونداريون بقمَّة الجبل، ستنتقل كلُّ أراضيه ودُخوله إلى ساندور، لكن ليس لك أن تتوقَّع شكرًا، ليس من هذا الرَّجل بالذَّات. والآن أستأذنك بالانصراف، فالليدي تاندا تنتظرني مع عجلها السَّمين».

في طريقه إلى الباب لمحَ اللورد پيتر مجلَّد المِايستر الأكبر ماليون الضَّخم على المنضدة، وتوقَّف ليفتح الغلاف بتراخٍ. «"أنساب وتواريخ كُبرى عائلات المَمالك السَّبع، مع أوصافٍ لكثيرين من كبار السَّادة والسيِّدات وأبنائهم"»، قرأ العنوان ثم قال: «موضوعٌ مملٌّ جدًّا للقراءة. أهذا بمثابة شرابٍ للنَّوم؟».

للحظةٍ عابرةٍ فكَّر ند في إخباره بكلِّ شيء، لكن دعابات الإصبع الصَّغير كانت تثير ضيقه حقًّا، والرَّجل ماكر إلى أقصى حد والابتسامة السَّاخرة لا تُبارِح شفتيه أبدًا. هكذا اكتفى بأن قال بنبرةٍ حذرةٍ ليرى ردَّة فعله: «چون آرن كان يدرس هذا المجلَّد قبل أن يَسقُط مريضًا».

وكانت ردَّة الفعل المعتادة، السُّخرية. قال اللورد پيتر بايلش: «في هذه الحالة لا بُدَّ أن الموت كان بمثابة راحةٍ عظيمة»، وانحنى وغادرَ.

سمحَ إدارد ستارك لنفسه بأن يُطلِق سُبَّةً غاضبةً. بخلاف خدمه لم يكن هناك تقريبًا رجل يستطيع أن يثق به في هذه المدينة. صحيحٌ أن الإصبع الصَّغير أخفى كاتلين عن الأعيُن وساعدَ ند في تحقيقه، إلَّا أن مسارَعته بإنقاذ جِلده عندما خرجَ چايمي ورجاله من الظَّلام تحت المطر كانت لا تزال تُصيبه بالغضب. والأسوأ منه هو ڤارس، فعلى الرغم من كلِّ تأكيداته على إخلاصه فالخَصِيُّ يعرف الكثير جدًّا ويفعل القليل جدًّا.

أمَّا المِايستر الأكبر پايسل فيتَّضح أكثر أنه دُمية تُحَرِّك المَلكة خيوطها مع كلِّ يومٍ يمرُّ، بينما السير باريستان سلمي مُسِنٌّ وصُلب في آرائه، وسيقول لند أن يقوم بواجبه فقط.

كان الوقت قصيرًا للغاية، فالمَلك سيعود من صيده قريبًا، والشَّرف يُلزِم ند بأن يذهب إليه بما عرفه. كان ڤايون پوول قد رتَّب لأن تستقلَّ سانزا وآريا "ساحرة الرِّيح" القادمة من براڤوس بَعد ثلاثة أيام، وهكذا ستعودا إلى وينترفل قبل الحصاد، ولن يعود بمقدور ند استخدام قلقه على سلامتهما كعُذرٍ للتَّأخير.

لكنه حلمَ بطفلي ريجار ليلة أمس، وكيف مدَّد اللورد تايوين الجثَّتين عند قاعدة العَرش الحديدي وقد لُفَّتا بمعطفين قرمزيَّين من معاطف رجاله. كان تصرُّفًا ذكيًّا منه، فهكذا لم تبدُ الدِّماء كثيرًا على القُماش الأحمر. كانت الأميرة الصَّغيرة حافية القدمين ولا تزال ترتدي ثياب النَّوم، والولد... الولد...

لن يسمح ند بحدوث ذلك مجدَّدًا، والبلاد لن تحتمل مَلكًا مجنونًا آخَر ورقصةً أخرى من الدَّم والانتقام. يجب أن يجد طريقةً لإنقاذ الأطفال.

بإمكان روبرت أن يكون رحيمًا، فلم يكن السير باريستان الوحيد الذي نالَ عفوه. المِايستر الأكبر پايسل، ڤارس العنكبوت، بالون جرايچوي... كلُّ هؤلاء كانوا يُعَدُّون أعداءً لروبرت ذات مرَّة، لكنه رحَّب بهم أصدقاءً له وسمحَ لهم بالاحتفاظ بألقابهم ومناصبهم مقابل إعلان الولاء له. طالما أن الرَّجل شجاع وصادق، فإن روبرت يُعامِله بكلِّ التَّكريم والاحترام اللائقين بخصمٍ مقدام.

لكن شتَّان ما بين هذا وذاك... سُمٌّ في الظَّلام، سكِّين يطعن الرُّوح طعنةً نجلاء. روبرت لن يغفر هذا أبدًا، تمامًا كما لم يغفر لريجار. سيَقتُلهم جميعًا.

لكنه لا يستطيع البقاء صامتًا. إن لديه واجبًا نحو روبرت، نحو البلاد، نحو ذكرى چون آرن... ونحو بران الذي لا بُدَّ أنه تعثَّر في جزءٍ من الحقيقة، وإلَّا فلِمَ حاوَلوا قتله؟

في اليوم نفسه بَعد الظُّهر استدعى تومارد، الحارس الممتلئ ذا الشَّوارب البُنِّيَّة الذي يدعوه أطفاله بتوم السَّمين. مع موت چوري ورحيل آلين كان تومارد يقود حَرس أهل بيته الآن، وقد أشعرَ هذا الخاطر ند بنوعٍ من عدم الرَّاحة. نعم، تومارد رجل صُلب، دمث ومُخلِص ولا يعرفُ الكلل، لكنه يدنو من الخمسين من العُمر، وحتى في شبابه لم يكن معروفًا بالحيويَّة الشَّديدة. ربما لم يكن يجدر بند أن يُرسِل نصف حَرسه مع اللورد بريك، ومن ضمنهم أفضل المُحارِبين لديه.

- «أريدُ مُساعَدتك»، قال ند لمَّا ظهرَ تومارد وقد بدا عليه شيء من القلق كعادته كلما استدعاه. «خُذني إلى أيكة الآلهة».

- «أهذا تصرُّف حكيم أيها اللورد إدارد؟ أعني مع حالة ساقك».

- «ربما لا، لكنه ضروري».

استدعى تومارد ڤارلي، وواضعًا ذراعًا حول كتفي كلٍّ منهما استطاعَ ند أن ينزل سلالم البُرج المرتفعة ويقطع الفِناء عارجًا. «أريدُ مُضاعَفة الحراسة»، قال لتوم السَّمين. «لا أحد يَدخُل بُرج اليَدِ أو يَخرُج منه دون إذني».

قال توم بارتباك: «سيِّدي، في غياب آلين والآخَرين يكفي عددنا بالكاد لـ...».

- «لن يدوم هذا طويلًا. امدُد فترات الحراسة».

- «كما تأمر يا سيِّدي. هل لي أن أسأل لِمَ...».

قاطَعه ند بجمود: «يَحسُن ألَّا تفعل».

كانت أيكة الآلهة خاليةً كما كانت دائمًا ها هنا في قلعة الآلهة الجنوبيَّة هذه، وكانت ساق ند تَصرُخ ألمًا وهما يُنزِلاه على العُشب إلى جوار

شجرة القلوب، وشكرَهما ثم أخرجَ ورقةً مطويَّةً من كُمِّه عليها الختم الذي يحمل شعار عائلته، وقال لتومارد: «أريدك أن تُوَصِّل هذه على الفور».

رمقَ تومارد الاسم الذي كتبَه ند على الورقة، ولعقَ شفتيه بتوتُّرٍ وقال: «سيِّدي...».

- «نفِّذ ما آمرك به يا توم».

لا يدري كم ظَلَّ منتظرًا في هدوء أيكة الآلهة. السَّكينة شديدة حقًّا ها هنا، فالجدران السَّميكة تحجب صخب القلعة، وكان بإمكانه أن يسمع غناء الطُّيور وصفير صراصير الحقل وحفيف أوراق الشَّجر في النَّسيم الخفيف. كانت شجرة القلوب هنا شجرة سنديان، بُنِّيَّة وليست بيضاء وبلا وجهٍ محفورٍ عليها، لكن ند شعرَ بحضور الآلهة على الرغم من ذلك، ولم تَعُدْ ساقة تُؤلمه لهذه الدَّرجة.

جاءَته عند الغروب والسَّحاب يصطبغ بالأحمر فوق الأسوار والأبراج. جاءَت وحدها كما طلبَ منها، ولمرَّةٍ في حياته رآها ترتدي ثيابًا بسيطةً لا تزيد على حذاءٍ جِلديٍّ طويل العُنق وفُستانٍ أخضرَ، وعندما أنزلَت قلنسوة معطفها البُنِّي رأى الكدمة التي خلَّفتها صفعة المَلك على وجهها. كان اللَّون الأحمر الغاضب قد صارَ أصفرَ وكادَ الانتفاخ يزول تمامًا، لكن لم يكن هناك مجال للخلط بين أثر الصَّفعة وأيِّ شيءٍ آخَر.

سألته سرسي لانستر وهي تقف أمامه: «لماذا هنا؟».

- «كي تشهد علينا الآلهة».

جلسَت إلى جواره على العُشب بمنتهى الرَّشاقة ككلِّ حركةٍ من حركاتها، واهتزَّ شَعرها الذَّهبي المتموِّج مع حركة النَّسيم، وبدت عيناها خضراوين كأوراق الأشجار في أوج الصَّيف. وقت طويل مضى منذ رأى ند ستارك جمالها، لكنه رآه الآن، وقال لها: «أعرفُ الحقيقة التي ماتَ چون آرن من أجلها».

قالت المَلكة وهي تُراقِب ملامحه بحذر قِطَّة: «حقًّا؟ ألهذا طلبت مني أن آتي إليك هنا يا لورد ستارك، لتُلقي عليَّ الأحاجي؟ أم أنك تنوي القبض عليَّ كما قبضَت زوجتك على أخي؟».

- «ما كنتِ لتأتين أبدًا لو كنتِ تعتقدين هذا»، ثم مَسَّ وجنتها برقَّةٍ وقال: «هل فعلَ هذا من قبل؟».

أشاحَت بوجهها بعيدًا عن يده مجيبةً: «مرَّةً أو مرَّتين، لكن ليس على الوجه أبدًا. كان چايمي ليَقتُله حتى لو دفعَ حياته في المقابل»، ثم رمقَته بتحدٍّ مضيفةً: «أخي يُساوي مئةً من صديقك».

- «أخوكِ أم عشيقكِ؟».

لم تُجفِل سرسي لحظةً، وأجابَت بثبات: «كلاهما، منذ كنا طفلين. ولِمَ لا؟ آل تارجاريَن كانوا يُزَوِّجون الأخ من أخته طوال ثلاثمئة عام للحفاظ على نقاء السُّلالة، وچايمي وأنا أكثر من أخٍ وأخت، إننا روح واحدة في جسدين، وتقاسَمنا رَحِمًا واحدًا معًا. لقد جاءَ إلى هذا العالم مُمسِكًا بقدمي كما حكى لنا مِايسترنا. عندما يكون في داخلي أشعرُ... أشعرُ بالاكتمال»، وتلاعبَ شبح ابتسامةٍ على شفتيها.

- «ابني بران...».

أجابَته سرسي مباشرةً: «رآنا معًا. إنك تُحِبُّ أبناءك، أليس كذلك؟».

كان روبرت قد ألقى عليه السُّؤال نفسه صبيحة الالتحام الجماعي، وأعطاها الإجابة ذاتها: «من كلِّ قلبي».

- «ليس أكثر مما أحبُّ أبنائي».

لو بلغَت الأمور ذلك الحد، لو كانت حياة طفلٍ لا أعرفه مقابل حياة روب وسانزا وآريا وبران وريكون، فماذا أفعلُ؟ وماذا كانت كاتلين لتفعل إذا كانت حياة چون مقابل حياة أحد من أنجبَتهم من جسدها؟ لم يعرف ند الإجابة، وتمنَّى ألَّا يعرف أبدًا.

- «وكلهم أبناء چايمي»، قال... ولم يكن سؤالًا.

- «نعم والشُّكر للآلهة».
البذرة قويَّة، قالها چون آرن على فِراش الموت وكان مُحِقًّا. كلُّ أبناء روبرت غير الشَّرعيِّين ذوو شَعرٍ أسودَ كاللَّيل. كان المِايستر الأكبر ماليون قد سجَّل التَّزاوج الأخير بين الوَعل والأسد قبل تسعين عامًا، عندما تزوَّجت تيا لانستر من جاون باراثيون ثالث أبناء اللورد الحاكم، وكانت مشكلتهما الوحيدة أن ولدهما الذي لم يُذكَر اسمه ومات رضيعًا وُصِفَ في مجلَّد ماليون بأنه "ولد قوي كبير الحجم ذو شَعرٍ أسودَ فاحم". وقبل ثلاثين عامًا من هذا تزوَّج واحد من أبناء لانستر من واحدةٍ من بنات باراثيون، وأنجبَت له ثلاث بناتٍ وولدًا، كلهم أسودَ الشَّعر كذلك. عادَ ند إلى الوراء طويلًا في صفحات المجلَّد الصَّفراء الهشَّة، وفي كلِّ مرَّةٍ وجدَ الذَّهب يخضع للفحم.
قال ند: «اثنتا عشرة سنة. كيف يُمكن أنكِ لم تحملي من المَلك على الإطلاق؟».
رفعَت رأسها بتحدٍّ وقالت بصوتٍ امتلأ بالاحتقار: «حملتُ من صديقك روبرت مرَّةً، لكن أخي وجدَ امرأةً تُطَهِّرني ولم يعرف روبرت قَطُّ. الحقيقة أني لا أطيقُ مجرَّد لمسته لي، ولم أجعله يَدخُلني منذ سنوات. أعرفُ وسائل أخرى لإمتاعه عندما يَترُك عاهراته ويَدخُل مخدعي مترنِّحًا. أيًّا كان ما نفعله، فدائمًا يكون المَلك ثملًا لأقصى حدٍّ وينسى كلَّ شيءٍ مع مجيء الصَّباح».
كيف كانوا عميانًا جميعًا هكذا؟ الحقيقة كانت أمام أعيُنهم طوال الوقت، مكتوبةً على وجوه الأطفال الثَّلاثة. شعرَ ند بالغثيان، لكنه قال بهدوء: «أذكرُ روبرت كما كان يوم أخذَ العَرش، كلُّ شِبرٍ فيه مَلكٌ. ألف امرأةٍ غيركِ كانت ستُحِبُّه من صميم قلبها، فماذا فعلَ كي تكرهيه إلى هذا الحد؟».
اشتعلَت عيناها بنيرانٍ خضراء في نور الغَسق كاللبؤة في رمز عائلتها،

وأجابَت: «ليلة زفافنا، ليلة تشارَكنا فِراشًا واحدًا للمرَّة الأولى، ناداني باسم أختك. كان فوقي، في داخلي، فمه معبَّق برائحة النَّبيذ، وهمسَ باسم ليانا».

فكَّر ند ستارك في الورود الزَّرقاء الشَّاحبة، وللحظةٍ أرادَ أن يبكي. «لا أدري على من منكما أشفقُ أكثر».

بدَت المَلكة مستمتعةً بهذه الملاحَظة، وقالت: «وفِّر شفقتك لنفسك يا لورد ستارك، فلستُ أحتاجها».

- «تعرفين ما ينبغي أن أفعله».

ردَّدت: «ينبغي؟»، ووضعَت يدها على ساقه السَّليمة فوق الرُّكبة مباشرةً وقالت: «الرَّجل الحقيقي يفعل ما يشاء، لا ما ينبغي أن يفعله»، ومسَّت أصابعها فخذه بخفَّةٍ شديدةٍ مقدِّمةً له أنعم الوعود وأضافَت: «البلاد في حاجةٍ إلى يَدٍ قوي. چوف لن يَبلُغ قبل سنوات، ولا أحد يُريد حربًا أخرى، خصوصًا أنا»، وصعدَت يدها إلى وجهه وشَعره وهي تُواصِل: «إذا كان من الممكن أن يتحوَّل الأصدقاء إلى أعداء فالعكس ممكن كذلك. زوجتك على بُعد ألف فرسخ من هنا، وأخي فَرَّ من المدينة. كُن عطوفًا معي يا ند، وأقسمُ أنك لن تَندم على هذا أبدًا».

- «هل قدَّمتِ العرض نفسه لچون آرن؟».

وهوَت صفعتها على وجهه.

بَعد لحظاتٍ قال ند بجفاف: «سأرتديها كشارة شَرف».

قالت ساخطةً: «شَرف؟ كيف تجرؤ على لعب دور اللورد النَّبيل معي؟ ماذا تحسبني؟ أنت نفسك لديك ابن نغل، وقد رأيته بعينيَّ. تُرى من كانت أمه؟ فلَّاحة دورنيَّة اغتصَبتها بينما تحترق قريتها؟ عاهرة؟ أم أنها كانت الأخت الحزينة، الليدي أشارا؟ قالوا لي إنها ألقَت نفسها في البَحر، فلِمَ؟ بسبب الأخ الذي قتَلته أم الطِّفل الذي سرَقته؟ قُل لي أيها اللورد إدارد الشَّريف، فيم تختلف عن روبرت بالضَّبط، أو عني، أو عن چايمي؟».

بهدوءٍ أجابَ ند: «أني لا أقتلُ الأطفال كبداية. من مصلحتكِ أن تُصغي إليَّ يا سيِّدتي، لأني سأقولُ هذا مرَّةً واحدةً. إنني أنوي أن أُخبِر المَلك بالحقيقة كاملةً عندما يعود من صيده، ويجب أن تكوني قد رحلتِ وقتها، أنتِ وأبناؤكِ الثَّلاثة، وليس إلى كاسترلي روك. لو كنتُ مكانكِ لأخذتُ سفينةً إلى المُدن الحُرَّة أو ما بَعدها حتى، إلى جُزر الصَّيف أو ميناء إيبن، أبعد مكانٍ تحملكم إليه الرِّيح».

غمغمَت: «المنفى... كأس مريرة هذه».

- «كأس أحلى من التي سقاها أبوكِ لابن ريجار وابنته، وأرحم مما تستحقِّين. ومن مصلحة أبوكِ وأخوكِ أن يذهبا معكم. سيشتري ذهب اللورد تايوين كلَّ سُبل الرَّاحة لكم ويستأجر رجالًا يحمونكم، وأعدكِ أنكم ستحتاجونهم، فأينما ذهبتم سيتبعكم غضب روبرت ولو حتى إلى العالم الآخَر».

نهضَت المَلكة وقالت بنعومة وعيناها تفحصان ملامحه: «وماذا عن غضبي أنا يا لورد ستارك؟ كان حريًّا بك أن تأخذ البلاد لنفسك وقد كانت في متناوَل يدك. لقد حكى لي چايمي كيف وجدته جالسًا على العَرش الحديدي يوم سقطَت كينجز لاندنج وجعلته يُسَلِّمه. تلك كانت لحظتك. كان عليك فقط أن تصعد الدَّرجات وتجلس. خطأ مُحزِن حقًّا».

قال ند: «لقد ارتكَبتُ أخطاءً أكثر مما يتصوَّر خيالكِ، لكن هذا لم يكن واحدًا منها».

قالت سرسي: «آه، لكنه كان كذلك يا سيِّدي. عندما تلعب لُعبة العروش، إمَّا أن تربح أو تموت. لا توجد منطقةٌ وُسطى»، ورفعَت قلنسوتها لتُواري وجهها وتركَته هناك في الظَّلام تحت شجرة السَّنديان وسط هدوء أيكة الآلهة وتحت السَّماء السَّوداء التي بدأت تزدان بالنُّجوم.

دنيرس

كان البُخار يتصاعَد من القلب ليتبدَّد في هواء المساء البارد عندما وضعَه گال دروجو أمامها نيئًا داميًا بذراعين حمراوين حتى المِرفق، ومن ورائه ركعَ خيَّالة دمه على الرِّمال إلى جوار جثَّة فَحلٍ برِّي وفي أيديهم سكاكين حَجريَّة، وقد بدا دم الفَحل أسودَ في الوهج البرتقالي الصَّادر من المشاعل المعلَّقة على جدران الحُفرة الطَّباشيريَّة المرتفعة.

مسَّت داني بطنها المنتفخة والعَرق يتفصَّد من مسامها ويسيل على جبينها، وشعرَت بنظرات العجائز المسلَّطة عليها، حيزبونات ڤايس دوثراك الهَرِمات التي حملقنَ فيها بأعيُنٍ تلمع كالصوَّان المصقول في وجوههنَّ المتغضِّنة. لا ينبغي أن تُجفِل أو تبدو خائفةً أبدًا. *أنا دم التِّنين*، قالت لنفسها وهي تلتقط قلب الفَحل بيديها معًا، ورفعَته إلى فمها وغرسَت أسنانها في اللَّحم اللِّيفي القاسي.

ملأ الدَّم الدَّافئ فمها وسالَ على ذقنها، وأصابَها المذاق بغثيانٍ شديد لكنها أجبرَت نفسها على مضعه وابتلاعه. سيجعل قلب الفَحل ابنها قويًّا رشيقًا لا يعرف الخوف، أو أن هذا ما يُؤمن به الدوثراكي، لكن فقط استطاعَت الأم أن تلتهمه عن آخِره، أمَّا إذا غصَّت بالدَّم أو تقيَّأت اللَّحم فالنُّذر لا تُبَشِّر بخيرٍ كثيرٍ في تلك الحالة، وقد يولَد الطِّفل جهيضًا أو ضعيفًا أو مشوَّهًا، أو أنثى!

ساعدَتها وصيفاتها على الاستعداد للمراسم، وعلى الرغم من معدة

الحامل المضطربة التي أرَّقتها طوال القَمرين المنصرمين، تناولَت داني أوعيةً من الدَّم نِصف المتخثِّر كي تُعَوِّد نفسها على الطَّعم، وجعلَتها إيري تلوك شرائح من لحم الخيول المجفَّف حتى أوجعَها فَكَّاها، كما أنها جوَّعت نفسها ليومٍ وليلةٍ قبل المراسم على أمل أن يجعلها الجوع تحتفظ باللَّحم النيء في معدتها.

كان قلبُ الفَحل البرِّي مليئًا بالعضلات، وعلى داني أن تنهشه بأسنانها وتَمضُغ كلَّ قضمةٍ لوقتٍ طويل، ولأن حمل السِّلاح غير مسموحٍ به داخل حدود ڤايس دوثراك المقدَّسة في ظِلِّ الجبل الأُم، فقد كان عليها أن تُمَزِّقه بأسنانها وأظفارها فحسب. انقلبَت معدتها وتهيَّجت، لكنها واصلَت الالتهام وقد تلطَّخ وجهها بالدِّماء التي شعرَت بها تتفجَّر أحيانًا بين شفتيها.

وقفَ گال دروجو أمامها وهي تأكل ووجهه كـدِرعٍ من البرونز وجديلته السَّوداء الطَّويلة مدهونة بالزَّيت وتلمع. كان يضع خواتم ذهبيَّةً في شاربه الكبير، وأجراسًا ذهبيَّةً صغيرةً في جديلته، وطوَّق خصره حزام من الحلقات المصنوعة من الذَّهب الخالص، لكنه كان عاري الجذع. نظرَت إليه كلما شعرَت بقواها تخور، نظرَت إليه ومضغَت وابتلعَت، مضغَت وابتلعَت، مضغَت وابتلعَت، ونحو النِّهاية خطرَ لداني أنها تلمح نظرة فخرٍ عظيمٍ في عينيه اللَّوزيَّتين، وإن لم تستطِع الجزم، فغالبًا لا تشي ملامح الگال بما يعتمل في نفسه من مشاعر.

وانتهَت أخيرًا. كانت وجنتاها وأصابعها لزجةً وهي تُرغِم نفسها على ابتلاع القضمة الأخيرة، وعندها فقط أدرَت عينيها إلى حيزبونات الدوش گالين، وبأفضل ما تُجيده من لُغة الدوثراكي أعلنَت: «گالاگا دوثراي مرانها!»، العبارة التي تعني "الأمير يركب حصانه في داخلي"، وقد تدرَّبت عليها لأيامٍ مع وصيفتها چيكوي.

رفعَت أكبر الحيزبونات، المرأة الذَّابلة محنيَّة الظَّهر ذات العين

السَّوداء الواحدة، يديها عاليًا وهتفَت: «گالاگا دوثراي!»، أي "الأمير يركب حصانه"، وردَّدت الأخريات العبارة، ثم هتفنَ جميعًا: «راخ! راخ! راخ هاچ!»، أي "صبيٌّ، صبيٌّ، صبيٌّ قويٌّ".

دُقَّت الأجراس كقعقعةٍ مباغتةٍ من طيورٍ برونزيَّة، وتردَّد صوت نفيرٍ حربيٍّ عميقٍ طويلًا، وبدأت العجائز في الإنشاد والتمايُل إلى الأمام والخلف، ومن تحت سُتراتهنَّ الجِلديَّة الملوَّنة اهتزَّت أثداؤهنَّ الذَّاوية التي تلتمع زيتًا وعَرقًا. ألقى المخصيُّون الذين يخدمونهنَّ حُزَمًا من الأعشاب المجفَّفة في مُستوقَد ضخمٍ من البرونز، فتصاعدَت منه سُحب من الدُّخَّان العَطِر صوب القَمر والنُّجوم. يُؤمن الدوثراكي بأن النُّجوم ما هي إلَّا خيول من نار، قطيع عظيم يعدو في السَّماء ليلًا.

تصاعدَ الدُّخَّان وخفتَ صوت الإنشاد، وأغلقَت الحيزبون الهَرِمة عينها الوحيدة كي تستبصر المستقبَل، ورانَ صمت مُطبِق على المكان جعلَ داني تسمع صوت نداءات الطُّيور اللَّيليَّة البعيدة وهسيس طقطقة المشاعل وارتطام المياه الرَّقيق بالصُّخور في البحيرة؛ والدوثراكي يُحَدِّقون فيها بعيونٍ من ليل، ينتظرون.

وضعَ گال دروجو يده على ذراع داني، وشعرَت بالتوتُّر في لمسة أصابعه، فحتى گال عظيم مثل دروجو من شأنه أن يَشعُر بالخوف عندما تُحَدِّق عجائز الدوش گالين في دُخَّان المستقبَل، ومن ورائها تململَت وصيفاتها في أماكنهنَّ بترقُّب.

وأخيرًا فتحَت الحيزبون عينها ورفعَت ذراعيها وأعلنَت بصوتٍ متهدِّج: «لقد رأيتُ وجهه وسمعتُ رعد حوافره»، وردَّدت الأخريات: «رعد حوافره! رعد حوافره!».

- «بسرعة الرِّيح يركب، ومن ورائه يُغَطِّي گالاساره الأرض من أقصاها إلى أقصاها، رجال بلا عددٍ تلمع الأراخات في أيديهم. قويًّا كالعاصفة سيكون الأمير، وأمامه سيرتجف أعداؤه وتذرف زوجاتهم دموعًا من دم

ويُمَزِّقنَ لحمهنَّ حَرقةً وحَسرةً»، وارتجفَت العجوز ورمقَت داني بطريقةٍ أقرب إلى الخوف وأضافَت: «الأمير يركب حصانه، وسيكون الجواد الذي يمتطي العالم أجمع».

- «الجواد الذي يمتطي العالم!»، ردَّد الحاضرون حتى التهبَ اللَّيل بوقع أصواتهم.

نظرَت العجوز العوراء إلى داني وقالت: «بِمَ سيُسَمَّى الجواد الذي يمتطي العالم؟».

نهضَت لتُجيب مستخدمةً الكلمات التي علَّمتها چيكوي إياها «سيكون اسمه رييجو»، ووضعَت يديها على الانتفاخ أسفل نهديها كأنها تنشد حمايته إذ ارتفعَ هدير الدوثراكي من حولها: «رييجو! رييجو! رييجو! رييجو!».

كان صدى الاسم لا يزال يتردَّد في أُذنها عندما قادَها گال دروجو إلى خارج الحُفرة وفي أعقابهما خيَّالة دمه، وتبعَهم الموكب على طريق الآلهة المعشوشب الواسع الذي يشقُّ قلب ڤايس دوثراك من بوَّابة الجياد إلى الجبل الأُم. جاءَت حيزبونات الدوش گالين أولًا مع عبيدهنَّ، واتَّكأ بعضهنَّ على عكاكيز طويلة منقوشة وهنَّ يُكافِحنَ للمشي على أقدامهنَّ العجوز المُتعَبة، بينما مشيَت أخريات منهنَّ معتدلات القامة شامخاتٍ كأيٍّ من سادة الخيول. كلٌّ من العجائز كانت گاليسي ذات يوم، وعندما ماتَ زوجها واتَّخذ گال جديد مكانه في طليعة خيَّالته وإلى جواره گاليسي جديدة، تَمَّ إرسالها إلى هنا لتَحكُم شعب الدوثراكي الغفير، فحتى أقوى الگالات ينحني لحكمة وسُلطة الدوش گالين. شعرَت داني برجفةٍ تسري في جسدها لمَّا فكَّرت أنهم قد يُرسِلونها ذات يومٍ لتعيش بينهنَّ، شاءَت أم أبَت.

جاءَ الآخَرون وراء الحكيمات، گال أوجو وابنه الگالاگا فوجو، گال چومو وزوجاته، قادة گالاسار دروجو، وصيفات داني، خدم وعبيد

الكّال، والمزيد والمزيد. رنَّت الأقراص ودُقَّت الطُّبول بإيقاعٍ ثابتٍ مهيب وهُم يتحرَّكون على طريق الآلهة، وطلَّ عليهم الأبطال المسروقون وآلهة الأمم الميتة في الظَّلام على ناحيتي الطَّريق، بينما كان العبيد يهرعون بخفَّةٍ وسط العُشب على جانبي الموكب وفي أيديهم المشاعل، فجعلَ اللَّهب المتذبذب الآثار العظيمة تبدو كأن الحياة قد دبَّت فيها.

- «ما معنى الاسم ريجو؟»، سألها كّال دروجو وهما ماشيان بلُغة المَمالك السَّبع العاميَّة. كانت تُعَلِّمه بضع كلماتٍ جديدةٍ منها كلما استطاعَت، وكان دروجو سريع التعلُّم عندما يعقد العزم، وإن تكلَّم بلكنةٍ شديدة الثِّقل جعلَت السير چورا وڤيسريس لا يفهمان حرفًا منها.

أجابَته: «أخي ريجار كان مُحارِبًا صنديدًا يا شمسي ونجومي، لكنه ماتَ قبل أن أولَد. السير چورا يقول إنه كان آخِر التَّنانين».

نظرَ إليها دروجو بوجهٍ كقناعٍ من البرونز، وخُيِّلَ إليها أنها لمحَت تحت شاربه الأسود الطَّويل المتدلِّي تحت ثِقل الخواتم الذَّهبيَّة ظِلَّ ابتسامة، وقال: «اسم جيِّد يا دان إيرس زوجتي، قَمر حياتي».

اتَّجهوا إلى البحيرة الهادئة التي يُطلِق عليها الدوثراكي اسم "رَحِم العالم"، والمحاطة بحلقةٍ من البوص. قالت لها چيكوي إنه منذ ألف ألف عام بزغَ البَشري الأول من أعماقها على متن الحصان الأول.

انتظرَ الموكب على الشَّاطئ المعشوشب إذ تجرَّدت داني من ثيابها المتَّسخة وتركَتها تَسقُط أرضًا، ثم خاضَت عاريةً في المياه بحذرٍ شديد. قالت إيري لها إن البحيرة بلا قاع، لكنها شعرَت بالطَّمي اللَّيِّن بين أصابع قدميها وهي تشقُّ طريقها بين أعواد البوص الطَّويلة. طفا انعكاس القَمر على سطح المياه السَّاكن، وتكسَّر إلى عشراتٍ من الأقمار الصغيرة التي تناثرَت وتجمَّعت من جديد، وشعرَت بالقشعريرة مع البَرد الذي زحفَ على فخذيها وقبَّلا شَفريها. كان دم الفَحل قد جَفَّ على يديها وحول فمها، فضمَّت داني أصابعها ورفعَت المياه المقدَّسة فوق رأسها لتُطَهِّر

نفسها والطِّفل في أحشائها والگال والآخَرون يتطلَّعون إليها. سمعَت عجائز الدوش گالين يُغَمغِمنَ بأشياءَ ما لبعضهنَّ بعضًا، وتساءلَت عمَّا يتكلَّمن.

عندما خرجَت من البحيرة مبتلَّةً تمامًا ترتجف، هُرِعَت إليها وصيفتها دوريا بمعطفٍ من الحرير الرَّملي المنقوش، لكن گال دروجو أشارَ إليها بالانتظار. كان يتطلَّع إلى نهديها اللذين كبرَ حجمهما ومنحنى بطنها باستحسان، ولمحَت داني انتصاب ذكورته من تحت سرواله المصنوع من جِلد الحصان أسفل الحزام الذَّهبي الثَّقيل، فذهبَت إليه وساعدَته على حَلِّ أربطة السِّروال، ثم أمسكَها گالها الضَّخم من وَركيها ورفعَها في الهواء كأنها مجرَّد طفلة والأجراس في شَعره ترنُّ بهدوء. طوَّقت داني كتفيه بذراعيها وضغطَت وجهها في عُنقه وهو يولج نفسه في داخلها، ولم يلبث أن فرغَ بَعد ثلاث دَفعاتٍ سريعة، وبصوتٍ مبحوحٍ همسَ: «الجواد الذي يمتطي العالم». كانت رائحة دم الفَحل لا تزال عالقةً بيده، وفي لحظة لذَّته عَضَّ عُنقها بقوَّة، وحين أنزلها كانت نُطفته تملأها وتسيل على فخذيها. عندها فقط سمحَ لدوريا بأن تلفَّها بالمعطف الحريري المعطَّر، ولإيري بأن تضع قدميها في خُفَّين ناعمين.

عادَ گال دروجو يربط سرواله وألقى أمرًا، فجيء بالخيول إلى شاطئ البحيرة. نالَ كهولو شَرف مُساعَدة الگاليسي على امتطاء فَرسها الفضيَّة، ووكزَ دروجو فَحله الضَّخم وانطلقَ به على طريق الآلهة تحت القَمر والنُّجوم، وواكبَت داني سرعته على متن فَرسها.

كان الغطاء الحريري الذي يعمل كسقفٍ لقصر دروجو مطويًّا اللَّيلة، فتبعَهم القَمر إلى الدَّاخل، وارتفعَت ألسنة اللَّهب عشرة أقدامٍ في الهواء من ثلاث حُفر نارٍ عملاقة محاطة بالحجارة، وأفعمَت الهواء روائح الشِّواء وحليب الفَرس الخاثر المخمَّر. كان القصر مزدحمًا صاخبًا لدى دخولهم، واصطفَّ على الوسائد أولئك الذين لم تُخَوِّلهم منزلتهم أو

أسماؤهم لحضور المراسم. كلُّ العيون كانت على داني وهي تَدخُل على متن فَرسها من البوَّابة المقنطَرة وتقطع الممشى الأوسط، وصاحَ الدوثراكي بتعليقاتٍ على انتفاخ بطنها ونهديها مُحَيِّين الحياة التي تتكوَّن في داخلها. لم تفهم صياحهم كله، لكن عبارةً واحدةً سمعَتها من ألف لسانٍ كانت واضحةً تمامًا: «الجواد الذي يمتطي العالم».

سرَت أصوات الطَّبل والأبواق في اللَّيل، بينما رقصَت نساء أنصاف عارياتٍ على الموائد الواطئة بين قِطع اللَّحم والأطباق التي تكوَّم عليها البرقوق والبلح والرُّمَّان. كثيرون من الرِّجال كانوا ثملين تمامًا من فرط حليب الفَرس المخمَّر الذي شربوه، وإن عرفَت داني أنها لن ترى الأراخات تتقارَع اللَّيلة، ليس هنا في المدينة من المقدَّسة حيث من المحرَّم حمل السِّلاح وإراقة الدِّماء.

ترجَّل كال دروجو واتَّخذ مكانه على المنصَّة العالية، وأُعطِي كال چومو وكال أوجو -اللذان كانا في ڤايس دوثراك مع كالاساريهما لدى وصولهم- مكان شَرفٍ رفيع على يمين دروجو ويساره، بينما جلسَ خيَّالة دم الكالات الثَّلاثة أسفلهم، وأسفلهم كانت زوجات كال چومو الأربع. ترجَّلت داني بدورها وأعطَت عِنان فَرسها الفضيَّة لأحد العبيد، وبحثَت بعينيها عن أخيها بينما كانت دوريا وإيري تُرتِّبان الوسائد لها كي تجلس. حتى في القاعة الضَّخمة المزدحمة كان ڤسيرس ليبدو واضحًا ببشرته الشَّاحبة وشَعره الفضِّي وأسمال الشَّحَّاذين التي يرتديها، لكنها لم تلمحه في أيِّ مكان.

جاسَت بنظراتها بين الموائد المزدحمة قُرب الجدران، حيث جلسَ رجال بجدائلٍ في شَعرهم أقصر من أعضائهم على بُسُطٍ باليةٍ ووسائد مسطَّحةٍ حولَ الموائد الواطئة، لكن كلَّ الوجوه التي رأتها كانت ذات عيونٍ سوداء وبشرةٍ كالنُّحاس. أبصرَت السير چورا مورمونت في منتصَف القاعة على مقربةٍ من حُفرة النَّار الوُسطى. كان مجلس احترامٍ

إن لم يكن شَرفًا رفيعًا، فالدوثراكي كانوا يُقَدِّرون قوَّة الفارس وبراعته في استخدام السَّيف حقًّا. أرسلَت داني وصيفتها چيكوي لدعوته إلى مائدتها، وجاءَ مورمونت في الحال وركعَ على رُكبته أمامها قائلًا: «تحت أمركِ يا گاليسي».

ربَّتت على الوسادة المحشوَّة المصنوعة من جِلد الحصان إلى جوارها، وقالت: «اجلس وتكلَّم معي».

قال الفارس: «هذا شَرف لي»، وجلسَ متقاطع السَّاقين على الوسادة، فمالَ أحد العبيد أمامه بصحفةٍ خشبيَّةٍ ملأى بثمار التِّين النَّاضجة، والتقطَ السير چورا واحدةً وقضمَ منها.

سألته داني: «أين أخي؟ كان من المفترَض أن يأتي لحضور المأدبة».

أجابَها: «رأيتُ جلالته هذا الصَّباح، قال لي إنه ذاهب إلى السُّوق الغربيَّة بحثًا عن النَّبيذ».

قالت بشَك: «النَّبيذ؟». كانت تعرف أن ڤسيرس لا يطيق مذاق حليب الفَرس المخمَّر الذي يشربه الدوثراكي، وهذه الأيام كان يقضي وقتًا طويلًا في السُّوق، يشرب مع التُّجَّار القادمين بقوافلهم من الشَّرق والغَرب. يبدو أنه وجدَ صُحبتهم أفضل من صُحبتها.

كرَّر السير چورا: «النَّبيذ. إنه يُفكِّر في تجنيد رجالٍ لجيشه من المُرتَزِقة الذين يَحرُسون القوافل». وضعَت خادمة فطيرة دم أمامه، وانقضَّ عليها چورا بكلتا يديه ليأكل بشهيَّة.

- «أهذا تصرُّف صائب؟ إنه لا يملك ذهبًا ليدفع لهم. ماذا لو خانوه؟». حَرس القوافل لا يشغلون أنفسهم كثيرًا بالشَّرف وما إلى ذلك، والمُغتَصِب في كينجز لاندنج سيدفع مكافأةً مجزيةً مقابل رأس أخيها. «كان يَجدُر بك الذِّهاب معه لحمايته، فقد أقسمت له بسيفك».

قال: «نحن في ڤايس دوثراك. لا أحد هنا مسموح له بحمل السِّلاح أو إراقة الدَّم».

- «ومع ذلك يموت البعض هنا. چوجو أخبرَني أن بعض التُّجَّار معهم مخصيُّون ضخام الحجم يَشنُقون اللُّصوص بلفائف الحرير. هكذا لا يُراق أيُّ دم ولا تغضب الآلهة».

- «لنأمل إذن أن يكون أخوكِ حكيمًا ولا يسرق شيئًا»، أجابَ السير چورا ومسحَ الدُّهن عن فمه بظَهر يده، ثم مالَ على المائدة وقال: «كان ينوي أن يأخذ بيضات التنِّين، إلى أن حذَّرته قائلًا إني سأقطعُ يده لو مَسَّ واحدةً منها فقط».

لوهلةٍ صدمَ القول داني حتى أنها عجزَت عن الكلام، ثم غمغمَت: «بيضاتي؟ لكنها ملكي أنا، الماچستر إليريو أهداني إياها يوم زفافي. إنها مجرَّد أحجار، فلِمَ يرغب ڤسيرس في...».

- «يُمكنكِ أن تقولي الشَّيء نفسه عن الياقوت والماس والأوپال يا سُمُوَّ الأميرة، وبيض التنِّين أندر من هذا كله. التُّجَّار الذين يقضي أخوكِ وقته معهم يُمكنهم أن يبيعوا أعضاءهم الذَّكريَّة نفسها لقاء واحدةٍ من تلك الأحجار التي تتكلَّمين عنها، وبالثَّلاثة معًا يستطيع ڤسيرس أن يشتري جيشًا كاملًا من المُرتَزِقة».

لم تكن داني تعرف هذا ولم تُخَمِّنه حتى. «فليأخذها إذن، فلا حاجة به لسرقتها. كان عليه أن يَطلُبها مني لا أكثر. إنه أخي... ومَلكي الحقيقي».

قال السير چورا: «إنه أخوكِ، نعم».

قالت: «أنت لا تفهم يا سيِّدي. لقد ماتَت أمي وهي تلدني، وقبلها ماتَ أبي وأخي ريجار، ولم أكن لأعرف أسماءهم نفسها لو لم يكن ڤسيرس موجودًا ليُعَلِّمني إياها. إنه الوحيد الذي تبقَّى من أهلي كلهم، الوحيد، وليس لي غيره».

- «كان هذا في الماضي وليس الآن يا كاليسي. إن مكانكِ مع الدوثراكي، وفي رَحِمِكِ الجواد الذي يمتطي العالم»، ورفعَ كوبه فملأته أَمة بحليب الفَرس المخمَّر لاذع الرَّائحة المليء بالخثارة.

صرفَتها داني، فحتى الرَّائحة كانت تُصيبها بالغثيان، وهي لن تُخاطِر بأن تتقيّأ قلب الفَحل الذي أجبرَت نفسها على التهامه، وسألت: «ما الذي يعنيه هذا؟ ماذا يكون هذا الجواد؟ الجميع يصيحون بالعبارة في وجهي، لكني لا أفهمُ حقًّا».

- «الجواد هو گال الگالات الذي وعدَت به نبوءة قديمة يا بُنيَّتي. سوف يُوَحِّد شعب الدوثراكي كله في گالاسارٍ واحد يقوده إلى أقصى الأرض، أو هكذا قالت النبوءة. شعوب العالم كلها ستكون قطيعه».

تمتمَت داني: «أوه»، وعدَّلت يدها المعطف فوق بطنها المنتفخة. «سمَّيته رييجو».

- «اسم سيُجَمِّد الدِّماء في عروق المُغتَصِب».

فجأةً جذبَتها وصيفتها دوريا من مِرفقها قائلةً بإلحاح: «سيِّدتي، إنه أخوكِ».

نظرَت داني عبر القاعة الطَّويلة مرفوعة السَّقف ورأته يمشي بخطواتٍ واسعةٍ متمايلةٍ جعلَتها تُدرِك في الحال أنه وجدَ النَّبيذ الذي كان يبحث عنه... وشيئًا من الشَّجاعة.

كان يرتدي ثيابه الحريريَّة القرمزيَّة المتَّسخة تحت المعطف المخملي الأسود الذي لوَّحت الشَّمس لونه، وقد جَفَّ جِلد حذائه تمامًا وتشقَّق وتشابكَت خصلات شَعره الفضِّي الأشقر، بينما تدلَّى سيف طويل في غِمد جلديٍّ من حزامه. حدَّق الدوثراكي في السَّيف وهو يمرُّ، وسمعَت داني شتائمهم وتهديداتهم ودمدمتهم الغاضبة ترتفع من كلِّ مكانٍ حولها كالمَد، وبُتِرَ صوت الموسيقى وتوقَّفت دقَّات الطُّبول.

أطبقَ الرُّعب على قلبها بقبضةٍ من حديد، وقالت للسير چورا بلهفة: «اذهب إليه، أوقفه، اجعله يأتي إليَّ هنا. قُل له إنه يستطيع أن يأخذ بيضات التنِّين إذا أرادَ».

نهضَ الفارس مسرعًا، بينما صاحَ ڤسيرس بلسانٍ معوجٍّ من الشَّراب:

«أين أختي؟ ها قد جئتُ إلى مأدبتها، فكيف تجرؤ على الأكل من دوني؟ لا أحد يأكل قبل المَلك. أين هي؟ العاهرة لا تستطيع الاختباء من التنِّين».

توقَّف إلى جوار أكبر حُفر النَّار وعيناه تدوران في أوجُه الدوثراكي. كان هناك خمسة آلاف رجلٍ في القاعة، وإن كانت حفنةً منهم فقط كانوا تعرف لُغة وستروس العاميَّة، لكن حتى مع كلماته غير المفهومة لمعظمهم، كان عليهم التطلُّع إلى وجهه فقط ليعرفوا أنه ثمل.

ذهبَ السير چورا إليه بسرعة وهمسَ شيئًا في أُذنه وأمسكَ ذراعه، لكن ڤسيرس انتزعَها منه زاعقًا: «أبعد يديك عني! لا أحد يلمس التنِّين دون إذن!».

رفعَت داني عينيها بتوتُّر شديد إلى گال دروجو على منصَّته العالية، ورأته يقول شيئًا للگالين الآخَرين إلى جواره، فابتسمَ گال چومو بسخريةٍ بينما أطلقَ گال أوجو ضحكةً مرتفعةً.

جعلَ صوت الضَّحك ڤسيرس يلتفت إليه قائلًا بلهجةٍ تكاد تكون مهذَّبةً: «گال دروجو، جئتُ لحضور المأدبة»، وابتعدَ عن السير چورا متمايلًا لينضمَّ إلى الگالات الثَّلاثة على المنصَّة.

نهضَ گال دروجو وألقى ببضع كلماتٍ سريعةٍ بالدوثراكي لم تستوعبها داني وأشارَ، فترجمَ السير چورا لأخيها: «گال دروجو يقول إن مكانك ليس على المنصَّة. گال دروجو يقول إن مكانك هناك».

نظرَ ڤسيرس إلى حيث أشارَ الگال، وفي أقصى القاعة، في رُكنٍ عند الحائط، بين الظِّلال كي لا يضطرَّ من هُم أسمى منهم إلى النَّظر إليهم، جلسَ أسفلُ السّافلين: الصِّبية الذين لم يشهدوا أيَّ معارك، الشُّيوخ ذوو العيون الغائمة والمفاصل المتصلِّبة، ضعاف العقول، المشوَّهون مبتورو الأطراف. هناك جلسوا بعيدًا عن اللَّحم وأبعد عن الشَّرف، وقال أخوها: «ليس هذا بمكانٍ لمَلكٍ».

- «هو مكانك، مكان المَلك ذي القدمين المتقرِّحتين»، قال دروجو

باللُّغة العاميَّة التي علَّمته داني إياها، ثم صفَّق صائحًا: «عربةً! أحضِروا عربةً لگال رهاجات!».

انفجرَ خمسة آلاف من الدوثراكي في الضَّحك والصِّياح الهازئ دُفعةً واحدةً. كان السير چورا واقفًا إلى جوار ڤسيرس يَصرُخ في أُذنه، لكن الهدير الذي ملأ المكان حالَ دون سماع داني لما يقوله، ثم رَدَّ أخوها بشيءٍ واشتبكَ الاثنان بالأيدي إلى أن دفعَ مورمونت أخاها وأسقطَه أرضًا.

واستلَّ ڤسيرس سيفه.

تألَّق الفولاذ بلونٍ أحمرَ مخيفٍ في وهج حُفرة النَّار، وقال ڤسيرس بصوتٍ كالهسيس: «ابتعد عني». تراجعَ السير چورا خطوةً ونهضَ أخوها بلا ثبات ولوَّح بالسَّيف فوق رأسه، السَّيف الذي أعارَه الماچستر إليريو إياه ليبدو كمَلك، بينما كان الدوثراكي يَصرُخون فيه من كلِّ اتِّجاهٍ ويرمونه بأقذع الشَّتائم.

أطلقَت داني صيحة رُعبٍ بلا كلمات. كانت تعرف ما الذي يعنيه السَّيف المسلول في هذا المكان، حتى إذا كان أخوها يجهل هذا.

جعلَ صوتها ڤسيرس يلتفت، وللمرَّة الأولى رآها فقال مبتسمًا: «ها هي ذي»، وتقدَّم منها قاطعًا الهواء بسيفه كأنه يشقُّ سبيله عبر حاجزٍ من الخصوم غير المرئيِّين، وإن لم يُحاوِل أحد اعتراض طريقه.

قالت داني متوسِّلةً: «السَّيف... ڤسيرس، أرجوك، هذا محرَّم. ضَع السَّيف واجلس إلى جواري، هناك طعام وشراب. هل تُريد بيضات التِّنين؟ يُمكنك أن تأخذها، فقط ضَع السَّيف».

وصاحَ السير چورا: «افعل كما تقول أيها الأحمق قبل أن تتسبَّب في مقتلنا جميعًا».

ضحكَ ڤسيرس وقال: «لا يُمكنهم أن يَقتُلونا لأنهم لا يستطيعون إراقة الدَّم هنا في المدينة المقدَّسة... لكني أستطيعُ»، ووضعَ طرف السَّيف بين نهدَي دنيرس ونزلَ به على انحناء بطنها قائلًا لها: «أريدُ ما جئتُ من

أجله، أريدُ التَّاج الذي وعدَني به. لقد اشتراكِ ولم يدفع ثمنكِ. قولي له إنني أريدُ نصيبي من الصَّفقة وإلَّا سأستردُّكِ، أنتِ والبيضات. يُمكنه الاحتفاظ بمُهره اللَّعين، سأُخرِجه من بطنكِ وأتركه له». انغرسَ رأس السَّيف في معطفها الحريري ووكزَ سُرَّتها، ورأته يبكي، يبكي ويضحك في آنٍ واحد، الرَّجل الذي كان أخاها ذات مرَّة.

من على مسافةٍ بعيدةٍ سمعَت داني وصيفتها چيكوي تنتحب خوفًا، تقول متوسِّلةً إنها تجرؤ على التَّرجمة إن الگال سيُقَيِّدها إلى حصانه ويَجُرُّها حتى قِمَّة الجبل الأُم، فوضعَت ذراعها حول الفتاة وقالت لها: «لا تخافي، سأُخبِره أنا».

لم تدرِ إن كانت تعرف كلماتٍ كافية للتَّرجمة، لكن عندما انتهَت تكلَّم گال دروجو ببضع عباراتٍ فظَّة بالدوثراكي فأدركَت أنه فهمها، ثم نزلَ شمس حياتها من على منصَّته العالية، وسألَ الرَّجل الذي كان أخاها مُجفِلًا: «ماذا قال؟».

كان صمت تام قد خيَّم على القاعة وجعلَها تسمع رنين الأجراس الواطئ في شَعر زوجها وهو ينزل الدَّرجات، وتبعَه خيَّالة دمه كظِلالٍ من البرونز. شعرَت دنيرس ببرودةٍ غريبةٍ تتملَّكها وهي تقول: «قال إنك ستَحصُل على تاجٍ ذهبيٍّ مهيب يرتجف الرِّجال لمرآه».

ابتسمَ ڤسيرس وخفضَ سيفه... وكان هذا أكثر شيءٍ مؤلم في الأمر كله، الشَّيء الذي مزَّق نياط قلبها فيما بَعد، تلك الابتسامة التي ارتسمَت على وجهه وهو يقول: «هذا كلُّ ما أردته، ما وعدَني به».

عندما وصلَ شمس حياتها إليها وضعَت يدها حول وسطه، وقال الگال كلمةً وانقضَّ خيَّالة دمه. أمسكَ كوثو الرَّجل الذي كان أخاها من ذراعيه، وهشَّم هاجو معصمه بلَيَّةٍ حادَّةٍ من يديه الضَّخمتين، وسحبَ كهولو السَّيف من بين أصابعه المرتخية؛ وحتى وقتها لم يستوعب ڤسيرس وصرخَ: «لا! لا يُمكنكم أن تلمسوني! أنا التنِّين! أنا التنِّين وسأنالُ تاجي!».

خلع گال دروجو حزامه ذي الحلقات المنقوشة المصنوعة من الذَّهب الخالص، كلٌّ منها أكبر حجمًا من يد رجل، وصاحَ بأمر، فرفعَ العبيد قِدر طهوٍ حديديَّةٍ ثقيلةٍ من حُفرة النَّار وأفرَغوا محتوياتها على الأرض ثم أعادوا وضعها فوق النَّار، فألقى دروجو الحزام في داخلها وشاهدَ بلا تعبيرٍ على وجهه إذ استحالَ لون الحلقات الذَّهبيَّة إلى الأحمر وبدأت تفقد شكلها، ورأت داني اللَّهب يَرقُص في سواد عينيه. ناوَله أحد العبيد قُفَّازين سميكين من جِلد الحصان ثبَّتهما على يديه دون أن يَرمُق الرَّجل ولو بنظرةٍ واحدة.

بدأ ڤسيرس يُطلِق الصَّرخات المدويَّة التي يُطلِقها كلُّ جبانٍ يُواجِه الموت، وركلَ وتلوَّى وأنَّ كالكلاب ونشجَ كالأطفال، لكن الدوثراكي الثَّلاثة ثبَّتوه فيما بينهم بإحكام، بينما دنا السير چورا من داني ووضعَ يده على كتفها قائلًا: «لا تَنظُري يا سُمُوَّ الأميرة، أتوسَّلُ إليكِ».

- «كلا»، قالت وطوَت ذراعيها على بطنها.

في النِّهاية نظرَ ڤسيرس إليها وقال باكيًا لاهثًا: «أختاه، أرجوكِ... داني، قولي لهم... مُريهم... أختاه...».

عندما بدأ الذَّهب يذوب ويسيل مَدَّ دروجو يده في اللَّهب ورفعَ القِدر، وبصوتٍ هادرٍ قال: «تاج! هاك، تاج للمَلك الشَّحَّاذ!»، وقلبَ القِدر على رأس الرَّجل الذي كان أخاها.

الصَّوت الذي أصدَره ڤسيرس تارجاريَن حين غطَّت الخوذة الذَّهبيَّة الشَّنيعة رأسه لم يكن بشريًّا، وضربَت قدماه الأرض التُّرابيَّة كالمطرقة للحظاتٍ ثم تباطأت حركتهما ثم خمدَت تمامًا، وسالت قطرات سميكة من الذَّهب الذَّائب على صدره لتَثقُب الحرير القرمزي... لكن قطرةً واحدةً من الدَّم لم تَسِلْ.

وبهدوءٍ عجيب قالت دنيرس لنفسها: *لم يكن تِنِّينًا... النَّار لا تَقتُل التِّنين.*

إدارد

كان يمشي في السَّراديب أسفل وينترفل كما مشىَ ألف مرَّةٍ من قبل، وراقبَ ملوك الشِّتاء مروره بعيونٍ من جَليد، وأدارَت الذِّئاب الرَّهيبة الجاثمة عند أقدامهم رؤوسها الحَجريَّة الكبيرة مزمجرةً. أخيرًا بلغَ القبر الذي يرقد أبوه فيه وإلى جواره براندون وليانا. «عِدني يا ند»، همسَ تمثال ليانا. كانت ترتدي إكليلًا من الورود الزَّرقاء الشَّاحبة، وعيناها تذرفان دمًا.

وانتفضَ إدارد ستارك جالسًا وقلبه يدقُّ في صدره بعُنفٍ باللِّحف والأغطية متشابكة من حوله. كانت الغُرفة معتمةً تمامًا، وأحدهم يَدُقُّ على الباب بإلحاحٍ على الباب وبصوتٍ عالٍ يُنادي: «لورد إدارد».

- «لحظة». مترنِّحًا عاريًا قطعَ الغُرفة المظلمة، وعندما فتحَ الباب وجدَ تومارد رافعًا قبضته وكاين يحمل شمعةً في يده، وبينهما وكيل المَلك نفسه.

كان وجه الرَّجل كأنه محفورٌ من الحَجر وقد خلَت ملامحه من التَّعبير وهو يقول بصوتٍ رتيب: «حضرة اليَد، جلالة المَلك يأمر بحضورك في الحال».

إذن فقد عادَ روبرت من صيده الطَّويل أخيرًا. قال ند: «سأحتاجُ بضع دقائقٍ لأرتدي ثيابي»، وتركَ الرَّجل ينتظر في الخارج. ساعدَه كاين على ارتداء ثيابه، السُّترة الكتَّانيَّة البيضاء والمعطف الرَّمادي والسِّروال

المقصوص لتَدخُل فيه ساقه المجبَّرة وشارة منصبه، وأخيرًا حزام الحلقات الفضيَّة الثقيلة الذي دَسَّ فيه الخنجر الفاليري.

كانت القلعة الحمراء مظلمةً ساكنةً بينما صحبَه كاين وتومارد عبر الفِناء الدَّاخلي، والقَمر واطئ فوق الأسوار وقد كادَ يَبلُغ الاكتمال، ولمحَ ند حارسًا في معطفٍ ذهبيٍّ يسير فوق الأسوار في ورديَّته.

كان السَّكن المَلكي يقع في حصن ميجور، الحصن المربَّع الضَّخم الذي يستقرُّ في قلب القلعة الحمراء وراء أسوارٍ يَبلُغ سُمكها اثنتي عشرة بوصةً وخندقٍ جاف اصطفَّت فيه الخوازيق الحديديَّة، قلعة داخل قلعة. وقفَ السير بوروس بلاونت حارسًا على الطَّرف الآخَر من الجسر كشبحٍ يرتدي دِرعًا فولاذيَّةً بيضاء تحت نور القَمر، وفي الدَّاخل مَرَّ ند بفارسين آخَرين من الحَرس المَلكي، السير پرستون جرينفيلد الواقف عند قاعدة السَّلالم، والسير باريستان سلمي الواقف عند باب غُرفة نوم المَلك. *ثلاثة رجالٍ في معاطفٍ بيضاء*، فكَّر متذكِّرًا وتملَّكته قشعريرة غريبة. كان وجه السير باريستان شاحبًا كدِرعه، ومن نظرةٍ واحدةٍ إليه عرفَ ند أن شيئًا مروِّعًا قد حدثَ. فتحَ وكيل المَلك الباب قائلًا: «اللورد إدارد ستارك، يَدُ المَلك».

سمعَ صوت روبرت يُنادي وقد شابَته بحَّة عجيبة: «دعوه يَدخُل».

اتَّقدت النَّار في المُستوقَدين التَّوأمين على جانبيِ الغُرفة لتملأها بوهجٍ أحمرَ كئيب وتجعل الحرارة في الدَّاخل خانقةً حقًّا، وتمدَّد روبرت على الفِراش ذي السَّتائر، بينما حامَ المِايستر الأكبر پايسل إلى جوار الفِراش وأخذَ اللورد رنلي باراثيون يذرع الغُرفة جيئةً وذهابًا بخطواتٍ متوتِّرة. كان الخدم يتحرَّكون هنا وهناك، يُلقون الحطب في النَّار ويغلون النَّبيذ، وجلسَت سرسي لانستر على حافَّة الفِراش إلى جوار زوجها. كان شَعرها مبعثرًا كأنها قامَت لتوِّها من النَّوم، وإن كانت عيناها يقظتين تمامًا، وقد تبعَتا ند إذ ساعدَه تومارد وكاين على عبور الغُرفة، وأحسَّ بأنه يتحرَّك بمنتهى البُطء كأنه لا يزال يَحلُم.

كان المَلك يرتدي حذاءه، ورأى ند الوحل الجاف وأوراق العُشب العالقة بالجِلد حيث برزَت قدما روبرت من تحت الأغطية التي تدثَّر بها، ولمحَ صُدرةً خضراء على الأرض، مشقوقةً لوَّثت نسيجها بُقع حمراء وبُنيَّة. كانت الغُرفة مشبَّعةً برائحة الدُّخَّان والدَّم والموت، ووجه المَلك أبيض كالحليب، وقد همسَ لمَّا رآه: «ند... اقترب».

ساعدَه رجلاه على الاقتراب، ووضعَ ند يده على قائم السَّرير ليُثبِّت نفسه وقد حدَّثته نظرته إلى روبرت بسوء الموقف البالغ. «ماذا...»، قال واختنقَ باقي السُّؤال في حَلقه.

أجابَ اللورد رنلي الذي كان لا يزال يرتدي ثياب الصَّيد الخضراء التي لوَّثتها الدِّماء: «خنزير برِّي».

- «شيطان»، قال المَلك بصوتٍ مبحوح. «كانت غلطتي، نبيذ كثير، أخطأتُ التَّصويب عليَّ اللَّعنة».

قالَ ند للورد رنلي: «وأين كنتم؟ أين كان السير باريستان والحَرس المَلكي؟».

ارتجفَ فم رنلي وهو يُجيب: «أخي أمرَنا بأن نقف جانبًا ونَترُكه يُهاجِم الخنزير بمفرده».

ورفعَ إدارد ستارك الأغطية. لقد بذلوا قصارى جهدهم لإغلاق الجرح، لكن هذا لم يكن كافيًا على الإطلاق. لا بُدَّ أن الخنزير كان وحشًا حقيقيًّا، فقد مزَّق المَلك من أصل الفخذ حتى الصَّدر بأنيابه، والضمَّادات المنقوعة في النَّبيذ التي وضعَها المِايستر الأكبر پايسل عليه كانت قد اسودَّت من الدَّم بالفعل، بينما خرجَت رائحة شنيعة من الجرح. انقلبَت معدة ند وتركَ الأغطية تَسقُط.

- «رائحة نتنة»، قال روبرت. «رائحة الموت. لا تحسب أني لا أشمُّها. الوغد نالَ مني حقًّا، أليس كذلك؟ لكني... لكني ردَدتُ له الصَّاع اثنين

يا ند». كانت ابتسامة المَلك شنيعةً كجرحه وقد احمرَّت أسنانه. «غرَستُ سكِّيني في عينه مباشرةً. سَلهم، سَلهم».

غمغمَ رنلي: «هذا صحيح. لقد أتينا بالجثَّة معنا كما أمرَ أخي».

همسَ روبرت: «من أجل المأدبة. والآن اتركونا كلكم، أريدُ أن أتكلَّم مع ند».

قالت سرسي: «روبرت، سيِّدي الـ...».

قاطعَها روبرت وقد حملَت نبرته لمحةً من قوَّته القديمة: «قلتُ اتركونا. ألا تفهمين يا امرأة؟».

جمعَت سرسي أطراف فُستانها وكرامتها واتَّجهت إلى الباب وتبعَها اللورد رنلي والآخَرون، بينما بقيَ پايسل ومَدَّ يده إلى المَلك بكوبٍ من سائلٍ أبيضَ ثخين قائلًا: «حليب الخشخاش يا جلالة المَلك. اشربه من أجل الألم».

أطاحَ روبرت بالكوب بظَهر يده قائلًا: «اخرج. سأنامُ قريبًا جدًّا أيها الأحمق العجوز. اخرج».

- «عليك اللَّعنة يا روبرت»، قال ند عندما صارا وحدهما. كانت ساقه تُؤلمه لدرجةٍ تكاد تُعميه، أو لعلَّ الحُزن هو ما يغشي عينيه. جلسَ على الفِراش إلى جوار صديقه القديم قائلًا: «لماذا ينبغي أن تكون بهذا العناد دائمًا؟».

قال المَلك بصوتٍ مبحوح: «أوه، اذهب إلى الجحيم يا ند. لقد قتلتُ الوغد، أليس كذلك؟». سقطَت خُصلة من الشَّعر المبلَّل عَرقًا على عينيه وهو يَرمُق ند قائلًا: «يَجدُر بي أن أفعل المِثل معك. ألم يُمكنك أن تتركني أصطادُ بسلام؟ السير روبار وجدَني. رأس جريجور... فكرة حمقاء. لم أُخبِر كلب الصَّيد. دَع سرسي تُفاجِئه». تحوَّلت ضحكته إلى أنينٍ وقد هاجمَته نوبة من الألم، وتمتمَ مبتلعًا وجعه: «فلترحمني الآلهة. الفتاة، دنيرس، إنها مجرَّد طفلة. كنتَ على حق... لهذا السَّبب، الفتاة... الآلهة

أرسلَت الخنزير... أرسلَته لتُعاقِبني»، وسعلَ المَلك دمًا قبل أن يُتابع: «خطأً، كان خطأً، أنا... مجرَّد فتاة... ڤارس، الإصبع الصَّغير، أخي... كلهم عديمو القيمة... لا أحد يقول لي لا غيرك يا ند، لا أحد»، ورفعَ يده بإشارةٍ واهيةٍ قائلًا: «ورق وحِبر، هناك على المائدة. اكتب ما أقوله لك».

بسطَ ند الورقة على رُكبته وأمسكَ بريشة الكتابة قائلًا: «بِمَ تأمر يا جلالة المَلك؟».

- «هذه وصيَّة وأمر روبرت الأول سليل عائلة باراثيون، مَلك الأنداليِّين والبقيَّة... اكتب الألقاب اللَّعينة، أنت تعرفها. بموجب هذه الوثيقة آمرُ اللورد إدارد ابن عائلة ستارك، سيِّد وينترفل ويَدَ المَلك بأن يخدم وصيًّا على العَرش وحاميًا للبلاد لدى... لدى وفاتي... ليَحكُم في... في مكاني إلى أن يَبلُغ ابني چوفري».

- «روبرت...». أرادَ أن يقول: چوفري *ليس ابنك*، لكنه عجزَ عن النُّطق. كان العذاب مرسومًا بوضوحٍ تامٍّ على وجه روبرت، ولم يستطِع إيلامه أكثر من ذلك. هكذا حنى ند رأسه وكتبَ، لكن حيث قال المَلك "ابني چوفري" كتبَ ند "وريثي" بدلًا من هذا، وجعلَته الخديعة يَشعُر بأنه ملوَّث. *يا للأكاذيب التي نقولها في سبيل الحُب. لتغفر لي الآلهة*. «ماذا تُريدني أن أقول أيضًا؟».

- «قُـل... ما ينبغي أن تقوله، الحماية والدِّفاع، الآلهة القديمة والجديدة، أنت تعرف الكلمات. اكتب وسأُوَقِّعُ. أعطِ الورقة للمجلس بَعد موتي».

قال ند بصوتٍ امتلأ حُزنًا: «روبرت، لا تفعل هذا، لا تَمُت. البلاد في حاجةٍ إليك».

اعتصرَ روبرت يده بقوَّةٍ قائلًا بألم: «أنت... لا تجيد الكذب يا ند ستارك. البلاد... البلاد تعرف أيَّ مَلكٍ بائسٍ كنتُ، في مِثل سوء إيرس ولترحمني الآلهة».

قال ند لصديقه المحتضر: «كلا، ليس بسوء إيرس يا جلالة المَلك، ليس بسوء إيرس على الإطلاق».

ابتسمَ روبرت ابتسامةً حمراء ضعيفةً، وقال: «على الأقل سيقولون... سيقولون إن هذا الشَّيء الأخير الذي فعلته كان صوابًا. أنت لن تخذلني. ستَحكُم الآن، وستكره الحُكم أكثر مني... لكنك ستُبلي بلاءً حسنًا. هل فرغت من الكتابة؟».

- «نعم يا جلالة المَلك». ناولَ ند الورقة لروبرت، فوقَّعها بعينين لا تريان تقريبًا تاركًا عليها لطخةً من الدَّم، وقال ند: «يجب أن يشهد أحدهم الختم».

تمتمَ روبرت: «قدِّم الخنزير في مأدبة الجنازة، تُفَّاحة في فمه ومشويًا تمامًا. كُل الوغد. لا أبالي إن اختنَقت. عِدني يا ند».

- «أعدك»... وردَّد صوت ليانا: *عِدني يا ند*.

قال المَلك: «الفتاة، دنيرس، دعها تعيش... إذا استطعت... إذا لم يَفُتْ الأوان... تكلَّم معهم... ڤارس، الإصبع الصَّغير... لا تجعلهم يقتلونها... وساعِد ابني يا ند، اجعله... اجعله أفضل مني»، وارتجفَ هامسًا: «لترحمني الآلهة».

قال ند: «سترحمك يا صديقي، سترحمك».

أغلقَ المَلك عينيه وبدا أكثر استرخاءً الآن وهو يُتَمتِم: «قتلني خنزير. يَجدُر بي أن أضحك لولا الألم».

لم يضحك ند، وقال: «هل أناديهم؟».

أومأ روبرت برأسه بضعفٍ وقال: «كما تشاء. لِمَ الجَوُّ بارد هكذا هنا بحقِّ الآلهة؟».

هُرِعَ الخدم عائدين إلى الغُرفة ليضعوا المزيد من الحطب في النَّار، لكن المَلكة كانت قد ذهبَت، وفي هذا على الأقل وجدَ ند شيئًا من الرَّاحة. لو كانت سرسي تتمتَّع بأيِّ بصيرة، لأخذَت أبناءها وغادرَت

المدينة قبل مطلع الفَجر، فقد ظلَّت هنا أطول من اللَّازم بالفعل. لم يبدُ أن المَلك روبرت يفتقد وجودها، وأمرَ أخاه رنلي والمِايستر الأكبر پايسل أن يقفا شاهدَيْن وهو يضع ختمه في الشَّمع الأصفر السَّاخن الذي قطَّره ند على الورقة، ثم قال: «والآن أعطوني شيئًا للألم واترُكوني لأموت».

أسرعَ پايسل يخلط له شَربةً أخرى من حليب الخشخاش، وهذه المرَّة تجرَّعه المَلك بشراهة، وعلى لحيته السَّوداء الكثَّة سقطَت القطرات البيضاء الثَّخينة عندما ألقى الكوب الفارغ بعيدًا، وسأَلَ: «هل سأحلم؟».

أجابَه ند: «ستفعل يا سيِّدي».

قال روبرت مبتسمًا: «عظيم. سأُبلِّغ ليانا حُبَّك يا ند. اعتنِ بأبنائي من أجلي».

تلوَّت الكلمات في معدة ند كخنجرٍ ماضٍ، وللحظةٍ شعرَ بارتباكٍ شديد. لم يستطِع إرغام نفسه على الكذب، ثم إنه تذكَّر أبناء روبرت غير الشَّرعيِّين: بارا الصَّغيرة التي ترضع من ثدي أمِّها، ميا في "الوادي"، جندري في ورشة الحدادة، والآخَرين. هكذا قال بتؤدة: «سوف... أحمي أبناءك كأنهم أبنائي».

هَزَّ روبرت رأسه وأغلقَ عينيه، ورأى ند جسد صديقه القديم يرتخي بين الوسائد والأغطية وقد أزاحَ حليب الخشخاش عنه الألم، ثم يغيب في النَّوم.

رنَّت الحلقات في سلسلة المِايستر الأكبر پايسل بصوتٍ خافتٍ وهو يدنو من ند قائلًا: «سأبذلُ كلَّ ما في وسعي يا سيِّدي، لكن الجرح أصيبَ بالأُكال. لقد استغرَقوا يومين كاملين ليُعيدوه من الغابة، ولدى معايَنتي له كان الأوان قد فاتَ بالفعل. أستطيعُ تخفيف معاناة جلالته، لكن الآلهة وحدها قادرة على شفائه الآن».

- «كم تبقَّى له؟».

- «الحقُّ أنه من المفترَض أن يكون ميتًا فعلًا الآن. لم أرَ رجلًا يتشبَّث بالحياة بهذه القوَّة من قبل».

قال اللورد رنلي: «لطالما كان أخي قويًّا، ليس حكيمًا ربما، لكن قويًّا بالتَّأكيد». كانت جبهته تتصبَّب عَرقًا من فرط الحرارة في الغُرفة وقد وقفَ هناك كشبح روبرت في صباه، شابًّا غامضًا وسيمًا. «لقد قتلَ الخنزير. كانت أحشاؤه تتدلَّى خارج بطنه لكنه قتلَ الخنزير». كان صوته مفعمًا بالدَّهشة.

رَدَّ ند: «روبرت لم يكن أبدًا بالرَّجل الذي يَترُك ميدان المعركة وعَدُوُّه لا يزال صامدًا».

كان السير باريستان سلمي لا يزال في الخارج يَحرُس سلالم البُرج، وقال له ند: «المِايستر پايسل سقاه حليب الخشخاش. لا تسمح لأحدٍ بإقلاق راحته دون إذنٍ مني».

- «كما تأمر يا لورد إدارد»، قال السير باريستان وقد بدا أن العُمر تقدَّم به عشرة أعوامٍ أخرى. «لقد أخفقتُ في أداء واجبي المقدَّس».

قال ند: «حتى أشجع الفُرسان لا يستطيع حماية مَلكه من نفسه. طوال حياته وروبرت يُحِبُّ صيد الخنازير البريَّة، وقد رأيته يَقتُل ألفًا منها». كان روبرت يقف في مكانه ثابت الجنان راسخ السَّاقين وفي يده الحربة الضَّخمة، وفي أغلب الأحيان ينهال بالسِّباب على الخنزير إذ ينقضُّ عليه، وينتظر حتى اللَّحظة الأخيرة قبل أن يكاد الخنزير يُسقِطه، ويَقتُله بضربةٍ عنيفةٍ واثقةٍ واحدة. «لا أحد كان ليعلم أن في هذه المرَّة موته».

- «لُطف منك أن تقول هذا يا لورد إدارد».

- «المَلك نفسه قال هذا، وألقى اللَّوم على النَّبيذ».

أومأ الفارس الأشيب برأسه قائلًا: «كان المَلك يترنَّح فوق سَرجه عندما أجبَرنا الحيوان على الخروج من عرينه، لكنه أمرَنا جميعًا بأن نتنحَّى جانبًا».

سألَ ڤارس بهدوءٍ شديد: «إنني أتساءلُ يا سير باريستان، من أعطى المَلك هذا النَّبيذ؟».

لم يكن ند قد سمعَ الخَصِيَّ يقترب، لكنه كان موجودًا عندما التفتَ إليه، يرتدي معطفًا مخمليًّا أسودَ ذا ذيلٍ طويل، والمساحيق تُغَطِّي وجهه كالمعتاد.

أجابَ السير باريستان: «النَّبيذ كان من قِربة المَلك».

- «قِربة واحدة فقط؟ الصَّيد يُصيب بالعطش كما تعلم».

- «لم أُحصِ عددها في الواقع، لكنها كانت أكثر من واحدةٍ بالتَّأكيد. كان مُرافِقه يأتي له بقِربةٍ جديدةٍ كلما طلبَ واحدةً».

قال ڤارس: «صبيٌّ مطيع حقًّا، تأكَّد من أن مَلكه لم يفتقر إلى شرابه المنعش».

أحسَّ ند بمذاقٍ مُرٍّ في فمه، وخطرَ على باله الصَّبيَّان الأشقران اللذان أرسلَهما روبرت بحثًا عن مشدٍّ واقي الصَّدر. كان المَلك قد حكى القصَّة للجميع ليلتها أثناء المأدبة وجسده يرتجُّ ضحكًا. «أيُّ مُرافِق؟».

أجابَ السير باريستان: «أكبرهما، لانسل».

قال ڤارس: «أعرفه جيِّدًا. صبيٌّ قويٌّ هو، ولد السير كيڤان لانستر، ابن أخي اللورد تايوين وابن عمِّ المَلكة. آملُ أن الصَّبي المسكين لا يلوم نفسه. دائمًا ما يكون الصِّغار شديدي الهشاشة من فرط براءتهم. أذكرُ هذا جيِّدًا».

لا شَكَّ أن ڤارس كان صغيرًا ذات يوم، وإن لم يعتقد ند أنه تحلَّى بالبراءة أبدًا. «على ذِكر الصِّغار، لقد غيَّر روبرت رأيه بخصوص دنيرس تارجاريَن. أريدُ إلغاء أيِّ ترتيباتٍ أجرَيتها فورًا».

قال ڤارس: «للأسف قد يكون الأوان فاتَ. أخشى أن الطُّيور حلَّقت بالفعل، لكني سأفعلُ ما أستطيعُ يا سيِّدي. بعد إذنك»، وانحنى وغادرَ على السَّلالم ونعلا خُفَّيه يُصدِران صوتًا ناعمًا وهو ينزل السَّلالم.

كان كاين وتومارد يُساعِدان ند على عبور الجسر عندما خرجَ اللورد رنلي من حصن ميجور مُناديًا على ند: «لورد إدارد، لحظة إذا سمحت».

توقَّف ند قائلًا: «كما ترغب».

اتَّجه رنلي إليه وقال: «اصرف رجليك». التقيا في منتصَف الجسر والخندق الجاف من تحتهما وقد صبغَ نور القَمر رؤوس الخوازيق المصطفَّة في قاعه باللَّون الفضِّي.

أشارَ ند، فحنى تومارد وكاين رأسيهما وتراجَعا باحترام، ورمقَ اللورد رنلي السير بوروس الواقف عند طرف الجسر والسير پرستون عند المدخل وراءهما بنظرةٍ حذرة، ثم مالَ على ند قائلًا: «تلك الوثيقة، أهي الوصاية؟ هل عيَّنك أخي حاميًا للبلاد؟»، ولم ينتظر إجابةً من ند وتابعَ بلا إبطاء: «لديَّ ثلاثون حارسًا في خدمتي يا سيِّدي، بخلاف الأصدقاء الآخَرين من الفُرسان واللوردات. يُمكنني أن أضع مئة سيفٍ في يدك خلال ساعةٍ واحدة».

- «وماذا أفعلُ بمئة سيف؟».

- «تضرب ضربتك! الآن والقلعة نائمة!»، وعادَ يَرمُق السير بوروس ثم خفضَ صوته إلى همسٍ ملهوفٍ قائلًا: «يجب أن نفصل چوفري عن أمِّه ونضعه تحت الحراسة. سواء كنت الحامي أم لا، الرَّجل الذي يسيطر على المَلك يسيطر على المَملكة، ويجب أن نقبض على مارسلا وتومن كذلك. سرسي لن تجرؤ على مُعارَضتنا وأطفالها في أيدينا. سيُصَدِّق المجلس على تنصيبك حاميًا للبلاد ويُسَمِّي چوفري تابعك الشَّخصي».

نظرَ إليه ند ببرود وقال: «روبرت لم يَمُت بَعد وقد تُنَجِّيه الآلهة، وإذا لم تفعل سأجمعُ المجلس ليسمع كلماته الأخيرة ويدرس مسألة خلافته، لكنني لن أهين ساعاته الأخيرة في الحياة بإراقة الدِّماء في قلعته واختطاف الأطفال المذعورين من أسِرَّتهم».

تراجعَ رنلي خطوةً إلى الوراء مشدودًا كوتر القوس، وقال: «كلُّ لحظةٍ تتأخَّرها تمنح سرسي فُرصةً أكبر للاستعداد. لدى موت روبرت قد يكون الوقت قد تأخَّر تمامًا بالنِّسبة لنا معًا».

- «لنَدْعُ إذن ألَّا يموت روبرت».

- «احتمال ضعيف».

- «أحيانًا ما تكون الآلهة رحيمةً».

قال اللورد رنلي: «لكن آل لانستر ليسوا كذلك»، ودارَ على عقبيه قاطعًا الخندق إلى البُرج الذي يحتضر فيه أخوه.

كان ند مُرهَقًا مغتمًّا تمامًا عند عودته إلى غُرفته، وإن كان من المستحيل أن يعود إلى النَّوم الآن. *عندما تلعب لُعبة العروش، إمَّا أن تربح أو تموت*، كما قالت له سرسي لانستر في أيكة الآلهة، ووجدَ نفسه يتساءَل إن كان رفضه لعرض اللورد رنلي القرار الصَّائب. إنه لا يستسيغ تلك الحيل والمكائد على الإطلاق، وليس هناك شَرف في تهديد الأطفال، وإنما... إذا اختارَت سرسي القتال بدلًا من الفرار، فسوف يحتاج سيوف رنلي المئة بكلِّ تأكيد، وأكثر.

قال لكاين: «أريدُ الإصبع الصَّغير. إذا لم تجده في مسكنه، فخُذ العدد الذي تحتاجه من الرِّجال وابحَث عنه في كلِّ حانةٍ وماخورٍ في كينجز لاندنج حتى تَعثُر عليه. أريده هنا قبل الفَجر». انحنى كاين وغادرَ، بينما التفتَ ند إلى تومارد قائلًا: «ستُبحِر "ساحرة الرِّيح" هذا المساء مع مجيء المَد. هل اختَرت من سيُرافِقون ابنتيَّ؟».

أجابَ تومارد: «عشرة رجال يقودهم پورثر».

- «عشرون، وستقودهم أنت». پورثر رجل شُجاع لكن عنيد، وهو يرغب في أحدٍ أكثر تمرُّسًا وحنكةً يعتني بالفتاتين.

- «كما تأمر يا سيِّدي. لا يُمكنني أن أقول إن الرَّحيل من هنا سيُحزِنني. إنني أفتقدُ زوجتي».

- «ستمرُّون بالقُرب من دراجونستون عندما تنعطف السَّفينة شَمالًا. أريدك أن تُوَصِّل رسالةً من أجلي».

بدا تومارد حذرًا وهو يسأل: «إلى دراجونستون يا سيِّدي؟». كانت جزيرة عائلة تارجاريَن القلعة ذات سُمعةٍ مشؤومة.

- «قُل للرُّبَّان كُوس أن يرفع رايتي بمجرَّد أن تلوح الجزيرة أمامكم، فقد يتعاملون بعداءٍ مع الزُّوَّار غير المتوقَّعين. اعرض عليه أيَّ ثَمنٍ إذا تردَّد. سأعطيك رسالةً تضعها في يد اللورد ستانيس باراثيون وليس أيِّ شخصٍ آخَر، ليس وكيله أو قائد حَرسه أو حتى زوجته، بل اللورد ستانيس نفسه».

- «كما تأمر يا سيِّدي».

عندما غادرَ تومارد، جلسَ اللورد إدارد ستارك يُحَدِّق في لهب الشَّمعة التي تحترق إلى جواره على المنضدة، وللحظةٍ استحوذَ عليه الأسى ولم يرغب في شيءٍ غير أن يذهب إلى أيكة الآلهة ويركع أمام شجرة القلوب ويُصَلِّي من أجل حياة روبرت باراثيون الذي كان أكثر من أخٍ له. سوف يقولون إن إدارد ستارك خانَ صداقة مَليكه وحرمَ ابنيه من إرثهما، وإنما ليس في إمكانه سوى أن يأمل أن الآلهة تعرف أفضل، وأن روبرت سيعرف الحقيقة كاملةً في الأرض الواقعة وراء القبر.

أخرجَ ند رسالة المَلك الأخيرة، الرَّقَّ الأبيض المطويَّ المختوم بالشَّمع الذَّهبي، بضع كلماتٍ قليلةٍ ولطخة من الدَّم. زهيدٌ حقًّا الفارق بين الهزيمة والنَّصر، بين الموت والحياة.

ثم إنه أخرجَ ورقةً بيضاء وغمسَ ريشة الكتابة في قنينة الحِبر، وبدأ يَكتُب: "*إلى جلالته ستانيس ابن عائلة باراثيون، عندما تتسلَّم هذه الرِّسالة سيكون أخوك روبرت، مَلكنا طوال الخمسة عشر عامًا الماضية، قد رحلَ عن عالمنا على إثر إصابةٍ عنيفةٍ من خنزيرٍ بَرِّي أثناء الصَّيد في غابة الملوك...*".

بدَت الحروف كأنها تلتوي وتتمعَّج على الورقة وهو يَخُطُّ آخِرها ثم يتوقَّف. اللورد تايوين والسير چايمي ليسا بالرَّجلين اللذين يتقبَّلان الإهانة بخنوع وسيُؤثِران القتال على الفرار، ولا ريب أن اللورد ستانيس تصرَّف بحذرٍ بَعد اغتيال چون آرن، لكن من الضَّروري أن يُبحِر إلى كينجز لاندنج بكلِّ قوَّته قبل أن يبدأ آل لانستر الزَّحف.

انتقى ند كلَّ كلمةٍ بعناية، وعندما فرغَ وقَّع الرِّسالة "*إدارد ستارك، سيِّد وينترفل ويَدُ المَلك وحامي البلاد*"، ثم طوى الورقة مرَّتين وبدأ يُذيب شمع الختم على لهب الشَّمعة.

فكَّر والشَّمع يذوب أن وصايته ستكون قصيرةً على كلِّ حال، فلا بُدَّ أن المَلك الجديد سيختار يَدًا جديدًا بالضَّرورة، وسيستطيع ند عندها العودة إلى دياره. رسمَ خاطر وينترفل ابتسامةً باهتةً على شفتيه. إنه يُريد أن يسمع ضحكات بران من جديد، أن يذهب للصَّيد بالصُّقور مع روب ويرى ريكون يلعب، يُريد أن يغيب في نومٍ عميقٍ بلا أحلامٍ وذراعاه تُطَوِّقان حبيبته كاتلين.

كان يضغط رمز الذِّئب الرَّهيب في الشَّمع الأبيض الطَّري عندما عادَ كاين ومعه دزموند وبينهما الإصبع الصَّغير، وشكرَ ند الحارسين وصرفَهما.

ارتدى اللورد پيتر سُترةً مخمليَّةً زرقاء ذات ذراعين منتفخين ومعطفًا فضِّي اللَّون نُقِشَت عليه طيور المُحاكي، وقال وهو يجلس: «أعتقدُ أن التَّهنئة واجبة».

قال ند مؤنِّبًا: «المَلك جريح في فِراشه يُصارِع الموت».

- «أعرفُ هذا، وأعرفُ أيضًا أن روبرت عيَّنك حاميًا للبلاد».

ألقى ند نظرةً سريعةً على وثيقة المَلك الموضوعة على المنضدة وختمها السَّليم، وقال: «ومن أين لك هذه المعرفة يا سيِّدي؟».

- «ڤارس أشارَ إلى شيءٍ بهذا المعنى، وها أنت ذا أكَّدته الآن».

التوى فم ند غضبًا وهو يقول: «سُحقًا لڤارس وطيوره. كاتلين كانت تقول الحقيقة، الرَّجل يُمارِس سِحرًا أسودَ ما، وأنا لا أثِقُ به».

- «رائع، إنك تتعلَّم»، ومال الإصبع الصَّغير إلى الأمام قائلًا: «لكني أُراهِن أنك لم تأتِ بي إلى هنا في جوف اللَّيل لنتحدَّث عن الخَصِي».

- «هذا صحيح. إنني أعرفُ السِّرَّ الذي قُتِلَ چون آرن بسببه. روبرت لن يَترُك ابنًا شرعيًّا، فچوفري وتومن هما نغلا چايمي لانستر، مولودان عن علاقة سِفاح القُربى التي تجمع بينه وبين المَلكة».

رفعَ الإصبع الصَّغير حاجبًا وقال: «هذا صادم»، وإن قالها بلهجةٍ توحي بأن لا صدمة هنالك على الإطلاق. «والفتاة كذلك؟ لا شَك. إذن عندما يموت المَلك...».

- «ينتقل العَرش شرعًا إلى اللورد ستانيس، أكبر أخوي روبرت».

ملَّس اللورد پيتر على لحيته المدبَّبة مفكِّرًا، ثم قال: «على ما يبدو، ما لم...».

- «على ما يبدو؟ الموضوع غير مطروح للنِّقاش. ستانيس هو الوريث ولا شيء يُمكنه تبديل هذا».

- «ستانيس لا يستطيع أن يأخذ العَرش من دون مُساعَدتك. إذا كنت حكيمًا، ستعمل على أن يخلف چوفري أباه».

رمقَه بنظرةٍ متحجِّرة قائلًا: «ألا تملك ذرَّةً من الشَّرف؟».

- «أوه، إن لديَّ ذرَّة منه بالتَّأكيد»، قال الإصبع الصَّغير باستهانة. «اسمعني، ستانيس ليس صديقًا لك أو لي. إنه مخلوقٌ من حديد، شديد الصَّلابة وغير قابل للطَّرق، وسوف يُعَيِّن يَدًا ومجلسًا جديدين بلا أدنى شك. بالطَّبع سيَشكُرك على تسليمه العَرش، لكنه لن يُحِبَّك لهذا، وخلافته ستعني الحرب. لن يستريح ستانيس على العَرش حتى تموت سرسي وأبناؤها، فهل تعتقد أن اللورد تايوين لن يُحَرِّك ساكنًا وهُم يأخذون مقاس رأس ابنته من أجل الخازوق؟ سوف تنتفض كاسترلي

روك، وليس وحدها. روبرت وجدَ في نفسه القُدرة على العفو عن من خدَموا المَلك إيرس بشرط أن يُقسِموا له بالولاء، بينما لن يكون ستانيس بهذه السَّماحة، فلك أن تثق بأنه لم ينسَ حصار ستورمز إند، واللوردان تايرل وردواين لن ينسيا كذلك. كلُّ رجلٍ حاربَ تحت راية التنِّين أو انضمَّ إلى بالون جرايچوي في تمرُّده سيملك سببًا للخوف. دَع ستانيس على العَرش الحديد وأعدك بأن البلاد ستنزف. والآن انظر إلى الوجه الآخَر من العُملة. چوفري في الثانية عشرة لا أكثر، وروبرت أعطاك الوصاية يا سيِّدي. أنت يَدُ المَلك وحامي البلاد والسُّلطة ملك يمينك يا لورد ستارك، وكلُّ ما عليك هو أن تمدَّ يدك لتقتنصها. اعقد السَّلام مع آل لانستر، أطلق سراح العِفريت، زوِّج چوفري من ابنتك سانزا، وزوِّج ابنتك الصُّغرى من تومن ووريثك من مارسلا. ما زالت هناك سنوات أربع تفصل بين چوفري والبلوغ، ووقتها سيكون قد أصبحَ يَنظُر إليك باعتبارك أبًا ثانيًا، وإذا لم يكن... أربع سنوات فترة طويلة يا سيِّدي، تكفي للتخلُّص من اللورد ستانيس، وبَعدها إذا اتَّضح أن چوفري كثير المتاعب، يُمكننا أن نفضح سِرَّه الصَّغير ونُجلِس اللورد رنلي على العَرش».

ردَّد ند: «يُمكننا؟».

هَزَّ الإصبع الصَّغير كتفيه قائلًا: «سوف تحتاج أحدًا يُشارِكك العبء، وأؤكِّدُ لك أن سِعري زهيد».

بصوتٍ باردٍ كالجَليد قال ند: «سِعرك؟ لورد بايلش، ما تقترحه خيانة».

- «فقط إذا خسرنا».

- «يبدو أنك نسيت، نسيت چون آرن ونسيت چوري كاسل... ونسيت هذا»، وأخرجَ الخنجر ووضَعه على المنضدة بينهما، السِّلاح المصنوع من عظام التنِّين والفولاذ الڤاليري، بحدَّة الفارق بين الخطأ والصَّواب، بين الأصيل والزَّائف، بين الحياة والموت. «لقد أرسلوا رجلًا لينحر ابني في غيبوبته يا لورد بايلش».

زفرَ الإصبع الصَّغير وقال: «أخشى أني نسيتُ بالفعل يا سيِّدي، سامِحني، فللحظةٍ لم أتذكَّر أني أتكلَّمُ مع ستارك»، والتوى فمه وسألَ: «أهو ستانيس إذن؟ والحرب؟».

- «لا يوجد خيار. ستانيس هو الوريث».

- «حاشا للآلهة إذن أن أُجادِل حضرة الحامي. ما الذي تُريده مني إذن؟ ليس حكمتي كما هو واضح».

- «سأعملُ على أن أنسى... حكمتك»، قال ند باستياء. «لقد استدعيتكُ كي أطلب منك المُساعَدة التي وعدت كاتلين بها. إننا في موقفٍ محفوفٍ بالخطر جميعًا. صحيحٌ أن روبرت عيَّنني حاميًا للبلاد، لكن في عيون النَّاس لا يزال چوفري ابنه ووريثه، والمَلكة لديها دستة من الفُرسان وعشرات من الرِّجال المسلَّحين الذين سيفعلون ما تأمرهم به، وهؤلاء يكفون للتغلُّب على البقيَّة الباقية من حَرس أهل بيتي. ومن يدري؟ قد يكون أخوها چايمي في الطَّريق إلى كينجز لاندنج في هذه اللَّحظة ومعه جيش من رجال لانستر».

- «وأنت بلا جيش»، قال الإصبع الصَّغير وهو يُداعِب الخنجر الموضوع على المنضدة ويُديره بإصبعه ببُطء. «ليس هناك وُدٌّ مفقود بين اللورد رنلي وآل لانستر. كذلك يون البرونزي، السير بالون سوان، السير لوراس، الليدي تاندا، التَّوأمان ردواين... كلٌّ من هؤلاء لديه حاشية من الفُرسان والسلاحدارِيَّة هنا في البلاط».

- «رنلي لديه ثلاثون رجلًا في حَرسه الشَّخصي، والباقون لديهم عدد أقلُّ من هذا. العدد الإجمالي لا يكفي، حتى لو كنتُ واثقًا من أنهم سيمنحونني ولاءهم جميعًا. يجب أن تكون المعاطف الذَّهبيَّة معي. حَرس المدينة فيه ألفا رجلٍ أقسَموا على الدِّفاع عن القلعة والمدينة وسلام المَلك».

- «آه، لكن عندما تُعلِن سرسي مَلكًا وأنت مَلكًا آخَر، فعن سلام أيِّ

منهما سيُدافِعون؟»، ونقرَ اللورد پيتر الخنجر بإصبعه ليجعله يدور ويدور مهتزًّا، وعندما كَفَّ عن الدَّوران أخيرًا كان رأسه يُشير إلى الإصبع الصَّغير الذي قال مبتسمًا: «ها هي الإجابة، إنهم يتبعون من يدفع لهم»، وتراجعَ إلى الوراء ناظرًا إلى وجه ند مباشرةً وعيناه الخضراوان الرَّماديَّتان تلتمعان سخريةً. «إنك ترتدي شَرفك كدِرعٍ يا ستارك، تحسب أنه يحميك، وفي الحقيقة هو يُثقِلك ويجعل حركتكَ عسيرةً. انظر إلى نفسك الآن. أنت تعرف لماذا استدعيتَني إلى هنا، تعرف ما تُريد أن تَطلُب مني أن أفعله، وتعرف أنه محتَّم... لكنه ليس بالتصرُّف الشَّريف الذي يروق لك، ولهذا تلتصق الكلمات بحَلقك».

كانت رقبة ند متصلِّبةً من فرط التوتُّر، ولوهلةٍ انتابَه غضب شديد جعله لا يأتمن نفسه على الكلام.

ضحكَ الإصبع الصَّغير وقال: «يَجدُر بي أن أجعلك تقولها، لكنها ستكون قسوةً بالغةً، فلا تقلق يا سيِّدي الطَّيِّب. من أجل الحُبِّ الذي أُكِنُّه لكاتلين سأذهبُ إلى چانوس سلينت على الفور وأضمنُ أن يكون حَرس المدينة معك. ستَّة آلاف قطعة ذهبيَّة تكفي على ما أعتقدُ، الثُّلث للقائد والثُّلث للقيِّمين والثُّلث للرِّجال. قد يكفي نِصف هذا المبلغ لشرائهم، لكني لا أحبُّ أن أُجازِف»، ورفعَ الخنجر مبتسمًا وقدَّمه إلى ند من جهة المقبض.

چون

كان چون يتناوَل إفطارًا من السجق وكعكات التُّفَّاح، عندما جلسَ ساموِيل تارلي على الدِّكَّة مُحدِثًا صوتًا مزعجًا وهمسَ بحماسة: «لقد استدعوني إلى السِّبت. سيُنهون فترة تدريبي ويجعلونني أخًا مع بقيَّتكم. هل تُصَدِّق هذا؟».

- «لا. حقًّا؟».

- «حقًّا. سأُساعِد المِايستر إيمون في أعمال المكتبة والطُّيور. إنه يحتاج أحدًا يستطيع قراءة وكتابة الرَّسائل».

قال چون مبتسمًا: «ستُبلي بلاءً حسنًا في هذا».

تلفَّت سام حوله بقلقٍ وقال: «هل نذهب الآن؟ لا أريدُ أن أتأخَّر وإلَّا غيَّروا رأيهم». كان يتواثَب فعلًا وهما يقطعان السَّاحة التي تناثَرت فيها الحشائش في ضوء النَّهار المشمس الدَّافئ، الذي جعلَ الماء يسيل على جانبي "الجِدار" ليتألَّق جَليده ويلتمع. في داخل السِّبت امتصَّت البلَّورة الضَّوء الذي يتسلَّل من النَّافذة المواجِهة للجَنوب ونشرَته في قوس قزحٍ على المذبح، وفغرَ پيپ فاه عندما رأى سام بينما وكزَ تودر جرِن في ضلوعه، لكن أحدًا منهم لم يلفظ كلمةً. كان السِّپتون سلادار -الذي لم يكن ثملًا اليوم لحُسن الحظ- يؤرجح مبخرةً ليملأ الهواء بالبخور طيِّب الرَّائحة الذي ذكَّر چون بسِپت الليدي ستارك في وينترفل.

دخلَ كبار القيِّمين في مجموعة، المِايستر إيمون متَّكئًا على كلايداس،

السير أليسر العابس ذو العينين الباردتين، حضرة القائد مورمونت بهيًّا مهيبًا في سُترةٍ من الصُّوف الأسود ذات أبازيم فضِّيَّة على شكل مخلب دُب، ومن ورائهم قادة الجماعات الثَّلاث: حضرة الوكيل باون مارش ذو الوجه الأحمر، البنَّاء الأول أوثل يارويك، والسير چارمي ريكر الذي يقود الجوَّالة في غياب بنچن ستارك.

وقفَ مورمونت وراء المذبح وألوان قوس قزح تتلاعب على رأسه الأصلع العريض، وقال: «جئتم إلينا خارجين على القانون، منتهكين ومغتصبين ومدينين وقتلةً ولصوصًا، جئتم إلينا أطفالًا، جئتم إلينا وحيدين مكبَّلين بالأغلال، بلا أصدقاءٍ أو شَرف، جئتم إلينا أثرياء وفقراء، يحمل بعضكم لقب عائلةٍ كبيرة والبعض الآخَر لقب نغلٍ أو لا لقب على الإطلاق. كلُّ هذا لا يهمُّ، كلُّ هذا في الماضي الآن. على "الجِدار" كلنا عائلة واحدة. اليوم عند المغرب، عندما تغيب الشَّمس ونُواجِه اللَّيل المحتشد، سوف تحلفون اليمين، وبدايةً من تلك اللَّحظة سيكون كلٌّ منكم أخًا تحت القَسم في حَرس اللَّيل. ستتطهَّرون من جرائمكم وتُنسى ديونكم، وعليكم بدوركم أن تتطهَّروا من أيِّ ولاءٍ سابقٍ لكم وتُنَحُّوا ضغائنكم جانبًا وتنسوا كلَّ خطإٍ وحُبٍّ قديم على حَدٍّ سواء. هنا يبدأ جميعكم من جديد. رجل حَرس اللَّيل يعيش حياته في سبيل البلاد، ليس من أجل مَلكٍ أو لورد أو شَرف هذه العائلة أو تلك، ولا من أجل الذَّهب أو المجد أو حُبِّ امرأة، بل في سبيل البلاد ومواطنيها. رجل حَرس اللَّيل لا يتَّخذ لنفسه زوجةً أو يُنجب أبناء، فالواجب زوجتنا، والشَّرف عشيقتنا، وأنتم الأبناء الوحيدون الذين سنعرفهم في حياتنا. لقد تعلَّمتم كلمات اليمين، ففكِّروا جيِّدًا قبل ترديدها، فلا عودة بمجرَّد أن ترتدوا الأسود، وعقوبة الفرار هي الموت»، وصمتَ الدُّب العجوز لحظةً قبل أن يُردِف: «هل هناك بينكم من يرغب في مُغادَرتنا؟ إذا كان الأمر كذلك، فيمكنك الذِّهاب الآن ولن يقلَّ تقديرنا لك شيئًا».

لم يتحرَّك أحدهم، فقال مورمونت: «عظيم جدًّا. يُمكنكم حلف اليمين اليوم عند المغرب هنا أمام السِّپتون سلادار وقادة جماعاتكم. أمنكم من يَعبُد الآلهة القديمة؟».

نهضَ چون قائلًا: «أنا يا سيِّدي».

- «أعتقدُ إذن أنك ترغب في ترديد كلماتك أمام واحدةٍ من أشجار القلوب كما فعلَ عمُّك».

- «نعم يا سيِّدي». لم تكن له علاقة بآلهة السِّپت الجديدة، فدماء البَشر الأوائل يسري في عروق أبناء ستارك كلهم.

سمعَ جرِن يهمس من خلفه: «ليست هناك أيكة آلهة هنا، أليس كذلك؟ لم أرَ واحدةً قَطُّ».

همسَ پيپ بدوره: «ولا يُمكنك أن ترى قطيعًا من الثِّيران حتى يدهسوك بين الثُّلوج».

- «بل يُمكنني أن أراه طبعًا، ومن على مسافةٍ بعيدة».

أكَّد مورمونت نفسه شكوك جرِن إذ قال: «القلعة السَّوداء لا تحتاج أيكةً للآلهة، لكن وراء "الجِدار" تقف الغابة المسكونة كما فعلَت منذ فَجر العصور، وقبل أن يجلب الأندالِيُّون "السَّبعة" معهم عبر البَحر الضيِّق. ستجد أيكةً من أشجار الويروود على بُعد نِصف فرسخٍ من هذه البُقعة، ولربما تجد آلهتك كذلك».

- «حضرة القائد». جعلَ الصَّوت چون يلتفت وراءه بدهشةٍ ليرى ساموِيل تارلي واقفًا يُجَفِّف كفَّيه المبلَّلتين بالعَرق على صُدرته. «هل... هل تسمح لي بالذِّهاب أيضًا لأحلف اليمين أمام شجرة القلوب؟».

سأله مورمونت: «هل تَعبُد عائلة تارلي الآلهة القديمة؟».

- «لا يا سيِّدي»، أجابَ سام بصوتٍ خافتٍ متوتِّر. كان چون يعرف أن كبار القيِّمين يُخيفونه، خصوصًا الدُّب العجوز. «لقد سُمِّيتُ في نور

"السَّبعة" في السِّبت في هورن هيل، مِثل أبي وأبيه من قبله وجميع أبناء تايرل منذ ألف سنة».

سأله السير چارمي ريكر: «ولِـمَ ترغب في هجران آلهة أبيك وعائلتك؟».

أجابَ سام: «حَرس اللَّيل عائلتي الآن. "السَّبعة" لم يُجيبوا دُعائي قَطُّ، لكن ربما تفعلها الآلهة القديمة».

قال مورمونت: «كما تشاء يا بُني»، وجلسَ سام وكذلك چون. «لقد عيَّنَّا كلًّا منكم في جماعةٍ كما تقتضي احتياجاتنا وبما يتناسَب مع قُدراتكم ومهاراتكم». تقدَّم منه باون مارش وناوَله ورقةً مطويَّةً، ففردَها حضرة القائد وبدأ يقرأ: «هالدر، إلى البنَّائين»، فهَزَّ هالدر رأسه بحركةٍ راضية. «جرِن، إلى الجوَّالة. آلبت، إلى البنَّائين. پيپ، إلى الجوَّالة»، فالتفتَ پيپ باسمًا إلى چون وهزهزَ أُذنيه الكبيرتين. «ساموِيل، إلى الوُكلاء»، فتنفَّس سام الصُّعداء وجفَّف جبهته بقطعةٍ من الحرير. «ماثار، إلى الجوَّالة. داريون، إلى الوُكلاء. تودر إلى الجوَّالة. چون، إلى الوُكلاء».

الوُكلاء؟ للحظةٍ لم يُصَدِّق چون ما سمعَه. لا بُدَّ أن مورمونت أخطأ القراءة. بدأ ينهض، يفتح فمه، يقول لهم إن ثمَّة خطأً ما... ثم رأى السير أليسر ثورن يَنظُر إليه بعينين تلمعان سوادًا كالزُّجاج البركاني، وفهِمَ.

طوى مورمونت الورقة قائلًا: «سيُملي عليكم قيِّم كلِّ جماعةٍ واجباتكم. فلتحفظكم الآلهة كلها أيها الإخوة»، وحيَّاهم حضرة القائد بهزَّةٍ من رأسه وانصرفَ ومعه السير أليسر وعلى شفتيه ابتسامة رفيعة، وخطرَ لچون أنه لم يرَ قيِّم السِّلاح بهذه السَّاعدة من قبل.

صاحَ السير چارمي ريكر: «الجوَّالة معي»، وحدَّق پيپ في چون وهو ينهض ببُطءٍ وقد احمرَّت أُذناه، بينما ارتسمَت على وجه جرِن ابتسامة واسعة كأنه لا يُدرِك أن شيئًا ما على غير ما يرام، وانضمَّ إليهما مات وتودر وتبعوا السير چارمي إلى خارج السِّبت.

وقال أوثل يارويك ذو الوجه الطَّويل النَّحيل: «البنَّاؤون معي»، فتبعه هالدر وآلبت.

تطلَّع چون حوله مصدومًا شاعرًا بالغثيان. كانت عينا المِايستر إيمون الضَّريرتان مرفوعتين نحو الضَّوء الذي لا يراه، والسِّپتون يرصُّ البلَّورات على المذبح، بينما لم يتبقَّ غير سام وداريون على الدِّكَّة؛ ولد بدين ومغنٍّ... وهو.

فركَ حضرة الوكيل باون مارش يديه الممتلئتين معًا وقال: «ساموِيل، ستُساعِد المِايستر إيمون في المِغدفة والمكتبة. سينتقل تشِت إلى الوجار ليُعنى بكلاب الصَّيد، وستأخذ حُجيرته كي تكون قريبًا من المِايستر في أيِّ وقتٍ ليلًا أو نهارًا. سأعتمدُ عليك في العناية به، فهو مُسِنٌّ جدًّا وغالٍ علينا جدًّا. داريون، قالوا لي إنه سبقَ لك الغناء على موائد كبار اللوردات ومُشارَكتهم طعامهم وشرابهم. سنُرسِلك إلى القلعة الشَّرقيَّة على البَحر، فقد يكون غناؤك مفيدًا لكوتر پايك عندما تأتي السُّفن للتِّجارة. إننا ندفع أسعارًا باهظةٍ للَّحم المملَّح والسَّمك المحفوظ، كما أن زيت الزَّيتون شنيع حقًّا. قدِّم نفسك إلى بوركاس لدى وصولك، وسيُكَلِّفك بالعمل بين السُّفن»، ثم التفتَ مارش مبتسمًا إلى چون وقال: «حضرة القائد مورمونت طلبَ أن تكون وكيله الخاص يا چون. ستنام في حُجيرةٍ تحت مسكنه في بُرج القائد».

سألَ چون بلهجةٍ حادَّة: «وماذا ستكون واجباتي؟ هل سأقدِّم لحضرة القائد وجباته وأُساعِده على ارتداء ثيابه وأجهِّز الماء السَّاخن لحمَّامه؟».

أجابَ مارش عاقدًا حاجبيه إثر لهجة چون: «بالتأكيد. وستذهب وتأتي برسائله، وتُحافِظ على النَّار متَّقدةً في مسكنه، وتُبَدِّل الأغطية وملاءات الفِراش يوميًّا، وتفعل كلَّ شيءٍ آخَر يأمرك حضرة القائد به».

- «هل تراني خادمًا؟».

- «كلا»، أجابَ المِايستر إيمون من مؤخِّرة السِّپت وكلايداس يُساعِده

على النُّهوض. «إننا نراك رجلًا في حَرس اللَّيل، لكن لعلَّنا أخطأنا».

استعانَ چون بكلِّ ما لديه من قوَّةٍ كي يمنع نفسه من الاندفاع مغادرًا. هل من المفترَض أن يمخض الزُّبد ويحيك الثِّياب كالفتيات لبقيَّة حياته؟ سألَ بجمود: «هل يُمكنني الانصراف؟».

أجابَه باون مارش: «كما ترغب».

خرجَ داريون وسام معه، ونزلَ ثلاثتهم إلى السَّاحة بصمت. في الخارج رفعَ چون عينيه إلى "الجِدار" اللَّامع في نور الشَّمس والجَليد الذَّائب يسيل على جانبه كمئة إصبعٍ رفيع، وفي داخله تعتمل ثورة قمينة بأن يجعله يهدمه في لحظة، وليذهب العالم إلى الجحيم.

قال ساموِيل تارلي بحماسة: «چون، انتظر، ألا ترى ما يفعلونه؟».

التفتَ إليه قائلًا بحنق: «أرى يد السير أليسر، هذا هو كلُّ ما أراه. لقد أرادَ إذلالي ونجحَ».

رمقَه داريون بنظرةٍ لائمةٍ وقال: «جماعة الوُكلاء تُناسِب من هُم مِثلي ومِثلك يا سام، لكن ليس اللورد سنو».

صاحَ چون: «إنني أجيدُ المُبارَزة والرُّكوب أكثر من أيِّ واحدٍ فيكم! هذا ليس عدلًا!».

قال داريون هازئًا: «ليس عدلًا؟ الفتاة كانت تنتظرني عاريةً كيوم ولدتها أمُّها وجذبَتني من النَّافذة، وتتكلَّم أنت عن العدل؟»، وابتعدَ هازًّا رأسه.

قال سام: «كونك وكيلًا ليس ذُلًّا».

- «هل تحسب أني أرغبُ في قضاء بقيَّة حياتي في غسيل الثِّياب الدَّاخليَّة لرجلٍ عجوز؟».

- «هذا الرَّجل العجوز هو حضرة قائد حَرس اللَّيل، وستكون معه ليلًا نهارًا. نعم، عليك أن تَصُبَّ له النَّبيذ وتُغيِّر أغطية فِراشه، لكنك كذلك ستُوَصِّل رسائله وتقف إلى جواره في الاجتماعات وتُرافِقه في المعركة.

ستكون قريبًا منه كظِلِّه، ستعرف كلَّ شيءٍ وتكون جزءًا من كلِّ شيء... كما أن حضرة الوكيل قال إن مورمونت طلبَك بنفسه! في طفولتي كان أبي يُصِرُّ على أن أكون معه في قاعة الاجتماعات دائمًا، وعندما ذهبَ إلى هايجاردن ليُقسِم بالولاء للورد تايرل جعلَني أذهب معه. بَعدها بدأ يأخذ ديكون معه ويَترُكني في البيت، ولم يَعُدْ يُبالي إن كنتُ أحضرُ الاجتماعات أم لا. المهم أنه كان يرغب في وجود وريثه إلى جواره، هل تفهم؟ يُريده أن يُشاهِد ويُصغي ويتعلَّم من كلِّ ما يفعله. أراهنُ أن حضرة القائد طلبَك للسَّبب نفسه يا چون، وإلَّا فما السَّبب؟ إنه يرغب في تأهيلك للقيادة!».

تراجعَ چون مندهشًا، وتذكَّر كيف كان اللورد إدارد يجعل روب جزءًا من مجلسه في وينترفل. هل من الممكن أن يكون سام مصيبًا؟ حتى النَّغل يستطيع الارتقاء إلى مكانةٍ عاليةٍ في حَرس اللَّيل كما أخبَروه، لكنه قال بعناد: «لم أطلب هذا قَطُّ».

قال سام: «لا أحد منا هنا لأنه طلبَ هذا».

وشعرَ چون سنو بالخجل يعتريه فجأةً.

جبان أم لا، ساموبل تارلي وجدَ الشَّجاعة ليتقبَّل مصيره كرجل. على "الجِدار" لا يَحصُل الرَّجل إلَّا على ما يستحقُّه. أنت لست جوَّالًا يا چون، بل مجرَّد صبيٍّ أخضرَ ما زالت رائحة الصَّيف عالقةً به، قال له عمُّه بنچن ستارك في آخِر ليلةٍ رآه فيها چون حيًّا. لقد سمعَ أن النُّغول يَكبُرون أسرع من بقيَّة الأطفال، وعلى "الجِدار" إمَّا أن تَكبُر أو تموت.

أطلقَ چون زفرةً عميقةً وقال: «أنت على حق، كنتُ أتصرَّفُ كالأطفال».

- «ستبقى إذن وتحلف اليمين معي؟».

جعلَ نفسه يبتسم وقال: «الآلهة القديمة في انتظارنا».

خرَجوا يومها في أواخر الأصيل. لم تكن هناك بوَّابات في "الجِدار"، لا في القلعة السَّوداء ولا في أيِّ مكانٍ آخَر على امتداد أمياله الثلاثمئة،

وقادوا خيولهم عبر النَّفق الضيِّق المحفور في قلب الجَليد والجدران الباردة تنضغط عليهم مع كلِّ منعطف. ثلاث مرَّاتٍ توقَّفوا عند قضبان حديديَّةٍ تسدُّ الطَّريق، ليُخرِج باون مارش مفاتيحه ويَحِلَّ السَّلاسل الضَّخمة التي تُؤَمِّنها. شعرَ چون بالثِّقل العظيم الذي يضغط عليه وهو ينتظر وراء حضرة الوكيل، وبالهواء الأبرد وأكثر ثباتًا من هواء مقبرة، وشعرَ براحةٍ غريبةً حين خرَجوا من في ضوء الأصيل على الجانب الشَّمالي من "الجِدار".

طرفت عينا سام مع تعرُّضهما المباغت للضَّوء، وتطلَّع حوله بحذرٍ متوتِّرٍ قائلًا: «الهَمج... إنهم لا... إنهم لا يجرؤون على الدُّنُوِّ من "الجِدار" كثيرًا، أليس كذلك؟».

أجابَ چون وهو يمتطي حصانه: «لم يفعلوها من قبل قَطُّ». عندما امتطى باون مارش ومجموعة الجوَّالة المُصاحِبة لهما خيولهم بدورهم، وضعَ چون إصبعين في فمه وأطلقَ صفيرًا، فجاءَ جوست يعدو من داخل النَّفق.

صهلَ حصان حضرة الوكيل وتراجعَ إثر مرأى الذِّئب الرَّهيب، وقال مارش: «هل تنوي أن تأخذه معك؟».

قال چون: «نعم يا سيِّدي»، ورفعَ جوست رأسه وبدا أنه يتذوَّق الهواء، وفي غمضة عينٍ انطلقَ عبر الحقل الفسيح المغطَّى بالأعشاب واختفى بين الأشجار.

صاروا في عالمٍ آخَر بمجرَّد دخولهم الغابة. كان چون كثيرًا ما يَخرُج للصَّيد مع أبيه وچوري وروب، ويعرف غابة الذِّئاب المحيطة بوينترفل جيِّدًا. الغابة المسكونة كانت تُشبِهها كثيرًا، وإن كان إحساسها يختلف تمامًا. لعلَّ المعرفة هي السَّبب، فلقد تجاوَزوا نهاية العالم، وبشكلٍ ما غيَّر هذا كلَّ شيء. هنا كلُّ ظِلٍّ أكثر قتامةً، كلُّ صوتٍ مُنذِر بالخطر أكثر، والأشجار تتشابَك بشدَّةٍ لتَحجُب نور الشَّمس الغاربة. تشقَّقت قشرة

الثَّلج الرَّقيقة تحت حوافر خيولهم بصوتٍ كتكسير العظام، وأثارَ حفيف الأشجار في الرِّيح شعورًا في چون كأن إصبعًا جَليديًّا يمرُّ على عموده الفقري. "الجِدار" يقبع وراءهم الآن، ووحدها الآلهة تعلم ما يقبع أمامهم.

كانت الشَّمس تغيب وراء الأشجار لما بلَغوا وجهتهم، المنطقة الخالية من الأشجار في أعماق الغابة التي نمَت فيها تسع من أشجار الويروود في دائرة. التقطَ چون نفسًا عميقًا ورأى سام تارلي يُحَدِّق بدهشة. حتى في غابة الذِّئاب لم تكن لتجد غير شجرتين أو ثلاثًا على الأكثر من الويروود تنمو معًا، بينما الأيكة المكوَّنة من تسع دفعةً واحدةً منظر جديد تمامًا. كانت أرض الغابة مكسوَّةً بالأوراق السَّاقطة، حمراء كالدَّم من أعلى سوداء من العفن من أسفل، بينما الجذوع الملساء الضَّخمة بيضاء كالعظام ومنها تُحَدِّق تسعة وجوهٍ في بعضها بعضًا، وقد جعلَ النُّسغ الجاف العيون التي كساها حمراء صُلبةً كالياقوت. أمرَهم باون مارش بترك خيولهم خارج الدَّائرة قائلًا: «هذا مكان مقدَّسٍ ولن نُدَنِّسه».

عندما خطوا داخل الدَّائرة تلفَّت سام تارلي بتأنٍّ متطلِّعًا إلى الوجوه التي لا يُشبِه واحد منها الآخَر، وهمسَ: «الآلهة القديمة، إنها تُراقِبنا».

غمغمَ چون: «أجل»، وركعَ وإلى جواره ركعَ سام.

ردَّدا الكلمات معًا وملأ صوتاهما غَسق الأيكة وآخِر خيوط الضَّوء يغيب في الغَرب والنَّهار الرَّمادي يستحيل إلى ليلٍ أسودَ: «اسمَعوا كلماتي واشهَدوا على قَسمي. اللَّيل يزداد حُلكةً، والآن تبدأ حراستي، ولن تنتهي حتى مماتي. لن أتَّخذ لنفسي زوجةً، أو أملك أرضًا، أو أنجب أبناءً، ولن أرتدي تاجًا أو أظفر بمجد، وسأعيشُ في موقعي وأموتُ فيه. أنا السَّيف في الظُّلمات، أنا الحارس على الأسوار، أنا النَّار التي تحترق لتَطرُد البَرد، الضَّوء الذي يأتي بالفَجر، النَّفير الذي يوقظ النِّيام، الدِّرع التي تقي بلدان البَشر. لحَرس اللَّيل أتعهَّدُ بحياتي وشَرفي، بدايةً من اللَّيلة وطوال جميع اللَّيالي القادمة».

خيَّم الصَّمت على الغابة، ثم قال باون مارش بوقار: «لقد ركعتما صبيَّين، والآن انهضا كرجلين في حَرس اللَّيل».

مَدَّ چون يده إلى سام ليُساعِده على النُّهوض، فيما احتشدَ الجوَّالة حولهما ليُقَدِّما إليهما التَّهاني الباسمة، كلهم باستثناء رجل الغابات العجوز المتجهِّم دايوين الذي قال لباون مارش: «من الأفضل أن نعود الآن يا سيِّدي. الظَّلام يسود بسرعة، وثمَّة شيءٍ لا يروق لي في رائحة اللَّيل».

وفي هذه اللَّحظة عادَ جوست ووقفَ بين شجرتي ويروود، وقال چون لنفسه وقد اعتراه قلق مباغت: فرو أبيضَ وعينان حمراوان، تمامًا كالأشجار.

بين فَكَّي الذِّئب كان ثمَّة شيء ما، شيء أسودَ، وسألَ باون مارش عاقدًا حاجبيه: «ما هذا؟».

ركعَ چون قائلًا: «إليَّ يا جوست، تعالَ هنا».

تقدَّم الذِّئب الرَّهيب منه، وسمعَ چون شهقة سام تارلي الحادَّة، وتمتمَ دايوين: «فلترحمنا الآلهة، إنها يد!».

إدارد

استيقظَ إدارد ستارك من غفوته القصيرة المُنهَكة على وقْع حوافر الخيول الهادر بينما يتسلَّل نور الفَجر من نافذته، ورفعَ رأسه الذي أسندَه إلى المنضدة وألقى نظرةً على السَّاحة في الأسفل، حيث ملأ الرِّجال الذين يرتدون الحلقات المعدنيَّة والجِلد والمعاطف القرمزيَّة الصَّباح بصليل السُّيوف وانطلَقوا يدهسون أعداءً من القَشِّ بخيولهم، وشاهدَ ند ساندور كليجاين يعدو بحصانه على الأرض الصُّلبة ليغرس رُمحه ذا الرَّأس الحديدي في رأس واحدةٍ من دُمى التدريب، ليتمزَّق القُماش ويتفجَّر القَشُّ بينما يُطلِق رجال لانستر الضَّحك والسِّباب.

أهذا الاستعراض الشُّجاع من أجلي؟ إذا كان كذلك، فسرسي حمقاء أكثر مما تصوَّرتُ. لماذا لم تَهرُب اللَّعينة؟ لقد أعطيتها الفُرصة وراء الفُرصة...

كان نهارًا كئيبًا غائمًا، وجلسَ ند لتناوُل طعام الإفطار مع ابنتيه والسِّپتة موردن. رمقَت سانزا المغتمَّة طعامها بنظرةٍ واجمةٍ ورفضَت أن تأكل، بينما التهمَت آريا كلَّ شيءٍ وضعوه أمامها، وقالت: «سيريو يقول إن لدينا وقتًا لدرسٍ أخير قبل أن نستقلَّ السَّفينة هذا المساء. هل تسمح يا أبي؟ كلُّ أغراضي محزومة للسَّفر بالفعل».

- «ليكن درسًا قصيرًا، وتأكَّدي من أن لديكِ الوقت للاستحمام وتبديل ثيابكِ. أريدكِ جاهزةً بحلول الظُّهر، مفهوم؟».

ردَّدت آريا: «بحلول الظُّهر».

رفعَت سانزا رأسها قائلةً: «إذا كانت تستطيع حضور درس الرَّقص، فلِمَ لا تسمح لي بتوديع الأمير چوفري؟».

قالت السِّپتة موردن: «يُمكنني أن أذهب معها يا لورد إدارد، ولن أسمح بأن تفوتها السَّفينة».

- «لن يكون من الحكمة أن تذهبي إلى چوفري الآن. آسف يا سانزا».

قالت دامعةً: «لكن لماذا؟».

قالت السِّپتة: «سانزا، السيِّد والدكِ يعرف أفضل منكِ، وليس من حقِّكِ التَّشكيك في قراراته».

صرخَت سانزا: «هذا ليس عدلًا!»، وانتفضَت ناهضةً لتُسقِط مقعدها، وهُرِعَت من الغُرفة باكيةً.

نهَضت السِّپتة لتلحق بها، لكن ند أشارَ لها بالجلوس وقال: «دعيها تذهب. سأُحاوِلُ أن أجعلها تفهم عندما نعود جميعًا بأمانٍ إلى وينترفل»، فحنت السِّپتة رأسها وعادَت تجلس لاستكمال إفطارها.

بَعد ساعةٍ جاءَ المِايستر الأكبر پايسل إلى إدارد ستارك في غُرفته الشَّمسيَّة بكتفين متهدِّلتين كأن ثِقل سلسلة المِايسترات الشَّديد حول عُنقه صارَ أكبر من احتماله، وقال: «سيِّدي، لقد رحلَ المَلك روبرت. لتمنحه الآلهة الرَّاحة».

قال ند: «لا، روبرت كان يكره الرَّاحة. لتمنحه الآلهة الحُبَّ والضَّحك وبهجة معركةٍ حامية الوطيس». الخواء الذي يَشعُر به كان غريبًا، ومع أنه توقَّع هذه الزِّيارة، إلَّا أن شيئًا في داخله ماتَ مع هذه الكلمات. كان مستعدًّا للتخلِّي عن جميع ألقابه مقابل أن يملك حُرِّيَّة البكاء الآن، لكنه يَدُ روبرت، والسَّاعة التي كان يخشاها جاءَت أخيرًا. قال لپايسل: «من فضلك استدعِ أعضاء المجلس للاجتماع هنا». كان هو وتومارد قد أمَّنا بُرج اليَد قَدر المستطاع، بينما لا يُمكنه أن يضمن أمن قاعة المجلس.

قال پايسل بدهشة: «سيِّدي، مؤكَّد أن شؤون المَملكة يُمكنها الانتظار حتى الغد، عندما لا يكون حُزننا جديدًا هكذا».

رَدَّ ند بهدوءٍ حازم: «أخشى أن علينا الانعقاد في الحال».

انحنى پايسل وقال: «كما يأمر اليَد»، ونادى على خدمه وأرسلَهم لاستدعاء أعضاء المجلس، ثم قبلَ شاكرًا المقعد الذي قدَّمه ند له وكوبًا من البيرة المحلَّاة.

كان السير باريستان سلمي أول من لبَّى الاستدعاء، وجاءَ وقد بدَت عليه المهابة في معطفه الأبيض والدِّرع المطليَّة بالمينا، وقال: «سيِّدي، إن مكاني إلى جوار المَلك الصَّغير. أرجو أن تأذن لي بالانصراف».

قال له ند: «مكانك هنا يا سير باريستان».

بَعده وصلَ الإصبع الصَّغير وهو لا يزال يرتدي المعطف الأزرق المنقوش بطيور المُحاكي الفضِّيَّة الذي ارتداه اللَّيلة السَّابقة وقد تغبَّر حذاؤه من الرُّكوب، وحيَّاهم بابتسامةٍ لا تعني شيئًا معيَّنًا، قبل أن يلتفت إلى ند قائلًا: «المهمَّة الصَّغيرة التي كلَّفتني بها تمَّت يا لورد إدارد».

ثم جاءَ ڤارس يمشي في خُفَّين ناعمين لا يُصدِران صوتًا ورائحة اللاڤندر تفوح منه ووجهه متورِّد من حمَّامه السَّاخن وقد وضعَ المساحيق على وجهه كالمعتاد، وقال وهو يجلس: «الطُّيور الصَّغيرة تُنشِد أغنيَّةً حزينةً اليوم والبلاد تبكي. هل نبدأ؟».

قال ند: «عندما يصل اللورد رنلي».

رمقَه ڤارس بنظرةٍ حزينةٍ وقال: «أخشى أن اللورد رنلي غادرَ المدينة».

ردَّد ند الذي كان يعتمد على دعم رنلي: «غادرَ المدينة؟».

أجابَه ڤارس: «خرجَ من بوَّابةٍ خلفيَّةٍ قبل ساعةٍ من الفَجر، يصحبه السير لوراس تايرل وخمسون من الخدم. آخِر من شاهَدهم قال إنهم كانوا يتَّجهون جنوبًا بأقصى سرعة، إلى ستورمز إند أو هايجاردن لا شَك».

لا اعتماد إذن على رنلي وسيوفه المئة. لم يَرُقْ هذا لند، لكن ما باليد حيلة. أخرجَ وثيقة روبرت وقال: «المَلك طلبَني ليلة أمس وأمرَني بتسجيل كلماته الأخيرة. اللورد رنلي والمِايستر الأكبر پايسل كانا شاهدَيْن على ختم روبرت للوثيقة التي أمرَ أن يفتحها المجلس بَعد وفاته. هل تسمح يا سير باريستان؟».

فحصَ قائد الحَرس المَلكي الورقة وقال: «ختم المَلك روبرت سليم»، ثم فتحَها وقرأ: «بموجب هذه الوثيقة يُعَيَّن اللورد إدارد ستارك وصيًّا على العَرش وحاميًا للبلاد إلى أن يَبلُغ وريثي».

والحقيقة أن الوريث بالغٌ بالفعل، فكَّر ند وإن لم يُتَرجِم أفكاره إلى كلماتٍ مسموعة. إنه لا يثق بپايسل أو ڤارس، والسير باريستان مُلزَم بشَرفه بالدِّفاع عن الصَّبي الذي يحسبه المَلك الجديد، ولن يتخلَّى الفارس المُسِنُّ عن چوفري ببساطة. كانت الحاجة إلى الخداع تجعل مذاق فمه مريرًا حقًّا، لكن ند كان يُدرِك أنه ينبغي أن يتحرَّك بحذرٍ الآن ويحتفظ بالمجلس ويلعب اللُّعبة إلى أن يستقرَّ في مكانه كوصيٍّ على العَرش بثبات. سيكون هناك وقت للتَّعامُل مع مسألة الخلافة بمجرَّد أن تعود سانزا وآريا سالمتين إلى وينترفل ويأتي اللورد ستانيس إلى كينجز لاندنج ومعه قوَّاته.

- «أطلبُ من المجلس أن يُصَدِّق على تنصيبي حاميًا للبلاد طبقًا لرغبة روبرت»، قال ند وهو يُراقِب وجوههم متسائلًا عمَّا يتوارى وراء عيني پايسل نِصف المغلقتين وابتسامة الإصبع الصَّغير الخفيفة المتراخية وحركة أصابع ڤارس المتوتِّرة.

انتفحَ الباب، ودخلَ توم السَّمين قائلًا: «معذرةً أيها السَّادة، لكن حضرة الوكيل يُصِرُّ على...».

دلفَ الوكيل المَلكي إلى الغُرفة وانحنى وقال: «أيها السَّادة الموقَّرون، المَلك يأمر بحضور مجلسه الصَّغير في قاعة العَرش على الفور».

كان ند يتوقَّع أن تضرب سرسي ضربتها بسرعة فلم يأتِ الاستدعاء بمثابة مفاجأةٍ له، وقال: «المَلك ماتَ، لكننا سنأتي معك على كلِّ حال. توم، اجمع فِرقة مُصاحِبة إذا سمحت».

أعطى الإصبع الصَّغير ند ذراعه ليُساعِده على نزول السَّلالم، وتبعهما ڤارس وپايسل والسير باريستان عن كثب، وخارج البُرج كان ثمانية من الرِّجال المسلَّحين الذين يرتدون الحلقات المعدنيَّة والخوذات قد كوَّنوا صفَّين، ورفرفت المعاطف الرَّماديَّة في الرِّيح والحُرَّاس يقودونهم عبر السَّاحة. لم يَلُحْ لون لانستر القرمزي في أيِّ مكان، واطمأنَّ ند لمرأى عدد المعاطف الذَّهبيَّة الكبير في الشُّرفات وعند البوَّابات.

التقى بهم چانوس سلينت عند باب قاعة العَرش وقد تدرَّع بالصَّفائح المعدنيَّة ذات اللَّونين الأسود والذَّهبي ووضعَ خوذةً ذات ريشةٍ طويلةٍ تحت إبطه. انحنى قائد حَرس المدينة بحركةٍ جامدة، ودفعَ رجاله مصراعي الباب الثَّقيلين المصنوعين من السَّنديان والمدعَّمين بالبرونز واللذين يَبلُغان عشرين قدم طولًا، وقادَهم الوكيل المَلكي إلى الدَّاخل وصاحَ بصوتٍ رنَّان: «فليُحَيِّي الجميع المَلك چوفري الأول سليل عائلتي باراثيون ولانستر، مَلك الأنداليِّين والروينار والبَشر الأوائل، سيِّد المَمالك السَّبع وحامي البلاد».

كانت مسيرةً طويلةً إلى طرف القاعة القصيِّ حيث جلسَ چوفري منتظرًا على العَرش الحديدي، ومشى ند مستندًا على الإصبع الصَّغير بتؤدةٍ نحو الصَّبي الذي يدعو نفسه مَلكًا والآخَرون في أعقابهما. أول مرَّةٍ دخلَ فيها هذه القاعة كان على متن حصان وسيفه في يده، وشاهدَته تنانين تارجاريَن من على الجدران إذ أجبرَ چايمي لانستر على النُّزول من على العَرش. تساءلَ إن كان چوفري سينزل بالسُّهولة نفسها بدوره.

اصطفَّ خمسة من فُرسان الحَرس المَلكي -جميعهم باستثناء السير چايمي والسير باريستان- في هلالٍ عند قاعدة العَرش، يرتدون

دروعهم الكاملة المصنوعة من الفولاذ المطلي بالمينا من قمَّة الرَّأس حتى أخمص القَدم، والمعاطف البيضاء الطَّويلة على أكتافهم، والتُّروس البيضاء اللَّامعة مثبَّتة إلى ذراع كلٍّ منهم اليُسرى. وقفَت سرسي لانستر وطفلاها الأصغر وراء السير بوروس والسير مرين، وارتدَت المَلكة فُستانًا من الحرير الأخضر البَحري المزيَّن بالدانتيلا المايريَّة الشَّاحبة كزَبد الأمواج، وعلى إصبعها خاتم ذهبي بفَصٍّ من الزمرُّد كبير كبيضة حمامة، وعلى رأسها تاج باللَّون نفسه.

وفوقهم جلسَ الأمير چوفري بين الخوازيق والحواف المحزَّزة يرتدي صُدرةً من قُماش الذَّهب وحرملةً[1] حريريَّةً حمراء، بينما وقفَ ساندور كليجاين عند قاعدة سلالم العَرش الضيِّقة المنحدرة وقد ارتدى الحلقات المعدنيَّة تحت دِرعٍ سوداء كالسِّناج وخوذته ذات شكل رأس الكلب المزمجر.

وراء العَرش وقفَ عشرون من رجال لانستر والسُّيوف الطَّويلة تتدلَّى من أحزمتهم، وقد انسدلَت المعاطف القرمزيَّة على ظهورهم وزيَّنت الأسودُ الفولاذيَّة خوذاتهم. على أن الإصبع الصَّغير أوفى بوعده، فبطول الجدران، أمام ستائر روبرت المزيَّنة بمَشاهد المعارك والصَّيد، وقفَ رجال حَرس المدينة ذوو المعاطف الذَّهبيَّة منتبهين، ويد كلِّ رجلٍ منهم على مقبض رُمحٍ ذي رأسٍ حديديٍّ أسودَ يَبلُغ ثمانية أقدامٍ طولًا، وكانوا يفوقون رجال لانستر في العدد بنسبة خمسة إلى واحد.

كانت ساق ند تشتعل ألمًا عندما توقَّف أخيرًا، وأبقى يده على كتف الإصبع الصَّغير ليستطيع الوقوف.

نهضَ چوفري لتلوح حرملته الحريريَّة الحمراء المنقوشة بالخيط الذَّهبي، على جانبٍ خمسون أسدًا زائرًا وعلى الجانب الآخَر خمسون أيلًا واثبًا، وقال الصَّبي: «آمرُ المجلس باتِّخاذ جميع الإجراءات اللَّازمة

---

(1) الحرملة رداء قصير واسع يحُيط بالعُنق ومفتوح من الأمام.

لتتويجي الذي أرغبُ أن يتمَّ خلال أسبوعين. اليوم سأقبلُ تعهُّدات الإخلاص من مستشاريَّ الأوفياء».

أخرجَ ند وثيقة روبرت قائلًا: «لورد ڤارس، أرجو أن تتلطَّف وتعرض هذه على الليدي لانستر».

أخذَ الخَصِيُّ الورقة إلى سرسي التي ألقَت نظرةً عابرةً على الكلمات، وقالت: «حامي البلاد... هل من المفترَض أن تكون هذه هي الدِّرع التي تستتر بها يا سيِّدي؟ قطعة ورق؟»، ثم مزَّقت الورقة إلى نِصفين والنِّصفين إلى أرباع وطوَّحت بالقطع على الأرض.

قال السير باريستان مصدومًا: «هذه كلمات المَلك».

- «هناك مَلك جديد الآن»، ردَّت سرسي لانستر. «لورد إدارد، عندما تكلَّمنا آخِر مرَّةٍ وجَّهت لي نصيحة، فدعني أردُّ لك الجميل. اركع يا سيِّدي، اركع وأَقسِم بالولاء لابني، وسنسمح لك بالتَّنازُل عن منصبك كيَدٍ للمَلك وقضاء بقيَّة أيامك في الأرض اليباب التي تدعوها دياركَ».

قال ند: «ليتني أستطيع». إذا كانت بالحماقة التي تجعَلها تُجبِره على طرح هذه المسألة هنا والآن، فلا خيار لديه. «ابنكِ ليس لديه الحق في العَرش الذي يجلس عليه. ستانيس باراثيون هو الوريث الشَّرعي».

صرخَ چوفري وقد احتقنَ وجهه: «كاذب!».

سألَت الأميرة مارسلا أمها بخوف: «ماذا يعني يا أمي؟ أليس چوف المَلك الآن؟».

قالت سرسي لانستر: «إنك تدين نفسك بكلماتك يا لورد ستارك. سير باريستان، اقبض على هذا الخائن».

تردَّد قائد الحَرس المَلكي، وفي لحظةٍ كان محاطًا برجال ستارك الذين جرَّدوا سيوفهم.

قالت سرسي: «والآن تتحوَّل الخيانة من القول إلى الفعل. هل تعتقد أن السير باريستان يقف وحده يا سيِّدي؟». بصوت احتكاك المعدن

بالمعدن سحبَ كلب الصَّيد سيفه، وتقدَّم فُرسان الحَرس المَلكي ورجال لانستر العشرون ليُسانِدوه.

صرخَ المَلك الصَّبي من فوق العَرش الحديدي: «اقتلوه! اقتلوهم جميعًا! هذا أمر!».

- «لم تَترُكي لي الخيار»، قال ند لسرسي، ثم التفتَ إلى چانوس سلينت قائلًا: «أيها القائد، اقبض على المَلكة وأطفالها. لا تُنزِلوا بهم أذىً، وقودوهم إلى السَّكن المَلكي وأبقوهم هناك تحت الحراسة».

صاحَ چانوس سلينت وهو يضع خوذته: «يا رجال حَرس المدينة!»، فرفعَ مئة من ذوي المعاطف الذَّهبيَّة رماحهم وتحرَّكوا.

قال ند للمَلكة: «لا أريدُ أن تُراق الدِّماء. قولي لرجالك أن يخفضوا أسلحتهم، ولا داعي للـ...».

بضربةٍ واحدةٍ حادَّةٍ غرسَ أقرب رجال حَرس المدينة رُمحه في ظَهر تومارد، وسقطَ سيف توم السَّمين من أصابعه المرتخية ورأس الرُّمح يخترق أضلاعه، وفارَقته الحياة قبل حتى أن يَبلُغ السَّيف الأرض. تأخَّرت صيحة ند كثيرًا جدًّا، ورأى چانوس سلينت يشقُّ حَلق ڤارلي بنفسه، بينما دارَ كاين وسيفه يلمع في يده دافعًا أقرب حارسٍ إليه إلى الوراء، وللحظةٍ بدا أنه يستطيع التحرُّر من الحصار، قبل أن ينقَضَّ عليه كلب الصَّيد. بترَت ضربة ساندور كليجاين الأولى يده حاملة السَّيف من المعصم، والثَّانية أسقطَته على رُكبتيه وقد شقَّته من كتفه إلى صدره.

وبينما يموت رجاله حوله، اختطفَ الإصبع الصَّغير خنجر ند من غِمده ووضَعه تحت ذقنه قائلًا بابتسامة من يعتذر: «لقد حذَّرتك من الثِّقة بي، أليس كذلك؟».

آريا

صاحَ سيريو فورل وهو يهوي على رأسها بسيف التَّدريب: «إلى أعلى!»، وطقطقَ السَّيفان الخشبيَّان معًا مع صَدِّ آريا للضَّربة.

- «يسارًا!»، صاحَ وسيفه يَشُقُّ الهواء من جديد، فوثبَ سيفها ليُقابِله بحركةٍ رشيقة، وجعلَ الارتطام أسنانه تصطدم ببعضها بعضًا.

- «يمينًا»، قال، و«إلى أسفل»، و«يسارًا»، و«يسارًا» من جديد، أسرع وأسرع وهو يتقدَّم منها، وتقهقرَت آريا أمامه وإن صدَّت كلَّ ضربة.

- «إلى الأمام!»، صاحَ وسدَّد طعنته، إلَّا أنها انحرفَت جانبًا مُبعِدةً سيفه عنها بسيفها قبل أن تهوي بضربتها على كتفه، وكادَت -كادَت- أن تمسَّ الكتف فابتسمَت. تدلَّت خُصلة مبلَّلة بالعَرق على عينيها، فأزاحَتها بظَهر يدها.

ردَّد سيريو: «يسارًا، إلى أسفل» وقد بدا سيفه ككائنٍ حيٍّ مخلوق من ضباب من فرط سرعته، وتردَّدت طقطقة السَّيفين -*كلاك، كلاك، كلاك*- في القاعة الصَّغيرة. «يسارًا، يسارًا، إلى أعلى، يسارًا، يمينًا، يسارًا، إلى أسفل، يسارًا!»

أصابَها السَّيف الخشبي أعلى صدرها بضربةٍ مباغتةٍ آلَمَتها أكثر من المعتاد لأنها جاءَت من الجانب الخطأ، وتأوَّهت بصوتٍ عالٍ. كدمة جديدة ستكون قد ظهرَت هناك لدى خلودها إلى النَّوم اللَّيلة في مكانٍ ما في عرض البَحر. *الكدمة درس، وكلُّ درسٍ يجعلنا أفضل.*

تراجعَ سيريو قائلًا: «أنتِ ميتة الآن».

صاحَت بحنق: «لأنك غششت! قلت يسارًا وتحرَّكت يمينًا!».

- «بالضَّبط، والآن أنتِ فتاة ميتة».

- «لكنك كذبت!».

- «كلماتي كذبَت، بينما هتفَت عيناي وذراعاي بالحقيقة، لكنك لم تري».

- «بل رأيتُ. كنتُ أُراقِبك كلَّ لحظة».

- «المُراقَبة ليست كالرُّؤية أيتها الفتاة الميتة، وراقص المياه يرى. ضعي السَّيف، الآن وقت الإصغاء».

تبعَته إلى الجِدار حيث جلسَ على دكَّةٍ وقال: «سيريو فورل كان مُبارِز أمير بَحر براڤوس الأول، فهل تدرين كيف تأتَّى هذا؟».

- «لأنك كنت أفضل مُبارِز في المدينة».

- «بالضَّبط، لكن لماذا؟ كان هناك رجال آخَرون أقوى وأسرع وأصغر، فلِمَ كان سيريو فورل الأفضل؟ سأُخبِركِ الآن»، ومَسَّ جفنه بخفَّةٍ بطرف إصبعه الصَّغير مُتابِعًا: «الرُّؤية، الرُّؤية الحقَّة هي قلب المُبارِز. اسمعيني جيِّدًا، سُفن براڤوس تُبحِر إلى أبعد مكانٍ تهبُّ فيه الرِّيح، إلى بلادٍ غريبة وملأى بالعجائب، وعندما تعود يكون ربابنتها قد أحضَروا معهم حيواناتٍ عجيبة من أجل معرض وحوش أمير البَحر، حيواناتٍ لم تري لها مثيلًا من قبل: خيول مخطَّطة، كائنات غريبة مرقَّطة ذات أعناقٍ طويلة جدًّا، فئران خنزيريَّة بحجم الأبقار، مانتيكورات، نمور تحمل صغارها في جرابٍ في بطنها، سحالٍ سائرة رهيبة مخالبها كالمناجل. سيريو فورل رأى تلك الأشياء. في اليوم الذي أتحدَّث عنه كان المُبارِز الأول قد ماتَ لتوِّه وأرسلَ أمير البَحر في طلبي. كثيرون من مُبارِزي البراڤو كانوا قد ذهَبوا إليه وصرفَهم دون أن يقول لهم السَّبب، وعندما مثلتُ أمامه كان جالسًا وفي حِجره قِطَّة صفراء سمينة. قال لي إن أحد ربابنة السُّفن جاءَ

بها إليه من جزيرةٍ تقع وراء مشرق الشَّمس، وسألني: "هل رأيت مِثلها من قبل؟"، فأجبتُ: "في كلِّ ليلةٍ في أزقَّة براڤوس أرى ألفًا مثله"، وضحكَ أمير البَحر، ويومها نصَّبني المُبارِز الأول».

قالت آريا: «لم أفهم».

طقطقَ سيريو بأسنانه وقال: «كان قِطًّا عاديًّا لا أكثر. الآخَرون توقَّعوا أن يروا حيوانًا عجيبًا، وهذا ما رأوه. كانوا يتعجَّبون من حجمه، لكنه لم يكن أكبر من بقيَّة القِطط حقيقةً، وإن صارَ سمينًا من فرط الخمول فقط لأن أمير البَحر كان يُطعِمه من مائدته. قالوا إن أُذنيه صغيرتان جدًّا، بينما من الواضح أنه فقدَهما في شجارٍ للقِطط وهو صغير، كما كان واضحًا أن ذَكر بينما كان أمير البَحر يقول لهم إنه أنثى، وهذا ما رآه الأخَرون. هل تُصغين؟».

فكَّرت آريا قليلًا ثم قالت: «رأيت ما كان موجودًا حقًّا».

- «بالضَّبط. كلُّ ما تحتاجينه هو أن تفتحي عينيكِ. القلب يكذب والعقل يُمارِس علينا الحيل، لكن العين تُبصِر الحقيقة. انظري بعينيكِ، اسمعي بأُذنيكِ، تذوَّقي بفمكِ، تشمَّمي بأنفكِ، وبَعدها يأتي التَّفكير، ومن ثَمَّ تعرفين الحقيقة».

قالت مبتسمةً: «بالضَّبط».

سمحَ سيريو فورل لنفسه بالابتسام بدوره، وقال: «كنتُ أُفَكِّر أن الوقت قد يكون مناسبًا لوضع إبرتكِ في يدكِ أخيرًا عندما نصل إلى وينترفل تلك».

بحماسةٍ قالت آريا: «نعم، نعم! انتظر حتى يرى چون...».

قاطَها انفتاح باب القاعة الصَّغيرة على مصراعيه الخشبيَّين بصوتٍ مدوٍّ عنيف، فالتفتَت بسرعةٍ لترى واحدًا من فُرسان الحَرس المَلكي يقف أسفل قنطرة الباب وقد اصطفَّ وراءه خمسة من رجال لانستر. كان الفارس يرتدي دِرعًا كاملةً وإن رفعَ مقدِّمة خوذته، وتذكَّرت آريا

صاحِب العينين الكئيبتين واللِّحية ذات لون الصَّدأ الذي جاءَ مع المَلك إلى وينترفل: السير مرين ترانت. كان ذوو المعاطف الحمراء يرتدون قمصان الحلقات المعدنيَّة فوق الجِلد المقوَّى، مع قبَّعاتٍ من الفولاذ تعلو كلٌّ منها ريشة على شكل أسد. قال الفارس: «آريا ستارك، تعالي معنا يا صغيرتي».

مضغَت آريا شفتها بريبةً وقالت: «ماذا تريدون؟».

- «أبوكِ يُريد أن يراكِ».

تقدَّمت آريا خطوةً إلى الأمام، لكن سيريو فورل أمسكَ ذراعها قائلًا: «ولماذا يُرسِل اللورد إدارد رجال لانستر بدلًا من رجاله؟ مجرَّد تساؤل».

قال السير مرين: «لا شأن لك بهذا يا معلِّم الرَّقص».

قالت آريا: «لن يُرسِلكم أبي أبدًا»، ورفعَت سيفها الخشبي فضحكَ رجال لانستر ساخرين.

قال السير مرين: «ضعي هذه العصا يا فتاة. أنا أخٌ تحت القَسم في الحَرس المَلكي، السُّيوف البيضاء».

- «كذلك كان قاتِل المَلك عندما ذبحَ إيرس تارجاريَن. لستُ مُلزَمة بالمجيء معكم إذا لم أشأ».

بصبرٍ نافد قال السير مرين ترانت لرجاله وهو يخفض مقدِّمة الخوذة: «خذوها».

تحرَّك ثلاثة منهم والحلقات المعدنيَّة تُصدِر رنينًا خفيفًا مع كلِّ خطوة، وانتابَ آريا خوف مفاجئ، فردَّدت لنفسها: *ضربة الخوف أمضى من السَّيف*، كي تُبطئ خفقات قلبها المتسارعة.

تقدَّم سيريو فورل ليحول بينها وبينهم وهو يَنقُر بسيفه الخشبي على حذائه طويل العُنق، وقال: «توقَّفوا الآن. هل أنتم رجال أم كلاب كي تُخيفوا طفلةً صغيرةً هكذا؟».

قال واحد من المعاطف الحمراء: «ابتعد عن الطَّريق أيها العجوز».

شقَّت عصا سيريو الهواء مُصَفِّرةً وهوَت على خوذة الرَّجل مُحدِثةً رنينًا، وقال: «أنا سيريو فورل، وستتكلَّم معي باحترام».

- «وغد أصلع!»، قال الرَّجل واستلَّ سيفه الطَّويل، فتحرَّكت العصا من جديدٍ بسرعةٍ لا تُرى، وسمعَت آريا رنينًا مرتفعًا إذ سقطَ السَّيف الفولاذي على الأرض، وصرخَ رجل لانستر وهو يحتوي أصابعه المكسورة بيده الأخرى: «يدي!».

قال السير مرين: «سريعٌ أنت بالنِّسبة لمعلِّم رقص».

رَدَّ سيريو: «وأنت بطيء بالنِّسبة لفارس».

قال الفارس ذو الدِّرع البيضاء: «اقتُلوا البراڤوسي وخذوا الفتاة».

سحبَ أربعة من رجال لانستر سيوفهم، بينما بصقَ الخامس ذو الأصابع المكسورة واستلَّ خنجرًا بيده اليُسرى، فطقطقَ سيريو فورل بأسنانه واتَّخذ وضع راقص المياه مواجهًا خصومه بجانبه فقط، وقال دون أن يَنظُر إليها أو يُبعِد عينيه عن رجال لانستر لحظةً: «آريا يا صغيرتي، انتهَى درس الرَّقص اليوم. اذهبي الآن، اذهبي إلى أبيكِ».

لم ترغَب آريا في تركه، لكنه علَّمها أن تُطيع أوامره دائمًا، وهمسَت: «برشاقة الغزال».

قال سيريو فورل ورجال لانستر يُطبِقون عليه: «بالضَّبط».

تراجعَت آريا وهي تشدُّ على سيفها الخشبي بيدها بقوَّة، وإذ رأته الآن أدركَت أن سيريو كان يلعب معها لا أكثر وهما يتبارزان. هاجَمه ذوو المعاطف الحمراء من ثلاث جهاتٍ والفولاذ في أيديهم، وكانوا يرتدون الحلقات المعدنيَّة فوق صدورهم وأذرُعهم وواقياتٍ من الحديد مثبَّتة بسراويلهم، بينما لم يحمِ سيقانهم غير الجِلد. أيديهم كانت مكشوفةً، والقبَّعات التي ارتدوها كان بها واقٍ للأنف، لكن بلا مقدِّمة تحمي العينين. لم ينتظر سيريو وصولهم إليه بل دارَ إلى اليسار، ولم ترَ آريا رجلًا يتحرَّك بهذه السُّرعة من قبل قَطُّ. صَدَّ سيفًا بعصاه الخشبيَّة وتفادى

الثَّاني، وارتطمَ الرَّجل الثَّاني بالأول وقد فقدَ توازنه، وركلَه سيريو في ظَهره ليَسقُط الاثنان أرضًا معًا. جاءَ الثَّالث واثبًا عليه مسدِّدًا سيفه إلى رأسه، فانحنى سيريو أسفلَ النَّصل ورفعَ عصاه إلى أعلى بحركةٍ حادَّة، ليَسقُط رجلٍ لانستر صارخًا والدِّماء تنبثق من الثُّقب الذي كانت عينه اليُسرى تحتلُّه.

كان السَّاقطان ينهضان، فركلَ سيريو أحدهما في وجهه وانتزعَ القبَّعة الفولاذيَّة من على رأس الآخَر، وحاولَ حامل الخنجر أن يطعنه لكن سيريو تلقَّى الطَّعنة على القبَّعة وهشَّم رُكبة الرَّجل بعصاه. أطلقَ آخِر ذوي المعاطف الحمراء سبابًا وانقضَّ حاملًا سيفه بكلتا يديه، لكن سيريو تفادى هذه الضَّربة أيضًا ليتلقَّاها ذو الرَّأس العاري بين الكتف والعُنق وهو يُكافِح للنُّهوض، واخترقَ السَّيف الطَّويل المعدن والجِلد واللَّحم وأطلقَ الرَّجل أنينًا طويلًا وزميله قاتِله يُحاوِل تحرير السَّيف الذي انغرسَ في لحمه، لكن سيريو لم يَترُك له الفُرصة وهشَّم تُفَّاحة عُنقه ليُطلِق صرخةً مكتومةً وتراجعَ مترنِّحًا وقد أطبقَ بأصابعه على عُنقه واسودَّ وجهه بسرعةٍ رهيبة.

خمسة منهم كانوا على الأرض، موتى أو يموتون، عندما بلغَت آريا الباب الخلفي الذي يُفتَح على المطبخ، وسمعَت السير مرين يصيح بسُخطٍ وهو يسحب سيفه الطَّويل من غِمده: «حمقى!».

عادَ سيريو فورل يتَّخذ وقع راقص المياه وطقطقَ بأسنانه وصاحَ دون أن يَنظُر إليها: «آريا يا صغيرتي، اذهبي الآن».

انظري بعينيكِ، ونظرَت آريا ورأت: الفارس في دِرعه البيضاء التي تُغَطِّيه بالكامل، والحلقات المعدنيَّة تقي ساقيه وحَلقه ويديه، وعيناه متواريتان وراء الخوذة العالية، وفي يده فولاذ لا يرحم؛ وضد هذا سيريو في صُدرةٍ من الجِلد وفي يده سيف من خشب. صرخَت: «سيريو، اهرب!».

- «مُبارِز براڤوس الأول لا يهرب أبدًا»، قال وسيف السير مرين يهوي عليه، وتراجعَ سيريو متفاديًا الضَّربة وعصاه تكاد لا تُرى من السُّرعة التي تحرَّكت بها. خلال نبضة قلبٍ واحدةٍ كان قد سدَّد ضرباته إلى صُدغ الفارس ومِرفقه وحَلقه والخشب يرنُّ على معدن الخوذة وواقي الذِّراع وواقي العُنق. تجمَّدت آريا في مكانها وتقدَّم السير مرين وتراجعَ سيريو، وصَدَّ الضَّربة التَّالية وتفادى التي تلتها والتي تلتها.

وقصمَت الرَّابعة عصاه إلى نِصفين.

ودارَت آريا وركضَت باكيةً.

اندفعَت عبر المطبخ ومخزن الأطعمة وقد أعماها الهلع، تتمايَل بين الطُّهاة والخدم. خطَت مُساعِدة الخبَّاز أمامها حاملةً صحفةً خشبيَّةً، ووثبَت آريا من فوقها لتُبَعثِر أرغفة الخُبز الطَّازجة ذات الرَّائحة الطيِّبة على الأرض، وسمعَت صياحًا من خلفها وهي تدور حول جزَّارٍ بدين وقفَ يُحَدِّق فيها وفي يده ساطور وقد احمرَّت ذراعاه حتى المِرفقين.

كلُّ ما لقَّنها سيريو فورل إياه وثبَ إلى رأسها في لحظة. *برشاقة الغزال، بهدوء الظِّلال، ضربة الخوف أمضى من السَّيف. بسرعة الثُّعبان، بهدوء المياه الرَّاكدة، ضربة الخوف أمضى من السَّيف. بقوَّة الدُّب، بشراسة الوولڤرين، ضربة الخوف أمضى من السَّيف. من يخشى الهزيمة هُزِمَ بالفعل، ضربة الخوف أمضى من السَّيف، ضربة الخوف أمضى من السَّيف، ضربة الخوف أمضى من السَّيف.* كان مقبض سيفها الخشبي قد صار زلقًا من فرط العَرق، وقد تقطَّعت أنفاسها تمامًا لدى بلوغها سلالم البُرج. تجمَّدت في مكانها لحظة. إلى أعلى أم أسفل؟ من أعلى يُمكنها أن تذهب إلى الجسر المغطَّى الذي يقطع السَّاحة الصَّغيرة إلى بُرج اليَد، لكن من المؤكَّد أن هذا هو الطَّريق الذي سيتوقَّعوا أن تَسلُكه. *إياكِ أن تفعلي ما يتوقَّعونه أبدًا.* انطلقَت آريا إلى أسفل، تدور وتدور مع دوران السَّلالم حول البُرج واثبة درجتين أو ثلاثًا في المرَّة، وخرجَت في

قبوٍ مقنطر ارتصَّت فيه براميل المزر حتى ارتفاع عشرين قدمًا، والضَّوء الوحيد يأتي من نافذةٍ مائلةٍ ضيِّقةٍ أعلى الجِدار.

القبو طريقٌ مسدود، لا سبيل لمُغادَرته غير الذي جاءَت منه بالفعل، وهي لا تجرؤ على صعود السَّلالم من جديد، لكنها لا تستطيع البقاء هنا كذلك. يجب أن تَعثُر على أبيها وتُخبِره بما حدثَ. سوف يحميها أبوها.

دسَّت آريا سيفها الخشبي في حزامها وبدأت تتسلَّق متقافزةً من برميلٍ إلى آخَر حتى بلغَت النَّافذة، ثم تعلَّقت بالإفريز الحَجري بكلتا يديها ودفعَت نفسها إلى أعلى. كان سُمك الجِدار يَبلُغ ثلاثة أقدام كاملة، والنَّافذة تميل إلى أعلى وإلى الخارج، وتلوَّت آريا دافعةً نفسها بمشقَّةٍ نحو نور النَّهار، ولمَّا وصلَ رأسها إلى الأرض ألقَت نظرةً عبر الفِناء نحو بُرج اليَد. كان الباب الخشبي المتين محطَّمًا كأن فؤوسًا عديدةً هوَت عليه، وعلى السَّلالم رجل ميت ساقط على وجهه ومعطفه متشابك من تحته وظَهر قميصه غارق في الدِّماء. أبصرَت برُعبٍ مفاجئ أن المعطف الذي ترتديه الجثَّة رماديٌّ ذو بطانةٍ بيضاء، وإن لم تُميِّز الرَّجل.

همسَت مرتجفةً: «لا». ماذا يَحدُث؟ أين أبوها؟ ولِمَ جاءَ ذوو المعاطف الحمراء ليأخذوها؟ تذكَّرت ما قاله ذو اللِّحية الصَّفراء يوم وجدَت الوحوش: *إذا ماتَ يَدٌ، فما المشكلة في موت آخَر؟* عادَت الدُّموع تُغرِق عينيها وكتمَت أنفاسها كي تُصغي، فسمعَت أصوات قتالٍ وصياحٍ وصراخٍ وصليل سيوف تأتي من نوافذ بُرج اليَد.

لا يُمكنها العودة، لكن أباها...

أغلقَت آريا عينيها، ولوهلةٍ لم تقوَ على الحركة من جرَّاء الخوف. لقد قتَلوا چوري وويل وهيوارد وهذا الحارس على السَّلالم أيًّا كان، وباستطاعتهم أن يَقتُلوا أباها كذلك، ويَقتُلونها إذا أمسَكوا بها. «ضربة الخوف أمضى من السَّيف»، قالت بصوتٍ عالٍ وإن لم يكن من المفيد الآن أن تتظاهَر بأنها راقصة مياه، فسيريو كان كذلك وفي الغالب قتلَه

الفارس الأبيض بالفعل، وما هي إلَّا فتاة صغيرة تحمل عصا خشبيَّةً، وحيدة خائفة.

دفعَت بقيَّة جسدها من النَّافذة لتَخرُج إلى الفِناء وتطلَّعت حولها بحذرٍ وهي تنهَض. بدَت لها القلعة مهجورةً، بينما لا تكون القلعة الحمراء مهجورةً أبدًا، فلا بُدَّ أن الجميع متوارين بخوفٍ وراء أبوابهم المغلقة. رفعَت عينيها بحنينٍ إلى نافذة غُرفة نومها، ثم ابتعدَت عن بُرج اليَد وقد ظلَّت قريبةً من الأسوار وهي تنسلُّ من ظِلٍّ إلى ظِلٍّ متظاهرةً بأنها تُطارِد القِطط... مع الفارق أنها هي القِطَّة الطَّريدة الآن، وإذا أمسَكوا بها فهي ميتة لا محالة.

تحرَّكت بين المباني وفوق الأسوار واضعةً أحجارها في ظَهرها قَدر المستطاع كي لا يُباغِتها أحد حتى بلغت الاسطبلات. مرَّت بها مجموعة من ذوي المعاطف الذَّهبيَّة وهي تتسلَّل عبر الفِناء الدَّاخلي، لكن دون معرفة الجانب الذي يُقاتِلون في صَفِّه لم يكن أمامها خيار غير الانحناء والتَّواري بين الظِّلال.

كان هالن، الذي عرفته قيِّمًا للخيول في وينترفل طوال حياتها، ملقىً على الأرض إلى جوار باب الاسطبل وقد طُعِنَ مرَّاتٍ كثيرة للغاية حتى بدا كأن معطفه مزخرَف بالزُّهور الحمراء القانية. كانت آريا متأكِّدةً من أنه ميت، لكنه فتحَ عينيه إذ دنَت منه وهمسَ: «آريا المُداسة... يجب... أن تُحَذِّري... أباكِ»، وسالَ اللُّعاب داميًا من فمه، وأغلقَ قيِّم الخيول عينيه من جديدٍ ولم يفتحهما ثانيةً أبدًا.

في الدَّاخل وجدَت المزيد من الجثث، السَّائس التي كانت تلعب معه وثلاثة من حَرس أبيها، بينما وقفَت عربة محمَّلة بالأقفاص والصَّناديق مهجورةً بالقُرب من باب الاسطبل. لا شَكَّ أن القتلى كانوا يُجَهِّزونها من أجل الرِّحلة إلى المرفأ عندما هوجِموا. اقتربَت آريا أكثر لترى جثَّة دزموند الذي أراها سيفه الطَّويل ووعدَها بحماية أبيها. كان ساقطًا على

ظَهره يُحَدِّق في السَّقف بعينين لا تريان يزحف عليهما الذُّباب، وبالقُرب منه جثَّة أخرى في معطفٍ أحمرَ وخوذة لانستر ذات ريشة الأسد، لكنها كانت جثَّةً واحدةً فقط. من قبل قال لها دزموند: *كلُّ شَماليٍّ يُساوي عشرةً من مُقاتِلِي الجَنوب* هؤلاء، والآن أخذَت تَركُل جثَّته بغضبةٍ عارمةٍ صارخةً: «أيها الكاذب!».

كانت الخيول مهتاجةً في مَرابطها، تصهل وتنخر مع رائحة الدَّم التي أفعمَت الهواء. كانت خُطَّة آريا الوحيدة أن تضع سرجًا على حصانٍ وتفرَّ من القلعة والمدينة، وكلُّ ما عليها هو أن تبقى على طريق الملوك الذي سيأخذها إلى وينترفل، وبالفعل التقطَت عُدَّة حصانٍ معلَّقةً على الجِدار، لكن وهي تَعبُر من وراء العربة اجتذبَ صندوق ساقط على الأرض انتباهها. لا بُدَّ أن أحدًا أسقطَه خلال القتال أو خلال تحميله على العربة، فقد انشقَّ الخشب وانفتحَ الغطاء ليَسكُب محتويات الصُّندوق على الأرض، وتعرَّفت آريا على ثيابٍ مصنوعةٍ من الحرير والمخمل والقطيفة تملكها ولم يسبق لها ارتداؤها من قبل، وخطرَ لها أنها ستحتاج إلى ملابس ثقيلة على طريق الملوك، كما أن...

ركعَت آريا في التُّراب بين الثِّياب المبعثَرة، وعثرَت على معطفٍ صوفيٍّ ثقيلٍ وتنُّورةٍ من المخمل وسُترةٍ من الحرير، بالإضافة إلى بعض الملابس الدَّاخليَّة وفُستانٍ كانت أمُّها قد طرَّزته لها وسوارٍ فضِّيٍّ يُمكنها أن تبيعه. أزاحَت الغطاء بعيدًا ومدَّت يدها داخل الصُّندوق تُنَقِّب عن إبرتها. كانت قد خبَّأته في القاع تحت كلِّ شيء، لكن أغراضها كلها اختلطَت بغير نظامٍ مع سقوط الصُّندوق، وللحظةٍ خافَت آريا من أن أحدهم قد عثرَ على سيفها وسرقَه، ثم أحسَّت أصابعها بصلابة المعدن تحت فُستانٍ حريري.

ثم سمعَت الصَّوت يقول بهمسٍ كالفحيح: «ها هي ذي».

التفتَت آريا مُجفِلةً لترى صبيَّ الاسطبل واقفًا وراءها يحمل مذراةً

وعلى وجهه ابتسامة ظافرة وقد برزَ قميصه التَّحتي الأبيض المتَّسخ من تحت سُترته الجِلديَّة الأكثر اتِّساخًا بينما غطَّى الرَّوث حذاءه. سألته: «من أنت؟».

قال: «إنها لا تعرفني، لكني أعرفها، نعم، الفتاة الذِّئبة».

قالت مُناشِدةً وهي تمدُّ يدها إلى إبرتها داخل الصُّندوق: «ساعِدني على وضع سَرجٍ على حصان. أبي هو يَد المَلك وسيُكافِئك».

قال الصَّبيُّ: «أبوكِ مات»، ودنا منها حثيثًا وأضافَ: «لكن المَلكة ستُكافِئني بالتَّأكيد. تعالي هنا يا فتاة».

أطبقَت أصابعها على مقبض إبرتها وصاحَت: «ابتعد عني!».

لكنه أمسكَ بذراعها بقوَّةٍ وقال: «قلتُ تعالي».

كلُّ شيءٍ علَّمها سيريو فورل إياه تلاشى في غمضة عين، وفي تلك اللَّحظة التي غمرَها فيها الرُّعب لم تستطِع آريا أن تتذكَّر غير الدَّرس الذي تعلَّمته من چون سنو، الدَّرس الأول على الإطلاق، وطعنَته بالطَّرف المدبَّب غارسةً إياه بقوَّةٍ ضاريةٍ وقودها الخوف، واخترقَ "الإبرة" السُّترة الجِلديَّة ولحم بطنه الأبيض وخرجَ من بين لوحي كتفه، فأسقطَ الصَّبي المذراة وخرجَ منه صوت خفيض بين الشَّهقة والزَّفير، وأحاطَت يداه بالنَّصل وأنَّ وقد بدأ قميصه التَّحتي يصطبغ بالأحمر: «أخرِجيه».

وعندما سحبَت آريا السَّيف سقط الصَّبي ميتًا.

كانت الخيول تَصرُخ، ووقفَت آريا فوق الجثَّة ثابتةً مذعورةً في وجه الموت وقد تدفَّقت الدِّماء من فم الصَّبي وهو يتهاوى وبدأت تسيل من جرح بطنه لتتجمَّع في بِركةٍ تحت جثَّته، وحيث أمسكَ بالنَّصل كان هناك شِقَّان طويلان في راحتي يديه. تراجعَت ببُطءٍ وإبرتها حمراء في يدها. يجب أن تُغادِر هذا المكان، يجب أن تذهب إلى مكانٍ بعيد بمأمنٍ عن عيني صبيٍّ الاسطبل المتَّهِمتين.

التقطَت عُدَّة الحصان من جديدٍ وهُرِعَت إلى فَرسها، لكنها أدركَت

بخوفٍ أثارَ غثيانها وهي ترفع السَّرج على ظَهرها أن بوَّابات القلعة ستكون مغلقةً، وحتى الأبواب الخلفيَّة ستكون تحت حراسةٍ مشدَّدةٍ غالبًا. لكن ربما لن يتعرَّف عليها الحُرَّاس، وربما إذا حسبوها ولدًا فسوف... كلا، لا بُدَّ أن لديهم أوامر بعدم السَّماح لأيِّ أحدٍ بالخروج، ولن يُشكِّل تعرُّفهم عليها من عدمه فارقًا.

لكن ثمَّة سبيل آخَر للخروج من القلعة...

أفلتَت آريا السَّرج وتركَته يَسقُط أرضًا بصوتٍ مكتومٍ ليثير سحابةً خفيفةً من الغبار. هل يُمكنها العثور على القاعة التي تضُمُّ الوحوش ثانيةً؟ لم تكن واثقةً، وإن أدركَت أن عليها أن تُجَرِّب.

وجدَت الثِّياب التي جمعَتها وتدثَّرت بالمعطف مواريةً إبرتها بين طيَّاته، وطوَت بقيَّة أغراضها معًا، ثم تسلَّلت إلى طرف الاسطبل الآخَر حاملةً الحزمة تحت إبطها. فتحَت الباب الخلفي وألقَت نظرةً حذرةً، ومن بعيدٍ كان لا يزال بإمكانها أن تسمع صليل السُّيوف وصراخ رجلٍ يتألَّم عبر الفِناء. عليها أن تنزل الدَّرجات الملتفَّة مرورًا بالمطبخ الصَّغير وزريبة الخنازير كما فعلَت المرَّة السَّابقة حينما كانت تُطارِد القِطَّ الأسود الشَّرس... لكن هذا سيجعلها تمرُّ بثُكنة المعاطف الذَّهبيَّة مباشرةً، وهي لا تستطيع الذِّهاب من هذا الطَّريق. حاولَت التَّفكير في طريقٍ مختلف. إذا عبرَت إلى الجانب الآخَر من القلعة، فيُمكنها التسلُّل بطول السُّور المطلِّ على النَّهر ومن خلال أيكة الآلهة الصَّغيرة... لكن عليها أن تَعبُر السَّاحة أولًا على مرأىً من الحَرس على الأسوار.

لم ترَ هذا العدد من الرِّجال على الأسوار من قبل، أغلبهم من ذوي المعاطف الذَّهبيَّة المسلَّحين بالرِّماح، وبعضهم يُمكنه التعرُّف عليها بمجرَّد النَّظر. ماذا سيفعلون إذا رأوها تجري عبر السَّاحة؟ من موقعهم العالي ستبدو لهم صغيرةً للغاية، فهل سيعرفون من تكون؟ وهل سيُبالون؟

قالت لنفسها إن عليها التحرُّك من فورها، لكن عندما جاءَت اللَّحظة وجدَت نفسها لا تقوى على الحركة.

بهدوء المياه الرَّاكدة، همسَ الصَّوت الواطئ في أُذنها وانتفضَت آريا مفزوعةً حتى كادَت تُسقِط حزمتها، وتلفَّتت حولها بهياجٍ لكنها لم تجد أحدًا في الاسطبل غيرها... والخيول... والموتى.

بهدوء الظِّلال، قال الصَّوت ولم تدرِ إن كان صوت سيريو أم صوتها هي، لكنه بشكلٍ ما كبح جماح خوفها.

وخرجَت آريا من الاسطبل.

كان أكثر شيءٍ مخيفٍ فعلَته في حياتها. أرادَت أن تجري وتختبئ، لكنها أرغمَت نفسها على المشي قاطعةً السَّاحة بتأنٍّ، تضع قدمًا أمام الأخرى كأنها تملك الزَّمن كله وليس هناك ما يدعو للخوف من أحد، وإن أحسَّت بأن عيونهم مُرَكَّزة عليها كأنها حشرات تزحف على بشرتها تحت ثيابها. لم ترفع آريا عينيها إطلاقًا، لأنها تعرف أن شَجاعتها ستتخلَّى عنها إذا رأتهم يُراقِبونها، وستُسقِط حزمة الثِّياب وتجري صارخةً كطفلةٍ صغيرة، وعندها سينالون منها. سلَّطت نظراتها على الأرض، ولدى بلوغها الظِّل الذي يُلقيه مبنى السِّپت المَلكي على طرف السَّاحة القصي كانت تتصبَّب عَرقًا باردًا، لكن لا أحد من الحَرس أطلقَ صيحةً أو نداءً.

كان السِّپت مفتوحًا وخاويًا، وفي الدَّاخل كان نِصفمئة من شموع الصَّلاة يحترق بصمتٍ مُصدِرًا رائحةً عطرةً. قالت لنفسها إن الآلهة لن تفتقد شمعتين، ودسَّتهما في كُمَّيها وخرجَت من النَّافذة الخلفيَّة. كان التسلُّل إلى الزُّقاق الذي حاصرَت فيه القِطَّ ذا الأُذن الواحدة سهلًا، لكنها ضلَّت الطَّريق بَعد ذلك. تسلَّلت إلى داخل النَّوافذ وخارجها ووثبَت فوق الأسوار وتحسَّست طريقها في أقبيةٍ معتمةٍ بهدوء الظِّلال، وفي بُقعةٍ ما سمعَت امرأةً ما تبكي. استغرقَت أكثر من ساعةٍ كاملةٍ حتى استطاعَت العثور على النَّافذة الضيِّقة الواطئة التي تُفضي إلى الزِّنزانة التي تقبع فيها الوحوش.

ألقَت حزمتها داخل النَّافذة ثم عادَت أدراجها لتُشعِل شمعتها. كانت مُجازَفةً، فالنَّار التي تذكَّرت رؤيتها لدى اقترابها من هنا كانت قد خمدَت أو كادَت، وسمعَت أصواتًا وهي تَنفُخ في الفحم. ثم إنها ضمَّت أصابعها حول لهب الشَّمعة المتذبذب وخرجَت من النَّافذة وهُم يَدخُلون من الأبواب، وإن لم يلمحها أحد منهم لحُسن الحظ..

لم تَشعُر بالخوف من الوحوش هذه المرَّة، بل وبدَت لها بمثابة أصدقاءٍ قُدامى. رفعَت آريا الشَّمعة فوق رأسها، ومع كلِّ خطوةٍ خطَتها تراقصَت الظِّلال على الجدران كأنها تلتفت لتُراقِب مرورها. غمغمَت: «إنها تنانين»، وأخرجَت إبرتها من طيَّات المعطف، وبدا السَّيف الرَّفيع صغيرًا للغاية والتَّنانين كبيرةً للغاية، لكن وجود السِّلاح في يدها شجَّعها أكثر بشكلٍ ما.

كان البهو الطَّويل الخالي من النَّوافذ أسودَ مظلمًا كما تذكَّرته، وأمسكَت إبرتها بيدها اليُسرى -يد السَّيف- والشَّمعة بقبضتها اليُمنى، وسالَ الشَّمع السَّاخن على مفاصل أصابعها. تذكَّرت أن مدخل البئر يقع يسارًا فاتَّجهَت يمينًا وجزء منها يرغب في أن تَركُض، لكنها خشيَت أن تنطفئ شمعتها. سمعَت صرير الجرذان الخافت ولمحَت زوجًا من العيون اللَّامعة الصَّغيرة على حافَّة الضَّوء، لكن الجرذان لم تكن تُخيفها... كانت تخاف أشياءَ أخرى. من السَّهل جدًّا أن تختبئ هنا كما اختبأت من قبل من السَّاحر والرَّجل ذي اللِّحية المتشعِّبة، لولا أنها تكاد ترى صبيَّ الاسطبل واقفًا عند الحائط وقد استحالَت يداه إلى مخالبٍ والدَّم لا يزال يسيل من الجرحين الطُّوليَّين حيث أطبقَ على إبرتها التي انغرسَت في جسده. قد يكون في انتظارها ليُمسِك بها وهي تمرُّ، وقد يرى ضوء شمعتها من بعيد. لعلَّ من الأفضل أن تتحرَّك بلا ضوء.

ضربة الخوف أمضى من السَّيف، همسَ الصَّوت الهادئ في داخلها، وتذكَّرت آريا فجأةً السَّراديب تحت وينترفل وقالت لنفسها إنها مخيفة

أكثر من هذا المكان بمراحل. كانت طفلةً صغيرةً عندما رأتها للمرَّة الأولى لمَّا اصطحبَها أخوها روب إلى هناك ومعها سانزا وبران الصَّغير الذي لم يكن أكبر وقتها من ريكون الآن. كانت معهم شمعة واحدة، واتَّسعَت عينا بران عن آخِرهما وهو يُحَملِق في وجوه ملوك الشِّتاء الحَجريَّة وذِئابهم عند أقدامهم وسيوفهم الحديديَّة في حِجر كلٍّ منهم.

أخذَهم روب إلى نهاية السِّرداب بَعد جدِّهم وبراندون وليانا ليُريهم قبورهم. ظلَّت سانزا تَرمُق الشَّمعة القصيرة بقلقٍ خشية أن تنطفئ، وكانت العجوز نان قد أخبرَتها أن ثمَّة عناكب هنا، وجرذان كبيرة كالكلاب، لكن روب ابتسمَ عندما قالت له هذا وقال: «هناك أشياءَ أسوأ من العناكب والجرذان. هذا هو المكان الذي يمشي فيه الموتى»، وكان هذا عندما سمعوا الصَّوت الواطئ الرَّاجف العميق، وتعلَّق بران الصَّغير بيد آريا.

وعندما خرجَ الشَّبح الأبيض الشَّاحب من القبر المفتوح يئنُّ طلبًا للدَّم هُرِعَت سانزا صارخةً إلى السَّلالم ولَفَّ بران نفسه حول ساق روب منتحبًا، بينما ظلَّت آريا في مكانها وسدَّدت لكمةً إلى الشَّبح الذي لم يكن إلَّا چون المغطَّى بالدَّقيق، وقالت له: «أخَفت بران أيها الأحمق!»، لكن روب وچون ضحكا وضحكا، وسرعان ما اشتركَ بران وآريا معهما في الضَّحك.

جعلَت الذِّكري آريا تبتسم، وبَعدها لم يَعُدْ الظَّلام يُخيفها. صبيٌّ الاسطبل ميت، هي قتلته، وإذا خرجَ عليها هنا ستَقتُله من جديد. إنها عائدة إلى الدِّيار. كلُّ شيءٍ سيكون أفضل بمجرَّد أن تعود من جديد إلى أمان أسوار وينترفل الجرانيتيَّة.

وردَّدت خطوات قدمي آريا صدىً خفيضًا سبقَها وهي تتوغَّل أكثر في الظُّلمات.

سانزا

جاءوا إليها في اليوم الثَّالث.

انتقَت فُستانًا بسيطًا من الصُّوف الرَّمادي الدَّاكن، تقليديَّ القَصَّة لكن مطرَّزًا بسخاءٍ حول الياقة والكُمَّين، وشعرَت بأن أصابعها ثقيلة بليدة وهي تُحاوِل إغلاق الأبازيم الفضِّيَّة دون وجود الخادمات لمُساعَدتها. كانت چين پوول حبيسةً معها لكنها عديمة الجدوى تمامًا، وقد تورَّم وجهها من فرط البكاء المتواصل على أبيها.

- «أنا واثقة من أن أباكِ بخير»، قالت سانزا وقد نجحَت في ضبط فُستانها أخيرًا. «سأطلبُ من المَلكة أن تسمح لكِ برؤيته». خطرَ لها أن تلك اللَّفتة اللَّطيفة قد ترفع من روح چين المعنويَّة، لكن الفتاة رمقَتها بعينين محمرَّتين منتفختين وانفجرَت في بكاءٍ أعنف. يا لها من طفلة!

سانزا أيضًا بكَت في اليوم الأول. حتى داخل جدران حصن ميجور القويَّة وبابها مُغلَق وموصَد كان من الصَّعب ألَّا تُصاب بالرُّعب عندما بدأ القتل. لقد ترعرعَت على أصوات الفولاذ في السَّاحة، ولا يكاد يوم من حياتها يخلو من سماعها لتقارُع السُّيوف، لكن معرفتها بأن القتال حقيقيٌّ هذه المرَّة قلبَت الموازين كلها. يومها سمعَت الأصوات كما لم تسمعها من قبلِ قَطُّ وقد امتزجَت بها آهات الألم والسِّباب الغاضب وصياح من يَطلُبون النَّجدة وأنين الجرحى والمحتضرين. في الأغاني لا يَصرُخ الفُرسان أو يتوسَّلون الرَّحمة أبدًا. وهكذا بكَت واستجدَتهم من وراء

الباب أن يُخبِرونها بما يجري، وعلى أبيها نادَت، وعلى السِّپتة موردن، والمَلك، وأميرها الشُّجاع، وما من مجيب. المرَّة الوحيدة التي فُتِحَ فيها الباب كانت في ساعةٍ متأخِّرةٍ من اللَّيلة نفسها، عندما دفَعوا چين پوول إلى داخل الغُرفة باكيةً مرتجفةً مصابةً بالكدمات. صرخَت فيها ابنة الوكيل: «إنهم يَقتُلون الجميع!»، وبهلعٍ حكَت لها كلَّ ما شهدَته، وكيف حطَّم كلب الصَّيد بابها بمطرقةٍ ضخمة، والجثث الملقاة على سلالم بُرج اليَد الغارقة في الدِّماء. جفَّفت سانزا دموعها وهي تُحاوِل تهدئة صديقتها، وخلدَت الاثنتان إلى النَّوم في فِراشٍ واحدٍ متعانقتين كأختين.

اليوم الثَّاني كان أسوأ، فالغُرفة التي حبسوا سانزا فيها كانت تقع في قمَّة أعلى أبراج حصن ميجور، ومن نافذتها رأت الشَّبكة الحديديَّة الضَّخمة مسدلةً على البوَّابة، والجسر المتحرِّك مرفوعًا فوق الخندق الجاف الذي يفصل القلعة الدَّاخليَّة عن القلعة الأكبر المحيطة بها، بينما يطوف رجال لانستر على الأسوار وفي أيديهم الرِّماح والأقواس ذات النُّشَّاب. كان القتال قد انتهى وخيَّم صمت القبور على القلعة الحمراء، والصَّوت الوحيد الذي استمرَّ كان نحيب چين اللانهائي.

لم يَترُكوهما بلا طعام (جُبن وخُبز طازج وحليب على الإفطار، دجاجة مشويَّة وخضروات على الغداء، ويخنة اللَّحم والشَّعير على العشاء)، لكن الخدم الذين أتوا بالوجبات لم يُجيبوا عن أيٍّ من أسئلة سانزا. ليلتها جاءَت بعض النِّساء بثيابها من بُرج اليَد بالإضافة إلى بعض أغراض چين، لكنهنَّ بدينَ مذعوراتٍ تمامًا مِثل صديقتها، وعندما حاولَت أن تُكَلِّمهنَّ هربنَ منها كأنها مصابة بالدَّاء الأرمد[1]، وواصلَ الحَرس الواقفون خارج الغُرفة رفضهم للسَّماح لهما بالخروج. «أرجوكم، أريدُ أن أتكلَّم مع المَلكة ثانيةً»، قالت لهم كما قالت للجميع يومها. «لا بُدَّ أنها ستُريد أن

(1) مرض من ابتكار المؤلِّف يجعل اللَّحم يتيبَّس ويموت والجِلد يتشقَّق ويكتسب لونًا رماديًّا ويُصبح له ملمس صُلب كالحَجر.

تتكلَّم معي، أنا متأكِّدة. قولوا لها إنني أريدُ رؤيتها، أرجوكم. إن لم تكن المَلكة فالأمير چوفري إذن، أرجوكم. سوف نتزوَّج عندما نكبُر».

عندما غربَت شمس اليوم الثَّاني بدأ الجرس يدقُّ بصوت عميقٍ رنَّان، وملأت دقَّاته الطَّويلة البطيئة قلب سانزا بالخوف، واستمرَّت واستمرَّت حتى سمعتا دقَّاتٍ أخرى تجيبها من سِپت بيلور الكبير على تَلِّ ڤيزينيا، ودوَّى الصَّوت في أرجاء المدينة كهزيم الرَّعد مُنذِرًا بالعاصفة القادمة.

سألت چين وهي تُغَطِّي أُذنيها: «ماذا هناك؟ لماذا يَدُقُّون الأجراس؟».

- «لقد ماتَ المَلك». لم تدرِ سانزا كيف عرفَت، لكنها أدركَت صحَّة الإجابة وقد ملأت الدَّقَّات البطيئة المتَّصلة الغُرفة كترنيمة جنائزيَّة. هل اقتحمَ عَدُوٌّ ما القلعة وقتلَ المَلك روبرت؟ ألهذا كان القتال دائرًا؟ خلدَت إلى النَّوم وكلها تساؤلات ومخاوف. هل أصبحَ أميرها الجميل چوفري المَلك الآن؟ أم أنهم قتَلوه بدوره؟ كانت خائفةً عليه للغاية، وعلى أبيها. ليت أحدهم يقول لها ما يَحدُث بالضَّبط.

ليلتها حلمَت سانزا بچوفري جالسًا على العَرش وهي إلى جواره في فُستانٍ من الذَّهب المغزول وعلى رأسها تاج، وكلُّ من عرفَتهم في حياتها أتوا لينحنوا أمامها ويُقَدِّمون لها المجامَلات.

وفي الصَّباح التَّالي، صباح اليوم الثَّالث، جاءَ إليها السير بوروس بلاونت فارس الحَرس المَلكي ليصحبها إلى المَلكة.

كان السير بوروس رجلًا قبيحًا ذا صدرٍ عريضٍ وساقين قصيرتين مقوَّستين، عريض الأنف ومن خدَّيه يتدلَّى لُغدان ضخمان، وله شَعر أشيب خفيف، وقد ارتدى اليوم المخمل الأبيض تحت معطفه ذي اللَّون الثَّلجي المثبَّت بدبُّوسٍ على شكل أسد يتألَّق لونه الذَّهبي وعيناه الدَّقيقتان المصنوعتان من الياقوت الأحمر. قالت له: «تبدو وسيمًا بهيًّا هذا الصَّباح يا سير بوروس». الليدي الحقَّة تتذكَّر مجامَلاتها، وهي عاقدة العزم على أن تكون كذلك مهما حدثَ.

أجابَ السير بوروس بصوتٍ محايد: «وأنتِ كذلك يا سيِّدتي. تفضَّلي معي، جلالتها في انتظارِكِ».

كان هناك حُرَّاس خارج غُرفتها، رجال لانستر في معاطفهم القرمزيَّة وخوذات الأسد، وجعلَت سانزا نفسها ترسم على شفتيها ابتسامةً عذبةً وتُلقي عليهم تحيَّة الصَّباح وهي تمرُّ بهم. كانت المرَّة الأولى التي تُغادِر فيها الغُرفة منذ قادَها السير آريس أوكهارت إلى هناك قبل صباحين آخَرين. «لنُحافِظ على سلامتك يا عزيزتي»، قالت لها المَلكة سرسي. «لن يُسامِحني چوفري أبدًا إذا حدثَ شيء لغاليته».

توقَّعت سانزا أن يأخذها السير بوروس إلى المسكن المَلكي، لكنه قادَها إلى خارج حصن ميجور بدلًا من هذا. كانوا قد أنزَلوا الجسر المتحرِّك من جديد، وبعض العُمَّال يُنزِلون رجلًا بواسطة حبلٍ في الخندق الجاف العميق، وعندما ألقَت نظرةً في الأسفل رأت جثَّةً مخوزَقةً على الحراب الحديديَّة الضَّخمة، فأشاحَت بنظرها سريعًا خائفةً من أن تسأل أو تُطيل النَّظر خشية أن تكون جثَّة أحدٍ تعرفه.

كانت المَلكة سرسي جالسةً في قاعة المجلس على رأس مائدةٍ مكتظَّةٍ بالأورق والشُّموع وقوالب شمع الأختام. كانت قاعة مهيبة فخمة لم ترَ سانزا مثيلًا لها من قبل، وخلب لُبَّها مرأى الجداريَّة الخشبيَّة المنقوشة وتمثالي أبي الهول الواقفين عند الباب.

قادَهما إلى الدَّاخل واحد آخَر من فُرسان الحَرس المَلكي هو السير ماندون ذو الملامح الجامدة، وقال سير: «جئتُ بالفتاة يا جلالة المَلكة».

كانت سانزا تأمل أن تجد چوفري معها، لكن أميرها كان غائبًا وبدلًا منه وجدَت ثلاثةً من مستشاري المَلك: اللورد پيتر بايلش الجالس إلى يسار المَلكة، والمِايستر الأكبر پايسل عند طرف المائدة، واللورد ڤارس يحوم حولهم وعبير الزُّهور يفوح منه. لاحظَت بتوجُّسٍ أن جميعهم يرتدي الأسود، ثياب الحِداد.

ارتدَت المَلكة فُستانًا حريريًّا أسودَ عالي الياقة خُيِّطَت إلى صدره مئة قطعةٍ دقيقةٍ من الياقوت الأحمر الدَّاكن غطَّت المَلكة من العُنق إلى النَّهدين، وكانت مقطَّعة على شكل قطرات دمعٍ كأن المَلكة تبكي دمًا. ابتسمَت سرسي لها، وخطرَ لسانزا أنها أكثر بسمةٍ عذبةٍ حزينةٍ رأتها في حياتها، وقالت: «صغيرتي الحُلوة سانزا، أعرفُ أنكِ كنتِ تَطلُبين رؤيتي. آسفةٌ لأني لم أستطِع استدعاءكِ قبل الآن، فالأمور كانت مضطربةً تمامًا ولم أجد لحظةً فارغةً واحدةً. هل اعتنوا بكِ جيِّدًا؟».

أجابَت سانزا بأدب: «الجميع كانوا مهذَّبين دمثين يا جلالة المَلكة، شكرًا جزيلًا على السُّؤال، لكن لا أحد يُريد أن يُكَلِّمنا أو يقول لنا ماذا حدثَ».

سألَت سرسي حائرةً: «لنا؟».

قال السير بوروس: «لقد وضَعنا ابنة الوكيل معها. لم نعرف ماذا نفعل بها غير هذا».

قطَّبت المَلكة جبينها وقالت بنبرةٍ حادَّة: «المرَّة القادمة سَلوني. الآلهة وحدها تعلم أيَّ حكاياتٍ ملأت بها رأس سانزا».

قالت سانزا: «چين خائفة وتبكي طوال الوقت. لقد وعَدتها بأن أطلب منكِ السَّماح لها برؤية أبيها».

خفضَ المِايستر الأكبر پايسل عينيه، فقالت سانزا بقلق: «أبوها بخير، أليس كذلك؟». كانت تعرف أن قتالًا ما قد دارَ، لكن مؤكَّد أن لا أحد سيُؤذي ڤايون پوول، فهو مجرَّد وكيلٍ ولا يحمل سيفًا حتى.

رمقَت المَلكة سرسي كلًّا من أعضاء المجلس على التَّوالي، وقالت: «لن أسمح بأن تقلق سانزا بلا داعٍ. ماذا نفعل بصديقتها تلك أيها السَّادة؟».

مالَ اللورد پيتر إلى الأمام وأجابَ: «يُمكنني أن أجد مكانًا لها».

- «ليس في المدينة».

- «هل تحسبينني أحمق؟».

تجاهلَت المَلكة التَّعليق، وقالت: «السير بورورس، اصحَب الفتاة إلى مسكن اللورد پيتر ومُر رجاله بأن يحتفظوا بها هناك حتى يذهب إليها. قُل لها إن الإصبع الصَّغيرِ سيأخذها إلى أبيها، سيُهَدِّئها هذا. لا أريدها أن تكون موجودةً في غُرفة سانزا عندما تعود».

قال السير بورورس: «أمر جلالتكِ»، وانحنى بشدَّةٍ ثم دارَ على عقبيه وانصرفَ ومعطفه الأبيض الطَّويل يُرَفرِف في الهواء من ورائه.

كانت سانزا حائرةً تمامًا، واندفعَت تقول: «لا أفهمُ. أين أبو چين؟ ولِمَ لا يأخذها السير بورورس إليه مباشرةً بدلًا من أن تنتظر اللورد پيتر؟». كانت قد وعدَت نفسها بأن تتصرَّف كليدي، رقيقةً كالمَلكة وقويَّةً كأمِّها الليدي كاتلين، لكن الخوف اعتراها من جديدٍ وشعرَت بأنها على وشك البكاء. «إلى أين ستُرسِلونها؟ چين لم تفعل شيئًا، إنها فتاة صالحة».

قالت المَلكة برقَّة: «لقد أزعجَتكِ ولا يُمكننا أن نسمح بهذا. لا أريدُ كلمةً أخرى. اللورد پيتر سيعتني بچين خير عناية، أعدكِ بهذا»، ثم ربَّتت على المقعد المجاور لها وقالت: «اجلسي يا سانزا، أريدُ أن أتكلَّم معكِ».

جلسَت سانزا إلى جوار المَلكة التي ابتسمَت من جديد، وإن لم ينجح هذا في تخفيف توتُّرها الشَّديد. كان ڤارس يَفرُك يديه معًا، والمِايستر الأكبر پايسل يُحَدِّق في الأوراق التي أمامه بعينيه النَّاعستين، لكنها شعرَت بنظرات اللورد پيتر المركَّزة عليها. شيءٌ ما في الطَّريقة التي يَنظُر بها هذا الرَّجل القصير إليها يجعل سانزا تَشعُر كأنها لا ترتدي أيَّ ثيابٍ على الإطلاق، وأحسَّت بقشعريرةٍ تسري في جسدها.

قالت المَلكة سرسي وهي تضع يدها النَّاعمة على معصمها: «سانزا الحُلوة، طفلة جميلة أنت. أتمنَّى أنكِ تعرفين مبلغ حُبِّي وچوفري لكِ».

مبهورةً قالت سانزا: «حقًّا؟». لحظتها نسيَت الإصبع الصَّغير تمامًا. أميرها يُحِبُّها ولا شيء آخر في العالم مهمٌّ.

حافظَت المَلكة على ابتسامتها قائلةً: «إنني أعتبركِ مِثل ابنتي تقريبًا،

وأثقُ بالحُبِّ الذي تُكِنِّينه لچوفري»، ثم هزَّت رأسها بحركةٍ مُتعَبةٍ وقالت: «أخشى أن لدينا خبرًا سيِّئًا بخصوص أبيكِ. يجب أن تتحلَّي بالشَّجاعة يا صغيرتي».

جمَّدت كلماتها الهادئة الدِّماء في عروق سانزا التي قالت: «ماذا؟».

قال اللورد ڤارس: «أبوكِ خائن يا عزيزتي».

ورفعَ المِايستر الأكبر پايسل رأسه العجوز قائلًا: «بأُذنيَّ هاتين سمعتُ اللورد إدارد يُقسِم للمَلك روبرت الحبيب أنه سيحمي الأمراء الصِّغار كأنهم أبناؤه، لكن بمجرَّد وفاة المَلك جمعَ المجلس الصَّغير كي يسرق عَرش الأمير چوفري الشَّرعي منه».

بلا تفكيرٍ قالت سانزا: «لا! مستحيل أن يفعل هذا، مستحيل!».

التقطَت المَلكة رسالةً من على المائدة. كانت الورقة ممزَّقةً وملطَّخةً بالدَّم الجاف، لكن الختم المكسور كان ختم أبيها والذِّئب الرَّهيب غائص في الشَّمع الشَّاحب. «وجدنا هذه مع قائد حَرس أبيكِ يا سانزا، رسالة إلى أخي زوجي الرَّاحل ستانيس تدعوه للاستيلاء على التَّاج».

قالت سانزا والذُّعر المفاجئ يُشعِرها بالدُّوار والإعياء: «جلالة المَلكة، أرجوكِ، لا بُدَّ أن هناك خطأً ما. أرجوكِ، استدعي أبي وسيُخبِركِ إن من المستحيل أن يَكتُب رسالةً كهذه. المَلك كان صديقه».

قالت المَلكة: «هذا ما ظنَّه روبرت. كانت هذه الخيانة لتكسر قلبه حقًّا. إنها رحمة من الآلهة أنه لم يَعِش ليشهَدها»، وتنهَّدت وأضافَت: «سانزا يا عزيزتي، يجب أن تُدرِكي الموقف الشَّنيع الذي يضعنا فيه هذا. أنتِ بريئة من كلِّ ذنبٍ وكلنا نعرف هذا، لكنكِ ابنة خائن، فكيف أسمح لكِ بالزَّواج من ابني؟».

صاحَت سانزا مصدومةً مرعوبةً: «لكني أحبُّه!». ماذا سيفعلون بها الآن؟ وماذا فعلوا بأبيها؟ لم يكن من المفترَض أن يَحدُث شيء من هذا. يجب أن تتزوَّج من چوفري، إنهما مخطوبان وهو موعودٌ لها، بل إنها

حلمَت بزفافهما كذلك. ليس من العدل أن يسلبوه منها بسبب أيِّ شيءٍ قد يكون أبوها قد اقترفَه.

قالت سرسي بصوتٍ مليءٍ بالطِّيبة والعذوبة: «أدركُ هذا جيِّدًا يا صغيرتي، وإلَّا فلِمَ جئتِ إليَّ وأفصَحتِ لي عن خُطَّة أبيكِ لإبعادكِ عنا إن لم يكن في سبيل الحُب؟».

أجابَت سانزا بحرارة: «نعم، فعلتها في سبيل الحُب، لأن أبي لم يسمح لي بتوديع چوفري». إنها الفتاة الصَّالحة، الفتاة المطيعة، لكنها شعرَت بأنها عَقوق متمرِّدة كآريا في ذلك الصَّباح وهي تتسلَّل من وراء السِّپتة موردن مخالفةً أوامر السيِّد والدها. لم تكن قد ارتكبَت شيئًا بذلك العناد من قبل في حياتها كلها، ولم تكن لترتكبه لولا أنها تُحِبُّ چوفري هذا الحُبَّ الجَم. «كان سيُعيدني إلى وينترفل ويُزَوِّجني من فارسٍ جائلٍ ما على الرغم من أني أريدُ چوف وليس غيره. قلتُ له هذا لكنه لم يُصغِ لي». كان المَلك أملها الأخير، فيُمكنه أن يأمر أباها بأن يجعلها تبقى في كينجز لاندنج وتتزوَّج من الأمير چوفري. كانت تُدرِك هذا مع أن المَلك كان يُخيفها دائمًا بصوته الجهوري الخشن وسُكره الدَّائم، وكان ليُعيدها غالبًا إلى اللورد إدارد، هذا لو سمَحوا لها بمقابَلته أصلًا. وهكذا ذهبَت إلى المَلكة وأفصحَت لها عن كلِّ شيء، وأصغَت سرسي إليها وشكرَتها بعذوبة... وحينها فقط اصطحبَها السير آرس إلى الغُرفة العالية في حصن ميجور ووضعَ الحُرَّاس أمام الباب، وبَعد ساعاتٍ قليلةٍ بدأ القتال في الخارج. «أرجوكِ، يجب أن تسمحي لي بالزَّواج من چوفري، سأكونُ زوجةً صالحةً مطيعةً له، سترين، أعدكِ، سأكون مَلكةً مِثلكِ».

نظرَت المَلكة سرسي إلى الآخَرين قائلةً: «ما رأيكم في التماسها أيها السَّادة أعضاء المجلس؟».

غمغمَ ڤارس: «الطِّفلة المسكينة حُبُّها صادق وبريء يا جلالة المَلكة،

وحرمانها منه سيكون قسوةً بالغةً... لكن ماذا في وسعنا نفعل؟ إن أباها مُدان بالخيانة»، وفركَ يديه معًا بحركةٍ تنمُّ عن الأسى.

وقال المِايستر الأكبر پايسل: «الطِّفلة الآتية من نسل خائنٍ ستجد أن الخيانة تأتي إليها بالسَّليقة. إنها بريئة الآن، لكن من يدري أيَّ خيانةٍ قد تتفتَّق عنها بَعد عشرة أعوام؟».

صاحَت سانزا مذعورةً: «لا! إنني لستُ... مستحيل أن... مستحيل أن أخون چوفري! إنني أحبُّه، أقسمُ أنني أحبُّه!».

قال ڤارس: «كم هذا مؤثِّر، ومع ذلك يُقال إن صلة الدَّم أصدق من أيِّ قَسم».

وقال اللورد پيتر بهدوء: «إنها تُذَكِّرني بأمِّها وليس بأبيها. انظروا إليها... الشَّعر، العينان، إنها نُسخة من كات عندما كانت في عُمرها».

رمقَتها المَلكة بنظرةٍ حزينةٍ وقالت: «إذا استطعتُ أن أصدِّق أنكِ لستِ كأبيكِ في شيء، فلن يُسعِدني أكثر من أراكِ تُزَفِّين إلى چوفري. أعرفُ أنه يُحِبُّكِ من كلِّ قلبه»، ثم تنهَّدت وأضافَت: «لكني أخشى أن اللورد ڤارس والمِايستر الأكبر على حق، فالدَّم هو ما سيَحكُم. إنني لم أنسَ كيف أطلقَت أختكِ ذِئبتها على ابني».

«أنا لستُ مِثل آريا، هي التي تملك دم الخونة وليس أنا! أنا مطيعة، سَلي السِّپتة موردن وستقول لكِ! لا أريدُ أن أكون غير زوجة چوفري المُحِبَّة الوفيَّة!».

شعرَت بثِقل عيني سرسي وهي تُمعِن النَّظر إلى وجهها وتقول: «أعتقدُ أنكِ تعنين ما تقولين يا صغيرتي»، والتفتَت إلى الآخَرين قائلةً: «أيها السَّادة، يبدو لي أنه إذا ظَلَّ بقيَّة أهلها مُخلِصين في هذه الأوقات العصيبة، فسيعمل هذا على طمأنة مخاوفنا كثيرًا».

ملَّس المِايستر الأكبر پايسل لحيته البيضاء الضَّخمة وعقدَ حاجبيه مفكِّرًا، وقال: «اللورد إدارد لديه ثلاثة أولاد».

هَزَّ اللورد بيتر كتفيه قائلًا: «مجرَّد صِبية. ما يُقلِقني أكثر هو الليدي كاتلين وآل تَلي».

وضعَت المَلكة يديْ سانزا في يديها وقالت: «هل تُجيدين الكتابة يا صغيزتي؟».

أومأت سانزا برأسها بتوتُّر. إنها تُجيد القراءة والكتابة أكثر من إخوتها كلهم، وإن كان لا أملٍ لديها في تعلُّم الحساب.

- «يَسُرُّني هذا. لعلَّ هناك أملًا لكِ وچوفري».

- «ماذا تُريدينني أن أفعل؟».

- «يجب أن تَكتُبي للسيِّدة أمِّكِ وأخيكِ الأكبر... ما اسمه؟».

- «روب».

- «لا ريب أن خبر خيانة أبيكِ سيَبلُغهما قريبًا، لكن من الأفضل أن يأتي منكِ أنتِ. يجب أن تُخبِرينهما كيف خانَ اللورد إدارد مَليكه».

كانت سانزا ترغب في چوفري إلى أقصى حَد، لكنها لم تعتقد أنها تملك الشَّجاعة الكافية لتفعل ما تَطلُبه المَلكة منها. «لكنه لم... إنني لا... جلالة المَلكة، لن أعرف ماذا أقول».

ربَّتت سرسي على يدها وقالت: «سنُخبِرك بما تَكتُبين يا صغيرتي. المهمُّ أن تستحثِّي السيِّدة والدتكِ وأخوكِ على الحفاظ على سلام المَلك».

وقال پايسل: «ستكون العواقب وخيمةً للغاية إذا لم يفعلا. أستحلفكِ بحُبِّكِ لهما أن تُشَدِّدي على ضرورة أن يَسلُكا طريق الحكمة».

- «من المؤكَّد أن السيِّدة والدتكِ ستَشعُر بخوفٍ بالغ عليكِ»، قالت المَلكة. «يجب أن تقولي لها إنكِ بخيرٍ وتحت رعايتنا، وإننا نُعامِلكِ بلُطفٍ ونُلبِّي احتياجاتكِ كلها. اطلُبي منهما أن يأتيا إلى كينجز لاندنج ويتعهَّدا بالوفاء لچوفري عندما يجلس على عَرشه. إذا فعلا هذا فسنعرفُ على وجه التَّأكيد أن دمكِ غير ملوَّث بالخيانة، وعندما تتفتَّح

زهرة أنوثتكِ ستُزَفِّين إلى المَلك في سِپت بيلور الكبير على مرأىً من الآلهة والبَشر».

...*تُزَفِّين إلى المَلك*... جعلَت الكلمات أنفاسها تتلاحَق، لكن سانزا تردَّدت رغم ذلك، وقالت: «ربما إذا سمحتِ لي بأن أرى أبي... وأتكلَّم معه عن...».

قاطَعها ڤارس بنبرةٍ موحية: «الخيانة؟».

وقالت المَلكة بعينين صارتا قاسيتين كالحَجر: «إنكِ تُخَيِّبين أملي يا سانزا. لقد أخبرناكِ بجرائم أبيكِ، فلماذا ترغبين في رؤيته لو كنتِ مُخلِصةً كما تقولين؟».

اغرورقَت عيناها بالدُّموع وهي تقول: «قصدتُ فقط أن... إنه لم... لم... أرجوكِ، هل حَلَّ به أذىً أو... أو...».

قالت المَلكة: «اللورد إدارد سليم تمامًا».

- «لكن ماذا سيَحدُث له؟».

أجابَ پايسل بلهجةٍ ثقيلة: «هذا قرار المَلك».

المَلك! حبسَت سانزا دموعها في عينيها. چوفري هو المَلك الآن، وأميرها الشَّهم الشُّجاع لن يُؤذي أباها أبدًا مهما كان ما اقترفَه. إنها واثقة من أنه سيُصغي إذا ذهبَت إليه وتوسَّلت منه الرَّحمة لأبيها، وسوف يُصغي لا ريب لأنه يُحِبُّها، وحتى المَلكة قالت هذا. سيضطرُّ چوف لأن يُعاقِبه لأن اللوردات سيتوقَّعون منه هذا، لكن من الممكن أن يُعيده إلى وينترفل أو ينفيه إلى واحدةٍ من المُدن الحُرَّة عبر البَحر الضيِّق، ولن يدوم هذا طويلًا على كلِّ حال، مجرَّد سنواتٍ قليلة، وبَعدها ستكون قد تزوَّجت من چوفري، وبمجرَّد أن تصير المَلكة ستُقنِعه بأن يُعيد أباها ويمنحه عفوًا.

لكن... إذا ارتكبَت أُمُّها أو روب أيَّ خيانة، إذا استدعيا الرَّايات أو رفضا التعهُّد بإخلاصهما لچوف أو فعلا أيَّ شيءٍ على هذه الشَّاكلة،

سيفسد كلُّ شيء. إنها تعرف في قلبها أن حبيبها چوفري طيِّب دمث، لكنَ على المَلك أن يكون صارمًا مع المتمرِّدين. يجب أن تجعلهما يفهمان، يجب! «ســ... سأكتبُ لهما».

ببسمةٍ دافئةٍ كشروق الشَّمس مالَت سرسي لانستر عليها وطبعَت قُبلةً على خدِّها، وقالت: «كنتُ أعرفُ أنكِ ستفعلين. سيَشعُر چوفري بفخرٍ شديدٍ عندما أحكي عن التعقُّل والشَّجاعة اللذين أبديتيهما هنا اليوم».

في النِّهاية كتبَت أربع رسائل: إلى أمِّها الليدي كاتلين ستارك، وأخيها روب في وينترفل، وخالتها الليدي لايسا آرن في "العُش"، وجدِّها اللورد هوستر تَلي في ريڤررَن؛ ولدى فروغها من الكتابة كانت أصابعها متصلِّبةً ملوَّثةً بالحِبر. كان ختم أبيها مع ڤارس، فدفَّأت شمع النَّحل الأبيض فوق شمعةٍ ثم صبَّته بحرصٍ وراقبَت الخَصِيَّ وهو يختم كلَّ رسالةٍ بذِئب ستارك الرَّهيب.

كانت چين پوول وأغراضها كلها قد اختفَت من غُرفة سانزا عندما أعادَها السير ماندون مور إلى البُرج العالي في حصن ميجور، وفكَّرت ممتنَّةً أنها لن تسمع المزيد من البكاء. على أن الغُرفة بدَت لها أكثر برودةً مع رحيل چين، حتى بَعد أن أشعلَت نارًا. سحبَت مقعدًا ووضعَته بالقُرب من المُستوقَد، والتقطَت واحدًا من كُتبها المفضَّلة، ونسيَت نفسها في حكايات فلوريان وچونكويل، والليدي شيلا وفارس قوس قزح، والأمير الباسل إجون وحُبِّه المنكوب لمَلكة أخيه.

وفي ساعةٍ متأخِّرةٍ من اللَّيل، وهي تغيب في النَّوم، أدركَت سانزا أنها نسيَت أن تسأل عن أختها.

چون

قال السير چارمي ريكر: «إنه أوثور بلا شَك، وهذا چافر فلاورز»، وقلبَ الجثَّة بقدمه ليُحَدِّق الوجه الأبيض الميت في السَّماء الغائمة بعينين زراقهما عميق عميق. «كلاهما كان رجل بن ستارك».

تذكَّر چون كيف توسَّل أن يَخرُج معهم إلى ما وراء "الجِدار"، وكالمخدَّر قال لنفسه: رجلا عمِّي. *كم كنتُ صبيًّا أحمق بحقِّ الآلهة. لو كان قد وافق وأخذَني، فلربما كانت جثَّتي الهامدة مع هاتين الآن.*

كان معصم چافر الأيمن ينتهي بخرابٍ من اللَّحم الممزَّق والعظام المهشَّمة خلَّفه فكَّا جوست، بينما تسبح يده اليُمنى في برطمانٍ من الخل في بُرج المِايستر إيمون، أمَّا يُسراه -التي لا تزال متَّصلةً بذراعه- فكانت سوداء كمعطفه.

- «لترحمنا الآلهة»، غمغمَ الدُّب العجوز وترجَّل عن فَرسه وناولَ العِنان لچون. كان نهارًا دافئًا على غير العادة، وبلَّلت قطرات العَرق جبين حضرة القائد العريض كالنَّدى على ثمرة بطِّيخ. كانت فَرسه متوتِّرةً، تشيح بعينيها وتتراجَع عن الرَّجلين الميتين بقَدر ما يسمح لها الحبل، فابتعدَ چون بها بعض الشَّيء وهو يُكافِح للسَّيطرة عليها كي لا تَركُض مبتعدةً. لم تكن الخيول تُحِبُّ إحساس هذا المكان، ولا چون كذلك في الحقيقة.

والكلاب أقلّ من يُحِبُّ المكان. كان جوست هو من قادَ المجموعة إلى هناك بَعد أن اتَّضح أن فِرقة كلاب الصَّيد لن تَصلُح. عندما حاولَ

باس قيِّم الوجار أن تجعلها تلتقط الرَّائحة من اليد المبتورة، أصابَها هياج شديد وأخذَت تعوي وتنبح بضراوةٍ وتُقاتِل للابتعاد، وحتى الآن كانت تُزَمجِر وتزوم بين لحظةٍ وأخرى محاولةً التحرُّر من مقاودها بينما يَسُبُّها تشِت وينعتها بالجُبن.

لم تكن هذه هي المرَّة الأولى التي يرى فيها چون أمواتًا، وقال لنفسه: *إنها مجرَّد غابة، وهما مجرَّد رجلين ميتين.*

ليلة أمسٍ رأى في منامه حُلم وينترفل مجدَّدًا. كان يجوب القلعة الخاوية، يبحث عن أبيه وينزل إلى السَّراديب، لكن هذه المرَّة دخلَ الحُلم مرحلةً جديدةً لم تسبق له رؤيتها من قبل. في الظَّلام سمعَ صوت حَجَرٍ يحتكُّ بحَجر، وعندما التفتَ رأى المقابر تُفتَح واحدًا تلو الآخَر، وإذ خرجَ الملوك الموتى مترنِّحين من قبورهم السَّوداء، استيقظَ چون والعتمة تَغمُر حُجيرته وقلبه يَدُقُّ بعُنفٍ شديد، وحتى عندما وثبَ جوست على فِراشه ليُمَرِّغ أنفه في وجهه لم يستطِع التخلُّص من إحساس الرُّعب الكاسح الذي اكتنَفه، ولم يجرؤ على العودة إلى النَّوم. بدلًا من هذا صعدَ إلى قمَّة "الجِدار" وذرعَها جيئةً وذهابًا بلا راحةٍ حتى رأى نور الفَجر في الأُفق. *كان مجرَّد حُلم. أنا أخٌ في حَرس اللَّيل الآن ولستُ طفلًا مذعورًا.*

ربضَ ساموِيل تارلي تحت الأشجار وكادَ يتوارى تمامًا وراء الخيول. كان وجهه المستدير السَّمين ممتقعًا، وحتى الآن لم يكن قد ابتعدَ ليُفرِغ معدته، لكنه لم يُحاوِل أن يُلقي نظرةً واحدةً على الرَّجلين الميتين كذلك، وهمسَ ببؤس: «لا أقدرُ على النَّظر».

- «يجب أن تَنظُر»، قال چون مُحافِظًا على انخفاض صوته كي لا يسمع الآخَرون. «المِايستر إيمون أرسلَك لتكون عينيه، أليس كذلك؟ ما فائدتهما إذن لو كانتا مُغلَقتين؟».

- «نعم، لكن... لكنني جبان يا چون».

وضعَ چون يده على كتف سام، وقال: «إن معنا دستة من الجوَّالة،

بخلاف الكلاب، وجوست. لا أحد سيُؤذيك يا سام. اذهب وألقِ نظرةً. النَّظرة الأولى فقط هي الأصعب».

مرتجفًا هَزَّ سام رأسه، وكان جليًّا المجهود الذي يَبذُله لاستجماع ما لديه من شَجاعة، ثم إنه دارَ برأسه بتؤدةٍ واتَّسعت عيناه خوفًا، لكن چون أمسكَ بذراعه بقوَّةٍ كي لا يشيح بنظره.

قال الدُّب العجوز بوجوم: «سير چارمي، بن ستارك كان معه ستَّة من الرِّجال عندما تحرَّك من "الجِدار"، فأين الآخَرون؟».

هَزَّ السير چارمي رأسه مجيبًا بقنوط: «ليتني أعرفُ».

كان من الواضح أن مورمونت لم يرضَ عن الإجابة، وقال بصرامة: «اثنان من إخوتنا قُتِلا على مرمى حَجَرٍ من "الجِدار"، لكن الجوَّالة لم يروا أو يسمعوا شيئًا. أهذا ما انحدرَ إليه حَرس اللَّيل؟ أما زلنا نُمَشِّط الغابة؟».

- «نعم يا سيِّدي، لكن...».

- «أما زلنا نَخرُج في دوريَّات؟».

- «نعم، لكن...».

أشارَ مورمونت إلى أوثور قائلًا: «هذا الرَّجل معه نفير الصَّيد، فهل أفترضُ أنه ماتَ دون أن يَنفُخ فيه؟ أم أن جوَّالتك أصيبوا بالصَّمم والعمى في آنٍ واحد؟».

شَدَّ السير چارمي قامته وقال بصوتٍ حانق: «لم يُطلَق أيُّ نفير يا سيِّدي، وإلَّا لكان جوَّالتي قد سمعوه. إنني لا أملكُ العدد الكافي من الرِّجال للخروج في دوريَّاتٍ كما ينبغي، ومنذ غياب بنچن وقد بقينا على مقربةٍ من "الجِدار" أكثر من المعتاد بناءً على أوامرك».

دمدمَ الدُّب العجوز وقال: «نعم، حسن، ليكن»، ثم أشارَ إلى الميتين بصبرٍ نافدٍ وقال: «كيف ماتا؟».

جثا السير چارمي إلى جوار جثَّة چافر فلاورز وأمسكَ رأسها من الفروة، فخرجَ الشَّعر في يده هشًّا كالقَش، وأطلقَ الفارس سُبَّةً ودفعَ

الوجه بكعب يده ليلوح شِقٌّ ضخم مفتوح كالفم في جانب عُنق الجثَّة وقد اكتسى بقشرةٍ من الدَّم الجاف، بينما لم يتبقَّ غير أوتارٍ قليلةٍ تصل العُنق بالرَّأس. قال السير چارمي: «إنها بلطة».

غمغمَ رجل الغابات العجوز دايوين: «أجل، ربما البلطة التي كان أوثور يحملها يا سيِّدي».

شعرَ چون بوجبة إفطاره تتحرَّك في معدته، لكنه ضغطَ شفتيه معًا وجعلَ نفسه يَنظُر إلى الجثَّة الثَّانية. كان أوثور رجلًا كبيرًا قبيحًا ماتَ ليصير جثَّةً كبيرةً قبيحةً، لكن لم تكن هناك بلطة في الجوار. تذكَّر چون أن أوثور كان صاحِب الأغنيَّة البذيئة بينما خرجَ الجوَّالة، لكن أيام غنائه ولَّت الآن. كانت بشرته بيضاء تمامًا كالحليب، كلها باستثناء يديه اللتين كانتا مسودَّتين عن آخِرهما مِثل يدي چافر، وزيَّنت زهور من الدَّم المتجلِّط جروحه المميتة التي غطَّته كالطَّفح الجِلدي من أصل الفخذ مرورًا بالصَّدر وحتى العُنق... لكن عينيه كانتا مفتوحتين، تَرمُقان السَّماء كقطعتين من الياقوت الأزرق.

نهضَ چارمي قائلًا: «الهَمج أيضًا لديهم بلطات».

التفتَ مورمونت إليه وقال: «هل تعتقد إذن أن هذا عمل مانس رايدر؟ على هذا القُرب من "الجِدار"؟».

- «ومن غيره يا سيِّدي؟».

كان باستطاعة چون أن يُخبِره. إنه يعلم الإجابة، كلهم يعلمونها، لكن لا أحد منهم لفظَ الكلمة. "الآخَرون" *مجرَّد قصَّة، حكاية لإخافة الأطفال لا أكثر. إذا كانوا أحياء ذات يومٍ أصلًا، فقد اختفوا منذ ثمانية آلاف عام كاملة.* مجرَّد الفكرة جعلَته يَشعُر بالحماقة. إنه رجل بالغ الآن، أخٌ أسودَ في حَرس اللَّيل وليس الصَّبي الذي كان يجلس عند قدمي العجوز نان ليسمع حكاياتها مع بران وروب وآريا.

أطلقَ حضرة القائد مورمونت نخيرًا، وقال: «لو كان بنچن ستارك قد

تعرَّض لهجومٍ من الهَمج على بُعد نِصف يومٍ من القلعة السَّوداء، لعادَ ليأخذ المزيد من الرِّجال وطاردَ القتلة عبر الجحائم السَّبع كلها ثم جلبَ لي رؤوسهم».

قال السير چارمي بإصرار: «ما لم يكن قد قُتِلَ بدوره».

آلمَت الكلمة چون، حتى بَعد كلِّ تلك الفترة الطَّويلة آلَمَته. كان من الحماقة أن يتمسَّك بالأمل في أن يكون بنچن ستارك حيًّا حتى الآن، لكن من قال إن چون سنو ليس كتلةً من العناد تتحرَّك على قدمين؟

واصلَ السير چارمي: «لقد مَرَّ ما يَقرُب من نِصف عامٍ على غياب بنچن يا سيِّدي. الغابة شاسعة، وقد يكون الهَمج قد هاجَموه في أيِّ مكان على حين غرَّة. أراهنُ أن هذين الاثنين كانا آخِر من تبقَّى من مجموعته، وكانا في طريق العودة إلينا عندما لحقَ بهم العَدُوُّ قبل أن يلوذوا بأمان "الجِدار". الجثَّتان ما زالتا طازجتين، ما يعني أن هذين الرَّجلين ماتا منذ يومٍ على الـ...».

صاحَ ساموِيل تارلي مُقاطِعًا إياه بحدَّة: «كلا!».

أجفلَ چون. كان صوت سام الرَّفيع العالي آخِر ما توقَّع أن يسمعه الآن، فالولد البدين كان يخاف القيِّمين، والسير چارمي لم يكن معروفًا بصبره.

قال ريكر ببرود: «لم أطلب رأيك يا فتى».

اندفعَ چون يقول: «دَعه يتكلَّم يا سيِّدي».

جاسَت عينا مورمونت بين سام وچون، ثم قال: «إذا كان لديه ما يقوله، فأريدُ أن أسمعه. اقترب يا فتى، فلا يُمكننا رؤيتك وراء هذه الخيول».

تقدَّم سام مرورًا بچون والخيول وهو يتصبَّب عَرَقًا، وقال بارتباك: «سيِّدي، لا... لا يُمكن أن يكونوا قد ماتوا منذ يومٍ أو... انظروا... انظروا إلى الدَّم».

زمجرَ مورمونت بنفاد صبرٍ وسأله: «نعم، الدَّم، ماذا عنه؟».

- «منظره يجعله يُبَلِّل سرواله!»، قال تيِشت وضحكَ الجوَّالة.

مسحَ سام العَرق عن جبينه وقال: «يُمكنك... يُمكنك أن ترى أن جوست... ذِئب چون الرَّهيب... يُمكنك أن ترى أنه اقتلعَ يد هذا الرَّجل، لكن... مكان البَتر لم ينزف... انظر»، ولوَّح بيده مُتابِعًا: «أبي، الـ... اللورد تارلي... كان... كان يجعلني أُشاهِده وهو يَسلُخ جثث الحيوانات أحيانًا بَعد...»، وهَزَّ سام رأسه وذقنه ترتجف وقد صارَ غير قادرٍ على إبعاد عينيه على الجثَّتين بَعد أن رآهما. «بَعد الصَّيد. إذا كانت الجثَّة طازجةً فسيظلُّ الدَّم سائلًا لفترةٍ يا سيِّدي... بَعدها... بَعدها يتجلَّط مِثل... مِثل الهلام، يكون ثخينًا و...». بدا كأنه على وشك أن يقيء أمامهم الآن، لكنه واصلَ: «هذا الرَّجل... انظروا إلى المعصم... الدَّم متجلِّط، جاف، مِثل...».

رأى چون ما يعنيه سام في الحال، الأوردة الممزَّقة في معصم الرَّجل الميت كثعابين من حديدٍ في اللَّحم الشَّاحب والدَّم أسودَ كالثَّرى، ومع ذلك لم يبدُ چارمي ريكر مقتنعًا، وقال: «لو كانا قد ماتا منذ أكثر من يومٍ لكانت الجثَّتان منتفختين الآن يا فتى. إنهما بلا رائحةٍ حتى».

تحرَّك دايوين، رجل الغابات العابس الذي يتباهى دائمًا بأنه يستطيع أن يشمَّ رائحة الثَّلج قبل سقوطه، واقتربَ من الجثَّتين وتشمَّمهما، ثم قال: «شذى الزُّهور لا يفوح منهما بالتَّأكيد، لكن سيِّدي على حق، فلا توجد رائحة تعفُّن».

قال سام مشيرًا بإصبعٍ مرتجف: «لأنهما... لأنهما لا يتعفَّنان. انظروا، ليست هناك يرقات أو... أو... ديدان أو أيُّ شيءٍ من هذا. إنهما ميتان هنا في الغابة، ومع ذلك... ومع ذلك لم تأكلهما الحيوانات أو تقضم منهما شيئًا... فقط جوست، وبخلاف ذلك لم... لم...».

- «لم يمسسهما شيء»، قال چون بصوتٍ خفيض. «وجوست مختلف، بينما تَرفُض الكلاب والخيول الاقتراب منهما».

تبادلَ الجوَّالة النَّظرات وقد رأى كلٌّ منهم أن ما يُقال سليم تمامًا،

وقطَّب مورمونت جبينه ناقلًا عينيه بين الجثَّتين والكلاب، ثم قال: «تِشت، دَع الكلاب تقترب».

وحاولَ تِشت، وسَبَّ وجذب المقاود بعُنف، بل وركلَ أحدها كذلك، لكن معظم الكلاب زامَ وغرسَ قوائمه في الأرض. جرَّب أن يشدَّ واحدةً لكن الكلبة زمجرَت وقاومَته وحاولَت التملُّص من طوقها، ثم إنها انقضَّت عليه فجأةً ليتراجع متعثِّرًا ويُسقِط المِقْوَد، ووثبَت الكلبة من فوقه وغابَت بين الأشجار.

قال سام تارلي بلهجةٍ جادَّة: «هذا... كلُّ هذا خطأ. الدَّم... هناك بُقع دمٍ على ثيابهما و... ولحمهما، لكنه جاف ومتجمِّد، لكن ليس هناك أيُّ دَمٍ على الأرض أو... أو في أيِّ مكان. مع هذه... هذه... هذه...». أجبرَ سام نفسه على ابتلاع ريقه والتقطَ نفسًا عميقًا، ثم قال: «مع هذه الجروح الشَّنيعة من المفترَض أن تكون هناك دماء في كلِّ مكان، أليس كذلك؟».

مَصَّ دايوين أسنانه الخشبيَّة، وقال: «ربما لم يموتا هنا، ربما أتى بهما أحدهم وتركَهما لنا على سبيل الإنذار»، ورمقَ رجل الغابات العجوز الجثَّتين بشَكٍّ مضيفًا: «وقد أكونُ أحمق، لكني لا أذكرُ أن أوثور كان يملك عينين زرقاوين من قبل».

أجفلَ السير چارمي والتفتَ رامقًا الجثَّتين قائلًا: «ولا فلاورز كذلك».

خيَّم الصَّمت على الغابة، وللحظاتٍ لم يسمعوا غير أنفاس سام الثَّقيلة وصوت امتصاص دايوين لأسنانه، وجثَمَ چون إلى جوار جوست.

- «لنحرقهما»، همسَ أحدهم، واحد من الخيَّالة لم يُمَيِّزه چون، وردَّد صوت آخَر بلهجةٍ مُلِحَّة: «نعم، لنحرقهما».

هَزَّ الدُّب العجوز رأسه بعنادٍ قائلًا: «ليس بَعد. أريدُ أن يفحصهما المِايستر إيمون أولًا. سنأخذهما معنا إلى "الجِدار"».

بعض الأوامر إلقاؤه أسهل من طاعته. لفُّوا الرَّجلين الميِّتين في معطفين، لكن عندما حاولَ هاك ودايوين أن يربطا إحدى الجثَّتين

على ظَهر حصان أصيبَ الحيوان بالجنون، وأخذَ يَصرُخ رافعًا قائمتيه الأماميَّتين وراكلًا الهواء بحافريه، حتى أنه حاولَ أن يَعَضَّ كاتر عندما ذهبَ إلى زميليه ليُساعِدهما. لم يُصادِف بقيَّة الجوَّالة حظًّا أفضلٍ مع الخيول الأخرى، وحتى أهدأها رفضَ تمامًا أن يحمل واحدةً من الجثَّتين على ظَهره؛ وفي النِّهاية اضطرُّوا لقطع بضعة فروعٍ لبناء رافعتين بدائيَّتين ليعودوا حاملين الجثَّتين على الأقدام، وكان النَّهار قد انتصفَ منذ فترةٍ عندما بدأوا رحلة العودة أخيرًا.

قال مورمونت آمرًا للسير چارمي وهُم يتحرَّكون: «أريدُ أن تُمَشِّط هذه الغابة، كلَّ شجرة، كلَّ صخرة، كلَّ دغل، وكلَّ قدمٍ من الأرض الموحلة على مسافة عشرة فراسخٍ من هنا. استعن بكلِّ رجالك، وإذا أردت المزيد من الرِّجال فاستعر بعض الصيَّادين والحطَّابين من جماعة الوُكلاء. إذا كان بن والآخَرون في مكانٍ ما هنا، فأريدُ العثور عليهم أحياء أو موتى. إذا كان هناك أحد آخَر في هذه الغابة، فأريدُ أن أعرف مَن. أريدك أن تتعقَّبهم أيًّا كانوا وتقبض عليهم، ويُفضَّل أن يكونوا أحياء، مفهوم؟».

قال السير چارمي: «مفهوم يا سيِّدي، سنفعل هذا».

بَعد ذلك تحرَّك مورمونت على متن حصانه بصمتٍ متجهِّم، وتبعه چون عن كثبٍ بما أن هذا مكانه بصفته وكيل حضرة القائد الخاص. كان يومًا كئيبًا رطبًا غائمًا، واحدًا من تلك الأيام التي تجعلك تتمنَّى أن تَسقُط الأمطار، ولم تتحرَّك الرِّيح في الغابة إطلاقًا حتى أن چون شعرَ بثيابه تلتصق بجِلده. كان الطَّقس دافئًا، دافئًا أكثر من اللَّازم في الحقيقة، و"الجِدار" يَقطُر بغزارة منذ أيام، وفي أحيانٍ اعتقدَ چون أنه يتقلَّص.

كان كبار السِّنِّ يُطلِقون على هذا الطَّقس اسم "الصَّيف الشَّبحي"، ويقولون إنه يعني أن الفصل قد بدأ يُحَرِّر أشباحه أخيرًا، وبَعده يأتي البَرد،

والصَّيف الطَّويل يعني دائمًا مجيء شتاءٍ طويل. هذا الصَّيف دامَ عشرة أعوام، وكان چون مجرَّد طفلٍ عندما بدأ.

تحرَّك جوست إلى جوارهم لبعض الوقت ثم اختفى بين الأشجار، وشعرَ چون كأنه عارٍ في غياب الذِّئب الرَّهيب، ووجدَ نفسه يتطلَّع إلى كلِّ ظِلٍّ حولهم بتوتُّر. بلا إرادةٍ منه جنحَ عقله إلى القصص التي كانت العجوز نان تحكيها عليهم عندما كان صبيًّا في وينترفل، وتردَّدت كلماتها في رأسه حتى كادَ يسمع صوتها الذي ينخفض وينخفض وصوت إبرتها -كليك-كليك-كليك- إذ تحكي: جاءَ *"الآخرون" للمرَّة الأولى في الظَّلام. كانوا أشياءَ باردةً، أشياءَ ميتةً تمقت الحديد والنَّار ولمسة الشَّمس وكلَّ مخلوقٍ تجري الدِّماء الحارَّة في عروقه. اكتسَحوا المعاقل والمُدن والمَمالك، وأسقَطوا الأبطال والجيوش بالآلاف وهُم يمتطون خيولهم الميتة الشَّاحبة ويقودون حشودًا من الموتى الذين أسقَطوهم. لم تستطِع كلُّ سيوف البَشر إيقاف تقدُّمهم، ولم تُثِر العذارى والرُّضَّع حتى ذرَّة شفقةٍ فيهم. طارَدوا الفتيات في الغابات المتجمِّدة، وأطعَموا لحم أطفال البَشر لخدمهم الأموات...*

تنفَّس الصُّعداء عندما لمحَ "الجِدار" يرتفع فوق قمم شجرة بلُّوطٍ كثيرة العُقد، وأوقفَ مورمونت حصانه فجأةً والتفتَ صائحًا: «تارلي، تعالَ هنا».

رأى چون ملامح سام تتقلَّص خوفًا وهو يتقدَّم بفَرسه وقد حسبَ أنه في مشكلةٍ بلا شَك، لكن الدُّب العجوز قال بجمود: «أنت بدين لكنك لست غبيًّا يا فتى. لقد أبليت بلاءً حسنًا هناك»، ونظرَ إلى چون مضيفًا: «وأنت كذلك يا سنو».

ابتسمَ چون، وتورَّد وجه سام خجلًا وتعثَّرت الكلمات في فمه وهو يُحاوِل أن يَعثُر على رَدٍّ مهذَّب.

عندما خرَجوا من تحت الأشجار أخيرًا وكزَ مورمونت حصانه القويَّ

الصَّغير ليَركُض، وخرجَ جوست من الغابة بدوره لينضمَّ إليهم لاعقًا فَكَّيه وقد احمرَّ خَطمه بدَم فريسته. على قمَّة "الجِدار" رأى الرِّجال مجموعتهم تقترب، وسمعَ چون صوت نفير الحَرس المبحوح العميق يتردَّد عبر الأميال بصيحةٍ واحدةٍ طويلةٍ ارتجفَت بين الأشجار ودوَّى صداها على الجَليد.

ااااااااوو!

خبا الصَّوت ببُطءٍ قبل أن يتلاشى تمامًا. الصَّيحة الواحدة تعني عودة الجوَّالة إلى "الجِدار"، وقال چون لنفسه: *كنتُ جوَّالًا لمدَّة يومٍ واحدٍ على الأقل. مهما حدثَ بَعد هذا فلا يُمكنهم أن يأخذوا مني هذا.*

وجَدوا باون مارش في انتظارهم عند البوَّابة الأولى وهُم يقودون خيولهم عبر النَّفق الجَليدي، وكان حضرة الوكيل محمرَّ الوجه مضطربًا، وقال لمورمونت وهو يفتح القضبان الحديديَّة: «سيِّدي، جاءَنا طائر اليوم. يجب أن تأتي في الحال».

قال مورمونت بخشونة: «ما الأمر يا رجل؟».

رمقَ مارش چون بنظرةٍ غريبةٍ قبل أن يُجيب: «الرِّسالة مع المِايستر إيمون. إنه ينتظرك في غُرفتك».

- «ليكن. چون، اعتنِ بحصاني، وقُل للسير چارمي أن يضع الجثَّتين في حُجرة تخزين ما حتى يفحصهما المِايستر إيمون»، وتحرَّك مورمونت مبتعدًا وهو يُهَمهِم.

لاحظَ چون بعدم راحةٍ أن الجميع يُراقِبونه بينما يقود مع الآخَرين الخيول إلى الاسطبل. كان السير أليسر ثورن يُدَرِّب الصِّبية في السَّاحة، لكنه أوقفَ التَّدريب ليَنظُر إلى چون وعلى شفتيه ابتسامة خفيفة، بينما صاحَ دونال نوي ذو الذِّراع الواحدة الواقف على باب مستودع السِّلاح: «الآلهة معك يا سنو».

شيء ما على غير ما يرام، شيء ما حدثَ.

حُمِلَت الجثَّتان إلى إحدى حُجرات التَّخزين المظلمة الباردة الموجودة عند قاعدة "الجِدار" ومنحوتة في جَليده، التي تُستَخدم لحفظ اللُّحوم والغلال والبيرة كذلك أحيانًا. عملَ چون على أن يشرب حصان مورمونت ويأكل قبل أن يعتني بفَرسه، وبحثَ بَعدها عن أصدقائه ليجد جرِن وتودر في ورديَّة حراسة، وإن وجدَ پيپ في القاعة العامَّة، فسأله: «ماذا حدثَ؟».

أجابَ پيپ بصوتٍ واطئ: «المَلك ماتَ».

بُهِتَ چون. لقد بدا روبرت باراثيون سمينًا متقدِّمًا في السِّنِّ عندما زارَ وينترفل، لكنه كان في صحَّةٍ ممتازة، ولم يَذكُر أحد شيئًا عن إصابته بأيِّ مرض. «كيف عرفت؟».

- «أحد الحُرَّاس سمعَ كلايداس يقرأ الرِّسالة على المِايستر إيمون»، ومالَ مقتربًا منه وأضافَ: «آسفٌ حقًّا يا چون. لقد كان صديق أبيك، أليس كذلك؟».

- «كانا كأخوين ذات يوم». تساءلَ چون إن كان چوفري سيُبقي على أبيه كيَدٍ للمَلك وإن بدا ذلك مستبعَدًا. قد يعني هذا أن اللورد إدارد سيعود إلى وينترفل، وأختاه كذلك، وعندها قد يستطيع الذِّهاب لزيارتهم بإذنٍ من اللورد مورمونت. سيكون من الجميل أن يرى ابتسامة آريا من جديدٍ ويتكلَّم مع أبيه. *سأسأله عن أمي. إنني رجل الآن ولا بُدَّ أن أعرف. حتى لو كانت عاهرةً فلا أبالي، أريدُ أن أعرف فحسب.*

قال پيپ: «سمعتُ هاك يقول إن الميتين كانا من رجال عمِّك».

أجابَ چون: «نعم، اثنان من الستَّة الذين أخذَهم معه. إنهما ميتان منذ فترةٍ طويلة، لكن الجثتين... غريبتان».

سأله پيپ بفضولٍ شديد: «غريبتان؟ كيف؟».

لم يكن چون يرغب في الكلام عن هذا، وقال: «سام سيحكي لك. سأذهبُ لأرى إن كان الدُّب العجوز يحتاجني».

سارَ إلى بُرج القائد بمفرده، لا يُصاحِبه غير إحساسٍ غريبٍ بالتوجُّس، ورمقَه الأخوان اللذان يَحرُسان مدخل البُرج بنظراتٍ واجمةٍ وقال أحدهما: «الدُّب العجوز في غُرفته. كان يسأل عنك».

هَزَّ چون رأسه مفكِّرًا أنه كان يَجدُر به أن يتوجَّه إليه من الاسطبل مباشرةً، وارتقى درجات البُرج بسرعةٍ قائلًا لنفسه: *إنه يُريد بعض النَّبيذ أو نارًا في المُستوقَد، هذا كلُّ شيء.*

عندما بلغَ الغُرفة صرخَ فيه غُداف مورمونت: «*ذُرة! ذُرة! ذُرة!*».

قال الدُّب العجوز: «لا تُصَدِّقه، لقد أطعَمته لتوِّي». كان جالسًا عند النَّافذة يقرأ رسالةً. «أحضِر لي كوبًا من النَّبيذ، وصُبَّ واحدًا لنفسك».

- «لنفسي يا سيِّدي؟».

رفعَ مورمونت عينيه من الرِّسالة ليَرمُقه، وفي نظراته لاحَت الشَّفقة بوضوح حتى أن چون شعرَ بمذاقها على لسانه. «كما سمعتَني».

صَبَّ چون النَّبيذ بعنايةٍ مبالَغ فيها وهو يُدرِك أنه يُحاوِل تأجيل المحتوم، فعندما يمتلئ الكوبان لن يكون أمامه خيار سوى مُواجَهة فحوى الرِّسالة أيًّا كانت، ولقد امتلآ أسرع مما يرغب بالفعل، وقال مورمونت بلهجته الآمرة: «اجلس يا بُني، واشرب».

ظَلَّ چون واقفًا، وقال: «إنه أبي، أليس كذلك؟».

نقرَ الدُّب العجوز على الرِّسالة بإصبعه ودمدمَ: «أبوك والمَلك. لن أكذب عليك، فهو خبر سيِّئ حقًّا. لم أحسب قَطُّ أني سأرى مَلكًا آخَر في سِنِّي هذه وروبرت في نِصف عُمري وقويٌّ كثور»، وأخذَ جَرعةً من النَّبيذ واستطردَ: «يقولون إن المَلك كان يُحِبُّ الصَّيد، لكن الأشياء التي نُحِبُّها تُدَمِّرنا في كلِّ مرَّةٍ يا بُني، فتذكَّر هذا. ابني كان يُحِبُّ زوجته الشَّابَّة، تلك المرأة التَّافهة اللَّعوب، ولولاها لما فكَّر أبدًا في بيع أولئك اللُّصوص».

لم يستوعب چون ما يقوله حضرة القائد، فقال: «لا أفهمُ يا سيِّدي. ماذا حدثَ لأبي؟».

قال بحدَّة: «قلتُ لك اجلس»، وردَّد الغُداف: «*اجلس!*»، بينما واصلَ الرَّجل: «وتناوَل شرابك عليك اللَّعنة، هذا أمر يا سنو». جلسَ چون ورشفَ من النَّبيذ، فقال الدُّب العجوز: «اللورد إدارد مسجون ومتَّهم بالخيانة. يقولون إنه تآمرَ مع أخوي روبرت من أجل الاستيلاء على العَرش من الأمير چوفري».

- «لا، هذا مستحيل! أبي لا يُمكنه أن يخون المَلك أبدًا!».

- «سواء صَحَّ هذا أم لا فهو ليس قراري، ولا قرارك».

- «لكنها كذبة!». كيف يتصوَّرون أن بوسع أبيه أن يكون خائنًا؟ هل فقَدوا عقولهم جميعًا؟ مُحال أن يُلَوِّث اللورد إدارد ستارك شَرفه، أليس كذلك؟

لكنه أنجبَ نغلًا، همسَ صوت في داخله، *فأين الشَّرف في هذا؟ وماذا عن أمِّك؟ إنه يَرفُض مجرَّد ذِكر اسمها*.

- «ماذا سيَحدُث له يا سيِّدي؟ هل سيَقتُلونه؟».

- «لا أستطيعُ أن أفتيك في هذا يا بُني، لكني أنوي أن أبعث رسالةً. في شبابي كنتُ أعرفُ بعض مستشاري المَلك، پايسل العجوز، اللورد ستانيس، السير باريستان... أيًّا كان ما فعله أو لم يفعله أبوك، فهو من كبار اللوردات، ولا بُدَّ أنهم سيسمحون له بارتداء الأسود والانضمام إلينا هنا. الآلهة تعلم أننا في حاجةٍ إلى رجالٍ بقُدرات اللورد إدارد».

كان چون يعرف أن متَّهمين كُثر بالخيانة سُمِحَ لهم باسترداد شَرفهم على "الجِدار" في الماضي، فلِمَ لا يَحدُث الشَّيء ذاته مع اللورد إدارد؟ لكن... أبوه هنا؟ كانت الفكرة غريبة، وغير مريحةٍ على نحوٍ غريب. إنه ظُلم فادح أن يحرموه من وينترفل ويُجبِروه على ارتداء الأسود، لكن طالما أن هذا يعني حياته...

وهل سيسمحُ چوفري بهذا؟ عادَ بذاكرته إلى الأمير في وينترفل والطَّريقة التي سخرَ بها من روب والسير رودريك في السَّاحة، بينما لم

يُلاحِظ وجود چون نفسه تقريبًا، فالنُّغول أدنى شأنًا من أن يحتقرهم حتى.

«هل سيُصغي المَلك إليك؟».

هَزَّ الدُّب العجوز كتفيه وقال: «مَلك طفل... أعتقدُ أنه سيُصغي لأمِّه. من المؤسف أن القزم ليس هناك معهم. إنه عمُّ الصَّبي وقد رأى حاجتنا الماسَّة حين زارَنا. كان من السيِّئ حقًّا أن تأسره السيِّدة والدتكِ و...».

قاطَعه چون بحدَّة: «الليدي ستارك ليست أمِّي». كان تيريون لانستر بمثابة صديقٍ له، وإذا قُتِلَ اللورد إدارد فاللَّوم يقع على الليدي كاتلين بقَدر ما يقع على المَلكة. «ماذا عن أختيَّ؟ آريا وسانزا كانتا مع أبي. هل تعرف...».

- «لم يَذكُر پايسل شيئًا عنهما، لكن لا شَكَّ أنهما ستتلقَّيان معاملةً حسنةً. سأسألُ عنهما في رسالتي»، وهَزَّ مورمونت رأسه مُردِفًا: «توقيت حدوث كلِّ هذا في غاية السُّوء بحق، والبلاد في أمسِّ الحاجة إلى مَلكٍ قوي... ثمَّة أيام سوداء وليالٍ باردة في انتظارنا، أشعرُ بهذا في عظامي»، ثم رمقَ چون بنظرةٍ متمعِّنةٍ وقال: «آملُ أنك لا تُفَكِّر في ارتكابِ فعلٍ أحمق يا فتى».

أرادَ چون أن يقول: *إنه أبي*، إلَّا أنه كان يعرف أن مورمونت لن يرغب في سماع شيءٍ كهذا. شعرَ بالجفاف في حَلقه، وأخذَ رشفةً أخرى من النَّبيذ.

قال حضرة القائد: «إن واجبك هنا الآن، وحياتك القديمة انتهَت عندما ارتديت الأسود»، وردَّد طائره بصوتٍ خشن: «*الأسود!*»، لكن مورمونت لم يُعِره اهتمامًا وتابعَ: «أيًّا كانوا ما يفعلونه في كينجز لاندنج فهو ليس من شأننا»، ولمَّا لم يُجِبه چون، أفرغَ العجوز ما تبقَّى من كوبه في فمه ثم قال: «يُمكنك الانصراف الآن. لن أحتاجك ثانيةً اليوم، وغدًا ستُساعِدني في كتابة الرِّسالة».

لم يتذكَّر چون أنه نهضَ أو غادرَ الغُرفة، وإذا به ينزل السَّلالم مفكِّرًا: *هذا أبي، وهاتان أختاي، فكيف لا يكون الأمر من شأني؟*

في الخارج نظرَ إليه واحد من الحارسين وقال: «كُن قويًّا يا فتى، فالآلهة قاسية».

إنهم يعرفون. «أبي ليس خائنًا»، رَدَّ بصوتٍ مبحوح كأن الكلمات ترغب في الالتصاق بحلقه لتَخنُقه. كانت سرعة الرِّيح تتزايَد، وشعرَ بأن السَّاحة أكثر برودةً مما كانت قبل صعوده إلى البُرج. الصَّيف الشَّبحي يدنو بعجلةٍ من نهايته.

مَرَّت بقيَّة فترة بَعد الظُّهر كأنه في حُلم، ولم يدرِ چون حقًّا أين ذهبَ أو ماذا فعلَ أو من من تكلَّم، وكلُّ ما عرفَه أن جوست كان معه وقد بَثَّ فيه حضور الذِّئب الرَّهيب الصَّامت بعض الطُّمأنينة. *الفتاتان لا تملكان الكثير. كان من الممكن أن تحميهما الذِّئبتان، لكن ليدي ماتَت ونايميريا مفقودة. إنهما وحيدتان تمامًا.*

بدأت الرِّيح الشَّماليَّة تَهُبُّ مع غروب الشَّمس، وسمعَها چون تصدح بين الشُّرفات الجَليديَّة على "الجِدار" وهو في طريقه إلى القاعة العامَّة ليتناوَل وجبة المساء. كان هوب قد طهى حساء لحم الغزال بالشَّعير والبصلِ والجَزر، وعندما غرفَ حِصَّةً إضافيَّةً في طبقه وأعطاه قطعةً أكبر من الخُبز، أدركَ چون ما يعنيه هذا. *إنه يعرف.* تطلَّع حوله عبر القاعة ورأى الرؤوس تدور سريعًا والعيون تتجنَّبه. *كلهم يعرفون.*

احتشدَ أصدقاؤه حوله، وقال له ماثار: «طلَبنا من السِّپتون أن يُشعِل شمعةً من أجل أبيك»، وقال پيپ: «إنها كذبة، كلنا نعرف أنها كذبة، وحتى جرِن يعرف أنها كذبة»، وهَزَّ جرِن رأسه موافقًا، بينما ربَّت سام على يد چون قائلًا: «أنت أخي الآن، ومن ثَمَّ هو أبي أيضًا. إذا أردت أن تذهب إلى أيكة الويروود وتُصَلِّي للآلهة القديمة، سأذهبُ معك».

كانت أيكة الويرْوود تقع وراء "الجِدار"، لكنه عرفَ أن سام يعني ما قال. *هؤلاء إخوتي الآن، تمامًا مِثل روب وبران وريكون.*

ثم إنه سمعَ الضَّحكة القاسية اللَّاذعة كالسَّوط وصوت السير أليسر ثورن يقول للرِّجال من حوله: «ليس نغلًا فحسب، بل نغلٌ ابن خائن».

وقبل أن يرتدَّ إليه طرفه وثبَ چون فوق المائدة وخنجره في يده. حاولَ پيپ الإمساك به، لكنه ملَّص ساقه منه قبل أن يندفع ويَركُل الوعاء من يد السير أليسر ليتطايَر الحساء في كلِّ مكانٍ ويتناثَر على الإخوة. تراجعَ ثورن فيما تعالى صياح من حوله، لكن چون لم يسمعهم وانقضَّ على السير أليسر مسدِّدًا الخنجر إلى عينيه السَّوداوين، وفي اللَّحظة التَّالية ألقى سام نفسه بينهما، وقبل أن يستطيع الالتفاف حوله قفزَ پيپ على ظَهره وتعلَّق به كالقرد، وأطبقَ جرِن على ذراعه بينما انتزعَ تودر الخنجر من بين أصابعه.

وبَعدها، بَعد أن مرَّت ساعات على اقتيادهم له إلى حُجيرته، جاءَ مورمونت ليراه وغُدافه على كتفه. «قلتُ لك ألَّا ترتكب فعلًا أحمق يا فتى»، قال الدُّب العجوز، وردَّد الطَّائر: *«فتى!»*. ثم هَزَّ مورمونت رأسه باشمئزازٍ مضيفًا: «كنتُ أحملُ آمالًا كبيرةً لك حقًّا، يا للخسارة!».

أَخذوا منه خنجره وسيفه، وأمَروه بعدم مغادَرة حُجيرته حتى يُقَرِّر القيِّمون ماذا يفعلون معه، ثم وضَعوا حارسًا على الباب كي يتأكَّدوا من أنه سيُطيع الأمر، كما أنهم منَعوا أصدقاءه من زيارته، لكن الدُّب العجوز لانَ وسمحَ له بأن يظلَّ جوست معه، فلم يكن وحيدًا تمامًا.

- «أبي ليس خائنًا»، قال للذِّئب الرَّهيب عندما غادَروا ورَدَّ عليه جوست بنظرةٍ صامتة. ألصقَ چون ظَهره بالحائط وقد أحاطَ رُكبتيه بيديه وحدَّق في الشَّمعة الموضوعة على المنضدة المجاورة لفِراشه الضيِّق. تذبذبَ اللَّهب وتمايلَ لتتراقَص الظِّلال من حوله، وأحسَّ بالحُجيرة تزداد ظُلمةً وبرودةً، وقال لنفسه: *لن أنام اللَّيلة*.

على أن النُّعاس غلبَه على الرغم من ذلك، فعندما أفاقَ شاعرًا بتصلُّب ساقيه كانت الشَّمعة قد احترقَت منذ فترة. رأى جوست واقفًا على قائمتيه

الخلفيَّتين يخمش الباب، وشعرَ چون بالدَّهشة للطُّول الذي صارَ عليه. نادى عليه بهدوء: «جوست، ماذا هناك؟»، وأدارَ الذِّئب الرَّهيب رأسه إليه كاشفًا عن أنيابه بزمجرةٍ صامتة. *هل جُنَّ؟* غمغمَ مُحاوِلًا ألَّا يتبدَّى الخوف في صوته: «جوست، هذا أنا»، لكنه كان يرتجف بعُنفٍ بالفعل. متى صارَ الجَوُّ باردًا إلى هذا الحد؟

تراجعَ جوست مبتعدًا عن الباب لتظهر الخدوش العميقة التي تركَتها مخالبه، وراقبَه چون بتوتُّرٍ متصاعدٍ وهمسَ: «هناك أحد في الخارج، أليس كذلك؟». تراجعَ جوست إلى الوراء زاحفًا والفرو الأبيض ينتصب على مؤخِّرة عُنقه. *الحارس، لقد تركوا رجلًا ليَحرُس الباب. جوست يشُمُّ رائحته لا أكثر.*

نهضَ چون ببُطءٍ مُدرِكًا أنه لا يستطيع السَّيطرة على رعدته وتمنَّى لو أن سيفه كان معه. ثلاث خطواتٍ سريعةٍ قادَته إلى الباب، وأمسكَ بالمقبض وسحبَه إلى الدَّاخل ليجعله صرير المفصَّلات يكاد يثب في مكانه.

وكان حارسه ملقىً على السَّلالم الضيِّقة وعيناه تَرمُقان السَّماء... على الرغم من أنه كان ساقطًا على بطنه. هناك من لوى رأسه إلى الوراء بالكامل.

مستحيل... هذا بُرج حضرة القائد... إنه محروس ليلًا نهارًا... مستحيل أن يكون هذا حقيقيًا... هذا حُلم... إنني أرى كابوسًا.

مَرَّ جوست به خارجًا من الباب وبدأ يصعد السَّلالم، ثم توقَّف ونظرَ إلى چون... وكان هذا عندما سمعَ صوت الحذاء الصَّاعد على الدَّرجات الحَجريَّة ثم صوت مزلاجٍ يُفتَح. كان قادمًا من أعلى، من مسكن حضرة القائد.

قد يكون هذا كابوسًا، لكنه ليس حُلمًا بالتَّأكيد.

كان سيف الحارس في غِمده، فمالَ چون وسحبَه وجعلَه ثِقل الفولاذ

في يده يتشجَّع، وبدأ يصعد السَّلالم وجوست يتقدَّمه صامتًا. كانت الظِّلال كامنةً في كلِّ رُكن، وصعدَ چون بحذرٍ شديدٍ جاسًّا كلَّ قطعةٍ تُثير شكَّه من الظَّلام بطرف السَّيف.

فجأةً سمع صياح غُداف مورمونت: «ذُرة!»، واندفعَ جوست سابقًا إياه فاندفعَ چون بدوره ليلحق به والغُداف يَصرُخ: «ذُرة، ذُرة، ذُرة، ذُرة، ذُرة، ذُرة!» بلا توقُّف. كان باب غُرفة مورمونت مفتوحًا فوثبَ الذِّئب الرَّهيب إلى الدَّاخل، بينما وقفَ چون في المدخل وسيفه مشهور في يده ليمنح نفسه لحظةً حتى تتعوَّد عيناه على الظَّلام الأسود كالحِبر بسبب السَّتائر الثَّقيلة المُسدَلة على النَّوافذ، ثم نادى: «من هناك؟».

ثم إنه رآه، ظِلًّا بين الظِّلال ينسلُّ إلى الباب الدَّاخلي الذي يقود إلى حُجيرة نوم مورمونت، رجلًا يرتدي معطفًا وقلنسوةً كلاهما أسودَ تمامًا... لكن تحت القلنسوة كانت العينان تشعَّان أزرقَ جليديًّا عميقًا...

ووثبَ جوست، وسقطَ الرَّجل والذِّئب معًا بلا صراخ أو زمجرةٍ ليتدحرَجا ويرتطما بمقعدٍ ويُسقِطا منضدةً تكوَّمت عليها الأوراق، وكلُّ هذا وغُداف مورمونت يضرب الهواء بجناحيه صارخًا: «ذُرة، ذُرة، ذُرة، ذُرة!». شعرَ چون كأنه أعمى كالمِايستر إيمون في هذا الظَّلام الحالك، فألصقَ ظَهره بالحائط وتحرَّك صوب النَّافذة لينتزع السَّتائر فيتدفَّق نور القَمر إلى داخل الغُرفة. أبصرَ يدين سوداوين مغروستين في الفرو الأبيض وأصابع منتفخةً تُطبِقان على عُنق الذِّئب الرَّهيب. كان جوست يزوم ويتلوَّى ويُلَوِّح بقوائمه في الهواء دون أن يستطيع التحرُّر.

لم يكن لدى چون وقت ليخاف، واندفعَ صارخًا ليهوي بالسَّيف الطَّويل واضعًا ثِقله كله وراء الضَّربة، واخترقَ الفولاذ القُماش والجِلد والعظام، لكن الصوت الذي أصدَره كان غريبًا بشكلٍ ما، وفي اللَّحظة التَّالية أفعمَت أنفه رائحة عجيبة باردة جعلَته يكاد يقيء ما في معدته. رأى ذراعًا ويدًا على الأرض وأصابع سوداء تتلوَّى في بِركةٍ من نور القَمر، ثم

انتزعَ جوست نفسه من اليد الأخرى وتراجعَ ولسانه الأحمر يتدلَّى من فمه.

رفعَ ذو القلنسوة وجهه المستدير الشَّاحب، وهوى چون عليه بالسَّيف من جديدٍ بلا تفكير ليقطع نِصف أنفه ويفتح شِقًّا عميقًا من الوجنة إلى الوجنة تحت هاتين العينين... هاتين العينين... هاتين العينين الشَّبيهتين بنجمتين متَّقدتين بالأزرق. كان يعرف هذا الوجه. *أوثور... لكنه ميت... إنه ميت بحقِّ الآلهة... لقد رأيته ميتًا.*

شعرَ بشيْءٍ يحتكُّ بكاحله، وانغرسَت الأصابع السَّوداء في رَبلة ساقه. كانت الذِّراع تزحف على ساقه متمسِّكةً بالصُّوف واللَّحم، وأطلقَ چون صيحة اشمئزازٍ هَلِع وهو ينتزع الأصابع عن ساقه بطرف سيفه ثم يلقيها بعيدًا لتستقرَّ على الأرض تتلوَّى وتنفتح وتنغلق.

وانقضَّت الجثَّة عليه دون أن تسيل منها قطرة دم وحيدة. كانت بذراعٍ واحدةٍ ووجهها يكاد يكون ممزَّقًا تمامًا، لكنها لا تَشعُر بشيء، ورفعَ چون سيفه أمامه صائحًا بصوتٍ صاخب: «لا تقترب!»، والغُداف يصرخ: *«ذُرة، ذُرة، ذُرة!»*. كانت الذِّراع المبتورة تتملَّص من الكُم كثعبانٍ أبيضَ ذي خمسة رؤوسٍ سوداء، فانقضَّ عليها جوست وأطبقَ عليها بأسنانه ليُهَشِّم العظام، وضربَ چون عُنق الجثَّة شاعرًا بالفولاذ يخترقها.

وارتطمَ به أوثور الميت ليُفقِده توازُنه.

أحسَّ چون بتفريغ الهواء من صدره إذ سقطَ على المنضدة المقلوبة بين لوحي الكتف. السَّيف، أين السَّيف؟ لقد فقدَ السَّيف اللَّعين! وعندما فتحَ فمه ليَصرُخ، دفعَ الكائن أصابعه السَّوداء في داخله، وشعرَ چون بالاختناق وهو يُحاوِل إزاحتها، لكن الرَّجل الميت كان ثقيلًا جدًّا، وأقحمَتْ يده الباردة كالثَّلج نفسها في حَلقه لتحبس عنه الهواء أكثر وأكثر، بينما واجهَ وجهه وجه چون مباشرةً ليملأ العالم، وغطَّى

الصَّقيع العينين المتوهِّجتين بالأزرق. مزَّق چون اللَّحم البارد بأظفاره وأخذَ يَركُل ساقي الشَّيء، وحاولَ أن يقضم، حاول أن يَلكُم، حاولَ أن يتنفَّس...

ثم ارتطمَ شيء بالجثَّة الحيَّة ليتنزع الأصابع من حَلقه، وبصعوبةٍ شديدةٍ تدحرجَ چون جانبًا وهو يتهوَّع ويرتجف.

كان جوست من جديد، وشاهدَ چون الذِّئب الرَّهيب يغرز أنيابه في بطن الكائن ويُمَزِّق ويقتلع أحشاءه، شاهدَ وهو نِصف واعٍ للحظةٍ دامَت طويلًا قبل أن يتذكَّر أن يبحث عن سيفه...

... ورأى اللورد مورمونت العاري يقف متمايلًا من النَّوم وفي يده يحمل مصباح زيت، وبلا أصابعٍ زحفَت اليد الأخرى على الأرض متلويةً نحوه.

حاولَ چون أن يصيح لكن صوتًا لم يخرج منه، وبصعوبةٍ نهضَ يترنَّح وركلَ اليد بعيدًا، ثم اختطفَ المصباح من يد الدُّب العجوز فتذبذبَ اللَّهب وكاد ينطفئ، ونعبَ الغُداف: «*احرق، احرق، احرق!*».

دائرًا على عقبيه رأى چون السَّتائر التي انتزعَها عن النَّافذة فألقى المصباح على القُماش المكوَّم بكلتا يديه، وتهشَّم المعدن والزُّجاج وتناثرَ الزَّيت، وفي لحظةٍ اضطرمَت السَّتائر بحرارةٍ شعرَ بها چون على وجهه أحلى من أيِّ قُبلةٍ جرَّبها في حياته، وصاح: «جوست!»، فتملَّص الذِّئب الرَّهيب واندفعَ نحوه بينما كافحَ الكائن لينهض وثعابين سوداء تتدلَّى من الشِّق العميق في بطنه. غمسَ چون يده في اللَّهب والتقطَ حفنةً من القُماش المحترق ألقى بها على الرَّجل الميت، وبيأسٍ ردَّد لنفسه والنَّار تشتعل في الجثَّة: *اجعليه يحترق، أرجوكِ يا آلهتي اجعليه يحترق، اجعليه يحترق.*

بران

وصلَ آل كارستارك في صباحٍ باردٍ عاصف، ومعهم ثلاثمئة من الخيَّالة ونحو ألفين من المُشاة من قلعتهم في كارهولد ورؤوس رماحهم الفولاذية تومض في نور الشَّمس الشَّاحب مع اقتراب صفوفهم من وينترفل، وقد تقدَّمهم رجل يدقُّ طبلةً أكبر منح حجمًا بإيقاعٍ عسكريٍّ بطيءٍ عميق... بوم، بوم، بوم.

شاهدَ بران مجيئهم من بُرج حراسة أعلى السُّور الخارجي عبر مرصاد المِايستر لوين البرونزي وهو قابع على كتفي هودور. كان اللورد ريكارد يقودهم بنفسه وإلى جواره أبناؤه هاريون وإدارد وتورين تحت راياتهم السَّوداء كالقار المزيَّنة برمز عائلتهم المتمثِّل في شمسٍ بيضاء متفجِّرة. قالت العجوز نان إن دماء ستارك تجري في عروقهم منذ مئات السِّنين، وإن لم يبدوا لبران أنهم يُشبِهون آل ستارك في الملامح. كانوا رجالًا كبار الحجم أقوياء، تُغَطِّي وجوههم لحىً كثَّة ويُطيلون شَعرهم إلى ما تحت الكتفين، ويرتدون معاطف مصنوعةً من جلود الدِّببة والفقمات والذِّئاب غير المدبوغة.

كان يعرف أنهم آخِر الوافدين، فبقيَّة اللوردات كانوا هنا بالفعل مع حشودهم، وشعرَ بران بالاشتياق للخروج بينهم ليرى البيوت الشِّتويَّة المكتظَّة حتى الانفجار وميدان السُّوق العامر بالنَّاس في كلِّ صباح والشَّوارع البالية من العربات والحوافر الرَّائحة والقادمة، لكن روب

منعَه من مُغادَرة القلعة قائلًا: «ليس لدينا رجال نستطيع الاستغناء عنهم ليَحرُسونك».

قال بران: «سآخذُ سَمر».

- «لا تتصرَّف معي كالأطفال يا بران، فأنت تعرف أفضل من هذا. منذ ليلتين فقط طعنَ أحد رجال اللورد بولتون آخَر من رجال اللورد سروين في "الجذع الدَّاخن". سوف تَسلُخني أمُّنا إذا تركتك تُعَرِّض نفسك للخطر». كان يتكلَّم بصوت روب اللورد عندما قال هذا، فأدركَ بران أن لا فُرصة لإثنائه عن قراره.

عرفَ أن السَّبب هو ما حدثَ في غابة الذِّئاب، والذي ما زالت ذكراه تُصيبه بأحلامٍ سيِّئة. كان عاجزًا يومها كطفلٍ رضيع، غير قادرٍ على الدِّفاع عن نفسه أكثر من ريكون لو كان في الموقف نفسه، بل وأقل كذلك، فريكون كان سيَركُلهم على الأقل. أصابَه هذا بالخجل. إنه أصغر من روب بخمسة أعوام فقط، فإذا كان أخوه يكاد يصير رجلًا بالغًا فهذا ينطبق عليه أيضًا. كان ينبغي أن يتمكَّن من حماية نفسه.

منذ عام واحد، قبل ما حدثَ، كان ليزور البلدة رغم كلِّ شيءٍ حتى لو تسلَّق الأسوار. في تلك الأيام كان يستطيع أن ينزل السَّلالم جريًا، ويمتطي حصانه القزم ويترجَّل عنه بمفرده، ويحمل سيفًا خشبيًّا يكفي لإسقاط الأمير تومن في التُّراب، أمَّا الآن فلا يستطيع غير المُشاهَدة من خلال أنبوب عدسات المِايستر لوين. كان المِايستر قد علَّمه الرُّموز على الرَّايات: قبضة آل جلوڤر المحاطة بالحلقات المعدنيَّة الفضِّيَّة على رايةٍ قرمزيَّة، دُب الليدي مورمونت الأسود، الرَّجل المسلوخ البشع الذي يسبق رووس بولتون سيِّد معقل الخوف، موظ آل هورنوود القوي، بلطة آل سروين الحربيَّة، أشجار الحارس الثَّلاث على راية آل تولهارت، ورمز آل أومبر المخيف الذي يُصَوِّر عملاقًا يزأر محطِّمًا أغلاله.

سرعان ما حفظَ وجوههم كذلك، عندما جاءَ اللوردات مع أبنائهم

وفُرسانهم وخدمهم إلى وينترفل لحضور المآدب التي أقامَها لهم روب. لم تكن القاعة الكُبرى نفسها كبيرةً بما يكفي لاحتوائهم جميعًا، فاستضافَ روب كلًّا من كبار حمَلة الرَّاية على حدة، وفي كلِّ مرَّةٍ أُعطِيَ بران مكان الشَّرف على مائدة أخيه وجلسَ إلى يمينه. حدَّق فيه بعض اللوردات بنظراتٍ غريبةٍ قاسيةٍ وهو جالس هناك، كأنهم يتساءَلون بأيِّ حَقٍّ يجلس ولد أخضرَ مِثله في مكانٍ أعلى منهم، لاسيَّما أنه كسيح كذلك.

سألَ بران المِايستر لوين واللورد كارستارك وأبناؤه يَدخُلون من البوَّابة الخارجيَّة: «كم العدد الآن؟».

- «اثنا عشر رجلًا أو ما يَقرُب من هذا، لا فارق».

- «وكم فارسًا بينهم؟».

- «عدد قليل»، أجابَ المِايستر بشيءٍ من الضَّجر. «كي تُصبِح فارسًا، يجب أن تقف في السِّپت وتُضمَّخ بالزُّيوت السَّبعة كي تأخذ قَسمك، لكن في الشَّمال يَعبُد عدد قليل من العائلات الكبيرة "السَّبعة"، بينما يَعبُد البقيَّة الآلهة القديمة ولا يُنَصِّبون فُرسانًا... لكن هؤلاء اللوردات وأبناءهم وسلاحداريَّتهم لا يَقِلُّون قوَّةً أو وفاءً أو شَرفًا، فقيمة الرَّجل لا تُحَدِّدها كلمة "سير" التي تسبق اسمه كما قلتُ لك مئة مرَّةٍ من قبل».

- «نعم، لكن كم فارسًا هنالك؟».

زفرَ المِايستر لوين وقال: «ثلاثمئة أو ربما أربعمئة... بين ثلاثة آلافٍ من حمَلة الرِّماح المدرَّعين الذين ليسوا فُرسانًا».

قال بران مفكِّرًا: «اللورد كارستارك آخِر القادمين، وروب سيستضيفه اللَّيلة».

- «بالتَّأكيد».

- «كم من الوقت قبل أن... قبل أن يرحلوا؟».

أجابَ المِايستر: «يجب أن يتحرَّك أخوك قريبًا أو لا يتحرَّك على الإطلاق. البلدة الشِّتويَّة ممتلئة عن آخِرها بالرِّجال، وجيشه هذا سيأتي

على كلِّ ما في الرِّيف من طعامٍ إذا بقي هنا لفترةٍ أطول. هناك آخَرون ينتظرون الانضمام إليه على طرِيق الملوك، فُرسان من منطقة الرَّوابي ورجال من منطقة المستنقعات، بالإضافة إلى اللوردين ماندرلي وِفلينت. لقد بدأ القتال في أراضي النَّهر بالفعل، وأخوك أمامه فراسخ كثيرة يجب أن يقطعها».

قال بران شاعرًا بالبؤس الذي تبدَّى في صوته: «أعرفُ هذا»، وناولَ الأنبوب البرونزي إلى المِايستر. لاحظَ كم صارَ شَعر لوين خفيفًا على رأسه حتى أنه رأى فروة رأسه الورديَّة بوضوح، وشعرَ بغرابة رؤيته له من أعلى هكذا بَعد أن قضى حياته كلها في النَّظر إليه من أسفل، لكنك تَنظُر إلى الجميع من أعلى وأنت جالس على كتفي هودور. «لم أعد أرغب في المُشاهَدة. هودور، أعِدني إلى القلعة».

- «هودور».

دَسَّ المِايستر الأنبوب في كُمِّه، وقال: «بران، السيِّد أخوك لن يملك الوقت لرؤيتك، فعليه أن يُحَيِّي اللورد كارستارك وأبناءه ويستقبلهم بنفسه».

ربَّت بران على كتف هودور قائلًا: «لن أُزعِج روب. أريدُ أن أزور أيكة الآلهة. هيا بنا يا هودور».

تكوَّنت السَّلالم من سلسلةٍ من الدِّعامات الخشبيَّة المقطَّعة بالإزميل والمثبَّتة في جِدار البُرج الدَّاخلي الجرانيتي، ودندنَ هودور بلحنٍ عشوائيٍّ وهو ينزل وبران يتمايَل على ظَهره في سلَّة الأماليد المجدولة التي صنعَها له المِايستر لوين، والذي استوحى الفكرة من السِّلال التي تضعها النِّساء على ظهورهنَّ ويحملنَ فيها الحطب، وبَعدها كان من السَّهل أن يقطع فتحتين يدسُّ بران فيهما قدميه ويُثبِّت عددًا من الأحزمة الجديدة لتوزيع وزنه بالتَّساوي. لم يكن هذا ممتعًا كركوبه لدانسر، لكن ثمَّة أماكن لا تستطيع المُهرة دخولها، ولم يُصِب هذا بران بالخجل كما كان يَحدُث

عندما يحمله هودور بين ذراعيه كالرَّضيع. بدا أن هودور يستمتع بحَمله كذلك، وإن كان من الصَّعب أن تُحَدِّد حقيقة مشاعره، والجزء الوحيد الذي كان يتطلَّب الحذر هو عبور الأبواب، فأحيانًا كان هودور ينسى أنه يحمل بران على ظَهره، وهو الشَّيء الذي من شأنه أن يكون مؤلمًا حقًّا وأنت تَدخُل من الباب!

لِما يَقرُب من أسبوعين وأعداد القادمين والذَّاهبين كبيرة للغاية، حتى أن روب أمرَ بأن تظلَّ الشَّبكتان الحديديَّتان مرفوعتين والجسر المتحرِّك بينهما مُنزَلًا طوال الوقت، حتى في جوف اللَّيل. كان طابور طويل من حاملي الرِّماح المدرَّعين من رجال كارستارك الذين يتبعون قادتهم يقطع الخندق بين السُّورين الخارجي والدَّاخلي عندما خرجَ بران من البُرج، وقد ارتدى كلٌّ منهم خوذةً سوداء قصيرةً من الحديد ومعطفًا صوفيًّا أسودَ نُقِشَت عليه الشَّمس البيضاء المتفجِّرة، وهرولَ هودور إلى جوارهم مبتسمًا لنفسه وحذاؤه يضرب خشب الجسر المتحرِّك بصوتٍ مكتوم. رمقَهما الرَّاكبون بنظراتٍ متعجِّبةٍ وهما يَمُرَّان، بل وسمعَ بران أحدهم يُطلِق ضحكةً ساخرةً، لكنه رفض السَّماح لهذا بأن يُزعِجه. «سيُحَدِّقون فيك»، قال له المِايستر لوين في أول مرَّةٍ ثبَّتوا فيها السَّلَّة على ظَهر هودور. «سيُحَدِّقون فيك ويتكلَّمون عنك، وبعضهم سيسخر منك»، وفكَّر بران: *فليسخروا*. لم يكن أحد يسخر منه في غُرفة نومه، لكنه لن يقضي بقيَّة حياته في الفِراش.

أثناء مرورهما تحت شبكة البوَّابة الدَّاخليَّة الحديديَّة، وضعَ بران إصبعين في فمه وأطلقَ صفيرًا، وجاءَ سَمر يتواثَب عبر السَّاحة، وفجأةً كان حاملو رماح كارستارك يُكافِحون للسَّيطرة على خيولهم التي تراجعَت صاهلةً برُعب، ورفعَ أحدها قائمتيه الأماميَّتين صارخًا بينما يَسُبُّ راكبه ويُحاوِل التمسُّك به. دائمًا ما تُصيب رائحة الذِّئاب الرَّهيبة الخيول بنوبةٍ من الهياج إذا كانت غير معتادةٍ عليها، لكنها سرعان ما تهدأ بمجرَّد اختفاء سَمر. قال بران مُذَكِّرًا هودور: «أيكة الآلهة».

حتى وينترفل نفسها كانت مزدحمةً تمامًا، وفي السَّاحة تردَّدت أصوات السُّيوف والفؤوس والعربات ونباح الكلاب. كان باب مستودع السِّلاح مفتوحًا، ولمحَ بران ميكن في ورشته يَدُقُّ بمطرقته والعَرق يسيل على صدره العاري. لم يرَ بران كلَّ هذا العدد من الغرباء في حياته كلها، حتى عندما جاءَ المَلك روبرت لزيارة أبيه. حاولَ ألَّا يُجفِل عندما انحنى هودور عابرًا الباب الواطئ قبل أن يسير به في رواقٍ مظلمٍ وسَمر يتحرَّك إلى جواره. كان الذِّئب يرفع رأسه بين الحين والآخَر ليَنظُر إليه بعينين كالذَّهب المصهور، وأرادَ بران أن يُلاعِبه لكنه كان أعلى من أن تصل إليه يده.

كانت أيكة الآلهة جزيرةً من السَّلام في بَحر الضَّجيج الذي صارَته وينترفل، وشَقَّ هودور طريقه بين صفوف أشجار السَّنديان والصُّلب والحارس الكثيفة إلى البِركة الرَّاكدة عند شجرة القلوب، وتوقَّف تحت غصون الويرووود وهو لا يزال يُدَندِن، فرفعَ بران يديه فوق رأسه وسحبَ نفسه من جلسته ساحبًا وزن ساقيه الميت من فتحتي السَّلَّة، وتعلَّق للحظةٍ والأوراق الحمراء تمسُّ وجهه حتى رفعَه هودور وأنزَله على الحَجر الأملس المجاور للبِركة، ثم قال بران: «أريدُ أن أكون وحدي قليلًا. اذهب للسِّباحة في البِرك السَّاخنة».

- «هودور»، قال هودور وابتعدَ ليختفي بين الأشجار. عبر أيكة الآلهة، تحت نوافذ المُضيَفة، يقع ينبوع ساخن تحت الأرض يُغَذِّي ثلاث بِرك صغيرة، فكان البُخار يتصاعَد من المياه طوال اللَّيل والنَّهار، بينما اكتَسى الجِدار العالي الذي يُطِلُّ على البِرك بطبقةٍ سميكةً من الطُّحلب. كان هودور يكره المياه الباردة، ويُقاوِم كقِطٍّ بريٍّ مُحاصَر فوق شجرةٍ عندما يُهَدِّدونه بتحميمه بالصَّابون، لكنه يَغمُر نفسه بمنتهى السَّعادة في أكثر البِرك سخونةً ويجلس هناك لساعاتٍ ويتجشَّأ بصوتٍ عالٍ ليُحاكي الينبوع كلما خرجَت فقَّاعة من الأعماق الخضراء المظلمة لتنفجر على السَّطح.

شربَ سَمر من الماء ثم استقرَّ إلى جوار بران الذي داعبَ الذِّئب تحت فَكِّه، ولفترةٍ وجيزةٍ شعرَ الصَّبي والحيوان بالسَّلام. لطالما أحبَّ بران أيكة الآلهة، حتى قبل سقوطه، وإن وجدَ نفسه منجذبًا إليها أكثر وأكثر في الفترة الأخيرة، وحتى شجرة القلوب لم تَعُدْ تُخيفه كما كانت تفعل من قبل. كانت العينان الحمراوان العميقتان المحفورتان في الجذع ما زالتا تُراقِبانه، لكنه أصبحَ يستمدُّ الرَّاحة بشكلٍ ما من هذا الآن. الآلهة تتطلَّع إليه، آلهة آل ستارك والبَشر الأوائل وأطفال الغابة، آلهة أبيه، وهو يَشعُر بالأمان تحت أنظارها ويستطيع التَّفكير وسط صمت الأشجار العميق. منذ سقطته وبران يُفَكِّر كثيرًا، ويَحلُم، ويُخاطِب الآلهة.

بصوتٍ خافتٍ صلَّى وهو يُحَرِّك يده في المياه الباردة ليتموَّج سطحها: «أرجوكِ لا تجعلي روب يرحل، أرجوكِ اجعليه يبقى. أو، إذا كان لا بُدَّ أن يذهب، فأعيديه آمنًا مع أبي وأمي والفتانين، واجعلي... اجعلي ريكون يفهم».

كان أخوه الأصغر يتصرَّف بضراوةٍ كعاصفةٍ شتويَّةٍ منذ عرفَ أن روب ذاهب إلى الحرب، يتبدَّل مزاجه بين الحُزن والغضب طوال الوقت، ورفضَ أن يأكل وظَلَّ يبكي ويَصرُخ طوال ليلةٍ كاملةٍ، بل ولكمَ العجوز نان عندما حاولَت أن تُغَنِّي له أغنيَّةً حتى ينام، وفي اليوم التَّالي اختفى تمامًا. أرسلَ روب نِصف القلعة بحثًا عنه، وحين عثروا عليه أخيرًا في السَّراديب تحت القلعة هاجمَهم ريكون بسيفٍ حديديٍّ صدئ أخذَه من على حِجر أحد الملوك الموتى، وخرجَ شاجيدوج مُزَمجِرًا سائل اللُّعاب من الظَّلام كشيطانٍ أخضرَ العينين. كان الذِّئب يوشك على أن يكون ضاريًا كريكون، وقد عَضَّ جايج في ذراعه ومزَّق قطعةً من اللَّحم من فخذ ميكن، وتطلَّب الأمر روب نفسه ومعه جراي ويند للسَّيطرة عليه. كان فارلن يُقَيِّد الذِّئب الأسود بالسَّلاسل في وجار الكلاب الآن، ما جعلَ ريكون يبكي أكثر لغياب صديقه عنه.

نصحَ المِايستر لوين روب بأن يبقى في وينترفل، وكذلك توسَّل إليه بران من أجله ومن أجل بران، لكن أخاه هَزَّ رأسه رافضًا وقال بعناد: «إنني لا أرغبُ في الذِّهاب، لكني مضطرٌّ».

ما قاله روب كان نِصف حقيقي، فعلى أحدهم أن يذهب للدِّفاع عن "العُنق" ويُساعِد آل تَلي في قتالهم ضد جيش لانستر وبران يتفهَّم هذا، لكن ليس من الضَّروري أن يكون هذا الأحد روب نفسه. كان من الممكن أن يُعطي أخوه القيادة لهال مولين أو ثيون جرايچوي أو أحد اللوردات حمَلة الرَّاية، وألحَّ عليه المِايستر لوين أن يفعل ذلك، لكن رفض أخيه كان قاطعًا، وقال بصوت روب اللورد: «لم يكن أبي ليُرسِل رجاله إلى حتفهم أبدًا بينما يتوارى كالجبناء وراء أسوار وينترفل».

كان روب أشبه بالغريب في نظر بران الآن، تحوَّل، صارَ لوردًا بمعنى الكلمة على الرغم من أنه لم يشهد يوم ميلاده السَّادس عشر بَعد، وكان من الجليِّ أن حمَلة راية أبيه أنفسهم قد أحسُّوا بهذا. كثيرون منهم حاوَلوا اختباره، كلٌّ منهم بطريقته الخاصَّة، فطلبَ كلٌّ من رووس بولتون وروبت جلوڤر أن يكون له شَرف قيادة المعارك، الأول بلهجةٍ فظَّةٍ والثَّاني بابتسامةٍ هازئة، أمَّا مِج مورمونت الممتلئة ذات الشَّعر الأشيب التي ترتدي الحلقات المعدنيَّة كالرِّجال فقد قالت لروب بلهجةٍ جافَّةٍ إنه صغير بما يكفي لأن يكون حفيدها وليس من حقِّه أن يُملي عليها الأوامر... لكن يتصادَف أن لديها حفيدةً على استعدادٍ أن تُزَوِّجها منه. كان اللورد سروين ذو النَّبرة النَّاعمة قد أحضرَ ابنته معه في الحقيقة، وكانت فتاةً بدينةً تقليديَّة الملامح في الثَّلاثين من العُمر جلسَت إلى يسار أبيها ولم ترفع عينيها عن طبقها مرَّةً. اللورد هورنوود المَرِح كان بلا بنات، وإن أتى ومعه هدايا، في يوم حصان وفي اليوم التَّالي فخذ غزالٍ للشِّواء وبوق صيدٍ مغلَّف بالفضَّة في اليوم الذي بَعده، ولم يَطلُب شيئًا في المقابل... أيَّ شيءٍ باستثناء معقلٍ معيَّن أُخِذَ

من جدِّه، وحقوق الصَّيد شَمال أخدودٍ معيَّن، والإذن ببناء سَدٍّ على نهر السكِّين الأبيض... إذا سمحَ اللورد روب بالطَّبع.

أجابَ روب كلًّا منهم بكياسةٍ باردة، تمامًا كما كان أبوه ليفعل، وبشكلٍ ما أخضعَهم لإرادته.

وعندما هدَّد اللورد أومبر، الذي كان يُلَقَّب بجون الكبير من رجاله ويُناهِز هودور طولًا ويفوقه عرضًا، بأن يأخذ قوَّاته ويعود من حيث جاءَ إذا وضعَه روب وراء رجال هورنوود أو سروين في ترتيب القتال، قال له روب إنه يستطيع أن يفعل هذا بالتَّأكيد، وأضافَ وهو يُداعِب جراي ويند وراء أُذنه: «وعندما ننتهي من قتالنا مع آل لانستر، سنعود إلى الشَّمال وننتزعك من قلعتك ونَشنُقك كحانثٍ بالقَسم». مُطلِقًا شتيمةً غاضبةً طوَّح جون الكبير بإبريقٍ من المِزر في النَّار وجأرَ بأن روب محض فتى أخضرَ حتى أنه من المؤكَّد أن العُشب يَخرُج مع بوله، وعندما تحرَّك هالس مولين لتكبيله أسقطَه أرضًا وقلبَ مائدةً واستلَّ أكبر وأقبح سيفٍ عظيم رآه بران على الإطلاق، وبطول الدِّكك وثبَ جميع أبنائه وإخوته وسلاحداريَّته واقفين ومَدُّوا أيديهم إلى سيوفهم. غير أن روب اكتفى بأن قال كلمةً واحدةً هادئة، وفي غمضة عينٍ كان اللورد أومبر على ظَهره وسيفه يدور على الأرض على بُعد ثلاثة أقدام منه والدَّم يسيل من يده حيث قضمَ جراي ويند اثنين من أصابعه، وقال روب: «السيِّد والدي علَّمني أن رفع السِّلاح في وجه سيِّدك الذي تدين له بالولاء عقوبته الموت، لكن لا شَكَّ أنك كنت تنوي تقطيع لحمي لي لا أكثر». شعرَ بران بمعدته تنقلب واللورد أومبر يُكافِح للنُّهوض وهو يَمُصُّ الدَّم من مكان إصبعيه المبتورين... ثم -وعلى نحوٍ أثارَ ذهوله- انفجرَ الرَّجل الضَّخم ضاحكًا وقال بصوته الهادر: «لحمك قاسٍ حقًّا!».

وبشكلٍ ما غدا جون الكبير بَعد هذا ذراع روب اليُمنى وأوفى مُناصِريه، يصيح في كلِّ من هَبَّ ودَبَّ أن الصَّبي من دم ستارك بحق،

وخير لهم أن يخضعوا لهم ما لم يكونوا يرغبوا في أن يتذوَّق الذِّئب الرَّهيب لحمهم.

لكن في تلك اللَّيلة جاءَ روب إلى غُرفة نوم بران ممتقع الوجه مهزوزًا بَعد أن كادت النَّار تخمد في القاعة الكُبرى، وقال معترفًا: «حسبتُ أنه سيَقتُلني. هل رأيت كيف طرحَ هال أرضًا كأنه ليس أكبر حجمًا من ريكون؟ كنتُ خائفًا للغاية حقًا. كما أن چون الكبير ليس أسوأهم، بل أعلاهم صوتًا فحسب. اللورد رووس لا يقول شيئًا أبدًا، بل يَنظُر إليَّ فقط فلا أقوى على التَّفكير في شيءٍ غير تلك الغُرفة التي لديهم في معقل الخوف، حيث يُعَلِّقون جلود أعدائهم المسلوخة».

قال بران وقد تسلَّلت نبرة شَكٍّ إلى صوته: «لكنها مجرَّد واحدةٍ من حكايات العجوز نان، أليس كذلك؟».

هَزَّ روب رأسه بإرهاقٍ وأجابَ: «لا أدري. اللورد سروين ينوي أن يأخذ ابنته جَنوبًا معنا لتطهو له كما يقول. ثيون متأكِّد من أني سأجدُ الفتاة في فِراشي ذات ليلة. ليت... ليت أبي كان هنا».

كان هذا الشَّيء الوحيد الذي يتَّفق عليه ثلاثتهم، بران وريكون وروب، فكلهم يتمنَّى لو أن أباهم كان هناك بينهم. لكن اللورد إدارد كان على بُعد ألف فرسخ، سجينًا في زنزانةٍ ما أو هاربًا طريدًا يُناضِل للحفاظ على حياته أو ميتًا حتى. لا أحد كان يعرف على وجه التَّأكيد، وكلُّ مُسافِرٍ كان يحكي قصَّةً مختلفةً أكثر إثارةً للخوف من سابقتها: رؤوس رجال اللورد إدارد تتعفَّن على الخوازيق على أسوار القلعة الحمراء، اللورد إدارد قتلَ المَلك روبرت بيديه، آل باراثيون فرَضوا الحصار على كينجز لاندنج، اللورد إدارد فَرَّ جنوبًا مع أخي المَلك المُخادِع رنلي، كلب الصَّيد قتلَ آريا وسانزا، الليدي كاتلين قتلَت العِفريت وعلَّقت جثَّته على أسوار ريفررَن، اللورد تايوين لانستر يزحف على "العُش" مُحرِقًا وقاتلًا كلَّ شيءٍ في طريقه؛ ناهيك عن القصَّاص السِّكِّير الذي ادَّعى أن ريجار

تارجاريَن قد بُعِثَ من قبره ليحشد جيشًا عرمرمًا من الأبطال القُدامى في دراجونستون ليستردَّ عَرش أبيه.

لم تَبدُ الحقيقة القاسية أقلَّ إثارةً للدَّهشة عندما الغُداف حاملًا الرِّسالة مختومةً بختم أبيه ومكتوبةً بخط يد سانزا، ولم ينسَ بران التَّعبير على وجه أخيه حين قرأ كلمات أختهما: «تقول إن أبي تآمرَ مع أخوي المَلك وارتكبَ خيانةً عُظمى. المَلك روبرت ماتَ، وأنا وأمِّي تَمَّ استدعاؤنا إلى القلعة الحمراء لنُقسِم بالولاء لچوفري. تقول إننا يجب أن نكون مُخلِصين، وعندما تتزوَّج من چوفري ستلتمس منه أن يعفو عن حياة أبي»، وضَمَّ قبضته ليسحق رسالة سانزا في داخلها مضيفًا: «ولا تَذكُر شيئًا عن آريا، لا شيء، ولا كلمة واحدة. تبًّا لها! ماذا خطب هذه الفتاة؟».

شعرَ بران بالبرد يتغلَّفه من الدَّاخل، وبتخاذُلٍ قال: «لقد فقدَت ذِئبتها»، متذكِّرًا اليوم الذي عادَ فيه أربعة من رجال أبيه من الجَنوب حاملين رفات ليدي، وكيف بدأ سَمر وجراي ويند وشاجيدوج يعوون بأصواتٍ حزينة قبل أن يَعبُر الرِّجال الجسر المتحرِّك حتى. في ظلال القلعة الأولى تقبع باحة عتيقة ملأى بنباتات الأُشنة الشَّاحبة، فيها شواهد القبور التي دفنَ فيها ملوك الشِّتاء القُدماء خدمهم المخلصين، وهناك دفَنوا ليدي بينما تحرَّك إخوتها الثَّلاثة بين القبور كظِلالٍ قلقة. لقد ذهبَت جَنوبًا ولم يرجع منها غير رفاتها.

جدُّهم اللورد ريكارد ذهبَ جَنوبًا كذلك ومعه ابنه براندون أخو أبيهم ومئتان من أفضل رجاله ولم يرجع أحد منهم، وأبوهم ذهبَ جَنوبًا بدوره ومعه آريا وسانزا وچوري وهالن وتوم السَّمين والآخَرون، وبَعده ذهبَت أمُّه والسير رودريك، وكلهم لم يرجعوا؛ والآن يزمع روب الذِّهاب أيضًا، ليس إلى كينجز لاندنج ليُقسِم بالولاء للمَلك الجديد، بل إلى ريڤرَرَن وسيفه في يده. وإذا كان السيِّد والدهم سجينًا بالفعل، فهذا يعني موته لا محالة، وأثارَ هذا رُعب بران أكثر مما يستطيع التَّعبير.

- «احفظي روب إذا كان لا بُدَّ أن يذهب»، قال بران متضرِّعًا للآلهة وهي تُراقبه بعيني شجرة القلوب الحمراوين. «واحفظي رجاله، هال وكوينت وبقيَّتهم، واللورد أومبر والليدي مورمونت وبقيَّة اللوردات... وثيون أيضًا على ما أعتقدُ. احفظيهم واجعليهم في أمان إذا سمحتِ أيتها الآلهة. ساعديهم على هزيمة آل لانستر وإنقاذ أبي وإعادته سالمًا».

تنهَّدت ريح خفيفة عبر أيكة الآلهة وتحرَّكت الأوراق الحمراء وهمسَت، وكشَّر سَمر عن أنيابه عندما سمعا صوتًا يقول: «هل تسمعها يا فتى؟».

رفعَ بران رأسه ليرى أوشا واقفةً على الجانب الآخَر من البِركة تحت شجرة سَنديان قديمة والأوراق تُظَلِّل وجهها. حتى وهي مكبَّلة بالحديد كانت الهَمجيَّة تتحرَّك بهدوء ورشاقة قِطَّة. دارَ سَمر حول البِركة وتشمَّمها وأجفلَت المرأة الطَّويلة، فنادى بران عليه، ليتشمَّمها الذِّئب مرَّةً أخيرةً قبل أن يدور ويعود إلى صاحِبه. «ماذا تفعلين هنا؟». لم يكن قد رأى أوشا منذ أسَروها في غابة الذِّئاب، وإن علمَ أنهم أرسَلوها للعمل في المطابخ.

قالت أوشا: «إنها آلهتي أيضًا، الآلهة الوحيدة وراء "الجِدار"». كان شَعرها البُنِّي الأشعث قد بدأ يطول ليجعلَها تبدو كامرأةٍ أكثر، هذا والفُستان البُنِّي البسيط المصنوع من القُماش الخشن الذي أعطوها إياه عندما أخَذوا منها الحلقات المعدنيَّة والجِلد الذي كانت ترتديه. «جايج يسمح لي بالصَّلاة بين الحين والآخَر عندما أشعرُ بالحاجة، وأتركه أنا يفعل ما يشاء تحت ثيابي عندما يَشعُر بالحاجة. لا أهتمُّ كثيرًا. الحقيقة أني أُحِبُّ رائحة الدَّقيق على يديه، كما أنه ألطف من ستيف»، ثم انحنَت قائلةً: «سأتركك الآن. هناك قدور يجب أن أُنَظِّفها».

قال بران: «لا، ابقي. أخبِريني ماذا قصدتِ بسماع الآلهة».

رمقَته أوشا بإمعانٍ وقالت: «لقد دعوتها وها هي تُجيب. افتح أُذنيك وأصغِ وستسمع».

أصغى بران قليلًا ثم قال بشَك: «إنها الرِّيح لا أكثر، حفيف الأشجار».

- «ومن تحسبه يُرسِلِ الرِّيح إن لم يكن الآلهة؟»، وجلسَت عبر البِركة في مُواجَهته وقيودها ترنُّ بصوتٍ خفيض مع حركتها. كان ميكن قد ثبَّت أغلالًا حديديَّةً بكاحليها تربطها سلسلة ثقيلة، فكانت تستطيع المشي بشرط أن تمشي بخطواتٍ ضيِّقة، وإن كان من المستحيل أن تجري أو تتسلَّق أو تركب حصانًا. «إنها تراك يا فتى وتسمعك تتكلَّم، وهذا الحفيف هو صوت ردِّها عليك».

- «وماذا تقول؟».

- «إنها حزينة. لن يجد أخوك عونًا منها حيث سيذهب، فالآلهة القديمة لا تملك أيَّ قوَّةٍ في الجَنوب. أشجار الويروود هناك قُطِعَت كلها منذ آلاف السِّنين، فكيف تُراقِب أخاك بلا أعيُن؟».

لم يكن بران قد فكَّر في هذا وشعرَ بالخوف. إذا كانت الآلهة نفسها لا تستطيع مُساعَدة أخيه، فأيُّ أملٍ هنالك؟ لعلَّ أوشا لا تسمعها على نحوٍ سليم. رفعَ رأسه وحاولَ الإصغاء من جديد، وخطرَ له أنه يسمع نبرة الحُزن في حفيف الأشجار الآن، لكن لا شيء أكثر من هذا.

تعالى الحفيف، وسمعَ بران خطوات أقدامٍ مكتومة ودندنةً خفيضةً، قبل أن يَخرُج هودور متخبِّطًا من بين الأشجار، عاريًا يبتسم. «هودور!».

- «لا بُدَّ أنه سمعَ أصواتنا»، قال بران. «هودور، لقد نسيت ثيابك».

- «هودور». كان مبتلًّا تمامًا من العُنق إلى القدمين والبُخار يتصاعَد من جسده في الهواء البارد، وقد غطَّى الشَّعر البُنِّي الكثيف جسده كله كالفروة، بينما تدلَّى قضيبه بين ساقيه طويلًا ثقيلًا، ورمقَته أوشا وقالت باسمةً: «رجل كبير حقًّا. دماء العمالقة تسري في عروقه وإلَّا فأنا المَلكة».

- «المِايستر لوين يقول إنه لم يَعُدْ هناك عمالقة، يقولون إنهم ماتوا جميعًا مِثل أطفال الغابة، وكلُّ ما تبقَّى منهم هو عظامهم المدفونة في الأرض التي يكتشفها الرِّجال بالمحاريث من حينٍ إلى آخَر».

قالت أوشا: «فليذهب المِايستر لوين وراء "الجِدار" وسيجد العمالقة أو يجدوه. أخي قتلَ واحدةً منهم. كانت تَبلُغ عشرة أقدامٍ طولًا، وهذا أقصر من المعتاد بالمناسَبة، فمعروف عنهم أن طولهم يصل إلى اثني عشر وثلاثة عشر قدمًا. إنهم بالغو القوَّة، الشَّعر يكسوهم وأسنانهم شديدة الحدَّة، وللزَّوجات لحى كأزواجهنَّ فلا تستطيع التَّفريق ذكورهم وإناثهم. تتَّخذ نساؤهم من رجال البَشر عُشَّاقًا لهنَّ، ومنهنَّ يأتي المهجَّنون، لكن الأمر أصعب بالنِّسبة للنِّساء البَشريَّات اللاتي يُوقعون بهنَّ، فقضبان رجالهم ضخمة لدرجة أنها تقسم المرأة إلى نصفين قبل أن يزرع رجل منهم بذرته فيها»، وابتسمَت مضيفةً: «لكنك لا تدري عمَّا أتكلَّم، أليس كذلك؟».

رَدَّ بران بإصرار: «نعم، أدري». كان يفهم معنى الجماع، وكثيرًا ما رأى الكلاب في السَّاحة، وفي مرَّةٍ رأى فَحلًا يعتلي فَرسًا، لكن الكلام عن هذا كان يُصيبه بعدم الرَّاحة. نظرَ إلى هودور وقال: «اذهب وأحضر ثيابك يا هودور، هيا».

- «هودور»، وعادَ من حيث أتى منحنيًا تحت فرع شجرةٍ واطئ.

فكَّر بران أن صبيَّ الاسطبل ضخم الحجم حقًّا، وسألَ أوشا بلهجةٍ مرتابةٍ وهو يُراقِبه يذهب: «هل هناك عمالقة وراء "الجِدار" حقًّا؟».

- «عمالقة وما هو أسوأ منهم أيها اللورد الصَّغير. لقد حاوَلتُ أن أقول لأخيك عندما ألقى عليَّ أسئلته، هو والمِايستر وذلك الصَّبي المبتسم دائمًا جرايچوي. الرِّيح الباردة تَهُبُّ والرِّجال الذين يُغادِرون مكانهم عند النَّار لا يرجعون أبدًا... وإذا رجعوا فإنهم لا يعودون رجالًا، بل جثثًا حيَّةً بأعيُنٍ زرقاء وأيدٍ سوداء باردة. لماذا تحسَبني فررتُ جَنوبًا مع ستيڤ وهالي وبقيَّة هؤلاء البُله؟ مانس يعتقد أنه سيُحارِب، ذلك الرَّجل الشُّجاع العنيد الأحمق، كأن المُشاة الشَّاحبين مجرَّد جوَّالة، لكن ماذا يعرف حقًّا؟ يُمكنه أن يدعو نفسه مَلك ما وراء الجِدار كما يشاء، لكنه ما

زال مجرَّد غُرابٍ أسودَ عجوز فَرَّ من بُرج الظِّلال منذ سنوات ولم يتذوَّق طعم الشِّتاء الحقيقي قَطُّ. أنا وُلِدتُ هناك أيها الصَّغير، مِثل أمِّي من قبلي وأمِّها من قبلها وأمِّها من قبلها، وُلِدتُ بين شعب الأحرار؛ ونحن نتذكَّر»، ونهضَت أوشا يصحَبها رنين القيود وأضافَت: «بالأمس فقط حاوَلتُ أن أقول لأخيك اللورد الصَّغير عندما رأيته في السَّاحة، نادَيتُ عليه باحترام كما يروق لكم، لكنه نظرَ عبري كأني لوح من الزُّجاج، وذلك الأحمقَ چون أومبر الكبير دفعَني عن الطَّريق. ليكن إذن، سأرتدي قيودي وألزمُ الصَّمت. الرَّجل الذي يَرفُض الإصغاء لن يسمع شيئًا».

- «أخبِريني أنا. روب سيُصغي لي».

- «حقًّا؟ سنرى. أخبِره بهذا أيها اللورد الصَّغير، أخبِره أنه مصمِّمٌ على التحرُّك في الاتِّجاه الخاطئ. يَجدُر به أن يزحف بجيشه شَمالًا، شَمالًا وليس جَنوبًا، هل تسمعني؟».

أومأ بران برأسه وقال: «سأُخبِره».

لكن روب لم يكن معهم أثناء المأدبة في القاعة الكُبرى ليلتها، وبدلًا من هذا تناولَ طعامه في غُرفته مع اللورد ريكارد وچون الكبير وبقيَّة اللوردات حمَلة الرَّاية لتجهيز الخُطط الأخيرة للزَّحف الطَّويل القادم، ووقعَ على عاتق بران أن يحتلَّ مكانه على المائدة ويلعب دور المضيف مع أبناء اللورد كارستارك وأصدقائه. كانوا قد اتَّخذوا أماكنهم بالفعل عندما حملَ هودور بران إلى القاعة على ظَهره وانحنى إلى جوار المقعد العالي، ورفعَه اثنان من الخدم من السَّلَّة وهو يَشعُر بكلِّ عينٍ في القاعة مسلَّطةً عليه وقد سادَ الصَّمت التَّام. قال هالس مولين: «أيها السَّادة، براندون ستارك ابن وينترفل»، فردَّد بران بجمود: «أرحِّبُ بكم عند نيراننا وأقدِّمُ لكم الطَّعام والشَّراب تكريمًا لصداقتنا».

انحنى هاريون كارستارك أكبر أبناء اللورد ريكارد وحذى أخواه حذوه، لكنه سمعَ وهُم يستقرُّون في أماكنهم الأخوين الأصغر يتهامَسان.

«... أن أموت على أن أحيا هكذا»، تمتمَ سَمِيُّ أبيه إدارد، وردَّ أخوه تورين بأن الصَّبي مكسور من الدَّاخل كما هو من الخارج تمامًا بالتَّأكيد، وأجبن من أن يَقتُل نفسه.

مكسور، فكَّر بران بمرارةٍ وهو يقبض على سكِّينه. أهذا ما صارَه الآن؟ بران المكسور؟ همسَ للمِايستر لوين الجالس إلى يمينه: «لا أريدُ أن أكون مكسورًا، أريدُ أن أكون فارسًا».

أجابَ المِايستر: «هناك من يُلَقِّبون جماعتي بفُرسان العقل. إنك شديد الذَّكاء عندما تعمل على هذا يا بران، فهل فكَّرت في إمكانيَّة ارتداء سلسلة المِايستر؟ ليست هناك حدود لما يُمكن أن تتعلَّمه».

قال بران: «أريدُ أن أتعلَّم السِّحر. الغُراب قال إنني سأطيرُ».

تنهَّد المِايستر وقال: «يُمكنني أن أعلِّمك التَّاريخ والعلاج والأعشاب، ويُمكنني أن أعلِّمك لُغة الغِدفان وكيف تبني قلعةً وكيف يُوَجِّه البحَّارة السُّفن اهتداءً بالنُّجوم، ويُمكنني أن أعلِّمك كيف تقيس طول الأيام وتغيُّر الفصول، وفي "القلعة" في البلدة القديمة يستطيعون تعليمك ألف شيءٍ آخَر، لكن لا أحد يستطيع تعليمك السِّحر يا بران».

قال بران: «الأطفال يستطيعون، أطفال الغابة». ذكَّره هذا بالوعد الذي قطعَه لأوشا في أيكة الآلهة، فأخبرَ المِايستر بما قالته.

أصغى لوين بصمت، ثم قال عندما فرغَ بران من الكلام: «تلك الهَمجيَّة تستطيع أن تُلَقِّن العجوز نان دروسًا في حكي الحكايات. سأتكلَّمُ معها ثانيةً إذا أردت، لكن من الأفضل ألَّا تُزعِج أخاك بتلك التَّفاهات. إن لديه أشياءَ أهمَّ من الكلام عن العمالقة والجثث الحيَّة في الغابة. أبوك أسير لدى آل لانستر يا بران، وليس أطفال الغابة»، وربَّت على ذراع بران بحنانٍ وأضافَ: «فكِّر في كلامي يا بُني».

وبَعد يومين، والفَجر الأحمر يطلع في السَّماء المحمَّلة بالرِّيح، وجدَ بران نفسه مربوطًا إلى مُهرته دانسر تحت البوَّابة يُوَدِّع أخاه.

قال روب: «أنت سيِّد وينترفل الآن». كان يمتطي فَحلًا رماديًّا كثيف الشَّعر عُلِّق على جانبه تُرسه الخشبيُّ المدعَّم بالحديد المطليِّ بالأبيض والرَّمادي وعليه وجه الذِّئب الرَّهيب المزمجر، ويرتدي الحلقات المعدنيَّة فوق الجِلد المقوَّى تحت معطفٍ مبطَّنٍ بالفرو، ومن حزامه يتدلَّى سيفه وخنجره. «يجب أن تأخذ مكاني كما أخذتُ مكان أبي إلى أن نعود».

أجابَ بران بتعاسة: «أعرفُ هذا». لم يَشعُر بأنه صغير وحيد خائف هكذا من قبل، ولا يدري كيف يكون سيِّدًا حتى.

- «استمع إلى نصائح المِايستر لوين واعتنِ بريكون. قُل له إنني سأعودُ بمجرَّد انتهاء القتال».

كان ريكون قد رفضَ النُّزول واعتصمَ في غُرفته محمرَّ العينين، وصرخَ في وجه بران عندما سأله إن كان يرغب في وداع روب: «لا! لا وداع!».

قال بران: «قلتُ له هذا، فقال إن لا أحد يعود أبدًا».

زفرَ روب وقال: «لن يظلَّ طفلًا إلى الأبد، إنه ستارك ويكاد يَبلُغ الرَّابعة من العُمر. ستعود أمُّنا قريبًا، وسأعيدُ أبانا، أعدك».

ودارَ بالجواد الحربي وانطلقَ مُغادِرًا وجراي ويند يتواثب إلى جواره بسرعةٍ ورشاقة، وسبقَهما هال مولين عبر البوَّابة حاملًا راية عائلة ستارك البيضاء على ساريةٍ عاليةٍ من خشب الدَّردار، بينما تحرَّك ثيون جرايچوي وچون الكبير على جانبي روب واصطفَّ الفُرسان في طابورين من ورائهم ورؤوس رماحهم الفولاذيَّة تلمع في الشَّمس.

بانزعاج تذكَّر كلمات أوشا: إنه مصمِّمٌ على التحرُّك في الاتِّجاه الخاطئ، وللحظةٍ أرادَ أن يندفع وراء أخاه ويُحَذِره، لكن عندما غابَ روب خلف الشَّبكة الحديديَّة انتهَت اللَّحظة.

تصاعدَت أصوات مدوِّيَة وراء أسوار القلعة والجنود المُشاة وأهل البلدة يُحَيُّون روب، يُحَيُّون اللورد ستارك سيِّد وينترفل وهو يَمُرُّ بهم على

متن فَحله ومعطفه يُرَفرِف في الرِّيح وذِئبه جراي ويند ينطلق إلى جواره. عرفَ بران هذا وخطرَ له بألمٍ فاترٍ أنه لن يتلقَّى تحيَّةً مُماثِلةً منهم أبدًا. قد يكون سيِّد وينترفل في غيابِ أبيه وأخيه، لكنه ما زال بران المكسور الذي لا يستطيع النُّزول عن مُهرته إلَّا سقوطًا.

عندما خبا الصِّياح البعيد وسادَ الصَّمت على السَّاحة الخالية بدَت وينترفل مهجورةً ميتةً، وتطلَّع بران إلى وجوه الذين تبقَّوا من نساءٍ وأطفالٍ ومُسِنِّين... وهودور. على وجه صبيِّ الاسطبل الضَّخم كانت نظرة حائرة خائفة، وبحُزنٍ قال: «هودور؟».

- «هودور»، أجابَ بران متسائلًا عمَّا يقصده.

دنيرس

نهضَ گال دروجو من فِراشهما بَعد أن أفرغَ لذَّته ليرتفع فوقها كالعملاق. كان جِلده يلمع بلونٍ برونزيٍّ داكن في الضَّوء الأحمر المنبعث من المُستوقَد وآثار النُّدوب المتخلِّفة عن جروح قديمةٍ بادية على صدره العريض، وقد انسابَ شَعره الأسود الفاحم بلا أَربطةٍ أو أجراسٍ من كتفيه إلى ظَهره حتى تجاوزَ خصره، وعلى ذَكره لاحَ بريق نُطفته. التوى فم الگال بعبوسٍ تحت شاربه الكث الطَّويل وقال بلهجةٍ حادَّة: «الجواد الذي يمتطي العالم ليس في حاجةٍ إلى ذلك الكرسي الحديدي».

استندَت داني إلى مِرفقها ورفعَت عينيها إليه قائلةً لنفسها إنه طويل مهيب حقًّا. كانت بشكلٍ خاص تُحِبُّ شَعره الذي لم يُقَص من قبل، ما يعني أن صاحبه لم يعرف الهزيمة قَطُّ. «النبوءة قالت إن الجواد سيذهب إلى أقصى الأرض».

أجابَ دروجو على الفور: «الأرض تنتهي عند البَحر الأسود المالح»، وبلَّل قطعةً من القُماش في طَستٍ من الماء الدَّافئ ليمسح العَرق والزَّيت عن نفسه مضيفًا: «الخيول لا تستطيع عبور المياه المسمومة».

قالت له داني كما قالت مئة مرَّةٍ من قبل: «هناك سُفن بالآلاف في المُدن الحُرَّة، خيول خشبيَّة بمئة ساق، تطير عبر البَحر بأجنحةٍ تُحَرِّكها الرِّيح».

لم يكن گال دروجو يرغب في سماع شيءٍ من هذا، فقال: «لن نتكلَّم

ثانيةً عن الخيول الخشبيَّة والكراسي الحديديَّة»، وألقى قطعة القُماش وبدأ يرتدي ثيابه منتقيًا صُدرةً ملوَّنةً وحزامًا عريضًا من الحُلِيِّ الثَّقيلة المصنوعة من الذَّهب والفضَّة والبرونز، وأضافَ: «اليوم سأذهبُ إلى العُشب للصَّيد يا زوجة».

قالت داني: «كما تقول يا شمسي ونجومي». سيأخذ دروجو خيَّالة دمه ليذهبوا بحثًا عن الهراكار، أسد السُّهول الأبيض العملاق، وإذا عادوا ظافرين ستكون سعادة زوجها بالغةً وقد يكون مستعدًّا لسماعها عندئذٍ. إنه لا يخشى الوحوش الضَّارية ولا أيَّ رجلٍ على قيد الحياة، لكن البَحر مسألة أخرى تمامًا، فبالنِّسبة للدوثراكي تُعَدُّ أيُّ مياهٍ لا تستطيع الخيول أن تشرب منها شيئًا ملوَّثًا، وأمواج المحيط المتقلِّبة تُفعِمهم بتقزُّزٍ شديد. دروجو أشجع من بقيَّة سادة الخيول في نواحٍ عديدة، وقد رأت هذا بنفسها، إلَّا فيما يتعلَّق بالبَحر. إذا استطاعَت فقط أن تجعله يركب سفينةً...

استدعَت داني وصيفاتها بَعد أن غادرَ الكَال وخيَّالة دمه حاملين أقواسهم. كانت حركة جسدها ثقيلةً خرقاء الآن، ما جعلها تُرَحِّب بالمُساعَدة من أذرعهنَّ القويَّة وأيديهنَّ الرَّشيقة، بينما كانت تَشعُر بعدم الرَّاحة من قبل من حركتهنَّ المستمرَّة حولها. حمَّمنها ونظَّفنها وألبسنها فُستانًا فضفاضًا من الحرير الرَّملي، وبينما كانت دوريا تُمَشِّط شَعرها أرسلَت چيكوي في طلب السير چورا مورمونت.

جاءَ الفارس من فوره وقد ارتدى قماطًا من شَعر الحصان وصُدرةً ملوَّنةً كخيَّالة الدوثراكي، وغطَّى الشَّعر الأسود الخشن صدره العريض وذراعيه القويَّتين. «كيف أخدمكِ يا سُمُوَّ الأميرة؟».

قالت داني: «يجب أن تتكلَّم مع السيِّد زوجي. دروجو يقول إن الجواد الذي يمتطي العالم سيبسط سُطانه على بلاد العالم كلها، وليست هناك حاجة لعبور المياه المسمومة. إنه يتكلَّم عن قيادة گالاساره شَرقًا بعد مولد رييجو لغزو الأراضي المحيطة ببَحر اليَشب».

أطرقَ الفارس مفكِّرًا للحظاتٍ، ثم قال: «الكّال لم يرَ المَمالك السَّبع قَطُّ ولا تُمَثِّل شيئًا له، وإذا كان يُفَكِّر فيها أصلًا فلا شَكَّ أنه يتخيَّل عددًا من الجُزر أو المُدن الصَّغيرة التي تَربُطها الصُّخور على شاكلة لوراث أو ليس ويُحيط بها البَحر. لا بُدَّ إذن أن ثروات الشَّرق تحمل له إغراءً أكبر بكثير».

قالت بيأس: «لكنه يجب أن يتَّجه غَربًا. ساعِدني أرجوك على جعله يفهم». مِثل دروجو، لم تكن قد رأت المَمالك السَّبع من قبل على الإطلاق، وإن كانت تَشعُر في أعماقها بأنها تعرفها جيِّدًا من كثرة الحكايات التي حكاها لها أخوها عنها. لقد وعدَها ڤسيرس ألف مرَّةٍ بأنه سيُعيدها إلى الدِّيار ذات يوم، لكن ڤسيرس ماتَ ومعه ماتَ وعده.

رَدَّ مورمونت: «الدوثراكي يفعلون كلَّ شيءٍ حسب وقتهم الخاص ولأسبابهم الخاصَّة. يجب أن تتحلَّي بالصَّبر يا سُمُوَّ الأميرة ولا ترتكبي خطأ أخيكِ. سنعود إلى الدِّيار، أعدكِ بهذا».

الدِّيار؟ كانت الكلمة تُشعِرها بالحُزن. السير چورا لديه دياره في جزيرة الدِّببة، فأين ديارها هي؟ بضع حكاياتٍ وأسماءٍ تُرَدَّد بوقارٍ كأنها كلمات صلاة، وذكرى بعيدة عن بابٍ أحمرَ. هل ستكون ڤايس دوثراك دارها إلى الأبد؟ هل تتطلَّع إلى مستقبَلها عندما تتطلَّع إلى حيزبونات الدوش كّالين؟

لا بُدَّ أن السير چورا لمحَ الحُزن في ملامحها، فقال: «كّاليسي، ثمَّة قافلة ضخمة وصلَت ليلًا، أربعمئة حصانٍ من پنتوس مرورًا بنورڤوس وكوهور تحت قيادة الرُّبَّان بيان ڤوتيريس. ربما أرسلَ إليريو رسالةً معه، فهل ترغبين في زيارة السُّوق الغربيَّة؟».

قالت داني: «نعم، أودُّ هذا». كانت الحياة تَدُبُّ في السُّوق عندما تصل قافلة ما، ولا يُمكنك أن تعرف أبدًا أيَّ كنوزٍ جاءَ بها التُّجَّار معهم هذه المرَّة، وسيكون من الجميل أن تسمع من يتكلَّمون بالڤاليريَّة من جديد كما يفعلون في المُدن الحُرَّة. «إيري، اجعليهم يُجَهِّزون محفَّةً».

قال مورمونت وهو يتراجع مُغادِرًا: «سأبلغُ رجال الگاس».

لو كان گال دروجو معها لامتطَت داني فَرسها الفضِّيَّة، فبين الدوثراكي تظلُّ الأمَّهات على ظَهر الحصان حتى لحظة الولادة تقريبًا، وهي لا ترغب في أن تبدو ضعيفةً في عيني زوجها. لكن في غياب الگال كان من السَّار أن تتمدَّد على الوسائد اللَّيِّنة وتُحمَل عبر ڤايس دوثراك والسَّتائر الحريريَّة الحمراء تقيها من الشَّمس. ركبَ السير چورا حصانه إلى جوارها ومعه رجال گاسها الأربعة ووصيفاتها.

كان نهارًا دافئًا اصبغَت فيه السَّماء بلونٍ أزرقَ عميق وغابت منها السُّحب، وشمَّت داني روائح العُشبِ والتُّربة الغنيَّة مع هبوب الرِّيح الخفيفة. غابَت عنها الشَّمس وحَلَّ الظِّلُّ محلَّها قبل أن تعود من جديد مع مرور المحفَّة أسفل الآثار المسروقة، وأمعنَت داني وهي تتمايَل النَّظر إلى وجوه الأبطال الموتى والملوك المنسيِّين، وتساءَلت إن كانت آلهة تلك المُدن المهجورة لا تزال تُجيب الدُّعاء.

بحُزنٍ قالت نفسها: *لو لم أكن دم التنِّين لكان هذا موطني*. إنها الگاليسي، وتحت إمرتها رجال أشدَّاء وفَرس سريعة، ولديها وصيفات يخدمنها ومُحارِبون يُحافِظون على سلامتها، وينتظرها مكان شَرف في الدوش گالين عندما تتقدَّم بها السِّن، وفي رَحِمها ينمو ابن سيسود العالم ذات يوم. من المفترَض أن يكون هذا كافيًا لأيِّ امرأة... لكن ليس للتنِّين، ومع رحيل ڤسيرس داني تكون هي الأخيرة، الأخيرة على الإطلاق. إنها من نسل الملوك والغزاة، وكذلك الطِّفل في بطنها، ولا ينبغي أن تنسى أبدًا.

كانت السُّوق الغربيَّة عبارةً عن ميدانٍ فسيحٍ من التُّربة المدكوكة محاط بأبنيةٍ من الطُّوب اللَّبن وحظائر الحيواناتَ ومحال الشَّراب المطليَّة بالجير الأبيض، وارتفعَت من الأرض روابٍ كظهور وحوشٍ تنبثق من أسفل لتكسر سطح التُّربة وتفغر أفواهها السَّوداء التي تقود إلى المخازن

الباردة الواقعة في الأسفل. كانت السُّوق من الدَّاخل متاهةً من الأكشاك والممرَّات المنحنية تُغَطِّيها مظلَّات من العُشب المجدول.

مئات من التُّجَّار كانوا يُفَرِّغون بضائعهم ويَرُصُّونها في الأكشاك لدى وصولهم، ومع ذلك بدَت السُّوق الضَّخمة مهجورةً صامتةً بالمقارَنة بتلك التي رأتها داني في پنتوس والمُدن الحُرَّة الأخرى. شرحَ لها السير چورا أن القوافل لا تأتي من الشَّرق والغَرب إلى ڤايس دوثراك لبيع البضائع للدوثراكي بقَدر ما تتبادَلها بين بعضها بعضًا، ويسمح سادة الخيول للتُّجَّار بالذَّهاب والمجيء بلا إزعاجٍ بشرط أن يُحافِظوا على سلام المدينة المقدَّسة ولا يُدَنِّسوا الجبل الأُم أو رَحِم العالم، بالإضافة إلى تكريمهم لحيزبونات الدوش كالين بالهدايا التَّقليديَّة من الملح والفضَّة والحبوب. لا يستوعب الدوثراكي أمور البيع والشِّراء حقًّا كما يَحدُث في الغَرب.

أحبَّت داني السُّوق الشَّرقيَّة كذلك بكلِّ ما فيها من غريب المنظر والصَّوت والرَّائحة، وكثيرًا ما كانت تقضي الصَّباح هناك، تأكل البيض الشَّجري وفطائر الجراد والمعكرونة الخضراء، وتُصغي إلى أصوات مُرَنِّمي التَّعاويذ المزغردة، وتُحَدِّق في المانتيكورات في أقفاصها الفضِّيَّة والأفيال الضَّخمة وخيول شعب الچوجوس نهاي المخطَّطة بالأبيض والأسود. كانت تستمتع كذلك بمُشاهَدة النَّاس: الآشايئيِّين السُّمر الغامضين والكارثين الشَّاحبين طوال القامة، رجال يي تي ذوي العيون اللَّامعة والقبَّعات التي تتدلَّى منها ذيول القردة، النِّساء المُحارِبات من باياساباد وشاميريانا وكاياكايانايا اللاتي يُعَلِّقنَ الخواتم الحديديَّة في حلماتهنَّ ويُثَبِّتنَ حُلِيًّا من الياقوت الأحمر في وجناتهنَّ، وحتى رجال الظِّلال القساة المخيفين الذين يُغَطُّون صدورهم وسيقانهم وأذرعهم بالأوشام وتتوارى وجوههم وراء الأقنعة. كانت السُّوق الشَّرقيَّة مكانًا للسِّحر والعجائب بالنِّسبة لداني.

لكن السُّوق الغربيَّة كانت تحمل رائحة الدِّيار.

تشمَّمت الهواء وإيري وچيكوي تُساعِدانها على الترجُّل، وتعرَّفت على روائح الثَّوم والفلفل اللَّاذعة، الرَّوائح التي ذكَّرتها بالأيام الخوالي في أزقَّة مير وتايروش ورسمَت ابتسامة حنينٍ على شفتيها، وتناهَت إلى أنفها روائح عطور ليس الزَّكيَّة المُسكِرة، ورأت عبيدًا يحملون لفائف من الحرير المايري والصُّوف النَّاعم بدستةٍ من الألوان الزَّاهية. جابَ حُرَّاس القوافل ممرَّات السُّوق في خوذاتهم النُّحاسيَّة وسُتراتهم الصَّفراء المبطَّنة الطَّويلة التي تَبلُغ الرُّكبة وأغمادهم الخالية تتدلَّى من أحزمتهم الجِلديَّة المجدولة، ووراء أحد الأكشاك وقفَ صانع سلاحٍ يعرض دروعًا فولاذيَّة للصَّدر مزيَّنةً بزخارف منمَّقةٍ من الذَّهب والفضَّة، وخوذاتٍ مطروقة بأشكال حيواناتٍ خُرافيَّةٍ متعدِّدة، وإلى جواره امرأة شابَّة حسناء تبيع الذَّهب المشغول في لانسپورت من خواتم ودبابيس زينة وأساور وحُلِيٍّ منقوشة في غاية الجمال للتَّعليق في الأحزمة. كان خَصِيٌّ أخرس أصلع صخم الجثَّة يَحرُس الكشك، يرتدي ثيابًا ملوَّثةً بالعَرق من القطيفة وينهر أيَّ أحدٍ يقترب، وعلى الجانب الآخَر من الممرِّ كان تاجر قُماشٍ بدين من بي تي يتفاوَض مع رجلٍ پنتوشي على سِعر صبغةٍ خضراء وذيل القرد يتأرجح من قبَّعته وهو يهزُّ رأسه.

قالت داني للسير چورا وهما يتجوَّلان في الممرِّ الظَّليل بين الأكشاك: «كنتُ أُحِبُّ اللَّعب في السُّوق في طفولتي. كان المكان مفعمًا بالحياة، كلُّ النَّاس يصيحون ويضحكون، وهناك أشياءَ رائعة كثيرة موجودة يُمكنك أن تتفرَّج عليها، على الرغم من أننا نادرًا ما كنا نملك مالًا كافيًا لشراء أيِّ شيءٍ باستثناء قطعةٍ من السجق بين الحين والآخَر، أو أصابع العسل. هل هناك أصابع عسل في المَمالك السَّبع من النَّوع الذي يخبزونه في تايروش؟».

أجابَ الفارس: «أهي نوع من الكعك يا سُمُوَّ الأميرة؟ لا أدري»، ثم

انحنى وقال: «أرجو أن تَعذُريني، سأذهبُ للبحث عن الرُّبَّان وأرى إن كانت معه رسائل لنا».

- «ليكن، سأساعِدك في البحث عنه».

تطلَّع السير چورا حوله بصبرٍ نافدٍ وقال: «لا داعي لإزعاج نفسكِ. استمتعي أنتِ بالسُّوق وسأعودُ إليكِ عندما أجده».

شعرَت داني بالدَّهشة وهي تُراقِبه يبتعد بخطواتٍ سريعةٍ بين الحشود. لم ترَ سببًا وجيهًا يمنعها من الانضمام إليه، وخطرَ لها أن السير چورا يرغب ربما في أن يجد لنفسه امرأةً بَعد أن يلتقي بالرُّبَّان، فغالبًا ما تُسافِر العاهرات مع القوافل، وهناك رجال يَشعُرون بالخجل الشَّديد فيما يتعلَّق بهذا النَّوع من العلاقات. هزَّت كتفيها وقالت للآخَرين: «هيا بنا».

تبعَتها وصيفاتها وهي تُواصِل جولتها بين الأكشاك، وبَعد قليلٍ صاحَت مُخاطِبةً دوريا: «انظري، هذا هو نوع السجق الذي كنت أعنيه»، وأشارَت إلى كشكٍ تقوم فيه امرأة قصيرة ذابلة بشواء اللَّحم والبصل على الجرانيت السَّاخن. «إنهم يطهونه مع الكثير من الثُّوم والفلفل الحار». مسرورةً باكتشافها، أصرَّت داني على أن تدعو الآخَرين إلى وجبةٍ من السجق، والتهمَته وصيفاتها ضاحكات، بينما تشمَّم رجال الگاس اللَّحم المشوي بريبة، وقالت داني بَعد قضمتين: «مذاقه مختلف عمَّا أذكرُ».

قالت البائعة العجوز: «في پنتوس أصنعه من لحم الخنزير، لكن خنازيري كلها ماتَت في بَحر الدوثراكي. هذا مصنوع من لحم الحصان يا گاليسي، لكن التَّوابل واحدة».

همهمَت داني بإحباط، لكن اللَّحم راقَ لكوارو كثيرًا فطلبَ قطعةً أخرى، ومن ثَمَّ قرَّر راگارو التفوُّق عليه وأكلَ ثلاث قطعٍ أخرى جعلته يتجشَّأ بصوتٍ عالٍ، ما جعلَ داني تضحك.

قالت إيري: «لم تضحكي منذ توَّج دروجو أخاكِ الگال رهاجات. من الجميل رؤيتكِ تضحكين يا گاليسي».

ابتسمَت داني بخجل. كان الضَّحك من جديدٍ جميلًا حقًّا، وجعلَها تَشعُر كأنها عادَت إلى طفولتها ثانيةً.

قضوا نِصف الصَّباح في التِّجوال. رأت معطفًا فارهًا مكسوًّا بالرِّيش من جُزر الصَّيف وقبلَته كهديَّة وأعطَت التَّاجر حليةً فضِّيَّةً من حزامها في المقابل، فهكذا تتمُّ التِّجارة بين الدوثراكي، وعلَّم تاجر طيورٍ ببغاءً أحمرَ وأخضرَ أن يقول اسمها وضحكَت داني مرَّةً أخرى لكنها رفضَته، فماذا تفعل ببغاء في الگالاسار؟ لكنها قبلَت نحو دستةٍ من قوارير الزُّيوت العطريَّة، عطور طفولتها، وما كان عليها غير أن تُغلِق عينيها وتتشمَّمها لترى البيت الكبير ذا الباب الأحمر من جديد. عندما تطلَّعت دوريا بلهفةٍ إلى تعويذة خصوبةٍ في كشك أحد السَّحرة، أخذَتها داني أيضًا وأعطَتها لوصيفتها مفكِّرةً أن عليها أن تجد شيئًا لإيري وچيكوي كذلك.

داروا حول منعطفٍ ليروا تاجر خمورٍ يُقَدِّم عيِّناتٍ من سِلعه للمارَّة في كُشتباناتٍ صغيرة، ويُنادي عليها بلُغة الدوثراكي التي يبدو أنها يُجيدها إجادةً تامَّة: «نبيذ أحمرَ حُلو، لديَّ نبيذ أحمرَ حُلو من ليس وڤولانتيس و"الكرمة"، نبيذ أبيضَ من ليس، براندي كُمِّثرى تايروشي، نبيذ ناري، نبيذ حرِّيف، رحيق مير الأخضر، نبيذ التُّوت الدُّخَّاني البُنِّي والنَّبيذ الأندالي المُر، لديَّ كلُّ شيء». كان رجلًا نحيلًا وسيمًا قصير القامة، شَعره الشَّبيه بالكتَّان مجعَّد ومعطَّر كعادة أهل ليس، وعندما توقَّفت داني أمام كشكه انحنى قائلًا: «هل ترغب الگاليسي في مذاق؟ لديَّ نبيذ أحمرَ حلو من دورن يا سيِّدتي يُغَنِّي فيه البرقوق والكرز والقرو الغني. برميل؟ كوب؟ جرعة؟ تذوَّقيه مرَّةً وستُطلِقين اسمي على ابنكِ».

ابتسمَت داني وقالت: «ابني لديه اسم بالفعل، لكني سأجرِّب نبيذك الصَّيفي». خاطبَته بالڤاليريَّة كما يتكلَّمونها في المُدن الحُرَّة، وكان للكلمات مذاق غريب على لسانها بَعد تلك الفترة الطَّويلة. «جرعة صغيرة إذا سمحت».

لا بُدَّ أن التَّاجر حسبها من الدوثراكي لمَّا رأى ثيابها وشَعرها المدهون بالزَّيت وبشرتها التي اسمرَّت من الشَّمس، لكنه حدَّق فيها بدهشةٍ عندما تكلَّمت وقال: «سيِّدتي، هل أنتِ من تايروش؟ أهذا ممكن؟».

- «قد يكون كلامي تايروشي وثيابي دوثراكي، لكني من وستروس، من مَمالك غروب الشَّمس».

تقدَّمت دوريا إلى جوارها وقالت: «لك شَرف مُخاطَبة دنيرس ابنة عائلة تارجاريَن، دنيرس وليدة العاصفة، كاليسي الخيَّالة وأميرة المَمالك السَّبع».

هوى تاجر الخمور على رُكبتيه وحنى رأسه قائلًا باحترام: «سُمُوُّ الأميرة».

قالت داني: «انهض. ما زلتُ أرغبُ في تذوُّق هذا النَّبيذ الصَّيفي الذي ذكَرته».

نهضَ الرَّجل قائلًا: «هذا؟ إنها مجرَّد نفاية دورنيَّة لا تليق بأميرة. لديَّ نبيذ أحمرَ من "الكرمة"، منعش وشديد اللَّذَّة. دعيني أهديكِ برميلًا أرجوكِ».

كانت زيارات كال دروجو إلى المُدن الحُرَّة قد جعلَته يُقَدِّر النَّبيذ الجيِّد، ونوع ممتاز كهذا سيُثير سروره. غمغمَت بعذوبة: «هذا كرم منك يا سيِّدي».

قال التَّاجر: «بل أنتِ من تُشَرِّفينني»، ونقَّب في مؤخِّرة كشكه حتى وجدَ برميلًا صغيرًا من خشب البلُّوط الذي حُفِرَ فيه بالحرق شكل عنقودٍ من العنب أشارَ إليه قائلًا: «رمز عائلة ردواين سادة "الكرمة". ليس هناك شراب أجود من هذا».

- «كال دروجو وأنا سنشرب منه معًا. آجو، خُذ البرميل إلى المحفَّة إذا سمحت».

تهلَّلت أسارير تاجر الخمور إذ رفعَ الدوثراكي البرميل الصَّغير، فيما لم تُدرِك داني أن السير چورا قد عادَ حتى سمعَته يقول بنبرةٍ حادَّة: «كلا. آجو، ضَع البرميل».

نظرَ آجو إلى داني التي أومأت برأسها بتردُّدٍ وسألت الفارس: «ماذا هناك يا سير چورا؟».

- «أشعرُ بالظَّمأ لا أكثر. افتح البرميل يا بائع النَّبيذ».

قال التَّاجر عابسًا: «النَّبيذ للگاليسي وليس لأمثالك يا هذا».

اقتربَ السير چورا من الكشك قائلًا: «إذا لم تفتحه بيديك، سأفتحه أنا بجمجمتك». لم يكن يحمل سلاحًا هنا في المدينة المقدَّسة باستثناء يديه، لكن هاتين اليدين الكبيرتين القويَّتين ذات مفاصل الأصابع المغطَّاة بالشَّعر الكثيف كانتا كافيتين. تردَّد بائع الخمور لحظةً، ثم أمسكَ مطرقته وخلعَ بها سدادة البرميل، فقال الفارس آمرًا: «صُب»، واصطفَّ مُحارِبو گاس داني الشَّباب الأربعة وراءه وقد قطَّبوا الجبين وحدَّقوا بعيونهم السَّوداء الشَّبيهة بحبَّات اللَّوز.

قال بائع الخمور دون أن يضع مطرقته: «إنها جريمة أن تشرب هذا النَّبيذ الفاخر دون أن يتعرَّض للهواء قليلًا».

مَدَّ چوجو يده إلى السَّوط المعلَّق في حزامه، لكن داني أوقفَته بلمسةٍ خفيفةٍ على ذراعه وقالت وقد بدأ النَّاس يتجمَّعون حولهم: «افعل كما يقول السير چورا».

رمقَها الرَّجل بنظرةٍ واجمةٍ سريعة، ثم قال: «كما تأمر الأميرة»، ووضعَ المطرقة جانبًا كي يرفع البرميل، ثم صَبَّ النَّبيذ ببراعةٍ في كوبين صغيرين دون أن يَسكُب قطرةً منه، ورفعَ السير چورا أحدهما وتشمَّمه وقد عقدَ حاجبيه، فقال بائع الخمور مبتسمًا: «حُلو الرَّائحة، أليس كذلك؟ هل تَشُمَّ الفاكهة فيه يا سيِّدي؟ إنه عطر "الكرمة". تذوَّقه يا سيِّدي وقُل لي إنه ليس أفضل نبيذٍ تذوَّقه لسانك على الإطلاق».

مَدَّ الفارس يده إليه بالكوب قائلًا: «تذوَّقه أنت أولًا».

قال الرَّجل ضاحكًا: «أنا؟ إنني لستُ جديرًا بهذا النَّبيذ يا سيِّدي، كما

أن تاجر الخمور الذي يشرب بضاعته أحمق حقًّا». كانت ابتسامته ملأى بالوُد، لكنها رأت العَرق يلتمع على جبهته.

قالت داني ببرود: «ستشرب. أفرِغ الكوب وإلّا أمرتهم بتقييدك بينما يَصُبُّ السير چورا البرميل كله في جوفك».

هَزَّ بائع الخمور كتفيه ومَدَّ يده إلى الكوب... وأمسكَ بالبرميل نفسه بدلًا منه وقذفَها به بكلتا يديه، فاندفعَ السير چورا في اللَّحظة نفسها نحوها مزيحًا إياها عن الطَّريق، وارتطمَ البرميل بكتفه وارتدَّ عنها ليَسقُط أرضًا ويتهشَّم. تعثَّرت داني وفقدَت توازُنها، وصرخَت: «لا!» وهي تمدُّ يدها إلى الأمام لتتلقَّيا السَّقطة، وأمسكَتها دوريا من ذراعها لتسحَبها إلى الوراء فسقطَت على ساقيها وليس بطنها.

وثبَ التَّاجر فوق البرميل المكسور مندفعًا بين آجو وراگارو، ومَدَّ كُوارو يده إلى الأراخ الذي لم يكن هناك بينما دفعَه الرَّجل الأشقر جانبًا وراحَ يَركُض في الممر، ثم سمعَت داني فرقعة سوط چوجو، ورأته ينطلق في الهواء ليلتفَّ حول ساق بائع الخمور ويُسقِطه على وجهه في التُّراب.

كان عشرة من حُرَّاس القافلة قد أتوا مهرولين ومعهم سيِّدهم بنفسه، الرُّبَّان النورڤوشي صغير الحجم بيان ڤوتيريس ذو البشرة الشَّبيهة بالجِلد القديم والشَّارب الأزرق المنفوش الذي يرتفع طرفاه إلى أُذنيه. بدا أنه أدركَ ما حدثَ دون أن تُقال له كلمة، وقال مشيرًا إلى الرَّجل السَّاقط أرضًا: «خذوه ليتلقَّى ما ينتظره من مرحٍ مع الگال». سحبَ اثنان من الحُرَّاس الرَّجل، بينما واصلَ الرُّبَّان: «بضاعته هديَّة لكِ أيتها الأميرة كتعبيرٍ صغيرٍ عن الأسف لأن يفعل أحد رجالي شيئًا كهذا».

ساعدَت دوريا وچيكوي داني على النُّهوض والنَّبيذ المسموم يسيل من البرميل المكسور على التُّراب، وسألَت السير چورا مرتجفةً: «كيف عرفت؟ كيف؟».

- «لم أعرف يا گاليسي، ليس حتى رفضَ أن يشرب، لكني شعرتُ بالخوف بمجرَّد أن قرأت رسالة الماچستر إليريو»، وتطلَّع إلى وجوه

الغرباء في السُّوق ثم قال: «تعالي، من الأفضل ألَّا نتكلَّم عن هذا هنا».

كانت داني تُغالِب دموعها وهُم يحملونها عائدين، وفي فمها شعرَت بمذاقٍ تعرفه جيِّدًا، مذاق الخوف. لسنواتٍ عاشت في خوفٍ من ڤسيرس ومن إيقاظ التنِّين، أمَّا هذا فكان أسوأ، فخوفها ليس على نفسها فحسب الآن، بل على جنينها كذلك. لا بُدَّ أنه أحسَّ بما تَشعُر به لأنه أخذَ يتحرَّك في داخلها، فربَّتت داني على بطنها المنتفخة برقَّةٍ وهي تتمنَّى لو تستطيع أن تمدَّ يدها إليه وتلمسه وتُطَمئِنه. همسَت والمحفَّة تتأرجح والسَّتائر مسدلة: «أنت من دم التنِّين أيها الصَّغير، أنت من دم التنِّين، والتنِّين لا يخاف».

تحت الرَّبوة المجوَّفة التي كانت بيتها في ڤايس دوثراك أمرَتهم داني بتركها وحدها، كلهم باستثناء السير چورا الذي قالت له وهي تستريح على وسائدها: «أخبِرني، أكان المُغتَصِب وراء هذا؟».

أخرجَ الفارس ورقةً مطويَّةً وأجابَ: «نعم. إنها رسالة لڤسيرس من الماچستر إليريو يقول فيها إن روبرت باراثيون يعرض اللورديَّة والأرض على من يَقتُلكِ أو يَقتُل أخاكِ».

قالت بنشيجٍ هو نِصف ضحكة: «أخي؟ إنه لم يعرف بَعد، أليس كذلك؟ المُغتَصِب مدين لدروجو بلورديَّة إذن». هذه المرَّة كانت ضحكتها نِصف نشيج، وعانقَت نفسها مضيفةً: «وأنا تقول؟ أنا فقط؟».

أجابَ الفارس عابسًا: «أنتِ وطفلكِ».

- «لا، لن يمسَّ ابني بسوء». قرَّرت أنها لن تبكي ولن ترتجف خوفًا. *المُغتَصِب هو من أيقظَ التنِّين الآن*، قالت لنفسها وانتقلَت عيناها لاإراديًّا إلى بيضات التنِّين المستقرَّة في عُشِّها المخملي وقد حدَّد ضوء المصباح الزَّيتي المتذبذب قشورها الحَجريَّة لتسبح ذرَّات لامعة من الأخضر المزرق والأحمر القرمزي والذَّهبي في الهواء حولها كحاشيةٍ حول مَلك.

أهي لوثة جنونٍ ولَّدها الألم تلك التي تملَّكتها لحظتها؟ أم حكمة

غريبة مدفونة في أعماق دمها؟ لم تعرف داني الإجابة، وسمعَت نفسها تقول: «سير چورا، أوقِد المُستوقَد».

رمقَها الفارس متعجِّبًا وقال: «گاليسي، الجَوُّ حارٌّ للغاية. هل أنتِ واثقة؟».

لم تكن واثقةً من شيءٍ في حياتها كالآن، وأجابَت: «نعم، إنني... إنني أشعرُ بالبَرد. أوقِد المُستوقَد».

حنى رأسه وقال: «كما تأمرين».

صرفَته داني عندما اشتعلَت النَّار في الفحم. ينبغي أن تكون وحدها عندما تفعل ما ستفعله. *هذا جنون*، قالت لنفسها وهي ترفع البيضة ذات اللَّونين الأسود والقرمزي من على الدِّثار المخملي، *سوف تتشقَّق وتحترق لا أكثر، ثم إنها جميلة للغاية، والسير چورا سيقول إنني حمقاء إذا شوَّهتها*... ومع ذلك... ومع ذلك...

ضمَّت البيضة بكلتا يديها وحملَتها إلى النَّار ودسَّتها وسط الفحم المتَّقد، وتوهَّجت الحرائف السَّوداء وهي تتشرَّب الحرارة واللَّهب يلعق الحَجر بألسنةٍ حمراء صغيرة. وضعَت داني البيضتين الأخريين إلى جوار السَّوداء، وارتجفَت أنفاسها في حَلقها وهي تتراجَع عن المُستوقَد.

راقبَت الجمار حتى استحالَت إلى رماد، وتراقصَت شرارات هنا وهناك والحرارة تتموَّج حول البيضات الثَّلاث، لكن هذا كان كلَّ ما حدثَ.

أخوكِ ريجار كان التِّنين الأخير، قال لها السير چورا من قبل. حدَّقت داني في بيضاتها بحُزن. ماذا كانت تتوقَّع؟ منذ ألف ألف عام كانت حيَّةً، لكنها الآن ليست أكثر من صخورٍ جميلة الشَّكل مُحالٌ أنْ يَخرُج منها تنِّين. التنِّين نار وهواء، لحم حيٌّ وليس حَجَرًا ميتًا.

كان المُستوقَد قد بردَ تمامًا عندما عادَ گال دروجو ووراءه كهولو يقود حصان نقلٍ على ظَهره جثَّة أسدٍ أبيضَ ضخم. كانت النُّجوم قد بدأت تُرَصِّع ثوبَ السَّماء الأسود حين ترجَّل دروجو عن فَحله ضاحكًا وأراها

النُّدوب على ساقه حيث اخترقَ الهراكار قماطه بمخالبه، وقال: «سأصنعُ لكِ معطفًا من جِلده يا قَمر حياتِي».

عندما أخبرَته داني بما حدثَ في السُّوق توقَّف الضَّحك تمامًا ولاذ گال دروجو بصمتٍ عميق.

قال له السير چورا مورمونت: «كان هذا أوَّل من يُحاوِل تسميمها، لكنه لن يكون الأخير. هناك من سيُخاطِرون بالكثير من أجل اللورديَّة».

ظَلَّ دروجو صامتًا لفترة، ثم تكلَّم أخيرًا وقال: «بائع السُّمِّ جرى من قَمر حياتي، وكان أفضل له أن يجري وراءها، وسيفعل. چوجو وچورا الأندالي، لكلٍّ منكما أقولُ أن تختارا أيَّ حصانٍ يروق لكما من قطيعي وهو لكما، أيَّ حصانٍ باستثناء فَحلي الأحمر والفَرس الفضِّيَّة التي أهدَيتها لقَمر حياتي. إنها هديَّة مني إليكما لما فعلتماه... ولرييجو ابن دروجو، الجواد الذي يمتطي العالم، إليه أيضًا أتعهَّدُ بهديَّة. إليه سأعطي الكرسي الحديدي الذي جلسَ عليه أبو أمِّه، سأعطيه المَمالك السَّبع. أنا، دروجو، الگال، سأفعلُ هذا»، وتعالى صوته ورفعَ قبضته إلى السَّماء مُتابِعًا: «سآخذُ گالاساري غَربًا حيث ينتهي العالم، وأركبُ الخيول الخشبيَّة عبر البَحر الأسود المالح كما لم يفعل گال من قبل. سأقتلُ الرِّجال ذوي الحُلل الحديديَّة وأهدمُ بيوتهم الحَجريَّة، سأغتصبُ نساءهم وأتَّخذُ أطفالهم عبيدًا وأحملُ آلهتهم المحطَّمة إلى ڤايس دوثراك لتنحني أمام الجبلِ الأُم. أقسمُ على هذا، أنا، دروجو بن بهاربو، أقسمُ به أمام الجبل الأُم والنُّجوم شاهدةٌ عليَّ».

غادرَ گالاساره ڤايس دوثراك بَعد يومين متوجِّهًا جَنوبًا ثم غَربًا عبر السُّهول، وقادَهم گال دروجو على متن فَحله الأحمر الضَّخم وإلى جواره دنيرس على فَرسها الفضِّيَّة، وهُرِعَ بائع الخمور وراءهم عاريًا تمامًا على قدميه وقد قُيِّدَت رقبته ومعصماه إلى لجام فَرس داني. وهكذا ظَلَّ يجري وراءها وهي راكبة، حافي القدمين متعثِّرًا، ولن يمسَّه أحد بأذى طالما استطاعَ أن يُواصِل الجري.

كاتلين

كانت الرَّايات أبعد من أن تُمَيِّزها بوضوح، لكن حتى بين حُجُب الضَّباب استطاعَت أن ترى أنها بيضاء ذات لطخةٍ داكنةٍ في المنتصَف لا يُمكن أن تكون غير ذِئب ستارك الرَّمادي الرَّهيب في حقله الجَليدي، وعندما لاحَت لها الرَّاحة بوضوحٍ أوقفَت كاتلين حصانها وخفضَت رأسها شُكرًا للآلهة على أنها لم تتأخَّر أكثر من اللَّازم.

قال السير وايليس ماندرلي: «إنهم ينتظرون وصولنا يا سيِّدتي، تمامًا كما أقسمَ السيِّد والدي أنهم سيفعلون».

وكزَ السير برايندن تَلي حصانه وانطلقَ به كالسَّهم نحو الرَّايات قائلًا: «دعنا لا نَترُكهم ينتظرون أكثر إذن»، وانطلقَت كاتلين بحصانها إلى جواره.

تبعَهما السير وايليس وأخوه السير وندل على رأس جنودهما: ألف وخمسمئةٍ رجلٍ تقريبًا، عشرون ونيِّف من الفُرسان ومِثلهم من مُرافِقي الفُرسان، مئتان من حاملي الرِّماح والمُبارِزين والمُحارِبين غير النِّظاميِّين على خيولهم، والبقيَّة على الأقدام مسلَّحة بالحراب والسَّكاكين الطَّويلة والرِّماح الثُّلاثيَّة. كان اللورد وايمان أبوهما قد تخلَّف للعناية بالدِّفاعات في الميناء الأبيض، وهو رجل في السِّتِّين من العُمر صار أبدن من أن يستطيع الجلوس على ظَهر حصانه. «لو حسبتُ أني سأشهدُ حربًا أخرى قبل أن أموت، لاقتصدتُ في أكل السَّمك»، قال لكاتلين عندما التقى

بسفينتها وهو يُرَبِّت على كرشه العظيم بأصابعه العشر الثَّخينة كقطع السجق. «سيُوَصِّلكِ ابناي إلى ابنكِ بأمان، فلا تحملي همًّا».

ولداه هذان كانا أكبر سِنًّا من كاتلين التي تمنَّت لو أنهما لم يُشبِها أباهما لهذه الدَّرجة. السير وايليس كانت تَنقُصه بضع سمكاتٍ معدودةٍ حتى لا يستطيع الجلوس على حصانه بدوره، وقد شعرَت كاتلين بشفقةٍ شديدة على الحيوان المسكين، والسير وندل -الأخ الأصغر- كان من الممكن أن يكون أبدن رجلٍ رأته في حياتها على الإطلاق لو لا أنها رأت أباه وأخاه أولًا. الأول هادئ رسمي، والثَّاني صاخب لدرجة الجعجعة، وكلاهما على وجهه شارب فاخر يُذَكِّرك بحيوان الفَظ البحري ورأسه أملس كمؤخِّرة رضيع، وعلى ما يبدو لا يملك أحدهما ثوبًا واحدًا غير ملوَّث ببُقَع الطَّعام. راقَ لها الأخوان على الرغم من ذلك، فقد قاداها إلى روب كما تعهَّد أبوهما، ولا شيء آخَر يهمُّ.

سرَّها أن ابنها أرسلَ كشَّافةً هنا وهناك، حتى إلى الشَّرق. سيأتي آل لانستر من الجَنوب عندما يأتون، لكن من الجيِّد أن روب يتوخَّى الحذر. ابني يقود جيشًا إلى الحرب، قالت لنفسها وهي تكاد لا تُصَدِّق ما زالت، شاعرةً بالخوف عليه وعلى وينترفل، وإن لا تُنكِر أن الخوف امتزجَ بإحساسٍ لا شَكَّ فيه من الفخر. منذ عامٍ واحدٍ كان صبيًّا، فماذا باتَ الآن؟

لمحَ حُرَّاس المعسكر راية عائلة ماندرلي -عريس بَحر أبيضَ يحمل رُمحًا ثلاثيًّا يَخرُج من بين أمواجٍ زرقاء مائلة إلى الخضرة- وحيُّوهم بترحاب، وقادوهم إلى بُقعةٍ عاليةٍ من الأرض جافَّة بما يكفي لإقامة المعسكر عليها. أمرَ السير وايليس بالتوقُّف هناك وبقيَ مع رجاله ليُشرِف على إشعال النَّار والعناية بالخيول، بينما تقدَّم أخوه وندل مع كاتلين وعمِّها ليُقَدِّم تحيَّة أبيهما للورد ولي أمرهم.

كانت التُّربة ليِّنةً مبتلَّةً تحت حوافر خيولهم، وتناثرَت من أسفلهم وهُم يَمُرُّون بحُفر النَّار وصفوف الخيول والعربات المحمَّلة بأكوامٍ من

الخُبز واللَّحم المملَّح، وفوق بروزٍ أرضيٍّ يرتفع على الرِّيف المحيط مَرُّوا بسُرادق لأحد اللوردات صُنِعَت جدرانه من قُماش الأشرعة الثَّقيل، وتعرَّفت كاتلين على راية عائلة هورنوود التي تُصَوِّر حيوان موظ بُنيًّا على خلفيَّةٍ برتقاليَّةٍ داكنة.

وراء السُّرادق، بين حُجُب الضَّباب، أبصرَت أسوار وأبراج خندق كايلن... أو ما تبقَّى منها بالأحرى. كانت قوالب البازلت الأسود الضَّخمة التي يُناهِز الواحد منها حجم الكوخ ساقطةً متناثرةً كالمكعَّبات الخشبيَّة التي يلعب بها الأطفال وتكاد تغوص في التُّربة الموحلة، ومن السُّور الذي كان يَبلُغ ارتفاع سور وينترفل نفسه فيما مضى لم يتبقَّ شيء آخَر، بينما اختفَت القلعة بالكامل وقد تعفَّنت الأخشاب التي شُيِّدَت بها منذ ألف عام دون أن تتبقَّى منها قطعة واحدة تُشير إلى المكان الذي كانت ترتفع فيه قديمًا. كلُّ ما ظَلَّ من معقل البَشر الأوائل القديم هو ثلاثة أبراج... ثلاثة من عشرين إذا صدَّقت حكايات الرُّواة.

كان بُرج البوَّابة سليمًا بما فيه الكفاية وعلى جانبيه ترتفع بضعة أقدامٍ من السُّور لم تتهاوَ بَعد، بينما مالَ بُرج درانكارد الواقف بعيدًا في المستنقع، حيث كان السُّور الجَنوبي يلتقي بالغَربي من قبل، كرجلٍ على وشك إفراغ ما في معدته من نبيذٍ في بالوعة، أمَّا بُرج الأطفال الطَّويل الرَّفيع، الذي تقول الأساطير إن أطفال الغابة قد وقَفوا عليه ذات يوم ليَطلُبوا من آلهتهم أن تُرسِل مطرقة المياه، فقد تهدَّم نِصف قمَّته كأن وحشًا عملاقًا قضمَ شُرفته العلويَّة وبصقَ الدَّبش في المستنقع. الأبراج الثَّلاثة كلها كانت مغطَّاةً بالطُّحلب الأخضر، بينما نمَت شجرة بين الأحجار على الجانب الشَّمالي من بُرج البوَّابة وقد كلَّلت فروعها الطَّويلة طبقة بيضاء لزجة من الطُّحلب الشَّبحي.

صاحَ السير برايندن لمَّا رأى ما يقبع أمامهم: «لترحمنا الآلهة. أهذا هو خندق كايلن؟ إنه ليس أكثر من...».

- «... مصيدة مميتة. أعرفُ كيف يبدو يا عمَّاه، والشَّيء نفسه خطرَ لي عندما رأيتُ المكان أول مرَّة، لكن ند أكَّد لي أن هذه الأطلال أقوى كثيرًا مما تبدو. الأبراج الثَّلاثة الباقية تُطِلُّ على الممرِّ المرتفع ولا مناص من مرور أيِّ عَدُوٍّ من بينها، والمستنقعات هنا غير قابلة للعبور لأنها ملأى بالرِّمال المتحرِّكة والدَّوَّامات وتَعُجُّ بالثَّعابين. كي يُهاجِم جيش ما أيًّا من الأبراج، عليه أن يخوض في الوحل الأسود الذي يرتفع حتى الخصر، ثم يَعبُر الخندق المليء بالأسود الزَّواحف، ويتسلَّق الجدران الزَّلقة من فرط الطَّحالب، كلُّ هذا والمُهاجِمون مكشوفون للأسهُم التي يُمطِرهم بها الرُّماة من البُرجين الآخرين»، وابتسمَت لعمِّها بتجهُّم مضيفةً: «ويقولون إن هناك أشباحًا هنا تَخرُج ليلًا، أرواح الشَّماليِّين الباردة المنتقمة المتعطِّشة لدماء الجَنوبيِّين».

قال السير برايندن ضاحكًا: «ذكِّريني ألَّا أبقى هنا طويلًا إذن، فحسب معلوماتي أني جَنوبيٌّ عن نفسي».

كانت الرَّايات مرفوعةً على الأبراج الثَّلاثة، راية كارستارك ذات الشَّمس المتفجِّرة على بُرج درانكارد تحت راية الذِّئب الرَّهيب، وراية أومبر ذات العملاق المتحرِّر من أغلاله على بُرج الأطفال تعلوها راية الذِّئب الرَّهيب أيضًا، بينما خفقت راية ستارك وحدها على بُرج البوَّابة الذي اتَّخذه روب مقرًّا له، وإلى هناك اتَّجهت كاتلين ووراءها السير برايندن والسير وندل وخيولهم تخطو ببُطءٍ على الممر المصنوع من الألواح الخشبيَّة الذي تَمَّ مَدُّه عبر الأرض الموحلة ذات اللَّونين الأخضر والأسود. وجدَت ابنها محاطًا باللوردات حمَلة راية أبيه في قاعةٍ مفتوحةٍ لتيَّارات الهواء اتَّقدت فيها النَّار في مُستوقَد أسودَ كبير. كان روب جالسًا إلى مائدةٍ حَجريَّةٍ ضخمةٍ تكوَّمت عليها الخرائط والأوراق أمامه وهو يتكلَّم باهتمامٍ مع رووس بولتون وچون الكبير، وفي البداية لم يُلاحِظ مجيئها، لكنَّ ذِئبه المتمدِّد إلى جوار المُستوقَد

فعلَ، ورفعَ رأسها إليها عندما دخلَت كاتلين القاعة لتلتقي عيناه الذَّهبيَّان بعينيها. لاذَ اللوردات بالصَّمت واحدًا تلو الآخَر، ودارَ روب برأسه على إثر الهدوء المفاجئ الذي سادَ القاعة، وبدهشةٍ شديدةٍ وصوتٍ مفعمٍ بالمشاعر قال: «أمِّي؟».

أرادَت كاتلين بشدَّةٍ أن تهرع إليه وتُقَبِّل جبهته وتحتويه بذراعيها فلا يمسُّه الضُّرُّ أبدًا، لكنها لم تجرؤ على أن تفعل هذا هنا في حضور اللوردات. إنه يلعب دور رجلٍ الآن وهي لا تستطيع أن تُفسِد هذه الصُّورة، وهكذا كبحَت رغبتها ووقفَت ثابتةً عند الطَّرف الآخَر من لوح البازلت الذي يستخدمونه كمائدة، بينما نهضَ جراي ويند -الذي صارَ أضخم حجمًا بكثير من آخِر مرَّةٍ رأته فيها- وقطعَ القاعة نحوها ليتشمَّم يدها، وقالت لروب: «أرى أنك أطلقت لحيتك».

تحسَّس ابنها لحيته القصيرة ذات الشَّعر الأكثر احمرارًا من ذلك الذي على رأسه، وغمغمَ: «نعم».

قالت وهي تتحسَّس رأس الذِّئب بلُطف: «إنها تروق لي، تجعلك شبيهًا بأخي إدميور». عضعضَ جراي ويند أصابعها مُداعِبًا ثم عادَ إلى مكانه عند المُستوقَد.

كان سير هلمان تولهارت أول من تبعَ الذِّئب عبر القاعة ليُقَدِّم لها التحيَّة، وركعَ أمامها ضاغطًا جبهته بيدها وقال: «ليدي كاتلين، تبدين جميلةً كالمعتاد، تَسُرِّين الأنظار في هذه الأوقات العصيبة»، وتبعه الأخوان جالبارت وروبت جلوفر، ثم چون أومبر الكبير والبقيَّة واحدًا واحدًا، وركعَ ثيون جرايچوي أمامها بَعد الجميع قائلًا: «لم أتوقَّع أن أراكِ هنا إطلاقًا يا سيِّدتي».

قالت كاتلين: «ولا أنا توقَّعتُ أن آتي إلى هنا كذلك حتى نزلتُ في الميناء الأبيض وأخبرَني اللورد وايمان بأن روب قد استدعى الرَّايات. لا بُدَّ أنكم تعرفون ابنه السير وندل». تقدَّم وندل ماندرلي وانحنى بقَدر

ما يسمح جسده الضَّخم، وواصلَت كاتلين: «وعمِّي السير برايندن تَلي الذي تركَ خدمة أختي وانضمَّ لخدمتي».

- «السَّمكة السَّوداء»، قال روب. «أشكرك على انضمامك إلينا يا سيِّدي، فنحن في حاجةٍ إلى رجالٍ في شجاعتك. وأنت يا سير وندل، يُسعِدني وجودك هنا كذلك. هل السير رودريك معك أيضًا يا أمَّاه؟ لقد افتقَدته كثيرًا».

- «السير رودريك في طريقه شَمالًا من الميناء الأبيض. لقد عيَّنته أمينًا للقلعة وأمَرته بقيادة وينترفل حتى نعود. المِايستر لوين مستشار حكيم، لكنه لا يملك خبرةً في فنون الحرب».

قال لها چون الكبير بصوته الجهير: «لا تقلقي على وينترفل يا سيِّدتي، إنها آمنة. قريبًا جدًّا سنَدُسُّ سيوفنا في دُبر تايوين لانستر -سامحيني على التَّعبير- وبَعدها سنتَّجه إلى القلعة الحمراء مباشرةً لنُحَرِّر ند».

- «لديَّ سؤال بَعد إذنكِ يا سيِّدتي». كان رووس بولتون سيِّد القلعة المعروفة باسم "معقل الخوف" يتكلَّم بصوتٍ خفيضٍ دائمًا، لكن حتى الأكبر منه حجمًا كانوا يلوذون بالصَّمت ليُصغوا إليه كلما قال شيئًا. كانت عيناه شاحبتين تمامًا وأقرب إلى أن تكونا بلا لونٍ على الإطلاق، ونظراتهما تُثير التوتُّر. «يقولون إنكِ أسرتِ ابن اللورد تايوين القزم، فهل جئتِ به معكِ؟ أؤكِّدُ لكِ أننا نستطيع استغلال رهينةٍ مِثله أفضل استغلال».

- «تيريون لانستر كان أسيري بالفعل، لكنه لم يَعُدْ كذلك»، قالت كاتلين مُجبَرَةً على الاعتراف لتتعالى جوقة من الدَّهشة والغضب من الموجودين لدى سماع الخبر. «إنني لستُ مسرورةً بهذا مِثلكم تمامًا أيها السَّادة، لكن الآلهة ارتأت أن يتحرَّر بمساعدةٍ من أختي الحمقاء». كانت تعرف وهي تتكلَّم أن من الواجب ألَّا تُبدي غضبها هكذا، لكن رحيلها من "العُش" لم يكن سارًّا على الإطلاق بَعد أن تجرَّأت على أن تعرض على أختها أن تأخذ اللورد روبرت الصَّغير معها ليتربَّى في وينترفل لبضع

سنوات، فوجود أولادٍ آخَرين في صُحبته سيكون مفيدًا له. كانت غضبة لايسا مخيفةً حقًّا، وردَّت على كاتلين قائلةً: «سواء كنتِ أختي أم لا، إذا حاولتِ أن تسرقي ابني مني، ستُغادِرين من باب القَمر»، ولم يَعُدْ هناك ما يُقال بَعدها.

كان اللوردات متلهِّفين على إلقاء المزيد من الأسئلة عليها، لكن كاتلين رفعَت يدها قائلةً: «لا شَكَّ أن لدينا الوقت لكلٍّ هذا لاحقًا، لكن رحلتي أعيَتني حقًّا وأريدُ أن أتكلَّم مع ابني وحدنا. أعرفُ أنكم ستغفرون لي أيها السَّادة». لم تَترُك لهم كلماتها الخيار، وانحنى حمَلة الرَّاية وغادَروا تباعًا يتقدَّمهم اللورد هورنوود المطيع دائمًا. أضافَت عندما رأت جرايچوي ثابتًا في مكانه إلى جوار روب: «أنت أيضًا يا ثيون»، فابتسمَ الصَّبي الأسمر وتركَهما وحدهما.

على المائدة كان هناك جُبن ومِزر، فالتقطَت كاتلين قرن شرابٍ وجلسَت راشفةً منه وهي تَرمُق ابنها بإمعان. بدا لها أطول قامةً مما كان عندما رحلَت، وجعلَته لحيته النَّابتة يبدو أكبر من عُمره الحقيقي. «إدميور كان في السَّادسة عشر عندما أطلقَ شاربه للمرَّة الأولى».

قال روب: «سأبلغُ السَّادسة عشر قريبًا».

- «والآن أنت في الخامسة عشر، في الخامسة عشر وتقود جيشًا إلى الحرب. هل تتفهَّم سبب خوفي إذن يا روب؟».

أجابَ بعناد: «لم يكن هناك أحد آخَر».

- «لا أحد على الإطلاق؟ قُل لي إذن، من يكون هؤلاء الرِّجال الذين رأيتهم هنا منذ لحظات؟ رووس بولتون، ريكارد كارستارك، روبت وجالبارت جلوفر، چون الكبير، هلمان تولهارت... كان بإمكانك أن تُعطي القيادة لأيٍّ منهم. بحقِّ الآلهة كان بإمكانك أن تُعطيها لثيون حتى، رغم أني لم أكن لأختاره».

قال روب: «إنهم ليسوا من آل ستارك».

- «إنهم رجال بالغون يا روب، رجال عركتهم الحروب، بينما كنت أنت تُقاتِل بسيفٍ خشبيٍّ منذ أقلّ من عامٍ واحد».

لمحَت الغضب في عينيه عندما قالتْ هذا، لكنه سرعان ما تلاشى كما ظهرَ، وفجأةً عاد روب صبيًّا صغيرًا يقول بارتباك: «أعرفُ هذا. هل... هل ستُعيدينني إلى وينترفل؟».

تنهَّدت كاتلين وقالت: «حريٌّ بي أن أفعل هذا، فما كان يَجدُر بك أن تُغادِر أصلًا، لكني لا أجرؤُ على هذا، ليس الآن. لقد قطعت شوطًا طويلًا بالفعل، وسيأتي يوم يتطلَّع فيه بعض هؤلاء اللوردات إليك بصفتك ولي أمرهم، فإذا أعدتك إلى وينترفل الآن كطفلٍ تُرسِله أمُّه إلى فِراشه بلا عشاء، سيتذكَّرون هذا ويتضاحَكون عليه وهُم يشربون نبيذهم. سيأتي يوم تكون فيه في حاجةٍ إلى احترامهم، بل وخشيتهم لك بعض الشَّيء كذلك، والضَّحك سُمُّ الخوف. لا، لن أفعل هذا بك على الرغم من رغبتي المحمومة في الحفاظ على سلامتك».

- «لكِ شُكري يا أمَّاه»، قال وقد لاحَ الارتياح في نبرته الرَّسميَّة رغمًا عنه.

مدَّت يدها عبر المائدة وتحسَّست شَعره قائلةً: «أنت ابني البِكر يا روب، وليس عليَّ إلَّا أن أتطلَّع إليك لأتذكَّر يوم جئت إلى العالم أحمرَ الوجه صارخًا».

نهضَ وقد أشعرَته لمستها بالارتباك وسارَ إلى المُستوقَد حيث حَكَّ جراي ويند رأسه بساقه وهو يقول: «هل تعرفين ما... ما حدثَ لأبي؟».

- «نعم». كان خبر وفاة روبرت المفاجئة وسقوط ند قد أرعبَها أكثر مما تستطيع التَّعبير، لكنها لم ترغب في أن يَشعُر ابنها بخوفها، وقالت: «اللورد ماندرلي أخبرَني عندما نزلتُ في الميناء الأبيض. هل هناك أيُّ أخبار عن أختيك؟».

أجابَ روب وهو يَفرُك جراي ويند تحت الفَك: «جاءَتني رسالة،

وأخرى لكِ كذلك، لكنها ذهبَت إلى وينترفل مع رسالتي»، وذهبَ إلى المائدة ليُنَقِّب بين أكوام الأوراق والخرائط، ثم عادَ بالرَّق المجعَّد قائلًا: «هذه رسالتها لي، لكني لم أفكِّر في إحضار رسالتكِ معي».

شيء ما في نبرة روب أزعجَها، وفردَت الورقة وبدأت تقرأ ليُفسِح الانزعاج على ملامحها الطَّريق للذُّهول ثم الغضب وأخيرًا الخوف. قالت عندما فرغَت من القراءة: «هذه كلمات سرسي وليس أختك. الرِّسالة الحقيقيَّة تَكمُن في ما لم تقله سانزا، وكلُّ هذا الكلام عن معامَلة آل لانستر الكريمة لها... إنني أعرفُ وقع التَّهديد ولو قيلَ همسًا. سانزا رهينة لديهم وينوون الاحتفاظ بها».

قال روب ببؤس: «ليس هناك ذِكر لآريا».

- «كلا». لم تكن ترغب في التَّفكير فيما قد يعنيه هذا، ليس الآن، ليس هنا.

- «كنتُ آملُ أن... لو كنتِ احتفظتِ بالعِفريت، كنتُ آملُ في إجراء تبادُل للرَّهائن»، وأخذَ رسالة سانزا وكوَّرها في قبضته بطريقةٍ أوحَت لها أن هذه ليست المرَّة الأولى التي يفعل فيها هذا. «هل هناك أخبار من "العُش"؟ لقد كتبتُ إلى الخالة لايسا طالبًا مُساعَدتها. هل استدعَت رايات اللورد آرن؟ هل سينضمُّ فُرسان "الوادي" إلينا في القتال؟».

- «واحد منهم فقط، أفضلهم على الإطلاق، عمِّي... لكن برايندن السَّمكة السَّوداء من أبناء تَلي أولًا وأخيرًا، أمَّا أختي فلا تنوي التحرُّك بَعد البوَّابة الدَّامية».

كان وقع الخبر عليه مزعجًا، وقال: «ماذا سنفعل يا أمِّي؟ لقد حشدتُ هذا الجيش، ثمانية عشر ألف رجل، لكني... لستُ واثقًا من...». بترَ عبارته ونظرَ إليها بعينين تلمعان وقد غابَ اللورد الصَّغير المعتدُّ بنفسه في لحظةٍ وعادَ من جديدٍ طفلًا، صبيًّا في الخامسة عشر من عُمره يتطلَّع إلى أمِّه منتظرًا منها الجواب.

ولن يَصلُح هذا على الإطلاق.

بحنانٍ سألته: «مِمَّ تخاف يا روب؟».

- «إنني...»، وأشاحَ برأسه بعيدًا ليُخفي الدَّمعة التي سالت مع عينه عنها. «إذا زحَفنا... وحتى إذا فُزنا، فما زال آل لانستر يحتجزون سانزا وأبي. سيقَتُلونهما، أليس كذلك؟».

- «إنهم يُريدوننا أن نعتقد هذا».

- «تقصدين أنهم يكذبون؟».

- «لا أدري يا روب. ما أعرفه أنك لا تملك الخيار. إذا ذهبت إلى كينجز لاندنج وأقسمت بالولاء فلن يسمحوا لك بالعودة من هناك أبدًا، وإذا ولَّيت الأدبار وانسحبت إلى وينترفل سيفقد لورداتك كلَّ احترام لك، بل وقد ينضمُّ بعضهم إلى آل لانستر كذلك، وحينها ستستطيع المَلكَة أن تفعل ما تشاء برهينتيها وقد تضاءَل ما يدعوها للقلق كثيرًا. أملنا الأفضل، بل أملنا الحقيقي الوحيد، هو أن تهزم العَدُوَّ في ميدان المعركة، وإذا استطعت أن تأسر اللورد تايوين أو قاتِل المَلك، ستكون مبادَلة الرَّهائن ممكنةً جدًّا عندئذٍ، لكن هذا ليس قلب المسألة. طالما أثبتَّ أنك تتمتَّع بقوَّةٍ كافيةٍ لإثارة خوفهم منك، سيظلُّ ند وأختك في أمان، وسرسي تملك ما يكفي من الحكمة لتعرف أنها قد تحتاجهما لتُقيم السَّلام إذا انقلبَت المعركة عليها».

- «وماذا لو لم تنقلب المعركة عليها؟ ماذا لو انقلبَت علينا نحن؟».

أمسكَت كاتلين يده وقالت: «روب، لن ألطِّف وقع الحقيقة عليك. إذا خسرت، فلا أمل لأيٍّ منا. يقولون إنه ليس هناك غير الحَجر في قلب كاسترلي روك، وتذكَّر مصير طفلي ريجار».

لحظتها رأت الخوف في عينيه اللتين لم تريا كثيرًا من الدُّنيا، وإن رأت فيهما قوَّة كذلك، وقال روب بحزم: «لن أخسر إذن».

كانت ترغب في معرفة إن كان مستعدًّا حقًّا، فقالت: «حدِّثني عن القتال الدَّائر في أراضي النَّهر».

قال روب: «منذ أقلِّ من أسبوعين دارَت معركة في التِّلال الواقعة قبل النَّاب الذَّهبي. كان الخال إدميور قد أرسَل اللورد ڤانس واللورد پايپر للدِّفاع عن الممر، لكن قاتِل المَلك باغَتهما بالهجوم وأجبرَهما على التَّراجُع. سقطَ اللورد ڤانس صريعًا، وآخِر ما سمعناه عن اللورد پايپر أنه انسحبَ لينضمَّ إلى أخيكِ وبقيَّة حمَلة الرَّاية في ريڤرزَن وچايمي لانستر في أعقابه. لكن هذا ليس أسوأ ما حدثَ، فأثناء القتال الدَّائر على الممر كان اللورد تايوين يقود جيشًا ثانيًا من الجَنوب، ويقولون إنه أكبر من جيش چايمي. لا بُدَّ أن أبي كان يعرف هذا، لأنه أرسلَ بعض الرِّجال لمُواجَهتهم تحت راية المَلك نفسه. أعطى القيادة للورد جَنوبيٍّ ما، اسمه إريك أو دريك أو ما شابه، لكن السير رايمون داري كان معهم، وقالت الرِّسالة إن هناك فُرسانًا آخَرين كذلك، بالإضافة إلى قوَّةٍ من حَرس أبي... المشكلة أنه كان فخًّا، فلم يكد اللورد دريك يَعبُر فرع الثَّالوث الأحمر حتى انقضَّ عليه جنود لانستر ولتذهب راية المَلك إلى الجحيم، وهاجَمهم جريحور كليجاين من المؤخِّرة وهُم يُحاوِلون الانسحاب عبر مخاضة الممثِّلين. قد يكون هذا اللورد دريك وحفنة من الآخَرين قد فرُّوا لكن لا أحد متأكِّدًا، لكن السير رايمون قُتِلَ مع معظم رجالنا من وينترفل. يقولون كذلك أن اللورد تايوين قد أغلقَ طريق الملوك، والآن يزحف شَمالًا صوب هارنهال حارقًا كلَّ شيءٍ في طريقه».

من نبأٍ سيِّئ إلى نبأٍ أسوأ، قالت كاتلين لنفسها وقد صدمَتها الأحداث التي لم تتوقَّعها، ثم سألته: «هل تنوي مُواجَهته هنا؟».

قال روب: «إذا جاءَ إلى هنا، نعم، لكن لا أحد يعتقد أنه سيفعل. لقد أرسلتُ تعليماتي إلى هولاند ريد، صديق أبي القديم في قلعة المياه الرَّماديَّة. إذا حاولَ جيش لانستر عبور "العُنق"، سيجعلهم رجال المستنقعات ينزفون مع كلِّ خطوةٍ يقطعونها، لكن جالبارت جلوڤر يقول إن اللورد تايوين أذكى من أن يُحاوِل هذا، ورووس بولتون يتَّفق معه.

لا بُدَّ أنه سيظلُّ بالقُرب من الثَّالوث ليستولي على قلاع لوردات أراضي النَّهر واحدةً تلو الأخرى حتى تتبقَّى ريفررَن وحدها. يجب أن نزحف جَنوبًا لنُواجِهه هناك».

أثارَت الفكرة خوف كاتلين حتى النُّخاع. ما فُرصة صبيٍّ في الخامسة عشر من العُمر أمام قائدين حربيَّين محنَّكَيْن مِثل چايمي وتايوين لانستر؟ «أهذا تصرُّف حكيم؟ أنت متمركز في مكانٍ قويٍّ هنا، حتى أنهم يقولون إن ملوك الشَّمال القدامى كانوا يثبتون في خندق كايلن ويَصُدُّون جيوشًا أكبر عددًا من جيوشهم عشر مرَّات».

- «نعم، لكن ما لدينا من طعامٍ ومؤن يتناقَص باضطراد، كما أننا لسنا في أرضٍ يُمكننا أن نقتات منها بسهولة. كنا ننتظر وصول اللورد ماندرلي، وينبغي أن نتحرَّك الآن وقد انضمَّ ابناه إلينا».

أدركَت لحظتها أنها تسمع اللوردات حمَلة الرَّاية يتكلَّمون بصوت ابنها، فقد استضافَت كثيرين منهم على مَرِّ السِّنين في وينترفل، كما حلَّت مع ند ضيفين عليهم في مناسَباتٍ عديدةٍ حتى صارَت تعرف جيِّدًا أيَّ نوعٍ من الرِّجال هُم بلا استثناء، وتساءَلت الآن إن كان روب يعرف بدوره.

على أن كلامهم لم يخلُ من التعقُّل والحكمة، فالجيش الذي حشدَه ابنها لم يكن جيشًا نظاميًّا بالمعنى المعروف في المُدن الحُرَّة مثلًا، ولا قوَّةً من الحَرس المأجورين، والسَّواد الأعظم منه يتكوَّن من العامَّة الذين يتنوَّعون بين المُزارِعين وعُمَّال الحقول والصيَّادين ورعاة الماشية وأبناء أصحاب الحانات والتُّجَّار ودابغي الجلود، بالإضافة إلى قلَّةٍ قليلةٍ من المُرتَزِقة والمُحارِبين غير النِّظاميِّين الجائعين لنهب الغنائم. عندما يُناديهم سادتهم يُلَبُّون النِّداء... لكن ليس إلى الأبد. قالت كاتلين لابنها: «لا بأس بالتحرُّك، لكن إلى أين بالضَّبط ولأيِّ غرض؟ ماذا تنوي أن تفعل؟».

تردَّد روب قليلًا قبل أن يُجيب: «چون الكبير يقول إن علينا أن نأخذ المعركة إلى اللورد تايوين ونُباغِته، لكن آل جلوڤر وآل كارستارك يرون

أن من الأحكم أن ندور حول جيشه لننضمَّ إلى الخال إدميور في قتاله ضد قاتِل المَلك»، ومرَّر أصابعه في شَعره الكستنائي الأشعث وقد بدَت عليه التَّعاسة، وأضافَ: «على الرغم من أننا سنصل إلى ريڤررَن بَعد أن... لستُ واثقًا...».

- «كُن واثقًا إذن»، قالت كاتلين لابنها بحزم. «أو عُد إلى وينترفل وقاتِل بالسَّيف الخشبي من جديد. لا يُمكنك أن تبدو متردِّدًا أمام رجالٍ مثل رووس بولتون وريكارد كارستارك. يجب أن تفهم هذا يا روب: هؤلاء حمَلة رايتك وليسوا أصدقاءك. لقد نصَّبت نفسك قائدًا عليهم، فقُد».

رمقَها ابنها بنظرةٍ حائرةٍ كأنه لم يستوعب ما يسمعه، وقال: «كما تقولين يا أمِّي».

- «سأسألك ثانيةً، ماذا تنوي أن تفعل؟».

بسطَ روب خريطةً على المائدة، قطعةً مهترئةً من الجِلد القديم مغطَّاةً بخطوطٍ من الطِّلاء الباهت تجعَّد أحد أطرافها من لفِّتها، فثبَّته روب بخنجره قائلًا: «كلتا الخُطَّتين لها مزاياها، لكن... انظري، إذا حاوَلنا الدَّوران حول جيش اللورد تايوين فإننا نُجازِف بالوقوع بينه وبين جيش قاتِل المَلك، وإذا هاجَمناه... التَّقارير كلها تقول إن لديه رجالًا أكثر مما لديَّ، بالإضافة إلى خيولٍ مدرَّعةٍ أكثر كذلك، لكن چون الكبير يقول إن هذا لن يُشَكِّل فارقًا إذا هاجَمناه على حين غرَّة، بينما رأيي أن مُباغَتتة رجلٍ خاضَ عددًا كبيرًا من المعارك مثل اللورد تايوين لن تكون بتلك البساطة».

- «عظيم»، قالت وهي تسمع صدى صوت ند في كلماته وهي تجلس هناك متطلِّعةً إلى الخريطة. «ماذا هناك أيضًا؟».

- «سأتركُ قوَّةً صغيرةً هنا للدِّفاع عن خندق كايلن، رماة غالبًا، وأتحرَّك على الممرِّ المرتفع، لكن بمجرَّد أن نَعبُر "العُنق" سأقسِّمُ قوَّاتنا إلى نِصفين، فيُتابع المُشاة الزَّحف على طريق الملوك، بينما يَعبُر الخيَّالة

الفرع الأخضر عند "التَّوأمتين"»، وأشارَ إلى الخريطة مُواصِلًا: «وعندما يَبلُغ اللورد تايوين خبر زحفنا جَنوبًا سيتحرَّك بدوره شَمالًا للقاء جيشنا الأساسي، ما يُعطي خيَّالتنا الحُريَّة ليُسارِعوا بالتحرُّك على الضفَّة الغربيَّة إلى ريفرِرَن». ختمَ روب كلامه وتراجعَ في مقعده لا يجرؤ على الابتسام لكن مسرورًا بنفسه ومتطلِّعًا إلى استحسانها.

قطَّبت كاتلين جبينها وأشارَت إلى الخريطة قائلةً: «لكنك تضع النَّهر بين نِصفي جيشك بهذه الطَّريقة».

قال بحماسةٍ وقد ارتسمَت الابتسامة على وجهه أخيرًا: «وبين چايمي واللورد تايوين. ليست هناكَ وسيلة لعبور الفرعِ الأخضر فوق مخاضة الياقوت التي فازَ فيها روبرت بالتَّاج حتى "التَّوأمتين"، واللورد فراي يتحكَّم في هذا الجسر. إنه من حمَلة راية أبيكِ، أليس كذلك؟».

اللورد فراي المتلكِّئ. «بلى، لكن أبي لم يثق به قَطُّ، ولا ينبغي أن تثق به كذلك».

قال روب: «لن أفعل. لكن ما رأيكِ؟».

رغمًا عن نفسها وجدَت أنها تَشعُر بالإعجاب بالفعل. *يحمل ملامح آل تَلي، لكنه ابن أبيه بكلِّ تأكيد، وند أحسنَ تعليمه حقًّا.* «أيَّ القوَّتين ستقود؟».

- «الخيَّالة»، أجابَ من فوره ليبدو مِثل أبيه أكثر وأكثر، فدائمًا ما يَسلُك ند الطَّريق الأخطر بنفسه.

- «والقوَّة الأخرى؟».

- «چون الكبير مُصِرٌّ على أننا ينبغي أن نسحق جيش اللورد تايوين، فخطرَ لي أن أمنحه هذا الشَّرف».

كانت هذه أول زلَّةٍ له، لكن كيف تجعله يرى هذا دون أن تجرح ثقته الغِرَّة؟ «قال لي أبوك ذات مرَّةٍ إن چون الكبير من أكثر الرِّجال الذين لا يعرفون الخوف الذين عرفَهم في حياته كلها».

ابتَسمَ روب قائلًا: «جراي ويند التهم اثنين من أصابعه وكانت ردَّة فعله هي الضَّحك! هل تتَّفقين معي إذن؟».

قالت كاتلين: «أبوك يُصاب بالخوف، لكنه شجاع، وهذه مسألة مختلفة تمامًا».

فكَّر ابنها قليلًا ثم قال باهتمام: «الجيش الشَّرقي سيكون الشَّيء الوحيد الذي يقف بين اللورد تايوين وويترفل، بالإضافة إلى الرُّماة الذين سأتركهم هنا في "الخندق"، لذا فإنني لستُ في حاجةٍ إلى أحدٍ بلا خوف، أليس كذلك؟».

- «نعم، فأنت في حاجةٍ إلى المكر المحض أكثر من الشَّجاعة في رأيي».

غمغمَ روب: «رووس بولتون. هذا الرَّجل يُخيفني».

- «لنأمل إذن أن يُخيف تايوين لانستر كذلك».

أومأ روب برأسه وطوى الخريطة قائلًا: «سأعطي الأوامر إذن، وسأجمعُ قوَّةً تصحبك إلى وينترفل».

كانت كاتلين تُكافِح طوال الوقت لكي تبقى قويَّةً في سبيل ند وفي سبيل ابنهما الشُّجاع العنيد هذا، ونحَّت الخوف واليأس جانبًا كأنهما ثوبان اختارَت ألَّا ترتديهما... لكنها رأت الآن أنها ارتدَتهما بالفعل. سمعَت نفسها تقول: «لن أذهب إلى وينترفل»، وغمرَتها الدَّهشة من الدُّموع التي أغرقَت عينيها فجأةً وشوَّشت رؤيتها. «أبي يحتضر وراء أسوار ريفررَن، وأخي مُحاصَر بالأعداء، ويجب أن أذهب إليهما».

تيريون

كانت تشلا بنت تشيك كبير قبيلة الآذان السَّوداء قد سبقَتهم للاستطلاع، وهي من عادَت بخبر الجيش الموجود على مفترَق الطُّرق، وقالت: «أحصيتُ ما يَقرُب من عشرين ألفًا من الجنود بناءً على النَّار التي أشعلوها. راياتهم حمراء وعليها أسد ذهبي».

سأله برون: «أبوك؟».

قال تيريون: «أو أخي چايمي. سنعرف قريبًا». تطلَّع إلى ثُلَّته المهلهلة من اللُّصوص وقاطعي الطَّريق، نحو ثلاثمئة رجلٍ من قبائل الغِربان الحَجريَّة وإخوة القَمر والآذان السَّوداء والرِّجال المحروقين، وهؤلاء مجرَّد بذرةٍ للجيش الذي يأمل في حشده، فجونثر بن جورن كان يجمع بقيَّة القبائل الآن بالفعل. تساءلَ تيريون عن رأي أبيه فيهم عندما يراهم يرتدون جلود الحيوانات ويحملون الأسلحة المسروقة من هنا وهناك، والحقيقة أنه هو نفسه لم يستطِع حتى الآن أن يُكوِّن رأيًا فيهم. أهو قائدهم أم أسيرهم؟ كان يَشعُر بأنه هذا وذاك في آنٍ واحدٍ أغلب الوقت. قال لهم: «من الأفضل أن أذهب إليهم وحدي».

- «أفضل لتيريون بن تايوين»، قال أولف الذي يتحدَّث نيابةً عن إخوة القَمر.

قطَّب شاجا جبينه بشدَّةٍ ليُصبِح منظره مخيفًا أكثر مما هو بالفعل،

وقال: «شاجا بن دولف لا يروق له هذا. شاجا سيذهب مع الرَّجل الصَّبي، وإذا كذبَ الرَّجل الصَّبي سيقطع شاجا ذَكره و...».

- «... ويُطعِمه للماعز، نعم»، قال تيريون بسأم. «شاجا، إنني أعطيك كلمتي باعتباري من آل لانستر أنني سأعودُ».

كانت تشلا امرأةً قصيرةً لكن قويَّةً، نهداها صغيران للغاية حتى بدَت كأنها تملك صدر رجل، وليست بالحمقاء. «ولِمَ نثق بكلمتك؟ كثيرًا ما كذبَ سادة الأراضي المنخفضة على القبائل من قبل».

قال تيريون: «إنكِ تجرحينني يا تشلا وقد حسبتُ أننا صرنا صديقين مقرَّبين، لكن كما تشائين. ستذهبين معي، وشاجا بن كون نيابةً عن الغِربان الحَجريَّة، وأولف عن إخوة القَمر، وتيميت بن تيميت عن الرِّجال المحروقين». تبادلَ رجال القبائل نظراتٍ حذرةٍ وهو ينطق أسماءهم، بينما تابعَ هو: «سيبقى الآخَرون هنا حتى أُرسِلُ إليهم. حاوِلوا ألَّا تَقتُلوا وتُشَوِّهوا بعضكم بعضًا في غيابي»، ووكزَ حصانه وانطلقَ به تاركًا لهم الاختيار بين أن يتبعوه أو يبقوا في مكانهم، ولم يكن يُمانِع أن يختاروا هذا أو ذاك حقًّا، بشرط ألَّا يجلسوا ويستغرقوا يومًا وليلةً في الكلام. كانت هذه هي مشكلة قبائل الجبال، فكرتهم السَّخيفة عن ضرورة سماع رأي كلِّ رجلٍ في مجلسهم، وهكذا يتكلَّمون ويتكلَّمون بلا نهاية، وحتى نساؤهم مسموح لهنَّ بالكلام، فلا عجب إذن في أن مئات السِّنين قد مرَّت منذ شكَّلوا تهديدًا حقيقيًّا لوادي آرن باستثناء غارةٍ صغيرةٍ هنا أو هناك بين الحين والآخَر؛ وكان تيريون ينوي تغيير هذا.

انطلقَ برون معه ومن ورائه -بَعد ثرثرةٍ سريعة- رجال القبائل الخمسة على خيولهم الهزيلة المُتعَبة التي تبدو كالمهور الصَّغيرة وتتدافَع صاعدةً الحواجز الصَّخريَّة كالماعز.

تحرَّك رجلا الغِربان الحَجريَّة معًا، وظلَّت تشلا على مقربةٍ من أولف كذلك بحُكم الأواصر القويَّة التي تربط بين إخوة القَمر والآذان السَّوداء،

بينما تحرَّك تيميت بن تيميت وحده. كانت كلُّ قبيلة في جبال القَمر تخاف الرِّجال المحروقين الذين يُميتون جِلدهم بتعريضه للنَّار لإثبات شَجاعتهم ويشوون الرُّضَّع في ولائمهم (كما قال الآخَرون)، وحتى الرِّجال المحروقون أنفسهم كانوا يخافون تيميت الذي خزقَ عينه اليُسرى بنفسه بسكِّينٍ شديد السُّخونة عندما وصلَ إلى سِنِّ البلوغ. استنتجَ تيريون أنه من المتعارَف عليه أن يحرق الصَّبي البالغ حلمةً أو إصبعًا أو أُذنًا حتى (إذا كان شُجاعًا حقًّا أو مجنونًا حقًّا). أصيبَ الرِّجال المحروقون بالرُّعب من اختيار تيميت لعينه، حتى أنهم أطلَقوا عليه لقب "اليد الحمراء"، وهو لقب ما يُطلَق على القادة الحربيِّين لديهم على ما يبدو.

قال تيريون لبرون عندما سمعَ هذه الحكاية: «تُرى ماذا أحرقَ مَلكهم؟»، فابتسمَ المُرتَزِق ووضعَ يده على قضيبه... لكن حتى برون كان يتكلَّم باحترامٍ في حضور تيميت، فإذا كان الرَّجل مجنونًا بما يكفي لأن يخزق عينه بنفسه، فمن المستبعَد أنه سيُعامِل أعداءه بأيِّ نوعٍ من الرِّقَّة.

لاحَ الحُرَّاس البعيدون في أبراجٍ من الحجارةِ غير المملَّطة بينما تقدَّمت مجموعته بين التِّلال، ولمحَ تيريون غُدافا يُحلِّق من هناك، وأخيرًا بلَغوا النُّقطة القويَّة الأولى حيث يلتوي الطَّريق العالي بين بروزين صخريَّين. كان ساترٍ ترابي واطئ يَسُدُّ الطَّريق بينما تُحَصِّن دستة من حاملي القوس والنُّشَّاب المرتفَعات المحيطة، فأوقفَ تيريون مجموعته خارج مدى السِّهام وتقدَّم وحده صائحًا: «من القائد هنا؟».

ظهرَ القائد بسرعة، وبسرعةٍ أكبر مدَّهم بفِرقةٍ من الحَرس عندما تعرَّف على ابن سيِّده، وتحرَّكوا بخيولهم مارِّين بحقولٍ مسودَّة ومعاقل محترقةٍ متهدِّمة في طريقهم إلى أراضي النَّهر وفرع الثَّالوث الأخضر. لم يرَ تيريون جثثًا، لكن الهواء كان يَعُجُّ بالغِدفان والغِربان آكلة الجيفة، فأدركَ أن قتالًا قد دارَ هنا مؤخَّرًا.

على بُعد نِصف فرسخٍ من مفترَق الطُّرق أقيمَ متراس من الحراب

المشحوذة تقف خلفه مجموعة من حاملي الرِّماح والرُّماة، ومن ورائه امتدَّ المعسكر على مدى البصر. خيوط رفيعة من الدُّخَّان كانت تتصاعَد من مئاتٍ من حُفر النَّار، بينما جلسَ الرِّجال في قمصان الحلقات المعدنيَّة يشحذون سيوفهم تحت الأشجار، وخفقت الرَّايات المألوفة على سَوارٍ مغروسةٍ في الأرض الموحلة. تقدَّمت فِرقة من الخيَّالة للتحقُّق من أمرهم عندما اقترَبوا من المتراس، وعلى رأسها فارس يرتدي دِرعًا من الفضَّة المرصَّعة بأحجار الجَمَشْت ومعطفًا مخطَّطًا بالأرجواني والفضِّي، يحمل تُرسًا عليه رمز اليونيكورن ويضع على رأسه خوذةً على شكل رأس حصان يبرز منها قرن لولبي يرتفع قدمين كاملين. جذبَ تيريون عِنان حصانه ليُحَيِّيه قائلًا: «سير فليمنت».

رفعَ السير فليمنت براكس مقدِّمة خوذته وقال بدهشة: «تيريون؟ سيِّدي، لقد خشينا كلنا أنك مُتَّ أو...»، ورمقَ رجال القبائل بريبةٍ قائلًا: «رفاقك هؤلاء...».

قال تيريون: «أصدقاء حميمون ورفاق مُخلِصون. أين أجدُ السيِّد والدي؟».

- «لقد اتَّخذ الخان الواقع على مفترَق الطُّرق مقرًّا له».

ضحكَ تيريون. الخان الواقع على مفترَق الطَّريق! لعلَّ الآلهة عادلة رغم كلِّ شيء. «سأذهبُ إليه في الحال».

- «كما تأمر يا سيِّدي»، ودارَ السير فليمنت بحصانه وصاحَ في رجاله آمرًا، فرُفِعَت ثلاثة صفوف من الحراب من الأرض لإفساح الطَّريق لتيريون ومن معه، وقادَهم القزم إلى الدَّاخل.

امتدَّ معسكر اللورد تايوين على مسافةٍ شاسعة، وخطرَ لتيريون أن تقدير تشلا لعددهم بعشرين ألفًا لم يكن مخطئًا. خيَّم العامَّة في العراء، بينما نَصَّبَ الفُرسان الخيام، وبعض كبار اللوردات أقام سُرادقاتٍ ضخمة كأنها منازل. رأى تيريون بين الرَّايات المختلفة ثور آل پرستر الأحمر

وخنزير اللورد كراكهول البرِّي الرَّمادي المخطَّط وشجرة آل ماربراند المحترقة وغُرَير آل ليدن، وحيَّاه الفُرسان وهو يَمُرُّ بهم على ظَهر حصانه، وحدَّق الرِّجال المسلَّحون في رجال القبائل بدهشةٍ جليَّة.

وكان شاجا يُحَدِّق فيما حوله بدوره، فلا مجال للشَّكِّ في أنها المرَّة الأولى التي يرى فيها كلَّ هذا العدد من الجنودِ والخيول والأسلحة في حياته كلها، بينما حافظَ بقيَّة لصوص الجبال على ثبات ملامحهم، وإن كان تيريون واثقًا من شعورهم بالرَّهبة مما يرون، وهذا أفضل كثيرًا، فكلما أثارَت قوَّة آل لانستر انبهارهم أكثر كانت قيادتهم أسهل عليه.

كان الخان واسطبلاته كما يَذكُره تقريبًا، على الرغم من أن شيئًا لم يتبقَّ من القرية المحيطة به غير أحجارٍ متداعيةٍ وأساساتٍ محترقة. رأى مشنقةً منصوبةً في الفِناء وجثَّةً معلَّقةً منها تزدحم حولها الغِدفان التي حلَّقت في الهواء عند اقترابه ناعبةً خافقةً بأجنحتها السَّوداء. ترجَّل وألقى نظرةً على ما تبقَّى من الجثَّة. كانت الطُّيور قد التهمَت الشَّفتين والعينين ومعظم الوجنتين لتكشف عن أسنانها الحمراء في ابتسامةٍ بشعة، وتنهَّد تيريون وقال لماشا هدِل موبِّخًا: «غُرفة ووجبة وإبريق من النَّبيذ، هذا هو كلُّ ما طلبته».

خرجَ بعض الصِّبية بتردُّدٍ من الاسطبلات ليعتنوا بخيولهم، وعندما رفضَ شاجا التخلِّي عن حصانه قال له تيريون: «إنهم لن يسرقوا حصانك، سيُطعِمونه ويسقونه ويُمَشِّطون شَعره لا أكثر». كان معطف شاجا في حاجةٍ إلى تمشيطٍ جيِّدٍ بدوره، لكن لم يكن من اللَّباقة أن يَذكُر تيريون هذا. «لك كلمتي، لن يمسَّ الحصان أيُّ أذىً».

دمدمَ شاجا بشيءٍ ما ثم تخلَّى عن عِنان الحصان، ولصبيٍّ الاسطبل قال بصوتٍ هادر: «هذا حصان شاجا بن دولف».

قال تيريون: «إذا لم يُعِده يُمكنك أن تقطع ذَكره وتُطعِمه للماعز... إذا وجدت أيَّ ماعزٍ هنا».

وقفَ زوج من الحَرس يرتدي كلٌّ منهما معطفًا قرمزيًّا وخوذةً ريشتها على شكل أسد تحت لافتة الخان على جانبي الباب، وتعرَّف تيريون على قائدهما فسأله: «أين أبي؟».

- «في القاعة العامَّة يا سيِّدي».

- «رجالي يُريدون طعامًا وشرابًا، فتأكَّد من تقديمه لهم»، قال تيريون ثم دخلَ الخان... وهناك كان أبوه.

كان اللورد تايوين لانستر سيِّد كاسترلي روك وحاكِم الغَرب في منتصَف الخمسينات من العُمر، لكن قويًّا كشابٍّ في العشرين. حتى وهو جالس كان مديد القامة، له ساقان طويلتان وكتفان عريضتان وبطن مسطَّحة، وذراعاه النَّحيلتان تنتأ منهما العضلات. عندما بدأ شَعره الذَّهبي الكثيف ينحسر على رأسه، أمرَ حلَّاقه الخاص بأن يحلق رأسه كله، فاللورد تايوين لا يؤمن بأنصاف الحلول، كما أنه حلقَ الشَّعر الذي يُغطِّي شفتيه وذقنه كذلك، وإن احتفظَ بما تبقَّى من لحيته على جانبي وجهه ليُكوِّن دغلين كثيفين من الشَّعر الذَّهبي الخشن الذي يُغَطِّي وجنتيه من الأُذن إلى الفَك. أمَّا عيناه فكان لونهما أخضرَ باهتًا مرقَّطًا بالذَّهبي، يُذَكِّر مرآهما تيريون بالأحمق الأكثر حماقةً من المعتاد الذي قال مازحًا ذات مرَّةٍ إن حتى براز اللورد تايوين مرقَّط بالذَّهب. يقول البعض إنه لا يزال حيًّا في مكانٍ ما في أعماق كاسترلي روك.

عندما دلفَ تيريون إلى القاعة العامَّة رأى السير كيڤان لانستر، أخا أبيه الوحيد الذي ظَلَّ على قيد الحياة، يتشارَك إبريقًا من المِزر مع اللورد تايوين. كان عمُّه رجلًا بدينًا يزحف الصَّلع على رأسه وله لحية صفراء مشذَّبة بعناية ومرسومة على خَطٍّ فَكِّه الكبير، وقد لمحه أولًا فقال مندهشًا: «تيريون!».

- «عمَّاه»، قال تيريون وهو ينحني. «والسيِّد والدي. من الجميل أن أجدكما هنا».

لم يتحرَّك اللورد تايوين من مكانه، وإن رمقَ ابنه القزم بنظرةٍ ممعنةٍ طويلة وقال: «يبدو أن شائعات موتك لم يكن لها أساس من الصِّحَّة».

قال تيريون: «آسفٌ لأني خيَّبتُ أملك يا أبي. لا داعي لأن تثب من مقعدك لتُعانِقني، فلا أريدك أن تُزعِج نفسك»، وقطعَ القاعة نحو مائدتهما شاعرًا بشدَّةٍ بالطَّريقة التي تجعله ساقاه القصيرتان يتمايَل بها مع كلِّ خطوة، فكلما وقعَ بصر أبيه عليه كان إدراكه لعاهاته الجسديَّة ونقائصه يزداد أكثر فأكثر. «لُطف منك أن تذهب إلى الحرب من أجلي»، قال وهو يتسلَّق أحد المقاعد ويَصُبُّ لنفسه كوبًا من شراب أبيه.

رَدَّ اللورد تايوين: «أنت من بدأ كلَّ هذا في رأيي. لم يكن أخوك چايمي ليستسلم للأسر على يد امرأةٍ بهذا الخنوع».

- «هذا واحد من الاختلافات بيني وبين چايمي، ثم إنه أطول مني كذلك كما لا بُدَّ أنك لاحَظت».

تجاهلَ أبوه المزحة وقال: «شَرف عائلتنا كان على المحك ولم يكن أمامي خيار سوى الخروج للحرب. لا أحد يُريق دم لانستر ويَمُرُّ هذا مرور الكرام أبدًا».

- «*اسمعوا زئيري*»، ردَّد تيريون كلمات آل لانستر مبتسمًا. «الحق يُقال إن لا أحد أراقَ قطرةً من دمي فعليًّا، وإن أوشكَ هذا على الحدوث مرَّةً أو مرَّتين. موريك وچيك قُتِلا كذلك».

- «أعتقدُ أنك ستحتاج رجالًا جُددًا إذن».

- «لا تُقلِق نفسك يا أبي، فقد وجدتُ عددًا منهم بنفسي». جرَّب جَرعةً من المِزر البُنِّي فوجده ثخينًا مُزبِدًا لدرجة أنه يستطيع مضغه تقريبًا. نوع ممتاز في الحقيقة، ومن المؤسف أن أباه شنقَ صاحِبة الخان. «ما أخبار حربك؟».

أجابَ عمُّه: «تدور على نحوٍ جيِّدٍ حتى الآن. السير إدميور نشرَ فِرقًا صغيرةً من الرِّجال على حدوده ليَصُدُّوا غاراتنا، والسيِّد والدك وأنا استطعنا تدمير أغلبهم بالتَّدريج قبل أن ينتظموا ثانيةً».

- «أخوك چايمي يكسو نفسه بالمجد منذ بدأت المعارك»، قال أبوه. «لقد سحقَ اللوردين ڤانس وپايپر عند النّاب الذّهبي، ثم واجهَ قوَّة آل تَلي المحتشدة تحت أسوار ريڤررَن نفسها وأنزلَ بلوردات الثّالوث هزيمةً منكرة. سقطَ السير إدميور تَلي أسيرًا مع كثيرين من فُرسانه وحمَلة رايته، وقادَ اللورد بلاكوود عددًا من النّاجين إلى ريڤررَن التي فرضَ عليها چايمي الحصار، والبقيَّة فرُّوا إلى معاقلهم».

أضافَ السير كيڤان: «زحَفنا أنا وأبوك عليهم واحدًا تلو الآخَر، وفي غياب اللورد بلاكوود سقطَت راڤنتري في الحال، وسلَّمت الليدي وِنت هارنهال لعدم وجود رجالٍ كافين للدِّفاع عنها، بينما قضى السير جريجور على آل پايپر وآل براكن تمامًا».

سألَ تيريون: «وبهذا لم يَعُدْ هناك من يُعارِضكما؟».

أجابَ عمُّه: «ليس تمامًا. ما زال آل ماليستر يسيطرون على سيجارد، كما أن والدر فراي يحشد جنوده عند "التَّوأمتين"».

قال اللورد تايوين: «لا يهمُّ. فراي لا ينزل إلى ميدان المعركة إلَّا عندما تلوح رائحة النَّصر في الهواء، وكلُّ ما يشتمُّه الآن هو الخراب، وچيسون ماليستر تعوزه القوَّة للقتال بمفرده. بمجرَّد أن يَدخُل چايمي ريڤررَن سيركع كلاهما بمنتهى السُّرعة. ما لم يتحرَّك آل ستارك وآل آرن لمُواجَهتنا، ففوزنا بهذه الحرب مضمون تمامًا».

قال تيريون: «لن يُثير آل آرن قلقي كثيرًا لو كنتُ مكانك، أمَّا آل ستارك فمسألة أخرى. اللورد إدارد...».

- «... رهينة لدينا»، قال أبوه. «ولن يقود أيَّ جيوشٍ بينما يتعفَّن في زنزانةٍ تحت القلعة الحمراء».

علَّق سير كيڤان: «هذا صحيح، لكن ابنه استدعى راياته ويجلس الآن في خندق كايلن وحوْله جيش قوي».

قال اللورد تايوين: «لا يكون السَّيف قويًّا أبدًا حتى يُغمَر في الماء

ليصير صلدًا، لكن صبيَّ ستارك مجرَّد طفل. مؤكَّد أن صوت الأبواق الحربيَّة يروق له، وكذا منظر راياته وهي تُرَفرِف في الرِّيح، لكن ما نفعله في النِّهاية هو عمل جزَّارين، وأشكُّ في أنه يستطيع أن يهضم شيئًا كهذا».

قال تيريون لنفسه أن الأوضاع صارَت مثيرةً حقًّا في غيابه، وسأَلَ: «وماذا يفعل مَلكنا الصِّنديد بينما يتمُّ عمل الجزَّارين هذا كله؟ وكيف نجحَت أختي الجميلة المُقنِعة في جعل روبرت يُوافِق على سجن صديقه العزيز ند؟».

أجابَ أبوه: «روبرت باراثيون ماتَ. ابن أختك يَحكُم في كينجز لاندنج الآن».

أشعرَ الخبر تيريون بدهشةٍ حقيقيَّة، وبَعد لحظاتٍ غمغمَ: «تقصد أن أختي تَحكُم»، ثم أخذَ جَرعةً أخرى من المِزر مفكِّرًا أن البلاد ستكون مكانًا مختلفًا للغاية وسرسي تَحكُم بدلًا من زوجها.

- «إذا كنت تُريد أن تجعل نفسك مفيدًا، فسأعطيك قيادةً»، قال أبوه. «مارك پايپر وكاريل ڤانس وبقيَّة رجالهما ما زالوا طليقين عند مؤخِّرتنا ويُغيرون على أراضينا عبر الفرع الأحمر».

أصدرَ تيريون صوتًا مستنكرًا بلسانه وقال ساخرًا: «ويُقاوِمان كذلك؟ يا للصَّفاقة! عادةً كنتُ لأسعد بفُرصة عقابهم على هذه الوقاحة يا أبي، لكن الحقيقة أن لديَّ أمورًا مُلِحَّةً في مكانٍ آخَر».

قال اللورد تايوين دون أن يبدو عليه أدنى قَدرٍ من الدَّهشة: «حقًّا؟ لدينا أيضًا اثنان من رجال ند ستارك عديمي القيمة يُسَبِّبان لنا إزعاجًا مستمرًّا بإغارتهما على خطوط المؤن، لورد صغير يُعاني من ضلالات البطولة اسمه بريك دونداريون، ومعه ذلك الرَّاهب المغفَّل الذي يُحارِب بسيفٍ ناري. هل تعتقد أن بإمكانك التَّعامُل معهما وأنت راحل دون أن تتسبَّب في مصيبة؟».

مسحَ تيريون فمه بظَهر يده وابتسمَ قائلًا: «إنك تُثلِج صدري يا أبي

بائتماني على... كم؟ عشرين رجلًا؟ خمسين؟ متأكِّد من أنك تستطيع الاستغناء عن هذا العدد الكبير؟ لا يهمُّ، إذا صادَفتُ ثوروس واللورد بريك سأصفعهما على مؤخِّرتيهما»، ونزلَ من على مقعده واتَّجه متمايلًا إلى الخُوان الذي وُضِعَ عليه قالب من الجُبن الأبيض المعرَّق محاطًا بالفاكهة، وقال وهو يقطع لنفسه شريحةً منه: «لكن لديَّ أولًا بضعة وعودٍ يجب أن أفي بها. أريدُ ثلاثة آلاف خوذة ومثلها من قمصان الحلقات المعدنيَّة، بالإضافة إلى سيوفٍ وحرابٍ ورماح ذات رؤوسٍ فولاذيَّة وقضبانٍ شائكة وفؤوسٍ، وأريدُ كذلك واقياتٍ للعُنق والصَّدر والسِّيقان، وعرباتٍ تحمل كلَّ هذا إلى...».

قاطَعه انفتاح الباب من ورائه فجأةً بصوتٍ مُدَوٍّ أجفلَ تيريون حتى كادَ يُسقِط شريحة الجُبن التي في يده، وهَبَّ السير كيڤان واقفًا وهو يُطلِق سُبَّةً عندما رأى قائد الحَرس يطير عبر القاعة ليرتطم بالمُستوقَد، وإذ سقطَ الرَّجل وسط الرَّماد البارد وقد انبعجَت خوذته ذات ريشة الأسد، كسرَ شاجا سيفه إلى نِصفين على رُكبته السَّميكة كجذع شجرة، ثم ألقى القطعتين أرضًا وتقدَّم بتثاقُلٍ عبر القاعة العامَّة تسبقه رائحته الكريهة التي تضخَّمت أكثر في هذا المكان المغلق، وقال مزمجرًا: «عندما ترفع سلاحك في وجه شاجا بن دولف المرَّة القادمة، سأقطعُ ذَكرك وأشويه على النَّار».

قال تيريون وهو يقضم من شريحة الجُبن: «لا ماعز هذه المرَّة؟».

تبعَ بقيَّة رجال القبائل شاجا إلى الدَّاخل ومعهم برون الذي هَزَّ كتفيه لتيريون بقلَّة حيلة، بينما سألَ اللورد تايوين بصوتٍ ثلجي: «من تكونون؟».

أجابَه تيريون: «لقد تبعوني إلى البيت يا أبي. هل يُمكنني أن أحتفظ بهم؟ إنهم لا يأكلون كثيرًا».

لم يبتسم أحد، وصاحَ السير كيڤان غاضبًا: «بأيِّ حَقٍّ تقتحمون مجلسنا أيها الهَمجيُّون؟».

قال كون الذي كان من الممكن أن يكون وسيمًا إذا استحمَّ: «هَمجيُّون يا ابن الأراضي المنخفضة؟ إننا رجال أحرار، والرِّجال الأحرار لديهم كلُّ الحَق في الجلوس في مجالس الحرب».

سألت تشلا: «أيكما اللورد الأسد؟».

قال تيميت بن تيميت الذي لم يَبلُغ العشرين من العُمر بَعد: «كلاهما رجل مُسِن».

وثبَت يد السير كيڤان إلى مقبض سيفه، لكن أخاه وضعَ إصبعين على معصمه وثبَّت يده في مكانها، وبدا اللورد تايوين رابط الجأش تمامًا وهو يقول: «هل نسيت أصول اللِّياقة يا تيريون؟ أرجو أن تُقَدِّم لنا... ضيوفنا الكرام».

لعقَ تيريون أصابعه قائلًا: «بكلِّ سرور. الفتاة الحسناء هي تشلا بنت تشيك من قبيلة الآذان السَّوداء».

قالت تشلا معترضةً: «لستُ فتاةً. لقد قطعَ أبنائي خمسين أُذنًا حتى الآن».

- «وعسى أن يقطَعوا خمسينًا أخرى»، قال تيريون وهو يتحرَّك مبتعدًا عنها. «هذا كون بن كورات، وشاجا بن دولف هو من يبدو مِثل كاسترلي روك وقد نبتَ لها شَعر، الاثنان من قبيلة الغِربان الحَجريَّة. هذا أولف بن أومار من قبيلة إخوة القَمر، وهذا تيميت بن تيميت، يد حمراء من قبيلة الرِّجال المحروقين. أمَّا هذا فهو برون، مُرتَزِق بلا ولاءٍ لأحدٍ بعينه، وقد انحازَ إلى طرفين مختلفين بالفعل خلال الفترة القصيرة التي عرفته فيها. يَجدُر بكما أن تكونا صديقين حميمين يا أبي»، ثم التفتَ إلى برون ورجال القبائل قائلًا: «اسمَحوا لي بأن أقدِّم السيِّد والدي، تايوين بن تايتوس سلسل عائلة لانستر، سيِّد كاسترلي روك وحاكِم الغَرب وحامي لانسپورت، ويَدُ المَلك في الماضي والمستقبَل كذلك».

نهضَ اللورد تايوين ووقفَ مفرود القامة مهيبًا وقال: «حتى في الغَرب نسمع عن شَجاعة قبائل جبال القَمر المُحارِبة. ما الذي أنزلَكم من معاقلكم أيها السَّادة؟».

قال شاجا: «الخيول».

وقال تيميت: «وعد بالحرير والفولاذ».

كان تيريون على وشك أن يُخبِر أباه باقتراحه عن تحويل وادي آرن كله إلى أرضٍ يباب لكنه لم ينَل الفُرصة، فقد انفتحَ الباب بصوتٍ مزعجٍ ثانيةً، ورمقَ المرسال الذي دلفَ إلى القاعة رجال القبائل بنظراتٍ مستريبةٍ وهو يركع على رُكبةٍ واحدةٍ أمام اللورد تايوين ويقول: «سيِّدي، السير أدام أمرَني بإبلاغك بأن جيش ستارك بدأ يتحرَّك على الممرِّ المرتفع».

لم يبتسم اللورد تايوين لانستر. اللورد تايوين لا يبتسم أبدًا، لكن تيريون تعلَّم أن يقرأ سرور أبيه في ملامحه، والآن كان سروره جليًّا له تمامًا، وقال بصوتٍ راضٍ هادئ: «إذن فقد قرَّر الذِّئب الصَّغير أن يُغادِر عرينه ويلعب بين الأسود. رائع! عُد إلى السير أدام وقُل له أن ينسحب ولا يشتبك مع الشَّماليِّين حتى نصل إليه، لكني أريده أن يُغير على أطرافهم ويستدرجهم جَنوبًا أكثر».

قال المرسال وهو يُغادِر مسرعًا: «كما تأمر».

قال السير كيڤان: «إننا متمركزون جيِّدًا هنا، قريبون من مخاضة النَّهر ومحاطون بالحُفر والحراب. إذا كانوا في طريقهم إلى الجَنوب، فليأتوا إذن. سيُحَطِّمون أنفسهم على دفاعاتنا».

أجابَ اللورد تايوين: «قد يبقى الصَّبي في مكانه أو ينسحب عندما يرى أعدادنا، لكن كلما سارَعنا بتحطيم آل ستارك سأجدُ الوقت والفُرصية للتَّعامُل مع ستانيس باراثيون. قُل للطَّبَّالين أن يَدُقُّوا نغمة الاحتشاد، وأرسِل خبرًا إلى چايمي بأنني سأتحرَّكُ ضد روب ستارك».

قال أخوه: «كما تشاء».

راقبَ تيريون بافتتانٍ عابسٍ إذ التفتَ أبوه إلى رجال القبائل أشباه المجانين وقال: «يُقال إن رجال قبائل الجبال لا يعرفون الخوف».

قال كون رجل الغِربان الحَجريَّة: «ما يُقال صحيح».

وأضافَت تشلا: «والنِّساء كذلك».

قال لهم اللورد تايوين: «اخرُجوا معي لقتال أعدائي وستحصلون على كلِّ ما وعدَكم به ابني وأكثر».

قال أولف بن أومار: «هل تريد أن تدفع لنا من مالنا؟ ما حاجتنا لوعد الأب ولدينا وعد الابن بالفعل؟».

أجابَ اللورد تايوين: «لم أذكر شيئًا عن الحاجة، وكلماتي كانت مجرَّد مجاملةٍ لا أكثر. لستم في حاجةٍ إلى الانضمام إلينا، فرجال أراضي الشِّتاء مخلوقون من الحديد والجَليد، وحتى أشجع فُرساني يخشون مواجَهتهم».

قال تيريون لنفسه وقد ارتسمَت على وجهه ابتسامة خبيثة: *أوه، يا للبراعة!*

- «الرِّجال المحروقون لا يخافون شيئًا. سيُحارِب تيميت بن تيميت مع الأسود».

وأضافَ كون بحماسة: «أينما ذهبَ الرِّجال المحروقون فقد سبقَهم الغِربان الحَجريَّة إلى هناك. نحن كذلك سنُحارِب معكم».

- «سيقطَع شاجا بن دولف ذكورهم ويُطعِمها للغِربان».

وأخيرًا قالت تشلا بنت تشيك: «سنُحارِب معك أيها اللورد الأسد، بشرط أن يكون ابنك النِّصف رجل معنا. لقد اشترى حياته بوعوده، وإلى أن نَحصُل على الأسلحة التي تعهَّد بها، فحياته مِلْكٌ لنا».

التفتَ اللورد تايوين إلى ابنه ورمقَه بعينيه المرقَّطتين بالذَّهبي، وبابتسامةٍ مستسلمةٍ قال تيريون: «يا للسَّعادة!».

سانزا

صارَت جدران قاعة العَرش عاريةً تمامًا بَعد أن أُنزِلَت السَّتائر المزدانة بصُور الصَّيد والمعارك التي أحبَّها المَلك روبرت وأُلقِيَت في كومةٍ غير منتظمةٍ في الرُّكن.

تقدَّم السير ماندون مور ليأخذ مكانه عند قاعدة العَرش إلى جوار اثنين من رفاقه في الحَرس المَلكي، بينما حامَت سانزا عند الباب بلا حراسةٍ للمرَّة الأولى، وكانت المَلكة قد أعطَتها حُريَّة الحركة في القلعة كمكافأةٍ على طاعتها، لكن الحراسة صاحبَتها في كلِّ مكانٍ تذهب إليه. «حَرس شَرف لابنتي القادمة»، قالت المَلكة وإن لم تَشعُر سانزا بأيِّ شَرفٍ في الأمر. "حُريَّة الحركة في القلعة" كانت تعني أنها تستطيع الذِّهاب إلى أيِّ مكانٍ داخل القلعة الحمراء بشَرط أن تعد بألَّا تَخرُج من الأسوار أبدًا، وهو الوعد الذي كانت سانزا مستعدَّةً تمامًا لأن تقطَعه على نفسها، وهي لا تستطيع الخروج من الأسوار في جميع الأحوال، فطوال اللَّيل والنَّهار تخضع البوَّابات لحراسة رجال چانوس سلينت ذوي المعاطف الذَّهبيَّة، بالإضافة إلى وجود رجال لانستر في كلِّ مكانٍ كذلك. ثم بفرض أنها تقدر على الخروج من القلعة، فإلى أين تذهب أصلًا؟ كان يكفيها أنها تستطيع التَّمشية في السَّاحة وتقطف الزُّهور من حديقة الأميرة مارسلا وتزور السِّپت لتُصَلِّيَ لأبيها، وأحيانًا كانت تُصَلِّي في أيكة الآلهة كذلك، بما أن آل ستارك يَعبُدون الآلهة القديمة.

كان هذا أول انعقادٍ للبلاط في حُكم چوفري، ما جعلَ سانزا تتطلَّع حولها بتوتُّر. وقفَ صَفٌّ من رجال لانستر تحت النَّوافذ الغربيَّة، وآخَر من ذوي المعاطف الذَّهبيَّة تحت النَّوافذ الشَّرقيَّة، ولم ترَ سانزا أثرًا للعامَّة اليوم، لكن تحت الشُّرفة وقفَ حشد من كبار اللوردات وصغارهم متململين في أماكنهم. لم يكونوا أكثر من عشرين، بينما كان المعتاد أن يقف مئة على الأقل منهم في انتظار المَلك روبرت.

انسلَّت سانزا من بينهم مغمغمةً بالتحيَّة لتقف في الصَّفِّ الأول، وتعرَّفت على الأمير المنفي چالابار شو ذي البشرة السَّوداء والسير أرون سانتاجار العابس والتَّوأمين هورور وسلوبر ردواين... وإن لم يبدُ أن أحدًا منهم قد تعرَّف عليها، وإذا فعلوا فقد أشاحوا بوجوههم عنها كأنها مصابة بالدَّاء الأرمد. غطَّى اللورد جايلز السَّقيم وجهه عندما لمحَها وتظاهَر بأنه مصاب بنوبةٍ من السُّعال، وعندما حاولَ السير دونتوس السِّكِّير الطَّريف تحيَّتها همسَ السير بالون سوان في أُذنه بشيءٍ ما جعلَه يُشيح بنظره عنها بدوره.

وآخَرون كثيرون لم يكونوا موجودين. أين ذهبَ بقيَّتهم؟ عبثًا أخذَت تبحث عن وجهٍ صديق، لكن جميعهم تجنَّبوا التقاء عيونهم بعينيها كأنها ماتَت قبل الأوان وصارَت شبحًا.

كان المِايستر الأكبر پايسل جالسًا بمفرده إلى مائدة المجلس وقد بدا نائمًا وقد شبَّك يديه معًا فوق لحيته، ورأت اللورد ڤارس يَدخُل القاعة مُسرِعًا دون أن يُصدِر خُفَّاه صوتًا على الأرض، وبَعد لحظةٍ دخلَ اللورد بايلش من الباب الطَّويل في المؤخِّرة وعلى شفتيه الابتسامة المعتادة، وتبادلَ بضع كلماتٍ ودود مع السير بالون والسير دونتوس وهو يقطع طريقه إلى المقدِّمة. كان توتُّر سانزا شديدًا حتى أنها شعرَت بمعدتها تنقلب، فقالت لنفسها: *لا يَجدُر بي أن أخاف وليس هناك ما أخافُ منه. كُلُّ شيءٍ سيكون على ما يرام. چوفري يُحِبُّني وكذلك المَلكة، هي قالت هذا بنفسها.*

صاحَ حاجب المَلك: «فليُحَيِّي الجميع جلالته، چوفري الأول سليل عائلتي باراثيون ولانستر، مَلك الأنداليِّين والروينار والبَشر الأوائل وسيِّد المَمالك السَّبع. فليُحَيِّي الجميع السيِّدة والدته، سرسي سليلة عائلة لانستر، المَلكة الوصيَّة على العَرش، نور الغَرب وحامية البلاد».

تقدَّمهما السير باريستان سلمي مرتديًا دِرعه البيضاء البرَّاقة، بينما رافقَ السير آريس أوكهارت المَلكة وسارَ السير بوروس بلاونت إلى جوار چوفري، ليصير ستَّة من فُرسان الحَرس المَلكي في القاعة، جميع السُّيوف البيضاء باستثناء چايمي لانستر. صعدَ أميرها -لا، بل مَلكها الآن!- درجات العَرش الحديدي اثنتين اثنتين، بينما جلسَت أمُّه إلى مائدة المجلس. كان چوف يرتدي سُترةً من المخمل الأسود المخطَّط بالقرمزي تحت حرملةٍ لامعةٍ من قماش الذَّهب ذات ياقةٍ عاليةٍ وعلى رأسه وضعَ تاجًا ذهبيًّا مرصَّعًا بالياقوت الأحمر والماس الأسود. التقَت عيناه بعينيها عندما التفتَ ليتطلَّع إلى القاعة، فابتسمَ لها ثم جلسَ وقال: «من واجبات المَلك أن يُعاقِب الخونة ويُكافئ المُخلِصين. أيها المِايستر الأكبر پايسل، آمرك بأن تقرأ مراسيمي على الحضور».

نهضَ پايسل متثاقلًا. كان يرتدي معطفًا رائع الجمال من المخمل الأحمر السَّميك ذا ياقةٍ من فرو حيوان القاقم وأبازيم ذهبيَّة لامعة، ومن كُمِّه الواسع المثقَل بالزَّخرفة الذَّهبيَّة الملولبة أخرجَ رَقًّا مطويًّا بسطَه وبدأ يتلو قائمةً طويلةً من الأسماء آمرًا كلًّا منهم باسم المَلك ومجلسه أن يُقَدِّم نفسه ويُقسِم بالولاء لچوفري، وإذا تخاذلَ عن هذا فسوف يتمُّ اعتباره خائنًا ويستولي العَرش على أراضيه وألقابه.

الأسماء التي قرأها جعلَت سانزا تحبس أنفاسها: اللورد ستانيس باراثيون والسيِّدة زوجته وابنته، اللورد رنلي باراثيون، اللوردان رويس وأبناؤهما، السير لوراس تايرل، اللورد مايس تايرل وإخوته وأعمامه وأبناؤه، الرَّاهب الأحمر ثوروس المايري، اللورد بريك دونداريون،

الليدي لايسا آرن وابنها اللورد روبرت الصَّغير، اللورد هوستر تَلي وأخوه السير برايندن وابنه إدميور، اللورد چيسون ماليستر، اللورد برايس كارون سيِّد تخوم دورن، اللورد تايتوس بلاكوود، اللورد والدر فراي ووريثه اللورد ستڤرون، اللورد كاريل ڤانس، اللورد چونوس براكن، الليدي شيلا وِنت، دوران مارتل أمير دورن وجميع أبنائه. أخذَ پايسل يقرأ ويقرأ، وقالت سانزا لنفسها: *عدد كبير جدًّا. سيتطلَّب توصيل هذه الأوامر سربًا كاملًا من الغِدفان.*

وفي النِّهاية، قُرب آخِر القائمة، جاءَت الأسماء التي كانت سانزا تتوجَّس منها خيفةً: الليدي كاتلين ستارك، روب ستارك، براندون ستارك، ريكون ستارك، آريا ستارك. كتمَت سانزا شهقتها لدى سماع الاسم الأخير... *آريا!* إنهم يُريدون أن تُقَدِّم آريا نفسها وتُقسِم بالولاء، وهذا يعني أن أختها قد فرَّت على السَّفينة بالفعل، ولا بُدَّ أنها آمنة في وينترفل الآن.

طوى پايسل القائمة ودسَّها في كُمِّه الأيسر وأخرجَ رَقًّا آخَر من الأيمن وتنحنحَ قبل أن يُواصِل: «رغبة جلالته أن يحلَّ اللورد تايوين لانستر سيِّد كاسترلي روك وحاكِم الغَرب محلَّ الخائن إدارد ستارك في منصب يَدِ المَلك، ليتكلَّم بصوته ويقود جيوشه ضد أعدائه ويُنَفِّذ أوامره المَلكيَّة. هكذا أمرَ المَلك وصدَّق المجلس. رغبة جلالته أن تحلَّ المَلكة الوصيَّة على العَرش سرسي لانستر التي طالما كانت أوفى مُناصِريه محلَّ الخائن ستانيس باراثيون في المجلس الصَّغير، كي تُعاوِنه على الحُكم بالعدل والحكمة. هكذا أمرَ المَلك وصدَّق المجلس».

سمعَت سانزا همهمةً خافتةً من اللوردات المحيطين بها، لكنها سرعان ما خفتَت وأكملَ پايسل: «جلالته يرغب أيضًا في أن يُرفَع خادمه المُخلِص چانوس سلينت، قائد حَرس مدينة كينجز لاندنج، إلى رُتبة لورد ويُمنَح قلعة هارنهال العتيقة بكلِّ ما يتبعها من أراضٍ ودخول، وأن يتوارَثها أبناؤه وأحفاده من بَعده حتى نهاية الزَّمن. يأمر جلالته أيضًا بأن

ينضمَّ اللورد سلينت في الحال إلى المجلس الصَّغير ليُعاوِنه على حُكم البلاد. هكذا أمرَ المَلك وصدَّق المجلس».

لمحَت سانزا حركةً بركن عينها لدى دخول چانوس سلينت، وهذه المرَّة كانت الهمهمة أعلى صوتًا وأكثر حنقًا. أفسحَ اللوردات الكبار الذين يعود تاريخ عائلاتهم إلى آلاف السِّنين الطَّريق على مضضٍ للرَّجل العامِّي الأصلع ذي وجه الضِّفدع ليَمُرُّ من بينهم، وتحت معطفه المنقوش بمربَّعاتٍ من الذَّهبيِّ والأسود رنَّت الصَّفائح الذَّهبيَّة المخيَّطة بصُدرته المخمليَّة السَّوداء بصوتٍ خافتٍ مع حركته، بينما تقدَّمه صبيَّان قبيحان -لا بُدَّ أنهما ولداه- يحملان بصعوبةٍ تُرسًا معدنيًّا ثقيلًا يُناهِزهما طولًا، وقد رُسِمَ عليه الرَّمز الذي اختارَه سلينت لنفسه، رُمح ذهبيٌّ دامٍ على خلفيَّةٍ سوداء حالكة، وهو المنظر الذي جعلَ القشعريرة تسري في جسد سانزا.

أكملَ پايسل واللورد سلينت يتَّخذ مكانه: «أخيرًا، في هذا الوقت المليء بالخيانة والاضطرابات، ومع وفاة مَلكنا المحبوب روبرت مؤخَّرًا، فقد ارتأى المجلس أن حياة وسلامة المَلك چوفري هما الأقصى أهميَّة». قالها ونظرَ إلى المَلكة.

نهضَت سرسي قائلةً: «سير باريستان سلمي، تقدَّم».

كان السير باريستان واقفًا عند قاعدة العَرش الحديدي بثبات التِّمثال، فركعَ على رُكبةٍ واحدةٍ وحنى رأسه قائلًا: «تحت أمركِ يا جلالة المَلكة».

قالت سرسي لانستر: «انهض يا سير باريستان، واخلع خوذتك».

بدهشةٍ قال الفارس المُسِنُّ مندهشًا: «سيِّدتي؟»، لكنه خلعَ خوذته البيضاء الطَّويلة وإن بدَت عليه الحيرة.

- «لقد خدَمت البلاد طويلًا بكلِّ إخلاصٍ يا سيِّدي الكريم، وكلُّ رجلٍ وامرأةٍ في المَمالك السَّبع يُدينون لك بالشُّكر، لكني أخشى أن خدمتك قد بلغَت منتهاها الآن. إنها رغبة المَلك والمجلس أن تُزيح عبئك الثَّقيل عن عاتقك».

- «عاتقي؟ أخشى أني لا...».

رفعَ اللورد الجديد چانوس سلينت قائلًا بجلافة: «جلالتها تُحاوِل أن تقول لك إنك مُعفىً من منصبك كقائدٍ للحَرس المَلكي».

بدا الفارس الأشيب الطَّويل كأنه يتضاءَل إذ وقفَ هناك يكاد لا يستطيع التقاط أنفاسه، وقال أخيرًا: «جلالة المَلكة، الحَرس المَلكي أخوَّة تحت القَسم واليمين الذي حلفناه يدوم مدى الحياة. الموت فقط يستطيع إعفاء قائد الحَرس المَلكي من واجبه المقدَّس».

بصوتٍ ناعمٍ كالحرير سمعَه كلُّ من في القاعة قالت المَلكة: «موت من يا سير باريستان؟ موتك أم موت مَلكك؟».

وقال چوفري من فوق العَرش الحديدي بصوتٍ مليءٍ بالاتِّهام: «لقد تركت أبي يموت. أنت عجوز جدًّا ولا تستطيع حماية أحد».

راقبَت سانزا والفارس يرفع عينيه إلى مَلكه الجديد. لم تكن قد رأته وقد بدَت سنين عُمره الحقيقيَّة على ملامحه من قبل، لكن الهِرَم تجلَّى عليه الآن وهو يقول: «جلالة المَلك، لقد اختِرتُ للانضمام إلى السُّيوف البيضاء وأنا في الثَّالثة والعشرين من عُمري، وكان هذا كلَّ ما حلمتُ به منذ أمسكتُ سيفًا بيدي للمرَّة الأولى، ولقد تخلَّيتُ عن كلِّ حَقٍّ في ميراث أسلافي، والفتاة التي كنتُ سأتزوَّج منها تزوَّجت ابن عمِّي بدلًا مني، فلم تكن لديَّ حاجة إلى الأراضي والذُّرِّيَّة وقد نذَرتُ حياتي للبلاد. لقد حلفتُ يميني أمام السير چيرولد هايتاور نفسه، أن أحمي المَلك بكلِّ ما لديَّ من قوَّة، أن أبذل دمي دفاعًا عنه. لقد قاتَلتُ إلى جوار الثَّور الأبيض وليوين أمير دورن، إلى جوار السير آرثر داين سيف الصَّباح، وقبل أن أخدم أباك خدمتُ المَلك إيرس وأباه چهيرس من قبله... ثلاثة ملوك».

قال الإصبع الصَّغير: «وكلهم أموات».

قالت سرسي لانستر بحسم: «وقتك انتهى. چوفري يحتاج رجالًا

شبابًا أقوياء من حوله. لقد قرَّر المجلس أن يأخذ السير چايمي لانستر مكانك كقائدٍ لأخوَّة السُّيوف البيضاء».

- «قاتِل المَلك»، قال السير باريستان بصوتٍ مفعم بـالازدراء. «الفارس الزَّائف الذي دنَّس سيفه بدم المَلك الذي أقسمَ علَى حمايته».

قالت المَلكة محذِّرةً: «انتبه لكلماتك يا سيِّدي، إنك تتكلَّم عن أخينا الحبيب، خال مَلكك».

تكلَّم اللورد ڤارس قائلًا بلهجةٍ ألطف من الآخَرين: «نحن لسنا غافلين عن إخلاصك في خدمتك يا سيِّدي الكريم. اللورد تايوين لانستر وافقَ بكلِّ سخاءٍ على أن يمنحك قطعة أرضٍ ضخمة شَمال لانسپورت، على البَحر، بالإضافة إلى ما يكفي من الذَّهب والرِّجال لبناء قلعةٍ منيفةٍ لك، وخدم يُلَبُّون كلَّ احتياجاتك».

رفعَ السِّير باريستان رأسه بحركةٍ حادَّةٍ وقال: «حُفرة أموت فيها ورجال يدفونني. أشكركم أيها السَّادة... لكني أبصقُ على شفقتكم»، ومَدَّ يده ليحلَّ المشبكين اللذين يُثبِّتان معطفه، فانزلقَ المعطف الأبيض من على كتفيه ليَسقُط مكوَّمًا على الأرض، ثم سقطَت خوذته برنين مُدَوٍّ. «إنني فارس»، وفتحَ أبازيم واقي الصَّدر الفضِّيَّة ليَسقُط هذا بدوره. «وسأموتُ فارسًا».

قال الإصبع الصَّغير ساخرًا: «فارسًا عاريًا على ما يبدو».

وانفجَروا جميعًا ضاحكين لحظتها، چوفري على عَرشه، اللوردات الحاضرون، چانوس سلينت والمَلكة سرسي وساندور كليجاين... وحتى رجال الحَرس المَلكي الآخَرون، الخمسة الذين كانوا إخوته قبل لحظةٍ واحدة، ما جعلَ سانزا تقول لنفسها: *لا بُدَّ أن هذا أكثر ما آلمه*. شعرَت بقلبها ينفطر من أجل الفارس المُسِنِّ الشُّجاع الذي وقفَ مُهانًا محتقن الوجه، أكثر غضبًا من أن يتكلَّم.

ثم استلَّ السير باريستان سيفه.

سمعَت سانزا أحدهم يشهق، وتقدَّم السير بوروس والسير مرين لمُواجَهته، لكن السير باريستان جمَّدهما في مكانهما بنظرةٍ تقطُر احتقارًا

وقال: «لا تخافوا أيها السَّادة، مَلككم في أمان، ودون فضلٍ منكم. حتى الآن أستطيعُ أن أنفذ عبر خمستكم كما ينفذ السكِّين في قطعَةٍ من الجُبن. إذا كنتم تقبلون الخدمة تحت قيادة قاتِلِ المَلك، فلا أحد منكم جدير بارتداء الأبيض»، ثم ألقى سيفه عند قاعدة العَرش الحديدي وقال: «هاك يا ولد. أذِبه وأضِفه للسُّيوف الأخرى إذا أردت، فهو أفيد لك من تلك التي في أيدي هؤلاء الخمسة، ولربما يجلس اللورد ستانيس عليه عندما يستولي على عَرشك».

خرجَ من القاعة قاطعًا الطَّريق الطَّويل وخطواته ترنُّ بصوتٍ عالٍ على الأرض ويتردَّد صداها على الجدران الحَجريَّة العارية، وانزاحَ اللوردات والليديهات ليَمُرَّ من بينهم، ولم تسمع سانزا الأصوات من جديدٍ حتى أغلقَ الخدم الباب البلُّوطي الضَّخم المدعَّم بالبرونز، الهمسات الخفيضة والتَّحرُّكاتِ المتوتِّرة وحفيف الأوراق على مائدة المجلس. ثم قال چوفري بتبرُّم وقد بدا أصغر من عُمره: «لقد نعتَني بالولد، وتكلَّم عن عمِّي ستانيس كذلك».

قال ڤارس الخَصِي: «ترهات بلا معنى».

- «من الممكن أنه يتآمر مع عمِّيَ. أريدُ القبض عليه واستجوابه».

ولمَّا لم يتحرَّك أحد رفعَ چوفري صوته مكرِّرًا: «أريدُ القبض عليه!».

نهضَ چانوس سلينت قائلًا: «سيتولَّى رجالي الأمر يا جلالة المَلك».

قال چوفري: «عظيم»، وخرجَ اللورد چانوس من القاعة بخطواتٍ واسعةٍ خطا ابناه ضِعفاه ليلحقا به وهما يَجُرَّان التِّرس المعدني الضَّخم ذا رمز عائلة سلينت.

قال الإصبع الصَّغير: «جلالة المَلك، إذا سمحت بأن نستأنف، السَّبعة صاروا ستَّةً الآن، ويبدو أننا في حاجةٍ إلى سيفٍ جديدٍ لحَرسك».

مبتسمًا رَدَّ چوفري: «أخبِريهم يا أمِّي».

- «المَلك ومجلسه قرَّرا أن لا رجل في المَمالك السَّبع كلها أجدر بحماية جلالته من حارسه الشَّخصي ساندور كليجاين».

سأله المَلك چوفري: «ما رأيك أيها الكلب؟».

كان من الصَّعب قراءة ما يعتمل في نفس كلب الصَّيد على ملامحه المشوَّهة، واستغرقَ مدَّةً طويلةً ليُفَكِّر قبل أن يقول: «ولِمَ لا؟ إنني لا أملكُ أراضي أو زوجةً أهجرها، ومن يُبالي إذا فعلتُ عليٍ كلِّ حال؟»، والتوى الجانب المحترق من فمه وهو يضيف: «لكني أحذِّرك، فلن آخذ على نفسي عهود الفُرسان».

قال السير بوروس بحزم: «دائمًا ما كان إخوة الحَرس المَلكي فُرسانًا».

- «حتى الآن»، قال كلب الصَّيد بصوته الأجشِّ العميق، ولاذ السير بوروس بالصَّمت.

أدركَت سانزا أن اللَّحظة حانت عندما تقدَّم وكيل المَلك، فسوَّت قُماش فستانها بتوتُّر. كانت ترتدي ثياب الحداد كعلامةٍ على الاحترام للمَلك الرَّاحل، لكنها بذلَت مجهودًا خاصًّا لتبدو جميلةً. كان فُستانها هو الفُستان الحريري ذو اللَّون العاجي الذي كانت المَلكة قد أهدَتها إياه وأتلفَته آريا، لكنها جعلَتهم يَصبُغونه بالأسود فلم تَعُدْ البُقعة ظاهرةً على الإطلاق، أما المجوهرات فقد احتارَت بينها لساعاتٍ قبل أن تستقرَّ أخيرًا على البساطة الأنيقة التي تتمتَّع بها واحدة من سلاسلها الفضِّيَّة.

دوَّى صوت الحاجب: «إذا كان هناك أيُّ أحدٍ في هذه القاعة لديه شأن يرغب في طرحه أمام جلالته، فليتقدَّم الآن أو يحتفظ بصمته».

هوى قلب سانزا بين قدميها، وقالت لنفسها: *الآن، يجب أن أفعلها الآن. فلتمنحني الآلهة الشَّجاعة*، وتقدَّمت خطوةً، ثم أخرى، وأفسحَ لها اللوردات والفُرسان الطَّريق بصمتٍ بينما شعرَت بثِقل نظراتهم المصوَّبة إليها. يجب *أن أكون قويَّةً كالسِّيدة والدتي*. بصوتٍ ناعمٍ مرتجفٍ قالت: «جلالة المَلك».

كان ارتفاع العَرش الحديدي يجعل القاعة كلها مكشوفةً لچوفري أكثر من أيِّ أحدٍ آخَرْ فيها، فكان أول من رأى سانزا وقال مبتسمًا: «تقدَّمي يا سيِّدتي».

شجَّعتها ابتسامته وجعلَتها تَشعُر بالجمال والقوَّة. *إنه يُحِبُّني حقًّا، هذا واضح*. رفعَت سانزا رأسها وتقدَّمت منه بخطواتٍ ليست بالبطيئة أو السَّريعة. لا يجب أن تسمح لهم برؤية توتُّرها.

توقَّفت تحت العَرش في البُقعة التي تكوَّم فيها معطف السير باريستان الأبيض إلى جوار الخوذة وواقي الصَّدر، وسألَتها سرسي من مكانها على مائدة المجلس: «ألديكِ شأن مع المَلك والمجلس يا سانزا؟».

- «أجل»، وركعَت على المعطف كي لا تُوَسِّخ فُستانها ورفعَت عينيها إلى أميرها على عَرشه الأسود المخيف قائلةً الكلمات التي تمرَّنت عليها مئة مرَّة: «بَعد إذن جلالتك، أطلبُ الرَّحمة لأبي اللورد إدارد ستارك الذي كان يَد المَلك».

زفرَت المَلكة وقالت: «إنك تُخَيِّبين أملي يا سانزا. ماذا قلتُ لك عن دم الخونة؟».

بلهجةٍ رتيبةٍ قال المِايستر الأكبر پايسل: «لقد ارتكبَ أبوكِ جرائم شنعاء يا سيِّدتي».

وتنهَّد ڤارس وقال: «آه، يا للمسكينة! إنها مجرَّد طفلةٍ أيها السَّادة ولا تعي ما تقوله».

ظلَّت عينا سانزا مثبَّتتين على چوفري لا غيره. *يجب أن يسمعني، يجب*. اعتدلَ المَلك في جلسته وقال آمرًا: «دعوها تتكلَّم».

- «شُكرًا لك يا جلالة المَلك»، وابتسمَت سانزا ابتسامةً خجولًا له وحده. إنه يُصغي إليها كما كانت واثقةً من أنه سيفعل.

قال پايسل بصرامة: «الخيانة عُشبة ضارَّة، يجب انتزاعها من الأرض جذرًا وساقًا وبذرةً وإلَّا نبتَ منها خونة آخَرون على كلِّ طريق».

سألها اللورد بايلش: «هل تُنكِرين جرائم أبيكِ؟».

كانت سانزا أذكى على الأقلِّ من أن تجيب بالإيجاب، وقالت: «كلا أيها السَّادة، أعرفُ أنه يجب أن يُعاقَب، لكن كلَّ ما أطلبه هو الرَّحمة.

وأعرفُ أن السيِّد والدي نادم بالتَّأكيد على ما فعله، فقد كان صديقَ المَلك روبرت وأحبَّه كأخيه، كلكم تعرفون أنه كان يُحِبُّه، ولم يرغب قَطُّ في أن يكون اليَد حتى طلبَ منه المَلك هذا. لا بُدَّ أن أحدهم كذبَ عليه، اللورد رنلي أو اللورد ستانيس أو... أي أحد، لا بُدَّ أنه كذبَ عليه، وإلَّا...».

مال المَلك جوفري إلى الأمام قابضًا على ذراعي العَرش لتَبرُز رؤوس السُّيوف المكسورة من بين أصابعه، وقال: «لقد قال إنني لستُ المَلك، فلماذا قال هذا؟».

أجابَت بانفعال: «كانت ساقه مكسورةً وتُؤلمه كثيرًا، والمِايستر پايسل كان يسقيه حليب الخشخاش، ويقولون إن حليب الخشخاش يملأ الدِّماغ بالغَمام، وإلَّا ما كان ليقول هذا أبدًا».

قال ڤارس: «يا لإيمان الأطفال وتلك البراءة العذبة! ومع ذلك يقولون إن الحكمة كثيرًا ما تأتي من أفواه الأطفال».

رَدَّ پايسل في الحال: «الخيانة هي الخيانة».

تحرَّك جوفري بعصبيَّةٍ على عَرشه، وقال: «أمَّاه؟».

رمقَت سرسي لانستر سانزا الفترةٍ طويلةٍ، قبل أن تقول أخيرًا: «إذا اعترفَ اللورد إدارد بجريمته، فسنعرف ساعتها أنه ندمَ بالفعل على حماقته».

نهضَ جوفري فقالت سانزا لنفسها بحرارة: *أرجوك، أرجوك كُن المَلك الذي أعرفه، طيِّب القلب رحيمًا نبيلًا، أرجوك.* سألها: «هل ترغبين في قول شيءٍ آخَر؟».

- «فقط... بحَقِّ حُبِّك لي أن تُقَدِّم لي هذا الجميل».

تطلَّع المَلك جوفري إليها من أعلى إلى أسفل، ثم أومأ برأسه بنُبلٍ كأنه يقول لها إن كلَّ شيءٍ سيكون على ما يرام. «كلماتكِ العذبة أثَّرت فيَّ. سأفعلُ ما تَطلُبين... لكن على أبيكِ أن يعترف أولًا، عليه أن يعترف ويُقِرُّ بأنني المَلك، وإلَّا فلا رحمة له».

قالت سانزا وقلبها يُحَلِّق في الهواء: «سيفعل، أعرفُ أنه سيفعل».

إدارد

فاحَت رائحة البول الفظيعة من القَشّ على الأرض. لم تكن هناك نوافذ، لم يكن هناك فِراش، ولا حتى دلو لقضاء الحاجة. تذكَّر رؤية جدرانٍ من الحَجر الأحمر الباهت انتشرَت فيها تكوينات قشريَّة من النَّطرون، وبابًا رماديًّا من الخشب المتشقِّق يَبلُغ أربع بوصاتٍ سُمكًا ومدعَّمًا بالحديد. رأى الجدران والباب للحظةٍ خاطفةٍ قبل أن يدفَعوه إلى الدَّاخل بفظاظة، ثم لم يرَ شيئًا آخر بَعد أن أغلَقوا الباب وأوصَدوه، وسادَ الظَّلام الدَّامس جاعلًا إياه كالأعمى...

... أو كالميت وقد دُفِنَ مع مَلكه الرَّاحل. «آهٍ يا روبرت»، تمتمَ ويده تتلمَّس طريقها إلى الجدار البارد وساقه تنبض ألمًا مع كلِّ حركةٍ بسيطة. تذكَّر الدُّعابة التي ألقاها عليه المَلك وهما في السَّراديب تحت وينترفل وملوك الشِّتاء يَرمُقونهم بعيونٍ باردةٍ من حَجر: *المَلك يأكل واليَدُ يمسح الخراء*. قهقهَ روبرت يومها مستمتعًا بالدُّعابة. *لكنه أخطأ. المَلك يموت واليَدُ يُدفَن.*

كانت الزِّنزانة واقعةً أسفل القلعة الحمراء على عُمقٍ لم يتخيَّله، وتذكَّر القصص القديمة عن ميجور المتوحِّش الذي فتكَ بجميع البنَّائين الذين عملوا على تشييد قلعته كي لا يُفصِحوا عن أسرارها أبدًا.

صَبَّ لعناته عليهم جميعًا: الإصبع الصَّغير وڤانوس سلينت ورجاله ذوي المعاطف الذَّهبيَّة والمَلكة وقاتِل المَلك وپايسل وڤارس وسير

باريستان، وحتى اللورد رنلي لحم ودم روبرت الذي هربَ والحاجة إليه ماسَّة، على أنه لعنَ نفسه في النِّهاية، وفي الظَّلام صاحَ ساخطًا: «أحمق! أحمق ملعون ثلاثًا!».

طفا وجه سرسي لانستر أمامه في الظَّلام وقد أضاءَ شَعرها كنور الشَّمس وحملَت شفتاها ابتسامةً ساخرةً وهي تهمس: «عندما تلعب لُعبة العروش، إمَّا أن تربح أو تموت»، وند لعبَ وخسرَ، ودفعَ رجاله ثَمن حماقته بدمائهم.

كان ليبكي بكلِّ سرورٍ كلما فكَّر في ابنتيه، لكنه حتى هنا والآن ما زال من آل ستارك أبناء وينترفل، ويتجمَّد حُزنه وغضبه في أعماقه كقالبٍ من الجَليد.

لم تكن ساقه تُؤلمه كثيرًا عندما يظلُّ ساكنًا تمامًا، فحاولَ ألَّا يتحرَّك قَدر المستطاع، وإن كان لا يدري حقًّا كم مَرَّ عليه من الوقت ها هنا. ليست هناك شَمس أو قَمر، وهو لا يستطيع أن يرى كي يَحفُر علاماتٍ لمرور الأيام على الجدران. يفتح ند عينيه ويُغلِقهما ولا فارِق، ينام ويصحو وينام من جديدٍ ولا فارق، ولا يدري أيهما أكثر إيلامًا، النَّوم أم الصَّحو. عندما ينام يرى أحلامًا كريهةً سوداء ملأى بالدِّماء والوعود المكسورة، وعندما يصحو لا يجد ما يفعله غير التَّفكير، وأفكار الصَّحو ألعن من الكوابيس. تفكيره في كات كان يُوجعه كأنه ممدَّد على سريرٍ من الأشواك، وتساءلَ أين هي الآن وماذا تفعل، وتساءلَ إن كان سيراها ثانيةً.

استحالَت السَّاعات إلى أيام، أو هكذا بدا له. كان يَشعُر بألم خافتٍ في ساقه وحكَّةٍ تحت الجِبس، ولمَّا يلمس فخذه يجد لحمها ساخنًا تحت أصابعه. الصَّوت الأوحد الذي يسمعه كان أنفاسه، وبَعد فترةٍ بدأ يُكلِّم نفسه فقط كي يسمع صوتًا، أيَّ صوت. أخذَ يضع خُططًا كي لا يفقد عقله، ويبني قلاعًا من الأملْ في الهواء المظلم، يقول لنفسه إن أخوي روبرت ما زالا طليقين ويحشدان الجيوش في ستورمز إند ودراجونستون، وآلين

وهاروين سيعودان إلى كيمجز لاندنج مع بقيَّة حَرسه بمجرَّد أن يتعامَلوا مع السير جريجور، ولا بُدَّ أن كاتلين ستحشد قوَّات الشَّمال عندما يَبلُغها الخبر وينضمُّ إليها لوردات النَّهر والجبال ووادي آرن.

أكثر فأكثر وجدَ نفسه يُفَكِّر في روبرت، ورأى المَلك طويلًا وسيمًا كما كان في ريعان شبابه، مطرقته الحربيَّة في يده وخوذته العظيمة على رأسه، يجلس على صهوة حصانه كإلهٍ ذي قرنين. سمعَ ضحكاته في الظَّلام ورأى عينيه الزَّرقاوين صافيتين كبحيرةٍ جبليَّة وهو يقول له: «انظر إلينا يا ند. كيف وصَلنا إلى هذا بحَقِّ الآلهة؟ أنا قتلَني خنزير وأنت هنا. لقد ربحنا حربًا معًا».

لقد خذلتك، قال ند لنفسه دون أن يقوى على ترديد الكلمات بصوتٍ عالٍ، *كذبتُ عليك وأخفيتُ الحقيقة، وسمحتُ لهم بقتلك*.

سمعَه المَلك ودمدمَ: «يا لك من أحمق عنيد أكثر كبرياءً من أن تُصغي! هل يُمكنك أن تأكل الكبرياء يا ستارك؟ هل سيحمي الشَّرف أبناءك؟»، وانتشرَت الشُّقوق في وجهه وتفتَّحت الصُّدوع في لحمه ومَدَّ يده لينتزع القناع ليرى ند أنه ليس روبرت على الإطلاق، بل الإصبع الصَّغير يبتسم في وجهه ساخرًا، وعندما فتحَ فمه ليتكلَّم تحوَّلت أكاذيبه إلى عُثٍّ رماديٍّ شاحب حلَّق في الهواء.

كان ند نِصف نائم عندما سمعَ خطوات الأقدام في الرُّواق، وفي البدء حسبَ أنه يَحلُم بها، فقد مضَت مدَّة طويلة منذ سمعَ شيئًا آخَر غير صوته هو. كان محمومًا الآن، الألم في ساقه عذاب مقيم وشفتاه جافَّتان تمامًا مشقَّقتان من شدَّة الظَّمأ، وعندما انفتحَ الباب الخشبيُّ الثَّقيل مُطلِقًا صريره المزعج أغشى الضَّوء المفاجئ عينيه وآلمهما. ألقى إليه السَّجَّان بدورقٍ باردٍ رطب، وأطبقَ ند عليه بكلتا يديه وتجرَّع منه بشراهة ليسيل الماء من فمه ويَقطُر على لحيته، وظَلَّ يشرب حتى شعرَ بالغثيان. «كم مَرَّ...»، سألَ عندما لم يستطِع أن يشرب أكثر من هذا. كان السَّجَّان نحيلًا

كالفزَّاعة وله وجه يُذَكِّرك بالجرذان ولحية مشعثة، يرتدي قميصًا من الحلقات المعدنيَّة ومعطفًا جلديًّا قصيرًا، وقال وهو يختطف الدورق من يدي ند: «لا كلام».

- «أرجوك، ابنتاي...». انغلقَ الباب بعُنفٍ وطرفَ ند بعينيه مع اختفاء الضَّوء وخفضَ رأسه وتمدَّد على القش الذي لم يَعُدْ يحمل رائحة البول والخراء، لم يَعُدْ يحمل أيَّ روائح على الإطلاق.

وبين النَّوم والصَّحو لم يَعُدْ هناك فارق يُدرِكه كذلك، وزحفَت الذِّكرى على عقله في الظُّلمة بتجلِّي الأحلام. كان هذا عام الرَّبيع الزَّائف، وكان في الثَّامنة عشر من عُمره وقد نزلَ من "العُش" لحضور دورة المباريات في هارنهال، يرى الأخضر العميق في العُشب ويشمُّ رائحة اللِّقاح في الهواء، تنتظره نهاراتٍ دافئة وليالٍ معتدلة ومذاق النَّبيذ الحُلو. تذكَّر ضحكات براندون وشَجاعة روبرت الجنونيَّة في الالتحام الجماعي وكيف قهقهَ وهو يُسقِط الرِّجال عن خيولهم ذات اليمين وذات الشِّمال. تذكَّر چايمي لانستر الشَّاب الذَّهبي في دِرعه البيضاء راكعًا وسط العُشب أمام السُّرادق المَلكي ليحلف يمينًا بالدِّفاع عن المَلك إيرس وحمايته، وبَعدها ساعدَ السير أوزويل وِنت چايمي على النُّهوض، ثم قامَ الثَّور الأبيض بنفسه، السير چيرولد هايتاور قائد الحَرس المَلكي، بتثبيت المعطف الأبيض الثَّلجي على كتفيه. السُّيوف البيضاء السِّتَّة كانوا هناك جميعًا ليُرَحِّبوا بأخيهم الجديد.

لكن اليوم كان يوم الأمير ريجار تارجاريَن بمجرَّد أن بدأ النِّزال. ارتدى وليُّ عهد إيرس دِرعًا سوداء لامعةً على صدرها التنِّين ثُلاثي الرُّؤوس المشغول بالياقوت الأحمر (الدِّرع نفسها التي سيموت وهو يرتديها)، ومن فوق كتفيه رفرفَ معطف من الحرير القرمزي وهو ينطلق بحصانه، وبدا كأن لا رُمح يستطيع أن يمسَّه. سقطَ براندون أمامه، ورون رويس البرونزي، وحتي السير آرثر داين سيف الصَّباح.

كان روبرت يتبادَل الدُّعابات مع چون واللورد هنتر والأمير يدور حول المضمار بَعد أن أسقطَ السير باريستان في النِّزال الأخير ليفوز بتاج البطولة، وتذكَّر ند اللَّحظة التي ماتَت فيها الابتسامات كلها على الوجوه، عندما وكزَ الأمير ريجار تارجاريَن حصانه ليَمُرَّ بزوجته الأميرة إليا الدورنيَّة ويضع إكليل ملكة الجمال في حِجر ليانا. كان لا يزال يرى التّاج المصنوع من الورود الشِّتويَّة الزَّرقاء كالصَّقيع.

مَدَّ ند ستارك يده ليُمسِك بتاج الورود، لكن الأشواك كانت متواريةً تحت البتلات الزَّرقاء، وشعرَ بها تخدش جِلده بقسوةٍ ورأى قطرات الدَّم تسيل على أصابعه، واستيقظَ مرتجفًا في الظَّلام.

كم أحبَّت أخته رائحة الزُّهور الشِّتويَّة. عِدني، همسَت وهي ممدَّدة على فِراشها الدَّامي.

منتحبًا قال ند: «لتُنقِذني الآلهة، إنني أفقدُ عقلي».

ولم تتفضَّل الآلهة عليه بإجابة.

كلما جاءَ إليه السَّجَّان بالماء قال لنفسه إن يومًا آخَر قد مَرَّ. في البدايات توسَّل للرَّجل أن يُخبِره بأيِّ شيءٍ عن ابنتيه والعالم الواقع وراء جدران الزِّنزانة، وما من مجيبٍ غير النَّخير والرَّكلات، وبَعدها -عندما بدأ المغص الحاد- صارَ يتوسَّل طالبًا الطَّعام، ولم يُجدِ هذا أيضًا نفعًا، ولم يُطعِموه. لعلَّ أبناء لانستر ينوون أن يَقتُلوه جوعًا... لكن لا، لو أرادَت سرسي موته لكان قد قُتِلَ في قاعة العَرش مع رجاله. إنها تريده حيًّا... ضعيفًا يائسًا لكن حيًّا، فأخوها لدى كاتلين، وهي لا تجرؤ على أن تَقتُله وإلَّا دفعَ العِفريت حياته ثَمنًا لموته.

سمعَ صلصلة السَّلاسل الحديديَّة من خارج الزِّنزانة، ومع انفتاح الباب اِستندَ ند بيده على الجدار الرَّطب ودفعَ نفسه نحو الضَّوء مغمضًا عينيه على إثر وهج المشعل، وقال بصوتٍ مبحوح: «طعام».

- «نبيذ»، أجابَ الصَّوت. لم يكن الرَّجل ذا وجه الجرذ، فالسَّجَّان

أكثر امتلاءً وأقصر قامةً من هذا، وإن كان يرتدي المعطف الجِلدي القصير والخوذة الفولاذيَّة نفسيهما. قال الزَّائر ملقيًا إليه قِربة نبيذ: «اشرب يا لورد إدارد».

كان الصوت مألوفًا على نحوٍ غريب، وإن استغرقَ ند ستارك بعض الوقت كي يتذكَّره، ولمَّا تذكَّره أخيرًا قال مهتزًّا: «ڤارس؟»، ومَدَّ يده ليلمس وجه الرَّجل. «إنني لا... إنني لا أحلمُ بهذا. أنت هنا حقًّا». كانت وجنتا الخَصِيِّ مغطَّاتين بلحيةٍ قصيرةٍ، وتحسَّس ند الشَّعر الخشن بأصابعه لِيجد أن ڤارس قد حوَّل نفسه إلى سجَّانٍ أشيب تفوح منه رائحة العَرق والنَّبيذ. «كيف... أيُّ ساحرٍ أنت؟».

قال ڤارس: «ساحر ظمآن. اشرب يا سيِّدي».

تحسَّست يدا ند القِربة وقال: «أهذا هو السُّم نفسه الذي دسُّوه لروبرت؟».

أجابَ ڤارس بحُزن: «إنك تظلمني. لا أحد يُحِبُّ المخصيِّين حقًّا. ناوِلني القِربة»، وشربَ منها ليسيل خيط من الأحمر على جانب فمه الممتلئ. «ليس كالنَّوع الممتاز الذي قدَّمته لي ليلة دورة المباريات، وإن كان لا يحوي سُمًّا كأغلب الأنواع»، وأضافَ معيدًا القِربة إليه: «هاك».

أخذَ ند رشفةً من النَّبيذ ثم غمغمَ شاعرًا كأنه سيقيء ما شربه: «ثُفل».

- «يجب أن يبتلع الرَّجل الحُلو مع المُر، اللوردات والمخصيُّون على حَدٍّ سواء. لقد حانَت ساعتك يا سيِّدي».

- «ابنتاي...».

قال له ڤارس: «الصَّغيرة فرَّت من السير مرين ولم أتمكَّن من العثور عليها، ولا رجال لانستر كذلك. لا بُدَّ أن في هذا عزاء ما، فمَلكنا الجديد لا يُحِبُّها على الإطلاق. أمَّا الأخرى فلا تزال مخطوبةً لچوفري، وسرسي تُبقيها على مقربةٍ منها. لقد جاءَت إلى البلاط منذ بضعة أيام وتوسَّلت لك الرَّحمة. من المؤسف أنك لم تكن هناك، كنت لتتأثَّر كثيرًا»، ثم مالَ

إلى الأمام قائلًا: «أعتقدُ أنك تعلم أنك رجل ميِّت أيها اللورد إدارد، أليس كذلك؟».

قال ند: «المَلكة لن تَقتُلني». كان رأسه يدور، فالنَّبيذ قويٌّ وهو لم يأكل منذ فترةٍ طويلةٍ للغاية. «كات... كات لديها أخوها».

تنهَّد ڤارس قائلًا: «الأخ الخطأ، ولم يَعُدْ لديها على كلِّ حال. لقد تركَت العِفريت ينزلق من بين أصابعها، وأعتقدُ أنه ميت الآن في مكانٍ ما في جبال القَمر».

- «لو أن هذا صحيح، فاقتلني الآن وانتهِ من الأمر». كان قانطًا مُنهَكًا والنَّبيذ أصابَه بالدُّوار.

- «دمك هو آخِر شيءٍ أرغبُ فيه».

عقدَ ند حاجبيه وقال: «لقد وقفت إلى جوار المَلكة عندما ذبَحوا رجالي وتفرَّجت دون أن تنبس ببنت شفة».

- «وسأفعلها ثانيةً لو تكرَّر الأمر. لقد كنتُ بلا سلاحٍ أو دِرعٍ ومحاطًا برجال لانستر على ما أتذكَّرُ»، ثم حنى الخَصِيُّ رأسه جانبًا ورمقَ ند بنظرةٍ غريبةٍ وقال: «عندما كنتُ ولدًا صغيرًا، قبل أن يقطعوا خصيتيَّ، اعتدتُ أن أسافر مع مجموعةٍ من الممثِّلين في أنحاء المُدن الحُرَّة، وقد علَّموني أن لكلِّ رجلٍ دورًا يلعبه في الحياة كما في التَّمثيليَّات. هذه هي الحال في البلاط. يجب أن يكون عدالة المَلك مخيفًا، وأمين النَّقد مقتصدًا، وحضرة قائد الحَرس المَلكي باسلًا... ووليُّ الهامسين كتومًا متذلِّلًا ولا يعرف التردُّد، فالمُخبِر الشُّجاع لا فائدة منه، تمامًا كالفارس الجبان».

أخذَ القِربة وشربَ منها جَرعةً أخرى، بينما تفحَّص ند وجهه باحثًا عن الحقيقة تحت لحية وندوب الممثِّلين الزَّائفة. ثم إنه جرَّب المزيد من النَّبيذ فنزلَ إلى معدته بسهولةٍ أكثر هذه المرَّة، وقال: «هل يُمكنك تحريري من هذه الحُفرة؟».

- «يُمكنني... لكن هل سأفعلُ؟ كلا. سوف تُلقى الأسئلة وتقود إجاباتها إليَّ».

لم يتوقَّع ند غير هذا، فقال: «أنت فج».

- «الخَصِيُّ بلا شَرف، والعنكبوت لا يتمتَّع بترف الحيرة يا سيِّدي».

- «هل تُوافِق على أن تنقل رسالةً من أجلي على الأقل؟».

- «سيعتمد هذا على الرِّسالة نفسها. سأزوِّدك بالورق والحِبر بكلِّ سرورٍ إذا أردت، وعندما تكتب ما ترغب فيه، سآخذُ الرِّسالة وأقرأها، ثم أوصِّلها أو لا أوصِّلها، حسب خدمتها لأهدافي».

- «وماذا تكون أهدافك يا لورد ڤارس؟».

- «السَّلام»، أجابَ ڤارس بلا تردُّد. «لو كان هناك واحد فقط في كينجز لاندنج يرغب بكلِّ جوارحه في الحفاظ على حياة روبرت باراثيون، فهو أنا»، وزفرَ مضيفًا: «طوال خمسة عشر عامًا حميته من أعدائه، لكني لم أستطِع حمايته من أصدقائه. أيُّ نوبةٍ من الجنون قادَتك لإخبار المَلكة بمعرفتك حقيقة مولد چوفري؟».

أجابَ ند: «جنون الرَّحمة».

- «آه، بالتَّأكيد. أنت رجل صادق شريف أيها اللورد إدارد. كثيرًا ما أنسى هذا، فلم أقابِل إلَّا القليلِ من أمثالك في حياتي»، وتطلَّع إلى جدران الزِّنزانة مُواصِلًا: «والسَّبب يتَّضح لي أكثر عندما أرى ما أفضى بك إليه الصِّدق والشَّرف».

أراحَ ند ستارك رأسه على الجدار الحَجري الرَّطب وأغلقَ عينيه شاعرًا بساقه تنبض من جديد، وقال: «نبيذ المَلك... هل استجوَبت لانسل؟».

قال الخَصِيُّ: «بكلِّ تأكيد. سرسي أعطَته القِرب وقالت له إنها تحوي النَّوع المفضَّل لدى المَلك»، وهَزَّ كتفيه وأضافَ: «الصيَّاد يعيش حياةً محفوفةً بالمخاطر، ولو لم يَقتُل الخنزير البرِّي روبرت، لقتلَته سقطة عن حصانه أو لدغة من أفعى أو سهم ضال. الغابة مجزر الآلهة كما تعلم. لم يكن النَّبيذ ما قتلَ المَلك، بل رحمتك».

كان هذا ما يخشاه ند، وتمتمَ: «لتغفر لي الآلهة».

قال ڤارس: «لو كان للآلهة وجود فأعتقدُ أنها ستفعل. لم تكن المَلكة ستنتظر طويلًا على كلِّ حال، فجموح وعناد روبرت كانا يتضاعفان مع مرور كلِّ يوم، وهي كانت في حاجةٍ للتخلُّص منه كي تنصرف إلى التَّعامُل مع أخويه. زوج عجيب حقًّا ستانيس ورنلي، قُفَّاز من حديد وآخَر من حرير»، ومسحَ فمه بظَهر يده وتابعَ: «لقد تصرَّفت بحماقةٍ يا سيِّدي، وكان يَجدُر بك الإصغاء للإصبع الصَّغير عندما ناشدَك أن تُؤيِّد خلافة چوفري».

- «كيف... كيف عرفت ذلك؟».

ابتسمَ ڤارس مجيبًا: «كلُّ ما يهمُّك أن تعرفه أنني أعرفُ. وأعرفُ أيضًا أن المَلكة ستزورك غدًا».

رفعَ ند عينيه سائلًا ببُطء: «لماذا؟».

- «سرسي مرعوبة منك يا سيِّدي، لكن لديها أعداء آخَرين يُخيفونها أكثر. حبيبها چايمي يُحارِب لوردات النَّهر الآن، ولايسا آرن تجلس في "العُش" محاطةً بالصَّخر والفولاذ وليس هناك محبَّة بينها وبين المَلكة، وفي دورن ما زال آل مارتل لم ينسوا مقتل الأميرة إليا وطفليها، والآن يَعبُر ابنك "العُنق" ومعه جيش من الشَّماليِّين».

قال ند مشدوهًا: «روب مجرَّد صبي».

- «صبيٌّ معه جيش، لكن مجرَّد صبيٍّ كما تقول. أخوا المَلك هما من يَقُضَّان مضجع سرسي حقًّا، ستانيس بالذَّات، فهو الأحقُّ بالعَرش والأشهر بشجاعته كقائدٍ حربي، وهو بلا رحمةٍ على الإطلاق، وليس هناك مخلوق مخيف في العالم كرجلٍ يُطَبِّق العدل بحذافيره. لا أحد يعرف ما الذي يفعله ستانيس في دراجونستون بالتَّحديد، لكنني أراهنُ أنه جمعَ سيوفًا أكثر من الأصداف. هذا هو كابوس سرسي الحقيقي إذن: بينما يستنزف أبوها وأخوها قواهما في مُحارَبة آل ستارك وآل تَلي،

سيهبط اللورد ستانيس على شواطئ كينجز لاندنج ويُعلِن نفسه مَلكًا ويقطع رأس ابنها بشَعره الأشقر ورأسها كذلك، وإن كنتُ أعتقدُ حقًّا أنها تخاف على ابنها أكثر من نفسها».

قال ند: «ستانيس باراثيون وريث روبرت الشَّرعي والعَرش حقُّه، وعن نفسي أرحِّبُ به مَلكًا».

طقطقَ ڤارس بلسانه وقال: «سرسي لن ترغب في سماع هذا، أؤكِّدُ لك. قد يفوز ستانيس بالعَرش، لكن شيئًا لن يتبقَّى منك غير رأسك المتعفِّن على خازوق ليُرَحِّب به ما لم تصن لسانك هذا. لقد توسَّلت سانزا بمنتهى العذوبة حتى أنه من المخزي أن تتجاهَل هذا. سوف تُمنَح حياتك من جديد إذا كنت ترغب فيها. سرسي ليست بالحمقاء، وتعرف أن الذِّئب المروَّض أنفع لها من الميت».

مذهولًا قال ند: «هل تُريدني أن أخدم المرأة التي قتلَت مَلكي وذبحَت رجالي وشلَّت ابني؟».

- «أريدك أن تخدم البلاد. قُل للمَلكة إنك ستعترف بخيانتك، مُر ابنك بإلقاء سلاحه واعترف بأن چوفري هو المَلك الشَّرعي، واعرض أن تدين ستانيس ورنلي كمُغتَصِبين خائنين. لبؤتنا خضراء العينين تعرف أنك رجل شريف، فإذا منحتها السَّلام الذي تحتاجه والوقت للتَّعامُل مع ستانيس ووعدت بأن تأخذ سِرَّها معك إلى القبر، فأنا واثقٌ من أنها ستسمح لك بارتداء الأسود وقضاء بقيَّة حياتك على "الجِدار" مع أخيك وابنك غير الشَّرعي».

ملأ ذِكر چون ند بإحساسٍ من الخجل والأسى أعمق من أن تُعَبِّر عنه كلمات. ليته يستطيع أن يراه ثانيةً ويجلس ليتكلَّم معه. شعرَ بالألم يشتعل في ساقه المكسورة من جديد تحت الجبيرة القذرة، ولاحَ على ملامحه وهو يفتح أصابعها ويُغلِقها عاجزًا، وقال لڤارس لاهثًا: «أهذا من تدبيرك أم أنك متحالف مع الإصبع الصَّغير؟».

بدا الخَصِيُّ مستمتعًا بالسُّؤال وهو يجيب: «أفضِّلُ أن أتزوَّج من كبش كوهور الأسود على أن أتحالف معه. الإصبع الصَّغير هو ثاني رجلٍ ملتوٍ في المَمالك السَّبع. لكن صحيحٌ أني أُطعِمه بضع معلوماتٍ مختارةٍ بين الحين والآخَر تكفي لأن يحسب أنه يملكني، تمامًا كما أجعل سرسي تحسبني ملكها».

- «تمامًا كما تجعلني أحسبُ أنك ملكي. أخبِرني أيها اللورد ڤارس، من تخدم حقًّا؟».

ارتسمَت ابتسامة رفيعة على شفتي ڤارس وهو يُجيب: «البلاد بالطَّبع يا سيِّدي. كيف ترتاب في هذا؟ أقسمُ على هذا بقضيبي المبتور. إنني أخدمُ البلاد، والبلاد تحتاج إلى السَّلام»، وجرعَ ثُمالة النَّبيذ ثم ألقى القِربة جانبًا وقال: «ما إجابتك إذن أيها اللورد إدارد؟ عِدني بأنك ستُخبِر المَلكة بما ترغب في سماعه عندما تأتي لزيارتك».

- «إذا فعلتُ سيكون وعدي أجوف كدِرعٍ خالية، فحياتي ليست ثمينةً عندي لهذه الدَّرجة».

نهضَ الخَصِيُّ قائلًا: «يا للخسارة! وماذا عن حياة ابنتك يا سيِّدي؟ أهي ثمينة عندك؟».

شعرَ ند بسهم باردٍ يَثقُب قلبه. «ابنتي...».

- «لا شَكَّ أنك لم تحسب أني نسيتُ أمر ابنتك البريئة الجميلة، فمن المؤكَّد أن المَلكة لم تفعل».

بصوتٍ لاهثٍ قال ند متوسِّلًا: «لا... ڤارس، بحقِّ الآلهة افعل كما تشاء بي لكن دع ابنتي وشأنها. إنها مجرَّد طفلة».

- «وريينس ابنة الأمير ريجار كانت طفلةً كذلك، أصغر من ابنتيك. هل كنت تعرف أنها كانت تملك هِرًّا أسودَ صغيرًا اسمه بالريون؟ لطالما تساءَلتُ عمَّا حدثَ له. كانت ريينس تُحِبُّ أن تتظاهَر بأنه بالريون الحقيقي، الرُّعب الأسود القديم، لكني أعتقدُ أن آل لانستر علَّموها

الفارق الحقيقي بين الهِرِّ والتنِّين يوم حطَّموا باب غُرفتها»، ورمقَه فارس بنظرةٍ طويلةٍ تحمل من الإعياء ما يوحي بأنه رجل يحمل كلَّ ما في العالم من حُزنٍ في جوالٍ على كتفه وقال: «السِّپتون الأعلى قال لي ذات مرَّةٍ إننا نعاني إذ نرتكب الخطيئة، لكن إذا كان هذا صحيحًا أيها اللورد إدارد، فقُل لي لماذا يُعاني الأبرياء دائمًا أكثر من غيرهم بينما تلعبون أنتم لُعبة العروش فيما بينكم يا كبار اللوردات؟ تدبَّر هذا بينما تنتظر مجيء المَلكة، وفكِّر في هذا أيضًا: الزَّائر التَّالي قد يأتي لك بالخُبز والجُبن وحليب الخشخاش من أجل ألم ساقك... أو قد يأتي لك برأس سانزا. الاختيار يا حضرة اليَد العزيز لك بالكامل».

كاتلين

تعاظمَت مخاوف كاتلين مع كلِّ فرسخٍ يقطعونه والجيش يَعبُر الممرَّ المرتفع فوق مستنقعات "العُنق" السَّوداء ويتدفَّق إلى أراضي النَّهر، وإن وارَتها تحت قناعٍ من الحزم والثَّبات. أيامها صارَت حافلةً بالقلق ولياليها بالاضطراب، وكلُّ غُداف يُحلِّق فوقهم كان يجعلها تضغط على أسنانها.

كانت تخاف على أبيها وتتساءَل عن سبب صمته المنذر بالشُّؤم، وعلى أخيها إدميور وتدعو أن تحفظه الآلهة من السُّوء إذا وقعَت المُواجَهة بينه وبين قاتِل المَلك في المعركة، وعلى ند وابنتيها والولدين الصَّغيرين اللذين تركَتهما في وينترفل، لكنها لم تكن تملك شيئًا تستطيع أن تفعله من أجل أيٍّ منهم، ولهذا أجبرَت نفسها على تنحية أفكارها عنهم جانبًا، ولنفسها قالت: يجب *أن تدَّخري قوَّتكِ لروب، فهو الوحيد الذي بإمكانكِ مُساعَدته الآن. يجب أن تكوني قاسيةً شديدةً كالشَّمال يا كاتلين تَلي، أن تكوني من آل ستارك حقًّا مِثل ابنكِ.*

تقدَّمهم روب على ظَهر حصانه تحت راية وينترفل الخفَّاقة. في كلِّ يوم كان يَطلُب من أحد اللوردات الانضمام إليه ليتشاوَر معه أثناء زحف الجَيش، وبهذا يُبدي احترامه لكلٍّ منهم على التَّوالي دون تمييزٍ بينهم، ويُصغي إليهم كما كان أبوه ليفعل بالضَّبط ويزن كلماتهم جيِّدًا ويُقارِنها ببعضها بعضًا. فكَّرت كاتلين وهي تتطلَّع إليه: *لقد تعلَّم الكثير من ند حقًّا، لكن تُرى هل تعلَّم بما فيه الكفاية؟*

كان السَّمكة السَّوداء قد انتقى مئةً من أفضل الرِّجال ومئةً من الخيول السَّريعة وقادَهم سابقًا الجيش بمسافةٍ لا بأس بها ليستطلع الطَّريق، لكن التَّقارير التي عادَ بها خيَّالة السير برايندن لم تنجح في طمأنتها كثيرًا. كان جيش اللورد تايوين لا يزال على مسافة أيام عدَّة جَنوبًا، لكن والدر فراي سيِّد "المعبر" حشدَ ما يَقرُب من أربعة آلاف رجلٍ عند قلعتيه التَّوأمتين على فرع الثَّالوث الأخضر.

- «متأخِّرًا ثانيةً»، غمغمَت كاتلين عندما سمعَت. كأنها معركة الثَّالوث من جديد، عليه اللَّعنة. لقد استدعى أخوها إدميور راياته، ومن المفترَض أن يكون اللورد فراي قد ذهبَ للانضمام إلى جيش آل تَلي عند ريفررَن، لكن ها هو لا يزال جالسًا في مكانه.

- «أربعة آلاف رجل؟»، ردَّد روب مندهشًا أكثر منه غاضبًا. «لا يُمكن أن اللورد فراي يأمل مُحارَبة جيش لانستر وحده بهذا العدد، ولا بُدَّ أنه ينوي ضَمَّ قوَّاته إلى قوَّاتنا».

سألته كاتلين: «أتعتقد هذا؟». كانت قد تقدَّمت للانضمام إلى روب ورفيقه لهذا اليوم روبت جلوڤر، وقد انتشرَت طليعة الجيش من ورائهم كغابةٍ من الرِّماح والحراب والرَّايات تتحرك بتؤدة. «لستُ واثقةً. لا تتوقَّع شيئًا من والدر فراي ولن تندهش أبدًا».

- «لكنه من حمَلَة راية أبيكِ».

- «بعض الرِّجال يأخذ اليمين الذي حلفَه بجدِّيَّةٍ أكثر من غيره يا روب، ولطالما تعاملَ اللورد والدر بوُدٍّ مع كاسترلي روك أكثر مما يروق لأبي، ثم إن أحد أبنائه متزوِّج من أخت تاوين لانستر. صحيحٌ أن هذا يعني القليل، فاللورد والدر أنجبَ عددًا ضخمًا من الأبناء على مَرِّ السِّنين ويجب أن يتزوَّجوا من واحدةٍ أو أخرى، وإنما...».

سألها روبت جلوڤر عابسًا: «هل تعتقدين أنه ينوي خيانتنا لحساب آل لانستر يا سيِّدتي؟».

تنهَّدت كاتلين مجيبةً: «الحقُّ يُقال إنني أشكُّ في أن اللورد فراي نفسه يعرف ما ينوي أن يفعله. إنه يملك حذر المسنِّين وطموح الشَّباب، ولا يفتقر للمكر إطلاقًا».

قال روب منفعلًا: «لا مناص من أن تكون "التَّوأمتان" لنا يا أمِّي، فلا سبيل آخَر لعبور النَّهر وأنتِ تعرفين هذا».

- «نعم، ووالدر فراي يعرف هذا أيضًا».

خيَّموا ليلتها على حافَّة المستنقع الجَنوبيَّة في منتصَف الطَّريق بين طريق الملوك والنَّهر، وهناك جاءَهم ثيون جرايچوي بالمزيد من الأخبار من عمِّها، وخاطبَ روب قائلًا: «السير برايندن طلبَ إبلاغك بأن قتالًا وقع بينه وبين رجال لانستر. ثمَّة دستة من الكشَّافة الذين لن يعودوا إلى اللورد تايوين بأيِّ تقارير قريبًا، أو أبدًا»، وابتسمَ مضيفًا: «السير أدام ماربراند يقود كشَّافتهم، والآن ينسحب جَنوبًا محرقًا كلَّ شيءٍ في طريقه. إنه يعرف أين نكون إلى حَدٍّ ما، لكن السير برايندن يُقسِم إنه لن يعرف متى ينقسم الجيش أبدًا».

- «ما لم يُخبِره والدر فراي»، قالت كاتلين بحدَّة. «ثيون، عندما تعود إلى عمِّي قُل له أن يضع أفضل رُماته حول "التَّوأمتين" طوال اللَّيل والنَّهار، ويأمرهم بإسقاط أيِّ غُداف يرونه يُحَلِّق من هناك. لا أريدُ أن تنقل الطُّيور تحرُّكات ابني إلى اللورد تايوين».

رَدَّ ثيون بابتسامةٍ مزهوَّة: «هذا ما فعله السير برايندن بالفعل يا سيِّدتي. بضعة طيورٍ سوداء أخرى وسيكون لدينا ما يكفي لعمل فطيرة. سأحتفظُ لكِ بريشها لتصنعي منه قبَّعةً».

كان يَجدُر بها أن تعرف أن برايندن السَّمكة السَّوداء يسبقها بكثيرٍ فعلًا: «وماذا كان آل فراي يفعلون بينما يحرق رجال لانستر حقولهم وينهبون معاقلهم؟».

أجابَ ثيون: «ثمَّة مناوشات دارَت بين رجال السير أدام ورجال اللورد

والدر، وعلى أقلِّ من يومٍ من هنا وجدنا اثنين من كشَّافة لانستر يُطعِمون الغِربان حيث شنقَهما رجال فراي، وإن ظلَّت معظم قوَّات اللورد والدر محتشدةً عند قلعتيه التَّوأمتين».

فكَّرت كاتلين حانقةً أن الأمر له طابع والدر فراي بما لا يدع مجالًا للشَّك: اقبع في مكانك وانتظر وراقب ولا تُجازِف بشيءٍ ما لم تجد نفسك مجبرًا.

قال روب: «لعلَّه ينوي الوفاء بيمينه طالما أن هناك قتالًا بين رجاله ورجال لانستر بالفعل».

لم تَشعُر كاتلين بالتَّشجيع مِثله، وقالت: «الدِّفاع عن أرضه شيء والمعركة المفتوحة ضد اللورد تايوين شيء آخَر بالكامل».

التفتَ روب إلى ثيون جرايچوي وسأله: «هل وجدَ السَّمكة السَّوداء أيَّ سبيلٍ آخَر لعبور الفرع الأخضر؟».

هَزَّ ثيون رأسه نفيًا وأجابَ: «منسوب المياه في النَّهر مرتفع وجريانها سريع. السير برايندن يقول إن خوضها غير ممكنٍ على الإطلاق على هذه المسافة شَمالًا».

- «يجب أن نَعبُر النَّهر!»، صاحَ روب ساخطًا. «قد تتمكَّن خيولنا من العبور سباحةً، لكن ليس وعلى ظهورها رجال مدرَّعون. سنحتاج إلى بناء أطوافٍ تحمل عتادنا من خوذاتٍ ودروعٍ وأسلحة، وليس لدينا العدد الكافي من الأشجار، واللورد تايوين يزحف شَمالًا و...». كوَّر قبضته دون أن يُكمِل.

قال ثيون بثقته المألوفة: «سيكون اللورد فراي أحمق إذا حاولَ منعنا من العبور. إن لدينا خمسة أضعاف ما لديه من الرِّجال، ويُمكنك الاستيلاء على "التَّوأمتين" إذا اضطررت يا روب».

قالت كاتلين: «ليس بسهولة، وليس في الوقت المناسب. سيأتي تايوين لانستر ويُهاجِمك من الخلف بينما تقيم حصارك».

نقلَ روب عينيه بينها وبين جرايچوي بحثًا عن حلٍّ ولم يجد، وللحظةٍ بدا أصغر حتى من سنواته الخمسة عشر على الرغم من سيفه ودِرعه واللِّحية النَّابتة على وجهه، ثم سألها: «ماذا كان أبي ليفعل؟».

- «كان ليجد وسيلةً للعبور مهما كان الثَّمن».

في الصَّباح التَّالي عادَ إليهما السير برايندن تَلي بنفسه. كان قد تخلَّى عن الدِّرع والخوذة الثَّقيلتين اللتين ارتداهما كفارسٍ للبوَّابة الدَّامية وانتقى بدلًا منهما ثيابًا أخفَّ من الحلقات المعدنيَّة والجِلد، وإن احتفظَ بالدبُّوس ذي شكل السَّمكة السَّوداء ليُثبِّت به معطفه. كانت ملامح عمِّها متجهِّمةً وهو يترجَّل عن حصانه ويقول: «لقد دارَت معركة تحت أسوار ريڤررَن. عرفنا هذا من أحد كشَّافة لانستر الذين أسرناهم. قاتِل المَلك دمَّر جيش إدميور ودفعَ لوردات الثَّالوث إلى الفرار».

أطبقَت يد باردة على قلب كاتلين وهي تسأله: «وماذا عن أخي؟».

- «جريح وأسير. اللورد بلاكوود وبقيَّة النَّاجين تحت الحصار داخل أسوار ريڤررَن، يُحيط بهم جيش چايمي».

بدا روب مضطربًا وقال: «ينبغي أن نَعبُر هذا النَّهر اللَّعين إذا كنا نأمل في رفع الحصار عنهم في الوقت المناسب».

قال عمُّها: «لن يكون هذا سهلًا. اللورد فراي سحبَ قوَّاته كلها إلى داخل قلعتيه وبوَّاباته مُغلقَة وموصَدة».

صاحَ روب غاضبًا: «تبًّا! إذا لم يُذعِن الأحمق العجوز ويسمح لي بالمرور، فلن يَترُك لي خيارًا غير اقتحام أسواره. سأهدم القلعتين فوقَ رأسه إذا اضطررتُ، وسنرى إن راقَ له هذا!».

قالتِ كاتلين بحزم: «لا تتكلَّم كصبيٍّ مشاكس يا روب. الطِّفل يرى العقبة وأول ما يَخطُر على باله هو أن يهدمها، بينما على اللورد أن يتعلَّم أن الكلمات يُمكنها أحيانًا تحقيق ما تعجز عنه السُّيوف».

احمرَّ وجه روبرت إثر توبيخها، وسألها بخنوع: «أخبِريني بما تقصدين».

- «آل فراي يسيطرون على "المعبر" منذ ستمئة عام، وطوال ستمئة عامٍ لم يفشلوا في تحصيل ضريبة العبور مرَّة».

- «أيُّ ضريبة؟ ما الذي يُريده بالضَّبط؟».

ابتسمَت مجيبةً: «هذا ما يجب أن نكتشفه».

- «وماذا لو رفَضنا دفع ضريبته؟».

- «إذن من الأفضل أن تنسحب إلى "الخندق"، أو تَنشُر جنودك للقاء اللورد تايوين في المعركة، أو ينمو لك جناحان... لا أرى خياراتٍ أخرى»، قالتها كاتلين ووكزَت حصانها وانطلقَت به تاركةً ابنها يُفكِّر في كلماتها، فلن يُفيده أن تُشعِره بأن أمَّه تغتصب منه القيادة. *هل علَّمته الحكمة كما علَّمته الشَّجاعة يا ند؟ هل علَّمته كيف يركع؟* إن مقابر المَمالك السَّبع كلها ملأى بمن لم يتعلَّموا هذا الدَّرس.

كان النَّهار قد انتصفَ عندما لاحَت "التَّوأمتان" أمام طليعة الجيش، القلعتان اللتان يَحكُم منهما سادة "المعبر" أرضهم.

كان مجرى فرع الثَّالوث الأخضر سريعًا عميقًا في هذه المنطقة، لكن آل فراي مدُّوا جسرًا عبره منذ عدَّة قرونٍ وأثروا من الأموال التي ينبغي على من يرغب في العبور أن يدفعها. كان الجسر عبارةً عن قنطرةٍ عملاقةٍ من الصَّخر الرَّمادي الأملس، يتَّسع بما يكفي لأن تَعبُر عليه عربتان متجاورتان، ومن منتصَفه يرتفع بُرج المياه الذي يسيطر على الطَّريق والنَّهر في آنٍ واحدٍ عن طريق ما فيه من فتحات الرِّماية والمكامن والشَّبكة الحديديَّة. استغرقَ آل فراي ثلاثة أجيالٍ كاملةٍ لإكمال جسرهم، وعندما فرغوا من البناء أقاموا قلعتين خشبيَّتين كبيرتين على الضفَّتين كي لا يستطيع أحد العبور دون إذنٍ منهم. كانت الأخشاب قد أفسحَت الطَّريق للحجارة منذ زمنٍ بعيد، ولقرونٍ حمَت "التَّوأمتان" -القلعتان

الضَّخمتان القبيحتان اللتان يُنذِر منظرهما بالويل، والمتماثلتان في كلِّ تفصيلةٍ والجسر بينهما- "المعبر". ضفَّتا النَّهر تحميهما الجدران العالية والخنادق العميقة والبوَّابات الثَّقيلة المصنوعة من البلُّوط والحديد، بينما ترتفع أساسات الجسر من داخل حصنين داخليَّين واسعين، ويُدافِع بُرج المياه عن الجسر نفسه.

نظرة واحدة من كاتلين كانت كافيةً لأن تعرف أن الاستيلاء على قلعة هذه الضفَّة بالاقتحام غير وارد، فمن الشُّرفات لاحَت الرِّماح والسُّيوف والعرادات[1]، ووقفَ رام وراء كلِّ فتحةٍ للسِّهام، وكان الجسر المتحرِّك مرفوعًا والشَّبكة الحديديَّة مسدَلةً والبوَّابات مغلقةً وموصدةً. بدأ چون الكبير يرغي ويزبد بمجرَّد أن رأى ما ينتظرهم، ودمدمَ اللورد ريكارد كارستارك بصمت، بينما قال رووس بولتون: «الهجوم على هذا غير ممكن أيها السَّادة».

قال هلمان تولهارت عابسًا: «ولا يُمكننا الاستيلاء على هذه القلعة بالحصار من دون جيشٍ على الضفَّة الأخرى تُحاصِر القلعة الثَّانية». كانت القلعة الغربيَّة تقف على الجانب الآخَر من المياه الخضراء العميقة كانعكاسٍ لأختها الشَّرقيَّة. «حتى لو كنا نملك الوقت، ونحن لا نملكه بكلِّ تأكيد».

بينما وقفَ اللوردات الشَّماليُّون يفحصون القلعة بأعينهم، انفتحَ مدخل جانبيٌّ صغير وأُنزِل جسر خشبيٌّ ثقيل فوق الخندق، وخرجَت لاستقبالهم مجموعة من الفُرسان يقودها أربعة من أبناء اللورد والدر الكُثر تحت راية تُصَوِّر بُرجين توأمين أزرقين على خلفيَّةٍ من الفضِّي الباهت. كان جميع أبناء فراي يبدون كحيوانات ابن عرس، بالذَّات السير ستڤرون فراي وريث اللورد والدر -وهو رجل تجاوزَ الستِّين من العُمر ولديه أحفاد بدوره- الذي بدا كابن عرس عجوز متعَب، وإن خاطبَهم

(1) العرادة ضرب من المجانيق تُقذف به الأحجار و السِّهام الكبيرة.

بلهجةٍ مهذَّبةٍ قائلًا: «أرسلَني السيِّد والدي لتحيَّتكم والسُّؤال عمَّن يقود هذا الجيش الكبير».

أجابَ روب متقدِّمًا بحصانه: «أنا». كان يرتدي دِرعه الكاملة وتُرس وينترفل الذي يحمل رمز الذِّئب الرَّهيب مثبَّت بسَرجه وجراي ويند إلى جواره.

رمقَ الفارس العجوز ابنها بنظرةٍ من عينيه الرَّماديَّتين الدَّامعتين حملَت لمحةً من السُّخرية، وإن صهلَ حصانه خائفًا وابتعدَ بحركة جانبيَّةٍ عن الذِّئب الرَّهيب. «يُشَرِّف السيِّد والدي أن تتقاسَم معه الطَّعام والشَّراب في القلعة وتشرح له سبب وجودك هنا».

هوَت كلماته بين اللوردات كصخرةٍ ضخمةٍ ألقى بها منجنيق ولم يرضَ أيهم بالدَّعوة، بل أخَذوا يَسُبُّون ويتجادَلون ويصيحون في بعضهم بعضًا.

قال جالبارت جلوڤر لروب: «لا ينبغي أن تفعل هذا أبدًا يا سيِّدي. اللورد والدر ليس أهلًا للثِّقة».

أومأ رووس بولتون برأسه موافقًا وقال: «ادخل هذه القلعة وحدك وستكون له. يُمكنه أن يبيعك لآل لانستر أو يُلقي بك في زنزانة أو يذبحك، كما يشاء».

وقال السير وندل ماندرلي: «إذا كان يُريد أن يتكلَّم معنا، فليفتح بوَّاباته وسنتقاسَم جميعًا معه الطَّعام والشَّراب».

أضافَ أخوه السير وايليس: «أو ليَخرُج ويتكلَّم مع روب هنا على مرأىً من رجاله ورجالنا».

كانت كاتلين ستارك تُدرِك شكوكه كلها وتَشعُر بها هي الأخرى، وإنْ كان عليها أن تُلقي نظرةً واحدةً على السير ستڤرون لترى أنه غير مسرورٍ بما يسمعه. بضع كلماتٍ أخرى وستضيع الفُرصة تمامًا، ويجب أن تتصرَّف في الحال. هكذا رفعَت صوتها قائلةً: «سأذهبُ أنا».

قال چون الكبير عاقدًا حاجبيه: «أنتِ يا سيِّدتي؟».

وسألها روب: «أمِّي، هل أنتِ متأكِّدة؟». كان من الواضح أنه ليس كذلك.

كاذبةً أجابَت كاتلين بعفويَّة: «متأكِّدة أكثر من أيِّ شيءٍ آخَر. اللورد والدر حامل راية أبي وقد عرفته منذ كنتُ فتاةً صغيرةً، ولن يمسَّني بأذىً أبدًا». *ما لم يَرَ منفعةً في هذا*، أضافَت بصمت، لكن بعض الحقائق لا يحتمل القول، وبعض الأكاذيب ضروري.

قال السير ستڤرون: «أنا واثقٌ من أن السيِّد والدي سيُسَرُّ بالتحدُّث إلى الليدي كاتلين، وكي نُبَرهِن على حُسن نوايانا سيبقى أخي السير پروين هنا إلى أن تعود إليكم آمنةً».

قال روب: «سيكون ضيفنا المكرَّم»، وترجَّل السير پروين أصغر الإخوة فراي الأربعة وناولَ عِنان حصانه إلى أخيه، بينما تابعَ روب: «سأنتظرُ عودة السيِّدة والدتي مع حلول المساء يا سير ستڤرون، فلستُ أنوي المكوث هنا طويلًا».

هَزَّ السير ستڤرون رأسه بتهذيبٍ وقال: «كما تقول يا سيِّدي»، ووكزَت كاتلين حصانها وانطلقَت به دون أن تَنظُر وراءها، وتحرَّك أبناء اللورد والدر ومبعوثوه محيطين بها.

ذات مرَّةٍ قال أبوها عن والدر فراي أنه اللورد الوحيد في المَمالك السَّبع كلها الذي يستطيع أن يُنزِل جيشًا إلى الميدان من سرواله، وأدركَت كاتلين ما كان يقصده عندما رحَّب بها سيِّد "المعبر" في القاعة الكبيرة في القلعة الشَّرقيَّة محاطًا بأبنائه العشرين (بخلاف السير پروين الذي كان ليُعَد الحادي والعشرين) وأحفاده الستَّة وثلاثين وأبناء أحفاده التسعة عشر، بالإضافة إلى عددٍ لا يُحصى من البنات والحفيدات والنُّغول وأبناء النُّغول.

كان اللورد والدر نفسه في التِّسعين من العُمر، ابن عرس ذاوٍ ذا رأسٍ

أصلع مرقَّط ولا يستطيع الوقوف بلا مُساعَدةٍ بسبب النَّقرس، وإلى جوار محفّته سارَت زوجته الجديدة الشَّاحبة الهشَّة ذات الستَّة عشر عامًا وهُم يحملونه إلى القاعة. كانت الليدي فراي رقم ثمانية.

قالت كاتلين: «من الجميل أن أراك ثانيةً بَعد كلِّ هذه الأعوام يا سيِّدي».

ضيَّق الرَّجل الهَرِم عينيه ورمقَها بارتيابٍ قائلًا: «حقًّا؟ أشكُّ في هذا. وفِّري عليَّ كلماتكِ المعسولة أيتها الليدي كاتلين، فأنا عجوز للغاية كما ترين. لماذا أنتِ هنا؟ هل ابنكِ أكثر غرورًا من أن يأتي إليَّ بنفسه؟ ماذا أفعلُ معكِ أنتِ؟».

كانت كاتلين فتاةً صغيرةً عندما زارَت "التَّوأمتين" آخِر مرَّة، لكن حتى حينها كان اللورد والدر سريع الغضب حادَّ اللَّهجة فَظَّ الأسلوب، ويبدو أن السِّنين جعلَته أسوأ وأسوأ. عليها أن تنتقي كلماتها بحرصٍ وتَبذُل قصارى جهدها كي لا تَشعُر بالإهانة.

قال السير ستفرون بتأنيب: «أبي، لقد نسيت نفسك. الليدي كاتلين هنا بناءً على دعوتك».

- «هل طلبتُ رأيك؟ أنت لست اللورد فراي بَعد، ليس قبل أن أموت. هل أبدو ميتًا لك؟ لن أسمع منك توجيهات».

قال أحد أبنائه الأصغر: «ليس هذا بالأسلوب اللَّائق للكلام أمام ضيفتنا الكريمة يا أبي».

رَدَّ اللورد والدر ساخطًا: «والآن يتجرَّأ نغولي على تعليمي اللِّياقة. سأتكلَّمُ كما يروق لي عليك اللَّعنة! لقد استضَفتُ ثلاثة ملوكٍ هنا، وملكاتهم كذلك، فهل ترى أني أحتاجُ دروسًا من أمثالك يا رايجر؟ لقد كانت أمُّك تحلب الماعز عندما أفرَغتُ نُطفتي فيها أول مرَّة»، ولوَّح بأصابعه ليصرف الشَّاب محمرَّ الوجه، ثم أشارَ إلى اثنين آخَرين من أبنائه قائلًا: «دانويل، والن، ساعِداني على الجلوس على مقعدي».

رفعَ الاثنان اللورد والدر من فوق المحفَّة وحملاه إلى مقعد آل فراي العالي، وهو مقعد طويل من البلُّوط الأسود نُحِتَ ظَهره على شكل بُرجين يربط بينهما جسر. ذهبَت زوجته الصَّغيرة إليه وغطَّت ساقيه بدثار، وعندما استقرَّ العجوز في مكانه أشارَ إلى كاتلين لتقترب وطبعَ قُبلةً جافَّةً على يدها، وقال: «هاكِ. والآن وقد تحلَّيتُ باللِّياقة يا سيِّدتي، فلربما يُسدي لي أبنائي صنيعًا ويخرسون. لماذا أنتِ هنا؟».

أجابَت كاتلين بأسلوبٍ مهذَّب: «لأطلب منك أن تفتح بوَّاباتك يا سيِّدي. ابني واللوردات حمَلة رايته متلهِّفون على عبور النَّهر والذِّهاب إلى وجهتهم».

أطلقَ ضحكةً نِصف مكتومةٍ وقال: «إلى ريفررَن؟ أوه، لا حاجة لأن تُخبِريني، لا حاجة. إنني لم أصر ضريرًا بَعد وما زلتُ أستطيع قراءة الخرائط».

قالت كاتلين دون أن ترى داعيًا للإنكار: «إلى ريفررَن، حيث توقَّعتُ أن أجدك يا سيِّدي، فأنت لا تزال حامل راية أبي، أليس كذلك؟».

- «هِه!»، أصدرَ والدر فراي الصَّوت الذي يتوسَّط المسافة بين الضَّحك والنَّخير. «لقد جمعتُ رجالي، نعم، ها هُم أولاء، لقد رأيتموهم على الأسوار. كنتُ أنوي التحرُّك بمجرد حشد قوَّتي كلها. أقصدُ أن أرسل أبنائي، فلم أعد أقوى على التحرُّك في عُمري هذا أيتها الليدي كاتلين»، وتطلَّع حوله باحثًا عن تأكيدٍ من المحيطين، وأشارَ إلى رجلٍ طويلٍ محنيِّ الظَّهر في الخمسين وقال: «قُل لها يا چارد، قُل لها إن هذه كانت نيَّتي».

قال السير چارد فراي، أحد أبنائه من زوجته الثَّانية: «هذا صحيح يا سيِّدتي، أقسمُ بشرفي».

- «أهي غلطتي أن أخاكِ الأحمق خسرَ معركته قبل أن نستطيع التحرُّك؟»، وأسندَ ظَهره إلى الوسائد وتطلَّع إليها كأنه يتحدَّاها أن تُشَكِّك في نُسخته من الأحداث. «قيلَ لي إن قاتِل المَلك اخترقَ صفوفه كما

تخترق البلطة الجُبن القديم، فلِمَ يهرع أبنائي إلى الجَنوب ليموتوا؟ كلُّ من ذهَبوا جَنوبًا عادوا فارِّين إلى الشَّمال من جديد».

كانت كاتلين لتسعد بأن تضع العجوز المتذمِّر على سيخ وتشويه على النَّار في هذه اللَّحظة، لكنها كانت تملك وقتًا حتى حلول المساء فقط لفتح البوَّابات، وبهدوءٍ أجبرَت نفسها عليه قالت: «وهذا سبب أدعى لأن نَبلُغ ريفَررَن وبسرعة. أين يُمكننا أن نتكلَّم يا سيِّدي؟».

دمدمَ اللورد فراي: «إننا نتكلَّم الآن، أليس كذلك؟»، ثم دار برأسه الأصلع المرقَّط وزعقَ في أهله: «إلام تَنظُرون؟ هيا، اخرجوا من هنا، الليدي ستارك تُريد أن تتكلَّم معي على انفراد. لعلَّها ترغب في اختبار إخلاصي لزوجتي، هِه! اذهبوا جميعًا، هيا، جدوا شيئًا مفيدًا تفعلونه. وأنتِ أيضًا يا امرأة. اخرجوا، اخرجوا، اخرجوا!». سارعَ أبناؤه وبناته ونغوله وأحفاده وحفيداته وأبناء وبنات إخوته بالخروج من القاعة، بينما مالَ هو عليها قائلًا: «إنهم ينتظرون موتي. ستفرون ينتظره منذ أربعين عامًا، لكني ما زلتُ أخيِّبُ أمله حتى الآن، هِه! لماذا أموتُ لمجرَّد أن يصير هو لوردًا؟ قولي لي أنتِ. لكني لن أفعلها».

- «آملُ من قلبي أن تعيش لتَبلُغ المئة».

- «سيجعلهم هذا يموتون كمدًا بكلِّ تأكيد، أوه، نعم، بكلِّ تأكيد. والآن ماذا أردتِ أن تقولي؟».

- «نُريد أن نَعبُر».

- «أوه، حقًّا؟ ولماذا أسمحُ لكم؟».

للحظةٍ اشتعلَ غضبها وهي تقول: «لو كنت قويًّا بما يكفي لأن تصعد إلى شُرفاتك يا لورد فراي، لرأيت أن ابني لديه عشرون ألف رجلٍ خارج أسوارك».

- «وسيكونون عشرين ألف جثَّة طازجة عندما يصل اللورد تايوين. لا تُحاوِلي تهديدي يا سيِّدتي، فزوجكِ ملقىً في زنزانةٍ تحت القلعة الحمراء

متَّهمًا بالخيانة، وأبوكِ مريض ولعلَّه يحتضر كذلك، وأخوكِ أسير لدى چايمي لانستر، فماذا تملكين لأخاف منه؟ ابنكِ هذا؟ سأباريكِ ابنًا بابنٍ وسيظلّ لديَّ ثمانية عشر منهم عندما يموت أبناؤكِ جميعًا».

قالت كاتلين: «لقد أقسمت بالولاء لأبي».

أومأ برأسه من جانبٍ إلى جانبٍ وقال: «نعم، لقد ردَّدتُ بضع كلمات، لكني أقسمتُ بالولاء للعَرش كذلك على ما أذكرُ. چوفري هو المَلك الآن، ما يجعلكِ أنتِ وابنكِ وكلَّ هؤلاء الحمقى في الخارج مجرَّد متمرِّدين. لو كنتُ أملكُ تعقُّل سمكةٍ لساعَدتُ آل لانستر على القضاء عليكم جميعًا».

قالت بتحدٍّ: «ولِمَ لا تفعل؟».

شخرَ اللورد والدر وقال بازدراء: «اللورد تاوين الأبيُّ الفخور، حاكِم الغَرب ويَد المَلك، أوه، يا له من رجلٍ عظيم حقًّا، ذهب هنا وذهب هناك، هذا الأسد وذاك الأسد. أؤكِّدُ لكِ أنه يُخرِج ريحًا عندما يأكل أكثر من اللَّازم مِثلي تمامًا، لكنكِ لن تسمعيه يعترف بهذا أبدًا، لا. لماذا كلُّ هذا التَّباهي والخيلاء على كلِّ حال؟ ليس لديه غير ابنين وأحدهما وحش مشوَّه صغير. سأباريه ابنًا بابنٍ وسيظلُّ لدي تسعة عشر ونِصف منهم عندما يموت من لديه!»، وضحكَ مضيفًا: «إذا كان اللورد تايوين يُريد مُساعَدتي، فعليه أن يَطلُبها مني بنفسه».

كان هذا كلَّ ما أرادَت أن تسمعه، وقالت بتواضُع: «أنا أطلبُ مُساعَدتك يا سيِّدي، وأبي وأخي وزوجي أبنائي يَطلُبونها بصوتي».

لوَّح اللورد والدر بإصبعه العظمي في وجهها قائلًا: «وفِّري كلماتكِ المعسولة يا سيِّدتي، الكلمات المعسولة أتلقَّاها من زوجتي. هل رأيتِها؟ إنها في السَّادسة عشر، زهرة صغيرة وعسلها لي وحدي. أراهنُ أنها ستُنجِب لي ابنًا مع حلول هذا الوقت العام القادم، وقد أجعله هو الوريث. ألن يُميتهم هذا كمدًا؟».

- «أنا واثقةٌ من أنها ستُنجِب لك أبناءً كُثر».

هَزَّ رأسه وقال: «لم يأتِ أبوكِ إلى الزِّفاف. إنها إهانة في رأيي، حتى إذا كان يحتضر. ولم يأتِ إلى الزِّفاف السَّابق كذلك. يُسَمِّيني اللورد فراي المتلكِّئ. هل يحسبني مِتُّ؟ لم أمت، وأعدكِ أني سأعيشُ بَعده كما عشتُ بَعد أبيه. لطالما احتقرَتني عائلتكِ، لا تُحاوِلي الإنكار، لا تكذبي، فهذه هي الحقيقة. منذ سنواتٍ ذهبتُ إلى أبيكِ وعرضتُ أن يتزوَّج ابنه من ابنتي. ولِمَ لا؟ كانت هناك ابنة معيَّنة في بالي، ابنة جميلة، لا تَكبُر إدميور إلَّا بسنواتٍ قليلة، لكن إذا لم تَرُق لأخيكِ فكانت لديَّ أخريات، أصغر، أكبر، عذراوات، أرامل، أيًّا كان ما يُريد. لكن لا، رفضَ اللورد هوستر بكلماتٍ معسولة، أعذار، بينما ما أردته هو التخلُّص من ابنة. وأختكِ كذلك، إنها لا تقلُّ عنه سوءًا. كان هذا منذ عام لا أكثر، عندما كان چون آرن لا يزال يَد المَلك، وذهبتُ إلى العاصمة لأُشاهِد أبنائي في دورة الألعاب. ستفرون وچارد كبيران على النِّزال الآن، لكن دانويل وهوستين اشتركَا فيه، وپروين كذلك، واثنين من نغولي قاتَلا في الالتحام الجماعي. لو عرفتُ كيف سيُكَلِّلونني بالعار لم أكن لأُزعِج نفسي بقطع الرِّحلة من البداية. لماذا أقطعُ كلَّ هذه المسافة لأتفرَّج على هوستين يَسقُط عن حصانه أمام صبيٍّ تايرل؟ إنه في نِصف عُمره. يُسَمُّونه الفارس الزَّهرة أو شيئًا من هذا القبيل. ودانويل سقطَ أمام فارسٍ متجوِّل! تأتي عليَّ أيام أتساءَلُ فيها إن كان هذان الاثنان ابنيَّ حقًّا. زوجتي الثَّالثة كانت من آل كراكهول، وجميع نساء كراكهول ساقطات. حسن، لا عليكِ بهذا، فقد ماتَت قبل أن تولَدي أصلًا، فلِمَ عساكِ تُبالين؟ كنتُ أتكلَّمُ عن أختكِ. عرضتُ أن يرعى اللورد والليدي آرن اثنين من أحفادي في البلاط، وعرضتُ أن آخذ ابنهما لينشأ هنا في "التَّوأمتين". ألا يستحقُّ أحفادي أن يظهَروا في البلاط المَلكي؟ إنهما ولدان صالحان، هادئان ومهذَّبان. والدر هو ابن مريت، سمَّاه على اسمي، والآخَر... هِه! لا أذكرُ!

لعلَّه كان والدر آخَر، فكلهم يُسَمُّون أبناءهم والدر حاسبين أنهم سينالون رضاي هكذا، لكن أباه... من كان أبوه؟ أيًّا كان، فقد رفضَه اللورد آرن هو والآخَر، وعلى هذا ألومُ أختكِ. تجمَّدت ملامحها لحظتها كأني عرضتُ أن أبيع ابنها لفِرقة ممثِّلين أو أخصيه، وعندما قال اللورد آرن إن الصَّبي ذاهب إلى دراجونستون لينشأ هناك عند ستانيس باراثيون، اندفعَت مغادرةً بلا كلمة اعتذارٍ واحدة، وكلُّ ما نلته من اليَد هو الاعتذارات. ما جدوى الاعتذارات؟ قولي لي».

قطَّبت كاتلين جبينها وقالت حائرةً: «حسبتُ أن النيَّة أن ينشأ ابن لايسا لدى اللورد تايوين في كاسترلي روك».

قال اللورد والدر منفعلًا: «كلا، لدى اللورد ستانيس. أتحسبين أني لا أعرفُ الفارق بين ستانيس باراثيون وتايوين لانستر؟ كلاهما برميل منتفخ غرورًا يحسب نفسه أنبل من أن يتبرَّز، لكن لا عليكِ، إنني أعرفُ الفارق. أم أنكِ تحسبينني عجوزًا لدرجة أني لا أتذكَّر؟ إنني في التِّسعين وأتذكَّرُ جيِّدًا. أتذكَّرُ ماذا أفعلُ مع النِّساء كذلك. أراهنُ ستُنجِب لي ابنًا قبل هذا الوقت العام القادم، أو ابنةً، فمن يستطيع الاختيار؟ ولدًا كان أو بنتًا، سيكون أحمرَ مجعَّدًا يَصرُخ، وفي الغالب ستختار والدر أو والدا اسمًا».

لم تكن كاتلين مهتمَّةً بالاسم الذي قد تختاره الليدي فراي لطفلها القادم، وسألت: «جون آرن كان سيَترُك ابنه ينشأ عند ستانيس باراثيون؟ هل أنت واثق؟».

قال الرَّجل الهَرِم: «نعم، نعم، نعم. لكنه ماتَ، فما الفارق؟ تقولين إنكم تُريدون عبور النَّهر؟».

- «أجل».

- «لا يُمكنكم!»، قال اللورد والدر بصرامة. «ليس من دون إذني، ولِمَ ينبغي أن أعطيكم الإذن؟ آل تَلي وآل ستارك لم يكونوا أصدقاءَ لي قَطُّ»، وتراجعَ في مقعده وعقدَ ذراعيه على صدره مبتسمًا في انتظار إجابة.

والبقيَّة كانت مسألة مساوَمةٍ لا أكثر.

كانت الشَّمس الحمراء قد بدأت رحلة المغيب وراء التِّلال الغربيَّة عندما فُتِحَت بوَّابات القلعة ونزلَ الجسر المتحرِّك وارتفعَت الشَّبكة الحديديَّة، وخرجَت الليدي كاتلين لتُعاوِد الانضمام إلى ابنها واللوردات حمَلَة رايته، ومن ورائها جاءَ السير چارد فراي والسير دانويل فراي والسير هوستين فراي، بالإضافة إلى ابن اللورد والدر غير الشَّرعي رونل ريڤرز، يقودون طابورًا طويلًا من حاملي الرِّماح الذين يرتدون الحلقات المعدنيَّة الزَّرقاء والمعاطف الرَّماديَّة.

انطلقَ روب بحصانه ليُقابِلها وجراي ويند يعدو إلى جواره، وقالت له: «تَمَّ الأمر، سيسمح لك اللورد والدر بالعبور. ورجاله لك كذلك، باستثناء أربعمئة منهم سيبقون هنا لحماية القلعتين. أقترحُ أن تَترُك أربعمئة من رجالك بدورك، خليطًا من الرُّماة والمُبارِزين. إنه لن يعترض على تقوية حاميته... لكن تأكَّد من إعطاء القيادة لرجلٍ تثق به، فقد يحتاج اللورد والدر إلى مُساعَدةٍ للحفاظ على ولائه».

قال روب رامقًا صفوف حاملي الرِّماح: «كما تقولين يا أمِّي. السير هلمان تولهارت ربما، ما رأيك؟».

- «اختيار سديد».

- «ماذا... ماذا يُريد منا إذن؟».

قالت له: «إذا كنت تستطيع الاستغناء عن عددٍ قليلٍ من رجالك، فأريدهم أن يصحَبوا اثنين من أحفاد اللورد والدر شَمالًا إلى وينترفل. لقد وافقتُ على أن آخذهما كتابعين شخصيَّين. إنهما ولدان صغيران، في السَّابعة والثَّامنة من العُمر، وكلاهما اسمه والدر على ما يبدو. أعتقدُ أن أخاك بران سيُرَحِّب بصُحبة ولدين في مِثل عُمره تقريبًا».

- «أهذا كلُّ شيء؟ ولدان صغيران؟ هذا ثمن زهيد مقابل...».

- «سيأتي أوليڤار ابن اللورد والدر معنا كذلك. سيخدم كمُرافِقك الشَّخصي، وأبوه يرغب في تنصيبه فارسًا خلال فترةٍ مُناسِبة».

هَزَّ كتفيه قائلًا: «مُرافِق شخصي، لا بأس، إذا كان...».

- «أيضًا، إذا عادَت أختك آريا آمنةً لنا، فالاتِّفاق أن تتزوَّج من ابن إلمار ابن اللورد والدر الأصغر عندما يَبلُغ كلاهما».

بدا روب مستاءً وقال: «لن يروق لها هذا على الإطلاق».

- «وستتزوَّج أنت من إحدى بناته بمجرَّد انتهاء القتال. لقد وافقَ اللورد والدر بكلِّ كرمٍ على السَّماح لك بختيار من تروق لك منهنَّ، ولديه عدد يراه مناسبًا لك».

لم يبدُ التأثُّر على روب وهو يقول: «مفهوم».

- «هل تقبل؟».

- «هل يُمكنني أن أرفض؟».

- «ليس إذا كنت تُريد العبور».

قال روب بوقار: «أقبلُ إذن». لم يبدُ رجلًا في عينيها كما بدا في تلك اللَّحظة. قد يلعب الصِّبية بالسُّيوف، لكن الأمر يتطلَّب لوردًا حقيقيًّا لإبرام تعهُّدٍ بالزَّواج وهو يعرف معناه.

عبَروا ليلًا والهلال ينعكس على صفحة النَّهر، وشَقَّ الطَّابور المزدوج طريقه من خلال بوَّابة القلعة التَّوأم الشَّرقيَّة كثعبانٍ فولاذيٍّ ضخم يسعى عبر الفناء إلى داخلِ الحصن الدَّاخلي ومنه إلى الجسر ليَخرُج من القلعة الأخرى على الضفَّة الغربيَّة. كانت كاتلين على رأس الأفعى مع ابنها وعمِّها السير برايندن والسير ستڤرون فراي، ومن ورائهم جاءَت تسعة أعشار الخيَّالة والفُرسان وحاملي الرِّماح والمُحارِبين غير النِّظاميِّين والرُّماة ذوو الخيول. استغرقَ عبورهم عدَّة ساعات، ولاحقًا تذكَّرت كاتلين وقع الحوافر اللانهائي على الجسر المتحرِّك ومنظر اللورد والدر

فراي يُشاهِد عبورهم من فوق محفَّته ولمعة العيون التي تَرمُقهم من مكامنِ السَّقف وهُم يَمُرُّون عبر بُرجِ المياه.

ظَلَّ الجزء الأكبر من جيش الشَّمال -من رُماةٍ وحاملي رماح وأعدادٍ ضخمةٍ من المُشاة المسلَّحين- على ضفَّة النَّهر الشَّرقيَّة تحت قيادة رووس بولتون، الذي أمرَه روب بمُواصَلة الطَّريق جَنوبًا لمُواجَهة جيش لانستر الضَّخم الزَّاحف شَمالًا تحت قيادة اللورد تايوين.

أيًّا كان ما سيَحدُث، خيرًا أو شرًّا، فقد بدأ ابنها الآن المواجَهة الحقيقيَّة.

چون

سأله اللورد مورمونت مقطِّبًا جبينه: «هل أنت بخير يا سنو؟»، ونعقَ غُدافه: «بخير، بخير!».

- «نعم يا سيِّدي»، أجابَه چون كاذبًا بصوتٍ أعلى من اللَّازم كأن هذا سيجعل قوله حقيقيًّا. «وماذا عنك؟».

عابسًا قال مورمونت وهو يَحُكُّ أسفل ذقنه: «رجل ميت حاولَ أن يَقتُلني، فما رأيك أنت؟». كانت لحيته الشَّيباء الكثَّة قد سُفِعَت أثناء الحريق فاضطرَّ لأن يحلقها بالكامل، وجعلَته الشُّعيرات الجديدة النَّابتة يبدو عجوزًا مزريًا كثير الشَّكوى. «لكنك لا تبدو بخيرٍ حقًّا. كيف يدك؟».

ثنى چون أصابع يده المضمَّدة بالحرير حتى المِرفق تقريبًا قائلًا: «تتعافى». كان حرق يُمناه أسوأ مما حسبَ وهو يُلقي السَّتائر المشتعلة على الجثَّة الحيَّة. وقتها لم يَشعُر بأيِّ شيء، لكن الألم المُمِضَّ جاءَ لاحقًا، عندما بدأت السَّوائل تنزُّ من الجِلد الأحمر المتشقِّق وانتفخَت القروح الدَّموية مخيفة الشَّكل بين أصابعه كبيرةً كالصَّراصير. «قال المِايستر إن الجروح ستَترُك ندوبًا لن تزول، لكن اليد ستعود كما كانت مع الوقت».

- «النُّدوب لا تهمُّ، فعلى "الجِدار" تُغَطِّي القُفَّازات الأيدي أغلب الوقت».

- «كما تقول يا سيِّدي». لم تكن فكرة النُّدوب هي ما يُقلِق چون حقًّا

بل البقيَّة، فقد سقاه المِايستر إيمون حليب الخشخاش لكن الألم ظَلَّ يفوق الوصف على الرغم من هذا. في البداية أحسَّ كأن يده لا تزال مشتعلةً، تحترق طوال اللَّيل والنَّهار، ولم يكن يُشعِره بشيءٍ من الرَّاحة غير غمسها في حوضٍ من الثَّلج وبُرادة الجَليد، وشكرَ چون الآلهة لأن أحدًا غير جوست لم يره يتلوَّى في فِراشه وينتحب من شدَّة الألم. كان يَحلُم عندما يغيب في النَّوم أخيرًا، وهذا أسوأ، ففي الحُلم كانت للجثَّة التي يُقاتِلها عينان زرقاوان ويدان سوداوان ووجه أبيه، لكنه لم يجرؤ على إخبار مورمونت بذلك.

قال الدُّب العجوز: «دايوين وهاك عادا ليلة أمس، لكنهما كالآخَرين لم يجدا أثرًا لعمِّك».

- «أعرفُ هذا». كان چون قد جَرَّ نفسه إلى القاعة العامَّة ليتناوَل العشاء مع أصدقائه، وعودة الجوَّالة من بحثهم بلا نتيجةٍ هي كلُّ ما يتكلَّم عنه الرِّجال.

دمدمَ مورمونت: «تعرف؟ كيف يعرف الجميع كلَّ شيءٍ هنا؟». لم يبدُ أنه ينتظر إجابةً، وأكملَ: «من الواضح أنه كان هناك اثنان فقط من تلك الـ... المخلوقات أيًّا كانت، فلن أقول إنهم بَشر. والشُّكر للآلهة على هذا، فلو كان هناك المزيد منهم... إنني لا أقوى حتى على التَّفكير فيما كان ليَحدُث. لكن مزيدًا منهم سيأتي. أشعرُ بهذا في نخاع عظامي العجوز، والمِايستر إيمون يتَّفق معي. الرِّياح الباردة تَهُبُّ والصَّيف في نهايته، والشِّتاء قادم كما لم يرَ هذا العالم مثيلًا له من قبل».

الشِّتاء قادم. لم يَحدُث من قبل أن كان لكلمات آل ستارك هذا الوقع الكئيب المنذر بالويل على أُذني چون كالآن. قال بتردُّد: «سيِّدي، قالوا إن طائرًا جاءَ ليلة أمس».

- «نعم، ماذا عنه؟».

- «كنتُ آملُ أن هناك أنباءً عن أبي».

- «*أبي، أبي!*»، قال الغُداف العجوز كأنه يستهزئ به ورأسه يتمايَل وهو يتحرَّك بين كتفي مورمونت.

مَدَّ حضرة القائد يده ليُغلِق منقاره بأصابعه، لكن الغُداف وثبَ فوق رأسه وخفقَ بجناحيه ثم حلَّق في هواء القاعة ليقبع فوق إحدى النَّوافذ، فقال مورمونت حانقًا: «الهمُّ والإزعاج، هذا هو كلُّ ما تَصلُح له الغِدفان. لا أدري لماذا أحتملُ هذا الطَّائر الملعون»، ثم خاطبَ چون قائلًا: «ألا تحسب أني كنتُ لأستدعيك إذا جاءت أنباء عن اللورد إدارد؟ نغل أم لا، فأنت ما زلت من دمه. الرِّسالة كانت بخصوص السير باريستان سلمي. يبدو أنهم أعفوه من موقعه في الحَرس المَلكي وأعطوا مكانه للكلب الأسود كليجاين، والآن سلمي مطلوب بتهمة الخيانة. أرسلَ الحمقي بعض الحَرس للقبض عليه، لكنه صرعَ اثنين منهم وهربَ»، وأطلقَ مورمونت نخيرًا لا يَترُك مجالًا للشَّكِّ في رأيه فيمن يُرسِلون ذوي المعاطف الذَّهبيَّة ضد فارسٍ مغوارٍ مِثل باريستان الباسل، ثم قال باشمئزاز: «لدينا ظلال بيضاء تجوب الغابة، وجثث حيَّة تتحرَّك في عُقر دارنا، وعلى العَرش الحديدي يجلس صبي».

بصخبٍ صاح الغُداف: «*صبي، صبي، صبي، صبي!*».

كان چون يُدرِك أن السير باريستان كان أمل الدُّب العجوز الأخير، والآن وقد سقطَ فما أمل مورمونت في أن يُعير أيهم رسالته انتباهًا؟ كوَّر قبضته ليشتعل الألم في أصابعه المحترقة، وسألَ: «وماذا عن أختيَّ؟».

- «الرِّسالة لم تَذكُر شيئًا عن اللورد إدارد أو الفتاتين»، وهَزَّ كتفيه بضيقٍ مضيفًا: «لعلَّ رسالتي لم تصلهم أصلًا. إيمون أرسلَ نُسختين منها مع اثنين من أفضل طيوره، لكن من يدري؟ في الغالب لم يُكَلِّف پايسل نفسه عناء الرَّد. لن تكون هذه المرَّة الأولى أو الأخيرة. أخشى أن لا قيمة لنا عندهم على الإطلاق في كينجز لاندنج. إنهم يُخبِروننا بما يرغبون أن نعرفه فقط، وهو قليل بما فيه الكفاية».

فكَّر چون باستياء: *وأنت تُخبِرني بما ترغب في أن أعرفه فقط، وهذا أقلّ*. لقد استدعى أخوه روب راياته وذهبَ جَنوبًا إلى الحرب، لكن لا أحد ذكرَ له كلمةً واحدةً عن هذا... باستثناء ساموبل تارلي الذي كان قد قرأ الرِّسالة للمِايستر إيمون وهمسَ بَعدها بفحواها في أُذن چون ليلتها سِرًّا، مردِّدًا طوال الوقت أنه لا يَجدُر به أن يفعل هذا. لا شَكَّ أنهم قالوا إن حرب أخيه ليست من شأنه، لكنها كانت تشغل باله في الحقيقة أكثر من أيِّ شيءٍ آخَر. أخوه في الطَّريق إلى الحرب وهو لا، ومهما ردَّد چون لنفسه أن مكانه هنا الآن مع إخوته الجُدد على "الجِدار"، فقد ظَلَّ يَشعُر بأنه جبان.

صاحَ الغُداف: «*ذُرة، ذُرة، ذُرة!*».

- «صمتًا!»، قال له الدُّب العجوز، ثم التفتَ إلى چون سائلًا: «سنو، متى قال المِايستر إيمون إنك ستستطيع استخدام يدك هذه من جديد؟».

أجابَ چون: «قريبًا».

- «عظيم»، وعلى المائدة بينهما وضعَ اللورد مورمونت سيفًا كبيرًا في غِمد معدنيٍّ أسودَ مطعَّم بالفضَّة، وقال: «هاك، ستكون مستعدًّا لاستخدام هذا إذن».

حلَّق الغُداف من فوق النَّافذة وحَطَّ على المائدة وتحرَّك نحو السَّيف بفضول، بينما لم يفهم چون ما يقصده حضرة القائد، وقال بتردُّد: «سيِّدي؟».

- «لقد أذابَ الحريق الفضَّة عن القبيعة وأحرقَ الواقي العرضي والمقبض. ماذا تتوقَّع من الجِلد الجاف والخشب القديم؟ لكن النَّصل... ستحتاج نارًا أجيجها أشدُّ مئة مرَّةٍ كي يتلف النَّصل»، ودفعَ السَّيف في غِمده إلى چون قائلًا: «جعلتهم يصنعون الأجزاء التَّالفة من جديد. هَلُمَّ، خُذه».

ردَّد الغُداف وهو يُسَوِّي ريشه بمنقاره: «*خُذه، خُذه، خُذه!*».

بارتباكٍ أمسكَ چون السَّيف بيُسراه، فيُمناه المضمَّدة كانت لا تزال

خرقاء الحركة وتُؤلم بشدَّة كلما أمسكَ بها شيئًا، وبحرصٍ سحبَ السَّيف من الغِمد ورفعَه إلى مستوى عينيه.

كانت القبيعة كتلةً من الحَجر باهت اللَّون مثقلةً بالرَّصاص للحفاظ على توازُن النَّصل الطَّويل وقد نُحِتَت على شكل رأس ذِئب يُزَمجِر له عينان من العقيق الأحمر، والمقبض الأسود اللَّيِّن من الجِلد الجديد الذي لم يتلوَّث بَعد بالعَرق أو الدَّم، أما النَّصل نفسه فكان أطول بنِصف قدمٍ كاملٍ على السُّيوف التي اعتادَ عليها چون، مستدقًّا بحيث يَصلُح للطَّعنِ كما للقَطع. بينما كان "جَليد" سيف أبيه سيفًا عظيمًا يُحمل باليدين بمعنى الكلمة، فقد كان هذا سيفًا طويلًا من النَّوع الذي يُطلَق عليه "يد ونِصف"، وفي بعض الأحيان "سيف نغل"، وإن كان أخفَّ كثيرًا من السُّيوف التي حملها من قبل. عندما أدارَه چون إلى الجانب استطاعَ أن يرى التموُّجات العميقة في داخل الفولاذ القاتم حيث طُوِيَ على نفسه مرَّات ومرَّات، وقال بدهشة: «هذا فولاذ ڤاليري يا سيِّدي». كثيرًا ما تركَه أبوه يحمل "جَليد"، وكان يعرف شكل الفولاذ الڤاليري وإحساسه.

قال الدُّب العجوز: «هو كذلك. كان ملكًا لأبي ولأبيه من قبله، وتوارَثه آل مورمونت لخمسة قرون. كنتُ أحمله في شبابي، وترَكته لابني عندما ارتديتُ الأسود».

إنه يُعطيني سيف ابنه. لم يُصَدِّق چون نفسه. كان النَّصل متوازنًا لدرجةٍ رائعة، وتوهَّجت حافَّته بخفوتٍ والضَّوء يَسقُط عليها. «ابنك؟».

- «لقد جلبَ ابني العار لعائلة مورمونت، لكنه على الأقل تحلَّى بما يكفي من كياسةٍ لأن يَترُك السَّيف قبل فراره. أعادَته أختي إليَّ، لكن مجرَّد مرآه يُذَكِّرني بعار چورا، وهكذا وضَعته جانبًا ولم أفكِّر فيه حتى وجدناه بين الرَّماد في غُرفة نومي. القبيعة الأصليَّة كانت على شكل رأس دُبٍّ من الفضَّة، لكن باليةً تمامًا ولم تَعُدْ معالمها مميَّزةً، وخطرَ لي أن رأس ذِئبٍ أبيضَ سيُلائِمك أكثر. أحد بنَّائينا نحَّات بارع».

كان چون وهو في عُمر بران يَحلُم بالقيام بمآثرٍ عظيمةٍ كما يفعل كلُّ الصِّبية في سِنِّه، وتغيَّرت تفاصيل أعماله البطوليَّة مع كلِّ حُلم، لكنه غالبًا ما تخيَّل نفسه يُنقِذ حياة أبيه، وبَعدها يُعلِن اللورد إدارد أن چون قد أثبتَ نفسه كستارك حقيقي ويضع "جَليد" في يده، لكن حتى وقتها كان يُدرِك أنها حماقة أطفال، فلا نغل في العالم يُمكنه أن يأمل أن يحمل سيف أبيه ذات يوم. حتى الذِّكرى كانت تُصيبه بالخجل، فأيُّ رجلٍ هذا الذي يسرق ما هو لأخيه بحَقِّ الميلاد؟ *ليس لديَّ حَقٌّ في هذا السَّيف، تمامًا كما ليس لديَّ حَقٌّ في "جَليد"*. حرَّك أصابعه المحروقة شاعرًا بنبض الألم تحت جِلده، وقال: «سيِّدي، هذا شَرف لي، لكن...».

قاطَعه اللورد مورمونت: «لا مجال لـ"لكن"، فلم أكن لأجلس هنا الآن لولاك أنت وذِئبك هذا. لقد قاتَلت بشجاعة، والأهم أنك كنت سريع البديهة. النَّار! نعم بحقِّ الآلهة، كان يَجدُر بنا أن نُفكِّر في هذا، كان يَجدُر بنا أن نتذكَّر. لقد حَلَّ اللَّيل الطَّويل من قبل. نعم، ثمانية آلاف عامٍ فترة طويلة للغاية بكلِّ تأكيد، لكن إذا لم يتذكَّر حَرس اللَّيل، فمن سيفعل؟».

ردَّد الغُداف الثَّرثار: «*من سيفعل؟ من سيفعل؟*».

لا شَكَّ أن الآلهة أجابَت دعاء چون في تلك اللَّيلة الرَّهيبة، واشتعلَت النَّار في ثياب الرَّجل الميت والتهمَته كأن لحمه شمع وعظامه خشب جاف قديم، وليس على چون إلَّا أن يُغلِق عينيه ليرى الرَّجل الذي كان أوثور يترنَّح في أنحاء الغُرفة ويرتطم بالأثاث واللَّهب يتمسَّك به أكثر وأكثر. كان وجهه هو أكثر شيءٍ يُطارِد ذاكرة چون وقد أحاطَت به النِّيران واشتعلَ شَعره كالقَشِّ وذابَ لحمه الميت عن جمجمته ليكشف عن عظامها. أيًّا كانت القوى الشَّيطانيَّة التي حرَّكت أوثور فقد طردَتها النَّار، فالشَّيء المشوَّه الذي وجدوه بين الرَّماد لم يكن أكثر من لحمٍ مطبوخٍ وعظامٍ متفحِّمة... لكنه ظَلَّ يُواجِهه في كوابيسه ثانيةً وثالثةً وقد ارتدَت الجثَّة المحترقة ملامح اللورد إدارد، وكان جِلد أبيه هو الذي ينفجر

ويسودُّ، وعينا أبيه هما ما تسيلان من محجريهما على وجنتيه كدموعٍ من الهُلام. لم يستوعب چون سبب هذا أو ما قد يكون معناه، لكنه أثارَ فيه الرُّعب أكثر مما يستطيع التَّعبير.

قال مورمونت خاتمًا كلامه: «السَّيف ثَمن زهيد للحياة. خُذه، ولا أريدُ أن أسمع المَزيد عن هذا الأمر، مفهوم؟».

- «نعم يا سيِّدي». شعرَ چون بأن المقبض الجِلدي قد أصبحَ أكثر مرونةً بين أصابعه، كأن السَّيف يُهَيِّئ نفسه كي يُمسِك به دائمًا بالفعل. كان يعرف أنه ينبغي أن يَشعُر بمدى التَّكريم، وكان يَشعُر به بالفعل، ومع ذلك... وثبَ الخاطر إلى ذهنه رغمًا عنه: *إنه ليس أبي. اللورد إدارد هو أبي، ولن أنساه مهما أعطوني من سيوف*. بالطَّبع لم يكن يستطيع أن يقول لمورمونت إن ما يَحلُم به هو سيف آخَر من رجلٍ آخَر.

قال مورمونت: «لا أريدُ أيَّ مجاملاتٍ كذلك، فلا تَشكُرني. أبدِ إجلالك للفولاذ بالأفعال لا الأقوال».

أومأ چون برأسه وقال: «أله اسم يا سيِّدي؟».

- «كان له اسم من قبل، "المخلب الطَّويل"».

ردَّد الغُداف: «*مخلب، مخلب!*».

- «"المخلب الطَّويل" اسم ملائم». جرَّب چون التَّلويح بالسَّيف، وعلى الرغم من أنه كان غير مستريح لحمله بيده اليُسرى، إلَّا أن النَّصل بدا كأنه ينساب في الهواء كأن له إرادة خاصَّة به. «الذِّئاب لديها مخالب كالدِّببة».

بدا الدُّب العجوز مسرورًا بهذا، وقال: «يبدو هذا. أعتقدُ أنك سترغب في ارتدائه وراء كتفك لأنه أطول من أن يُعَلَّق في حزامك، على الأقل حتى يزداد طولك بعض الشَّيء. كما أنك ستحتاج إلى التَّدريب على المُبارَزة بيديك معًا كذلك. سيُريك السير إندرو بعض الحركات عندما تُشفى يدك بما فيه الكفاية».

لم يكن چون يعرف الاسم، وسألَ بحيرة: «السير إندرو؟».

- «السير إندرو تارث، رجل صالح. إنه في طريقه من بُرج الظِّلال ليتولَّى واجبات قيِّم السِّلاح، فقد غادرَ السير أليسر صباحِ الأمس إلى القلعة الشَّرقيَّة على البَحر».

خفضَ چون السَّيف سائلًا بحماقة: «لماذا؟».

أطلقَ مورمونت نخيرًا وقال: «لماذا في رأيك؟ لأني أرسلته، وأخذَ معه اليد التي مزَّقها ذِئبك جوست من جثَّة چافر فلاورز. لقد أمرته بأن يستقلَّ سفينةً إلى كينجز لاندنج ويضعها أمام المَلك الصَّبي. لا بُدَّ أن هذا سيجذب انتباه چوفري، أو أن هذا ما أتمنَّاه. السير أليسر فارس عالي المقام وله أصدقاء في البلاط، ومن الصَّعب تجاهُله كغُرابٍ عادي».

ردَّد الغُداف: «*غُراب!*»، وخطرَ لچون أن الكلمة حملَت لمحةً من السُّخط.

واصلَ اللورد مورمونت متجاهلًا اعتراض الطَّائر: «كما أن هذا يضع ألف فرسخٍ بينك وبينه دون أن يبدو الأمر بمثابة عقابٍ له»، ورفعَ إصبعه في وجه چون مضيفًا: «لكن لا تحسب أني أوافقُ على الهراء الذي ارتكَبته معه. الشَّجاعة تُعوِّض عن جزءٍ لا بأس به من الحماقة، لكنك لم تَعُدْ صبيًّا بغَضِّ النَّظر عن عُمرك. ما تحمله الآن سيف رجل، ويتطلَّب أن يحمله رجل، ومن الآن فصاعدًا سأتوقَّعُ منك أن تتصرَّف كرجل».

- «نعم يا سيِّدي». دَسَّ چون السَّيف في غِمده المطعَّم بالفضَّة مفكِّرًا أنه إذا لم يكن السَّيف الذي يتمنَّاه فهو هديَّة نبيلة على الرغم من كلِّ شيء، وتخليصه من أحقاد السير أليسر ولو لفترةٍ هديَّة أنبل.

فركَ الدُّب العجوز ذقنه وقال: «كنتُ قد نسيتُ كيف تُصيب اللِّحية الجديدة بالحكَّة، لكن ماذا أفعلُ؟ هل تعافَت يدك بما يكفي لاستئناف واجباتك؟».

- «نعم يا سيِّدي».

- «عظيم. ستكون اللَّيلة باردةً، وأريدُ نبيذًا متبَّلًا باردًا. جِد لي إبريقًا من الأحمر، ليس مُرًّا جدًّا، ولا تُقَتِّر في إضافة التَّوابل. وقُل لهوب إنه إذا أرسلَ لي ضأنًا مسلوقًا مرَّةً أخرى، فسأسلقه بنفسي! القطعة الأخيرة كانت رماديَّة، وحتى الغُداف رفضَ أن يمسَّها»، وملَّس على رأس الطَّائر بإبهامه فأطلقَ صياحًا ينمُّ عن الرِّضا. «اذهب الآن، فلديَّ عمل».

ابتسمَ له حارسا البُرج من موقعيهما وهو ينزل الدَّرجات حاملًا السَّيف بيده السَّليمة، وقال أحدهما: «سيف رائع»، وقال الآخَر: «لقد استحقَقته يا سنو»، وابتسمَ چون لهما بدوره، لكن قلبه لم يكن يبتسم. كان يعرف أن من الحريِّ به أن يكون مسرورًا، لكنه لم يَشعُر بأيِّ سرور. كانت يده تُؤلمه، ومذاق الغضب على لسانه، وإن لم يعرف لِمَ هو غاضب أو ممن.

نِصف دستةٍ من أصدقائه كانوا في انتظاره عندما غادرَ بُرج المَلك الذي انتقلَ حضرة القائد إليه بَعد الحريق، وقد علَّقوا هدفًا للتَّصويب على باب صومعة الغلال ليبدوا كأنهم يتمرَّنون على الرِّماية، لكن چون أدركَ أنهم ينتظرونه هو، ولم يكد يَخرُج حتى نادى پيپ عليه قائلًا: «حسنٌ، دعنا نُلقي نظرةً».

- «على ماذا؟».

اقتربَ تودر وقال: «على فلقتي مؤخِّرتك الحمراء. ماذا تعتقد؟».

وقال جرِن: «السَّيف، نُريد أن نرى السَّيف».

رمقَهم بنظرة لوم قائلًا: «كنتم تعرفون؟».

ابتسمَ پيپ وقال: «لسنا جميعًا حمقى مِثل جرِن».

قال جرِن معترضًا: «أنت أحمق مني!».

هَزَّ هالدر البنَّاء كتفيه وقال معتذرًا: «لقد ساعدتُ پات على نحت حَجر القبيعة، وصديقك سام ابتاعَ قطعتي العقيق من بلدة المَناجذ».

وأضافَ جرِن: «لكننا كنا نعرف قبل هذا. رادچ يُساعِد دونال نوي في الورشة، وكان هناك عندما أحضرَ له الدُّب العجوز السَّيف المحروق».

- «السَّيف!»، قال مات فردَّد الآخَرون وراءه: «السَّيف! السَّيف! السَّيف!».

استلَّ چون "المخلب الطَّويل" وأراه لهم مديرًا إياه في هذه النَّاحية وتلك كي يروه جيِّدًا، وتألَّق السَّيف النغل في نور الشَّمس الخافت بلمعةٍ داكنةٍ مميتة. «فولاذ ڤاليري»، قال محاولًا أن يبدو مسرورًا فخورًا كما يُفترَض به أن يَشعُر.

قال تودر: «سمعتُ عن رجلٍ صنعَ موسىً من الفولاذ الڤاليري، فقطعَ رأسه وهو يُحاوِل الحلاقة».

ابتسمَ پيپ وقال: «حَرس اللَّيل عُمره آلاف الأعوام، لكني أراهنُ أن اللورد سنو هو أول من يحمل شَرف إحراق بُرج حضرة القائد».

ضحكَ الآخَرون، وحتى چون نفسه ابتسمَ. لم يكن الحريق الذي أشعلَه قد أحرقَ البُرج الحَجري الكبير، وإن أتى على محتويات الطَّابقين العلويَّين حيث مسكن الدُّب العجوز، لكن لم يبدُ أن أحدًا يُمانِع طالما أنه دمَّر جثَّة أوثور القاتلة كذلك.

الجثَّة الحيَّة الأخرى، الشَّيء ذو اليد الواحدة الذي كان جوَّالًا اسمه چافر فلاورز من قبل، دُمِّرَت كذلك، مُزِّقَت إربًا بعشراتٍ من سيوفهم... لكن ليس قبل أن تَقتُل السير چارمي ريكر وأربعة رجالٍ آخَرين. كان السير چارمي قد بترَ عُنقها، لكنه سقطَ قتيلًا رغم ذلك عندما سحبَت الجثَّة مقطوعة الرَّأس خنجره من غِمده وغرسَته في أحشائه. لا تُجدي القوَّة والشَّجاعة كثيرًا ضد عَدُوٍّ لا يَسقُط لأنه ميت بالفعل، وحتى الأسلحة والدُّروع لا تَصلُح للحماية في حالةٍ كهذه.

عكَّر الخاطر الكئيب مزاج چون المتعكِّر أصلًا، وقال بفظاظةٍ وهو يعيد السَّيف إلى غِمده: «يجب أن أذهب إلى هوب بشأن عشاء الدُّب العجوز». كان يعرف أن أصدقاءه يقصدون خيرًا، لكنهم لا يفهمون، ولم يكن هذا خطأهم حقًّا، لكن أحدًا منهم لم يُواجِه أوثور أو يرى الوهج

الشَّاحب في هاتين العينين الزَّرقاوين الميتتين أو يَشعُر ببرودة تلك الأصابع السَّوداء، كما أن لا أحد منهم يدري بالقتال الدَّائر في أراضي النَّهر، فكيف يستوعبون؟ التفتَ بعيدًا عنهم وغادرَ متجهِّمًا، ونادى عليه پيپ لكنه لم يُجِبه.

كانوا قد أعادوه إلى حُجيرته القديمة في بُرج هاردين المتداعي بَعد الحريق، وإلى هناك اتَّجه ليجد جوست نائمًا إلى جوار الباب، وإن رفعَ رأسه عندما سمعَ خطوات أقدام چون. كانت عينا الذِّئب الرَّهيب أكثر حُمرةً من العقيق وأحكم من البَشر، وركعَ چون إلى جواره وحَكَّ أُذنه وأراه قبيعة سيفه الجديد قائلًا: «انظر، إنه أنت». تشمَّم جوست شكله المحفور في الحَجر وجرَّب أن يلعَقه، فابتسمَ چون وقال: «أنت من يستحقُّ التَّكريم». وفجأةً وجدَ نفسه يتذكَّر كيف وجدَه في ذلك اليوم وسط ثلوج أواخر الصَّيف. كانوا قد بدأوا يتحرَّكون ومعهم الجراء الأخرى، لكن چون سمعَ صوته وعادَ إلى جثَّة أمِّه ليجده هناك، يكاد يتوارى وسط الثُّلوج بفروه الأبيض. *كان وحيدًا تمامًا، بعيدًا عن إخوته. كان مختلفًا عنهم فأبعَدوه.*

- «چون». رفعَ رأسه ليجد ساموِيل تارلي واقفًا يهتزُّ بعصبيَّةٍ على كعبيه وقد احمرَّ وجهه ودثَّر نفسه بمعطفٍ ثقيلٍ من الفرو جعلَه يبدو جاهزًا للبيات الشِّتوي.

نهضَ قائلًا: «سام، ماذا هناك؟ هل تُريد أن ترى السَّيف؟». إذا كان الآخَرون يعرفون، فلا بُدَّ أن سام يعرف أيضًا.

هَزَّ الصَّبي البدين رأسه نفيًا وقال بأسىً: «كنتُ وريثًا لسيف أبي من قبل، "آفة القلوب". سمحَ لي اللورد راندل بحمله بضع مرَّات، لكنه كان يُخيفني دائمًا. كان من الفولاذ الڤاليري، جميلًا لكن شديد الحدَّة وكنتُ أخافُ أن أجرح واحدةً من أخواتي. سوف يرثه ديكون الآن»، وجفَّف عَرق يديه على معطفه قائلًا: «أنا، آه... المِايستر إيمون يرغب في رؤيتك».

لم يكن وقت تغيير ضِمَّادته قد حانَ بَعد، فعقدَ چون حاجبيه وقال: «لماذا؟». كانت ملامح سام بائسةً تمامًا، وأعطاه هذا الإجابة، فقال غاضبًا: «لقد أخبَرته، أليس كذلك؟ أخبَرته بأنك قُلت لي ما جاءَ في الرِّسالة».

- «أنا... إنه... لم أكن أريدُ أن أقول له يا چون، صدِّقني... لقد سألني... وأعتقدُ أنه كان يعرف بالفعل... إنه يرى ما لا يراه الآخَرون».

- «إنه أعمى!»، قال چون بحدَّة. «سأذهبُ وحدي»، وتركَ سام هناك مفغور الفيه يرتجف.

وجدَ المِايستر في المِغدفة يُطعِم الطُّيور ومعه كلايداس يحمل دلوًا من قِطع اللُّحوم يتنقَّلان به بين الأقفاص. «سام يقول إنك تُريدني».

أومأ المِايستر برأسه وقال: «بالتَّأكيد. كلايداس، أعطِ الدَّلو لچون. لا بُدَّ أنه دمث بما يكفي لأن يُساعِدني». ناولَ الأخ الأحدب ذو الملتحمة الملتهبة الدَّلو لچون وغادرَ، وقال له إيمون: «ألقِ اللَّحم في الأقفاص وستقوم الطُّيور بالباقي».

نقلَ چون الدَّلو إلى يده اليُمنى وغمسَ اليُسرى في القِطع الدَّامية، فبدأت الغِدفان تَصرُخ بصوتٍ مزعجٍ وتتزاحَم عند القضبان ضاربةً المعدن بأجنحةٍ سوداء كاللَّيل. كان اللَّحم مقطَّعًا إلى قِطعٍ صغيرةٍ لا يزيد حجمها على مفاصل الأصابع، وملأ چون قبضته به وألقاه داخل القفص، فتعالى صخب الغِدفان أكثر، وتطايرَ الرِّيش إذ التحمَ اثنان من الأكبر حجمًا في قتالٍ حول قطعةٍ كبيرةٍ نوعًا، وبسرعةٍ التقطَ چون حفنةً أخرى وألقاها داخل القفص قائلًا: «غُداف اللورد مورمونت يُحِبُّ الفاكهة والذُّرة».

قال المِايستر: «إنه طائر نادر. معظم الغِدفان يأكل الحبوب لكنها تُفَضِّل اللَّحم، فهو يَمُدُّها بالقوَّة، وإن كنتُ أخشى أنها تستمتع بمذاق الدَّم. في هذا تتشابَه مع البَشر، وكالبَشر تختلف الغِدفان عن بعضها بعضًا».

لم يكن چون يملك ردًّا على هذا، وواصلَ إلقاء اللَّحم داخل الأقفاص متسائلًا عن سبب استدعائه. لا شَكَّ أن العجوز سيُخبِره في الوقت المناسب، فالمِايستر إيمون ليس بالرَّجل الذي تتعجَّله.

تابعَ المِايستر: «من الممكن تدريب الحمام واليمام أيضًا على حمل الرَّسائل، لكن الغُداف أقوى وأسرع، كما أنه أكبر حجمًا وأشجع وأذكى كثيرًا، ويستطيع الدِّفاع عن نفسه ضد الصُّقور. على أن الغِدفان سوداء اللَّون وتأكل الجيفة، ولهذا يتطيَّر منها بعض المتديِّنين. هل تعلم أن بيلور المبارَك حاولَ استبدال جميع الغِدفان باليمام؟»، والتفتَ بعينيه البيضاوين إلى چون وقال مبتسمًا: «لكن حَرس اللَّيل يُفَضِّلون الغِدفان».

قال چون ويده مغموسة في الدَّلو وملوَّثة بالدَّم حتى المعصم: «دايوين يقول إن الهَمج ينعتوننا بالغِربان».

- «الغُراب ابن عمِّ الغُداف المسكين، كلاهما شحَّاذ يرتدي الأسود، مكروه ومُساء فهمه».

تمنَّى چون أن يفهم عمَّا يتكلَّمان بالضَّبط ولماذا. لماذا يُبالي بالغِدفان واليمام؟ إذا كان العجوز لديه شيء يقوله، فلماذا المُوارَبة؟

سأله المِايستر إيمون: «قُل لي يا چون، هل تساءَلت من قبل لِمَ لا يتزوَّج رجال حَرس اللَّيل أو يُنجِبوا؟».

هَزَّ كتفيه وألقى المزيد من اللَّحم في القفص قائلًا: «كلا». كانت يده اليُسرى مغطَّاة بالدِّماء اللَّزجة واليُمنى تؤلمه من ثقل الدَّلو.

أجابَ العجوز: «كي لا يقعوا في الحُب، فالحُب لعنة الشَّرف وموت الواجب».

لم يبدُ هذا معقولًا لچون، لكنه لم يُعَلِّق. المِايستر في المئة من عُمره ومن كبار قيِّمي حَرس اللَّيل، ولا يليق أن يُعارِضه.

غير أن من الواضح أن العجوز قد أحسَّ بشكوكه، فقال: «قُل لي

چون، إذا جاءَ يوم يتحتَّم فيه على السيِّد والدك أن يختار بين الواجب من جهةٍ ومن يُحِبُّ من جهةٍ أخرى، فماذا سيفعل حينها؟».

تردَّد چون. أرادَ أن يقول إن اللورد إدارد لا يُمكنه أن يُلَوِّث شَرفه أبدًا، ولا حتى في سبيل الحُب، لكن الصَّوت الصَّغير في داخله قال: *لقد أنجبَ نغلًا، فأين الشَّرف في هذا؟ وماذا عن أمِّك وواجبه نحوها؟ إنه يَرفُض مجرَّد ذِكر اسمها.* قال بلهجةٍ قويَّةٍ تُعَوِّض تردُّده: «سيفعل الشَّيء الصَّحيح مهما كان الثَّمن».

- «إذن فاللورد إدارد رجلٌ تجده بين كلِّ عشرة آلاف. معظمنا ليسوا بهذه القوَّة، فما الشَّرف مُقارَنةً بحُبِّ امرأة؟ ما الواجب مُقارَنةً بشعورك بابنك الوليد بين يديك، أو ذكرى ابتسامة أخيك؟ كلمات من هواء، كلمات من هواء. إننا بَشر، والآلهة فطرَتنا الى الحُب. هذا هو مجدنا الأكبر، ومأساتنا الأكبر. الرِّجال الذين كوَّنوا حَرس اللَّيل في البداية كانوا يعرفون أن شَجاعتهم فقط هي التي تحمي البلاد من الظُّلمة الواقعة شَمالًا، ويعرفون أنه لا يَجدُر بهم أن ينقسم ولاؤهم فيُضعِف عزمهم، ولهذا أقسَموا ألَّا يتزوَّجوا أو يُنجِبوا... وإن كان لهم إخوة وأخوات، وأمَّهات أنجبنهم وآباء أعطوهم أسماءهم. لقد أتوا من مئةِ مَملكةٍ متصارعة، وأدرَكوا أن الزَّمن قد يتغيَّر أما هُم فلا، ولهذا تعهَّدوا كذلك ألَّا يلعب حَرس اللَّيل دورًا في صراعات البلاد التي يحمونها، وعلى العهد حافَظوا. عندما قتلَ إجون هارن الأسود واستولى على مَملكته، كان أخو هارن هو قائد حَرس اللَّيل على "الجِدار" وتحت يده عشرة آلاف مُحارِب، لكنه لم يتدخَّل مع ذلك. عندما كانت المَمالك السَّبع سبع مَمالك فعلًا، لم يكن جيل يَمُرُّ من دون أن تكون ثلاث أو أربع منها في حالة حرب، ومع ذلك لم يتدخَّل الحَرس. وعندما عبرَ الأنداليُّون البَحر الضيِّق واكتَسَحوا مَمالك البَشر الأوائل، حافظَ أبناء الملوك السَّاقطين على العهد وظلُّوا في مواقعهم. هكذا كان الأمر طوال سنين بلا عدد،

وهذا هو ثَمن الشَّرف. من الممكن أن يكون الجبان شُجاعًا كأيٍّ أحدٍ عندما لا يجد ما يخشاه، وكلنا نقوم بواجبنا عندما لا يُكَلِّفنا شيئًا. كم يبدو مِن السَّهل عندها أن نَسلُك طريق الشَّرف، لكن عاجلًا أم آجلًا في حياة كلِّ منا يأتي يوم لا يكون الطَّريق سهلًا، يوم يتحتَّم علينا فيه الاختيار».

كان بعض الغِدفان لا يزال يأكل وقد تدلَّت قِطع اللَّحم من مناقيره، بينما بدا البعض الآخَر كأنه يُراقِبه، وشعرَ جون بثقل عيونها الخرزيَّة السَّوداء عليه. «وهذا يومي... أهذا ما تقصده؟».

التفتَ المِايستر إيمون ونظرَ إليه بهاتين العينين البيضاوين الميتتين كأنه يرى ما في قلبه بمنتهى الدِّقَّة، ما جعلَ جون يَشعُر كأنه عارٍ مكشوف تمامًا. حملَ الدَّلو بكلتا يديه وألقى ما تبقَّى من لحمٍ من بين القضبان لتطير قِطع اللَّحم وقطرات الدَّم في كلِّ مكان لتُفَرِّقَ الغِدفان وتجعلها تطير في الهواء صائحةً باهتياج، والتقطَ أسرعها اللَّحم في الهواء والتهمَه بجشع، بينما تركَ جون الدَّلو الفارغ يَسقُط أرضًا.

وضعَ الرَّجل الهَرِم يده المعروقة المرقَّطة على كتفه وقال بهدوء: «إنه مؤلم يا بُني، نعم، الاختيار مؤلم... لطالما كان وسيظلُّ مؤلمًا، أعرفُ هذا».

قال جون بمرارة: «أنت لا تعرف، لا أحد يعرف. حتى إذا كنتُ ابنه غير الشَّرعي، فهو لا يزال أبي».

تنهَّد المِايستر إيمون وقال: «ألم تسمع شيئًا مما قلته لك يا جون؟ هل تحسب أنك الأول؟»، وهَزَّ رأسه العجوز بإعياءٍ تعجز عن وصفه الكلمات وتابعَ: «مرَّات ثلاث ارتأت فيها الآلهة اختبار يميني، مرَّة في صباي، ومرَّة في ريعان شبابي، والثَّالثة عندما صرتُ شيخًا مُسِنًّا. وقتها كانت قوَّتي قد ذوَت وراحَ بصري، لكن الاختيار الأخير لم يختلف في قسوته عن الأول. كانت الغِدفان تأتي بالأخبار من الجَنوب، كلمات أسودَ من أجنحتها، دمار عائلتي وموت أهلي، الخزي والخراب. وماذا

كنتُ لأفعلُ وأنا عجوز ضرير هَش؟ كنتُ عاجزًا كطفلٍ رضيع، لكني الْتَعتُ لجلوسي منسيًّا وهُم يَقتُلون ابن أخي المسكين، وابنه، وحتى الطِّفلين الصَّغيرين».

صُدِمَ چون لرؤية الدُّموع تلتمع في عيني العجوز، وبنبرةٍ بطيئةٍ تكاد تكون خائفةً سأله: «من أنت؟».

ارتجفَت ابتسامة بلا أسنانٍ على الشَّفتين القديمتين وصاحِبها يجيب: «مجرَّد مِايسترٍ من "القلعة" تعهَّد بالخدمة لقلعة حَرس اللَّيل السَّوداء. في جماعتي نتخلَّى عن أسماء عائلاتنا ونحلف اليمين ونرتدي سلاسلنا»، ومَسَّ السِّلسلة المحيطة برقبته المهزولة وقال: «أبي كان مايكار الأول، وأخي إجون حكمَ بَعده بدلًا مني. سمَّاني جدِّي على اسم الأمير إيمون الفارس التنِّين الذي كان عمُّه، أو أباه، حسب الحكاية التي تختار أن تُصَدِّقها... سمَّاني إيمون».

بذهولٍ قال چون: «إيمون... تارجاريَن؟».

قال العجوز: «كنتُ... كنتُ. كما ترى إذن يا چون، إنني أعرفُ، ولأني أعرفُ فلنٍ أقول لك أن تبقى أو تذهب. عليك أن تختار وتعيش مع اختيارك ما تبقَّى من حياتك كما فعلتُ»، وردَّد هامسًا: «كما فعلتُ».

دنيرس

بَعد انتهاء المعركة قادَت داني فَرسها الفضِّيَّة عبر حقول الموتى، وفي أعقابها وصيفاتها ورجال كاسها يبتسمون ويتبادَلون الدُّعابات.

كانت حوافر خيول الدوثراكي قد دكَّت التُّربة ووطأت القمح والعدس، بينما بذرَت الأراخات والسِّهام محصولًا مريعًا جديدًا وروَته بالدِّماء، ورفعَت الخيول المحتضرة رؤوسها وصرخَت فيها وهي تَمُرُّ بها. تعالى أنين الجرحى وصلواتهم الملهوفة وبينهم يتحرَّك الچاكا رهان، رجال القتل الرَّحيم ذوو الفؤوس الثَّقيلة الذين يحصدون رؤوس من ماتوا ومن يموتون على حَدٍّ سواء، تمهيدًا لأن تأتي بَعدهم مجموعة من الفتيات الصَّغيرات لينتزعنَ السِّهام من الجثث ويملأنَ بها سلالهنَّ، وأخيرًا يأتي قطيع الكلاب الجائعة الذي تجده دائمًا على مسافةٍ قريبةٍ من مؤخِّرة الگالاسار ليتناوَل وجبته الشَّهيَّة من لحوم الموتى.

بدا أن الأغنام التي سقطَت بالآلاف قد سبقَت رُعاتها إلى الموت وقد غطَّتها أسراب من الذُّباب الأسود وبرزَت من جثثها أعمدة السِّهام، وعرفَت داني أن خيَّالة گال أوجو هُم من فعلوا هذا، فلا أحد في گالاسار دروجو بالحماقة التي تجعله يُبَدِّد سهامه على الأغنام بينما هناك رُعاة عليه أن يَقتُلهم.

كانت البلدة تحترق، تتصاعَد من بناياتها أعمدة الدُّخَّان الأسود لتتلوَّى تحت السَّماء الزَّرقاء القاسية، وتحت أسوار الطَّمي المجفَّف المتهدِّمة

انطلقَ الخيالة هنا وهناك يُلَوِّحون بسياطهم الطَّويلة وهُم يقودون النَّاجين بعيدًا عن الأنقاض المحترقة، وتحرَّكت نساء وأطفال گالاسار أوجو بكبرياءٍ واجمةٍ على الرغم من الهزيمة والأَسر، ومع أنهم صاروا عبيدًا الآن إلَّا أنهم لم يُبدوا خوفًا. على أن الأمر كان مختلفًا بالنِّسبة لأهل البلدة الذين شعرَت داني بالشَّفقة عليهم وقد تذكَّرت معنى الخوف من جديد، ورأت الأمَّهات يتحرَّكن بملامحٍ خاويةٍ وقد تعلَّق أطفالهنَّ الباكون بأيديهنَّ. لم يكن بينهنَّ غير عددٍ محدودٍ من الرِّجال، أغلبهم من الكسيحين أو كبار السِّنِّ أو الجبناء.

قال السير چورا إن أهل هذا البلد يُسَمُّون أنفسهم اللازارين، بينما يُطلِق عليهم الدوثراكي اسم "هايس راگي"، أي "قوم الحِملان". في الماضي كانت داني لتعتقد أنهم من الدوثراكي بدورهم، فهُم يملكون البشرة النُّحاسيَّة والعيون اللَّوزيَّة نفسها، لكنهم بدوا أغرابًا لها الآن بقاماتهم الصَّغيرة ووجوههم المسطَّحة وشَعرهم القصير جدًّا. إنهم رُعاة أغنامٍ يقتاتون على الخضروات فقط ولا يأكلون اللَّحم، وقال گال دروجو إنَّ مكانهم هو جَنوب منحنى النَّهر، أمَّا عُشب بَحر الدوثراكي فليس طعامًا للغنم.

رأت داني ولدًا يندفع جريًا صوب النَّهر، لكن أحد الخيَّالة قطعَ عليه الطَّريق وجعله يَركُض في الجهة المعاكسة، ليُحاصِره الآخَرون ويُلَوِّحوا بسياطهم في وجهه فيدور مرتبكًا في هذا الاتِّجاه وذاك، ثم دارَ أحدهم من ورائه وهوى بسوطه على مؤخِّرته حتى سالَ منها الدَّم، وضربَه آخَر على كاحله ليُسقِطه على وجهه وسط الغبار. وأخيرًا، عندما صارَ الولد يستطيع الزَّحف بالكاد، شعَروا بالملل من اللَّهو به وغرَسوا سهمًا في ظَهره.

قابَلها السير چورا خارج البوَّابة المحطَّمة وقد ارتدى سُترةً من الأخضر الدَّاكن فوق قميص الحلقات المعدنيَّة، مع قُفَّازين وواقيًا للسَّاقين وخوذةً كبيرةً من الفولاذ الرَّمادي. كان الدوثراكي قد سخَروا

منه واتَّهموه بالجُبن عندما ارتدى دِرعه، لكنه رَدَّ الإهانة بالإهانة وثارَت الأعصاب والتحمَ السَّيف الطَّويل بالأراخ، وأخيرًا تُرِكَ الخيَّالة الذين وجَّهوا له أقذع الإهانات ينزفون حتى الموت.

رفعَ السير چورا مقدِّمة خوذته وهو يتحرَّك إلى جوارها على حصانه، وقال: «السيِّد زوجكِ في انتظاركِ داخل البلدة».

- «هل تأذَّى دروجو؟».

أجابَ چورا: «بضعة جروح فحسب، لا شيء يُثير القلق. لقد قتلَ گالين اليوم، گال أوجو أولًا، ثم ابنه فوجو الذي أصبحَ گالًا بَعد سقوط أبيه. خيَّالة دمه قطعوا الأجراس من شَعريهما بالفعل، والآن يُصدِر گال دروجو رنينًا أعلى مع كلِّ خطوةٍ يخطوها».

كان أوجو وابنه قد تقاسَموا المنصَّة العالية مع زوجها يوم المأدبة عندما تُوِّجَ ڤسيرس، لكن ذلك كان في ڤايس دوثراك تحت الجبل الأُم، حيث تُنَحَّى الخلافات كلها جانبًا ويكون جميع الخيَّالة إخوة، لكن المسألة تختلف هنا على العُشب خارج المدينة. كان گالاسار أوجو يَشِنُّ هجومه على البلدة بالفعل عندما وصلَ گال دروجو وخيَّالته، وتساءَلت داني عمَّا حسبَه قوم الحِملان حين رأوا عاصفة الغبار التي أثارَتها خيولهم من فوق الأسوار الطِّينيَّة المتصدِّعة. لعلَّ قلَّة منهم، الصِّغار والحمقى الذين لا يزالون يُؤمنون بأن الآلهة تُجيب دعاءهم، ظنُّوا للحظاتٍ أن الخلاص قد جاءَهم.

على الجانب الآخَر من الطَّريق كانت فتاة لا تَكبُر داني بكثير تنتحب بصوتٍ عالٍ رفيع وأحد الخيَّالة يدفعها على وجهها بين كومةٍ من الجثث ثم يُقحِم نفسه في داخلها، وترجَّل خيَّالة آخَرون ليأخذوا دورهم من بَعده. هذا هو الخلاص الذي أتى به الدوثراكي لقوم الحِملان.

أنا دم التِّنين، قالت دنيرس تارجاريَن لنفسها إذ أشاحَت بوجهها بعيدًا عن المنظر، وضغطَت شفتيها معًا وأجبرَت قلبها على الثَّبات وهي تُواصِل طريقها نحو البوَّابة.

كان السير چورا يقول: «معظم خيَّالة أوجو فرُّوا، لكن عدد الأسرى قد يَبلُغ عشرة آلاف».

عبيد. لا ريب أن گال دروجو سيقودهم في اتِّجاه مصبِّ النَّهر إلى أحد البلدات الواقعة على خليج النَّخَّاسين. أرادَت أن تبكي، لكنها قالت لنفسها إني يجب أن تتحلَّى بالقوَّة. *هذه هي الحرب وهكذا تبدو. هذا هو ثَمن العَرش الحديدي*.

قال السير چورا: «قلتُ للگال إن عليه أن يتَّجه إلى ميرين، فهناك سيدفعون له سِعرًا أعلى من أيِّ قافلة عبيدٍ مارَّة. إليريو قال في رسالةٍ له إن الطَّاعون تفشَّى في المدينة العام الماضي، ولهذا تدفع المواخير الضِّعف مقابل الفتيات الصَّحيحات وثلاثة أضعافٍ مقابل الغلمان تحت العاشرة. إذا احتملَ عدد كافٍ من الأطفال تلك الرِّحلة، سيكفي الذَّهب لشراء كلِّ السُّفن التي نحتاجها واستئجار من يقودونها».

من ورائهما أصدرَت الفتاة المغتصَبة صوتًا يُمَزِّق نياط القلوب، عويلًا طويلًا استمرَّ واستمرَّ واستمرَّ، ووجدَت داني نفسها تُطبِق بقوَّةٍ على العِنان وتُدير رأس فرسها وتقول آمرةً للسير چورا: «اجعلهم يتوقَّفون».

قال الفارس بحيرة: «گاليسي؟».

قالت: «كما سمعتني، اجعلهم يتوقَّفون»، ثم خاطبَت رجال الگاس بلُغة الدوثراكي الخشنة قائلةً: «چوجو، كوارو، ساعِدا السير چورا. لا أريدُ أن يكون هناك اغتصاب».

تبادلَ مُحارِبا الگاس النَّظرات الحائرة، بينما دنا السير چورا بحصانه وقال: «يا سُمُوَّ الأميرة، إن لديكِ قلبًا رحيمًا لكنكِ لا تفهمين. هكذا طبيعة الأمور دائمًا هنا. هؤلاء الرِّجال نَزَفوا دماءهم من أجل الگال، والآن يتلقَّون مكافأتهم».

كانت الفتاة لا تزال تبكي على الجانب الآخَر من الطَّريق وتصيح

بكلماتٍ رتيبةٍ بدا وقعها غريبًا على أُذني داني، وقد فرغَ الرَّجل الأول منها وأخذَ ثانٍ مكانه.

قال كُوارو بالدوثراكي: «إنها مجرَّد فتاة حِملان يا گاليسي، لا تُمَثِّل شيئًا. ما يفعله الخيَّالة بها شَرف لها. قوم الحِملان يُضاجِعون الغنم، هذا معلوم».

ردَّدت وصيفتها إيري: «هذا معلوم».

- «هذا معلوم»، ردَّد چوجو بدوره من على متن الفَحل الرَّمادي الطَّويل الذي أهداه دروجو إياه. «إذا كان صراخها يُزعِجكِ يا گاليسي، يُسعِدني أن أعود إليكِ بلسانها»، وسحبَ أراخه.

قالت داني بحزم: «لا تمسُّوها بسوء. سأتَّخذها خادمةً لي. افعلوا كما أمرتكم وإلَّا سيعرف گال دروجو أنكم خالفتموني».

قال چوجو واكزًا حصانه: «أمركِ يا گاليسي»، وتبعَه كُوارو والآخَران والأجراس ترنُّ في جدائل شَعرهم، فالتفتَت داني إلى السير چورا وقالت: «اذهب معهم».

قال الفارس: «كما تأمرين»، ثم رمقَها بفضولٍ مغمغمًا: «أنتِ أخت أخيكِ بالفعل».

سألته حائرةً: «ڤسيرس؟».

- «لا، ريجار»، وابتعدَ بحصانه.

سمعَت داني صياح چوجو وضحك المُغتَصِبين السَّاخر منه ثم صياح أحدهم فيه، وفي اللَّحظة التَّالية لمحَت أراخ چوجو يومض في الشَّمس ورأس الرَّجل يتدحرج من فوق كتفيه إلى الأرض. استحالَ الضَّحك إلى شتائم ومَدَّ الخيَّالة أيديهم إلى أسلحتهم، لكن كُوارو وآجو وراگارو كانوا قد وصلوا في أعقابه، ورأت آجو يُشير عبر الطَّريق إلى حيث جلست على متن فَرسها الفضِّيَّة، فرمقَها الخيَّالة بنظراتٍ باردةٍ بعيونهم السَّوداء وبصقَ أحدهم على الأرض، قبل أن يتفرَّقوا وهُم يُهَمهِمون غاضبين. كلُّ هذا

والرَّجل الذي يعتلي فتاة الحِملان يُغمِد نفسه في داخلها وقد غابَ في لذَّته حتى أنه بدا غير مُدرِكٍ لما دارَ حوله، فترجَّل السير چورا وانتزعَه من فوقها، وسقطَ الدوثراكي متمرِّغًا في الوحل للحظاتٍ قبل أن يثب واقفًا وسكِّينه في يده، وماتَ بسهم آجو الذي اخترقَ حَلقه. ساعدَ مورمونت الفتاة على النُّهوض من وسط كومة الجثث ولفَّها بمعطفها الملطَّخ بالدِّماء، ثم قادَها إلى داني على جانب الطَّريق الآخَر وسألها: «ماذا ترغبين في أن نفعل بها؟».

كانت الفتاة ترتجف وفي عينيها المتَّسعتين نظرة خاوية وقد لوَّث الدَّم شَعرها تمامًا. قالت داني: «دوريا، ضمِّدي جروحها. إنك لا تُشبِهين الخيَّالة، فربما لن تخافكِ إذن. ليأتِ بقيَّتكم معي»، وقادَت فَرسها عبر البوَّابة الخشبيَّة المحطَّمة.

البلدة من الدَّاخل كانت أسوأ بكثير، ألسنة اللَّهب لا تزال تلتهم عددًا كبيرًا من المنازل، ورجال الچاكا رهان يقومون بعملهم الرَّهيب لتمتلئ الأزقَّة الضيِّقة الملتفَّة بالجثث مبتورة الرُّؤوس. مرُّوا بنساءٍ أخريات يتعرَّضنَ للاغتصاب، وفي كلِّ مرَّةٍ توقَّفت داني وأمرَت رجال الكاس ليضعوا حدًّا لما يَحدُث وأخذَت الضحيَّة خادمةً لها. واحدةٌ منهن، امرأة ممتلئة الجسم مسطَّحة الأنف في الأربعين من العُمر، باركَت داني بنبرةٍ متردِّدةٍ بلُغة وستروس العاميَّة، بينما اكتفَت الأخريات بأن رمَقنها بنظراتٍ متجهِّمة، وأدركَت بحُزنٍ أنهنَّ يَشعُرنَ بالشَّكِّ فيها والخوف من أنها أنقذَتهنَّ من أجل مصيرٍ أسوأ مما عانينَ.

- «لا يُمكنكِ أخذهنَّ جميعًا يا بُنيَّتي»، قال السير چورا عندما توقَّفوا للمرَّة الرَّابعة ومُحارِبو الكاس يسوقون إماءها الجديدات وراءها.

قالت داني: «أنا الكاليسي، وريثة المَمالك السَّبع، دم التنِّين، وليس من حقِّك أن تقول لي ما ينبغي أن أفعله».

عبر البلدة تهاوى مبنى مثيرًا عاصفةً من النَّار والدُّخَّان، وسمعَت صرخاتٍ بعيدة وعويل الأطفال المرعوبين.

وجَدوا گال دروجو جالسًا وسط خيَّالة دمه أمام معبدٍ مربَّع بلا نوافذ ذي جدرانٍ سميكةٍ من الطَّمي وتعلوه قبَّة كبيرة منتفخة كحبَّةٍ من البصل البُنِّي، وإلى جواره كومة من الرؤوس تفوقه طولًا. كان أحد سهام قوم الحِملان القصيرة مغروسًا في لحم ذراعه من أعلى والدَّم يُغَطِّي الجانب الأيسر من صدره العاري كلطخةٍ من الطِّلاء الأحمر.

ساعدَت چيكوي داني على الترجُّل وقد صارَت حركتها ثقيلةً خرقاء مع انتفاخ بطنها أكثر، وركعَت أمام الگال قائلةً: «شمسي ونجومي جريح». كانت ضربة الأراخ عنيفةً لكن سطحيَّةً، أطارَت حلمته اليُسرى وتركَت قطعةً من اللَّحم والجِلد الدَّامي تتدلَّى من صدره كخرقةٍ مبتلَّة.

قال دروجو باللُّغة العاميَّة: «مجرَّد خدشٍ يا قَمر حياتي من أراخ أحد خيَّالة دم گال أوجو»، وهَزَّ رأسه لترنَّ الأجراس في جدائل شعره بصوتٍ نعامٍ وأضافَ: «ما تسمعينه هو أوجو، والگالاگا فوجو الذي كان الگال عندما قتلته».

قالت داني: «لا رجل يستطيع الوقوف أمام شمس حياتي، أبي الجواد الذي يمتطي العالم».

تقدَّم مُحارِب على حصانه ووثبَ أمامهم مُخاطِبًا هاجو بكلماتٍ غاضبةٍ بالدوثراكي أسرع من أن تُدرِكها داني، فرمقَها خيَّال الدَّم الضَّخم بنظرةٍ ثقيلةٍ قبل أن يلتفت إلى الگال قائلًا: «هذا ماجو الذي يركب في گاس گو چهاكو. يقول إن الگاليسي استولَت على غنيمته، واحدة من فتيات الحِملان كانت له ليمتطيها».

ظلَّت ملامح گال دروجو صلبةً ثابتةً، وإن لاحَ الفضول في عينيه السَّوداوين وهو يُديرهما إلى داني ويقول بالدوثراكي: «ما حقيقة هذا يا قَمر حياتي؟». أخبرَته داني بما فعلَته بلُغته كي يفهمها أكثر، وانتقَت أكثر الكلمات بساطةً ومباشَرةً، وعندما انتهَت قطَّب دروجو جبينه وقال: «هذه هي طبيعة الحرب. تلك النِّساء إماؤنا الآن، نفعل بهنَّ ما نشاء».

قالت داني وهي تتساءَل في قرارة نفسها إن كانت قد تجاوزَت خطًّا أحمرَ: «ومشيئتي ألا يُصِبهنَّ أذىً. إذا كان مُحارِبوك يرغبون في مُضاجَعة أولئك النِّساء، فليأتوهنَّ برفقٍ إذن ويتَّخذوهنَّ زوجاتٍ لهم. يُمكنك أن تُعطيهنَّ مكانًا في الكالاسار ليحملنَ لك أبناءً».

لطالما كان كُوثو أكثر خيَّالة الدَّم الثَّلاثة توحُّشًا، وقد ضحكَ لحظتها وقال: «وهل تتزاوَج الخيول مع الخراف؟».

شيءٌ ما في نبرته ذكَّرها بفسيرس، فالتفتَت إليه وقالت غاضبةً: «التنِّين يلتهم الخيول والخراف على حَدٍّ سواء».

ابتسمَ كال دروجو وقال: «هل ترون كم صارَت ضاريةً؟ إنه ابني في داخلها، الجواد الذي يمتطي العالم، يملأها بناره... اهدأ يا كُوثو، إذا لم تُحرِقك الأمُّ في مكانك لمرَّغك الابن في الوحل. وأنت يا ماجو، صُن لسانك واعثر لنفسك على نعجةٍ أخرى تمتطيها، فهؤلاء ملك للكاليسي»، وحاولَ أن يمدَّ يده إلى دنيرس، لكن الألم لاحَ على ملامحه إذ رفعَ ذراعه، وأشاحَ بوجهه بعيدًا عنها.

كانت داني تكاد تَشعُر بألمه، فالجروح كانت أسوأ مما اعتقدَت بناءً على كلام السير چورا. قالت: «أين المُداوون؟». في الكالاسار نوعان من هؤلاء: النِّساء العقيمات والعبيد المخصيُّون. تتعامل المُداويات بالأعشاب مع المشروبات العلاجيَّة والتَّمائم، بينما يتولَّى المخصيُّون السَّكاكين والإبر والكيَّ بالنَّار. «لماذا لم يعتنوا بجروح الكال؟».

- «الكال صرفَ الرِّجال الحليقين يا كاليسي»، قال كوهولو ورأت داني أن خيَّال الدَّم العجوز قد أصيبَ هو الآخَر بجرحٍ عميقٍ في كتفه اليُسرى.

قال دروجو بعناد: «كثيرون من خيَّالتي جُرِحوا. دعيهم يتلقُّون العلاج أولًا. هذا السَّهم ليسَ أكثر من لدغة ذبابة، وهذا الجرح الصَّغير مجرَّد نَدَبٍ سأتباهى به أمام ابني».

كانت داني ترى عضلات صدره حيث قُطِعَ الجِلد تمامًا، بينما سالَ خيط من الدَّم من تحت السَّهم الذي اخترقَ ذراعه. «لا ينبغي أن ينتظر گال دروجو. چوجو، ابحث عن هؤلاء المخصيِّين وعُد بهم في الحال».

سمعَت صوت امرأةٍ يقول من ورائها: «سيِّدتي الفضِّيَّة، يُمكنني العناية بجروح الخيَّال العظيم».

أدارَت داني رأسها لتجد أن المتكلِّمة واحدة من الإماء اللاتي أخذتهنَّ لنفسها، المرأة الممتلئة ذات الأنف المسطَّح التي باركَتها.

قال كوثو بخشونة: «الگال لا يحتاج مساعَدةً من امرأةٍ تُضاجِع الغنم. آجو، اقطع لسانها».

جذبَها آجو من شَعرها من فوره ووضعَ سكِّينه على حَلقها، لكن داني رفعَت يدها وقالت: «كلا، إنها لي. دعوها تتكلَّم».

نقلَ آجو بصره بينها وبين كوثو ثم خفضَ يده، فقالت المرأة متحدِّثةً بالدوثراكي بطلاقة: «لم أقصد إساءةً أيها الخيَّالة الشُّجعان». كان المعطف الذي ترتديه من أنعم وأخفِّ أنواع الصُّوف ومطرَّزًا على نحوٍ شديد الأناقة، لكنه تلطَّخ بالوحل والدَّم واهترأ في غير موضعٍ الآن، وقد ضمَّت صِدارها الممزَّق إلى ثدييها الثَّقيلين وهي تقول: «إنني بارعة بعض الشَّيء في فنون العلاج».

سألتها داني: «من أنت؟».

- «اسمي ميري ماز دور، كاهنة هذا المعبد».

- «مايجي!»، دمدمَ هاجو متحسِّسًا أراخه وقد اربدَّ وجهه، وتذكَّرت داني الكلمة من قصَّةٍ مُرعِبةٍ حكَتها لها چيكوي ذات ليلةٍ وهما جالستان إلى جوار حُفرة نار. المايجي امرأة تُضاجِع الشَّياطين وتُمارِس أسودَ أنواع الشَّعوذة، مخلوقة آثمة رذيلة، شرِّيرة بلا روح، تأتي إلى الرِّجال في جوف اللَّيل لتمتصَّ الحَياة والقوَّة من أجسادهم.

قالت ميري ماز دور: «أنا مُداوية».

- «مُداوية للغنم»، قال كُوثو بازدراء. «يا دم دمي، أقولُ أن نَقتُل هذه المايجي وننتظر الرِّجال الحليقين».

تجاهلَت داني كلماتِ خيَّال الدَّم الغاضبة، فلم تبدُ لها هذه المرأة العجوز الممتلئة بسيطة المنظر كمايجي على الإطلاق، وسألتها: «أين تعلَّمتِ فنون العلاج يا ميري ماز دور؟».

- «أمِّي كانت كاهنةً قبلي، وقد علَّمتني جميع التَّرانيم والتَّمائم التي يرضى عنها الرَّاعي الأعظم، وكيف أصنعُ الأدخنة والمراهم المقدَّسة من الأوراق والجذور والبذور. عندما كنتُ أصغر سِنًّا وأكثر حُسنًا ذهبتُ في قافلةٍ إلى آشاي الواقعة عند الظِّل لأتعلَّم من السَّحرة هناك. سُفن كثيرة تأتي إلى آشاي من مختلَف البلاد، فمكثتُ هناك فترةً أطول لأتعلَّم فنون العلاج التي تُمارِسها الشُّعوب البعيدة. ثمَّة واحدة من شاديات القَمر من شعب الچوجوس نهاي أهدَتني ترانيم الولادة التي تحفظها، وهناك امرأة من شعب سادة الخيول علَّمتني سِحر العُشب والذُّرة والجياد، بالإضافة إلى المِايستر القادم من بلاد غروب الشَّمس الذي فتحَ جثَّةً أمامي وأراني كلَّ الأسرار المتوارية تحت جِلد الإنسان».

قال السير چورا مورمونت: «مِايستر؟».

أجابَت الكاهنة باللُّغة العاميَّة: «قال إن اسمه ماروين، من البَحر، أو من وراء البَحر، من البلاد السَّبعة، بلاد غروب الشَّمس، حيث الرِّجال من حديدٍ والتَّنانين تَحكُم. لقد علَّمني لُغته».

قال السير چورا متأمِّلًا: «مِايستر في آشاي... قولي لي أيتها الكاهنة، ماذا كان ماروين هذا يرتدي حول عُنقه؟».

- «كان يرتدي سلسلةً ضيِّقةً للغاية حتى أنها كادت تَخنُقه أيها اللورد الحديدي، بها حلقات من معادنٍ مختلفة».

التفتَ مورمونت إلى داني قائلًا: «فقط من يتلقَّون علومهم في "القلعة"

في البلدة القديمة يرتدون هذه السَّلاسل، وهؤلاء يعرفون الكثير فعلًا عن العلاج وأنواعه».

سألتها داني: «لماذا ترغبين في مُساعَدة گالي؟».

أجابَت ميري ماز دور: «كلّ البَشر قطيع واحد، أو هكذا تعلَّمنا. الرَّاعي الأعظم أرسلَني إلى الأرض لعلاج الحِملان أينما كانوا».

هوى كُوثو على وجهها بصفعةٍ عنيفةٍ قائلًا: «نحن لسنا أغنامًا أيها المايجي».

صاحَت داني فيه غاضبةً: «كفى! إنها لي، ولن أسمح بإيذائها».

متألِّمًا قال گال دروجو: «لا بُدَّ أن يَخرُج السَّهم يا كُوثو».

تحسَّست ميري ماز دور الكدمة التي خلَّفتها الصَّفعة، وقالت: «نعم أيها الخيَّال العظيم. أدواتي موجودة داخل معبد الإله حيث تكون قوى الشِّفاء أقوى».

قال هاجو: «سأحملك إلى الدَّاخل يا دم دمي».

لوَّح دروجو بيده وقال بصوتٍ ثابتٍ مليء بالكبرياء: «لا أحتاجُ عون أيِّ رجل»، ونهضَ بلا مُساعَدةٍ من أيِّهم ليرتقي فوقهم جميعًا، وسالَت دفقة جديدة من الدَّم من على صدره حيث قطعَ أراخ أوجو حلمته اليُسرى، فهُرِعَت داني إليه وهمسَت في أُذنه: «أنا لستُ رجلًا، فيُمكنك أن تستند عليَّ إذن». هكذا وضعَ دروجو يده الضَّخمة على كتفها وحملَت داني جزءًا من ثقله وهما يسيران صوب المعبد الكبير المبني بالطَّمي الجاف، وتبعَهما خيَّالة الدَّم الثَّلاثة. أمرَت داني السير چورا ورجال الگاس بأن يَحرُسوا مدخل المعبد ويتأكَّدوا من أن أحدًا لن يُضرِم فيه النَّار وهُم في الدَّاخل.

مرُّوا بمجموعةٍ من حُجرات الانتظار في طريقهم إلى القاعة الواقعة في مركز المعبد تحت القبَّة البصليَّة، حيث تسلَّل ضوء خافت من النَّوافذ الخفيَّة في الأعلى، بينما تراقصَت نار المشاعل المعلَّقة على الجدران،

وتناثرَت جلود الغنم على الأرض الطِّينيَّة. «هناك»، قالت ميري ماز دور مشيرةً إلى المذبح الحَجري الضَّخم الذي انتشرَت فيه العروق الزَّرقاء ونُقِشَت عليه صُور الرُّعاة وقُطعانهم. استندَ گال دروجو إلى المذبح، فيما ألقَت العجوز حفنةً من الأوراق المجفَّفة في مُستوقَد لتمتلئ القاعة بدُخَّانِ عَطِر الرَّائحة، ثم قالت لبقيَّتهم: «من الأفضل أن تنتظروا في الخارج».

قال كهولو: «نحن دم دمه، وهنا سننتظر».

ودنا كُوثو منها قائلًا: «اعلمي هذا يا خادمة إله الحِملان، إذا مسستِ الگال بأذىً فالويل لك»، وسحب سكِّينه ورفعَه أمام وجهها.

قالت داني: «لن تُؤذيه». كانت تَشعُر أنها تستطيع الثِّقة بهذه العجوز ذات الملامح التَّقليديَّة والأنف المسطَّح، فقد أنقذَتها من أيدي المُغتَصِبين رغم كلِّ شيء.

قالت ميري لخيَّالة الدَّم: «ساعِدوني إذن طالما ترغبون في البقاء. الخيَّال العظيم قويٌّ جدًّا ويجب أن تُثبِّتوه بينما أسحب السَّهم من لحمه»، ثم تركَت أسمالها تَسقُط إلى خصرها وهي تفتح صندوقًا منقوشًا وشغلَت نفسها بالقوارير والعُلب والسَّكاكين والإبر، وعندما صارَت جاهزةً للقيام بعملها كسرَت رأس السَّهم الشَّائك وسحبَت العمود وهي تُرَدِّد ترنيمةً رتيبةً بلسان اللازارين. ثم إنها سخَّنت إبريقًا من النَّبيذ حتى الغليان على المُستوقَد وصبَّته على الجروح. من شدَّة الألم صَبَّ گال دروجو عليها لعناته وشتائمه، لكنها لم تتزحزَح من مكانها، وضمَّدت جرح السَّهم بلصوقٍ من الأوراق المبتلَّة ثم التفتَت إلى جرح صدره ودهنَته بمعجونٍ أخضرَ باهت قبل أن تعيد قطعة اللَّحم المتهدِّلة إلى مكانها. ضغطَ الگال أسنانه معًا بكلِّ ما لديه من قوَّةٍ وابتلعَ صرخة ألم، بينما أخرجَت الكاهنة إبرةً وبكرةً من الخيط الحريري وبدأت تُغلِق الجرح. بَعد ذلك دهنَت الجِلد بمرهمٍ أحمرَ وغطَّته بالمزيد من الأوراق المبتلَّة وغطَّت صدره

بقطعةٍ مهترئةٍ من جِلد الحِملان، وأخيرًا قالت: «يجب أن تُرَدِّد الصَّلوات التي سألقِّنك إياها وتَترُك جِلد الحَمل على الجرح لعشرة أيامٍ وعشر ليالٍ. سوف تُعاني من الحُمَّى والحكَّة، وسيكون هناك نَدَبٌ كبيرٌ عندما يلتئم الجرح».

اعتدلَ گال دروجو جالسًا والأجراس في شَعره تَرِنُّ بخفوت، وثنى ذراعه وفردَها قائلًا بعبوس: «إنني أغنِّي عن نُدوبي يا امرأة الغنم».

قالت محذِّرةً: «لا تشرب النَّبيذ أو حليب الخشخاش. ستُعاني من الألم، لكن يجب أن يبقى جسدك قويًّا كي تُقاوِم الأرواح السَّامَّة».

- «أنا گال، أبصقُ على الألم وأشربُ ما يروق لي. كهولو، أحضِر لي صُدرتي».

هُرِعَ خيَّال الدَّم العجوز لتلبية الأمر، بينما قالت داني للمرأة اللازارين القبيحة: «سمعتكِ تتكلَّمين عن ترانيم الولادة من قبل».

أجابَت ميري ماز دور: «إنني أعرفُ كلَّ أسرار المهد الدَّامي يا سيِّدتي الفضِّيَّة، ولم أفقد طفلًا من قبل قَطُّ».

- «سأضعُ طفلي قريبًا، وأرغبُ في أن تكوني معي عندما يحين الوقت إذا أردتِ».

ضحكَ گال دروجو وقال: «يا قَمر حياتي، لا تَطلُبي شيئًا من الأَمة، بل مُريها وستُلَبِّي الأمر»، ووثبَ على قدميه من المذبح مضيفًا: «هَلُمُّوا يا دم دمي، فالخيول تُنادي وهذا المكان ليس إلَّا خرابًا الآن. حانَ الوقت لنركب من جديد».

تبعَ هاجو الگال إلى خارج المعبد، إلَّا أن كوثو مكثَ للحظاتٍ ليَرمُق ميري ماز دور بنظرةٍ ناريَّةٍ ويقول: «تذكَّري أيتها المايجي، ما يَحدُث للگال يَحدُث لك».

- «كما تقول أيها الخيَّال»، قالت المرأة وهي تجمع القوارير والعُلب. «الرَّاعي الأعظم يَحرُس القطيع».

تيريون

على تَلٍّ يُطِلُّ على طريق الملوك نُصِبَت مائدة طويلة من خشب الصَّنوبر المتين تحت شجرة دردار، وبُسِطَ عليها مفرش من القُماش الذَّهبي، وهناك، إلى جوار سُرادقه، تناولَ اللورد تايوين عشاءه مع اللوردات حمَلة رايته وكبار فُرسانه، بينما تُرَفرِف الرَّاية الكبيرة ذات اللَّونين القرمزي والذَّهبي على ساريةٍ طويلة فوق الجميع.

كان الغَسق قد حَلَّ وامتلأ الهواء بحشرات اليراعة المُزعِجة عندما وصلَ تيريون متأخِّرًا متعكِّر المزاج، يُؤلمه جسده كله بَعد الرُّكوب الطَّويل وهو مُدرِك تمامًا أن شكله يبدو طريفًا للغاية وهو يصعد المنحدر إلى أبيه متمايلًا على ساقيه ناقصتي النُّمو. كان زحف الجيش في هذا النَّهار طويلًا مُرهِقًا، وخطرَ له أن يتناوَل شرابًا سريعًا اللَّيلة.

كان الطُّهاة يُقَدِّمون طبق اللَّحم: خمسة خنازير صغيرة جِلدها مسفوع حتى طقطقَ، وفي فم كلٍّ منها حبَّة فاكهة مختلفة. جعلَت الرَّائحة لُعابه يسيل، وقال وهو يتَّخذ مكانه على الدِّكَّة إلى جوار عمِّه: «تقبَّلوا اعتذاري».

قال اللورد تايوين: «لعلَّ من الأفضل أن أكلِّفك بدفن موتانا. إذا كنت ستذهب إلى المعركة متأخِّرًا كما أتيت متأخِّرًا إلى المائدة، سيكون القتال انتهى عندما تصل أخيرًا».

رَدَّ تيريون: «أوه، من المؤكَّد أنك تستطيع أن تَترُك لي فلَّاحًا أو اثنين يا

أبي، لكن ليس أكثر من هذا، فلا أريدُ أن أكون طمَّاعًا»، وملأ كأس النَّبيذ وراقبَ أحد الخدم وهو يُقَطِّع واحدًا من الخنازير، ليتشقَّق الجِلد النَّاضج تحت سكِّينه وتسيل العُصارة السَّاخنة من اللَّحم. كان هذا أجمل منظرٍ رآه تيريون منذ دهر.

قال أبوه والخادم يملأ طبقه بقِطع اللَّحم: «كشَّافة السير أدام أبلَغونا أن جيش ستارك قد تحرَّك جنوبًا من "التَّوأمتين" بَعد انضمام جنود اللورد فراي إليه. إنهم لا يَبعُدون أكثر من يومٍ واحدٍ شَمالًا».

قال تيريون: «أرجوك يا أبي، إنني على وشك أن آكل!».

- «هل تُخيفك فكرة قتال ابن ستارك يا تيريون؟ لا بُدَّ أن أخاك چايمي متلهِّفٌ على الاشتباك معه وجهًا لوجه».

- «أفضِّلُ أن أشتبك مع هذا الخنزير، فروب ستارك ليس طريَّ اللَّحم مِثله، ورائحته ليست بهذه الحلاوة».

مالَ اللورد ليفورد، الغُراب العابس المسؤول عن المؤن والإمدادات، إلى الأمام وقال: «آملُ أن رجالك الهمجيِّين لا يُشارِكونك نفورك من المعركة، وإلَّا فقد بدَّدنا فولاذنا الممتاز عليهم عبثًا».

رَدَّ تيريون: «رجالي الهمجيُّون سيستخدمون فولاذك أفضل استخدام يا سيِّدي». كانت ردَّة فعل ليفورد، عندما أخبرَه تيريون بأنه يحتاج أسلحةً ودروعًا للثلاثمئة رجلٍ الذين جاءَ أولف بهم من التِّلال، لتجعلك تتصوَّر أنه طلبَ منه أن يُسَلِّمهم بناته العذراوات ليأخذوا لذَّتهم منهنَّ.

عقدَ اللورد ليفورد حاجبيه وقال: «اليوم رأيت هذا الضَّخم الأشعر. لقد أصرَّ على أن يحمل بلطتين حربيَّتين، واختارَ الاثنتين الفولاذيَّتين السَّوداوين ذواتي النَّصل الهلالي المزدوج».

قال تيريون وأحد الخدم يضع أمامه طبقًا مليئًا بقِطع اللَّحم السَّاخنة: «شاجا يُحِبُّ القتل بكلتا يديه».

- «إنه لا يزال يُعَلِّق بلطة الحطَّابين هذه على ظَهره».

- «شاجا رأيه أن ثلاث بلطاتٍ أفضل من اثنتين»، قال تيريون ومَدَّ سبَّابته وإبهامه إلى الملَّاحة ورَشَّ حفنةً لا بأس بها من الملح على اللَّحم.

مالَ السير كيڤان إلى الأمام بدوره قائلًا: «كنا نُفَكِّر في وضعك أنت ورجالك الهمجيِّين في الطَّليعة عندما تبدأ المعركة».

من المعروف لتيريون أن عمَّه السير كيڤان لم "يُفَكِّر" قَطُّ في شيءٍ لم يُفَكِّر فيه أبوه اللورد تايوين أولًا. كان قد غرسَ رأس خنجره في قطعةٍ من اللَّحم ورفعَها إلى فمه، لكنه خفضَها الآن وردَّد بارتباك: «الطَّليعة؟». إمَّا أن أباه وجدَ في نفسه احترامًا لقُدرات تيريون، أو أنه قرَّر أن يُخَلِّص نفسه من الحرج الذي يتسبَّب ابنه له فيه إلى الأبد. راودَ تيريون إحساس كئيب بأنه يعرف الإجابة.

قال عمُّه: «إنهم يبدون أشدَّاء بما فيه الكفاية».

- «أشدَّاء؟». أدركَ تيريون أنه يُرَدِّد كلمات عمِّه كببغاءٍ مدرَّب، وفي الآن نفسه كان أبوه يُراقِبه، يَحكُم عليه، يزن كلَّ كلمةٍ يقولها. «دعني أقولُ لك كم هُم أشدَّاء. ليلة أمس طعنَ واحد من إخوة القَمر آخَر من الغِربان الحَجريَّة بسبب قطعةٍ من السجق، واليوم ونحن ننصب المخيَّم أمسكَ ثلاثة من الغِربان الحَجريَّة بالرَّجل وذبَحوه. لربما كانوا يرغبون في استعادة قطعة السجق، لا أدري بالضَّبط. استطاعَ برون منع شاجا من قَطْعِ قضيب الرَّجلِ الميت لحُسن الحَظ، لكن أولف ما زال يُطالِب بديَّة القتيل، وبالطَّبع يَرفُض كون وشاجا الدَّفع».

قال أبوه: «عندما يفتقر الجنود إلى الانضباط، فاللَّوم يقع على قائدهم».

لطالما نجحَ أخوه چايمي في جعل الرِّجال يتبعونه بمنتهى الحماسة ويموتون في سبيله إذا اقتضى الأمر، بينما تعوز تيريون هذه الموهبة، فيشتري الولاء بالذَّهب ويُجبِرُ أتباعه على الطَّاعة باسم عائلته وحده. «باستطاعة رجل أكبر حجمًا أن يَبُثَّ فيهم الخوف. أهذا ما تقصده يا سيِّدي؟».

التفتَ اللورد تايوين لانستر إلى أخيه وقال: «طالما أن رجال ابني لن يُطيعوا أوامره، فلعلَّ الطَّليعة ليست المكان المُناسِب له. لا شَكَّ أنه سيكون مستريحًا أكثر في المؤخِّرة، يَحرُس خطوط الإمداد».

قال تيريون مغضبًا: «بَعد إذنك يا أبي، إذا لم تكن لديك تكليفات أخرى لي، فسأقودُ الطَّليعة».

رمقَ اللورد تايوين ابنه بنظرةٍ باردةٍ قائلًا: «لم أقل شيئًا عن القيادة. ستكون تحت إمرة السير جريجور».

أخذَ تيريون قضمةً واحدةً من اللَّحم ولاكَها لثوانٍ قبل أن يَبصُقها حانقًا ويقول ناهضًا من على الدِّكَّة: «يبدو أني لستُ جائعًا كما تصوَّرتُ. أستميحكم عذرًا أيها السَّادة».

حنى اللورد رأسه وأشارَ له بالانصراف، فدارَ تيريون على عقبيه وابتعدَ واعيًا لعيونهم المسلَّطة عليه وهو ينزل التَّلَّ المنحدر متمايلًا، وسمعَ ضحكةً مدويَّةً تنفجر بينهم من ورائه لكنه لم يُعِرها اهتمامًا أو يلتفت إليهم، وتمنَّى أن يموتوا جميعًا مختنقين باللَّحم.

كان الغَسق قد استوطنَ السَّماء مُحيلًا ألوان الرَّايات كلها إلى الأسود وقد امتدَّ معسكر جيش لانستر لأميالٍ وأميالٍ بين النَّهر وطريق الملوك. من السَّهل أن تضيع وسط كلِّ هؤلاء الرِّجال والخيول والأشجار، وهذا ما فعلَه تيريون بالضَّبط. مَرَّ بدستةٍ من السُّرادقات الكبيرة وعشراتٍ من حُفر النَّار بينما تُحَلِّق حشرات اليراعة بين الخيام كنجوم هائمة، وتناهَت إلى أنفه رائحة سجق متبَّل بالثَّوم والبهارات أسالَتْ لعابه من جديدٍ وجعلَت معدته تشتكي من الجوع. على مسافةٍ بعيدةٍ سمعَ أصوات رجالٍ يصدحون بأغنيَّةٍ بذيئة، وجرَت أمامه امرأة ضاحكة عارية تمامًا تحت معطفها الدَّاكن ووراءها مُطارِدها الثَّمل يتعثَّر في جذور الأشجار، وعلى مسافةٍ أبعد كان اثنان من حاملي الرِّماح يُواجِهان أحدهما الآخَر عبر فرعٍ رفيعٍ كالخيط من جدولٍ مائي،

يتدرَّبان على الكَرِّ والفَرِّ في الضَّوء الخافت وقد سالَ العَرق غزيرًا على صدريهما العاريين.

لم يَنظُر إليه أحد، لم يُكَلِّمه أحد، ولم يُعِره أحدهم أدنى اهتمام. كان محاطًا برجالٍ أقسَموا بالولاء لعائلة لانستر، جيشٍ من عشرين ألف مُحارِب، لكنه كان وحيدًا تمامًا.

عندما سمعَ ضحكات شاجا الهادرة قادمةً من مكانٍ ما في الظَّلام، اتَّبع الصوت حتى وصلَ إلى رجال الغِربان الحَجريَّة الذين اتَّخذوا لأنفسهم رُكنًا صغيرًا من اللَّيل استقرُّوا فيه، ورفعَ كون بن كورات إبريقًا من المِزر لمَّا رآه وصاحَ: «تيريون النِّصف رجل! تعالَ واجلس معنا عند نارنا وتقاسَم لحمنا معنا. لدينا ثور اللَّيلة».

- «أرى هذا يا كون بن كورات». كانت الجثَّة الحمراء الضَّخمة معلَّقةً فوق نارٍ متأججة وقد اخترقَها سيخ بحجم شجرةٍ صغيرة، وقال تيريون لنفسه وهو يُراقِب الدَّم والدُّهن يَقطُران في اللَّهب ورجال الغِربان الحَجريَّة يُديرون الثَّور فوقه، إنها شجرة صغيرة بالفعل. «أشكرك. أرسِلوا لي عندما يَنضُج الثَّور»، وابتعدَ آملًا أن يَنضُج الثَّور قبل بدء المعركة.

كلُّ قبيلة كانت لها حُفرة النَّار الخاصَّة بها، فالآذان السَّوداء لا يأكلون مع الغِربان الحَجريَّة، والغِربان الحَجريَّة لا يأكلون مع إخوة القَمر، ولا أحد يأكل مع الرِّجال المحروقين. كانت الخيمة المتواضعة التي حصلَ عليها بالتملُّق من اللورد ليفورد منصوبةً في المركز بين الحُفر الأربع، ووجدَ تيريون برون يتقاسَم قِربةً من النَّبيذ مع الخدم الجُدد، فاللورد تايوين كان قد أرسلَ له سائسًا لحصانه وخادمًا خاصًّا ليُلَبِّي احتياجاته، بل وأصرَّ كذلك على أن يكون له مُرافِق شخصي. كانوا جالسين حول جِمار حُفرة نارٍ صغيرة، ومعهم فتاة سوداء الشَّعر نحيلة يشي منظرها بأن عُمرها لا يزيد على الثَّامنة عشر. تمعَّن تيريون في ملامحها للحظات، ثم لمحَ عظام أسماكٍ بين الرَّماد، فقال: «ماذا أكلتم؟».

أجابَ السَّائس: «سَمك الترويت يا سيِّدي. برون صادَه من النَّهر».

قال لنفسه: *أسماك وخنازير مشويَّة. فلتحلَّ اللَّعنة بأبي!* وحدَّق بأسىً في العظام ومعدته تجأر بالشَّكوى.

مُرافِقه الشَّخصي كان صبيًّا في الرَّابعة عشر يحمل الاسم السَّخيف پودريك پاين، وقد ابتلعَ ما كان على وشك أن يقوله أيًّا كان ولاذ بالصَّمت. قريب من بعيد للسير إلين پاين جلَّاد المَلك هو، ويكاد يكون صموتًا تمامًا مِثله، وإن لم يكن السَّبب أنه بلا لسان، خصوصًا أن تيريون جعلَه يُخرِجه ذات مرَّةً ليتأكَّد، ثم قال: «إنه لسان بالتَّأكيد. يجب أن تتعلَّم كيف تستخدمه ذات يوم».

لم يكن يتمتَّع حاليًّا بالصَّبر الذي يُتيح له أن يُلاطِف الصَّبي ليستخرج منه بضع كلمات، بالإضافة إلى أنه يَشُكُّ أصلًا في أن أباه أرسَله إليه على سبيل السُّخرية القاسية منه. هكذا صَبَّ اهتمامه على الفتاة وسألَ برون: «أهذه هي؟».

نهضَت برشاقةٍ وتطلَّعت إليه من أعلى على ارتفاع خمسة أقدامٍ أو أكثر، وقالت باسمةً: «إنها هي يا سيِّدي، وهي تستطيع التحدُّث نيابةً عن نفسها إذا كان هذا يُرضيك».

حنى رأسه إلى الجانب وقال لها: «أنا تيريون سليل عائلة لانستر... وهناك رجال يدعونني بالعِفريت».

- «أمِّي سمَّتني شِاي... وهناك رجال يدعونني إلى صُحبتهم كثيرًا».

ضحكَ برون وابتسمَ تيريون رغمًا عن نفسه وقال: «لنَدخُل إلى الخيمة يا شِاي إذا قبلتِ وتلطَّفتِ»، ورفعَ سديلة الخيمة وتركَها مفتوحةً لها، ولمَّا دخَلا ركعَ على الأرض ليُشعِل شمعةً.

حياة الجنود ليست خاليةً من نوعٍ معيَّنٍ من التَّعويضات، فأينما أقمت معسكرًا كُن على ثقةٍ تامَّةٍ بأنه سيكون هناك أتباع، وبَعد انتهاء الزَّحف يومها أرسلَ تيريون برون ليَعثُر له على عاهرةٍ مُناسِبة. «أفضِّلُ أن تكون

صغيرةً لكن في سِنٍّ معقولة، ذات أجمل وجهٍ تستطيع أن تجده»، قال له. «سأسعدُ حقًّا إذا كانت قد استحمَّت مرَّةً هذا العام، وإذا لم تكن نظيفةً حمِّمها. تأكَّد من إخبارها بمن أكون، والأهم أن تُحَذِّرها مما أكون». لم يكن چيك يَبذُل هذا الجهد الإضافي، ومن ثَمَّ كان تيريون أحيانًا يرى تلك النَّظرة في عيون الفتيات اللاتي استؤجِرن لإمتاع اللورد الصَّغير عندما يرينه للمرَّة الأولى... النَّظرة التي لا يرغب تيريون لانستر في رؤيتها ثانيةً أبدًا.

رفعَ الشَّمعة وتطلَّع إليها فاحصًا. لقد أبلى برون بلاءً حسنًا بالفعل، فالفتاة نحيلة لديها عينا ظبيَّة آسرتان، ونهدان صغيران ممتلئان، وابتسامة تتبدَّل بين الخجل والتَّعالي والمكر، وهو ما راقَ له بشدَّة. سألته: «هل أخلعُ ثوبي يا سيِّدي؟».

- «في الوقت المُناسِب. هل أنتِ عذراء يا شِاي؟».

قالت برزانة: «إذا كان هذا يُرضي سيِّدي».

- «ما يُرضيني هو أن تُخبِريني بالحقيقة يا فتاة».

- «نعم، لكن هذا سيُكَلِّفك الضِّعف».

قرَّر تيريون أنهما سينسجمان معًا تمامًا. «أنا من عائلة لانستر، أي أني أملكُ ذهبًا بلا حساب، وستجدين أنني سخيٌّ كذلك. لكني أريدُ منكِ ما هو أكثر مما بين ساقيكِ، وإن كنتُ أريدُ هذا أيضًا بالتَّأكيد. ستُقيمين في خيمتي، وتَصُبِّين لي نبيذي، وتضحكين على دعاباتي، وتُدَلِّكين ساقيَّ بَعد الرُّكوب كلَّ يوم. وسواء احتفَظتُ بكِ ليومٍ واحدٍ أو عامٍ كامل، طالما أننا معًا فلن يَدخُل رجل آخَر إلى فِراشك».

قالت: «اتِّفاق عادل»، ومدَّت يدها إلى حافَّة فُستانها الخفيف الخشن وخلعَته بحركةٍ واحدةٍ رشيقة ثم ألقته جانبًا. تحت الفُستان لم يكن هناك شيء غيره. «سيُحرِق سيِّدي أصابعه إذا لم يضع هذه الشَّمعة».

وضعَ تيريون الشَّمعة وأخذَ يدها في يده وجذبَها إليه برفق، ثم إنها

مالَت لتُقَبِّله. كان لفمها مذاق العسل والقرنفل، وببراعةٍ وخبرةٍ وجدَت أصابعها أزرار وأبازيم ثيابه لتحلَّها. عندما دخلَها رحَّبت به بكلمات غزلٍ هامسة وآهات لذَّةٍ راجفة، وشَكَّ تيريون أنها تتصنَّع النَّشوة، لكن أداءها كان في الحقيقة رائعًا لدرجة أنه لم يُبالِ، فلم يكن يرغب في هذا القَدر من الحقيقة على كلِّ حال.

أدركَ تيريون بَعدها وهي مضطجعة بسكونٍ بين ذراعيه أنه كان يحتاجها حقًّا، هي أو واحدةً مِثلها. لقد مَرَّ ما يَقرُب من عامٍ كاملٍ منذ نامَ مع امرأة، من قبلِ أن يتحرَّك إلى وينترفل في صُحبة أخيه والمَلك روبرت. من الوارد جدًّا أنه سيموت غدًا أو بَعد غد، وإذا حدثَ هذا فإنه يُؤثِر جدًّا أن يذهب إلى قبره مفكِّرًا في شِاي، لا في أبيه أو لايسا آرن أو الليدي كاتلين ستارك.

كان يَشعُر بطراوة ثدييها البضَّين المضغوطين في ذراعه وهي متمدِّدة إلى جواره، وكان شعورًا مُحَبَّبًا، وتسلَّلت أغنيَّة إلى عقله وسيطرَت عليه، فبدأ يُصَفِّر بصوتٍ خافت.

غمغمَت في أذنه: «ماذا تُغَنِّي يا سيِّدي؟».

- «لا شيء، مجرَّد أغنيَّةٍ سمعتها في صباي لا أكثر. نامي يا عزيزتي».

عندما أغلقَت عينيها وانتظمَت أنفاسها، سحبَ تيريون نفسه من تحتها بهدوءٍ كي لا يُوقِظها من نومها، وخرجَ عاريًا ليخطو فوق مُرافِقه پودريك ويدور حول الخيمة ليُفرِغ مثانته.

وجدَ برون يجلس مربِّعًا ساقيه تحت شجرة كستناء بالقُرب من البُقعة التي ربَطوا فيها الخيول. كان مستيقظًا تمامًا ويشحذ نصل سيفه، وخطرَ لتيريون أن هذا المُرتَزِق لا ينام أبدًا كبقيَّة النَّاس. سأله تيريون وهو يبول: «أين وجدتها؟».

- «أخذتها من أحد الفُرسان. كان رافضًا التخلِّي عنها، لكن اسمك ساعدَ على إقناعه بشكلٍ ما... هذا، وخنجري على عُنقه».

- «رائع»، قال تيريون بلهجةٍ جافَّةٍ وهو ينفض آخِر قطرات البول. «لقد قلتُ لك أن تَعثُر لي على عاهرةٍ لا أن تصنع لي عَدُوًّا على ما أذكرُ».

قال برون: «الجميلات كلهنَّ كُنَّ مأخوذات بالفعل. يُسعِدني أن أعيدها إذا كنت تُفَضِّل واحدةً قبيحةً بلا أسنان».

اقتربَ تيريون من حيث يجلس وقال: «سيعتبر أبي هذا إهانةً ويُرسِلك إلى المناجم عقابًا على وقاحتك».

رَدَّ برون: «من حُسن حظِّي إذن أنك لست أباك. رأيتُ واحدةً تُغَطِّي البثور أنفها. هل ترغب فيها؟».

- «وأكسرُ قلبك؟ كلا، سأحتفظُ بشِاي. هل يتصادَف أنك تعرف اسم الفارس الذي أخذتَها منه؟ لأني لا أحبِّذُ أن أجده إلى جواري أثناء المعركة».

نهضَ برون بسرعة ورشاقة القِطط مديرًا سيفه في يده، وقال: «ستجدني أنا إلى جوارك في المعركة أيها القزم».

أومأ تيريون برأسه وهو يَشعُر بدفء هواء اللَّيل على بشرته العارية، وقال: «اعمل على أن أخرج من المعركة حيًّا ويُمكنك أن تَطلُب المكافأة التي ترغب فيها بَعدها».

ألقى برون السَّيف الطَّويل من يده اليُمنى إلى اليُسرى ثم شَقَّ به الهواء قائلًا: «من سيرغب في قتل أحدٍ مِثلك؟».

- «السيِّد والدي على سبيل المثال. لقد وضعَني في الطَّليعة».

- «كنتُ لأفعلُ المِثل. رجل صغير متوارٍ وراء تُرسٍ كبير. سوف يتميَّز رُماتهم من الغيظ».

- «من الغريب أني أجدُ كلماتك مشجِّعةً. لا بُدَّ أنني مجنون».

دَسَّ برون سيفه في غِمده وقال: «بلا أدنى شَك».

عندما عادَ تيريون إلى خيمته دارَت شِاي واستندَت على مِرفقها قائلةً بصوتٍ ناعس: «استيقظتُ ولم أجد سيِّدي».

انسلَّ إلى جوارها تحت الأغطية وقال: «ها قد عاد سيِّدكِ».

تسلَّلت يدها إلى ما بين ساقيه القصيرتين فوجدَته منتصبًا، وهمسَت وهي تُمَسِّده: «لقد عادَ بالفعل».

سألها عن الرَّجل الذي أخذَها برون منه، فذكرَت له اسم الفارس وضيع الشَّأن الذي يخدم لوردًا صغيرًا وضيع الشَّأن بدوره، ثم قالت وأصابعها مشغولة بالتَّدليك: «لا ينبغي أن تخشى أحدًا مِثله يا سيِّدي. إنه رجل صغير».

- «وماذا أكونُ أنا إذن؟ عملاقًا؟».

قالت بصوتٍ كقرقرة الهِرر: «أوه، بكلِّ تأكيد. عملاقي ابن لانستر»، ثم إنها اعتلَته... ولفترةٍ من الوقت جعلَته يُصَدِّق ما قالته فعلًا، وغابَ تيريون في النَّوم مبتسمًا...

... واستيقظَ في الظَّلام على دويِّ الأبواق ليجد شِاي تهزُّ كتفه وتهمس: «سيِّدي، استيقظ يا سيِّدي، إنني خائفة».

اعتدلَ جالسًا والنُّعاس يكتنف دماغه وأزاحَ الأغطية. كانت الأبواق تهدر في قلب الظَّلام بإلحاحٍ شديد وتهتف فيهم: *أسرِعوا، أسرِعوا، أسرِعوا!* سمعَ صياح الرِّجال وجلبة الرِّماح وصهيل الخيول، وإن كان كلُّ ما سمعَه لا يوحي بأن القتال قد بدأ. قال لها: «إنها أبواق السيِّد والدي تُنادي بالاحتشاد للمعركة. حسبتُ أن جيش ستارك يَبعُد عنا يومًا آخَر».

هَزَّت شِاي رأسها بارتباكٍ شديد وقد اتَّسعَت عيناها فلاحَ بياض قزحيَّتيهما الشَّديد.

حانقًا نزلَ تيريون وخرجَ من الخيمة مترنِّحًا ونادى مُرافِقه. كان هواء اللَّيل الهادئ يجرف خيوط الضَّباب الباهت كأصابع بيضاء طويلة فوق صفحة النَّهر، والرِّجال والخيول على حَدٍّ سواء يتحرَّكون متخبِّطين في بَرد ما قبل الفَجر، بينما تُشَدُّ السُّروج وتُحَمَّل العربات وتُخمَد النَّار في الحُفر، والأبواق تُدَوِّي من جديد: *أسرِعوا، أسرِعوا، أسرِعوا!* ووثبَ

الفُرسان على صهوة خيولهم الصَّاهلة وثبَّت الجنود سيوفهم بالأحزمة وهُم يهرعون هنا وهناك. عندما عثرَ تيريون على پودريك وجدَه يَغُطُّ في نومٍ عميق، فوكزَه بحدَّةٍ بقدمه في ضلوعه قائلًا: «أريدُ دِرعي، وبسرعة». جاءَ برون مُسرِعًا من بين حُجُبِ الضَّباب وقد ارتدى دِرعه ووضعَ خوذته القصيرة المنبعجة على رأسه وامتطى حصانه بالفعل، فسأله تيريون: «هل تعرف ماذا حدثَ؟».

أجابَه برون: «صبيُّ ستارك باغَتنا وسلكَ طريق الملوك خلال اللَّيل، والآن جيشه على بُعد أقلَّ من ميلٍ من هنا ويتأهَّب للمعركة».

أسرِعوا، نادت الأبواق، *أسرِعوا، أسرِعوا، أسرِعوا!*

- «تأكَّد من أن رجال القبائل جاهزون للتحرُّك»، قال تيريون ودخلَ خيمته وصاحَ في شِاي: «أين ثيابي؟ ها هي. كلا، أريدُ السُّترة الجِلديَّة اللَّعينة. نعم. جِدي حذائي أيضًا».

بينما ارتدى ثيابه كان مُرافِقه قد جهَّز درعه. كان تيريون يملك بذلةً أنيقةً من الصَّفائح المعدنيَّة الثَّقيلة مصنوعةً بحِرَفِيَّةٍ لتُناسِب جسده غير المتناسق، لكنها للأسف كانت آمنةً في كاسترلي روك بينما هو هنا يُحيط به الخطر، ومن ثَمَّ اضطرَّ لأن يُدَبِّر أمره بالبواقي التي جمعَها من مخازن اللورد ليفورد: قميص وقلنسوة من الحلقات المعدنيَّة، واقٍ للعُنق كان ملكًا لفارسٍ ميت، واقٍ للسَّاقين وقُفَّازين واقيين وحذاء فولاذي مدبَّب. بعض القِطع كان مزخرفًا والبعض الآخَر تقليديًّا، ولا قطعة واحدة منها كانت متناسقةً مع الأخرى أو تُناسِب جسده كما ينبغي، فواقي الصَّدر كان مصنوعًا لرجلٍ أكبر حجمًا، وبالنِّسبة لرأسه الأكبر من المعتاد وجدوا خوذةً ضخمةً على شكل دلوٍ يَبرُز منها قضيب معدني مثلَّث يَبلُغ طوله قدمًا كاملًا.

بينما كانت شِاي تُساعِد پود على تثبيت الأبازيم والمشابك، قال لها تيريون: «ابكي عليَّ إذا مِتُّ».

قالت العاهرة: «وكيف ستعرف أني فعلتُ وأنت ميت؟».

- «سأعرفُ».

قالت وهي تُثبِّت الخوذة الضَّخمة على رأسه: «هذا ما أعتقده». ربطَ پودريك الخوذة بواقي العُنق، بينما ثبَّت تيريون حزامه المثقل بالسَّيف القصير والخنجر المعلَّقين منه. عندما انتهى من ارتداء دِرعه كان السَّائس قد أحضر حصانه البُنِّي المهيب المكسو بدِرعٍ ثقيلةٍ بدوره، وبالطَّبع احتاجَ تيريون إلى مُساعَدةٍ كي يمتطيه شاعرًا أنه يزن ألف طِن. ثم ناوَله پود التُّرس الضَّخم المصنوع من الخشب الصُّلب والمقوَّى بالفولاذ، وأخيرًا ناوَله بلطته الحربيَّة، فتراجعَت شِاي إلى الخلف وتطلَّعت إليه قائلةً: «سيِّدي يبدو مُخيفًا».

رَدَّ تيريون عابسًا: «سيِّدكِ يبدو قزمًا يرتدي دِرعًا لا تتناسق قطعة منها مع الأخرى، لكني أشكركِ على لُطفكِ على كلِّ حال. پودريك، إذا دارَت المعركة علينا، فاعمل على أن تعود السيِّدة بأمانٍ إلى ديارها»، ثم رفعَ بلطته ليُحَيِّيها ودارَ بحصانه وانطلقَ به. كانت معدته مشدودةً عن آخِرها حتى أنها آلَمَته، ومن ورائه هُرِعَ خدمه لتفكيك خيمته، بينما انتشرَت خيوط قرمزيَّة رفيعة من النُّور نحو الشَّرق والشَّمس تبدأ رحلة الشُّروق في الأُفق البعيد. أمَّا سماء الغَرب فقد اصطبغَت بلونٍ أرجوانيٍّ عميق مرقَّط بالنُّجوم. تساءلَ تيريون إن كان هذا آخِر شروقٍ سيشهده... وتساءلَ إن كان تساؤله هذا دلالةً على الجُبن. تُرى هل تُراوِد أفكار الموت أخاه چايمي قبل المعركة؟

دوَّى النَّفير من بعيدٍ بصوتٍ عميقٍ كئيبٍ يُجَمِّد الرُّوح ذاتها، وامتطى رجال القبائل خيولهم الجبليَّة الهزيلة صائحين بالشَّتائم والنِّكات البذيئة وقد بدا كثيرون منهم ثملين. كانت الشَّمس المُشرِقة تَطرُد خيوط الضَّباب لتحلَّ أشعَّتها محلَّه وتيريون يتحرَّك متقدِّمًا فِرقة رجال القبائل. العُشب الذي تبقَّى دون أن تلتهمه الخيول كان مبلَّلًا بقطرات النَّدى، كأن إلهًا

عابِرًا قد نثرَ حفنةً من الماس على الأرض. تحرَّك رجال القبائل وراءه وكلٌّ قبيلة منهم منتظمة خلف قائدها.

في نور الفَجر انتشرَ جيش اللورد تايوين لانستر كوردةٍ من حديدٍ تتفتَّح لتلمع أشواكها.

سيقود عمُّه القلب، وكان السير كيڤان قد رفعَ راياته على طريق الملوك، ونظَّم الرُّماة المُشاة أنفسهم وكنانات السِّهام تتدلَّى من أحزمتهم في ثلاثة صفوفٍ طويلةٍ على شَرق الطَّريق وغَربه ووقفوا ثابتين وقد شدُّوا أوتار أقواسهم، وبينهم انتظمَ حاملو الرِّماح في تشكيلاتٍ مربَّعة، ومن ورائهم كانت صفوف وصفوف من الجنود المسلَّحين بالحراب والسُّيوف والفؤوس، بينما أحاطَ ثلاثمئة من الخيَّالة المدرَّعين بالسير كيڤان واللوردات حمَلة رايته، ليفورد وليدن وسيريت ومعهم جميع سلاحداريَّتهم.

تكوَّنت الميمنة كلها من سلاح الفُرسان المثقلين بدروعهم، والذين يَبلُغ عددهم ما يَقرُب من أربعة آلاف. أكثر من ثلاثة أرباع الفُرسان كانوا هناك وقد احتشَدوا معًا كقبضةٍ فولاذيَّةٍ عملاقة، يقودهم السير أدام ماربراند. رأى تيريون رايته تنبسط في الهواء وحاملها يرفعها ليتجلَّى رمز الشَّجرة المحترقة بالبرتقالي على خلفيَّةٍ بلون الدُّخان، ومن ورائه رفرفَت راية السير فليمنت ذات اليونيكورن الأرجواني، وراية اللورد كراكهول ذات الخنزير البرِّي المخطَّط بالرَّمادي، وراية سويفت ذات الدِّيك الصَّغير، وغيرها وغيرها.

اتَّخذ أبوه مكانه على التَّلِّ حيث قضى ليلته وقد احتشدَت حوله قوَّات الاحتياط الغفيرة، نِصفها من المُشاة والنِّصف الآخَر من الخيَّالة، يدنو إجمالي عددهم من خمسة آلاف. غالبًا ما يختار اللورد تايوين قيادة قوَّات الاحتياط، ويتَّخذ موقعه العالي ليُشاهِد المعركة تحتدم تحته ويُوَزِّع قوَّاته أينما ومتى تكون الحاجة إليها شديدة.

حتى من بعيدٍ بدا أبوه متألِّقًا لأقصى حد. مقارنةً بدِرع تايوين لانستر، كانت دِرع ابنه چايمي المذهَّبة تبدو كالأسمال، فمعطفه الكبير فوق العادة كان مخيَّطًا من عددٍ غير محدودٍ من طبقات قُماش الذَّهب، ثقيلًا للغاية لدرجة أنه يكاد لا يتحرَّك عندما ينطلق بحصانه، طويلًا للغاية لدرجة أن ذيله ينسدل على قائمتي الحصان الخلفيَّتين عندما يمتطيه. بالطَّبع لا يَصلُح أيُّ مشبكٍ عاديٍّ لتثبيت هذا الثِّقل، لذا ثُبِّتَ المعطف بزوجٍ من المشابك المصنوعة على شكل لبؤتين صغيرتين جاثمتين على كتفيه كأنهما تستعدَّان للوثوب، بينما استقرَّ زوجهما -الأسد الذَّكر ذو اللِّبدة الهائلة- فوق خوذة اللورد تايوين الضَّخمة رافعًا واحدةً من قائمتيه الأماميَّتين في الهواء ويزأر. الأسودُ الثَّلاثة كانت مشغولةً من الذَّهب وعيونها من الياقوت الأحمر، بينما الدِّرع نفسها من الصَّفائح الفولاذيَّة الثَّقيلة المطليَّة بلونٍ قرمزيٍّ داكن، وواقيات العُنق والسَّاقين مرصَّعة بزخارفٍ ذهبيَّةٍ منمَّقة، والأقراص الفولاذيَّة المثبَّتة بقُفَّازيه نُقِشَت عليها أشكال شموسٍ ذهبيَّةٍ متفجِّرة، وجميع الأبازيم مذهَّبة، بينما صُقِلَ الفولاذ الأحمر بمنتهى العناية حتى أنه توهَّج كالنَّار في نور الشَّمس المُشرِقة.

كان باستطاعة تيريون أن يسمع هدير طبول العَدُوِّ الآن، وتذكَّر روب ستارك كما رآه آخِر مرَّةٍ جالسًا على مقعد أبيه العالي في قاعة وينترفل الكُبرى وقد جرَّد سيفه اللَّامع. تذكَّر كيف خرجَت الذِّئاب الرَّهيبة عليه من بين الظِّلال، وفجأةً رآها أمامه بعين الخيال، تُزَمجِر وتزوم كاشفةً عن أنيابها في وجهه. هل سيُحضِر الصَّبي ذِئابه معه إلى المعركة؟ أشعَره الخاطر بعدم الارتياح.

لا بُدَّ أن الشَّماليِّين مُنهَكون تمامًا بَعد زحفهم الطَّويل بلا نومٍ أو راحة. تساءلَ تيريون عمَّا كان ابن ستارك يُفَكِّر فيه بالضَّبط. هل تصوَّر أنه يستطيع أن يُغافِلهم وهُم نيام؟ فُرصة هذا ضئيلة للغاية. قُل ما تشاء عن تايوين لانستر، لكنه بكلِّ تأكيدٍ ليس بالأحمق.

كانت طليعة الجيش تحتشد على اليسار، ولمحَ تيريون الرَّاية التي تُصَوِّر ثلاثة كلابٍ سوداء على خلفيَّةٍ صفراء أولًا، ثم السير جريجور جالسًا تحتها على أضخم حصانٍ رآه في حياته على الإطلاق. ألقى برون عليه نظرةً واحدةً وابتسمَ قائلًا: «في المعركة عليك أن تتبع الرَّجل الضَّخم دائمًا».

رمقَه تيريون بنظرةٍ قاسيةٍ وقال: «لماذا؟».

- «لأن ضخام الحجم أهداف ممتازة. هذا بالذَّات سيجذب انتباه كلِّ رامٍ في الميدان».

ضاحكًا تطلَّع تيريون إلى الجبل بنظرةٍ جديدةٍ وقال: «أعترفُ بأني لم أفكِّر في الأمر من هذه الزَّاوية».

لم يكن كليجاين مُحاطًا بأيِّ نوعٍ من الفخامة، فدِرعه ذات اللَّون الرَّمادي الباهت كانت من الصَّفائح الفولاذيَّة التي شاعَت فيها الخدوش من فرط الاستخدام، وليست عليها أيُّ نقوشٍ أو رموز. كان يُوَجِّه رجاله إلى مواقعهم مشيرًا بسيفه العظيم الذي يُحمَل باليدين، وإن كان السير جريجور يُلَوِّح به بيدٍ واحدةٍ بالبساطة نفسها التي يُمكن أن يحمل بها رجل أقلُّ حجمًا خنجره. «إذا هربَ أيُّ رجلٍ منكم سأشُقُّه إلى نِصفين بنفسي»، كان يقول عندما لمحَ تيريون. «أيها العِفريت! اتَّجه يسارًا ودافِع عن النَّهر... إذا استطَعت».

إلى يسار اليسار إذن. كي يُديروا جناحهم الأيسر، على جيش ستارك أن يجد خيولًا تستطيع المشي على الماء. هكذا قادَ تيريون رجاله إلى ضفَّة النَّهر، وصاحَ مُشيرًا ببلطته: «انظروا، ها هو النَّهر». كانت طبقة رقيقة من الضَّباب الشَّاحب لا تزال عالقةً فوق صفحة المياه والتيَّار الأخضر المظلم يتدفَّق من تحتها، بينما كان الجزء الضَّحل من المياه يَعُجُّ بالوحل وأعواد البوص. «النَّهر لنا، فابقوا على مقربةٍ من الماء مهما حدثَ ولا تجعلوه يبتعد عن أنظاركم أبدًا. لا تسمَحوا لأيِّ عَدُوٍّ بأن يحول بيننا وبين النَّهر. إذا لوَّثوا مياهنا فاقطعوا قضبانهم وأطعِموها للأسماك!».

كان شاجا يحمل بلطةٍ في كلِّ يد، فقرعَهما معًا لتُصدِرا رنينًا قويًّا، وصاحَ: «النِّصف رجل!»، والتقطَ بقيَّة الغِربان الحَجريَّة منه الصَّيحة وردَّدوها، وانضمَّ إليهم الآذان السَّوداء وإخوة القَمر. لم يصح الرِّجال المحروقون، لكنهم لوَّحوا بسيوفهم ورماحهم بينما يصيح الآخَرون بحماسة: «النِّصف رجل! النِّصف رجل! النِّصف رجل!»

التفَّ تيريون بحصانه في دائرةٍ ليُلقي نظرةً على الميدان. كانت الأرض غير مستويةٍ هنا، ناعمةً موحلةً قُرب النَّهر وترتفع تدريجيًّا في اتِّجاه طريق الملوك حيث تغدو حَجريَّة متصدِّعةً، بينما تتناثَر بضع أشجارٍ على جوانب التِّلال، وإن كان معظم الأرض قد أُخلِيَ منها وزُرِعَ بالعُشب. دَقَّ قلبه في صدره مع دقَّات الطُّبول، وتحت طبقات الجِلد والفولاذ سالَ عَرقه باردًا غزيرًا. راقبَ السير جريجور، الجبل راكب الخيول، وهو يتحرَّك ذات اليمين وذات الشِّمال صائحًا في رجاله ومشيرًا إليهم بالأوامر. هذا الجناح كله أيضًا كان مكوَّنًا من سلاح الفُرسان، لكن بينما كانت الميمنة عبارةً عن قبضةٍ فولاذيَّةٍ من الفُرسان وحاملي الرِّماح المدرَّعين، كانت الطَّليعة مُشَكَّلةً من كُناسة الغَرب: رُماة على متن خيولٍ لا يَستُرهم غير السُّتراتِ الجِلديَّة، كتلة غفيرة من المُرتَزِقة الطَّامعين في الذَّهب، إضافةً إلى المُحارِبين غير النِّظاميِّين، وعُمَّال الحقول الذين يمتطون أحصنة الجَرِّ والحرث وقد تسلَّحوا بالمناجل وسيوف آبائهم الصَّدئة، والصِّبيان نِصف المُدرَّبين القادمين من مطابخ لانسپورت... وتيريون لانستر ورجال قبائل الجبال.

- «طعام للغِربان»، قال برون لافظًا بصوتٍ عالٍ ما لم يقله تيريون، الذي اكتفى بأن أومأ برأسه موافقًا. هل فقدَ أبوه عقله أم ماذا؟ لا حراب، وعدد قليل جدًّا من الرُّماة، وحفنة قليلة من الفُرسان، كلهم سيِّئو التَّسليح وغير مدرَّعين وتحت قيادة بهيمةٍ لا تُفكِّر أبدًا وكلُّ ما تعرفه هو الوحشيَّة. كيف يتوقَّع أبوه أن تنجح هذه المهزلة في الحفاظ على الميسرة؟

لم يكن يملك وقتًا للتَّفكير، فدَقُّ الطُّبول كان قريبًا للغاية حتى أنه زحفَ تحت جِلده وجعلَ يديه ترتعشان رغمًا عنه. استلَّ برون سيفه الطَّويل، وفجأةً كان العَدُوُّ هناك أمامهم مباشَرةً يتدفَّق عليهم من فوق التِّلال ويتقدَّم بخطواتٍ محسوبةٍ وراء حائطٍ من التُّروس والحراب.

لنفسه قال تيريون وهو يُحَملِق فيهم: *بحَقِّ الآلهة اللَّعينة، انظر إلى هذه الأعداد!* هذا على الرغم من أنه يعرف أن عدد رجال أبيه في الميدان أكبر. تصدَّرهم قادتهم على خيولهم المدرَّعة وإلى جوارهم حاملو الرَّايات، وتعرَّف تيريون على الموظ رمز عائلة هورنوود وشمس كارستارك المتفجِّرة وبلطة اللورد سروين الحربيَّة وقبضة جلوفر المحاطة بالحلقات المعدنيَّة، بالإضافة إلى بُرجي فراي التَّوأمين... كم كان أبوه على أتمِّ ثقةٍ بأن والدر فراي لن يُحَرِّك ساكنًا. أمَّا راية ستارك البيضاء فكانت في كلِّ مكان، والذِّئب الرَّهيب الرَّمادي يبدو كأنه على وشك أن يثب منها وينضمَّ إلى المعركة مع رفرفة الرَّايات على السَّواري الطَّويلة. *أين روب؟*

هـــاااروووووووووووووووووووووو! دوَّى النَّفير طويلًا كئيبًا يقبض القلوب ويُثير القشعريرة في الأبدان كرياح الشَّمال الباردة.

دا-دا دا-دا دا-دااااااااا! ردَّت أبواق جيش لانستر بتحدٍّ عنيد، وإن بدا صوتها بشكلٍ ما لتيريون أضعف وأكثر توتُّرًا. كان يَشعُر بحركةٍ مضطربةٍ في أحشائه كأن سوائلها على وشك أن تفور، وتمنَّى ألَّا يموت مصابًا بالغثيان.

مع خفوت صوت الأبواق التَّدريجي، تعالى هسيس ملأ الجَو إذ حلَّق سرب ضخم من السِّهام في الهواء قادمًا من على يمينه حيث وقفَ الرُّماة على جانبي الطَّريق، وبدأ الشَّماليُّون يَركُضون نحوهم صائحين، لكن سهام جيش لانستر سقطَت عليهم كالوابل، مئات السِّهام، آلاف السِّهام، واستحالَ صياحهم إلى صراخٍ والسِّهام تُصيبهم وتُسقِطهم، في الوقت الذي حلَّق فيه سرب ثانٍ منها في الهواء في اتِّجاههم وثبَّت كلٌّ من الرُّماة سهمًا ثالثًا في قوسه.

دوَّت أبواق جيش لانستر من جديد: *دا-دااا دا-دااا دا-دا دا-دا دا-دااااااا!* ولوَّح السير جريجور بسيفه العظيم وجأرَ بأمرٍ ما، فردَّ عليه ألف صوتٍ بصيحةٍ واحدة. هنا وكزَ تيريون حصانه بكعبيه مضيفًا صوتًا آخَر إلى فوضى النَّغمات المتنافرة التي أفعمَت الجَو، واندفعَ رجال القبائل إلى الأمام. «إلى النَّهر!»، صاحَ فيهم وهُم يتقدَّمون. «تذكَّروا أن تلتزموا بالنَّهر!». كان لا يزال في مقدِّمتهم وخيولهم تَخُبُّ، إلى أن أطلقَت تشلا صرخةً تُجَمِّد الدِّماء في العروق، وانطلقَت متجاوزةً إياه وأطلقَ شاجا عُواءً وتبعها مع بقيَّة رجال القبائل تاركين تيريون وسط عاصفةٍ من الغُبار.

كان حاملو رماح العَدُوِّ قد شكَّلوا نصف دائرةٍ أمامهم، مُكَوِّنين سياجًا مزدوجًا من الفولاذ المنتصب، ومنتظرين وراء تُروسهم الطَّويلة المصنوعة من خشب السَّنديان وتحمل شمس كارستارك المتفجِّرة. أول من بلغَهم هو جريجور كليجاين على رأس الحربة التي شكَّلها فُرسانه المخضرمون، لكن الجُبن انتاب نِصف خيولهم في اللَّحظة الأخيرة لتتراجَع قبل الوصول إلى صَفِّ الرِّماح، بينما سقطَ النِّصف الآخَر منها صريعًا وقد انغرسَت الرُّؤوس الفولاذيَّة الحادَّة في صدورها. رأى تيريون عشرات الرِّجال يَسقُطون، وحصان الجبل الضَّخم يتقهقَر رافعًا قائمتيه الأماميَّتين ويَركُل الهواء بحافريه المكسوَّين بحدوتين من الحديد وقد اخترقَ رأس رُمحٍ شائكٍ عُنقه. أصيبَ الحصان بالجنون واندفعَ مخترقًا الصُّفوف لتنغرسَ الرِّماح فيه من كلِّ جانب، وإن انكسرَ السِّياج تحت ثِقله الهائل، وتراجعَ الشِّماليُّون هاربين من سكرات موته المميتة، وإذ سقطَ الحصان أخيرًا والدِّماء تتدفَّق من أنفه وفمه مع آخِر أنفاسه، نهضَ الجبل دون أن يمسَّه أدنى أذىً ملوِّحًا بسيفه العظيم.

اندفعَ شاجا مخترقًا ثغرة الرِّماح قبل أن تنغلق من جديد ووراءه رجال الغِربان الحَجريَّة، وهتفَ تيرون: «الرِّجال المحروقون، إخوة القَمر، اتبعوني!»، لكن معظمهم كان متقدِّمًا عليه بالفعل، ولمحَ تيميت بن

تيميت يثب من فوق حصانه وهو يموت تحته بينما يندفع بكلِّ سرعته، ورأى واحدًا من إخوة القَمر يُخَوزَق برُمح أحد جنود كارستارك، وشاهدَ حصان كون يُهَشِّم ضلوع رجلٍ بركلةٍ عنيفة. سربٌ آخَر من السِّهام سقطَ عليهم، من أين جاءَت لا يدري، لكنها سقطَت على رجال ستارك ولانستر بلا تمييز، ترتدُّ عن الدُّروع وتنغرس في اللَّحم، ورفعَ تيريون تُرسه واستترَ به.

كان سياج الرِّماح يتداعى والشَّماليُّون يتراجَعون تحت هجوم خيَّالة لانستر الضَّاغط، ورأى تيريون شاجا يضرب واحدًا من حاملي الرِّماح في صدره مباشَرةً إذ جاءَ الأحمق راكضًا نحوه، ورأى بلطته تنفذ في المعدن والجِلد واللَّحم والعضلات، وتهاوى الرَّجل قتيلًا على قدميه ورأس البلطة مغروس في صدره، إلَّا أن شاجا واصلَ التقدُّم قاسمًا تُرسًا إلى نِصفين بالبلطة الأخرى التي يحملها بيده اليُسرى بينما تتواثَب الجثَّة المرتخية على يمينه، قبل أن ينتزع شاجا البلطة من صدره أخيرًا ويهدر قارعًا البلطتين معًا.

الآن كان وجهًا لوجهٍ مع العَدُوِّ، وتقلَّصت معركة تيريون إلى المساحة الضَّئيلة من الأرض المحيطة بحصانه. حاولَ أحد الجنود أن يطعَنه برُمحه، لكنه رفعَ بلطته ليَصُدَّ الضَّربة ويُزيح الرُّمح جانبًا، فوثبَ الرَّجل إلى الوراء استعدادًا لضربةٍ أخرى، إلَّا أن تيريون لم يُعطِه الفُرصة ووكزَ حصانه ليدفعه إلى الأمام ويدهسه بحوافره. كان برون مُحاطًا بثلاثةٍ من الأعداء، لكنه بترَ رأس أول رُمحٍ أُلقي نحوه، ومع حركة سيفه الارتجاعيَّة شَقَّ وجه رجلٍ ثانٍ محيلًا إياه إلى خراب.

هوى رُمح مقذوف على تيريون من اليسار وانغرسَ في تُرسه بصوتٍ خشبيٍّ مكتوم، فدارَ بحصانه مندفعًا نحو من قذفَ الرُّمح، لكن الرَّجل رفعَ تُرسه فوق رأسه. دارَ تيريون حوله مُمطِرًا التُّرس بضربات بلطته لتتطايَر رُقاقات الخشب في كلِّ اتِّجاه، إلى أن فقدَ الشَّمالي توازُنه وتعثَّر

ساقطًا على ظَهره والتُّرس فوقه بعيدًا عن متناوَل ذراع تيريون الذي خطرَ له أن الأمر لا يستحقُّ أن يترجَّل، فتركَ الرَّجل في مكانه واندفعَ وراء آخَر وضربَه من الخلف لترتجَّ ذراعه من الصَّدمة. منحَه هذا لحظةً من الرَّاحة، وتطلَّع حوله باحثًا عن النَّهر ليجده هناك على يمينه. بشكلٍ ما دارَ تيريون في الاتِّجاه الآخَر أثناء القتال دون أن يدري.

مَرَّ به واحد من الرِّجال المحروقين متهاويًا فوق حصانه وقد اخترقَ رُمح بطنه وخرجَ من ظَهره. لم يكن هناك أيُّ مجالٍ لمُساعَدته، لكن عندما رأى تيريون أحد الشَّماليِّين يتقدَّم نحوه مادًّا يده إلى عِنان الحصان، انقضَّ بدوره.

التقاه خصمه وسيفه في يده. كان طويل القامة نحيلًا، يرتدي قميصًا طويلًا من الحلقات المعدنيَّة وقُفَّازين من الفولاذ، وإن كان قد فقدَ خوذته وسالَ الدَّم على عينيه من جرحٍ عميقٍ في جبهته. سدَّد تيريون ضربةً عرضيَّةً إلى وجهه، لكن الرَّجل الطَّويل تفاداها وصرخَ: «مُت أيها القزم!»، ودارَ حول نفسه بينما دارَ تيريون حوله مُسَدِّدًا ضرباته إلى رأسه وكتفيه ليَرِنَّ الفولاذ على الفولاذ، وسرعان ما أدركَ تيريون أن الشَّمالي أقوى منه وأسرع. *أين برون بحَقِّ الجحائم السَّبع؟* «مُت!»، هدرَ الرَّجل وهو يهوي عليه بسيفه بضربةٍ ضارية، وبالكاد رفعَ تيريون تُرسه في الوقت المناسب ليتفجَّر الخشب إلى الدَّاخل من شدَّة الضَّربة وتَسقُط القِطع المهشَّمة. «مُت!»، خارَ الرَّجل من جديد وهوى بالسَّيف على صدغ تيريون بمنتهى العنف حتى أن مخَّه ارتجَّ داخل رأسه، وأصدرَ السَّيف صوتًا شنيعًا وهو يسحبه على الخوذة الفولاذيَّة. ابتسمَ الشَّمالي الطَّويل واستعدَّ للضَّربة القاضية... واندفعَ حصان تيريون بسرعة الثُّعبان يقضم وجه الرَّجل حتى ظهرَت عظامه، وصرخَ الرَّجل وصرخَ إلى أن غرسَ تيريون بلطته في رأسه قائلًا: «مُت أنت»... وقد كان.

بينما ينتزعَ البلطة من رأس الرَّجل سمعَ صيحةً رنَّانة: «إدارد! لأجل

إدارد ووينترفل!»، وجاءَ الفارس ملوِّحًا بكرةٍ شائكةٍ فوق رأسه، وارتطمَ الحصانان قبل حتى أن يستطيع تيروين أن يفتح فمه ليُنادي على برون. تفجَّر الألم في مِرفقه الأيمن والكرة الشَّائكة تصطدم بالمعدن الرَّقيق المحيط بالمفصل، وقبل أن يرتدَّ إليه لم تَعُدْ بلطته معه. مَدَّ يده إلى سيفه القصير، لكن الكرة كانت تدور من جديدٍ قادمةً نحو وجهه، وفي لحظةٍ انسحقَت خوذته تحت وطأة الضَّربة ووجدَ نفسه يَسقُط. لا يَذكُر ارتطامه بالأرض، لكنه عندما رفعَ رأسه لم يكن هناك غيرُ السَّماء فوقه، فتدحرجَ على جانبه وحاولَ النُّهوض، لكن الألم سرى في جسده كله وثبَّته في مكانه، واقتربَ الفارس الذي أسقطَه وتطلَّع إليه قائلًا بصوتٍ جهوري: «تيريون العِفريت. أنت لي، فهل تستسلم يا لانستر؟».

نعم، فكَّر تيريون وإن احتبسَت الكلمة في حَلقه. أصدرَ أنينًا وكافحَ حتى اعتدلَ جالسًا على رُكبتيه ويده تبحث بلهفةٍ عن سلاح، عن سيفه، عن خنجره، أيِّ شيء.

- «هل تستسلم؟»، ردَّد الفارس وهو يرتفع فوقه على ظَهر حصانه المدرَّع وقد بدا الاثنان ضخمين لأقصى حَد والكرة الشَّائكة تدور فوقهما. كان تيريون يَشعُر بالخَدَر في يديه وقد تشوَّشت رؤيته وخوى غِمده من أيِّ سلاح، وزادَت سرعة دوران الكرة أكثر وأكثر والفارس يقول: «استسلم أو مُت»... ووثبَ تيريون ناهضًا فجأةً ودفعَ رأسه في بطن الحصان، الذي صرخَ وتراجعَ رافعًا قائمتيه الأماميَّتين، وتلوَّى محاولًا التخلُّص من ألمه بينما انهمرَ وابل من الدِّماء والأحشاء على وجه تيريون، قبل أن يَسقُط الحصان كالجلمود. في اللَّحظة التَّالية وجدَ تيريون مقدِّمة خوذته مغطَّاةً بالوحل بينما يدوس شيء على قدمه، فحرَّرها بصعوبةٍ وحَلقه مسدود تمامًا حتى غدا عاجزًا عن الكلام. «... أستسلم...»، قال أخيرًا بصوتٍ أجشَّ كنعيب الغُراب.

- «نعم»، قال الصَّوت المفعم بالألم.

مسحَ تيريون الوحل عن مقدِّمة خوذته كي يرى، ورأى أن الحصان قد وقعَ بعيدًا عنه فوق راكبه. كانت ساق الفارس عالقةً تحت الجثَّة، والذِّراع التي استخدمها ليُخَفِّف وقع السَّقطة مكسورةٍ وملويَّةً في زاويةٍ شنيعة. «استسلم»، ردَّد الفارس وهو يمدُّ يده السَّليمة إلى حزامه ويسحَب سيفًا لوَّح به نحو قدمي تيريون، وأخيرًا قال بضَعف: «أستسلمُ يا سيِّدي».

دائخًا انحنى القزم والتقطَ السَّيف، ليضرب الألم مِرفقه كالمطرقة عندما حرَّك ذراعه. بدا أن المعركة قد ابتعدَت عنه، فلم يتبقَّ في هذا الجزء من الميدان غير عشراتٍ من الجثث، وكانت الغِربان تدور فوقها بالفعل وتَحُطُّ لتأكل وجبتها من لحوم الموتى. رأى أن السير كيفان قد جلبَ قلب الجيش ليدعم الطَّليعة وقد دفعَت أعداده الضَّخمة من حاملي الرِّماح الجنود الشَّماليِّين صوب التِّلال. كانوا يُقاتِلون الآن فوق المنحدَرات ويقذفون رماحهم على ساترٍ آخَر من التُّروس البيضاويَّة المقوَّاة بالحديد. امتلأ الهواء بالسِّهام من جديد، وتهاوى الرِّجال المستترون وراء الحائط الخشبي، فالتفتَ تيريون إلى الفارس العالق تحت الحصان: «أعتقدُ أنكم خسرتم أيها الفارس»... ولم يفتح الرَّجل فمه برَد.

جعلَه صوت الحوافر القادم من ورائه يدور على عقبيه بسرعة، وإن كان بالكاد يستطيع أن يرفع سيفه من فرط الألم في مِرفقه، وعندما توقَّف برون بحصانه إلى جواره قال له: «لم أرَ لك فائدةً كبيرةً اليوم».

رَدَّ برون: «يبدو أنك أبليت بلاءً حسنًا بمفردك، وإن كنت قد فقدت قضيب خوذتك».

تحسَّس تيريون رأس الخوذة ليجد أن القضيب قد انكسرَ بالكامل، وقال: «لم أفقده، وأعرفُ أين هو بالضَّبط. هل ترى حصاني؟».

عندما عثرا على الحصان كانت الأبواق قد دوَّت مرَّةً أخرى وجاءَت قوَّات احتياط اللورد تايوين تكنس ضفَّة النَّهر، وشاهدَ تيريون أباه ينطلق وراية لانستر ذات اللَّونين القرمزي والذَّهبي تخفق فوق رأسه وهو

يقطع الميدان محاطًا بخمسمئة فارسٍ يتوهَّج نور الشَّمس على رؤوس رماحهم، ولم يمض وقت طويل حتى تحطَّمت البقيَّة الباقية من صفوف جيش ستارك كالزُّجاج تحت الهجوم الشَّرس.

لم يُحاوِل تيريون العودة إلى القتال مع تورُّم مِرفقه داخل دِرعه والألم الشَّديد الذي سرى في ذراعه، وبدلًا من هذا ذهبَ مع برون بحثًا عن رجاله. كثيرون منهم وجدَهم بين الموتى، منهم أولف بن أومار الذي سقطَ في بِركةٍ من الدَّم المتخثِّر وقد بُتِرَت ذراعه عند المِرفق وحوله دستة من جثث إخوة القَمر، بينما تهاوى شاجا تحت شجرةٍ وقد انغرسَّت السِّهام في جسده في غير موضعٍ ورأس كون في حِجره. حسبَ تيريون الاثنين ميتين، لكن إذ ترجَّل عن حصانه فتحَ شاجا عينيه وقال: «قتَلوا كون بن كورات». لم تكن هناك علامات إصابة على كون الوسيم باستثناء البُقعة الحمراء على صدره الذي اخترقَه رُمح مميت، وعندما جذبَ برون شاجا لينهض بدا كأنه يُلاحِظ السِّهام للمرَّة الأولى. اقتلعَها واحدًا تلو الآخَر لاعنًا الثُّقوب التي خلَّفتها في طبقات الجِلد والمعدن التي يرتديها وصارخًا كالأطفال مع اقتلاعه للقِلَّة التي اخترقَت لحمه. تقدَّمت تشلا بنت تشيك منهم خلال هذا وأرَتهم أربع آذانٍ قطعَتها من رؤوس قتلاها، أمَّا تيميث بن تيميث فقد وجدوه يسطو على جثث الموتى مع بقيَّة رجاله المحروقين. من الثَّلاثمئة رجلٍ الذين اشترَكوا في المعركة وراء تيريون لانستر لم يتبقَّ غير النِّصف تقريبًا.

تركَ الأحياء يُعنون بالأموات وأرسلَ برون ليتولَّى أمر الفارس الأسير، ثم ذهبَ بحثًا عن أبيه. كان اللورد تايوين جالسًا عند النَّهر يرشف النَّبيذ من كأسٍ مرصَّعةٍ بالجواهر بينما يَحِلُّ مُرافِقه أبازيم واقي الصَّدر عنه، وقال السير كيڤان لمَّا رآه: «نصرٌ مبين. رجالك الهمجيُّون أحسَنوا القتال كذلك».

كانت عينا أبيه الخُضراوان المرقَّطتان بالذَّهبي مثبَّتتين عليه، تَرمُقانه بنظرةٍ شديدة البرودة أثارَت في جسده القشعريرة، لكنه قال له: «هل

أدهشَك هذا يا أبي؟ هل أخلَّ بخُططك؟ كان من المفترَض أن نُذبَح جميعًا، أليس كذلك؟».

أفرغَ اللورد تايوين كأسه في جوفه وأجابَ دون أن تحمل ملامحه أيَّ تعبير: «لقد وضعتُ أقلَّ الرِّجال انضباطًا في الميسرة، هذا صحيح، لأني توقَّعتُ أن تتشتَّت صفوفهم. روب ستارك صبيٌّ أخضرَ، شُجاع أكثر منه حكيم، وأملتُ أنه إذا رأى ميسرتنا تنهار سيندفع إلى الثَّغرة متلهِّفًا على هزيمتنا من هذا الموضع، وبمجرَّد أن يقود قوَّاته كلها إلى هناك كان السير كيفان ليدور بقوَّاته ويدفعه إلى النَّهر بينما أتقدَّم أنا بقوَّات الاحتياط».

- «وفكَّرت أن من الأفضل أن تضعني في قلب هذه المذبحة وإن أبقَيتني غافلًا عن خُطَّتك».

قال أبوه: «الهزيمة المصطنَعة أقلُّ إقناعًا، ثم إنني لا أجنحُ إلى مُشارَكة خُططي من رجلٍ يُرافِق المُرتَزِقة والهمجيِّين».

قال تيريون: «من المؤسف أن هؤلاء الهمجيِّين أفسَدوا عليك الرَّقصة»، وخلعَ قُفَّازيه الفولاذيَّين تاركًا إياهما يَسقُطان أرضًا والتوَت ملامحه مع الألم الذي يُمَزِّق ذراعه.

- «لقد أثبتَ ابن ستارك أنه أكثر حذرًا مما توقَّعتُ من صبيٍّ في سِنِّه، لكن النَّصر نصر. يبدو أنك جريح».

كانت ذراع تيريون اليُمنى غارقةً في الدِّماء، وأجابَ ضاغطًا على أسنانه ألمًا: «شُكرًا لأنك لاحَظت يا أبي. هل يُمكنني أن أُزعِجك وأطلب منك أن تُرسِل في طلب المِايسترات؟ طبعًا ما لم تكن فكرة أن يكون لك ابن ذو ذراع واحدةٍ تروق لك».

قبل أن يَرُدَّ أبوه، سمَعوا من يصيح بلهفة: «لورد تايوين!»، ونهضَ تايوين لانستر إذ رأى السير أدام ماربراند يقترب بسرعةٍ ويثب من فوق حصانه. كان الحصان مصابًا والرَّغوة والدِّماء تسيلان من فمه، وإن بدا السير أدام -الرَّجل ممشوق القوام ذو الشَّعر النُّحاسي الذي يَبلُغ كتفيه،

والمدرَّع بالفولاذ المصقول الذي يحمل الشَّجرة المحترقة رمز عائلته على واقي الصَّدر- سليمًا، وركعَ على رُكبةٍ واحدةٍ قائلًا: «سيِّدي، لقد أسَرنا بعضًا من قادتهم. اللورد سروين والسير وايليس ماندرلي وهاريون كارستارك وأربعةً من أبناء فراي. اللورد هورنوود ماتَ، وأخشى أن رووس بولتون قد فرَّ منا».

- «والصَّبي؟».

تردَّد السير أدام قبل أن يُجيب: «ابن ستارك لم يكن معهم يا سيِّدي. يقولون إنه عبرَ "التَّوأمتين" مع الجزء الأعظم من جيشه متَّجهًا إلى ريفررَن بأقصى سرعة».

ساخرًا قال تيريون لنفسه: *صبيٌّ أخضرَ، شُجاع أكثر منه حكيم.* كان ليضحك لحظتها لولا أنه يَشعُر بكلِّ هذا الألم.

كاتلين

امتلأت الغابة بالهمسات.

ومضَ نور القَمر على مياه الجدول في الأسفل وهي تتدفَّق في مجراها الصَّخريِّ الملتفِّ بطول قاع الوادي، وأطلقَت الجياد الحربيَّة صهيلها الخافت نابشةً الأرض المورقة الرَّطبة، بينما تبادلَ الرِّجال الدُّعابات المتوتِّرة بأصواتٍ هامسة. بين الحين والآخَر كانت تسمع صليل الرِّماح والصَّوت المعدنيَّ الخافت للقمصان الواقية، لكن حتى هذه الأصوات كانت مكتومةً.

قال هالس مولين: «لم يتبقَّ الكثير يا سيِّدتي». كان قد طلبَ شَرف حمايتها خلال المعركة القادمة، فهذا حقُّه بصفته قائد حَرس وينترفل، ولم يَرفُض روب طلبه. أحاطَ بها ثلاثون رجلًا مُكَلَّفون بالحفاظ على سلامتها وإعادتها آمنةً إلى الدِّيار إذا دارَت المعركة على جيش ابنها، وكان روب قد أرادَ أن يَترُك خمسين رجلًا معها، بينما أصرَّت كاتلين على أن عشرةً منهم كفاية، وأنه سيحتاج كلَّ مُقاتِلٍ مُتاح في المعركة، وفي النِّهاية وافقَ الاثنان على مضضٍ أن يكون العددُ ثلاثين.

قالت له كاتلين: «ستأتي النِّهاية عندما تأتي»... وعندما تأتي النِّهاية فلن تعني شيئًا غير الموت، موت هال ربما، أو موتها هي، أو موت روب. لا أحد آمنًا، لا يقين في الحياة. قنعَت كاتلين بالانتظار والإصغاء للهمسات في الغابة وموسيقى مياه الجدول والإحساس بالهواء الدَّافئ بين خصلات

شَعرها. والانتظار ليس بالشَّيء الجديد عليها على كلِّ حال، فلطالما جعلَها رجالها تنتظر. دائمًا ما كان أبوها يقول لها قبل رحيله إلى البلاط أو المهرجان أو المعركة: «ترقَّبي عودتي يا قِطَّتي الصَّغيرة»، فتقف بصبرٍ منتظرةً إياه فوق أسوار ريڤررَن التي تلتقي تحتها مياه فرع الثَّالوث الأحمر بمياه نهر الجلمود. لم يكن يعود في كلِّ مرَّةٍ في الوقت الذي قال إنه سيعود فيه، وأحيانًا كانت أيام كاملة تَمُرُّ وكاتلين واقفة في انتظاره، تُحَدِّق من وراء فتحات الرِّماية وكُوَّات المُراقَبة، إلى أن تلمح اللورد هوستر على متن حصانه البُنِّي العجوز قادمًا على ضفَّة النَّهر نحو المرسى، وعندما ينحني ليُعانِقها كان يسألها: «هل ترقَّبتِ عودتي يا قِطَّتي الصَّغيرة؟».

براندون ستارك أيضًا طلبَ منها أن تنتظره، وتعهَّد لها قائلًا: «لن أغيب طويلًا يا سيِّدتي، وسيُعقَد قراننا لدى عودتي»، وعندما جاءَ يوم الزِّفاف أخيرًا كان أخوه إدارد هو من وقفَ إلى جوارها في السِّپت.

أمَّا ند فقد مكث لأقلِّ من أسبوعين مع عروسه الجديدة قبل أن يُغادِر بدوره إلى الحرب والوعود على شفتيه. على الأقل تركَها بما هو أكثر من مجرَّد كلمات، فقد أعطاها ابنًا. تسعة أقمارٍ سطعَت وأفلَت حتى وُلِدَ روب في ريڤررَن بينما لا يزال أبوه يُحارِب في الجنوب. جاءَت به إلى العالم بمزيجٍ من الدَّم والألم وهي لا تدري إن كان ابنها سيرى أباه أبدًا. ابنها... كم كان ضئيلًا بين يديها.

والآن كانت في انتظار روب... روب وچايمي لانستر، الفارس الذَّهبي الذي يقول الرِّجال عنه أنه لم يتعلَّم فضيلة الانتظار قَطُّ. «قاتِل المَلك رجل سريع الملل وسريع الغضب»، قال عمُّها برايندن لروب، وراهنَ بحياتهم وبأفضل أملٍ لديهم في النَّصر على حقيقة ما قاله.

إذا كان روب خائفًا، فهو لم يُبدِ أيَّ دلالةٍ على هذا. راقبَت كاتلين ابنها وهو يتحرَّك بين الرِّجال، يُرَبِّت على كتف أحدهم ويتبادَل دُعابةً مع ثانٍ ويُساعِد ثالثًا على تهدئة حصانٍ متوتِّر. أصدرَت دِرعه رنينًا خافتًا

وهو يتحرَّك وقد كشفَ رأسه فقط، ورأت كاتلين النَّسيم يُحَرِّك شَعره الكستنائي الذي يُشبِه شَعرها كثيرًا وتساءَلت متى أصبحَ ابنها كبيرًا هكذا، في الخامسة عشر من العُمر ويكاد يُناهِزها طولًا.

تضرَّعت إلى الآلهة في قرارة نفسها قائلةً: *أرجوكِ يا آلهتي، دعي قامته تطول أكثر، دعيه يشهد السَّادسة عشر، والعشرين، والخمسين. دعيه يُناهِز أباه طولًا ويحمل ابنه بين يديه. أرجوكِ، أرجوكِ، أرجوكِ.* ظلَّت تُراقِب هذا الشَّاب الطَّويل ذا اللِّحية الحديثة والذِّئب الرَّهيب يتحرَّك في أعقابه، وكلُّ ما استطاعَت أن تراه هو الرَّضيع الذي وضعوه في أحضانها لتُلَقِّمه ثديها للمرَّة الأولى في ريڤرزن منذ زمنٍ بعيد.

كانت ليلةً دافئةً، لكن مجرَّد التَّفكير في ريڤررَن بعثَ في أوصالها الرَّجفة. *أين هُم؟* هل من الوارد أن عمَّها مخطئ؟ كثير جدًّا كان يعتمد على صحَّة ما أخبرَهم به. كان روب قد أعطى السَّمكة السَّوداء ثلاثمئة من حاملي الرِّماح وأمرَهم بأن يسبقوهم ليُمَشِّطوا الطَّريق الذي يزحف عليه جيشه، وقال السير برايندن عندما عادَ: «چايمي لا يعرف. أراهنُ بحياتي على هذا. لقد تأكَّد رُماتي من أن لا طائر بلغَه، كما أننا رأينا بعض كشَّافته، لكن من رأونا منهم لم يعيشوا ليُخبِروه بشيء. كان يَجدُر به أن يُرسِل المزيد منهم، لكنني أؤكِّدُ أنه لا يعرف».

سأله ابنها: «ما حجم جيشه؟».

أجابَ عمُّها بالابتسامة الخشنة التي تعرفها جيِّدًا: «اثنا عشر ألفًا من المُشاة الموزَّعين حول القلعة في ثلاثة معسكراتٍ منفصلة، والنَّهر بينهم. ليس هناك سبيل آخَر لحصار ريڤررَن، لكن هلاكهم يَكمُن في هذا. هناك أيضًا ألفان أو ثلاثة آلاف من الخيَّالة».

قال جالبارت جلوڤر: «قاتِل المَلك يتفوَّق علينا بثلاثةٍ إلى واحد».

رَدَّ السير برايندن: «هذا صحيح، لكن ثمَّة شيئًا واحدًا يفتقر إليه السير چايمي».

سأله روب: «ماذا؟».

- «الصَّبر».

الجيش الآن أكبر مما كان عندما غادَروا "التَّوأمتين"، مع انضمام اللورد چيسون ماليستر إليهم بقوَّاته التي جاءَ بها من سيجارد وهُم يدورون حول منابع فرع الثَّالوث الأزرق وينطلقون جَنوبًا، بالإضافة إلى الآخَرين الذين انضمُّوا إلى الجيش كذلك، من الفُرسان الجائلين وصغار اللوردات والجنود عديمي القادة الذين فرُّوا شَمالًا عندما تحطَّم جيش أخيها إدميور تحت أسوار ريڤرزن. تحرَّكوا مُجبِرين خيولهم على الرَّكض بأقصى سرعةٍ لبلوغ هذا المكان قبل أن يَبلُغ چايمي لانستر أيُّ خبرٍ عن مجيئهم، والآن حانَت ساعة الحسم.

راقبَت كاتلين ابنها إذ امتطى حصانه بمُساعَدة أوليڤار فراي ابن اللورد والدر، الذي يَكبُرُ روب بعامين من العُمر ويَصغُرة بعشرة أعوامٍ من التَّدريب. ثبَّت أوليڤار تُرس روب في مكانه ورفعَ إليه خوذته، وعندما خفضَها روب على الوجه الذي تعشقه رأت فارسًا شابًّا طويلًا يجلس على الفَحل الرَّمادي القويِّ بدلًا من ابنها. كانت الظُّلمة سائدةً بين الأشجار حيث لا يصل نور القَمر، وعندما أدارَ ابنها رأسه ليَنظُر إليها لم ترَ غير السَّواد داخل مقدِّمة خوذته. قال لها: «يجب أن أذهب إلى مقدِّمة الصُّفوف الآن يا أمي، فدائمًا ما قال أبي إن القائد ينبغي أن يجعل رجاله يرونه قبل المعركة».

قالت له: «اذهب إذن. دعهم يرونك».

- «سيَبُثُّ هذا فيهم الشَّجاعة».

ومن سيَبُثُّها فيَّ أنا؟ احتفظَت بالتَّساؤل لنفسها وأرغمَت نفسها على الابتسام له، ثم دارَ روب بفَحله الرَّمادي الضَّخم وبدأ يبتعد ببُطءٍ وجراي ويند يتبعه كظِلِّه، ومنْ ورائه اتَّخذ حَرسه الشَّخصيُّون تشكيل المعركة. عندما أجبرَ كاتلين على قبول فِرقة حمايةٍ لها، أصرَّت هي بالتَّالي على

أن تُحيط به فِرقة من الحَرس كذلك واتَّفق معها اللوردات حمَلة الرَّاية، واندفعَ كثيرون من أبنائهم مُطالِبين بشَرف الرُّكوب إلى المعركة في صُحبة الذِّئب الصَّغير كما أطلَقوا عليه. تورين كارستارك وأخوه إدارد كانا من ضمن ثلاثينه، بالإضافة إلى پاتريك ماليستر وچون أومبر الصَّغير ودارن هورنوود وثيون جرايچوي، ولا أقل من خمسةٍ من ذُرِّيَّة والدر فراي الرَّحبة، مع عددٍ من الرِّجال الأكبر سِنًّا مثل السير وندل ماندرلي وروبن فلينت. بل وكانت هناك امرأة بينهم كذلك: داسي مورمونت، ابنة الليدي مِج مورمونت الكُبرى ووريثة جزيرة الدِّببة، المرأة النَّحيلة التي يَبلُغ طولها ستَّة أقدام وتلعب بالكرات الشَّائكة منذ كانت في العُمر الذي تلعب فيه معظم الفتيات بالدُّمى. أطلقَ بعض اللوردات الآخَرين اعتراضاتٍ خافتة على هذا، لكن كاتلين رفضَت الإصغاء لشكاواهم وقالت لهم: «ليس لهذا علاقة بشَرف عائلاتكم، بل بالحفاظ على حياة ابني وسلامته».

وإذا وصلَ الأمر إلى هذا الحَد، فهل سيكفي ثلاثون لحمايته؟ أو حتى ستَّة آلاف؟

صاحَ طائر من بعيدٍ بصوتٍ حادٍّ راجفٍ أشعرَ كاتلين بقبضةٍ من جليدٍ تُطوِّق عُنقها، وأجابَ طائر ثانٍ الصَّيحة، وثالث، ورابع. كانت تعرف هذه الطُّيور جيِّدًا من سنواتها في وينترفل. إنها عصافير الجَليد التي تراها أحيانًا في قلب الشِّتاء عندما تكون أيكة الآلهة بيضاء تمامًا ساكنةً تمامًا. طيورٌ شَماليَّة هي.

إنهم قادمون.

- «إنهم قادمون يا سيِّدتي»، همسَ هال مولين الذي من عادته أن يُفَسِّر الماء بالماء. «لتكن الآلهة في عوننا».

أومأت برأسها وقد خيَّم الصَّمت على الغابة من حولهم، ولمَّا سادَ الهدوء استطاعَت أن تسمعهم، ما زالوا بعيدين لكن يقتربون بسرعة، وقع

حوافر خيولٍ كثيرة، رنين السُّيوف والرِّماح والدُّروع، غمغمة أصواتٍ بشريَّة، ضحكة هنا وشتيمة هناك.

أحسَّت كأن دهورًا كاملةً قد مرَّت، وتعالَت الأصوات أكثر، وسمعَت المزيد من الضَّحك، وأحدًا يصيح بأمرٍ ما، والماء يتناثَر وهُم يَعبُرون الجدول الصَّغير ويُعيدون عبوره. نخرَ حصان، وأطلقَ رجل سُبَّةً، وأخيرًا رأته... للحظةٍ واحدةٍ عابرةٍ رأته من بين فروع الأشجار وهي تتطلَّع إلى قاع الوادي من مكانها العالي، لكنها كانت واثقةً من أنه هو. حتى من على هذه المسافة لم يكن هناك مجال للخلط بين السير چايمي لانستر ورجلٍ آخَر، وقد صبغَ نور القَمر دِرعه وشَعره الذَّهبي المكشوف بالفضِّي وأحالَّ معطفه القرمزي إلى الأسود.

لهنيهةٍ كان هناك ثم اختفى من مجال بصرها وقد أخفَته الأشجار بدِرعه البادية كالفضَّة من جديد. جاءَ آخَرون وراءه، صفوف طويلة منهم، فُرسان وسلاحداريَّة ومُحارِبون غير نظاميِّين، ثلاثة أرباع خيَّالة جيش لانستر.

كان السير برايندن قد وعدَهم قائلًا: «إنه ليس بالرَّجل الذي يقبع في خيمته بينما يبني نجَّاروه أبراج الحصار. لقد خرجَ للقتال مع فُرسانه ثلاث مرَّاتٍ بالفعل لمُطارَدة المُغيرين أو اقتحام معقلٍ يَرفُض الاستسلام».

مومئًا برأسه أمعنَ روب النَّظر إلى الخريطة التي رسمَها عمُّها له، إذ كان ند قد علَّمه قراءة الخرائط، وقال مُشيرًا: «سنُغير عليه هنا، بضع مئاتٍ من الرِّجال لا أكثر يحملون رايات تَلي. وعندما يأتي في أعقابكم سنكون في انتظاره (وتحرَّك إصبعه بوصةً إلى اليسار) هنا».

هنا هذا كان المعنى المجسَّد لهجوع اللَّيل، نور القَمر والظِّلال، طبقة سميكة من ورق الشَّجر الميت تحت الأقدام، أخاديد مكتظَّة بالأشجار تنحدر بنعومةٍ نحو مجرى الجدول حيث تتضاءَل الشُّجيرات بالتَّدريج وتَقِلُّ كثافتها.

هنا كان ابنها على صهوة حصانه يُلقي عليها نظرةً أخيرةً ويرفع سيفه تحيَّةً لها.

هنا كان نداء نفير مِج مورمونت الذي تردَّد خفيضًا طويلًا من الشَّرق حتى بلغَ الوادي، ليُعلِمهم أن آخِر خيَّالة چايمي لانستر قد دخلَ الشَّرك.

ورفعَ جراي ويند رأسه إلى السَّماء وعوى.

هـــاااروووووووووووووووووووووو! أتَت الإجابة من الأخدود البعيد حيث أطلقَ چون الكبير نفيره، وإلى الشَّرق والغَرب دوَّت أبواق آل ماليستر وآل فراي بلحن الانتقام، ومن الشَّمال، حيث يضيق الوادي وينحني كالمِرفق المثني، أضافَت أبواق اللورد كارستارك أصواتها العميقة الحزينة إلى الجوقة المتجهِّمة، ووسط مياه الجدول في الأسفل كان الرِّجال يصيحون والخيول تتراجَع، لا فارق بين الخوف الذي انتابَ هؤلاء وتلك.

أطلقَت الغابة الهامسة أنفاسها في آنٍ واحد إذ أطلقَ الرُّماة الذين أخفاهم روب بين فروع الأشجار سهامهم ليتفجَّر اللَّيل بصراخ الرِّجال والخيول، وفي كلِّ مكانٍ حولها رفعَ الخيَّالة رماحهم لتنزاح الأتربة وأوراق الشَّجر التي خبَّأت الرُّؤوس الصُّلبة وينكشف الفولاذ اللَّامع، وتطايرَت السِّهام من جديد وروب يهتف: «وينترفل!»، ثم ينطلق بحصانه متقدِّمًا جنوده إلى أسفل التَّل.

جلسَت كاتلين فوق حصانها بلا حراكٍ وإلى جوارها هال مولين ومن حولها حُرَّاسها، وانتظرَت كما تعلَّمت انتظار براندون وند وأبيها من قبل. كانت في موقعٍ عالٍ فوق التَّل وقد أخفَت الأشجار معظم ما يدور في الأسفل. غمضة عين، اثنتان، أربع، وفجأةً كأنها قد صارت ومُرافِقوها الوحيدين في الغابة كلها، بينما ذابَ الآخَرون وسط الأخضر، لكنها عندما نظرَت عبر الوادي إلى الأخدود البعيد رأت خيَّالة چون الكبير يَبرُزون من قلب الظَّلام تحت الأشجار. كانوا صَفًّا واحدًا، صَفًّا بلا نهاية، ومع اندفاعهم من الغابة كانت لحظة مرَّت أسرع من نبضة قلبٍ رأت فيها كاتلين نور القَمر يتوهَّج على رؤوس رماحهم، كأن ألف أفعوانٍ ناريٍّ يزحف بسرعة البرق وقد تأجَّج لهبه الفضِّي.

ثم إنها طرفَت بعينيها وعادوا رجالًا يندفعون ليَقتُلوا أو يُقتَلوا.

فيما بَعد لم تكن لتستطيع أن تدَّعي أنها شاهدَت المعركة، لكنها بالتَّأكيد سمعَتها وقد تردَّدت أصداؤها في أنحاء الوادي كله، طقطقة الرِّماح المكسورة، صليل السُّيوف، هتافات «لانستر!» و«وينترفل!» و«تَلي! ريفررَن وتلي!». لمَّا أدركَت أنه ليس هناك المزيد لتراه، أغلقَت عينيها واكتفَت بالإصغاء لتَدُبُّ الحياة في المعركة من حولها. سمعَت حوافر الخيول والأحذية الحديديَّة تَنثُر تخوض في مياهٍ ضحلة، وصوت السُّيوف على التُّروس القويَّة، والفولاذ يكشط الفولاذ، وهسيس السِّهام، وهدير الطُّبول، وصراخ ألف حصانٍ خائف، ورجالًا تعالَت أصواتهم مُطلِقين السِّباب أو متوسِّلين الرَّحمة فنالوها (أو لا) وعاشوا (أو ماتوا). في لحظةٍ سمعَت صوت روب واضحًا تمامًا كأنه يقف إلى جوارها ويصيح: «إليَّ! إليَّ!»، وسمعَت ذِئبه الرَّهيب يُزَمجِر ويزوم، سمعَت صوت أسنانه الطَّويلة وتمزيق اللَّحم وصرخات الخوف والألم من كلٍّ من الرِّجال وخيولهم. تساءَلت بلا يقينٍ إن كان هناكَ ذِئب واحد فقط في المعركة.

شيئًا فشيئًا خفتَت الأصوات وخبَت حتى لم يَعُدْ هناك غير صوت الذِّئب فقط في النِّهاية، ومع طلوع الفَجر الأحمر من الشَّرق بدأ جراي ويند يعوي من جديد.

عادَ إليها روب على متن حصانٍ آخَر أرقط بدلًا من الفَحل الرَّمادي الذي نزلَ به إلى الوادي، وقد استحالَ رأس الذِّئب على تُرسه إلى شظايا تُبرِز شقوقًا عميقةً من الخشب الخام، وإن بدا روب نفسه سليمًا تمامًا، وإن رأت كاتلين حين دنا منها أن قُفَّازه وكُمَّ قمصيه المعدنيَّين كانا مسودَّين بالدِّماء، فقالت له: «أنت جريح».

رفعَ روب يده وأغلقَ أصابعه وفتحَها قائلًا: «كلا، هذا دم تورين على ما أعتقدُ، أو...»، وهَزَّ رأسه وغمغمَ «لا أدري».

تبعَه حشد من الرِّجال إلى أعلى التَّل وقد اتَّسخت ثيابهم وانبعجَت

دروعهم وارتسمَت الابتسامات على وجوههم، وعلى رأسهم ثيون وچون الكبير يَجُرَّان چايمي لانستر بينهما. ألقياه أمام حصانها ليقول هال بلا ضرورة: «قاتِل المَلك».

رفعَ لانستر الرَّاكع على رُكبتيه عينيه قائلًا: «ليدي ستارك». كان خيط من الدَّم يسيل على وجنته من جرحٍ بعرض فروة رأسه، وإن أعادَ نور الفَجر الشَّاحب اللَّون الذَّهبي إلى شَعره. «كنتُ لأقدِّمُ لكِ سيفي، لكن يبدو أني فقدته».

قالت له: «ليس سيفك الذي أريدُ أيها الفارس. أعطني أبي وأخي إدميور، أعطني ابنتيَّ، أعطني زوجي».

- «أخشى أني فقدتُ هؤلاء أيضًا».

قالت كاتلين ببرود: «هذا مُؤسف».

- «اقتُله يا روب»، قال ثيون جرايچوي. «اقطع رأسه».

- «كلا»، أجابَ ابنها وهو يخلع قُفَّازه الدَّامي. «إنه مفيد لنا حيًّا أكثر منه ميتًا، كما أن السيِّد والدي لا يتغاضى أبدًا عن قتل الأسرى بَعد المعركة».

قال چايمي لانستر: «رجل حكيم وشريف».

قالت كاتلين: «خذوه وكبِّلوه بالأغلال».

- «افعلوا كما تقول السيِّدة والدتي»، قال روب. «وتأكَّدوا من وجود حراسةٍ قويَّةٍ حوله، فاللورد كارستارك سيرغب بالتَّأكيد في وضع رأسه على خازوق».

قال چون الكبير مشيرًا إلى رجاله: «هذا صحيح»، فاقتادوا لانستر بعيدًا لتضميد جرحه ووضعه في الأغلال.

سألت كاتلين: «لماذا سيُريده اللورد كارستارك ميتًا؟».

تطلَّع روب إلى الغابة وعلى وجهه النَّظرة المتجهِّمة ذاتها التي اعتادَتها من ند، وقال: «لقد... لقد قتلَهما».

فسَّر جالبارت جلوڤر قائلًا: «قتلَ ولدي اللورد كارستارك».

قال روب: «كلاهما، تورين وإدارد، ودارن هورنوود كذلك».

- «لا أحد يُمكنه أن يلوم لانستر على شَجاعته»، قال جلوڤر. «عندما وجدَ أنه مهزوم لا محالة، حشدَ من تبقّى من رجاله وشَقَّ طريقه إلى أعلى الوادي قتالًا على أمل أن يَبلُغ اللورد روب ويَقتُله، وكادَ ينجح بالفعل».

قال روب: «لقد فقدَ سيفه في عُنق إدارد كارستارك بَعد أن قطعَ رأس تورين وهشَّم جمجمة دارن هورنوود، كلّ هذا وهو يصيح مُناديًا عليَّ، ولولا أنهم حاوَلوا إيقافه...».

- «لكنتُ أنا مَن ثكلَت ولدي وليس اللورد كارستارك»، قالت كاتلين. «لقد فعلَ رجالك ما أقسَموا على فِعله يا روب، ماتوا وهُم يحمون قائدهم. يُمكنك أن تحزن عليهم وتُكَرِّمهم على بسالتهم لكن ليس الآن، فليس لديك الوقت لتحزن. صحيحٌ أنك قطَعت رأس الأفعى، لكن ثلاثة أرباع الجسم لا تزال تُحاصِر قلعة أبي. لقد ربحنا معركةً لا الحرب».

قال ثيون جرايچوي بحرارة: «ولكن يا لها من معركة! سيِّدتي، البلاد لم تشهَد نصرًا كهذا منذ حقل النِّيران. أقسمُ لك إن آل لانستر فقَدوا عشرة رجالٍ مقابل كلّ واحدٍ سقطَ من رجالنا، وأسَرنا ما يَقرُب من مئة فارسٍ ودستة من حمَلة رايتهم، اللورد وسترلينج واللورد بانفورت والسير جارث جرينفيلد واللورد إسترن واللورد تايتوس براكس ومالور الدورني... بالإضافة إلى ثلاثةٍ من أبناء لانستر غير چايمي، اثنين من أبناء أخت اللورد تايوين وواحدٍ من أبناء أخيه الميت، بخلاف...».

قاطعَته كاتلين: «واللورد تايوين؟ هل أسَرتم اللورد تايوين كذلك يا ثيون؟».

أجابَ جرايچوي مرتبكًا: «كلا».

- «وإلى أن تفعَلوا، فنهاية هذه الحرب لا تزال بعيدةً تمامًا».

رفعَ روب رأسه مُزيحًا الشَّعر السَّاقط على عينيه، وقال: «أمِّي مُحِقَّة، فما زالت أمامنا استرداد ريڤررَن».

دنيرس

ببُطءٍ أخذَ الذُّباب يدور حول رأس گال دروجو ليتردَّد طنين أجنحته الواطئ عند حافَّة السَّمع ويملأ داني خوفًا على خوف.

كانت الشَّمس عاليةً في منتصَف السَّماء، تبعث أشعَّتها التي لا ترحم موجاتٍ من الحرارة انعكسَت على بروزات التِّلال المنخفضة، وسالَ خيط طويل من العَرق بين نهدي داني المنتفخين. لم يكن هناك صوت غير وقع حوافر خيولهم المنتظم، والرَّنين الإيقاعي الصَّادر من الأجراس في شَعر دروجو، والأصوات البعيدة من ورائهما.

وراقبَت داني الذُّباب.

كان ذُبابًا كبير الحجم كالنَّحل، قبيح الشَّكل ذا لونٍ ضاربٍ إلى الأرجواني اللَّامع، يُطلِق عليه الدوثراكي اسم الذُّباب الدَّموي، ويعيش في المستنقعات والبِرك الرَّاكدة ويمتصُّ الدَّم من البَشر والحيوانات بلا تفرقة، ويضع بيضه في أجساد من ماتوا ومن يموتون. كان دروجو يمقته، وكلما دنَت واحدة منه كانت يده تندفع بسرعة الثُّعبان وتنغلق عليها، فلم ترَه داني يُخفِق في اصطيادها ولو مرَّة. ثم إنه كان يحبس الذُّبابة داخل قبضته الضَّخمة حتى يتأكَّد من سماع طنينها المهتاج، قبل أن يُحكِم إغلاق أصابعه عليها، وعندما يفتحها من جديدٍ لا تعود الذُّبابة غير لُطخةٍ حمراء على راحة يده.

والآن زحفَت واحدة على رِدف فَحله الذي لوَّح بذيله غاضبًا ليَطرُدها،

بينما حلَّقت البقيَّة حول دروجو مقتربةً أكثر دون أن يُصدِر الگال أدنى ردَّة فعل. عيناه كانتا مثبَّتتين على التِّلال البُنيَّة البعيدة والعِنان مرتخٍ في يديه، وتحت صُدرته الملوَّنة غطَّى لَصوق من أوراق التِّين والطَّمي الأزرق جرح صدره. كانت المُداويات بالأعشاب قد صنعنَه له، فالكمَّادة التي أعدَّتها ميري ماز دور أحرقَت جِلده وأصابَته بالحكَّة، وقد مزَّقها قبل ستَّة أيام لاعنًا المرأة ومتَّهمًا إياها بأنها مايجي، بينما أراحَه لَصوق الطَّمي أكثر. كذلك صنعَت له المُداويات بالأعشاب نبيذ الخشخاش كذلك، ومنذ ثلاثة أيام وهو يشربه بغزارة، وإن لم يكن نبيذ الخشخاش فهو حليب الفَرس المخمَّر أو البيرة المفلفلة.

لكنه كان يمسُّ طعامه بالكاد، وطوال اللَّيل يظلُّ يتقلَّب ويَئِنُّ، ورأت داني كم صارَ وجهه مهزولًا. رييجو أيضًا كان مضطربًا في بطنها، يَركُل كجوادٍ قويٍّ أغلب الوقت، لكن حتى هذا لم يُثِر اهتمام دروجو كما في السَّابق، وفي كلِّ صباحٍ كانت عيناها تُبصِران خطوطًا جديدةً من الألم على وجهه بَعد ليلةٍ من النَّوم المتقطِّع. والآن هذا الصَّمت الذي بَثَّ فيها الخوف، فمنذ امتطوا خيولهم وتحرَّكوا عند الفَجر لم يلفظ دروجو كلمةً واحدةً، وعندما تُكَلِّمه كانت الإجابة تأتيها في صورة همهمةٍ غير مفهومة، وحتى هذا القَدر الضَّئيل لم تنَله منه منذ انتصفَ اليوم.

حطَّت واحدة من الذُّبابات الدَّامية على جِلد كتف الگال العاري، ودارَت أخرى وحطَّت على عُنقه وزحفَت نحو فمه، وظَلَّ گال دروجو يتمايَل فوق سَرجه والأجراس تَرِنُّ في شَعره والفَحل يتقدَّم به بثبات.

وكزَت داني فَرسها الفضِّيَّة وتقدَّمت منه، وقالت بصوتٍ خفيض: «سيِّدي... دروجـو... شَمسي ونجومي»، لكن بدا أنه لم يسمعها، وزحفَت الذُّبابة الدَّامية تحت شاربه الكبير واستقرَّت على وجنته في الثَّنية المجاورة لأنفه شهقَت داني مردِّدةً اسمه ومدَّت يدها لتمسَّ ذراعه، فترنَّح گال دروجو فوق ظَهر الحصان ومالَ جسده ببُطءٍ قبل أن يَسقُط

بحركةٍ عنيفة، وتفرَّق الذُّباب للحظاتٍ ثم عاودَ الدَّوران حوله والهبوط على جسده حيث سقطَ. «لا»، قالت داني وهي تجذب عِنان الفَرس، وللمرَّة الأولى تقريبًا منذ حبلَت لم تُلقِ انتباهًا لبطنها المتنفخة ووثبَت من فوق فَرسها وهُرِعَت إليه.

كان العُشب من تحته بُنيًّا جافًّا، وأطلقَ دروجو صيحة ألمٍ وداني تجثو إلى جواره لتسمع أنفاسه تُخَشخِش بخشونةٍ في حَلقه، ورمقَها هو بنظرةٍ خاويةٍ كأنه لا يتعرَّفها. بوهنٍ قال: «حصاني»، وطردَت داني الذُّبابات من على صدره ساحقةً واحدةً منها بيدها كما كان يفعل، فشعرَت بجِلده يحترق تحت أصابعها.

كان خيَّالة دم الكَال الثَّلاثة وراءهما بمسافةٍ قصيرة، وسمعَت هاجو يصيح وهُم يقتربون بسرعة، ثم وثبَ كهولو من فوق حصانه ونزلَ على رُكبتيه قائلًا: «دم دمي»، بينما ظَلَّ الآخَران على حصانيهما.

- «لا»، قال كَال دروجو متأوِّهًا وهو يُقاوِم ذراعي داني. «يجب أن أركب، أركب، لا».

- «لقد سقطَ من فوق حصانه»، قال هاجو رامقًا الكَال من أعلى بتعبيرٍ جامدٍ على وجهه، وإن كانت نبرة صوته بالغة القسوة.

قالت له داني: «إياك أن تقول هذا. لقد ركَبنا بما يكفي اليوم. سنُخَيِّم هنا».

تطلَّع هاجو حوله إلى الأرض الذَّابلة، وقال: «هنا؟ هذه ليست منطقة تخييم».

وقال كُوثو: «ليس من حَقِّ امرأةٍ أن تأمرنا بالتوقُّف، ولا حتى الكَاليسي».

كرَّرت داني: «سنُخَيِّم هنا. هاجو، قُل لهم إن كَال دروجو أمرَ بالتَّوقُّف، وإذا سألك أحد عن السَّبب قُل إن وقت وضعي قد اقتربَ ولم أستطِع المُواصَلة. كهولو، مُر العبيد بنصب خانة الكَال على الفور. وأنت يا كُوثو...».

قاطعَها: «أنا لا أتلقَّى الأوامر منكِ يا گاليسي».
تجاهَلته وأكملَت: «اعثر على ميري ماز دور وعُد بها ومعها صندوقها».
لا بُدَّ أن الكاهنة ستكون بين بقيَّة قوم الحِملان في طابور العبيد الطَّويل.
رمقَها كُوثو من أعلى بنظرةٍ قاسيةٍ وقال باحتقار: «المايجي؟ كلا، هذا لن أفعله».
- «ستفعل، وإلَّا فعليك أن تشرح لدروجو لماذا تحدَّيتني عندما يُفيق».
غاضبًا دارَ كُوثو بحصانه وابتعدَ يرغي ويزبد، وإن عرفَت داني أنه سيعود بميري ماز دور مهما بغض أن يفعل هذا. نصبَ العبيد خيمة گال دروجو أسفل بروزٍ صخريٍّ أسودَ ليعتقه الظِّلُّ من حرارة شمس منتصَف النَّهار، ومع ذلك كان الجَوُّ خانقًا تحت الخيمة المصنوعة من الحرير الرَّملي وإيري ودوريا تُساعِدان داني على إدخال دروجو. في الداخل فردَ العبيد بُسُطًا سميكةً منقوشةً على الأرض ووزَّعوا الوسائد على الأركان، وسارعَت إيرو -فتاة الحِملان الخجول التي أنقذَتها داني خارج أسوار البلدة المحترقة- بإشعال المُستوقَد، ومدَّدنَ دروجو على حصيرةٍ منسوجةٍ وهو يُتَمتِم: «لا، لا، لا» باللُّغة العاميَّة بلا توقُّف. كان هذا كلَّ ما قاله وما بدا أنه قادر على أن يقوله.
حلَّت دوريا حزامه الثَّقيل وخلعَت صُدرته وقماط السَّاقين، بينما ركعَت چيكوي عند قدميه لتحلَّ أربطة حذاء الرُّكوب. أرادَت إيري أن تَترُك باب الخيمة مرفوعًا ليسمح للنَّسيم بالدُّخول لكن داني منعَتها، فلم تكن ترغب في أن يرى أحد آخَر دروجو ضعيفًا يُعاني هذيان الحُمَّى هكذا، وعندما جاءَ رجال الگاس أمرَتهم بالوقوف حراسةً خارج الخيمة، وقالت لچوجو: «لا تسمح لأيِّ أحدٍ بالدُّخول بلا إذنٍ مني، لا أحد على الإطلاق».
حدَّقت إيرو بخوفٍ في دروجو حيث تمدَّد وهمسَت: «إنه يموت».
صفعَتها داني وقالت بحدَّة: «الگال لا يُمكنه أن يموت. إنه أبو الجواد

الذي يمتطي العالم. لم يُقطَع شَعره قَطُّ وما زال يرتدي الأجراس التي أعطاه أبوه إياها».

قالت چيكوي بتردُّد: «لقد سقطَ من فوق حصانه يا گاليسي».

مرتجفةً أشاحَت داني بوجهها عنهنَّ والدُّموع تترقرَق في عينيها. *لقد سقطَ من فوق حصانه!* هي رأت هذا، وكذلك خيَّالة الدَّم، ووصيفاتها بلا شَكٍّ ورجال الگاس، فكم من الآخَرين رآه أيضًا؟ لم يكونوا يستطيعون الاحتفاظ بما حدثَ سِرًّا، وداني تعي ما يعنيه هذا. الگال الذي لا يستطيع أن يركب لا يستطيع أن يَحكُم، ودروجو سقطَ من فوق حصانه.

لا يجب أن تسمح لنفسها بالاستسلام لليأس. هكذا قالت بعناد: «يجب أن نُحَمِّمه. إيري، اجعليهم يأتون بالحوض في الحال. دوريا، إيرو، اعثرا على مياه، مياه باردة، فهو ساخن للغاية». لم يكن دروجو ساخنًا فحسب، بل نارًا متأجِّجةً تحت جِلد إنسان.

وضعَ العبيد الحوض النُّحاسي الثَّقيل في رُكن الخيمة، وعندما جلبَت دوريا قِدر الماء الأولى بلَّلت داني قطعةً من الحرير ووضعَتها على جبهة دروجو المتَّقدة. نظرَت عيناه إليها بلا رؤية، وعندما انفتحَت شفتاه لم تَخرُج منها كلمات، فقط الأنين. «أين ميري ماز دور؟»، قالت بعصبيَّة وقد أتى الخوف على صبرها.

قالت إيري: «سيَعثُر كوثو عليها».

ملأت وصيفاتها الحوض بمياهٍ فاترةٍ تفوح منها رائحة الكبريت الكريهة، وطيَّبنها بدوارقٍ من الزَّيت المُرِّ وحفناتٍ من أوراق النَّعناع المسحوقة، وبينما كُنَّ يُجهِّزن الحمَّام ركعَت داني بصعوبةٍ من جرَّاء انتفاخ بطنها بالطِّفل إلى جوار زوجها وبدأت تَحِلُّ ضفائره بأصابعٍ متوتِّرةٍ كما فعلَت ليلة أخذَها للمرَّة الأولى تحت النُّجوم، ووضعَت أجراسه بحرصٍ جنبًا إلى جنبٍ قائلةً لنفسها إنه سيرتديها ثانيةً عندما يتعافى.

تسلَّل تيَّار من الهواء إلى داخل الخيمة عندما أطَلَّ آجو برأسه من الباب قائلًا: «گاليسي، الأندالي هنا ويَطلُب الإذن بالدُّخول».

"الأندالي" هو اللَّقب الذي يُطلِقه الدوثراكي على السير چورا. قالت داني ناهضةً: «نعم، دعوه يَدخُل». كانت تثق به، وإذا كان هناك من يعرف ماذا يفعل، فهو الفارس المنفي.

دخلَ السير چورا مورمونت من باب الخيمة وانتظرَ للحظةٍ حتى تتكيَّف عيناه على الظَّلام في الدَّاخل. في طقس الجَنوب شديد الحرارة هذا كان يرتدي سروالًا فضفاضًا من الحرير الرَّملي المُزركَش وحذاء ركوبٍ مفتوحًا من الأمام تصل أربطته إلى الرُّكبتين، ومن حزامه المصنوع من شَعر الخيل تدلَّى سيفه في غِمده، بينما ارتدى صُدرةً مُبيَّضةً فوق صدره العاري الذي لوَّحت الشَّمس لونه. قال لها: «كلهم يتكلَّمون في جميع أنحاء الگالاسار، يقولون إن گال دروجو سقطَ من فوق حصانه».

قالت متوسِّلةً: «ساعِده، بحَقِّ الحُبِّ الذي تقول إنك تُكِنُّه لي ساعِده الآن».

ركعَ الفارس إلى جوارها ورمقَ دروجو بنظرةٍ طويلةٍ ممعنة، ثم نظرَ إلى داني وقال: «اصرفي وصيفاتكِ».

بلا كلماتٍ وقد خنقَها الخوف أشارَت داني، فقادَت إيري بقيَّة الفتيات إلى خارج الخيمة، وعندما صارَ الاثنان وحدهما مع دروجو أخرجَ السير چورا خنجره، وبرشاقةٍ ونعومةٍ من المدهش أن تَصدُرا من رجلٍ كبيرٍ مِثله بدأ يكشط الأوراق السَّوداء والطَّمي الأزرق عن صدر دروجو. كان اللَّصوق قد جمدَ كأسوار قوم الحِملان، ومِثلها تشقَّق بسهولة. كسرَ السير چورا الوحل الجاف بخنجره وحرَّر منه اللَّحم وقشَّر أوراق التِّين واحدةً واحدةً، لتتصاعَد رائحة كريهة حلوة في آنٍ واحدٍ من الجرح بكثافةٍ كادَت تخنقها. كانت الأوراق قد اكتسَت بقشرةٍ من الدِّماء والقيح وصدر دروجو أسودَ لامعًا بالعفن.

- «لا»، همسَت داني والدُّموع تسيل على وجهها. «لا، أرجوكِ أيتها الآلهة، لا».

تلوَّى گال دروجو في مكانه مُقاوِمًا خصمًا غير مرئي، وسالَ الدَّم الأسود الثَّخين ببُطءٍ من الجرح المفتوح.

- «الگال في عداد الموتى أيتها الأميرة».

- «لا، لا يُمكنه أن يموت، لا ينبغي أن يموت، إنه مجرَّد جرح»، قالت داني ملهوفةً والتقطَت يده الكبيرة بيديها الصَّغيرتين وأطبقَت عليها. «لن أترُكه يموت».

أطلقَ السير چورا ضحكةً مريرةً وقال: «گاليسي أو مَلكة، فليس لك سلطان على الحياة والموت. وفِّري دموعك يا بُنيَّتي، ابكي عليه غدًا أو بَعد عام، فليس لدينا وقت للحُزن الآن. يجب أن نُغادِر وبسرعة قبل أن يموت».

حائرةً قالت داني: «نُغادِر؟ نُغادِر إلى أين؟».

- «إلى آشاي في رأيي. إنها تقع في أقصى الجَنوب عند حدود العالم المعروف، لكنهم يقولون إنها ميناء عظيم. سنجد سفينةً هناك تُعيدنا إلى پنتوس. يجب أن تعرفي أنها ستكون رحلةً شاقَّةً. هل تثقين برجال گاسك؟ هل سيأتون معنا؟».

أجابَت بتردُّد: «لقد أمرَهم گال دروجو بالحفاظ على سلامتي، لكن إذا ماتَ...»، ومسَّت بطنها المنتفخة وقالت: «لا أفهمُ. لماذا ينبغي أن أهرب؟ إنني الگاليسي وأحملُ وريث دروجو الذي سيصير الگال من بَعده».

قطَّب السير چورا جبينه وقال: «اسمعيني أيتها الأميرة، الدوثراكي لن يتبعوا طفلًا رضيعًا، فقوَّة دروجو لا سواها هي ما أخضعَهم، وعندما يموت سيتقاتَل چهاكو وپونو وبقيَّة الگوهات على مكانه، وسيلتهم هذا الگالاسار نفسه. الرَّابح لن يرغب في وجود المزيد من المُنافِسين، وسينتزع الرَّضيع من بين يديكِ لحظة أن يولَد ويُلقي به للكلاب».

احتضنَت داني نفسها وقالت مذهولةً: «لكن لماذا؟ لماذا يَقتُلون طفلًا؟».

- «إنه ابن دروجو، والحيزبونات قُلنَ في نبوءتهنَّ إنه الجواد الذي يمتطي العالم. خيرٌ لهم أن يَقتُلوه طفلًا على أن يُخاطِروا بمُواجَهة غضبته عندما يَكبُر».

ركلَ طفلها في داخلها كأنه سمعَ، وتذكَّرت داني القصَّة التي حكاها لها ڤسيرس عمَّا فعله كلاب المُغتَصِب بطفلي ريجار. كان ابنه رضيعًا كذلك، لكنهم انتزَعوه من بين يدي أمِّه وهشَّموا رأسه على جِدار. هذا هو ديدن الرِّجال. صاحَت: «لن يمسُّوا ابني! سآمرُ گاسي بحراسته، وخيَّالة دم دروجو سوف...».

وضعَ السير چورا يديه على كتفيها قائلًا: «خيَّال الدَّم يموت مع گاله وأنتِ تعرفين هذا يا بُنيَّتي. سيأخذونكِ إلى ڤايس دوثراك، إلى الحيزبونات، وهذا هو آخِر واجبٍ يُدينون له به في الحياة، وعندما يقومون به سينضمُّون إلى دروجو في أراضي اللَّيل».

لم تكن داني تُريد أن تعود إلى ڤايس دوثراك وتقضي ما تبقَّى من حياتها بين أولئك العجائز الشَّمطاوات، وإن عرفَت أن الفارس يقول الحقيقة. كان دروجو أكثر من شَمسها ونجومها، كان الدِّرع التي تقيها وتُحافِظ على سلامتها. «لن أتركه»، قالت بعنادٍ بائس وهي تُمسك يده من جديد. «لن أتركه».

جعلَت الحركة عند باب الخيمة داني تُدير رأسها، ودخلَت ميري ماز دور منحنيةً وقد أصابَتها أيام المشي وراء الگالاسار بالهزال وجعلَتها تَعرُج على قدمين متقرِّحتين داميتين، ومن ورائها دخلَ كُوثو وهاجو حاملَيْن صندوقها بينهما، وعندما أبصرَ خيَّالا الدَّم جرح دروجو انزلَقَ الصُّندوق من أصابع هاجو وسقطَ على الأرض وأطلقَ كُوثو سُبَّةً شديدة البذاءة.

تطلَّعت ميري ماز دور إلى دروجو بملامحٍ جامدة، وقالت: «لقد تعفَّن الجرح».

قال كوثو: «هذا من صُنعكِ أيتها المايجي»، وهوى هاجو على جانب وجهها بلكمةٍ أودعَها كلَّ قوَّته ليُسقِطها أرضًا، ثم جعلَ يَركُلها.

صرخَت داني: «كفى!».

سحبَ كوثو هاجو بعيدًا عنها قائلًا: «الرَّكلات رحمة للمايجي. خُذها إلى الخارج. سنُقَيِّدها إلى الأرض لتكون مطيَّةً لكلِّ رجلٍ يَمُرُّ، وعندما يَفرُغون منها سيأتي دور الكلاب. ستُمَزِّق بنات عرس أمعاءها وتلتهم الغِربان عينيها ويضع ذُباب النَّهر بيضه في رَحِمها ويشرب القيح من بقايا ثدييها»، وغرسَ أصابعه الحديديَّة في اللَّحم الطَّري تحت إبط الكاهنة وسحبَها إلى قدميها.

قالت داني: «لا، لن أسمح بإيذائها».

افترقَت شفتا كوثو لتكشفا عن أسنانه البُنِّيَّة المعوجَّة في ابتسامةٍ ساخرةٍ مخيفة، وقال: «لا؟ تقولين لي لا؟ خيرٌ لك أن تُصَلِّي ألَّا نُقَيِّدكِ إلى الأرض إلى جوارها، فأنتِ مسؤولة عن هذا مِثلها تمامًا».

تقدَّم السير چورا ليقف بينهما ساحبًا سيفه الطَّويل من غِمده بعض الشَّيء، وقال: «احفظ لسانك يا خيَّال الدَّم، فالأميرة لا تزال الكاليسي».

- «فقط ودم دمي لا يزال على قيد الحياة، أمَّا بَعد هذا فهي لا شيء».

شعرَت داني بأحشائها تتقلَّص، وقالت: «قبل أن أكون الكاليسي كنتُ سليلة التنِّين. سير چورا، استدعِ رجال الكاس».

- «كلا»، قال كوثو. «سوف نذهب، الآن على الأقل يا... يا كاليسي»، وخرجَ وتبعه هاجو إلى خارج الخيمة مُحَملِقًا فيها.

قال مورمونت: «إنه لا يُضمِر لكِ أيَّ خيرٍ أيتها الأميرة. الدوثراكي يقولون إن الرَّجل وخيَّال دمه يتقاسمان حياةً واحدةً، وكوثو يرى هذه الحياة تنتهي. الرَّجل الميِّت لا يخاف شيئًا».

- «لم يمُت أحدٌ بَعد»، قالت داني. «قد أحتاجُ سيفك يا سير چورا. من الأفضل أن تذهب وترتدي دِرعك». كانت خائفةً أكثر مما تجرؤ على الاعتراف، حتى لنفسها.

انحنى الفارس قائلًا: «كما تأمرين»، وغادرَ الخيمة بخطواتٍ واسعة.

التفتَت داني إلى ميري ماز دور لتجدها تَرمُقها بنظراتٍ حذرةٍ وتقول: «إذن فقد أنقذتِني مرَّتين».

- «والآن يجب أن تُنقِذيه، أرجوكِ».

ردَّت ميري بحدَّة: «لا تَطلُبي شيئًا من الأَمة، بل مُريها وستُلَبِّي الأمر»، واتَّجهت نحو دروجو المحترق على الحصيرة وتطلَّعت إلى الجرح طويلًا، ثم قالت: «سألتِ أو أمرتِ، لا فارق. لقد تجاوزَ الأمر مهارات المُداوين». كانت عينا الگال مغلقَتين، ففتحَت واحدةً بأصابعها وغمغمَت: «هل كان يُخَفِّف الألم بحليب الخشخاش؟».

- «نعم».

- «لقد صنعتُ له كمَّادةً من الفلفل الحرِّيف والعُشب الشَّائك ورطبتها بجِلد الحِملان».

- «قال إنها تُحرِقه ومزَّقها. المُداويات صنعنَ له واحدةً أخرى رطبةً ومريحة».

- «إنها تُحرِق، نعم، فثمَّة سِحر شافٍ عظيم في النَّار، وحتى رجالكم المخصيُّون يعرفون هذا».

قالت داني متوسِّلةً: «اصنعي له واحدةً أخرى، وهذه المرَّة سأتأكَّد من أنه سيحتفظ بها».

قالت ميري: «أوان هذا فاتَ يا سيِّدتي. كلُّ ما بوسعي الآن هو أن أُسَهِّل الطَّريق المظلم الذي يُقبِل عليه كي يركب إلى أراضي اللَّيل بلا ألم. سيكون قد رحلَ مع مجيء صباح الغد».

كلماتها كانت سكِّينًا في صدر داني. ما الذي فعلَته في حياتها لتجعل

الآلهة تغضب عليها لهذه الدَّرجة؟ لقد وجدَت مكانًا آمنًا أخيرًا، وأخيرًا تذوَّقت الحُب والأمل، وفي طريقها للعودة إلى الدِّيار... والآن ستفقد كلَّ هذا. «لا»، قالت بضراعة. «أنقذيه وسأعتقكِ، أقسمُ لكِ. لا بُدَّ أن لديكِ وسيلة، سِحرًا ما أو...».

جلسَت ميري ماز دور على كعبيها وتطلَّعت إلى دنيرس بعينين بسواد اللَّيل، وأخيرًا قالت بنبرةٍ هامسة: «ثمَّة تعويذة، لكنها صعبة يا سيِّدتي ومظلمة، وستجدين من يقول إن الموت أنظف. لقد تعلَّمتها في آشاي ودفعتُ الثَّمن باهظًا. كان معلِّمي ساحر دمٍ من بلاد الظِّل».

شعرَت داني بالبرودة تكتنف جسدها كلَّه، وقالت: «إذن فأنتِ مايجي حقًّا».

ابتسمَت ميري ماز دور قائلة: «أأنا كذلك؟ حسنٌ، لكن لا أحد غير المايجي يستطيع إنقاذ خيَّالكِ الآن يا سيِّدتي الفضِّيَّة».

- «ألا يوجد سبيل آخر؟».

- «لا سبيل آخر».

أطلقَ كال دروجو شهقة ألم في هذه اللَّحظة وانتفضَ جسده، فاندفعَت داني تقول: «افعليها، أنقذيه». لا يجب أن تستسلم للخوف الآن. إنها من دم التنِّين.

قالت الكاهنة محذِّرةً: «هناك ثَمن».

- «ستنالين كلَّ ما ترغبين فيه من الذَّهب والخيول».

- «إنها ليست مسألة ذهب أو خيول. هذا سِحر دموي، أي أن ثَمن الحياة هو الموت وحده».

- «الموت؟». ضمَّت داني نفسها بذراعيها وتأرجحَت إلى الأمام والوراء على كعبيها. «موتي؟». قالت لنفسها إنها ستموت من أجله إذا اقتضى الأمر. إنها من دم التنِّين ولن تخاف، وقد ماتَ أخوها ريجار من أجل المرأة التي أحبَّها.

أجابَت ميري ماز دور: «لا، ليس موتكِ يا گاليسي».
ارتجفَت داني راحةً وقالت: «افعليها إذن».
أومأت المايجي برأسها برصانةٍ وردَّت: «سأفعلُ ما تأمرين. استدعي خدمكِ».
تلوَّى گال دروجو بضَعفٍ بين أيدي راگارو وكوارو وهما يضعانه في مياه الحمَّام وتمتمَ: «لا، لا، يجب أن أركب»، لكن بدا أن قواه كلها خارَت تمامًا بمجرَّد أن أصبحَ في الماء.
- «أحضِروا حصانه»، قالت ميري ماز دور ففعلوا. قادَ چوجو الفَحل الأحمر الضَّخم إلى داخل الخيمة، وعندما شَمَّ الحيوان رائحة الموت صرخَ وتراجعَ، وتطلَّب الأمر ثلاثة رجالٍ لإخضاعه.
سألتها داني: «ماذا ستفعلين؟».
أجابَتها ميري: «نحتاج الدَّم. تلك هي الوسيلة».
تراجعَ چوجو بضع خطواتٍ إلى الوراء ويده على أراخه. كان شابًّا في السَّادسة عشر، نحيلًا للغاية شديد الشَّجاعة سريع الضَّحك، وفوق شفته العُليا ظهرَ الظِّلُّ الخفيف لشاربه الذي ينمو للمرَّة الأولى. هوى على رُكبتيه أمامها وقال متوسِّلًا: «گاليسي، لا تفعلي هذا أرجوكِ، دعيني أقتُل المايجي».
- «اقتلها وستَقتُل گالك».
- «هذا سِحر دموي، إنه محرَّم».
- «أنا الگاليسي وأقولُ إنه غير محرَّم. في ڤايس دوثراك قتلَ گال دروجو فَحلًا وأكلتُ قلبه لأمنح ابننا القوَّة والشَّجاعة. هذا مِثل ذاك بالضَّبط».
ركلَ الفَحل الأحمر الهواء وحاولَ التَّراجع بينما سحبَه راگارو وكوارو وآجو بالقُرب من حوض الاستحمام حيث طفا الگال كمن ماتَ بالفعل، والقيح والدَّم يَنِزَّان من جرحه ليُلَوِّثا المياه. رنَّمت ميري

ماز دور كلماتٍ ما بلُغةٍ تجهلها داني وظهرَ في يدها سكِّين يتَّخذ شكل ورقة شجرة لا تدري داني من أين أتَت به، وقد بدا قديمًا مصنوعًا من البرونز الأحمر المدقوق ونُقِشَت على نصله حروف بأبجديَّةٍ عتيقة. سحبَته المايجي عبر حَلق الفَحل تحت الرَّأس النَّبيل، وصرخَ الحيوان وارتعش بعُنفٍ والدِّماء تتدفَّق منه في شلَّالٍ أحمرَ، وكان ليتهاوى أرضًا لولا أن رجال الكَاس ثبَّتوه في مكانه. «يا قوَّة المطيَّة، انتقلي إلى الخيَّال»، أنشدَت ميري ودم الحصان يمتزج بالمياه حول دروجو. «يا قوَّة الحيوان، انتقلي إلى الإنسان».

بدا چوجو مرعوبًا وهو يُكافِح لاحتمال ثِقل الحصان، خائفًا من أن يمسَّ اللَّحم الميت وخائفًا من التخلِّي عنه كذلك. قالت داني لنفسها: مجرَّد *حصان*. إذا كان ثَمن حياة دروجو موت حصان، فيُسعِدها أن تدفعه ألف مرَّة.

عندما ترَكوا الحصان يَسقُط أخيرًا كانت المياه قد اصطبغَت بلونٍ أحمرَ قاتم ولم يَعُدْ ظاهرًا من دروجو غير وجهه، أمَّا جثَّة الحصان فلم تكن ميري ماز دور في حاجةٍ إليها، فقالت لهم داني: «أحرِقوها». كانت تعرف أن هذا ما يفعله الدوثراكي، فعندما يموت الرَّجل يُقتَل حصانه ويوضع أسفله في محرقة الجنازة كي يحمله إلى أراضي اللَّيل، وهكذا جَرَّ رجال الكَاس الجثَّة إلى خارج الخيمة. رأت الدَّم وقد تناثرَ في كلِّ مكان، وحتى الحوائط المصنوعة من الحرير الرَّملي تلطَّخت بالأحمر، بينما اسودَّت البُسُط تحت الأقدام وابتلَّت.

ألقَت ميري ماز دور مسحوقًا أحمرَ في المُستوقَد المشتعل ليتصاعد منه دُخَان ذو رائحةٍ عطرةٍ لاذعة، لكنها جعلَت إيرو تفرُّ من الخيمة باكيةً. عادَت داني تمتلئ خوفًا، لكنها كانت قد تمادَت بما لا يسمح بالعودة الآن، وعندما صرفَت وصيفاتها قالت لها ميري: «اذهبي معهنَّ يا سيِّدتي الفضِّيَّة».

قالت داني بعناد: «سأبقى. هذا الرَّجل أخذَني تحت النُّجوم ومنحَ الحياة للطِّفل الذي ينمو في داخلي، ولن أتركه».

- «لا بُدَّ أن تذهبي. بمجرَّد أن أشرع في الإنشاد لا ينبغي أن يَدخُل أيُّ أحدٍ إلى الخيمة، فأنشودتي ستوقظ قوىً قديمةً مظلمةً. سيَرقُص الموتى هنا اللَّيلة، ولا ينبغي أن يقع بصر حيٍّ عليهم».

خفضَت داني رأسها بقِلَّة حيلةٍ وقالت: «لن يَدخُل أحد»، ومالَت فوق الحوض وفوق دروجو في حمَّامه الدَّموي ولثمَته على جبهته، ثم همسَت لميري ماز دور قبل أن تُغادِر مسرعةً: «أعيديه لي».

في الخارج كانت الشَّمس قد انخفضَت في الأُفق واتَّشحت السَّماء بلون الكدمات الأحمر، ورأت داني أن الكالاسار قد نصب مخيَّمه فتوزَّعت الخيام وحصائر النَّوم في كلِّ مكانٍ على مدى البصر، بينما بدأت رياح ساخنة في الهبوب. كان چوجو وآجو يَحفُران حُفرة نار ليُحرِقا جثَّة الفَحل، بينما تجمَّع عدد كبير من الآخَرين ليُحَدِّقوا في داني بعيونٍ سوداء قاسيةٍ في وجوهٍ كأقنعةٍ من النُّحاس المطروق، ولمحَت السير چورا مورمونت وقد ارتدى المعدن والجِلد وسالَ العَرق على رأسه الكبير الذي بدأ الصَّلع يزحف عليه. شَقَّ الفارس طريقه بين الدوثراكي المحتشدين ليقف إلى جوارها، ولمَّا رأى آثار الأقدام القرمزيَّة التي تركَها حذاؤها على الأرض امتقعَ وجهه وقال بصوتٍ مبحوح: «ماذا فعلتِ أيتها الحمقاء؟».

- «كان يجب أن أنقذه».

- «كان يُمكننا أن نفرَّ. كنتُ لأصحبكِ بأمانٍ إلى آشاي أيتها الأميرة، ولم تكن هناك حاجة إلى...».

قاطعَته: «هل أنا أميرتك حقًّا؟».

- «تعرفين أنكِ كذلك، ولتكن الآلهة في عوننا معًا».

- «ساعِدني الآن إذن».

- «ليتني أعرفُ كيف».

تحوَّل صوت ميري ماز دور إلى عُواءٍ عالٍ أشبه بالولولة جمَّد الدِّماء في عروق داني فبدأ بعض الدوثراكي يبتعدون مُهَمهِمين، بينما توهَّجت الخيمة بضوء المُستوقَد القادم من داخلها، ومن خلال الحرير الملطَّخ بالدِّماء أبصرَت داني ظلالًا تتحرَّك.

كانت ميري ماز دور تَرقُص، ولم تكن وحدها.

رأت داني الخوف الخالص على وجوه الدوثراكي، وهدرَ كُوثو: «هذا لا يُمكن أن يكون».

لم تكن قد رأت خيَّال الدَّم يعود ومعه هاجو وكهولو وقد جاءوا بالرِّجال الحليقين، المخصيِّين الذين يُعالِجون بالسكِّين والإبرة والنَّار.

ردَّت داني: «بل سيكون».

زمجرَ هاجو: «مايجي!»، أمَّا كهولو العجوز -كهولو الذي ربطَ حياته بحياة دروجو يوم ميلاده، كهولو الذي تعاملَ دائمًا معها بمنتهى اللُّطف- فقد بصقَ في وجهها، وقال كُوثو: «ستموتين أيتها المايجي، لكن الأخرى ستموت أولًا»، وسحبَ أراخه واتَّجه إلى الخيمة.

صاحَت: «لا، لا تقترب منها!»، ووضعَت يدها على كتفه، إلَّا أنه دفعَها جانبًا لتَسقُط داني على رُكبتيها عاقدةً ذراعيها حول بطنها لتحمي طفلها، وصاحَت في رجال الكاس: «أوقِفوه، اقتلوه!».

كان راكارو وكُوارو واقفين على باب الخيمة، وتقدَّم كُوارو وهو يمدُّ يده إلى مقبض سوطه، لكن كُوثو دار برشاقة راقصٍ رافعًا الأراخ وهوى به ليُصيب كُوارو تحت ذراعه وينغرس الفولاذ في الجِلد والعضلات والضُّلوع ويتناثَر الدَّم بينما سقطَ الخيَّال الشَّاب شاهقًا من الألم.

حرَّر كُوثو الأراخ وعادَ يرفعه، فصاحَ السير چورا مورمونت مُناديًا عليه وقد استلَّ سيفه الطَّويل: «جرِّبني أنا يا خيَّال الدَّم».

دارَ كَوارو مُطلِقًا سُبَّةً ومعه دارَ الأراخ بمنتهى السُّرعة ليتطاير دم كَوارو منه كرذاذ المطر الخفيف في الرِّيح السَّاخنة، قبل أن يَصُدَّه السَّيف الطَّويل على مسافة قدم من وجه السير چورا ويُثبِّته في مكانه مرتعدًا بينما أطلق كَوثو عُواءً ساخطًا. كان الفارس يرتدي دِرعه كاملةً، لكن لم يُفكِّر في وضع خوذته على رأسه.

وثبَ كَوثو إلى الوراء والأراخ يدور حول رأسه كسحابةٍ من الضَّباب اللَّامع ويومض كالبرق بينما انقضَّ الفارس. استغلَّ السير چورا مهارته ليتفادى الضَّربات، لكنها هوَت عليه بسرعةٍ جعلَت كَوثو يبدو لداني كأنه يحمل أربعة أراخات بأربعةٍ من الأذرُع، وسمعَت ارتطام السَّيف بالمعدن ورأت الشَّرارات تتطايَر والنَّصل المقوَّس الطَّويل يضرب قُفَّاز الفارس الواقي. وفجأةً كان مورمونت هو من يتراجَع متعثِّرًا وكَوثو يثب في هجمةٍ جديدة، وسالَ الدَّم على جانب وجه الفارس الأيسر بينما لاحَ شِقٌّ في وركه من تحت الحلقات المعدنيَّة جعله يَعرُج. انهالَ كَوثو عليه بالسِّباب ناعتًا إياه بأنه جبان رعديد، خصيٌّ في بذلةٍ من الحديد، «والآن ستموت»، قال بظفر والأراخ يلمع في نور الغَسق. شعرَت داني بالطِّفل يَركُل في داخلها بضراوة، وتفادى النَّصل المقوَّس الآخَر المستقيم لينغرس بعُمقٍ في ورك الفارس حيث انشقَّ الواقي المعدني. تأوَّه مورمونت وتعثَّر، وشعرَت داني بألم حادٍّ في بطنها وبللٍ على فخذيها، وأطلقَ كَوثو صرخة انتصار، لكنه أدركَ متأخِّرًا جدًّا أن أراخه قد انغرسَ لجزءٍ من الثَّانية في العظام...

... وكان هذا كافيًا. هوى السير چورا بسيفه الطَّويل بكلِّ ما تبقَّى لديه من قوَّةٍ باترًا اللَّحم والعضلات والعظام، وتدلَّى ساعِد كَوثو معلَّقًا بخيطٍ رفيع من الجِلد والأوتار، قبل أن تهوي ضربة الفارس التَّالية على أُذن الفارس بمنتهى العُنف حتى أن وجه خيَّال الدَّم بدا كأنه انفجرَ.

كان الدوثراكي يصيحون، وفي داخل الخيمة ميري ماز دور تُوَلوِل بصوتٍ لا يَمُتُّ بصلةٍ للبَشر، وكَوارو يتوسَّل طالبًا الماء وهو يحتضر.

رفعَت داني صوتها طالبةً النَّجدة لكن أحدًا لم يُجِبها. كان راكارو يُقاتِل هاجو والأراخ يَرقُص مع الأراخ حتى طقطقَ سوط چوجو بصوتٍ كالرَّعد والتفَّ حول عُنق هاجو، فجذبَه چوجو بقوَّةٍ ليتعثَّر الدَّم الثَّاني فاقدًا توازُنه وسلاحه. لم يُمهِله راكارو، واندفعَ صارخًا وهوى بالأراخ بكلتا يديه على رأس هاجو لينغرس رأسه بين عينيه. ألقى أحدهم حَجرًا، وعندما نظرَت داني وجدَت كتفها جريحةً داميةً، وقالت منتحبةً: «لا، أرجوكم، توقَّفوا، الثَّمن باهظ للغاية، باهظ للغاية»، لكن المزيد من الأحجار حلَّق في الهواء وسقطَ حولها. حاولَت أن تزحف صوب الخيمة، لكن كهولو أمسكَها ودفنَ أصابعه في شَعرها وجذبَ رأسها إلى الوراء وشعرَت بلمسة سكِّينه الباردة على حَلقها. صرخَت: «طفلي!»، ولعلَّ الآلهة سمعَتها هذه المرَّة، ففي غمضة عينٍ سقطَ خيَّال الدَّم الثَّالث ميتًا وقد اخترقَ سهم آجو ذراعه من أسفل لينفذ في رئتيه وقلبه.

عندما وجدَت دنيرس القوَّة لترفع رأسها أخيرًا وجدت الجموع تتفرَّق والدوثراكي يتراجَعون بصمتٍ إلى الخيام وحصائر النَّوم، وبعضهم يمتطي الخيول ويبتعد. كانت الشَّمس قد غربَت واشتعلَت النَّار في الحُفر في أنحاء الكالاسار. حاولَت أن تنهض لكن الألم استولى عليها واعتصرَها بقبضةٍ عملاقة، وشعرَت بأنفاسها تنكتم حتى أنها بذلَت كلَّ ما لديها من قوَّةٍ لمجرَّد اللِّهاث. كان صوت ميري ماز دور كترنيمةٍ جنائزيَّة، وفي داخل الخيمة دارَت الظِّلال كدوَّامة.

شعرَت بذراعٍ توضَع تحت خصرها ثم رأت السير چورا يرفعها وقد أغرقَت الدِّماء اللَّزجة وجهه وطارَ نِصف أُذنه. تشنَّج جسدها بين ذراعيه والألم يستولي عليها ثانيةً، وسمعَت الفارس يُنادي على وصيفاتها ليُساعِدنه. *أكلهم خائفون لهذه الدَّرجة؟* كانت تعرف الإجابة، وعضَّت شفتيها كاتمةً صرخةً وموجة جديدة من الألم تجتاحها كأن ابنها يحمل سكِّينًا في كلِّ يدٍ ويهوي بالاثنين على بطنها من الدَّاخل ليَشُقَّ طريقه إلى

الخارج. صاحَ السير چورا بصوتٍ هادر: «دوريا، تعالي هنا عليكِ اللعنة، أحضِري القابلات».

- «يَرفُضنَ المجيء، يَقُلن إنها ملعونة».

- «سيجئنَ وإلَّا قطعتُ رؤوسهنَّ».

ردَّت دوريا باكيةً: «لقد فررنَ يا سيِّدي».

- «المايجي»، قال أحدهم... أهو آجو؟ «خُذها إلى المايجي».

أرادَت داني المتصبِّبة عَرقًا أن تقول لا، أرادَت أن تُناشِده ألّا يأخذها إليها، لكن كلَّ ما أفلتَ من فمها عندما فتحته كان صرخة ألمٍ طويلة. ماذا بهم؟ ألا يرون؟ في داخل الخيمة كانت الأشباح تَرقُص وتدور حول المُستوقَد والحمَّام الدَّامي، كلها يبدو أسودَ من وراء الحرير وبعضها لا يبدو بَشريًّا. لمحَت ظِلَّ ذِئبٍ عظيم وآخَر كرجلٍ يتلوَّى وقد اشتعلَ فيه اللَّهب.

قالت إيري: «امرأة الحِملان قالت إنها تعرف أسرار الولادة. سمعتها تقول هذا».

وقالت دوريا: «نعم، أنا أيضًا سمعتها».

لا، صرخَت داني، أو لعلَّها فكَّرت في الكلمة فقط لأن صوتًا لم يُغادِر شفتيها. فتحَت عينيها لترى السَّماء الميتة فوقها، سوداء كئيبةً بلا نجوم. *أرجوكم، لا*. ارتفعَ صوت ميري ماز دور أكثر وأكثر حتى ملأ العالم من حولها، وفي أعماقها صرخَت: *الأشباح! الظِّلال الرَّاقصة!*

ودخلَ السير چورا بها إلى الخيمة.

آريا

رائحة الخُبز السَّاخن القادمة من المَحال الممتدَّة بطول شارع الدَّقيق كانت أزكى من أيِّ عطرٍ استنشقَته آريا في حياتها على الإطلاق. التقطَت نفسًا عميقًا واقتربَت أكثر من الحمامة السَّمينة المرقَّطة بالبُنِّي المنشغلة بالقَضم من كِسرة خُبزٍ سقطَت بين اثنين من حجارة الرَّصف، لكنها حلَّقت في الهواء بمجرَّد أن مسَّها ظِلُّ آريا... وصفَّر سيف التَّدريب الخشبي وهو يَشُقُّ الهواء ليضرب الحمامة على ارتفاع قدمين من الأرض، فسقطَت وسط فوضى من الرِّيش البُنِّي، وبسرعة البرق اندفعَت آريا نحوها مُمسِكةً بأحد الجناحين والحمامة تضرب بجناحها الآخَر وتَنقُر يدها، قبل أن تُطبِق آريا على عُنقها وتلويه حتى شعرَت بالعظام تنكسر بين أصابعها.

مُقارَنةً بالإمساك بالقِطط، كان صيد الحمام سهلًا للغاية.

نظرَ لها سِپتون مارٌّ باستنكار، فقالت له وهي تنفض الرِّيش عن نفسها وتلتقط سيفها الخشبي: «هنا أفضل مكان للعثور على الحمام، دائمًا ما يأتي من أجل الفُتات»، وهُرِعَ الرَّجل مبتعدًا.

ربطَت الحمامة في حزامها وبدأت تقطع الشَّارع، حيث كان رجل يدفع عربة يد ذات عجلتين عليها حمولة من الكعكات الصَّغيرة تتغنَّى الرَّوائح المنبعثة منها بالتُّوت الأزرق واللِّيمون والمشمش، ما جعلَ بطنها يصدِر صوتًا نَمَّ عن جوعها الشَّديد، وسمعَت نفسها تقول: «هل يُمكن أن آخذ واحدةً؟ باللِّيمون... أو أيِّ نوعٍ آخَر».

رمقَها الرَّجل من أعلى إلى أسفل، وقال ومن الواضح أن ما رآه لم يَرُق له: «ثلاث قِطع نُحاسيَّة».

نقرَت آريا بالسَّيف الخشبي على جانب حذائها، وقالت: «سأبادلك إياها بهذه الحمامة السَّمينة».

- «فليأخذ "الآخَرون" حمامتكِ!».

كانت الكعكات لا تزال دافئةً وقد خرجَت لتوِّها من الفُرن، والرَّوائح تُسَيِّل لعابها حقًّا، لكن آريا لم تكن تملك ثلاث قِطعٍ نُحاسيَّة، ولا قطعة واحدة حتى. تطلَّعت إلى الرَّجل متذكِّرةً ما علَّمها سيريو إياه عن الرُّؤية، فوجدَته قصير القامة ذا بطنٍ صغير مستدير، ويبدو عندما يتحرَّك أنه يتَّكئ على ساقه اليُسرى أكثر. كانت تُفَكِّر أنها إذا اختطفَت كعكةً من على العربة وولَّت الأدبار فلن يستطيع اللِّحاق بها أبدًا، عندما قال لها بخشونة: «إياكِ أن تمدِّي يديكِ القذرتين. ذوو المعاطف الذَّهبيَّة يعرفون كيف يتعاملون مع جرذان المجاري اللُّصوص، هذا عملهم».

ألقَت آريا نظرةً حذرةً وراءها لترى اثنين من رجال حَرس المدينة يقفان عند مدخل زقاق. كان كلٌّ منهما يرتدي قميصًا من الحلقات المعدنيَّة وحذاءً وقُفَّازين من اللَّون الأسود تحت معطفٍ يكاد يكنس الأرض من فرط طوله، منسوج من الصُّوف الثَّقيل المصبوغ بلونٍ ذهبيٍّ غني، وأحدهما يُعَلِّق سيفًا طويلًا في حزامه والآخَر يحمل هرَّاوةً من الحديد. بنظرةٍ حزينةٍ أخيرةٍ إلى الكعكات تراجعَت آريا بعيدًا عن العربة وأسرعَت مبتعدةً. لم يكن ذوو المعاطف الذَّهبيَّة يُعيرونها انتباهًا خاصًّا، لكن مجرَّد منظرهم كان يُشعِرها بالغثيان، وقد واظبَت آريا على أن تكون على أبعد مسافةٍ ممكنةٍ من القلعة، لكن حتى من هنا كان باستطاعتها أن ترى الرؤوس تتعفَّن على الأسوار الحمراء العالية، بينما تتعارَك أسراب غفيرة من الغِربان حول كلِّ رأس. كان الكلام الدَّائر في منطقة جُحر البراغيث يقول إن ذوي المعاطف الذَّهبيَّة تحالَفوا مع آل لانستر، ورُفِعَ

قائدهم إلى مرتبة لورد ومُنِحَ أراضٍ على نهر الثَّالوث ومقعدًا في مجلس المَلك.

وسمعَت آريا أشياءَ أخرى، أشياءَ مخيفة، أشياءَ وجدَتها غير منطقيَّة على الإطلاق. قال بعضهم إن أباها قتلَ المَلك روبرت فقتلَه اللورد رنلي بالتَّالي، بينما أصرَّ البعض على أن رنلي هو من قتلَ المَلك في شجارٍ بين الأخوين الثَّملين، وإلَّا فلماذا هربَ من المدينة في جوف اللَّيل كاللُّصوص؟ جاءَ في روايةٍ أن المَلك ماتَ وهو يصطاد خنزيرًا برِّيًّا في الغابة، وفي أخرى أنه اصطادَ الخنزير بالفعل وماتَ وهو يلتهمه وقد أتخمَ نفسه بالأكل حتى انفتقَ بطنه وهو جالس إلى المائدة. لا، لقد ماتَ المَلك على المائدة بالفعل، لكن لأن فارس العنكبوت دَسَّ له السُّمَّ في طعامه. لا، المَلكة هي التي سمَّمته. لا، المَلك ماتَ بداء الزُّهري. لا، لقد احتبسَت عظمة سمكةٍ في حَلقه فاختنقَ.

الشَّيء الوحيد الذي اتَّفق عليه الجميع هو موت المَلك روبرت، وليومٍ وليلةٍ دَقَّت الأجراس في أبراج سِبت بيلور الكبير السَّبعة ليتدفَّق صوتها الحزين الهادر في أرجاء المدينة كموجةٍ من البرونز، وعرفَت آريا من صبيٍّ دبَّاغ أن الأجراس لا تَدُقُّ هكذا إلَّا في حالة موت المَلك.

كلُّ ما أرادَته هو العودة إلى الدِّيار، لكن مُغادَرة كينجز لاندنج لم تكن بالبساطة التي تمنَّتها، فالكلام عن الحرب على كلِّ لسان، وذوو المعاطف الذَّهبيَّة منتشرون على أسوار المدينة بكثافةٍ كالبراغيث في... في ثيابها هي على سبيل المثال. كانت طوال هذه الفترة تنام في جُحر البراغيث، على أسطُح المنازل وفي الاسطبلات وأيِّ مكانٍ آخَر يَصلُح لأن تغفو فيه، ولم تستغرق وقتًا طويلًا حتى أدركَت أن المنطقة اسمٌ على مسمَّى فعلًا.

منذ فرارها من القلعة الحمراء وآريا تتفقَّد واحدةً من بوَّابات المدينة السَّبع كلَّ يوم. بوَّابة التنِّين وبوَّابة الأسد والبوَّابة القديمة كانت كلها مُغلَقةً

وموصَدةً، بينما كانت بوَّابة الطَّمي وبوَّابة الآلهة مفتوحتين، وإنما لمَن يرغبون في دخول المدينة فقط، فالحُرَّاس لا يسمحون لأحدٍ بالخروج إطلاقًا. المسموح لهم بالخروج يُغادِرون من بوَّابة المَلك أو البوَّابة الحديديَّة، لكن رجال لانستر كانوا يَحرُسون هاتين البوَّابتين وقد ارتدوا معاطفهم القرمزيَّة وخوذاتهم ذات ريشة الأسد، وعندما راقبَتهم آريا من فوق سطح خانٍ عند بوَّابة المَلك، رأتهم يُفَتِّشون العربات والمركبات ويُجبِرون الرَّاكبين على فتح حقائبهم ويستجوبون كلَّ من يُحاوِل الخروج سيرًا على الأقدام.

خطرَ لها أحيانًا أن تُجَرِّب المُغادرة سباحةً، لكن النَّهر الأسود كان واسعًا عميقًا، والكلُّ يتَّفقون على أن مجراه غادر وخطِر، وبالنِّسبة لاستئجار معديَّة تأخذها إلى واحدةٍ من السُّفن، فهي لم تكن تملك أيَّ مالٍ تدفعه.

علَّمها اللورد إدارد ألَّا تسرق أبدًا، لكنها مع الوقت وجدَت صعوبةً أكثر وأكثر في تذكُّر السَّبب. إذا لم تستطِع الخروج من المدينة قريبًا، فعليها أن تُغامِر بالانسلال من بين أيدي ذوي المعاطف الذَّهبيَّة دون أن يُلاحِظوها. لم تكن تُعاني من الجوع كثيرًا منذ تعلَّمت صيد الحمائم بسيفها الخشبي، لكنها سئمَت من أنها لا تأكل غيرها حتى بدأت تُصيبها بالغثيان، خصوصًا أنها التهمَت بعضها نيئًا في البداية قبل أن تصل إلى جُحر البراغيث.

في المنطقة ثمَّة محال أكل في كلِّ زقاقٍ فيها قدور ضخمة من اليخنة التي تغلي على نارٍ هادئةٍ منذ سنوات، وهناك يُمكنك أن تُبادِل نِصف الطَّائر الذي اصطَدته برغيفٍ من الخُبز البائت و"وعاءٍ من البُنِّي" -كما يُطلِقون على اليخنة- بالإضافة إلى أنهم يضعون نِصف الطَّائر الآخَر على النَّار ويشوونه لك طالما نظَّفته من الرِّيش بنفسك. كانت آريا لتدفع أيَّ ثَمَنٍ مقابل كوبٍ من الحليب وكعكة ليمون، لكن اليخنة البُنِّيَّة لم تكن

بهذا السُّوء، فعادةً ما تحتوي على الشَّعير مع قِطَعٍ من الجزر والبصل واللِّفت، وأحيانًا التُّفَّاح، بينما تطفو طبقة من الدُّهن على الوجه. كلما تناولَتها آريا كانت تُحاوِل ألَّا تُفَكِّر في نوع اللَّحم المُستخدَم، بالذَّات بَعد المرَّة التي وجدَت فيها قطعةً من السَّمك تسبح في اليخنة.

المشكلة أن محال الأكل لا تخلو من المُرتادين أبدًا، وحتى وهي تلتهم طعامها بمنتهى السُّرعة كالمسعورين كانت تَشعُر بنظراتهم المُسلَّطة عليها. يُحَدِّق بعضهم في حذائها أو معطفها فتعرف آريا في ما يُفَكِّرون، ويَرمُقها البعض الآخَر بنظراتٍ مستريبةٍ تجعلها تحسُّ كأنهم يُجَرِّدونها من ثيابها ولا تعرف في ما يُفَكِّرون، وكان هذا يُخيفها أكثر؛ وحدثَ بضع مرَّاتٍ أن تبعها أحدهم إلى الأزقَّة وطاردَها، لكن حتى الآن لم يتمكَّن أحد من الإمساك بها.

السِّوار الفضِّي الذي كانت تأمل في بيعه سُرِقَ منها في أول ليلةٍ لها خارج القلعة، بالإضافة إلى حزمة ملابسها الثَّمينة. لا بُدَّ أن السَّارق سلبَها إياهما وهي نائمة في بيتٍ محترقٍ يقع بالقُرب من زقاق الخنازير. كلُّ ما تركَه لها هو المعطف الذي تدثَّرت به وسُترتها الجِلديَّة وسيف التدريب الخشبي... وإبرتها التي لولا أنها كانت نائمةً فوقها لكانوا قد أخَذوها أيضًا. إن قيمة هذا السَّيف لديها أكبر من كلِّ أغراضها الأخرى مجتمعةً. منذ ذلك الحين تعوَّدت آريا على المشي ومعطفها معلَّق على ذراعها اليُمني لتُخفي به السَّيف المثبَّت بوركها، أمَّا السَّيف الخشبي فكانت تحمله بيدها اليُسرى ليراه الجميع على أمل أن يُخيف اللُّصوص، لكن ثمَّة رجال في محال الأكل لم يكونوا ليخافوا من محاوَلة الاعتداء عليها حتى لو كانت تحمل بلطةً حربيَّةً، وكان هذا كافيًا لأن يجعلها تفقد كلَّ رغبةٍ في أكل الحمام والخُبز البائت، ولهذا في أغلب الأحيان كانت تُفَضِّل أن تَخلُد إلى النَّوم جائعةً على أن تُواجِه نظراتهم.

بمجرَّد أن تَخرُج من المدينة يُمكنها أن تجد توتًا تقطفه أو بستانًا

تسطو على بعضٍ مما فيه من تُفَّاحٍ وكرز، وهي تتذكَّر رؤية بعض البساتين بالفعل على طريق الملوك خلال الرِّحلة إلى الجَنوب. ويُمكنها كذلك أن تُنَقِّب عن الجذور الصَّالحة للأكل أو تصيد الأرانب، وهذا أفضل بالتَّأكيد مما يُمكن صيده في المدينة من جرذان وقِطط وكلاب هزيلة. كانت قد سمعَت أن محال الأكل تُعطيك حفنةً من القِطع النُّحاسيَّة مقابل مجموعةٍ من الجراء، لكنها منعَت نفسها من التَّفكير في هذا.

أسفل شارع الدَّقيق كانت متاهة حقيقيَّة من الأزقَّة المتداخلة والشَّوارع المتقاطعة، وتحرَّكت آريا في الزِّحام مُحاوِلةً أن تضع مسافةً بينها وبين رجلي حَرس المدينة. تعلَّمت أن تمشي في منتصَف الشَّارع، مع أنها تضطرُّ أحيانًا لتفادي العربات والخيول، وإن كنت تراها وهي قادمة على الأقل، بينما إذا مشيت بالقُرب من المباني فثمَّة احتمال كبير أن يختطفك أحد، لكن على الرغم من هذا هناك أزقَّة لا يُمكنك أن تمشي فيها إلَّا وأنت تحتكُّ بالجدران بالفعل، فالمباني هناك تميل لتقترب من بعضها بعضًا بشدَّةٍ حتى تكاد تتلامَس.

مرَّت بها شرذمة من الأطفال الصَّاخبين وقد أخذوا يصيحون وهُم يُطارِدون طوقًا يتدحرج، ورمقَتهم آريا بحسدٍ متذكِّرةً المرَّات التي لعبَت فيها بالأطواق مع بران وچون وريكون الصَّغير، وهو ما جعلَها تتساءَل عن شكل ريكون الآن وقد كبرَ بعض الشَّيء، وإن كان بران حزينًا. كانت لتتخلَّى عن أيِّ شيءٍ في هذه اللَّحظة مقابل أن تجد چون هنا ليُناديها "أختي الصَّغيرة" وينفش شَعرها كعادته... ليس لأن شَعرها في حاجةٍ إلى من ينفشه، فقد رأت انعكاسها في البِرك الموحلة على الأرض وخطرَ لها أنه يبدو في حالةٍ مزريةٍ بالفعل.

كانت قد حاولَت أن تتكلَّم مع الأطفال الذين تراهم في الشَّارع آملةً أن تجد بينهم صديقًا يمنحها مكانًا تنام فيه، لكن يبدو أنها تكلَّمت بطريقةٍ خاطئةٍ أو ما شابه، فالصِّغار منهم رمَقوها بنظراتٍ حذرةٍ ولاذوا بالفرار

إذا اقتربَت منهم، أمَّا إخوتهم وأخواتهم الكبار فقد ألقوا عليها أسئلةً لم تجد لها إجابات وشتَموها وحاولوا أن يسرقوا منها. بالأمس فقط دفعَتها فتاة نحيلة حافية القدمين في ضِعف عُمرها وأسقطَتها أرضًا وحاولَت أن تخلع حذاءها قسرًا، إلَّا أن آريا لطمَتها على أُذنها بسيفها الخشبي ففرَّت الفتاة وهي تبكي وتنزف.

حلَّق نورس في الهواء فوقها وهي تَشُقُّ طريقها إلى جُحر البراغيث في أسفل التَّل، ورمقَته آريا مفكِّرةً لكنها وجدَت أنه أبعد من متناوَل سيفها. جعلَها النَّورس تُفَكِّر في البَحر. لعلَّ هذا هو سبيل الخروج من المدينة. كانت العجوز نان تحكي قصصًا عن الصِّبية الذين يتسلَّلون إلى السُّفن التُّجاريَّة فيُبحِرون إلى عالمٍ واسعٍ من المغامَرات، فمن المحتمَل إذن أن آريا تستطيع أن تفعل هذا بدورها. هكذا قرَّرت أن تزور المرسى، فهو يقع في الطَّريق إلى بوَّابة الطَّمي على كلِّ حال، وهي لم تكن قد تفقَّدتها اليوم بَعد.

كادَ قلبها يتوقَّف في صدرها عندما رأت الحُرَّاس على الرَّصيف الثَّالث يرتدون المعاطف الصُّوفيَّة الرَّماديَّة المبطَّنة بالحرير الأبيض، واغرَوْرقَت عيناها بالدُّموع إثر رؤية ألوان وينترفل من جديد. من ورائهم تمايلَت في مرساها سفينة أنيقة ذات ثلاثة صفوفٍ من المجاديف، لكن آريا لم تستطِع قراءة الاسم المطلي على بدنها لأن الكلمات كانت بلُغةٍ أجنبيَّة، المايريَّة ربما أو البراڤوسي أو حتى الڤاليريَّة الفُصحى. جذبَت ملَّاحًا عابرًا من كُمِّه وسألته: «من فضلك، ما اسم هذه السَّفينة؟».

أجابَها الرَّجل: «هذه "ساحرة الرِّيح"، قادمة من مير».

اندفعَت تقول: «إنها ما زالت هنا!»، فرمقَها الرَّجل بتعجُّب ثم هَزَّ كتفيه وانصرفَ، بينما هُرِعَت آريا إلى الرَّصيف. "ساحرة الرِّيح" هي السَّفينة التي استأجرَها أبوها لتُعيدها إلى الدِّيار، ولا تزال موجودة هنا! كانت تتصوَّر أنها أبحرَت منذ فترةٍ طويلة.

اثنان من الحُرَّاس كانا يلعبان النَّرد بينما يتجوَّل الثَّالث على مقربةٍ منهما ويده على مقبض سيفه. شعرَت آريا بالخجل من أن يرونها تبكي، فتوقَّفت لتمسح عينيها أولًا، و... عيناها، عيناها، عيناها... لماذا...

سمعَت سيريو يهمس: *انظري بعينيكِ.*

ونظرَت آريا. كانت تعرف جميع رجال أبيها، وهؤلاء الثَّلاثة أغراب. «أنت»، صاحَ ثالثهم المتجوِّل مُناديًا عليها. «ماذا تفعل هنا يا ولد؟»، ورفعَ الاثنان الآخَران عيونهما نحوها.

بكلِّ ما لديها من إرادةٍ منعَت آريا نفسها من الفرار، لأنها تعرف أنهم سيهرعون في أعقابها على الفور إذا فعلَت، وبدلًا من هذا جعلَت نفسها تدنو منهم أكثر. إنهم يبحثون عن بنت، لكنهم يحسبونها ولدًا... فلتكن ولدًا إذن. رفعَت الطَّائر الميت وقالت: «هل تريدون شراء حمامة؟».

قال أحدهم: «اذهب من هنا».

وفعلَت آريا كما قال لها دون أن تكون في حاجةٍ إلى التَّظاهُر بالخوف، ومن ورائها عاد الحُرَّاس الثَّلاثة إلى شأنهم.

لا تدري كم استغرقَت من الوقت حتى عادَت إلى جُحر البراغيث، لكنها كانت تلهث عندما وصلَت إلى الشَّوارع الضيِّقة المعوجَّة غير المرصوفة عند سفح التَّل، حيث تفوح من المكان كله رائحة كريهة آتية من زرائب الخنازير واسطبلات الخيول ومحال الدَّبَّاغين، تمتزج بالرَّائحة القذرة المنبعثة من الحانات الرَّخيصة والمواخير الأرخص. شقَّت آريا طريقها في المتاهة بخطواتٍ فاترة، وحتى اشتمَّت رائحة اليخنة البُنِّيَّة القادمة عبر باب أحد محال الأكل لم تكن قد أدركَت أن الحمامة لم تَعُدْ معها. لا بُدَّ أنها انزلقَت من حزامها وهي تجري، أو أن أحدًا سرقَها دون أن تُلاحِظ. للحظةٍ أرادَت أن تبكي من جديدٍ وهي تُفَكِّر أن عليها الآن أن تقطع كلَّ هذه المسافة إلى شارعِ الدَّقيق وتجد حمامةً سمينةً أخرى.

ومن بعيد، على الجانب الآخَر من المدينة، بدأت الأجراس تَدُقُّ.

رفعَت آريا عينيها وأصغَت متسائلةً عمَّا تعنيه الدَّقَّات هذه المرَّة.

صاحَ رجل بدين من داخل محل الأكل: «ماذا الآن؟»، وقالت امرأة عجوز مولولةً: «الأجراس من جديد، لترحمنا الآلهة!»، وفتحَت عاهرة ذات شَعرٍ أحمرَ نافذةً في الطَّابق الثَّاني من أحد المباني وأطلَّت منها مرتديةً غِلالةً رقيقةً من الحرير الملوَّن، ومالت على إفريز النَّافذة صائحةً: «هل ماتَ المَلك الصَّغير هذه المرَّة؟ آه، هكذا الصِّبية، لا يدومون طويلًا أبدًا»، وبينما أطلقَت ضحكةً مُجَلجِلةً طوَّقها رجل عارٍ بذراعيه من الوراء وأخذَ يَعَضُّ عُنقها ويَفرُك ثدييها العامرين اللذين انسدلا حُرَّين من تحت غلالتها.

خاطَبها الرَّجل البدين قائلًا: «عاهرة حمقاء! المَلك لم يمت. إنها أجراس الاستدعاء، تَدُقُّ في بُرجٍ واحد. عندما يموت المَلك يَدُقُّون كلَّ جرسٍ في المدينة».

- «كفاك عضًّا وإلَّا دققتُ أنا أجراسك»، قالت العاهرة للرَّجل الذي يُطَوِّقها من الخلف وهي تدفعه بمِرفقها. «من ماتَ إذن إن لم يكن المَلك؟».

كرَّر البدين: «قلتُ إنه استدعاء».

مَرَّ صبيَّان في نحو عُمر آريا جريًا ليخطوا في بِركةٍ ويَنثُرا الوحل في كلِّ مكان، فانهالَت العجوز عليهما بالشَّتائم لكنهما واصلا الجري دون أن يُعيروها اهتمامًا. آخَرون كانوا قد بدأوا يتحرَّكون كذلك في طريقهم إلى أعلى التَّلِّ ليروا لماذا تُدَقُّ الأجراس الآن، واندفعَت آريا وراء الصَّبي الأبطأ وصاحَت عندما أصبحَت وراءه مباشرةً: «إلى أين أنت ذاهب؟ ماذا يَحدُث؟».

نظرَ إليها من فوق كتفه دون أن يُبطئ حركته، وأجابَ: «ذوو المعاطف الذَّهبيَّة يحملونه إلى السِّپت».

صاحَت وهي تجري بأقصى سرعتها: «مَن؟».

- «يَدُ المَلك! بوو يقول إنهم سيقطعون رأسه».

كانت عربة عابرة قد تركَت حُفرةً عميقةً في وسط الشَّارع، وثبَ الصَّبي من فوقها لكن آريا لم ترَها، وتعثَّرت ساقطةً على وجهها لتنجرِح رُكبتها على حَجر وتنثني أصابعها تحتها إذ ارتطمَت بالأرض الصُّلبة وتحتبس إبرتها بين ساقيها. انتحبَت وهي تعتدل جالسةً على رُكبتيها بصعوبة، ورأت إبهامها الأيسر مغطًّى بدماءٍ غزيرة، وعندما مصَّته وجدَت أن نِصف الظُّفر قد انكسرَ مع سقطتها، وشعرَت بألمٍ شديدٍ في يديها ورُكبتها النَّازفة.

هتفَ أحدهم من الشَّارعِ المتقاطع: «أفسحوا الطَّريق! أفسحوا الطَّريق للوردين ردواين!»، وفي اللَّحظة الأخيرة ابتعدَت آريا عن الطَّريق قبل أن يدهسها أربعة من الحَرس على متن خيولٍ ضخمةٍ تنطلق بأقصى سرعة. كانوا يرتدون معاطف عليها مربَّعات باللَّونين الأزرق والخمري، ومن ورائهم جاءَ لوردان شابَّان يمتطيان فَرسين توأمتين بلون الكستناء. كانت آريا قد رأتهما في فِناء القلعة مئات المرَّات. إنهما التَّوأمان ردواين، السير هوراس والسير هوبر، الشَّابان القبيحان بشَعرهما البرتقالي ووجهيهما المربَّعين المليئين بالنَّمش. اعتادَت سانزا وچين پوول أن تُسمِّياهما السير هورور والسير سلوبر وتُقَهقِهان كلما رأتاهما... لكن منظرهما لم يكن طريفًا الآن.

الجميع كانوا يتحرَّكون في الاتِّجاه نفسه، كلهم متعجِّلون لرؤية السَّبب وراء دَقِّ الأجراس التي صارَ صوتها أعلى الآن، وانضمَّت آريا إليهم شاعرةً بألمٍ بالغٍ في إبهامها حيث انكسرَ الظُّفر وجاهدَت كي لا تنفجر في البكاء، وعضَّت شفتيها حابسةً الألم وهي تتقدَّم معهم مصغيةً إلى الأصوات المتحمِّسة المحيطة بها.

كانت امرأة تقول: «... يَدُ المَلك، اللورد إدارد. إنهم يحملونه إلى سِپت بيلور الآن».

- «سمعتُ أنه ماتَ».
- «قريبًا، قريبًا. هاك، أراهنُ بأيلٍ فضِّي أنهم سيقطعون رأسه».
باصقًا رَدَّ الرَّجل: «أخيرًا! ذلك الخائن!».
كافحَت آريا للعثور على صوتها، وبدأت تقول: «إنه لم...»، لكنها كانت مجرَّد طفلةٍ والاثنان كانا يتكلَّمان فوقها ولا يَشعُران بوجودها أصلًا.
- «يا لك من أحمق! إنهم لن يعدموه. منذ متى وهُم يقطعون رؤوس الخونة على درجات السِّپت الكبير؟».
- «لن يُنَصِّبوه فارسًا بالتَّأكيد. سمعتُ أن ستارك هو من قتلَ المَلك روبرت العجوز، شَقَّ عُنقه في الغابة، وعندما وجدوه كان واقفًا في مكانه بمنتهى الهدوء وقال إن خنزيرًا برِّيًّا قتلَ جلالته».
- «آه، هذا ليس صحيحًا. أخوه هو من قتلَه، رنلي هذا ذو القرون الذَّهبيَّة».
- «اخرسي يا امرأة. إنكِ لا تعرفين ماذا تقولين. اللورد رنلي رجل صالح».
عندما بلَغوا شارع الأخوات كان الزِّحام قد اشتدَّ عن آخِره، وتركَت آريا التيَّار البَشري يحملها معه إلى قمَّة تَلِّ ڤيزينيا، حيث استحالَت السَّاحة الرُّخاميَّة البيضاء إلى كتلةٍ جامدةٍ من النَّاس، كلهم يُثرثِر بحماسةٍ ويُكافِح للاقتراب أكثر من سِپت بيلور الكبير، بينما ظلَّت الأجراس تَدُقُّ بصوتٍ صاخبٍ جدًّا.
اعتصرَت آريا جسدها الصَّغير بين المحتشدين وشقَّت طريقها بصعوبةٍ وسطهم، وأخذت تنحني وتتملَّص بين أرجُل الخيول وهي تضغط بقُوَّة على مقبض سيفها الخشبي. في قلب هذه الجموع الغفيرة لم تستطِع أن ترى شيئًا غير الأذرُع والأقدام والبطون وأبراج السِّپت السبعة تلوح مرتفعةً فوق رؤوس الجميع. لمحَت عربةً خشبيَّةً، وخطرَ لها أن

تتسلَّقها كي تتمكَّن من الرُّؤية، لكن آخَرين كانوا قد فكَّروا في الشَّيء نفسه وسبقوها إليها، وإن كان سائِق العربة قد شَقَّ الهواء بسوطه في وجوههم مُهدِّدًا وهو يُمطِرهم بالسِّباب.

أصابَ آريا هياج حقيقي، وإذ قاتلَت لتفتح لنفسها طريقًا إلى الصُّفوف الأماميَّة، شعرَت بمن يدفعها لتصطدِم بقاعدة تمثالٍ حَجري، فرفعَت رأسها إلى أعلى لترى تمثال بيلور المُبارَك -المَلك السِّپتون- يرتفع فوقها، ثم إنها ثبَّتت سيفها في حزامها، وبدأت تتسلَّق. خلَّف ظُفر إبهامها المكسور بُقعًا من الدَّم على الرُّخام المنقوش، لكنها وصلَت إلى أعلى في النِّهاية، ودسَّت نفسها بين ساقي المَلك.

وكان هذا عندما رأت أباها.

كان اللورد إدارد واقفًا على منبر السِّپتون الأعلى خارج أبواب السِّپت يستند إلى اثنين من ذوي المعاطف الذَّهبيَّة، وقد ارتدى سُترةً من المخمل الرَّمادي ثُبِّتَت على صدرها خَرَزات تُمثِّل ذِئبًا أبيضَ تحت معطفٍ رماديٍّ مُبطَّن بالفرو، لكنه كان يبدو أنحل مما رأته آريا في حياتها على الإطلاق وتجلَّى الألم على وجهه الطويل. لم يكن واقفًا بقدر ما كان مسنودًا، واكتسَت الجبيرة المحيطة بساقه المكسورة بلون العفن.

وقف السِّپتون الأعلى بنفسه وراءه، وكان رجلًا قصير القامة أشيب الشَّعر كبير الكِرش، يرتدي معطفًا أبيضَ طويلًا ويضع تاجًا ضخمًا من الذَّهب المنقوش والبلَّور يَغمُر رأسه بألوان قوس قزح كلما تحرَّك.

احتشدَت مجموعة من الفُرسان وكبار اللوردات حول أبواب السِّپت أمام المنبر الرُّخامي المرتفع، وتجلَّى چوفري بينهم بملابسه الحريريَّة ذات اللون القرمزي المنقوش بأشكال الوعول الواثبة والأسودِ الزَّائرة وقد اعتمرَ تاجًا ذهبيًّا. كانت أمُّه المَلكة واقفةً إلى جواره في ثياب الحِداد السَّوداء المزيَّنة بالقرمزي بينما يتدلَّى حِجاب مشغول من الماسات السَّوداء من على رأسها. تعرَّفت آريا على كلب الصَّيد وهو يرتدي

معطفًا أبيضَ كالثَّلج فوق دِرعه ذات اللون الرَّمادي الدَّاكن وقد أحاط به أربعة من الحَرس المَلكي، ورأت أيضًا فارس الخَصِيَّ يتحرَّك بخفَّةٍ بين اللوردات وقد ارتدى خُفًّا ناعمًا ومعطفًا من الإستبرق الأحمر، وخمَّنت أن قصير القامة صاحِب المعطف الفضِّي واللِّحية المُدبَّبة قد يكون الرَّجل الذي خاضَ نزالًا من أجل أمِّها منذ سنواتٍ طويلة.

وبينهم كانت سانزا ترتدي فستانًا من الحرير الأزرق، شَعرها الكستنائي الطويل مغسول ومجدول، وأساور من الفِضَّة تحيط بمعصميها. قطَّبت آريا جبينها متسائلةً عمَّا تفعله أختها هنا ولِمَ تبدو سعيدة هكذا.

كان صفٌّ طويلٌ من حاملي الرِّماح ذوي المعاطف الذَّهبيَّة يدفع الحشود إلى الوراء، يقودهم رجل بدين يرتدي دِرعًا فاخِرةً مصقولةً ومزيَّنةً باللونين الأسود والذَّهبي، وبدا من الجليِّ أن معطفه اللامع مصنوع من قُماش الذَّهب.

توقَّفت الأجراس عن الدَّقِّ، وبدأ الصمت يسود السَّاحة الواسعة شيئًا فشيئًا، ورفعَ أبوها رأسه وبدأ يتكلَّم بصوتٍ رفيعٍ ضعيف جعلها لا تُمَيِّز من كلماته شيئًا. سمعَت الناس حولها يهتفون: «ماذا يقول؟» و«ارفع صوتك!»، فتقدَّم صاحب الدِّرع ذات اللَّونين الأسود والذَّهبي ولكزَ أباها في ظهره بقسوة. أرادَت آريا أن تَصرُخ في الرَّجل أن يدع أباها وشأنه، لكنها كانت تعرف أن لا أحد سيسمعها، فاكتفَت بأن عضَّت شفتها.

تكلَّم أبوها من جديد بصوتٍ أعلى تردَّد في أرجاء الساحة: «أنا إدارد ستارك، سيِّد وينترفِل ويَدُ الملك، وقد جئتُ أمامكم لأعترف بخيانتي على مرأى من الآلهة والبَشر».

همسَت آريا بألم: «لا!»، بينما انفجرَ المحتشدون أسفلها في الصِّياح والصُّراخ، وامتلأ الهواء بهتافاتهم السَّاخرة وشتائمهم، بينما غطَّت سانزا وجهها بيديها.

رفعَ أبوها صوته أكثر باذلًا كلَّ ما لديه من قوَّةٍ كي يُسمَع: «لقد خنتُ

ثقة مَليكي وصديقي روبرت. أقسمتُ أن أحمي أبناءه وأدافع عنهم، لكن قبل أن يبرد دمه تآمرتُ على عزل وقتل ابنه والاستيلاء على العَرش لنفسي. فليشهد السِّپتون الأعلى وبيلور المحبوب والآلهة السبعة على أن ما أقوله هو الحق: چوفري باراثيون هو الوريث الشَّرعي الوحيد للعَرش الحديدي، وببركة كلِّ الآلهة هو سيِّد المَمالك السَّبع وحامي البلاد».

بمجرَّد أن انتهى اللورد إدارد من كلامه، طارَ حَجر من بين الحشود ليضربه في رأسه، وصرخَت آريا مع المشهد، بينما حال ذوو المعاطف الذَّهبيَّة دون سقوطه. سالَت الدماء على وجهه من الجرح العميق في جبهته، وتطايَر المزيد من الحجارة نحوه، أصابَ أحدها الحارس الواقف إلى يساره، بينما ارتدَّ آخَر عن صدر صاحب الدِّرع ذات اللَّونين الأسود والذَّهبي، وتقدَّم اثنان من الحَرس المَلكي ليقفا أمام چوفري والمَلكة لحمايتهما بتُرسيهما.

دسَّت آريا يدها تحت معطفها ووجدت إبرتها في غِمدها، فأطبقَت على مقبضها بأصابعها واعتصرَتها كما لم تعتصر شيئًا من قبل قَطُّ، وفي قرارة نفسها قالت متوسِّلةً: *أرجوكِ أيتها الآلهة احفظيه، لا تجعليهم يؤذون أبي*.

انحنى السِّپتون الأعلى أمام چوفري وأمِّه، وقال بصوتٍ عميق أعلى كثيرًا من صوت أبيها: «كما نأثِم، فإننا نعاني. لقد اعترفَ هذا الرجل بجرائمه أمام الآلهة والبَشر هنا في هذا المكان المقدَّس»، وتراقصَت ألوان قوس قزح حول رأسه وهو يرفع يديه قائلًا بخشوع: «الآلهة عادلة، لكن بيلور المُبارَك علَّمنا أنها رحيمة كذلك. ماذا نفعل بهذا الخائن يا جلالة المَلك؟»

كان ألف صوتٍ يَصرُخ حول آريا لكنها لم تسمع منها شيئًا. ثم إن الأمير چوفري... لا، المَلك چوفري... المَلك چوفري تقدَّم من وراء تُروس حَرسه المَلكي، وقال: «أمِّي تُناشِدني أن أدع اللورد إدارد يرتدي

الأسود، والليدي سانزا التمسَت الرَّحمة لأبيها»، ونظرَ إلى سانزا مباشَرةً وابتسمَ، وللحظةٍ حسبَت آريا أن الآلهة قد سمعَت دعاءها... إلى أن التفتَ چوفري إلى الجماهير مرَّةً أخرى وأضافَ: «لكن كلتيهما تملك قلب النِّساء الضعيف، وطالما أنني مَلككم فلن تَمُرَّ الخيانة دون عقابٍ أبدًا. سير إلين، أحضِر لي رأسه!».

ضجَّت السَّاحة بهدير الحشود، وشعرَت آريا بتمثال بيلور يهتزُّ من فرط تدافُعهم. قبضَ السِّپتون الأعلى على معطف المَلك، وتحرَّك ڤارس بسرعةٍ نحوه وهو يُلَوِّح بذراعيه، وحتى المَلكة كانت تقول شيئًا ما له، لكن چوفري هَزَّ رأسه نفيًا بإصرار. ثم جاءَ هو ليتفرَّق اللوردات والفُرسان ويُفسِحوا له الطَّريق وهو يَمُرُّ من بينهم طويلًا نحيفًا كهيكلٍ عظميٍّ يرتدي دِرعًا من الحديد.. كان عدالة المَلك، السير إلين. سمعَت آريا صراخ أختها خافتًا كأنه يأتي من بعيد جدًّا، ورأت سانزا تهوي على قدميها وهي تنتحب بهياجٍ بالِغ، بينما ارتقى السير إلين پاين درجات المنبر..

تملَّصت آريا من بين ساقي التمثال وألقت نفسها بين الحشود وهي تسحب الإبرة من غِمدها، لتهبط فوق رجلٍ يرتدي مِئزر الجزَّارين وتطرحه أرضًا، وفي اللَّحظة نفسها شعرَت بمن يرتطم بظَهرها حتى كادت تَسقُط أرضًا هي الأخرى. حاصرَتها الأجساد المتزاحِمة المتدافِعة لتطأ الجزَّار المسكين، فلم تملك آريا غير أن تضرب الأرجُل بإبرتها لتستطيع التحرُّر.

أعطى السير إلين پاين إشارةً من مكانه أعلى المنبر، فألقى صاحِب الدِّرع ذات اللَّونين الأسود والذَّهبي أمرًا دفعَ على إثره ذوو المعاطف الذَّهبيَّة اللورد إدارد أرضًا على رُكبتيه على المنبر الرخامي وقد تجاوزَ رأسه وصدره الحافَّة.

صاحَ صوت غاضب في آريا: «أنت!»، لكنها واصلَت التحرُّك بأقصى سرعةٍ ممكنة، تدفع النَّاس جانبًا وتعتصر جسدها بينهم وترتطم بكلِّ من

يعترض طريقها. حاولَت يد الإمساك بساقها لكنها هوَّت عليها بالإبرة وركلَت قصبة ساق صاحِبها، ثم تعثَّرت امرأة وسقطَت فجرَت آريا فوق ظَهرها ضاربةً بالإبرة يمينًا وشمالًا، لكن لا فائدة، لا فائدة، فالأعداد هائلة بالفعل، وكلما فتحَت لنفسها طريقًا بين الجموع انغلقَ من جديدٍ في الحال. ارتطمَ أحدهم بجانبها، وكان لا يزال بإمكانها أن تسمع صراخ سانزا.

ثم سحبَ السير إلين سيفًا عظيمًا من الغِمد المثبَّت على ظَهره، وإذ رفعَه فوق رأسه تراقَص نور الشَّمس وترقرقَ على نصله الدَّاكن الأمضى من أيِّ موسى. "*جَليد*"، *سيف أبي معه!* سالت الدموع على وجهها بغزارةٍ أعمَتها، ثم إن يدًا انبثقَت من قلب المتدافعين لتقبض على ذراعها بقوَّةٍ شديدةٍ جعلتَ الإبرة تَسقُط من يدها، وللحظةٍ بدا كأنها ستَسقُط أرضًا بدورها لولا اليد القويَّة التي ثبَّتتها بسهولةٍ كأنها مجرَّد دُمية. رأت وجهًا يدنو من وجهها وشَعرًا أسودَ طويلًا ولحيةً مشعثةً وأسنانًا نخرةً قال صاحبها بخشونةٍ آمرة: «لا تَنظُر!».

- «أنا... أنا... أنا...». باكيةً حاولَت آريا أن تقول شيئًا، لكن الرَّجل هزَّها بعُنفٍ جعل أسنانها تصطكُّ وصاحَ: «أطبِق فمك وأغلِق عينيك يا ولد!».

ثم سمعَت الصوت... خافتًا كان كأنه على بُعد أميال، كأنه صوت مليون شخصٍ تنهَّدوا في آنٍ واحد، وانغرسَت أصابع الرَّجل في ذراعها أكثر كأنها مصنوعة من الحديد وهو يقول: «انظر إليَّ. نعم، هكذا، إليَّ أنا. هل تَذكُرني يا ولد؟».

كانت رائحة النَّبيذ في أنفاسه هي ما جعلَها تتذكَّر. رأت آريا الشَّعر الدُّهني الأشعث، والمعطف الأسود المرقَّع المغبَّر على الكتفين المنحنيتين، والعينين السَّوداوين القاسيتين اللتين تَرمُقانها، وتذكَّرت الأخ الأسود الذي جاءَ لزيارة أبيها هنا من قبل.

بصقَ الرَّجل وقال: «هل تَذكُرني الآن؟ أنت ولد ذكي. لقد انتهى كلُّ شيء. سوف تأتي معي، ولن تنطق حرفًا واحدًا». حاولَت آريا أن تتكلَّم، لكنه رجَّها بعُنفٍ صائحًا: «لا أريدُ أن أسمع حرفًا واحدًا!».

كانت السَّاحة قد بدأت تخلو، وتفرَّق الناس من حولهما ليعودوا لمُمارَسة حياتهم ولا أحد منهم يُدرِك أن حياة آريا قد انتهَت. تحرَّكت كالمخدَّرة إلى جوار... *يورن. نعم، كان اسمه يورن.* لم ترَه وهو يلتقط إبرتها من على الأرض، لكنه ناوَلها إياها قائلًا: «آملُ أنك تستطيع استخدام هذا يا ولد».

- «أنا لستُ...».

دفعَها قبل أن تُكمِل عبارتها ليضرب ظَهرها بابًا مغلقًا، ولَفَّ خصلاتٍ من شَعرها حول أصابعه جاذبًا رأسها إلى الخلف بقسوةٍ وهو يقول: «لستَ ولدًا ذكيًّا. أهذا ما تحاول أن تقوله؟».

وفي يده الأخرى كان يحمل سكِّينًا.

ألقَت آريا نفسها إلى الوراء والنَّصل يلمع في وجهها، وأخذَت تَركُل وتُقاوِم بضراوةٍ مُحاوِلةً تحرير شَعرها من القبضة القويَّة، لكن كلَّ محاولاتها كانت بلا طائل، وشعرَت بفروة رأسها تكاد تتمزَّق، وعلى شفتيها تذوَّقت طَعم الدُّموع المالح.

بران

أكبرهم كانوا رجالًا بالغين، في السَّابعة والثَّامنة عشر من العُمر، وواحد منهم تجاوزَ العشرين، لكن غالبيَّتهم كانت أصغر، في السَّادسة عشر أو أقلّ كذلك.

راحَ بران يُراقِبهم من شُرفة بُرج المِايستر لوين، ويُصغي إليهم وهُم يخورون ويتذمَّرون ويُطلِقون السِّباب بينما يُلَوِّحون بهرَّاواتهم وسيوفهم الخشبيَّة. سادَ الصَّخب السَّاحة مع ارتطام الخشب بالخشب، وعلى فتراتٍ متقاربةٍ كان أحدهم يُطلِق صيحة ألم عندما تهوي ضربة ما على الجِلد أو اللَّحم، وتحرَّك السير رودريك بينهم بخطواتٍ واسعةٍ ووجهه يحتقن تحت شواربه البيضاء الكبيرة وهو يُهَمهِم بكلماتٍ غاضبةٍ موجَّهة لهم جميعًا. لم يرَ بران الفارس المُسِنَّ ساخطًا هكذا من قبل، طوال الوقت يُرَدِّد: «لا، لا، لا».

- «إنهم لا يُجيدون القتال»، قال بران بنبرةٍ متردِّدةٍ وهو يُداعِب سَمر وراء أُذنيه بشرود بينما يلتهم الذِّئب الرَّهيب قطعةً من اللَّحم ويطحن ما فيها من عظم بأسنانه.

أطلقَ المِايستر لوين زفرةً عميقةً وقال: «لا شَكَّ في هذا إطلاقًا». كان المِايستر يَنظُر عبر أنبوب العدسات المايري الكبير، يقيس الظِّلال ويُدَوِّن موقع المذنَّب المنخفضِ الذي يَشُقُّ سماء الصَّباح. «لكن مع الوقت... السير رودريك كان مُحِقًّا، فنحن نحتاج رجالًا لحراسة الأسوار بالفعل.

السيِّد والدك أخذَ خيرة الحَرس معه إلى كينجز لاندنج، وأخوك أخذَ البقيَّة ومعهم كلَّ من يصلحون للتَّدريب على مدى فراسخ من هنا. كثيرون منهم لن يعودوا إلينا، وينبغي أن نجد من يَحِلُّون محلَّهم».

رمقَ بران الصِّبية المبلَّلين بالعَرق في الأسفل بامتعاض، وقال: «كنتُ لأهزمهم جميعًا لو كنتُ ما زلتُ أملكُ ساقيَّ». تذكَّر آخِر مرَّةٍ حملَ فيها سيفًا بيده، عندما جاءَ المَلك إلى وينترفل. كان مجرَّد سيفٍ خشبي، لكنه نجحَ في هزيمة الأمير تومن نِصفمئة مرَّة. «من المُفترَض أن يُعَلِّمني السير رودريك كيف أستخدمُ البلطة الحربيَّة. إذا كانت معي بلطة حربيَّة ذات مقبضٍ كبيرٍ طويل، فمن الممكن أن يقوم هودور بدور ساقيَّ. معًا يُمكننا أن نكون فارسًا واحدًا».

قال المِايستر لوين: «أعتقدُ أن هذا... غير جائز. بران، عندما يُقاتِل الرَّجل، فلا بُدَّ أن تصير ذراعاه وساقاه وأفكاره واحدًا لا يتجزَّأ».

في السَّاحة في الأسفل كان السير رودريك يصيح في أحدهم: «أنت تُقاتِل كالإوزَّة، يَنقُرك فتَنقُره بعُنفٍ أكثر. تفادى الضَّربة! صُدَّها! عراك الإوزِّ لن يَصلُح. لو كانت هذه سيوفًا حقيقيَّةً لبترَت أول ضربةٍ ذراعك!».

ضحكَ أحد الصِّبية ساخرًا، فالتفتَ إليه السير رودريك قائلًا: «تضحك؟ أنت؟ يا للصَّفاقة! إنك تُقاتِل كالقنفذ!».

- «كان هناك فارس لا يرى»، قال بران بعنادٍ والسير رودريك يُواصِل توبيخه للصِّبية في الأسفل. «العجوز نان حكَت لي عنه. كان يحمل عصا طويلةً ذات طرفين مدبَّبين، وكان يُديرها بيديه فيسقِط رجلين في آنٍ واحد».

- «سيميون ذو العينين النَّجمتين»، قال المِايستر لوين وهو يُدَوِّن أرقامًا في دفتره. «عندما فقدَ عينيه وضعَ قطعتين من الياقوت الأزرق على شكل نجمتين في المحجرين الخاليين، أو هكذا يقول المغنُّون على الأقل. بران، إنها مجرَّد قصَّة، مثل حكايات فلوريان المهرِّج، خُرافة من

عصر الأبطال لا أكثر»، ثم طقطقَ بلسانه وأضافَ: «يجب أن تُنَحّي هذه الأحلام جانبًا وإلّا كسرَت قلبك».

هنا تذكَّر بران عندما جاءَ المِايستر على ذِكر الأحلام، وقال: «حلمتُ بالغُراب ثانيةً ليلة أمس، الغُراب ذي العيون الثَّلاث. طارَ إلى غُرفة نومي وقال لي أن أذهب معه، فذهَبتُ. نزلنا إلى السَّراديب وكان أبي هناك. تكلَّمنا، لكنه كان حزينًا».

قال لوين وهو يَنظُر عبر الأنبوب: «ولِمَ؟».

كان الحُلم مزعجًا مخيفًا لأقصى درجة، أكثر من كلِّ الأحلام الأخرى التي رأى فيها الغُراب. «شيء ما بخصوص چون على ما أعتقدُ. هودور يَرفُض النُّزول إلى السَّراديب».

أدركَ بران أن المِايستر لا يُصغي له جيِّدًا، ثم إنه رفعَ عينيه وقال وهو يفتحهما ويُغمِضهما: «هودور يَرفُض...».

- «يَرفُض النُّزول إلى السَّراديب. قلتُ له عندما استيقظتُ أن يأخذني إلى هناك لأرى إن كان أبي هناك حقًّا. في البداية لم يفهم ما أقوله، لكني جعلته يصل حتى السَّلالم قائلًا له أن يذهب إلى هنا وهناك، لكنه توقَّف ورفضَ النُّزول تمامًا، ووقفَ على الدَّرجة العُليا وقال: "هودور" كأنه خائف من الظَّلام، لكني كنتُ أحملُ مشعلًا. لقد أثارَ غضبي لدرجة أني كدتُ ألطمه على رأسه كما تفعل العجوز نان»، ولمَّا رأى التَّعبير العابس على وجه المِايستر سارعَ يُضيف: «لكني لم أفعل!».

- «أحسنت. هودور رجل وليس بغلًا ليُضرَب».

- «في الحُلم طرتُ إلى أسفل مع الغُراب، لكني لا أستطيعُ أن أفعل هذا وأنا مستيقظ».

- «لماذا ترغب في النُّزول إلى السَّراديب؟».

- «كما قلتُ لك، لأبحث عن أبي».

شَدَّ المِايستر السِّلسلة المحيطة بعُنقه كعادته عندما يَشعُر بعدم الرَّاحة،

وقال: «بران يا صغيري العزيز، سيأتي يوم يجلس فيه اللورد إدارد على شكل تمثالٍ حَجريٍّ إلى جوار أبيه وأبي أبيه وكلِّ آل ستارك منذ كانوا ملوكًا في الشَّمال، لكن هذا لن يَحدُث قبل سنواتٍ طويلةٍ بمشيئة الآلهة. أبوك سجين لدى المَلكة في كينجز لاندنج، ولن تجده في السَّراديب».

- «لكنه كان هنا ليلة أمس، وتكلَّمتُ معه».

تنهَّد المِايستر ونحَّى دفتره جانبًا وقال: «يا لك من صبيٍّ عنيد! هل تُريد أن تذهب وترى؟».

- «لا أستطيعُ. هودور يَرفُض النُّزول، ودانسر لا تستطيع نزول السَّلالم الضيِّقة الملتوية».

- «أعتقدُ أن لديَّ حلًّا لهذه المشكلة».

بدلًا من هودور استدعى المِايستر المرأة الهَمجيَّة أوشا، فهي طويلة القامة وقويَّة ولا تشتكي أبدًا، وتذهب إلى حيث يأمرونها بلا اعتراض. قالت: «لقد عشتُ حياتي وراء "الجِدار"، فلن تُخيفني حُفرة في الأرض يا سيِّدي».

- «سَمر، هَلُمَّ»، نادى بران وهي ترفعه بذراعيها النَّحيلتين القويَّتين، فتركَ الذِّئب الرَّهيب العظمة التي يَعَضُّها وتبعَهم بينما حملَت أوشا بران عبر السَّاحة ثم على السَّلالم الملتفَّة النَّازلة إلى السِّرداب البارد تحت الأرض، وتقدَّم المِايستر لوين الطَّريق حاملًا مشعلًا. لم يكن بران يُمانِع (كثيرًا) أن تحمله بين ذراعيها بدلًا من على ظَهرها كما يفعل هودور. كان السير رودريك قد أمرَ بكسر السِّلسلة التي تربط الأغلال بين قدميها، بما أنها خدمَت بإخلاصٍ ونشاطٍ منذ جاءَت إلى وينترفل، وإن ظلَّت الأغلال الحديديَّة الثَّقيلة تُحيط بقدميها كدلالةٍ على أنها لا تحوز ثقتهم الكاملة بَعد، لكن هذا لم يُعِق خطواتها الواثقة وهي تنزل السَّلالم.

لم يتذكَّر بران آخِر مرَّةٍ نزلَ فيها إلى السَّراديب. لا بُدَّ أن هذا كان قبل ما حدثَ. في صغره اعتادَ أن يلعب هنا مع روب وجون وأختيه.

تمنَّى لو كانوا هنا الآن، فعندها لم يكن السِّرداب ليبدو مُظلِمًا مخيفًا هكذا. تحرَّك سَمر بصمتٍ في العتمة ذات الصَّدى، ثم إنه توقَّف ورفعَ رأسه وتشمَّم الهواء البارد الميت، قبل أن يكشف عن أسنانه ويتراجع ببُطءٍ إلى الخلف وعيناه تتوهَّجان ذهبًا في ضوء مشعل المِايستر. حتى أوشا القاسية كالحديد بدَت متوتِّرةً، وقالت وهي تُحَدِّق في الصَّفِّ الجرانيتي الطَّويل من أموات عائلة ستارك على عروشهم الحَجريَّة: «قومٌ أشدَّاء كما يبدو من منظرهم».

- «كانوا ملوك الشِّتاء»، قال بران هامسًا وقد شعرَ بشكلٍ ما أن من العيب أن يتكلَّم بصوتٍ عالٍ في هذا المكان.

ابتسمَت أوشا وقالت: «الشِّتاء ليس له مَلك. لو كنت قد رأيته لعرفت هذا يا ابن الصَّيف».

- «كانوا الملوك في الشَّمال لآلاف السِّنين»، قال المِايستر لوين وهو يرفع مشعله عاليًا ليَسقُط الضَّوء على الوجوه الحَجريَّة. منهم من كانوا كثيفي الشَّعر ملتحين، رجالًا خشنين فيهم ضراوة الذِّئاب القابعة عند أقدامهم، ومنهم من كانوا حليقين ذوي ملامح كئيبة حادَّة كالسُّيوف الطَّويلة الموضوعة على سيقانهم. «رجال قساة في زمنٍ قاسٍ. تعالوا». برشاقةٍ بدأ يمشي إلى أعماق السِّرداب مرورًا بصَفِّ الأعمدة الحَجريَّة والتَّماثيل التي لا تُحصى، بينما يرتفع لسان من اللَّهب من مشعله المرفوع.

كان السِّرداب غائرًا جدًّا، أطول من وينترفل نفسها، وكان جون قد قال له ذات مرَّةٍ إن هناك مستوياتٍ أخرى في الأسفل، سراديب أعمق وأحلك يَرقُد فيها الملوك القدامى. لن تأتي فائدة من فقدان الضَّوء، خصوصًا أن سَمر رفضَ التحرُّك بَعد السَّلالم حتى عندما تبعَت أوشا المشعل وبران بين ذراعيها.

قال المِايستر وهو يمشي: «هل تَذكُر دروس التَّاريخ يا بران؟ قُل لأوشا مَن هؤلاء وماذا فعلوا إذا استطَعت».

تطلَّع إلى الوجوه العابرة واستعادَ الحكايات في ذاكرته. كان المِايستر قد روى عليه القصص، لكن العجوز نان جعلَت الحياة تَدُبُّ فيها. «هذا چون ستارك، الذي قاومَ القراصنة عندما نزلوا في الشَّرق وطردَهم ثم شيَّد القلعة في الميناء الأبيض. ابنه كان ريكارد ستارك، ليس أبا أبي ولكن ريكارد آخَر، وهو الذي استولى على "العُنق" من مَلك المستنقعات وتزوَّج ابنته. ثيون ستارك هو الرَّجل شديد النُّحول ذو الشَّعر الطَّويل واللِّحية القصيرة، ولقَّبوه بـ"الذِّئب الجائع" لأنه كان في حالة حربٍ دائمة. وهذا واحد ممن اسمهم براندون، الطَّويل ذو الوجه الحالم، ولقَّبوه بـ"براندون السَّفَّان" لأنه كان شغوفًا بالبَحر. مقبرته خالية لأنه حاولَ الإبحار غربًا في بَحر الغروب ولم يرَه أحد بَعدها قَطُّ، وابنه هو براندون الحارق، لأنه أحرقَ جميع سُفن أبيه من فرط حُزنه عليه. هذا هناك هو رودريك ستارك، الذي فازَ بجزيرة الدِّببة في مباراة مُصارَعة وأعطاها لعائلة مورمونت. وهذا هو تورين ستارك، المَلك الذي ركعَ. كان آخِر مَلكٍ في الشَّمال وأول حاكِم لوينترفل بَعد أن استسلمَ لإجون الفاتح. أوه، وهذا هناك هو كريجان ستارك، الذي قاتلَ الأميرِ إيمون مرَّةً، وقال الفارس التنِّين عنه إنه أفضل مُبارِزٍ واجَهه على الإطلاق». كانوا على وشك بلوغ نهاية السِّرداب الآن، وشعرَ بران بالحُزن يجتاحه وهو يُواصِل: «وهذا جدِّي اللورد ريكارد الذي قطعَ المَلك المجنون إيرس رأسه. ابنته ليانا وابنه براندون راقدان في القبرين المجاورين له. ليس أنا، براندون آخَر، أخو أبي. ليس من المُفترَض أن يكون هناك تمثال لكلٍّ منهما، فالتَّماثيل للوردات والملوك فقط، لكن حُبَّ أبي لهما كان عظيمًا فأمرَ بنحت تمثالين لهما».

قالت أوشا: «الفتاة جميلة حقًّا».

- «كان روبرت قد خطبَها، لكن الأمير ريجار اختطفَها واغتصبَها، فشَنَّ روبرت حربًا لاستعادتها، وقتلَ ريجار في معركة الثَّالوث ببلطته الحربيَّة، لكن ليانا ماتَت ولم يستردَّها قَطُّ».

- «حكاية حزينة»، قالت أوشا. «لكن هذه الحُفر الخاوية أكثر إثارةً للحُزن».

قال المِايستر لوين: «إنه قبر اللورد إدارد الذي سيَرقُد فيه عندما يحين أجله. هل رأيت أباك هنا في حُلمك يا بران؟».

- «نعم». أثارَت ذكرى الحُلم فيه الرَّجفة، وتطلَّع حوله متوتِّرًا وقد انتصبَت الشُّعيرات على مؤخِّرة عُنقه. هل سمعَ صوتًا؟ هل هناك أحد آخَر هنا؟

تقدَّم المِايستر لوين من القبر المفتوح حاملًا المشعل، وقال: «إنه ليس هنا كما ترى، ولن يكون هنا قبل سنواتٍ طويلة. الأحلام مجرَّد أحلام يا صغيري»، ومَدَّ يده في السَّواد في داخل المقبرة كأنه يضعها في فم وحشٍ ضخم وأضافَ: «هل ترى؟ إنها خالية تمـ...».

وبترَ عبارته عندما انقضَّ الظَّلام عليه مُزمجِرًا.

رأى بران عينين كالنِّيران الخضراء ولمحةً من الأسنان الحادَّة وفروًا أسودَ كالسِّرداب المحيط بهم. صرخَ المِايستر لوين ورفعَ يديه ليطير المشعل من بين أصابعه ويرتدَّ عن وجه براندون ستارك الحَجري قبل أن يَسقُط عند قدميه لتلعق ألسنة اللَّهب ساقيه، وفي الضَّوء المتذبذب رأى المِايستر يُصارِع الذِّئب الرَّهيب ضاربًا خَطمه بيدٍ واحدةٍ بينما انغلقَ الفَكَّان على الأخرى.

صرخَ بران: «سَمر!».

وجاءَ سَمر منطلقًا من قلب الظُّلمة من ورائهم كظِلٍّ وثَّاب وارتطمَ بشاجيدوج ليُسقِطه، وتدحرجَ الذِّئبان الرَّهيبان معًا في كتلةٍ متشابكةٍ من الفرو الأسود والرَّمادي، ينهشان ويعقران أحدهما الآخَر، بينما نهضَ المِايستر لوين بصعوبةٍ وذراعه جريحة دامية. أسندَت أوشا بران إلى ذِئب اللورد ريكارد الحَجري وهُرِعَت لمُساعَدة المِايستر، وفي ضوء المشعل اشتبكَ ذِئبان منْ ظِلٍّ يَبلُغان عشرين قدمًا طولًا في قتالٍ عنيف على الحائط والسَّقف.

- «شاجي»، نادى صوتٌ صغير، وعندما رفعَ بران عينيه وجدَ أخاه الصَّغير واقفًا في مدخل قبر أبيه. نهشَ شاجيدوج وجه سَمر مرَّةً أخيرةً قبل أن يبتعد ويتَّجه إلى ريكون الذي قال للوين: «دَع أبي وشأنه، دَعه وشأنه».

قال بران بهدوء: «ريكون، أبونا ليس هنا».

رَدَّ ريكون والدُّموع تلتمع على وجهه: «إنه هنا. لقد رأيته، رأيته ليلة أمس».

- «في الحُلم؟».

أومأ ريكون برأسه وقال: «دعوه وشأنه. إنه عائد إلى الدِّيار الآن كما وعدَ، إنه في طريق العودة».

لم يسبق لبران أن رأى المِايستر لوين ذاهلًا هكذا من قبل. كان الدَّم يسيل على ذراعه حيث مزَّق شاجيدوج كُمَّه الصُّوفي واللَّحم من تحته، وقال وهو يَعَضُّ شفتيه ألمًا: «أوشا، المشعل»، فهُرِعَت الهَمجيَّة لتختطفه قبل أن يخمد لهبه من على قدمي تمثال براندون ستارك الذي اتَّسخت ساقاه بالسِّناج، وواصلَ لوين: «هذا... هذا الوحش من المُفترَض أن يكون مقيَّدًا في الوجار».

ربَّت ريكون على خَطم شاجيدوج المبلَّل بالدَّم قائلًا: «لقد حرَّرته. إنه لا يُحِبُّ الأغلال»، ثم لعقَ أصابعه.

قال بران: «ريكون، هلَّا أتيت معي؟».

- «لا، إنني أحبُّ المكان هنا».

- «إنه بارد ومظلم».

- «لستُ خائفًا، ويجب أن أنتظر أبي».

قال بران: «يُمكنك أن تنتظر معي. سننتظره معًا، أنا وأنت وذِئبانا». كان كلا الذِّئبين يلعق جراحه الآن ويَرمُق الآخَر بنظراتٍ حذرة.

قال المِايستر بحزم: «بران، أعرفُ أنك تقصد خيرًا، لكن شاجيدوج

أضرى من أن يظلَّ طليقًا. إنني ثالث رجلٍ يعتدي عليه. دَعه يتجوَّل بحُريَّة في القلعة وستكون مسألة وقتٍ فقط حتى يَقتُل أحدًا. الحقيقة صعبة، لكن ينبغي أن يُقَيَّد هذا الذِّئب أو...».

... *أو يُقتَل*، فكَّر بران، لكن ما قاله هو: «إنه ليس مخلوقًا للأغلال. سوف ننتظر في بُرجك، كلنا».

قال المِايستر لوين: «مستحيل تمامًا».

ابتسمَت أوشا وقالت: «الصَّبي هو اللورد الصَّغير هنا على حَدِّ معلوماتي»، وناولَت لوين المشعل وعادَت تحمل بران مُردِفةً: «إلى بُرج المِايستر إذن».

- «هل ستأتي يا ريكون؟».

أومأ أخوه برأسه إيجابًا وقال: «إذا أتى شاجيدوج أيضًا»، وإذ أسرعَ وراء أوشا وبران، لم يجد المِايستر خيارًا غير أن يتبعهم وهو يَنظُر إلى الذِّئبين بحذر.

كانت الفوضى ضاربةً أطنابها في بُرج المِايستر لوين لدرجةٍ جعلَت بران يرى أن عثوره على أيِّ شيءٍ هنا بمثابة أعجوبةٍ حقيقيَّة. أكوام مائلة من الكُتب غطَّت الموائد والمقاعد، وصفوف من البرطمانات المغلقة ازدحمَت على الأرفُف، بينما لطَّخت بقايا الشُّموع وقِطع الشَّمع الجاف الأثاث، ووقفَ أنبوب العدسات المايري البرونزي على حاملٍ ثلاثيٍّ عند باب الشُّرفة، وعلى الجدران عُلِّقَت خرائط النُّجوم وبين البُسُط على الأرض بُعثِرَت الخرائط المجسَّمة، وتناثرَت الأوراق وريشات الكتابة وقِنَان الحِبر في كلِّ مكان؛ وكلُّ هذا متَّسخ بفضلات الغِدفان السَّاكنة في عوارض السَّقف الخشبيَّة، وقد جاءَ نعيبها من أعلى بينما كانت أوشا تغسل وتُنَظِّف وتُضمِّد جروح المِايستر متَّبعةً تعليماته الصَّارمة. «هذه حماقة»، قال الرَّجل الأشيب الضَّئيل وهي تدهن مكان عضَّات الذِّئب بمرهمٍ لاسع. «أتَّفقُ معكما على أن من الغريب أنكما رأيتما الحُلم نفسه،

لكن عندما تتمهَّلان وتُفكِّران في الأمر ستجدانه طبيعيًّا للغاية، لأنكما تفتقدان أباكما، وأنتما تعرفان أنه سجين. الخوف قادر على إصابة عقولنا بالأفكار المحمومة الغريبة، وريكون صغير جدًّا على استيعاب...».

- «أنا في الرَّابعة الآن»، قال ريكون مُقاطِعًا إياه وهو يَنظُر عبر الأنبوب البرونزي إلى كراجل القلعة الأولى. كان الذِّئبان الرَّهيبان جالسين على جانبين متواجهين من الغُرفة المستديرة، يلعقان جروحهما ويمضغان العظام.

- «... صغير جدًّا و... آه! هذا مؤلم بحَقِّ الجحائم السَّبع! لا، لا تتوقَّفي، ضعي المزيد... إنه صغير جدًّا كما كنتُ أقول، لكن أنت يا بران كبير بما يكفي لأن تُدرِك أن الأحلام مجرَّد أحلام».

- «بعضها كذلك وبعضها لا»، قالت أوشا وهي تَصُبُّ الحليب النَّاري ذا اللَّون الأحمر الباهت في جرحٍ مفتوحٍ مباشَرةً ليشهق لوين من الألم. «أطفال الغابة يُمكنهم أن يحكوا لك شيئًا أو اثنين عن الأحلام».

كانت الدُّموع تسيل على وجه المِايستر، لكنه هَزَّ رأسه بإصرارٍ وقال: «الأطفال يعيشون في الأحلام فقط، لقد ماتوا واندثَروا منذ زمنٍ طويل... كفى، كفى. والآن ضعي الضَّمَّادات، البطانة أولًا ثم اللُّفافات، واجعليها مُحكمةً لأن الجروح ستنزف».

قال بران: «العجوز نان تقول إن الأطفال كانوا يعرفون أغاني الأشجار، وإنهم كانوا يُحَلِّقون في الهواء كالطُّيور ويسبَحون كالأسماك ويتكلَّمون مع الحيوانات. تقول إن موسيقاهم كانت في غاية العذوبة لدرجة أنك تبكي كطفلٍ صغير لمجرَّد سماعها».

رَدَّ المِايستر لوين بشرود: «وكلُّ هذا فعلوه بالسِّحر. ليتهم كانوا هنا الآن ليُعالِجوا ذراعي بتعويذةٍ أقلِّ إيلامًا ويتكلَّموا مع شاجيدوج ويقولوا له أن يَكُفَّ عن العض»، ورمقَ الذِّئب الأسود بنظرةٍ غاضبةٍ من رُكن عينه، ثم قال: «ليكن في هذا درس لك يا بران. من يثق بالتَّعاويذ كمن يُقاتِل

بسيفٍ من زجاج، تمامًا كما فعلَ أطفال الغابة. دعني أريك شيئًا»، ونهضَ بنشاطٍ مفاجئٍ وعبرَ الغُرفة ثم عادَ ببرطمانٍ أخضرَ في يده السَّليمة. «ألقِ نظرةً على هذه»، قال وهو يفتح الغطاء ويُفرِغ حفنةً من رؤوس السِّهام السَّوداء اللَّامعة.

التقطَ بران واحدًا وقال: «إنه مصنوع من الزُّجاج»، بينما اقتربَ ريكون بفضول ليُلقي نظرةً.

- «زجاج التنِّين»، قالت أوشا وهي جالسة إلى جوار المِايستر تُضَمِّد يده.

- «اسمه الزُّجاج البركاني»، قال المِايستر وقد بسطَ ذراعه الجريحه. «مصنوع في نيران الآلهة في أعماق الأرض. كان أطفال الغابة يستخدمونه في الصَّيد منذ آلاف السِّنين، لأنهم لم يشتغلوا في طَرق المعادن، وبدلًا من قمصان الحلقات المعدنيَّة كانوا يرتدون قمصانًا طويلةً من أوراق الشَّجر المجدولة ويربطون سيقانهم بلحاء الأشجار، لدرجة أنهم بدوا كأنهم يذوبون في أعماق الغابات، وبدلًا من السُّيوف كانوا يحملون أسلحةً مصنوعةً من الزُّجاج البركاني».

- «وما زالوا»، قالت أوشا وهي تضع البطانة النَّاعمة على جروح المِايستر قبل أن تَلِفَّها بإحكام بشرائط طويلة من الكتَّان.

قرَّب بران رأس السَّهم منه ليجده أملسَ لامعًا ويُفكِّر أنه جميل حقًّا، وقال: «هل يُمكنني الاحتفاظ بواحد؟».

- «كما تشاء».

سارعَ ريكون يقول: «وأنا أيضًا. أريدُ أربعةً لأني في الرَّابعة!».

تركَه المِايستر يُحصي أربعة رؤوس، وقال محذِّرًا: «احترس لأنها ما زالت حادَّةً، لا تجرح نفسك».

كان من المهم لبران أن يعرف، فقال للمِايستر: «حدِّثني عن الأطفال».

- «ماذا تريد أن تعرف؟».

- «كلَّ شيء».

شَدَّ المِايستر لوين السِّلسلة المحيطة بعُنقه حيث أصابَته بالحكَّة، ثم بدأ يروي: «كانوا قومًا عاشوا في فَجر العصور وأولها على الإطلاق، قبل أن يكون هناك ملوك أو مَمالك. في تلك الأيام لم يكن هناك شيء اسمه القلاع أو الحصون، لا شيء كالمُدن، ولا حتى بلدة صغيرة على طول المسافة بين هنا وبَحر دورن. وقتها لم يكن هناك بَشر إطلاقًا، لا أحد غير أطفال الغابة الذين عاشوا في البلاد التي نعرفها الآن باسم المَمالك السَّبع. كانوا قومًا سُمر الوجوه بهيِّي الطَّلعة، وقصيري القامة بحيث لا يزيد طولهم على طول طفلٍ حتى عندما يَكبُرون ويَبلُغون، وقد اتَّخذوا من أغوار الغابات مأوىً وقطَنوا في الكهوف والمستنقعات والبلدات السرِّيَّة المقامة بين الأشجار. وعلى الرغم من حجمهم الصَّغير، فقد تمتَّعوا بالرَّشاقة وسرعة الحركة، وهكذا كان ذكورهم وإناثهم يَخرُجون للصَّيد معًا مستخدمين أقواسًا من خشب الويروود والشِّراك الطَّائرة. آلهتهم كانت آلهة الغابات والنُّهيرات والحجارة، الآلهة القديمة التي بقيَت أسماؤها سِرًّا مكتومًا، وسُمِّيَ حُكماؤهم "الأنبياء الخُضر"، وهُم من حفَروا تلك الوجوه الغريبة في أشجار الويروود كي تَحرُس الغابات من الأذى. لا أحد يدري كم من الوقت سادَ الأطفال هذه الأرض ولا من أين أتوا، لكن منذ نحو اثني عشر ألف عام جاءَ البَشر الأوائل من الشَّرق عابرين ذراع دورن المكسورة قبل أن تُكسَر، جاءوا حاملين سيوفًا من البرونز ومرتدين دروعًا جِلديَّةً منيعةً وممتطين خيولًا قويَّةً، ولم تكن الخيول قد شوهِدَت على هذا الجانب من البَحر الضيِّق قبلها قَطُّ. لا شَكَّ أن الأطفال كانوا خائفين من منظر الخيول تمامًا كما خافَ البَشر الأوائل من منظر الوجوه المحفورة في الأشجار. وبينما بدأ البَشر الأوائل يُقيمون المعاقل والمَزارع، فقد قطَعوا تلك الأشجار كذلك وألقوا بها في النَّار، ما كان بمثابةِ هولٍ حقيقيٍّ لأطفال الغابة فقرَّروا إعلان الحرب.

تقول الأغاني القديمة إن الأنبياء الخُضر استَخدموا سِحرًا أسودَ لترتفع مياه البحار وتكتسح اليابسة وتُحَطِّم ذراع دورن، لكن أوان إغلاق هذا الباب كان قد فاتَ بالفعل. استمرَّت الحروب حتى ارتوَت الأرض بدماء البَشر والأطفال على حَدٍّ سواء، لكن دماء الأطفال كانت أغزر من دماء البَشر الأقوى والأكبر منهم حجمًا، علاوةً على أن الخشب والحجارة والزُّجاج البركاني لا يَصلُحون للقتال في مُواجَهة البرونز. أخيرًا كانت الغلبة لحُكماء الجنسين، والتقى كبار وأبطال البَشر الأوائل بالأنبياء الخُضر وراقصي الغابات وسط بساتين الويروود الواقعة على جزيرةٍ صغيرةٍ في البحيرة العظيمة التي نعرفها باسم بحيرة عين الآلهة، وهناك اتَّفق الطَّرفان على "الميثاق"، بحيث ينال البَشر الأوائل الأراضي السَّاحليَّة والسُّهول العالية والمروج النَّضرة والجبال والمستنقعات، بينما تظلُّ الغابات العميقة ملكًا لأطفال الغابة إلى الأبد، ولا يُقطَع المزيد من أشجار الويروود في أيِّ مكانٍ آخَر في البلاد منذ ذلك الحين فصاعدًا. هكذا، وكي تشهد الآلهة على توقيع الميثاق، حُفِرَ وجه على كلِّ شجرةٍ في الجزيرة، وبَعدها تكوَّنت طائفة الرِّجال الخُضر المقدَّسة لتُحافِظ على جزيرة الوجوه. بدأ "الميثاق" أربعة آلاف عام من الصَّداقة بين البَشر والأطفال، ومع مرور الوقت تخلَّى البَشر الأوائل عن الآلهة التي جاءوا بها عبر البَحر واعتنَقوا عبادة آلهة الغابات السرِّيَّة، وهكذا أنهى توقيع "الميثاق" فَجر العصور وبدأ عصر الأبطال».

كوَّر بران قبضته حول رأس السَّهم الأسود اللَّامع، وقال: «لكنك قلت إن أطفال الغابة ماتوا واندثَروا جميعًا».

- «هنا نعم»، قالت أوشا وهي تقطع طرف آخِر ضمَّادةٍ بأسنانها. «لكن الوضع مختلف شَمال "الجِدار"، فإلى هناك ذهبَ الأطفال والعمالقة والأجناس القديمة الأخرى».

زفرَ المِايستر وقال: «اسمعي يا امرأة، إذا أردتِ الحَقَّ، فيَجدُر بكِ أن

تكوني ميتةً أو مكبَّلةً بالأغلال الآن، لكن آل ستارك عامَلوك بلُطفٍ أكثر مما تستحقِّين، ومن الدَّناءة أن تَرُدِّي لهم الجميل بملء عقل الصَّبيَّين بهذا الهراء».

قال بران: «أخبِرني أين ذهبوا، أريدُ أن أعرف».

وقال ريكون: «وأنا أيضًا».

- «أوه، ليكن»، تمتمَ المِايستر. «طيلة فترة سيطرة مَمالك البَشر الأوائل ظَلَّ "الميثاق" قائمًا، واستمرَّ طوال عصر الأبطال واللَّيل الطَّويل وحتى ميلاد المَمالك السَّبع، لكن أخيرًا جاءَ وقت بَعد عدَّة قرونٍ عبرَ فيه آخَرون البَحر الضيِّق. الأنداليُّون كانوا أولهم، وقد كانوا شعبًا من المُحارِبين طوال القامة ذوي شعر ناعم منسدل، وجاءوا ومعهم الفولاذ والنَّار وعلى صدورهم رُسِمَت نجمة الآلهة الجديدة السُّباعيَّة. استمرَّت الحروب مئات الأعوام، لكن في النِّهاية سقطَت المَمالك الجَنوبيَّة السِّت أمامهم، وهنا فقط قهرَ المَلك في الشَّمال كلَّ جيشٍ حاولَ عبور "العُنق" ليستمرَّ حُكم البَشر الأوائل. أحرقَ الأنداليُّون بساتين الويروود وشوَّهوا الوجوه وذبَحوا أطفال الغابة أينما وجدوهم، وأعلنوا في كلِّ مكانٍ انتصار "السَّبعة" على الآلهة القديمة، وهكذا فرَّ الأطفال إلى الشَّمال حيث...».

قاطَعه عُواء سَمر الذي تردَّد فجأةً فبترَ المِايستر لوين كلامه مُجفِلًا، وعندما نهضَ شاجيدوج مضيفًا صوته إلى صوت أخيه، أطبقَ الرُّعب على قلب بران، وبيقين اليائسين همسَ: «إنه قادم». أدركَ لحظتها أنه يعرف هذا بالفعل منذ ليلة أمس، منذ قادَه الغُراب إلى السَّراديب ليقول وداعًا. كان يعرف لكنه رفضَ أن يُصَدِّق، وأرادَ بشدَّةٍ أن يكون المِايستر لوين على حق. *الغُراب... الغُراب ذو الأعيُن الثَّلاث.*

توقَّف العُواء فجأةً كما بدأ، وقطعَ سَمر غُرفة البُرج دانيًا من شاجيدوج وبدأ يلعق خصلةً من الفرو الدَّامي على مؤخِّرة عُنق أخيه، ومن النَّافذة جاءَ صوت أجنحةٍ تخفق.

ثم حَطَّ غُداف على عتبة النَّافذة الحَجريَّة وفتحَ منقاره وأطلقَ صيحةً حزينةً شديدة الخشونة.

بدأ ريكون يبكي، وسقطَت رؤوس السِّهام من يده واحدًا تلو الآخَر لتتدحرَج على الأرض، فجذبَه بران وضمَّه إليه.

حدَّق المِايستر لوين في الطَّائر الأسود كأنه عقرب ذات ريش، ثم نهضَ ببُطءٍ كالسَّائرين نيامًا واتَّجه إلى النَّافذة، وعندما أطلقَ صفيرًا وثبَ الغُداف ليَحُطَّ على ذراعه المضمَّدة، ليرى المِايستر أن جناحيه ملوَّثان بالدِّماء، فغمغمَ: «صقر، أو ربما بومة. مخلوق مسكين، من العجيب أنه أكملَ رحلته»، ثم التقطَ الرِّسالة المربوطة بساق الطَّائر.

وجدَ بران نفسه يرتجف والمِايستر يبسط الورقة، وقال وهو يَضُمُّ أخاه إليه أكثر وأكثر: «ماذا تقول؟».

- «أنت تعرف ماذا تقول يا فتى»، قالت أوشا بلهجةٍ لا يعوزها الحنان، ووضعَت يدها على رأسه.

رفعَ المِايستر لوين عينيه إليهما كالمخدَّر، رجل ضئيل الحجم تلوَّث كُمُّ معطفه الصُّوفي الرَّمادي بالدِّماء واغرورقَت عيناه بالدُّموع، وللابنين قال بصوتٍ مبحوحٍ مهزور: «أيها السيِّدان الصَّغيران، يجب... يجب أن نَعثُر على نحَّاتٍ يعرف ملامحه جيِّدًا».

سانزا

في غُرفة البُرج الواقعة في قلب حصن ميجور سلَّمت سانزا نفسها للظُّلمات.

كانت قد أسدلَت السَّتائر المحيطة بفِراشها واستسلمَت للنَّوم واستيقظَت تبكي ثم عادَت تنام، وعندما لم تستطِع النَّوم تمدَّدت تحت الأغطية ترتجف حَرقةً. جاءَت الخادمات وذهَبنَ حاملاتٍ وجباتها، لكنها لم تحتمل مجرَّد النَّظر إلى الطَّعام، فتكوَّمت الأطباق على المائدة المجاورة للنَّافذة دون أن تمسَّها حتى تلفَ ما فيها، وجاءَت الخادمات ليأخذنها مرَّةً أخرى.

أحيانًا كان نومها ثقيلًا بلا أحلام، فتستيقظ منه مُتعَبةً أكثر مما كانت عندما أغلقَت عينيها، وعلى الرغم من ذلك فضَّلته على النَّوم المصحوب بالأحلام، فعندما تَحلُم كانت تَحلُم بأبيها. في اليقظة والمنام كانت تراه، ترى ذوي المعاطف الذَّهبيَّة يطرَحونه أرضًا، ترى السير إلين يتقدَّم مستلًّا "جَليد" من الغِمد على ظهره، ترى اللَّحظة... اللَّحظة التي... لقد أرادَت أن تُبعِد عينيها، أرادَت ذلك حقًّا، وتهاوَت ساقاها من تحتها وسقطَت على رُكبتيها، لكنها لسببٍ ما لم تقوَ على أن تُدير رأسها بعيدًا، والكلُّ كان يَصرُخ ويهتف، وأميرها ابتسمَ لها، ابتسمَ لها وشعرَت بالأمان مدَّة نبضة قلبٍ واحدة قبل أن ينطق تلك الكلمات، وساقا أبيها... هذا ما كانت تتذكَّره، ساقاه، وكيف اختلجَتا والسير إلين... والسَّيف...

لمَّا قالت لنفسها إنها ستموت أيضًا في الغالب، لم يبدُ الخاطر شنيعًا لها لهذه الدَّرجة. إذا ألقَت نفسها من النَّافذة ستضع نهايةً لمعاناتها، وطوال السِّنين القادمة سيَكتُب المغنُّون أغاني عن حُزنها. سيرتمي جُثمانها على حجارة السَّاحة في الأسفل بريئًا مكسورًا، يُكَلِّل كلَّ من خانوها بالعار. قطعَت سانزا غُرفة النَّوم وفتحَت السَّتائر بالفعل، لكن شَجاعتها تخلَّت عنها وعادَت جاريةً باكيةً إلى الفِراش.

حاولَت الخادمات أن يُكَلِّمنها عندما جئنَ بطعامها ولم تُجِبهنَّ، وفي مرَّةٍ أتى المِايستر الأكبر پايسل حاملًا صندوقًا من القنائن ليرى إن كانت مريضةً، وجَسَّ جبهتها وجعلَها تخلع ثيابها وتحسَّس جسدها كله بينما ثبَّتتها خادمتها في مكانها، وقبل أن يُغادِر أعطاها شربةً من الماء بالعسل والأعشاب وقال لها أن تتناوَل جرعةً واحدةً كلَّ ليلة، فشربَتها كلها في اللَّحظة نفسها وعادَت إلى النَّوم.

حلمَت بخطوات أقدام على درجات البُرج، بالصَّوت المثير للتوجُّس الصَّادر عن احتكاك الجِلد بالحَجر ورجلٌ ما يصعد درجةً درجةً بتؤدة نحو غُرفتها، وليس بمقدورها غير أن تربض وراء الباب وتُصغي مرتجفةً وهو يقترب ويقترب. كانت تعرف أنه السير إلين پاين القادم إليها حاملًا "جَليد" في يده، قادم ليقطع رأسها، ولا مكان تَهرُب إليه، لا مكان تختبئ فيه، لا وسيلة لإيصاد الباب. أخيرًا توقَّفت الخطوات وعرفَت أنه يقف الآن وراء الباب صامتًا بعينيه الميتتين ووجهه الطَّويل المليء بالبثور، وفي هذه اللَّحظة أدركَت أنها عارية تمامًا فجلسَت القرفصاء مُحاوِلةً أن تُغَطِّي نفسها بيديها وقد بدأ الباب ينفتح ببُطءٍ مُصدِرًا صريرًا مؤلمًا ورأس السَّيف العظيم يُطِلُّ منه... واستيقظَت مُتَمتِمةً: «أرجوك، أرجوك، سأكونُ مطيعةً، سأكونُ مطيعةً، أرجوك لا تَقتُلني»، لكن أحدًا لم يكن هناك.

لم تسمع سانزا خطوات أقدامهم عندما جاءوها أخيرًا في عالم الواقع. كان چوفري هو من فتحَ بابها، ليس السير إلين بل الصَّبي الذي

كان أميرها، وكانت متكوِّرةً على نفسها في فِراشها الذي أسدلَت السَّتائر حوله، دون أن تدري حتى إن كان الوقت ظُهرًا أم منتصَف اللَّيل. أول شيءٍ سمعته هو الباب ينفتح بصوتٍ صاخب، ثم شَدَّ أحدهم السَّتائر فرفعَت يدها لتقي عينيها من الضَّوء المباغت، ورأتهم واقفين أمامها. «ستحضرين انعقاد البلاط اليوم»، قال چوفري. «عليكِ أن تستحمِّي وترتدي ثوبًا يليق بخطيبتي». كان ساندور كليجاين يقف وراءه مباشَرةً وقد ارتدى صُدرةً بُنِّيَّةً بلا نقوشٍ ومعطفًا أخضرَ، وبدا وجهه المحروق بشعًا في نور الصَّباح، ومن ورائهما وقفَ اثنان من فُرسان الحَرس المَلكي في معطفين من الحرير الأبيض.

سحبَت سانزا الأغطية إلى ذقنها لتُغَطِّي نفسها، وقالت منتحبةً: «لا... أرجوك، دعني وشأني».

- «إذا لم تنهضي وترتدي ثيابكِ، سيُجبِرك كلبي على أن تفعلي».
- «أتوسَّل إليك يا أميري...».
- «أنا مَلكٌ الآن. أخرِجها من الفِراش أيها الكلب».

أحاطَ ساندور كليجاين بخصرها ورفعَها ببساطةٍ من فوق الحشيَّة المبطَّنة بالرِّيش وهي تُقاوِم بوهن، وسقطَ الغطاء على الأرض ليكشف عن غِلالة النَّوم الرَّقيقة التي تَستُر عُريها بالكاد، ثم قال كليجاين: «افعلي كما قيلَ لكِ يا فتاة، ارتدي ثيابكِ»، ودفعَها نحو خزانة ملابسها بحركةٍ أقرَب إلى الرِّقَّة.

تراجعَت سانزا بعيدًا عنهم وقالت: «لقد فعلتُ ما طلبَته المَلكة مني وكتبتُ الرَّسائل، كتبتُ ما قالته لي. لقد وعدتَني بأنك ستكون رحيمًا. أرجوك، دعني أعودُ إلى الدِّيار. لن أقترف أيَّ خيانة، سأكونُ مطيعةً، أقسمُ لك، ليس هناك دم خونة في عروقي، سأكونُ مطيعةً، ولا أريدُ إلَّا العودة إلى الدِّيار»، ثم تذكَّرت واجبات المُجامَلة، فحنَت رأسها وأردفَت بضَعف: «إذا كان هذا يُرضيك».

- «هذا لا يُرضيني»، قال چوفري. «أمِّي قالت إنني ما زلتُ سأتزوَّجُ منكِ، لذا ستبقين هنا وتُطيعين الأوامر».

صاحَت نائحةً: «لكني لا أريدُ أن أتزوَّج منك! لقد قطعت رأس أبي!».

- «أبوكِ كان خائنًا، وأنا لم أعِد قَطُّ بالعفو عنه، بل بأن أكون رحيمًا فقط، ولقد كنتُ كذلك. لو لم يكن أباكِ لأمرتهم بتمزيق جسده أو سلخ جِلده، لكني أعطيته ميتةً نظيفةً».

حدَّقت سانزا فيه وهي تراه للمرَّة الأولى. كان يرتدي سُترةً قرمزيَّةً مبطَّنةً زُيِّنَت بأشكال الأسود، وحرملةً من قُماش الذَّهب ذات ياقةٍ طويلةٍ صنعَت إطارًا حول وجهه من الجانبين. تساءَلت كيف تصوَّرت من قبل أنه وسيم، وقد بدَت شفتاه ليِّنتين حمراوين كالدِّيدان التي تجدها في التُّربة بَعد سقوط المطر، وعيناه مفعمتين بالغطرسة والقسوة. همسَت: «إنني أكرهك».

تصلَّبت ملامح المَلك چوفري، وقال: «أمِّي تقول لي إنه لا يليق بمَلكٍ أن يضرب زوجته. سير مرين».

انقضَّ فارس الحَرس المَلكي عليها قبل أن تستطيع التَّفكير حتى، وأطاحَ بيدها بعيدًا عندما رفعَتها لتحمي وجهها، وهوى بقبضته على أُذنها بلكمةٍ عنيفة. لا تَذكُر سانزا أنها سقطَت، لكنها وجدَت نفسها على رُكبةٍ واحدةٍ بين البُسُط وفي أُذنها يُدَوِّي رنين صاخب، بينما وقفَ السير مرين فوقها والدَّم يُغرِق مفاصل قُفَّازه الحريري الأبيض.

- «هل ستُطيعين الآن، أم أجعله يُؤدِّبكِ ثانيةً؟».

شعرَت سانزا بالخدر يسري في أُذنها، وعندما مسَّتها بلَّل الدَّم أطراف أصابعها. «إنني... كما... كما تأمر يا سيِّدي».

- «يا جلالة المَلك»، قال چوفري. «سأنتظركِ في البلاط»، ثم استدارَ وانصرفَ.

تبعَه السير مرين والسير آرس إلى الخارج، بينما ظَلَّ ساندور كليجاين ليُساعِدها على النُّهوض بحركةٍ خشنةٍ ويقول: «وفِّري على نفسكِ الألم يا فتاة وأعطِه ما يُريد».

- «وماذا... ماذا يُريد؟ قُل لي أرجوك».

أجابَ كلب الصَّيد بصوته الأجش: «يُريدكِ مبتسمةً عطرة الرَّائحة، أن تكوني محبوبته، يُريدكِ أن تُرَدِّدي كلَّ العبارات المهذَّبة التي علَّمتكِ إياها سِپتتكِ، يُريدكِ أن تُحِبِّيه... وتخافي منه».

بَعد ذهابه عادَت سانزا تجلس على الأرض وتُحَملِق في الجِدار حتى انسلَّت اثنتان من خادماتها إلى الغُرفة، فقالت لهما: «أريدُ مياهًا ساخنةً للحمَّام من فضلكما، وعطرًا، وبعض المسحوق كي أخفي هذه الكدمة». كان جانب وجهها الأيمن قد تورَّم وبدأ يُؤلِمها، لكنها تعرف أن چوفري يرغب في أن تبدو جميلةً على الرغم من ذلك.

جعلَتها المياه السَّاخنة تُفَكِّر في وينترفل فاستمدَّت بعض القوَّة من هذا. لم تكن قد استحمَّت منذ ماتَ أبوها، وأدهشَها كم اتَّسخت المياه بينما غسلَت الخادمتان وجهها من الدِّماء ونظَّفتا ظَهرها من الأوساخ وغسلَتا شَعرها ومشَّطتاه حتى استعادَت خصلاته الكستنائيَّة بريقها. لم تُوَجِّه سانزا إليهما كلامًا باستثناء الأوامر، فهما من خادمات لانستر وليستا من خادماتها هي، وبطبيعة الحال لم تثق بهما. عندما حانَ وقت ارتداء الثِّياب، انتقَت الفُستان الحريري الأخضر الذي ارتدَته يوم الدَّورة، وتذكَّرت كم كان چوفري رقيقًا شهمًا معها ليلتها أثناء المأدبة. قد يجعله الفُستان يتذكَّر ويُحَسِن معامَلته لها.

شربَت كوبًا من اللَّبن الرَّائب وأكلَت بضع قِطَعٍ من البسكويت الحُلو وهي تجلس منتظرةً كي تهدأ معدتها الجائعة، وفي منتصَف النَّهار عاد السير إلين إليها في دِرعه البيضاء. كان يرتدي قميصًا من الصَّفائح المعدنيَّة مطليَّة بالمينا ومطعَّمة بالذَّهب، وخوذةً طويلةً ذات ريشةٍ على شكل شمسٍ متفجِّرة، بالإضافة إلى واقيات الصَّدر والعُنق والسَّاقين المعدنيَّة البيضاء اللَّامعة، تحت معطفٍ من الصُّوف الثَّقيل مثبَّت بدبُّوسٍ على شكل أسدٍ ذهبي. كان قد رفعَ مقدِّمة خوذته، فلاحَ وجهه الكالح ذو الانتفاخات تحت

العينين وفمه الرَّفيع القاسي وشَعره ذو اللَّون الصَّدئ الذي شاعَ فيه الشَّيب.

«سيِّدتي»، قال حانيًا رأسه كأنه لم يضربها حتى سالَت دماؤها منذ ساعاتٍ ثلاث لا أكثر. «جلالته أمرَني بأن أصحبكِ إلى قاعة العَرش».

- «هل أمرَك بأن تضربني إذا رفضتُ الذِّهاب؟».

- «وهل تَرفُضين الذِّهاب يا سيِّدتي؟». النَّظرة التي رمقَها بها كانت خاويةً من أيِّ تعبير، ولم يُلْقِ نظرةً واحدةً حتى على الكدمة التي خلَّفتها ضربته على وجهها.

أدركَت سانزا لحظتها أنه لا يُكِنُّ لها أيَّ كراهيةٍ أو أيَّ حُب، بل لا يحمل نحوها أيَّ مشاعرٍ على الإطلاق. بالنِّسبة إليه هي... مجرَّد شيء. قالت وهي تنهض: «كلا»، بينما في قرارة نفسها اشتعلَت رغبة في أن تنتفض وتثور وتُؤذيه كما آذاها، أن تُنذِره بأن المنفى سيكون مصيره إذا تجرَّأ على ضربها ثانيةً عندما تصير المَلكة... لكنها تذكَّرت ما قاله لها كلب الصَّيد، فكان كلُّ ما قالته هو: «سأطيعُ كلَّ ما يأمر به جلالته».

رَدَّ: «كما أفعلُ أنا».

- «أجل... لكنك لست فارسًا حقًّا يا سير مرين».

كانت سانزا تعرف أن ساندور كليجاين كان ليضحك ساخرًا من قولها هذا، وكان غيره ليشتمها، أو يأمرها بأن تحفظ لسانها، أو حتى يتوسَّل منها المغفرة، لكن السير مرين ترانت لم يفعل شيئًا من هذا. السير مرين ترانت -ببساطة- لا يُبالي حقًّا.

وجدَت الشُّرفة خاويةً تمامًا من سواها، ووقفَت هناك مُطرِقةً وهي تُكافِح لكبت عبراتها، بينما جلسَ چوفري في الأسفل على عَرشه الحديدي مقيمًا من العدالة ما يروق له. تسع مسائلٍ من أصل عشرٍ أصابَته بالضَّجر فتركَ مجلسه يتولَّاها وهو يتململ في جلَسته بينما يَحِلُّ اللورد بايلش أو المِايستر الأكبر پايسل أو المَلكة سرسي المسألة، لكن عند اختياره إصدار الحُكم بنفسه لم تستطِع أمُّه المَلكة نفسها ردعه.

جيءَ بِلِصٍّ للمثول أمامه، فأمرَ السير إلين بقَطع يده في الحال أمام جميع من في القاعة، ثم جاءَ إليه فارسان بنزاعٍ ما على قطعة أرض، فأمرَ بأن يتبارَزا عليها غدًا وينالها الفائز، وأضافَ: «مبارزة حتى الموت». بَعدها جثَت امرأة على رُكبتيها أمامه متوسِّلةً أن تستعيد رأس رجلٍ أُعدِمَ بتهمة الخيانة، وقالت إنه كان حبيبها وإنها ترغب في أن يُدفَن دفنةً لائقةً، فقال چوفري: «إذا كنتِ تُحِبِّين خائنًا، فلا بُدَّ أنكِ خائنة أيضًا»، وجَرَّها اثنان من ذوي المعاطف الذَّهبيَّة إلى الزَّنازين.

جلسَ اللورد سلينت ذو وجه الضِّفدع على مقعدٍ عند أقصى مائدة المجلس، وقد ارتدى سُترةً مخمليَّةً سوداء وحرملةً لامعةً من قُماش الذَّهب، يُومئ برأسه موافقًا كلما أصدرَ المَلك حُكمًا. حدَّقت سانزا بإمعانٍ في وجهه القبيح متذكِّرةً كيف ألقى أباها على الأرض كي يضرب السير إلين رأسه، وتمنَّت أن تُؤلِمه، تمنَّت أن يُلقي به بطلٌ ما على الأرض ويضرب رأسه، لكن صوتًا في داخلها همسَ لها: *ليس هناك شيء اسمه الأبطال*، وتذكَّرت ما قاله اللورد پيتر لها هنا في هذه القاعة: «الحياة ليست أغنيَّةً يا صغيرتي، وقد تتعلَّمين هذا الدَّرس يومًا للأسف». قالت لنفسها: *في عالم الواقع الوحوش هي من تربح*، ثم استحالَ الصَّوت في رأسها إلى بحَّة كلب الصَّيد الباردة كاحتكاك المعدن بالحَجر: «وفِّري على نفسكِ الألم يا فتاة وأعطيه ما يُريد».

آخِر مسألةٍ كانت لمغنٍّي حاناتٍ بدين متَّهم بترديد أغنيَّةٍ تسخر من المَلك الرَّاحل روبرت، فأمرَهم چوفري بإحضار قيثارته الخشبيَّة وقال له أن يُغَنِّي الأغنيَّة هنا، فبكى المغنِّي وأقسمَ أنه لن يُرَدِّد تلك الأغنيَّة ثانيةً أبدًا، لكن المَلك أصرَّ. كانت أغنيَّةً طريفةً نوعًا، تحكي عن قتالٍ بين روبرت وخنزير، وعرفَت سانزا أن المقصود بالخنزير هو الخنزير البرِّي الذي قتلَه، وإن بدا في بعض الأبيات أنه يكاد يقصد المَلكة نفسها. عندما انتهَت الأغنيَّة قال چوفري إنه قرَّر أن يكون رحيمًا، وحكمَ على المغنِّي

بأنه يستطيع الاحتفاظ إمَّا بأصابعه أو لسانه، ومنحَه يومًا واحدًا ليُقرِّر؛ وأومأ چانوس سلينت مؤيِّدًا.

كان الأصيل في أواخره لمَّا تنفَّست سانزا الصُّعداء وقد انتهَت مسائل البلاط لهذا اليوم... لكن مُعاناتها لم تكن قد انتهَت بَعد. عندما أعلنَ الحاجب انفضاض البلاط هُرِعَت مُغادِرةً الشُّرفة، فقط لتجد چوفري ينتظرها عند قاعدة السَّلالم الملتوية ومعه كلب الصَّيد والسير مرين ترانت. رمقَها المَلك الصَّبي بنظرةٍ فاحصةٍ من أعلى إلى أسفل، ثم قال: «منظركِ أفضل كثيرًا الآن».

- «شُكرًا لك يا جلالة المَلك»، قالت. كلمات فارغة، لكنها جعلَته يومئ برأسه ويبتسم.

مَدَّ چوفري ذراعه لها قائلًا: «امشي معي»، ولم يكن لديها خيار غير أن تتأبَّطها. كانت لمسة يده لتُثير ألذَّ المشاعر فيها من قبل، لكنها ذكَّرتها الآن بالثَّعابين. «سيَحِلُّ يوم ميلادي قريبًا»، قال چوفري وهُم يَخرُجون من مؤخِّرة قاعة العَرش. «ستُقام مأدبة عظيمة، وستكون هناك هدايا. ماذا ستُعطينني؟».

- «لم... لم أفكِّر في هذا يا سيِّدي».

- «يا جلالة المَلك!»، قال بحدَّة. «أنتِ فتاة غبيَّة حقًّا، أليس كذلك؟ يبدو أن أمِّي على حَقٍّ فيما قالته».

- «هي قالت هذا؟». بَعد كلِّ ما حدثَ كان من المفترَض أن تفقد كلماته القُدرة على جرحها، لكنها شعرَت بالألم على الرغم من ذلك، فلطالما كانت المَلكة رقيقةً كيِّسةً معها.

- «أوه، بالطَّبع. إنها قلقة على أطفالنا وإن كانوا سيُصبِحون أغبياء مِثلك، لكني قلتُ لها ألَّا تشغل بالها»، وأشارَ المَلك فأسرعَ السير مرين يفتح الباب المغلق أمامهم.

غمغمَت: «شُكرًا لك يا جلالة المَلك». *كلب الصَّيد كان مُحِقًّا، إنني*

مجرَّد طائر صغير جميل متكلِّم، يُرَدِّد كلَّ الكلمات الصَّغيرة الجميلة التي درَّبوه عليها. كانت الشَّمس قد توارَت وراء السُّور الغربي وتوهَّجت حجارة القلعة الحمراء بلونٍ داكنٍ دام.

- «سأضعُ طفلًا في بطنكِ بمجرَّد أن تكوني قادرةً على الحمل»، قال چوفري وهو يقودها عبر ساحة التَّدريب. «إذا وجدتُ أول طفلٍ غبيًّا، سأقطعُ رأسكِ وأجدُ لنفسي زوجةً أذكى. متى ستكونين قادرةً على الإنجاب؟».

لم تستطِع سانزا النَّظر إليه وقد أصابَتها كلماته المهينة بالخجل الشَّديد، وردَّت: «السِّپتة موردن تقول إن معظم... معظم البنات كريمات الأصل يُزهِرنَ في الثَّانية أو الثَّالثة عشر».

أومأ چوفري برأسه وأشارَ قائلًا: «من هنا»، وقادها إلى داخل مبنى البوَّابة حيث قاعدة السَّلالم التي تقود إلى شُرفات الأسوار في الأعلى.

تراجعَت سانزا منتزعةً ذراعها من ذراعه وهي ترتجف بقوَّةٍ وقد أدركَت فجأةً المكان الذي يقودها إليه، وبصوتٍ خرجَ في شكل شهقةٍ ملتاعةٍ صاحَت: «لا! أرجوكَ لا، لا تجعلني أرى، أتوسَّلُ إليك!».

زَمَّ چوفري فاه وقال: «أريدُ أن أريكِ ما يَحدُث للخونة».

هَزَّت رأسها بعُنفٍ وردَّدت: «لن أنظر، لن أنظر».

قال چوفري: «يُمكنني أن أجعل السير مرين يَجُرُّكِ إلى أعلى، ولن يروق لكِ هذا. خيرٌ لكِ أن تفعلي كما قلتُ»، ومَدَّ يده لها لكنها تراجعَت منكمشةً على نفسها حتى اصطدمَ ظَهرها بكلب الصَّيد.

- «أطيعي الأمر يا فتاة»، قال ساندور كليجاين وهو يدفعها نحو المَلك مجدَّدًا وفمه يرتجف عند الجانب المحروق من وجهه، وكادَت سانزا تسمع ما يرغَب في أن يقوله لها: *سوف يُجبِرك على الصُّعود بأيِّ شكل، فأعطيه ما يُريد.*

أجبرَت نفسها على الإمساك بيد چوفري، ثم بدأت صعود السَّلالم

الذي كان أشبه بالكابوس، فكلُّ خطوةٍ إلى أعلى كانت معاناةً حقيقيَّةً، كأنها تسحب قدميها من بِركة وحلٍ عميقة، والدَّرجات كانت أكثر مما تصوَّرت بكثير، ألف ألف درجة، وبَعدها يقبع الرُّعب منتظرًا على الأسوار.

امتدَّ العالم كله أمامهم وهُم يقفون في شُرفة مبنى البوَّابة الشَّاهقة، ورأت سانزا سِپت بيلور الكبير مرتفعًا فوق تَلِّ ڤيزينيا حيث ماتَ أبوها، وعلى الطَّرف الآخَر من شارع الأخوات وقفَت أطلال جُب التَّنانين بجدرانها التي سوَّدتها النِّيران، وإلى الغَرب كانت الشَّمس الحمراء نِصف متواريةٍ وراء بوَّابة الآلهة. من ورائها كان البَحرِ المالح، وإلى الجَنوب سوق السَّمك والمراسي ومياه النَّهر الأسود المتدفِّقة، وإلى الشَّمال... التفتَت في هذه الجهة ولم ترَ غير المدينة، الشَّوارع والأزقَّة والتِّلال والجحور والمزيد من الشَّوارع والمزيد من الأزقَّة وحجارة الأسوار البعيدة، وإن كانت تعرف أن وراء الأسوار يقع الرِّيف المفتوح، المَزارع والحقول والغابات، وبَعد كلِّ هذا، شَمالًا شَمالًا شَمالًا تقف وينترفل شامخةً.

- «إلام تنظرين؟»، قال چوفري. «هذا ما أريدكِ أن ترينه، هنا».

كان متراس حَجريٌّ سميك يحمي الحافَّة الخارجيَّة للشُّرفة ويصل حتى ذقن سانزا، وقد حُفِرَت فيه فتحات للرُّماة كلَّ خمسة أقدام، والرُّؤوس كانت معلَّقةً بين الفتحات على خوازيقِ حديديَّةٍ على قمَّة السُّور وتُواجِه المدينة. لاحظَتها سانزا بمجرَّد أن خطَت على الممشى، لكن منظر النَّهر والشَّوارع العامرة بالحياة والشَّمس الغاربة كان أحلى بكثيرٍ بطبيعة الحال، وقالت لنفسها: *يُمكنه أن يُجبِرني على النَّظر إلى الرُّؤوس، لكنه لا يستطيع إجباري على رؤيتها.*

قال: «هذا رأس أبيكِ، هذا هناك. أدِره أيها الكلب كي تراه».

أمسكَ ساندور كليجاين الرَّأس من شَعره وأدارَه. كان الرَّأس المقطوع قد غُمِسَ في القطران كي يبقى سليمًا لفترةٍ أطول، ونظرَت سانزا إليه بمنتهى الهدوء وهي لا تراه على الإطلاق. ثم إنه لم يبدُ شبيهًا باللورد

إدارد حقًّا، بل لم يبدُ حقيقيًّا حتى. «كم من الوقت يجب أن أنظر؟».

بدا چوفري مُحبَطًا، وقال مشيرًا إلى صَفِّ الرُّؤوس الطَّويل: «هل تُريدين رؤية بقيَّتها؟».

- «إذا كان هذا يُرضي جلالتك».

ساقَها چوفري على الممشى مرورًا بدستةٍ من الرُّؤوس وخازوقين خاليين أشارَ لهما قائلًا: «أحتفظُ بهذين لعمِّي ستانيس وعمِّي رنلي». الرُّؤوس الأخرى كانت مقطوعةً ومخوزقةً قبل أبيها بفترةٍ طويلة، وعلى الرغم من القطران الذي غُمِسَت فيه فإن التعرُّف على ملامح أصحابها صارَ مستحيلًا تمامًا. أشارَ المَلك إلى أحدها وقال: «هذا رأس سِپتتكِ»، لكن الرَّأسِ لم يبدُ لسانزا أنه رأس امرأةٍ أصلًا من فرط تشوُّهه، فالفَكُّ كان قد تعفَّن تمامًا والتهمَت الطُّيور أُذنًا وجزءًا كبيرًا من إحدى الوجنتين.

كانت سانزا قد تساءَلت عمَّا حدثَ للسِّپتة موردن، وإن خطرَ لها أنها تعرف الإجابة من البداية. سألته: «لماذا قتلتها؟ لقد كانت من خدم الآلهة».

- «لقد كانت خائنةً»، قال چوفري متجهِّمًا وقد بدا أنها أثارَت استياءه بشكلٍ ما. «لم تقولي ما الهديَّة التي ستُعطينني إياها يوم ميلادي. ربما يَجدُر بي أن أهديكِ أنا شيئًا، ما رأيكِ؟».

- «إذا كان هذا يُرضيك يا سيِّدي».

أدركَت أنه يسخر منها عندما ابتسمَ، وقال: «تعرفين أن أخاكِ خائن أيضًا»، وأدارَ رأس السِّپتة موردن نحوهما مضيفًا: «إنني أذكرُ رؤيته في وينترفل. قال كلبي عنه إنه سيِّد السُّيوف الخشبيَّة، أليس كذلك أيها الكلب؟».

أجابَ كلب الصَّيد: «لا أذكرُ».

هَزَّ چوفري كتفيه بلا مبالاة وقال: «أخوكِ هزمَ خالي چايمي، وأمِّي تقول إنه فعلَها بالخيانة والخداع. لقد بكَت عندما عرفَت ما حدثَ. كلُّ النِّساء ضعيفات حقًّا، حتى هي، وإن كانت تتظاهَر بالقوَّة. تقول إن علينا البقاء في كينجز لاندنج في حالة قرَّر عمَّاي الهجوم، لكني لا أبالي.

بَعد الاحتفال بيوم ميلادي سأحشدُ جيشًا وأقتلُ أخاكِ بنفسي؛ وهذا ما سأهديكِ إياه أيتها الليدي سانزا، رأس أخيك».

لحظتها استولى عليها نوع من الجنون، وسمعَت نفسها تقول: «أو قد يُهديني أخي رأسك أنت».

حدَّق چوفري فيها وقد اكفهرَّت ملامحه، وقال: «لا ينبغي أن تسخري مني هكذا أبدًا. الزَّوجة الصَّالحة لا تسخر من سيِّدها. سير مرين، علِّمها».

هذه المرَّة أمسكَها الفارس من تحت فكِّها وثبَّت رأسها وهو يضربها. ضربَها مرَّتين، من اليسار إلى اليمين، ثم ضربةً عكسيَّةً أقوى شقَّت شفتها وجعلَت الدِّماء تسيل على ذقنها لتمتزج بملح دموعها.

قال چوفري: «ولا ينبغي أن تبكي طوال الوقت هكذا. أنتِ أجمل عندما تبتسمين وتضحكين».

أرغمَت سانزا نفسها على الابتسام وقد خافَت أن يجعل السير مرين يضربها ثانيةً إذا لم تفعل، لكن الابتسامة كانت بلا طائل، وهَزَّ المَلك رأسه باستياءٍ قائلًا: «امسحي الدَّم. إنكِ تبدين مزريةً».

كان المتراس الخارجي يصل إلى ذقنها، لكن بطول حافَّة الممشى الدَّاخليَّة لم يكن هناك شيء، لا شيء سوى السَّقطة الطَّويلة إلى الفِناء على بُعد سبعين أو ثمانين قدمًا في الأسفل. قالت لنفسها إن كلَّ ما يتطلَّبه الأمر هو دَفعة واحدة. إنه يقف هناك، هناك على الحافَّة، يبتسم لها بهاتين الشَّفتين الدُّوديَّتين. *يُمكنكِ أن تفعليها، يُمكنكِ أن تفعليها. افعليها الآن، الآن*. ولا يهمُّ حتى إذا سقطَت معه، لا يهمُّ على الإطلاق.

- «هاكِ يا فتاة»، قال ساندور كليجاين وهو يركع أمامها واضعًا نفسه بينها وبين چوفري، وبرِقَّةٍ أدهشَها أنها تَصدُر من رجلٍ مِثله جفَّف الدَّم المنبثق من شفتها المشقوقة.

أدركَت أن اللَّحظة راحَت، وخفضَت عينيها وشكرَته عندما انتهى. إنها فتاة مهذَّبة تتذكَّر آداب المُجامَلة دائمًا.

دنيرس

اكتنفَت الأجنحة حُلمها المحموم وأحاطَته بالظِّلال القاتمة.

- «*أنتِ لا ترغبين في إيقاظ التنِّين، أليس كذلك؟*».

كانت تمشي في رواقٍ طويلٍ تحت قناطر حَجريَّةٍ عالية، لا تستطيع أن تَنظُر وراءها، بل لا بُدَّ ألَّا تَنظُر وراءها، وأمامها لاحَ الباب من بعيد، يبدو ضئيلًا للغاية والمسافة الطَّويلة تفصل بينها وبينه، لكن حتى من على هذا البُعد رأت أنه مطليٌّ بالأحمر. سارَت بسرعةٍ أكبر، فتركَت قدماها آثارًا داميةً على حجارة الأرض.

- «*أنتِ لا ترغبين في إيقاظ التنِّين، أليس كذلك؟*».

رأت السَّهل الحيَّ المسمَّى ببَحر الدوثراكي تحت نور الشَّمس مفعمًا بروائح التُّربة والموت. حرَّكت الرِّياح أعواد العُشب فتموَّجت كمياه المحيط، وحملَها دروجو بذراعيه القويَّتين، ومسَّدت يده فَرجها وفتحَتها وأيقظَت فيها ذلك البلل اللَّذيذ الذي كان له وحده، وابتسمَت لهما نجوم السَّماء من أعلى، نجوم في عِزِّ الظُّهر. «الوطن»، همسَت وهو يَدخُلها ويملأها بنُطفته، لكن النُّجوم اختفَت فجأةً، وعبر السَّماء الزَّرقاء حلَّق الجناحان الضَّخمان واشتعلَ العالم لهبًا.

- «*... لا ترغبين في إيقاظ التنِّين، أليس كذلك؟*».

كان وجه السير چورا مكفهرًّا حزينًا إذ قال لها: «ريجار كان التنِّين الأخير»، وأخذَ يُدفِئ يدين شِبه شفَّافتين فوق المُستوقَد المتَّقد الذي

توهَّجت فيه البيضات الحَجريَّة كالجمار. في لحظةٍ كان موجودًا وفي التَّالية يتلاشى وقد صارَ لحمه بلا لون، يتلاشى حتى باتَ أقلَّ تماسُكًا من الرِّيح. «التنِّين الأخير»، همسَ وقد بدا كرقاقةٍ رفيعةٍ ثم اختفى تمامًا، وشعرَت بالظَّلام من ورائها، وبدا الباب الأحمر أبعد مما كان.

- *«... لا ترغبين في إيقاظ التنِّين، أليس كذلك؟»*.

وقفَ ڤسيرس أمامها يَصرُخ: «التنِّين لا يتوسَّل أيتها العاهرة. ليس من حقِّكِ أن تأمري التنِّين. أنا التنِّين، وسأنالُ تاجي!». تقطَّر الذَّهب المصهور على وجهه كالشَّمع حارقًا أخاديد عميقةً في لحمه. «أنا التنِّين، وسأنالُ تاجي!»، صرخَ بأعلى صوته، ووثبَت أصابعه كالثَّعابين وقبضَت على حلمتيها وأخذَت تلويهما وتَقرُصهما بقسوةٍ بينما تفجَّرت عيناه وسالتا كالهُلام على الوجنتين المسفوعتين المسودَّتين.

- *«... لا ترغبين في إيقاظ التنِّين...»*.

الباب الأحمر بعيد عنها للغاية، والآن كانت تَشعُر بالأنفاس الباردة كالثَّلج من ورائها، تنطلق نحوها بأقصى سرعةٍ لتجتاحها. إذا لحقَت بها فستُمَنَّى بميتةٍ أشنع من الموت ذاته، وحدها في الظَّلام يتردَّد بكاؤها كالعويل إلى أبد الآبدين... وبدأت تجري.

- *«... لا ترغبين في إيقاظ التنِّين...»*.

كانت تَشعُر بالحرارة في داخلها، الحريق الرَّهيب في رَحِمها. رأت ابنها طويلًا نبيل القسمات، لديه بشرة دروجو النُّحاسيَّة وشَعرها الذَّهبي الفضِّي، وعيناها البنفسجيَّتان المُشكَّلتان كحبتي لوزٍ كعينيه. وابتسمَ ابنها لها وبدأ يرفع يده نحوها، لكن النِّيران تدفَّقت من فيه عندما فتحَه، ورأت قلبه يحترق في صدره، وفي غمضة عينٍ اختفى وقد التهمَه اللَّهب كما تلتهم الشَّمعة عُثَّةً، واستحالَ إلى رماد. وبكَت على ابنها، على أمنية أن يرضع بفمه الرَّقيق الصَّغير من ثديها، وتحوَّلت دموعها إلى بُخارٍ بمجرَّد أن مسَّت جِلدها.

- *«... ترغبين في إيقاظ التنِّين...»*.

اصطفَّت الأشباح في الرُّواق وقد ارتدَت ثياب الملوك الباهتة وفي أيديها سيوف من نارٍ شاحبة. منهم من كان شَعره فضِّيًّا، ومنهم من كان شَعره ذهبيًّا، ومنهم من كان شَعره أبيَض كالعاج، وعيونهم كانت من الأوپال والجَمَشْت والتورمالين واليَشب. «أسرعي!»، صاحوا فيها. «أسرعي، أسرعي!»، وانطلقَت تعدو بكلِّ ما لديها من سرعةٍ وقدماها تُذيبان الحجارة أينما مسَّتها. «أسرعي!»، صاحَت الأشباح بصوتٍ واحد، وصرخَت هي وألقَت نفسها إلى الأمام، وشعرَت بالألم يَشُقُّ ظَهرها كسكِّين وبلحمها يتمزَّق، وشمَّت رائحة الدَّم المحروق، ورأت ظِلَّ جناحين... وطارَت دنيرس تارجاريَن.

- *«... إيقاظ التنِّين...»*.

لاحَ الباب من أمامها، الباب الأحمر، قريبًا للغاية، قريبًا للغاية، والرُّواق كالضَّباب من حولها، والبَرد يتراجع. ثم لم تَعُدْ هناك حجارة وحلَّقت فوق بَحر الدوثراكي، إلى أعلى وأعلى حلَّقت والعُشب يتموَّج في الأسفل، وفَرَّ كلُّ شيءٍ حيٍّ يتنفَّس وقد تملَّكه الرُّعب من ظِلِّ جناحيها. كانت تشمُّ رائحة الوطن، تراه، هناك وراء الباب مباشرةً، الحقول الخضراء والبيوت الحَجريَّة الضَّخمة والأذرُع التي ستُدَفِّئها، هناك... ودفعَت الباب وفتحَته.

- *«... التنِّين...»*.

ورأت أخاها ريجار يمتطي جوادًا ضخمًا أسودَ كدِرعه وقد اتَّقدت النَّار من وراء فتحة خوذته الضيِّقة. «التنِّين الأخير»، همسَ صوت السير چورا بخفوتٍ شديد. «الأخير على الإطلاق». ورفعَت داني مقدِّمة خوذة أخيها السَّوداء لتجد أنها تَنظُر إلى وجهها هي.

بَعدها، ولفترةٍ طويلة، لم يكن هناك غير الألم والنَّار المستعرة في داخلها وما تهمس لها به النُّجوم.

واستيقظَت ومذاق الرَّماد على لسانها.

كانت تَئِنُّ وتقول بوهن: «لا، لا أرجوك».

كغزالٍ خائفٍ قالت چيكوي الواقفة فوقها: «گاليسي؟».

غرقَت الخيمة في الظِّلال وحَفَّها السُّكون التَّام، ومن المُستوقَد تصاعدَت ذرَّات الرَّماد إلى أعلى، ولاحقَتها داني بعينيها حتى فتحة التَّهوية في سقف الخيمة. *كنتُ أطير، كان لديَّ جناحان وطِرْتُ بهما.* لكنه كان مجرَّد حُلم. «ساعِديني»، همسَت وهي تُكافِح لكي تنهض. «أحضِري لي...». صوتها نفسه كان موجعًا كجرحٍ مفتوح، ولم تستطِع أن تتذكَّر ما تُريده. لماذا تتألَّم لهذه الدَّرجة؟ كأنَّ جسدها قد مُزِّقَ إربًا وأعيد تشكيله من جديد. «أريدُ...».

- «أمركِ يا گاليسي». وبسرعةٍ اندفعَت چيكوي تُغادِر الخيمة صائحةً.

كانت داني في حاجةٍ إلى شيءٍ ما... شخصٍ ما... ماذا؟ كلُّ ما تعرفه أنه شيء مهم، الشَّيء الوحيد المهم في الدُّنيا الآن. انقلبَت على جانبها ووضعَت مِرفقها تحتها مُحاوِلةً إزاحة الغطاء الذي التفَّ حول ساقيها، لكنها وجدَت الحركة عسيرةً للغاية، ودارَت الموجودات من حولها. *يجب أن...*

وجَدوها على البساط تزحف نحو بيضات التنِّين، فرفعَها السير چورا بين ذراعيه وحملَها إلى فِراشها من جديد وهي تُقاوِمه بضَعف، ومن فوق كتفه رأت وصيفاتها الثَّلاث وچوچو بشاربه النَّابت ووجه ميري ماز دور المسطَّح العريض، وحاولَت أن تتكلَّم، حاولَت أن تقول لهم: «يجب أن... عليَّ أن...».

قال السير چورا: «يجب أن تنامي أيتها الأميرة».

- «لا، أرجوك، أرجوك».

- «نعم»، قال وهو يضع الغطاء الحريري فوقها على الرغم من أن جِلدها كان يحترق سخونةً. «نامي واستردِّي قواكِ يا گاليسي، عودي

إلينا». ثم وجدَت ميري ماز دور، المايجي، أمامها تضع كوبًا على شفتيها، وأحسَّت بمذاق الحليب الحامض وشيءٍ آخَر ثخينٍ مُرِّ الطَّعم، وجرى السَّائل الدَّافئ على ذقنها، لكنها بطريقةٍ ما ابتلعَت الشَّراب، وأظلمَت الخيمة أكثر واحتواها النَّوم من جديد. لم تَحلُم هذه المرَّة، بل طفَت بهدوءٍ وسكينةٍ تامَّين على صفحة بَحرٍ أسودَ لا يعرف شُطآنًا.

بَعد فترةٍ -ليلة، يوم، سنة، لا تدري حقًّا- استيقظَت ثانيةً. كانت الخيمة مظلمةً وحوائطها الحريريَّة تخفق كالأجنحة مع هبوب الرِّيح في الخارج، وهذه المرَّة لم تُحاوِل داني النُّهوض، ونادَت: «إيري، چيكوي، دوريا»، ولمَّا أتينَ إليها في الحال قالت: «أشعرُ بجفافٍ في حَلقي، جفاف شديد»، فجئنَ لها بالماء. كان دافئًا آسنًا لكنها شربَت بنهم وأرسلَت چيكوي لتُحضِر المزيد، بينما بلَّلت إيري قطعةً من القُماش ومسحَت بها جبهتها. قالت داني: «كنتُ مريضةً»، فأومأت الفتاة الدوثراكي برأسها إيجابًا، وسألتها داني: «لكم من الوقت؟». أشعرَتها قطعة القُماش المبلَّلة بشيءٍ من الانتعاش، لكن إيري بدَت حزينةً لدرجةٍ أخافَتها وهي تُجيب: «لمدَّةٍ طويلة». عندما عادَت چيكوي بالمزيد من الماء كانت ميري ماز دور معها وعيناها ما زالتا تحملان آثار النَّوم، وقالت لها وهي تضع الكوب على شفتيها من جديد: «اشربي»، لكن الشَّراب كان مجرَّد نبيذ هذه المرَّة، نبيذ شديد الحلاوة. شربَت داني وتراجعَت مُسنِدةً ظَهرها إلى الوسائد وأصغَت إلى صوت أنفاسها الخافت، وشيئًا فشيئًا شعرَت بالثِّقل في أطرافها والنَّوم يزحف عليها مجدَّدًا، وتمتمَت بصوتٍ ناعس: «أحضِرنَ لي... أحضِرنَ... أريدُ أن أمسك...».

سألَتها المايجي: «ماذا؟ فيم ترغبين يا گاليسي؟».

- «أحضري لي... بيضةً... بيضة تنِّين... رجاءً»، وأحسَّت بأن جفنيها ثقيلان كالرَّصاص، وكانت أكثر إعياءً من أن تُبقي عليهما مفتوحين.

عندما استيقظَت للمرَّة الثَّالثة، كان شُعاع من نور الشَّمس الذَّهبي

يسري من فتحة التَّهوية في سقف الخيمة، وذراعاها تحتضنان واحدةً من بيضات التنِّين، البيضة الشَّاحبة المعرَّقة حراشفها ذات لون القشدة بدوَّاماتٍ من الذَّهبي والبرونزي، وكانت داني تَشعُر بحرارتها. تحت الغطاء كانت طبقة رقيقة لامعة من العَرق تُغَطِّي جِلدها العاري، فقالت لنفسها: *إنه ندى التَّنانين*، ومرَّرت أصابعها بخفَّةٍ على سطح القشرة الصُّلبة متتبِّعةً خطوط الذَّهب، وفي أعماق الحَجر الجامد شعرَت بشيءٍ يتحرَّك ويتمدَّد استجابةً للمستها. لم يُخِفها هذا، فقد تلاشى الخوف واحترقَ عن آخِره.

تحسَّست داني جبهتها، وتحت طبقة العَرق وجدَت بشرتها باردةً وقد راحَت الحُمَّى. اعتدلَت جالسةً لتَشعُر بالدُّوار والألم الشَّديد بين فخذيها للحظة، وإن أحسَّت بأنها قويَّة الآن، وجاءَت وصيفاتها مُسرِعات على وقع صوتها، فقالت لهنَّ: «أريدُ ماءً، دورقًا من الماء البارد إذا كان متاحًا، وفاكهةً، بعض البلح ربما».

- «أمركِ يا كاليسي».

قالت وهي تنهض: «أريدُ السير چورا». وأحضرَت چيكوي معطفًا من الحرير الرَّملي وضعَته على كتفيها وهي تُتابع: «وحمَّامًا ساخنًا، وميري ماز دور، و...». وعادَت الذَّاكرة إليها دُفعةً واحدةً حتى أنها ترنَّحت لحظة، ثم أجبرَت نفسها على السُّؤال وهي تَرمُق ملامحهنَّ بخوف: «كال دروجو، أهو...».

- «الكال حيٌّ»، قالت إيري بهدوء... لكن داني لمحَت ظُلمةً في عينيها وهي تُجيب، ولم تكد تقولها حتى هُرِعَت مُغادِرةً لتُحضر الماء.

التفتَت داني إلى دوريا قائلةً: «أخبِريني».

- «سـ... سأُحضِر السير چورا»، قالت الفتاة اللَّايسينيَّة حانيةً رأسها قبل أن تلوذ بالفرار من الخيمة بدورها.

كانت چيكوي في طريقها للفرار هي الأخرى، لولا أن داني أطبقَت

على معصمها بقوَّةٍ وقالت: «ماذا هناك؟ دروجو... وطفلي». لماذا لم تتذكَّر الطِّفل حتى الآن؟ «رييجو، ابني، أين هو؟ أريدُ أن أراه».

خفضَت الوصيفة عينيها وأجابَت بهمسةٍ خائفة: «الولد... الولد لم يَعِش يا گاليسي».

أطلقَت داني سراحها، وقالت لنفسها بينما خرجَت چيكوي من الخيمة: *ابني ماتَ*. بشكلٍ ما كانت تعرف، كانت تعرف منذ استيقظَت للمرَّة الأولى على دموع وصيفتها. لا، بل كانت تعرف قبل أن تستيقظ حتى. عادَ الحُلم إلى ذاكرتها بوضوحٍ مفاجئ، وتذكَّرت الرَّجلَ الطَّويل ذا البشرة النُّحاسيَّة والجديلة الطَّويلة الجامعة في لونها بين الذَّهب والفضَّة، تذكَّرته وهو يشتعل لهيبًا أجَّاجًا. من المفترَض أن تبكي، تعرف هذا، لكن عينيها كانتا جافَّتين كالرَّماد. لقد بكَت في حُلمها واستحالَت دموعها بُخارًا على وجنتيها. قالت لنفسها: *كلُّ الحسرة في داخلي احترقَت*. كانت تَشعُر بحُزنٍ لا شَكَّ فيه... لكنها أحسَّت برييجو ينسحب من داخلها كأنه لم يوجَد قَطُّ.

جاءَ السير چورا وميري ماز دور بَعد دقائقٍ قليلة، ليجدا داني واقفةً عند بيضتي التنِّين الأخريين الموضوعتين في الصُّندوق، وقد أصرَّ إحساسها على أن ملمسهما ساخن تمامًا كالبيضة الأخرى التي نامَت محتضنةً إياها، ما وجدَته غريبًا للغاية. قالت: «سير چورا، تعالَ هنا»، وأخذَت يده ووضعَتها على البيضة السَّوداء ذات العروق القرمزيَّة. «ما هذا الملمس؟».

أجابَ الفارس بحذر: «قشرة صُلبة كالحَجر، حراشف».

- «وحرارة؟».

قال رافعًا يده: «كلا، مجرَّد حَجر بارد. هل أنتِ بخير أيتها الأميرة؟ هل ينبغي أن تنهضي وتتحرَّكي وأنتِ ضعيفة هكذا؟».

- «ضعيفة؟ إنني قويَّة يا چورا»، لكن لكي تُرضيه استراحَت على كومةٍ من الوسائد وقالت: «أخبِرني كيف ماتَ طفلي».

- «إنه لم يَعِش أصلًا أيتها الأميرة. النِّساء يَقُلن...»، وتلعثمَ ولاذَ بالصَّمت، ورأت داني كم صارَ مهزولًا وكيف يَعرُج وهو يمشي.

- «أخبِرني، أخبِرني ما تَقُلنه النِّساء».

أشاحَ بوجهه بعيدًا وقد لاحَت في عينيه نظرة كلها وجل، وقال: «يَقُلن إن الطِّفل كان...».

انتظرَت داني، لكن السير چورا لم يقوَ على إكمال عبارته، واربدَّ وجهه خجلًا حتى بدا هو نفسه أقرب إلى الجثَّة.

- «مسخًا»، قالت ميري ماز دور خاتمةً العبارة. الفارس رجل قويٌّ، لكن داني استوعبَت في هذه اللَّحظة أن المايجي أقوى منه وأقسى، وأخطر بمراحل. «مشوَّهًا. لقد أخرَجته من بطنكِ بنفسي، وكان أعمى ذا حراشف كالسَّحالي وذيلٍ قصير وجناحين جِلديَّين قصيرين كالخفافيش. عندما لمسته تفسَّخ اللَّحم عن العظم، ووجدتُ أحشاءه مليئةً بديدان القبور ورائحة العفن. كان ميتًا منذ أعوام».

الظَّلام... الظَّلام الرَّهيب يندفع من ورائها ليلتهمها. إذا نظرَت إلى الوراء ستضيع. «ابني كان حيًّا وقويًّا عندما حملَني السير چورا إلى داخل هذه الخيمة. لقد شعرتُ به يَركُل، يُقاتِل كي يولَد».

ردَّت ميري ماز دور: «قد يكون هذا صحيحًا، لكن المخلوق الذي خرجَ منكِ كان كما وصفته. الموت كان في الخيمة يا كاليسي».

- «الظِّلال فقط»، قال السير چورا بصوتٍ مبحوح، وإن سمعَت داني نغمة الشَّكِّ في صوته. «لقد رأيتكِ أيتها المايجي، رأيتكِ وحدكِ تَرقُصين مع الظِّلال».

- «القبر يُلقي ظلالًا طويلةً يا سيِّدي الحديدي، ظلالًا طويلةً وسوداء، وفي النِّهاية لا يستطيع أيُّ ضوءٍ صدَّها».

لقد قتلَ السير چورا ابنها، فعلَ ما فعله بدافع الحُبِّ والإخلاص، لكنه حملَها إلى مكانٍ لا يَجدُر بإنسانٍ حيٍّ أن يَدخُله وأطعمَ ابنها للظَّلام. إنها

تعرف هذا، وهو أيضًا يعرفه كما تقول ملامحه المتجهِّمة ونظراته الخاوية والعرج في ساقه بوضوح. قالت له: «الظِّلال مسَّتك أنت أيضًا يا سير چورا». لم يُجِبها الفارس، فالتفتَت إلى الكاهنة قائلةً: «لقد قلتِ لي إن ثَمن الحياة هو الموت وحده، وحسبتُ أنكِ تقصدين الحصان».

- «كلا»، قالت ميري ماز دور. «تلك كانت كذبةً قلتِها لنفسكِ، لكنكِ كنتِ تعرفين الثَّمن».

هل كانت تعرف الثَّمن؟ هل كانت تعرفه حقًّا؟ *إذا نظرتُ إلى الوراء سأضيعُ*. «لقد دُفِعَ الثَّمن»، قالت داني. «الحصان، طفلي، كوارو وكوثو، هاجو وكهولو. لقد دُفِعَ الثَّمن مرَّةً ومرَّةً ومرَّةً»، ثم نهضَت مُضيفةً: «أين گال دروجو؟ أريني أيتها الكاهنة، أو المايجي، أو ساحرة الدَّم، أيًّا كنتِ، أريني گال دروجو، أريني ما اشترَيته بحياة ابني».

قالت العجوز: «كما تأمرين يا گاليسي. تعالي، سآخذكِ إليه».

كانت داني أضعف مما حسبَت، وطوَّقها السير چورا بذراعه وساعدَها على الوقوف قائلًا بهدوء: «هناك وقت كافٍ لهذا لاحقًا يا سُمُوَّ الأميرة».

- «أريدُ أن أراه الآن يا سير چورا».

بَعد عتمة الخيمة كان الضَّوء في الخارج يُعمي وقد اتَّقدت الشَّمس كالذَّهب المصهور فوق الأرض الذَّابلة الخاوية، ووجدَت داني وصيفاتها في انتظارها يحملنَ الفاكهة والماء والنَّبيذ، ودنا چوجو ليُساعِد السير چورا على مُسانَدتها، بينما وقفَ آجو وراگارو وراءه. جعلَ وهج الشَّمس المنعكس على الرِّمال رؤية ما هو أكثر من هذا أصعب إلى أن رفعَت داني يدها لتُظَلِّل عينيها، فرأت الرَّماد المتخلِّف عن حُفر النَّار، وعددًا من الخيول التي ترعى بلا انتظامٍ بحثًا عن قضمةٍ من العُشب، وبضع خيام تناثرَت هنا وهناك. احتشدَت مجموعة صغيرة من الأطفال ليُشاهِدونها، ومن ورائهم لمحَت نساءً يتحرَّكن من بُقعةٍ إلى أخرى ورجالًا هَرِمين ذابلين يتطلَّعون إلى السَّماء الزَّرقاء بعيونٍ تَعِبَةٍ وهُم يضربون الذُّباب

الدَّموي بأيدٍ واهنة. إذا أحصَيتهم فلن يزيد العدد على مئة على الأكثر، وحيث أقامَ الأربعون ألفًا الآخَرون مخيَّمهم لم يتبقَّ غير الرِّيح والغبار.

قالت: «لقد رحلَ گالاسار دروجو».

رَدَّ چوجو: «الگال الذي لا يستطيع أن يركب ليس بگال».

وقال السير چورا: «الدوثراكي لا يتبعون إلَّا القوي. آسفٌ أيتها الأميرة، لكن لم يكن هناك سبيل لمنعهم من الرَّحيل. غادرَ گو پونو أولًا وقد نصَّب نفسه گال پونو وتبعه كثيرون، ولم يتأخَّر چهاكُو عنه بكثير، وغادرَ بقيَّتهم ليلًا في جماعاتٍ صغيرةٍ وكبيرة. الآن هناك دستة من الگالاسارات في بَحر الدوثراكي بدلًا من گالاسار دروجو وحده».

قال آجو: «لم يبقَ غير كبار السِّن، والخائفين والضُّعفاء والمرضى، ونحن من أقسَمنا على حمايتكِ بقينا كذلك».

- «لقد أخذوا قطعان گال دروجو يا گاليسي»، قال راگارو. «لم نستطِع منعهم بعددنا القليل، لكن حَقَّ الأقوياء أن يأخذوا من الضُّعفاء. وأخَذوا الكثير من العبيد كذلك، عبيد الگال وعبيدكِ، وإن ترَكوا عددًا قليلًا منهم».

- «وإيرو؟»، سألَت داني متذكِّرةً الطِّفلة المرعوبة التي أنقذَتها خارج أسوار مدينة قوم الحِملان.

أجابَ چوجو: «ماجو -الذي أصبحَ خيَّال دمٍ لچهاكُو الآن- استولى عليها، وامتطاها بكلِّ شكلٍ ثم أعطاها لگاله، وأعطاها چهاكُو لخيَّالة دمه الستَّة الآخَرين، وعندما فرَغوا منها ذبَحوها».

قال آجو: «إنه مصيرها يا گاليسي».

إذا نظرتُ إلى الوراء سأضيعُ. قالت داني: «مصير قاسٍ هو، لكن أقلَّ قسوةً من مصير ماجو. أقسمُ لكم على هذا، بالآلهة القديمة والجديدة، بإله الحِملان وإله الخيول وكلِّ إلهٍ موجود، أقسمُ بالجبل الأُم ورَحِم العالَم، قبل أن أفرغ منهما سيتوسَّل ماجو وگو چهاكُو الرَّحمة التي عامَلا بها إيرو».

تبادلَ الدوثراكي نظراتٍ مستريبة، ثم قالت إيري كأنها تشرح لطفلة: «گاليسي، چهاكو گال الآن، يقود عشرين ألفًا من الخيَّالة».

رفعَت رأسها قائلةً: «وأنا دنيرس وليدة العاصفة، دنيرس سليلة آل تارجاريَن ودم إجون الفاتِح وميجور المتوحِّش وڤاليريا القديمة من قبلهما. أنا ابنة التنِّين وأقسمُ لكم أن هؤلاء الرِّجال سيموتون صارخين. والآن خذوني إلى گال دروجو».

كان متمدِّدًا على الأرض الجرداء يتطلَّع إلى الشَّمس.

على جسده استقرَّ الذُّباب الدَّموي وإن بدا أنه لا يَشعُر به، فنفضَته داني وركعَت إلى جوار زوجها. كانت عيناه متَّسعتين لكن لا تريان وأدركَت في الحال أنه أعمى، وعندما همسَت باسمه لم يسمعها، بينما التأمَ جرح صدره لأقصى درجةٍ ممكنة وبدا النَّدب الذي يُغَطِّيه بشعًا وقد انتشرَ فيه الأحمر والرَّمادي.

سألَتهم: «لماذا يجلس وحده هنا تحت الشَّمس؟».

أجابَها السير چورا: «يبدو أنه يُحِبُّ الدِّفء أيتها الأميرة. عيناه تتبعان حركة الشَّمس وإن كان لا يراها حقًّا، ويُمكنه أن يمشي بشكلٍ ما ويذهب إلى حيث تقودينه، لكن ليس لأبعد من هذا، كما يأكل إذا وضعتِ الطَّعام في فمه، ويشرب إذا قطَّرت الماء على شفتيه».

قبَّلت داني شَمسها ونجومها برقَّةٍ على جبهته، ثم نهضَت لتُواجه ميري ماز دور قائلةً: «تعاويذكِ باهظة الثَّمن أيتها المايجي».

قالت المرأة: «إنه حي. لقد طلبتِ الحياة ودفعتِ ثَمن الحياة».

- «ليست هذه حياةً لمن كان مِثل دروجو. حياته كانت ضحكًا ولحمًا يُشوى فوق حُفرة نارٍ وحصانًا بين ساقيه، حياته كانت أراخًا في يده وأجراسًا تَرِنُّ في شَعره وهو ينطلق لقتال أعدائه، حياته كانت خيَّالة دمه وأنا والابن الذي كنتُ سأمنحه إياه». ولمَّا لم تُجِبها المرأة قالت آمرةً: «متى سيعود كما كان؟».

قالت ميري ماز دور: «عندما تُشرَق الشَّمس من الغَرب وتَغرُب في الشَّرق، عندما تَجِفُّ البحور وتعصف الرِّيح بالجبال كأنها أوراق الشَّجر، عندما تنتفخ بطنكِ من جديدٍ وتحملين طفلًا حيًّا في رَحِمكِ... عندها فقط سيعود وليس قبل ذلك».

أشارَت داني إلى السير چورا والآخَرين قائلةً: «اتركونا. أريدُ أن أتكلَّم مع المايجي وحدنا»، ولمَّا انسحبَ مورمونت والدوثراكي قالت لها: «كنتِ تعرفين». كان جسدها يُؤلمها من الدَّاخل والخارج، لكنها استمدَّت القوَّة من غضبها. «كنتِ تعرفين ما سأشتريه، وتعرفين الثَّمن، ومع ذلك تركتيني أدفعه».

- «كان خطأً أن يُحرِقوا معبدي»، قالت المرأة البدينة ذات الأنف المسطَّح بهدوء. «وقد أغضبَ هذا الرَّاعي الأعظم».

- «لم يكن هذا من صُنع أيِّ إله»، ردَّت داني بنبرةٍ باردة. *إذا نظرتُ إلى الوراء سأضيعُ.* «لقد غششتيني، وقتلتِ ابني في داخلي».

- «الجواد الذي يمتطي العالم لن يُحرِق أيَّ مُدنٍ الآن، ولن يطأ گالاساره أيَّ شعوبٍ في التِّراب».

قالت موجوعةً: «لقد تكلَّمتُ نيابةً عنكِ، أنقَذتكِ».

- «أنقذتيني؟»، قالت المرأة اللازارين بازدراء. «ثلاثة من الخيَّالة كانوا قد أخَذوني بالفعل، ليس كما يأخذ الرَّجل المرأة، بل من الوراء كالكلاب، ورابعهم كانَ في داخلي عندما مررتِ أنتِ أخيرًا. كيف أنقذتيني بالضَّبط إذن؟ لقد رأيتُ بيت إلهي يحترق، المكان الذي عالَجتُ فيه رجالًا صالحين بلا عدد، وبيتي أحرَقوه كذلك، وفي الشَّوارع رأيتُ أكوامًا من الرُّؤوس، منها رأس الخبَّاز الذي كان يصنع الخُبز الذي آكله، ورأس صبيٍّ أنقَذته منذ حُمَّى العين الميتة قبل ثلاثة أقمارٍ فقط. سمعتُ الأطفال يَصرُخون والخيَّالة يسوقونهم بسياطهم. أخبِريني ثانيةً ماذا أنقَذتِ».

- «حياتكِ».

أطلقَت ميري ماز دور ضحكةً قاسيةً، وقالت: «انظري إلى گالكِ لتري قيمة الحياة بعدما يزول كلُّ شيءٍ آخَر».

نادَت داني على رجال الگاس وأمرَتهم بأخذ ميري ماز دور وتقييد يديها وقدميها، لكن المايجي ابتسمَت لها وهُم يحملونها بعيدًا كأن الاثنتين تتشارَكان سِرًّا. كلمة واحدة منها ويطير رأس المرأة من على كتفيها... لكن ماذا ستجد معها بَعدها؟ رأسًا؟ إذا كانت الحياة بلا قيمة، فما الموت؟

قادوا الگال إلى خيمتها حيث أمرَتهم داني بملء الحوض، وهذه المرَّة لم تكن هناك دماء مختلطة بالمياه. حمَّمته بنفسها ومسحَت التُّراب عن صدره وذراعيه ونظَّفت وجهه بقطعةٍ ناعمةٍ من القُماش وغسلَت شَعره الأسود الطَّويل بالصَّابون ومشَّطته بعنايةٍ حتى عاد يلمع كما تذكَّرته. كان الظَّلام قد حَلَّ منذ فترةٍ طويلةٍ عندما انتهَت أخيرًا شاعرةً بالإنهاك، وتوقَّفت لمدَّةٍ قصيرةٍ لتأكل وتشرب، لكنها بصعوبةٍ استطاعَت أن تلتهم حبَّة تينٍ واحدةٍ وتشرب مقدارًا ضئيلًا من الماء. في النَّوم راحة لها بالتَّأكيد، لكنها نامَت بما فيه الكفاية... بل أكثر مما يكفي في الحقيقة. إنها تدين بهذه اللَّيلة لدروجو، من أجل كلِّ اللَّيالي التي كانت وكلِّ اللَّيالي التي قد تكون.

ذكرى ركوبهما الأول كانت معها وهي تقوده إلى الظَّلام في الخارج، فالدوثراكي يؤمنون بأن كلَّ حدثٍ جللٍ في حياة الرجل يجب أن يقع تحت السَّماء المفتوحة، وقالت لنفسها إن ثمَّة قوى أقوى من الكراهية وتعاويذ أقدم وأصدق من أيِّ شيءٍ تعلَّمته المايجي في آشاي. كانت السَّماء بلا قَمر، لكن ملايين النُّجوم كانت تتألَّق من فوقهما، ما اعتبرَته نذيرًا.

هنا لم يكن هناك بساط ناعم من العُشب يُرَحِّب بهما، فقط الأرض

الجرداء الصُّلبة التي تناثرَت فيها الحجارة، ولا أشجار تتحرَّك أغصانها في الرِّيح أو جدول يُهَدِّئ مخاوفها عازفًا موسيقى المياه الرَّقيقة، لكن داني قالت لنفسها إن النُّجوم تكفي. «تذكَّر يا دروجو»، همسَت. «تذكَّر ركوبنا الأول معًا يوم زفافنا، تذكَّر اللَّيلة التي زرَعنا فيها بذرة ريجو والكالاسار يُحيط بنا وعيناك على وجهي، تذكَّر كم كانت المياه نظيفةً مُنعِشةً في رَحِمِ العالم، تذكَّر يا شَمسي ونجومي، تذكَّر وعُد إليَّ».

كانت الولادة تُؤلمها لدرجةٍ لا تُتيح لها أن تأخذه في داخلها كما أرادَت، لكن دوريا علَّمتها طُرقًا أخرى، واستخدمَت داني يديها وفمها ونهديها، خمشَته بأظفارها وغمرَته بالقُبلات، همسَت وتضرَّعت وحكَت له قصصًا، وفي النِّهاية كانت قد أمطرَته بدموعها، لكن دروجو لم يَشعُر، أو يتكلَّم، أو ينهض. وعندما طلعَ الفَجر فوق الأُفق الخالي أدركَت داني أنه ضاعَ منها حقًّا. «عندما تُشرِق الشَّمس من الغَرب وتَغرُب في الشَّرق»، قالت بأسىً. «عندما تَجِفُّ البحور وتعصف الرِّيح بالجبال كأنها أوراق الشَّجر، عندما تنتفخ بطني من جديدٍ وأحملُ طفلًا حيًّا في رَحِمي... عندها فقط ستعود يا شَمسي ونجومي وليس قبل ذلك».

مُحال، صرخَ فيها الظَّلام، *مُحال، مُحال، مُحال*.

في داخل الخيمة وجدَت داني وسادةً من الحرير النَّاعم المحشو بالرِّيش، وضمَّتها إلى صدرها وهي تمشي عائدةً إلى دروجو في الخارج، إلى شَمسها ونجومها. *إذا نظرتُ إلى الوراء سأضيعُ*. كان مجرَّد المشي مؤلمًا، وأرادَت بشدَّةٍ أن تنام، تنام ولا تَحلُم.

وانحنَت، وقبَّلت دروجو على شفتيه، وضغطَت الوسادة على وجهه.

تيريون

قال تايوين لانستر: «ابني أسيرٌ لديهم».

- «هذا صحيح يا سيِّدي». كان صوت الرَّسول واهنًا من فرط الإعياء، وعلى صدر سُترته الممزَّقة كان خنزير كراكهول البرِّي المخطَّط بالرَّمادي شِبه متوارٍ تحت طبقةٍ من الدِّماء الجافَّة.

واحد من ابنيك، قال تيريون في قرارة نفسه وأخذَ رشفةً من النَّبيذ دون أن ينبس ببنت شفةٍ وأفكاره تدور حول چايمي. عندما رفعَ ذراعه سرى الألم في مِرفقه كالسَّهم مُذَكِّرًا إياه بالنَّبذة القصيرة التي تذوَّقها من المعركة. إنه يُحِبُّ أخاه، لكنه لم يكن ليرغب على الإطلاق في أن يكون معه في الغابة الهامسة ولو أعطوه كلَّ ذهب كاسترلي روك.

لاذَ قادة وحمَلة راية أبيه الذين اجتمَعوا معًا بالصَّمت التَّام والرَّسول يروي قصَّته، والصَّوت الوحيد المسموع في المكان كان طقطقة وهسيس الحطب الذي يحترق في المُستوقَد الموضوع في نهاية القاعة العامَّة الطَّويلة الباردة. بَعد مشقَّة الرِّحلة الطَّويلة القاسية جَنوبًا، كان مجرَّد فكرة قضاء ولو ليلة واحدة في الخان يُبهِجه إلى أقصى حد... وإن تمنَّى لو لم يكن هذا الخان بالتَّحديد، هذا الخان ثانيةً بكلٍّ ما يحمله من ذكريات. لقد ساقَ أبوه جيشه جَنوبًا بسرعةٍ جنونيَّة، ولم يكن هذا بلا ثَمن، فجرحى المعركة حاوَلوا مُواكَبة حركة الجيش بقَدر ما تبقَّى لهم من قوَّة، لكن منهم من كان أضعف من اللِّحاق بالبقيَّة وتُرِكَ ليعتني بنفسه، وفي كلِّ

صباح كانوا يَترُكون مزيدًا من الرِّجال على جانب الطَّريق، رجالًا خلدوا إلى النَّوم ولن يستيقظوا ثانيةً أبدًا، ومع حلول الظُّهر كان البعض يتهاوى مُنهارًا، وعندما يأتي المساء كان البعض الآخَر يتسلَّل هاربًا تحت جُنح الظَّلام؛ وتيريون نفسه كانت تُراوِده الرَّغبة في الفرار مع هؤلاء.

كان في الطَّابق العُلوي، يسترخي مستمتعًا بحشيَّة الفِراش المبطَّنة بالرِّيش ودِفء جسد شِاي المُلاصِق له، عندما أيقظَه مُرافِقه قائلًا إن رسولًا جاءَ بأنباءٍ سيِّئةٍ من ريفررَن. كلُّ هذا كان بلا طائلٍ إذن، الانطلاق إلى الجَنوب بأقصى سرعة، الزَّحف الإجباري الذي لا ينتهي، الجُثث المُلقاة على جانبي الطَّريق... كلُّ هذا كان عبثًا. لقد بلغَ روب ستارك ريفررَن منذ أيام بالفعل.

- «كيف يُمكن أن يَحدُث هذا؟»، قال السير هاريس سويفت كأنه يُوَلوِل. «كيف؟ حتى بَعد الغابة الهامسة، كنت ما زلت تفرض حصارًا من حديد على ريفررَن وتُحيطها بجيشٍ عظيم. أيُّ لوثةٍ دفعَت السير چايمي لتقسيم جيشه إلى ثلاثة معسكرات؟ ألم يكن يعلم أن هذا يُضعِفه كثيرًا؟».

قال تيريون لنفسه: *يعلم أكثر منك أيها الجبان البدين.* صحيحٌ أن چايمي فقدَ ريفررَن، لكن أغضبَه أن يَذِمَّ أخاه أمثال سويفت، ذلك المتزلِّف السَّفيه الذي كان أعظم إنجازاته أنه زوَّج ابنته البدينة مِثله من السير كيڤان، ومن ثم ربطَ نفسه بعائلة لانستر.

- «كنتُ لأفعلُ المِثل»، رَدَّ عمُّه بلهجةٍ أهدأ بكثير من التي كان تيريون سيستَخدمها لو رَدَّ هو. «أنت لم ترَ ريفررَن قَطُّ يا سير هاريس، وإلَّا لأدرَكت أن چايمي لم يكن يملك خياراتٍ كثيرة. القلعة قائمة في أقصى بُقعة الأرض التي يلتقي فيها الجُلمود بفرع الثَّالوث الأحمر، فيُكوِّن النَّهران معًا ضلعيَّ مثلَّث، وفي حالة الخطر يفتح آل تَلي بوَّابات السَّدِّ عند منبع النَّهر لتكوين خندقٍ واسعٍ عند الضِّلع الثَّالث، فتتحوَّل ريفررَن إلى جزيرة، كما أن الأسوار ترتفع بشكلٍ عموديٍّ تمامًا من قلب المياه،

ومن الأبراج يستطيع المُدافِعون الهيمنة على الشَّواطئ المُواجِهة لمسافة فراسخ عديدة من كلِّ الجهات. إذن لقَطع الطُّرق كلها، على المُحاصِر أن يُقيم معسكرًا شَمال الجُلمود وآخَر جَنوب الفرع الأحمر والثَّالث بين النَّهرين غَرب الخندق. ليس هناك سبيل آخَر على الإطلاق».

قال الرَّسول: «السير كيڤان يقول الحَقَّ أيها السَّادة. لقد أقَمنا حواجز من الأوتاد الخشبيَّة الحادَّة حول المعسكرات، وإن لم تكفِ مع مجيء الهجوم من دون سابق إنذار ومع انقطاع المعسكرات عن بعضها بعضًا. جاءَ هجومهم على المعسكر الشَّمالي أولًا دون أن نتوقَّعه. كان مارك پايپر يُغير على خطوط الإمداد، لكن لم يكن معه أكثر من خمسين رجلًا، وقد خرجَ السير چايمي ليتعامَل معهم في اللَّيلة السَّابقة... أو ليتعامَل مع من حسبَه هُم بالأحرى. لقد قيل لنا إن جيش ستارك موجود شَرق الفرع الأخضر ويتحرَّك جَنوبًا».

- «وماذا عن كشَّافتكم؟»، سألَ السير جريجور كليجاين وقد بدَت ملامحه كأنها قُدَّت من صخر وصبغَت نار المُستوقَد وجهه بلونٍ برتقاليٍّ كئيب وأحاطَت محجري عينيه بظلالٍ داكنة. «ألم يروا شيئًا أو يُنذِروكم بأيِّ شكل؟».

هَزَّ الرَّسول الملوَّث بالدِّماء رأسه نفيًا، وأجابَ: «عدد كبير من كشَّافتنا كان يختفي مع مرور الوقت، وحسبنا أن هذا من صُنع مارك پايپر، أمَّا من عادوا فلم يروا شيئًا».

قال الجبل: «الرَّجل الذي لا يرى شيئًا ليس في حاجةٍ إلى عينيه. افقأ عيونهم وأعطها للكشَّاف التَّالي، وقُل له إنك تأمل أن يرى أفضل بأربع عيونٍ من اثنتين، وإذا لم يأتِ هذا بنتيجة سيَخرُج الكشَّاف التَّالي ومعه ستُّ عيون».

دارَ اللورد تايوين لانستر برأسه ليَرمُق السير جريجور بنظرةٍ فاحصة، ولمحَ تيريون وميضًا ذهبيًّا في بؤبؤي عيني أبيه مع انعكاس الضَّوء

عليهما، لكنه لم يتبيَّن إن كانت النظرة نظرة استحسانٍ أم اشمئزاز. غالبًا ما يُؤثِر اللورد تايوين البقاء صامتًا أثناء انعقاد مجلسه، يُصغي قبل أن يتكلَّم، وهي العادة التي يُحاوِل تيريون الاقتداء بها، لكن الصَّمت هذه المرَّة كان غير معهودٍ من أبيه البتَّة، كما ظَلَّ نبيذه كما هو دون أن يرشف منه مرَّةً.

قال السير كيڤان للرَّسول: «تقول إنهم جاءوا ليلًا».

بإرهاقٍ واضح هَزَّ الرَّجل رأسه إيجابًا، وتابعَ: «كان السَّمكة السَّوداء يقود الطَّليعة، وأسقطَ الحُرَّاس والحواجز استعدادًا للهجوم الرَّئيس، ولمَّا أدركَ رجالنا ما يَحدُث كان الخيَّالة يتدفَّقون عبر ضفاف الخندق بالفعل ويختَرقون المعسكر حاملين السُّيوف والمشاعل. كنتُ نائمًا في المعسكر الغَربي بين النَّهرين، وعندما سمعنا أصوات القتال ورأينا النَّار تشتعل في الخيام، قادَنا اللورد براكس إلى القوارب وحاوَلنا عبور النَّهر، لكن التيَّار دفعَنا في اتِّجاه المصبِّ وبدأ جنود تَلي يقذفوننا بالصُّخور من المجانيق على أسوارهم. رأيتُ قاربًا يتهشَّم تمامًا وثلاثة قوارب أخرى تنقلب بمن فيها، واكتسحَ النَّهر الرِّجال فغرقوا... ومن نجَحوا في العبور وجدوا جنود ستارك في انتظارهم على ضفاف النَّهر».

كان السير فليمنت براكس يرتدي معطفًا فضفاضًا من اللَّونين الفضِّي والأرجواني، وعلى وجهه نظرة من لا يستوعب ما سمعه للتَّوِّ وهو يقول بارتباك: «السيِّد والدي...».

قال الرَّسول: «آسفٌ يا سيِّدي، لكن اللورد براكس كان يرتدي دِرعه الكاملة عندما انقلبَ القارب. كان رجلًا شُجاعًا للغاية».

كان رجلًا أحمق، قال تيريون لنفسه وهو يُدَوِّر كأسه ويُحَدِّق في الأعماق الخمريَّة. يَعبُر النَّهر ليلًا في قاربٍ بدائيٍّ وهو يرتدي دِرعه الكاملة والعَدُوُّ ينتظر على الشَّاطئ الآخَر، لو كانت هذه هي الشَّجاعة فإنه سيختار الجُبن في كُلِّ مرَّة. تساءلَ إن كان اللورد براكس قد شعرَ بأنه شُجاع حقًّا وثِقل دِرعه الفولاذية يسحبه إلى الأعماق المظلمة.

واصلَ الرَّسول: «المعسكر الواقع بين النَّهرين اجتيحَ كذلك، وبينما كنا نُحاوِل العبور انقضَّ المزيد من جنود ستارك من الغَرب، فِرقتان من الجنود على خيولٍ مدرَّعة. رأيتُ العملاق ذا الأغلال رمز اللورد أومبر ونَسر اللورد ماليستر، لكن الصَّبي نفسه كان يقودهم وإلى جانبه ذِئب وحشي. لم أكن هناك لأرى هذا، لكن الجميع يقولون إن الذِّئب قتلَ أربعة رجالٍ ومزَّق دستةً من الخيول. كوَّن رجالنا حاملو الرِّماح حاجزًا واقيًا وصدُّوا الهجوم الأول، لكن عندما رآهم جنود تَلي يشتبكون، فتَحوا بوَّابات ريڤرَن وقادَ تايتوس بلاكوود غارةً عبر الجسر المتحرِّك وانقضَّ عليهم من الخلفِ».

غمغمَ اللورد ليفورد: «لترحمنا الآلهة».

- «أضرمَ چون أومبر الكبير النَّار في أبراج الحصار التي كنا نبنيها، وعثرَ اللورد بلاكوود على إدميور تَلي مقيَّدًا بالأغلال مع بقيَّة الأسرى وحرَّرهم جميعًا. أمَّا معسكرنا الجَنوبي فكان تحت قيادة السير فورلي پرستر، وقد تراجعَ بنظام عندما رأى أن المعسكرين الآخَرين قد ضاعا، ومعه ألفان من حاملي الرِّماح ومِثلهم من الرُّماة، لكن المُرتَزِق التايروشي الذي قادَ المُحارِبين غير النِّظاميِّين ألقى رايته وانضمَّ إلى العَدُوِّ».

قال عمُّه السير كيڤان ساخطًا وقد حملَت لهجته من الغضب ما هو أكثر من الدَّهشة: «عليه اللَّعنة! لقد حذَّرتُ چايمي من الثِّقة بهذا الرَّجل. من يُحارِب من أجل المال لا يملك إخلاصًا إلَّا لكيس نقوده».

شبكَ اللورد أصابعه معًا تحت ذقنه، ولم يتحرَّك غير عينيه وهو يُصغي للحوار، وقد صنعَت اللِّحية الذَّهبية القصيرة الخشنة على جانبي وجهه إطارًا جعله يبدو كالقناع الجامد، لكن تيريون استطاعَ أن يرى قطرات العَرق متناهية الصِّغر التي بدأت تتكوَّن على رأس أبيه الحليق.

- «كيف يُمكن أن يَحدُث هذا؟»، قال السير هاريس سويفت مُوَلوِلًا من جديد. «السير چايمي أسير، والحصار انفضَّ... إنها كارثة!».

قال السير أدام ماربراند: «أنا واثقٌ من أن جميع الحاضرين هنا ممتنُّون لتفسيرك للماء بالماء يا سير هاريس، لكن السُّؤال الآن هو ماذا سنفعل؟».

- «وماذا يُمكننا أن نفعل؟ جنود چايمي إمَّا قتلى أو أسرى أو هاربون، وجنود ستارك وتَلي يُحاصِرون خطوط إمدادنا من كلِّ الجهات، ونحن معزولون عن الغَرب! إذا أرادوا الزَّحف على كاسترلي روك الآن، فمن سيوقِفهم؟ لقد هُزِمنا أيها السَّادة، وينبغي أن نسعى إلى السَّلام».

- «السَّلام؟»، قال تيريون وهو يُدَوِّر النَّبيذ في كأسه، ثم أخذَ منه جَرعةً كبيرةً وألقى الكأس على الأرض لتتهشَّم إلى ألف قطعة. «ها هو سلامك يا سير هاريس. لقد حطَّمه ابن أختي العزيز بلا رجعةٍ عندما قرَّر تزيين أسوار القلعة الحمراء برأس اللورد إدارد. أسهل عليك أن تشرب من هذه الكأس من أن تُقنِع روب ستارك بعَقد مُعاهَدة سلامٍ الآن. إنه الرَّابح... أم أنك لم تُلاحِظ؟».

قال السير أدام بإصرار: «معركتان فقط لا تعنيان حربًا، ونحن ما زلنا بعيدون كلَّ البُعد عن الخسارة، وعن نفسي أرحِّبُ بفُرصة مُنازَلة صبيِّ ستارك وجهًا لوجه».

علَّق اللورد ليفورد: «من المحتمَل أن يُوافِقوا على إقامة هُدنة والسَّماح لنا بمُبادَلة أسرانا بأسراهم».

قال تيريون بلهجةٍ لاذعة: «ما لم يُبادِلوا ثلاثةً بواحد، فنحن ما زلنا الخاسرين في اتِّفاقٍ كهذا. ثم ما الذي سنعرض مبادَلته بأخي؟ رأس اللورد إدارد المتعفِّن؟».

أجابَ اللورد ليفورد بنبرة من لا يزال لديه أمل: «سمعتُ أن ابنتي اليَد في حوزة المَلكة سرسي. إذا أعَدنا للصَّبي أختيه...».

أطلقَ السير أدام صوتًا ينمُّ عن الازدراء وقال: «سيكون حمارًا كبيرًا حقًّا إذا وافقَ على مُبادَلة حياة چايمي لانستر بفتاتين».

قالَ اللورد ليفورد: «علينا إذن أن ندفع فديةً مقابل استعادة چايمي، أيًّا كان الثَّمن».

زفرَ تيريون وقال: «إذا كان آل ستارك في حاجةٍ إلى الذَّهب، فيُمكنهم أن يُذيبوا دِرع چايمي».

وقال السير أدام: «وإذا طلَبنا إقامة هُدنة، سيحسبوننا ضُعفاء. يجب أن نزحف لمُلاقاتهم في المعركة من فورنا».

قال السير هاريس: «مؤكَّد أننا نستطيع إقناع أصدقائنا في البلاط بتزويدنا بالمزيد من الجنود، ومن الممكن أن يعود أحدٌ إلى كاسترلي روك لحشد جيشٍ جديد».

نهضَ اللورد تايوين فجأةً، وبصوتٍ اخترقَ ثرثرتهم كما يقطع السكِّين الزُّبد قال: «ابني أسيرٌ لديهم!»، ثم أضافَ: «اتركوني جميعًا».

مُطيعًا كعادته نهضَ تيريون ليَخرُج مع البقيَّة، لكن أباه نظرَ إليه قائلًا: «ليس أنت يا تيريون، ابقَ. وأنت أيضًا يا كيڤان، وليَخرُج بقيَّتكم».

عادَ تيريون يجلس ببُطءٍ على الدِّكَّة وقد وجدَ نفسه عاجزًا عن الكلام، بينما عبرَ السير كيڤان القاعة إلى حيث براميل النَّبيذ، فقال له تيريون: «إذا سمحت يا عمِّي...».

- «هاك»، قال أبوه مادًّا له يده بكأسه التي لم يشرب منها.

الآن كان تيريون مأخوذًا تمامًا، فشربَ بصمت.

جلسَ اللورد تايوين وقال: «أنت على حق فيما قلته عن ستارك. لو كان اللورد إدارد حيًّا لكنا استعنَّا به لعقد مُعاهَدة سلامٍ مع وينترفل وريڤرَرَن، ما كان ليَكفُل لنا الوقت الكافي لنتعامَل مع أخَوي روبرت، لكن مع موته...»، وكوَّر قبضته مُردِفًا. «جنون، جنون مُطبِق».

قال تيريون: «چوف مجرَّد صبي، وأنا نفسي ارتكَبتُ بضع حماقاتٍ عندما كنتُ في عُمره».

رمقَه أبوه بنظرةٍ حادَّةٍ وقال: «أعتقدُ إذن أن علينا أن نَشعُر بالامتنان لأنه لم يتزوَّج من عاهرة».

رشفَ تيريون من نبيذه متسائلًا كيف سيبدو اللورد تايوين لو ألقى الكأس في وجهه.

تابعَ أبوه: «موقفنا أسوأ مما تحسب، إذ يبدو أن لدينا مَلكًا جديدًا».

بدا السير كيڤان كالمصعوق وهو يقول: «مَلك؟! من؟! ماذا فعلوا بچوفري؟!».

أبصرَ تيريون تعبيرًا يكاد لا يُرى من النُّفور على شفتي اللورد تايوين الرَّفيعتين وهو يُجيب: «لا شيء... بَعد. حفيدي ما زال يجلس على العَرش الحديدي، لكن الخَصِيَّ سمعَ همساتٍ من الجَنوب، تقول إن رنلي باراثيون قد تزوَّج من مارچري تايرل في هايجاردن منذ نحو أسبوعين، والآن يُطالِب بالعَرش. أبو العروس وإخوتها ركَعوا أمامه وأقسَموا له بسيوفهم».

- «أنباء مُزعِجة للغاية»، قال السير كيڤان وقد عقدَ حاجبيه بشدَّةٍ كوَّنت أخاديد عميقةً في جبهته.

- «ابنتي تأمرنا بالتوجُّه إلى كينجز لاندنج في الحال، للدِّفاع عن القلعة الحمراء ضد المَلك رنلي وفارس الزُّهور»، وزَمَّ شفتيه مضيفًا: «تأمرنا! باسم المَلك ومجلسه».

سألَ تيريون بنوعٍ أسودَ من الاستمتاع: «وكيف تلقَّى المَلك چوفري الخبر؟».

أجابَ اللورد تايوين: «سرسي ترى أنه من غير المُناسِب أن تُخبِره الآن، لأنها تخشى أن يُصِرَّ على قتال رنلي بنفسه».

قال تيريون: «بأيِّ جيشٍ بالضَّبط؟ آملُ أنك لا تنوي إعطاءه هذا الجيش!».

- «يتكلَّم عن قيادة حَرس المدينة».

قال السير كيڤان: «إذا أخذَ الحَرس، سيَترُك المدينة بلا أيِّ حماية، ومع وجود اللورد ستانيس في دراجونستون...».

- «نعم»، قال اللورد تايوين ناظرًا إلى ابنه من أعلى. «كنتُ أحسبُ أن كلَّ ما تَصلُح له هو أن تكون مهرِّجًا في البلاط المَلكي يا تيريون، لكن يبدو أني كنتُ مخطئًا».

- «كأني بك تمدحني يا أبي!»، قال تيريون ومالَ إلى الأمام سائلًا باهتمام: «وماذا عن ستانيس؟ إنه الأخ الأكبر وليس رنلي، فما رأيه في مُطالَبة أخيه بالعَرش؟».

قال أبوه عابسًا: «لقد شعرتُ من البداية أن ستانيس وحده يُشَكِّل خطرًا أكبر من الآخَرين كلهم مجتمعين، ومع ذلك أراه لا يفعل شيئًا. نعم، ڤارس يسمع الهمسات هنا وهناك: ستانيس يبني سُفنًا، ستانيس يستأجر مُرتَزِقةً، ستانيس أحضرَ مشعوذةً من آشاي، فما الذي يعنيه كلُّ هذا إذا كان صحيحًا أصلًا؟»، ثم هَزَّ كتفيه بضيقٍ وقال لأخيه: «كيڤان، هات الخريطة».

جاءَ السير كيڤان بالخريطة الجِلديَّة وبسطَها اللورد تايوين قائلًا: «چايمي تركَنا في مأزقٍ حقيقي. رووس بولتون وفلول جيشه يقبعون شَمالنا، وأعداؤنا يُسَيطِرون على "التَّوأمتين" وخندق كايلن، وروب ستارك وجيشه يقبعون غَربًا، لذلك لا نستطيع الانسحاب إلى لانسپورت أو "الصَّخرة" ما لم نختر خوض المعركة. چايمي أسير وجيشه لم يَعُدْ له وجود، وثوروس المايري وبريك دونداريون ما زالوا يُغيرون على خطوط الإمداد. إلى الشَّرق هناك آل آرن، وستانيس باراثيون يجلس في دراجونستون، وإلى الجَنوب هايجاردن وستورمز إند تستدعيان الرَّايات».

ابتسمَ تيريون ساخرًا وقال: «تشجَّع يا أبي، فعلى الأقل ما زال ريجار تارجاريَن ميتًا».

رَدَّ اللورد تايوين لانستر بصرامة: «آملُ أن لديك ما تُقَدِّمه لنا غير الدُّعابات يا تيريون».

تطلَّع السير كيڤان إلى الخريطة مُقَطِّبًا جبينه، وقال: «إدميور تَلي ولوردات الثَّالوث سينضمُّون إلى روب ستارك الآن، وقد تتعدَّى قوَّتهم المجتمعة قوَّتنا. ومع وجود رووس بولتون خلفنا... تايوين، أخشى أننا سنكون مُحاصَرين بين ثلاثة جيوشٍ إذا ظللنا هنا».

- «ليست لديَّ نيَّة للبقاء هنا. يجب أن نَفرُغ من اللورد ستارك الصَّغير قبل أن يبدأ رنلي باراثيون الزَّحف من هايجاردن. لا أشعرُ بالقلق من ناحية بولتون، فهو رجل حَذِر، وقد جعلناه أكثر حذرًا عند الفرع الأخضر، فلن يُسارِع بمُطارَدتنا. إذن، في الغد سنتَّجه إلى هارنهال. كيڤان، أريدُ أن يسبقنا كشَّافة السير أدام لتغطية حركتنا. أعطِه العدد الذي يَطلُبه من الرِّجال، واجعلهم يَخرُجون في مجموعاتٍ من أربعة. لا أريدُ أن يختفي المزيد من الكشَّافة».

- «كما تقول يا سيِّدي، لكن... لماذا هارنهال؟ إنها مكان كئيب منحوس، والبعض يقول إنه ملعون».

- «دَعهم يقولون ما يقولون. أطلِق السير جريجور واجعله يسبقنا مع مُغيريه، وكذلك ڤارجو هوت مع مُحارِبيه غير النِّظاميِّين، والسير آموري لورك. أعطِ كلًّا منهم ثلاثمئة من الخيَّالة، وقُل لهم إني أريدُ أن أرى أراضي النَّهر مشتعلةً من عين الآلهة وحتى الفرع الأحمر».

قال السير كيڤان ناهضًا: «سوف تشتعل يا سيِّدي. سأعطي الأوامر الآن»، وانحنى وانصرفَ.

عندما صارا وحدهما رمقَ اللورد تايوين تيريون قائلًا: «سيروق لرجالك الهمجيِّين أن يستمتعوا ببعض السَّلب والنَّهب. قُل لهم إنهم يستطيعون الخروج مع ڤارجو هوت ليأخذوا كلَّ ما يروق لهم من غنائم؛ بضائع وماشية ونساء... يُمكنهم أن يأخذوا ما يُريدون ويُحرِقوا الباقي».

- «أن تقول لأمثال شاجا وتيميت كيف يسلبون وينهبون يُشبِه أن تقول لديكٍ كيف يصيح، لكني أحبِّذُ أن يبقوا معي». على الرغم من غلظتهم وجموحهم، فالهمجيُّون رجاله هو، وهو يثق بهم أكثر من أيٍّ من رجال أبيه، ومن المستحيل أن يتخلَّى عنهم.

- «إذن من الأفضل أن تُحكِم سيطرتك عليهم، فلستُ أريدُ أن تُنهَب المدينة».

حائرًا قال تيريون: «المدينة؟ أيُّ مدينة؟».

- «كينجز لاندنج. سأرسلك إلى البلاط».

كان هذا آخِر شيءٍ توقَّعه تيريون لانستر على الإطلاق. مَدَّ يده إلى كأس النَّبيذ وأطرقَ مُفَكِّرًا للحظةٍ وهو يرشف، ثم قال: «وماذا سأفعلُ هناك؟».

أجابَ أبوه بحسم: «تَحكُم».

أطلقَ تيريون ضحكةً مدويةً وقال: «أخشى أن أختي العزيزة سيكون لها رأيٌ آخَر».

- «دَعها تقول ما تقول. من الضروري أن يُكبَح جماح ابنها قبل أن يُدَمِّرنا جميعًا. إنني ألومُ هؤلاء القرود في المجلس... صديقنا بيتر والمِايستر الأكبر الموقَّر والأعجوبة عديم القضيب ڤارس. أيُّ نصائحٍ يُقَدِّمونها لچوفري بالضَّبط وهو يثب من حماقةٍ إلى أخرى؟ فكرة مَن كانت أن يُرفَع چانوس سلينت إلى مرتبة لورد؟ أبوه كان جزَّارًا ويمنحونه هارنهال، هارنهال التي كانت مجلس الملوك! طبعًا هو لن يطأها بقدمه أبدًا طالما أنا موجود. يقولون لي إنه اتَّخذ من الرُّمح الدَّامي رمزًا له، وإن كنتُ لأختار ساطورًا داميًا عن نفسي». لم يرفع أبوه صوته وهو يتكلَّم، إلَّا أن تيريون كان يلمح الغضب في ذهب عينيه بوضوح. «وصرف سلمي من الخدمة، ما الحكمة في ذلك؟ نعم، الرَّجل مُسِنٌّ لكن اسم باريستان الباسل لا يزال يحمل كلَّ الاحترام في البلاد، وكلُّ من خدمَهم اكتسَبوا

منه الشَّرف. هل يستطيع أيُّ أحدٍ أن يقول المِثل عن كلب الصَّيد؟ يُمكنك أن تُطعِم كلبك العظام تحت المائدة، لكن لا تُجلِسه إلى جوارك على المنصَّة العالية!»، وأشارَ بإصبعه إلى تيريون واستطردَ: «إذا كانت سرسي لا تستطيع السَّيطرة على الصَّبي، فلا بُدَّ أن تفعل أنت. وإذا كان هؤلاء المستشارون يتحايلون علينا...».

كان تيريون يعرف ما سيقوله أبوه، فردَّده متنهِّدًا: «الخوازيق، الرُّؤوس، الأسوار!».

- «أرى أنك تعلَّمت بضعة دروسٍ مني».

قال تيريون بهدوء: «أكثر مما تحسب يا أبي»، وأفرغَ ما تبقَّى من كأسه في فمه ثم نحَّاها جانبًا وأطرقَ يُفَكِّر ثانيةً. جزء منه كان مسرورًا بالفعل حتى إذا كان يَرفُض الاعتراف بهذا، وجزء آخَر كان يتذكَّر المعركة عند النَّهر ويتساءَل إن كان أبوه يُرسِله للدِّفاع عن الميسرة من جديد. «لماذا أنا؟»، سألَ مائلًا برأسه إلى الجانب. «لماذا ليس عمِّي؟ لماذا ليس السير أدام أو السير فليمنت أو اللورد سيريت؟ لماذا ليس... رجلًا أكبر؟».

نهضَ اللورد تايوين فجأةً قائلًا: «أنت ابني».

كان هذا عندما عرفَ تيريون الإجابة. *إنك تتصوَّر أنه ضاعَ تمامًا. أيها الوغد الحقير، إنك تعتقد أن چايمي في عداد الموتى وأنا كلُّ ما تبقَّى لك.*

أرادَ تيريون أن يصفعه، أن يَبصُق في وجهه، أن يسحب خنجره ويَشُقَّ صدره ليُخرِج قلبه ويرى إن كان مصنوعًا من الذَّهب الخالص بالفعل كما يقول العامَّة، لكنه جلسَ في مكانه صامتًا ثابتًا، بينما سحقَ أبوه شظايا الكأس المكسورة بقدميه وهو يقطع القاعة، ثم توقَّف عند الباب وقال: «شيء أخير: لن تأخذ العاهرة معك إلى البلاط».

جلسَ تيريون بمفرده في القاعة العامَّة لفترةٍ طويلةٍ بعدما ذهبَ أبوه، وأخيرًا نهضَ وصعدَ السَّلالم إلى غُرفته المريحة تحت بُرج الجرس. كان

سقفها واطئًا، لكن بالنِّسبة لقزمٍ لم تكن هذه مشكلةً، ومن النَّافذة كان يرى المشنقة التي نصبَها أبوه في السَّاحة، حيث دارَت جثَّة صاحِبة الخان ببُطءٍ على حبلها كلما هبَّت الرِّيح، وقد صارَ لحمها هزيلًا ضامرًا كآمال آل لانستر.

همهمَت شِاي بصوتٍ وسْنان وانقلبَت على جانبها نحوه عندما جلسَ على حافَّة الحشيَّة المبطَّنة بالرِّيش، فدَسَّ يده تحت الغطاء وكوَّرها حول نهدها اللَّدْن، ففتحَت عينيها وابتسمَت قائلةً بابتسامةٍ ناعسة: «سيِّدي».

قبَّلها عندما شعرَ بحلمتها تتصلَّب تحت يده، وهمسَ لها: «أفكِّرُ في أن آخذكِ معي إلى كينجز لاندنج يا حُلوتي».

چون

أطلقَت الفَرس صهيلًا خفيضًا وچون سنو يُوثق حزام السَّرج، فربَّت عليها بلمسةٍ حانيةٍ قائلًا: «اهدئي يا جميلتي». كانت الرِّيح تموج في جنبات الاسطبل مُصدِرةً أصواتًا كالهمس، وشعرَ بها كأنفاسٍ باردةٍ قاسيةٍ على وجهه لكنه لم يُبالِ، وربطَ حزمته بالسَّرج شاعرًا بالتصلُّب والألم في أصابعه المشوَّهة، ثم بهدوءٍ نادى: «جوست، إليَّ»، وجاءَ الذِّئب إليه وعيناه تتَّقدان كالجَمر.

- «چون، أرجوك، لا ينبغي أن تفعل هذا».

امتطى الفَرس والعِنان في يده ودارَ بها مُواجِهًا اللَّيل، بينما وقفَ ساموبل تارلي عند باب الاسطبل والقَمر المكتمل يلوح من فوق كتفيه، فألقى ظِلًّا أسودَ طويلًا أمامه كأنه عملاق. «ابتعد عن طريقي يا سام».

- «چون، لا يُمكنك أن تفعل هذا، لن أسمح لك».

- «لا أريدُ أن أؤذيك يا سام، لكنني سأدوسك إذا لم تبتعد عن طريقي».

- «لا، لن تفعل. يجب أن تسمعني، أرجوك لا...».

وكزَ چون الفَرس قبل أن يستطيع سام أن يقول المزيد فاندفعَت نحو الباب، وللحظةٍ ثبتَ سام في مكانه ووجهه شاحب مستدير كالقَمر من ورائه وقد فغرَ فاه عن آخِره ذهولًا، وفي اللَّحظة الأخيرة، عندما صارَ الاثنان على بُعد خطواتٍ معدودةٍ منه، قفزَ سام جانبًا كما كان چون يعرف أنه سيفعل، وتعثَّر وسقطَ، ووثبَت الفَرس من فوقه إلى براح اللَّيل.

رفعَ چون قلنسوة معطفه الثَّقيل على رأسه جاعلًا الفَرس تعدو بأقصى سرعتها. كانت القلعة السَّوداء صامتةً ساكنةً وهو يندفع مُغادِرًا وجوست ينطلق إلى جواره، وكان يعرف أن الرِّجال يقفون حراسةً منتبهين على "الجِدار" من ورائه، وإن كانت عيونهم تُراقِب الشَّمال لا الجَنوب، فلا أحد سيراه يُغادِر إذن، لا أحد باستثناء سام تارلي الذي ينهض بصعوبةٍ من وسط تُراب الاسطبلات القديمة. تمنَّى أن سام لم يتأذَّ من سقطته، فالولد شديد البدانة والخرق بالفعل، ولن يُدهِشه لو أن كسرَ معصمه أو لوى كاحله وهو يقفز بعيدًا عن طريقه. قال چون بصوتٍ عالٍ: «لقد حذَّرته، ثم إن الأمر لا علاقة له به على كلِّ حال». ثنى يده المحروقة وفتحَ أصابعه المشوَّهة وأغلقَها، وكانت لا تزال تُؤلمه، لكنه شعرَ بالارتياح لأنه فَكَّ الضمادات أخيرًا.

صبغَ نورَ القَمر التِّلال باللَّون الفضِّي وهو ينطلق على طريق الملوك الأشبه بالشَّريط المتعرِّج في هذه الأنحاء. ينبغي أن يبتعد لأقصى مسافةٍ ممكنةٍ عن "الجِدار" قبل أن يتبيَّنوا غيابه، وفي الغد سيَترُك الطَّريق ويَشُقُّ الأراضي المجاورة عبر الحقول والأدغال والجداول ليُضَلِّل مُطارِديه، لكن في الوقت الحالي السُّرعة أهمُّ من التَّضليل، فهو يعرف أن تخمين وجهته لن يكون صعبًا عليهم.

الدُّب العجوز معتاد على الاستيقاظ مع انتشار خيوط الضَّوء الأولى في السَّماء، ما يعني أن چون لديه من الوقت حتى الفَجر فقط ليضع أكبر عددٍ ممكنٍ من الفراسخ بينه وبين "الجِدار"... هذا إن لم يَخُنه سام تارلي، فالولد البدين مطيع ويخاف بسهولةٍ بالغة، لكنه يُحِبُّ چون كأخٍ له، وإذا سألوه فلا شَكَّ أن سام سيُخبِرهم بالحقيقة، وإن لم يستطِع چون أن يتخيَّله يتحدَّى الحارسين الواقفين أمام بُرج المَلك كي يُوقظ مورمونت من نومه.

عندما لا يظهر چون ليجلب إفطار الدُّب العجوز من المطبخ،

سيبحثون عنه في حُجيرته أولًا ويجدون "المخلب الطَّويل" على سريره. كان التخلِّي عن هذا السَّيف صعبًا عليه، لكن چون لم يكن عديم الشَّرف لدرجة أن يأخذه معه، فحتى چورا مورمونت نفسه لم يفعل ذلك عندما فَرَّ مكلَّلًا بالعار، ولا ريب أن اللورد مورمونت سيجد من يستحقُّه أكثر منه. شعرَ بالحُزن عندما فكَّر في العجوز، ففراره هذا سيكون بمثابة وَضْعِ الملح على جرح عار ابنه الذي لم يندمل بَعد، وچون يعرف أنه لا يَجدُر به أن يَرُدَّ ثقة الرَّجل به بهذه الطَّريقة الدَّنيئة، لكن لا مناص.

مهما فعلَ، كان لا يزال يَشعُر بأنه يخون أحدًا أو آخَر.

حتى الآن كان لا يزال لا يدري إن كان تصرُّفه شريفًا. الأمر أهون كثيرًا لدى الجَنوبيِّين، فلديهم سِپتوناتهم الذين يتحدَّثون إليهم فيُجيبونهم بمشيئة الآلهة ويُساعِدونهم على التَّفرقة بين الحَقِّ والباطل، بينما يَعبُد آل ستارك الآلهة القديمة، الآلهة التي بلا أسماء، وإذا كانت أشجار القلوب تسمع فهي لا تُجيب أبدًا.

أبطأ چون سرعة فَرسه عندما غابَت أضواء القلعة السَّوداء من ورائه، فأمامه رحلة طويلة وحصان واحد يركبه. ثمَّة معاقل وقرى للمُزارِعين على الطَّريق جَنوبًا حيث قد يتمكَّن من مُبادَلة الفَرس بحصانٍ جديدٍ عندما يحتاج واحدًا، لكن هذا لن يَحدُث إذا كانت الفَرس جريحةً أو مصابةً بالإعياء الشَّديد.

سيحتاج إلى العثور على ثيابٍ جديدةٍ عمَّا قريب، وغالبًا سيضطرُّ لأن يسرقها. كان متَّشحًا بالأسود من قمَّة رأسه حتى أخمص قدميه، يرتدي حذاء ركوبٍ جِلديًّا طويل العُنق، وسروالًا وسُترةً من الصُّوف الخشن، وصُدرةً جِلديَّةً طويلةً بلا كُمَّين، بالإضافة إلى معطفه الصُّوفي الثَّقيل، بينما دَسَّ سيفه الطَّويل وخنجره في غِمدين من جِلد الخُلد الأسود، ووضعَ في جراب السَّرج قميصًا بقلنسوةٍ من الحلقات المعدنيَّة السَّوداء. أيُّ قطعةٍ من هذا قد تعني الموت إذا أمسكَ به أحدهم، فالغريب الذي

يرتدي الأسود دائمًا ما يُواجَه بالنَّظرات المستريبة في أيِّ قريةٍ أو معقلٍ شَمال "العُنق"، وقريبًا ما سيكون كلُّ من في طريقه متأهِّبين له. يعرف چون أنه لن يجد ملاذًا آمنًا بمجرَّد أن تُحَلِّق غِدفان المِايستر إيمون، ولا حتى في وينترفل نفسها. قد يرغب بران في السَّماح له بالدُّخول، إلَّا أن المِايستر إيمون يملك حصافةً أكثر من هذا، وسيوصد البوَّابات في وجهه ويصرفه (كما ينبغي أن يفعل)، فمن الأفضل إذن ألَّا يذهب إلى هناك على الإطلاق.

غير أنه رأى القلعة بمنتهى الوضوح بعين الخيال كأنه تركَها بالأمس فقط، الأسوار الجرانيتيَّة الشَّاهقة، القاعة الكُبرى بما فيها من روائح الدُّخَّان والكلاب واللَّحوم المشويَّة، غُرفة أبيه، غُرفة البُرج التي كان ينام فيها. جزءٌ منه كان لا يرغب في شيءٍ أكثر من سماع بران يضحك ثانيةً، أن يتناوَل فطائر اللَّحم البقري واللَّحم المقدَّد التي يخبزها جايچ الطَّاهي، أن يسمع العجوز نان تروي حكاياتها عن أطفال الغابة وفلوريان المهرِّج. لكنه لم يَترُك "الجِدار" لهذا السَّبب، بل تركَه لأنه -في النِّهاية ورغم كلِّ شيء- ابن أبيه وأخو روب، السَّيف الهديَّة -حتى إذا كان سيفًا رائعًا مِثل "المخلب الطَّويل"- لا يجعله واحدًا من آل مورمونت، ولا يجعله إيمون تارجاريَن كذلك. ثلاث مرَّاتٍ دُفِعَ العجوز إلى الاختيار، وفي المرَّات الثَّلاث اختارَ الشَّرف، لكن هذا شأنه هو. حتى الآن لا يستطيع چون أن يُحَدِّد إن كان العجوز قد بقيَ لأنه ضعيف وجبان أم لأنه قويٌّ مُخلِص، وإن أدركَ ما قصدَه المِايستر عن ألم الاختيار، أدركَه جيِّدًا جدًّا ولأقصى مدى.

لقد ادَّعى تيريون لانستر أن معظم النَّاس يُؤثِرون إنكار الحقيقة القاسية على مُواجَهتها، لكن الآن لم يَعُدْ هناك مجال للإنكار لدى چون. إنه يعرف من يكون: چون سنو، النَّغل ناقض العهد، عديم الأُم، عديم الأصدقاء، الملعون، وطوال ما تبقَّى من حياته -أيًّا كانت المدَّة التي

سيستغرقها هذا- سيظلُّ محكومًا عليه بأن يكون دخيلًا غريبًا، الرَّجل الصَّامت المتواري بين الظِّلال ولا يجرؤ على أن ينطق اسمه الحقيقي. أينما ذهبَ إلى أيِّ مكانٍ في أرجاء المَمالك السَّبع كلها، سيبقى عائشًا أكذوبةً رغم أنفه خشية أن يجد نفسه مُحاطًا بالرَّاغبين في أذيَّته. لكن هذا لا يهمُّ حقًّا طالما عاشَ بما يكفي أن يتَّخذ مكانه إلى جوار أخيه وينتقم لأبيه.

تذكَّر روب كما رآه آخِر مرَّة، يقف في السَّاحة والثَّلج يذوب بين خُصلات شَعره الكستنائي. سيضطرُّ چون للذِّهاب إليه متخفِّيًا. حاولَ أن يتخيَّل النَّظرة على وجه أخيه عندما يُفصِح له عن هويَّته. سوف يهزُّ روب رأسه ويبتسم ويقول... يقول...

لم يستطِع أن يتخيَّل الابتسامة مهما حاولَ، ووجدَ نفسه يُفَكِّر في المتهرِّب الذي أعدمَه أبوه يوم عثَروا على الذِّئاب الرَّهيبة. «لقد ردَّدت الكلمات»، قال اللورد إدارد للرَّجل يومها. «حلفت اليمين أمام إخوتك وأمام الآلهة القديمة والجديدة»، ثم جَرَّ دزموند وتوم السَّمين الرَّجل إلى جذع شجرة الصُّلب. كانت عينا بران متَّسعتين عن آخِرهما، وذكَّره چون بأن يُبقي حصانه القزم تحت السَّيطرة. تذكَّر النَّظرة على وجه أبيه عندما ناوَله ثيون جرايچوي سيفه "جَليد" وتناثُر الدَّم على الثَّلج، وكيف ركلَ ثيون الرَّأس المقطوع عندما تدحرجَ عند قدميه.

تساءلَ عمَّا كان اللورد إدارد ليفعله لو كان المتهرِّب هو أخاه بنچن وليس ذلك الغريب الأشعث. هل كان الأمر ليختلف بأيِّ شكل؟ لا بُدَّ أنه كان سيختلف، بالتَّأكيد، بالتَّأكيد... وقطعًا سيُرَحِّب روب به، يجب أن يُرَحِّب به، وإلَّا... لم يحتمل التَّفكير فيما قد يَحدُث، وشعرَ بألم عميقٍ في أصابعه وهو يقبض على عِنان الفَرس. وكزَها لتنطلق مُسرِعةً من جديدٍ على طريق الملوك، كأنه يسعى لأن يسبق الشُّكوك التي أفعمَت نفسه. إنه ليس خائفًا من الموت، لكنه لا يُريد أن يموت هكذا، مقيَّدًا مقطوع الرَّأس

كمجرَّد لِص. إذا كان موته محتومًا، فليَمُت وسيفه في يده وهو يُقاتِل قتَلة أبيه. إنه ليس من آل ستارك حقًّا ولم يكن كذلك يومًا... لكن يُمكنه أن يموت كواحدٍ منهم، وليقولوا بَعدها إن إدارد ستارك أنجبَ أربعة أولادٍ وليس ثلاثةً فقط.

جارى جوست انطلاقة صاحبه لمسافة نِصف ميلٍ تقريبًا ولسانه الأحمر يتدلَّى من فمه، وخفضَ الرَّجل والفَرس رأسيهما على حَدٍّ سواء وهو يَطلُب منها أن تنطلق بسرعةٍ أكبر، بينما أبطأ الذِّئب الرَّهيب سرعته ثم توقَّف يتطلَّع حوله بعينين تتوهَّجان بالأحمر في نور القَمر، قبل أن يختفي عن الأنظار، لكن چون كان يعرف أنه سيتبعه بالسُّرعة التي تُناسِبه.

ومضَت أضواء متناثرة هنا وهناك من بين الأشجار أمامه على جانبي الطَّريق، فأدركَ أنها بلدة المَناجذ. نبحَ كلب أثناء مروره، وسمعَ نهيقًا مبحوحًا لبغلٍ قادمًا من الاسطبل، لكن فيما عدا هذا كانت القرية ساكنةً تمامًا. هنا وهناك كان وهج نارٍ مشتعلةٍ في مُستوقَد ما يسطع من وراء النَّوافذ التي أُسدِلَت عليها السَّتائر ويتسرَّب من بين ألواح الخشب، لكن العدد كان قليلًا.

كانت بلدة المَناجذ أكبر مما تبدو، وإن كان ثلاثة أرباعها يقع تحت الأرض في أقبيةٍ عميقةٍ دافئةٍ تَربُطها متاهة من الأنفاق. حتى بيت الدَّعارة كان يقع تحت الأرض، ولا شيء منه على السَّطح غير كشكٍ خشبيٍّ لا يزيد حجمه على حجم دورة المياه، وقد عُلِّقَ فانوس أحمرَ على بابه. على "الجِدار" كان يسمع الرِّجال يقولون إن العاهرات هناك "كنوز دفينة"، وتساءلَ إن كان أحد إخوته في الأسود موجودًا هنا اللَّيلة. هذا أيضًا حنث باليمين، لكن أحدًا لا يُبالي على ما يبدو.

انتظرَ چون حتى تجاوزَ القرية بمسافةٍ لا بأس بها ليُبطئ حركة الفَرس مجدَّدًا، وحينها كان الاثنان يتصبَّبان عَرقًا بالفعل. ترجَّل مرتجفًا ويده المحروقة تُؤلمه، واتَّجه إلى كومةٍ من الثُّلوج الذَّائبة تحت الأشجار

جعلَها نور القَمر تلتمع والماء يتقاطَر منها ليُكَوِّن بِركًا صغيرةً ضحلةً. جلسَ جون القرفصاء وضَمَّ يديه معًا ليَسقُط الماء شديد البرودة فيهما، وشربَ ورَشَّ وجهه إلى أن شعرَ بالوخز في وجنتيه. كانت أصابعه تنبض ألمًا أكثر مما فعلَت منذ أيام، وشعرَ برأسه يَدُقُّ أيضًا. *إنني أفعلُ الشَّيء الصَّحيح، فلِمَ ي ؟؟؟؟ صاحِبني هذا الشُّعور السَّيِّئ؟*

كانت الفَرس لا تزال تتصبَّب عرقًا، فأمسكَ جون عِنانها وسارَ بها لفترة. الطَّريق هنا يكاد لا يتَّسع لراكبَيْن أن يَمُرَّا جنبًا إلى جنب، وقد شَقَّت سطحه جداول صغيرة للغاية وتناثرَت فيه الحجارة، ما يجعلِ الانطلاق هنا غباءً مُطبِقًا ودعوةً لأن يكسر عُنقه؛ وتساءلَ جون عمَّا حَلَّ به... أهو متعجِّل على الموت لهذه الدَّرجة؟

من مكانٍ بعيدٍ بين الأشجار جعلَته صرخة خائفة من حيوانٍ ما يرفع رأسه، وأطلقَت فَرسه صهيلًا متوتِّرًا. هل وجدَ ذِئبه فريسةً؟ ضَمَّ يديه حول فمه ونادى: «جوست! جوست، إليَّ!»، لكن الإجابة الوحيدة التي جاءته كانت خفقان جناحي بومةٍ حلَّقت من ورائه.

عابسًا واصلَ جون طريقه وقادَ الفَرس مشيًا لنِصف ساعةٍ حتى جفَّت ولم يظهر جوست بَعد. أرادَ أن يمتطي الفرس وينطلق بها ثانيةً، لكنه كان قلقًا على ذِئبه الغائب، ومرَّةً أخرى رفعَ صوته بالنِّداء: «جوست! أين أنت؟ جوست، إليَّ!». لا شيء في هذه الغابة يُمكنه أن يُخيف ذِئبًا رهيبًا حتى ولو كان نموُّه لم يكتمل بَعد، ما لم... كلا، جوست أذكى من أن يُهاجِم دُبًّا، وإذا كان هناك قطيع ذئابٍ في أيِّ بُقعةٍ قريبةٍ من هنا لكان جون قد سمعَ العُواء بكلِّ تأكيد.

قرَّر أنه يجب أن يأكل، بما أن الطَّعام قد يُهَدِّئ معدته ويُعطي جوست وقتًا ليرجع. ليس هناك خطر عليه بَعد، فالقلعة السَّوداء لا تزال نائمةً. في جراب السَّرج وجدَ قطعةً من البسكويت وقطعةً من الجُبن وتُفَّاحةً صغيرةً بُنِّيَّةً شِبه ذابلة، وكان قد أحضرَ بعض اللَّحم المملَّح معه أيضًا وشريحةً

من اللَّحم المقدَّد سرقَها من المطبخ، لكنه سيدَّخر اللَّحم حتى الغد، وبَعد أن ينتهي اللَّحم سيضطرُّ لصيد طعامه، ما سيُبطئ سرعته.

هكذا جلسَ چون تحت الأشجار يأكل البسكويت والجُبن بينما رعَت فَرسه على جانب طريق الملوك، وأبقى التُّفَّاحة حتى النِّهاية. كانت قد ذبلَت نوعًا لكن اللُّبَّ كان لا يزال لاذعًا كثير العُصارة. كان قد بلغَ البذور عندما سمعَ الأصوات: خيولًا، وقادمةً من الشَّمال. سارعَ ينهض واتَّجه نحو فَرسه. هل من الممكن أن يسبقهم؟ كلا، إنهم قريبون للغاية وسيسمعونه بلا شَك، وإذا كانوا قادمين من القلعة السَّوداء...

قادَ الفَرس بعيدًا عن الطَّريق وراء مجموعةٍ كثيفةٍ من أشجار الحارس ذات اللَّونين الأخضر والرَّمادي، وقال للفَرس بصوتٍ هامس وهو ينخفض بجسده ليَنظُر من بين الفروع: «صمتًا». إذا كانت الآلهة سميحةً، سيَمُرُّ الرَّاكبون به لا أكثر، وغالبًا سيكونون مجرَّد أفرادٍ من بلدة المَناجذ، مُزارِعين في طريقهم إلى حقولهم، وإن كان من غير الوارد أن يَخرُج هؤلاء في جوف اللَّيل إلى...

أصغى إلى صوت الحوافر الذي يتصاعَد بثباتٍ والرَّاكبون ينطلقون بسرعةٍ على طريق الملوك، ومن الصَّوت أدركَ أن هناك خمسةً أو ستَّةً منهم على الأقل، وتناهَت أصواتهم إلى مسامعه من بين الأشجار.

«... واثقون من أنه قطعَ هذا الطَّريق؟».

- «لا يُمكننا أن نثق بهذا».

- «على حَدِّ علمنا ربما يكون قد اتَّجه شَرقًا، أو تركَ الطَّريق ليَعبُر الغابة. هذا ما كنتُ لأفعله عن نفسي».

- «في الظَّلام؟ هذا غباء! إذا لم تَسقُط من على حصانك وتكسر عُنقك، ستضلُّ الطَّريق وتجد نفسك عند "الجِدار" مرَّةً أخرى مع شروق الشَّمس».

رَدَّ جرِن مغتاظًا: «لن يَحدُث هذا. سوف أتَّجه جَنوبًا فقط، ويُمكنني تمييز الجَنوب عن طريق النُّجوم».

سأله پيپ: «وماذا لو كانت السَّماء ملبَّدةً بالغيوم؟».

- «لن أذهب إذن».

تدخَّل صوت آخَر في الحوار قائلًا: «هل تعرفون إلى أين كنتُ لأذهب لو كنتُ مكانه؟ إلى بلدة المَناجذ بحثًا عن الكنوز الدَّفينة»، وتردَّدت ضحكة تودر المدوية بين الأشجار، وأطلقَت فَرس چون صهيلًا.

- «اصمتوا جميعًا»، قال هالدر. «أظنُّ أني سمعتُ شيئًا».

توقَّفت الخيول وقال جرِن: «أين؟ لم أسمع شيئًا».

- «أنت لا تستطيع أن تسمع صوت ضراطك نفسه!».

- «بل أستطيع!».

- «صمتًا!».

لاذوا جميعًا بالصَّمت وأصغوا، ووجدَ چون نفسه يكتم أنفاسه قائلًا لنفسه: *سام!* لم يذهب الولد البدين إلى الدُّب العجوز، لكنه لم يذهب إلى فِراشه كذلك، بل أيقظَ بقيَّة الصِّبية. إذا أتى الفَجر ولم يكن كلٌّ منهم في سريره، سيعتبرونهم متهرِّبين بدورهم. ماذا يحسبون أنفسهم فاعلين؟

امتدَّ الصَّمت التَّام لفترةٍ طويلة، ومن حيث جثَمَ چون كان يستطيع أن يرى قوائم الخيول من بين الغصون، وأخيرًا تكلَّم پيپ قائلًا: «ماذا سمعت؟».

قال هالدر: «لا أدري. سمعتُ صوتًا وخطرَ لي أنه صهيل حصان، لكن...».

- «لا يوجد شيء هنا».

من رُكن عينه لمحَ چون شبحًا أبيضَ يتحرَّك بين الأشجار، وحفَّت الأوراق ووثبَ جوست منبثقًا من بين الظِّلال بشكلٍ مباغتٍ حتى أن الفَرس أطلقَت صهيلًا مرتفعًا، وصاحَ هالدر: «هناك!».

- «أنا أيضًا سمعته!».

- «خائن»، قال چون للذِّئب الرَّهيب وهو يثب إلى متن الفَرس، ثم أدارَ وجهها لينسلَّ من بين الأشجار، لكنه وجدَهم وراءه مباشَرةً قبل أن يقطع عشرة أقدامٍ حتى.

صاحَ پيپ باسمه، بينما قال جرِن: «توقَّف، لا يُمكنك أن تسبقنا كلنا».

دارَ چون ليُواجِههم مستلًّا سيفه، وقال: «عودوا. لا أرغبُ في أن أؤذيكم، لكني سأفعلُ إذا أجبَرتموني».

- «واحد ضد سبعة؟»، وأشارَ هالدر بيده فانتشرَ الصِّبية ليُحيطوا به.

- «ماذا تُريدون مني؟».

قال پيپ: «نُريد أن نُعيدكَ إلى حيث تنتمي».

- «مكاني مع أخي».

قال جرِن: «نحن إخوتك الآن».

- «أنت تعرف أنهم سيقطَعون رأسك إذا أمسَكوا بك»، قال تودر بضحكةٍ عصبيَّة. «هذه حماقة جديرة بأن يرتكبها الثَّور».

- «مستحيل أن أفعل هذا»، قال جرِن معترضًا. «أنا لستُ حانثًا باليمين. لقد ردَّدتُ الكلمات وكنتُ أعنيها».

قال چون: «وأنا كذلك. ألا تفهمون؟ لقد قتَلوا أبي! الحرب مشتعلة، وأخي روب يُقاتِل في أراضي النَّهر».

رَدَّ پيپ بلهجةٍ جادَّة: «نعرف هذا، سام أخبرَنا بكلِّ شيء».

وقال جرِن: «نحن آسفون لما حدثَ لأبيك، لكن هذا لا يُغيِّر شيئًا. بمجرَّد أن تُرَدِّد الكلمات لا يُمكنك أن تُغادِر مهما حدثَ».

بحرارةٍ قال چون: «لا بُدَّ أن أذهب».

- «لقد ردَّدت الكلمات»، قال پيپ. «*الآن تبدأ حراستي، ولن تنتهي حتى مماتي*».

- «*سأعيشُ في موقعي وأموتُ فيه*»، أضافَ جرِن مومئًا برأسه.

قال غاضبًا: «ليس من الضَّروري أن تُذَكِّروني. بالكلمات، إنني أحفظها مِثلكم تمامًا». لماذا لا يَترُكونه يرحل في سلام؟ إنهم يُصَعِّبون الأمر كثيرًا.

- «*أنا السَّيف في الظُّلمات*»، ردَّد هالدر.

- «*أنا الحارس على الأسوار*»، أكملَ پيپ.

شتمَهم چون في وجوههم، لكنهم لم يُلاحِظوا، ودنا پيپ بحصانه منه مُرَدِّدًا: «*أنا النَّار التي تحترق لتَطرُد البَرد، الضَّوء الذي يأتي بالفَجر، النَّفير الذي يوقظ النِّيام، الدِّرع التي تقي بلدان البَشر*».

قال چون مُلَوِّحًا بسيفه: «لا تقترب يا پيپ، إنني أعني ما أقولُ». لم يكونوا يرتدون دروعهم حقًّا، ويُمكنه أن يُمَزِّقهم إربًا إذا اضطرَّ.

كان ماثار قد دارَ حوله ليقف وراءه، وانضمَّ إلى إخوته وردَّد: «*الحَرس اللَّيل أتعهَّدُ بحياتي وشَرفي*».

وكزَ چون الفَرس دائرًا بها في دائرة ليجِدهم يُحيطون به من كلِّ الجهات ويُطبِقون عليه.

- «*بدايةً من اللَّيلة*»، قال هالدر وهو يدنو من اليسار.

- «*... وطوال جميع اللَّيالي القادمة*»، أنهى پيپ مادًّا يده إلى عِنان چون. «لديك خياران إذن: إمَّا أن تَقتُلني أو تعود معي».

رفعَ چون سيفه... ثم خفضَه عاجزًا وقال: «سُحقًا لكم، سُحقًا لكم جميعًا».

سأله هالدر: «هل علينا أن نُقَيِّد يديك أم ستُعطينا كلمتك بأنك ستعود معنا بسلام؟».

- «لن أهرب منكم إن كان هذا ما تعنيه». تحرَّك جوست من تحت الأشجار فرمقَه چون قائلًا: «شُكرًا على مُساعَدتك!»، فرمقَته العينان الحمراوان بنظرة العليم.

قال پيپ: «من الأفضل أن نُسرِع. إذا لم نَعُدْ قبل الفَجر، سيقطع الدُّب العجوز رؤوسنا جميعًا».

لم يتذكَّر چون الكثير من رحلة العودة التي بدَت أقصر بشكلٍ ما من الرِّحلة جَنوبًا، ربما لأن عقله كان شاردًا. حدَّد پيپ سرعة حركتهم، من الانطلاق إلى المشي إلى الخَبَب ثم الانطلاق من جديد. جاءَت بلدة المَناجذ وذهبَت وقد انطفأ الفانوس الأحمر على باب الماخور منذ فترةٍ طويلة. لم يستغرقوا وقتًا طويلًا في العودة، وكانت ساعة كاملة تفصل بينهم وبينَ الفَجر عندما لمحَ چون أبراجَ القلعة السَّوداء أمامهم وقد اكتنفَها الظَّلام و"الجِدار" الشَّاحب يرتفع شاهقًا من ورائها.

لم يَشعُر هذه المرَّة بأنه عائد إلى داره.

قال چون لنفسه إنهم يستطيعون إعادته، لكنهم لا يقدرون على إجباره على البقاء. الحرب لن تنتهي غدًا أو بَعد غد، ورفاقه لا يستطيعون مُراقَبته طوال اللَّيل والنَّهار. سوف ينتظر ويتحيَّن الفُرصة، يجعلهم يَظُنُّون أنه قنعَ بالبقاء هنا... ثم، عندما يسترخون ويُهمِلونه، سيُغادِر ثانيةً، وهذه المرَّة سيتلافى طريق الملوك. قد يتبع "الجِدار" شَرقًا، وربما إلى آخِره حتى البَحر، وهو الطَّريق الأطول لكنه في الوقت ذاته الأكثر أمنًا. أو قد يتَّجه غَربًا إلى الجبال ثم جَنوبًا سالكًا الدُّروب المرتفعة كما يفعل الهَمج، وهو الطَّريق الأصعب والأكثر امتلاءً بالمَخاطر، لكن على الأقل لن يُطارِده أحد هناك. سيعمل على أن تفصل مئة فرسخٍ على الأقل بينه وبين وينترفل وطريق الملوك.

كان سام تارلي في انتظارهم في الاسطبلات القديمة، متمدِّدًا على الأرض وقد أسندَ ظَهره إلى كومةٍ من القَشّ وقد حال توتُّره دونه والنَّوم. نهضَ مُنَفِّضًا ثيابه وقال: «چون، أنا... أنا مسرور لأنهم عثَروا عليك».

رَدَّ چون وهو يترجَّل: «وأنا لستُ مسرورًا».

وثبَ پيپ من فوق حصانه، ورمقَ السَّماء بنظرةٍ مشمئزَّةٍ قائلًا:

«ساعِدنا على العناية بالخيول يا سام. أمامنا يوم طويل، ونحن لم ننم بفضل اللورد سنو».

عندما طلعَ الفَجر، ذهبَ جون إلى المطبخ كما يفعل كلَّ يوم، ولم يُوَجِّه له هوب ذو الثَّلاثة أصابع له أيَّ كلامٍ وهو يُناوِله إفطار الدُّب العجوز. اليوم تكوَّن الإفطار من ثلاث بيضات حمراء مسلوقة، مع الخُبز المحمَّر وشريحةٍ من اللَّحم المملَّح ووعاءٍ من البرقوق المتغضِّن. حملَ جون الطَّعام إلى بُرج المَلك، حيث وجدَ مورمونت جالسًا على المقعد المجاور للنَّافذة يَكتُب، بينما يسير غُدافه ذهابًا وإيابًا على كتفيه، وصاحَ عندما دلفَ جون إلى الغُرفة: «*ذُرة، ذُرة، ذُرة!*»، ورفعَ الدُّب العجوز عينيه قائلًا: «ضَع الطَّعام على المائدة، وأريدُ بعض البيرة». فتحَ جون نافذةً ذات ستارةٍ مُسدَلة والتقطَ إبريق البيرة الموضوع على الإفريز الخارجي وملأ قرنًا. كان هوب قد أعطاه حبَّةً من اللَّيمون لا تزال باردةً وقد أتَت لتوِّها من حُجرات التَّخزين المحفورة في جسم "الجِدار"، فسحقَها جون بقبضته ليسيل عصيرها من بين أصابعه إلى قرن البيرة. من عادة مورمونت أن يشرب البيرة باللَّيمون كلَّ يوم، ويدَّعي أنه لهذا السَّبب لا يزال يحتفظ بأسنانه كاملةً.

- «لا شَكَّ أنك أحبَبت أباك»، قال مورمونت وجون يُناوِله قرن البيرة. «الأشياء التي نُحِبُّها تُدَمِّرنا في كلِّ مرَّةٍ يا فتى. هل تَذكُر عندما قلتُ لك هذا؟».

أجابَ بجمود: «أذكرُ». لم تكن لديه رغبة في الكلام عن موت أبيه، ولا حتى مع مورمونت.

- «اعمل على ألَّا تنسى هذا أبدًا، فالحقائق القاسية هي ما ينبغي أن نتمسَّك به. هات طبقي. لحم مملَّح ثانيةً؟ ليكن. تبدو مُتعَبًا... هل كانت رحلتك تحت ضوء القَمر مُرهِقةً لهذا الحَد؟».

قال جون وقد جَفَّ حَلقه تمامًا: «هل تعرف؟».

ردَّد الغُداف من فوق كتف مورمونت: «*تعرف، تعرف!*».

أطلقَ الدُّب العجوز شخرةً وقال: «هل تحسب أنهم اختاروني قائدًا لحَرس اللَّيل لغبائي يا سنو؟ إيمون قال لي إنك ستذهب، وقلتُ له إنك ستعود. إنني أعرفُ رجالي... وصِبيتي كذلك. الشَّرف أخرجَك إلى طريق الملوك، والشَّرف أعادَك».

- «أصدقائي هُم من أعادوني».

قال مورمونت ناظرًا إلى طبقه: «هل قلتُ إنه شَرفك أنت؟».

- «لقد قتَلوا أبي، فهل توقَّعت ألَّا أفعل شيئًا؟».

- «الحَقُّ يقال إننا توقَّعنا أن تفعل ما فعلته بالضَّبط»، والتهمَ مورمونت حبَّة برقوق وبصقَ النَّواة. «لقد أمرتُ بفرض مراقبةٍ عليك، ولقد شاهَدوك وأنت تُغادِر، وإذا لم يُعِدك إخوتك كان سيُقبَض عليك على الطَّريق على كلِّ حال، وليس على يد أصدقاءٍ لك في تلك الحالة، ما لم يكن لديك حصان ذو جناحين كالغُداف، ألديك حصان كهذا؟».

أجابَ چون شاعرًا كالأحمق: «كلا».

- «خسارة. يُمكننا أن نستفيد بحصانٍ مِثله».

شَدَّ چون قامته، وقال لنفسه إنه سيموت كرجل. يُمكنه أن يفعل هذا على الأقل. «إنني أعرفُ عقوبة التهرُّب يا سيِّدي، ولستُ خائفًا من الموت».

ردَّد الغُداف: «*الموت!*».

- «ولا من الحياة على ما آملُ»، قال مورمونت وهو يُقَطِّع اللَّحم بخنجرٍ ويُطعِم قطعةً للطَّائر. «أنت لم تتهرَّب... بَعد، فها أنت ذا واقفٌ أمامي هنا. إذا قطَعنا رأس كلِّ صبيٍّ يذهب إلى بلدة المَناجذ، لن يتبقَّى غير الأشباح لحراسة "الجِدار". لكن من المحتمَل أنك تنوي الفرار غدًا، أو بَعد أسبوعين، أليس كذلك؟ أليس هذا ما تأمله يا فتى؟».

ظَلَّ چون صامتًا.

قال مورمونت وهو يُقَشِّر بيضةً: «كما حسبتُ. لقد ماتَ أبوك يا فتى، فهل تعتقد أنك تستطيع إعادته إلى الحياة؟».

أجابَ بتجهُّم: «كلا».

- «عظيم»، قال مورمونت. «أنا وأنت رأينا الموتى يعودون، وليس هذا بالشَّيء الذي أرغبُ في رؤيته ثانيةً»، والتهمَ البيضة على قضمتين ونقرَ قطعةً من القشرة من بين أسنانه. «أخوك في الميدان ووراءه قوَّة الشَّمال بأكملها، وأيٌّ من اللوردات حمَلة رايته يقود عددًا من الرِّجال أكبر مما ستجده لدى حَرس اللَّيل كله، فلِمَ تتصوَّر أنهم يحتاجون إلى مُساعَدتك؟ هل أنت مُحارِب مغوار؟ هل تحمل جرامكِن في جيبك يمنح سيفك سِحرًا ما؟».

لم يُحِر جون جوابًا. كان الغُداف يَنقُر بيضةً مُكَسِّرًا قشرتها، ثم غرسَ منقاره في الثُّقب الذي صنعَه وخرجَ بقطعةٍ من الصَّفار والبياض.

تنهَّد الدُّب العجوز وقال: «أنت لست الوحيد الذي له عزيز في هذه الحرب يا فتى. في الغالب ستجد أختي تزحف مع جيش أخيك، هي وبناتها وقد ارتدينَ جميعًا دروع الرِّجال. مِج شمطاء عجوز تُذَكِّرني بالسناركات، كما أنها قصيرة الفتيل وعنيدة وصلبة الرَّأس للغاية. الحقيقة أني أكادُ لا أطيقُ أن أكون في حضرة تلك الملعونة، لكن ذلك لا يعني إطلاقًا أن حُبِّي لها لا يُضاهي حُبَّك لأختيك غير الشَّقيقتين»، وقطَّب مورمونت جبينه والتقطَ البيضة الأخيرة مهشِّمًا قشرتها في قبضته، ثم أضافَ: «أو قد يكون هذا ما يعنيه. أيًّا كان، سوف أحزنُ عليها مع ذلك إذا قُتِلَت في المعركة، لكنك لا تراني أفرُّ إليها. لقد ردَّدتُ الكلمات، تمامًا كما ردَّدتها أنت، ومكاني هنا... فأين مكانك يا فتى؟».

أرادَ جون أن يقول: *أنا بلا مكان، إنني نغلٌ وليس لديَّ حقوق أو اسم أو أُم، والآن ليس لديَّ أب حتى*، لكن الكلمات رفضَت مُغادَرة شفتيه، واكتفى بأن قال: «لا أدري».

- «أنا أعرفُ»، قال حضرة القائد مورمونت. «الرِّياح الباردة تشتدُّ يا سنو، والظِّلال تمتدُّ طويلةً وراء "الجِدار". كوتر پايك كتبَ قائلًا إن قطعانًا هائلةً من الظِّباء تتدفَّق جَنوبًا وشَرقًا نحو البَحر، والماموثات كذلك. يقول إن واحدًا من رجاله اكتشفَ آثار أقدامٍ ضخمةٍ مشوَّهةٍ على مسافةٍ أقلِّ من ثلاثة فراسخ من قلعة البَحر، وجوَّالةَ بُرج الظِّلال وجَدوا قرىً بأكملها مهجورةً، والسير دينس يقول إنهم يرون نيرانًا في الجبال، نيرانًا ضخمةً تتأجَّج من الغَسق إلى الفَجر. كما أن كورين ذو النِّصف يد أسرَ هَمجيًّا في منطقة "الغَور"، والرَّجل يُقسِم أن مانس رايدر يجمع شعبه كله في معقلٍ سِرِّيٍّ جديدٍ اكتشفَه، والآلهة وحدها تعلم لأيِّ غرض. هل تعتقد أن عمَّك بنچن هو الجوَّال الوحيد الذي فقَدناه خلال العام الماضي؟».

- «*بن چن!*»، نعقَ الغُداف ورأسه يتمايَل إلى أعلى وأسفل وقِطع من البيض تتدلَّى من منقاره. «*بن چن! بن چن!*».

أجابَ چون: «كلا». هناك جوَّالة آخَرون فُقِدوا بالفعل، عدد كبير جدًّا في الواقع.

سأله العجوز بلهجةٍ حادَّة: «هل تعتقد أن حرب أخيك أهمُّ من حربنا؟».

مضغَ چون شفته وخفقَ الغُداف بجناحيه في وجهه مُرَدِّدًا: «*حرب، حرب، حرب، حرب!*».

قال له مورمونت: «قطعًا هي ليست أهمَّ. لترحمنا الآلهة يا فتى، أنت لست أعمى أو أحمق. عندما يأتي الموتى ليصيدوننا في قلب اللَّيل، فهل يهمُّ من يجلس على العَرش الحديدي؟».

- «كلا». لم يكن چون قد فكَّر في المسألة بهذه الطَّريقة.

- «السيِّد والدك أرسلَك إلينا يا چون، لكن من يدري لماذا؟».

ردَّد الغُداف: «*لماذا؟ لماذا؟ لماذا؟*».

- «كلُّ ما أعرفه أن دماء البَشر الأوائل تسري في عروق آل ستارك،

والبَشر الأوائل هُم من شيَّدوا "الجِدار"، ويُقال إنهم يتذكَّرون أشياءَ نسيَها كلٌّ من عداهم. ثم إن ذِئبك هذا قادَنا إلى الجثّتين الحيَّتين، وحذَّرك من الرَّجل الميت على السَّلالم. كان السير چارمي ليقول إنها مصادفة، لكن السير چارمي ميت وأنا لا»، وغرسَ اللورد مورمونت طرف خنجره في قطعةٍ من اللَّحم وأردفَ: «أعتقدُ أن قَدرك أن تكون هنا، وأريدك أنت وذِئبك هذا معنا عندما نَخرُج وراء "الجِدار"».

شعرَ چون بحماسةٍ بالغةٍ تتملَّكه مع كلمات مورمونت الأخيرة، وردَّد: «وراء "الجِدار"؟».

- «كما سمعتَني. إنني أنوي العثور على بن ستارك حيًّا أو ميتًا»، ومضغَ وازدردَ ثم واصلَ: «لن أجلس خانعًا هنا وأنتظر الثُّلوج والرِّياح الجَليديَّة. ينبغي أن نعرف ما يَحدُث، وهذه المرَّة سيَخرُج حَرس اللَّيل بكلِّ قوَّتهم ضد مَلك ما وراء الجدار، ضد "الآخَرين"، وضد أيِّ شيءٍ آخَر يُواجِهنا. سأقودهم بنفسي»، وأشارَ بخنجره إلى صدر چون قائلًا: «جرَت العادة على أن يكون وكيل حضرة القائد مُرافِقه كذلك... لكني لا أرغبُ في الاستيقاظ كلَّ فَجرٍ متسائلًا إن كنت قد هربت ثانيةً، لذا أريدُ إجابةً منك أيها اللورد سنو، وأريدها الآن: هل أنت أخٌ في حَرس اللَّيل أم مجرَّد صبيٍّ نغلٍ يرغب أن يلعب في الحرب؟».

شَدَّ چون سنو قامته والتقطَ نفسًا عميقًا قائلًا لنفسه: *سامحني يا أبي. روب، آريا، بران... سامحوني، فلا أستطيعُ مُساعَدتكم. إنه يقول الحق. هذا مكاني.* «أنا... أنا لك يا سيِّدي، أنا رجلك. أقسمُ على هذا، ولن أهرب ثانيةً».

قال الدُّب العجوز بصرامة: «عظيم. والآن اذهب واستعد سيفك».

كاتلين

كأن ألف عام قد مضَت منذ حملَت كاتلين ستارك ابنها الرَّضيع خارجةً به من ريفررَن، لتَعبُر نهر الجُلمود على متن قاربٍ صغيرٍ وتبدأ رحلتهما شَمالًا إلى وينترفل، وعبر الجُلمود كانا في طريق العودة الآن، وإن كان ابنها يرتدي دِرع الحرب هذه المرَّة بدلًا من قماط الرُّضَّع.

جلسَ روب عند مقدِّمة القارب مع جراي ويند وقد أراحَ يده على رأس ذِئبه الرَّهيب ومعهما ثيون جرايچوي، بينما أخذَ البحَّارة يضربون الماء بالمجاديف، وفي القارب الثَّاني القادم وراءهم كان عمُّها برايندن ومعه چون الكبير واللورد كارستارك. اتَّخذت كاتلين مكانًا بالقُرب من المؤخِّرة والقارب يَمخُر بهم عباب الجُلمود تاركًا التيَّار القويَّ يدفعهم مرورًا ببُرج السَّاقية العالي، الذي جاءَت من داخله ضجَّة السَّاقية الضَّخمة لتُذَكِّر كاتلين بأيام طفولتها وترسم ابتسامة شجنٍ على شفتيها. من فوق أسوار القلعة المشيَّدة من الحَجر الرَّملي هتف الجنود والخدم باسمها واسم روب واسم وينترفل، ومن كلِّ شُرفةٍ رفرفَت راية آل تَلي ذات رمز سمكة الترويت الفضِّيَّة الواثبة على خلفيَّةٍ متموِّجةٍ من الأزرق والأحمر. كان المنظر مؤثِّرًا وإن لم ينجح في بَثِّ الرَّاحة في قلبها المُتعَب، وتساءَلت إن كانت الرَّاحة شيئًا سيعرفه قلبها ثانيةً. *آهٍ يا ند*...

داروا دورةً واسعةً أسفل بُرج السَّاقية وشَقُّوا المياه المائجة والبحَّارة يُجَدِّفون بكلِّ ما لديهم من قوَّةٍ ونشاط، ثم لاحَت قنطرة بوَّابة الماء الكبيرة

أمامهم، وسمعَت كاتلين صرير السَّلاسل الثَّقيلة والشَّبكة الحديديَّة الضَّخمة تُسحَب إلى أعلى ثم ترتفع بتؤدةٍ مع اقترابهم لترى كاتلين نِصفها السُّفلي مكسوًّا بالصَّدأ الأحمر، ومع مرورهم أسفلها تقاطرَ منها طمي النَّهر البُنِّي عليهم والقضبان الشَّائكة ترتفع بضع بوصاتٍ معدودةٍ عن رؤوسهم. رفعَت كاتلين عينيها إلى القضبان وتساءَلت عن العُمق الذي بلغَه الصَّدأ وعن قُدرة الشَّبكة الحديديَّة على احتمال ضربات المِدَكِّ وإن كان من الضروري استبدالها. نادرًا ما كانت الأفكار على هذه الشَّاكلة بعيدةً عن خاطرها هذه الأيام.

مرُّوا تحت القنطرة والأسوار لينتقلوا من نور الشَّمس إلى الظِّلِّ ثم إلى نور الشَّمس من جديد، وقد رسَت قوارب صغيرة وكبيرة في كلِّ مكانٍ حولهم ورُبِطَت بحلقاتٍ حديديَّةٍ مثبَّتة في الحَجر، وانتظرَ حَرس أبيها على سلالم الماء مع أخيها. كان السير إدميور تَلي شابًّا قصير القامة ذا جسمٍ قويٍّ ممتلئ وشَعرٍ كستنائيٍّ خشن ولحيةٍ حمراء، يرتدي واقي صدرٍ مخدوشًا ومنبعجًا من المعركة، وقد تلطَّخ معطفه ذو اللَّونين الأزرق والأحمر بالدَّم والسِّناج. إلى جواره وقفَ اللورد تايتوس بلاكوود، الرَّجل القويُّ الطَّويل ذو الأنف المعقوف واللِّحية المشذَّبة التي وخطَها الشَّيب، دِرعه الصَّفراء اللَّامعة مرصَّعة بالكهرمان الأسود بأشكال فروع وأوراق العنب، ومعطفه المخيَّط من ريش الغِدفان ينسدل على كتفيه النَّحيلتين. كان اللورد تايتوس هو من قادَ الغارة التي حرَّرت أخاها من معسكر لانستر.

قال السير إدميور: «اجذبوا القارب»، فأسرعَ ثلاثة من رجاله ينزلون السَّلالم وقد غاصوا في المياه حتى الرُّكبة وجذَبوا القارب بواسطة خطاطيف طويلة، وعندما خرجَ جراي ويند القارب أسقطَ أحدهم خطَّافه وتراجعَ متعثِّرًا ليَسقُط جالسًا على السَّلالم، فضحكَ الآخَرون وارتسمَت نظرة مرتبكة على وجه الرَّجل، ثم وثبَ ثيون جرايچوي من على جانب

القارب ورفعَ كاتلين من خصرها وأنزلَها على درجةٍ جافَّةٍ فوقه والمياه تُحيط بحذائيه.

نزلَ إدميور السَّلالم ليُعانِقها مُغَمغِمًا بصوتٍ مبحوح: «أختي العزيزة». كان يملك عينين لونهما أزرقَ عميق وفمًا مخلوقًا للابتسام، لكنه لم يكن يبتسم الآن، وبدا مُرهَقًا تمامًا وقد أضنَته المعركة والأَسر، وعلى عُنقه كانت ضمَّادة تُغَطِّي جرحًا أصيبَ به. احتضنَته كاتلين بقوَّةٍ بالغة، وعندما أفلتَته قال لها: «أشاركِكِ الحُزن يا كات. عندما جاءَنا خبر اللورد إدارد... سيدفع آل لانستر الثَّمن، أقسمُ لكِ إنكِ ستنالين انتقامكِ».

قالت بحدَّة: «وهل سيُعيد هذا ند إليَّ؟». كان الجرح لا يزال جديدًا لا يحتمل كلماتٍ أخفَّ، وهي لا تستطيع التَّفكير في ند الآن ولن تسمح لنفسها بالتَّفكير فيه، فلا فائدة من هذا، وعليها أن تبقى قويَّةً. «كلُّ هذا يُمكنه الانتظار الآن. يجب أن أرى أبي».

- «إنه ينتظركِ في غُرفته».

- «اللورد هوستر طريح الفِراش يا سيِّدتي»، قال وكيل أبيها. متى صارَ هذا الرَّجل الطيِّب عجوزًا أشيب هكذا؟ «لقد أمرَني بأن أصحبكِ إليه في الحال».

قال إدميور: «سأصحبها أنا»، وقادَها صاعدًا سلالم الماء وعبر الفِناء السُّفلي حيث تقاطعَ سيفا پيتر بايلش وبراندون ستارك من أجلها ذات يوم. ارتفعَت أسوار الحصن العملاقة المشيَّدة من الحَجر الرَّملي فوقهما، وبينما يَدخُلان من بابٍ يقف عليه رجلان يضع كلٌّ منهما خوذةً ذات ريشةٍ على شكل سمكة، سألته متوجِّسةً من الإجابة: «كيف حاله؟».

بنظرةٍ مكفهرَّةٍ أجابَها: «المِايسترات يقولون إنه لن يظلَّ معنا طويلًا. الألم... مستمرٌّ وقوي».

أفعمَها غضب أعمى في هذه اللَّحظة، غضب من العالم كله، من أخيها إدميور وأختها لايسا، من آل لانستر، من المِايسترات، من ند وأبيها

والآلهة المتوحِّشة التي قرَّرت أن تسلب الاثنين منها. «كان يَجدُر بك أن تُخبِرني، كان يَجدُر بك أن تُرسِل لي بمجرَّد أن عرفت».

- «لقد منعَني، لم يشأ أن يعرف أعداؤه أنه يحتضر، ومع كلِّ هذه القلاقل في البلاد كان يخشى أنه إذا عرفَ آل لانستر بهشاشته...».

أكملَت كاتلين العبارة بلهجةٍ قاسية: «... سيُهاجِمون؟»، وفي داخلها همسَ صوت: *كان هذا من صُنعكِ، من صُنعكِ أنتِ. لو لم تُصِرِّي على القبض على القزم...*

وصعدَ الاثنان الدَّرجات اللَّولبيَّة بصمت.

كان الحصن ثُلاثي الجوانب مِثل ريفررَن نفسها، وكذلك كانت غُرفة اللورد هوستر التي تَبرُز منها شُرفة حَجريَّة إلى الشَّرق كأنها مقدِّمة سفينةٍ ضخمةٍ من الحَجر الرَّملي، ومن هناك يستطيع سيِّد القلعة التطلُّع إلى أسواره وشُرفاته وما ورائهما حيث يلتقي النَّهران. كانوا قد نقَلوا فِراش أبيها إلى الشُّرفة لأنه يُحِبُّ الجلوس في الشَّمس ومُشاهَدة النَّهرين كما فسَّر لها إدميور، قبل أن يقول لأبيه «أبي، انظر من معي. كات جاءَت لتراك».

لطالما كان اللورد هوستر رجلًا كبير الحجم، طويلًا عريض الصَّدر في شبابه وأكثر امتلاءً مع تقدُّمه في العُمر، والآن بدا كأنه تقلَّص وذابَ لحمه وعضلاته عن عظامه، وحتى وجهه صارَ ضاويًا. عندما رأته كاتلين آخِر مرَّةٍ كان شَعره ولحيته بُنِّيَّين وقد وخطَهما الشَّيب، أمَّا الآن فكانا أبيضين كالثَّلج.

فتحَ أبوها عينيه مع صوت إدميور، وبصوتٍ خافتٍ مفعمٍ بالألم تمتم: «قِطَّتي الصَّغيرة»، وارتسمَت ابتسامة راجفة على وجهه ويده تتحسَّس طريقها إلى يدها مضيفًا: «لقد ترقَّبتُ مجيئكِ».

- «سأترككما وحدكما»، قال أخوها وطبعَ قُبلةً على جبين أبيهما قبل أن يُغادِر.

ركعَت كاتلين إلى جوار الفِراش وأخذَت يد أبيها في يدها، اليد الكبيرة التي غدَت خاويةً من اللَّحم ولم يَعُدْ فيها غير الجِلد على العظم وقد راحَت القوَّة كلها منها. «كان عليك أن تُخبِرني، تبعث رسولًا أو غُدافا».

– «الرَّسول يُمكن في الأَسر ويُستَجوَب، والغُداف يُمكن أن يُسقِطه أحد و...». تملَّكته نوبة مفاجئة من الألم وأطبقَت يده على يدها وهو يقول: «المرض في بطني... ينهش، ينهش بلا توقُّف، ليل نهار، مخالبه قاسية جدًّا. المِايستر ڤايمان يسقيني نبيذ النَّوم وحليب الخشخاش وأنامُ كثيرًا... لكني أردتُ أن أكون مستيقظًا لأراكِ حين تصلين. كنتُ خائفًا... عندما أسرَ آل لانستر أخاكِ والمعسكرات تُحيط بنا... كنتُ خائفًا من أن أرحل قبل أن أراكِ ثانيةً... كنت خائفًا...».

– «أنا هنا يا أبي، ومعي روب ابني. هو أيضًا سيُريد أن يراك».

همسَ: «ابنكِ... إنني أذكره، كان يملك عينيَّ».

– «كان ولا يزال. ولقد جئنا لك بچايمي لانستر مكبَّلًا بالأغلال. ريڤررَن صارَت حُرَّةً من جديد يا أبي».

ابتسمَ اللورد هوستر وقال: «رأيتُ بنفسي. ليلة أمس، عندما بدأت المعركة، قلتُ لهم إنني يجب أن أراها... وحمَلوني إلى مبنى البوَّابة وشاهَدتُ من الشُّرفة. آه، كان المنظر جميلًا... جاءَت المشاعل في موجة، وسمعتُ صراخهم يأتيني عبر النَّهر... صراخهم الجميل... عندما اشتعلَ بُرج الحصار... بحَقِّ الآلهة... كان ليُسعِدني أن أموت لحظتها لو استطَعتُ فقط أن أرى أبنائي أولًا. أهو ابنكِ من فعلَها؟ أهو روب؟».

أجابَت كاتلين شاعرةً بفخرٍ غير مسبوق: «نعم، كان روب... وبرايندن. أخوك هنا كذلك يا سيِّدي».

– «هو»، قال اللورد هوستر بهمسةٍ شديدة الخفوت. «السَّمكة السَّوداء عادَ؟ عادَ من "الوادي"؟».

– «نعم».

حرَّكت هبَّة من الرِّيح الباردة ما تبقَّى من شَعره الأبيض الخفيف وهو يسأل: «ولايسا؟ بحَقِّ الآلهة، هل عادَت أختكِ أيضًا؟».

كان صوته مفعمًا بالأمل والحنين للغاية حتى أن إخباره بالحقيقة كان صعبًا عليها إذ أجابَته: «لا، أنا آسفة».

لاحَ الإحباط على وجهه وانطفأ نور ما في عينيه، وقال: «أوه، كنتُ آملُ أن أراها قبل أن...».

- «إنها مع ابنها في "العُش"».

هَزَّ اللورد هوستر رأسه بإرهاقٍ قائلًا: «اللورد روبرت الآن بَعد رحيل آرن المسكين... أتذكَّرُ... لماذا لم تأتِ معكِ؟».

- «إنها خائفة يا سيِّدي، ووجودها في "العُش" يُشعِرها بالأمان»، وقبَّلته على جبينه المتغضِّن وقالت: «لا بُدَّ أن روب ينتظر رؤيتك. هل ستراه؟ وبرايندن كذلك؟».

همسَ: «ابنكِ، نعم، طفل كات... كان يملك عينيَّ، أذكرُ هذا... عندما وُلِدَ... نعم، دعيه يأتي».

- «وأخوك؟».

رفعَ أبوها عينيه إلى النَّهرين وقال: «السَّمكة السَّوداء. هل تزوَّج؟ هل اتَّخذ... فتاةً ما لنفسه زوجةً؟».

قالت لنفسها بحُزن: *حتى على فِراش الموت*. «لا، لم يتزوَّج. أنت تعرف هذا يا أبي. ولن يتزوَّج أبدًا».

- «لقد قلتُ له... أمَرته... تزوَّج! كنتُ سيِّده وحقِّي أن أجد له زوجةً، هو يعرف هذا... زوجةً مناسبةً... من عائلة ردواين، عائلة قديمة... فتاة رائعة، جميلة، ذات نمش... بثاني، نعم. مسكينة، ما زالت تنتظر، نعم، ما زالت تنتظر».

قالت كاتلين: «بثاني ردواين تزوَّجت من اللورد روان منذ سنوات وأنجبَت ثلاثة أبناءٍ منه».

غمغمَ اللورد هوستر: «ولو، ولو... بصقَ على الفتاة، على عائلة ردواين، بصقَ عليَّ وأنا سيِّده وأخوه... ذلك السَّمكة السَّوداء. كانت لديَّ عروض أخرى، ابنة اللورد براكن، ابنة والدر فراي... أيُّ واحدةٍ من الثَّلاث، لكنه قال... هل تزوَّج؟ هل تزوَّج من أيِّ واحدة؟».

- «لم يتزوَّج، لا، لكنه قطعَ مسافةً طويلةً ليراك، وقاتلَ حتى يعود إلى ريفررَن، وما كنتُ لأقدر على العودة أنا كذلك لولا مُساعَدة السير برايندن لنا».

قال أبوها بصوتٍ مبحوح: «لطالما كان مُحارِبًا، هذا صحيح. فارس البوَّابة، نعم»، وأغلقَ عينيه وأرجعَ رأسه إلى الوراء مُرهَقًا بما لا يُقاس وتمتمَ: «أرسِليه إليَّ... لاحقًا. سأنامُ الآن. لم أعد أقوى على الشِّجار. أرسِليه لاحقًا، السَّمكة السَّوداء...».

قبَّلته كاتلين برقَّةٍ وملَّست على شَعره، ثم تركَته هناك في ظِلِّ حصنه ونهراه يتدفَّقان في الأسفل، وقبل أن تُغادِر الغُرفة كان قد غابَ في النَّوم.

عندما عادَت إلى الفِناء السُّفلي، وجدَت السير برايندن تَلي واقفًا على سلالم الماء بحذاءٍ مبتلٍّ يتكلَّم مع قائد حَرس ريفررَن، ولمَّا رآها اتَّجه نحوها من فوره قائلًا: «أهو...».

- «يُحتضر، كما كنا نخشى».

لاحَ الألم بوضوحٍ شديدٍ على ملامح عمِّها القاسية، ومرَّر أصابعه في شَعره الأشيب الكثيف وقال: «هل سيراني؟».

أومأت برأسها علامة الإيجاب قائلةً: «يقول إنه لم يَعُدْ يقوى على الشِّجار».

ضحكَ برايندن السَّمكة السَّوداء وقال: «لا أصدِّقُ هذا لحظةً. سيظلُّ هوستر يُوَبِّخني بشأن ابنة ردواين حتى ونحن نُشعِل محرقة جنازته، عليه اللَّعنة».

ابتسمَت كاتلين وهي تُدرِك أن ما يقوله صحيح، وسألته: «أين روب؟».

- «دخلَ مع جرايچوي إلى القاعة على ما أعتقدُ».

كان ثيون جرايچوي جالسًا على دكَّةٍ في قاعة ريڤرِرَن الكُبرى، يستمتع بالشَّراب من قرنٍ من المِزر ويُمَتِّع حامية أبيها بروايته عن المذبحة في الغابة الهامسة: «حاولَ بعضهم الفرار، لكننا كنا قد سدَدنا الوادي تمامًا من الجانبين وخرَجنا عليهم من قلب الظَّلام وفي أيدينا السُّيوف والرِّماح. لا بُدَّ أن جنود لانستر حسبوا أن "الآخَرين" أنفسهم يُهاجِمونهم حين انطلقَ ذِئب روب بينهم. لقد رأيته يُمَزِّق ذراع رجلٍ من كتفه، وأصيبَت خيولهم بالجنون لمَّا شمَّت رائحته. لا أستطيعُ أن أقول لكم كم رجلًا سقطَ...».

قاطعَته: «ثيون، أين أجدُ ابني؟».

- «اللورد روب ذهبَ لزيارة أيكة الآلهة يا سيِّدتي».

تمامًا كما كان ند ليفعل لو كان مكانه. *إنه ابن أبيه بقَدر ما هو ابني، يجب أن أتذكَّر هذا. آهٍ يا ند...*

وجدَت روب تحت مظلَّة الأوراق الخضراء محاطًا بأشجار الخشب الأحمر الطَّويلة وأشجار الدَّردار القديمة الضَّخمة، راكعًا أمام شجرة القلوب الرَّفيعة ذات الوجه الذي بدا حزينًا أكثر منه متجهِّمًا. كان سيفه الطَّويل أمامه وقد غرسَ رأسه في التُّربة وضَمَّ يديه المغلَّفتين بقُفَّازين حول المقبض، ومن حوله ركعَ آخَرون: چون أومبر الكبير، ريكارد كارستارك، مِج مورمونت، جالبارت جلوڤر، وغيرهم، وحتى تايتوس بلاكوود الذي فردَ معطفه الكبير المصنوع من ريش الغِدفان وراء ظَهره. أدركَت أن هؤلاء هُم من يعبدون الآلهة القديمة، وسألَت نفسها عن الآلهة التي تَعبُدها هي هذه الأيام دون أن تجد إجابةً شافيةً.

لم ترغب في مُقاطَعتهم أثناء صلاتهم، فلا بُدَّ من أن تُوَفَّى الآلهة حقُّها... حتى الآلهة القاسية التي سلبَتها ند وفي طريقها إلى أن تسلب أباها بدوره... وهكذا انتظرَت كاتلين. تحرَّكت رياح النَّهر بين الغصون العالية، ورأت بُرج السَّاقية إلى يمينها وفروع اللَّبلاب تزحف على جانبه،

وإذ وقفَت هناك تدفَّقت الذِّكريات على وجدانها. بين هذه الأشجار علَّمها أبوها ركوب الخيل، وهذه هي شجرة الدَّردار التي سقطَ إدميور من فوقها عندما كسرَ ذراعه، وهناك أسفل تلك التَّعريشة تبادَلت هي ولايسا القُبلات مع بيتر. لم تكن قد فكَّرت في هذا منذ سنواتٍ طويلة. كم كانوا صغارًا جميعًا حينها، هي في مِثل عُمر سانزا ولايسا أصغر من آريا وبيتر أصغر من الاثنتين لكن توَّاقًا إلى التَّجربة. تبادَلته الفتاتان فيما بينهما كما تبدَّلت مشاعرهما بين الجدِّيَّة والهزل. عادَت الذِّكرى إليها بوضوحٍ تامٍّ حتى أنها كادَت تَشعُر بملمس يديه المبلَّلتين بالعَرق على كتفيها وتتذوَّق النَّعناع في أنفاسه. لطالما كان النَّعناع ينمو في أيكة الآلهة، ودائمًا ما أحبَّ بيتر أن يَمضُغه، تمامًا كما كان يُوقِع نفسه في المتاعب دائمًا منذ نعومة أظفاره. «لقد حاولَ أن يضع لسانه في فمي»، قالت كاتلين لأختها معترفةً بَعدها عندما صارتا وحيدتين، فقالت لايسا بخجلٍ لاهث: «فعلَ هذا معي أيضًا، وراقَ لي».

نهضَ روب بتؤدةٍ ودَسَّ سيفه في غِمده، ووجدَت كاتلين نفسها تتساءَل إن كان ابنها قد سبقَ له أن قبَّل فتاةً ما في أيكة الآلهة. لا بُدَّ أنه فعلَ، وهي رأت چين پوول تَرمُقه ولهى، وكذلك بعض الفتيات الخادمات اللائي منهنَّ من بلغَت من العُمر ثمانية عشر عامًا... ثم إن ابنها ذهبَ إلى الحرب وقتلَ رجالًا بسيفه، فلا شَكَّ أنه يعرف طَعم القُبلات. شعرَت بالدُّموع تترقرَق في عينيها، فجفَّفتها غاضبةً.

قال لها روب عندما رآها واقفةً هناك: «أمِّي، يجب أن نعقد اجتماعًا الآن، فثمَّة أشياءَ ينبغي تقريرها».

- «جدُّك يرغب في رؤيتك يا روب. إنه مريض للغاية».

- «السير إدميور أخبرَني. أنا آسف يا أمِّي، من أجل اللورد هوستر ومن أجلكِ، لكن يجب أن نجتمع أولًا. لقد جاءَتنا أنباء من الجنوب. رنلي باراثيون يُطالِب بعَرش أخيه».

قالت مصدومةً: «رنلي؟ حسبتُ أنه سيكون اللورد ستانيس بالتَّأكيد».
قال جالبارت جلوڤر: «كلنا حسبنا هذا يا سيِّدتي».

اجتمعَ مجلس الحرب في القاعة الكُبرى حول أربع موائدِ طويلةٍ مرتفعةٍ رُصَّت في مربَّع غير منتظم. كان اللورد هوستر أضعف من أن يحضر وقد غابَ في النَّوم في شُرفته ليَحلُم بالشَّمس السَّاطعة على نهري شبابه، وفي مكانه جلسَ إدميور على مقعد آل تَلي العالي وإلى جواره برايندن السَّمكة السَّوداء، بينما ارتصَّ حمَلة راية أبيه إلى اليمين واليسار وعلى الموائد الجانبيَّة. كانت أخبار الانتصار في ريڤررَن قد بلغَت لوردات الثَّالوث الهاربين لتُعيدهم، فجاءَ كاريل ڤانس الذي صارَ لوردًا الآن بعد موت أبيه عند النَّاب الذَّهبي، ومعه السير مارك پايپر وابن السير رايمون داري الذي لا يزيد عُمره على عُمر بران، كما وصلَ اللورد چونوس براكن من أطلال قلعة السِّياج الحَجري وقد بدا عليه الغضب الشَّديد، واتَّخذ أبعد مقعدٍ ممكن تسمح به الموائد عن تايتوس بلاكوود.

جلسَ لوردات الشَّمال متقابلين، وكاتلين وروب يُواجِهان إدميور عبر الموائد، وكان عددهم أقلَّ. جلسَ چون الكبير إلى يسار روب وإلى جواره ثيون جرايچوي، بينما جلسَ جالبارت جلوڤر ومِج مورمونت إلى يمين كاتلين، بينما اتَّخذ اللورد ريكارد كارستارك مقعده وقد بدا بنظرات عينيه الخاوية وملامحه المُجهَدة ولحيته المشعثة كرجلٍ في كابوس. لقد فقدَ الرَّجل اثنين من أبنائه في معركة الغابة الهامسة، بينما لم تكن هناك أيُّ أخبارٍ عن الابن الثَّالث -الابن الأكبر- الذي قادَ جنود كارستارك حاملي الرِّماح ضد تايوين لانستر في معركة الفرع الأخضر.

اشتعلَ الجدل حتى ساعةٍ متأخِّرةٍ من اللَّيل، فكلٌّ من اللوردات كان له الحَقُّ في الكلام... ولقد تكلَّموا، وصاحوا، وشتَموا، وادَّعوا، وتملَّقوا، وداعَبوا، وساوَموا، وهووا بالأباريق على الموائد، وهدَّدوا، وخرَجوا، وعادوا عابسين أو مبتسمين... وجلسَت كاتلين وأصغَت لكلِّ شيء.

كان رووس بولتون قد أعادَ تنظيم فلول جيشهم الآخَر عند بداية الممرِّ المرتفع، ولا يزال السير هلمان تولهارت ووالدر فراي يُسَيطِران على "التَّوأمتين"، فيما عبرَ جيش اللورد تايوين الثَّالوث في طريقه إلى هارنهال، والآن ثمَّة مَلكان في البلاد، مَلكان ولا اتِّفاق.

عدد كبير من اللوردات حمَلة الرَّاية أرادَ الزَّحف على هارنهال في الحال، لقتال اللورد تايوين والقضاء على قوَّة لانستر إلى الأبد، وألحَّ مارك پايپر الشَّاب حادُّ الطِّباع عليهم بأن يُوَجِّهوا ضربتهم غربًا إلى كاسترلي روك بدلًا من هذا، بينما نصحَ آخَرون بالصَّبر، وقال چيسون ماليستر إن ريڤررَن تقطع على جيش لانستر خطوط إمداده بالفعل، ومن الأفضل أن يتحيَّنوا فُرصتهم في الوقت الذي يحرمون فيه اللورد تايوين من المزيد من الجند والمؤن بينما يُقَوُّون دفاعاتهم ويستريح جنودهم المُتعَبون، وهو ما رفضَه اللورد بلاكوود تمامًا وقال إن عليهم إنهاء ما بدأوه في الغابة الهامسة والزَّحف على هارنهال بينما يتحرَّك رووس بولتون بجيشه كذلك. كالعادة عارضَ براكن ما عرضَه بلاكوود، ونهضَ اللورد چونوس براكن قائلًا بإصرارٍ إن عليهم الإقرار بالولاء للمَلك رنلي والزَّحف جَنوبًا ليضُمُّوا قوَّاتهم إلى قوَّاته.

- «رنلي ليس المَلك»، قال روب. كانت أول مرَّةٍ يتكلَّم فيها ابنها منذ بدأ الاجتماع، فهو مِثل أبيه يعرف كيف يُصغي.

قال جالبارت جلوڤر: «لا يُعقَل أنك تنوي أن تُقسِم بالولاء لچوفري يا سيِّدي. لقد قتلَ أباك».

- «هذا يجعله شرِّيرًا، لكنه لا يجعل من رنلي مَلكًا. چوفري ما زال أكبر أبناء روبرت الشَّرعيِّين، ومن ثَمَّ فالعَرش له حسب كلِّ قوانين البلاد، وعندما يموت -وأنا أنوي أن يَحدُث هذا- فلديه أخٌ أصغر، أي أن تومن يأتي في التَّرتيب بَعد چوفري».

قال السير مارك پايپر بحدَّة: «تومن من أبناء لانستر مِثله مِثل أخيه».

رَدَّ روب منزعجًا: «كما تقول، لكن إن لم يكن أيهما مَلكًا، فكيف يكون رنلي المَلك على الرغم من ذلك؟ إنه أخو روبرت الأصغر. بران لا يُمكنه أن يكون سيِّد وينترفل قبلي، ورنلي لا يُمكنه أن يكون المَلك قبل اللورد ستانيس».

قالت مِج مورمونت: «دعوى اللورد ستانيس هي الأقوى».

- «رنلي تُوِّجَ بالفعل»، قال مارك پايپر. «هايجاردن وستورمز إند تدعمان دعواه، ولن يمضي وقت طويل قبل أن ينضمَّ إليهما الدورنيُّون كذلك. إذا أضافَت وينترفل وريڤرَن قوَّتهما إلى قوَّته ستكون خمس من العائلات السَّبع الكُبرى وراءه، ست إذا تحرَّك آل آرن من مكانهم! ست عائلات ضد "الصَّخرة"! أيها السَّادة، خلال عام سنكون قد وضعنا رؤوسهم جميعًا على الخوازيق، المَلكة والمَلك الصَّبي واللورد تايوين والعِفريت وقاتِل المَلك والسير كيڤان، جميعهم! هذا ما سنربَحه إذا انضمَمنا إلى المَلك رنلي. ما الذي يملكه اللورد ستانيس ضد كلِّ هذا كي نتخلَّى عنه؟».

- «الحَق»، قال روب بعنادٍ جعلَ كاتلين تُفكِّر أن له نبرة أبيه نفسها.

سأله إدميور: «هل تنوي الإقرار بالولاء لستانيس إذن؟».

أجابَ روب: «لا أدري. لقد دعوتُ أن أعرف ماذا أفعل، لكن الآلهة لم تُجِبني. آل لانستر قتَلوا أبي باعتباره خائنًا، ونحن نعلم أن هذا كذب، لكن إذا كان چوفري هو المَلك الشَّرعي وقاتَلناه سنكون نحن الخونة».

- «كان السيِّد والدي لينصحك بالحذر»، قال اللورد ستڤرون العجوز بابتسامة أبناء فاري التي تُذَكِّرك بابن عرس. «انتظر ودَع هذين المَلكين يلعبان لُعبة العروش فيما بينهما، وعندما يَفرُغان من القتال يُمكننا أن نركع للظَّافر أو نُعارِضه، كما نشاء. مع استعداد رنلي للحرب، فلا شَكَّ أن اللورد تايوين سيُرَحِّب بعَقد هُدنة... واستعادة ابنه سالمًا. أيها السَّادة النُّبلاء، اسمحوا لي بالذِّهاب إليه في هارنهال وترتيب الشُّروط والأفدية».

أغرقَ الهدير الغاضب صوته، وصاحَ چون الكبير: «جبان!»، بينما قالت مِج مورمونت: «توسُّل الهُدنة منه سيُظهِرنا بمظهر الضُّعفاء»، وهتفَ ريكارد كارستارك: «فلتذهب الأفدية إلى الجحيم، لا يجب أن نتخلَّى عن قاتِل المَلك!».

سألت كاتلين: «ولِمَ ليس السَّلام؟».

نظرَ اللوردات إليها، لكن نظرة روب هي ما أحسَّت بها، نظرته هو وحده وهو يقول لها عابسًا: «سيِّدتي، لقد قتَلوا أبي، زوجكِ»، واستلَّ سيفه الطَّويل ووضعَه على المائدة أمامه ليلمع الفولاذ على الخشب القوي. «هذا هو السَّلام الوحيد الذي لديَّ لآل لانستر».

هتفَ چون الكبير بموافَقته، وانضمَّ إليه آخَرون وهُم يهتفون ويسحبون سيوفهم ويَدُقُّون المائدة بقبضاتهم، وانتظرَت كاتلين حتى هدأوا قبل أن تقول: «أيها السَّادة، اللورد إدارد كان وليَّ أمركم، لكني شاركته فِراشه وحملتُ أبناءه. هل تحسبون أن حُبِّي أقلَّ من حُبِّكم له؟». كان صوتها ينكسر من فرط من قلبها من حُزنٍ في هذه اللَّحظة، لكنها التقطَت نفسًا عميقًا وثبَّتت نفسها مضيفةً: «روب، لو كان باستطاعة هذا السَّيف إعادته، فلم أكن لأسمح لك بأن تضعه في غِمده ثانيةً قبل أن يقف ند إلى جواري من جديد... لكنه رحلَ، ومئة معركةٍ كالغابة الهامسة لن تُغَيِّر هذه الحقيقة. ند رحلَ، ودارن هورنوود، وابنا اللورد كارستارك الباسلان، وغيرهم كثير من الرِّجال الصَّالحين، ولا أحد منهم سيعود إلينا. أينبغي إذن أن يكون هناك المزيد من الموت؟».

قال چون الكبير بصوتٍ هادرٍ عميق: «أنت امرأة يا سيِّدتي، والنِّساء لا يفهمنَ تلك الأشياء».

وقال اللورد كارستارك وخطوط الحُزن لائحة على وجهه: «أنتم الجنس اللَّطيف، أمَّا الرِّجال فلا بُدَّ لهم من أن يحظوا بالانتقام».

- «ضَع سرسي لانستر بين يديَّ أيها اللورد كارستارك وسترى مدى

لُطفي. لعلِّي لا أفهمُ التَّخطيط وفنون الحرب، لكني أفهمُ العبث. لقد دخَلنا الحرب ضد آل لانستر عندما كانت جيوشهم تنتهك أراضي النَّهر وند سجينًا متَّهمًا ظُلمًا بالخيانة، وحارَبنا للفوز بحُريَّتنا واستعادة زوجي. حسنٌ، أحد الأمرين فرَغنا منه والآخَر لم يَعُدْ في متناوَل أيدينا إلى الأبد. سأظلُّ حزينةً على ند حتى نهاية أيامي، لكني يجب أن أفكِّر في الأحياء. أريدُ استعادة ابنتيَّ، والمَلكة لا تزال تحتجزهما. إذا كان ينبغي أن نُبادِل أبناء لانستر الأربعة الذين لدينا بابنتي ستارك اللتين لديهم، سأعدُّها صفقةً رابحةً وأشكرُ الآلهة. أريدك أن تكون آمنًا يا روب، تَحكُم في وينترفل من على مقعد أبيك، أريدك أن تعيش حياتك وتُقَبِّل فتاةً وتتزوَّج من امرأةٍ وتُنجِب ابنًا. أريدُ أن أكتب نهايةً لكلِّ هذا، أريدُ أن أعود إلى الدِّيار أيها السَّادة وأبكي على زوجي».

عندما فرغَت كاتلين من الكلام كان صمت ثقيل قد خيَّم على القاعة.

- «السَّلام»، قال عمُّها برايندن. «السَّلام حُلو يا سيِّدتي... لكن بأيِّ شروط؟ لا فائدة من تحويل سيفكِ إلى محراثٍ اليوم إذا كنتِ ستحتاجينه للقتال ثانيةً غدًا».

وقال ريكارد كارستارك: «ولأيِّ هدفٍ إذن ماتَ ابناي تورين وإدارد إذا عدتُ إلى كارهولد ولا شيء معي غير رفاتهما؟».

- «نعم»، قال اللورد براكن: «جريجور كليجاين دمَّر حقولي وذبحَ رعاياي وتركَ السِّياج الحَجري خرابًا، فهل أركعُ أمام من سلَّطوه على هذا؟ ما الذي حارَبنا من أجله لو عادَ كلُّ شيءٍ إلى ما كان عليه؟».

لدهشة كاتلين وأسفها اتَّفق معه اللورد بلاكوود قائلًا: «وإذا أقَمنا السَّلام مع المَلك چوفري، أفلا نكون خائنين للمَلك رنلي؟ ماذا لو انتصرَ الوعل على الأسد؟ كيف سيكون موقفنا؟».

قال مارك پايپر: «أيًّا كان قراركم، فلن أعدَّ أحد أبناء لانستر مَلكًا لي أبدًا».

- «ولا أنا!»، صاحَ صبيٌّ داري. «أبدًا!».

مرَّةً أخرى ارتفعَ الصِّياح وجلسَت كاتلين صامتةً يائسةً. كانت قد اقتربَت للغاية وأوشَكوا على الإصغاء لها، أوشَكوا... لكن اللَّحظة ضاعَت. لن يكون هناك سلام، لا فُرصة لاندمال الجروح، لا أمان. رمقَت ابنها وراقبَته وهو يُصغي لجدل رجاله، فرأته حائرًا عابسًا لمَن متروِّجًا من حربه. لقد تعهَّد بالزَّواج من ابنة والدر فراي، لكنها رأت عروسه الحقيقيَّة رأي العين الآن: السَّيف الذي وضعَه أمامه على المائدة.

كانت كاتلين تُفَكِّر في ابنتيها وتتساءَل إن كانت ستراهمها ثانيةً، عندما انتفضَ چون الكبير ناهضًا وبصوتٍ جهوريٍّ صاحَ فيهم: «أيها السَّادة! إليكم برأيي في هذين المَلكين»، وبصقَ على الأرض. «رنلي باراثيون لا يعني لي شيئًا، ولا ستانيس كذلك. لماذا يَحكُم أحدهما إياي وأهلي من مقعدِ وثيرٍ ما في هايجاردن أو دورن؟ ماذا يعرف أمثالهما عن "الجِدار" أو غابة الذِّئاب أو روابي البَشر الأوائل؟ حتى آلهتهم باطلة! وليأخذ "الآخَرون" آل لانستر كذلك، فقد اكتفيتُ منهم.»، ومَدَّ يده وراء ظَهره وسحبَ سيفه العظيم. «لِمَ لا نَحكُم أنفسنا من جديد؟ لقد تزوَّجنا من التَّنانين، والتَّنانين كلها ماتَت!»، وأشارَ بسيفه إلى روب مضيفًا بصوتٍ كالرَّعد: «ها هو المَلك الوحيد الذي أقبلُ بأن أركع أمامه أيها السَّادة، المَلك في الشَّمال».

وركعَ واضعًا سيفه عند قدمي ابنها.

قال اللورد كارستارك: «سأقبلُ السَّلام بهذه الشُّروط. يُمكنهم الاحتفاظ بقلعتهم الحمراء ومقعدهم الحديدي»، وسحبَ سيفه وركعَ إلى جوار چون الكبير هاتفًا: «المَلك في الشَّمال!».

نهضَت مِج مورمونت ووضعَت قضيبها الشَّائك إلى جوار السَّيفين هاتفةً بدورها: «المَلك في الشَّمال». وخلال لحظاتٍ كان لوردات النَّهر ينهضون أيضًا، براكن وبلاكوود وماليستر، العائلات التي لم تُحكَم من

وينترفل من قبل قَطُّ، لكن كاتلين شاهدَتهم ينهَضون ويسحَبون سيوفهم ويركعون هاتفين بالكلمات التي لم تُسمَع في البلاد منذ أكثر من ثلاثمئة عام، منذ جاءَ إجون التنِّين ليجعل من المَمالك السَّبع مملكةً واحدةً...

لكن ها هي تتردَّد من جديد بأعلى صوتٍ بين أخشاب قاعة أبيها:

- *«المَلك في الشَّمال»*.
- *«المَلك في الشَّمال»*.
- ***«المَلك في الشَّمال»***.

دنيرس

كانت الأرض حمراء جدباء ظمآنةً ومن الصَّعب العثور فيها على خشبٍ مُناسِب، فعادَ رجالها الذين أرسلَتهم للبحث حاملين قطعًا من خشب الحور القُطني المليء بالعُقد وأعوادًا من الخشب الأرجواني وحِزَمًا من العُشب البُنِّي، وأخَذوا أكثر شجرتين مستقيمتين عثروا عليهما، وقطَعوا فروعهما وغصونهما وقشَّروا لحاءهما وفلَقوا كلًّا منهما إلى نِصفين ليضعوا الأنصاف الأربعة في مربَّعٍ على الأرض، وملأوا المربَّع بالقَشِّ والأعواد ونُشارة اللِّحاء وحِزَم العُشب الجاف. انتقى راگارو فَحلًا من القطيع الصَّغير الذي تبقَّى لَديهم، ولم يكن يُضاهي فَحل گال دروجو الأحمر بالطَّبع، لكن خيولًا قليلةً كانت كذلك على كلٍّ حال، وفي منتصَف المربَّع أطعمَه آجو تُفَّاحةً ذابلةً، ثم أسقطَه في لحظةٍ بضربةٍ من فأسه بين العينين.

مُقيَّدة اليدين والقدمين راقبَتهم ميري ماز دور من مكانها وسط التُّراب والتوتُّر جليٌّ في عينيها السَّوداوين، وقالت لداني: «لا يكفي أن تَقتُلي الحصان فحسب. الدَّم وحده لا يُساوي شيئًا، وأنتِ لا تعرفين كلمات التَّعويذة، ولا تملكين الحكمة للعثور عليها. هل تحسبين السِّحر الدَّموي لُعبةً للأطفال؟ إنكِ تنعتينني بالمايجي كأنها شتيمة، لكن كلَّ ما تعنيه الكلمة هو "حكيمة". أنتِ مجرَّد طفلةٍ تتصرَّف بجهل الأطفال، وأيًّا كان ما تنوين عمله فلن يَصلُح. حرِّريني من هذه القيود وسأساعدكِ».

قالت داني لچوجو: «لقد سئمتُ نهيق المايجي»، فهوى الشَّاب على جسدها ببضع ضرباتٍ من سوطه، وبَعدها لم تنبس الكاهنة بكلمةٍ واحدة.

فوق جثَّة الحصان أقاموا منصَّةً من الأخشاب، صنَعوها من جذوع الأشجار الصَّغيرة وغصون الكبيرة وأكثر الفروع التي استطاعوا العثور عليها سُمكًا واستقامةً، ورَصُّوا الخشب من الشَّرق إلى الغَرب، من المشرق إلى المغرب. على المنصَّة نفسها كوَّموا مقتنيات كال دروجو الثَّمينة: خيمته الكبيرة، وصُدَره الملوَّنة، وسروجه وعدَّة حصانه، والسَّوط الذي أعطاه أبوه إياه عندما بلغَ مبلغ الرِّجال، والأراخ الذي قتلَ به كال أوجو وابنه، والقوس الرَّائع المصنوع من عظام التنِّين. كان آجو في طريقه لإضافة الأسلحة التي أهداها خيَّالة دم دروجو لداني يوم زفافها، لكنها منعَته قائلةً: «هذه أسلحتي أنا وأنوي الاحتفاظ بها». كوَّموا طبقةً أخرى من أعواد الخشب فوق مقتنيات دروجو ونثَروا فوقها المزيد من حِزَمِ العُشب الجاف.

انتحى بها السير چورا مورمونت جانبًا والشَّمس تزحف في السَّماء صوب ذُروتها، وبدأ يقول: «أيتها الأميرة...».

لكنها قاطعَته قائلةً بتحدٍّ: «لماذا تُخاطِبني بهذا اللَّقب؟ لقد كان أخي ڤسيرس المَلك، أليس كذلك؟».

- «بلى يا سيِّدتي».

- «وقد ماتَ ڤسيرس، أي أنني وريثته، آخِر أبناء عائلة تارجاريَن، وكلُّ ما كان يملكه أصبحَ لي الآن».

- «جلالة المَلكة»، قال چورا جاثيًا على رُكبته. «سيفي الذي كان له لكِ الآن يا دنيرس، وقلبي الذي لم يكن لأخيكِ قَطُّ. إنني مجرَّد فارس، وليس لديَّ ما أقدِّمه لكِ غير المنفى، لكني أتوسَّلُ إليكِ أن تسمعيني. دَعي كال دروجو يرحل ولن تكوني وحدكِ أبدًا. أقسمُ لكِ أن لا أحد سيأخذكِ إلى ڤايس دوثراك ما لم تكوني راغبةً في الذِّهاب، ولن تنضمِّي

إلى الدوش گالين. تعالي معي شَرقًا، إلى يي تي أو كارث أو بَحر اليَشب أو آشاي عند الظِّل. سوف نرى كلَّ العجائب التي لم نكن نَحلُم بها ونشرب ما تختار أن تُقَدِّمه الآلهة لنا من خمور. أرجوكِ يا گاليسي، إنني أعرف ماذا تنتوينه، فلا تمضي قُدمًا فيه، لا تفعليه».

- «هو شيء ينبغي أن أفعله»، قالت داني ومسَّت وجهه بحنانٍ حزين. «أنت لا تفهم».

قال السير چورا بصوتٍ أفعمَه اليأس: «أفهمُ أنكِ أحببتيه كما أحببتُ زوجتي من قبل، لكني لم أمت معها. أنتِ مَلكتي وسيفي لكِ، لكن لا تَطلُبي مني ألَّا أحرِّك ساكنًا بينما تصعدين إلى محرقة دروجو، فلن أتفرَّج عليكِ وأنتِ تحترقين».

- «أهذا ما تخشاه؟»، قالت داني وطبعَت قُبلةً خفيفةً على جبهته العريضة. «إنني لستُ طفلةً غريرةً يا فارسي العزيز».

- «ألا تنتوين الموت معه إذن؟ هل تُقسِمين على هذا يا جلالة المَلكة؟».

- «أقسمُ لك»، أجابَت باللُّغة العاميَّة المُستَخدمة في المَمالك السَّبع التي من المُفترَض أن تكون لها شرعًا.

تكوَّن المستوى الثَّالث من المنصَّة من الفروع المجدولة التي لا تتعدَّى سُمك إصبع اليد، التي غطُّوها بالأوراق الجافَّة والغصينات ورصُّوها من الشَّمال إلى الجَنوب، من الجَليد إلى النَّار، وكوَّموا عليها وسائد النَّوم اللَّيِّنة والأغطية الحريريَّة. كانت الشَّمس قد بدأت تنخفض نحو الغَرب لمَّا فرغوا، واستدعَت داني الدوثراكي ليحتشدوا حولها وقد بقيَ منهم أقلُّ من مئة. تساءَلت عن العدد الذي بدأ به إجون الفاتِح، ثم قرَّرت أن الإجابة لا تهمُّ.

قالت لهم: «سوف تكونون گالاساري. إنني أرى وجوه عبيد، لكني أحرِّركم. اخلعوا أطواقكم وغادِروا إذا شئتم ولن يمسَّكم أحد بضرر،

لكن إذا بقيتم، فابقوا كإخوةٍ وأخوات، كأزواجٍ وزوجات». راقبَتها العيون السَّوداء بنظراتٍ حذرةٍ دون أن تَصدُر منهم ردَّة فعلٍ وهي تُتابع: «أرى الأطفال والنِّساء ووجوه الهَرِمين الملأى بالتَّجاعيد. بالأمس كنتُ طفلةً، واليوم أنا امرأة، وغدًا سأصير عجوزًا. لكلٍّ منكم أقولُ إنه سيكون هناك مكان دائمٍ لكم إذا أعطيتموني أيديكم وقلوبكم»، ثم التفتَت إلى مُحارِبي كاسها الشَّباب الثَّلاثة وقالت: «چوجو، لك أعطي السَّوط ذا المقبض الفضِّي الذي كان هديَّة زفافي، وأنصِّبك گو، وأطلبُ منك أن تُقسِم لي أن تعيش وتموت كدم دمي وتركب إلى جانبي لتحميني من الأذى».

التقطَ چوجو السَّوط من يدها، وإن كلَّل الارتباك ملامحه وهو يقول بتردُّد: «گاليسي، ما تَطلُبينه غير مسبوق. سيُكَلِّلني العار إذا صرتُ خيَّال دمٍ لامرأة».

- «آجو»، قالت داني متجاهلةً كلمات چوجو. *إذا نظرتُ إلى الوراء سأضيعُ*. «لك أعطي القوس المصنوع من عظام التنِّين الذي كان هديَّة زفافي». كان قوسًا رائعًا بالفعل، أسودَ لامعًا ذا منحنيَيْن وأطول منها. «أنصِّبك گو، وأطلبُ منك أن تُقسِم لي أن تعيش وتموت كدم دمي وتركب إلى جانبي لتحميني من الأذى».

أخذَ آجو القوس منها وقد خفضَ عينيه قائلًا: «لا أستطيعُ ترديد تلك الكلمات. الرِّجال وحدهم يُمكنهم قيادة الگالاسار وتنصيب الگو».

- «راگارو»، قالت مشيحةً ببصرها عن رفض الرَّجل الثَّاني. «لك أعطي الأراخ العظيم ذا المقبض والنَّصل الذَّهبيَّين الذي كان هديَّة زفافي. أنت أيضًا أنصِّبك گو، وأطلبُ منك أن تُقسِم لي أن تعيش وتموت كدم دمي وتركب إلى جانبي لتحميني من الأذى».

قال راگارو ملتقطًا الأراخ منها: «أنتِ الگاليسي، وسأركبُ إلى جانبكِ حتى ڤايس دوثراك تحت الجبل الأُم وأحميكِ من الأذى حتى تتَّخذين مكانكِ بين حيزبونات الدوش گالين، لكني لا أعدُ بأكثر من ذلك».

هزَّت رأسها بهدوءٍ كأنها لم تسمع ردَّه والتفتَت إلى آخِر مُناصِريها قائلةً: «سير چورا مورمونت، أول وأعظم فُرساني، ليست لديَّ هديَّة أعطيها لك، لكني أقسمُ أن يومًا سيأتي تتناوَل فيه من يدي سيفًا طويلًا لم يرَ العالم له مثيلًا من قبل، مطروقًا في نيران التنِّين من الفولاذ الڤاليري، وأطلبُ منك قَسمك كذلك».

- «لكِ قَسمي يا جلالة المَلكة»، قال راكعًا على رُكبتيه ليضع سيفه عند قدميها. «أقسمُ أن أخدمكِ، وأن أحميكِ، وأن أموت من أجلكِ إذا دعَت الحاجة».

- «مهما حدثَ؟».

- «مهما حدثَ».

- «سأُلزِمك بهذا القَسم، فآمُلُ ألَّا تندم عليه»، قالت داني ومدَّت يدها له ليُمسِكها وينهَض، ثم شبَّت على أصابع قدميها لتصل إلى شفتيه، وقبَّلته برقَّةٍ قائلةً: «أنت أول فُرسان حَرسي المَلكي».

شعرَت بأعيُن الكالاسار المسلَّطة عليها إذ دخلَت خيمتها والدوثراكي يُهَمهِمون ويَرمُقونها بنظراتٍ جانبيَّةٍ غريبةٍ من رُكن العين. كانت تعرف أنهم يحسبونها مجنونةً، ولعلَّها كذلك بالفعل. سوف تعرف عمَّا قريب. *إذا نظرتُ إلى الوراء سأضيعُ.*

كانت المياه شديدة السُّخونة عندما ساعدَتها إيري على النُّزول إلى حوض الاستحمام، لكن داني لم تُجفِل أو تَصِح، فالحقيقة أنها تُحِبُّ الحرارة لأنها تُشعِرها بأنها نظيفة. عطَّرت چيكوي المياه بالزُّيوت التي وجدَتها في السُّوق في ڤايس دوثراك، فتصاعدَ البُخار رطبًا عطرًا، وغسلَت دوريا شَعرها ومشَّطته وفكَّت ما فيه من جدائلٍ وعُقد، بينما فركَت إيري ظَهرها من الأوساخ. أغلقَت داني عينيها وتركَت الرَّائحة والدِّفء يكتنفانها، وشعرَت بالحرارة تتخلَّل الألم بين فخذيها، وارتجفَت عندما أحسَّت بها في داخلها والوجع والتَّيبُّس يذوبان وينحسران شيئًا فشيئًا حتى شعرَت كأنها تطفو.

عندما صارَت نظيفةً تمامًا ساعدَتها وصيفاتها على الخروج من الماء، ولوَّحت إيري وچيكُوي بمروحتين حولها حتى جفَّت، بينما مشَّطت دوريا شَعرها حتى انساب كنهرٍ من الفضَّة السَّائلة على ظَهرها، ثم عطَّرتها بعِطر زهرة العَرار والقرفة، لمسة على كلِّ معصم، ووراء الأُذنين، وعلى طرفي نهديها الثَّقيلين باللَّبن، واللَّمسة الأخيرة كانت لفرجها؛ وأحسَّت بإصبع إيري خفيفًا لطيفًا كقُبلة الحبيب وهو ينزلق بنعومةٍ بين الشَّفرين.

بَعد ذلك صرفَتهنَّ داني كي تُجَهِّز گال دروجو لرحلته الأخيرة إلى أراضي اللَّيل. غسلَت جُثمانه ومشَّطت شَعره ودهنَته بالزَّيت مُمَرِّرةً أصابعها بين خصلاته للمرَّة الأخيرة وشاعرةً بثِقله ومتذكِّرةً المرَّة الأولى التي لمسَته فيها ليلة زفافهما. لم يُقطَع شَعره من قبل قَطُّ، فكم رجلًا يُمكنه أن يموت وشَعره سليم تمامًا؟ دفنَت وجهها فيه وتنشَّقت عِطر الزُّيوت، فوجدَت رائحته كالعُشب والتُّربة الدَّافئة، كالدُّخَان والمَنِيِّ والخيول، رائحة دروجو. *سامحني يا شَمس حياتي، سامحني على كلِّ ما فعلته وما ينبغي أن أفعله. لقد دفعتُ الثَّمن يا نجمي، لكنه كان باهظًا للغاية، باهظًا للغاية.*

ضفَّرت داني شَعره وثبَّتت الخواتم الفضِّيَّة في شاربه وعلَّقت الأجراس واحدًا تلو الآخَر. أجراسًا كثيرةً كانت، من الذَّهب والفضَّة والبرونز، أجراسًا علَّقها كي يسمعها أعداؤه وهو قادم فيُضعِفهم الخوف. ألبسَته قماطًا للسَّاقين من شَعر الخيل وحذاءً عالي الرَّقبة، وأحاطَت خصره بحزامٍ ثقيلٍ من الحُلِيِّ الذَّهبيَّة والفضِّيَّة، وكسَت صدره المشوَّه بصُدرةٍ ملوَّنة، صُدرة دروجو المفضَّلة، ولنفسها اختارَت سروالًا فضفاضًا من الحرير الرَّملي، وحذاءً خفيفًا تصل أربطته إلى منتصَف ساقيها، وصُدرةً شبيهةً بصُدرة دروجو.

كانت الشَّمس تَغرُب بالفعل عندما استدعَتهم ليحملوا الجُثمان إلى المحرقة، وراقبَ الدوثراكي بصمتٍ بينما خرجَ به چوجو وآجو من

الخيمة وداني خلفهما، ثم مدّدوه على وسائده الوثيرة وأغطيته الحريريَّة ورأسه في جهة الجبل الأمِّ البعيد في الشَّمال الشَّرقي.

أمرَتهم بالمجيء بالزَّيت، فأحضَروا الدَّوارق وصبُّوه على المحرقة ليُغرِق الحرير والأعواد والوسائد وحِزَم العُشب الجاف ويسيل تحت القوائم الخشبيَّة ويُفعِم الهواء برائحةٍ عطرة، ثم قالت لوصيفاتها آمرةً: «أحضِرنَ بيضات التنِّين»، فأسرعنَ إلى الخيمة وقد أجبرهنَّ شيء ما في نبرة صوتها على الهروع.

أمسكَ السير چورا ذراعها قائلًا: «جلالة المَلكة، دروجو ليس في حاجةٍ إلى بيضات التنِّين في أراضي اللَّيل. من الأفضل أن تبيعيها في آشاي. بيعي واحدةً ويُمكننا بثَمنها شراء سفينةً تُعيدنا إلى المُدن الحُرَّة، وإذا بعتِ الثَّلاث ستعيشين امرأةً ثريَّةً ما تبقَّى من حياتكِ».

قالت له: «إنها لم تُهْدَ لي لأبيعها».

تسلَّقت المحرقة بنفسها لتضع البيضات حول شَمسها ونجومها، فوضعَت السَّوداء تحت ذراعه إلى جوار قلبه، والخضراء إلى جوار رأسه ولفَّت جديلة شَعره حولها، والثَّالثة ذات اللَّونين الأبيض الشَّاحب والذَّهبي بين ساقيه. عندما قبَّلته داني للمرَّة الأخيرة تذوَّقت طعم الزَّيت العَطِرِ على شفتيه.

لاحظَت عيني ميري ماز دور اللتين تَرمُقانها بثباتٍ وهي تنزل من فوق المحرقة، وقالت الكاهنة بصوتٍ مبحوح: «أنتِ مختلَّة».

- «وهل الفارق شاسع بين الجنون والحكمة؟»، قالت داني. «سير چورا، خُذ هذه المايجي وقيِّدها إلى المحرقة».

- «إلى الــ... جلالة المَلكة، لا، اسمعيني...».

- «افعل كما قلتُ لك»، لكن الفارس تردَّد على الرغم من ذلك حتى قالت له غاضبةً: «لقد أقسَمت على طاعتي مهما حدثَ. راكارو، ساعِده».

لم تَصرُخ الكاهنة وهما يَجُرَّانها إلى محرقة كال دروجو وثبَّتاها

بالأوتاد بين مقتنياته، وصبَّت داني الزَّيت على رأس المرأة بنفسها قائلةً: «أشكركِ يا ميري ماز دور على الدُّروس التي لقَّنتِني إياها».

- «لن تسمعيني أصرخ»، ردَّت ميري والزَّيت يَقطُر من شَعرها ويُغرِق ثيابها.

- «بل سأفعل، لكن ليس صراخكِ هو ما أرغبُ فيه، فقط حياتكِ. إنني أذكرُ ما قلتِه لي عن أن ثَمن الحياة هو الموت وحده». فتحَت ميري ماز دور فمها لكنها لم تتفوَّه بشيء، وبينما تبتعد رأت داني أن الازدراء قد اختفى من عيني المايجي وحَلَّ محلَّه تعبير آخَر قد يكون الخوف. بَعد ذلك لم يتبقَّ شيء غير مُراقَبة الشَّمس تَغرُب وانتظار النَّجم الأول.

عندما يموت واحد من سادة الخيول يَقتُلون حصانه كي يركبه متباهيًا إلى أراضي اللَّيل، وتحترق الجثَّتان تحت السَّماء المفتوحة، ثم ينهض الكَال على متن جواده النَّاري كي يتَّخذ مكانه بين النُّجوم؛ وكلما تأجَّجت نار الرَّجل أكثر وأكثر في الحياة صار نجمه أكثر لمعانًا في الظَّلام.

كان چوجو أول من لمحَه، وبصوتٍ مكتوم قال: «هناك»، فرفعَت داني عينيها إلى السَّماء حيث أشارَ ورأته واطئًا في الشَّرق. أول النُّجوم كان مذنَّبًا متَّقدًا بالأحمر، أحمرَ كالدَّم، كالنِّيران... ذيل التنِّين. لم تكن لتَطلُب من الآلهة آيةً أقوى.

أخذَت داني المشعل من يد آجو وألقته بين الأخشاب، والتقطَ الزَّيت النَّار في الحال وبَعده بلحظة أعواد الخشب والعُشب الجاف، وأسرعَت شرارات صغيرة من اللَّهب تجري على الخشب كأنها فئران حمراء صغيرة تنزلق على الزَّيت وتثب من الفروع إلى اللِّحاء إلى الأوراق، وأحسَّت داني بحرارةٍ متصاعدةٍ تلفح وجهها بنعومة ومُباغَتة أنفاس الحبيب، لكنها صارَت أقوى من احتمالها خلال ثوانٍ معدودة، فتراجعَت داني إلى الوراء والخشب يُطَقطِق بصوتٍ أعلى وأعلى. بدأت ميري ماز دور تُغَنِّي بصوتٍ عالٍ حاد، ودارَت ألسنة اللَّهب وتلوَّت مُسابِقةً بعضها بعضًا

إلى قمَّة المحرقة، وتوهَّج الغَسق من حولهم وقد بدا الهواء نفسه كأنه يسيل من فرط الحرارة. سمعَت داني صوت اضطرام النَّار في الأخشاب وتصدُّعها قبل أن تكتسح ميري ماز دور ليرتفع صوت أغنيَّتها ويحتدَّ أكثر... ثم إنها شهقَت وشهقَت واستحالَ الغناء إلى عويلٍ مفعمٍ بالعذاب يُجَمِّد الدِّماء في العروق.

ثم بلغَ اللَّهب دروجو وأحاطَ به واشتعلَت النَّار في ثيابه، وللحظةٍ عابرةٍ اتَّشح الكَال بلفافاتٍ من الحرير البرتقالي وخيوطٍ من الدُّخَّان الرَّمادي المتموِّج. افترقَت شفتا داني إذ وجدَت نفسها تكتم أنفاسها شاعرةً بجزءٍ منها يرغب في الذِّهاب إليه كما كان السير چورا يخشى، في الاندفاع وسط اللَّهب وتوسُّل المغفرة منه وأخذه في داخلها مرَّةً أخيرةً لتُذيب النِّيران لحمهما عن عظامهما معًا حتى يصيرا واحدًا إلى الأبد.

شمَّت رائحة اللَّحم المحترق التي لا تختلف كثيرًا عن رائحة لحم الخيل المشوي فوق حُفرة نار، وتأجَّجت المحرقة كوحشٍ عظيم والغَسق يزداد حلكةً لتُغرِق صوت صراخ ميري ماز دور وتدفع لسانًا طويلًا من اللَّهب إلى أعلى ليلعق بطن اللَّيل. تراجعَ الدوثراكي ساعلين مع تزايُد الدُّخَّان، وانبسطَت رايات برتقاليَّة ضخمة من النَّار في تلك الرِّياح الجحيميَّة والأخشاب تهسُّ وتتصدَّع، ومع الدُّخَّان ارتفعَ الرَّماد المتوهِّج ليتناثَر هنا وهناك في الظَّلام كآلاف الخنافس المضيئة الوليدة. ضربَت الحرارة الهواء كأجنحةٍ حمراء عملاقة دافعةً الدوثراكي إلى الوراء، وحتى السير چورا مورمونت نفسه وجدَ نفسه مُرغَمًا على التَّراجع، لكن داني ظلَّت ثابتةً في مكانها. إنها من دم التنِّين وفي داخلها تتَّقد النَّار.

دنَت خطوةً من الحريق مفكِّرةً أنها أحسَّت بالحقيقة منذ فترةٍ طويلة، إلَّا أن نار المُستوقَد لم تكن كافيةً، وتلوَّى اللَّهب من أمامها كالنِّساء اللاتي رقصنَ في زفافها، يلتفُّ ويُغَنِّي ويدور بأجحته البرتقاليَّة والصَّفراء والقرمزيَّة، مخيفًا للنَّاظرين لكن جميلًا، جميلًا لأقصى حَدٍّ وحيًّا بالحرارة.

فتحَت داني ذراعيها للَّهب وقد تورَّد جِلدها. *هذا أيضًا زفاف.* كانت ميري ماز دور قد صمتَت تمامًا الآن. لقد حسبَتها الكاهنة طفلةً، لكن الأطفال يَنضُجون، والأطفال يتعلَّمون.

خطوة أخرى وأحسَّت داني بحرارة الرِّمال على باطني قدميها على الرغم من الحذاء الذي ترتديه، وسالَ العَرق على فخذيها وبين نهديها، وجرى كالغدير على وجنتيها حيث جرَت الدُّموع من قبل. كان السير چورا يصيح من ورائها، لكنه لم يَعُدْ مهمًّا، لم يَعُدْ مهمًّا غير النَّار. منظرُ اللَّهب كان جميلًا حقًّا، أجمل شيءٍ رأته في حياتها على الإطلاق، كلُّ لسانٍ منه ساحر يرتدي معطفًا من الأصفر والبرتقالي والقرمزي ويدور بين سُحب الدُّخَّان. رأت أسودًا ناريَّةً قرمزيَّةً وأفاعٍ صفراء ضخمةً ويونيكورنات مخلوقةً من اللَّهب الأزرق الشَّاحب، رأت أسماكًا وثعالب ووحوشًا، ذِئابًا وطيورًا لامعةً وأشجارًا مُزهِرةً كلٌّ منها أجمل من سابقه... ورأت حصانًا، فَحلًا رماديًّا ضخمًا مرسومًا بالدُّخَّان عُرفه هالة نورانيَّة من اللَّهب الأزرق. *نعم يا حبيبي، يا شَمسي ونجومي، نعم، امتطِ حصانك وانطلق به.*

بدأ الدُّخَّان يتصاعَد من صُدرتها، فخلعَتها داني وتركَتها تَسقُط على الأرض، وتفجَّر لهب مباغت في الجِلد الملوَّن وهي تدنو أكثر من الحريق الذي كشفَت له نهديها وخيطان من اللَّبن يسيلان من حلمتيها المحمرَّتين المنتفختين. *الآن*، قالت لنفسها، *الآن*، ولوهلةٍ أبصرَت كال دروجو أمامها على صهوة جواده الدُّخَّاني وفي يده كِرباج من نار، وابتسمَ لها قبل أن يَسقُط الكِرباج وسط النَّار مُصدِرًا هسيسًا.

سمعَت قرقعةً عاليةً كصوت تحطُّم الحَجر، وبدأت منصَّة الخشب والعُشب تتمايَل وتتهاوى على نفسها، وانزلقَت قِطع من الخشب المحترق نحوها وانهمَرَ مطر من الرَّماد على داني غامرًا إياها، ثم جاءَ شيء آخَر يتدحرج ليَسقُط عند قدميها، قطعة من الصَّخر المنقوش بيضاء

ذات عروقٍ من الذَّهب تشقَّقت وخرجَ منها الدُّخَّان. ملأ هدير الحريق العالم، لكن داني سمعَت صرخات النِّساء وصيحات الأطفال تأتيها خافتةً.

الموت وحده ثَمن الحياة.

ثم سمعَت قرقعةً أخرى عاليةً حادَّةً كهزيم الرَّعد، ودارَ الدُّخَّان حولها وتلوَّى وتمايلَت المنصة أكثر إذ تفجَّرت الأخشاب مع بلوغ النَّار قلوبها، وتناهى إلى مسامعها صراخ الخيول الخائفة وأصوات الدوثراكي التي ارتفعَت بالصِّياح الهَلِع وصوت السير چورا يهتف باسمها ويَسُبُّ ساخطًا. أرادَت أن تقول له: *لا، لا يا فارسي الشُّجاع، لا تخف عليَّ، فالنَّار لي. إنني دنيرس وليدة العاصفة، ابنة التَّنانين، عروس التَّنانين، أُمُّ التَّنانين. ألا ترى؟ ألا ترى؟* بدفقةٍ من اللَّهب والدُّخَّان ارتفعَت ثلاثين قدمًا في الهواء تهاوَت المحرقة وانهارَت حولها، وبلا خوفٍ خطَت داني إلى داخل عاصفة النَّار مُناديةً على أطفالها.

وكانت القرقعة الثَّالثة بحدَّة وعُلُوِّ انشطار العالم.

عندما خمدَت النَّار أخيرًا وصارَت الأرض باردةً بما يكفي للمشي عليها، وجدَها السير چورا مورمونت وسط الرَّماد محاطةً بالأخشاب المحترقة والجمرات التي لا تزال متوهِّجةً وعظام الرَّجل والمرأة والحصان المتفحِّمة. كانت عاريةً مغطَّاةً بالسِّناج وقد احترقَت ثيابها عن آخِرها ومعها شَعرها الجميل... لكن أذىً غير ذلك لم يمسَّها.

كان التنِّين الأبيض والذَّهبي يرضع من ثديها الأيسر والأخضر والبرونزي من الأيمن وقد ضمَّت ذراعيها حول الاثنين، بينما استقرَّ التنِّين الأسود والقرمزي فوق كتفيها وقد دَسَّ عُنقه المنحني الطَّويل تحت ذقنها، وعندما رأى چورا رفعَ عينيه ورمقَه بعينين حمراوين كالجمر.

عاجزًا عن الكلام هوى الفارس على رُكبتيه، ومن ورائه جاءَ رجال الكّاس. كان چوجو أول من وضع أراخه عند قدميها مُتمتِمًا «دم دمي»

وهو يُمَرِّغ وجهه في الأرض الدَّاخنة، ومن بَعده ردَّد آجو: «دم دمي»، وصاحَ راگارو: «دم دمي».

بَعدهم جاءَت وصيفاتها، ثم الآخَرون، كلُّ الدوثراكي من رجالٍ ونساءٍ وأطفال، وما كان على داني إلَّا أن تَنظُر في عيونهم لتعرف أنهم لها الآن، اليوم وغدًا وإلى الأبد، لها كما لم يكونوا لدروجو قَطُّ.

وإذ نهضَت دنيرس تارجاريَن، أطلقَ تنِّينها الأسود هسيسًا ليَخرُج الدُّخَّان من فمه ومنخريه، وسحبَ الآخَران فميهما من على ثدييها وأضافا صوتيهما إلى النِّداء وأجنحة الثَّلاثة شِبه الشَّفَّافة تنبسط وتخفق في الهواء، وللمرَّة الأولى منذ ثلاثمة عامٍ صدحَت موسيقى التَّنانين في قلب اللَّيل.

نهاية الجزء الأول

مُلحق



عائلة باراثيون

أصغر العائلات الكُبرى عُمرًا، نشأت خلال حروب الغزو، ويُقال إن مؤسِّسها أوريس باراثيون كان أخًا غير شرعي لإجون التنِّين. ترقَّى أوريس في المناصب حتى أصبحَ أقوى قادة إجون، وعندما هزمَ وقتلَ المَلك أرجيلاك المتكبِّر -آخِر ملوك أراضي العواصف- كافأه إجون بقلعة أرجيلاك وأراضيه وابنته، فتزوَّج أوريس من الفتاة واتَّخذ ألقاب وراية وكلمات عائلتها لنفسه.

راية آل باراثيون عبارة عن وعلٍ متوَّج أسودَ على خلفيَّةٍ ذهبيَّة، وكلماتهم «الثَّورة ثورتنا».

المَلك روبرت باراثيون الأول،

- زوجته، **المَلكة سرسي**، سليلة عائلة لانستر،
- أبناؤهما:
  - **الأمير چوفري**، وريث العَرش الحديدي، في الثَّانية عشرة من العُمر،
  - **الأميرة مارسلا**، فتاة في الثَّامنة من العُمر،
  - **الأمير تومن**، صبي في السَّابعة من العُمر،
- أخواه:
  - **ستانيس باراثيون**، سيِّد دراجونستون،

- زوجته، **الليدي سيليس**، سليلة عائلة فلورنت،
- ابنتهما، **شيرين**، فتاة في التَّاسعة من العُمر،
- رنلي باراثيون، سيِّد ستورمز إند،
- مجلسه الصَّغير:
- **المِايستر الأكبر پايسل**،
- **اللورد پيتر بايلش**، لقبه الإصبع الصَّغير، أمين النَّقد،
- **اللورد ستانيس باراثيون**، قيِّم السُّفن،
- **اللورد رنلي باراثيون**، قيِّم القوانين،
- **السير باريستان سلمي**، قائد الحَرس المَلكي،
- **ڤارس**، خصيٌّ لقبه العنكبوت، وليُّ الهامسين،
- بلاطه وأتباعه:
- **السير إلين پاين**، عدالة المَلك، جلَّاد،
- **ساندور كليجاين**، لقبه كلب الصَّيد، حارس الأمير چوفري الشَّخصي،
- **چانوس سلينت**، من العامَّة، قائد حَرس المدينة في كينجز لاندنج،
- **چالابار شو**، أمير منفي من جُزر الصَّيف،
- **فتى القَمر**، مهرِّج البلاط،
- **لانسل وتايرك لانستر**، مُرافِقان للمَلك وابنا عمِّ المَلكة،
- **السير أرون سانتاجار**، قيِّم السِّلاح،
- حَرسه المَلكي:
- **السير باريستان سلمي**، قائد الحَرس،
- **السير چايمي لانستر**، لقبه قاتِل المَلك،
- **السير بوروس بلاونت**،
- **السير مرين ترانت**،

- **السير آريس أوكهارت،**
- **السير پرستون جرينفيلد،**
- **السير ماندون مور،**

أبرز العائلات المُقسِمة بالولاء لستورمز إند هي: سلمي، وايلد، ترانت، پنروز، إرول، إسترمونت، تارث، سوان، دونداريون، كارون.

أبرز العائلات المُقسِمة بالولاء لدراجونستون هي: سلتيجار، ڤيلاريون، سيوورث، بار إمون، صنجلاس.

عائلة ستارك

يعود نَسب آل ستارك إلى براندون البنَّاء وملوك الشِّتاء القُدامى، ولآلاف السِّنين حكَموا من مقرِّهم في وينترفل كملوكٍ في الشَّمال، إلى أن اختارَ تورين ستارك -المَلك الذي ركعَ- أن يُقسِم بالولاء لإجون التنِّين بدلًا من مُواجَهته في المعركة.

راية آل ستارك عبارة عن ذِئب رهيب رمادي على خلفيَّةٍ بيضاء ثلجيَّة، وكلماتهم «الشِّتاء قادم».

إدارد ستارك، سيِّد وينترفل، حاكِم الشَّمال،

- زوجته، **الليدي كاتلين**، سليلة عائلة تَلي،
- أبناؤهما:
  - **روب**، وريث وينترفل، في الرَّابعة عشر من العُمر،
  - **سانزا**، الابنة الكُبرى، في الحادية عشر من العُمر،
  - **آريا**، الابنة الصُّغرى، في التَّاسعة من العُمر،
  - **براندون**، يُسَمَّى بران، في السَّابعة من العُمر،
  - **ريكون**، صبي في الثَّالثة من العُمر،
- ابنه غير الشَّرعي، **جون سنو**، صبي في الرَّابعة عشر من العُمر،
- تابعه الشَّخصي، **ثيون جرايجوي**، وريث جُزر الحديد،

- إخوته:

- (**براندون**)، أخوه الأكبر، قُتِلَ بأمرٍ من المَلك إيرس تارجاريَن الثَّاني،
- (**ليانا**)، أخته الصُّغرى، ماتَت في جبال دورن،
- **بنچن**، أخوه الأصغر، من رجال حَرس اللَّيل،

- أهل بيته:

- **المِايستر لوين**، مستشار، مُعالِج، معلِّم،
- **ڤايون پوول**، وكيل وينترفل،
- **چين**، ابنته، أقرب أصدقاء سانزا،
- **چوري كاسل**، قائد الحَرس،
- **هالس مولين**، **دزموند**، **چاكس**، **پورثر**، **كوينت**، **آلين**، **تومارد**، **ڤارلي**، **هيوارد**، **كاين**، **ويل**، حَرس،
- **السير رودريك كاسل**، قيِّم السِّلاح، عم چوري،
- **بِث**، ابنته،
- **السِّپتة موردن**، معلِّمة ابنتي اللورد إدارد،
- **السِّپتون كايل**، حافِظ سِپت القلعة ومكتبتها،
- **هالن**، قيِّم الخيول،
- ابنه، **هاروين**، حارس،
- **چوزث**، سائس ومدرِّب الخيول،
- **فارلن**، قيِّم وَجار الكلاب،
- **العجوز نان**، حكَّاءة ومُرضِعة فيما سبقَ،
- **هودور**، أصغر أبناء أحفادها، صبي اسطبل محدود العقل،
- **جايچ**، الطَّاهي،
- **ميكن**، حدَّاد وصانع سلاح،

- أهم لورداته وحمَلة رايته:

- **السير هلمان تولهارت،**
- **ريكارد كارستارك،** سيِّد كارهولد،
- **رووس بولتون،** سيِّد معقل الخوف،
- **چون أومبر،** لقبه چون الكبير،
- **جالبارت وروبت جلوڤر،**
- **وايمان ماندرلي،** سيِّد الميناء الأبيض،
- **مِج مورمونت،** سيِّدة جزيرة الدِّببة،

أبرز العائلات المُقسِمة بالولاء لوينترفل هي: كارستارك، أومبر، فلينت، مورمونت، هورنوود، سروين، ريد، ماندرلي، جلوڤر، تولهارت، بولتون.

عائلة لانستر

ينحدر آل لانستر، المشهورون بالوسامة والطُّول والشَّعر الذَّهبي، من المُغامِرين الأنداليِّين الذين أقاموا مملكةً عظيمةً في التِّلال والوديان الغَربيَّة، ويأتي نَسبهم من جهة الإناث من لان الأريب، المُحتال الذي عاشَ في عصر الأبطال؛ وقد جعلَهم ذهب كاسترلي روك والنَّاب الذَّهبي أثرى العائلات الكُبرى.

راية آل لانستر عبارة عن أسدٍ ذهبي على خلفيَّةٍ قرمزيَّة، وكلماتهم: «اسمعوا زئيري».

تايوين لانستر، سيِّد كاسترلي روك، حاكِم الغَرب، حامي لانسپورت،

- زوجته، **(الليدي چوانا)**، ابنة عمِّه، ماتَت أثناء الوضع،
- أبناؤهما:
  - **السير چايمي**، لقبه قاتِل المَلك، وريث كاسترلي روك، توأم سرسي،
  - **المَلكة سرسي**، زوجة المَلك روبرت الأول، توأم چايمي،
  - **تيريون**، لقبه العفريت، قزم،
- إخوته:
  - **السير كيڤان**، أخوه الأكبر،
    - زوجته، **دورنا**، سليلة عائلة سويفت،
    - ابنهما الأكبر، **لانسل**، مُرافِق المَلك،
    - ابناهما التَّوأمان، **ويلم** و**هاروين**،

- ابنتهما الصَّغيرة، **چاني**،

- **چِنا**، أخته، متزوِّجة من السير إمون فراي،

- ابنهما، **السير كليوس فراي**،

- ابنهما، **تيون فراي**، مُرافِق فارس،

- **(السير تايجت)**، أخوه الثَّاني، ماتَ بداء الزُّهري،

- أرملته، **دارليسا**، سليلة عائلة ماربراند،

- ابنهما، **تايرك**، مُرافِق المَلك،

- **(جريون)**، أخوه الأصغر، فُقِدَ في البَحر،

- ابنته غير الشَّرعيَّة، **چوي**، فتاة في العاشرة من العُمر،

- ابن عمِّهم، **السير ستافورد لانستر**، أخو الليدي الرَّاحلة چوانا،

- ابنتاه، **سيرينا وماربيل**،

- ابنه، **السير داڤن لانستر**،

- مستشاره: **المِايستر كرايلن**،

- أهم فُرسانه ولورداته حمَلة رايته:

- **اللورد ليو ليفورد**،

- **السير أدام ماربراند**،

- **السير جريجور كليجاين**، لقبه الجبل راكب الخيول،

- **السير هاريس سويفت**، أب بحُكم الزَّواج للسير كيڤان،

- **اللورد أندرون براكس**،

- **السير فورلي پرستر**،

- **السير آموري لورك**،

- **ڤارجو هوت**، من مدينة كوهور الحُرَّة، مُرتَزِق،

أبرز العائلات المُقسِمة بالولاء لكاسترلي روك هي: پاين، سويفت، ماربراند، ليدن، بانفورت، ليفورد، كراكهول، سيريت، بروم، كليجاين، پرستر، وسترلينج.

عائلة آرن

تنحدر عائلة آرن من ملوك الجبال والوادي، وهي واحدة من أقدم وأنقى سُلالات النُّبلاء الأندالِّيين.

راية آل آرن عبارة عن قمرٍ وصقرٍ أبيضين على خلفيَّةٍ ذات لونٍ أزرقَ سماوي، وكلماتهم: «سامون كالشَّرف».

(**چون آرن**)، سيِّد العُش، حافِظ الوادي، حاكِم الشَّرق، يَدُ المَلك، تُوفِّي مؤخَّرًا،

- زوجته الأولى، (**الليدي چين**، سليلة عائلة رويس)، ماتَت أثناء الوضع، وُلِدَت طفلتها ميتةً،
- زوجته الثَّانية، (**الليدي روينا**، سليلة عائلة آرن)، ابنة عمِّه، ماتَت بنوبة برد، بلا أطفال،
- زوجته الثَّالثة وأرملته، **الليدي لايسا**، سليلة عائلة تَلي،
- ابنهما:
  - **روبرت**، صبي سقيم في السَّادسة من العُمر، الآن سيِّد العُش وحافِظ الوادي،
- أتباعهما وأهل بيتهما:
  - **المِايستر كولمون**، مستشار، مُعالِج، معلِّم،
  - **السير ڤارديس إيجن**، قائد الحَرس،

- **السير براindن تَلي**، لقبه السَّمكة السَّوداء، فارس البوَّابة وعمُّ الليدي لايسا،
- **اللورد نستور رويس**، وكيل الوادي الأعلى،
- **السير ألبار رويس**، ابنه،
- **ميا ستون**، فتاة نغلة في خدمته،
- **اللورد إيون هنتر**، تقدَّم بالزَّواج لليدي لايسا،
- **اللورد لين كوربراي**، تقدَّم بالزَّواج لليدي لايسا،
- **مايكل ردفورد**، مُرافِقه،
- **الليدي آنيا واينوود**، أرملة،
- **السير مورتون واينوود**، ابنها، تقدَّم بالزَّواج لليدي لايسا،
- **السير دونل واينوود**، ابنها،
- **مورد**، سجَّان شرس،

أبرز العائلات المُقسِمة بالولاء للعُش هي: رويس، بايلش، إيجن، واينوود، هنتر، ردفورد، كوربراي، بلمور، مالكوم، هرسي.

عائلة تَلي

لم يَحكُم آل تَلي كملوكٍ على الإطلاق، وإن كانوا يبسطون سُلطتهم على أراضٍ خصبةٍ وقلعة ريڤررَن العظيمة منذ ألف عامٍ كاملة. كانت أراضي النَّهر تنتمي لهارن الأسود مَلك جُزر الحديد خلالَ حروب الغزو، وكان المَلك هاروين هاردهاند -جَدُّ هارن- قد استولى على نهر الثَّالوث وأراضيه من آرك مَلك أراضي العواصف، الذي كان أسلافه قد غزوا تلك الأنحاء كلها حتى منطقة العُنق في الشَّمال قبل ثلاثمئة عام وقضوا على آخِر ملوك النَّهر القُدامى. كان هارن الأسود طاغيةً دمويًّا مغرورًا لا يُحِبُّه من يَحكُمهم، وقد تخلَّى كثيرون من لوردات أراضي النَّهر عنه وانضمُّوا إلى جيش إجون التنِّين، وكان أولهم إدمين تَلي ابن ريڤررَن. ثم، عندما قُضِيَ على هارن وذُرِّيَّته في حريق هارنهال، كافأ إجون عائلة تَلي بتنصيب اللورد إدمين حاكمًا على أراضي النَّهر، وأمرَ بقيَّة اللوردات بأن يُقسِموا له بالولاء.

راية آل تَلي عبارة عن سمكة ترويت فضِّيَّة واثبة على خلفيَّةٍ متموِّجة من الأزرق والأحمر، وكلماتهم: «العائلة، الواجب، الشَّرف».

هوستر تَلي، سيِّد ريڤررَن،

- زوجته، (**الليدي مينيسا**، سليلة عائلة وِنت)، ماتَت أثناء الوضع،
- أبناؤهما:
  - **كاتلين**، الابنة الكُبرى، تزوَّجت من اللورد إدارد ستارك،

- **لايسا**: الابنة الصُّغرى، تزوَّجت من اللورد چون آرن،
- **السير إدميور**، وريث ريڤررَن،
- أخوه: **السير برايندن تَلي**، لقبه السَّمكة السَّوداء،
- أهل بيته:
- **المِايستر ڤايمان**، مستشار، مُعالِج، معلِّم،
- **السير دزموند جرِل**، قيِّم السِّلاح،
- **السير روبن رايجر**، قائد الحَرس،
- **أوثرايدس واين**، وكيل ريڤررَن،
- فُرسانه واللوردات حمَلة رايته:
- **چيسون ماليستر**، سيِّد سيجارد،
- **پاتريك ماليستر**، ابنه ووريثه،
- **والدر فراي**، سيِّد المعبر،
- أبناؤه وأحفاده الشَّرعيُّون وغير الشَّرعيِّين،
- **چونوس براكن**، سيِّد السِّياج الحَجري،
- **تايتوس بلاكوود**، سيِّد راڤنتري،
- **السير رايمون داري**،
- **السير كاريل ڤانس**،
- **السير مارك پايپر**،
- **الليدي شيلا وِنت**، سيِّدة هارنهال،
- **السير ويليس وود**، فارس في خدمتها،

تتضمَّن العائلات الأدنى شأنًا المُقسِمة بالولاء لريڤررَن كلًّا من: داري، فراي، ماليستر، براكن، بلاكوود، وِنت، رايجر، پايپر، ڤانس.

عائلة تايرل

صعدَ آل تايرل إلى السُّلطة كوُكلاءٍ لملوك المرعى، الذين ضمَّت أملاكهم السُّهول الخصبة في الجَنوب الغَربي من تخوم دورن والنَّهر الأسود وحتى سواحل بَحر الغروب. يأتي نَسب آل تايرل من جهة الإناث من جارث جرينهاند، مَلك البَشر الأوائل البُستاني الذي ارتدى تاجًا من أوراق الشَّجر والزُّهور واستغلَّ خصوبة الأرض وزرعَها حتى ازدهرَت؛ وعندما ماتَ المَلك مِرن -آخِر ملوك العائلة القديمة- في معركة حقل النِّيران، سلَّم وكيله هارلن تايرل قلعة هايجاردن إلى إجون الفاتِح وأقسمَ له بالولاء، فمنحَه إجون القلعة وحُكم المرعى.

راية آل تايرل عبارة عن وردةٍ ذهبيَّةٍ على خلفيَّةٍ بلونٍ أخضرَ كالعُشب، وكلماتهم: «ننمو بقوَّة».

مايس تايرل، سيِّد هايجاردن، حاكِم الجَنوب، حافِظ التُّخوم، عاهل المرعى الأعلى،

- زوجته، الليدي أليري، سليلة عائلة هايتاور من البلدة القديمة،
- أبناؤهما:
  - **ويلاس**، الابن الأكبر، وريث هايجاردن،
  - **السير جارلان**، لقبه الشَّهم، الابن الثَّاني،
  - **السير لوراس**، فارس الزُّهور، الابن الأصغر،
  - **مارچري**، ابنتهما، فتاة في الرَّابعة عشر من العُمر،

- أمُّه الأرملة، **الليدي أولينا**، سليلة عائلة ردواين، لقبها مَلكة الأشواك،
- أختاه:
  - **مينا**، تزوَّجت من اللورد پاكستر ردواين،
  - **چانا**، تزوَّجت من السير چون فوسواي،
- أعمامه:
  - **جارث**، لقبه الفَج، وكيل هايجاردن،
    - ابناه غير الشَّرعيَّين، **جارس وجارت فلاورز**،
  - **السير مورين**، قائد حَرس البلدة القديمة،
  - **المِايستر جورمون**، دارس في القلعة في البلدة القديمة،
- أهل بيته:
  - **المِايستر لوميس**، مستشار، مُعالِج، معلِّم،
  - **إيجون ڤيرويل**، قائد الحَرس،
  - **السير ڤورتيمر كران**، قيِّم السِّلاح،
- فُرسانه واللوردات حمَلة رايته:
  - **پاكستر ردواين**، سيِّد الكرمة،
  - زوجته، **الليدي مينا**، سليلة عائلة تايرل،
  - أبناؤهما:
    - السير هوراس، لقبه السَّاخر هورور، توأم هوبر،
    - السير هوبر، لقبه السَّاخر سلوبر، توأم هوراس،
    - دسميرا، فتاة في الخامسة عشر من العُمر،
  - **راندل تارلي**، سيِّد هورن هيل،
    - **ساmويل**، ابنه الأكبر، من رجال حَرس اللَّيل،
    - **ديكون**، ابنه الأصغر، وريث هورن هيل،
  - **أروين أوكهارت**، سيِّدة السَّنديانة القديمة،

- **ماثيس روان، سيِّد البُستان الذَّهبي،**
- **ليتون هايتاور، من ألقابه صوت البلدة القديمة وسيِّد المرفأ،**
- **السير چون فوسواي،**

أبرز العائلات المُقسِمة بالولاء لهايجاردن هي: ڤيرويل، فلورنت، أوكهارت، هايتاور، كران، تارلي، ردواين، فوسواي، روان، مالندور.

عائلة جرايچوي

ينحدر آل جرايچوي من المَلك الأشيب الذي عاشَ في عصر الأبطال، الذي تقول عنه الأساطير إنه لم يَحكُم الجُزر الغربيَّة فحسب، بل البَحر نفسه كذلك وتزوَّج من عروس بَحر. لآلاف السِّنين شكَّل مُغيرو جُزر الحديد -الذين أطلقَ عليهم ضحاياهم لقب "الرِّجال الحديديِّين"- رُعبًا مقيمًا عبر البحار، فقد أبحَروا لمسافاتٍ بعيدةٍ حتى ميناء إيبن وجُزر الصَّيف، وتباهوا بشراستهم في المعارك وحُرِّياتهم المقدَّسة. كان لكلِّ واحدةٍ من جُزر الحديد "مَلك ملحي" و"مَلك صخري"، وكان هؤلاء ينتخبون مَلك الجُزر الأعلى من بينهم، إلى أن جعلَ المَلك أورون انتقال العَرش بالوراثة عندما اغتالَ بقيَّة الملوك أثناء اجتماعهم للانتخاب، ثم قُضِيَ على سلالة أورون كلها بَعد ألف عامٍ عندما اكتسحَ الأنداليُّون جُزر الحديد، وصاهرَ آل جرايچوي الغزاة كما فعلَ عدد من سادة الجُزر الآخَرين.

بسطَ الملوك الحديديُّون سيطرتهم لمسافاتٍ تجاوزَت جُزر الحديد نفسها بكثير، وأقاموا ممالك كاملةً على اليابسة بالسَّيف والنَّار، حتى أن المَلك كوريد كان يتفاخَر بأن أوامره تسري "حيثما يشمُّ النَّاس المياه المالحة أو يسمعون تلاطُم الأمواج". في القرون التَّالية فقدَ أبناء كوريد الكرمة والبلدة القديمة وجزيرة الدِّببة ومساحةً كبيرةً من السَّاحل الغربي، ومع ذلك ظَلَّ المَلك هارن الأسود مسيطرًا على الأراضي الواقعة بين

الجبال من العُنق وحتى النَّهر الأسود خلال حروب الغزو، لكن بَعد مصرعه مع أبنائه في سقوط هارنهال، منحَ إجون تارجاريَن أراضي النَّهر لعائلة تَلي، وسمحَ للوردات جُزر الحديد النَّاجين بإحياء تقليدهم القديم واختيار من يَحكُمهم، فاختاروا اللورد ڤيكون جرايچوي ابن جزيرة پايك.

راية آل جرايچوي عبارة عن كراكن ذهبي على خلفيَّةٍ سوداء، وكلماتهم: «نحن لا نزرع».

بالون جرايچوي، سيِّد جُزر الحديد، مَلك الملح والصَّخر، ابن رياح البَحر، سيِّد حصاد پايك،

- زوجته، **الليدي ألانيس**، سليلة عائلة هارلو،
- أبناؤهما:
  - (**رودريك**)، ابنهما الأكبر، قُتِلَ في سيجارد خلال تمرُّد جرايچوي،
  - (**مارون**)، ابنهما الثَّاني، قُتِلَ على أسوار پايك خلال تمرُّد جرايچوي،
  - **آشا**، ابنتهما، ربَّان سفينة الرِّيح السَّوداء،
  - **ثيون**، ابنهما الوحيد الحي، وريث پايك، تابع شخصي للورد إدارد ستارك،
- إخوته:
  - **يورون**، لقبه عين الغُراب، ربَّان سفينة الصَّمت، خارج على القانون، قرصان، مغير،
  - **ڤيكتاريون**، قائد الأسطول الحديدي،
  - **آرون**، لقبه ذو الشَّعر الرَّطب، من رهبان الإله الغارق،

تتضمَّن العائلات الأدنى شأنًا المُقسِمة بالولاء لپايك كلًّا من: هالرو، ستونهاوس، مرلين، ساندرلي، بوتلي، تاوني، ونش، جودبراذر.

عائلة مارتل

رسَت مَلكة الروين المُحارِبة نايميريا بعشرة آلاف سفينة على سواحل دورن الواقعة في أقصى جَنوب المَمالك السَّبع وتزوَّجت من اللورد مورس مارتل، وبمُساعَدتها استطاعَ القضاء على مُنافِسيه لينفرد بحُكم دورن كلها. لا يزال تأثير الروينار قويًّا هناك، ولهذا يُلقِّب الحُكَّام الدورنيُّون أنفسهم بالأمراء وليس الملوك، وتَنُصُّ القوانين الدورنيَّة على أن تنتقل أملاكهم وألقابهم إلى أكبر الأبناء سواء كان ولدًا أم بنتًا. تبقى دورن وحدها بين المَمالك السَّبع كلها التي لم تتعرَّض لغزو إجون التنِّين، ولم تنضم إلى البلاد الواقعة تحت سيطرة عائلته إلَّا بَعد مرور مئتي عام، وكان ذلك بالمُصاهَرة والمُعاهَدات وليس القتال، إذ نجحَ المَلك السِّلمي دايرون الثَّاني فيما أخفقَ فيه المُحارِبون، عندما تزوَّج من الأميرة الدورنيَّة ميريا وزوَّج أخته من أمير دورن الحاكم في ذلك الحين.

راية آل مارتل عبارة عن شمسٍ حمراء يخترقها رُمح ذهبي، وكلماتهم: «لا ننحني، لا نخضع، لا ننكسر».

دوران نايميروس مارتل، سيِّد صنسپير، أمير دورن،

- زوجته، **ميلاريو**، من مدينة نورڤوس الحُرَّة،
- أبناؤهما:
  - **الأميرة آريان**، ابنتهما الكُبرى، وريثة صنسپير،
  - **الأمير كوينتن**، ابنهما الأكبر،

- **الأمير تريستان**، ابنهما الأصغر،
- إخوته:
- أخته، (**الأميرة إليا**)، تزوَّجت من الأمير ريجار تارجارِيَن، قُتِلَت خلال نهب كينجز لاندنج،
- طفلاهما:
- (**الأميرة ريينس**)، فتاة صغيرة، قُتِلَت خلال نهب كينجز لاندنج،
- (**الأمير إجون**)، رضيع، قُتِلَ خلال نهب كينجز لاندنج،
- أخوه، **الأمير أوبرين**، لقبه الأفعوان الأحمر،
- أهل بيته:
- **آريو هوتا**، مُرتَزِق نورفوشي، قائد الحَرس،
- **المِايستر كاليوت**، مستشار، مُعالِج، معلِّم،
- فُرسانه واللوردات حمَلة رايته:
- **إدريك داين**، سيِّد ستارفول،

أبرز العائلات المُقسِمة بالولاء لصنسپير هي: چورداين، سانتاجار، أليريون، تولاند، يرونوود، ويل، فاولر، داين.

السُّلالة القديمة

عائلة تارجاريَن

تسري دماء التنِّين في عروق آل تارجاريَن الذين ينحدرون من كبار لوردات معقل ڤاليريا الحُر القديم، ويتبدَّى ميراثهم في جمالهم الأخَّاذ (الذي يقول البعض إنه غير بَشري)، والعيون ذات اللَّون الأرجواني أو النِّيلي أو البنفسجي، والشَّعر الذَّهبي الفضِّي أو الأبيض كالپلاتين.

فَرَّ أسلاف إجون التنِّين من هلاك ڤاليريا والفوضى والمذابح التي تبعَته واستقرُّوا في دراجونستون، الجزيرة الصَّخريَّة الواقعة في البَحر الضيِّق، ومن هناك أبحرَ إجون مع أختيه لغزو المَمالك السَّبع. للحفاظ على الدَّم المَلكي وصيانة نقائه، غالبًا ما اتَّبع آل تارجاريَن التَّقليد الڤاليري القديم وزوَّجوا الأخ من أخته، وقد تزوَّج إجون نفسه من أختيه وأنجبَ أبناءً من كلتيهما.

راية آل تارجاريَن عبارة عن تنِّين أحمرَ ذي ثلاثة رؤوس -يَرمُز لإجون وأختيه- على خلفيَّةٍ سوداء، وكلماتهم: «النَّار والدَّم».

خلافة عائلة تارجاريَن

مؤرَّخة بالأعوام بَعد دخول إجون المَمالك السَّبع

1 - 37

إجون الأول

إجون الفاتِح، إجون التنِّين

37 - 42

إينس الأول

ابن إجون وريينس

42 - 48

ميجور الأول

ميجور المتوحِّش، ابن إجون وڤيزينيا

48 - 103

چهيرس الأول

المَلك العجوز، المُصلِح، ابن إينس

103 - 129

ڤسيرس الأول

حفيد چهيرس

129 - 131

إجون الثَّاني

أكبر أبناء ڤسيرس

(نازعَته أخته رينيرا -الأكبر منه بعام- على خلافة الحُكم، وقُتِلَ كلاهما في الحرب التي نشبَت بينهما، التي يُطلِق عليها المغنُّون اسم "رقصة التَّنانين").

131 - 157

إجون الثَّالث

مُهلِك التَّنانين، ابن رينيرا

(ماتَ آخِر تنانين آل تارجاريَن خلال حُكم إجون الثَّالث).

157 - 161

دايرون الأول

التنِّين الصَّغير، المَلك الصَّبي، أكبر أبناء إجون الثَّالث

(حاولَ دايرون غزو دورن وإن لم ينجح في السَّيطرة عليها، وماتَ صغيرًا).

171 - 161

بيلور الأول

المحبوب، المُبارَك، سِپتون ومَلك، ثاني أبناء إجون الثَّالث

172 - 171

ڤسيرس الثَّاني

رابع أبناء إجون الثَّالث

184 - 172

إجون الرَّابع

الغير جدير، أكبر أبناء ڤسيرس

(كان أخوه الأصغر، الأمير إيمون الفارس التنِّين، نصيرًا للمَلكة نييرس، وقال البعض إنه كان عشيقها).

209 - 184

دايرون الثَّاني

ابن المَلكة نييرس من إجون أو إيمون

(ضَمَّ دايرون دورن إلى البلاد بزواجه من الأميرة الدورنيَّة ميريا).

221 - 209

إيرس الأول

الابن الثَّاني لداريون الثَّاني، لم يَترُك وريثًا

233 - 221

مايكار الأول

الابن الرَّابع لداريون الثَّاني

259 - 233

إجون الخامس

المُستبعَد، ابن مايكار الرَّابع

262 - 259

چهيرس الثَّاني

ابن إجون المُستبعَد الثَّاني

283 - 262

إيرس الثَّاني

المَلك المجنون، ابن چهيرس الوحيد

هنا تنتهي سُلالة ملوك التَّنانين بخلع إيرس الثَّاني عن العَرش وقتله هو ووريثه الأمير ريجار وليِّ العهد، الذي صرعَه روبرت باراثيون في معركة الثَّالوث.

آخِر أبناء عائلة تارجاريَن

(**المَلك إيرس تارجاريَن الثَّاني**)، قُتِلَ بيد چايمي لانستر خلال نهب كينجز لاندنج،

- أخته وزوجته (**المَلكة ريلا**)، سليلة عائلة تارجاريَن، ماتَت على فِراش الوضع في دراجونستون،
- أبناؤهما:
- (**الأمير ريجار**)، وريث العَرش الحديدي، قتلَه روبرت باراثيون في معركة الثَّالوث،
- زوجته، (**الأميرة إليا**)، سليلة عائلة مارتل، قُتِلَت خلال نهب كينجز لاندنج،

- طفلاهما:

- (**الأميرة ريينس**)، فتاة صغيرة، قُتِلَت خلال نهب كينجز لاندنج،

- (**الأمير إجون**)، رضيع، قُتِلَ خلال نهب كينجز لاندنج،

- **الأمير ڤسيرس**، لقَّب نفسه بڤسيرس الثَّالث، سيِّد المَمالك السَّبع، ولُقِّبَ بالمَلك الشحَّاذ،

- **الأميرة دنيرس**، لقبها دنيرس وليدة العاصفة، فتاة في الثَّالثة عشر من العُمر.

شُكر وتقدير

الشَّيطان في التَّفاصيل كما يقولون، وكتاب بهذا الحجم فيه الكثير من الشَّياطين التي تتربَّص بك وأنت غير منتبهٍ لها، لكني أعرفُ الكثير من الملائكة لحُسن الحظ.

شُكري وتقديري إذن لكلِّ القوم الطيِّبين الذين أعاروني أسماءهم وخبراتهم (وكُتبهم في بعض الحالات) كي أقدِّم كلَّ تلك التَّفاصيل الصَّغيرة بشكلٍ سليم. إلى ساج ووكر، مارتن رايت، ميلندا سنودجراس، كارل كايم، بروس بو، تيم أوبرايان، روچر زيلازني، چاين ليندزكولد، ولورا چ. ميكسكون، وبالطَّبع پاريس.

وشُكر خاص لچنيفر هرشي على جهودها التي لا تُقَدَّر بثَمن...



المؤلِّف چورچ رايموند ريتشارد مارتن

چورچ رايموند ريتشارد مارتن، وُلد في ولاية نيو چرسي الأمريكيَّة في سبتمبر 1948، ودرسَ في جامعة نورثوسترن وحصلَ على شهادتي البكالوريوس والليسانس في الصَّحافة، ثم درَّس في الجامعة لمدَّة عامين قبل انتقاله للعمل ككاتب ومنتج تليفزيوني في هوليوود، واشتركَ في كتابة عدد من المسلسلات، منها *The Twilight Zone*. بدأ مارتن الكتابة منذ طفولته، وله العديد من القصص القصيرة والمقالات التي نشرَتها المجلَّات والصُّحف، وأصدرَ روايته الأولى «موت الضِّياء» في عـام1976، ومنذ ذلك الحين صدرَت له أكثر من عشرين رواية ومجموعة قصصيَّة بخلاف أهمِّ وأشهر أعماله، «أغنية الجليد والنار» والكُتب المصاحبة لها. يُقيم مارتن حاليًّا في نيو مكسيكو ويعمل كمنتج تنفيذي في المسلسل المأخوذ عن سلسلته *Game of Thrones* بينما يعمل على كتابة الجزأين الأخيرين منها.



المُترجِم هشام فهمي

هشام فهمي، درسَ الأدب الإنجليزي والتَّرجمة في جامعة الإسكندريَّة، وعملَ مترجمًا وكاتبًا صحافيًّا في عدد من الصُّحف والمجلَّات، وترجمَ عددًا من الأعمال لكتَّاب عالميِّين، منها «الهوبيت» لتولكين، «فرانكنشتاين» لماري شِلي، «الناجي الأخير» و«أغنية المهد» لتشاك پولانك، «المحيط في نهاية الدَّرب» لنيل جايمان.

شُكر من المترجم

لكلِّ الأصدقاء الذين عاوَنوني بشكلٍ أو بآخَر على إخراج هذه التَّرجمة:

أحمد يحيى، تامر فتحي، رشا حسن عودة، رضوى أشرف، شيرين ثابت، شيماء إسماعيل، صالح محمد، محمد ربيع، محمود سلام أبو مالك، محمود عبد الرازق، يارا المصري، يوسف محيي الدين.

سلسلة چورچ ر. ر. مارتن الملحميَّة

(أغنية الجليد والنار)

تبدأ في

لعبة العروش

وتُستكمَل في

صِدام الملوك

عاصفة السيوف

وليمة للغربان

رقصة مع التنانين

رياح الشتاء

حُلم بالربيع

الرواية التي تحولت إلى ظاهرة

«مارتن راوي قصص بالفطرة يتمتَّع بخيال واحد في المليون، والمسلسل التلفزيوني المأخوذ عن روايته رائع، لكن الكُتب أفضل بكثير».

(ستيڤن كينج)

«نجحت سلسلة مارتن الخيالية في إشعال خيال الملايين للسبب نفسه الذي جعل أعمال هوميروس وسوفوكليس وشكسبير تدوم لعصور».

(الغارديان)

«مارتن هو الأفضل على الإطلاق بين من يكتبون في مجال الفانتازيا الملحميَّة في العصر الحالي، ولا مبالغة في وصفه بأنه تولكين الأمريكي».

(تايم)

«موهبة مارتن في الحكي تكاد تكون خارقة للطبيعة». **(نيويورك تايمز)**

في «لعبة العروش» صنع چورچ ر. ر. مارتن تحفة أصيلة تحوي أفضل ما في الأدب الخيالي، من إثارة وغموض ومغامرة، على مستوى أكبر من الواقع، ما جعل الملايين من عشاق الفانتازيا حول العالم يقعون في غرامها ويتابعون ملحمة «أغنية الجليد والنار» بالشغف نفسه.

في عالم يدوم فيه الصيف سنينًا والشتاء عمرًا بأكمله، تبدأ قوة الملك الحاكم في الجنوب تتهاوى بعد وفاة مساعده في ظروفٍ غامضة، فلا يجد غير آخِر وأخلص أصدقائه ليطلب منه أن يعاونه على حكم البلاد. ومن الشمال تعود الرياح الباردة لتهبَّ منذرة بعودة خطرٍ قديم يهدِّد بهلاك العالم كله. وفي قلعة الحُكم تدور عجلة المؤامرات والمكائد بين الحلفاء والأعداء، ويحتدم الصراع على العرش الحديدي، لكن في لعبة العروش لا توجد منطقة وسطى، فإما أن تربح أو تموت.

ISBN 978-977-6483-57-6

9 789776 483576

التنوير للطباعة والنشر والتوزيع

تونس - القاهرة - بيروت